

(فهرست الجزء الرابع من تفسير القرآن العظيم للامام على بن محمد المعروف بالخازن)

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

(تمت)

الجزء الرابع من تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل في معاني
التنزيل تأليف الشيخ الامام الحجة المتقدم العلامة قدوة الائمة
وعلم الائمة ناصر الشريعة ومحيي السنة علاء
الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي
الصوفي المعروف بالخازن
تغمده الله برحمته
آمين

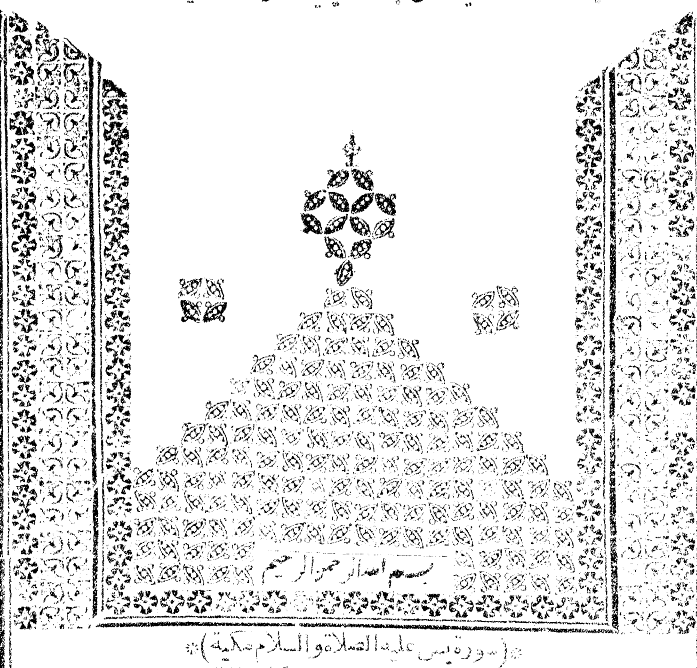
٣

وقد جعل بهامش هذا الكتاب التفسير المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل
تأليف الشيخ الامام الجليل المشهور بالعلامة أبي البركات عبد الله
ابن أحمد بن محمود النسفي عليه سحائب الرحمة والرضوان

(سورة يس مكية وهي ثلاث وثمانون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يس) عن ابن عباس رضي الله عنهما معناه يا إنسان في لغة طيء وعن ابن الحنفية يا محمد وفي الحديث إن الله تعالى سماني في القرآن بسبعة أسماء محمد وأحمد وطه ويس والمزمل والمدثر وعبد الله وقيل يا سيد يس بالإمالة علي وحمزة وخلف وحماد ويحيى (والقرآن) قسم (الحكيم) ذي الحكمة أو لأنه دليل ناطق بالحكمة أو لأنه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به (إنك لمن المرسلين) جواب القسم وهو رد على الكفار حين قالوا لست مرسلا (على صراط مستقيم) خبر بعد خبر أو صلة للمرسلين أي الذين أرسلوا على صراط مستقيم أي طريق مستقيم وهو الإسلام (تنزيل) بنصب اللام شامي وكوفي غير أبي بكر على أقرأ تنزيل أو على المصدر أي نزل تنزيل وغيرهم بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هو تنزيل والمصدر بمعنى المفعول (العزيز) الغالب بفصاحة نظم كتابه أوهام ذوي العناد (الرحيم) الجاذب بلطافة معنى خطابه أفهام أولي الرشاد واللام في (لتنذر قوما) متصل بمعنى المرسلين أي أرسلت لتنذر قوما (ما أنذر آباؤهم) ما نافية عند الجمهور أي قوما غير منذر آباؤهم على الوصف بدليل قوله لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير أو موصولة منصوبة على المفعول الثاني أي العذاب الذي أنذره آباؤهم كقوله إنا أنذرناكم عذابا قريبا أي أو مصدرية أي لتنذر قوما إنذارا آباؤهم (فهم غافلون) إن جعلت ما نافية فهو متعلق بالنفي أي لم ينذروا



(سورة يس عليه الصلاة والسلام مكية)

وهي ثلاث وثمانون آية وسبعمائة وتسع وعشرون كلمة وثلاثة آلاف حرف عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي إسناده شيخ مجهول وعن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤوا على موتاكم يس أخرجه أبو داود وغيره

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (يس) قال ابن عباس هو قسم وعنه أن معناه يا إنسان بلغة طيء يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل يا سيد البشر وقيل هو اسم للقرآن (والقرآن الحكيم) أي ذي الحكمة لأنه دليل ناطق بالحكمة وهو قسم وجوابه (إنك لمن المرسلين) أي أقسم بالقرآن أن محمدا صلى الله عليه وسلم لمن المرسلين وهو رد على الكفار حيث قالوا لست مرسلا (على صراط مستقيم) معناه وإنك على صراط مستقيم وقيل معناه إنك لمن المرسلين الذين هم على طريقة مستقيمة (تنزيل العزيز الرحيم) أي القرآن تنزيل العزيز في ملكه الرحيم بخلقه (لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم) يعني لم تنذر آباؤهم لأن قريشا لم يأتهم نبي قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معناه لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم من العذاب (فهم غافلون)

فهم غافلون والا فهو متعلق بقوله انك لمن المرسلين لتنذر كما تقول أرسلتك الى فلان لتنذره فانه غافل أو فهو غافل (لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون) يعني قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين أي تعلق بهم هذا القول وثبت عليهم ووجب لانهم ممن علم أنهم يموتون على الكفر ثم مثل تصميمهم على الكفر وانه لا سبيل الى ارعوائهم بأن جعلهم كالمغلولين المقمحين في انهم لا يلتفتون الى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤسهم له وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم في ان لا تأمل لهم ولا تبصر وانهم متعامون عن النظر في آيات الله بقوله (انا جعلنا في أعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان) معناه فالاغلال واصلة الى الاذقان ملزوقة اليها (فهم مقمحون) مرفوعة رؤسهم يقال قمح البعير فهو قامح اذا روي فرفع رأسه وهذا لان طوق الغل الذي في عنق المغلول يكون في ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود نادرا من الحلقة الى الذقن فلا تخليه يطأطئ رأسه فلا يزال مقمحا (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) بفتح السين حمزة وعلي وحفص وقيل ما كان من عمل الناس فبالفتح وما كان من خلق الله كالجبل ونحوه فبالضم (فأغشيناهم) فأغشينا ابصارهم اي غطيناها وجعلنا عليها غشاوة (فهم لا يبصرون) الحق والرشاد وقيل نزلت في بني مخزوم وذلك ان ابا جهل حلف لئن رأى محمدا يصلي ليرضخن رأسه فأتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه به فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فأخبرهم فقال مخزومي آخر أنا أقتله بهذا الحجر فذهب فأعمى الله بصره (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) اي سواء عليهم الانذار وتركه والمعنى من اضله الله هذا الاضلال لم ينفعه الانذار وروي ان عمر بن عبد العزيز قرأ الآية على غيلان القدري فقال كأني لم اقرأها أشهدك أني تائب عن قولي في القدر فقال عمر اللهم ان صدق فتب عليه وان كذب فسلط عليه من لا يرحمه فأخذه هشام بن عبد الملك من عنده فقطع يديه ورجليه وصلبه على باب دمشق (انما تنذر من اتبع الذكر) أي انما ينتفع بانذارك من اتبع القرآن (وخشي الرحمن بالغيب) وخاف عقاب الله ولم يره (فبشره بمغفرة) وهي العفو عن ذنوبه (وأجر كريم) أي الجنة (انا نحن نحيي الموتى) نبعثهم بعد مماتهم او نخرجهم من الشرك الى الايمان (ونكتب ما قدموا) ما اسلفوا من الاعمال الصالحات وغيرها (وآثارهم) ما هلكوا

أي عما يراد بهم من الايمان والرشد (لقد حق القول) أي وجب العذاب (على أكثرهم فهم لا يؤمنون) فيه اشارة الى ارادة الله تعالى السابقة فيهم فهم لا يؤمنون لما سبق لهم من القدر بذلك قوله عز وجل (انا جعلنا في أعناقهم أغلالا) نزلت في أبي جهل وصاحبيه المخزوميين وذلك ان أبا جهل حلف لئن رأى محمدا صلى الله عليه وسلم يصلي ليرضخن رأسه بالحجارة فأتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه به فلما رفعه انثنت يده الى عنقه ولزق الحجر بيده فلما رجع الى أصحابه وأخبرهم بما رأى سقط الحجر فقال له رجل من بني مخزوم أنا أقتله بهذا الحجر فأتاه وهو يصلي ليرميه بالحجر فأعمى الله تعالى بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع الى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقالوا له ما صنعت فقال ما رأيته ولقد سمعت صوته وحال بيني وبينه شبه الفحل يخطر بذنبه لو دنوت منه لأكلني فأنزل الله تعالى انا جعلنا في أعناقهم أغلالا قيل هذا على وجه التمثيل ولم يكن هناك غل أراد منعناهم عن الايمان بموانع فجعل الاغلال مثلا لذلك وقيل حبسناهم عن الانفاق في سبيل الله بموانع كالاغلال وقيل انها موانع حسية منعت كما يمنع الغل وقيل انها وصف في الحقيقة وهي ما سينزله الله عز وجل بهم في النار (فهي) يعني الايدي (الى الاذقان) جمع ذقن وهو أسفل اللحيين لان الغل يجمع اليد الى العنق (فهم مقمحون) أي رافعو رؤسهم مع غض البصر وقيل أراد أن الاغلال رفعت رؤسهم فهم مقمحون برفع الرؤس برفع الاغلال لها (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) معناه منعناهم عن الايمان بموانع فهم لا يستطيعون الخروج من الكفر الى الايمان كالمضروب أمامه وخلفه بالاسداد وقيل حجبناهم بالظلمة عن أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى (فأغشيناهم) أي فأعميناهم (فهم لا يبصرون) يعني سبيل الهدى (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) يعني من يرد الله اضلاله لم ينفعه الانذار (انما تنذر من اتبع الذكر) يعني انما ينفع انذارك من اتبع القرآن فعمل بما فيه (وخشي الرحمن بالغيب) أي خافه في السر والعلن (فبشره بمغفرة) أي للذنوب (وأجر كريم) يعني الجنة قوله تعالى (انا نحن نحيي الموتى) أي للبعث (ونكتب

(فقالوا انا اليكم مرسلون) أي قال الثلاث لاهل القرية (قالوا) أي أصحاب القرية (ما أنتم الا بشر مثلنا) رفع بشر هنا ونصب في قوله ما هذا بشرا لانتقاض النفي بالا فلم يبق لما شبه بليس وهو الموجب لعمله (وما أنزل الرحمن من شئ) أي وحيا (ان أنتم الا تكذبون) ما أنتم الا كذبة (قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون) أكد الثاني باللام دون الاول لان الاول ابتداء اخبار والثاني جواب عن انكار فيحتاج الى زيادة تأكيد وربنا يعلم جار مجرى القسم في التوكيد وكذلك قولهم شهد الله ويعلم الله (وما علينا الا البلاغ المبين) أي التبليغ الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة بصحته (قالوا انا تطيرنا بكم) تشاءمنا بكم وذلك انهم كرهوا دينهم ونفرت منه نفوسهم وعادة الجهال ان يتيمنوا بكل شئ مالوا اليه وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه فان أصابهم بلاء أو نعمة قالوا بشؤم هذا وبركة ذلك وقيل حبس عنهم المطر فقالوا ذلك (لئن لم تنتهوا) عن مقالتكم هذه (لنرجمنكم) لنقتلنكم او لنطردنكم او لنشتمنكم (وليمسنكم منا عذاب أليم) وليصيبنكم عذاب النار وهو أشد عذاب (قالوا طائركم) أي سبب شؤمكم (معكم) وهو الكفر (أئن) بهمزة الاستفهام وحرف الشرط كوفي وشامي (ذكرتم) وعظتم ودعيتم الى الاسلام وجواب الشرط مضمر وتقديره تطيرتم آئن بهمزة ممدودة بعدها ياء مكسورة أبو عمرو وأين بهمزة مقصورة بعدها ياء مكسورة مكي ونافع ذكرتم بالتخفيف يزيد (بل أنتم قوم مسرفون) مجاوزون الحد في العصيان فمن ثم أتاكم الشؤم من قبلكم لا من قبل رسل الله وتذكيرهم أو بل أنتم مسرفون في ضلالكم وغيكم حيث تتشاءمون بمن يجب التبرك به من رسل الله (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) هو حبيب النجار وكان في غار من الجبل يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقال أتسألون على ما جئتم به أجرا قالوا لا (قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسئلكم أجرا) على تبليغ الرسالة (وهم مهتدون) أي الرسل فقالوا أو أنت على دين هؤلاء فقال (ومالي لا أعبد الذي فطرني) خلقني (واليه ترجعون) واليه مرجعكم ومالي حمزة (أأتخذ) بهمزتين كوفي (من دونه آلهة) يعني الاصنام (ان يردن الرحمن بضر) شرط جوابه (لا تغن عني شفاعتهم شيأ ولا ينقذون) من مكروه ولا ينقذون فاسمعوني في الحالين يعقوب

أي قوينا برسول ثالث وهو شمعون وقيل شلوم وانما أضاف الله تعالى الارسال اليه لان عيسى عليه الصلاة والسلام انما بعثهم باذن الله عز وجل (فقالوا) يعني الرسل جميعا لاهل انطاكية (انا اليكم مرسلون قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شئ) أي لم يرسل رسولا (ان أنتم الا تكذبون) أي فيما تزعمون (قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون) أي وان كذبتمونا (وما علينا الا البلاغ المبين) أي بالآيات الدالة على صدقنا (قالوا انا تطيرنا بكم) أي تشاءمنا بكم وذلك لان المطر حبس عنهم فقالوا اصابنا ذلك بشؤمكم (لئن لم تنتهوا) أي تسكتوا عنا (لنرجمنكم) أي لنقتلنكم وقيل بالحجارة (وليمسنكم منا عذاب أليم قالوا طائركم معكم) أي شؤمكم معكم بكفركم وتكذيبكم يعني أصابكم الشؤم من قبلكم وقال ابن عباس حظكم من الخير والشر (أئن ذكرتم) معناه اطيرتم لان ذكرتم ووعظتم (بل أنتم قوم مسرفون) أي في ضلالكم وشرككم متمادون في غيكم قوله عز وجل (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) هو حبيب النجار وقيل كان قصارا وقال وهب كان يعمل الحرير وكان سقيما قد أسرع فيه الجذام وكان منزله عند أقصى باب من أبواب المدينة وكان مؤمنا ذا صدقة يجمع كسبه فاذا أمسى قسمه نصفين نصفا لعياله ويتصدق بنصفه فلما بلغه أن قومه كذبوا الرسل وقصدوا قتلهم جاءهم (قال يا قوم اتبعوا المرسلين) وقيل كان في غار يعبد ربه فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقال لهم أتسألون على هذا أجرا قالوا لا فاقبل على قومه وقال يا قوم اتبعوا المرسلين (اتبعوا من لا يسئلكم أجرا وهم مهتدون) أي لا تخسرون معهم شيأ من دنياكم وتربحون صحة دينكم فيحصل لكم خير الدنيا والآخرة فلما قال ذلك قالوا له أو أنت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن باالههم فقال (ومالي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون) قيل أضاف الفطرة الى نفسه والرجوع اليهم لان الفطرة أثر النعمة وكانت عليه أظهر والرجوع فيه معنى الزجر فكان بهم أليق وقيل معناه وأي شئ لي اذا لم أعبد خالقي واليه تردون عند البعث فيجزيكم باعمالكم (أأتخذ من دونه آلهة) أي لا أتخذ من دونه آلهة (ان يردن الرحمن بضر) أي بسوء ومكروه (لا تغن عني) أي لا تدفع عني (شفاعتهم شيأ) أي لا شفاعة لها فتغني عني (ولا ينقذون) أي من ذلك المكروه

(انى اذا) أى اذا اتخذت (انى ضلال مبين) ظاهر بين ولما نصح قومه أخذوا يرجمونه فاسرع نحو الرسل قبل ان يقتل فقال لهم (انى آمنت بربكم فاسمعون) أى اسمعوا ايمانى لتشهدوا لى به ولما قتل (قيل) له (ادخل الجنة) وقبره فى سوق انطاكية ولم يقل قيل له لأن الكلام سيق لبيان المقول لا لبيان المقول له مع كونه معلوما وفيه دلالة أن الجنة مخلوقة وقال الحسن لما أراد القوم ان يقتلوه رفعه الله اليه وهو فى الجنة ولا يموت الا بفناء السموات والارض فلما دخل الجنة ورأى نعيمها (قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى) أى بمغفرة ربى لى أو بالذى غفر لى (وجعلنى من المكرمين) بالجنة (وما أنزلنا) ما نافية (على قومه) قوم حبيب (من بعده) أى من بعد قتله أو رفعه (من جند من السماء) لتعذيبهم (وما كنا منزلين) وما كان يصح فى حكمتنا أن ننزل فى اهلاك قوم حبيب جندا من السماء وذلك لان الله تعالى اجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون بعض لحكمة اقتضت ذلك (ان كانت) الاخذة أو العقوبة (الاصيحة واحدة) صاح جبريل عليه السلام صيحة واحدة (فاذا هم خامدون) ميتون كما تخمد النار والمعنى ان الله كفى أمرهم بصيحة ملك ولم ينزل لاهلاكهم جندا من جنود السماء كما فعل يوم بدر والخندق (ياحسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) الحسرة شدة الندم وهذا نداء للحسرة عليهم كأنما قيل لها تعالى ياحسرة فهذه من أحوالك التى حقك ان تحضرى فيها وهى حال استهزائهم بالرسل والمعنى أنهم احقاء بان يتحسر عليهم المتحسرون ويتلهف على حالهم المتلهفون أو هم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين (ألم يروا) ألم يعلموا (كم أهلكنا قبلهم من القرون) كم نصب بأهلكنا ويروا معلق عن العمل فى كم لان كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام أو للخبر لان أصلها الاستفهام الا ان معناها نافذ فى الجملة وقوله (أنهم اليهم لا يرجعون) بدل من كم أهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره ألم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم (وان كل لما جميع لدينا محضرون) لما بالتشديد شامى وعاصم وحمزة بمعنى الا وان نافية وغيرهم بالتخفيف على ان ما صلة للتأكيد وان مخففة من الثقيلة وهى متلقاة باللام لا محالة والتنوين فى كل عوض عن المضاف اليه والمعنى ان كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب أو معذبون وانما اخبر عن كل بجميع لان كلا يفيد معنى الاحاطة والجميع فعيل بمعنى مفعول ومعناه الاجتماع يعنى ان المحشر يجمعهم (وآية لهم) مبتدأ وخبر اى وعلامة تدلهم على ان الله يبعث الموتى باحياء الارض الميتة ويجوز ان يرتفع آية بالابتداء ولهم صفتها وخبرها

وقيل من العذاب (انى اذا لفى ضلال مبين) أى خطأ ظاهر (انى آمنت بربكم فاسمعون) أى فاشهدوا لى بذلك قيل هو خطاب للرسل وقيل هو خطاب لقومه فلما قال ذلك وثب القوم عليه وثبة رجل واحد فقتلوه قال ابن مسعود وطئوه بارجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقيل كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومى حتى أهلكوه وقبره بانطاكية فلما لقى الله تعالى (قيل) له (ادخل الجنة) فلما أفضى الى الجنة ورأى نعيمها (قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين) تمنى ان يعلم قومه ان الله تعالى غفر له واكرمه ليرغبوا فى دين الرسل فلما قتل غضب الله عز وجل له فعجل لهم العقوبة فأمر جبريل عليه الصلاة والسلام فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم فذلك قوله تعالى (وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء) يعنى الملائكة (وما كنا منزلين) أى ما كنا نفعل هذا بل الامر فى اهلاكهم كان أيسر مما تظنون ثم بين عقوبتهم فقال تعالى (ان كانت الا صيحة واحدة) قال المفسرون أخذ جبريل بعضادتى باب المدينة وصاح بهم صيحة واحدة (فاذا هم خامدون) أى ميتون (ياحسرة على العباد) يعنى ياها حسرة وندامة وكآبة على العباد والحسرة أن يركب الانسان من شدة الندم ما لا نهاية له حتى يبقى قلبه حسيرا قيل يتحسرون على أنفسهم لما عاينوا من العذاب حيث لم يؤمنوا بالرسل الثلاثة فتمنوا الايمان حيث لم ينفعهم وقيل تتحسر عليهم الملائكة حيث لم يؤمنوا بالرسل وقيل يقول الله تعالى ياحسرة على العباد يوم القيامة حيث لم يؤمنوا بالرسل ثم بين سبب تلك الحسرة فقال تعالى (ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) قوله تعالى (ألم يروا) أى ألم يخبروا خطاب لاهل مكة (كم أهلكنا قبلهم من القرون) أى من الامم الخالية من أهل كل عصر سموا بذلك لاقترانهم فى الوجود (أنهم اليهم لا يرجعون) أى لا يعودون الى الدنيا أفلا يعتبرون بهم (وان كل لما جميع لدينا محضرون) يعنى ان جميع الامم يحضرون يوم القيامة (وآية لهم) يعنى

(الأرض الميتة) اليابسة وبالتشديد مدني (أحييناها) بالمطر وهو استئناف بيان لكون الأرض الميتة آية وكذلك نسلخ
ويجوز أن توصف الأرض والليل بالفعل لأنه أريد بهما جنسان مطلقان لا أرض وليل بأعيانهما فعوملا معاملة النكرات
في وصفهما بالأفعال ونحوه * ولقد أمر على اللئيم يسبني * (وأخرجنا منها حبا) أريد به الجنس (فمنه يأكلون) قدم الظرف
ليدل على أن الحب هو الشيء الذي يتعلق به معظم العيش ويقوم بالارتزاق منه صلاح الإنس وإذا قل جاء القحط ووقع الضر
وإذا فقد حضر الهلاك ونزل البلاء (وجعلنا فيها) في الأرض (جنات) بساتين (من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون)
من زائدة عند الأخفش وعند غيره المفعول محذوف تقديره ما يتمتعون به (ليأكلوا من ثمره) والضمير لله تعالى أي ليأكلوا
مما خلقه الله من الثمر من ثمره حمزة وعلي ٨ (وما عملته أيديهم) أي ومما عملته أيديهم من الغرس والسقي والتلقيح وغير
ذلك من الأعمال إلى أن يبلغ الثمر منتهاه يعني أن الثمر في نفسه فعل الله وخلقه وفيه آثار من كد بني آدم وأصله من ثمرنا كما قال وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام من التكلم إلى الغيبة على طريق الالتفات ويجوز أن يرجع الضمير إلى النخيل وتترك الأعناب غير مرجوع إليها لأنه علم أنها في حكم النخيل مما علق به من أكل ثمره ويجوز أن يراد من ثمر المذكور وهو الجنات كما قال رؤبة

فيها خطوط من سواد وبلق
كأنه في الجلد توليع البهق

فقيل له فقال أردت كأن ذاك وما عملت كوفي غير حفص وهي في مصاحف أهل الكوفة كذلك وفي مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشام مع الضمير وقيل ما نافية على أن الثمر خلق الله ولم تعمله أيدي الناس ولا يقدرون عليه (أفلا يشكرون)
استبطاء وحث على شكر النعمة (سبحان الذي خلق الأزواج) الأصناف (كلها مما تنبت الأرض) من النخيل ونحوه
والشجر والزرع والثمر (ومن أنفسهم) الأولاد ذكورا وإناثا (ومما لا يعلمون) ومن أزواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا إلى
معرفتها في الأودية والبحار أشياء لا يعلمها الناس (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) نخرج منه النهار إخراجا لا يبقى معه شيء من
ضوء النهار أو ننزع عنه الضوء نزع القميص الأبيض فيعرى نفس الزمان كشخص زنجي أسود لأن أصل ما بين السماء والأرض
من الهواء الظلمة فاكتسى بعضه ضوء الشمس كبيت مظلم أسرج فيه فإذا غاب السراج أظلم (فإذا هم مظلمون) داخلون في
الظلام (والشمس تجري) وآية لهم الشمس تجري (لمستقر لها) لحد لها مؤقت مقدر تنتهي إليه من فلكها في آخر السنة شبه
بمستقر المسافر إذا قطع مسيره أو لحد لها من مسيرها كل يوم في مرأى عيوننا وهو المغرب أو لانتهاء أمرها عند انقضاء الدنيا

تدلهم على كمال قدرتنا على إحياء الموتى (الأرض الميتة أحييناها) أي بالمطر (وأخرجنا
منها) أي من الأرض (حبا) يعني الحنطة والشعير وما أشبههما (فمنه يأكلون) أي من
الحب (وجعلنا فيها) أي في الأرض (جنات) أي بساتين (من نخيل وأعناب وفجرنا فيها
من العيون ليأكلوا من ثمره) أي من الثمر الحاصل بالماء (وما عملته أيديهم) أي من
الزرع والغرس الذي تعبوا فيه وقرئ عملت بغير هاء وقيل ما للنفي والمعنى ولم تعمله أيديهم
وليس من صنيعهم بل وجدوها معمولة وقيل أراد العيون والأنهار التي لم تعملها يد
خلق مثل النيل والفرات ودجلة (أفلا يشكرون) أي نعمة الله تعالى (سبحان الذي
خلق الأزواج كلها) يعني الأصناف كلها (مما تنبت الأرض) أي من الأشجار والثمار
والحبوب (ومن أنفسهم) أي الذكر والأنثى (ومما لا يعلمون) يعني مما خلق الله تعالى
من الأشياء في البر والبحر من الدواب قوله عز وجل (وآية لهم) يعني تدلهم على قدرتنا
(الليل نسلخ) أي ننزع ونكشط (منه النهار فإذا هم مظلمون) أي فإذا هم في الظلمة
وذلك أن الأصل هي الظلمة والنهار داخل عليها فإذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل
فتظهر الظلمة (والشمس تجري لمستقر لها) أي إلى مستقرها قيل إلى انتهاء سيرها عند
انقضاء الدنيا وقيام الساعة وقيل تسير في منازلها حتى تنتهي إلى مستقرها الذي
لا تجاوزه ثم ترجع إلى أول منازلها وقيل إنها تسير حتى تنتهي إلى أبعد مغاربها ثم ترجع
فذلك مستقرها وقيل مستقرها نهاية ارتفاعها في السماء في الصيف ونهاية هبوطها في
الشتاء وقرأ ابن مسعود والشمس تجري لا مستقر لها أي لا قرار لها ولا وقوف فهي جارية
أبدا إلى يوم القيامة وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو ذر قال سألت
النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله والشمس تجري لمستقر لها قال مستقرها تحت العرش
وفي رواية قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر حين غربت الشمس أتدري أين تذهب
الشمس قال الله ورسوله أعلم قال إنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها

(ذلك) الجرى على ذلك التقدير والحساب الدقيق (تقدير العزيز) الغالب بقدرته على كل مقدور (العليم) بكل معلوم (والقمر) نصب بفعل يفسره (قدرناه) وبالرفع مكي ونافع وأبو عمرو وسهل على الابتداء والخبر قدرناه أو على وآية لهم القمر (منازل) وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين أو ليلة اذا نقص الشهر ولا بد في قدرناه منازل من تقدير مضاف لانه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل اي قدرنا نوره فيزيد وينقص او قدرنا مسيره منازل فيكون ظرفا فاذا كان في آخر منازله دق واستقوس (حتى عاد كالعرجون) هو عود الشمراخ اذا يبس واعوج ووزنه فعلون من الانعراج وهو الانعطاف (القديم) العتيق المحول واذا قدم دق وانحنى واصفر فشبه القمر به من ثلاثة اوجه (لا الشمس ينبغي لها) اى لا يتسهل لها ولا يصح ولا يستقيم (أن تدرك القمر) فتجتمع معه في وقت واحد وتداخله في سلطانه فتطمس نوره لان لكل واحد من النيرين سلطانا على حياله فسلطان الشمس بالنهار وسلطان القمر بالليل (ولا الليل سابق النهار) ولا يسبق الليل النهار أى آية الليل آية النهار وهما النيران ولا يزال الامر على هذا الترتيب الى أن تقوم القيامة فيجمع الله بين الشمس والقمر وتطلع الشمس من مغربها (وكل) التنوين فيه عوض من المضاف اليه أى وكلهم والضمير للشموس والاقمار (في فلك يسبحون) يسيرون (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم)

٢ ن ع

ذرياتهم مدني وشامي (في الفلك المشحون) أى المملوء والمراد بالذرية الاولاد ومن يهمهم حمله وكانوا يبعثونهم الى التجارات في بر أو بحر أو الآباء لان الابناء من الاضداد والفلك على هذا سفينة نوح عليه السلام وقيل معنى حمل الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها آباءهم الاقدمين وفي أصلابهم هم وذرياتهم وانما ذكر ذرياتهم دونهم لانه ابلغ في الامتنان عليهم (وخلقنا لهم من مثله) من مثل الفلك (ما يركبون) من الابل وهي سفائن البر

ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها فيقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم أخرجاه في الصحيحين قال الشيخ محيي الدين النووي اختلف المفسرون فيه فقال جماعة بظاهر الحديث قال الواحدي فعلى هذا القول اذا غربت الشمس كل يوم استقرت تحت العرش الى أن تطلع وقيل تجري الى وقت لها وأجل لا تتعداه وعلى هذا مستقرها انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وأما سجود الشمس فهو تمييز وادراك يخلقه الله تعالى فيها والله أعلم (ذلك) أى الذي ذكر من جري الشمس على ذلك التقدير والحساب الذي يكل النظر عن استخراجه وتتحير الافهام عن استنباطه (تقدير العزيز) أى الغالب بقدرته على كل شئ مقدور (العليم) أى المحيط علما بكل شئ قوله تعالى (والقمر قدرناه منازل) أى قدرنا له منازل وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل كل ليلة في منزل منها لا يتعداه يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين أو ليلة اذا نقص فاذا كان في آخر منازله رق وتقوس فذلك قوله تعالى (حتى عاد كالعرجون القديم) وهو العود الذي عليه شماريخ العذق الى منبته من النخلة والقديم الذي اتى عليه الحول فاذا قدم عتق ويبس وتقوس واصفر فشبه القمر به عند انتهائه الى آخر منازله (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) أى لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضائه وهو قوله تعالى (ولا الليل سابق النهار) أى هما يتعاقبان بحساب معلوم لا يجيء أحدهما قبل وقته وقيل لا يدخل أحدهما في سلطان الآخر فلا تطلع الشمس بالليل ولا يطلع القمر بالنهار وله ضوء فاذا اجتمعا وأدرك أحدهما صاحبه قامت القيامة وقيل معناه ان الشمس لا تجتمع مع القمر في فلك واحد ولا يتصل ليل بليل لا يكون بينهما نهار فاصل (وكل في فلك يسبحون) أى والشمس والقمر في فلك يسيرون قوله عز وجل (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم) يعني أولادهم (في الفلك المشحون) أى المملوء (وخلقنا لهم من مثله) أى مثل الفلك (ما يركبون) أى من الابل وهي سفن البر وقيل أراد بالفلك المشحون سفينة نوح عليه الصلاة والسلام ومعنى الآية ان الله عز وجل حمل آباءهم الاقدمين في اصلاب الذين كانوا في السفينة فكانوا ذريتهم ومنه قول العباس

بل نطفة تركب السفين وقد ... ألجم نسرا وأهله الغرق

وانما ذكر ذريتهم دونهم لانه أبلغ في الامتنان عليهم وأبلغ في التعجب من قدرته على

وان نشأ نغرقهم) في البحر (فلا صريخ لهم) فلا مغيث او فلا اغاثة (ولا هم ينقذون) لا ينجون (الا رحمة منا ومتاعا الى حين) اي ولا ينقذون الا لرحمة منا ولتمتيع بالحياة الى انقضاء الاجل فهما منصوبان على المفعول له (واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم) اي ما تقدم من ١٠ ذنوبكم وما تأخر مما انتم تعملون من بعد او من مثل الوقائع التي ابتليت بها الامم المكذبة بانبيائها وما خلفكم من أمر الساعة او فتنة الدنيا وعقوبة الآخرة (لعلكم ترحمون) لتكونوا على رجاء رحمة الله وجواب اذا مضمر أي أعرضوا وجاز حذفه لان قوله (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين) يدل عليه ومن الاولى لتأكيد النفي والثانية للتبعيض أي ودأبهم الاعراض عند كل آية وموعظة (واذا قيل لهم) لمشركي مكة (أنفقوا مما رزقكم الله) اي تصدقوا على الفقراء (قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله اطعمه) عن ابن عباس رضي الله عنهما كان بمكة زنادقة فاذا امروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله أيفقره الله ونطعمه نحن (ان انتم الا في ضلال مبين) قول الله لهم او حكاية قول المؤمنين لهم او هو من جملة جوابهم للمؤمنين (و يقولون متى هذا الوعد) اي وعد البعث والقيامة (ان كنتم صادقين) فيما تقولون خطاب للنبي واصحابه (ما ينظرون) ينتظرون (الا صيحة واحدة) هي النفخة الاولى (تأخذهم وهم يخصمون) حمزة بسكون الخاء وتخفيف الصاد من خصمه اذا غلبه في الخصومة فلا وشدد الباقون الصاد اي يختصمون بادغام التاء في الصاد لكنه مع فتح الخاء مكي بنقل حركة التاء المدغمة اليها و بسكون الخاء مدني و بكسر الياء والخاء يحيى فاتبع الياء الخاء في الكسر و بفتح الياء و كسر الخاء غيرهم والمعنى تأخذهم و بعضهم

هذا القول يكون قوله من مثله أي من مثل ذلك الفلك ما يركبون أي من السفن والزوارق في الانهار الكبار والصغار (وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم) أي لا مغيث لهم (ولا هم ينقذون) أي ينجون من الغرق قال ابن عباس ولا أحد ينقذهم من عذابي (الا رحمة منا ومتاعا الى حين) أي الا أن يرحمهم الله ويمتعهم الى انقضاء آجالهم (واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم) قال ابن عباس ما بين أيديكم يعني الآخرة فاعملوا لها وما خلفكم يعني الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها وقيل ما بين أيديكم يعني وقائع الله تعالى بمن كان قبلكم من الامم وما خلفكم يعني الآخرة (لعلكم ترحمون) أي لتكونوا على رجاء الرحمة وجواب اذا محذوف تقديره واذا قيل لهم اتقوا اعرضوا يدل على الحذف قوله تعالى (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم) أي دلالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (الا كانوا عنها معرضين) قوله عز وجل (واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله) أي مما أعطاكم الله نزلت في كفار قريش وذلك ان المؤمنين قالوا لكفار مكة أنفقوا على المساكين مما زعمتم انه لله تعالى من أموالكم وهو ما جعلوه لله من حروثهم وانعامهم (قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم) اي انرزق (من لو يشاء الله اطعمه) اي رزقه قيل كان العاص بن وائل السهمي اذا سأله المسكين قال له اذهب الى ربك فهو أولى بك مني ويقول قد منعه الله أفأطعمه انا ومعنى الآية انهم قالوا لو اراد الله ان يرزقهم لرزقهم فنحن نوافق مشيئة الله فيهم فلا نطعم من لم يطعمه وهذا مما يتمسك به البخلاء يقولون لا نعطي من حرمه الله وهذا الذي يزعمون باطل لان الله تعالى اغنى بعض الخلق وافقر بعضهم ابتلاء فمنع الدنيا من الفقير لا بخلا واعطى الدنيا الغني لا استحقاقا وأمر الغني بالانفاق لا حاجة الى ماله ولكن ليبلو الغني بالفقير فيما فرض له من مال الغني ولا اعتراض لاحد في مشيئة الله وحكمته في خلقه والمؤمن يوافق امر الله تعالى وقيل قالوا هذا على سبيل الاستهزاء (ان انتم الا في ضلال مبين) قيل هو من قول الكفار للمؤمنين ومعناه ما انتم الا في خطأ بين باتباعكم محمدا وترك ما نحن عليه وقيل هو من قول الله تعالى للكفار لما ردوا من جواب المؤمنين (و يقولون متى هذا الوعد) يعني يوم القيامة والبعث (ان كنتم صادقين) قال الله تعالى (ما ينظرون) اي ينتظرون (الا صيحة واحدة) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يريد النفخة الاولى (تأخذهم وهم يخصمون) أي في امر الدنيا من البيع والشراء و يتكلمون في الاسواق والمجالس وفي متصرفاتهم فتأتيهم الساعة اغفل ما كانوا عنها وقد صح في حديث ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبا بينهما

(فلا يستطيعون توصية) فلا يستطيعون أن يوصوا في شيء من أمورهم توصية (ولا الى أهلهم يرجعون) ولا يقدرون على الرجوع الى منازلهم بل يموتون حيث يسمعون الصيحة (ونفخ في الصور) هي النفخة الثانية والصور القرن أو جمع صورة (فاذا هم من الاجداث) أي القبور (الى ربهم ينسلون) يعدون بكسر السين وضمها (قالوا) اى الكفار (يا ويلنا من بعثنا) من أنشرنا (من مرقدنا) اى مضجعنا وقف لازم عن حفص وعن مجاهد للكفار مضجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح بأهل القبور قالوا من بعثنا (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) كلام الملائكة أو المتقين أو الكافرين يتذكرون ما سمعوه من الرسل فيجيبون به انفسهم او بعضهم بعضا وما مصدرية ومعناه هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على تسمية الموعود والمصدوق فيه بالوعد والصدق أو موصولة وتقديره هذا الذى وعده الرحمن والذى صدقه المرسلون اى والذى صدق فيه المرسلون (ان كانت) النفخة الاخيرة (الاصيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون) للحساب ثم ذكر ما يقال لهم في ذلك اليوم (فاليوم لا تظلم نفس شيأ ولا تجزون الا ما كنتم تعملون ان اصحاب الجنة اليوم في شغل) بضمتين كوفي وشامي و بضمة وسكون مكي ونافع وأبو عمرو والمعنى في شغل في أي شغل وفي شغل لا يوصف وهو اقتضاض الابكار على شط الانهار تحت

فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته الى فيه فلا يطعمها أخرجه البخاري وهو طرف من حديث ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد الا أصغى ليتا فأول من يسمعه رجل يلوط حوض ابله فيصعق ويصعق الناس اللقحة بفتح اللام وكسرها الناقة القريبة العهد من النتاج وقوله وهو يليط حوضه يعني يطينه و يصلحه وكذلك يلوط حوض ابله وأصله من اللوط وقوله أصغى ليتا الليت صفحة العنق وأصغى يعني امال عنقه يسمع وقوله تعالى (فلا يستطيعون توصية) أي لا يقدرون على الايصاء بل اعجلوا عن الوصية فماتوا (ولا الى أهلهم يرجعون) يعني لا يقدرون على الرجوع الى أهلهم لان الساعة لا تمهلهم بشيء (ونفخ في الصور) هذه النفخة الثانية وهي نفخة البعث و بين النفختين أربعون سنة (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين أربعون قالوا يا أبا هريرة أربعين يوما قال أبيت قالوا أربعين شهرا قال أبيت قالوا أربعين سنة قال أبيت ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الانسان شيء لا يبلى الا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة (فاذا هم من الاجداث) اى القبور (الى ربهم ينسلون) أي يخرجون منها أحياء (قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا) قال ابن عباس انما يقولون هذا لان الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا بعثوا بعد الثانية وعاينوا أهوال القيامة دعوا بالويل وقيل اذا عاين الكفار جهنم وأنواع عذابها صار عذاب القبر في جنبها كالنوم فقالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) اقروا حين لا ينفعهم الاقرار وقيل قالت لهم الملائكة ذلك وقيل يقول الكفار من بعثنا من مرقدنا فيقول المؤمنون هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون (ان كانت الا صيحة واحدة) يعني النفخة الاخيرة (فاذا هم جميع لدينا محضرون) أي للحساب (فاليوم لا تظلم نفس شيأ ولا تجزون الا ما كنتم تعملون) قوله تعالى (ان اصحاب الجنة اليوم في شغل) قال ابن عباس في اقتضاض الابكار وقيل في زيارة بعضهم بعضا وقيل في ضيافة الله تعالى وقيل في السماع وقيل شغلوا عما في الجنة من النعيم عما فيه اهل النار من العذاب الاليم (فاكهون) قال ابن عباس فرحون وقيل ناعمون وقيل معجبون بما هم فيه (هم وأزواجهم في ظلال) يعني اكنان القصور (على الارائك) يعني السرر في الحجال

الاشجار أو ضرب الاوتار او ضيافة الجبار (فاكهون) خبر ثان فكهون يزيد والفاكه والفكه المتنعم المتلذذ ومنه الفاكهة لانها مما يتلذذ به وكذا الفكاهة (هم) مبتدأ (وازواجهم) عطف عليه (في ظلال) حال جمع ظل وهو الموضع الذى لا تقع عليه الشمس كذئب وذئاب أو جمع ظلة كبرمة و برام دليله قراءة حمزة وعلى ظلل جمع ظلة وهي ما سترك عن الشمس (على الارائك) جمع الاريكة وهي السرير في الحجلة أو الفراش فيها (متكئون) خبر او في ظلال خبر و على الارائك مستأنف (لهم فيها

(متكئون) أى ذووا تكاء تحت تلك الظلال (لهم فيها فاكهة) أى فى الجنة (ولهم ما يدعون) يعنى ما يتمنون و يشتهون والمعنى ان كل ما يدعون أى أهل الجنة يأتيهم (سلام قولا من رب رحيم) يعنى يسلم الله عز وجل عليهم روى البغوى باسناد الثعلبى عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا اهل الجنة فى نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب عز وجل قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة فذلك قوله عز وجل سلام قولا من رب رحيم ينظر اليهم و ينظرون اليه فلا يلتفتون الى شئ من النعيم ما داموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره و بركته عليهم فى ديارهم وقيل تسلم الملائكة عليهم من ربهم وقيل تدخل الملائكة على أهل الجنة من كل باب يقولون سلام عليكم من ربكم الرحيم وقيل يعطيهم السلامة يقول اسلموا السلامة الابدية (وامتازوا اليوم ايها المجرمون) أى اعتزلوا وانفردوا وتميزوا اليوم من المؤمنين الصالحين و كونوا على حدة وقيل ان لكل كافر فى النار بيتا فيدخل ذلك البيت و يردم بابه فيكون فيه ابد الآبدين لا يرى ولا يرى وعلى هذا القول يمتاز بعضهم عن بعض قوله عز وجل (ألم أعهد اليكم يا بنى آدم) أى ألم آمركم وأوصيكم يا بنى آدم (أن لا تعبدوا الشيطان) يعنى لا تطيعوه فيما يوسوس ويزين لكم من معصية الله (انه لكم عدو مبين) أى ظاهر العداوة (وان اعبدونى) أى أطيعونى ووحدونى (هذا صراط مستقيم) أى لا صراط أقوم منه قوله تعالى (ولقد أضل منكم جبلا كثيرا) أى خلقا كثيرا (أفلم تكونوا تعقلون) يعنى ما أتاكم من هلاك الامم الخالية بطاعة ابليس و يقال لهم لما دنوا من النار (هذه جهنم التى كنتم توعدون) يعنى بها فى الدنيا (اصلوها) أى ادخلوها (اليوم بما كنتم تكفرون) قوله تعالى (اليوم نختم على افواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) معنى الآية ان الكفار ينكرون ويجحدون كفرهم وتكذيبهم الرسل و يقولون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم الله على أفواههم وتنطق جوارحهم ليعلموا ان أعضاءهم التى كانت عونا لهم على المعاصى صارت شاهدة عليهم وذلك ان اقرار الجوارح ابلغ من اقرار اللسان فان قلت ما الحكمة فى تسمية نطق اليد كلاما ونطق الرجل شهادة قلت ان اليد مباشرة والرجل حاضرة وقول الحاضر على غيره شهادة بما رأى وقول الفاعل اقرار على نفسه بما فعل (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة

فاكهة ولهم ما يدعون) يفتعلون من الدعاء اى كل ما يدعو به أهل الجنة يأتيهم أو يتمنون من قولهم ادع على ما شئت أى تمنه على عن الفراء هو من الدعوى ولا يدعون ما لا يستحقون (سلام) بدل من ما يدعون كانه قال لهم سلام يقال لهم (قولا من رب رحيم) والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة أو بغير واسطة تعظيما لهم وذلك متمناهم ولهم ذلك لا يمنعونه قال ابن عباس والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) وانفردوا عن المؤمنين و كونوا على حدة وذلك حين يحشر المؤمنون ويسار بهم الى الجنة ١٢ وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى أبدا و يقول لهم يوم القيامة (ألم اعهد اليكم يا بنى آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين) العهد الوصية وعهد اليه اذا وصاه وعهد الله اليهم ما ذكره فيهم من أدلة العقل وأنزل عليهم من دلائل السمع وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم و يزينه لهم (وأن اعبدونى) وحدونى وأطيعونى هذا اشارة الى ما عهد اليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمن (صراط مستقيم) اى صراط بليغ فى استقامته ولا صراط أقوم منه (ولقد أضل منكم جبلا) بكسر الجيم والباء والتشديد مدنى وعاصم وسهل جبلا بضم الجيم والباء والتشديد يعقوب جبلا مخففا شامى وأبو عمرو و جبلا بضم الجيم والباء وتخفيف اللام غيرهم وهذه لغات فى معنى الخلق (كثيرا أفلم تكونوا تعقلون) استفهام تقريع على تركهم الانتفاع بالعقل (هذه جهنم التى كنتم توعدون) بها (اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون) ادخلوها بكفركم وانكاركم اياها (اليوم نختم على أفواههم) اى نمنعهم من الكلام (وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون) يروى انهم يجحدون و يخاصمون فتشهد عليهم جيرانهم واهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على افواههم وتكلم ايديهم وارجلهم وفى الحديث يقول العبد يوم القيامة انى لا اجيز على الا شاهدا من نفسى فيختم على فيه و يقال لاركانه انطقى فتنطق باعماله ثم يخلى بينه و بين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل

قال هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة قالوا لا يا رسول الله قال
فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة قالوا لا قال فوالذي نفسي بيده
لا تضارون في رؤية ربكم الا كما تضارون في رؤية أحدهما قال فيلقى العبد ربه فيقول أي
قل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والابل وأذرك ترأس وتربع فيقول
بلى يا رب فيقول أفظننت أنك ملاقي فيقول لا فيقول اليوم أنساك كما نسيتني ثم يلقى
الثاني فيقول أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والابل وأذرك
ترأس وتربع فيقول بلى يا رب فيقول أفظننت أنك ملاقي فيقول لا فيقول اليوم أنساك
كما نسيتني ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك
وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع فيقول ههنا اذا قال ثم يقول له الآن
نبعث شاهدنا عليك فيتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد علي فيختم على فيه ويقال لفخذه
ولحمه وعظامه انطقي فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك
المنافق وذلك الذي يسخط الله عليه قوله أي فل يعني يا فلان قوله وأسودك أي أجعلك
سيدا قوله وأذرك ترأس أي تتقدم على القوم بان تصير رئيسهم وتربع أي تأخذ
المرباع وهو ما يأخذه رئيس الجيش لنفسه من الغنائم وهو ربعها وروى ترتع بتاءين
أي تتنعم وتنبسط من الرتع قوله وذلك ليعذر من نفسه أي ليقيم الحجة عليها بشهادة
أعضائه عليه (م) عن أنس بن مالك قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال
هل تدرون مم أضحك قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه فيقول يا رب ألم تجرني
من الظلم قال يقول بلى قال فيقول فاني لا أجيز على نفسي الا شاهدا مني قال فيقول كفى
بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه ويقال لأركانه
انطقي قال فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن
كنت أناضل قوله لا أجيز أي لا أقبل شاهدا علي قوله بعدا لكن وسحقا أي هلاكا قوله
فعنكن كنت أناضل أي أجادل وأخاصم قوله تعالى (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) أي
أذهبنا أعينهم الظاهرة بحيث لا يبدو لها جفن ولا شق والمعنى ولو نشاء لأعمينا أعينهم
الظاهرة كما أعمينا قلوبهم (فاستبقوا الصراط) أي فبادروا الى الطريق (فأنى يبصرون)
أي كيف يبصرون وقد أعمينا أعينهم والمعنى ولو نشاء لأضللناهم عن الهدى وتركناهم
عميا يترددون فكيف يبصرون الطريق حينئذ وقال ابن عباس يعني لو نشاء لفقأنا أعين
ضلالتهم فأعميناهم عن غيهم وحولنا أبصارهم من الضلالة الى الهدى فأبصروا رشدهم
وأنى يبصرون ولم نفعل ذلك بهم (ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم) يعني ولو نشاء لجعلناهم
قردة وخنازير في منازلهم وقيل لجعلناهم حجارة لا أرواح فيها (فما استطاعوا مضيا) أي
لا يقدرون ان يبرحوا (ولا يرجعون) أي الى ما كانوا عليه وقيل لا يقدرون على الذهاب
ولا الرجوع (ومن نعمره ننكسه في الخلق) أي نرده الى أرذل العمر شبه الصبي في أول
الخلق وقيل نضعف جوارحه بعد قوتها وننقصها بعد زيادتها وذلك أن الله
تعالى خلق الانسان في ضعف من جسده وخلو من عقل وعلم في حال صغره ثم جعله

(ولو نشاء لطمسنا على أعينهم)
لأعميناهم وأذهبنا أبصارهم
والطمس تعفية شق العين حتى
تعود ممسوحة (فاستبقوا
الصراط) على حذف الجار
وايصال الفعل والأصل فاستبقوا
الى الصراط (فأنى يبصرون)
فكيف يبصرون حينئذ وقد
طمسنا أعينهم (ولو نشاء
لمسخناهم) قردة أو خنازير أو
حجارة (على مكانتهم) على مكاناتهم
أو بمكانهم وهما واحد والمكانة والمكان
واحد كالمقامة والمقام أي
لمسخناهم في منازلهم حيث
يجترحون المآثم (فما استطاعوا
مضيا ولا يرجعون) فلم يقدروا
على ذهاب ولا مجيء أو مضيا
أمامهم ولا يرجعون خلفهم (ومن
نعمره ننكسه) عاصم وحمزة
والتنكيس جعل الشيء أعلاه
أسفله الباقون ننكسه (في
الخلق) أي نقلبه فيه فيعني من
أطلنا عمره نكسنا خلقه فصار
بدل القوة ضعفا وبدل الشباب
هرما وذلك أنا خلقناه على ضعف
في جسده وخلو من عقل وعلم ثم
جعلناه يتزايد الى أن يبلغ أشده
ويستكمل قوته ويعقل ويعلم
ماله وما عليه فاذا انتهى نكسناه
في الخلق فجعلناه يتناقص حتى
يرجع الى حال شبيهة بحال الصبي
في ضعف جسده وقلة عقله وخلوه
من العلم كما ينكس السهم فيجعل
أعلاه أسفله قال عز وجل ومنكم
من يرد الى أرذل العمر لكيلا
يعلم من بعد علم شيئا .

يتزايد وينتقل من حال الى حال الى أن يبلغ أشده ويستكمل قوته وعقله وعلمه ماله وما عليه فاذا انتهى الى الغاية واستكمل النهاية رجع ينقص حتى يرد الى ضعفه الاول فذلك نكسه فى الخلق (أفلا يعقلون) اى فيعتبرون و يعلمون أن الذى قدر على تصريف أحوال الانسان قادر على البعث بعد الموت قوله عز وجل (وما علمناه الشعر وما ينبغى له) قيل ان كفار قريش قالوا ان محمدا شاعر وما يقوله شعر فانزل الله تعالى تكذيبا لهم وما علمناه الشعر وما ينبغى له أى ما يسهل له ذلك وما يصلح منه بحيث لو أراد نظم شعر لم يتأت له ذلك كما جعلناه أميا لا يكتب ولا يحسب لتكون الحجة أثبت والشبهة ادحض قال العلماء ما كان يتزن له بيت شعر وان تمثل ببيت شعر جرى على لسانه منكسرا كما روى عن الحسن ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت * كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا * فقال ابو بكر رضى الله تعالى عنه يا نبى الله انما قال الشاعر * كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا * اشهد أنك رسول الله وما علمناه الشعر وما ينبغى له هذا حديث مرسل وروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها وقد قيل لها هل كان النبى صلى الله عليه وسلم يتمثل بشئ من الشعر قالت كان يتمثل بشعر ابن رواحة ويقول * ويأتيك بالاخبار من لم تزود * اخرجه الترمذى وفى رواية لغيره ان عائشة رضى الله عنها سئلت هل كان النبى صلى الله عليه وسلم يتمثل بشئ من الشعر قالت كان الشعر ابغض الحديث اليه ولم يتمثل الا ببيت اخى بنى قيس طرفة

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

فجعل يقول ويأتيك من لم تزود بالاخبار فقال ابو بكر رضى الله عنه ليس هكذا يا رسول الله فقال انى لست بشاعر ولا ينبغى لى فان قلت قد صح من حديث جندب بن عبد الله قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أصابه حجر فدميت اصبعه فقال

هل انت الا اصبع دميت * وفى سبيل الله ما لقيت

أخرجاه فى الصحيحين ولهما من حديث انس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال

اللهم ان العيش عيش الآخره * فأكرم الانصار والمهاجره

وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال

أنا النبى لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

قلت ما هذا الا من كلامه الذى يرمى به من غير صنعة فيه ولا تكلف له الا انه اتفق كذلك من غير قصد اليه وان جاء موزونا كما يتفق فى كثير من انشا آت الناس فى خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم كلام موزون يدخل فى وزن البحور ومع ذلك فان الخليل لم يعد المشطور من الرجز شعرا ولما نفى ان يكون القرآن من جنس الشعر قال تعالى (ان هو الا ذكر) يعنى ما هو الا ذكر من الله تعالى يعظ به الانس والجن ليس بشعر لانه

وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر فنزل (وما علمناه الشعر) أى وما علمنا النبى عليه السلام قول الشعراء أو وما علمناه بتعليم القرآن الشعر على معنى أن القرآن ليس بشعر فهو كلام موزون مقفى يدل على معنى فأين الوزن وأين التقفية فلا مناسبة بينه وبين الشعر اذا حققته (وما ينبغى له) وما يصح له ولا يليق بحاله ولا يتطلب لو طلبه أى جعلناه بحيث لو أراد قرض الشعر لم يتأت له ولم يتسهل كما جعلناه أميا لا يهتدى الى الخط لتكون الحجة أثبت والشبهة أدحض وأما قوله

أنا النبى لا كذب
أنا ابن عبد المطلب

وقوله

هل أنت الا اصبع دميت
وفى سبيل الله ما لقيت

فما هو الا من جنس كلامه الذى كان يرمى به على السليقة من غير صنعة فيه ولا تكلف الا انه اتفق من غير قصد الى ذلك ولا التفات منه أن جاء موزونا كما يتفق فى خطب الناس ورسائلهم ومحاوراتهم أشياء موزونة ولا يسميها أحد شعرا لان صاحبه لم يقصد الوزن ولا بد منه على أنه عليه السلام قال لا كذب بتحريك الباء فى كذب وخفض الباء فى المطلب ولما نفى أن يكون القرآن من جنس الشعر قال

ليس

على فيه ويقال لا ركانه

وقرآن مبين) أي ماهو الا ذكر من الله يوعظ به الانس والجن وماهو الا قرآن كتاب سماوي يقرأ في المحاريب و يتلى في المتعبدات و ينال بتلاوته والعمل به فوز الدارين فكم بينه و بين الشعر الذي هو من همزات الشياطين (لينذر) القرآن أو الرسول لتنذر مدني وشامي وسهل و يعقوب (من كان حيا) عاقلا متأملا لان الغافل كالميت أو حيا بالقلب (و يحق القول) وتجب كلمة العذاب (على الكافرين) الذين لا يتاملون وهم في حكم الاموات (أولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا أنعاما) اي مما تولينا نحن احداثه ولم يقدر على توليه غيرنا (فهم لها مالكون) اي خلقناها لاجلهم فملكناها

اياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع بها أو فهم لها ضابطون قاهرون (وذللناها لهم) وصيرناها منقادة لهم والا فمن كان يقدر عليها لولا تذليله تعالى وتسخيره لها ولهذا الزم الله سبحانه الراكب ان يشكر هذه النعمة و يسبح بقوله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين (فمنها ركوبهم) وهو ما يركب (ومنها يأكلون) اي سخرناها لهم ليركبوا ظهرها و يأكلوا لحمها (ولهم فيها منافع) من الجلود والاوبار وغير ذلك (ومشارب) من اللبن وهو جمع مشرب وهو موضع الشرب أو الشراب (أفلا يشكرون) الله على انعام الانعام (واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون) أي لعل أصنامهم تنصرهم اذا حزبهم أمر (لا يستطيعون) اي آلهتهم (نصرهم) نصر عابديهم (وهم لهم) اي الكفار للاصنام

(جند) أعوان وشيعة (محضرون) يخدمونهم ويذبون عنهم او اتخذوهم لينصروهم عند الله و يشفعوا لهم والامر على خلاف ماتوهموا حيث هم يوم القيامة جند معدون لهم محضرون لعذابهم لانهم يجعلون وقود النار (فلا يحزنك قولهم) وبضم الياء و كسر الزاي نافع من حزنه واحزنه يعني فلا يهمنك تكذيبهم واذاهم وجفاؤهم (انا نعلم ما يسرون) من عداوتهم (وما يعلنون) وانا مجازوهم عليه فحق مثلك ان يتسلى بهذا الوعيد و يستحضر في نفسه صورة حاله وحالهم في الآخرة حتى ينقشع عنه الهم ولا يرهقه الحزن ومن زعم ان من قرأ انا نعلم بالفتح فسدت صلاته وان اعتقد معناه كفر فقد اخطأ لانه يمكن حمله على حذف لام التعليل وهو كثير في القرآن والشعر وفي كل كلام وعليه تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الحمد والنعمة
بكسر أبو حنيفة وفتح الشافعي رحمة الله عليهما وكلاهما تعليل

ليس على أساليب الشعر ولا يدخل في بحوره (وقرآن مبين) أي انه كتاب سماوي يقرأ في المحاريب و يتلى في المتعبدات وينال بتلاوته الثواب والدرجات وفيه بيان الحدود والاحكام وبيان الحلال والحرام فكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين وأقاويل الشعراء الكاذبين (لتنذر) أي يا محمد وقرئ بالياء أي القرآن (من كان حيا) يعني مؤمنا حي القلب لان الكافر كالميت الذي لا يتدبر ولا يتفكر (ويحق القول) أي وتجب حجة العذاب (على الكافرين) قوله عز وجل (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا) أي تولينا خلقه بابداعنا له من غير اعانة أحد في انشائه كقول القائل عملت هذا بيدي اذا تفرد به ولم يشاركه فيه أحد وقيل عملناه بقوتنا وقدرتنا وانما قال ذلك لبدائع الفطرة التي لا يقدر عليها الا هو (أنعاما) انما خص الانعام بالذكر وان كانت الاشياء كلها من خلق الله تعالى وايجاده لان النعم أكثر أموال العرب والنفع بها أعم (فهم لها مالكون) أي خلقناها لاجلهم فملكناهم اياها يتصرفون فيها تصرف الملاك وقيل معناه فهم لها ضابطون قاهرون ومنه قول بعضهم

أصبحت لا أحمل السلاح ولا * أملك رأس البعير ان نفرا

أي لا أضبط رأس البعير والمعنى لم نخلق الانعام وحشية نافرة من بني آدم لا يقدرون على ضبطها بل خلقناها مذللة مسخرة لهم وهو قوله تعالى (وذللناها لهم فمنها ركوبهم) أي الابل (ومنها يأكلون) أي الغنم (ولهم فيها منافع) أي من أصوافها وأوبارها وأشعارها وجلودها ونسلها (ومشارب) أي من ألبانها (أفلا يشكرون) أي رب هذه النعم (واتخذوا من دون الله آلهة) يعني الاصنام (لعلهم ينصرون) أي لتمنعهم من عذاب الله ولا يكون ذلك قط (لا يستطيعون نصرهم) قال ابن عباس لا تقدر الاصنام على نصرهم ومنعهم من العذاب (وهم لهم جند محضرون) أي الكفار جند والاصنام يغضبون لها و يحضرونها في الدنيا وهي لا تسوق اليهم خيرا ولا تستطيع لهم نصرا وقيل هذا في الآخرة يؤتى بكل معبود من دون الله ومعه أتباعه الذين عبدوه في الدنيا كأنهم جند محضرون في النار (فلا يحزنك قولهم) يعني قول كفار مكة في تكذيبك يا محمد (انا نعلم ما يسرون) أي في ضمائرهم من التكذيب (وما يعلنون)

فان قلت ان كان المفتوح بدلا من قولهم كانه قيل فلا يحزنك أنا نعلم ما يسرون وما يعلنون ففساده ظاهر قلت هذا المعنى قائم مع المكسورة اذا جعلتها مفعولة للقول فقد تبين ان تعلق الحزن بكون الله عالما وعدم تعلقه لا يدور ان على كسران وفتحها وانما يدور ان على تقديرك فتفصل ان فتحت بان تقدر معنى التعليل ولا تقدر معنى البدل كما انك تفصل بتقدير معنى التعليل اذا كسرت ولا تقدر معنى المفعولية ثم ان قدرته كاسرا اوفاتحا على ماعظم فيه الخطب ذلك القائل فما فيه الا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن على علمه تعالى بسرهم وعلانيتهم والنهى عن حزنه ليس اثباتا لحزنه بذلك كما فى قوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر ونزل فى ابى بن خلف حين اخذ عظما باليا وجعل يفته بيده و يقول يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد مارم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم و يبعثك ويدخلك جهنم (اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة) مذرة خارجة من الاحليل الذى هو قناة النجاسة (فاذا هو خصيم

مبين) بين الخصومة اى فهو على مهانة اصله ودناءة أوله يتصدى لمخاصمة ربه و ينكر قدرته على احياء الميت بعد مارمت عظامه ثم يكون خصامه فى ألزم وصف له وألصقه به وهو كونه منشأ من موات وهو ينكر انشاءه من موات وهو غاية المكابرة (وضرب لنا مثلا) بفته العظم (ونسى خلقه) من المنى فهو اغرب من احياء العظم المصدر مضاف الى المفعول أى خلقنا اياه (قال من يحيي العظام وهى رميم) هو اسم لما بلى من العظام غير صفة كالرمة والرفات فلهذا لم يؤنث وقد وقع خبرا لمؤنث ومن يثبت الحياة فى العظام ويقول ان عظام الميتة نجسة لان الموت يؤثر فيها من قبل أن الحياة تحلها يتشبث بهذه الآية وهى عندنا طاهرة وكذا الشعر والعصب لان الحياة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت والمراد باحياء العظام فى الآية ردها الى ما كانت عليه غضة رطبة فى بدن حى حساس (قل يحييها الذى أنشأها) خلقها (اول مرة) أى ابتداء (وهو بكل خلق) مخلوق (عليم) لا تخفى عليه أجزاؤه وان تفرقت فى البر والبحر فيجمعها و يعيده كما كان (الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون) تقدحون ثم ذكر من بدائع خلقه انقداح النار من الشجر الاخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها به وهى الزناد التى تورى به الاعراب وأكثرها من المرخ والعفار وفى أمثالهم فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار لان المرخ شجر سريع الورى والعفار شجر تقدح منه النار يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهى أنثى فتنقدح النار باذن الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما ليس من شجرة الا وفيها النار الا العناب لمصلحة الدق للثياب فمن قدر على جمع الماء والنار فى الشجر قدر على المعاقبة بين الموت والحياة فى البشر واجراء أحد الضدين على الآخر بالتعقيب أسهل فى العقل من الجمع

أى من عبادة الاصنام وقيل ما يعلنون بالسنتهم من الاذى قوله تعالى (أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة) أى من نطفة قذرة خسيسة (فاذا هو خصيم مبين) أى جدل بالباطل بين الخصومة والمعنى العجب من جهل هذا المخاصم مع مهانة أصله كيف يتصدى لمخاصمة الجبار و يبرز لمجادلته فى انكاره البعث وكيف لا يتفكر فى بدء خلقه وانه من نطفة قذرة و يدع الخصومة نزلت فى أبى بن خلف الجمحى خاصم النبى صلى الله عليه وسلم فى انكار البعث واتاه بعظم قد رم و بلى ففته بيده وقال أترى يحيي الله هذا بعد مارم فقال النبى صلى الله عليه وسلم نعم و يبعثك ويدخلك النار فانزل الله تعالى هذه الآيات (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه) أى بدء أمره (قال من يحيي العظام وهى رميم) اى بالية والمعنى وضرب لنا مثلا فى انكار البعث بالعظم البالى حين فته بيده وتعجب ممن يقول ان الله تعالى يحييه ونسى اول خلقه وأنه مخلوق من نطفة (قل يحييها الذى أنشأها اول مرة) أى خلقها اول مرة وابتدأ خلقها (وهو بكل خلق) أى من الابتداء والاعادة (عليم) أى يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شئ من خلق المبدا والمعاد (الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا) قال ابن عباس رضى الله عنهما هما شجرتان يقال لاحداهما المرخ بالراء والخاء المعجمة والاخرى العفار بالعين المهملة فمن أراد النار قطع منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ على العفار فتخرج منهما النار باذن الله تعالى تقول العرب فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار أى استكثر منها وذلك أن هاتين الشجرتين من اكثر الشجر نارا وقال الحكماء فى كل شجر نار الا العناب (فاذا أنتم منه توقدون) أى تقدحون فتوقدون النار

معا بلا ترتيب والاخضر على اللفظ وقرئ الخضراء على المعنى ثم بين ان من قدر على خلق السموات والارض مع عظم شأنهما فهو على خلق الاناسي اقدر بقوله (أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم) في الصغر بالاضافة الى السموات والارض أو ان يعيدهم لان المعادة مثل للمبتدا وليس به (بلى) أي قل بلى هو قادر على ذلك (وهو الخلاق) الكثير المخلوقات (العليم) الكثير المعلومات (انما أمره) شأنه (اذا أراد شيأ أن يقول له كن) ان يكونه (فيكون) فيحدث أي فهو كائن موجود لا محالة فالحاصل ان المكونات بتخليقه وتكوينه ولكن عبر عن ايجاده بقوله كن من غير أن كان منه كاف ونون وانما هو بيان لسرعة الايجاد كانه يقول كما لا يثقل قول كن عليكم فهذا لا يثقل على الله ابتداء الخلق واعادتهم فيكون شامى وعلى عطف على يقول وأما الرفع فلانها جملة من مبتدا وخبر لان تقديرها فهو يكون معطوفة على مثلها وهى أمره أن يقول له كن فيكون (فسبحان) تنزيه مما وصفه به المشركون وتعجيب من أن يقولوا فيه ١٧ ما قالوا (الذى بيده ملكوت كل شئ) أى ملك كل شئ وزيادة الواو والتاء للمبالغة يعني هو مالك كل شئ (واليه ترجعون) تعادون بعد الموت بلا فوت ترجعون يعقوب وقال عليه الصلاة والسلام ان لكل شئ قلبا وان قلب القرآن يس من قرأ يس يريد بها وجه الله غفر الله له وأعطي من الاجر كانما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وقال عليه السلام من قرأ يس أمام حاجته قضيت له وقال عليه السلام من قرأها ان كان جائعا أشبعه الله وان كان ظمآن أرواه الله وان كان عريانا ألبسه الله وان كان خائفا أمنه الله وان كان مستوحشا آنسه الله وان كان فقيرا أغناه الله وان كان في السجن أخرجه الله وان كان أسيرا خلصه الله وان كان ضالا هداه الله وان كان مدينا قضى الله دينه من خزائنه وتدعى الدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضي له كل حاجة والله أعلم

(سورة والصافات مكية وهى مائة واحدى أو اثنتان وثمانون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا) أقسم سبحانه وتعالى بطوائف الملائكة و بنفوسهم الصافات أقدامها في الصلاة فالزاجرات السحاب سوقا أو عن المعاصي بالالهام فالتاليات لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها وهو قول ابن عباس وابن مسعود ومجاهد أو بنفوس العلماء العمال الصافات أقدامها في التهجد وسائر الصلوات فالزاجرات بالمواعظ والنصائح فالتاليات آيات الله والدارسات شرائعه أو بنفوس الغزاة في سبيل الله التى تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك وصفا مصدر مؤكد وكذلك زجرا والفاء تدل على ترتيب الصفات التفاضل فتفيد الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة أو على العكس وجواب القسم

من ذلك الشجر ثم ذكر ما هو أعظم من خلق الانسان فقال تعالى (أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى) أى هو القادر على ذلك (وهو الخلاق) يعني يخلق خلقا بعد خلق (العليم) أى بجميع ما خلق (انما أمره اذا أراد شيأ) أى احداث شئ وتكوينه (أن يقول له كن) أن يكونه من غير توقف (فيكون) أى فيحدث ويوجد لا محالة (فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ) أى هو مالك كل شئ والمتصرف فيه (واليه ترجعون) أى تردون بعد الموت والله أعلم

(تفسير سورة والصافات)

وهى مكية وهى مائة واثنتان وثمانون آية وثمانمائة وستون كلمة وثلاثة آلاف وثمانمائة وستة وعشرون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (والصافات صفا) قال ابن عباس هم الملائكة يصفون كصفوف الخلق في الدنيا للصلاة (م) عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم قال يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون في الصف لفظ أبي داود وقيل هم الملائكة تصف أجنحتها في الهواء واقفة حتى يأمرها الله تعالى بما يريد وقيل أراد بالصافات الطير تصف أجنحتها في الهواء (فالزاجرات زجرا) يعني الملائكة تزجر السحاب وتسوقه وقيل هي زواجر القرآن تنهى وتزجر عن القبيح (فالتاليات ذكرا) يعني الملائكة يتلون ذكر الله تعالى وقيل هم قراء القرآن وهذا كله قسم أقسم الله عز وجل بهذه الاشياء وقيل فيه اضمار تقديره ورب

(ان الهكم لواحد) قيل هو جواب قولهم اجعل الآلهة الها واحدا (رب السموات والارض) خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف اى هو رب (وما بينهما ورب المشارق) اى مطالع الشمس وهى ثلثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب تشرق الشمس كل يوم فى مشرق منها وتغرب فى مغرب ولا تطلع ولا تغرب فى واحد يومين واما رب المشرقين ورب المغربين فانه اراد مشرقى الصيف والشتاء ومغربيهما واما رب المشرق والمغرب فانه اراد به الجهة فالمشرق جهة والمغرب جهة (انا زينا السماء الدنيا) القربى منكم تأنيث الادنى (بزينة الكواكب) حفص وحمزة على البدل من الزينة والمعنى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ابو بكر على البدل من محل بزينة او على اضمار اعنى او على اعمال المصدر منونا فى المفعول بزينة الكواكب غيرهم باضافة المصدر الى الفاعل أى بان زانتها الكواكب وأصله بزينة الكواكب أو على اضافته الى المفعول أى بان زان الله الكواكب وحسنها لانها انما زينت السماء لحسنها فى أنفسها وأصله بزينة الكواكب لقراءة أبى بكر (وحفظا) محمول على المعنى لان المعنى انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من الشياطين كما قال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين أو الفعل المعلل مقدر كانه قيل وحفظا من كل شيطان زيناها بالكواكب او معناه حفظناها حفظا (من كل شيطان مارد) خارج من الطاعة والضمير فى (لا يسمعون) لكل شيطان لانه فى معنى الشياطين يسمعون كوفى غير ابى بكر واصله يتسمعون والتسمع تطلب السماع يقال تسمع فسمع اوفلم يسمع و ينبغى ان يكون كلاما منقطعا مبتدأ اقتصاصا لما عليه حال المسترقة للسمع وانهم لا يقدرون أن يسمعوا الى كلام الملائكة أو يتسمعوا وقيل اصله لئلا يسمعوا فحذفت اللام كما حذفت فى جئتك أن تكرمنى فبقى ان لا يسمعوا فحذفت أن واهدر عملها كما فى قوله

* ألا أيهذا الزاجرى احضر الوغى * وفيه تعسف يجب صون القرآن عن مثله فان كل واحد من الحرفين غير مردود على انفراده ولكن اجتماعهما منكر والفرق بين سمعت فلانا يتحدث وسمعت اليه يتحدث وسمعت حديثه والى حديثه أن المعدى بنفسه يفيد الادراك والمعدى بالى يفيد الاصغاء مع الادراك (الى الملا الاعلى) أى الملائكة لانهم يسكنون السموات والانس والجن هم الملأ الاسفل لانهم سكان الارض (و يقذفون) يرمون بالشهب

الصافات والزاجرات والتاليات وجواب القسم قوله تعالى (ان الهكم لواحد) وذلك ان كفار مكة قالوا اجعل الآلهة الها واحدا فاقسم الله تعالى بهذه الاشياء ان الهكم لواحد وانما أقسم بهذه الاشياء للتنبيه على شرف ذواتها اوكمال مراتبها والرد على عبدة الاصنام فى قولهم ثم وصف نفسه فقال تعالى (رب السموات والارض وما بينهما) يعنى أنه المالك القادر العالم المنزه عن الشريك وقوله (ورب المشارق) قيل أراد والمغارب فاكتفى باحدهما قال السدى المشارق ثلثمائة وستون مشرقا والمغارب مثلها وكذلك المغارب فان الشمس تطلع كل يوم فى مشرق وتغرب فى مغرب فان قلت قد قال فى موضع آخر رب المشرقين ورب المغربين وقال رب المشرق والمغرب فكيف وجه الجمع بين هذه الآيات قلت أراد بالمشرق والمغرب الجهة التى تطلع فيها الشمس وتغرب وأراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء وبالمغربين مغرب الصيف ومغرب الشتاء وبالمشارق والمغارب ما تقدم من قول السدى وقيل كل موضع شرقت عليه الشمس فهو مشرق وكل موضع غربت عليه فهو مغرب وقيل أراد مشارق الكواكب قوله تعالى (انا زينا السماء الدنيا) يعنى التى تلى الارض وهى أدنى السموات الى الارض (بزينة الكواكب) قال ابن عباس بضوء الكواكب لان الضوء والنور من أحسن الصفات وأكملها ولولم تحصل هذه الكواكب فى السماء لكانت شديدة الظلمة عند غروب الشمس وقيل زينتها أشكالها المتناسبة والمختلفة فى الشكل كشكل الجوزاء وبنات نعش وغيرها وقيل ان الانسان اذا نظر فى الليلة المظلمة الى السماء ورأى هذه الكواكب الزواهر مشرقة متلألئة على سطح أزرق نظر غاية الزينة (وحفظا من كل شيطان مارد) أى وحفظنا السماء من كل شيطان متمرد عات يرمون بالشهب (لا يسمعون الى الملا الاعلى) يعنى الى الملائكة والكتبة لانهم سكان السماء وذلك ان الشياطين يصعدون الى قرب السماء فربما سمعوا كلام الملائكة فيخبرون به أولياءهم الانس و يوهمون بذلك انهم يعلمون الغيب فمنعهم الله من ذلك بهذه الشهب وهو قوله تعالى (و يقذفون) أى يرمون

(من كل جانب) من جميع جوانب السماء من اى جهة صعدوا للاستراق (دحورا) مفعول له أى ويقذفون للدحور وهو الطرد أو مدحورين على الحال او لان القذف والطرد متقاربان فى المعنى فكأنه قيل يدحرون او قذفا (ولهم عذاب واصب) دائم من الوصوب اى انهم فى الدنيا مرجومون بالشهب وقد اعد لهم فى الآخرة نوع من العذاب دائم غير منقطع ومن فى (الا من) فى محل الرفع بدل من الواو فى لا يسمعون اى لا يسمع الشياطين الا الشيطان ١٩ الذى (خطف الخطفة) اى سلب السلبة يعنى اخذ شيأ من كلامهم بسرعة (فأتبعه) لحقه (شهاب) اى نجم رجم (ثاقب) مضىء (فاستفتهم) فاستخبر كفار مكة (اهم اشد خلقا) اى اقوى خلقا من قولهم شديد الخلق وفى خلقه شدة او اصعب خلقا واشقه على معنى الرد لانكارهم البعث وان من هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه اهون (ام من خلقنا) يريد ما ذكر من خلائقه من الملائكة والسموات والارض وما بينهما وجىء بمن تغليبا للعقلاء على غيرهم ويدل عليه قراءة من قرأ ام من عددنا بالتشديد والتخفيف (انا خلقناهم من طين لازب) لاصق او لازم وقرئ به وهذا شهادة عليهم بالضعف لان ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة او احتجاج عليهم بان الطين اللازب الذى خلقوا منه تراب فمن اين استنكروا ان يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا أئذا كنا ترابا وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من ذكر انكارهم البعث (بل عجبت) من تكذيبهم اياك (ويسخرون) هم منك ومن تعجبك او عجبت من انكارهم البعث وهم يسخرون من امر البعث بل عجبت حمزة وعلى اى استعظمت والعجب روعة تعترى الانسان عند استعظام الشئ فجرد لمعنى الاستعظام فى حقه تعالى لانه لا يجوز عليه الروعة أو معناه قل يا محمد بل عجبت (واذا ذكروا لا يذكرون) وذا بهم انهم اذا وعظوا بشئ لا يتعظون به (واذا رأوا آية) معجزة كانشقاق القمر ونحوه (يستسخرون) يدعى بعضهم بعضا ان يسخر منها او يبالغون فى السخرية (وقالوا ان هذا) ما هذا

بها (من كل جانب) اى من آفاق السماء (دحورا) أى يبعدونهم عن مجالس الملائكة (ولهم عذاب واصب) اى دائم (الا من خطف الخطفة) اى اختلس الكلمة من كلام الملائكة (فأتبعه) أى لحقه (شهاب ثاقب) أى كوكب مضىء قوى لا يخطئه بل يقتله ويحرقه أو يخبله وقيل سمى النجم الذى ترمى به الشياطين ثاقبا لانه يثقبهم فان قلت كيف يمكن أن تذهب الشياطين الى حيث يعلمون ان الشهب تحرقهم ولا يصلون الى مقصودهم ثم يعودون الى مثل ذلك قلت انما يعودون الى استراق السمع مع علمهم انهم لا يصلون اليه طمعا فى السلامة ورجاء نيل المقصود كراكب البحر يغلب على ظنه حصول السلامة وقوله عز وجل (فاستفتهم) يعنى سل أهل مكة (اهم أشد خلقا ام من خلقنا) يعنى من السموات والارض والجبال وهو استفهام تقرير أى هذه الاشياء أشد خلقا وقيل أم من خلقنا يعنى من الامم الخالية والمعنى ان هؤلاء ليسوا بأحكم خلقا من غيرهم من الامم وقد أهلكناهم بذنوبهم فما الذى يؤمن هؤلاء من العذاب ثم ذكر مم خلقوا فقال تعالى (انا خلقناهم من طين لازب) يعنى آدم من طين جيد حر لاصق لزج يعلق باليد وقيل من طين نتن (بل عجبت) قرئ بالضم على اسناد التعجب الى الله تعالى وليس هو كالتعجب من الآدميين لان العجب من الناس محمول على انكار الشئ وتعظيمه والعجب من الله تعالى محمول على تعظيم تلك الحالة فان كانت قبيحة فيترتب عليها العقاب وان كانت حسنة فيترتب عليها الثواب وقيل قد يكون بمعنى الانكار والذم وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضا كما جاء فى الحديث عجب ربكم من شاب ليست له صبوة وفى حديث آخر عجب ربكم من الكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم وقوله من الكم الال أشد القنوط وقيل هو رفع الصوت بالبكاء وسئل الجنيد رحمه الله تعالى عن هذه الآية فقال ان الله لا يعجب من شئ ولكن وافق رسوله ولما عجب رسوله قال وان تعجب فعجب قولهم أى هو كما تقوله وقرئ بفتح التاء على انه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أى عجبت من تكذيبهم اياك وهم يسخرون من تعجبك وقيل عجب نبى الله صلى الله عليه وسلم من هذا القرآن حين أنزل وضلال بنى آدم وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يظن ان كل من يسمع القرآن يؤمن به فلما سمع المشركون القرآن وسخروا منه ولم يؤمنوا به عجب من ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى بل عجبت (ويسخرون واذا ذكروا لا يذكرون) أى واذا وعظوا لا يتعظون (واذا رأوا آية) قال ابن عباس يعنى انشقاق القمر (يستسخرون) أى يستهزؤن وقيل يستدعى بعضهم بعضا الى أن يسخر (وقالوا ان هذا

(الاسحر مبين) ظاهر (ائذا) استفهام انكار (متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) اى انبعث اذا كنا ترابا وعظاما (أو آباؤنا) معطوف على محل ان واسمها أو على الضمير في مبعوثون والمعنى أيبعث ايضا آباؤنا على زيادة الاستبعاد يعنون انهم أقدم فبعثهم ابعد وابطل أو آباؤنا بسكون الواو مدني وشامي اى ايبعث واحد منا على المبالغة في الانكار (الاولون) الاقدمون (قل نعم) تبعثون نعم على وهما لغتان (وانتم داخرون) صاغرون (فانما هي) جواب شرط مقدر تقديره اذا كان كذلك فما هي الا (زجرة واحدة) وهي لا ترجع الى شئ انما هي مبهمة موضحها خبرها ويجوز فانما البعثة زجرة واحدة وهي النفخة الثانية والزجرة الصيحة من قولك زجر الراعي الابل أو الغنم اذا صاح عليها (فاذاهم) احياء بصراء

٢٠

(ينظرون) الى سوء أعمالهم أو ينتظرون ما يحل بهم (وقالوا يا ويلنا) الويل كلمة يقولها القائل وقت الهلكة (هذا يوم الدين) أى اليوم الذى ندان فيه أى نجازى باعمالنا (هذا يوم الفصل) يوم القضاء والفرق بين فرق الهدى والضلال (الذى كنتم به تكذبون) ثم يحتمل أن يكون هذا يوم الدين الى قوله احشروا من كلام الكفرة بعضهم مع بعض وأن يكون من كلام الملائكة لهم وأن يكون يا ويلنا هذا يوم الدين من كلام الكفرة وهذا يوم الفصل من كلام الملائكة جوابا لهم (احشروا) خطاب الله للملائكة (الذين ظلموا) كفروا (وأزواجهم) اى واشباههم وقرناءهم من الشياطين او نساءهم الكافرات والواو بمعنى مع وقيل للعطف وقرئ بالرفع عطفا على الضمير في ظلموا (وما كانوا يعبدون من دون الله) اى الاصنام (فاهدوهم) دلوهم عن الاصمعي هديته في الدين هدى وفي الطريق هداية (الى صراط الجحيم) طريق النار (وقفوهم) احبسوهم (انهم مسؤلون) عن اقوالهم وافعالهم (مالكم لا تناصرون) اى لا ينصر بعضكم بعضا وهذا توبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعدما كانوا متناصرين في الدنيا وقيل هو جواب لابي جهل حيث قال يوم بدر نحن جميع منتصر وهو في موضع النصب على الحال اى مالكم غير متناصرين (بل هم اليوم مستسلمون) منقادون أو قد اسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر (واقبل بعضهم على بعض) أى التابع على المتبوع (يتساءلون) يتخاصمون (قالوا) اى الاتباع للمتبوعين (انكم كنتم تأتوننا عن اليمين) عن القوة والقهر اذ اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع البطش اى انكم كنتم تقسروننا عليه

الرؤساء

(الاسحر مبين) أى بين (ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون قل نعم وأنتم داخرون) أى صاغرون (فانما هي زجرة واحدة) أى صيحة واحدة وهى نفخة البعث (فاذاهم ينظرون) يعنى احياء (وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين) يعنى يوم الحساب والجزاء (هذا يوم الفصل) اى القضاء وقيل بين المحسن والمسىء (الذى كنتم به تكذبون) أى في الدنيا (احشروا) أى اجمعوا (الذين ظلموا) اى اشركوا وقيل هو عام في كل ظالم (وازواجهم) أى اشباههم وأمثالهم فكل طائفة مع مثلها فأهل الخمر مع أهل الخمر وأهل الزنا مع أهل الزنا وقيل أزواجهم أى قرناءهم من الشياطين يقرن كل كافر مع شيطانه في سلسلة وقيل أزواجهم المشركات (وما كانوا يعبدون من دون الله) اى في الدنيا يعنى الاصنام والطواغيت وقيل ابليس وجنوده (فاهدوهم الى صراط الجحيم) قال ابن عباس أى دلوهم الى طريق النار (وقفوهم) اى احبسوهم (انهم مسؤلون) لما سيقوا الى النار حبسوا عند الصراط للسؤال قال ابن عباس عن جميع أقوالهم وأفعالهم ويروى عنه عن لا اله الا الله وروى عن أبي برزة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع عن عمره (١) فيما أفناه وعن علمه ماذا عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه وفي رواية عن شبابه فيما ابلاه اخرجه الترمذى وله عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مامن داع دعا الى شئ الا كان موقوفا يوم القيامة لازما به لا يفارقه وان دعا رجل رجلا ثم قرأ وقفوهم انهم مسؤلون (مالكم لا تناصرون) أى تقول لهم خزنة جهنم توبيخا لهم مالكم لا ينصر بعضكم بعضا وهذا جواب لابى جهل حيث قال يوم بدر نحن جميع منتصر قال الله تعالى (بل هم اليوم مستسلمون) قال ابن عباس خاضعون وقيل منقادون والمعنى هم اليوم اذلاء منقادون لا حيلة لهم (وأقبل بعضهم على بعض) يعنى الرؤساء والاتباع (يتساءلون) اى يتخاصمون (قالوا) يعنى الرؤساء للاتباع (انكم كنتم تأتوننا عن اليمين) أى من قبل الدين فتضلوننا وتروننا ان الدين ما تضلوننا به وقيل كان

---

(١) قوله فيما افناه الخ كذا في النسخ باثبات الف ما الاستفهامية وهو

(قالوا) اى الرؤساء (بل لم تكونوا مؤمنين) اى بل ابيتم انتم الايمان واعرضتم عنه مع تمكنكم منه مختارين له على الكفر غير ملجئين (وما كان لنا عليكم من سلطان) تسلط نسلبكم به تمكنكم واختياركم (بل كنتم قوما طاغين) بل كنتم قوما مختارين الطغيان (فحق علينا) فلزمنا جميعا (قول ربنا انا لذائقون) يعنى وعيد الله بانا ذائقون لعذابه لامحالة لعلمه بحالنا ولو حكى الوعيد كما هو لقال انكم لذائقون ولكنه عدل به الى لفظ المتكلم لانهم متكلمون بذلك عن انفسهم ونحوه قوله * فقد زعمت هوازن قل مالى * ولو حكى قولها لقال قل مالك (فاغويناكم) فدعوناكم الى الغى (انا كنا غاوين) فاردنا اغواءكم لتكونوا امثالنا (فانهم) فان الاتباع والمتبوعين جميعا (يومئذ) ٢١ يوم القيامة (فى العذاب مشتركون) كما كانوا مشتركين فى الغواية (انا كذلك نفعل بالمجرمين) أى بالمشركين انا مثل ذلك الفعل نفعل بكل مجرم (انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون) انهم كانوا اذا سمعوا بكلمة التوحيد استكبروا وأبوا الا الشرك (ويقولون أئنا) بهمزتين شامى وكوفى (لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) يعنون محمدا عليه السلام (بل جاء بالحق) رد على المشركين (وصدق المرسلين) كقوله مصدقا لما بين يديه (انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون) بلا زيادة (الا عباد الله المخلصين) بفتح اللام كوفى ومدنى وكذا ما بعده اى لكن عباد الله على الاستثناء المنقطع (اولئك لهم رزق معلوم فواكه) فسر الرزق المعلوم بالفواكه وهى كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة يعنى ان رزقهم كله فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات لان اجسادهم محكمة مخلوقة للابد فما يأكلونه للتلذذ ويجوز أن يراد رزق معلوم منعوت بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر وقيل معلوم الوقت كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا والنفس اليه أسكن (وهم مكرمون) منعمون (فى جنات النعيم) يجوز ان يكون ظرفا وان يكون حالا وان يكون خبرا بعد خبر وكذا (على سرر متقابلين) التقابل أتم للسرور وآنس (يطاف عليهم بكاس) بغير همز ابو عمرو وحمزة فى الوقف وغيرهما بالهمزة يقال للزجاجة فيها الخمر [illegible] كاسا وعن الاخفش كل كاس فى القرآن فهى الخمر وكذا فى تفسير ابن عباس رضى الله عنهما (من معين) [illegible] من نهر معين وهو الجارى على وجه الارض الظاهر للعيون وصف بما وصف به الماء لانه يجرى فى [illegible]

الرؤساء يحلفون لهم ان الدين الذى يدعونهم اليه هو الحق والمعنى انكم حلفتم لنا فوثقنا بأيمانكم وقيل عن اليمين أى عن العزة والقدرة والقول الاول أصح (قالوا) يعنى الرؤساء للاتباع (بل لم تكونوا مؤمنين) أى لم تكونوا على حق حتى نضلكم عنه بل كنتم على الكفر (وما كان لنا عليكم من سلطان) أى من قوة وقدرة فنقهركم على متابعتنا (بل كنتم قوما طاغين) اى ضالين (فحق علينا) اى وجب علينا جميعا (قول ربنا) يعنى كلمة العذاب وهى قوله تعالى لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين (انا لذائقون) يعنى ان الضال والمضل جميعا فى النار (فاغويناكم) يعنى فاضللناكم عن الهدى ودعوناكم الى ما كنا عليه (انا كنا غاوين) أى ضالين قال الله تعالى (فانهم يومئذ فى العذاب مشتركون) يعنى الرؤساء والاتباع (انا كذلك نفعل بالمجرمين) قال ابن عباس الذين جعلوا لله شركاء ثم بين تعالى انهم انما وقعوا فى ذلك العذاب باستكبارهم عن التوحيد فقال تعالى (انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون) أى يتكبرون عن كلمة التوحيد ويمتنعون منها (ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ردا عليهم (بل جاء بالحق وصدق المرسلين) يعنى انه انما أتى بما أتى به المرسلون قبله من الدين والتوحيد ونفى الشرك (انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون) أى فى الدنيا من الشرك والتكذيب (الا) أى لكن وهو استثناء منقطع (عباد الله المخلصين) أى الموحدين (أولئك لهم رزق معلوم) يعنى بكرة وعشيا وقيل حين يشتهونه يؤتون به وقيل انه معلوم الصفة من طيب طعم ولذة ورائحة وحسن منظر ثم وصف ذلك الرزق فقال تعالى (فواكه) جمع فاكهة وهى الثمار كلها رطبها ويابسها وكل طعام يؤكل للتلذذ لا للقوت وقيل ان أرزاق أهل الجنة كلها فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات لان أجسادهم خلقت للابد فكل ما يأكلونه على سبيل التلذذ ثم ان ذلك حاصل مع الاكرام والتعظيم كما قال تعالى (وهم مكرمون) أى بثواب الله تعالى ثم وصف مساكنهم فقال تعالى (فى جنات النعيم على سرر متقابلين) يعنى لا يرى بعضهم قفا بعض ثم وصف شرابهم فقال تعالى (يطاف عليهم بكاس من معين) كل اناء

الجنة فى انهار كما يجرى الماء قال الله تعالى وانهار من خمر (بيضاء) صفة للكاس (لذة) وصفت باللذة كانها نفس اللذة وعينها اوذات لذة (للشاربين لافيها غول) أى لا تغتال عقولهم كخمور الدنيا وهو من غاله يغوله غولا اذا أهلكه وافسده (ولاهم عنها ينزفون) يسكرون من نزف الشارب اذا ذهب عقله ويقال للسكران نزيف ومنزوف ينزفون على وحمزة أى لا يسكرون اولا ينزف شرابهم من انزف الشارب اذا ذهب عقله أوشرابه (وعندهم قاصرات الطرف) قصرن ابصارهن على

ازواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم (عين) جمع عيناء أى نجلاء واسعة العين (كانهن بيض مكنون) مصون شبهن ببيض النعام المكنون فى الصفاء وبها تشبه العرب النساء وتسميهن بيضات الخدور وعطف (فاقبل بعضهم) يعنى أهل الجنة (على بعض يتساءلون) على يطاف عليهم والمعنى يشربون ويتحادثون على الشراب كعادة الشرب قال

وما بقيت من اللذات الا
أحاديث الكرام على المدام

فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم وعليهم فى الدنيا الا انه جىء به ماضيا على عادة عرف فى أخباره (قال قائل منهم انى كان لى قرين يقول أئنك) بهمزتين شامى وكوفى (لمن المصدقين) بيوم الدين (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون) لمجزيون من الدين وهو الجزاء (قال) ذلك القائل (هل أنتم مطلعون) الى النار لاريكم ذلك القرين قيل ان فى الجنة كوى ينظر أهلها منها الى اهل النار أوقال الله تعالى

لاهل الجنة هل أنتم مطلعون الى النار فتعلموا أين منزلتكم من منزلة أهل النار (فاطلع) المسلم (فرآه) أى قرينه (فى سواء الجحيم) أى فى وسطها (قال تالله ان كدت لتردين) ان مخففة من الثقيلة وهى تدخل على كاد كما تدخل على كان واللام هى الفارقة بينها وبين النافية والارداء الاهلاك وبالياء فى الحالين يعقوب (ولولا نعمة ربى) وهى العصمة والتوفيق فى الاستمساك بعروة الاسلام (لكنت من المحضرين) من الذين احضروا العذاب كما احضرته أنت وأمثالك

فيه شراب يسمى كاسا واذا لم يكن فيه شراب فهو اناء وقد تسمى الخمر نفسها كاسا قال الشاعر ※ وكأس شربت على لذة ※ ومعنى معين أى من خمر جارية فى الانهار ظاهرة تراها العيون (بيضاء) يعنى ان خمر الجنة أشد بياضا من اللبن (لذة) اى لذيذة (للشاربين لافيها غول) أى لا تغتال عقولهم فتذهب بها وقيل لا اثم فيها ولا وجع البطن ولا صداع وقيل الغول فساد يلحق فى خفاء وخمر الدنيا يحصل منها أنواع من الفساد ومنها السكر وذهاب العقل ووجع البطن وصداع الرأس والبول والقىء والخمار والعربدة وغير ذلك ولا يوجد شىء من ذلك فى خمر الجنة (ولاهم عنها ينزفون) أى لا تغلبهم على عقولهم ولا يسكرون وقيل معناه لا ينفد شرابهم ثم وصف أزواجهم فقال تعالى (وعندهم قاصرات الطرف) أى حابسات الاعين غاضات العيون قصرن أعينهن على أزواجهن فلا ينظرن الى غيرهم (عين) اى حسان الاعين عظامها (كانهن بيض مكنون) أى مصون مستور شبههن ببيض النعام لانها تكنها بالريش من الريح والغبار فيكون لونها أبيض فى صفرة ويقال هذا من أحسن ألوان النساء وهو أن تكون المرأة بيضاء مشوبة بصفرة والعرب تشبه المرأة ببيض النعامة وتسميهن بيضات الخدور قوله عزوجل (فاقبل بعضهم على بعض) يعنى أهل الجنة فى الجنة (يتساءلون) أى يسئل بعضهم بعضا عن حاله فى الدنيا (قال قائل منهم) اى من اهل الجنة (انى كان لى قرين) اى فى الدنيا ينكر البعث قيل كان قرينه شيطانا وقيل كان من الانس قيل كانا اخوين وقيل كانا شريكين أحدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وهما اللذان قص الله عزوجل خبرهما فى سورة الكهف فى قوله واضرب لهم مثلا رجلين (يقول أئنك لمن المصدقين) أى بالبعث (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون) أى مجزيون ومحاسبون وهذا استفهام انكارى (قال) الله تعالى لاهل الجنة (هل انتم مطلعون) أى الى النار وقيل يقول المؤمن لاخوانه من أهل الجنة هل انتم مطلعون اى لننظر كيف منزلة اخى فى النار ويقول اهل الجنة انت اعرف به منا (فاطلع) اى المؤمن قال ابن عباس ان فى الجنة كوى ينظر منها اهلها الى النار (فرآه فى سواء الجحيم) اى فرأى قرينه فى وسط النار سمى وسط الشىء سواء لاستواء الجوانب منه (قال تالله ان كدت لتردين) اى والله لقد كدت ان تهلكنى وقيل تغوينى ومن اغوى انسانا فقد ارداه واهلكه (ولولا نعمة ربى) اى رحمة ربى وانعامه على بالاسلام (لكنت من المحضرين)

أى معك فى النار (أفما نحن بميتين الا موتتنا الاولى) أى فى الدنيا (وما نحن بمعذبين) قيل يقول هذا أهل الجنة للملائكة حين يذبح الموت فتقول الملائكة لهم لا فيقولون (ان هذا لهو الفوز العظيم) وانما يقولونه على جهة التحدث بنعمة الله عليهم فى انهم لا يموتون ولا يعذبون ليفرحوا بدوام النعيم لا على طريق الاستفهام لانهم قد علموا أنهم ليسوا بميتين ولا بمعذبين ولكن أعادوا الكلام ليزدادوا سرورا بتكراره وقيل يقوله المؤمن لقرينه على جهة التوبيخ بما كان ينكره قال الله تعالى (لمثل هذا) أى المنزل والنعيم الذى ذكره فى قوله أولئك لهم رزق معلوم (فليعمل العاملون) هذا ترغيب فى ثواب الله تعالى وما عنده بطاعته قوله تعالى (أذلك) أى الذى ذكره لاهل الجنة من النعيم (خير نزلا) أى رزقا (أم شجرة الزقوم) التى هى نزل أهل النار والزقوم شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم يكره أهل النار على تناولها فهم يتزقونه على أشد كراهة وقيل هى شجرة تكون بارض تهامة من أخبث الشجر (انا جعلناها فتنة للظالمين) أى للكافرين وذلك انهم قالوا كيف تكون فى النار شجرة والنار تحرق الشجر وقال ابن الزبعرى لصناديد قريش ان محمدا يخوفنا بالزقوم والزقوم بلسان بربر الزبد والتمر وقيل هو بلغة أهل اليمن فادخلهم أبو جهل بيته وقال يا جارية زقينا فاتتهم بالزبد والتمر فقال أبو جهل تزقموا فهذا ما يوعدكم به محمد فقال الله تعالى (انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم) أى فى قعر النار وأغصانها ترتفع الى دركاتها (طلعها) أى ثمرها سمى طلعا لطلوعه (كأنه رؤس الشياطين) قال ابن عباس هم الشياطين باعيانهم شبهها بهم لقبحهم عند الناس فان قلت قد شبهها بشئ لم يشاهد فكيف وجه التشبيه قلت انه قد استقر فى النفوس قبح الشياطين وان لم يشاهدوا فكأنه قيل ان أقبح الاشياء فى الوهم والخيال رؤس الشياطين فهذه الشجرة تشبهها فى قبح المنظر والعرب اذا رأت منظرا قبيحا قالت كأنه رأس شيطان قال امرؤ القيس

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى ❊ ومسنونة زرق كانياب أغوال

شبه سنان الرمح بانياب الغول ولم يرها وقيل ان بين مكة واليمن شجرة قبيحة منتنة تسمى رؤس الشياطين فشبهها بها وقيل أراد بالشياطين الحيات والعرب تسمى الحية القبيحة المنظر شيطانا (فانهم لآكلون منها) أى من ثمرها (فمالئون منها البطون) وذلك انهم يكرهون على أكلها حتى تمتلئ بطونهم (ثم ان لهم عليها لشوبا) أى خلطا ومزاجا (من حميم) أى من ماء شديد الحرارة يقال انهم اذا أكلوا الزقوم وشربوا عليه الحميم شاب الحميم الزقوم

(أفما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين) الفاء للعطف على محذوف تقديره أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين والمعنى أن هذه حال المؤمنين وهو أن لا يذوقوا الا الموتة الاولى بخلاف الكفار فانهم فيما يتمنون فيه الموت كل ساعة وقيل لحكيم ما شر من الموت قال الذى يتمنى فيه الموت وهذا قول يقوله المؤمن تحدثا بنعمة الله بسمع من قرينه ليكون توبيخا له وزيادة تعذيب وموتتنا نصب على المصدر والاستثناء متصل ٢٣ تقديره ولا نموت الا مرة أو منقطع وتقديره لكن الموتة الاولى قد كانت فى الدنيا ثم قال لقرينه تقريعا له (ان هذا) اى الامر الذى نحن فيه (لهو الفوز العظيم) ثم قال الله عز وجل (لمثل هذا فليعمل العاملون) وقيل هو ايضا من كلامه (أذلك خير نزلا) تمييز (ام شجرة الزقوم) اى نعيم الجنة وما فيها من اللذات والطعام والشراب خير نزلا ام شجرة الزقوم خير نزلا والنزل ما يقام للنازل بالمكان من الرزق والزقوم شجر مر يكون بتهامة (انا جعلناها فتنة للظالمين) محنة وعذابا لهم فى الآخرة أو ابتلاء لهم فى الدنيا وذلك انهم قالوا كيف يكون فى النار شجرة والنار تحرق الشجر فكذبوا (انها شجرة تخرج فى اصل الجحيم) قيل منبتها فى قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها (طلعها كأنه رؤس الشياطين) الطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها وشبه برؤس الشياطين للدلالة على تناهيه فى الكراهة وقبح المنظر لان الشيطان مكروه مستقبح فى طباع الناس لاعتقادهم انه شر محض وقيل الشيطان حية عرفاء قبيحة المنظر هائلة جدا (فانهم لآكلون منها) من الشجرة أى من طلعها (فمالئون منها البطون) فمالئون بطونهم لما يغلبهم من الجوع الشديد (ثم ان لهم عليها) على أكلها (لشوبا) لخلطا ولمزاجا (من حميم) ماء حار يشوى وجوههم ويقطع أمعاءهم كما قال فى صفة شراب أهل الجنة ومزاجه من تسنيم والمعنى ثم انهم يملؤن البطون من شجرة الزقوم وهو حار يحرق بطونهم ويعطشهم فلا يسقون الا بعد ملى تعذيبا لهم بذلك العطش ثم يسقون ما هو أحر وهو الشراب المشوب

بالجحيم (ثم ان مرجعهم لالى الجحيم) أى انهم يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم فى الجحيم وهى الدركات التى أسكنوها الى شجرة الزقوم فيأكلون الى أن يمتلؤا ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون الى دركاتهم ومعنى التراخى فى ذلك ظاهر (انهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون) علل استحقاقهم للوقوع فى تلك الشدائد بتقليد الآباء فى الدين واتباعهم اياهم فى الضلال وترك اتباع الدليل والاهراع الاسراع الشديد كأنهم يحثون حثا (ولقد ضل قبلهم) قبل قومك قريش (أكثر الاولين) يعنى الامم الخالية بالتقليد وترك النظر والتأمل (ولقد ارسلنا فيهم منذرين) انبياء حذروهم العواقب (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) الذين انذروا وحذروا اى اهلكوا جميعا (الا عباد الله المخلصين) اى الا الذين آمنوا منهم واخلصوا لله دينهم او اخلصهم الله لدينه على القراءتين ٭ ولما ذكر ارسال المنذرين فى الامم الخالية وسوء عاقبة المنذرين اتبع ذلك ذكر نوح ودعاءه اياه حين ايس من قومه بقوله (ولقد نادانا نوح) دعانا لننجيه من الغرق وقيل أريد به قوله أنى مغلوب فانتصر (فلنعم المجيبون) اللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ولقد نادانا نوح فوالله لنعم المجيبون نحن والجمع دليل العظمة والكبرياء والمعنى انا اجبناه احسن الاجابة ونصرناه على اعدائه وانتقمنا منهم بابلغ ما يكون (ونجيناه وأهله) ومن آمن به وأولاده (من الكرب العظيم) وهو الغرق (وجعلنا ذريته هم الباقين) وقد فنى غيرهم قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح وكان لنوح عليه السلام ثلاثة أولاد سام وهو أبو العرب وفارس والروم وحام وهو ابو السودان من المشرق الى المغرب و يافث وهو أبو الترك و يأجوج ومأجوج (وتركنا عليه فى الآخرين) من الامم هذه الكلمة وهى (سلام على نوح) يعنى يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكى كقولك قرأت سورة أنزلناها (فى العالمين) أى ثبت هذه التحية فيهم جميعا ولا يخلو احد منهم منها كأنه قيل ثبت الله التسليم على نوح وادامه فى الملائكة والثقلين يسلمون عليه عن آخرهم (انا كذلك نجزى المحسنين) علل مجازاته بتلك التكرمة السنية بانه كان محسنا (انه من عبادنا المؤمنين) ثم علل كونه محسنا بانه كان عبدا مؤمنا ليريك جلالة محل الايمان وانه القصارى من صفات المدح والتعظيم (ثم أغرقنا الآخرين) أى الكافرين (وان من شيعته لابراهيم) أى من شيعة نوح أى ممن شايعه على أصول الدين أو شايعه على التصلب فى دين الله ومصابرة المكذبين وكان بين نوح وابراهيم الفان وستمائة وأربعون سنة وما كان بينهما الا نبيان هود وصالح

فى بطونهم فصار شوبا لهم (ثم ان مرجعهم لالى الجحيم) وذلك أنهم يردون الى الجحيم بعد شراب الحميم (انهم ألفوا) أى وجدوا (آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون) أى يسرعون وقيل يعملون مثل عملهم (ولقد ضل قبلهم أكثر الاولين) أى من الامم الخالية (ولقد أرسلنا فيهم منذرين) أى وأرسلنا فيهم رسلا منذرين (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) أى الكافرين وكانت عاقبتهم العذاب (الا عباد الله المخلصين) أى الموحدين نجوا من العذاب والمعنى انظر كيف أهلكنا المنذرين الا عباد الله المخلصين قوله عز وجل (ولقد نادانا نوح) أى دعا ربه على قومه وقيل دعا ربه ان ينجيه من الغرق (فلنعم المجيبون) نحن أى دعانا فاجبناه وأهلكنا قومه (ونجيناه وأهله من الكرب العظيم) أى من الغم الذى لحق قومه وهو الغرق (وجعلنا ذريته هم الباقين) يعنى ان الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام قال ابن عباس لما خرج نوح من السفينة مات من كان معه من الرجال والنساء الا ولده ونساءهم عن سمرة بن جندب عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قول الله عز وجل وجعلنا ذريته هم الباقين قال هم سام وحام ويافث أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وفى رواية أخرى سام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث أبو الروم وقيل سام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان و يافث أبو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج وما هنالك (وتركنا عليه فى الآخرين) اى أبقينا له ثناء حسنا وذكرا جميلا فيمن بعده من الانبياء والامم الى يوم القيامة (سلام على نوح فى العالمين) اى سلام عليه منا فى العالمين وقيل تركنا عليه فى الآخرين ان يصلى عليه الى يوم القيامة (انا كذلك نجزى المحسنين) اى جزاه الله باحسانه الثناء الحسن فى العالمين (انه من عبادنا المؤمنين ثم اغرقنا الآخرين) يعنى الكفار قوله عز وجل (وان من شيعته) اى من شيعة نوح (لابراهيم)

(اذ جاء ربه) اذ تعلق بما فى الشيعة من معنى المشايعة يعنى وان ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه (بقلب سليم) من الشرك أو من آفات القلوب لابراهيم او بمحذوف وهو اذكر ومعنى المجيء بقلبه ربه انه اخلص لله قلبه وعلم الله ذلك منه فضرب المجيء مثلا لذلك (اذ) بدل من الاولى (قال لابيه وقومه ماذا تعبدون أئفكا آلهة دون الله تريدون) ائفكا مفعول له تقديره اتريدون آلهة من دون الله افكا وانما قدم المفعول به على الفعل للعناية وقدم المفعول له على المفعول به لانه كان الاهم عنده ان يكافحهم بانهم على افك وباطل فى شركهم ويجوز ان يكون افكا مفعولا به أى اتريدون افكا ثم فسر الافك بقوله آلهة دون الله على انها افك فى نفسها او حالا اى اتريدون آلهة من دون الله آفكين (فما ظنكم) اى شئ ظنكم (برب العالمين) وانتم تعبدون غيره وما رفع بالابتداء والخبر ظنكم او فما ظنكم ٢٥ به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره وعلمتم انه المنعم على الحقيقة فكان حقيقا بالعبادة (فنظر نظرة فى النجوم) أى نظر فى النجوم راميا ببصره الى السماء متفكرا فى نفسه كيف يحتال او أراهم انه ينظر فى النجوم لاعتقادهم علم النجوم فاوهمهم انه استدل بامارة على انه يسقم (فقال انى سقيم) أى مشارف للسقم وهو الطاعون وكان اغلب الاسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه الى عيدهم وتركوه فى بيت الاصنام ليس معه احد ففعل بالاصنام مافعل وقالوا علم النجوم كان حقا ثم نسخ الاشتغال بمعرفته والكذب حرام الا اذا عرض والذى قاله ابراهيم عليه السلام معراض من الكلام اى سأسقم او من الموت فى عنقه

٤ ن ع سقيم ومنه المثل كفى بالسلامة داء ومات رجل فجأة فقالوا مات وهو صحيح فقال اعرابى اصحيح من الموت فى عنقه او اراد انى سقيم النفس لكفركم كما يقال انا مريض القلب من كذا (فتولوا) فاعرضوا (عنه مدبرين) أى مولين الادبار (فراغ الى آلهتهم) فمال اليهم سرا (فقال) استهزاء (ألا تأكلون) وكان عندها طعام (مالكم لا تنطقون) الجمع بالواو والنون لما انه خاطبها خطاب من يعقل (فراغ عليهم ضربا) فأقبل عليهم مستخفيا كأنه قال فضربهم ضربا لان راغ عليهم بمعنى ضربهم او فراغ عليهم يضربهم ضربا أى ضاربا (باليمين) اى ضربا شديدا بالقوة لان اليمين اقوى الجارحتين واشدهما او بالقوة والمتانة او بسبب الحلف الذى سبق منه وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم (فاقبلوا اليه) الى ابراهيم (يزفون) يسرعون من الزفيف وهو الاسراع يزفون حمزة من أزف اذا دخل فى الزفيف ازفافا فكانه قد رآه بعضهم يكسرها وبعضهم لم يره فاقبل من رآه مسرعا نحوه ثم جاء من لم يره يكسرها فقال لمن رآه من فعل هذا

يعنى انه على دينه وملته ومنهاجه وسنته (اذ جاء ربه بقلب سليم) اى مخلص من الشرك والشك وقيل من الغل والغش والحقد والحسد يحب للناس ما يحب لنفسه (اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون) استفهام توبيخ (أئفكا آلهة دون الله تريدون) اى اتأفكون افكا وهو اسوأ الكذب وتعبدون آلهة سوى الله تعالى (فما ظنكم برب العالمين) يعنى اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره انه يصنع بكم (فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم) قال ابن عباس كان قومه يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا يتعاطون ويتعاملون به لئلا ينكروا عليه وذلك انه اراد ان يكايدهم فى اصنامهم ليلزمهم الحجة فى أنها غير معبودة وكان لهم من الغد عيد ومجمع فكانوا يدخلون على اصنامهم ويقربون لهم القرابين ويضعون بين ايديهم الطعام قبل خروجهم الى عيدهم وزعموا التبرك عليه فاذا انصرفوا من عيدهم أكلوه فقالوا لابراهيم الا تخرج معنا الى عيدنا فنظر فى النجوم فقال انى سقيم قال ابن عباس أى مطعون وكانوا يفرون من المطعون فرارا عظيما وقيل مريض وقيل معناه متساقم وهو من معاريض الكلام وقد تقدم الجواب عنه فى سورة الانبياء وقيل انه خرج معهم الى عيدهم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال انى سقيم أشتكى رجلى (فتولوا عنه مدبرين) أى الى عيدهم فدخل ابراهيم عليه الصلاة والسلام على الاصنام فكسرها وهو قوله تعالى (فراغ) أى مال (الى آلهتهم) ميلة فى خفية (فقال) أى للاصنام استهزاء بها (ألا تأكلون) يعنى الطعام الذى بين أيديكم (مالكم لا تنطقون فراغ) أى مال (عليهم ضربا باليمين) أى ضربهم بيده اليمنى لانها أقوى من الشمال فى العمل وقيل بالقوة والقدرة عليهم وقيل أراد باليمين القسم وهو قوله وتالله لاكيدن أصنامكم (فاقبلوا اليه) أى الى ابراهيم (يزفون) أى يسرعون وذلك انهم اخبروا بصنع ابراهيم بآلهتهم فاسرعوا اليه ليأخذوه

باآلهتنا انه لمن الظالمين فاجابوه على سبيل التعريض بقولهم سمعنافتى يذكرهم يقال له ابراهيم ثم قالوا باجمعهم نحن نعبدها وأنت تكسرها فاجابهم بقوله (قال أتعبدون ما تنحتون) بايديكم (والله خلقكم وما تعملون) وخلق ما تعملونه من الاصنام أوما مصدرية أى وخلق اعمالكم وهو دليلنا فى خلق الافعال أى الله خالقكم وخالق اعمالكم فلم تعبدون غيره (قالوا ابنوا له) أى لاجله (بنيانا) من الحجر طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا (فالقوه فى الجحيم) فى النار الشديدة وقيل كل نار بعضها فوق بعض فهى جحيم (فارادوا به كيدا) بالقائه فى النار (فجعلناهم الاسفلين) المقهورين عند الالقاء فخرج من النار (وقال انى ذاهب الى ربى) الى موضع أمرنى بالذهاب اليه (سيهدين) سيرشدنى الى ما فيه صلاحى فى دينى ويعصمنى ويوفقنى سيهدينى فيهما يعقوب (رب هب لى من الصالحين) بعض الصالحين يريد الولد لان لفظ الهبة غلب فى الولد (فبشرناه بغلام حليم) انطوت البشارة على ثلاث على ان الولد غلام ذكر وانه يبلغ اوان الحلم لان الصبى لا يوصف بالحلم وانه يكون حليما وأى حلم أعظم من حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح فقال ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ثم استسلم لذلك (فلما بلغ معه السعى) بلغ ان يسعى مع أبيه فى اشغاله وحوائجه ومعه لا يتعلق ببلغ لاقتضائه بلوغهما معا حد السعى ولا بالسعى لان صلة المصدر لا تتقدم عليه فبقى ان يكون بيانا كانه لما قال فلما بلغ السعى أى الحد الذى يقدر فيه على السعى قيل مع من قال مع أبيه وكان اذ ذاك ابن ثلاث عشرة سنة (قال يا بنى) حفص الباقون بكسر الياء (انى أرى فى المنام أنى أذبحك) وبفتح الياء فيهما حجازى وابو عمرو قيل له فى المنام اذبح ابنك ورؤيا الانبياء وحى كالوحى فى اليقظة وانما لم يقل رأيت لانه رأى مرة بعد مرة فقد قيل رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح روى فى ذلك من الصباح الى الرواح أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان فمن ثم سمى يوم التروية فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف انه من الله فمن ثم سمى يوم عرفة ثم رأى مثل ذلك فى الليلة الثالثة فهم بنحره فسمى اليوم يوم النحر كعب

(قال) لهم ابراهيم على وجه الحجاج (أتعبدون ما تنحتون) أى بايديكم من الاصنام (والله خلقكم وما تعملون) أى وعملكم وقيل وخلق الذى تعملونه بأيديكم من الاصنام وفى الآية دليل على ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى (قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم) قيل انهم بنوا له حائطا من الحجر طوله فى السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملؤه من الحطب وأوقدوا عليه النار وطرحوه فيها وهو قوله تعالى (فارادوا به كيدا) أى شرا وهو ان يحرقوه (فجعلناهم الاسفلين) أى المقهورين حيث سلم الله ابراهيم ورد كيدهم (وقال) يعنى ابراهيم (انى ذاهب الى ربى) أى مهاجر الى ربى وأهجر دار الكفر قاله بعد خروجه من النار (سيهدين) أى الى حيث أمرنى بالمصير اليه وهو أرض الشام فلما قدم الارض المقدسة سأل ربه الولد فقال (رب هب لى من الصالحين) أى هب لى ولدا صالحا (فبشرناه بغلام حليم) قيل غلام فى صغره حليم فى كبره وفيه بشارة انه ابن وانه يعيش وينتهى فى السن حتى يوصف بالحلم قوله تعالى (فلما بلغ معه السعى) قال ابن عباس يعنى المشى معه الى الجبل وعنه انه لما شب حتى بلغ سعيه سعى مع ابراهيم والمعنى بلغ أن يتصرف معه ويعينه فى عمله وقيل السعى العمل لله تعالى وهو العبادة قيل كان ابن ثلاث عشرة سنة وقيل سبع سنين (قال يا بنى انى أرى فى المنام أنى اذبحك) قيل انه لم ير فى منامه انه ذبحه وانما أمر بذبحه وقيل بل رأى انه يعالج ذبحه ولم ير اراقة دمه ورؤيا الانبياء حق اذا رأوا شيأ فعلوه واختلف العلماء من المسلمين فى هذا الغلام الذى أمر ابراهيم بذبحه على قولين مع اتفاق أهل الكتابين على انه اسحق فقال قوم هو اسحق واليه ذهب من الصحابة عمر وعلى وابن مسعود والعباس ومن التابعين ومن بعدهم كعب الاحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة وعطاء ومقاتل والزهرى والسدى واختلفت الروايات عن ابن عباس فروى عنه انه اسحق وروى انه اسمعيل ومن ذهب الى انه اسحق قال كانت هذه القصة بالشام وروى عن سعيد بن جبير قال رأى ابراهيم ذبح اسحق فى المنام وهو بالشام فسار به مسيرة شهر فى غداة واحدة حتى أتى به المنحر من منى فلما أمره الله بذبح الكبش ذبحه وسار به مسيرة شهر فى روحة واحدة طويت له الاودية والجبال والقول الثانى انه اسمعيل واليه ذهب عبد الله بن سلام والحسن وسعيد بن المسيب والشعبى ومجاهد والربيع بن انس ومحمد بن

كعب القرظي والكلبي ورواية عطاء بن ابي رباح ويوسف بن ماهك عن ابن عباس قال المفدى اسمعيل وكلا القولين يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتج من ذهب الى أن الذبيح اسحق بقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي أمر بذبح من بشر به وليس في القرآن انه بشر بولد سوى اسحق كما قال تعالى في سورة هود فبشرناها باسحق وقوله وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين بعد قصة الذبح يدل على انه تعالى انما بشره بالنبوة لما تحمل من الشدائد في قصة الذبح فثبت بما ذكرناه ان أول الآية وآخرها يدل على ان اسحق هو الذبيح ومما ذكر ايضا في كتاب يعقوب الى ولده يوسف لما كان بمصر من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله واحتج من ذهب الى ان الذبيح هو اسمعيل بأن الله تعالى ذكر البشارة باسحق بعد الفراغ من قصة الذبيح فقال تعالى وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين فدل على ان المذبوح غيره وأيضا فان الله تعالى قال في سورة هود فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فكيف يأمره بذبح اسحق وقد وعده بنافلة وهو يعقوب بعده ووصف اسمعيل بالصبر دون اسحق في قوله واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد بقوله انه كان صادق الوعد لانه وعد اباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى له بذلك وقال القرظي سأل عمر بن عبد العزيز رجلا من علماء اليهود وكان أسلم وحسن اسلامه أي ابني ابراهيم امره الله تعالى بذبحه فقال اسمعيل ثم قال يا أمير المؤمنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكن يحسدونكم يا معشر العرب على أن يكون اباكم هو الذي امر الله تعالى بذبحه ويدعون انه اسحق ابوهم ومن الدليل أيضا ان قرني الكبش كانا معلقين على الكعبة في ايدي بني اسمعيل الى ان احترق البيت في زمن ابن الزبير قال الشعبي رايت قرني الكبش منوطين بالكعبة وقال ابن عباس والذي نفسي بيده لقد كان اول الاسلام وان راس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة وقد وحش يعني يبس وقال الاصمعي سألت ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح أاسحق كان او اسمعيل فقال يا اصمعي اين ذهب عقلك متى كان اسحق بمكة انما كان اسمعيل وهو الذي بنى البيت مع ابيه والله تعالى اعلم

(ذكر الاشارة الى قصة الذبح)

قال العلماء بالسير واخبار الماضين لما دعا ابراهيم ربه فقال رب هب لي من الصالحين وبشر به قال هو اذا لله ذبيح فلما ولد وبلغ معه السعي قيل له أوف بنذرك هذا هو السبب في امر الله تعالى اياه بالذبح فقال لاسحق انطلق نقرب لله قربانا فاخذ سكينا وحبلا وانطلق معه حتى ذهب به بين الجبال فقال الغلام يا ابت اين قربانك فقال يا بني اني ارى في المنام أني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر وقال محمد بن اسحق كان ابراهيم صلى الله عليه وسلم اذا زار هاجر واسمعيل حمل على البراق فيغدو من الشام فيقيل بمكة ويروح من مكة فيبيت عند اهله بالشام حتى اذا بلغ اسمعيل معه السعي واخذ بنفسه ورجاه لما كان يؤمل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرماته امر في المنام بذبحه وذلك

انه رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح تروى في نفسه أي فكر من الصباح الى الرواح امن الله هذا الحلم ام من الشيطان فمن ثم سمى ذلك اليوم يوم التروية فلما أمسى رأى في المنام ثانيا فلما أصبح عرف ان ذلك من الله تعالى فسمى ذلك اليوم يوم عرفة وقيل رأى ذلك ثلاث ليال متتابعات فلما عزم على نحره سمى ذلك اليوم يوم النحر فلما تيقن ذلك أخبر به ابنه فقال يابنى انى أرى في المنام أني اذبحك (فانظر ماذا ترى) أي من الرأى على وجه المشاورة فان قلت لم شاوره في أمر قد علم انه حتم من الله تعالى وما الحكمة في ذلك قلت لم يشاوره ليرجع الى رأيه وانما شاوره ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله تعالى وليعلم صبره على أمر الله وعزيمته على طاعته وليثبت قدمه ويصبره ان جزع ويراجع نفسه ويوطنها ويلقى البلاء وهو كالمستأنس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لامر الله تعالى قبل نزوله فان قلت لم كان ذلك في المنام دون اليقظة وما الحكمة في ذلك قلت ان هذا الامر كان في نهاية المشقة على الذابح والمذبوح فورد في المنام كالتوطئة له ثم تأكد حال النوم باحوال اليقظة فاذا تظاهرت الحالتان كان ذلك أقوى في الدلالة ورؤيا الانبياء وحى وحق (قال يا أبت افعل ما تؤمر) اى قال الغلام لابيه افعل ما أمرت به قال ابن اسحق وغيره لما أمر ابراهيم بذلك قال لابنه يابنى خذ الحبل والمدية وانطلق الى هذا الشعب نحتطب فلما خلا ابراهيم بابنه في الشعب أخبره بما أمره الله به فقال افعل ما تؤمر (ستجدنى ان شاء الله من الصابرين) انما علق ذلك بمشيئة الله تعالى على سبيل التبرك وانه لا حول عن معصية الله تعالى الا بعصمة الله تعالى ولا قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله (فلما أسلما) يعنى انقادا وخضعا لامر الله وذلك ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام أسلم ابنه وأسلم الابن نفسه (وتله للجبين) أي صرعه على الارض قال ابن عباس اضجعه على جبينه على الارض فلما فعل ذلك قال له ابنه يا أبت اشدد رباطى كيلا اضطرب واكفف عنى ثيابك حتى لا ينتضح عليها شئ من دمى فينتقص أجرى وتراه أمى فتحزن واستحد شفرتك وأسرع مر السكين على حلقى ليكون أهون على فان الموت شديد واذا أتيت أمى فاقرأ عليها السلام منى وان رأيت ان ترد قميصى على أمى فافعل فانه عسى ان يكون أسلى لها عنى فقال ابراهيم عليه السلام نعم العون أنت يابنى على أمر الله ففعل ابراهيم ما أمره به ابنه ثم أقبل عليه يقبله وهو يبكى وقد ربطه والابن يبكى ثم انه وضع السكين على حلقه فلم تحك شيأ ثم انه حدها مرتين او ثلاثا بالحجر كل ذلك لا يستطيع ان يقطع شيأ قيل ضرب الله تعالى صفيحة من نحاس على حلقه والاول ابلغ في القدرة وهو منع الحديد عن اللحم قالوا فقال الابن عند ذلك يا أبت كبنى لوجهى فانك اذا نظرت وجهى رحمتنى وادركتك رقة تحول بينك وبين امر الله تعالى وانا لا انظر الى الشفرة فأجزع منها ففعل ابراهيم عليه الصلاة والسلام ذلك ثم وضع السكين على قفاه فانقلبت ونودى يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا وروى عن كعب الاحبار وابن اسحق عن رجاله قالوا لما رأى ابراهيم عليه الصلاة والسلام ذبح ابنه قال الشيطان لئن لم افتن عند هذا آل ابراهيم لا افتن منهم احدا ابدا فتمثل الشيطان في صورة

(فانظر ماذا ترى) من الرأى على وجه المشاورة لا من رؤية العين ولم يشاوره ليرجع الى رأيه ومشورته ولكن ليعلم الجزع أم يصبر ترى على وجهه أى ماذا تبصر من رايك وتدبيه (قال يا أبت افعل ما تؤمر) اى ما تؤمر به وقرئ به (ستجدنى ان شاء الله من الصابرين) على الذبح روى ان الذبيح قال لابيه يا أبت خذ بناصيتى واجلس بين كتفى حتى لا اوذيك اذا اصابتنى الشفرة ولا تذبحنى وانت تنظر في وجهى عسى ان ترحمنى واجعل وجهى الى الارض ويروى اذبحنى وانا ساجد واقرأ على أمى السلام وان رأيت ان ترد قميصى على أمى فافعل فانه عسى أن يكون أسهل لها (فلما أسلما) انقادا لامر الله وخضعا وعن قتادة أسلم هذا ابنه وهذا نفسه (وتله للجبين) صرعه على جبينه ووضع السكين على حلقه فلم يعمل ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودى يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا روى ان ذلك المكان عند الصخرة التى بمنى وجواب لما محذوف تقديره فلما أسلما وتله للجبين

(ونادیناه أن یا ابراهیم قد صدقت الرؤیا) أی حققت ما أمرناك به فی المنام من تسلیم الولد للذبح كان ما كان مما ینطق به
الحال ولا یحیط به الوصف من استبشارهما وحمدهما الله وشكرهما على ما أنعم به علیهما من دفع البلاء العظیم بعد حلوله أو
الجواب قبلنا منه وناديناه معطوف عليه (انا كذلك نجزي المحسنين) تعليل لتخويل ما خولهما من الفرج بعد الشدة (ان
هذا لهو البلاء المبين) الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم أو المحنة البينة (وفديناه بذبح) هو ما يذبح وعن ابن
عباس هو الكبش الذي قرب به هابيل فقبل منه وكان يرعى في الجنة حتى فدي به اسمعيل وعنه لو تمت تلك الذبيحة لصارت
سنة وذبح الناس أبناءهم (عظيم) ضخم الجثة سمين وهي السنة في الاضاحي وروي ٢٩ أنه هرب من ابراهيم عند الجمرة فرماه
بسبع حصيات حتى أخذه
فبقيت سنة في الرمي وروي أنه
لما ذبحه قال جبريل الله أكبر الله
أكبر فقال الذبيح لا اله الا الله
والله أكبر فقال ابراهيم الله أكبر
ولله الحمد فبقي سنة وقد استشهد
أبو حنيفة رضي الله عنه بهذه
الآية فيمن نذر ذبح ولده انه يلزمه
ذبح شاة والاظهر ان الذبيح
اسمعيل وهو قول أبي بكر وابن
عباس وابن عمر وجماعة من
التابعين رضي الله عنهم لقوله عليه
السلام انا ابن الذبيحين فاحدهما
جده اسمعيل والآخر أبوه عبد
الله وذلك ان عبد المطلب نذر ان
بلغ بنوه عشرة أن يذبح آخر ولده
تقربا وكان عبد الله آخرا ففداه
بمائة من الابل ولان قرني الكبش
كانا منوطين في الكعبة في أيدي
بني اسمعيل الى أن احترق البيت
في زمن الحجاج وابن الزبير وعن
الاصمعي انه قال سألت أبا عمرو
ابن العلاء عن الذبيح فقال
يا اصمعي اين عزب عنك عقلك
ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع أبيه والمنحر بمكة وعن علي وابن مسعود والعباس
وجماعة من التابعين رضي الله عنهم انه اسحق ويدل عليه كتاب يعقوب الى يوسف عليهما السلام من يعقوب اسرائيل الله
ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله وانما قيل وفديناه وان كان الفادي ابراهيم عليه السلام والله تعالى هو المفتدى
منه لانه الآمر الذبح لانه تعالى وهب له الكبش ليفتدي به وههنا اشكال وهو انه لا يخلو اما ان يكون ما أتى به ابراهيم
[illegible] بقه وامرار الشفرة على حلقه في حكم الذبح أم لا فان كان في حكم الذبح فما معنى الفداء والفداء هو
[illegible] ان لم يكن فما معنى قوله قد صدقت الرؤيا وانما كان يصدقها لو صح منه الذبح أصلا أو بدلا ولم
[illegible] زم قد بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح

رجل وأتى أم الغلام فقال لها هل تدرين أين ذهب ابراهيم بابنك قالت ذهب به ليحتطبا
من هذا الشعب قال لا والله ما ذهب به الا ليذبحه قالت كلا هو أرحم به وأشد حبا له من
ذلك قال انه يزعم أن الله أمره بذلك قالت ان كان ربه أمره بذلك فقد أحسن ان يطيع
ربه فخرج الشيطان من عندها حتى أدرك الابن وهو يمشي على أثر أبيه فقال له يا غلام
هل تدري أين يذهب بك أبوك قال نحتطب لاهلنا من هذا الشعب قال لا والله ما يريد الا
أن يذبحك قال ولم قال ان ربه أمره بذلك قال فليفعل ما أمره به ربه فسمعا وطاعة فلما
امتنع الغلام اقبل على ابراهيم فقال له اين تريد ايها الشيخ قال هذا الشعب لحاجة لي فيه
قال والله اني لارى الشيطان قد جاءك في منامك فأمرك بذبح ابنك هذا فعرفه ابراهيم
عليه الصلاة والسلام فقال اليك عني يا عدو الله فوالله لامضين لامر ربي فرجع ابليس
بغيظه لم يصب من ابراهيم وآله شيأ مما أرادوا امتنعوا منه بعون الله تعالى وروي عن
ابن عباس ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما اراد ان يذبح ابنه عرض له الشيطان
بهذا المشعر فسابقه فسبقه ابراهيم ثم ذهب الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه
بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى
ذهب ثم أدركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم مضى ابراهيم لامر
الله عز وجل وهو قوله تعالى فلما أسلما وتله للجبين (وناديناه) أي فنودي من الجبل
(أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا) اي حصل المقصود من تلك الرؤيا حيث ظهر منه كمال
الطاعة والانقياد لامر الله تعالى وكذلك الولد فان قلت كيف قيل قد صدقت الرؤيا
وكان قد رأى الذبح ولم يذبح وانما كان تصديقها لو حصل منه الذبح قلت جعله مصدقا
لانه بذل وسعه ومجهوده وأتى بما أمكنه وفعل ما يفعله الذابح فقد حصل المطلوب وهو
اسلامهما لامر الله تعالى وانقيادهما لذلك فلذلك قال له قد صدقت الرؤيا (انا كذلك
نجزي المحسنين) يعني جزاه الله باحسانه في طاعته العفو عن ذبح ولده والمعنى انا كما عفونا
عن ذبح ولده كذلك نجزي المحسنين في طاعتنا (ان هذا لهو البلاء المبين) أي الاختبار
الظاهر حيث اختبره بذبح ولده (وفديناه بذبح عظيم) قيل نظر ابراهيم فاذا هو بجبريل

ولكن الله تعالى جاء بما منع الشفرة ان تمضي فيه وهذا لا يقدح في فعل ابراهيم ووهب الله له الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة في نفس اسمعيل بدلا منه وليس هذا بنسخ منه للحكم كما قال البعض بل ذلك الحكم كان ثابتا الا ان المحل الذي اضيف اليه لم يحله الحكم على طريق الفداء دون النسخ وكان ذلك ابتلاء ليستقر حكم الامر عند المخاطب في آخر الحال على ان المبتغى منه في حق الولد ان يصير قربانا بنسبة الحكم اليه مكرما بالفداء الحاصل لمعرة الذبح مبتلى بالصبر والمجاهدة الى حال المكاشفة وانما النسخ بعد استقرار المراد بالامر لا قبله وقد سمى فداء في الكتاب لا نسخا (وتركنا عليه في الآخرين) ولا وقف عليه لان (سلام على ابراهيم) مفعول وتركنا (كذلك نجزى المحسنين) ولم يقل انا كذلك هنا كما في غيره لانه قد سبق في هذه القصة فاستخف بطرحه اكتفاء بذكره مرة ٣٠ عن ذكره ثانية (انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا) حال مقدرة من اسحق ولا بد من تقدير مضاف محذوف اي وبشرناه بوجود اسحق نبيا أي بان يوجد مقدرة نبوته فالعامل في الحال الوجود لا البشارة (من الصالحين) حال ثانية وورودها على سبيل الثناء لان كل نبي لا بد وان يكون من الصالحين (وباركنا عليه وعلى اسحق) اى أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقيل باركنا على ابراهيم في اولاده وعلى اسحق بان أخرجنا من صلبه ألف نبي أولهم يعقوب وآخرهم عيسى عليهم السلام (ومن ذريتهما محسن) مؤمن (وظالم لنفسه) كافر (مبين) ظاهر أو محسن الى الناس وظالم على نفسه بتعديه عن حدود الشرع وفيه تنبيه على ان الخبيث والطيب لا يجرى امرهما على العرق والعنصر فقد يلد البر الفاجر والفاجر البر وهذا مما يهدم امر الطبائع والعناصر وعلى ان الظلم في اعقابهما لم يعد عليهما بعيب ولا نقيصة وان المرء انما يعاب بسوء فعله ويعاقب على ما اجترحت في يداه لا على ما وجد من أصله وفرعه (ولقد مننا) أنعمنا (على موسى وهرون) بالنبوة (ونجيناهما وقومهما) بني اسرائيل (من الكرب العظيم) من الغرق او من سلطان فرعون وقومه وغشمهم (ونصرناهم) أى موسى وهرون وقومهما (فكانوا هم الغالبين) على فرعون وقومه (وآتيناهما الكتاب المستبين) البليغ في بيانه وهو التوراة (وهديناهما الصراط المستقيم) صراط اهل الا[سلام] لتي الذين انعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين (وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزى المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين وان الياس لمن المرسلين) هو الياس بن ياسين من ولد هرون النبي عليه السلام وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه وان ادريس في موضع الياس

ومعه كبش أملح أقرن فقال هذا فداء ابنك فاذبحه دونه فكبر ابراهيم وكبر ابنه وكبر جبريل وكبر الكبش فاخذه ابراهيم وأتى به المنحر من منى فذبحه قال أكثر المفسرين كان هذا الذبح كبشا رعى في الجنة أربعين خريفا وقال ابن عباس الكبش الذي ذبحه ابراهيم هو الذي قربه ابن آدم قيل حق له أن يكون عظيما وقد تقبل مرتين وقيل سمى عظيما لانه من عند الله تعالى وقيل لعظمه في الثواب وقيل لعظمه وسمنه وقال الحسن ما فدى اسمعيل الا بتيس من الاروى أهبط عليه من ثبير (وتركنا عليه في الآخرين) اى تركنا له ثناء حسنا فيمن بعده (سلام على ابراهيم كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين) قوله تعالى (وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين) أى بوجود اسحق وهذا على قول من يقول ان الذبيح هو اسمعيل ومعناه انه بشر باسحق بعد هذه القصة جزاء لطاعته وصبره ومن جعل الذبيح هو اسحق قال معنى الآية وبشرناه بنبوة اسحق وكذا روى عن ابن عباس قال بشر به مرتين حين ولد وحين نبئ (وباركنا عليه) يعني على ابراهيم في أولاده (وعلى اسحق) أى بكون أكثر الانبياء من نسله (ومن ذريتهما محسن) أى مؤمن (وظالم لنفسه) أى كافر (مبين) أى ظاهر الكفر وفيه تنبيه على انه لا يلزم من كثرة فضائل الاب فضيلة الابن قوله عز وجل (ولقد مننا على موسى وهرون) اى انعمنا عليهما بالنبوة والرسالة (ونجيناهما وقومهما) يعني بني اسرائيل (من الكرب العظيم) يعني الذي كانوا فيه من استعباد فرعون اياهم وقيل هو انجاؤهم من الغرق (ونصرناهم) يعني موسى وهرون وقومهما (فكانوا هم الغالبين) أى على القبط (وآتيناهما الكتاب) يعني التوراة (المستبين) المستنير (وهديناهما الصراط المستقيم) أى دللناهما على طريق الجنة (وتركنا عليهما في الآخرين) اى الثناء الحسن (سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزى المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين) قوله عز وجل (وان الياس لمن المرسلين) روى عن ابن مسعود انه قال الياس هو ادريس وكذلك هو

فى مصحفه وقال أكثر المفسرين هو نبى من أنبياء بنى اسرائيل قال ابن عباس هو ابن عم اليسع وقال محمد بن اسحق هو الياس بن بشر بن فنحاص بن العيزار بن هرون بن عمران

(ذكر الاشارة الى القصة) قال محمد بن اسحق وعلماء السير والاخبار لما قبض الله عز وجل حزقيل النبى عليه الصلاة والسلام عظمت الاحداث فى بنى اسرائيل وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الاصنام وعبدوها من دون الله عز وجل فبعث الله عز وجل اليهم الياس نبيا وكان الانبياء يبعثون من بعد موسى عليه الصلاة والسلام فى بنى اسرائيل بتجديد ما نسوا من أحكام التوراة وكان يوشع لما فتح الشام قسمها على بنى اسرائيل وان سبطا منهم حصل فى قسمته بعلبك ونواحيها وهم الذين بعث اليهم الياس وعليهم يومئذ ملك اسمه آجب وكان قد أضل قومه وجبرهم على عبادة الاصنام وكان له صنم من ذهب طوله عشرون ذراعا وله أربعة وجوه اسمه بعل وكانوا قد فتنوا به وعظموه وجعلوا له أربعمائة سادن وجعلوهم انبياء فكان الشيطان يدخل فى جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها عنه ويبلغونها الناس وهم أهل بعلبك وكان الياس يدعوهم الى عبادة الله عز وجل وهم لا يسمعون له ولا يؤمنون به الا ما كان من أمر الملك فانه آمن به وصدقه فكان الياس يقوم بامره ويسدده ويرشده وكان للملك امرأة جبارة وكان يستخلفها على ملكه اذا غاب فغصبت من رجل مؤمن جنينة كان يتعيش منها فاخذتها وقتلته فبعث الله سبحانه وتعالى الياس الى الملك وزوجته وأمره ان يخبرهما ان الله عز وجل قد غضب لوليه حين قتل ظلما وآلى على نفسه انهما ان لم يتوبا عن صنيعهما ويردا الجنينة على ورثة المقتول أهلكهما فى جوف الجنينة ثم يدعهما جيفتين ملقاتين فيها ولا يتمتعان فيها الا قليلا فجاء الياس فاخبر الملك بما أوحى الله اليه فى امره وامر امرأته والجنينة فلما سمع الملك ذلك غضب واشتد غضبه عليه وقال يا الياس والله ما ارى ما تدعونا اليه الا باطلا وهم بتعذيب الياس وقتله فلما حس الياس بالشر رفضه وخرج عنه هاربا ورجع الملك الى عبادة بعل ولحق الياس بشواهق الجبال فكان يأوى الى الشعاب والكهوف فبقى سبع سنين على ذلك خائفا مستخفيا يأكل من نبات الارض وثمار الشجر وهم فى طلبه وقد وضعوا عليه العيون والله يستره منهم فلما طال الامر على الياس وسكن الكهوف فى الجبال وطال عصيان قومه ضاق بذلك ذرعا فاوحى الله تعالى اليه بعد سبع سنين وهو خائف مجهود يا الياس ما هذا الحزن والجزع الذى انت فيه ألست امينى على وحيى وحجتى فى ارضى وصفوتى من خلقى سلنى أعطك فانى ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم قال يا رب تميتنى وتلحقنى بآبائى فانى قد مللت بنى اسرائيل وملونى فاوحى الله تعالى اليه يا الياس ما هذا باليوم الذى اعرى منك الارض واهلها وانما صلاحها وقوامها بك وباشباهك وان كنتم قليلا ولكن سلنى اعطك فقال الياس ان لم تمتنى فاعطنى ثأرى من بنى اسرائيل قال الله عز وجل واى شئ تريد ان اعطيك قال تملكنى خزائن السماء سبع سنين فلا تنشر عليهم سحابة الا بدعوتى ولا تمطر عليهم قطرة الا بشفاعتى فانه لا يذلهم الا ذلك قال الله عز وجل يا الياس انا ارحم

بخلقي من ذلك وان كانوا ظالمين قال فست سنين قال أنا ارحم بخلقي من ذلك قال فخمس
سنين قال أنا أرحم بخلقي ولكن أعطيك ثارك ثلاث سنين أجعل خزائن المطر بيدك
قال الياس فبأي شيء أعيش يارب قال اسخر لك جيشا من الطير ينقل لك طعامك
وشرابك من الريف والارض التي لم تقحط قال الياس قد رضيت فأمسك الله عزوجل
عنهم المطر حتى هلكت الماشية والهوام والشجر وجهد الناس جهدا شديدا والياس
على حاله مستخفيا من قومه يوضع له الرزق حيث كان وقد عرف قومه ذلك قال ابن
عباس أصاب بني اسرائيل ثلاث سنين القحط فمر الياس بعجوز فقال لها أعندك طعام
قالت نعم شيء من دقيق وزيت قليل قال فدعا به ودعا فيه بالبركة ومسه حتى ملأ
جرابها دقيقا وملأ خوابيها زيتا فلما رأوا ذلك عندها قالوا من أين لك هذا قالت
مر بي رجل من حاله كذا وكذا فوصفته بصفته فعرفوه وقالوا ذلك الياس فطلبوه
فوجدوه فهرب منهم ثم انه أوى الى بيت امرأة من بني اسرائيل ولها ابن يقال له اليسع
ابن اخطوب به ضر فآوته واخفت امره فدعا لابنها فعوفي من الضر الذي كان به واتبع
اليسع الياس وآمن به وصدقه ولزمه وذهب معه حيثما ذهب وكان الياس قد كبر
واسن واليسع غلام شاب ثم ان الله تعالى أوحى الى الياس انك قد اهلكت كثيرا
من الخلق ممن لم يعص من البهائم والدواب والطير والهوام بحبس المطر فيزعمون أن
الياس قال يارب دعني اكن انا الذي ادعوهم بالفرج مما هم فيه من البلاء لعلهم
يرجعون عما هم فيه وينزعون عن عبادة غيرك فقيل له نعم فجاء الياس الى بني اسرائيل
فقال انكم قد هلكتم جوعا وجهدا وهلكت البهائم والدواب والطير والهوام والشجر
بخطاياكم وانكم على باطل فان كنتم تحبون ان تعلموا ذلك فاخرجوا باصنامكم فان
استجابت لكم فذلك كما تقولون وان هي لم تفعل علمتم انكم على باطل فنزعتم ودعوت
الله تعالى ففرج عنكم ما انتم فيه من البلاء فقالوا انصفت فخرجوا باوثانهم ودعوها
فلم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء فقالوا يا الياس انا قد اهلكنا فادع الله لنا فدعا
الياس ومعه اليسع بالفرج فخرجت سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم ينظرون
فاقبلت نحوهم وطبقت الآفاق ثم أرسل الله عزوجل عليهم المطر وأغاثهم وحييت
بلادهم فلما كشف الله تعالى عنهم الضر نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم وأقاموا
على أخبث ما كانوا عليه فلما رأى ذلك الياس دعا ربه عزوجل ان يريحه منهم فقيل له
فيما يزعمون انظر يوم كذا وكذا فاخرج الى موضع كذا فما جاءك من شيء فاركبه
ولا تهبه فخرج الياس ومعه اليسع حتى اذا كان بالموضع الذي امر به اقبل فرس من نار
وقيل لونه كالنار حتى وقف بين يدي الياس فوثب عليه فانطلق به الفرس فناداه اليسع
يا الياس ما تامرني فقذف اليه الياس بكسائه من الجو الاعلى فكان ذلك علامة
استخلافه اياه على بني اسرائيل وكان ذلك آخر العهد به ورفع الله تعالى الياس من بين
أظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه الريش فصار انسيا ملكيا ارضيا
سماويا وسلط الله عزوجل على آجب الملك وقومه عدوا لهم فقصدهم من حيث لم
يشعروا به حتى رهقهم فقتل آجب وامرأته اربيل في الجنينة التي اغتصبتها امرأة الملك

(اذقال لقومه ألا تتقون) ألا تخافون الله (اتدعون) اتعبدون (بعلا) هو علم لصنم كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعا وله أربعة اوجه فتنوا به وعظموه حتى أخدموه أربعمائة سادن وجعلوهم انبياء وكان موضعه يقال له بك فركب وصار بعلبك وهو من بلاد الشام وقيل فى الياس والخضر انهما حيان وقيل الياس وكل بالفيافى كما وكل الخضر بالبحار والحسن يقول قد هلك الياس والخضر ولا نقول كما يقول الناس انهما حيان ٣٣ (وتذرون أحسن الخالقين) وتتركون عبادة الله الذى هو أحسن المقدرين (الله ربكم ورب آبائكم الاوّلين) بنصب الكل عراقى غير أبى بكر وأبى عمرو على البدل من أحسن وغيرهم بالرفع على الابتداء (فكذبوه فانهم لمحضرون) فى النار (الا عباد الله المخلصين) من قومه (وتركنا عليه فى الآخرين سلام على الياسين) أى الياس وقومه المؤمنين كقولهم الخبيبون يعنى أبا خبيب عبد الله ابن الزبير وقومه آل ياسين شامى ونافع لان ياسين اسم أبى الياس فاضيف اليه الآل (انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا فى الغابرين) فى الباقين (ثم دمرنا) أهلكنا (الآخرين وانكم) يا أهل مكة (لتمرون عليهم مصبحين) داخلين فى الصباح (وبالليل) والوقف عليه مطلق (أفلا تعقلون) يعنى تمرون على منازلهم فى متاجركم الى الشام ليلا ونهارا فافيكم عقول تعتبرون بها او انما لم يختم قصة لوط ويونس بالسلام كما ختم قصة من قبلهما لان الله تعالى قد سلم على جميع المرسلين فى آخر السورة فاكتفى بذلك عن ذكر كل واحد منفردا بالسلام (وان يونس لمن المرسلين اذ أبق) الاباق الهرب الى حيث لا يهتدى اليه الطلب فسمى هربه من قومه بغير اذن ربه اباقا مجازا (الى الفلك المشحون) المملوء وكان يونس عليه السلام وعد قومه العذاب فلما تأخر العذاب عنهم خرج كالمستور منهم فقصد البحر وركب السفينة فوقفت فقالوا ههنا عبد آبق من سيده وفيما يزعم البحارون أن السفينة اذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فقال أنا الآبق وزج بنفسه فى الماء فذلك قوله

ه ن ح

من ذلك المؤمن فلم تزل جثتاهما ملقاتين فى تلك الجنينة حتى بليت لحومهما ورمت عظامهما ونبأ الله سبحانه وتعالى اليسع وبعثه رسولا الى بنى اسرائيل وأوحى اليه وأيده فآمنت به بنو اسرائيل وكانوا يعظمونه وحكم الله تعالى فيهم قائم الى أن فارقهم اليسع روى السدى عن يحيى بن عبد العزيز عن أبى روّاد قال الياس والخضر يصومان رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم فى كل عام وقيل ان الياس موكل بالفيافى والخضر موكل بالبحار فذلك قوله تعالى وان الياس لمن المرسلين (اذقال لقومه ألا تتقون اتدعون بعلا) يعنى اتعبدون بعلا وهو صنم كان لهم يعبدونه ولذلك سميت مدينتهم بعلبك قيل البعل الرب بلغة أهل اليمن (وتذرون) أى وتتركون عبادة (أحسن الخالقين) فلا تعبدونه (الله ربكم ورب آبائكم الاوّلين فكذبوه فانهم لمحضرون) أى فى النار (الا عباد الله المخلصين) أى من قومه الذين آمنوا به فانهم نجوا من العذاب (وتركنا عليه فى الآخرين سلام على الياسين) قرئ آل ياسين بالقطع قيل أراد آل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل آل القرآن لان ياسين من أسماء القرآن وفيه بعد وقرئ الياسين بالوصل ومعناه الياس واتباعه من المؤمنين (انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين) قوله تعالى (وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا فى الغابرين) أى الباقين فى العذاب (ثم دمرنا) أى أهلكنا (الآخرين وانكم) أى يا اهل مكة (لتمرون عليهم) اى على آثارهم ومنازلهم (مصبحين) أى فى وقت الصباح (وبالليل) أى وبالليل فى اسفاركم (أفلا تعقلون) أى فتعتبرون بهم قوله عز وجل (وان يونس لمن المرسلين) أى من جملة رسل الله تعالى (اذ أبق) أى هرب (الى الفلك المشحون) اى المملوء قال ابن عباس ووهب كان يونس وعد قومه العذاب فتأخر عنهم فخرج كالمستور منهم فقصد البحر فركب السفينة فاحتبست السفينة فقال الملاحون ههنا عبد آبق من سيده فاقترعوا فوقعت على يونس فاقترعوا ثلاثا وهى تقع على يونس فقال أنا الآبق وزج نفسه فى الماء وقيل انه لما وصل الى البحر كانت معه امرأته وابنان له فجاء مركب فاراد أن يركب معهم فقدم امرأته ليركب بعدها فحال الموج بينه وبين المركب وذهب المركب وجاءت موجة أخرى فأخذت ابنه الاكبر وجاء ذئب فاخذ الابن الاصغر فبقى فريدا فجاء مركب آخر فركبه وقعد ناحية من القوم فلما مرت السفينة فى البحر ركدت فقال الملاحون ان فيكم عاصيا والا لم يحصل وقوف السفينة فيما نراه من غير ريح ولا سبب ظاهر فاقترعوا

(فساهم) فقارعهم مرة أو ثلاثا بالسهام والمساهمة القاء السهام على جهة القرعة (فكان من المدحضين) المغلوبين بالقرعة
(فالتقمه الحوت) فابتلعه (وهو مليم) داخل في الملامة (فلولا أنه كان من المسبحين) من الذاكرين الله كثيرا
بالتسبيح أو من القائلين لا إله
الا أنت سبحانك اني كنت من
الظالمين أو من المصلين قبل
ذلك وعن ابن عباس رضي
الله عنهما كل تسبيح في القرآن
فهو صلاة ويقال ان العمل
الصالح يرفع صاحبه اذا عثر
(للبث في بطنه الى يوم يبعثون)
الظاهر لبثه حيا الى يوم البعث
وعن قتادة لكان بطن الحوت
له قبرا الى يوم القيامة وقد لبث
في بطنه ثلاثة أيام أو سبعة
أو أربعين يوما وعن الشعبي
التقمه ضحوة ولفظه عشية
(فنبذناه بالعراء) فألقيناه بالمكان
الخالي الذي لا شجر فيه ولا نبات
(وهو سقيم) عليل مما ناله من
التقام الحوت وروي أنه عاد
بدنه كبدن الصبي حين يولد
(وأنبتنا عليه شجرة) أي
أنبتناها فوقه مظلة له كما يطنب
البيت على الانسان (من يقطين)
الجمهور على أنه القرع وفائدته
أن الذباب لا يجتمع عنده وأنه
أسرع الأشجار نباتا وامتدادا
وارتفاعا وقيل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم انك لتحب
القرع قال أجل هي شجرة
أخي يونس (وأرسلناه الى
مائة ألف) المراد به القوم الذين
بعث اليهم قبل الالتقام فتكون
قد مضمرة (أو يزيدون) في مرأى
الناظر أي اذا رآها الرائي قال هي مائة ألف أو أكثر وقال الزجاج قال غير واحد معناه بل يزيدون قال
ذلك الفراء وأبو عبيدة ونقل عن ابن عباس كذلك

فمن خرج سهمه نغرقه فلأن يغرق واحد خير من غرق الكل فاقترعوا فخرج سهم
يونس فذلك قوله تعالى (فساهم) أي فقارع (فكان من المدحضين) يعني من
المقروعين المغلوبين وقد تقدمت القصة في سورة يونس والانبياء (فالتقمه الحوت) أي
ابتلعه (وهو مليم) أي آت بما يلام عليه (فلولا أنه كان من المسبحين) أي من الذاكرين
الله عز وجل قبل ذلك وكان كثير الذكر وقال ابن عباس من المصلين وقيل من العابدين
قال الحسن ما كانت له صلاة في بطن الحوت ولكنه قدم عملا صالحا فشكر الله تعالى له
طاعته القديمة قال بعضهم اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة فان يونس كان عبدا
صالحا ذاكرا لله تعالى فلما وقع في الشدة في بطن الحوت شكر الله تعالى له ذلك فقال
فلولا أنه كان من المسبحين (للبث في بطنه الى يوم يبعثون) وقيل لولا أنه كان يسبح في
بطن الحوت بقوله لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين للبث في بطنه الى يوم
يبعثون أي لصار بطن الحوت قبرا له الى يوم القيامة قوله عز وجل (فنبذناه) أي
طرحناه وانما أضاف النبذ الى نفسه وان كان الحوت هو النابذ لان أفعال العباد كلها
مخلوقة لله تعالى (بالعراء) أي بالأرض الخالية عن الشجر والنبات وقيل بالساحل (وهو
سقيم) أي عليل كالفرخ الممعط وقيل كان قد بلي لحمه ورق عظمه ولم تبق له قوة قيل
انه لبث في بطن الحوت ثلاثة أيام وقيل سبعة وقيل عشرين يوما وقيل أربعين وقيل
التقمه ضحى ولفظه عشية (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) يعني القرع قيل ان كل نبت
يمتد وينبسط على وجه الأرض كالقرع والقثاء والبطيخ ونحوه فهو يقطين قيل أنبتها الله
تعالى له ولم يكن قبل ذلك وكانت معروشة ليحصل له الظل وفي شجر القرع فائدة وهي
ان الذباب لا يجتمع عندها فكان يونس يستظل بتلك الشجرة ولو كانت منبسطة على
الأرض لم يمكن أن يستظل بها قيل وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها بكرة وعشية
حتى اشتد لحمه ونبت شعره وقوي فنام نومة ثم استيقظ وقد يبست الشجرة وأصابه حر
الشمس فحزن حزنا شديدا وجعل يبكي فأرسل الله تعالى اليه جبريل وقال أتحزن على
شجرة ولا تحزن على مائة ألف من أمتك قد أسلموا وتابوا (وأرسلناه الى مائة ألف) قيل
أرسله الى أهل نينوى من أرض الموصل قبل أن يصيبه ما أصابه والمعنى وكنا أرسلناه
الى مائة ألف فلما خرج من بطن الحوت أمر أن يرجع اليهم ثانيا وقيل كان ارساله اليهم
بعد خروجه من بطن الحوت وقيل يجوز أن يكون ارساله الى قوم آخرين غير القوم الأولين
(أو يزيدون) قال ابن عباس معناه ويزيدون وقيل معناه بل يزيدون وقيل أو على أصلها
والمعنى أو يزيدون في تقدير الرائي اذا رآهم قال هؤلاء مائة ألف أو يزيدون على ذلك
والشك على تقدير المخلوقين والأصح هو قول ابن عباس الأول وأما الزيادة فقال ابن
عباس كانوا عشرين ألفا ويعضده ما روي عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه قال
سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون

قال

(فآمنوا) به وبما أرسل به (فمتعناهم الى حين) الى منتهى آجالهم (فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون) معطوف على مثله فى أول السورة أى على فاستفتهم أهم أشد خلقا وان تباعدت بينهما المسافة أمر رسول الله باستفتاء قريش على وجه انكار البعث أولا ثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض ثم أمره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى التى قسموها حيث جعلوا لله تعالى الاناث ولانفسهم الذكور فى قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة لهن ووأدهم واستنكافهم من ذكرهن (أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون) حاضرون تخصيص علمهم بالمشاهدة استهزاء بهم وتجهيل لهم لانهم كما لم يعلموا ذلك مشاهدة لم يعلموه بخلق الله علمه فى قلوبهم ولا باخبار صادق ولا بطريق استدلال ونظر أو معناه انهم يقولون ذلك عن طمأنينة نفس لافراط جهلهم كأنهم شاهدوا خلقهم ٣٥ (الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون) فى قولهم (أصطفى البنات على البنين) بفتح الهمزة للاستفهام وهو استفهام توبيخ وحذفت همزة الوصل استغناء عنها بهمزة الاستفهام (مالكم كيف تحكمون) هذا الحكم الفاسد (أفلا تذكرون) بالتخفيف حمزة وعلى وحفص (أم لكم سلطان مبين) حجة نزلت عليكم من السماء ان الملائكة بنات الله (فأتوا بكتابكم) الذى أنزل عليكم (ان كنتم صادقين) فى دعواكم (وجعلوا بينه) بين الله (وبين الجنة) الملائكة لاستتارهم (نسبا) وهو زعمهم انهم بناته أو قالوا ان الله تزوج من الجن فولدت له الملائكة (ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون) ولقد علمت الملائكة ان الذين قالوا هذا القول محضرون فى النار (سبحان الله عما يصفون) نزه نفسه عن الولد والصاحبة (الا عباد الله المخلصين) استثناء منقطع من المحضرين معناه ولكن المخلصين ناجون من النار وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه ويجوز ان يقع الاستثناء من واو يصفون أى يصفه هؤلاء بذلك ولكن المخلصون برآء من ان يصفوه به (فانكم) يا أهل مكة (وما تعبدون) ومعبوديكم (ما انتم) وهم جميعا (عليه) على الله (بفاتنين) بمضلين (الا من هو صال الجحيم) بكسر اللام أى لستم تضلون احدا الا اصحاب النار الذين سبق فى علمه انهم بسوء اعمالهم يستوجبون ان يصلوها يقال فتن فلان على فلان امرأته كما تقول افسدها عليه وقال الحسن فانكم ايها القائلون بهذا القول والذى تعبدونه من الاصنام ما انتم على عبادة الاوثان بمضلين احدا الا من قدر عليه ان يصلى الجحيم اى يدخل النار وقيل ما انتم بمضلين الا من اوجبت عليه الضلال فى السابقة وما فى ما انتم نافية ومن فى موضع النصب بفاتنين وقرأ الحسن صال الجحيم بضم اللام ووجهه ان يكون جمعا حذفت النون للاضافة وحذفت الواو لالتقاء الساكنين هى واللام فى الجحيم ومن وحد اللفظ حمل على المعنى

قال يزيدون عشرين ألفا أخرجه الترمذى وقال حديث حسن وقيل يزيدون بضعا وثلاثين ألفا وقيل سبعين ألفا (فآمنوا) يعنى الذين أرسل اليهم يونس بعد معاينة العذاب (فمتعناهم الى حين) أى الى انقضاء آجالهم قوله عز وجل (فاستفتهم) أى فسل يا محمد اهل مكة وهو سؤال توبيخ (ألربك البنات ولهم البنون) وذلك ان جهينة وبنى سلمة بن عبد الدار زعموا ان الملائكة بنات الله والمعنى جعلوا لله البنات ولهم البنين وذلك باطل لان العرب كانوا يستنكفون من البنات والشئ الذى يستنكف منه المخلوق كيف ينسب للخالق (ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون) أى حاضرون خلقنا اياهم (الا انهم من افكهم) أى من كذبهم (ليقولون ولد الله) أى فى زعمهم (وانهم لكاذبون) أى فيما زعموا (أصطفى البنات) أى فى زعمكم (على البنين) وهو استفهام توبيخ وتقريع (مالكم كيف تحكمون) اى بالبنات لله ولكم بالبنين (أفلا تذكرون) أى أفلا تعقلون (أم لكم سلطان مبين) أى برهان بين على ان لله ولدا (فأتوا بكتابكم) يعنى الذى لكم فيه حجة (ان كنتم صادقين) أى فى قولكم (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) قيل اراد بالجنة الملائكة سموا جنة لاجتنانهم عن الابصار قال ابن عباس هم حى من الملائكة يقال لهم الجن ومنهم ابليس قالوا هم بنات الله فقال لهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه فمن أمهاتهم قالوا سروات الجن وقيل معنى النسب انهم اشركوا الشياطين فى عبادة الله تعالى وقيل هو قول الزنادقة الخير من الله والشر من الشيطان (ولقد علمت الجنة انهم) يعنى قائلى هذا القول (لمحضرون) أى فى النار (سبحان الله عما يصفون) نزه الله تعالى نفسه عما يقولون (الا عباد الله المخلصين) هذا استثناء من المحضرين والمعنى انهم لا يحضرون (فانكم) يعنى يا أهل مكة (وما تعبدون) أى من الاصنام (ما أنتم عليه) اى على ما تعبدون (بفاتنين) اى بمضلين احدا (الا من هو صال الجحيم)

فحمل هو على لفظه والصالون على معناه (ومامنا) احد (الاله مقام معلوم) فى العبادة لا يتجاوزه فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه (وانالنحن الصافون) نصف اقدامنا فى الصلاة او نصف حول العرش داعين للمؤمنين (وانالنحن المسبحون) المنزهون او المصلون والوجه أن يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله عما يصفون من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم فى قوله ولقد علمت الجنة كأنه قيل ولقد علم الملائكة وشهدوا ان المشركين مفترون عليهم فى مناسبة رب العزة وقالوا سبحان الله فنزهوه عن ذلك واستثنوا عباد الله المخلصين وبرؤهم منه وقالوا الكفرة فاذا صح ذلك فانكم وآلهتكم لا تقدرون ان تفتنوا على الله أحدا من خلقه وتضلوه الامن كان من أهل النار وكيف نكون مناسبين لرب العزة ومانحن الاعبيد اذلاء بين يديه لكل منا مقام معلوم من الطاعة لا يستطيع ٣٦ ان يزل عنه ظفرا خشوعا لعظمته ونحن الصافون أقدامنا لعبادته مسبحين ممجدين كما يجب على العباد لربهم وقيل هو من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني ومامن المسلمين أحد الاله مقام معلوم يوم القيامة على قدر عمله من قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ثم ذكر اعمالهم وانهم الذين يصطفون فى الصلاة ويسبحون الله وينزهونه عما لا يجوز عليه (وان كانوا ليقولون) أى مشركو قريش قبل مبعثه عليه السلام (لوأن عندنا ذكرا من الاولين) أى كتابا من كتب الاولين الذين نزل عليهم التوراة والانجيل (لكنا عباد الله المخلصين) لاخلصنا العبادة لله ولما كذبنا كما كذبوا ولما خالفنا كما خالفوا فجاءهم الذكر الذى هو سيد الاذكار والكتاب الذى هو معجز من بين الكتب (فكفروا به فسوف يعلمون) مغبة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام وان مخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة وفى ذلك انهم كانوا يقولونه مؤكدين للقول جادين فيه فكم بين أول أمرهم وآخره (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) الكلمة قوله (انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون) وانما سماها كلمة وهى كلمات لانها لما انتظمت فى معنى واحد كانت فى حكم كلمة مفردة والمراد الموعد بعلوهم على عدوهم فى مقاوم الحجاج وملاحم القتال فى الدنيا وعلوهم عليهم فى الآخرة وعن الحسن ما غلب نبي فى حرب وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان لم ينصروا فى الدنيا نصروا فى العقبى والحاصل ان قاعدة أمرهم وأساسه والغالب منه الظفر والنصرة وان وقع فى تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والعبرة للغالب (فتول عنهم) فأعرض عنهم (حتى حين) الى مدة يسيرة وهى المدة التى أمهلوا فيها أو الى يوم بدر أو الى فتح مكة (وأبصرهم) أى أبصر ما ينالهم يومئذ

أى الامن سبق له فى علم الله تعالى الشقاوة وانه سيدخل النار قوله تعالى اخبارا عن حال الملائكة (ومامنا الاله مقام معلوم) يعنى ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم ومامنا معشر الملائكة ملك الاله مقام معلوم يعبد ربه فيه وقال ابن عباس مافى السموات موضع شبر الاوعليه ملك يصلى أو يسبح وروى أبو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أطت السماء وحق لها أن تئط والذى نفسى بيده مافيها موضع أربع أصابع الاوملك واضع جبهته لله ساجدا أخرجه الترمذى وهو طرف من حديث قيل الاطيط أصوات الاقتاب وقيل اصوات الابل وحنينها ومعنى الحديث مافى السماء من الملائكة قد أثقلها حتى اطت وهذا مثل مؤذن بكثرة الملائكة وان لم يكن ثم أطيط وقيل معنى الاله مقام معلوم أى فى القرب والمشاهدة وقيل يعبد الله على مقامات مختلفة كالخوف والرجاء والمحبة والرضا (وانالنحن الصافون) يعنى الملائكة صفوا أقدامهم فى عبادة الله تعالى كصفوف الناس فى الصلاة فى الارض (وانالنحن المسبحون) أى المصلون لله تعالى وقيل المنزهون لله تعالى عن كل سوء يخبر جبريل النبي صلى الله عليه وسلم انهم يعبدون الله تعالى بالصلاة والتسبيح وانهم ليسوا معبودين كما زعمت الكفار قوله عزوجل (وان كانوا ليقولون) يعنى كفار مكة قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم (لوأن عندنا ذكرا من الاولين) يعنى كتابا مثل كتاب الاولين (لكنا عباد الله المخلصين) أى لاخلصنا العبادة لله (فكفروا به) أى فلما أتاهم الكتاب كفروا به (فسوف يعلمون) فيه تهديد لهم قوله عزوجل (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) يعنى تقدم وعدنا لعبادنا المرسلين بنصرهم (انهم لهم المنصورون) أى بالحجة البالغة (وان جندنا) أى حزبنا المؤمنين (لهم الغالبون) أى لهم النصرة فى العاقبة (فتول) أى أعرض (عنهم حتى حين) قال ابن عباس يعنى الموت وقيل الى يوم بدر وقيل حتى آمرك بالقتال وهذه الآية منسوخة بآية القتال وقيل الى أن يأتيهم العذاب (وأبصرهم) أى اذا نزل بهم العذاب

(فسوف يبصرون) ذلك وهو للوعيد لا للتبعيد او انظر اليهم اذا عذبوا فسوف يبصرون ما انكروا أو أعلمهم فسوف يعلمون (أفبعذابنا يستعجلون) قيل حينه (فاذا نزل) العذاب (بساحتهم) بفنائهم (فساء صباح المنذرين) صباحهم واللام في المنذرين مبهم في جنس من انذروا لان ساء وبئس يقتضيان ذلك وقيل هو نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بمكة مثل العذاب النازل بهم بعدما أنذروه فانكروه بجيش انذر بهجومه قومه بعض نصاحهم فلم يلتفتوا الى انذاره حتى أناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وكانت عادة مغاويرهم ان يغيروا اصباحا فسميت الغارة صباحا وان وقعت في وقت آخر (وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون) وانما ثني ليكون تسلية على تسلية وتأكيد الوقوع الميعاد الى تأكيد وفيه فائدة زائدة وهي اطلاق الفعلين معا عن التقييد بالمفعول وانه يبصرون وهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وأنواع المساءة وقيل أريد باحدهما عذاب الدنيا وبالآخر عذاب الآخرة (سبحان ربك رب العزة) أضيف الرب الى العزة لاختصاصه بها كانه قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق ويجوز ان يراد أنه ما من عزة لاحد الا وهو ربها ومالكها كقوله تعز من تشاء (عما يصفون) من الولد والصاحبة والشريك (وسلام على المرسلين) عم الرسل بالسلام بعد ما خص البعض في السورة لان التخصيص كل بالذكر تطويلا (والحمد لله رب العالمين) على هلاك الاعداء ونصرة الانبياء اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون في الله ونسبوه اليه مما هو منزه عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه في العاقبة من النصرة عليهم فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين والحمد لله رب العالمين على ما قيض لهم من حسن العواقب والمراد تعليم المؤمنين ان يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا يغفلوا عن مضمنات كتابه الكريم ومودعات قرآنه المجيد وعن علي رضي الله عنه من أحب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

* (سورة ص مكية وهي ثمان وثمانون آية كوفي وتسع بصري وست مدني) *

(بسم الله الرحمن الرحيم ص) ذكر هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل

(فسوف يبصرون) أي ذلك فعند ذلك قالوا متى هذا العذاب قال الله عز وجل (أفبعذابنا يستعجلون فاذا نزل) يعني العذاب (بساحتهم) أي بحضرتهم وقيل بفنائهم (فساء صباح المنذرين) أي فبئس صباح الكافرين الذين أنذروا العذاب (ق) عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا خيبر فلما دخل القرية قال الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاث مرات ثم كرر ذكر ما تقدم تأكيدا لوعيد العذاب فقال تعالى (وتول عنهم حتى حين) وقيل المراد من الآية الاولى ذكر أحوالهم في الدنيا وهذه ذكر أحوالهم في الآخرة فعلى هذا القول يزول التكرار (وأبصر) أي العذاب اذا نزل بهم (فسوف يبصرون) ثم نزه نفسه فقال تعالى (سبحان ربك رب العزة) أي الغلبة والقدرة وفيه اشارة الى كمال القدرة وانه القادر على جميع الحوادث (عما يصفون) اي عن اتخاذ الشركاء والاولاد (وسلام على المرسلين) أي الذين بلغوا عن الله عز وجل التوحيد والشرائع لان أعلى مراتب البشر أن يكون كاملا في نفسه مكملا لغيره وهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام فلا جرم يجب على كل أحد الاقتداء بهم والاهتداء بهداهم (والحمد لله رب العالمين) أي على هلاك الاعداء ونصرة الانبياء وقيل الغرض من ذلك تعليم المؤمنين أن يقولوه ولا يخلوا به ولا يغفلوا عنه لما روي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال من أحب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

(تفسير سورة ص)

ويقال لها سورة داود عليه الصلاة والسلام وهي مكية وهي ست وقيل ثمان وثمانون آية وسبعمائة واثنتان وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف وسبعة وستون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (ص) قيل هو قسم وقيل اسم للسورة وقيل هو مفتاح اسمه الصمد

التحدى والتنبيه على الاعجاز ثم اتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدى عليه كانه قال (والقرآن ذى الذكر) اى ذى الشرف انه لكلام معجز ويجوز أن يكون ص خبر مبتدا محذوف على انه اسم للسورة كانه قال هذه ص أى هذه السورة التى أعجزت العرب والقرآن ذى الذكر كما تقول هذا حاتم والله تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله وكذلك اذا أقسم بها كانه قال أقسمت بص والقرآن ذى الذكر انه ٣٨ لمعجز ثم قال (بل الذين كفروا فى عزة) تكبر عن الاذعان لذلك والاعتراف بالحق (وشقاق) خلاف لله ولرسوله والتنكير فى عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وتفاقمهما وقرئ فى غرة أى فى غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق (كم أهلكنا) وعيد لذوى العزة والشقاق (من قبلهم) من قبل قومك (من قرن) من أمة (فنادوا) فدعوا واستغاثوا حين رأوا العذاب (ولات) هى لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث كما زيدت على رب وثم للتوكيد وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل الا على الاحيان ولم يبرز الا أحد مقتضيها اما الاسم أو الخبر وامتنع بروزهما جميعا وهذا مذهب الخليل وسيبويه وعند الاخفش انها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفى الاحيان وقوله (حين مناص) منصوب بها كانك قلت ولا حين مناص لهم وعندهما ان النصب على تقدير ولات الحين حين مناص أى وليس الحين حين مناص (وعجبوا أن جاءهم) من أن جاءهم (منذر منهم) رسول من أنفسهم ينذرهم يعنى استبعدوا أن يكون النبى من البشر (وقال الكافرون هذا ساحر كذاب أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشئ عجاب) ولم يقل وقالوا اظهارا للغضب عليهم ودلالة على ان هذا القول لا يتجسر عليه الا الكافرون المتوغلون فى الكفر المنهمكون فى الغى اذ لا كفر أبلغ من أن يسموا من صدقه الله كاذبا ساحرا ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الابلج ولا يتعجبوا من الشرك وهو باطل لجلج وروى ان عمر رضى الله عنه لما أسلم فرح به المؤمنون وشق على قريش فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم

وصادق الوعد والصبور وقيل معناه صدق الله وعن ابن عباس صدق محمد صلى الله عليه وسلم (والقرآن ذى الذكر) قال ابن عباس أى ذى البيان وقيل ذى الشرف وهو قسم قيل وجوابه قد تقدم وهو قوله تعالى ص اقسم الله سبحانه وتعالى بالقرآن ان محمدا صلى الله عليه وسلم لصادق وقيل جواب القسم محذوف تقديره والقرآن ذى الذكر ما الامر كما تقول الكفار ودل على هذا المحذوف قوله تعالى (بل الذين كفروا) وقيل بل الذين كفروا موضع القسم وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره بل الذين كفروا (فى عزة وشقاق) والقرآن ذى الذكر وقيل جوابه ان كل الا كذب الرسل وقيل جوابه ان هذا لرزقنا وقيل ان ذلك لحق تخاصم أهل النار وهذا ضعيف لانه تخلل بين القسم وهذا الجواب أقاصيص وأخبار كثيرة وقيل بل لتدارك كلام ونفى آخر ومجاز الآية ان الله تعالى اقسم بص والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا من أهل مكة فى عزة أى حمية وجاهلية وتكبر عن الحق وشقاق أى خلاف وعداوة لمحمد صلى الله عليه وسلم (كم أهلكنا من قبلهم من قرن) يعنى من الامم الخالية (فنادوا) أى استغاثوا عند نزول العذاب وحلول النقمة (ولات حين مناص) أى ليس الحين حين فرار وتأخر قال ابن عباس كان كفار مكة اذا قاتلوا فاضطروا فى الحرب قال بعضهم لبعض مناص أى اهربوا وخذوا حذركم فلما نزل بهم العذاب ببدر قالوا مناص فانزل الله عز وجل ولات حين مناص أى ليس الحين حين هذا القول (وعجبوا) يعنى كفار مكة (أن جاءهم منذر منهم) يعنى رسولا من أنفسهم ينذرهم (وقال الكافرون هذا ساحر كذاب) قوله عز وجل (أجعل الآلهة الها واحدا) وذلك ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه اسلم فشق ذلك على قريش وفرح به المؤمنون فقال الوليد بن المغيرة للملأ من قريش وهم الصناديد والاشراف وكانوا خمسة وعشرين رجلا أكبرهم سنا الوليد بن المغيرة امشوا الى أبى طالب فأتوا الى أبى طالب وقالوا له أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وانا أتيناك لتقضى بيننا وبين ابن أخيك فارسل اليه أبو طالب فدعاه فلما أتى النبى صلى الله عليه وسلم اليه قال له يا ابن أخى هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل كل الميل على قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وماذا يسألونى قالوا ارفض آلهتنا وندعك والهك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتعطونى كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال أبو جهل لله أبوك لنعطينكها وعشرة أمثالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله فنفروا من ذلك وقالوا أجعل الآلهة الها واحدا كيف يسع الخلق اله واحد (ان هذا

ومشوا الى أبي طالب وقالوا أنت كبيرنا وقد علمت مافعل هؤلاء السفهاء يريدون الذين دخلوا فى الاسلام وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخي هؤلاء قومك يسئلونك السواء فلا تمل كل الميل على قومك فقال عليه السلام ماذا يسئلونني فقالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال عليه السلام اتعطونني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا أى نعطيكها وعشر كلمات معها فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا اجعل الآلهة الها واحدا أى اصيران هذا الشئ عجاب أى بليغ فى العجب وقيل العجيب ماله مثل والعجاب مالا مثل له (وانطلق الملأ منهم ان امشوا) وانطلق اشراف قريش عن مجلس أبى طالب بعدما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض أن امشوا وأن بمعنى اى لان المنطلقين عن مجلس التقاول لابد لهم من ان يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم فكان انطلاقهم متضمنا معنى القول (واصبروا على) عبادة (آلهتكم ان هذا الامر (لشئ يراد) اى يريده الله تعالى ويحكم بامضائه فلا مرد له ولا ينفع فيه ٣٩ الا الصبر أو ان هذا الامر لشئ من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه (ماسمعنا بهذا) بالتوحيد (فى الملة الآخرة) فى ملة عيسى التى هى آخر الملل لان النصارى مثلثة غير موحدة أو فى ملة قريش التى ادركنا عليها آباءنا (ان هذا) ماهذا (الا اختلاق) كذب اختلقه محمد من تلقاء نفسه (أأنزل عليه الذكر) القرآن (من بيننا) انكروا ان يختص بالشرف من بين اشرافهم وينزل عليه الكتاب من بينهم حسدا (بل هم فى شك من ذكرى) من القرآن (بل لما يذوقوا عذاب) بل لم يذوقوا عذابى بعد فاذا ذاقوه زال عنهم مابهم من الشك والحسد حينئذ أى انهم لا يصدقون به الا ان يمسهم العذاب فيصدقون حينئذ (ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب) يعنى ماهم بمالكي خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها من شاؤا ويصرفوها عمن شاؤا ويتخيروا للنبوة بعض صناديدهم ويترفعوا بها عن محمد وانما الذى يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب بها مواقعها الذى يقسمها على ما تقتضيه حكمته ثم رشح هذا المعنى فقال (أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما) حتى يتكلموا فى الامور الربانية والتدابير الالهية التى يختص بها رب العزة والكبرياء ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال فان كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف فى قسمة الرحمة (فليرتقوا فى الاسباب) فليصعدوا فى المعارج والطرق التى يتوصل بها الى السماء حتى يدبروا أمر العالم وملكوت الله وينزلوا الوحى الى من يختارون ثم وعد نبيه عليه السلام النصرة عليهم بقوله (جند) مبتدأ (ما) صلة مقوية للنكرة المبتدأة (هنالك) اشارة الى بدر ومصارعهم أو الى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم من قولهم لمن ينتدب لامر ليس من أهله لست هنالك خبر المبتدا (مهزوم) مكسور (من الاحزاب) متعلق بجند أو بمهزوم يريد ماهم الا جند من الكفار

عجاب) أى عجب (وانطلق الملأ منهم) أى من مجلسهم الذى كانوا فيه عند أبى طالب (أن امشوا) أى يقول بعضهم لبعض امشوا (واصبروا على آلهتكم) أى اثبتوا على عبادة آلهتكم (ان هذا الشئ يراد) أى لامر يراد بنا وذلك ان عمر رضى الله عنه لما أسلم وحصل للمسلمين قوة بمكانه قالوا ان هذا الذى نراه من زيادة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لشئ يراد بنا وقيل يراد بأهل الارض وقيل يراد بمحمد صلى الله عليه وسلم ان يملك علينا (ماسمعنا بهذا) أى بالذى يقوله محمد من التوحيد (فى الملة الآخرة) قال ابن عباس يعنون النصرانية لانها آخر الملل وانهم لا يوحدون الله بل يقولون ثالث ثلاثة وقيل يعنون ملة قريش وهى دينهم الذى هم عليه (ان هذا الا اختلاق) أى كذب واختلاق (أأنزل عليه الذكر) أى القرآن (من بيننا) أى يقول أهل مكة ليس هو با كبرنا ولا اشرفنا قال الله تعالى (بل هم فى شك من ذكرى) أى وحيى وما أنزلت (بل لما يذوقوا عذاب) أى لو ذاقوه لما قالوا هذا القول (أم عندهم خزائن رحمة ربك) يعنى مفاتيح النبوة يعطونها من شاؤا (العزيز) أى فى ملكه (الوهاب) الذى وهب النبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم (أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما) أى ليس لهم ذلك (فليرتقوا فى الاسباب) يعنى ان ادعوا شيأ من ذلك فليصعدوا فى الاسباب التى توصلهم الى السماء فليأتوا منها بالوحى الى من يختاروا وقيل أراد بالاسباب أبواب السماء وطرقها من سماء الى سماء وهذا أمر توبيخ وتعجيز (جند ما هنالك) أى هؤلاء الذين يقولون هذا القول جند ما هنالك (مهزوم) أى مغلوب (من الاحزاب) يعنى ان قريشا من جملة

المتحزبين على رسول الله مهزوم عما قريب فلاتبال بما يقولون ولاتكترث لما به يهذون (كذبت قبلهم) قبل أهل مكة (قوم نوح) نوحا (وعاد) هودا (وفرعون) موسى (ذو الاوتاد) قيل كانت له أوتاد وحبال يلعب بها بين يديه وقيل يوتد من يعذب بأربعة أوتاد في يديه ورجليه (وثمود) وهم قوم صالح صالحا (وقوم لوط) لوطا (وأصحاب الايكة) الغيضة شعيبا (أولئك الاحزاب) أراد بهذه الاشارة الاعلام بان الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم هم وانهم الذين وجد منهم التكذيب (ان كل الا كذب الرسل) ذكر تكذيبهم أولا ٤٠ في الجملة الخبرية على وجه الابهام حيث لم يبين المكذب ثم جاء بالجملة الاستثنائية فاوضحه فيها وبين المكذب وهم الرسل وذكر أن كل واحد من الاحزاب كذب جميع الرسل لان في تكذيب الواحد منهم تكذيب الجميع لاتحاد دعوتهم وفي تكرير التكذيب وايضاحه بعد ابهامه والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية أولا وبالاستثنائية ثانيا وما في الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد أنواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العقاب وأبلغه ثم قال (فحق عقاب) أي فوجب لذلك ان أعاقبهم حق عقابهم عذابي وعقابي في الحالين يعقوب (وما ينظر هؤلاء) وما ينتظر أهل مكة ويجوز ان يكون اشارة الى جميع الاحزاب (الا صيحة واحدة) أي النفخة الاولى وهي الفزع الاكبر (ما لها من فواق) وبالضم حمزة وعلي أي ما لها من توقف مقدار فواق وهو ما بين حلبتي الحالب أي اذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما لها من رجوع وترداد من أفاق المريض اذا رجع الى الصحة وفواق ما الناقة ساعة ترجع الدر الى ضرعها يريد انها نفخة واحدة فحسب لا تثني ولا تردد (وقالوا ربنا عجل لنا قطنا) حظنا من الجنة لانه عليه السلام ذكر وعد الله المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا منها او نصيبنا من العذاب الذي وعدته كقوله ويستعجلونك بالعذاب واصل القط القسط من الشئ لانه قطعة منه من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس (قبل يوم الحساب اصبر على ما يقولون) فيك وصن نفسك ان تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل أذاهم

الاجناد الذين تجمعوا وتحزبوا على الانبياء بالتكذيب فقهروا واهلكوا أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة انه سيهزم جند المشركين فجاء تأويلها يوم بدر وهنالك اشارة الى مصارعهم ببدر ثم قال عز وجل معزيا لنبيه صلى الله عليه وسلم (كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد) قال ابن عباس ذو البناء المحكم وقيل ذو الملك الشديد الثابت والعرب تقول هو في عز ثابت الاوتاد يريدون بذلك انه دائم شديد قال الاسود بن يعفر

ولقد غنوا فيها بانعم عيشة * في ظل ملك ثابت الاوتاد

وقيل ذو قوة وأصل هذا ان بيوتهم تثبت بالاوتاد وقيل ذو القوة والبطش وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما ذو الجنود والجموع الكثيرة يعني انهم يقوون أمره ويشدون ملكه كما يقوي الوتد الشئ وسميت الاجناد أوتادا لكثرة المضارب التي كانوا يضربونها ويوتدونها في أسفارهم وقيل الاوتاد جمع الوتد وكانت له أوتاد يعذب الناس عليها فكان اذا غضب على أحد مده مستلقيا بين أربعة أوتاد يشد كل طرف منه الى وتد فيتركه حتى يموت وقيل يرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له أوتاد وحبال وملاعب يلعب عليها بين يديه (وثمود وقوم لوط وأصحاب الايكة أولئك الاحزاب) أي الذين تحزبوا على الانبياء فاعلم الله تعالى ان مشركي قريش حزب من أولئك الاحزاب (ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب) يعني ان أولئك الطوائف والامم الخالية لما كذبوا أنبياءهم وجب عليهم العذاب فكيف حال هؤلاء الضعفاء المساكين اذا نزل بهم العذاب وفي الآية زجر وتخويف للسامعين (وما ينظر) أي ينتظر (هؤلاء) يعني كفار مكة (الا صيحة واحدة ما لها من فواق) أي رجوع والمعنى ان تلك الصيحة التي هي ميعاد عذابهم اذا جاءت لم ترد ولم تصرف (وقالوا ربنا عجل لنا قطنا) أي حظنا ونصيبنا من الجنة التي تقول وقيل نصيبنا من العذاب قاله النضر بن الحرث استعجالا منه بالعذاب وقال ابن عباس يعني كتابنا والقط الصحيفة التي حصرت كل شئ قيل لما نزل في الحاقة فاما من أوتي كتابه بيمينه وأما من أوتي كتابه بشماله قالوا استهزاء عجل لنا كتابنا في الدنيا (قبل يوم الحساب) وقيل قطنا أي حسابنا يقال لكتاب الحساب قط وقيل القط كتاب الجوائز قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم (اصبر على ما يقولون) أي على

كان يصوم يوما ويفطر يوما وهو أشد الصوم ويقوم نصف الليل (اناسخرنا) ذللنا (الجبال معه) قيل كان تسخيرها انها تسير معه اذا أراد سيرها الى حيث يريد (يسبحن) في معنى مسبحات على الحال واختار يسبحن على مسبحات ليدل على حدوث التسبيح من الجبال شيأ بعد شئ وحالا بعد حال (بالعشي والاشراق) أي في طرفي النهار والعشي وقت العصر الى الليل والاشراق وقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس أي تضيء وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها تقول شرقت الشمس ولما تشرق وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت صلاة الضحى الابهذه الآية (والطير محشورة) وسخرنا الطير مجموعة من كل ناحية وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت فذلك حشرها (كل له أوّاب) كل واحد من الجبال والطير لاجل داود أي لاجل تسبيحه مسبح لانها كانت تسبح لتسبيحه ووضع الاواب موضع المسبح لان الاواب وهو التواب الكثير الرجوع الى الله وطلب مرضاته

ما يقول الكفار من التكذيب (واذكر عبدنا داود ذا الايد) قال ابن عباس ذا القوة في العبادة (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أحب الصيام الى الله تعالى صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما وأحب الصلاة الى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وقيل معناه ذا القوة في الملك (انه أوّاب) أي رجاع الى الله عز وجل بالتوبة عن كل ما يكره وقال ابن عباس مطيع لله عز وجل وقيل مسبح بلغة الحبشة (انا سخرنا الجبال معه يسبحن) أي بتسبيحه اذا سبح (بالعشي والاشراق) أي غدوة وعشية والاشراق هو أن تشرق الشمس ويتناهى ضوءها وفسره ابن عباس بصلاة الضحى وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس في قوله بالعشي والاشراق قال كنت أمر بهذه الآية لا أدري ماهي حتى حدثتني ام هانئ بنت أبي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى الضحى فقال يا أم هانئ ان هذه صلاة الاشراق قلت والذي أخرجاه في الصحيحين من حديث أم هانئ في صلاة الضحى قالت أم هانئ ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة بنته تستره بثوب فسلمت عليه فقال من هذه قلت أنا أم هانئ بنت أبي طالب فقال مرحبا بأم هانئ فلما فرغ من غسله قام وصلى ثمان ركعات ملتحفا بثوب قالت أم هانئ وذلك ضحى ولهما عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال ما حدثنا أحد أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى غير ام هانئ فانها قالت ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثمان ركعات فلم أر صلاة قط أخف منها غير انه يتم الركوع والسجود قوله تعالى (والطير) أي وسخرنا له الطير (محشورة) أي مجموعة اليه تسبح معه (كل له أوّاب) أي رجاع الى طاعته مطيع له بالتسبيح معه (وشددنا ملكه) أي قويناه بالحرس والجنود قال ابن عباس كان أشد ملوك الارض سلطانا كان يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل وروى عن ابن عباس ان رجلا من بني اسرائيل ادعى على رجل من عظمائهم عند داود عليه الصلاة والسلام فقال ان هذا غصبني بقرة فسأله داود فجحده فسأل الآخر البينة فلم يكن له بينة فقال لهما داود قوما حتى انظر في أمركما فاوحى الله الى داود في منامه ان يقتل المدعى عليه فقال هذه رؤيا ولست أعجل عليه حتى أتثبت فاوحى اليه مرة أخرى فلم يفعل فأوحى اليه الثالثة ان يقتله او تأتيه العقوبة فارسل اليه داود فقال ان الله عز وجل أوحى الي ان أقتلك فقال تقتلني بغير بينة فقال داود نعم والله لانفذن أمر الله فيك فلما عرف الرجل انه قاتله قال لا تعجل حتى أخبرك اني والله ما أخذت بهذا الذنب ولكني كنت اغتلت والد هذا فقتلته فبذلك أوخذت فامر به داود فقتل فاشتدت هيبة بني اسرائيل عند ذلك لداود واشتد به ملكه فذلك قوله تعالى وشددنا ملكه (وآتيناه الحكمة) يعني النبوة والاصابة في الامور

وقيل الضمير لله أي كل من داود والجبال والطير لله أواب أي مسبح مرجع للتسبيح (وشددنا ملكه) قويناه قيل كان يبيت حول محرابه ثلاثة وثلاثون ألف رجل يحرسونه (وآتيناه الحكمة) الزبور وعلم الشرائع وقيل

كل كلام وافق الحق فهو حكمة (وفصل الخطاب) علم القضاء وقطع الخصام والفصل بين الحق والباطل والفصل هو التمييز بين الشيئين وقيل للكلام البين فصل بمعنى المفصول كضرب الامير وفصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه وجاز ان يكون الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور والمراد بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفاسد والحق والباطل وهو كلامه في القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات وعن علي رضي الله عنه هو الحكم بالبينة على المدعي واليمين على المدعى عليه وهو من الفصل بين الحق والباطل وعن الشعبي هو قوله أما بعد وهو أول من قال أما بعد فان من تكلم في الامر الذي له شان يفتتح بذكر الله وتحميده فاذا أراد أن يخرج الى الغرض المسوق له فصل بينه وبين ذكر الله بقوله أما بعد (وهل أتاك نبأ الخصم) ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على انه من الانباء العجيبة والخصم الخصماء وهو يقع على الواحد والجمع لانه مصدر في الاصل تقول خصمه خصما وانتصاب (اذ) بمحذوف تقديره وهل أتاك نبأ تحاكم الخصم أو بالخصم لما فيه من معنى الفعل (تسوروا المحراب) تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع والمحراب الغرفة أو المسجد أو صدر المسجد

(وفصل الخطاب) قال ابن عباس يعني بيان الكلام وقال ابن مسعود علم الحكم والتبصر بالقضاء وقال علي بن أبي طالب هو ان البينة على المدعي واليمين على من أنكر لان كلام الخصوم ينقطع وينفصل به وقال ابي بن كعب فصل الخطاب الشهود والايمان وقيل ان فصل الخطاب هو قول الانسان بعد حمد الله تعالى والثناء عليه اما بعد اذا أراد الشروع في كلام آخر وأول من قاله داود عليه الصلاة والسلام قوله عز وجل (وهل أتاك) أي وقد أتاك يا محمد (نبأ الخصم) أي خبر الخصم فاستمع له نقصصه عليك وقيل ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على أنه من الاخبار العجيبة والتشويق الى استماع كلام الخصماء والخصم يقع على الواحد والجمع (اذ تسوروا المحراب) أي صعدوا وعلوا المحراب أي البيت الذي كان يدخل فيه داود ويشتغل بالطاعة والعبادة والمعنى انهم أتوا المحراب من سوره وهو أعلاه وفي الآية قصة امتحان داود عليه الصلاة والسلام ※ واختلف العلماء بأخبار الانبياء في سبب ذلك وسأذكر ما قاله المفسرون ثم اتبعه بفصل فيه ذكر نزاهة داود عليه الصلاة والسلام عما لا يليق بمنصبه صلى الله عليه وسلم لان منصب النبوة أشرف المناصب وأعلاها فلا ينسب اليها الا ما يليق بها ٣ وأما ما قاله المفسرون ان داود عليه الصلاة والسلام تمنى يوما من الايام منزلة آبائه ابراهيم واسحق ويعقوب وذلك انه كان قد قسم الدهر ثلاثة أيام يوم يقضي فيه بين الناس ويوم يخلو فيه لعبادة ربه عز وجل ويوم لنسائه واشغاله وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل ابراهيم واسحق ويعقوب فقال يا رب أرى الخير كله قد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي فاوحى الله اليه انهم ابتلوا ببلايا لم تبتل بها فصبروا عليها ابتلى ابراهيم عليه الصلاة والسلام بنمرود وذبح ابنه وابتلى اسحق بالذبح وبذهاب بصره وابتلى يعقوب بالحزن على يوسف فقال داود عليه الصلاة والسلام رب لو ابتليتني بمثل ما ابتليتهم صبرت أيضا فاوحى الله عز وجل اليه انك مبتلى في شهر كذا في يوم كذا فاحترس فلما كان اليوم الذي وعده الله به دخل داود محرابه واغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك اذ جاءه الشيطان وقد تمثل له في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن وجناحاها من الدر والزبرجد فوقعت بين رجليه فأعجبه حسنها فمد يده ليأخذها ويريها بني اسرائيل لينظروا الى قدرة الله تعالى فلما قصد أخذها طارت غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها فامتد اليها ليأخذها فتنحت فتبعها فطارت حتى وقعت في كوة فذهب ليأخذها فطارت من الكوة فنظر داود أين تقع فيبعث من يصيدها له فابصر امرأة في بستان على شاطئ بركة تغتسل وقيل رآها تغتسل على سطح لها فرآها من أجمل النساء خلقا فعجب داود من حسنها وحانت منها التفاتة فأبصرت ظله فنفضت شعرها فغطى بدنها فزاده ذلك اعجابا بها فسأل عنها فقيل هي تشايع بنت شايع امرأة أوريا بن حنانا وزوجها في غزاة بالبلقاء مع ايوب بن صوريا ابن أخت داود فكتب داود الى ابن أخته ان ابعث أوريا الى موضع كذا وقدمه

٣ قوله وأما ما قاله المفسرون الخ يعلم جوابه من الفصل الآتي وفي الكشاف بعد ذكر القصة قيل فهذا ونحوه مما يقبح ان يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من أفناء المسلمين فضلا عن بعض أعلام الانبياء اهـ

بل التابوت وكان من قدم على التابوت لا يحل له ان يرجع وراءه حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد فبعثه ففتح له فكتب الى داود بذلك فكتب اليه ان ابعثه الى عدو كذا وكذا أشد منه باسا فبعثه ففتح له فكتب الى داود بذلك فكتب اليه أن ابعثه الى عدو كذا وكذا أشد منه باسا فبعثه فقتل في المرة الثالثة فلما انقضت عدة المرأة تزوجها داود فهي أم سليمان عليه الصلاة والسلام وقيل ان داود أحب ان يقتل اوريا فيتزوج امرأته فهذا كان ذنبه وقال ابن مسعود كان ذنب داود انه التمس من الرجل ان ينزل له عن امرأته وقيل كان ذلك مباحا لهم غير ان الله عز وجل لم يرض لداود ذلك لانه رغبة في الدنيا وازدياد من النساء وقد أغناه الله تعالى عنها بما أعطاه من غيرها وقيل في سبب امتحان داود انه كان جزأ الدهر أجزاء يوما لنسائه ويوما للعبادة ويوما للحكم بين بني اسرائيل ويوما يذاكرهم ويذاكرونه ويبكيهم ويبكونه فلما كان يوم بني اسرائيل ذكروا فقالوا هل يأتي على الانسان يوم لا يصيب فيه ذنبا فاضمر داود في نفسه انه سيطيق ذلك وقيل انهم ذكروا فتنة النساء فاضمر داود في نفسه انه ان ابتلي اعتصم فلما كان يوم عبادته اغلق عليه الابواب وأمر ان لا يدخل عليه أحد وأكب على قراءة التوراة فبينما هو يقرأ اذ دخلت حمامة وذكر نحو ما تقدم فلما دخل بالمرأة لم يلبث الا يسيرا حتى بعث الله عز وجل الملكين اليه وقيل ان داود عليه السلام ما زال يجتهد في العبادة حتى برز له حافظاه من الملائكة فكانوا يصلون معه فلما استأنس بهم قال اخبروني بأي شيء أنتم موكلون قالوا نكتب صالح أعمالك ونوافقك ونصرف عنك السوء فقال في نفسه ليت شعري كيف أكون لو خلوني ونفسي وتمنى ذلك ليعلم كيف يكون فأوحى الله تعالى الى الملكين ان يعتزلاه ليعلم انه لا غنى له عن الله تعالى فلما فقدهم جد واجتهد في العبادة الى ان ظن انه قد غلب نفسه فأراد الله تعالى ان يعرفه ضعفه فارسل طائرا من طيور الجنة وذكر نحو ما تقدم وقيل ان داود قال لبني اسرائيل لاعدلن بينكم ولم يستثن فابتلي وقيل انه أعجبه عمله فابتلي فبعث الله اليه ملكين في صورة رجلين وذلك في يوم عبادته فطلبا ان يدخلا عليه فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب فما شعر الا وهما بين يديه جالسان وهو يصلي يقال كانا جبريل وميكائيل فذلك قوله عز وجل وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب (اذ دخلوا على داود ففزع منهم) أي خاف منهما حين هجما عليه في محرابه بغير اذنه فقال لهما من ادخلكما علي (قالوا لا تخف خصمان) اي نحن خصمان (بغى بعضنا على بعض) أي تعدى وخرج عن الحد جئناك لتقضي بيننا فان قلت اذا جعلتهما ملكين فكيف يتصور البغي منهما والملائكة لا يبغي بعضهم على بعض قلت هذا من معاريض الكلام لا على تحقيق البغي من احدهما والمعنى رأيت خصمين بغى احدهما على الآخر (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) اي لا تجر في حكمك (واهدنا الى سواء الصراط) اي ارشدنا الى طريق الحق

(اذ) بدل من الاولى (دخلوا على داود ففزع منهم) روي ان الله تعالى بعث اليه ملكين في صورة انسانين فطلبا ان يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم لانهم دخلوا عليه المحراب في غير يوم القضاء ولانهم نزلوا عليه من فوق وفي يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه (قالوا لا تخف خصمان) خبر مبتدا محذوف اي نحن خصمان (بغى بعضنا على بعض) تعدى وظلم (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) ولا تجر من الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطي الحق (واهدنا الى سواء الصراط) وأرشدنا الى وسط الطريق ومحجته والمراد عين الحق ومحضه روي ان أهل زمان داود عليه السلام كان يسأل بعضهم بعضا ان ينزل له عن امرأته فيتزوجها اذا أعجبته وكان لهم عادة في المواساة بذلك وكان الانصار يواسون المهاجرين بمثل ذلك فاتفق ان داود عليه السلام وقعت عينه على امرأة أوريا فاحبها فسأله النزول له عنها فاستحيى ان يرده ففعل فتزوجها وهي ام سليمان فقيل له انك مع عظم منزلتك وكثرة نسائك لم يكن ينبغي لك ان تسأل رجلا ليس له الا امرأة واحدة النزول عنها لك بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت به وقيل خطبها أوريا ثم خطبها داود فآثره أهلها فكانت زلته أن خطب على خطبة اخيه المؤمن مع كثرة نسائه وما يحكى انه بعث مرة بعد مرة أوريا الى غزوة البلقاء وأحب ان يقتل ليتزوجها فلا يليق من المتسمين بالصلاح من أفناء المسلمين فضلا عن بعض اعلام الانبياء وقال علي رضي الله عنه

من حدثكم بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الانبياء وروى انه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من أهل الحق فكذب المحدث به وقال ان كانت القصة على ما فى كتاب الله فما ينبغى ان يلتمس خلافها وأعظم بان يقال غير ذلك وان كانت على ما ذكرت وكف الله عنها سترا على نبيه فما ينبغى اظهارها عليه فقال عمر لسماعى هذا الكلام أحب الى مما طلعت عليه الشمس والذى يدل عليه المثل الذى ضربه الله بقصته عليه السلام ليس الا طلبه الى زوج المرأة ان ينزل له عنها فحسب وانما جاءت على طريق التمثيل والتعريض دون التصريح لكونها أبلغ فى التوبيخ من قبل ان التأمل اذا أداه الى الشعور بالمعرض به كان أوقع فى نفسه وأشد تمكنا من قلبه وأعظم أثرا فيه مع مراعاة حسن الادب بترك المجاهرة (ان هذا أخى) هو بدل من هذا أو خبر لان والمراد اخوة الدين أو اخوة الصداقة والالفة أو اخوة الشركة والخلطة لقوله وان كثيرا من الخلطاء (له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة) ولى حفص والنعجة كناية عن المرأة ولما كان هذا تصويرا ٤٤ للمسئلة وفرضا لها لا يمتنع أن يفرض الملائكة فى أنفسهم كما تقول لى أربعون شاة ولك أربعون فخلطناها وما لكما من الاربعين أربعة ولا ربعها (فقال أكفلنيها) ملكنيها وحقيقته اجعلنى أكفلها كما أكفل ما تحت يدى وعن ابن عباس رضى الله عنهما اجعلها كفلى أى نصيبى (وعزنى) وغلبنى يقال عزه يعزه (فى الخطاب) فى الخصومة اى انه كان أقدر على الاحتجاج منى وأراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل أو أراد خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبنى خطابا أى غالبنى فى الخطبة فغلبنى حيث زوجها دونى ووجه التمثيل أن مثلت قصة أوريا مع داود بقصة رجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون فاراد صاحبه تتمة المائة فطمع فى نعجة خليطه وأراده على الخروج من ملكها اليه داود وحاجه فى ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده وانما كان ذلك على وجه التحاكم اليه ليحكم بما حكم به من قوله (قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه) حتى يكون محجوجا بحكمه وهذا جواب قسم محذوف وفى ذلك استنكار لفعل خليطه والسؤال مصدر مضاف الى المفعول وقد ضمن معنى الاضافة فعدى تعديتها كأنه قيل باضافة نعجتك الى نعاجه على وجه السؤال والطلب وانما ظلم الآخر بعد ما اعترف به خصمه ولكنه لم يحك فى القرآن لانه معلوم ويروى انه قال انا أريد ان آخذها منه واكمل نعاجى مائة فقال داود ان رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا وأشار الى طرف الانف والجبهة فقال يا داود أنت أحق ان يضرب منك هذا وهذا وأنت فعلت كيت وكيت ثم نظر داود فلم ير أحدا فعرف ما وقع فيه (وان كثيرا من الخلطاء) الشركاء والاصحاب (ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) المستثنى منصوب وهو من الجنس والمستثنى منه بعضهم (وقليل ماهم) ما للابهام وهم مبتدأ وقليل خبره (وظن داود) اى علم وايقن وانما استعير له لان الظن الغالب يدانى العلم (أنما فتناه) ابتليناه

والصواب فقال لهما داود تكلما فقال احدهما (ان هذا أخى) اى على دينى وطريقتى لا من جهة النسب (له تسع وتسعون نعجة) يعنى امرأة (ولى نعجة واحدة) اى امرأة واحدة والعرب تكنى بالنعجة عن المرأة وهذا على سبيل التعريض للتنبيه والتفهيم لانه لم يكن هناك نعاج ولا بغى (فقال أكفلنيها) قال ابن عباس أى أعطنيها وقيل معناه انزل لى عنها وضمها الى واجعلنى كافلها والمعنى طلقها لأتزوجها (وعزنى فى الخطاب) يعنى غلبنى وقهرنى فى القول لانه أفصح منى فى الكلام وان حارب كان أبطش منى لقوة ملكه والمعنى ان الغلبة كانت له على لضعفى فى يده وان كان الحق معى وهذا كله تمثيل لامر داود مع أوريا زوج المرأة التى تزوجها داود حيث كان لداود تسع وتسعون امرأة ولاوريا امرأة واحدة فضمها داود الى نسائه (قال) داود (لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه) أى بضمها الى نعاجه فان قلت كيف قال داود لقد ظلمك ولم يكن سمع قول الآخر قلت معناه ان كان الامر كما تقول فقد ظلمك وقيل انما قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بقول (وان كثيرا من الخلطاء) أى الشركاء (ليبغى بعضهم على بعض) أى يظلم بعضهم بعضا (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم لا يظلمون أحدا (وقليل ماهم) أى هم قليل وما صلة والمعنى أن الصالحين الذين لا يظلمون قليل فلما قضى داود بينهما نظر أحدهما الى صاحبه وضحك وصعدا الى السماء فعلم داود أن الله تعالى ابتلاه فذلك قوله تعالى (وظن داود) أى أيقن وعلم (أنما فتناه) أى ابتليناه وامتحناه وقال ابن عباس ان

داود لما دخل عليه الملكان فقضى على نفسه تحولا فى صورتهما وعرجا وهما يقولان قضى الرجل على نفسه فعلم داود انه المعنى به وروى البغوى باسناد الثعلبى عن أنس ابن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان داود النبى صلى الله عليه وسلم حين نظر الى المرأة فهم فقطع على بنى اسرائيل أوصى صاحب البعث فقال اذا حضر العدو فقرب فلانا بين يدى التابوت وكان التابوت فى ذلك الزمان يستنصر به ومن قدم بين يدى التابوت لم يرجع حتى يقتل أو يهزم عنه الجيش فقتل زوج المرأة ونزل الملكان يقصان عليه قصته ففطن داود فسجد فمكث أربعين ليلة ساجدا حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه وأكلت الارض من جبهته وهو يقول فى سجوده رب زل داود زلة أبعد ما بين المشرق والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود ولم تغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثا فى الخلق من بعده فجاءه جبريل من بعد أربعين ليلة فقال يا داود ان الله تعالى قد غفر لك الهم الذى هممت به فقال داود ان الرب قادر على ان يغفر لى الهم الذى هممت به وقد عرفت ان الله عدل لا يميل فكيف بفلان اذا جاء يوم القيامة فقال رب دمى الذى عند داود فقال جبريل ما سألت ربك عن ذلك وان شئت لافعلن قال نعم فعرج جبريل وسجد داود ما شاء الله تعالى ثم نزل جبريل عليه الصلاة والسلام فقال سألت الله يا داود عن الذى أرسلتنى فيه فقال قل لداود ان الله تعالى يجمعكما يوم القيامة فيقول له هب لى دمك الذى عند داود فيقول هولك يارب فيقول الله تعالى فان لك فى الجنة ما شئت وما اشتهيت عوضا عن دمك فهذه أقاويل السلف من أهل التفسير فى قصة امتحان داود

(فصل) فى تنزيه داود عليه الصلاة والسلام عما لا يليق به وما ينسب اليه اعلم أن من خصه الله تعالى بنبوته وأكرمه برسالته وشرفه على كثير من خلقه وائتمنه على وحيه وجعله واسطة بينه وبين خلقه لا يليق ان ينسب اليه مالو نسب الى آحاد الناس لاستنكف ان يحدث به عنه فكيف يجوز ان ينسب الى بعض اعلام الانبياء والصفوة الامناء ذلك روى سعيد بن المسيب والحرث الاعور عن على بن أبى طالب رضى الله عنه انه قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة وهو حد الفرية على الانبياء وقال القاضى عياض لا يجوز ان يلتفت الى ما سطره الاخباريون من أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله تعالى على شئ من ذلك ولا ورد فى حديث صحيح والذى نص عليه الله فى قصة داود وظن داود أنما فتناه وليس فى قصة داود وأوريا خبر ثابت ولا يظن بنبى محبة قتل مسلم وهذا هو الذى ينبغى أن يعول عليه من أمر داود وقال الامام فخر الدين حاصل القصة يرجع الى السعى فى قتل رجل مسلم بغير حق والى الطمع فى زوجته وكلاهما منكر عظيم فلا يليق بعاقل أن يظن بداود عليه الصلاة والسلام هذا وقال غيره ان الله تعالى أثنى على داود قبل هذه القصة وبعدها وذلك يدل على استحالة ما نقلوه من القصة فكيف يتوهم عاقل أن يقع بين مدحين ذم ولو جرى ذلك من بعض الناس فى كلامه لاستهجنه العقلاء ولقالوا أنت فى مدح شخص كيف تجرى ذمه اثناء مدحك والله تعالى منزه عن مثل هذا فى كلامه

القديم فان قلت فى الآية مايدل على صدور الذنب منه وهو قوله تعالى وظن داود أنما فتناه وقوله فاستغفر ربه وقوله وأناب وقوله فغفرنا له ذلك قلت ليس فى هذه الالفاظ شئ مما يدل على ذلك وذلك لان مقام النبوة أشرف المقامات وأعلاها فيطالبون بأكمل الاخلاق والاوصاف واسناها فاذا نزلوا من ذلك الى طبع البشرية عاتبهم الله تعالى على ذلك وغفره لهم كما قيل حسنات الابرار سيآت المقربين فان قلت فعلى هذا القول والاحتمال فما معنى الامتحان فى الآية قلت ذهب المحققون من علماء التفسير وغيرهم فى هذه القصة الى أن داود عليه الصلاة والسلام مازاد على أن قال للرجل انزل لى عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه الله تعالى على ذلك ونبهه عليه وأنكر عليه شغله بالدنيا وقيل ان داود تمنى أن تكون امرأة اوريا له فاتفق ان أوريا هلك فى الحرب فلما بلغ داود قتله لم يجزع عليه كما جزع على غيره من جنده ثم تزوج امرأته فعاتبه الله تعالى على ذلك لان ذنوب الانبياء وان صغرت فهى عظيمة عند الله تعالى وقيل ان أوريا كان قد خطب تلك المرأة ووطن نفسه عليها فلما غاب فى غزاته خطبها داود فزوجت نفسها منه لجلالته فاغتم لذلك أوريا فعاتبه الله تعالى على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة لخاطبها وعنده تسع وتسعون امرأة ويدل على صحة هذا الوجه قوله وعزنى فى الخطاب فدل هذا على ان الكلام كان بينهما فى الخطبة ولم يكن قد تقدم تزوج أوريا لها فعوتب داود بسببين أحدهما خطبته على خطبة أخيه والثانى اظهار الحرص على التزوج مع كثرة نسائه وقيل ان ذنب داود الذى استغفر منه ليس هو بسبب أوريا والمرأة وانما هو بسبب الخصمين وكونه قضى لاحدهما قبل سماع كلام الآخر وقيل هو قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه فحكم على خصمه بكونه ظالما بمجرد الدعوى فلما كان هذا الحكم مخالفا للصواب اشتغل داود بالاستغفار والتوبة فثبت بهذه الوجوه نزاهة داود عليه الصلاة والسلام مما نسب اليه والله أعلم وقوله عز وجل (فاستغفر ربه) أى سأل ربه الغفران (وخر راكعا) أى ساجدا عبر بالركوع عن السجود لان كل واحد منهما فيه انحناء وقيل معناه وخر ساجدا بعدما كان راكعا والله تعالى أعلم بمراده

(فصل) اختلف العلماء فى سجدة ص هل هى من عزائم السجود فذهب الشافعى رحمه الله تعالى الى انها ليست من عزائم سجود التلاوة وقال لانها توبة نبى فلا توجب سجدة التلاوة وقال أبو حنيفة هى من عزائم سجود التلاوة واستدل بهذه الآية على ان الركوع يقوم مقام السجود فى سجود التلاوة وعن أحمد فى سجدة ص روايتان وقد ثبت ان النبى صلى الله عليه وسلم سجد فيها (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال سجدة ص ليست من عزائم السجود وقد رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يسجد فيها قال مجاهد قلت لابن عباس أأسجد فى ص فقرأ ومن ذريته داود وسليمان حتى أتى فبهداهم اقتده وقال نبيكم ممن أمر أن يقتدى بهم فسجدها داود فسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وللنسائى عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم سجد فى ص وقال سجدها داود توبة ونسجدها شكرا * عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قرأ رسول الله

(فاستغفر ربه) لزلته (وخر راكعا) اى سقط على وجهه ساجدا لله وفيه دليل على ان الركوع يقوم مقام السجود فى الصلاة اذا نوى لان المراد مجرد ما يصلح تواضعا عند هذه التلاوة والركوع فى الصلاة يعمل هذا العمل بخلاف الركوع فى غير الصلاة

صلى الله عليه وسلم سورة ص وهو على المنبر فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما كان في يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تشوف الناس للسجود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هي توبة نبي ولكني رأيتكم تشوفتم فنزل وسجد وسجدوا أخرجه أبو داود قوله تشوف الناس يعني تهيؤا وتأهبوا واستعدوا للسجود وعن ابن عباس قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله رأيتني الليلة وأنا نائم كأني أصلي خلف شجرة فسجدت فسجدت الشجرة لسجودي فسمعتها تقول اللهم اكتب لي بها اجرا وحط عني بها وزرا واجعلها لي عندك ذخرا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود عليه الصلاة والسلام قال ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ سجدة ثم سجد فقال مثل ما اخبره الرجل عن قول الشجرة اخرجه الترمذي قال المفسرون سجد داود اربعين يوما لا يرفع رأسه الا لحاجة أو لوقت صلاة مكتوبة ثم يعود ساجدا تمام أربعين يوما لا يأكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادي ربه عز وجل ويسأله التوبة وكان من دعائه في سجوده سبحان الملك الاعظم الذي يبتلي الخلق بما يشاء سبحان خالق النور سبحان الحائل بين القلوب سبحان خالق النور الهي خليت بيني وبين عدوي ابليس فلم أقم لفتنته اذ نزلت بي سبحان خالق النور الهي أنت خلقتني وكان في سابق علمك ما أنا اليه صائر سبحان خالق النور الهي الويل لداود يوم يكشف عنه الغطاء فيقال هذا داود الخاطئ سبحان خالق النور الهي بأي عين انظر اليك يوم القيامة وانما ينظر الظالمون من طرف خفي سبحان خالق النور الهي بأي قدم اقوم أمامك يوم القيامة يوم تزل اقدام الخاطئين سبحان خالق النور الهي من أين يطلب العبد المغفرة الا من عند سيده سبحان خالق النور الهي أنا لا أطيق حر شمسك فكيف أطيق حر نارك سبحان خالق النور الهي أنا لا أطيق صوت رعدك فكيف أطيق صوت جهنم سبحان خالق النور الهي الويل لداود من الذنب العظيم الذي أصابه سبحان خالق النور الهي كيف تستتر الخطاؤن بخطاياهم دونك وأنت شاهدهم حيث كانوا سبحان خالق النور الهي قد تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي سبحان خالق النور الهي اغفر لي ذنوبي ولا تباعدني من رحمتك لهواي سبحان خالق النور الهي أعوذ بوجهك الكريم من ذنوبي التي أوبقتني سبحان خالق النور الهي فررت اليك بذنوبي واعترفت بخطيئتي فلا تجعلني من القانطين ولا تخزني يوم الدين سبحان خالق النور وقيل مكث داود اربعين يوما لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموع عينيه حتى غطى رأسه فنودي يا داود أجائع أنت فتطعم أظمآن أنت فتسقى أمظلوم أنت فتنصر فلم يجب في غير ما طلب ولم يجب في ذكر خطيئته بشيء فنحب نحبة هاج ما حوله من العشب فاحترق من حر جوفه ثم أنزل الله تعالى له التوبة والمغفرة قال وهب ان داود نودي يا داود اني قد غفرت لك قال يا رب كيف وأنت لا تظلم أحدا قال اذهب الى قبر أوريا فناده وأنا أسمعه نداءك فتحلل منه قال فانطلق داود وقد لبس المسوح حتى جلس عند قبره ثم نادى يا أوريا فقال من هذا الذي قطع علي لذتي وأيقظني قال أنا داود قال

ماجاءبك يانبي الله قال أسألك أن تجعلني في حل مما كان مني اليك قال وما كان منك الى
قال عرضتك للقتل قال بل عرضتني للجنة فأنت في حل فاوحى الله تعالى اليه ياداود ألم
تعلم أني حكم عدل لاأقضي بالتعنت ألاأعلمته انك قد تزوجت امرأته قال فرجع فناداه
فاجابه فقال من هذا الذي قطع على لذتي وأيقظني قال أنا داود قال ماجاءبك يانبي الله
الس قد عفوت عنك قال نعم ولكن انما فعلت ذلك بك لمكان امرأتك وقد تزوجتها
قال فسكت ولم يجبه ودعاه مرة فلم يجبه وعاوده فلم يجبه فقام عند قبره وجعل التراب على
رأسه ثم نادى الويل لداود ثم الويل الطويل لداود اذا وضعت الموازين بالقسط سبحان
خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين الى
النار سبحان خالق النور فأتاه نداء من السماء ياداود قد غفرت لك ذنبك ورحمت بكاءك
واستجبت دعاءك وأقلت عثرتك قال يارب كيف وصاحبي لم يعف عني قال يا داود
أعطيه يوم القيامة من الثواب مالم ترعيناه ولم تسمع أذناه فاقول له رضيت عبدي فيقول
يارب من أين لي هذا ولم يبلغه عملي فاقول هذا عوض من عبدي داود فاستوهبك منه
فيهبك لي قال يارب الآن قد عرفت أنك قد غفرت لي فذلك قوله فاستغفر ربه وخر
راكعا (وأناب) أي رجع (فغفرنا له ذلك) أي الذنب (وان له عندنا) أي يوم القيامة
بعد المغفرة (لزلفى) أي لقربة ومكانة (وحسن مآب) أي حسن مرجع ومنقلب قال
وهب بن منبه ان داود عليه الصلاة والسلام لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين
سنة لا يرقأ دمعه ليلا ولا نهارا وكان أصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة فقسم الدهر بعد
الخطيئة على أربعة أيام يوم للقضاء بين بني اسرائيل ويوم لنسائه ويوم يسيح في الجبال
والفيافي والساحل ويوم يخلو في دار له فيها أربعة آلاف محراب فيجتمع اليه الرهبان
فينوح معهم على نفسه ويساعدونه على ذلك فاذا كان يوم سياحته يخرج
الى الفيافي ويرفع صوته بالمزامير فيبكي وتبكي الشجر والرمال والطير والوحوش حتى
يسيل من دموعهم مثل الانهار ثم يجيء الى الجبال ويرفع صوته ويبكي وتبكي معه
الجبال والحجارة والطير والدواب حتى تسيل من بكائهم الاودية ثم يجيء الى الساحل
فيرفع صوته ويبكي فتبكي معه الحيتان ودواب البحر وطين الماء فاذا أمسى رجع فاذا
كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه ان اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضره
من يساعده ويدخل الدار التي فيها المحاريب فيبسط فيها ثلاث فرش من مسوح
حشوها ليف فيجلس عليها ويجيء أربعة آلاف راهب عليهم البرانس وفي أيديهم
العصي فيجلسون في تلك المحاريب ثم يرفع داود عليه الصلاة والسلام صوته بالبكاء
والنوح على نفسه ويرفع الرهبان معه أصواتهم فلا يزال يبكي حتى تغرق الفرش من
دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب فيجيء ابنه سليمان فيحمله ويأخذ داود
من تلك الدموع بكفيه ويمسح بها وجهه ويقول يارب اغفر ما ترى فلو عادل بكاء داود
بكاء أهل الدنيا لعدله وعن الاوزاعي مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل
عيني داود عليه الصلاة والسلام كالقربتين ينطفان ماء ٣ ولقد خدت الدموع في وجهه

(وأناب) ورجع الى الله بالتوبة
وقيل انه بقي ساجدا اربعين
يوما وليلة لا يرفع رأسه الا
لصلاة مكتوبة اولما لا بد منه
ولا يرقأ دمعه حتى نبت العشب
من دمعه ولم يشرب ماء الا وثلثاه
دمع (فغفرنا له ذلك) اى زلته
(وان له عندنا لزلفى) لقربة
(وحسن مآب) مرجع وهو
الجنة

٣ قوله ينطفان أي يسيلان فليحرر

(ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض) أى استخلفناك على الملك فى الارض أوجعلناك خليفة ممن كان قبلك من الانبياء القائمين بالحق وفيه دليل على ان حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغير (فاحكم بين الناس بالحق) أى بحكم الله اذ كنت خليفته أوبالعدل (ولا تتبع الهوى) أى هوى النفس فى قضائك (فيضلك) الهوى (عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله) دينه (لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) أى بنسيانهم يوم الحساب (وماخلقنا السماء والارض ومابينهما) من الخلق (باطلا) خلقا باطلا لا لحكمة بالغة أومبطلين عابثين كقوله وماخلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين وتقديره ذوى باطل أوعبثا فوضع باطلا موضعه أى ماخلقناهما ومابينهما للعبث واللعب ولكن للحق المبين وهو انا خلقنا نفوسا أودعناها العقل ومنحناها التمكين وأزحنا عللها ثم عرضناها للمنافع العظيمة بالتكليف واعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب أعمالهم (ذلك) اشارة الى خلقها باطلا (ظن الذين كفروا) الظن بمعنى المظنون أى خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا وانما جعلوا ظانين انه خلقها للعبث لا للحكمة مع اقرارهم بانه خالق السموات والارض ومابينهما لقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لانه لما كان انكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب مؤديا الى أن خلقها عبث وباطل جعلوا كانهم يظنون ذلك ويقولونه لان الجزاء هو الذى سيقت اليه الحكمة فى خلق العالم فمن جحده فقد جحد الحكمة فى خلق العالم (فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار) أم منقطعة ومعنى الاستفهام فيها الانكار والمراد أنه لو بطل الجزاء كما يقول الكفار لاستوت أحوال من أصلح وأفسد واتقى وفجر ومن سوى بينهم كان سفيها ولم يكن حكيما (كتاب) أى هذا كتاب (أنزلناه اليك) يعنى القرآن (مبارك) صفة أخرى (ليدبروا آياته) وأصله ليتدبروا وقرئ به ومعناه ليتفكروا فيها فيقفوا على مافيه ويعملوا به وعن الحسن قد قرأ هذا القرآن

تحديد الماء فى الارض وقال وهب لما تاب الله تعالى على داود قال يارب غفرت لى فكيف لى ان لا أنسى خطيئتى فأستغفر منها وللخاطئين الى يوم القيامة قال فوسم الله تعالى خطيئته فى يده اليمنى فما رفع فيها طعاما ولا شرابا الا بكى اذا رآها وما قام خطيبا فى الناس الا وبسط راحته فاستقبل بها الناس ليروا وسم خطيئته وكان يبدأ اذا دعا واستغفر بالخاطئين قبل نفسه وعن الحسن قال كان داود عليه الصلاة والسلام بعد الخطيئة لا يجالس الا الخاطئين يقول تعالوا الى داود الخاطئ ولا يشرب شرابا الا مزجه بدموع عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس فى قصعة فلا يزال يبكى عليه حتى يبتل بدموع عينيه وكان يذر عليه الملح والرماد فيأكل و يقول هذا اكل الخاطئين قال وكان داود عليه الصلاة والسلام قبل الخطيئة يقوم نصف الليل و يصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله وقال ثابت كان داود اذا ذكر عقاب الله انخلعت أوصاله فلا يشدها الا الأسر واذا ذكر رحمة الله تراجعت وقيل ان الوحوش والطير كانت تستمع الى قراءته فلما فعل ما فعل كانت لا تصغى الى قراءته وقيل انها قالت ياداود ذهبت خطيئتك بحلاوة صوتك قوله عز وجل (ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض) أى لتدبر أمر الناس بامرنا فذ الحكم فيهم (فاحكم بين الناس بالحق) أى بالعدل (ولا تتبع الهوى) أى لا تمل مع ما تشتهى اذا خالف أمر الله تعالى (فيضلك عن سبيل الله) أى عن دين الله وطريقه (ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) أى بما تركوا الايمان بيوم الحساب وقيل بتركهم العمل لذلك اليوم وقيل بترك العدل فى القضاء قوله تعالى (وماخلقنا السماء والارض ومابينهما باطلا) قال ابن عباس لا لثواب ولا لعقاب وقيل معناه ماخلقناهما عبثا لا لشئ (ذلك ظن الذين كفروا) يعنى اهل مكة هم الذين ظنوا انما خلقناهم لغير شئ وانه لا بعث ولا حساب (فويل للذين كفروا من النار ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض) قيل ان كفار قريش قالوا للمؤمنين انما نعطى فى الآخرة من الخير ما تعطون فنزلت هذه الآية (ام نجعل المتقين) يعنى الذين اتقوا الشرك وهم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (كالفجار) يعنى الكفار والمعنى لا نجعل الفريقين سواء فى الآخرة (كتاب انزلناه اليك) اى هذا كتاب يعنى القرآن انزلناه اليك (مبارك) اى كثير خيره ونفعه (ليدبروا آياته) اى ليتدبروا ويتفكروا فى أسراره العجيبة

هبيدة وصبيان لا علم لهم بتأويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده لتدبروا على الخطاب بحذف احدى التاءين يزيد (وليتذكر أولوا الالباب) وليتعظ بالقرآن أولو العقول (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد) أي سليمان وقيل داود وليس بالوجه فالمخصوص بالمدح محذوف (انه أوّاب) وعلل كونه ممدوحا بكونه أوابا أي كثير الرجوع الى الله تعالى (اذ عرض عليه) على سليمان (بالعشى) بعد الظهر (الصافنات) الخيول القائمة على ثلاث قوائم وقد أقامت الاخرى على طرف حافر (الجياد) السراع جمع جواد لانه يجود بالركض وصفها بالصفون لانه لا يكون في الهجان وانما هو في العراب وقيل وصفها بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعني اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها واذا جرت كانت سراعا خفافا في جريها وقيل الجياد الطوال الاعناق من الجيد وروى ان سليمان عليه السلام غزا أهل دمشق ونصيبين فاصاب الف فرس وقيل ورثها من ابيه واصابها ابوه من العمالقة وقيل خرجت من البحر لها اجنحة فقعد يوما بعد ما صلى الظهر على كرسيه واستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر وكانت فرضا عليه فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها تقربا لله وبقي مائة فما في ايدي الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها ابدله الله خيرا منها وهي الريح تجري بامره (فقال اني أحببت حب الخير عن ذكر ربي) أي آثرت حب الخيل على ذكر ربي كذا عن الزجاج فاحببت بمعنى آثرت كقوله تعالى فاستحبوا العمى على الهدى وعن بمعنى على وسمى الخيل خيرا كأنها نفس الخير لتعلق الخير بها كما قال عليه السلام الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة وقال ابو علي احببت بمعنى جلست من احباب البعير وهو بروكه حب الخير أي المال مفعول له عن

مضاف الى المفعول (حتى توارت) الشمس (بالحجاب) والذي دل على ان الضمير للشمس مرور ذكر العشى ولا بد للضمير من جرى ذكر أو دليل ذكر أو الضمير للصافنات أي حتى توارت بحجاب الليل يعني الظلام (ردوها على) اي قال للملائكة ردوا الشمس على لاصلي العصر فردت الشمس له وصلى العصر او ردوا الصافنات (فطفق مسحا بالسوق والاعناق) فجعل يمسح مسحا اي يمسح السيف بسوقها وهي جمع ساق كدار ودور واعناقها يعني يقطعها لانها منعته عن الصلاة تقول مسح علاوته اذا ضرب عنقه ومسح المسفر الكتاب اذا قطع اطرافه بسيفه وقيل انما فعل ذلك كفارة لها او شكرا لرد الشمس وكانت الخيل مما كوله في شريعته فلم يكن اتلافا وقيل مسحها بيده استحسانا لها واعجابا بها

ومعانيه اللطيفة وقيل تدبر آياته اتباعه في اوامره ونواهيه (وليتذكر) اي وليتعظ (اولوا الالباب) اي ذووا العقول والبصائر قوله تعالى (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اوّاب اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد) قيل ان سليمان عليه الصلاة والسلام غزا اهل دمشق ونصيبين فاصاب منهم ما اصاب وهو الف فرس وقيل ورثها من ابيه وقيل انها كانت خيلا من البحر لها اجنحة فصلى سليمان عليه الصلاة والسلام الصلاة الاولى التي هي الظهر وقعد على كرسيه وهي تعرض عليه فعرض عليه منها تسعمائة فرس فتنبه لصلاة العصر فاذا الشمس قد غربت وفاتت الصلاة ولم يعلم بذلك هيبة له فاغتم لذلك وقال ردوها على فاقبل فضرب سوقها واعناقها بالسيف تقربا الى الله تعالى وطلبا لمرضاته حيث اشتغل بها عن طاعته وكان ذلك مباحا له وان كان حراما علينا وبقي منها مائة فرس فالذي في ايدي الناس من الخيل يقال انه من نسل تلك المائة فلما عقرها لله تعالى ابدله الله تعالى خيرا منها واسرع وهي الريح تجري بامره كيف شاء وقوله تعالى اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد قيل هي الخيل القائمة على ثلاث قوائم مقيمة الرابعة على طرف الحافر من رجل او يد وقيل الصافن القائم وجاء في الحديث من سره ان يقوم له الناس صفونا فليتبوأ مقعده من النار اي قياما الجياد اي الخيار السراع في الجري واحدها جواد قال ابن عباس يريد الخيل السوابق (فقال اني احببت حب الخير) اي آثرت حب الخير واراد بالخير الخيل سميت به لانه معقود في نواصيها الخير الاجر والغنيمة وقيل حب الخير يعني المال ومنه الخيل التي عرضت عليه (عن ذكر ربي) يعني صلاة العصر (حتى توارت) اي استترت الشمس (بالحجاب) اي بما يحجبها عن الابصار يقال ان الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه (ردوها على) اي ردوا الخيل على (فطفق مسحا بالسوق) جمع ساق (والاعناق) اي جعل يضرب سوقها واعناقها بالسيف هذا قول ابن عباس واكثر المفسرين وكان ذلك مباحا له لان نبي الله سليمان لم يكن ليقدم على محرم ولم يكن ليتوب

عن ذنب وهو ترك الصلاة بذنب آخر وهو عقر الخيل وقال محمد بن اسحق لم يعنفه الله تعالى على عقره الخيل اذ كان ذلك أسفا على ما فاته من فريضة ربه عز وجل وقيل انه ذبحها وتصدق بلحومها وقيل معناه انه حبسها في سبيل الله تعالى وكوى سوقها واعناقها بكي الصدقة وحكي عن علي رضي الله تعالى عنه انه قال معنى ردوها علي يقول بامر الله تعالى للملائكة الموكلين بالشمس ردوها علي فردوها عليه فصلى العصر في وقتها قال الامام فخر الدين بل التفسير الحق المطابق لالفاظ القرآن ان نقول ان رباط الخيل كان مندوبا اليه في دينهم كما أنه كذلك في ديننا ثم ان سليمان عليه الصلاة والسلام احتاج الى غزو فجلس وأمر باحضار الخيل وأمر باجرائها وذكر اني لا أحبها لاجل الدنيا ونصيب النفس وانما أحبها لامر الله تعالى وتقوية دينه وهو المراد بقوله عن ذكر ربي ثم انه عليه الصلاة والسلام أمر باعدائها واجرائها حتى توارت بالحجاب أي غابت عن بصره ثم أمر برد الخيل اليه وهو قوله ردوها علي فلما عادت اليه طفق يمسح سوقها واعناقها والغرض من ذلك المسح أمور الاول تشريفا لها لكونها من أعظم الاعوان في دفع العدو الثاني انه أراد أن يظهر انه في ضبط السياسة والمملكة يبلغ الى أنه يباشر الامور بنفسه الثالث انه كان أعلم باحوال الخيل وأمراضها وعيوبها من غيره فكان يمسح سوقها واعناقها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض فهذا التفسير الذي ذكرناه ينطبق عليه لفظ القرآن ولا يلزمنا شيء من تلك المنكرات والمحظورات والعجب من الناس كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة فان قيل فالجمهور قد فسروا الآية بتلك الوجوه فما قولك فيه فنقول لنا ههنا مقامان المقام الاول ان ندعي ان لفظ الآية لا يدل على شيء من تلك الوجوه التي ذكروها وقد ظهر والحمد لله أن الامر كما ذكرنا ظهورا لا يرتاب عاقل فيه المقام الثاني أن يقال هب ان لفظ الآية يدل عليه الا أنه كلام ذكره الناس وان الدلائل الكثيرة قد قامت على عصمة الانبياء ولم يدل دليل على صحة هذه الحكايات قوله عز وجل (ولقد فتنا سليمان) أي اختبرناه وابتليناه بسلب ملكه وكان سبب ذلك ما ذكر عن وهب بن منبه قال سمع سليمان بمدينة في جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون وبها ملك عظيم الشان ولم يكن للناس اليه سبيل لمكانه في البحر وكان الله تعالى قد آتى سليمان في ملكه سلطانا لا يمتنع عليه شيء في بر ولا بحر انما يركب اليه الريح فخرج الى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء حتى نزل بها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها وسبى ما فيها وأصاب فيما أصاب بنتا لذلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها الى الاسلام فأسلمت على جفاء منها وقلة فقه وأحبها حبا لم يحبه شيئا من نسائه وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقأ دمعها فشق ذلك على سليمان فقال لها ويحك ما هذا الحزن الذي لا يذهب والدمع الذي لا يرقأ قالت اني أذكر أبي وأذكر ملكه وما كان فيه وما أصابه فيحزنني ذلك فقال سليمان فقد أبدلك الله به ملكا هو أعظم من ملكه وسلطانا أعظم من سلطانه وهداك الى الاسلام وهو خير من ذلك قالت ان ذلك كذلك ولكني

(ولقد فتنا سليمان) ا

اذاذكرته أصابني ماتراه من الحزن فلو أنك أمرت الشياطين فصوروا لى صورته فى دارى
التى أنا فيها أراها بكرة وعشيا لرجوت أن يذهب ذلك حزنى وان يسلى عنى بعض ما أجد
فى نفسى فامر سليمان الشياطين فقال مثلوا لها صورة أبيها فى دارها حتى لا تنكر منه
شيأ فمثلوه لها حتى نظرت الى أبيها بعينه الا انه لا روح فيه فعمدت اليه حين صنعوه
فالبسته ثيابا مثل ثيابه التى كان يلبسها ثم كانت اذا خرج سليمان من دارها تغدو اليه
فى ولائدها فتسجد له و يسجدن معها كما كانت تصنع فى ملكه وتروح فى كل عشية بمثل
ذلك وسليمان لا يعلم بشئ من ذلك أربعين صباحا و بلغ ذلك آصف بن برخيا وكان
صديقا له وكان لا يرد عن أبواب سليمان اى ساعة اراد دخول شئ من بيوته دخل
حاضرا سليمان او غائبا فأتاه فقال يا نبى الله كبر سنى ورق عظمى ونفد عمرى وقد حان
منى الذهاب وقد احببت أن اقوم مقاما قبل الموت اذكر فيه من مضى من انبياء الله
تعالى وأثنى عليهم بعلمى فيهم واعلم الناس بعض ما كانوا يجهلون من كثير امرهم فقال
افعل فجمع له سليمان الناس فقام فيهم خطيبا فذكر من مضى من انبياء الله تعالى
وأثنى على كل نبى بما فيه وذكر ما فضله الله تعالى به حتى انتهى الى سليمان فقال ما
كان احكمك فى صغرك واورعك فى صغرك وافضلك فى صغرك واحكم امرك فى
صغرك وابعدك عن كل ما يكره الله تعالى فى صغرك ثم انصرف فوجد سليمان فى
نفسه من ذلك حتى ملئ غضبا فلما دخل سليمان داره دعاه فقال يا آصف ذكرت من
مضى من انبياء الله تعالى فاثنيت عليهم خيرا فى كل زمانهم وعلى كل حال من امرهم فلما
ذكرتنى جعلت تثنى على خيرا فى صغرى وسكت عما سوى ذلك من امرى فى كبرى فما
الذى احدثت فى آخر عمرى فقال آصف ان غير الله يعبد فى دارك منذ أربعين صباحا فى
هوى امرأة فقال سليمان فى دارى قال فى دارك قال فانا لله وانا اليه راجعون قد عرفت انك
ما قلت الذى قلت الا عن شئ بلغك ثم رجع سليمان الى داره فكسر ذلك الصنم وعاقب
تلك المرأة وولائدها ثم امر بثياب الطهيرة فاتى بها وهى ثياب لا يغزلها الا الابكار ولا
ينسجها الا الابكار ولا يغسلها الا الابكار لم تمسها يد امرأة قد رأت الدم فلبسها ثم خرج الى
فلاة من الارض وحده وامر برماد ففرش له ثم اقبل تائبا الى الله تعالى حتى جلس على
ذلك الرماد وتمعك به فى ثيابه تذللا الى الله تعالى وتضرعا اليه يبكى ويدعو ويستغفر
مما كان فى داره فلم يزل كذلك يومه حتى امسى ثم رجع الى داره وكانت له ام ولد يقال لها
امينة كان اذا دخل الخلاء او اراد اصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر
وكان لا يمس خاتمه الا وهو طاهر وكان ملكه فى خاتمه فوضعه يوما عندها ثم دخل مذهبه
فاتاها شيطان اسمه صخر المارد فى صورة سليمان لا تنكر منه شيأ فقال خاتمى امينة فناولته
اياه فجعله فى يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان وعكفت عليه الطير والوحش
والجن والانس وخرج سليمان فاتى امينة وقد تغيرت حالته وهيئته عند كل من رآه فقال
يا امينة خاتمى قالت من انت قال سليمان بن داود فقالت كذبت قد جاء سليمان واخذ
خاتمه وهو جالس على سرير ملكه فعرف سليمان أن خطيئته قد ادركته فخرج فجعل

يقف على الدار من دور بني اسرائيل فيقول انا سليمان بن داود فيحثون عليه التراب
و يقولون انظروا الى هذا المجنون أي شئ يقول يزعم انه سليمان فلما رأى سليمان ذلك
عمد الى البحر فكان ينقل الحيتان لاصحاب السوق و يعطونه كل يوم سمكتين فاذا أمسى
باع احدى سمكتيه بارغفة و يشوي الاخرى فيأكلها فمكث على ذلك أربعين صباحا
عدة ما كان يعبد الوثن في داره ثم ان آصف وعظماء بني اسرائيل انكروا حكم عدو الله
الشيطان في تلك المدة فقال آصف يا معشر بني اسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم ابن
داود ما رأيتم قالوا نعم فقال أمهلوني حتى أدخل على نسائه فأسألهن هل أنكرن من خاصة
أمره ما أنكرنا في عامة الناس وعلانيتهم فدخل على نسائه فقال ويحكن هل أنكرتن من
ابن داود ما أنكرنا فقلن أشد ما يدع امرأة منا في دمها ولا يغتسل من الجنابة فقال انا لله وانا
اليه راجعون قال الحسن ما كان الله سبحانه وتعالى ليسلط الشيطان على نساء نبيه صلى
الله عليه وسلم قال وهب ثم ان آصف خرج على بني اسرائيل فقال ما في الخاصة أشد مما
في العامة فلما مضى أربعون صباحا طار الشيطان عن مجلسه ثم مر بالبحر فقذف الخاتم
فيه فبلعته سمكة فأخذها بعض الصيادين وقد عمل له سليمان صدر يومه فلما أمسى
أعطاه سمكتيه فباع سليمان أحداهما بارغفة و بقر بطن الاخرى ليشويها فاستقبله
خاتمه في جوفها فاخذه وجعله في يده ووقع لله ساجدا وعكفت عليه الطير والجن وأقبل
الناس عليه وعرف الذي كان دخل عليه لما كان أحدث في داره فرجع الى ملكه
وأظهر التوبة من ذنبه وأمر الشياطين أن يأتوه بصخر فطلبوه حتى أخذوه فأتي به
فأدخله في جوف صخرة وسد عليه بأخرى ثم أوثقها بالحديد والرصاص ثم أمر به فقذفوه
في البحر * وقيل في سبب فتنة سليمان عليه الصلاة والسلام ان جرادة كانت أبر نسائه
عنده وكان يأتمنها على خاتمه فقالت له يوما ان أخي بينه و بين فلان خصومة فاحب أن
تقضي له فقال نعم ولم يفعل فابتلي بقوله نعم وذكروا نحو ما تقدم وقيل ان سليمان لما
افتتن سقط الخاتم من يده فأعاده في يده فسقط وكان فيه ملكه فأيقن سليمان بالفتنة
فأتاه آصف فقال انك مفتون بذلك والخاتم لا يتماسك في يدك ففر الى الله تعالى تائبا
فاني أقوم مقامك وأسير بسيرتك الى أن يتوب الله عليك ففر سليمان الى الله تعالى تائبا
وأعطى آصف الخاتم فوضعه في يده فثبت في يده فأقام آصف في ملك سليمان بسيرته
أربعة عشر يوما الى أن رد الله تعالى على سليمان ملكه وتاب عليه فرجع الى ملكه وجلس
على سريره وأعاد الخاتم في يده فثبت فهو الجسد الذي ألقي على كرسيه وروى عن سعيد
ابن المسيب قال احتجب سليمان عن الناس ثلاثة أيام فأوحى الله تعالى اليه احتجبت
عن الناس ثلاثة أيام فلم تنظر في أمور عبادي فابتلاه الله تعالى وذكر نحو ما تقدم
من حديث الخاتم وأخذ الشيطان اياه قال القاضي عياض وغيره من المحققين لا يصح
ما نقله الاخباريون من تشبه الشيطان به وتسليطه على ملكه وتصرفه في أمته بالجور
في حكمه وان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الله تعالى الانبياء من مثل هذا
والذي ذهب اليه المحققون ان سبب فتنته ما أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي هريرة

(وألقينا على كرسيه) سرير ملكه (جسداً ثم أناب) رجع الى الله قيل فتن سليمان بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وكان من فتنته انه ولد له ابن فقالت الشياطين ان عاش لم ننفك من السخرة فسبيلنا أن نقتله او نخبله فعلم ذلك سليمان عليه السلام فكان يغذوه في السحاب ٥٤ خوفا من مضرة الشياطين فألقي ولده ميتا على كرسيه فتنبه على زلته في أن لم يتوكل فيه على ربه وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سليمان لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة منهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل فجيء به على كرسيه فوضع في حجره فوالذي نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون واما ما روي من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان عليه السلام فمن أباطيل اليهود (قال رب اغفر لي وهب لي ملكا) قدم الاستغفار على استيهاب الملك جريا على عادة الانبياء عليهم السلام والصالحين في تقديم الاستغفار على السؤال (لا ينبغي) لا يتسهل ولا يكون (لأحد من بعدي) اي دوني وفتح الياء مدني وابو عمرو وانما سأل بهذه الصفة ليكون معجزة له لا حسدا وكان قبل ذلك لم يسخر له الريح والشياطين فلما دعا بذلك سخرت له الريح والشياطين ولن يكون معجزة حتى يخرق العادات (انك انت الوهاب فسخرنا له الريح) الرياح ابو جعفر (تجري) حال من الريح (بأمره) بأمر سليمان (رخاء) لينة طيبة لا تزعزع اللآلى وهو حال من ضمير تجري (حيث) ظرف تجري (اصاب) قصد واراد والعرب تقول اصاب الصواب فاخطأ الجواب (والشياطين) عطف على الريح اي سخرنا له الشياطين (كل بناء) بدل من الشياطين كانوا يبنون له ما شاء من الابنية (وغواص) اي يغوص له في البحر لاخراج اللؤلؤ وهو اول من استخرج اللؤلؤ من البحر والمعنى وسخرنا له كل بناء وغواص من الشياطين

رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سليمان لأطوفن الليلة على تسعين امرأة كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله تعالى فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل ان شاء الله فطاف عليهن جميعا فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل وايم الله الذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون وفي رواية لأطوفن بمائة امرأة فقال له الملك قل ان شاء الله فلم يقل ونسي قال العلماء والشق هو الجسد الذي ألقي على كرسيه وهي عقوبته ومحنته لأنه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني وقيل نسي أن يستثني كما صح في الحديث لينفذ أمر الله ومراده فيه وقيل ان المراد بالجسد الذي ألقي على كرسيه انه ولد له ولد فاجتمعت الشياطين وقال بعضهم لبعض ان عاش له ولد لم ننفك من البلاء فسبيلنا أن نقتل ولده أو نخبله فعلم بذلك سليمان فأمر السحاب فحمله فكان يربيه في السحاب خوفا من الشياطين فبينما هو مشتغل في بعض مهماته اذ ألقي ذلك الولد ميتا على كرسيه فعاتبه الله على خوفه من الشياطين ولم يتوكل عليه في ذلك فتنبه لخطيئته فاستغفر ربه فذلك قوله عز وجل (وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب) أي رجع الى ملكه بعد الاربعين يوما وقيل أناب الى الاستغفار وهو قوله (قال رب اغفر لي) أي سأل ربه المغفرة (وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي) أي لا يكون لأحد من بعدي وقيل لا تسلبنيه في باقي عمري وتعطيه غيري كما سلبته مني فيما مضى من عمري (انك أنت الوهاب) فان قلت قول سليمان لا ينبغي لأحد من بعدي مشعر بالحسد والحرص على الدنيا قلت لم يقل ذلك حرصا على طلب الدنيا ولا لنفاسة بها ولكن كان قصده في ذلك ان لا يسلط عليه الشيطان مرة أخرى وهذا على قول من قال ان الشيطان استولى على ملكه وقيل سأل ذلك ليكون علما وآية لنبوته ومعجزة دالة على رسالته ودلالة على قبول توبته حيث أجاب الله تعالى دعاءه ورد ملكه اليه وزاده فيه وقيل كان سليمان ملكا ولكنه أحب أن يخص بخاصية كما خص داود بالانة الحديد وعيسى باحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص فسأل شيئا يختص به كما روي في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عفريتا من الجن تفلت علي البارحة ليقطع علي صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته فأردت أن أربطه الى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة أخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي فرددته خاسئا قوله تعالى (فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء) أي لينة ليست بعاصفة (حيث أصاب) أي حيث أراد (والشياطين) أي وسخرنا له الشياطين (كل بناء) أي يبنون له ما يشاء (وغواص) يعني يستخرجون له

(وآخرين) عطف على كل بناء داخل في حكم البدل (مقرنين في الأصفاد) وكان يقرن مردة الشياطين بعضهم مع بعض في القيود والسلاسل للتأديب والكف عن الفساد والصفد القيد وسمي به العطاء لأنه ارتباط للمنعم عليه ومنه قول علي رضي الله عنه من برك فقد أسرك ومن جفاك فقد أطلقك (هذا) الذي أعطيناك من الملك والمال والبسطة (عطاؤنا فامنن) فأعط منه ما شئت من المنة وهي العطاء (أو أمسك) عن العطاء وكان إذا أعطى أجر وإن منع لم يأثم بخلاف غيره (بغير حساب) متعلق بعطاؤنا وقيل هو حال أي هذا عطاؤنا جما كثيرا لا يكاد يقدر على حصره أو هذا التسخير عطاؤنا فامنن على من شئت من الشياطين بالإطلاق أو أمسك من شئت منهم في الوثاق بغير حساب أي لا حساب عليك في ذلك (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) لزلفى اسم إن والخبر له والعامل في عند الخبر (واذكر عبدنا أيوب) هو بدل من عبدنا أو عطف بيان (إذ) بدل اشتمال منه (نادى ربه) دعاه (أني مسني) بأني مسني حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه ولو لم يحك لقال بأنه مسه لأنه غائب (الشيطان بنصب) قراءة العامة بنصب يزيد بتثقيل نصب كرشد ورشد يعقوب بنصب على أصل المصدر والمعنى واحد وهو التعب (وعذاب) يريد مرضه وما يقاسي فيه من أنواع الوصب وقيل أراد ما كان يوسوس إليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ إلى الله في أن يكفيه ذلك بكشف البلاء أو بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل وروي أنه كان يعوده ثلاثة من المؤمنين فارتد أحدهم فسأل عنه فقيل ألقى إليه الشيطان إن الله لا يبتلي الأنبياء والصالحين وذكر في سبب بلائه أنه ذبح شاة فأكلها وجاره جائع أو رأى منكرا فسكت عنه أو ابتلاه الله لرفع الدرجات بلا زلة سبقت منه (اركض برجلك) حكاية لما أجيب به أيوب عليه السلام أي أرسلنا إليه جبريل عليه السلام فقال له اركض برجلك أي اضرب برجلك الأرض وهي أرض الجابية فضرب بها فنبعت عين فقيل (هذا مغتسل بارد وشراب) أي هذا ماء تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك وقيل نبعت له عينان فاغتسل من إحداهما وشرب من الأخرى فذهب الداء من ظاهره وباطنه بإذن الله تعالى (ووهبنا له أهله ومثلهم معهم) قيل أحياهم الله تعالى بأعيانهم وزاده مثلهم (رحمة منا وذكرى لأولي الألباب) مفعول لهما أي الهبة كانت للرحمة له ولتذكير أولي الألباب لأنهم إذا سمعوا بما أنعمنا به عليه لصبره رغبهم في الصبر على البلاء (وخذ) معطوف على اركض (بيدك ضغثا) حزمة صغيرة من حشيش أو ريحان أو غير ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما قبضة من الشجر (فاضرب به ولا تحنث) وكان حلف في مرضه ليضربن امرأته مائة إذا برأ فحلل الله يمينه بأهون شيء عليه وعليها لحسن خدمتها إياه وهذه الرخصة باقية ويجب أن يصيب

اللآلئ من البحر وهو أول من استخرج اللؤلؤ من البحر (وآخرين) أي وسخرنا له آخرين وهم مردة الشياطين (مقرنين في الأصفاد) أي مشدودين في القيود سخروا له حتى قرنهم في الأصفاد (هذا عطاؤنا) أي قلنا له هذا عطاؤنا (فامنن) أي أحسن إلى من شئت (أو أمسك) أي عمن شئت (بغير حساب) أي لا حرج عليك فيما أعطيت ولا فيما أمسكت قال الحسن ما أنعم الله تعالى على أحد نعمة إلا عليه تبعة إلا سليمان فإنه إن أعطى أجر وإن لم يعط لم تكن عليه تبعة وقيل هذا في أمر الشياطين يعني هؤلاء الشياطين عطاؤنا فامنن على من شئت منهم فخل عنه وأمسك أي احبس من شئت منهم في العمل وقيل في الوثاق لا تبعة عليك فيما تتعاطاه (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) لما ذكر الله تعالى ما أنعم به عليه في الدنيا أتبعه بما أنعم به عليه في الآخرة قوله عز وجل (واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب) أي بمشقة (وعذاب) أي ضر وذلك في المال والجسد وقد تقدمت قصة أيوب (اركض) يعني أنه لما انقضت مدة ابتلائه قيل له اركض أي اضرب (برجلك) يعني الأرض ففعل فنبعت عين ماء عذب (هذا مغتسل بارد) أمره الله تعالى أن يغتسل منه ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى أربعين خطوة فركض برجله الأرض مرة أخرى فنبعت عين ماء عذب أخرى فشرب منه فذهب كل داء كان في باطنه فذلك قوله عز وجل (وشراب ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا) أي إنما فعلنا ذلك معه على سبيل التفضل والرحمة لا على اللزوم (وذكرى لأولي الألباب) يعني سلطنا البلاء عليه فصبر ثم أزلناه عنه وكشفنا ضره فشكر فهو موعظة لذوي العقول والبصائر (وخذ بيدك ضغثا) أي ملء كفك من حشيش أو عيدان أو ريحان (فاضرب به ولا تحنث) وكان قد حلف أن يضرب امرأته مائة سوط

المضروب كل واحدة من المائة والسبب فى يمينه انها ابطأت عليه ذاهبة فى حاجة فحرج صدره وقيل باعت ذؤابتيها برغيفين وكانتا متعلق أيوب عليه السلام اذا قام (انا وجدناه) علمناه (صابرا) على البلاء نعم قد شكا الى الله ما به واسترحمه لكن الشكوى الى الله لا تسمى جزعا فقد قال يعقوب عليه السلام انما أشكو بثى وحزنى الى الله على انه عليه السلام كان يطلب الشفاء خيفة على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس اليهم انه لو كان نبيا لما ابتلى بمثل ما ابتلى به وارادة القوة على الطاعة فقد بلغ أمره الى أن لم يبق منه الا القلب واللسان (نعم العبد) ايوب (انه اوّاب واذكر عبادنا) عبدنا مكى (ابراهيم واسحق ويعقوب) فمن جمع فابراهيم ومن بعده عطف بيان على عبادنا ومن وحد فابراهيم وحده عطف بيان له ثم عطف ذريته على عبدنا ولما كانت أكثر الاعمال تباشر ٥٦ بالايدى غلبت فقيل فى كل عمل هذا مما عملت أيديهم وان كان عملا لا تأتى فيه المباشرة بالايدى أو كان العمال جذما لا ايدى لهم وعلى هذا ورد قوله (أولى الايدى والابصار) أى أولى الاعمال الظاهرة والفكر الباطنة كأن الذين لا يعملون اعمال الآخرة ولا يجاهدون فى الله ولا يتفكرون أفكار ذوى الديانات فى حكم الزمنى الذين لا يقدرون على اعمال جوارحهم والمسلوبى العقول الذين لا استبصار لهم وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين فى دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين منهما (انا اخلصناهم) جعلناهم لنا خالصين (بخالصة) بخصلة خالصة لا شوب فيها (ذكرى الدار) ذكرى فى محل النصب او الرفع باضمار اعنى اوهى او الجر على البدل من خالصة والمعنى انا أخلصناهم بذكرى الدار والدار هنا الدار الآخرة يعنى جعلناهم لنا خالصين بأن جعلناهم من يذكرون الناس لدار الآخرة ويزهدونهم فى الدنيا كما هو دين الانبياء عليهم السلام أو معناه انهم يكثرون ذكر الآخرة والرجوع الى الله وينسون ذكر الدنيا بخالصة ذكرى الدار على الاضافة مدنى ونافع وهى من اضافة الشئ الى ما يبينه لان الخالصة تكون ذكرى وغير ذكرى وذكرى مصدر مضاف الى المفعول أى باخلاصهم ذكرى الدار وقيل خالصة بمعنى خلوص فهى مضافة الى الفاعل أى بأن خلصت لهم ذكرى الدار على انهم لا يشوبون ذكرى الدار بهم آخر انما همهم ذكرى الدار لا غير وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل فى الدنيا وهذا شئ قد اخلصهم به فليس يذكر غيرهم فى الدنيا بمثل ما يذكرون به يقويه قوله وجعلنا لهم لسان صدق عليا (وانهم عندنا لمن المصطفين) المختارين من بين أبناء جنسهم (الاخيار) جمع خير أو خير على التخفيف كاموات فى جمع ميت او ميت (واذكر اسمعيل واليسع) كأن حرف التعريف دخل على يسع (وذا الكفل وكل)

فشكر الله حسن صبرها معه فأفتاه فى ضربها وسهل له الامر وأمره بأن يأخذ ضغثا يشتمل على مائة عود صغار فيضربها به ضربة واحدة ففعل ولم يحنث فى يمينه وهل ذلك لايوب خاصة ام لا فيه قولان أحدهما انه عام وبه قال ابن عباس وعطاء بن أبى رباح والثانى انه خاص بايوب قاله مجاهد واختلف الفقهاء فيمن حلف ان يضرب عبده مائة سوط فجمعها وضربه بها ضربة واحدة فقال مالك والليث بن سعد واحمد لا يبر وقال ابو حنيفة والشافعى اذا ضربه ضربة واحدة فأصابه كل سوط على حدة فقد بر واحتجوا بعموم هذه الآية (انا وجدناه صابرا) أى على البلاء الذى ابتليناه به (نعم العبد انه اوّاب) قوله تعالى (واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب) اى اذكر صبرهم فابراهيم القى فى النار فصبر واسحق اضجع للذبح فى قول فصبر ويعقوب ابتلى بفقد ولده وذهاب بصره فصبر (اولى الايدى) قال ابن عباس أولى القوة فى طاعة الله تعالى (والابصار) أى فى المعرفة بالله تعالى وقيل المراد بالايدى أكثر الاعمال وبالبصر اقوى الادراكات فعبر بهما عن العمل باليد وعن الادراك بالبصر وللانسان قوتان عاملة وعاقلة وأشرف ما يصدر عن القوة العاملة معرفة الله تعالى وأشرف ما يصدر عن القوة العاملية طاعته وعبادته فعبر عن هاتين القوتين بالايدى والابصار (انا اخلصناهم) اى اصطفيناهم وجعلناهم لنا خالصين (بخالصة ذكرى الدار) قيل معناه أخلصناهم بذكرى الآخرة فليس لهم ذكر غيرها وقيل نزعنا من قلوبهم حب الدنيا وذكراها وأخلصناهم بحب الآخرة وذكراها وقيل كانوا يدعون الى الآخرة والى الله تعالى وقيل خلصه والخوف الآخرة وهو الخوف الدائم فى القلب وقيل أخلصناهم بأفضل ما فى الآخرة (وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار) يعنى من الذين اختارهم الله تعالى واتخذهم صفوة وصفاهم من الادناس والاكدار (واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل) اى اذكرهم بفضلهم وصبرهم لتسلك طريقهم وكل

التنوين عوض عن المضاف اليه أى وكلهم (من الاخيار هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب) أى هذا شرف وذكر جميل يذكرون به ابدا وان لهم مع ذلك لحسن مرجع يعنى يذكرون فى الدنيا بالجميل ويرجعون فى الآخرة الى مغفرة رب جليل ثم بين كيفية حسن ذلك المرجع فقال (جنات عدن) بدل من حسن مآب (مفتحة) حال من جنات لانها معرفة لاضافتها الى عدن وهو علم والعامل فيها ما فى للمتقين من معنى الفعل (لهم الابواب) ارتفاع الابواب بانها فاعل مفتحة والعائد محذوف أى مفتحة لهم الابواب منها فحذف كما حذف فى قوله فان الجحيم هى المأوى أى لهم أو ابوابها الا ان الاول اجود او هى بدل من الضمير فى مفتحة وهو ضمير الجنات تقديره مفتحة هى الابواب وهو من بدل الاشتمال (متكئين) حال من المجرور فى لهم والعامل مفتحة (فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب) اى وشراب كثير فحذف اكتفاء بالاول (وعندهم قاصرات الطرف) اى قصرن طرفهن على ازواجهن (اتراب) لدات اسنانهن كاسنانهم ٥٧ لان التحاب بين الاقران اثبت كأن اللدات سمين اترابا لان التراب مسهن فى وقت واحد (هذا ما توعدون) وبالياء مكى وابو عمرو (ليوم الحساب) اى ليوم تجزى كل نفس بما عملت (ان هذا لرزقنا ما له من نفاد) من انقطاع والجملة حال من الرزق والعامل الاشارة (هذا) خبر والمبتدا محذوف اى الامر هذا او هذا كما ذكر (وان للطاغين لشر مآب) مرجع (جهنم) بدل منه (يصلونها) يدخلونها (فبئس المهاد) شبه ما تحتهم من النار بالمهاد الذى يفترشه النائم (هذا فليذوقوه حميم وغساق) أى هذا حميم وغساق فليذوقوه فهذا مبتدا وحميم خبره وغساق عطف على الخبر وفليذوقوه اعتراض أو العذاب هذا فليذوقوه ثم ابتدأ فقال هو حميم وغساق بالتشديد حمزة وعلى وحفص والغساق بالتشديد والتخفيف ما يغسق من صديد اهل النار يقال غسقت العين اذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده (وآخر) أى وعذاب آخر أو مذوق آخر (من شكله) من مثل العذاب المذكور وأخر بصرى اى ومذوقات اخر من شكل هذا المذوق فى الشدة والفظاعة (ازواج) صفة لآخر لانه يجوز ان يكون ضروبا (هذا فوج مقتحم معكم) هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار اى دخل النار فى صحبتكم والاقتحام الدخول فى الشئ بشدة والقحمة الشدة وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض اى يقولون هذا والمراد بالفوج أتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب (لا مرحبا بهم) دعاء منهم على اتباعهم تقول لمن تدعو له مرحبا اى اتيت رحبا من البلاد لا ضيقا او رحبت بلادك رحبا ثم تدخل عليه لا فى دعاء السوء وبهم بيان للمدعو عليهم (انهم صالوا النار) اى داخلوها وهو تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم وقيل هذا فوج مقتحم كلام الخزنة لرؤساء الكفرة فى أتباعهم ولا مرحبا بهم انهم صالوا النار

٨ ن ع

من الاخيار) قوله عز وجل (هذا ذكر) أى الذى يتلى عليكم ذكر وقيل شرف وقيل جميل تذكرون به (وان للمتقين لحسن مآب) أى حسن مرجع ومنقلب يرجعون وينقلبون اليه فى الآخرة ثم ذكر ذلك فقال تعالى (جنات عدن مفتحة لهم الابواب) قيل تفتح أبوابها لهم بغير فتح لهم بيد بل بالامر يقال لها انفتحى انغلقى (متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف أتراب) أى مستويات الاسنان والشباب والحسن بنات ثلاث وثلاثين سنة وقيل متآخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن ولا يتحاسدن (هذا ما توعدون ليوم الحساب) أى قيل للمؤمنين هذا ما توعدون أو قيل هذا ما يوعد به المتقون (ان هذا لرزقنا ما له من نفاد) أى دائم ما له من نفاد وانقطاع بل هو دائم كلما أخذ منه شئ عاد مثله فى مكانه قوله تعالى (هذا) أى الامر الذى ذكرناه (وان للطاغين) يعنى الكافرين (لشر مآب) يعنى لشر مرجع يرجعون اليه ثم بينه فقال تعالى (جهنم يصلونها) أى يدخلونها (فبئس المهاد) أى الفراش (هذا فليذوقوه حميم وغساق) معناه هذا حميم وهو الماء الحار وغساق قال ابن عباس هو الزمهرير يحرقهم ببرده كما تحرقهم النار بحرها وقيل هو ما يسيل من القيح والصديد من جلود أهل النار ولحومهم وفروج الزناة وقيل الغساق عين فى جهنم وقيل هو البارد المنتن والمعنى هذا حميم وغساق فليذوقوه (وآخر من شكله) أى مثل الحميم والغساق (أزواج) أى أصناف أخر من العذاب (هذا فوج مقتحم معكم) قال ابن عباس هو أن القادة اذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم الاتباع قالت الخزنة للقادة هذا فوج يعنى جماعة الاتباع مقتحم معكم النار أى داخلوها كما دخلتموها أنتم قيل انهم يضربون بالمقامع حتى يقتحموها بانفسهم خوفا من تلك المقامع قالت القادة (لا مرحبا بهم) أى الاتباع (انهم

كلام الرؤساء وقيل هذا كله كلام الخزنة (قالوا) اى الاتباع (بل انتم لا مرحبا بكم) اى الدعاء الذى دعوتم به علينا انتم احق به وعللوا ذلك بقوله (انتم قدمتموه لنا) والضمير للعذاب أو لصليهم اى انكم دعوتمونا اليه فكفرنا باتباعكم (فبئس القرار) أى النار (قالوا) اى الاتباع (ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا) اى مضاعفا (فى النار) ومعناه ذا ضعف ونحوه قوله ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا وهو ان يزيد على عذابه مثله (وقالوا) الضمير لرؤساء الكفرة (مالنا لا نرى رجالا) يعنون فقراء المسلمين (كنا نعدهم) فى الدنيا (من الاشرار) من الارذال الذين لا خير فيهم ولا جدوى (اتخذناهم سخريا) بلفظ الاخبار عراقى غير عاصم على انه صفة لرجالا ٥٩ مثل كنا نعدهم من الاشرار وبهمزة الاستفهام غيرهم على انه انكار على انفسهم فى الاستسخار منهم سخريا مدنى وحمزة وعلى وخلف والمفضل (أم زاغت) مالت (عنهم الابصار) هو متصل بقوله مالنا أى مالنا لا نراهم فى النار كأنهم ليسوا فيها بل أزاغت عنهم ابصارنا فلا نراهم وهم فيها قسموا أمرهم بين أن يكونوا من أهل الجنة وبين ان يكونوا من أهل النار الا انه خفى عليهم مكانهم (ان ذلك) الذى حكيناه عنهم (لحق) لصدق كائن لا محالة لا بد ان يتكلموا به ثم بين ما هو فقال هو (تخاصم أهل النار) ولما شبه تقاولهم وما يجرى بينهم من السؤال والجواب بما يجرى بين المتخاصمين سماه تخاصما ولان قول الرؤساء لا مرحبا بهم وقول اتباعهم بل أنتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة فسمى التقاول كله تخاصما لاشتماله على ذلك (قل) يا محمد لمشركى مكة (انما انا منذر) ما انا الا رسول منذر انذركم عذاب الله تعالى (وما من اله الا الله) واقول لكم ان دين الحق توحيد الله وان تعتقدوا أن لا اله الا الله تعالى (الواحد) بلا ند ولا شريك (القهار) لكل شئ (رب السموات والارض وما بينهما) له الملك والربوبية فى العالم كله (العزيز) الذى لا يغلب اذا عاقب (الغفار) لذنوب من التجأ اليه (قل هو) اى هذا الذى انبأتكم به من كونى رسولا منذرا وان الله واحد لا شريك له (نبأ عظيم) لا يعرض عن مثله الا غافل شديد الغفلة ثم (انتم عنه معرضون) غافلون (ما كان لى) حفص (من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون) احتج لصحة نبوته بان ما ينبئ به عن الملا الاعلى واختصامهم امر ما كان له به من علم قط ثم علمه ولم يسلك الطريق الذى يسلكه الناس فى علم

صالوا النار) أى داخلوها كما صليناها نحن (قالوا) اى قال الاتباع للقادة (بل أنتم لا مرحبا بكم) أى لا رحبت بكم الارض والعرب تقول مرحبا وأهلا وسهلا أى أتيت رحبا وسعة (أنتم قدمتموه لنا) يعنى وتقول الاتباع للقادة أنتم بدأتم بالكفر قبلنا وشرعتموه لنا وقيل معناه أنتم قدمتم لنا هذا العذاب بدعائكم ايانا الى الكفر (فبئس القرار) أى فبئس دار القرار جهنم (قالوا) يعنى الاتباع (ربنا من قدم لنا هذا) أى شرعه وسنه لنا (فزده عذابا ضعفا فى النار) أى ضعف عليه العذاب فى النار قال ابن عباس حيات وأفاعى (وقالوا) يعنى كفار قريش وصناديدهم وأشرافهم وهم فى النار (مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم) أى فى الدنيا (من الاشرار) يعنون بذلك فقراء المؤمنين مثل عمار وخباب وصهيب وبلال وسلمان وانما سموهم أشرارا لانهم كانوا على خلاف دينهم (اتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الابصار) يعنى ان الكفار اذا دخلوا النار نظروا فلم يروا فيها الذين كانوا يسخرون منهم فقالوا ما لنا لا نرى هؤلاء الذين اتخذناهم سخريا لم يدخلوا معنا النار أم دخلوها فزاغت عنهم الابصار أى أبصارنا فلم نرهم حين دخلوا وقيل معناه أم هم فى النار ولكن احتجبوا عن أبصارنا وقيل معناه أم كانوا خيرا منا ونحن لا نعلم فكانت أبصارنا تزيغ عنهم فى الدنيا فلا نعدهم شيأ (ان ذلك) أى الذى ذكر (لحق) ثم بين ذلك فقال تعالى (تخاصم أهل النار) أى فى النار وانما سماه تخاصما لان قول القادة للاتباع لا مرحبا بهم وقول الاتباع للقادة بل أنتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة قوله عز وجل (قل) أى يا محمد لمشركى مكة (انما انا منذر) أى مخوف (وما من اله الا الله الواحد) يعنى الذى لا شريك له فى ملكه (القهار) اى الغالب وفيه اشعار بالترهيب والتخويف ثم اردفه بما يدل على الرجاء والترغيب فقال تعالى (رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار) فكونه ربا يشعر بالتربية والاحسان والكرم والجود وكونه غفارا يشعر بانه يغفر الذنوب وان عظمت ويرحم (قل هو نبأ عظيم) يعنى القرآن قاله ابن عباس وقيل يعنى القيامة (انتم عنه معرضون) اى لا تتفكرون فيه فتعلمون صدقى فى نبوتى وان ما جئت به لم اعلمه الا بوحى من الله تعالى ما كان لى من علم بالملا الاعلى) يعنى الملائكة (اذ يختصمون) يعنى فى شأن آدم حين قال الله

تعالى اني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فان
قلت كيف يجوز ان يقال ان الملائكة اختصموا بسبب قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها
ويسفك الدماء والمخاصمة مع الله تعالى لاتليق ولاتمكن قلت لاشك انه جرى هناك سؤال
وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة وهو علة لجواز المجاز فلهذا السبب حسن اطلاق
لفظ المخاصمة (ان يوحى الي) اي انما علمت هذه المخاصمة بوحي من الله تعالى الي (الا
أنما أنا نذير مبين) يعني الا أنما أنا نبي انذركم وابين لكم ما تأتونه وتجتنبونه * عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني ربي في أحسن صورة قال
أحسبه قال في المنام فقال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الاعلى قلت لا قال فوضع يده
بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي أو قال في نحري فعلمت ما في السموات وما في
الارض قال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الاعلى قلت نعم في الكفارات والكفارات
المكث في المساجد بعد الصلوات والمشي على الاقدام الى الجماعات واسباغ الوضوء على
المكاره ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وخرج من خطيئته كيوم ولدته أمه وقال
يا محمد اذا صليت فقل اللهم اني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين
واذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني اليك غير مفتون قال والدرجات افشاء السلام
واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام وفي رواية فقلت لبيك وسعديك في
المرتين وفيها فعلمت ما بين المشرق والمغرب اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب

(فصل في الكلام على معنى هذا الحديث) وللعلماء في هذا الحديث وفي أمثاله
من احاديث الصفات مذهبان * أحدهما وهو مذهب السلف امراره كما جاء من غير
تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل والايمان به من غير تأويل له والسكوت عنه وعن
امثاله مع الاعتقاد بأن الله تعالى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير المذهب الثاني هو
تأويل الحديث وقبل الكلام على معنى الحديث نتكلم على اسناده فنقول قال البيهقي
هذا حديث مختلف في اسناده فرواه زهير بن محمد عن يزيد بن يزيد عن جابر عن خالد بن
اللجلاج عن عبد الرحمن بن عائش عن رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورواه جهضم بن عبد الله عن يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام عن عبد الرحمن بن
عائش الحضرمي عن مالك بن عامر عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم ورواه
موسى بن خلف العمي عن يحيى عن زيد عن جده ممطور وهو أبو سلام عن ابن
السكسكي عن مالك بن يخامر وقيل فيه غير ذلك ورواه ابو ايوب عن أبي قلابة عن ابن
عباس وقال فيه احسبه قال في المنام ورواه قتادة عن أبي قلابة عن خالد بن اللجلاج عن
ابن عباس قال البخاري عبد الرحمن بن عائش الحضرمي له حديث واحد الا أنهم
يضطربون فيه وهو حديث الرؤية قال البيهقي وقد روي من طرق كلها ضعاف وفي
ثبوته نظر وأحسن طريق فيه رواية جهضم بن عبد الله ثم رواية موسى بن خلف وفيهما
ما يدل على ان ذلك كان في المنام فأما تأويله فان الصورة هي التركيب والمصور هو

ما لم يعلموا وهو الاخذ من أهل
العلم وقراءة الكتب فعلم ان
ذلك لم يحصل له الا بالوحي من الله
تعالى (ان يوحى الي الا أنما
انا نذير مبين) اي لانما انا نذير مبين
ومعناه ما يوحى الي الا للانذار
فحذف اللام وانتصب بافضاء
الفعل اليه ويجوز أن يرتفع
على معنى ما يوحى الي الا هذا
وهو أن أنذر وأبلغ ولا أفرط
في ذلك أي ما أومر الا بهذا
الامر وحده وليس لي غير
ذلك و بكسر انما يريد
على الحكاية أي الا هذا القول
وهو أن أقول لكم انما انا نذير
مبين ولا أدعي شيأ آخر وقيل
النبأ العظيم قصص آدم
والانبياء به من غير سماع من
أحد وعن ابن عباس رضي الله
عنهما القرآن وعن الحسن يوم
القيامة والمراد بالملا الاعلى
أصحاب القصة الملائكة وآدم
وابليس لانهم كانوا في السماء
وكان التقاول بينهم واذ
يختصمون متعلق بمحذوف
اذ المعنى ما كان لي من علم
بكلام الملا الاعلى وقت
اختصامهم

(اذقال ربك) بدل من اذ يختصمون ٦٠ أى فى شأن آدم حين قال تعالى على لسان ملك (للملائكة انى خالق بشرا من طين) وقال انى جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها (فاذا سويته) فاذا أتممت خلقته وعدلته (ونفخت فيه من روحى) الذى خلقته وأضافه اليه تخصيصا كبيت الله وناقة الله والمعنى احييته وجعلته حساسا متنفسا (فقعوا) أمر من وقع يقع أى اسقطوا على الارض والمعنى اسجدوا (له ساجدين) قيل كان انحناء يدل على التواضع وقيل كان سجدة لله اوكان سجدة التحية (فسجد الملائكة كلهم اجمعون) كل للاحاطة واجمعون للاجتماع فأفادتهم سجدوا عن آخرهم جميعهم فى وقت واحد غير متفرقين فى أوقات (الا ابليس استكبر) تعظم عن السجود (وكان من الكافرين) وصار من الكافرين باباء الامر (قال يا ابليس مامنعك أن تسجد) مامنعك عن السجود (لما خلقت بيدى) أى بلا واسطة امتثالا لامرى واعظاما لخطابى وقدم ان ذا اليدين يباشر أكثر أعماله بيده فغلب العمل باليدين على سائر الاعمال التى تباشر بغيرهما حتى قيل فى عمل القلب هو مما عملت يداك وحتى قيل لمن لا يدين له يداك أوكتا وفوك نفخ وحتى لم يبق فرق بين قولك هذا مما عملته وهذا مما عملته يداك ومنه قوله مما عملت أيدينا ولما خلقت بيدى (أستكبرت) استفهام انكار (أم كنت من العالين) ممن علوت وفقت وقيل استكبرت الآن أم لم تزل مذ كنت من المستكبرين فأجاب

المركب ولا يجوز أن يكون البارى تبارك وتعالى مصورا ولا أن يكون له صورة لان الصور مختلفة والهيآت متضادة ولا يجوز اضافة ذلك اليه سبحانه وتعالى فاستحال ان يكون مصورا وهو الخالق البارئ المصور فقوله أتانى ربى فى أحسن صورة يحتمل وجهين احدهما وانا فى احسن صورة كانه زاده جمالا وكمالا وحسنا عند رؤيته وفائدة ذلك تعريفه لنا ان الله تعالى زين خلقته وحسن صورته عند رؤيته لربه وانما التغيير وقع بعد لشدة الوحى وثقله * الوجه الثانى ان الصورة بمعنى الصفة ويرجع ذلك الى الله تعالى والمعنى انه رآه فى احسن صفاته من الانعام عليه والاقبال والاتصال اليه وانه تلقاه بالاكرام والاعظام والاجلال وقد يقال فى صفات الله تعالى انه جميل ومعناه انه مجمل فى افعاله وذلك نوع من الاحسان والاكرام فذلك من حسن صفة الله تعالى وقد يكون حسن الصورة أيضا يرجع الى صفاته العلية من التناهى فى العظمة والكبرياء والعلو والعز والرفعة حتى لا منتهى ولا غاية وراءه ويكون معنى الحديث على هذا تعريفنا ما ازداد من معارفه صلى الله عليه وسلم عند رؤية ربه عز وجل فاخبر عن عظمته وعزته وكبريائه وبهائه وبعده عن شبه الخلق وتنزيهه عن صفات النقص وانه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير * وقوله صلى الله عليه وسلم فوضع يده بين كتفى حتى وجدت بردها بين ثديى فأويله ان المراد باليد النعمة والمنة والرحمة وذلك شائع فى لغة العرب فيكون معناه على هذا الاخبار باكرام الله تعالى اياه وانعامه عليه بأن شرح صدره ونور قلبه وعرفه ما لا يعرفه أحد حتى وجد برد النعمة والمعرفة فى قلبه وذلك لما نور قلبه وشرح صدره فعلم ما فى السموات وما فى الارض باعلام الله تعالى اياه وانما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون اذ لا يجوز على الله تعالى ولا على صفات ذاته مماسة أو مباشرة أو نقص وهذا هو أليق بتنزيهه وحمل الحديث عليه واذا حملنا الحديث على المنام وان ذلك كان فى المنام فقد زال الاشكال وحصل الغرض ولا حاجة بنا الى التأويل ورؤية البارئ عز وجل فى المنام على الصفات الحسنة دليل على البشارة والخير والرحمة للرائى وسبب اختصام الملا الاعلى وهم الملائكة فى الكفارات وهى الخصال المذكورة فى الحديث فى أيها أفضل وسميت هذه الخصال كفارات لانها تكفر الذنوب عن فاعلها فهى من باب تسمية الشئ باسم لازمه وانما سماه مخاصمة لانه ورد مورد سؤال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة فلهذا السبب حسن اطلاق لفظ المخاصمة عليه والله تعالى أعلم قوله عز وجل (اذقال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين) يعنى آدم (فاذا سويته) أى أتممت خلقه (ونفخت فيه من روحى) أضاف الروح الى نفسه اضافة ملك على سبيل التشريف كبيت الله وناقة الله ولان الروح جوهر شريف قدسى يسرى فى بدن الانسان سريان الضوء فى الفضاء وكسريان النار فى الفحم (فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر) اى تعظم (وكان من الكافرين قال يا ابليس مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى) اى توليت خلقه (أستكبرت) أى تعظمت بنفسك عن السجود له (أم كنت من العالين) اى من القوم الذين يتكبرون فتكبرت عن السجود لكونك منهم

(قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) يعني لو كان مخلوقا من نار لما سجدت له لانه مخلوق مثلي فكيف اسجد لمن هو دوني لانه من طين والنار تغلب الطين وتأكله وقد جرت الجملة الثانية من الاولى وهي خلقتني من نار مجرى المعطوف عطف البيان والايضاح (قال فاخرج منها) من الجنة أو من السموات او من الخلقة التي أنت فيها لانه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته واسود بعدما كان ابيض وقبح بعدما كان حسنا واظلم بعدما كان نورانيا (فانك رجيم) مرجوم اي مطرود تكبر ابليس ان يسجد لمن خلق من طين وزل عنه ان الله أمر به ملائكته واتبعوا أمره اجلالا لخطابه وتعظيما لامره فصار مرجوما ملعونا بترك أمره (وان عليك لعنتي) بفتح الياء مدني اي ابعادي

من كل الخير (الى يوم الدين) أي يوم الجزاء ولا يظن ان اللعنة غايتها يوم الدين ثم تنقطع لان معناه ان عليه اللعنة في الدنيا وحدها فاذا كان يوم الدين اقترن بها العذاب فينقطع الانفراد أو لما كان عليه اللعنة في أوان الرحمة فاولى ان تكون عليه في غير اوانها وكيف تنقطع وقد قال الله تعالى فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين (قال رب فأنظرني) فامهلني (الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) الوقت المعلوم الوقت الذي تقع فيه النفخة الاولى ويومه اليوم الذي هو وقت النفخة جزء من اجزائه ومعنى المعلوم انه معلوم عند الله معين لا يتقدم ولا يتأخر (قال فبعزتك لاغوينهم أجمعين) أي أقسم بعزة الله وهي سلطانه وقهره (الا عبادك منهم المخلصين) بكسر اللام مكي وبصري وشامي (قال فالحق) بالرفع كوفي غير علي على الابتداء اي الحق مني او على الخبر اي انا الحق وغيرهم بالنصب على انه مقسم به كقولك الله لافعلن كذا يعني حذف عنه الباء فانتصب وجوابه لاملأن (والحق اقول) اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه وهو منصوب باقول ومعناه ولا أقول الا الحق والمراد بالحق اما اسمه عز وجل الذي في قوله ان الله هو الحق او الحق الذي هو نقيض الباطل عظمه الله باقسامه به (لاملأن جهنم منك) من جنسك وهم الشياطين (وممن تبعك منهم) من ذرية آدم (اجمعين) اي لاملأن جهنم من المتبوعين والتابعين اجمعين لا اترك منهم احدا (قل ما أسئلكم عليه من اجر) الضمير للقرآن اولا وحي (وما أنا من المتكلفين) من الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من اهله وما عرفتموني قط متصنعا ولا مدعيا بما ليس عندي حتى انتحل النبوة واتقول القرآن

فاجاب ابليس بقوله (قال أنا خير منه) يعني لو كنت مساويا له في الشرف لكان يقبح ان أسجد له فكيف وأنا خير منه ثم بين كونه خيرا منه فقال (خلقتني من نار وخلقته من طين) والنار أشرف من الطين وافضل منه واخطأ ابليس في القياس لان مآل النار الى الرماد الذي لا ينتفع به والطين أصل كل ما هو نام ثابت كالانسان والشجرة المثمرة ومعلوم ان الانسان والشجرة المثمرة خير من الرماد وافضل وقيل هب ان النار خير من الطين بخاصية فالطين خير منها وأفضل بخواص وذلك مثل رجل شريف نسب لكنه عار عن كل فضيلة فان نسبه يوجب رجحانه بوجه واحد ورجل ليس بنسيب ولكنه فاضل عالم فيكون أفضل من ذلك النسيب بدرجات كثيرة (قال فاخرج منها) أي من الجنة وقيل من السماء وقيل من الخلقة التي كان فيها وذلك لان ابليس تجبر وافتخر بالخلقة فغير الله تعالى خلقته فاسود وقبح بعد حسنه ونورانيته (فانك رجيم) أي مطرود (وان عليك لعنتي الى يوم الدين) فان قلت اذا كان الرجم بمعنى الطرد وكذلك اللعنة لزم التكرار فما الفرق قلت الفرق أن يحمل الرجم على الطرد من الجنة أو السماء وتحمل اللعنة على معنى الطرد من الرحمة فتكون ابلغ وحصل الفرق وزال التكرار فان قلت كلمة الى لانتهاء الغاية وقوله الى يوم الدين يقتضي انقطاع اللعنة عنه عند مجيء يوم الدين قلت معناه ان اللعنة باقية عليه في الدنيا فاذا كان يوم القيامة زيد له مع اللعنة من أنواع العذاب ما ينسى بذلك اللعنة فكأنها انقطعت عنه (قال رب فأنظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) يعني النفخة الاولى (قال فبعزتك لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق أقول) اي أنا اقول الحق وقيل الاول قسم يعني فبالحق وهو الله تعالى اقسم بنفسه (لاملأن جهنم منك) اي بنسلك وذريتك (وممن تبعك منهم اجمعين) يعني من بني آدم (قل ما أسئلكم عليه) اي على تبليغ الرسالة (من اجر) اي جعل (وما أنا من المتكلفين) اي المتقولين القرآن من تلقاء نفسي وكل من قال شيأ من تلقاء نفسه فقد تكلف له (ق) عن مسروق قال دخلنا على ابن مسعود فقال يا ايها الناس من علم شيأ فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم

(ان هو) ما القرآن (الا ذكر) من الله (للعالمين) للثقلين اوحى الى فانا بلغه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى مالا ينال ويقول مالا يعلم (ولتعلمن نبأه) نبأ القرآن وما فيه من الوعد والوعيد وذكر البعث والنشور (بعد حين) بعد الموت او يوم بدر او يوم القيامة ختم السورة بالذكر كما افتتحها بالذكر والله الموفق

(سورة الزمر مكية وهى خمس وسبعون آية) (بسم الله الرحمن الرحيم) (تنزيل الكتاب) اى القرآن مبتدا خبره (من الله) أى نزل من عند الله ٦٢ او خبر مبتدا محذوف والجار صلة لتنزيل او غير صلة بل هو خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب هذا من الله (العزيز) فى سلطانه (الحكيم) فى تدبيره (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق) هذا ليس بتكرار لان الاول كالعنوان للكتاب والثانى لبيان ما فى الكتاب (فاعبد الله مخلصا) حال (له الدين) أى ممحضا له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر فالدين منصوب بمخلصا وقرئ الدين بالرفع وحق من رفعه ان يقرأ مخلصا (ألا لله الدين الخالص) أى هو الذى وجب اختصاصه بان تخلص له الطاعة من كل شائبة كدر لاطلاعه على الغيوب والاسرار وعن قتادة الدين الخالص شهادة أن لا اله الا الله وعن الحسن الاسلام (والذين اتخذوا من دونه أولياء) أى آلهة وهو مبتدا محذوف الخبر تقديره والذين عبدوا الاصنام يقولون (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) مصدر أى تقريبا (ان الله يحكم بينهم) بين المسلمين والمشركين (فيما هم فيه يختلفون) قيل كان المسلمون اذا قالوا لهم من خلق السموات والارض قالوا الله فاذا قالوا لهم فما لكم تعبدون الاصنام قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والمعنى ان الله يحكم يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين (ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار) اى لا يهدى من هو فى علمه انه يختار الكفر يعنى لا يوفقه للهدى ولا يعينه وقت اختياره الكفر ولكنه يخذله وكذبهم قولهم فى بعض من اتخذوا من دون الله اولياء بنات الله ولذا عقبه محتجا عليهم بقوله (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء) اى لو جاز اتخاذ الولد على ما تظنون لاختار مما يخلق ما يشاء لا ما تختارون انتم وتشاؤن

فان من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين لفظ البخارى (ان هو) يعنى القرآن (الا ذكر) أى موعظة (للعالمين) اى للخلق أجمعين (ولتعلمن) يعنى أنتم يا أهل مكة (نبأه) أى خبر صدقه (بعد حين) قال ابن عباس بعد الموت وقيل يوم القيامة وقيل من بقى علم بذلك اذا ظهر أمره وعلا ومن مات علمه بعد الموت وقال الحسن ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

(تفسير سورة الزمر)

نزلت بمكة الا قوله تعالى قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم وقوله تعالى الله نزل أحسن الحديث وقيل قل يا عبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم عوضا عن قوله الله نزل أحسن الحديث وقيل فيها ثلاث آيات مدنيات من قوله قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم الى قوله لا تشعرون وهى اثنتان وقيل خمس وسبعون آية وألف ومائة واثنتان وسبعون كلمة وأربعة آلاف وتسعمائة وثمانية أحرف

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (تنزيل الكتاب) أى هذا الكتاب وهو القرآن تنزيل (من الله العزيز الحكيم) أى لا من غيره (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق) اى لم تنزله باطلا لغير شئ (فاعبد الله مخلصا له الدين) اى الطاعة (ألا لله الدين الخالص) اى شهادة أن لا اله الا الله وقيل لا يستحق الدين الخالص الا الله وقيل يعنى الخالص من الشرك وما سوى الخالص ليس بدين الله الذى امر به لان رأس العبادات الاخلاص فى التوحيد واتباع الاوامر واجتناب النواهى (والذين اتخذوا من دونه) اى من دون الله (أولياء) يعنى الاصنام (ما نعبدهم) اى قالوا ما نعبدهم (الا ليقربونا الى الله زلفى) يعنى قربة وذلك انهم كانوا اذا قيل لهم من خلقكم وخلق السموات والارض ومن ربكم قالوا الله فقيل لهم فما معنى عبادتكم الاصنام فقالوا ليقربونا الى الله زلفى وتشفع لنا عنده (ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون) اى من أمر الدين (ان الله لا يهدى) اى يرشد لدينه (من هو كاذب) اى من قال ان الآلهة تشفع له (كفار) اى باتخاذه الآلهة دون الله تعالى (لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى) اى لاختار (مما يخلق ما يشاء) يعنى الملائكة ثم

(سبحانه) نزه ذاته عن ان يكون له أخذ ما نسبوا اليه من الاولياء والاولاد ودل على ذلك بقوله (هو الله الواحد القهار) يعنى انه واحد متبرئ عن انضمام الاعداد متعال عن التجزؤ والولاد قهار غلاب لكل شئ ومن الاشياء آلهتهم فأنى يكون له أولياء وشركاء ثم دل بخلق السموات والارض وتكوير كل واحد من الملوين على الآخر وتسخير النيرين وجريهما لاجل مسمى وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق الانعام على انه واحد لا يشارك قهار لا يغالب بقوله (خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) ٦٣ والتكوير اللف واللى يقال كار العمامة على رأسه وكورها والمعنى ان كل واحد منهما يغيب الآخر اذا طرأ عليه فشبه فى تغييبه اياه بشئ ظاهر لف عليه ما غيبه عن مطامح الابصار او أن هذا يكر على هذا كرورا متتابعا فشبه ذلك بتتابع أكوار العمامة بعضها على اثر بعض (وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى) اى يوم القيامة (الا هو العزيز) الغالب القادر على عقاب من لم يعتبر بتسخير الشمس والقمر فلم يؤمن بمسخرهما (الغفار) لمن فكر واعتبر فآمن بمدبرهما (خلقكم من نفس واحدة) أى آدم عليه السلام (ثم جعل منها زوجها) أى حواء من قصيراه قيل أخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حواء (وأنزل لكم من الانعام) اى جعل عن الحسن او خلقها فى الجنة مع آدم عليه السلام ثم انزلها او لانها لا تعيش الا بالنبات والنبات لا يقوم الا بالماء وقد انزل الماء فكانه انزلها (ثمانية أزواج) ذكر وانثى من الابل والبقر والضان والمعز كما بين فى سورة الانعام والزوج اسم لواحد معه آخر فاذا انفرد فهو فرد ووتر (يخلقكم فى بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق) نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم الى تمام الخلق (فى ظلمات ثلاث) ظلمة البطن والرحم والمشيمة او ظلمة الصلب والبطن والرحم (ذلكم) الذى هذه مفعولاته هو (الله ربكم له الملك لا اله الا هو فأنى تصرفون) فكيف يعدل بكم عن عبادته الى عبادة غيره ثم بين انه غنى عنهم بقوله (ان تكفروا فان الله غنى عنكم) عن ايمانكم وانتم محتاجون اليه لتضرركم بالكفر وانتفاعكم بالايمان

نزه نفسه فقال تعالى (سبحانه) أى تنزيها له عن ذلك وعما لا يليق بطهارة قدسه (هو الله الواحد) اى فى ملكه الذى لا شريك له ولا ولد (القهار) أى الغالب الكامل القدرة قوله تعالى (خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) يعنى يغشى هذا هذا وقيل يدخل أحدهما على الآخر وقيل ينقص من أحدهما ويزيد فى الآخر فما نقص من الليل زاد فى النهار وما نقص من النهار زاد فى الليل ومنتهى النقصان تسع ساعات ومنتهى الزيادة خمس عشرة ساعة وقيل الليل والنهار عسكران عظيمان يكر أحدهما على الآخر وذلك بقدرة قادر عليهما قاهر لهما (وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى) يعنى الى يوم القيامة (ألا هو العزيز الغفار) معناه ان خلق هذه الاشياء العظيمة يدل على كونه سبحانه وتعالى عزيزا كامل القدرة مع انه غفار عظيم الرحمة والفضل والاحسان (خلقكم من نفس واحدة) يعنى آدم (ثم جعل منها زوجها) يعنى حواء ولما ذكر الله تعالى آيات قدرته فى خلق السموات والارض وتكوير الليل على النهار ثم اتبعه بذكر خلق الانسان عقبه بذكر خلق الحيوان فقال تعالى (وأنزل لكم من الانعام ثمانية ازواج) يعنى الابل والبقر والغنم والمعز والمراد بالازواج الذكر والانثى من هذه الاصناف وفى تفسير الانزال وجوه قيل انه هنا بمعنى الاحداث والانشاء وقيل ان الحيوان لا يعيش الا بالنبات والنبات لا يقوم الا بالماء وهو ينزل من السماء فكان التقدير انزل الماء الذى تعيش به الانعام وقيل ان اصول هذه الاصناف خلقت فى الجنة ثم انزلت الى الارض (يخلقكم فى بطون امهاتكم) لما ذكر الله تعالى اصل خلق الانسان ثم اتبعه بذكر الانعام عقبه بذكر حالة مشتركة بين الانسان والحيوان وهى كونها مخلوقة فى بطون الامهات وانما قال فى بطون امهاتكم لتغليب من يعقل والشرف للانسان على سائر الخلق (خلقا من بعد خلق) يعنى نطفة ثم علقة ثم مضغة (فى ظلمات ثلاث) قال ابن عباس ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة وقيل ظلمة الصلب وظلمة الرحم وظلمة البطن (ذلكم الله ربكم) اى الذى خلق هذه الاشياء ربكم (له الملك) اى لا لغيره (لا اله الا هو) اى لا خالق لهذا الخلق ولا معبود لهم الا الله تعالى (فانى تصرفون) اى عن طريق الحق بعد هذا البيان قوله عز وجل (ان تكفروا فان الله غنى عنكم) يعنى انه تعالى ما كلف المكلفين ليجر الى نفسه نفعا او ليدفع

(ولا يرضى لعباده الكفر) لان الكفر ليس برضا الله تعالى وان كان بارادته (وان تشكروا) فتؤمنوا (يرضه لكم) اى يرض الشكر لكم لانه سبب فوزكم فيثيبكم عليه الجنة يرضه بضم الهاء والاشباع مكى وعلى يرضه بضم الهاء بدون الاشباع نافع وهشام وعاصم غير يحيى وحماد وغيرهم ٦٤ يرضه (ولا تزر وازرة وزر أخرى) اى لا يؤخذ أحد بذنب آخر (ثم الى ربكم مرجعكم) الى جزاء ربكم رجوعكم (فينبئكم بما كنتم تعملون) فيخبركم باعمالكم ويجازيكم عليها (انه عليم بذات الصدور) بخفيات القلوب (واذا مس الانسان) هو أبو جهل او كل كافر (ضر) بلاء وشدة والمس فى الاعراض مجاز (دعا ربه منيبا اليه) راجعا الى الله بالدعاء لا يدعو غيره (ثم اذا خوله) أعطاه (نعمة منه) من الله عز وجل (نسى ما كان يدعو اليه من قبل) اى نسى ربه الذى كان يتضرع اليه وما بمعنى من كقوله وما خلق الذكر والانثى أو نسى الضر الذى كان يدعو الله الى كشفه (وجعل لله أندادا) امثالا (ليضل) ليضل مكى وأبو عمرو ويعقوب (عن سبيله) اى الاسلام (قل) يا محمد (تمتع) أمر تهديد (بكفرك قليلا) أى فى الدنيا (انك من أصحاب النار) من أهلها (أمن) قرأ بالتخفيف مكى ونافع وحمزة على ادخال همزة الاستفهام على من وبالتشديد غيرهم على ادخال أم عليه ومن مبتدا خبره محذوف تقديره امن (هو قانت) كغيره أى أمن هو مطيع كمن هو عاص والقانت المطيع لله وانما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جرى ذكر الكافر قبله وقوله بعده قل هو يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون (آناء الليل) ساعاته (ساجدا وقائما) حالان من الضمير فى قانت

عن نفسه ضرا وذلك لانه تعالى غنى عن الخلق على الاطلاق فيمتنع فى حقه جر المنفعة ودفع المضرة ولانه لو كان محتاجا لكان ذلك نقصانا والله تعالى منزه عن النقصان فثبت بما ذكرنا انه غنى عن جميع العالمين فلو كفروا وأصروا عليه فان الله تعالى غنى عنهم ثم قال الله تعالى (ولا يرضى لعباده الكفر) يعنى انه تعالى وان كان لا ينفعه ايمان ولا يضره كفر الا أنه لا يرضى لعباده الكفر قال ابن عباس لا يرضى لعباده المؤمنين بالكفر وهم الذين قال الله تعالى فيهم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان فعلى هذا يكون عاما فى اللفظ خاصا فى المعنى كقوله عينا يشرب بها عباد الله يريد بعض عباد الله وأجراه قوم على العموم وقال لا يرضى لاحد من عباده الكفر ومعنى الآية لا يرضى لعباده ان يكفروا به وهو قول السلف قالوا كفر الكافر غير مرضى لله تعالى وان كان بارادته لان الرضا عبارة عن مدح الشئ والثناء عليه بفعله والله تعالى لا يمدح الكفر ولا يثنى عليه ولا يكون شئ فى ملكه الا ما أراد وقد لا يرضى به ولا يمدح عليه وقد بان الفرق بين الارادة والرضا (وان تشكروا) أى تؤمنوا بربكم وتطيعوه (يرضه لكم) فيثيبكم عليه (ولا تزر وازرة وزر أخرى) تقدم بيانه (ثم الى ربكم مرجعكم) أى فى الآخرة (فينبئكم بما كنتم تعملون) أى فى الدنيا (انه عليم بذات الصدور) أى بما فى القلوب قوله تعالى (واذا مس الانسان ضر) أى بلاء وشدة (دعا ربه منيبا) أى راجعا (اليه) مستغيثا به (ثم اذا خوله) أى أعطاه (نعمة منه نسى) أى ترك (ما كان يدعو اليه من قبل) والمعنى نسى الضر الذى كان يدعو الله الى كشفه (وجعل لله أندادا) يعنى الاصنام (ليضل عن سبيله) أى ليرد عن دين الله تعالى (قل) أى لهذا الكافر (تمتع بكفرك قليلا) أى فى الدنيا الى انقضاء أجلك (انك من أصحاب النار) قيل نزلت فى عتبة بن ربيعة وقيل فى أبى حذيفة المخزومى وقيل هو عام فى كل كافر (أمن هو قانت) قيل فيه حذف مجازه كمن هو غير قانت وقيل مجازه الذى جعل لله أندادا خير أم من هو قانت لله وقيل معنى الآية تمتع بكفرك انك من أصحاب النار ويا من هو قانت أنت من أصحاب الجنة قال ابن عباس نزلت فى أبى بكر وعمر وعن ابن عمر انها نزلت فى عثمان وقيل نزلت فى ابن مسعود وعمار وسلمان وقيل الآية عامة فى كل قانت وهو المقيم على الطاعة وقال ابن عمر القنوت قراءة القرآن وطول القيام وقيل القانت القائم بما يجب عليه (آناء الليل) أى ساعات الليل أوله ووسطه وآخره (ساجدا وقائما) أى فى الصلاة وفيه دليل على ترجيح قيام الليل على النهار وانه أفضل منه وذلك لان الليل أستر فيكون أبعد عن الرياء ولان ظلمة الليل تجمع الهم وتمنع البصر عن النظر الى الاشياء واذا صار القلب فارغا عن الاشتغال بالاحوال الخارجية رجع الى المطلوب الاصلى وهو الخشوع فى الصلاة ومعرفة من يصلى له وقيل لان الليل وقت النوم ومظنة الراحة فيكون قيام

ازه
لله

(يحذر الآخرة) اى عذاب الآخرة (ويرجوا رحمة ربه) اى الجنة ودلت الآية على أن المؤمن يجب ان يكون بين الخوف والرجاء يرجو رحمته لاعماله و يحذر عقابه لتقصيره فى عمله ثم الرجاء اذا جاوز حده يكون امنا والخوف اذا جاوز حده يكون اياسا وقد قال الله تعالى فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون وقال انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فيجب ان لا يجاوز احدهما حده (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) اى يعلمون و يعملون به كانه جعل من لا يعمل غير عالم وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقتنون و يقتنون فيها ثم يفتنون بالدنيا فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء أو أريد به التشبيه أى كما لا يستوى العالم والجاهل كذلك لا يستوى المطيع والعاصى (انما يتذكر أولوا الالباب) جمع لب أى انما يتعظ بوعظ الله أولوا العقول (قل ياعبادى الذين آمنوا) بلا ياء عند الاكثر (اتقوا ربكم) بامتثال أوامره واجتناب نواهيه (للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة) أى أطاعوا الله فى الدنيا وفى يتعلق باحسنوا لا بحسنة معناه الذين أحسنوا فى هذه الدنيا فلهم حسنة فى الآخرة وهى دخول الجنة أى حسنة لا توصف وقد علقه السدى بحسنة ففسر الحسنة بالصحة والعافية ومعنى (وأرض الله واسعة) أى لا عذر للمفرطين فى الاحسان البتة حتى ان اعتلوا بانهم لا يتمكنون فى أوطانهم من التوفر على الاحسان قيل لهم فان أرض الله واسعة وبلاده كثيرة فتحولوا الى بلاد اخر واقتدوا بالانبياء والصالحين فى مهاجرتهم الى غير بلادهم ليزدادوا احسانا الى احسانهم وطاعة الى طاعتهم (انما يوفى الصابرون) على مفارقة أوطانهم وعشائرهم وعلى غيرها من تجرع الغصص واحتمال البلايا فى طاعة الله وازدياد الخير (اجرهم بغير حساب) عن ابن عباس رضى الله عنهما لا يهتدى اليه حساب الحساب ولا يعرف وهو حال من الاجر أى موفرا (قل انى امرت ان اعبد الله) بان اعبد الله (مخلصا له الدين) اى امرت باخلاص الدين (وامرت لان اكون أول المسلمين) وأمرت بذلك لاجل ان أكون أول المسلمين أى مقدمهم وسابقهم فى الدنيا والآخرة والمعنى ان الاخلاص له السبقة فى الدين فمن اخلص كان سابقا فالاول أمر بالعبادة مع الاخلاص والثانى بالسبق فلاختلاف جهتيهما نزلا منزلة المختلفين فصح عطف أحدهما على الآخر

أشق على النفس فيكون الثواب فيه أكثر (يحذر) أى يخاف (الآخرة ويرجوا رحمة ربه) قيل المغفرة وقيل الجنة وفيه فائدة وهى انه قال فى مقام الخوف يحذر الآخرة فلم يضف الحذر اليه تعالى وقال فى مقام الرجاء ويرجوا رحمة ربه وهذا يدل على ان جانب الرجاء أكمل وأولى ان ينسب الى الله تعالى و يعضد هذا ما روى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو فى الموت فقال له كيف تجدك قال أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن الا اعطاه الله تعالى ما يرجو منه وآمنه مما يخاف اخرجه الترمذى (قل هل يستوى الذين يعلمون) اى ما عند الله من الثواب والعقاب (والذين لا يعلمون) ذلك وقيل الذين يعلمون عمار واصحابه والذين لا يعلمون ابو حذيفة المخزومى وقيل افتتح الله الآية بالعمل وختمها بالعلم لان العمل من باب المجاهدات والعلم من باب المكاشفات وهو النهاية فاذا حصلا للانسان دل ذلك على كماله وفضله (انما يتذكر أولوا الالباب) قوله تعالى (قل ياعبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم) أى بطاعته واجتناب معاصيه (للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة) يعنى للذين آمنوا وأحسنوا العمل حسنة يعنى الجنة وقيل الصحة والعافية فى هذه الدنيا (وأرض الله واسعة) قال ابن عباس يعنى ارتحلوا من مكة وفيه حث على الهجرة من البلد الذى يظهر فيه المعاصى وقيل من امر بالمعاصى فى بلد فليهرب منه وقيل نزلت فى مهاجرى الحبشة وقيل نزلت فى جعفر بن ابى طالب واصحابه حيث لم يتركوا دينهم لما نزل بهم البلاء وصبروا وهاجروا (انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب) قال على بن ابى طالب كل مطيع يكال له كيلا ويوزن له وزنا الا الصابرون فانه يحثى لهم حثيا وروى انه يؤتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا بغير حساب حتى يتمنى اهل العافية فى الدنيا لو أن اجسادهم تقرض بالمقاريض لما يذهب به اهل البلاء من الفضل قوله عز وجل (قل) يا محمد (انى امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين) اى مخلصا له التوحيد اى لا اشرك به شيأ (وامرت لان اكون اول المسلمين) اى من هذه الامة قيل امره اولا بالاخلاص وهو من عمل القلب ثم امره ثانيا

(قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم) لمن دعاك بالرجوع الى دين آبائك وذلك ان كفار قريش قالوا له عليه السلام ألا تنظر الى أبيك وجدك وسادات قومك يعبدون اللات والعزى فنزلت ردا عليهم (قل الله أعبد مخلصا له دينى) وهذه الآية اخبار بانه يخص الله وحده بعبادته مخلصا له دينه دون غيره والاولى اخبار بانه مامور بالعبادة والاخلاص فالكلام أولا واقع فى نفس الفعل واثباته وثانيا فيما يفعل الفعل لاجله ولذلك رتب عليه قوله (فاعبدوا ما شئتم من دونه) وهذا أمر تهديد وقيل له عليه السلام ان خالفت دين آبائك فقد خسرت فنزلت (قل ان الخاسرين) أى الكاملين فى الخسران الجامعين لوجوهه وأسبابه (الذين خسروا أنفسهم) باهلاكها فى النار (وأهليهم) أى وخسروا أهليهم (يوم القيامة) لانهم اضلوهم فصاروا الى النار ولقد وصف خسرانهم بغاية الفظاعة فى قوله (ألا ذلك هو الخسران المبين) حيث صدر الجملة بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتدا والخبر وعرف الخسران ونعته بالمبين وذلك لانهم استبدلوا بالجنة نارا وبالدرجات دركات (لهم من فوقهم ظلل) أطباق (من النار ومن تحتهم ظلل) أطباق من النار وهى ظلل لآخرين أى النار محيطة بهم (ذلك) الذى وصف من العذاب أو ذلك الظلل (يخوف الله به عباده) ليؤمنوا به ويجتنبوا مناهيه (يا عباد فاتقون) ولا تتعرضوا لما يوجب سخطى خوفهم بالنار ثم حذرهم نفسه (والذين اجتنبوا الطاغوت) الشياطين فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحموت الا أن فيها قلبا بتقديم اللام على العين أطلقت على الشيطان او الشياطين لكون الطاغوت مصدرا وفيها مبالغات وهى التسمية بالمصدر كأن عين الشيطان طغيان وأن البناء بناء مبالغة فان الرحموت الرحمة الواسعة والملكوت الملك المبسوط والقلب وهو للاختصاص اذ لا تطلق على غير الشيطان والمراد بها ههنا الجمع وقرئ الطواغيت

بعمل الجوارح لان شرائع الله تعالى لا تستفاد الا من الرسول صلى الله عليه وسلم وهو المبلغ فكان هو أول الناس شروعا فيها فخص الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بهذا الامر لينبه على ان غيره أحق بذلك فهو كالترغيب لغيره (قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم) وذلك ان كفار قريش قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ما حملك على هذا الذى أتيتنا به ألا تنظر الى ملة أبيك وجدك وقومك فتأخذ بها فانزل الله تعالى هذه الآيات ومعنى الآية زجر الغير عن المعاصى لانه مع جلالة قدره وشرفه وطهارته ونزاهته ومنصب نبوته اذا كان خائفا حذرا من المعاصى فغيره أولى بذلك (قل الله أعبد مخلصا له دينى) فان قلت ما معنى التكرار فى قوله قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وفى قوله قل الله أعبد مخلصا له دينى قلت هذا ليس بتكرار لان الاول الاخبار بانه مامور من جهة الله تعالى بالاتيان بالعبادة والاخلاص والثانى أنه أخبر بانه أمر أن يخص الله تعالى وحده بالعبادة ولا يعبد أحدا غيره مخلصا له دينه لان قوله أمرت ان أعبد الله لا يفيد الحصر وقوله الله أعبد يفيد الحصر والمعنى الله أعبد ولا أعبد أحدا غيره ثم اتبعه بقوله (فاعبدوا ما شئتم من دونه) ليس أمرا بل المراد منه الزجر والتهديد والتوبيخ ثم بين كمال الزجر بقوله (قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم) يعنى أزواجهم وخدمهم (يوم القيامة) قال ابن عباس وذلك ان الله تعالى جعل لكل انسان منزلا وأهلا فى الجنة فمن عمل بطاعة الله تعالى كان ذلك المنزل والاهل له ومن عمل بمعصية الله تعالى دخل النار وكان ذلك المنزل والاهل لغيره ممن عمل بطاعة الله تعالى فخسر نفسه وأهله ومنزله وقيل خسران النفس بدخول النار وخسران الاهل بان يفرق بينه وبين أهله (ألا ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار) أى أطباق وسرادقات (ومن تحتهم ظلل) أى فراش ومهاد وقيل أحاطت النار بهم من جميع الجهات والجوانب فان قلت الظلة ما فوق الانسان فكيف سمى ما تحتهم بالظلة قلت فيه وجوه الاول انه من باب اطلاق اسم أحد الضدين على الآخر الثانى انه الذى تحته من النار يكون ظلة لآخر تحته فى النار لانها دركات الثالث أن الظلة التحتانية لما كانت مشابهة للظلة الفوقانية فى الايذاء والحرارة سميت باسمها لاجل المماثلة والمشابهة (ذلك يخوف الله به عباده) أى المؤمنين لانهم اذا سمعوا حال الكفار فى الآخرة خافوا فأخلصوا التوحيد والطاعة لله عز وجل وهو قوله تعالى (يا عبادى فاتقون) أى خافون قوله تعالى (والذين اجتنبوا الطاغوت) يعنى الاوثان

(أن زه

(ان يعبدوها) بدل الاشتمال من الطاغوت اى عبادتها (وانابوا) رجعوا (الى الله لهم البشرى) هى البشارة بالثواب تتلقاهم الملائكة عند حضور الموت مبشرين وحين يحشرون (فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه) هم الذين اجتنبوا وانابوا وانما اراد بهم ان يكونوا مع الاجتناب والانابة على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع الضمير اراد ان يكونوا نقادا فى الدين يميزون بين الحسن والاحسن والفاضل والافضل فاذا اعترضهم ٦٧ امران واجب وندب اختاروا الواجب وكذا المباح والندب حرصا على ماهو اقرب عند الله واكثر ثوابا او يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن او يستمعون اوامر الله فيتبعون احسنها نحو القصاص والعفو ونحو ذلك او يستمعون الحديث مع القوم فيه محاسن ومساو فيحدث باحسن ما سمع ويكف عما سواه (اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب) اى المنتفعون بعقولهم (افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من فى النار) اصل الكلام امن حق عليه كلمة العذاب اى وجب افانت تنقذه جملة شرطية دخلت عليها همزة الانكار والفاء فاء الجزاء ثم دخلت الفاء التى فى اولها للعطف على محذوف تقديره أأنت مالك أمرهم فمن حق عليه كلمة العذاب ووضع من فى النار موضع الضمير أى تنقذه فالآية على هذا جملة واحدة أو معناه أفمن حق عليه كلمة العذاب ينجو منه أفأنت تنقذه أى لا يقدر أحد أن ينقذ من أضله الله وسبق فى علمه انه من أهل النار (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف) اى لهم منازل فى الجنة رفيعة وفوقها منازل ارفع منها يعنى للكفار ظلل من النار وللمتقين غرف (مبنية تجرى من تحتها الانهار) اى من تحت منازلها (وعد الله لا يخلف الله الميعاد) وعد الله مصدر مؤكد لان قوله لهم غرف فى معنى وعدهم الله ذلك (ألم تر أن الله انزل من السماء ماء) يعنى المطر وقيل كل ماء فى الارض فهو من السماء ينزل منها الى الصخرة ثم يقسمه الله (فسلكه) فادخله (ينابيع فى الارض) عيونا ومسالك ومجارى كالعروق فى الاجساد وينابيع نصب على الحال او على الظرف وفى الارض صفة لينابيع •

(أن يعبدوها وأنابوا الى الله) أى رجعوا الى عبادة الله تعالى بالكلية وتركوا ما كانوا عليه من عبادة غيره (لهم البشرى) أى فى الدنيا وفى الآخرة أما فى الدنيا فالثناء عليهم بصالح أعمالهم وعند نزول الموت وعند الوضع فى القبر وأما فى الآخرة فعند الخروج من القبر وعند الوقوف للحساب وعند جواز الصراط وعند دخول الجنة وفى الجنة ففى كل موقف من هذه المواقف تحصل لهم البشارة بنوع من الخير والراحة والروح والريحان (فبشر عبادى الذين يستمعون القول) يعنى القرآن (فيتبعون أحسنه) أى أحسن ما يؤمرون به فيعملون به وهو أن الله تعالى ذكر فى القرآن الانتصار من الظالم وذكر العفو عنه والعفو أحسن الامرين وقيل ذكر العزائم والرخص فيتبعون الاحسن وهو العزائم وقيل يستمعون القرآن وغيره من الكلام فيتبعون القرآن لانه كله حسن وقال ابن عباس رضى الله عنهما لما أسلم أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه جاءه عثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد فسألوه فأخبرهم بايمانه فآمنوا فنزلت فيهم فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقيل نزلت هذه الآية فى ثلاثة نفر كانوا فى الجاهلية يقولون لا اله الا الله وهم زيد بن عمرو وأبو ذر وسلمان الفارسى (أولئك الذين هداهم الله) أى الى عبادته وتوحيده (وأولئك هم أولوا الالباب أفمن حق عليه كلمة العذاب) قال ابن عباس سبق فى علم الله تعالى انه فى النار وقيل كلمة العذاب قوله لاملأن جهنم وقيل قوله هؤلاء فى النار ولا أبالى (أفأنت تنقذ من فى النار) أى لا تقدر عليه قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد أبا لهب وولده (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية) أى منازل فى الجنة رفيعة وفوقها منازل هى أرفع منها (تجرى من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد) أى وعدهم الله تلك الغرف والمنازل وعدا لا يخلفه (ق) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدرى الغابر فى الافق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم فقالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين قوله الغابر أى الباقى فى الافق أى فى ناحية المشرق أو المغرب قوله تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه) أى أدخل ذلك الماء (ينابيع فى الارض) اى عيونا وركايا ومسالك ومجارى فى الارض

(ثم يخرج به) بالماء (زرعا مختلفا ألوانه) هيآته من خضرة وحمرة وصفرة وبياض او اصنافه من بر وشعير وسمسم وغير ذلك (ثم يهيج) يجف (فتراه مصفرا) بعد نضارته وحسنه (ثم يجعله حطاما) فتاتا متكسرا فالحطام ما تفتت وتكسر من النبت وغيره (ان في ذلك) في انزال الماء واخراج الزرع (لذكرى لأولي الالباب) لتذكيرا وتنبيها على انه لابد من صانع حكيم وان ذلك كائن عن تقدير وتدبير لا عن اهمال وتعطيل (أفمن شرح الله صدره) أي وسع صدره (للاسلام) فاهتدى وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشرح فقال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فهل لذلك من علامة قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت (فهو على نور من ربه) بيان وبصيرة والمعنى أفمن شرح الله صدره فاهتدى كمن طبع على قلبه فقسا قلبه فحذف لان قوله (فويل للقاسية قلوبهم) يدل عليه (من ذكر الله) أي من ترك ذكر الله او من أجل ذكر الله أي اذا ذكر الله عندهم اوآياته ازدادت قلوبهم قساوة كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم (أولئك في ضلال مبين) غواية ظاهرة (الله نزل أحسن الحديث) في ايقاع اسم الله مبتدأ وبناء نزل عليه تفخيم لاحسن الحديث (كتابا) بدل من أحسن الحديث او حال منه (متشابها) يشبه بعضه بعضا في الصدق والبيان والوعظ والحكمة والاعجاز وغير ذلك (مثاني) نعت كتابا جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثني من قصصه وأنبائه واحكامه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه فهو بيان لكونه متشابها لان القصص المكررة وغيرها لا تكون الا متشابهة وقيل لانه يثنى في التلاوة فلا يمل وانما جاز وصف الواحد بالجمع لان الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشيء هي جملته ألا تراك تقول القرآن أسباع واخماس وسور وآيات فكذلك تقول أقاصيص وأحكام ومواعظ مكررات أو منصوب على التمييز من متشابها كما تقول رأيت رجلا حسنا شمائل والمعنى متشابهة مثانيه

كالعروق في الجسد قال الشعبي كل ماء في الارض فمن السماء نزل (ثم يخرج به) أي بالماء (زرعا مختلفا ألوانه) أي مثل أصفر وأخضر وأحمر وأبيض وقيل أصنافه مثل البر والشعير وسائر أنواع الحبوب (ثم يهيج) أي ييبس (فتراه) أي بعد خضرته ونضرته (مصفرا ثم يجعله حطاما) أي فتاتا متكسرا (ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب) قوله عزوجل (أفمن شرح الله صدره) أي وسعه (للاسلام) وقبول الحق كمن طبع الله تعالى على قلبه فلم يهتد (فهو على نور من ربه) أي على يقين وبيان وهداية روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن مسعود قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه قلنا يا رسول الله كيف انشراح صدره قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح قلنا يا رسول الله فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) القسوة جمود وصلابة تحصل في القلب فان قلت كيف يقسو القلب عن ذكر الله وهو سبب لحصول النور والهداية قلت انه كلما تلي ذكر الله على الذين يكذبون به قست قلوبهم عن الايمان به وقيل ان النفس اذا كانت خبيثة الجوهر كدرة العنصر بعيدة عن قبول الحق فان سماعها الذكر الله لا يزيدها الا قسوة وكدورة كحر الشمس يلين الشمع ويعقد الملح فكذلك القرآن يلين قلوب المؤمنين عند سماعه ولا يزيد الكافرين الا قسوة قال مالك بن دينار ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب وما غضب الله تعالى على قوم الا نزع منهم الرحمة (أولئك في ضلال مبين) قيل نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وفي أبي بن خلف وقيل في علي وحمزة وفي أبي لهب وولده وقيل في رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي أبي جهل قوله عزوجل (الله نزل أحسن الحديث) يعني القرآن وكونه أحسن الحديث لوجهين أحدهما من جهة اللفظ والآخر من جهة المعنى اما الاول فلان القرآن من أفصح الكلام وأجزله وابلغه وليس هو من جنس الشعر ولا من جنس الخطب والرسائل بل هو نوع يخالف الكل في أسلوبه وأما الوجه الثاني وهو كون القرآن من أحسن الحديث لاجل المعنى فلانه كتاب منزه عن التناقض والاختلاف مشتمل على أخبار الماضين وقصص الاولين وعلى أخبار الغيوب الكثيرة وعلى الوعد والوعيد والجنة والنار (كتابا متشابها) أي يشبه بعضه بعضا في الحسن ويصدق بعضه بعضا (مثاني) أي يثنى فيه ذكر الوعد والوعيد والامر والنهي والاخبار

والاخبار والاحكام (تقشعر) اى تضطرب وتشمئز (منه جلود الذين يخشون ربهم) والمعنى تأخذهم قشعريرة وهي تغير يحدث في جلد الانسان عند ذكر الوعيد والوجل والخوف وقيل المراد من الجلود القلوب أي قلوب الذين يخشون ربهم (ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) أي لذكر الله تعالى قيل اذا ذكرت آيات الوعيد والعذاب اقشعرت جلود الخائفين لله واذا ذكرت آيات الوعد والرحمة لانت جلودهم وسكنت قلوبهم وقيل حقيقة المعنى ان جلودهم تقشعر عند الخوف وتلين عند الرجاء روى عن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تعالى تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها وفي رواية حرمه الله تعالى على النار قال بعض العارفين السيارون في بيداء جلال الله اذا نظروا الى عالم الجلال طاشوا واذا لاح لهم جمال من عالم الجمال عاشوا وقال قتادة هذا نعت أولياء الله الذى نعتهم الله به ان تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم بذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم انما ذلك في أهل البدع وهو من الشيطان وروى عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال قلت لجدتي أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما كيف كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون اذا قرئ عليهم القرآن قالت كانوا كما نعتهم الله عز وجل تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم قال عبد الله فقلت لها ان ناسا اليوم اذا قرئ عليهم القرآن خر أحدهم مغشيا عليه قالت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وروى ان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما مر برجل من أهل العراق ساقط فقال ما بال هذا قالوا انه اذا قرئ عليه القرآن أو سمع ذكر الله سقط فقال ابن عمر انا لنخشى الله وما نسقط وقال ابن عمر ان الشيطان يدخل في جوف أحدهم ما كان هذا صنيع أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون اذا قرئ عليهم القرآن فقال بيننا وبينهم ان يقعد أحدهم على ظهر بيت باسطا رجليه ثم يقرأ عليه القرآن من أوله الى آخره فان رمى بنفسه فهو صادق فان قلت لم ذكرت الجلود وحدها أولا في جانب الخوف ثم قرنت معها القلوب ثانيا في الرجاء قلت اذا ذكرت الخشية التي محلها القلوب اقشعرت الجلود من ذكر آيات الوعيد في أول وهلة واذا ذكر الله ومبنى أمره على الرأفة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة لينا في جلودهم وقيل ان المكاشفة في مقام الرجاء كمل منها في مقام الخوف لان الخير مطلوب بالذات والخوف ليس بمطلوب واذا حصل الخوف اقشعر منه الجلد واذا حصل الرجاء اطمأن اليه القلب ولان الجلد (ذلك) أي القرآن الذى هو أحسن الحديث (هدى الله يهدى به من يشاء) أي هو الذى يشرح الله به صدره لقبول الهداية (ومن يضلل الله) أي يجعل قلبه قاسيا منافيا لقبول الهداية (فماله من هاد) أي يهديه قوله عز وجل (أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب) أي شدته (يوم القيامة) قيل يجر على وجهه في النار وقيل يرمى به في النار منكوسا فاول شئ تمسه النار وجهه وقيل هو الكافر يرمى به منكوسا في النار مغلولة يداه الى عنقه وفي عنقه صخرة من كبريت مثل الجبل العظيم

والمعنى انهم اذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده أصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم وفي الحديث اذا اقشعر جلد المؤمن من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها (ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) أي اذا ذكرت آيات الرحمة لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة وعدى بالى لتضمنه معنى فعل متعد بالى كانه قيل اطمأنت الى ذكر الله لينة غير منقبضة واقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة لان رحمته سبقت غضبه فلاصالة رحمته اذا ذكر الله لم يخطر بالبال الا كونه رؤفا رحيما وذكرت الجلود وحدها أولا ثم قرنت بها القلوب ثانيا لان محل الخشية القلب فكان ذكرها يتضمن ذكر القلوب (ذلك) اشارة الى الكتاب وهو (هدى الله يهدى به من يشاء) من عباده وهو من علم منهم اختيار الاهتداء (ومن يضلل الله) بخلق الضلالة فيه (فماله من هاد) الى الحق (أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة) كمن أمن من العذاب فحذف الخبر كما حذف في نظائره وسوء العذاب شدته ومعناه ان الانسان اذا اتقى مخوفا من المخاوف استقبله بيده وطلب ان يقي بها وجهه لانه أعز أعضائه عليه والذى

يلقى في النار يلقى مغلولة يداه الى عنقه فلا يتهيأ له ان يتقي النار الا بوجهه الذى كان يتقي المخاوف بغيره وقاية له ومحاماة عليه

(وقيل للظالمين) اى تقول لهم خزنة النار (ذوقوا) وبال (ما كنتم تكسبون) أى كسبكم (كذب الذين من قبلهم) من قبل قريش (فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) من الجهة التى لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم أن الشر يأتيهم منها بيناهم آمنون اذ فوجؤا من مأمنهم (فاذاقهم الله الخزى) الذل والصغار كالمسخ والخسف والقتل والجلاء ونحو ذلك من عذاب الله (فى الحيوة الدنيا ولعذاب الاخرة أكبر) من عذاب الدنيا (لو كانوا يعلمون) لآمنوا (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون) ليتعظوا (قرآنا عربيا) حال مؤكدة كما تقول جاءنى زيد رجلا صالحا وانسانا عاقلا فتذكر رجلا أو انسانا توكيدا أو نصب على المدح (غير ذى عوج) مستقيما بريئا من التناقض والاختلاف ولم يقل مستقيما للاشعار بان لا يكون فيه عوج قط وقيل المراد بالعوج الشك (لعلهم يتقون) الكفر (ضرب الله مثلا رجلا) بدل (فيه شركاء متشاكسون) متنازعون ومختلفون (ورجلا سلما) مصدر سلم والمعنى ذا سلامة (لرجل) أى ذا خلوص له من الشركة سالما مكى وأبو عمرو أى خالصا له (هل يستويان مثلا) صفة وهو تمييز والمعنى هل تستوى صفتاهما وحالاهما وانما اقتصر فى التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين (الحمد لله) الذى لا اله الا هو (بل أكثرهم لا يعلمون) فيشركون به غيره مثل الكافر ومعبوده بعبد اشترك فيه شركاء بينهم تنازع واختلاف وكل واحد منهم يدعى انه عبده فهم يتجاذبونه ويتعاورونه فى مهن شتى وهو متحير لا يدرى أيهم يرضى بخدمته وعلى أيهم يعتمد فى حاجاته وممن يطلب رزقه وممن يلتمس رفقه فهمه شعاع وقلبه أوزاع والمؤمن بعبد له سيد واحد فهمه واحد وقلبه مجتمع (انك ميت) أى ستموت (وانهم ميتون) وبالتخفيف من حل به الموت قال الخليل أنشد أبو عمرو

فيشعل النار فى تلك الصخرة وهى فى عنقه فحرها ووهجها على وجهه لا يطيق دفعها عنه للاغلال التى فى يديه وعنقه ومعنى الآية أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب كمن هو آمن من العذاب (وقيل للظالمين) أى تقول لهم الخزنة (ذوقوا ما) أى وبال ما (كنتم تكسبون) أى فى الدنيا من المعاصى (كذب الذين من قبلهم) اى من قبل كفار مكة كذبوا الرسل (فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) يعنى وهم غافلون آمنون من العذاب (فاذاقهم الله الخزى) اى العذاب والهوان (فى الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) قوله عز وجل (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون) اى يتعظون (قرآنا عربيا) اى فصيحا أعجز الفصحاء والبلغاء عن معارضته (غير ذى عوج) اى منزها عن التناقض وقال ابن عباس غير مختلف وقيل غير ذى لبس وقيل غير مخلوق ويروى ذلك عن مالك بن أنس وحكى عن سفيان بن عيينة عن سبعين من التابعين ان القرآن ليس بخالق ولا مخلوق (لعلهم يتقون) أى الكفر والتكذيب فان قلت ما الحكمة فى تقديم التذكر فى الآية الاولى على التقوى فى هذه الآية قلت سبب تقديم التذكر أن الانسان اذا تذكر وعرف ووقف على فحوى الشئ واحتاط بمعناه اتقاه واحترز منه قوله تعالى (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون) أى متنازعون مختلفون سيئة أخلاقهم والشكس السيئ الخلق المخالف للناس لا يرضى بالانصاف (ورجلا سالما لرجل) أى خالصا له لا شريك له فيه ولا منازع والمعنى واضرب يا محمد لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون فى رجل مملوك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد يدعى انه عبده وهم يتجاذبونه فى مهن شتى فاذا عنت لهم حاجة يتدافعونه فهو متحير فى أمره لا يدرى أيهم يرضى بخدمته وعلى أيهم يعتمد فى حاجاته وفى رجل آخر مملوك قد سلم لمالك واحد يخدمه على سبيل الاخلاص وذلك السيد يعين خادمه فى حاجاته فأى هذين العبدين أحسن حالا وأحمد شانا وهذا مثل ضربه الله تعالى للكافر الذى يعبد آلهة شتى والمؤمن الذى يعبد الله تعالى وحده فكان حال المؤمن الذى يعبد الها واحدا أحسن وأصلح من حال الكافر الذى يعبد آلهة شتى وهو قوله تعالى (هل يستويان مثلا) وهذا استفهام انكار أى لا يستويان فى الحال والصفة قال تعالى (الحمد لله) أى لله الحمد كله وحده دون غيره من المعبودين وقيل لما ثبت انه لا اله الا الله الواحد الاحد الحق بالدلائل الظاهرة والامثال الباهرة قال الحمد لله على حصول هذه البينات وظهور هذه الدلالات (بل أكثرهم لا يعلمون) أى ان المستحق للعبادة هو الله تعالى وحده لا شريك له قوله تعالى (انك ميت) اى ستموت (وانهم ميتون) أى سيموتون وذلك انهم كانوا يتربصون برسول

الله صلى الله عليه وسلم موته فأخبر الله تعالى ان الموت يعمهم جميعا فلا معنى للتربص وشماتة الفاني بالفاني وقيل نعى الى نبيه نفسه والیكم أنفسكم والمعنى انك ميت وانهم ميتون وان كنتم أحياء فانكم في عداد الموتى (ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) قال ابن عباس يعني المحق والمبطل والظالم والمظلوم * عن عبد الله بن الزبير قال لما نزلت ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير يارسول الله أتكون علينا الخصومة بعد الذي كان بيننا في الدنيا قال نعم فقال ان الامر اذا الشديد أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال ابن عمر رضي الله عنهما عشنا برهة من الدهر وكنا نرى ان هذه الآية نزلت فينا وفي أهل الكتابين ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قلنا كيف نختصم وديننا واحد وكتابنا واحد حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت بانها فينا نزلت وعن أبي سعيد الخدري في هذه الآية قال كنا نقول ربنا واحد وديننا واحد ونبينا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن ابراهيم قال لما نزلت هذه الآية ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قالوا كيف نختصم ونحن اخوان فلما قتل عثمان قالوا هذه خصومتنا (خ) عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان عنده مظلمة لاخيه من عرض أو مال فليتحلله اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات أخذ من سيآت صاحبه فحملت عليه (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال ان المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار قوله تعالى (فمن أظلم ممن كذب على الله) فزعم ان له ولدا أو شريكا (وكذب بالصدق اذ جاءه) أي بالقرآن وقيل بالرسالة اليه (أليس في جهنم مثوى) أي منزلة ومقام (للكافرين) قوله تعالى (والذي جاء بالصدق وصدق به) اي والذي صدق به قال ابن عباس الذي جاء بالصدق هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بلا اله الا الله وصدق به هو رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا بلغه الى الخلق وقيل الذي جاء بالصدق هو جبريل عليه الصلاة والسلام جاء بالقرآن وصدق به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق به أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وقيل وصدق به المؤمنون وقيل الذي جاء بالصدق الانبياء

وتسألني تفسير ميت وميت * فدونك قد فسرت ان كنت تعقل فمن كان ذا روح فذلك ميت * وما الميت الا من الى القبر يحمل كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته فاخبر ان الموت يعمهم فلا معنى للتربص وشماتة الفاني بالفاني وعن قتادة نعى الى نبيه نفسه ونعى اليكم أنفسكم أي انك واياهم في عداد الموتى لان ما هو كائن فكأن قد كان (ثم انكم) اى انك واياهم فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب (يوم القيامة عند ربكم تختصمون) فتحتج أنت عليهم بانك بلغت فكذبوا واجتهدت في الدعوة فلجوا في العناد ويعتذرون بما لا طائل تحته تقول الاتباع أطعنا ساداتنا وكبراءنا وتقول السادات أغوتنا الشياطين وآباؤنا الاقدمون قال الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ما خصومتنا ونحن اخوان فلما قتل عثمان رضي الله عنه قالوا هذه خصومتنا وعن أبي العالية نزلت في أهل القبلة وذلك في الدماء والمظالم التي بينهم والوجه هو الاول ألا ترى الى قوله (فمن أظلم ممن كذب على الله) وقوله والذي جاء بالصدق وصدق به وما هو الا بيان وتفسير للذين تكون بينهم الخصومة كذب على الله افترى عليه باضافة الولد والشريك اليه (وكذب بالصدق) بالامر الذي هو الصدق بعينه وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم (اذ جاءه) فاجأه بالتكذيب لما سمع به من غير وقفة لاعمال روية أو اهتمام بتمييز بين حق وباطل كما يفعل أهل النصفة فيما يسمعون (أليس في جهنم مثوى للكافرين) أي لهؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق واللام في الكافرين اشارة اليهم (والذي جاء بالصدق وصدق به) هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق وآمن به وأراد به اياه ومن تبعه كما أراد بموسى اياه وقومه في قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون فلذا قال تعالى

(أولئك هم المتقون) وقال الزجاج روى عن على رضى الله عنه انه قال والذى جاء بالصدق محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى صدق به أبو بكر الصديق رضى الله عنه وروى ان الذى جاء بالصدق محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى صدق به المؤمنون والكل صحيح كذا قاله قالوا والوجه فى العربية أن يكون جاء وصدق لفاعل واحد لان التغاير يستدعى اضمار الذى وذا غير جائز او اضمار الفاعل من غير تقدم الذكر وذا بعيد (لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم اسوأ الذى عملوا ويجزيهم اجرهم بأحسن الذى كانوا يعملون) اضافة اسوأ واحسن من اضافة الشئ الى ما هو بعضه من غير تفضيل كقولك الاشج اعدل بنى مروان (أليس الله بكاف) ادخلت همزة الانكار على كلمة النفى فافيد معنى اثبات الكفاية وتقريرها (عبده) اى محمدا صلى الله عليه وسلم ٧٢ عباده حمزة وعلى اى الانبياء والمؤمنين وهو مثل انا كفيناك المستهزئين

وصدق به الاتباع وقيل الذى جاء بالصدق أهل القرآن وهو الصدق يجيؤن به يوم القيامة وقد أدوا حقه فهم الذين صدقوا به (أولئك هم المتقون) أى الذين اتقوا الشرك (لهم ما يشاؤن عند ربهم) أى من الجزاء والكرامة (ذلك جزاء المحسنين) أى فى أقوالهم وأفعالهم (ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا) أى يستره عليهم بالمغفرة (ويجزيهم أجرهم بأحسن الذى كانوا يعملون) أى يجزيهم بمحاسن أفعالهم ولا يجزيهم بمساويها قوله عز وجل (أليس الله بكاف عبده) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وقرئ عباده يعنى الانبياء عليهم الصلاة والسلام قصدهم قومهم بالسوء فكفاهم الله تعالى شر من عاداهم (ويخوفونك بالذين من دونه) وذلك انهم خوفوا النبى صلى الله عليه وسلم مضرة الاوثان وقالوا لتكفن عن شتم آلهتنا أو ليصيبنك منهم خبل أو جنون (ومن يضلل الله فماله من هاد ومن يهد الله فماله من مضل أليس الله بعزيز) أى منيع فى ملكه (ذى انتقام) أى منتقم من اعدائه (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) يعنى ان هؤلاء المشركين مقرون بوجود الاله القادر العالم الحكيم وذلك متفق عليه عند جمهور الخلائق فان فطرة الخلق شاهدة بصحة هذا العلم فان من تأمل عجائب السموات والارض وما فيها من أنواع الموجودات علم بذلك انها من ابتداع قادر حكيم ثم أمره الله تعالى أن يحتج عليهم بان ما يعبدون من دون الله لا قدرة لها على جلب خير أو دفع ضر وهو قوله تعالى (قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله) يعنى الاصنام (ان أرادنى الله بضر) أى بشدة وبلاء (هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة) أى بنعمة وخير وبركة (هل هن ممسكات رحمته) فسألهم النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فسكتوا فقال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم (قل حسبى الله) أى هو ثقتى وعليه اعتمادى (عليه يتوكل المتوكلون) أى عليه يثق الواثقون (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم) أى اجتهدوا فى أنواع مكركم

(ويخوفونك بالذين من دونه) أى بالاوثان التى اتخذوها آلهة من دونه وذلك ان قريشا قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا نخاف أن تخبلك آلهتنا وانا نخشى عليك مضرتها لعيبك اياها (ومن يضلل الله فماله من هاد ومن يهد الله فماله من مضل أليس الله بعزيز) بغالب منيع (ذى انتقام) ينتقم من أعدائه وفيه وعيد لقريش ووعد للمؤمنين بانه ينتقم لهم منهم وينصرهم عليهم ثم اعلم بانهم مع عبادتهم الاوثان مقرون بان الله تعالى خالق السموات والارض بقوله (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادنى الله) بفتح الياء سوى حمزة (بضر) مرض أو فقر أو غير ذلك (هل هن كاشفات ضره) دافعات شدته عنى (او ارادنى برحمة) صحة او غنى او نحوهما (هل هن ممسكات رحمته) كاشفات وكيدكم ضره وممسكات رحمته بالتنوين على الاصل بصرى وفرض المسئلة فى نفسه دونهم لانهم خوفوه معرة الاوثان وتخبيلها فأمر بأن يقررهم أولا بان خالق العالم هو الله وحده ثم يقول لهم بعد التقرير فان أرادنى خالق العالم الذى اقررتم به بضر او برحمة هل يقدرون على خلاف ذلك فلما الخمهم قال الله تعالى (قل حسبى الله) كافيا لمعرة اوثانكم (عليه يتوكل المتوكلون) يروى ان النبى صلى الله عليه وسلم سألهم فسكتوا فنزل قل حسبى الله وانما قال كاشفات وممسكات على التأنيث بعد قوله ويخوفونك بالذين من دونه لانهن اناث وهن اللات والعزى ومناة وفيه تهكم بهم وبمعبودهم (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم) على حالكم التى أنتم عليها وجهتكم من العداوة التى تمكنتم منها والمكانة بمعنى المكان فاستعيرت عن العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان وهما للمكان

(انى عامل) أى على مكانتى وحذف للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد والايذان بان حالته تزداد كل يوم قوة لان الله تعالى
ناصره ومعينه الاترى الى قوله (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم) كيف توعدهم بكونه
منصورا عليهم غالبا عليهم فى الدنيا والآخرة لانهم اذا أتاهم الخزى والعذاب فذاك عزه وغلبته من حيث ان الغلبة تتم له
بعز عزيز من أوليائه وبذل ذليل من أعدائه ويخزيه صفة للعذاب كمقيم أى عذاب مخزله وهو يوم بدر وعذاب دائم وهو
عذاب النار مكاناتكم أبو بكر وحماد (انا أنزلنا عليك الكتاب) القرآن (للناس) لاجلهم ولاجل حاجتهم اليه ليبشروا
وينذروا فتقوى دواعيهم الى اختيار الطاعة على المعصية (بالحق فمن اهتدى فلنفسه) فمن اختار الهدى فقد نفع نفسه (ومن
ضل فانما يضل عليها) ومن اختار الضلالة فقد ضرها (وما أنت عليهم بوكيل) بحفيظ ثم أخبر بانه الحفيظ القدير عليهم
بقوله (الله يتوفى الانفس حين موتها) الانفس الجمل كما هى وتوفيها اماتتها ٧٣ وهو أن يسلب ماهى به حية حساسة دراكة
(والتى لم تمت فى منامها) ويتوفى
الانفس التى لم تمت فى منامها
أى يتوفاها حين تنام تشبيها
للنائمين بالموتى حيث لا يميزون
ولا يتصرفون كما أن الموتى
كذلك ومنه قوله تعالى وهو
الذى يتوفاكم بالليل (فيمسك
الانفس (التى قضى) قضى
حمزة وعلى (عليها الموت)
الحقيقى أى لا يردها فى وقتها
حية (ويرسل الاخرى) النائمة
(الى أجل مسمى) الى وقت
ضرب لموتها وقيل يتوفى
الانفس أى يستوفيها ويقبضها
وهى الانفس التى تكون
معها الحياة والحركة ويتوفى
الانفس التى لم تمت فى منامها
وهى أنفس التمييز قالوا فالتى
تتوفى فى المنام هى نفس التمييز
لا نفس الحياة اذ لو زالت زال
١٠ ن ع معها النفس والنائم يتنفس ولكل انسان نفسان احداهما نفس الحياة وهى التى تفارق عند الموت
والاخرى نفس التمييز وهى التى تفارقه اذا نام وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى ابن آدم نفس وروح بينهما شعاع
مثل شعاع الشمس فالنفس هى التى بها العقل والتمييز والروح هى التى بها النفس والتحرك فاذا نام العبد قبض الله نفسه
ولم يقبض روحه وعن على رضى الله عنه قال تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعها فى الجسد فبذلك يرى الرؤيا فاذا انتبه من
النوم عاد الروح الى جسده باسرع من لحظة وعنه ما رأت نفس النائم فى السماء فهى الرؤيا الصادقة وما رأت بعد الارسال
فيلقنها الشيطان فهى كاذبة وعن سعيد بن جبير ان أرواح الاحياء وأرواح الاموات تلتقى فى المنام فيتعارف منها ما شاء الله
ان يتعارف فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجسادها الى انقضاء مدة حياتها وروى ان أرواح المؤمنين
تعرج عند النوم فى السماء فمن كان منهم طاهرا أذن له فى السجود ومن لم يكن منهم طاهرا لم يؤذن له فيه

وكيدكم وهو أمر تهديد وتقريع (انى عامل) اى فيما أمرت به من اقامة الدين (فسوف
تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) اى انا او أنتم (ويحل عليه عذاب مقيم) أى دائم وهو
تهديد وتخويف (انا أنزلنا عليك الكتاب) يعنى القرآن (للناس بالحق) أى ليهتدى
به كافة الخلق (فمن اهتدى فلنفسه) أى ترجع فائدة هدايته اليه (ومن ضل فانما يضل
عليها) اى يرجع وبال ضلالته عليه (وما أنت عليهم بوكيل) اى لم توكل بهم ولم تؤاخذ
عنهم قيل هذا منسوخ بآية القتال قوله تعالى (الله يتوفى الانفس) أى الارواح
(حين موتها) اى فيقبضها عند فناء أكلها وانقضاء أجلها وهو موت الاجساد (والتى
لم تمت فى منامها) والنفس التى يتوفاها عند النوم وهى التى يكون بها العقل والتمييز
ولكل انسان نفسان نفس هى التى تكون بها الحياة وتفارقه عند الموت وتزول بزوالها
الحياة والنفس الاخرى هى التى يكون بها التمييز وهى التى تفارقه عند النوم ولا يزول
بزوالها التنفس (فيمسك التى قضى عليها الموت) أى فلا يردها الى جسدها (ويرسل
الاخرى) أى يرد النفس التى لم يقض عليها الموت الى جسدها (الى أجل مسمى) اى الى أن
يأتى وقت موتها وقيل ان للانسان نفسا وروحا فعند النوم تخرج النفس وتبقى الروح
وقال على بن أبى طالب تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعها فى الجسد فبذلك يرى
الرؤيا فاذا انتبه من النوم عادت الروح الى الجسد باسرع من لحظة وقيل ان ارواح
الاحياء والاموات تلتقى فى المنام فتتعارف ما شاء الله تعالى فاذا أرادت الرجوع الى
اجسادها أمسك الله تعالى أرواح الاموات عنده وأرسل ارواح الاحياء الى اجسادها
الى حين انقضاء مدة آجالها (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا أوى احدكم الى فراشه فلينفض فراشه بداخلة ازاره فانه لا يدرى

(ان فى ذلك) ان فى توفى الانفس مائتة ونائمة وامساكها وارسالها الى أجل (لآيات) على قدرة الله وعلمه (لقوم يتفكرون) يجيلون فيه أفكارهم ويعتبرون (أم اتخذوا) بل اتخذ قريش والهمزة للانكار (من دون الله) من دون اذنه (شفعاء) حين قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولا يشفع عنده احد الا باذنه (قل أولو كانوا لا يملكون شيأ ولا يعقلون) معناه أيشفعون ولو كانوا لا يملكون شيأ قط ولا عقل لهم (قل لله الشفاعة جميعا) اى هو مالكها فلا يستطيع احد شفاعة الا باذنه وانتصب جميعا على الحال (له ملك السموات والارض) ٧٤ تقرير لقوله لله الشفاعة جميعا لانه اذا كان له الملك كله والشفاعة من الملك كان مالكها (ثم اليه ترجعون) متصل بما يليه معناه له ملك السموات والارض اليوم ثم اليه ترجعون يوم القيامة فلا يكون الملك فى ذلك اليوم الا له فله ملك الدنيا والآخرة (واذا ذكر الله وحده) مدار المعنى على قوله وحده أى اذا أفرد الله بالذكر ولم يذكر معه آلهتهم (اشمأزت) أى نفرت وانقبضت (قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه) يعنى آلهتهم ذكر الله معهم أو لم يذكر (اذا هم يستبشرون) لافتتانهم بها واذا قيل لا اله الا الله وحده لا شريك له نفروا لان فيه نفيا لآلهتهم ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز اذ كل واحد منهما غاية فى بابه فالاستبشار أن يمتلئ قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه ويتهلل والاشمئزاز أن يمتلئ غما وغيظا حتى يظهر الانقباض فى أديم وجهه والعامل فى اذا ذكر والعامل فى اذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجؤا وقت الاستبشار (قل اللهم فاطر السموات والارض) أى يا فاطر وليس بوصف كما يقوله المبرد والفراء (عالم الغيب والشهادة) السر والعلانية (أنت تحكم) تقضى (بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) من الهدى والضلالة وقيل هذه محاكمة من النبى للمشركين الى الله وعن ابن المسيب لا أعرف آية قرئت فدعى عندها الا أجيب سواها وعن الربيع بن خيثم وكان قليل الكلام انه أخبر بقتل الحسين رضى الله عنه وقالوا الآن يتكلم فما زاد ان قال آه أوقد فعلوا وقرأ هذه الآية وروى انه قال على اثر قتل من كان صلى الله عليه وسلم يجلسه فى حجره ويضع فاه على فيه (ولو

ما خلفه عليه ثم يقول باسمك ربى وضعت جنبى وبك أرفعه ان أمسكت نفسى فارحمها وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها وبين قوله قل يتوفاكم ملك الموت وبين قوله تعالى حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا قلت المتوفى فى الحقيقة هو الله تعالى وملك الموت هو القابض للروح باذن الله تعالى ولملك الموت أعوان وجنود من الملائكة ينزعون الروح من سائر البدن فاذا بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت (ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) أى فى البعث وذلك ان توفى نفس النائم وارسالها بعد التوفى دليل على البعث وقيل ان فى ذلك دليلا على قدرتنا حيث لم نغلط فى امساك ما نمسك من الارواح وارسال ما نرسل منها قوله تعالى (ام اتخذوا من دون الله شفعاء) يعنى الاصنام (قل) يا محمد (أولو كانوا) يعنى الآلهة (لا يملكون شيأ) أى من الشفاعة (ولا يعقلون) أى انكم تعبدونهم وان كانوا بهذه الصفة (قل لله الشفاعة جميعا) اى لا يشفع احد الا باذنه فكان الاشتغال بعبادته أولى لانه هو الشفيع فى الحقيقة وهو يأذن فى الشفاعة لمن يشاء من عباده (له ملك السموات والارض) اى لا ملك لاحد فيهما سواه (ثم اليه ترجعون) أى فى الآخرة قوله تعالى (واذا ذكر الله وحده اشمأزت) أى نفرت وقال ابن عباس انقبضت عن التوحيد وقيل استكبرت (قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) وقيل اذا اشمأز القلب من غمه وغيظه انقبض الروح الى داخله فيظهر على الوجه أثر ذلك مثل الغبرة والظلمة (واذا ذكر الذين من دونه) يعنى الاصنام (اذا هم يستبشرون) أى يفرحون والاستبشار أن يمتلئ القلب سرورا حتى يظهر على الوجه فيتهلل قوله عز وجل (قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة) وصف نفسه بكمال القدرة وكمال العلم (أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) أى من أمر الدين (م) عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال سألت عائشة رضى الله تعالى عنها بأى شئ كان نبى الله صلى الله عليه وسلم يفتتح صلاته اذا قام من الليل قالت كان اذا قام من الليل افتتح صلاته قال اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدى من تشاء الى صراط مستقيم قوله عز وجل

(ولوان للذين ظلموا ما فى الارض جميعا ومثله معه) الهاء تعود الى ما (لافتدوا به من سوء العذاب) شدته (يوم القيامة وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون) وظهر لهم من سخط الله وعذابه مالم يكن قط فى حسبانهم ولا يحدثون به نفوسهم وقيل عملوا أعمالا حسبوها حسنات فاذا هى سيآت وعن سفيان الثورى أنه قرأها فقال ويل لاهل الرياء ويل لاهل الرياء وجزع محمد ابن المنكدر عند موته فقيل له فقال اخشى آية من كتاب الله وتلاها فانا أخشى أن يبدو لى من الله مالم احتسبه (وبدا لهم سيآت ما كسبوا) أى سيآت أعمالهم التى كسبوها أو سيآت كسبهم حين تعرض صحائف أعمالهم وكانت خافية عليهم أو عقاب ذلك (وحاق بهم) ونزل بهم وأحاط (ما كانوا به يستهزؤن) جزاء هزئهم (فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه) أى أعطيناه تفضلا يقال خولنى اذا أعطاك على غير جزاء (نعمة منا) ولا تقف عليه لان جواب اذا (قال انما أوتيته على علم) منى أنى سأعطاه لما فى من فضل واستحقاق أو على علم منى بوجوه الكسب كما قال قارون على علم عندى وانما ذكر الضمير فى أوتيته وهو للنعمة نظرا الى المعنى لان قوله نعمة منا شيأ من النعمة وقسما منها وقيل ما فى انما موصولة لا كافة فيرجع الضمير اليها أى ان الذى أوتيته على علم (بل هى فتنة) انكار له كأنه قال ما خولناك من النعمة لما تقول بل هى فتنة أى ابتلاء وامتحان لك أتشكر أم تكفر ولما كان الخبر مؤنثا أعنى فتنة ساغ تأنيث المبتدا لاجله وقرئ بل هو فتنة على وفق انما أوتيته (ولكن أكثرهم لا يعلمون) انها فتنة والسبب فى عطف هذه الآية بالفاء وعطف مثلها فى أول السورة بالواو أن هذه وقعت مسببة عن قوله واذا ذكر الله وحده اشمأزت على معنى أنهم يشمئزون من ذكر الله ويستبشرون بذكر الآلهة واذا مس أحدهم ضر دعا من اشمأز بذكره دون من استبشر بذكره وما بينهما من الآى اعتراض فان قلت حق الاعتراض أن يؤكد المعترض بينه وبينه قلت ما فى الاعتراض من دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم ربه بامر من الله وقوله أنت تحكم بين عبادك ثم ما عقبه من الوعيد العظيم تأكيد لانكار اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم الى الله فى الشدائد دون آلهتهم كأنه قيل قل يارب لا يحكم بينى وبين هؤلاء الذين يجترؤن عليك مثل هذه الجراءة الا أنت وقوله ولوان للذين ظلموا متناول لهم ولكل ظالم ان جعل عاما أو اياهم خاصة ان عنيتهم به كأنه قيل ولو أن لهؤلاء الظالمين ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به حين حكم عليهم بسوء العذاب وأما الآية الاولى فلم تقع مسببة وما هى الا جملة ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو نحو قام زيد وقعد عمرو وبيان وقوعها مسببة انك تقول زيد يؤمن بالله فاذا مسه ضر التجأ اليه فهذا تسبيب ظاهر ثم تقول زيد كافر بالله فاذا مسه ضر التجأ اليه فتجىء بالفاء مجيئك بها ثمة كأن الكافر حين التجأ الى الله التجاء المؤمن اليه مقيم كفره مقام الايمان فى جعله سببا فى الالتجاء (قد قالها) هذه المقالة وهى قوله انما أوتيته على علم (الذين من قبلهم) أى قارون وقومه حيث قال انما أوتيته على علم عندى وقومه راضون بها فكأنهم قالوها ويجوز أن يكون فى الامم الخالية آخرون قائلون مثلها (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من متاع الدنيا وما يجمعون منها (فأصابهم سيآت ما كسبوا) أى جزاء سيآت كسبهم أو سمى جزاء السيئة سيئة للازدواج كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها

(ولوان للذين ظلموا ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون) أى ظهر لهم حين بعثوا مالم يحتسبوا أنه نازل بهم فى الآخرة وقيل ظنوا ان لهم حسنات فبدت لهم سيآت والمعنى انهم كانوا يتقربون الى الله تعالى بعبادة الاصنام فلما عوقبوا عليها بدا لهم من الله مالم يحتسبوا وروى أن محمد بن المنكدر جزع عند الموت فقيل له فى ذلك فقال أخشى أن يبدو لى مالم أكن أحتسب (وبدا لهم سيآت ما كسبوا) أى مساوى أعمالهم من الشرك وظلم أولياء الله تعالى (وحاق) أى نزل (بهم ما كانوا به يستهزؤن فاذا مس الانسان ضر) أى شدة (دعانا ثم اذا خولناه) أى أعطيناه (نعمة منا قال انما أوتيته على علم) أى من الله تعالى علم انى له أهل وقيل على خير علمه الله عندى (بل هى فتنة) يعنى تلك النعمة استدراج من الله تعالى وامتحان وبلية (ولكن أكثرهم لا يعلمون) يعنى انها استدراج من الله تعالى (قد قالها الذين من قبلهم) يعنى قارون فانه قال انما أوتيته على علم عندى (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) أى فما أغنى الكفر من العذاب شيأ (فأصابهم سيآت ما كسبوا) أى جزاؤها وهو العذاب ثم أوعد كفار مكة فقال تعالى

(والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيآت ما كسبوا وما هم بمعجزين) أي بفائتين لان مرجعهم الى الله تعالى (أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء) أي يوسع الرزق لمن يشاء (ويقدر) أي يقتر ويقبض على من يشاء (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) أي يصدقون قوله تعالى (قل يا عبادى الذى أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) روى عن ابن عباس رضى الله عنهما في سبب نزول هذه الآية ان ناسا من أهل الشرك قتلوا فاكثروا وزنوا فاكثروا وانتهكوا الحرمات فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ان الذى تقول وتدعوا اليه لحسن لو تخبرنا بان لما عملنا كفارة فنزلت والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى قوله فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات قال يبدل شركهم ايمانا وزناهم احصانا ونزلت قل يا عبادى الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله اخرجه النسائى وعن ابن عباس أيضا قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وحشى يدعوه الى الاسلام فارسل اليه كيف تدعونى الى دينك وأنت تزعم ان من قتل او اشرك أو زنى يلقى أثاما يضاعف له العذاب وأنا قد فعلت ذلك كله فانزل الله تعالى الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فقال وحشى هذا شرط شديد لعلى لا اقدر عليه فهل غير ذلك فانزل الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فقال وحشى ارانى بعد فى شبهة فلا أدرى ايغفر لى أم لا فانزل الله تعالى قل يا عبادى الذى اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله فقال وحشى نعم هذا فجاء فاسلم * وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال نزلت هذه الآيات فى عياش بن أبى ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين كانوا قد أسلموا ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا فكنا نقول لا يقبل الله من هؤلاء صرفا ولا عدلا ابدا قوم أسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب عذبوا به فانزل الله تعالى هذه الآية فكتبها عمر بن الخطاب رضى الله عنه بيده ثم بعث بها الى عياش بن أبى ربيعة والوليد بن الوليد والى أولئك النفر فاسلموا جميعا وهاجروا * وعن ابن عمر أيضا قال كنا معشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نرى أو نقول ليس شئ من حسناتنا الا وهى مقبولة حتى نزلت أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم فلما نزلت هذه الآية قلنا ما هذا الذى يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر والفواحش قال فكنا اذا رأينا من أصاب شيأ منها قلنا هلك فنزلت هذه الآية فكففنا عن القول فى ذلك وكنا اذا رأينا من أصحابنا من أصاب شيأ من ذلك خفنا عليه وان لم يصب منها شيأ رجوناله وقوله اسرفوا على أنفسهم أى تجاوزوا الحد فى كل فعل مذموم قيل هو ارتكاب الكبائر وغيرها من الفواحش لا تقنطوا من رحمة الله أى لا تيأسوا من رحمة الله والقنوط من رحمة الله والامن من مكر الله من الكبائر (ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) فان قلت حمل هذه الآية على ظاهرها يكون اغراء بالمعاصى واطلاقا فى الاقدام عليها وذلك لا يمكن قلت المراد منها التنبيه على انه لا يجوز ان يظن العاصى انه لا مخلص له من العذاب فان من اعتقد ذلك فهو قانط من رحمة الله اذ لا أحد من العصاة الا ومتى تاب زال عقابه وصار من اهل المغفرة والرحمة فمعنى قوله ان الله يغفر الذنوب جميعا أى

(والذين ظلموا) كفروا (من هؤلاء) أى من مشركى قومك (سيصيبهم سيآت ما كسبوا) أى سيصيبهم مثل ما أصاب أوائلك فقتل صناديدهم ببدر وحبس عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين (وما هم بمعجزين) بفائتين من عذاب الله ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين فقيل لهم (أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) ويضيق وقيل يجعله على قدر القوت (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) بانه لا قابض ولا باسط الا الله عز وجل (قل يا عبادى الذين) وبسكون الياء بصرى وحمزة وعلى (أسرفوا على أنفسهم) جنوا عليها بالاسراف فى المعاصى والغلو فيها (لا تقنطوا) لا تيأسوا وبكسر النون على وبصرى (من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا) بالعفو عنها الا الشرك وفى قراءة النبى عليه السلام يغفر الذنوب جميعا ولا يبالى ونظيره نفى المبالاة نفى الخوف فى قوله ولا يخاف عقباها قيل نزلت فى وحشى قاتل حمزة رضى الله عنه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احب ان لى الدنيا وما فيها بهذه الآية (انه هو الغفور) بستر عظائم الذنوب (الرحيم) بكشف فظائع الكروب

اذا تاب وصحت التوبة غفرت ذنوبه ومن مات قبل أن يتوب فهو موكول الى مشيئة الله تعالى فان شاء غفر له وعفا عنه وان شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم يدخله الجنة بفضله ورحمته فالتوبة واجبة على كل أحد وخوف العقاب مطلوب فلعل الله تعالى يغفر مطلقا ولعله يعذب ثم يعفو بعد ذلك والله أعلم

(فصل في ذكر أحاديث تتعلق بالآية) روى عن ابن مسعود رضي الله عنه انه دخل المسجد فاذا قاص يقص وهو يذكر النار والاغلال فقام على رأسه فقال لم تقنط الناس ثم قرأ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا * عن اسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قل يا عبادي الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (ق) عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان في بني اسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين انسانا ثم خرج يسأل هل له توبة فأتى راهبا فسأله فقال هل لي من توبة قال لا فقتله وجعل يسأل فقال له رجل ائت قرية كذا وكذا فادركه الموت فضرب صدره نحوها فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله تعالى الى هذه أن تقربي وأوحى الله الى هذه أن تباعدي وقال قيسوا ما بينهما فوجد أقرب الى هذه بشبر فغفر له لفظ البخاري * ولمسلم قال فدل على راهب فأتاه فقال له ان رجلا قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن اعلم اهل الارض فدل على رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة قال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى أرض كذا وكذا فان بها أناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء فانطلق حتى اذا كان نصف الطريق اتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فاوحى الله الى هذه أن تقربي والى هذه أن تباعدي وقال قيسوا ما بينهما فاتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى أيتهما كان أدنى فهو له فقاسوا فوجدوه أدنى الى الارض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رجل أسرف على نفسه وفي رواية لم يعمل خيرا قط وفي رواية لم يعمل حسنة قط فلما حضره الموت قال لبنيه اذا أنا مت فأحرقوني ثم اطحنوني ثم ذروني في الريح فوالله لئن قدر على ربي ليعذبني عذابا ما عذبه أحدا فلما مات فعل به ذلك فأمر الله تعالى الارض فقال اجمعي ما فيك منه ففعلت فاذا هو قائم فقال ما حملك على ما صنعت قال خشيتك يا رب أو قال مخافتك فغفر له بذلك وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان في بني اسرائيل رجلان متحابان احدهما مذنب والآخر في العبادة مجتهد فكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على ذنب فيقول له اقصر فوجده يوما على ذنب فقال له اقصر فقال خلني وربي أبعثت على رقيبا فقال والله لا يغفر لك الله او قال لا يدخلك الجنة فقبض الله أرواحهما فاجتمعا عند رب العالمين فقال الرب تبارك وتعالى للمجتهد أكنت على ما في يدي قادرا

(وأنيبوا الى ربكم) وتوبوا اليه (واسلموا له) واخلصوا له العمل (من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون) ان لم تتوبوا قبل نزول العقاب (واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم) مثل قوله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقوله (من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون) أي يفجؤكم وأنتم غافلون كانكم لا تخشون شيأ لفرط غفلتكم (أن تقول) لئلا تقول (نفس) انما نكرت لان المراد بها بعض الانفس وهى نفس الكافر ويجوز أن يراد نفس متميزة من الانفس اما بلجاج فى الكفر شديد أو بعذاب عظيم ويجوز أن يراد التكثير (ياحسرتا) الالف بدل من ياء المتكلم وقرئ ياحسرتى على الاصل وياحسرتاى على الجمع ۷۸ بين العوض والمعوض منه (على ما فرطت) قصرت وما مصدرية مثلها فى بما رحبت (فى جنب الله) امر الله أو فى طاعة الله أو فى ذاته وفى حرف عبد الله فى ذكر الله والجنب الجانب يقال انا فى جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان لين الجانب والجنب ثم قالوا فرط فى جنبه وفى جانبه يريدون فى حقه وهذا من باب الكناية لانك اذا اثبت الامر فى مكان الرجل وحيزه فقد اثبته فيه ومنه الحديث من الشرك الخفى ان يصلى الرجل لمكان الرجل اى لاجله وقال الزجاج معناه فرط فى طريق الله وهو توحيده والاقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم (وان كنت لمن الساخرين) المستهزئين قال قتادة لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى سخر من اهلها ومحل وان كنت النصب على الحال كانه قال فرطت وانا ساخر أى فرطت فى حال سخريتى (أو تقول لو ان الله هدانى) اى أعطانى الهداية (لكنت من المتقين) من الذين يتقون الشرك قال الشيخ الامام أبو منصور رحمه الله تعالى هذا الكافر أعرف بهداية الله من المعتزلة وكذا أولئك الكفرة الذين قالوا لاتباعهم لو هدانا الله لهديناكم يقولون لو وفقنا الله للهداية وأعطانا الهدى لدعوناكم اليه ولكن علم منا اختيار الضلالة والغواية فخذلنا ولم يوفقنا والمعتزلة يقولون بل هداهم وأعطاهم التوفيق لكنهم لم يهتدوا والحاصل ان عند الله لطفا من اعطى ذلك اهتدى وهو التوفيق والعصمة ومن لم يعطه ضل وغوى وكان استيجابه العذاب وتضييعه الحق بعد ما تمكن من تحصيله لذلك (أو تقول حين ترى العذاب لو ان لى كرة) رجعة الى الدنيا (فأكون من المحسنين) من الموحدين (بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها

(واستكبرت

فعلوا

وقال للمذنب اذهب فادخل الجنة برحمتى وقال للآخر اذهبوا به الى النار قال أبو هريرة تكلم والله بكلمة أوبقت دنياه وآخرته أخرجه أبو داود * عن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل يا ابن آدم انك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا ابالى يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا ابالى يا ابن آدم لو انك اتيتنى بقراب الارض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيأ لاتيتك بقرابها مغفرة أخرجه الترمذى قوله عنان السماء العنان السحاب وقيل هو ما عن لك منها وقراب الارض بضم القاف هو ما يقارب ملأها قوله عز وجل (وأنيبوا الى ربكم) أى ارجعوا اليه بالتوبة والطاعة (واسلموا له) أى أخلصوا له التوحيد (من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون) أى لا تمنعون منه (واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم) يعنى القرآن لانه كله حسن ومعنى الآية على ما قاله الحسن الزموا طاعة الله واجتنبوا معصيته فانه أنزل فى القرآن ذكر القبيح ليجتنب وذكر الادون لئلا يرغب فيه وذكر الاحسن لتؤثره وتأخذ به وقيل الاحسن اتباع الناسخ وترك العمل بالمنسوخ (من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون) يعنى غافلين عنه (أن تقول نفس) اى لئلا تقول وقيل معناه بادروا واحذروا أن تقول وقيل خوف أن تصيروا الى حال أن تقول نفس (ياحسرتا) اى يا ندمى ويا حزنى والتحسر الاغتمام والحزن على ما فات (على ما فرطت فى جنب الله) أى على ما قصرت فى طاعة الله وقيل فى امر الله وقيل فى حق الله وقيل على ما ضيعت فى ذات الله وقيل معناه على ما قصرت فى الجانب الذى يؤدى الى رضا الله تعالى (وان كنت لمن الساخرين) اى المستهزئين بدين الله وبكتابه وبرسوله وبالمؤمنين قيل لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر باهلها (أو تقول لو أن الله هدانى) أى ارشدنى الى دينه وطاعته (لكنت من المتقين) اى الشرك (أو تقول حين ترى العذاب) أى عيانا (لو أن لى كرة) اى رجعة الى الدنيا (فأكون من المحسنين) أى الموحدين ثم أجاب الله تعالى هذا القائل بان الاعذار زائلة والتعلل باطل وهو قوله تعالى (بلى قد جاءتك آياتى) يعنى القرآن (فكذبت بها) أى قلت ليست من الله

واستكبرت وكنت من الكافرين) بلى رد من الله عليه كانه يقول بلى قد جاءتك آياتي وبينت لك الهداية من الغواية وسبيل الحق من الباطل ومكنتك من اختيار الهداية على الغواية واختيار الحق على الباطل ولكن تركت ذلك وضيعته واستكبرت عن قبوله وآثرت الضلالة على الهدى واشتغلت بضد ما امرت به فانما جاء التضييع من قبلك فلا عذر لك وبلى جواب لنفي تقدير ى لان المعنى لو ان الله هداني ما هديت وانما لم يقرن الجواب به لانه لابد من حكاية أقوال النفس على ترتيبها ثم الجواب من بينها عما اقتضى الجواب (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) وصفوه بما لا يجوز عليه من اضافة الشريك والولد اليه ونفي الصفات عنه (وجوههم) مبتدأ (مسودة) خبر والجملة في محل النصب على الحال ان كان ترى من رؤية البصر وان كان من رؤية القلب فمفعول ثان (أليس في جهنم مثوى) منزل (للمتكبرين) هو اشارة الى قوله واستكبرت (وينجي الله) وينجي روح (الذين اتقوا) من الشرك (بمفازتهم) بفلاحهم يقال فاز بكذا اذا أفلح به وظفر بمراده منه وتفسير المفازة (لا يمسهم السوء) النار (ولا هم يحزنون) كانه قيل وما مفازتهم فقيل لا يمسهم السوء اي ينجيهم بنفي السوء والحزن عنهم اى لا يمس أبدانهم أذى ولا قلوبهم خزي أو بسبب منجاتهم من قوله تعالى فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب أي منجاة منه لان النجاة من أعظم الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح ولهذا فسر ابن عباس رضي الله عنهما المفازة بالاعمال الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم لان العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز أن يسمى العمل الصالح في نفسه مفازة لانه سببها ولا محل للا يمسهم على التفسير الاول لانه كلام مستأنف ومحله النصب على الحال على الثاني بمفازاتهم كوفي غير حفص (الله خالق كل شيء) رد على المعتزلة والثنوية (وهو على كل شيء وكيل) حافظ (له مقاليد السموات والارض) أي هو مالك أمرهما وحافظهما وهو من باب الكناية لان حافظ الخزائن ومدبر امرها هو الذي يملك مقاليدها ومنه قولهم فلان يملك مقاليد الملك وهي المفاتيح واحدها اقليد وقيل لا واحد لها من لفظها والكلمة أصلها فارسية (والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون) هو متصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا أي ينجي الله المتقين بمفازاتهم والذين كفروا هم الخاسرون واعترض بينهما بانه خالق كل شيء فهو مهيمن عليه فلا يخفى عليه شيء من أعمال المكلفين فيها وما يجزون عليها أو بما يليه على ان كل شيء في السموات والارض فالله خالقه وفاتح بابه والذين كفروا وجحدوا ان يكون الامر كذلك أولئك هم الخاسرون وقيل سأل عثمان رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله له مقاليد السموات والارض فقال يا عثمان ما سألني عنها احد قبلك تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله وهو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير وتأويله على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها من المتقين اصابه والذين كفروا بآيات الله وكلمات توحيده وتمجيده أولئك هم الخاسرون (قل) لمن دعاك الى دين آبائك (أفغير الله تأمروني أعبد) تأمروني مكي تأمرونني على الاصل شامي تأمروني مدني وانتصب أفغير الله باعبد وتأمروني اعتراض ومعناه أفغير الله أعبد بأمركم بعد هذا البيان (ايها الجاهلون)

(واستكبرت) اى تكبرت عن الايمان بها (وكنت من الكافرين ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) أى زعموا ان له ولدا وشريكا وقيل هم الذين يقولون الاشياء الينا ان شئنا فعلنا وان شئنا لم نفعل (وجوههم مسودة) قيل هو سواد مخالف لسائر انواع السواد (أليس في جهنم مثوى للمتكبرين) أى عن الايمان قوله تعالى (وينجي الله الذين اتقوا) اى الشرك (بمفازتهم) اى الطرق التي تؤديهم الى الفوز والنجاة وقرئ بمفازاتهم أي ينجيهم بفوزهم بالاعمال الحسنة من النار (لا يمسهم السوء) أى لا يصيبهم المكروه (ولا هم يحزنون الله خالق كل شيء) اى مما هو كائن أو يكون في الدنيا والآخرة (وهو على كل شيء وكيل) أى أن الاشياء كلها موكولة اليه فهو القائم بحفظها (له مقاليد السموات والارض) أى مفاتيح خزائن السموات والارض واحدها مقلاد مثل مفتاح وقيل اقليد على غير قياس قيل هو فارسي معرب قال الراجز

لم يؤذها الديك بصوت تغريد ❊ ولم يعالج غلقها باقليد

والمعنى ان الله تعالى مالك أمرها وحافظها وهو من باب الكناية لان حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الذي يملك مقاليدها وقيل مقاليد السموات خزائن الرحمة والرزق والمطر ومقاليد الارض النبات (والذين كفروا بآيات الله) أى جحدوا بآياته الظاهرة الباهرة (أولئك هم الخاسرون) قوله عز وجل (قل أفغير الله تأمروني أعبد ايها الجاهلون)

بتوحيد الله (ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك) من الانبياء عليهم السلام (لئن أشركت ليحبطن عملك) الذى عملت قبل الشرك (ولتكونن من الخاسرين) وانما قال لئن أشركت على التوحيد والموحى اليهم جماعة لان معناه أوحى اليك لئن أشركت ليحبطن عملك والى الذين من قبلك مثله واللام الاولى موطئة للقسم المحذوف والثانية لام الجواب وهذا الجواب سادمسد الجوابين أعني جوابي القسم والشرط وانما صح هذا الكلام مع علمه تعالى بان رسله لا يشركون لان الخطاب للنبي عليه السلام والمراد به غيره ولانه على سبيل الفرض والمحالات يصح فرضها وقيل لئن طالعت غيري في السر ليحبطن ما بيني وبينك من السر (بل الله فاعبد) رد لما أمروه به من عبادة آلهتهم كأنه قال لا تعبد ما أمروك بعبادته بل ان عبدت فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا عنه (وكن من الشاكرين) على ما أنعم به عليك من أن

جعلك سيد ولد آدم (وما قدروا الله حق قدره) وما عظموه حق عظمته اذ دعوك الى عبادة غيره ولما كان العظيم من الاشياء اذا عرفه الانسان حق معرفته وقدره في نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه قيل وما قدروا الله حق قدره ثم نبههم على عظمته وجلالة شأنه على طريقة التخييل فقال (والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) والمراد بهذا الكلام اذا أخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين الى جهة حقيقة أو جهة مجاز والمراد بالارض الارضون السبع يشهد لذلك قوله جميعا وقوله والسموات ولان الموضع موضع تعظيم فهو مقتض للمبالغة

والارض مبتدأ وقبضته الخبر وجميعا منصوب على الحال أى والارض اذا كانت مجتمعة قبضته يوم القيامة والقبضة المرة من القبض والقبضة المقدار المقبوض بالكف ويقال أعطني قبضة من كذا تريد معنى القبضة تسمية بالمصدر وكلا المعنيين محتمل والمعنى والارضون جميعا قبضته أى ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة يعني أن الارضين مع عظمهن وبسطهن لا يبلغن الا قبضة واحدة من قبضاته كأنه يقبضها قبضة بكف واحدة كما تقول الجزور أكلة لقمان أى لا تفي الا بأكلة فذة من أكلاته واذا أريد معنى القبضة فظاهر لان المعنى ان الارضين بجملتها مقدار ما يقبضه بكف واحدة والمطويات من الطي الذي هو ضد النشر كما قال يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب وعادة طاوي السجل أن يطويه بيمينه وقيل قبضته ملكه بلا مدافع ولا منازع وبيمينه بقدرته وقيل مطويات بيمينه مفنيات بقسمه لانه أقسم أن يفنيها (سبحانه وتعالى عما يشركون) ما أبعد من هذه قدرته وعظمته وما أعلاه عما يضاف اليه من الشركاء

وذلك ان كفار قريش دعوه الى دين آبائه فوصفهم بالجهل لان الدليل القاطع قد دل بانه هو المستحق للعبادة فمن عبد غيره فهو جاهل (ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلكم لئن أشركت ليحبطن عملك) أى الذى عملته قبل الشرك وهذا خطاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لان الله عز وجل عصم نبيه صلى الله عليه وسلم من الشرك وفيه تهديد لغيره (ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) لانعامه عليك قوله تعالى (وما قدروا الله حق قدره) أى ما عظموه حق عظمته حين أشركوا به غيره ثم أخبر عن عظمته فقال (والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) (ق) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال جاء جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله يضع السماء على اصبع والارض على اصبع والجبال على اصبع والشجر والانهار على اصبع وسائر الخلق على اصبع ثم يقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وما قدروا الله حق قدره وفي رواية والماء والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع ثم يهزهن وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه تعجبا وتصديقا له ثم قرأ وما قدروا الله حق قدره الآية (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ثم يطوي الارضين بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون وفي رواية يقول أنا الله ويقبض أصابعه ويبسطها ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون وفي رواية يقول أنا الله ويقبض أصابعه ويبسطها أنا الملك حتى نظرت الى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى اني أقول أساقط هو برسول الله

(ونفخ في الصور فصعق) مات (من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله) أي جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وقيل هم حملة العرش أو رضوان والحور العين ومالك والزبانية (ثم نفخ فيه أخرى) هي في محل الرفع لان المعنى ونفخ في الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيه نفخة أخرى وانما حذفت لدلالة أخرى عليها ولكونها معلومة بذكرها في غير مكان (فاذا هم قيام ينظرون) يقلبون أبصارهم في الجهات نظر المبهوت اذا فاجأه خطب أو ينتظرون أمر الله فيهم ودلت الآية على ان النفخة اثنتان الاولى للموت والثانية للبعث والجمهور على انها ثلاث الاولى للفزع كما قال ونفخ في الصور ففزع والثانية للموت والثالثة للاعادة (وأشرقت الارض) أضاءت (بنور ربها) أي بعدله بطريق الاستعارة يقال للملك العادل اشرقت الآفاق بعدلك واضاءت الدنيا بقسطك كما يقال أظلمت البلاد بجور فلان وقال عليه الصلاة والسلام الظلم ظلمات يوم القيامة واضافة اسمه الى الارض لانه يزينها حيث ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين قسطه ويحكم بالحق بين أهلها ولا ترى أزين للبقاع من العدل ولا أعمر لها منه وقال الامام أبو منصور رحمه الله يجوز أن يخلق الله نورا فينور به ارض الموقف واضافته اليه تعالى للتخصيص كبيت الله وناقة الله (ووضع الكتاب) أي صحائف الاعمال ولكنه اكتفى باسم الجنس أو اللوح المحفوظ (وجيء بالنبيين) ليسألهم ربهم عن تبليغ الرسالة وما أجابهم قومهم (والشهداء) الحفظة وقيل هم الابرار في كل زمان يشهدون على اهل ذلك الزمان (وقضى بينهم) بين العباد (بالحق) بالعدل (وهم لا يظلمون) ختم الآية بنفي الظلم كما افتتحها باثبات العدل (ووفيت كل نفس ما عملت) أي جزاءه (وهو أعلم بما يفعلون) من غير كتاب ولا شاهد وقيل هذه الآية تفسير قوله وهم لا يظلمون أي ووفيت كل نفس ما عملت من خير وشر لا يزاد في شر ولا ينقص من خير (وسيق الذين كفروا الى جهنم) سوقا عنيفا كما يفعل بالاسارى والخارجين على السلطان اذا سيقوا الى حبس أو قتل (زمرا) حال اى افواجا متفرقة بعضها في اثر بعض

الله صلى الله عليه وسلم لفظ مسلم وللبخاري ان الله يقبض يوم القيامة الارضين وتكون السموات بيمينه ويقول أنا الملك (خ) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقبض الله الارض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الارض قال أبو سليمان الخطابي ليس فيما يضاف الى الله عز وجل من صفة اليدين شمال لان الشمال محل النقص والضعف وقد روى كلتا يديه يمين وليس عندنا معنى اليد الجارحة انما هي صفة جاء بها التوقيف فنحن نطلقها على ما جاءت ولا نكيفها وننتهي الى حيث انتهى بنا الكتاب والاخبار المأثورة الصحيحة وهذا مذهب أهل السنة والجماعة وقال سفيان بن عيينة كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عليه قوله عز وجل (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض) أي ماتوا من الفزع وهي النفخة الاولى (الا من شاء الله) تقدم في سورة النمل تفسير هذا الاستثناء وقال الحسن الا من شاء الله يعني الله وحده (ثم نفخ فيه) أي في الصور (أخرى) مرة أخرى وهي النفخة الثانية (فاذا هم قيام) أي من قبورهم (ينظرون) أي ينتظرون أمر الله فيهم (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين أربعون قالوا أربعون يوما قال أبو هريرة أبيت قالوا أربعون شهرا قال أبو هريرة أبيت قالوا أربعون سنة قال أبيت ثم ينزل الله عز وجل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الانسان شيء الا يبلى الا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة قوله تعالى (وأشرقت الارض بنور ربها) وذلك حين يتجلى الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء بين خلقه فما يضارون في نوره كما لا يضارون في الشمس في اليوم الصحو وقيل بعدل ربها وأراد بالارض عرصات القيامة (ووضع الكتاب) أي كتاب الاعمال وقيل اللوح المحفوظ لان فيه أعمال جميع الخلق من المبتدا الى المنتهى (وجيء بالنبيين) يعني ليكونوا شهداء على أممهم (والشهداء) قال ابن عباس يعني الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يعني الحفظة (وقضى بينهم بالحق) أي بالعدل (وهم لا يظلمون) اي لا يزاد في سيآتهم ولا ينقص من حسناتهم (ووفيت كل نفس ما عملت) اي ثواب ما عملت (وهو اعلم بما يفعلون) يعني انه سبحانه وتعالى عالم بأفعالهم لا يحتاج الى كاتب ولا الى شاهد قوله تعالى (وسيق الذين كفروا الى جهنم) يعني سوقا عنيفا (زمرا) أفواجا بعضهم على اثر بعض كل أمة على حدة وقيل جماعات متفرقة واحدتها زمرة

(حتى اذا جاؤها فتحت) بالتخفيف فيهما كوفى (ابوابها) وهى سبعة (وقال لهم خزنتها) اى حفظة جهنم وهم الملائكة الموكلون بتعذيب اهلها (ألم يأتكم رسل منكم) من بنى آدم (يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا) اى وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيامة (قالوا بلى) اتونا وتلوا علينا (ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) اى ولكن وجبت علينا كلمة الله لاملأن جهنم بسوء اعمالنا كما قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فذكروا عملهم الموجب لكلمة العذاب وهو الكفر والضلال ٨٢ (قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها) حال مقدرة اى مقدرين الخلود (فبئس مثوى المتكبرين) اللام فيه للجنس لان مثوى المتكبرين فاعل بئس وبئس فاعلها اسم معرف بلام الجنس أو مضاف اليه مثله والمخصوص بالذم محذوف تقديره فبئس مثوى المتكبرين جهنم (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا) المراد سوق مراكبهم لانه لا يذهب بهم الا راكبين الى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يكرم ويشرف من الوافدين على بعض الملوك (حتى اذا جاؤها) هى التى تحكى بعدها الجمل والجملة المحكية بعدها هى الشرطية الا ان جزاءها محذوف وانما حذف لانه فى صفة ثواب اهل الجنة فدل بحذفه على انه شىء لا يحيط به الوصف وقال الزجاج تقديره حتى اذا جاؤها (وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) دخلوها فحذف دخلوها لان فى الكلام دليلا عليه وقال قوم حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها عندهم جاؤها محذوف والمعنى اذا جاؤها وقع مجيئهم مع فتح ابوابها وقيل ابواب جهنم لا تفتح الا عند دخول اهلها فيها واما ابواب الجنة فتقدم فتحها لقوله تعالى جنات عدن مفتحة لهم الابواب فلذلك جىء بالواو كانه قال حتى اذا جاؤها وقد فتحت ابوابها طبتم من دنس المعاصى وطهرتم من خبث الخطايا وقال الزجاج اى كنتم طيبين فى الدنيا ولم تكونوا خبيثين اى لم تكونوا اصحاب خبائث وقال ابن عباس طاب لكم المقام وجعل دخول الجنة مسببا عن الطيب والطهارة لانها دار الطيبين ومثوى الطاهرين قد طهرها الله من كل دنس وطيبها من كل قذر فلا يدخلها الا مناسب لها موصوف بصفتها

ويقال

(حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها) يعنى السبعة وكانت قبل ذلك مغلقة (وقال لهم خزنتها) يعنى توبيخا وتقريعا (ألم يأتكم رسل منكم) أى من أنفسكم ومن جنسكم (يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب) أى وجبت (على الكافرين) وهى قوله تعالى لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) قوله عز وجل (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا) فان قلت عبر عن الفريقين بلفظ السوق فما الفرق بينهما قلت المراد بسوق أهل النار طردهم الى العذاب بالهوان والعنف كما يفعل بالاسير اذا سيق الى الحبس أو القتل والمراد بسوق أهل الجنة سوق مراكبهم لانهم لا يذهبون الا راكبين أو المراد بذلك السوق اسراعهم الى دار الكرامة والرضوان فشتان ما بين السوقين (حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها) فان قلت قال فى أهل النار فتحت بغير واو وههنا زاد حرف الواو فما الفرق قلت فيه وجوه أحدها أنها زائدة الثانى انها واو الحال مجازه وقد فتحت أبوابها فأدخل الواو لبيان انها كانت مفتحة قبل مجيئهم اليها وحذف الواو فى الآية الاولى لبيان ان أبواب جهنم كانت مغلقة قبل مجيئهم اليها ووجه الحكمة فى ذلك ان أهل الجنة اذا جاؤها ووجدوا أبوابها مفتحة حصل لهم السرور والفرح بذلك واهل النار اذا رأوها مغلقة كان ذلك نوع ذل وهوان لهم الثالث زيدت الواو هنا لبيان ان ابواب الجنة ثمانية وقد نقصت هناك لان أبواب جهنم سبعة والعرب تعطف بالواو فيما فوق السبعة تقول ستة سبعة وثمانية فان قلت حتى اذا جاؤها شرط فاين جوابه قلت فيه وجوه احدها انه محذوف والمقصود من الحذف ان يدل على انه بلغ فى الكمال الى حيث لا يمكن ذكره الثانى ان الجواب هو قوله وقال لهم خزنتها سلام عليكم بغير واو الثالث تقديره فادخلوها خالدين دخلوها فحذف دخلوها لدلالة الكلام عليه (وقال لهم خزنتها سلام عليكم) اى ابشروا بالسلامة من كل الآفات (طبتم) قال ابن عباس معناه طاب لكم المقام وقيل اذا قطعوا النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض حتى اذا هذبوا وطيبوا ادخلوا الجنة فيقول لهم رضوان وأصحابه سلام عليكم طبتم (فادخلوها خالدين) وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه اذا سيقوا الى الجنة فاذا انتهوا اليها وجدوا عند بابها شجرة يخرج من تحتها عينان

(وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده) انجزنا ما وعدنا فى الدنيا من نعيم العقبى (وأورثنا الارض) أرض الجنة وقد أورثوها أى ملكوها وجعلوا ملوكها وأطلق تصرفهم فيها كما يشاؤن تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرث واتساعه فيه (نتبوأ) حال (من الجنة حيث نشاء) اى يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وزيادة على الحاجة فيتبوأ اى فيتخذ متبوأ ومقرا من جنته حيث يشاء (فنعم اجر العاملين) فى الدنيا الجنة (وترى الملائكة حافين) حال من الملائكة (من حول العرش) اى محدقين من حوله ومن لابتداء الغاية اى ابتداء حفوفهم من حول العرش الى حيث شاء الله (يسبحون) حال من الضمير فى حافين (بحمد ربهم) اى يقولون سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر أو سبوح قدوس رب الملائكة والروح وذلك لتلذذ دون التعبد لزوال التكليف (وقضى بينهم) بين الانبياء والامم او بين اهل الجنة والنار (بالحق) بالعدل (وقيل الحمد لله رب العالمين) اى يقول اهل الجنة شكرا حين دخلوها وتم وعد الله لهم كما قال وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ كل ليلة بنى اسرائيل والزمر والحواميم السبع كلها مكية عن ابن عباس رضى الله عنهما

(سورة المؤمن مكية وهى خمس وثمانون آية)

(بسم الرحمن الرحيم)

(حم) ومابعده بالامالة حمزة وعلى وخلف ويحيى وحماد وبين الفتح والكسر مدنى وغيرهم بالتفخيم وعن ابن عباس انه اسم الله الاعظم .

فيغتسل المؤمن من احداهما فيطهر ظاهره ويشرب من الاخرى فيطهر باطنه وتتلقاهم الملائكة على أبواب الجنة يقولون سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين (وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده) أى بالجنة (وأورثنا الارض) اى أرض الجنة نتصرف فيها كما نشاء تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه وهو قوله تعالى (نتبوأ) اى ننزل (من الجنة) اى فى الجنة (حيث نشاء) فان قلت فما معنى قوله حيث نشاء وهل يتبوأ احدهم مكان غيره قلت يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وحسنا وزيادة على الحاجة فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يحتاج الى غيره وقيل ان امة محمد صلى الله عليه وسلم يدخلون الجنة قبل الامم فينزلون فيها حيث شاؤا ثم تنزل الامم بعدهم فيما فضل منها قال الله عز وجل (فنعم أجر العاملين) أى ثواب المطيعين فى الدنيا الجنة فى العقبى (وترى الملائكة حافين من حول العرش) أى محدقين محيطين بحافته وجوانبه (يسبحون بحمد ربهم) وقيل هذا تسبيح تلذذ لا تسبيح تعبد لان التكليف يزول فى ذلك اليوم (وقضى بينهم بالحق) بين اهل الجنة وأهل النار بالعدل (وقيل الحمد لله رب العالمين) أى قوله أهل الجنة شكرا حين تم وعد الله لهم وقيل ابتدأ الله ذكر الخلق بالحمد فى قوله الحمد لله الذى خلق السموات والارض وختم بالحمد فى آخر الامر وهو استقرار الفريقين فى منازلهم فنبه بذلك على تحميده فى بداءة كل أمر وخاتمته والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

(تفسير سورة حم المؤمن وتسمى سورة غافر)

وهى مكية قيل غير آيتين وهما قوله تعالى الذين يجادلون فى آيات الله والتى بعدها وهى خمس وثمانون آية وألف ومائة وتسع وتسعون كلمة وأربعة آلاف وتسعمائة وستون حرفا عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال ان مثل صاحب القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لاهله منزلا فمر بأثر غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه اذ هبط على روضات دمثات فقال عجبت من الغيث الاول فهذا اعجب منه وأعجب فقيل له ان مثل الغيث الاول مثل عظم القرآن وان مثل هذه الروضات الدمثات مثل آل حم فى القرآن وعن ابن عباس قال لكل شئ لباب ولباب القرآن الحواميم وقال ابن مسعود اذا وقعت فى آل حم وقعت فى روضات الجنة أتأنق فيهن وقال سعد بن ابراهيم كل آل حم تسمى العرائس

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (حم) قال ابن عباس رضى الله عنهما حم اسم الله الاعظم وعنه قال الر وحم ون حروف اسم الرحمن مقطعة وقيل حم اسم للسورة وقيل الحاء افتتاح اسمائه حليم وحميد وحى وحكيم وحنان والميم افتتاح اسمائه ملك ومجيد ومنان وقيل حم معناه

(تنزيل الكتاب) أى هذا تنزيل الكتاب (من الله العزيز) أى المنيع بسلطانه عن ان يتقول عليه متقول (العليم) بمن صدق به وكذب فهو تهديد للمشركين وبشارة للمؤمنين (غافر الذنب) ساتر ذنب المؤمنين (وقابل التوب) قابل توبة الراجعين (شديد العقاب) على المخالفين (ذى الطول) ذى الفضل على العارفين اوذى الغنى عن الكل وعن ابن عباس غافر الذنب وقابل التوب لمن قال لا اله الا الله شديد العقاب لمن لا يقول لا اله الا الله والتوب والثوب والاوب اخوات فى معنى الرجوع والطول الغنى والفضل فان قلت كيف اختلفت هذه الصفات تعريفا وتنكيرا والموصوف معرفة قلت اما غافر الذنب وقابل التوب فمعرفتان لانه لم يرد بهما حدوث الفعلين كما يكون فى تقدير الانفصال فتكون اضافتهما غير حقيقية وانما أريد ثبوت ذلك ودوامه واما شديد العقاب فهو فى تقدير شديد عقابه فتكون نكرة فقيل هو بدل وقيل لما وجدت هذه النكرة بين هذه المعارف آذنت بان كلها ابدال غير أوصاف وادخال الواو فى وقابل التوب لنكتة وهى افادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين ان يقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات وان يجعلها محاءة للذنوب كأن لم يذنب كانه قال جامع المغفرة والقبول وروى ان عمر رضى الله عنه افتقد رجلا ذا بأس شديد من أهل الشام فقال عمر لكاتبه اكتب من عمر الى فلان سلام عليك وأنا أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله المصير وختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه اليه حتى تجده صاحيا ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما اتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول قد وعدنى الله أن يغفر لى وحذرنى عقابه فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فاحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر أمره قال هكذا فاصنعوا اذا رأيتم اخا لكم زل زلة فسددوه ووفقوه وادعوا الله ان يتوب عليه ولا تكونوا اعوانا للشياطين عليه (لا اله الا هو) صفة ايضا لذى الطول ويجوز ان يكون مستأنفا (اليه المصير) المرجع (ما يجادل فى آيات الله الا الذين كفروا) ما يخاصم فيها بالتكذيب بها والانكار لها وقد دل على ذلك فى قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال فيها لايضاح ملتبسها وحل مشكلها واستنباط معانيها ورد اهل الزيغ بها فاعظم جهاد فى سبيل الله (فلا يغررك تقلبهم فى البلاد) بالتجارات النافقة والمكاسب المربحة سالمين غانمين فان عاقبة امرهم الى العذاب ثم بين كيف ذلك فأعلم ان الامم الذين كذبت قبلهم اهلكت فقال (كذبت قبلهم قوم نوح) نوحا (والاحزاب) اى الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم وهم عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم (من بعدهم) من بعد قوم نوح

معناه حم بضم الحاء أى قضى ما هو كائن (تنزيل الكتاب من الله العزيز) أى الغالب القادر وقيل الذى لا مثل له (العليم) أى بكل المعلومات (غافر الذنب) أى ساتر الذنب (وقابل التوب) أى التوبة قال ابن عباس غافر الذنب لمن قال لا اله الا الله وقابل التوب ممن قال لا اله الا الله (شديد العقاب) لمن لا يقول لا اله الا الله (ذى الطول) أى السعة والغنى وقيل ذى الفضل والنعم وأصل الطول الانعام الذى تطول مدته على صاحبه (لا اله الا هو) أى هو الموصوف بصفات الوحدانية التى لا يوصف بها غيره (اليه المصير) أى مصير العباد اليه فى الآخرة قوله تعالى (ما يجادل) أى ما يخاصم ويحاجج (فى آيات الله) أى فى دفع آيات الله بالتكذيب والانكار (الا الذين كفروا) قال أبو العالية آيتان ما أشدهما على الذين يجادلون فى القرآن قوله تعالى ما يجادل فى آيات الله الا الذين كفروا وقوله وان الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان جدالا فى القرآن كفر أخرجه أبو داود وقال المراء فى القرآن كفر وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما يتمارون فقال انما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله عز وجل بعضه ببعض وانما أنزل الكتاب يصدق بعضه بعضا فلا تكذبوا بعضه ببعض فما علمتم منه فقولوه وما جهلتم منه فكلوه الى عالمه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فسمع اصوات رجلين اختلفا فى آية فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف فى وجهه الغضب فقال انما هلك من كان قبلكم باختلافهم فى الكتاب (فلا يغررك تقلبهم) اى تصرفهم (فى البلاد) للتجارات وسلامتهم فيها مع كفرهم فان عاقبة أمرهم العذاب (كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم) اى الكفار الذين تحزبوا على أنبيائهم بالتكذيب من بعد قوم

نوح

(وهمت كل أمة) من هذه الامم التي هي قوم نوح والاحزاب (برسولهم ليأخذوه) ليتمكنوا منه فيقتلوه والاخيذ الاسير
(وجادلوا بالباطل) بالكفر (ليدحضوا به الحق) ليبطلوا به الايمان (فأخذتهم) مظهر مكي وحفص يعني انهم
قصدوا أخذه فجعلت جزاءهم على ارادة اخذ الرسل أن أخذتهم فعاقبتهم (فكيف كان عقاب) وبالياء يعقوب أي فانكم تمرون على بلادهم فتعاينون أثر ذلك وهذا تقرير فيه معنى التعجيب (وكذلك حقت كلمت ربك على الذين كفروا) كلمات ربك مدني وشامي (أنهم اصحاب النار) في محل الرفع بدل من كلمة ربك أي مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من أصحاب النار ومعناه كما وجب اهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستأصل كذلك وجب اهلاكهم بعذاب النار في الآخرة أو في محل النصب بحذف لام التعليل وايصال الفعل والذين كفروا قريش ومعناه كما وجب اهلاك أولئك الامم كذلك وجب اهلاك هؤلاء لان علة واحدة تجمعهم انهم من اصحاب النار ويلزم الوقف على النار لانه لو وصل لصار (الذين يحملون العرش ومن حوله) يعني حاملين العرش والحافين حوله وهم الكروبيون سادة الملائكة صفة لاصحاب النار وفساده ظاهر وروى أن حملة العرش ارجلهم في الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وفي الحديث ان الله تعالى امر جميع
الملائكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة وقيل حول العرش سبعون ألف صف
من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون ألف صف من الملائكة قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم
يهللون ويكبرون ومن ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم احد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر

نوح (وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه) قال ابن عباس ليقتلوه ويهلكوه وقيل
ليأسروه (وجادلوا) أي خاصموا (بالباطل ليدحضوا) أي ليبطلوا (به الحق) الذي جاءت
به الرسل (فأخذتهم فكيف كان عقاب) أي أنزلت بهم من الهلاك ما هموا هم بانزاله
بالرسل وقيل معناه فكيف كان عقابي اياهم أليس كان مهلكا مستأصلا (وكذلك
حقت) أي وجبت (كلمت ربك) أي كما وجبت كلمة العذاب على الامم المكذبة
حقت (على الذين كفروا) أي من قومك (أنهم) أي بأنهم (أصحاب النار) قوله عز وجل
(الذين يحملون العرش) قيل حملة العرش اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أردفهم
الله تعالى بأربعة أخر كما قال تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وهم أشرف
الملائكة وأفضلهم لقربهم من الله عز وجل وهم على صورة الأوعال وجاء في الحديث ان
لكل ملك منهم وجه رجل ووجه أسد ووجه ثور ووجه نسر ولكل واحد منهم أربعة
أجنحة جناحان منها على وجهه مخافة أن ينظر الى العرش فيصعق وجناحان يهفو بهما
في الهواء ليس لهم كلام غير التسبيح والتحميد والتمجيد ما بين أظلافهم الى ركبهم كما بين
سماء الى سماء وقال ابن عباس حملة العرش ما بين كعب أحدهم الى أسفل قدميه مسيرة
خمسمائة عام ويروى ان اقدامهم في تخوم الارضين والارضون والسموات الى حجزهم
تسبيحهم سبحان ذي العزة والجبروت سبحان ذي الملك والملكوت سبحان الحي الذي
لا يموت سبوح قدوس رب الملائكة والروح وقيل ان ارجلهم في الارض السفلى
ورؤسهم خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وهم أشد خوفا من أهل السماء
السابعة وأهل السماء السابعة أشد خوفا من التي تليها والتي تليها أشد خوفا من التي
تليها وروى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أذن لي ان احدث عن ملك من ملائكة
الله عز وجل من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام أخرجه
أبو داود وأما صفة العرش فقيل انه جوهرة خضراء وهو من أعظم المخلوقات خلقا وروى
جعفر بن محمد عن أبيه عن جده انه قال ان ما بين القائمة من قوائم العرش والقائمة
الثانية كخفقان الطير المسرع ثلاثين ألف عام ويكسى العرش كل يوم ألف لون من
النور لا يستطيع ان ينظر اليه خلق من خلق الله تعالى والاشياء كلها في العرش
كحلقة في فلاة وقال مجاهد بين السماء السابعة وبين العرش سبعون ألف حجاب حجاب
نور وحجاب ظلمة وحجاب نور وحجاب ظلمة وقيل ان العرش قبلة لاهل السماء كما أن
الكعبة قبلة لاهل الارض قوله تعالى (ومن حوله) يعني الطائفين به وهم الكروبيون وهم
سادات الملائكة قال وهب بن منبه ان حول العرش سبعين ألف صف من الملائكة
صف خلف صف يطوفون بالعرش يقبل هؤلاء ويدبر هؤلاء فاذا استقبل بعضهم بعضا
هلل هؤلاء وكبر هؤلاء ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام أيديهم الى أعناقهم قد

(يسبحون) خبر المبتدا وهو الذين (بحمد ربهم) أي مع حمده اذ الباء تدل على ان تسبيحهم بالحمد له (ويؤمنون به) وفائدته
مع علمنا بان حملة العرش ومن حوله من الملائكة ٨٦ الذين يسبحون بحمده مؤمنون اظهار شرف الايمان وفضله والترغيب
فيه كما وصف الانبياء في غير
موضع بالصلاح لذلك وكما عقب
اعمال الخير بقوله ثم كان من
الذين آمنوا فابان بذلك فضل
الايمان وقد روعي التناسب في
قوله ويؤمنون به (ويستغفرون
للذين آمنوا) كانه قيل
ويؤمنون به ويستغفرون لمن
في مثل حالهم وفيه دليل على ان
الاشتراك في الايمان يجب ان
يكون ادعى شئ الى النصيحة
والشفقة وان تباعدت الاجناس
والاماكن (ربنا) اى يقولون
ربنا وهذا المحذوف حال
(وسعت كل شئ رحمة وعلما)
والرحمة والعلم هما اللذان وسعا
كل شئ في المعنى اذ الاصل وسع
كل شئ رحمتك وعلمك ولكن
أزيل الكلام عن اصله بان
اسند الفعل الى صاحب الرحمة
والعلم واخرجا منصوبين على
التمييز مبالغة في وصفه بالرحمة
والعلم (فاغفر للذين تابوا) اى
الذين علمت منهم التوبة لتناسب
ذكر الرحمة والعلم (واتبعوا
سبيلك) اى طريق الهدى
الذى دعوت اليه (وقهم عذاب
الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن
التى وعدتهم ومن صلح من
آبائهم) من في موضع نصب
عطف على هم في وأدخلهم او في وعدتهم والمعنى وعدتهم ووعدت من صلح من
آبائهم (وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم) اى الملك الذى لا يغلب وأنت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيأ
خاليا من الحكمة وموجب حكمتك ان تفى بوعدك (وقهم السيآت) أي جزاء السيآت وهو عذاب النار (ومن تق السيآت
يومئذ فقد رحمته)

وضعوها على عواتقهم فاذا سمعوا تكبير أولئك وتهليلهم رفعوا أصواتهم فقالوا
سبحانك وبحمدك ما أعظمك وأجلك أنت الله لا اله غيرك أنت الاكبر والخلق كلهم
اليك راجعون ومن وراء هؤلاء وهؤلاء مائة ألف صف من الملائكة قد وضعوا اليمنى
على اليسرى ليس منهم أحد الا يسبح بتحميد لا يسبحه الآخر ما بين جناحي أحدهم مسيرة
ثلثمائة عام وما بين شحمة أذنه الى عاتقه أربعمائة عام واحتجب الله عز وجل
من الملائكة الذين حول العرش بسبعين حجابا من نار وسبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا
من نور وسبعين حجابا من در أبيض وسبعين حجابا من ياقوت أحمر وسبعين حجابا من زبرجد
اخضر وسبعين حجابا من ثلج وسبعين حجابا من ماء وسبعين حجابا من برد وما لا يعلمه الا الله
عز وجل قوله تعالى (يسبحون بحمد ربهم) أي ينزهون الله تعالى عما لا يليق
بجلاله والتحميد هو الاعتراف بانه هو المنعم على الاطلاق (ويؤمنون به) أي يصدقون
بانه واحد لا شريك له ولا مثل له ولا نظير له فان قلت قدم قوله يسبحون بحمد ربهم على
قوله ويؤمنون به ولا يكون التسبيح الا بعد الايمان فما فائدة قوله ويؤمنون به قلت
فائدته التنبيه على شرف الايمان وفضله والترغيب فيه ولما كان الله عز وجل محتجبا
عنهم بحجب جلاله وجماله وكماله وصفهم بالايمان به قال شهر بن حوشب حملة العرش
ثمانية أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك
وأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك قال
وكأنهم يرون ذنوب بني آدم (ويستغفرون للذين آمنوا) أي يسألون الله تعالى المغفرة لهم
قيل هذا الاستغفار من الملائكة مقابل لقولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء
فلما صدر هذا منهم أولا تداركوه بالاستغفار لهم ثانيا وهو كالتنبيه لغيرهم فيجب على
كل من تكلم في أحد بشئ يكرهه ان يستغفر له (ربنا) أي ويقولون ربنا (وسعت كل
شئ رحمة وعلما) أي وسعت رحمتك وعلمك كل شئ وفيه تنبيه على تقديم الثناء على الله
تعالى بما هو أهله قبل المطلوب بالدعاء فلما قدموا الثناء على الله عز وجل قالوا (فاغفر
للذين تابوا واتبعوا سبيلك) أي دينك (وقهم عذاب الجحيم) قال مطرف أنصح عباد الله
للمؤمنين الملائكة وأغش الخلق للمؤمنين هم الشياطين (ربنا وأدخلهم جنات عدن
التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم) قيل
اذا دخل المؤمن الجنة قال أين أبي وأين أمي وأين ولدي وأين زوجتي فيقال انهم لم يعملوا
عملك فيقول انى كنت أعمل لي ولهم فيقال أدخلوهم الجنة فاذا اجتمع باهله في الجنة كان
أكمل لسروره ولذته (وقهم السيآت) أي عقوبات السيآت بان تصونهم عن الاعمال
الفاسدة التى توجب العقاب (ومن تق السيآت يومئذ) أي من تقه في الدنيا (فقد
رحمته)

رحمته) أي في القيامة (وذلك هو الفوز العظيم) أي النعيم الذي لا ينقطع في جوار مليك لا تصل العقول الى كنه عظمته وجلاله قوله تعالى (ان الذين كفروا ينادون) أي يوم القيامة وهم في النار وقد مقتوا أنفسهم حين عرضت عليهم سيآتهم وعاينوا العذاب فيقال لهم (لمقت الله) أي اياكم في الدنيا (أكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون) أي اليوم عند حلول العذاب بكم (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) قال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا أمواتا في أصلاب آبائهم فاحياهم الله تعالى في الدنيا ثم أماتهم الموتة التي لا بد منها ثم أحياهم للبعث يوم القيامة فهذه موتتان وحياتان وقيل أميتوا في الدنيا ثم أحيوا في القبر للسؤال ثم أميتوا في قبورهم ثم احيوا للبعث في الآخرة وذلك انهم عدوا أوقات البلاء والمحنة وهي أربعة الموتة الاولى ثم الحياة في القبر ثم الموتة الثانية فيه ثم الحياة للبعث فاما الحياة الاولى التي هي من الدنيا فلم يعدوها لانها ليست من أقسام البلاء وقيل ذكر حياتين وهي حياة الدنيا وحياة القيامة وموتتين وهي الموتة الاولى في الدنيا ثم الموتة الثانية في القبر بعد حياة السؤال ولم يعدوا حياة السؤال لقصر مدتها (فاعترفنا بذنوبنا) يعني انكارهم البعث بعد الموت فلما شاهدوا البعث اعترفوا بذنوبهم ثم سألوا الرجعة بقولهم (فهل الى خروج) أي من النار (من سبيل) والمعنى فهل الى رجوع الى الدنيا من سبيل لنصلح أعمالنا ونعمل بطاعتك وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط من الخروج وانما قالوا ذلك تعللا وتحيرا والمعنى فلا خروج ولا سبيل اليه ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله تعالى (ذلكم بأنه اذا دعي الله وحده كفرتم) معناه فاجيبوا ان لا سبيل الى الخروج وهذا العذاب والخلود في النار بانكم اذا دعي الله وحده كفرتم يعني اذا قيل لا اله الا الله أنكرتم ذلك (وان يشرك به) أي غيره (تؤمنوا) أي تصدقوا ذلك الشرك

وذلك) أي رفع العذاب (هو الفوز العظيم ان الذين كفروا ينادون) أي يوم القيامة اذا دخلوا النار ومقتوا أنفسهم فيناديهم خزنة النار (لمقت الله أكبر من مقتكم انفسكم) أي لمقت الله انفسكم أكبر من مقتكم أنفسكم فاستغنى بذكرها مرة والمقت أشد البغض وانتصاب (اذ تدعون الى الايمان) بالمقت الاول عند الزمخشري والمعنى انه يقال لهم يوم القيامة كان الله يمقت أنفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان الانبياء يدعونكم الى الايمان فتأبون قبوله وتختارون عليه الكفر اشد مما تمقتونهن اليوم وأنتم في النار اذ وقعتم فيها باتباعكم هواهن وقيل معناه لمقت الله اياكم الآن أكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا واذ تدعون تعليل وقال جامع العلوم وغيره اذ منصوب بفعل مضمر دل عليه لمقت الله اي يمقتهم الله حين دعوا الى الايمان فكفروا ولا ينتصب بالمقت ٨٧ الاول لان قوله لمقت الله مبتدا وهو مصدر وخبره أكبر من مقتكم انفسكم فلا يعمل في اذ تدعون لان المصدر اذا اخبر عنه لم يجز أن يتعلق به شيء يكون في صلته لان الاخبار عنه يؤذن بتمامه وما تعلق به يؤذن بنقصانه ولا بالثاني لاختلاف الزمانين وهذا لانهم مقتوا انفسهم في النار وقد دعوا الى الايمان في الدنيا (فتكفرون) فتصرون على الكفر (قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين) اي اماتتين واحياءتين اوموتتين وحياتين واراد بالاماتتين خلقهم اموانا اولا واماتتهم عند انقضاء آجالهم وصح ان يسمى خلقهم امواتا اماتة كما صح ان يقال سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل وليس ثمة نقل من كبر الى صغر ولا من صغر الى كبر والسبب فيه ان الصغر والكبر جائزان على المصنوع الواحد فاذا اختار الصانع احد الجائزين فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر فجعل صرفه عنه كنقله منه وبالاحياءتين الاحياءة الاولى في الدنيا والاحياءة الثانية البعث ويدل عليه قوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وقيل الموتة الاولى في الدنيا والثانية في القبر بعد الاحياء للسؤال والاحياء الاول احياؤه في القبر بعد موته للسؤال والثاني للبعث (فاعترفنا بذنوبنا) لما رأوا الاماتة والاحياء قد تكررا عليهم علموا ان الله قادر على الاعادة كما هو قادر على الانشاء فاعترفوا بذنوبهم التي اقترفوها من انكار البعث وما تبعه من معاصيهم (فهل الى خروج) من النار اي الى نوع من الخروج سريع وبطيء لنتخلص (من سبيل) قط ام اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس وانما يقولون ذلك تحيرا ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله (ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا) أي ذلكم الذي انتم فيه وان لا سبيل لكم الى خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وايمانكم بالاشراك به

(فالحكم لله) حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد (العلى) شأنه فلا يرد قضاؤه (الكبير) العظيم سلطانه فلا يحد جزاؤه وقيل كأن الحرورية اخذوا قولهم لا حكم الا لله من هذا وقال قتادة لما خرج أهل حروراء قال على رضى الله عنه من هؤلاء قيل المحكمون أى يقولون لا حكم الا لله فقال على رضى الله عنه كلمة حق اريد بها باطل (هو الذى يريكم آياته) من الريح والسحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها ٨٨ (وينزل لكم من السماء) وبالتخفيف مكى وبصرى (رزقا) مطرا لانه سبب الرزق

(وما يتذكر الا من ينيب) وما يتعظ وما يعتبر بآيات الله الا من يتوب من الشرك ويرجع الى الله فان المعاند لا يتذكر ولا يتعظ ثم قال للمنيبين (فادعوا الله) فاعبدوه (مخلصين له الدين) من الشرك (ولو كره الكافرون) وان غاظ ذلك اعداءكم ممن ليس على دينكم (رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح) ثلاثة اخبار لقوله هو مرتبة على قوله الذى يريكم او أخبار مبتدا محذوف ومعنى رفيع الدرجات رافع السموات بعضها فوق بعض او رافع درجات عباده فى الدنيا بالمنزلة او رافع منازلهم فى الجنة وذو العرش مالك عرشه الذى فوق السموات خلقه مطافا للملائكة اظهارا لعظمته مع استغنائه فى مملكته والروح جبريل عليه السلام او الوحى الذى تحيا به القلوب (من امره) من اجل امره او بامره (على من يشاء من عباده لينذر) اى الله او الملقى عليه وهو النبى عليه السلام ويدل عليه قراءة يعقوب لتنذر (يوم التلاق) يوم القيامة لانه يلتقى فيه أهل السماء وأهل الارض والاولون والآخرون التلاقى مكى ويعقوب (يوم هم بارزون) من ظاهرون لا يسترهم شئ من جبل او اكمة او بناء (لا يخفى على الله منهم شئ) أى من اعمالهم وأحوالهم (لمن الملك اليوم) أى يقول الله تعالى ذلك حين لا احد يجيبه ثم يجيب نفسه بقوله (لله الواحد القهار) اى الذى قهر الخلق بالموت وينتصب اليوم بمدلول لمن اى لمن ثبت الملك فى هذا اليوم وقيل ينادى مناد فيقول لمن الملك اليوم فيجيبه اهل المحشر لله الواحد القهار (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم

(فالحكم لله العلى) أى الذى لا اعلى منه (الكبير) أى الذى لا أكبر منه قوله عز وجل (هو الذى يريكم آياته) أى عجائب مصنوعاته التى تدل على كمال قدرته (وينزل لكم من السماء رزقا) يعنى المطر الذى هو سبب الارزاق (وما يتذكر) أى يتعظ بهذه الآيات (الا من ينيب) أى يرجع الى الله تعالى فى جميع أموره (فادعوا الله مخلصين له الدين) أى الطاعة والعبادة (ولو كره الكافرون) قوله تعالى (رفيع الدرجات) أى رافع درجات الانبياء والاولياء والعلماء فى الجنة وقيل معناه المرتفع أى انه سبحانه وتعالى هو المرتفع بعظمته فى صفات جلاله وكماله ووحدانيته المستغنى عن كل ما سواه وكل الخلق فقراء اليه (ذو العرش) أى خالقه ومالكه والفائدة فى تخصيص العرش بالذكر لانه أعظم الاجسام والمقصود بيان كمال التنبيه على كمال القدرة فكل ما كان أعظم كانت دلالته على كمال القدرة اقوى (يلقى الروح) يعنى ينزل الوحى سماه روحا لان به تحيا الارواح كما تحيا الابدان بالارواح (من أمره) قال ابن عباس من قضائه وقيل بامره وقيل من قوله (على من يشاء من عباده) يعنى الانبياء (لينذر يوم التلاق) يعنى لينذر النبى صلى الله عليه وسلم بالوحى يوم التلاق وهو يوم القيامة لانه يلتقى فيه أهل السماء وأهل الارض وقيل يلتقى الخلق والخالق وقيل يلتقى العابدون والمعبودون وقيل يلتقى المرء مع عمله وقيل يلتقى الظالم والمظلوم (يوم هم بارزون) أى خارجون من قبورهم ظاهرون لا يسترهم شئ (لا يخفى على الله منهم شئ) أى من أعمالهم وأحوالهم فان قلت ان الله تعالى لا يخفى عليه شئ فى سائر الايام فما وجه تخصيص ذلك اليوم قلت كانوا يتوهمون فى الدنيا اذا استتروا بالحيطان والحجب ان الله تعالى لا يراهم وتخفى عليه أعمالهم وهم فى ذلك اليوم صائرون من البروز والانكشاف الى حال لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا يتوهمونه فى الدنيا (لمن الملك اليوم) أى يقول الله عز وجل فى ذلك اليوم بعد فناء الخلق لمن الملك فلا أحد يجيبه فيجيب نفسه تعالى فيقول (لله الواحد القهار) أى الذى قهر الخلق بالموت وقيل اذا حشر الاولون والآخرون فى يوم القيامة نادى مناد لمن الملك فيجيبه جميع الخلائق فى يوم القيامة لله الواحد القهار فالمؤمنون يقولونه تلذذا حيث كانوا يقولونه فى الدنيا ونالوا به المنزلة الرفيعة فى العقبى والكفار يقولونه على سبيل الذل والصغار والندامة حيث لم يقولوه فى الدنيا (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت) يعنى يجزى المحسن باحسانه والمسئ باساءته (لا ظلم اليوم) أى ان الخلق آمنون فى ذلك اليوم

ان الله سريع الحساب) لما قرر ان الملك لله وحده في ذلك اليوم عدد نتائج ذلك وهي ان كل نفس تجزى بما كسبت عملت في الدنيا من خير وشر وان الظلم مأمون منه لانه ليس بظلام للعبيد وان الحساب لا يبطئ لانه لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الخلق كله في وقت واحد وهو اسرع الحاسبين (وانذرهم يوم الآزفة) اى القيامة سميت بها لازوفها اى لقربها ويبدل من يوم الآزفة (اذ القلوب لدى الحناجر) اى التراقي يعني ترفع قلوبهم عن مقارها فتلتصق بحناجرهم فلا هي تخرج فيموتوا ولا ترجع الى موضعها فيتنفسوا ويتروحوا (كاظمين) ممسكين بحناجرهم من كظم القربة شد رأسها وهو حال من القلوب محمول على أصحابها وانما جمع الكاظم جمع السلامة لانه وصفها بالكظم الذي هو من أفعال العقلاء (ما للظالمين) الكافرين (من حميم) محب مشفق (ولا شفيع يطاع) اي يشفع وهو مجاز عن الطاعة لان الطاعة حقيقة لا تكون الا لمن فوقك والمراد نفي الشفاعة والطاعة كما في قوله * ولا ترى الضب بها ينجحر * يريد نفي الضب وانجحاره وان احتمل اللفظ انتفاء الطاعة دون الشفاعة فعن الحسن والله ما يكون لهم شفيع البتة (يعلم خائنة الاعين) مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة والمراد استراق النظر الى ما لا يحل (وما تخفي الصدور) وما تسره من امانة وخيانة وقيل هو ان ينظر الى اجنبية بشهوة مسارقة ثم يتفكر بقلبه في جمالها ولا يعلم بنظرته وفكرته من بحضرته والله يعلم ذلك كله ويعلم خائنة الاعين خبر من اخبار هو في قوله هو الذي يريكم آياته مثل يلقي الروح ولكن يلقي الروح قد علل بقوله لينذر يوم التلاق ثم استطرد ذكر احوال يوم التلاق الى قوله ولا شفيع يطاع فبعد لذلك عن أخواته (والله يقضي بالحق) اي والذي هذه صفاته لا يحكم الا بالعدل (والذين يدعون من دونه لا يقضون بشئ)

من الظلم لان الله تعالى ليس بظلام للعبيد (ان الله سريع الحساب) أي انه تعالى لا يشغله حساب عن حساب بل يحاسب الخلق كلهم في وقت واحد قوله تعالى (وأنذرهم يوم الآزفة) يعني يوم القيامة سميت آزفة لقرب وقتها وكل ما هو آت فهو قريب (اذ القلوب لدى الحناجر) وذلك انها تزول عن أماكنها من الخوف حتى تصير الى الحناجر فلا هي تعود الى اماكنها ولا هي تخرج من أفواههم فيموتوا ويستريحوا (كاظمين) أي مكروبين ممتلئين خوفا وحزنا حتى يضيق القلب عنه (ما للظالمين من حميم) أي من قريب ينفعهم (ولا شفيع) اى يشفع لهم (يطاع) أي فيهم (يعلم خائنة الاعين) أي خيانتها وهي مسارقة النظر الى ما لا يحل وقيل هو نظر الاعين لما نهى الله عنه (وما تخفي الصدور) أي يعلم مضمرات القلوب (والله يقضي بالحق) أي يحكم بالعدل (والذين يدعون من دونه) يعني الاصنام (لا يقضون بشئ) لانها لا تعلم شيأ ولا تقدر على شئ (ان الله هو السميع) أي لاقوال الخلق (البصير) بافعالهم (أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الارض) أي المعنى ان العاقل من اعتبر بغيره فان الذين مضوا من الكفار كانوا أشد قوة من هؤلاء فلم تنفعهم قوتهم (فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق) أي يدفع عنهم العذاب (ذلك) أي ذلك العذاب الذي نزل بهم (بانهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله انه قوي شديد العقاب) قوله عز وجل (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق

وآلهتهم لا يقضون بشئ وهذا تهكم بهم لان ما لا يوصف بالقدرة لا يقال فيه يقضي أو لا يقضي تدعون نافع (ان الله هو السميع البصير) تقرير لقوله يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ووعيد لهم بانه يسمع ما يقولون ويبصر ما يعملون وانه يعاقبهم عليه وتعريض بما يدعون من دونه وانها لا تسمع ولا تبصر (أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم) أي آخر أمر الذين كذبوا الرسل من قبلهم (كانوا هم أشد منهم قوة) هم فصل وحقه أن يقع بين معرفتين الا أن أشد منهم ضارع المعرفة في انه لا يدخله الالف واللام فاجري مجراه منكم شامي (وآثارا في الارض) أي حصونا وقصورا (فأخذهم الله بذنوبهم) عاقبهم بسبب ذنوبهم (وما كان لهم من الله من واق) ولم يكن لهم شئ يقيهم من عذاب الله (ذلك بانهم) أي الاخذ بسبب أنهم (كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله انه قوي) قادر على كل شئ (شديد العقاب) اذا عاقب (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) التسع (وسلطان مبين) وحجة ظاهرة (الى فرعون وهامان وقارون فقالوا) هو (ساحر كذاب) فسموا السلطان المبين سحرا وكذبا (فلما جاءهم بالحق) بالنبوة

(من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه) اى اعيدوا عليهم القتل كالذى كان اولا (واستحيوا نساءهم) للخدمة (وما كيد الكافرين الا فى ضلال) ضياع يعنى انهم باشروا قتلهم اولا فما اغنى عنهم ونفذ قضاء الله باظهار من خافوه فما يغنى عنهم هذا القتل الثانى وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث موسى عليه السلام واحس بانه قد وقع اعاده عليهم غيظا وظنا منه انه يصدهم بذلك عن مظاهرة موسى عليه السلام وما علم ان كيده ضائع فى الكرتين جميعا (وقال فرعون) لملئه (ذرونى اقتل موسى) كان اذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس بالذى تخافه وهو اقل من ذلك وما هو الا ساحر واذا قتلته دخلت الشبهة على الناس واعتقدوا انك عجزت عن معارضته بالحجة والظاهر ان فرعون قد استيقن انه نبى وان ما جاء به آيات وما هو بسحر ولكن كان فيه خب وكان قتالا سفاكا للدماء فى اهون شئ فكيف لا يقتل من احس بانه هو الذى يهدم ملكه ولكن كان يخاف ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك وقوله (وليدع ربه) شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه وكان قوله ذرونى اقتل موسى تمويها على قومه ٩٠ وايهاما انهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه الا ما فى نفسه من هول الفزع (انى اخاف) ان لم اقتله (أن يبدل دينكم) ان يغير ما انتم عليه وكانوا يعبدونه ويعبدون الاصنام (اوأن يظهر) موسى (فى الارض الفساد) بضم الياء ونصب الدال مدنى وبصرى وحفص وغيرهم بفتح الياء ورفع الدال والاول اولى لموافقة يبدل والفساد فى الارض التقاتل والتهايج الذى يذهب معه الامن وتتعطل المزارع والمكاسب والمعايش ويهلك الناس قتلا وضياعا كانه قال انى اخاف ان يفسد عليكم دينكم بدعوتكم الى دينه او يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه وقرأ غير اهل الكوفة وأن ومعناه انى اخاف فساد دينكم ودنياكم معا (وقال موسى) لما سمع بما اجراه فرعون من حديث قتله لقومه (انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) وفى قوله وربكم بعث لهم على ان يقتدوا به فيعوذوا بالله عياذه ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه وقال من كل متكبر لتشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة وليكون على طريقة التعريض فيكون ابلغ واراد بالتكبر الاستكبار عن الاذعان للحق وهو اقبح استكبار وادل على دناءة صاحبه وعلى فرط ظلمه وقال لا يؤمن بيوم الحساب لانه اذا اجتمع فى الرجل التكبر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل اسباب القسوة والجراءة على الله وعباده ولم يترك عظيمة الا ارتكبها وعذت ولذت أدغوان وعت بالادغام أبو عمرو وحمزة وعلى (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه) قيل كان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا ومن آل فرعون صفة لرجل وقيل كان اسرائيليا ومن آل فرعون صلة ليكتم اى يكتم ايمانه من آل فرعون واسمه سمعان او حبيب او خربيل أو حزبيل والظاهر الاول

اسحق ، ا

من عندنا) قالوا يعنى فرعون وقومه (اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه) قيل هذا القتل غير القتل الاول لان فرعون كان قد أمسك عن قتل الولدان فلما بعث موسى عليه الصلاة والسلام أعاد القتل عليهم فمعناه أعيدوا عليهم القتل (واستحيوا نساءهم) أى استحيوا النساء ليصدوهم بذلك عن متابعة موسى عليه الصلاة والسلام ومظاهرته (وما كيد الكافرين) أى وما مكر فرعون وقومه واحتيالهم (الا فى ضلال) أى يذهب كيدهم باطلا ويحيق بهم ما يريده الله تعالى (وقال فرعون) أى لملئه (ذرونى أقتل موسى) وانما قال فرعون هذا لانه كان فى خاصة قومه من يمنعه من قتل موسى وانما منعوه عن قتله لانه كان فيهم من يعتقد بقلبه انه كان صادقا وقيل قالوا لا تقتله فانما هو ساحر ضعيف ولا يقدر أن يغلب سحرنا وان قتلته قالت العامة كان محقا صادقا وعجزوا عن جوابه فقتلوه (وليدع ربه) أى وليدع موسى ربه الذى يزعم انه أرسله الينا فيمنعه منا (انى أخاف أن يبدل دينكم) يعنى يقول فرعون أخاف أن يغير دينكم الذى أنتم عليه (أو أن يظهر فى الارض الفساد) يعنى بذلك تغيير الدين وتبديله وعبادة غيره (وقال موسى) يعنى لما توعده فرعون بالقتل انى (عذت بربى وربكم) يعنى ان موسى عليه الصلاة والسلام لما أتى فى دفع الشدة الا بان استعاذ بالله واعتمد عليه فلا جرم أن صانه الله عن كل بلية (من كل متكبر) أى متعظم عن الايمان (لا يؤمن بيوم الحساب) قوله عز وجل (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه) قيل كان ابن عم فرعون وقيل كان من القبط وقيل كان من بنى اسرائيل فعلى هذا يكون معنى الآية وقال رجل مؤمن يكتم ايمانه من آل فرعون وكان اسم هذا المؤمن حزبيل [3] عند ابن عباس واكثر العلماء وقال ابن اسحق

[3] قوله حزبيل كذا بالاصل الطبع وفى نسخة خط بايدينا حزقيل وفى النسفى ما ترى اهـ مصحح

(أتقتلون رجلا ان يقول) لان يقول وهذا انكار منه عظيم كانه قيل أترتكبون الفعلة الشنعاء التي هي قتل نفس محرمة وما لكم علة في ارتكابها الا كلمة الحق وهي قوله (ربي الله) وهو ربكم أيضا لا ربه وحده (وقد جاءكم) الجملة حال (بالبينات من ربكم) يعني انه لم يحضر لتصحيح قوله ببينة واحدة ولكن ببينات من عند من نسب اليه الربوبية وهو استدراج لهم الى الاعتراف به (وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم) احتج عليهم بطريق التقسيم فانه لا يخلو من أن يكون صادقا أو كاذبا فان يك كاذبا فعليه وبال كذبه ولا يتخطاه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم من العذاب ولم يقل كل الذي يعدكم مع انه وعد من نبي صادق القول مداراة لهم وسلوكا لطريق الانصاف فجاء بما هو أقرب الى تسليمهم له وليس فيه نفي اصابة الكل فكانه قال لهم أقل ما يكون في صدقه ان يصيبكم بعض ما يعدكم وهو العذاب العاجل وفي ذلك هلاككم وكان وعدهم عذاب الدنيا والآخرة وتقديم الكاذب على

الصادق من هذا القبيل أيضا وتفسير البعض بالكل مزيف (ان الله لا يهدي من هو مسرف) مجاوز للحد (كذاب) في ادعائه وهذا أيضا من باب المجاملة والمعنى انه ان كان مسرفا كذابا خذله الله وأهلكه فتتخلصون منه اذ لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله بالنبوة ولما عضده بالبينات وقيل أوهم انه عنى بالمسرف موسى وهو يعني به فرعون (يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين) عالين وهو حال من كم في لكم (في الارض) في ارض مصر (فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا) يعني ان لكم ملك مصر وقد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا أمركم على أنفسكم ولا تتعرضوا لبأس الله أي عذابه فانه لا طاقة لكم به ان جاءكم ولا يمنعكم منه أحد وقال [من ي]نصرنا وجاءنا لانه منهم في القرابة وليعلمهم بان الذي ينصحهم به هو مساهم لهم فيه (قال فرعون ما أريكم الا ما أرى) أي أشير عليكم برأي الا بما أرى من قتله يعني لا أستصوب الا قتله وهذا الذي تقولونه غير صواب (وما أهديكم) بهذا الرأي (الا [سب]يل الرشاد) طريق الصواب والصلاح او وما أعلمكم الا ما أعلم من الصواب ولا أدخر منه شيأ ولا أسر عنكم خلاف ما أظهر يعني [أ]ن لسانه وقلبه متواطئان على ما يقول وقد كذب فقد كان مستشعرا للخوف الشديد من جهة موسى عليه السلام ولكنه كان يتجلد ولولا استشعاره لم يستشر أحدا ولم يقف الامر على الاشارة (وقال الذي آمن يا قوم اني أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب) أي [مث]ل أيامهم لانه لما أضافه الى الاحزاب وفسرهم بقوله (مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من

اسحق كان اسمه جبريل وقيل حبيب (أتقتلون رجلا ان يقول) أي لأن يقول (ربي الله) وهذا استفهام انكار وهو اشارة الى التوحيد وقوله (وقد جاءكم بالبينات من ربكم) فيه اشارة الى تقرير نبوّته باظهار المعجزة والمعنى وقد جاءكم بما يدل على صدقه (وان يك كاذبا فعليه كذبه) أي لا يضركم ذلك انما يعود وبال كذبه عليه (وان يك صادقا) أي فكذبتموه (يصبكم بعض الذي يعدكم) قيل معناه يصبكم الذي يعدكم ان قتلتموه وهو صادق وقيل بعض على أصلها ومعناه كأنه قال على طريق الاحتجاج أقل ما في صدقه ان يصيبكم بعض الذي يعدكم وفيه هلاككم فذكر البعض ليوجب الكل (ان الله لا يهدي) أي الى دينه (من هو مسرف كذاب) أي على الله تعالى (خ) عن عروة بن الزبير قال سألت عبد الله بن عمرو بن العاص عن أشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة اذ أقبل عقبة بن ابي معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه وخنقه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم قوله عز وجل (يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض) أي غالبين في الارض أي أرض مصر (فمن ينصرنا) أي يمنعنا (من بأس الله ان جاءنا) والمعنى لكم الملك فلا تتعرضوا لعذاب الله بالتكذيب وقتل النبي فانه لا مانع من عذاب الله تعالى ان حل بكم (قال فرعون ما أريكم) أي من الرأي والنصيحة (الا ما أرى) أي لنفسي (وما أهديكم الا سبيل الرشاد) أي ما ادعوكم الا الى طريق الهدى ثم حكى الله تعالى ان مؤمن آل فرعون رد على فرعون هذا الكلام وخوفه ان يحل به ما حل بالامم قبله بقوله (وقال الذي آمن يا قوم اني أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من

بعدهم) ولم يلتبس ان كل حزب منهم كان له يوم دمار واقتصر على الواحد من الجمع ودأب هؤلاء دؤبهم في عملهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصي وكون ذلك دائبا دائما منهم ولا يفترون عنه ولابد من حذف مضاف اى مثل جزاء دأبهم وانتصاب مثل الثاني بأنه عطف بيان لمثل الاول (وما الله يريد ظلما للعباد) أي وما يريد الله ان يظلم عباده فيعذبهم بغير ذنب او يزيد على قدر ما يستحقون من العذاب يعنى أن تدميرهم كان عدلا لانهم استحقوه باعمالهم وهو أبلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد حيث جعل المنفي ارادة ظلم منكر ومن بعد عن ارادة ظلم ما لعباده كان عن الظلم أبعد وأبعد وتفسير المعتزلة بانه لا يريد لهم أن يظلموا بعيد لان أهل اللغة قالوا اذا قال الرجل لآخر ٩٢ لا أريد ظلما لك معناه لا أريد أن اظلمك وهذا تخويف بعذاب الدنيا ثم خوفهم من عذاب الآخرة بقوله (ويا قوم انى أخاف عليكم يوم التناد) أي يوم القيامة التنادي مكي ويعقوب في الحالين واثبات الياء هو الاصل وحذفها حسن لان الكسرة تدل على الياء وآخر هذه الآية على الدال وهو ما حكى الله تعالى في سورة الاعراف ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف وقيل ينادي مناد ألا ان فلانا سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا ألا ان فلانا شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبدا (يوم تولون مدبرين) منصرفين عن موقف الحساب الى النار (ما لكم من الله) من عذاب الله (من عاصم) مانع ودافع (ومن يضلل الله فما له من هاد) مرشد (ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات) هو يوسف بن يعقوب وقيل يوسف بن افرايم بن يوسف بن يعقوب أقام فيهم نبيا عشرين سنة وقيل ان فرعون موسى هو فرعون يوسف عمر الى زمنه وقيل فرعون اخر وبخهم بأن يوسف أتاكم من قبل موسى بالمعجزات (فما زلتم في شك مما جاءكم به) فشككتم فيها ولم تزالوا شاكين (حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) حكما من عند أنفسكم من غير برهان أي اقمتم على كفركم وظننتم انه لا يجدد عليكم ايجاب الحجة (كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب) أي مثل هذا الاضلال يضل الله كل مسرف في عصيانه مرتاب شاك في دينه (الذين يجادلون) بدل من من هو مسرف وجاز ابداله منه وهو جمع لانه لا يريد مسرفا واحدا بل كل مسرف (في آيات الله) في دفعها وابطالها (بغير سلطان) حجة (أتاهم

بعدهم) أي مثل عادتهم في الاقامة على التكذيب حتى أتاهم العذاب (وما الله يريد ظلما للعباد) أي لا يهلكهم الا بعد اقامة الحجة عليهم (ويا قوم انى اخاف عليكم يوم التناد) يعني يوم القيامة سمى يوم القيامة يوم التناد لانه يدعى فيه كل أناس بامامهم وينادي بعضهم بعضا فينادي أصحاب الجنة أصحاب النار وينادي أصحاب النار أصحاب الجنة وينادي فيه بالسعادة والشقاوة ألا ان فلان بن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا وفلان بن فلان شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبدا وينادي حين يذبح الموت يا اهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت وقيل ينادي المؤمن هاؤم اقرؤا كتابيه وينادي الكافر يا ليتني لم أوت كتابيه وقيل يوم التناد يعني يوم التنافر من ندا البعير اذا نفر وهرب وذلك انهم اذا سمعوا زفير النار ندوا هاربا فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا الملائكة صفوفا عليه فيرجعون الى المكان الذى كانوا فيه (يوم تولون مدبرين) أي منصرفين عن موقف الحساب الى النار (ما لكم من الله من عاصم) أي يعصمكم من عذابه (ومن يضلل الله فما له من هاد) اى يهديه (ولقد جاءكم يوسف) يعني يوسف بن يعقوب (من قبل) اى من قبل موسى (بالبينات) يعني قوله أأرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار قيل مكث فيهم يوسف عشرين سنة نبيا وقيل ان فرعون يوسف هو فرعون موسى وقيل هو فرعون آخر (فما زلتم في شك مما جاءكم به) قال ابن عباس من عبادة الله وحده لا شريك له والمعنى انهم بقوا شاكين في نبوته لم ينتفعوا بتلك البينات التى جاءهم بها (حتى اذا هلك) يعني مات (قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) اى اقمتم على كفركم وظننتم ان الله لا يجدد عليكم الحجة وانما قالوا ذلك على سبيل التشهي والتمني من غير حجة ولا برهان عليه بل قالوا ذلك ليكون لهم اساسا في تكذيب الانبياء الذين يأتون بعده وليس قولهم لن يبعث الله من بعده رسولا تصديقا برسالة يوسف كيف وقد شكوا فيها وانما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم الى التكذيب لرسالته (كذلك يضل الله من هو مسرف) اى في شركه وعصيانه (مرتاب) أي في دينه (الذين يجادلون في آيات الله) قيل هذا تفسير للمسرف المرتاب يعني الذين يجادلون في ابطال آيات الله بالتكذيب (بغير سلطان) اى بغير حجة وبرهان (أتاهم) من

كبر مقتا) أي عظم بغضا وفاعل كبر ضمير من هو مسرف وهو جمع معنى وموحد لفظا فحمل البدل على معناه والضمير الراجع
اليه على لفظه ويجوز أن يرفع الذين على الابتداء ولابد في هذا الوجه من حذف مضاف يرجع اليه الضمير في كبر تقديره
جدال الذين يجادلون كبر مقتا (عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) قلب بالتنوين أبو
عمرو وانما وصف القلب بالتكبر والتجبر لانه منبعهما كما تقول سمعت الاذن وهو كقوله فانه آثم قلبه وان كان الآثم
هو الجملة (وقال فرعون) تمويها على قومه او جهلا منه (يا هامان ابن لي صرحا) اي قصرا وقيل الصرح البناء الظاهر الذي
لا يخفى على الناظر وان بعد ومنه يقال صرح الشيء اذا ظهر (لعلي) وبفتح الياء حجازي وشامي وأبو عمرو (أبلغ الاسباب) ثم
ابدل منها تفخيما لشأنها وابانة انه يقصد أمرا عظيما (أسباب السموات) اي طرقها ٩٣ وأبوابها وما يؤدي اليها وكل ما أداك
الى شيء فهو سبب اليه كالرشاء ونحوه (فأطلع) بالنصب حفص على جواب الترجي تشبيها للترجي بالتمني وغيره بالرفع عطفا على ابلغ (الى اله موسى) والمعنى فانظر اليه (واني لاظنه) أي موسى (كاذبا) في قوله له اله غيري (وكذلك) ومثل ذلك التزيين وذلك الصد (زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) المستقيم وبفتح الصاد كوفي ويعقوب أي غيره صدا أو هو بنفسه صدودا والمزين الشيطان بوسوسته كقوله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل أو الله تعالى ومثله زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون (وما كيد فرعون الا في تباب) خسران وهلاك (وقال الذي آمن يا قوم اتبعون) اتبعوني في الحالين مكي ويعقوب وسهل (أهدكم
سبيل الرشاد) وهو نقيض الغي وفيه تعريض شبيه بالتصريح ان ما عليه فرعون وقومه سبيل الغي اجمل اولا ثم فسر فافتتح بذم
الدنيا وتصغير شأنها بقوله (يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع) تمتع يسير فالاخلاد اليها أصل الشر ومنبع الفتن وثنى بتعظيم
الآخرة وبين انها هي الوطن والمستقر بقوله (وان الآخرة هي دار القرار) ثم ذكر الاعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منهما ليثبط
عما يتلف وينشط لما يزلف بقوله (من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون
الجنة يرزقون فيها بغير حساب) يدخلون مكي وبصري ويزيد وابو بكر ثم وازن بين الدعوتين دعوته الى دين الله الذي ثمرته
الجنات ودعوتهم الى اتخاذ الانداد الذي عاقبته النار بقوله (ويا قوم مالي) وبفتح الياء حجازي وأبو عمرو (ادعوكم الى
النجاة) أي الجنة (وتدعونني الى النار تدعونني لاكفر بالله) هو بدل من تدعونني الاول يقال دعاه الى كذا ودعاه له كما
يقال هداه الى الطريق وهداه له (وأشرك به ما ليس لي به علم) أي بربوبيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كأنه قال وأشرك به

الله (كبر) اي ذلك الجدال (مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل
قلب متكبر جبار) قوله عز وجل (وقال فرعون) يعني لوزيره (يا هامان ابن لي صرحا)
أي بناء ظاهرا لا يخفى على الناظر وان بعد وقد تقدم ذكره في سورة القصص (لعلي
أبلغ الاسباب أسباب السموات) أي طرقها وابوابها من سماء الى سماء (فاطلع الى اله
موسى واني لاظنه) يعني موسى (كاذبا) اي فيما يدعي ويقول ان له ربا غيري (وكذلك
زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) قال ابن عباس رضي الله عنهما صده الله تعالى
عن سبيل الهدى وقرئ وصد بالفتح أي وصد فرعون الناس عن السبيل (وما كيد
فرعون الا في تباب) اي وما كيده في ابطال آيات موسى الا في خسار وهلاك قوله تعالى
(وقال الذي آمن يا قوم اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد) اي طريق الهدى (يا قوم انما هذه
الحيوة الدنيا متاع) أي متعة ينتفعون بها مدة ثم تنقطع (وان الآخرة هي دار القرار)
اي التي لا تزول والمعنى ان الدنيا فانية منقرضة لا منفعة فيها وان الآخرة باقية دائمة
والباقي خير من الفاني قال بعض العارفين لو كانت الدنيا ذهبا فانيا والآخرة خزفا باقيا
لكانت الآخرة خيرا من الدنيا فكيف والدنيا خزف فان والآخرة ذهب باق (من عمل
سيئة فلا يجزى الا مثلها) قيل معناه من عمل الشرك فجزاؤه جهنم خالدا فيها ومن عمل
بالمعاصي فجزاؤه العقوبة بقدرها (ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فأولئك
يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) اي لا تبعة عليهم فيما يعطون في الجنة من
الخير وقيل يصب عليهم الرزق صبا بغير تقتير (ويا قوم مالي أدعوكم الى النجاة وتدعونني
الى النار) معناه أنا أدعوكم الى الايمان الذي يوجب النجاة من النار وانتم تدعونني الى
الشرك الذي يوجب النار ثم فسر ذلك فقال (تدعونني لاكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به
علم) أي لا اعلم ان الذي تدعونني اليه اله وما ليس باله كيف يعقل جعله شريكا للاله

ماليس باله وماليس باله كيف يصح ان يعلم الها (وأنا ادعوكم الى العزيز الغفار) وهو الله سبحانه وتعالى وتكرير النداء لزيادة التنبيه لهم والايقاظ عن سنة الغفلة وفيه انهم قومه وانه من آل فرعون وجيء بالواو في النداء الثالث دون الثاني لان الثاني داخل على كلام هو بيان للمجمل وتفسير له بخلاف الثالث (لاجرم) عند البصريين لا رد لما دعاه اليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وأن مع ما في حيزه فاعله أي حق ووجب بطلان دعوته (ان ما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة) معناه ان ما يدعونني اليه ليس له دعوة الى نفسه قط أي من حق المعبود بالحق ان يدعو العباد الى طاعته وما تدعون اليه والى عبادته لا يدعو هو الى ذلك ولا يدعي الربوبية او معناه ليس له استجابة دعوة في الدنيا ولا في الآخرة او دعوة

استجابة جعلت الدعوة التي لا استجابة لها ولا منفعة كلا دعوة أو سميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمي الفعل المجازى عليه بالجزاء في قوله كما تدين تدان (وأن مردنا الى الله) وان رجوعنا اليه (وأن المسرفين) وان المشركين (هم أصحاب النار فستذكرون ما أقول لكم) أي من النصيحة عند نزول العذاب (وأفوض) واسلم (أمري) وبفتح الياء مدني وأبو عمرو (الى الله) لانهم توعدوه (ان الله بصير بالعباد) بأعمالهم ومآلهم (فوقاه الله سيآت ما مكروا) شدائد مكرهم وما هموا به من الحاق أنواع العذاب بمن خالفهم وقيل انه خرج من عندهم هاربا الى جبل فبعث قريبا من ألف في طلبه فمنهم من أكلته السباع ومن رجع منهم صلبه فرعون (وحاق) ونزل (بآل فرعون سوء العذاب النار) بدل من سوء العذاب او خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل ما سوء العذاب فقيل هو النار أو مبتدأ خبره (يعرضون عليها) وعرضهم عليها احراقهم بها يقال عرض الامام الاسارى على السيف اذا قتلهم به (غدوا وعشيا) أي في هذين الوقتين يعذبون بالنار وفيما بين ذلك اما ان يعذبوا بجنس آخر او ينفس عنهم ويجوز ان يكون غدوا وعشيا عبارة عن الدوام هذا في الدنيا (ويوم تقوم الساعة) يقال لخزنة جهنم (أدخلوا آل فرعون) من الادخال مدني وحمزة وعلي وحفص وخلف ويعقوب وغيرهم ادخلوا أي يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون (أشد العذاب) أي عذاب جهنم وهذه الآية دليل على عذاب القبر

الحق ولما بين انهم يدعونه الى الكفر والشرك بين انه يدعوهم الى الايمان بقوله (وانا أدعوكم الى العزيز) أي في انتقامه ممن كفر (الغفار) أي لذنوب أهل التوحيد (لاجرم) يعني حقا (أن ما تدعونني اليه) يعني الصنم (ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة) يعني ليست له استجابة دعوة لاحد في الدنيا ولا في الآخرة وقيل ليست له دعوة الى عبادته في الدنيا ولا في الآخرة لان الاصنام لا تدعي الربوبية ولا تدعو الى عبادتها وفي الآخرة تتبرأ من عابديها (وأن مردنا الى الله) أي مرجعنا الى الله فيجازي كلا بما يستحقه (وأن المسرفين) يعني المشركين (هم أصحاب النار فستذكرون ما أقول لكم) أي اذا عاينتم العذاب حين لا ينفعكم الذكر (وأفوض أمري الى الله) أي ارد أمري الى الله وذلك انهم توعدوه لمخالفته دينهم (ان الله بصير بالعباد) يعني يعلم المحق من المبطل ثم خرج المؤمن من بينهم فطلبوه فلم يقدروا عليه وذلك قوله تعالى (فوقاه الله سيآت ما مكروا) أي ما أرادوا به من الشر قيل انه نجا مع موسى عليه الصلاة والسلام وكان قبطيا (وحاق) أي نزل (بآل فرعون سوء العذاب) يعني الغرق في الدنيا والنار في الآخرة وذلك قوله تعالى (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) يعني صباحا ومساء قال ابن مسعود أرواح آل فرعون في أجواف طيور سود يعرضون على النار كل يوم مرتين تغدو وتروح الى النار ويقال يا آل فرعون هذه منازلكم حتى تقوم الساعة وقيل تعرض روح كل كافر على النار بكرة وعشيا ما دامت الدنيا ويستدل بهذه الآية على اثبات عذاب القبر أعاذنا الله تعالى منه بمنه وكرمه (ق) عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وان كان من أهل النار فمن أهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى اليه يوم القيامة ثم أخبر الله تعالى عن مستقرهم يوم القيامة فقال تعالى (ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون) أي يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون (أشد العذاب) قال ابن عباس الوان من العذاب غير الذي كانوا يعذبون

(واذ يتحاجون) واذكر وقت تخاصمهم (فى النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا) يعنى الرؤساء (انا كنا لكم تبعا) اتباعا كخدم فى جمع خادم (فهل أنتم مغنون) دافعون (عنا نصيبا) جزأ (من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها) التنوين عوض من المضاف اليه أى انا كلنا فيها لا يغنى أحد عن أحد (ان الله قد حكم بين العباد) قضى بينهم بأن ادخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار (وقال الذين فى النار لخزنة جهنم) للقوام بتعذيب أهلها وانما لم يقل لخزنتها لان فى ذكر جهنم تهويلا وتفظيعا ويحتمل ان جهنم هى ابعد النار قعرا من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر وفيها اعتى الكفار واطغاهم فلعل الملائكة الموكلين بعذاب اولئك اجوب دعوة لزيادة قربهم من الله تعالى فلهذا تعمدهم اهل النار بطلب الدعوة منهم (ادعوا ربكم يخفف عنا يوما) بقدر يوم من الدنيا (من العذاب قالوا) اى الخزنة ٩٥ توبيخا لهم بعد مدة طويلة (اولم تك) اى اولم تك قصة وقوله (تأتيكم رسلكم) تفسير للقصة (بالبينات) بالمعجزات (قالوا) أى الكفار (بلى قالوا) أى الخزنة تهكما بهم (فادعوا) أنتم ولا استجابة لدعائكم (وما دعاء الكافرين الا فى ضلال) بطلان وهو من قول الله تعالى ويحتمل أن يكون من كلام الخزنة (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) أى فى الدنيا والآخرة يعنى انه يغلبهم فى الدارين جميعا بالحجة والظفر على مخالفيهم وان غلبوا فى الدنيا فى بعض الاحايين امتحانا من الله والعاقبة لهم ويتيح الله من يقتص من أعدائهم ولو بعد حين ويوم نصب محمول على موضع الجار والمجرور كما تقول جئتك امس واليوم والاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب يريد الحفظة والانبياء فالانبياء يشهدون عند رب العزة على الكفرة بالتكذيب والحفظة يشهدون على بنى آدم بما عملوا من الاعمال تقوم بالتاء الرازى عن هشام (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم) هذا بدل من يوم يقوم أى لا يقبل عذرهم لا ينفع كوفى ونافع (ولهم اللعنة) البعد من رحمة الله (ولهم سوء الدار) أى سوء دار الآخرة وهو عذابها (ولقد آتينا موسى الهدى) يريد به جميع ما أتى به فى باب الدين من المعجزات والتوراة والشرائع (وأورثنا بنى اسرائيل الكتاب) أى التوراة والانجيل والزبور لان الكتاب جنس أى تركنا الكتاب من بعده الى هذا (هدى وذكرى) ارشادا وتذكرة انتصابهما على المفعول له او على الحال (لاولى الالباب) لذوى العقول (فاصبر) على ما يجرعك قومك من الغصص (ان وعد الله حق) يعنى ان ما سبق به وعدى من نصرتك واعلاء كلمتك حق (واستغفر لذنبك) أى لذنب امتك

بها منذ اغرقوا قوله تعالى (واذ يتحاجون) أى واذكر يا محمد لقومك اذ يختصمون يعنى أهل النار (فى النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا) أى فى الدنيا (فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا) يعنى الرؤساء والقادة (انا كل فيها) يعنى نحن وأنتم (ان الله قد حكم بين العباد) أى قضى علينا وعليكم (وقال الذين فى النار) يعنى حين اشتد عليهم العذاب (لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا) يعنى الخزنة (أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات) يعنى لا عذر لكم بعد مجىء الرسل (قالوا بلى) أى اعترفوا بذلك (قالوا فادعوا) يعنى أنتم انا لا ندعو لكم لانهم علموا انه لا يخفف عنهم العذاب قال الله تعالى (وما دعاء الكافرين الا فى ضلال) يعنى يبطل ويضل ولا ينفعهم قوله عز وجل (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحيوة الدنيا) قال ابن عباس بالغلبة والقهر وقيل بالحجة وقيل بالانتقام من الاعداء فى الدنيا والآخرة وكل ذلك حاصل لهم فهم منصورون بالحجة على من خالفهم تارة وقد نصرهم الله بالقهر على من عاداهم واهلك اعداءهم بالانتقام منهم كما نصر يحيى بن زكريا بالمقتل فانه قتل به سبعين ألفا (ويوم يقوم الاشهاد) يعنى وننصرهم يوم القيامة يوم يقوم الاشهاد وهم الحفظة من الملائكة يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم) أى ان اعتذروا عن كفرهم لم يقبل منهم (ولهم اللعنة) أى البعد من الرحمة (ولهم سوء الدار) يعنى جهنم (ولقد آتينا موسى الهدى) يعنى النبوة وقيل التوراة (وأورثنا بنى اسرائيل الكتاب) يعنى التوراة وقيل سائر الكتب المنزلة على أنبيائهم (هدى وذكرى لاولى الالباب) قوله تعالى (فاصبر) أى يا محمد على أذاهم (ان وعد الله حق) أى فى اظهار دينك واهلاك أعدائك قال الكلبى نسخت آية القتال آية الصبر (واستغفر لذنبك) يعنى الصغائر وهذا على قول من يجوزها على الانبياء عليهم الصلاة

والسلام وقيل يعني على ترك الاولى والافضل وقيل على ما صدر منه قبل النبوة وعند من لا يجوز الصغائر على الانبياء يقول هذا تعبد من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ليزيده درجة ولتصير سنة لغيره من بعده وذلك لان مجامع الطاعات محصورة في قسمين التوبة عما لا ينبغي والاشتغال بما ينبغي والاول مقدم وهو التوبة من الذنوب والثاني الاشتغال بالطاعات وهو قوله تعالى (وسبح بحمد ربك) أي نزه ربك عما لا يليق بجلاله وقيل صل شاكرا لربك (بالعشي والابكار) يعني صلاة العصر وصلاة الفجر وقال ابن عباس الصلوات الخمس (ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم) يعني كفار قريش (ان في صدورهم) أي ما في قلوبهم (الا كبر) قال ابن عباس ما حملهم على تكذيبك الا ما في صدورهم من الكبر والعظمة (ما هم ببالغيه) يعني ببالغي مقتضى ذلك الكبر وقيل معناه ان في صدورهم الا كبر على محمد صلى الله عليه وسلم وطمع أن يغلبوه وما هم ببالغي ذلك وقيل نزلت في اليهود وذلك انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان صاحبنا المسيح بن داود يعنون الدجال يخرج في آخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر ويرد الملك الينا قال الله تعالى (فاستعذ بالله) أي من فتنة الدجال (انه هو السميع) أي لاقوالهم (البصير) أي بافعالهم قوله عز وجل (لخلق السموات والارض) أي مع عظمهما (أكبر من خلق الناس) أي من اعادتهم بعد الموت والمعنى انهم مقرون ان الله تعالى خلق السموات والارض وذلك أعظم في الصدور من خلق الناس فكيف لا يقرون بالبعث بعد الموت (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يعني ان الكفار لا يعلمون حيث لا يستدلون بذلك على توحيد خالقها وقال قوم يعني أكبر من خلق الناس أي أعظم من خلق الدجال ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعني اليهود الذين يخاصمون في أمر الدجال

(فصل في ذكر الدجال) (م) عن هشام بن عروة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين خلق آدم الى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال معناه أكبر فتنة وأعظم شوكة من الدجال (ق) عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال فقال انه أعور العين اليمنى كأنها عنبة طافية ولابي داود والترمذي عنه قال قام النبي صلى الله عليه وسلم في الناس فأثنى على الله عز وجل بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال اني لانذركموه وما من نبي الا وقد انذره قومه لقد أنذره نوح قومه ولكني ساقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه تعلمون انه أعور وان الله ليس بأعور (ق) عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا وقد أنذر امته الاعور الكذاب ألا انه أعور وان ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه كافر وفي رواية لمسلم بين عينيه كافر ثم تهجاها ك ف ر يقرؤه كل مسلم عن اسماء بنت يزيد الانصارية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي فذكر الدجال فقال ان بين يديه ثلاث سنين سنة تمسك السماء ثلث قطرها والارض ثلث نباتها والثانية تمسك السماء ثلثي قطرها والارض ثلثي نباتها والثالثة تمسك السماء قطرها والارض نباتها كله فلا يبقى ذات ظلف ولا ضرس من البهائم

سبحان الله وبحمده (ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم) لا وقف عليه لان خبر ان (ان في صدورهم الا كبر) تعظم وهو ارادة التقدم والرياسة وان لا يكون أحد فوقهم فلهذا عادوك ودفعوا آياتك خيفة ان تتقدمهم ويكونوا تحت يدك وأمرك ونهيك لان النبوة تحتها كل ملك ورياسة او ارادة ان تكون لهم النبوة دونك حسدا وبغيا ويدل عليه قوله لو كان خيرا ما سبقونا اليه او ارادة دفع الآيات بالجدال (ما هم ببالغيه) ببالغي موجب الكبر ومقتضاه وهو متعلق ارادتهم من الرياسة أو النبوة او دفع الآيات (فاستعذ بالله) فالتجئ اليه من كيد من يحسدك ويبغي عليك (انه هو السميع) لما تقول ويقولون (البصير) بما تعمل ويعملون فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم (لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس) لما كانت مجادلتهم في آيات الله مشتملة على انكار البعث وهو أصل المجادلة ومدارها حجوا بخلق السموات والارض لانهم كانوا مقرين بان الله خالقها وبان من قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الانسان مع مهانته اقدر (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) لانهم لا يتأملون لغلبة الغفلة

الاهلكت ومن أشد فتنته أنه يأتي الاعرابي فيقول أرأيت ان أحييت لك ابلك ألست
تعلم اني ربك قال فيقول بلى فيتمثل له الشيطان نحو ابله كاحسن ما تكون ضروعا
وأعظمه أسنمة ويأتي الرجل قد مات أخوه ومات أبوه فيقول أرأيت ان أحييت لك
أخاك وأباك ألست تعلم اني ربك فيقول بلى فيتمثل له الشيطان نحو أخيه ونحو أبيه
قالت ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم رجع والقوم في اهتمام وغم مما
حدثهم قالت وأخذ بلحمتي الباب فقال مهيم أسماء فقلت يا رسول الله لقد خلعت
أفئدتنا بذكر الدجال قال ان يخرج وأنا حي فأنا حجيجه والا فان ربي خليفتي على كل
مؤمن قالت أسماء فقلت يا رسول الله والله انا لنعجن عجيننا فما نخبزه حتى نجوع فكيف
بالمؤمنين يومئذ قال يجزيهم ما يجزي أهل السماء من التسبيح والتقديس وفي رواية
عنها قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم يمكث الدجال في الارض أربعين سنة السنة
كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كاضطرام السعفة في النار هذا حديث
أخرجه البغوي بسنده والذي جاء في صحيح مسلم قال قلنا يا رسول الله ما لبثه في الارض
قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم هذه قلنا
يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره قلنا
يا رسول الله وما اسراعه في الارض قال كالغيث استدبرته الريح وفي رواية أبي داود عنه
فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف فانها جواركم من فتنته وفيه ثم ينزل
عيسى عليه الصلاة والسلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق فيدركه عند باب لد فيقتله
(ق) عن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان مع الدجال اذا خرج
ماء ونارا فأما الذي يرى الناس انه نار فماء بارد وأما الذي يرى الناس انه ماء فنار تحرق فمن
أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يرى انه نار فانه ماء عذب بارد (ق) عن أبي هريرة رضي
الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أحدثكم حديثا عن الدجال
ما حدث به نبي قومه انه أعور وانه يجيء معه بمثل الجنة والنار فالتي يقول انها الجنة هي النار
واني أنذركم كما أنذر نوح قومه (ق) عن المغيرة بن شعبة قال ما سأل أحد رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن الدجال ما سألته وانه قال لي ما يضرك قلت انهم يقولون ان معه جبل
خبز ونهر ماء قال هو أهون على الله من ذلك عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من سمع بالدجال فلينأ منه فوالله ان الرجل ليأتيه وهو يحسب انه مؤمن
فيتبعه مما يبعث به من الشبهات أو لما يبعث به من الشبهات أخرجه أبو داود (ق)
عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس من بلد الا سيطؤه الدجال الا مكة
والمدينة ليس نقب من نقابها الا عليه الملائكة صافين يحرسونها فينزل السبخة ثم
ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج اليه كل كافر ومنافق (م) عن أبي هريرة
رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يأتي المسيح من قبل المشرق
وهمته المدينة حتى ينزل دبر أحد ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام وهنالك يهلك
عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

الدجال يخرج بأرض بالمشرق يقال لها خراسان يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (م) عن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفا عليهم الطيالسة عن مجمع بن جارية الانصاري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقتل ابن مريم الدجال بباب لد أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قال الشيخ محيي الدين النووي قال القاضي عياض هذه الاحاديث التي وردت في قصة الدجال حجة لمذهب الحق في صحة وجوده وانه شخص بعينه ابتلى الله تعالى به عباده فأقدره على أشياء من المقدورات من احياء الميت الذي يقتله ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره واتباع كنوز الارض له وأمره السماء أن تمطر فتمطر والارض أن تنبت فتنبت و يقع كل ذلك بقدرة الله تعالى وفتنته ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ويبطل أمره و يقتله عيسى بن مريم عليه السلام و يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء خلافا لمن أنكره وابطل أمره من الخوارج والجهمية و بعض المعتزلة وخلافا للجبائي المعتزلي وموافقيه من الجهمية وغيرهم في انه صحيح الوجود ولكن الاشياء التي يأتي بها زعموا انها مخاريق وخيالات لا حقائق لها وزعموا انها لو كانت حقا لضاهت معجزات الانبياء وهذا غلط من جميعهم لانه لم يدع النبوة فيكون ما معه كالتصديق له وانما يدعي الربوبية وهو في نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله ووجود دلائل الحدوث فيه ونقص صورته وعجزه عن ازالة العور الذي في عينيه وعن ازالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه ولهذه الدلائل لا يغتر به الا عوام من الناس لشدة الحاجة والفاقة رغبة في سد الرمق أو خوفا من فتنته لان فتنته عظيمة جدا تدهش العقول وتحير الالباب ولهذا حذرت الانبياء من فتنته فاما أهل التوفيق فلا يغترون به ولا ينخدعون بما معه لما سبق لهم من العلم بحاله ولهذا يقول له الذي يقتله ثم يحييه ما ازددت فيك الا بصيرة قوله قلت يا رسول الله انهم يقولون ان معه جبل خبز ونهر ماء قال هو أهون على الله من ذلك معناه هذا أهون على الله تعالى من أن يجعل ما خلقه الله عز وجل على يده مضلا للمؤمنين ومشككا لقلوبهم بل انما جعله الله له ليزداد الذين آمنوا ايمانا وتثبت الحجة على الكافرين والمنافقين وليس معناه انه ليس معه شيء من ذلك لانه ثبت في الحديث ان معه ماء ونارا فماؤه نار وناره ماء بارد والله تعالى أعلم قوله عز وجل (وما يستوي الاعمى والبصير) أي الجاهل والعالم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء) أي لا يستوون (قليلا ما تتذكرون ان الساعة) يعني القيامة (لآتية لا ريب فيها) أي لا شك في قيامها ومجيئها (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) اي لا يصدقون بالبعث بعد الموت قوله تعالى (وقال ربكم ادعوني استجب لكم) اي اعبدوني دون غيري اجبكم واثبكم واغفر لكم فلما عبر عن العبادة بالدعاء جعل الاثابة استجابة عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر الدعاء هو العبادة ثم قرأ وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن

عليهم (وما يستوي الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء) لا زائدة (قليلا ما تتذكرون) تتعظون بتاءين كوفي و بياء وتاء غيرهم وقليلا صفة مصدر محذوف أي تذكرا قليلا يتذكرون وما صلة زائدة (ان الساعة لآتية لا ريب فيها) لابد من مجيئها وليس بمرتاب فيها لانه لابد من جزاء لئلا يكون خلق الخلق للفناء خاصة (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) لا يصدقون بها (وقال ربكم ادعوني) اعبدوني (أستجب لكم) أثبكم فالدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن ويدل عليه قوله

(ان الذين يستكبرون عن عبادتى) وقال عليه السلام الدعاء هو العبادة وقرأ هذه الآية صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضى الله عنهما وحدونى أغفر لكم وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد وقيل سلونى أعطكم (سيدخلون جهنم) سيدخلون مكى وأبو عمرو (داخرين) صاغرين (الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) هو من الاسناد المجازى أى مبصرا فيه لأن الابصار فى الحقيقة لاهل النار وقرن الليل 99 بالمفعول له والنهار بالحال ولم يكونا حالين أو مفعولا لهما رعاية لحق المقابلة لانهما متقابلان معنى لان كل واحد منهما يؤدى مؤدى الآخر ولانه لو قيل لتبصروا فيه فاتت الفصاحة التى فى الاسناد المجازى ولو قيل ساكنا لم تتميز الحقيقة من المجاز اذ الليل يوصف بالسكون على الحقيقة الا ترى الى قولهم ليل ساج أى ساكن لا ريح فيه (ان الله لذو فضل على الناس) ولم يقل لمفضل أو لمتفضل لان المراد تنكير الفضل وان يجعل فضلا لا يوازيه فضل وذلك انما يكون بالاضافة (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) ولم يقل ولكن أكثرهم حتى لا يتكرر ذكر الناس لان فى هذا التكرير تخصيصا لكفران النعمة بهم وانهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله ان الانسان لكفور وقوله ان الانسان لظلوم كفار (ذلكم) الذى خلق لكم الليل والنهار (الله ربكم خالق كل شئ لا اله الا هو) أخبار مترادفة أى هو الجامع لهذه الاوصاف من الربوبية والالهية وخلق كل شئ والوحدانية (فأنى تؤفكون) فكيف ومن اى وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة الاوثان (كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون) أى كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها ولم يطلب الحق افك كما أفكوا (الله الذى جعل لكم الارض قرارا) مستقرا (والسماء بناء) سقفا فوقكم (وصوركم فاحسن صوركم) قيل لم يخلق حيوانا احسن صورة من الانسان وقيل لم يخلقهم منكوسين كالبهائم (ورزقكم من الطيبات) اللذيذات (ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحى

عبادتى سيدخلون جهنم داخرين أخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يسأل الله يغضب عليه أخرجه الترمذى وقال حديث غريب * عن أنس بن مالك قال الدعاء مخ العبادة أخرجه الترمذى وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ليس شئ أكرم على الله من الدعاء أخرجه الترمذى وقال حديث غريب فان قلت كيف قال ادعونى استجب لكم وقد يدعو الانسان كثيرا فلا يستجاب له قلت الدعاء له شروط منها الاخلاص فى الدعاء وان لا يدعو وقلبه لاه مشغول بغير الدعاء وان يكون المطلوب بالدعاء مصلحة للانسان وان لا يكون فيه قطيعة رحم فاذا كان الدعاء بهذه الشروط كان حقيقا بالاجابة فاما ان يعجلها له واما أن يؤخرها له يدل عليه ماروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن رجل يدعو الله تعالى بدعاء الا استجيب له فاما أن يعجل له به فى الدنيا واما أن يدخر له فى الآخرة واما ان يكفر عنه من ذنوبه بقدر مادعا مالم يدع باثم أو قطيعة رحم أو يستعجل قالوا يا رسول الله وكيف يستعجل قال يقول دعوت ربى فما استجاب لى أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقيل الدعاء هو الذكر والسؤال (ان الذين يستكبرون عن عبادتى) أى عن توحيدى وقيل عن دعائى (سيدخلون جهنم داخرين) أى صاغرين ذليلين قوله عز وجل (الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) أى لتحصل لكم الراحة فيه بسبب النوم والسكون (والنهار مبصرا) أى لتحصل لكم فيه مكنة التصرف فى حوائجكم ومهماتكم (ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ذلكم الله ربكم) أى ذلكم المميز بالافعال الخاصة التى لا يشاركه فيها أحد هو الله ربكم (خالق كل شئ لا اله الا هو) أى هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية وخلق الاشياء كلها وانه لا شريك له فى ذلك (فأنى تؤفكون) أى فأنى تصرفون عن الحق (كذلك) أى كما أفكتم عن الحق مع قيام الدلائل كذلك (يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون الله الذى جعل لكم الارض قرارا) أى فراشا لتستقروا عليها وقيل منزلا فى حال الحياة وبعد الموت (والسماء بناء) أى سقفا مرفوعا كالقبة (وصوركم فاحسن صوركم) أى خلقكم فاحسن خلقكم قال ابن عباس خلق ابن آدم قائما معتدلا يأكل ويتناول بيده وغير ابن آدم يتناول بفيه (ورزقكم من الطيبات) قيل هو ماخلق الله تعالى لعباده من المأكل والمشرب من غير رزق الدواب (ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحى) وهذا يفيد الحصر أى لا حى الا هو فوجب ان يحمل ذلك على الذى يمتنع أن يموت امتناعا تاما ثابتا وهو الله

لا اله الا هو فادعوه) فاعبدوه (مخلصين له الدين) أي الطاعة من الشرك والرياء قائلين (الحمد لله رب العالمين) وعن ابن
عباس رضي الله عنهما من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين ولما طلب الكفار منه عليه السلام عبادة
الاوثان نزل (قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي) هي القرآن وقيل العقل والوحي
(وأمرت ان أسلم) استقيم وأنقاد (لرب العالمين هو الذي خلقكم) أي اصلكم (من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم
طفلا) اقتصر على الواحد لان المراد بيان الجنس ١٠٠ (ثم لتبلغوا أشدكم) متعلق بمحذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا

وكذلك (ثم لتكونوا شيوخا) وبكسر الشين مكي وحمزة وعلي وحماد ويحيى والاعشى (ومنكم من يتوفى من قبل) أي من قبل بلوغ الاشد أو من قبل الشيخوخة (ولتبلغوا أجلا مسمى) معناه ويفعل ذلك لتبلغوا أجلا مسمى وهو وقت الموت أو يوم القيامة (ولعلكم تعقلون) ما في ذلك من العبر والحجج (هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) أي فانما يكونه سريعا من غير كلفة (ألم تر الى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون) ذكر الجدال في هذه السورة في ثلاثة مواضع فجاز ان يكون في ثلاثة أقوام أو ثلاثة أصناف أو للتأكيد (الذين كذبوا بالكتاب) بالقرآن (وبما ارسلنا به رسلنا) من الكتب (فسوف يعلمون اذ الاغلال في أعناقهم) اذ ظرف زمان ماض والمراد
به هنا الاستقبال وهذا لان الامور المستقبلة لما كانت في أخبار الله تعالى مقطوعا بها عبر عنها بلفظ ما كان شيء
ووجد والمعنى على الاستقبال (والسلاسل) عطف على الاغلال والخبر في أعناقهم والمعنى اذ الاغلال والسلاسل في أعناقهم
(يسحبون في الحميم) يجرون في الماء الحار (ثم في النار يسجرون) من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومعناه انهم في النار فهي
محيطة بهم وهم مسجورون بالنار مملوءة بها اجوافهم (ثم قيل لهم) أي تقول لهم الخزنة (أينما كنتم تشركون من دون الله)
يعني الاصنام التي تعبدونها (قالوا ضلوا عنا) غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا ننتفع بهم (بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا) أي
تبين لنا انهم لم يكونوا شيئا وما كنا نعبد بعبادتهم شيئا كما تقول حسبت ان فلانا شيء فاذا هو ليس بشيء اذا خبرته فلم تر عنده

تعالى الذي لا يوصف بالحياة الكاملة الا هو والحي هو المدرك الفعال لما يريد وهذه
اشارة الى العلم التام والقدرة التامة ولما نبه على هذه الصفات نبه على كمال الوحدانية
بقوله (لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين) أي فادعوه واحمدوه
قال ابن عباس من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين (قل اني نهيت
ان أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي وأمرت أن أسلم لرب
العالمين) وذلك حين دعي الى الكفر أمره الله تعالى ان يقول ذلك قوله تعالى (هو
الذي خلقكم من تراب) يعني أصلكم آدم وقيل يحتمل ان كل انسان خلق من ترابه
لانه خلق من النطفة وهي من الاغذية والاغذية من النبات والنبات من التراب
(ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا في
يعني ان مراتب الانسان بعد خروجه من بطن أمه ثلاث الطفولية وهي حالة النمو
والزيادة الى أن يبلغ كمال الاشد من غير ضعف ثم يتناقص بعد ذلك وهي الشيخوخة
(ومنكم من يتوفى من قبل) أي من قبل أن يصير شيخا (ولتبلغوا) أي جميعا (أجلا
مسمى) أي وقتا محدودا لا تجاوزونه يعني أجل الحياة الى الموت (ولعلكم تعقلون) أي
ما في هذه الاحوال العجيبة من القدرة الباهرة الدالة على توحيده وقدرته (هو الذي
يحيي ويميت فاذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) أي يكونه من غير كلفة ولا معاناة
ولا تعب وكل ذلك من كمال قدرته على الاحياء والاماتة وسائر ما ذكر من الافعال الدالة
على قدرته كانه قال من الاقتدار اذا قضى أمرا كان أهون شيء وأسرعه قوله تعالى (ألم
تر الى الذين يجادلون في آيات الله) يعني القرآن (أنى يصرفون) أي عن دين الحق وقيل
نزلت في القدرية (الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون) فيه
وعيد وتهديد ثم وصف ما أوعدهم به فقال تعالى (اذ الاغلال في أعناقهم والسلاسل
يسحبون) أي يجرون بتلك السلاسل (في الحميم ثم في النار يسجرون) أي توقد بهم
النار (ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله) يعني الاصنام (قالوا ضلوا عنا)
أي فقدناهم فلم نرهم (بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا) قيل انهم أنكروا عبادتها وقيل
لم نكن ندعو شيئا ينفع ويضر وقيل ضاعت عبادتنا لها فكأنا لم نكن ندعو من قبلها

(كذلك يضل الله الكافرين) مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو طلبوا الآلهة او طلبتهم الآلهة لم يتصادفوا أو كما اضل هؤلاء المجادلين يضل سائر الكافرين الذين علم منهم اختيار الضلالة على الدين (ذلكم) اى العذاب الذى نزل بكم (بما كنتم تفرحون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون) بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق وهو الشرك وعبادة الاوثان فيقال لهم (ادخلوا ابواب جهنم) السبعة المقسومة لكم قال الله تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم (خالدين فيها) مقدرين الخلود (فبئس مثوى المتكبرين) عن الحق جهنم (فاصبر) يا محمد (ان وعد الله) باهلاك الكفار (حق) كائن (فاما نرينك) أصله فان نريك وما مزيدة لتوكيد معنى الشرط ولذلك الحقت النون بالفعل الاترى لاتقول ان تكرمني اكرمك ولكن اما تكرمني اكرمك (بعض الذى نعدهم او نتوفينك فالينا يرجعون) هذا الجزاء متعلق بنتوفينك وجزاء نرينك محذوف وتقديره واما نرينك بعض ١٠١ الذى نعدهم من العذاب وهو القتل يوم بدر فذاك أو ان نتوفينك قبل يوم بدر فالينا يرجعون يوم القيامة فننتقم منهم أشد الانتقام (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك) الى أممهم (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) قيل بعث الله ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف من بني اسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس وعن على رضى الله عنه ان الله تعالى بعث نبيا أسود فهو ممن لم نذكر قصته فى القرآن (وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله) وهذا جواب اقتراحهم الآيات عنادا يعنى انا قد أرسلنا كثيرا من الرسل وما كان لواحد منهم أن يأتي بآية الا باذن الله فمن أين لى بان آتى بآية مما تقترحونه الا أن يشاء الله ويأذن فى الاتيان بها (فاذا جاء امر الله) اى يوم القيامة وهو وعيد ورد عقيب اقتراحهم الآيات (قضى بالحق وخسر هنالك المبطلون) المعاندون الذين اقترحوا الآيات عنادا (الله الذى جعل) خلق (لكم الانعام) الابل (لتركبوا منها ومنها تأكلون) اى لتركبوا بعضها وتأكلوا بعضها (ولكم فيها منافع) اى الالبان والاوبار (ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم) اى لتبلغوا عليها ما تحتاجون اليه من الامور (وعليها) وعلى الانعام (وعلى الفلك تحملون) اى على الانعام وحدها لاتحملون ولكن عليها وعلى الفلك فى البر والبحر (ويريكم آياته فأى آيات الله تنكرون) انها ليست من عند الله واى نصب بتنكرون وقد جاءت على اللغة المستفيضة وقولك فأية آيات الله قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث فى الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهى فى اى اغرب لابهامه (أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم) عددا (واشد قوة) بدنا (وآثارا فى الارض) قصورا ومصانع

شيأ (كذلك يضل الله الكافرين) أى كما أضل هؤلاء (ذلكم) أى العذاب الذى نزل بكم (بما كنتم تفرحون) أى تبطرون وتأشرون (فى الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون) أى تختالون وتفرحون به (ادخلوا أبواب جهنم) يعنى السبعة (خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) أى عن الايمان قوله تعالى (فاصبر ان وعد الله حق) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أى بنصرك على الاعداء (فاما نرينك بعض الذى نعدهم) أى من العذاب فى حياتك (أو نتوفينك) أى قبل أن يحل ذلك بهم (فالينا يرجعون ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك) أى خبره وحاله فى القرآن (ومنهم من لم نقصص عليك) أى ولم نذكر لك حال الباقين منهم وليس منهم أحد الا أعطاه الله تعالى آيات ومعجزات وقد جادله قومه وكذبوه فيها وماجرى عليهم يقارب ماجرى عليك فصبروا وهذا تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم (وما كان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله) اى بأمره وارادته (فاذا جاء امر الله) اى قضاؤه بين الانبياء والامم (قضى بالحق) اى بالعدل (وخسر هنالك المبطلون) اى الذين يجادلون فى آيات الله بغير حق وفيه وعيد وتهديد لهم قوله تعالى (الله الذى جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع) اى فى اصوافها واوبارها واشعارها والبانها (ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم) اى تحمل اثقالكم من بلد الى بلد فى اسفاركم وحاجاتكم (وعليها وعلى الفلك تحملون) اى على الابل فى البر وعلى السفن فى البحر (ويريكم آياته) اى دلائل قدرته (فأى آيات الله تنكرون) يعنى ان هذه الآيات التى ذكرها ظاهرة باهرة فليس شئ منها يمكن انكاره قوله تعالى (أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم واشد قوة وآثارا فى الارض) يعنى مصانعهم

(فما أغنى عنهم) ما نافية (ما كانوا يكسبون فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم) تريد علمهم بامور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون فلما جاءتهم الرسل بعلوم الديانات وهي أبعد شيء من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف عن الملاذ والشهوات لم يلتفتوا اليها وصغروها واستهزؤا بها واعتقدوا انه لا علم أنفع وأجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به او علم الفلاسفة والدهريين فانهم كانوا اذا سمعوا بوحي الله دفعوه وصغروا علم الانبياء الى علمهم وعن سقراط أنه سمع بموسى عليه السلام وقيل له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا الى من يهذبنا او المراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزاء به كانه قال استهزؤا بالبينات وبما جاؤا به من علم الوحي فرحين مرحين ويدل عليه قوله (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) أو الفرح للرسل اي الرسل لما رأوا جهلهم واستهزاءهم بالحق وعلموا سوء ١٠٢ عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واستهزائهم فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم (فلما رأوا بأسنا) شدة عذابنا (قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا) أي فلم يصح ولم يستقم ان ينفعهم ايمانهم (سنت الله) بمنزلة وعد الله ونحوه من المصادر المؤكدة (التي قد خلت في عباده) ان الايمان عند نزول العذاب لا ينفع وان العذاب نازل بمكذبي الرسل (وخسر هنالك الكافرون) هنالك مكان مستعار للزمان والكافرون خاسرون في كل أوان ولكن يتبين خسرانهم اذا عاينوا العذاب وفائدة ترادف الفاآت في هذه الآيات

وقصورهم والمشي لو ساروا هؤلاء في أطراف الارض لعرفوا ان عاقبة هؤلاء المنكرين المتمردين الهلاك والبوار مع انهم كانوا أكثر عددا وأموالا من هؤلاء (فما أغنى عنهم) أي لم ينفعهم (ما كانوا يكسبون) أي أي شيء أغنى عنهم كسبهم (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا) أي رضوا (بما عندهم من العلم) قيل هو قولهم لن نبعث ولن نعذب وقيل هو علمهم بأحوال الدنيا سمى ذلك علما على ما يدعونه ويزعمونه وهو في الحقيقة جهل (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فلما رأوا بأسنا) أي عذابنا (قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين) أي تبرأنا مما كنا نعدل بالله (فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنت الله التي قد خلت في عباده) يعني ان سنة الله قد جرت في الامم الخالية بعدم قبول الايمان عند معاينة البأس وهو العذاب يعني بتلك السنة انهم اذا رأوا العذاب آمنوا ولا ينفعهم ايمانهم عند معاينة العذاب (وخسر هنالك الكافرون) أي بذهاب الدارين قيل الكافر خاسر في كل وقت ولكنه يتبين خسرانه اذا رأى العذاب والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

(تفسير سورة فصلت وتسمى سورة السجدة وسورة المصابيح وهي مكية وهي أربع وخمسون آية وسبعمائة وست وتسعون كلمة وثلاثة آلاف وثلثمائة وخمسون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته) أي بينت وميزت وجعلت معاني مختلفة من أحكام وأمثال ومواعظ ووعد ووعيد (قرآنا عربيا) أي باللسان العربي (لقوم يعلمون) أي انما أنزلناه على العرب بلغتهم ليفهموا منه المراد ولو كان

أن فما أغنى عنهم نتيجة قوله كانوا أكثر منهم وفلما جاءتهم رسلهم كالبيان والتفسير لقوله فما أغنى عنهم كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن الى الفقراء وفلما رأوا بأسنا تابع لقوله فلما جاءتهم كانه قال فكفروا فلما رأوا بأسنا آمنوا وكذلك فلم يك ينفعهم تابع لايمانهم لما رأوا بأس الله والله اعلم (سورة فصلت مكية وهي ثلاث وخمسون آية) (بسم الله الرحمن الرحيم) (حم) ان جعلته اسما للسورة كان مبتدأ (تنزيل) خبره وان جعلته تعديدا للحروف كان تنزيل خبر مبتدأ محذوف وكتاب بدل من تنزيل او خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف او تنزيل مبتدأ (من الرحمن الرحيم) صفته (كتاب) خبره (فصلت آياته) ميزت وجعلت تفاصيل في معان مختلفة من احكام وامثال ومواعظ ووعد ووعيد وغير ذلك (قرآنا عربيا) نصب على الاختصاص والمدح اي اريد بهذا الكتاب المفصل قرآنا من صفته كيت وكيت او على الحال اي فصلت آياته في حال كونه قرآنا عربيا (لقوم يعلمون) اي لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم من الآيات المفصلة المبينة بلسانهم العربي ولقوم يتعلق بتنزيل او بفصلت اي تنزيل من الله لاجلهم او فصلت آياته لهم والاظهر أن يكون صفة مثل ما قبله وما بعده

أى قرآ ناعربيا كائنا القوم عرب (بشيرا ونذيرا) صفتان لقرآ نا (فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون) أى لا يقبلون من قولك تشفعت الى فلان فلم يسمع قولى ولقد سمعه ولكنه لما لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكأنه لم يسمعه (وقالوا قلوبنا فى أكنة) اغطية جمع كنان وهو الغطاء (مما تدعونا اليه) من التوحيد (وفى آذاننا وقر) ثقل يمنع من استماع قولك (ومن بيننا وبينك حجاب) ستر وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن تقبل الحق واعتقاده كأنها فى غلف وأغطية تمنع من نفوذه فيها ومج اسماعهم له كأن بها صمما عنه ولتباعد المذهبين والدينين كأن بينهم وماهم عليه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هو عليه حجابا ساترا وحاجزا منيعا من جبل أو نحوه فلا تلاقى ولا ترائى (فاعمل) على دينك (اننا عاملون) على ديننا أو فاعمل فى ابطال أمرنا اننا عاملون فى بطال امرك وفائدة زيادة من ان الحجاب ابتدأ منا وابتدأ ١٠٣ منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها ولو قيل بيننا وبينك حجاب لكان المعنى ان حجابا حاصل وسط الجهتين (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد) هذا جواب لقولهم قلوبنا فى أكنة ووجهه انه قال لهم انى لست بملك وانما انا بشر مثلكم وقد اوحى الى دونكم فصحت نبوتى بالوحى الى وانا بشر واذا صحت نبوتى وجب عليكم اتباعى وفيما يوحى الى أن الهكم اله واحد (فاستقيموا اليه) فاستووا اليه بالتوحيد واخلاص العبادة غير ذاهبين يمينا ولا شمالا ولا ملتفتين الى ما يسول لكم الشيطان من اتخاذ الاولياء والشفعاء (واستغفروه) من الشرك (وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة) لا يؤمنون بوجوب الزكاة ولا يعطونها لا يفعلون ما يكونون به ازكياء وهو الايمان (وهم بالآخرة) بالبعث والثواب والعقاب (هم كافرون) وانما جعل منع الزكاة مقرونا بالكفر بالآخرة لان أحب الشئ الى الانسان ماله وهو شقيق روحه فاذا بذله فى سبيل الله فذلك أقوى دليل على استقامته وصدق نيته ونصوع طويته وماخدع المؤلفة قلوبهم الا بلمظة من الدنيا فقرت عصبيتهم ولانت شكيمتهم وما ارتدت بنو حنيفة الا بمنع الزكاة وفيه بعث للمؤمنين على اداء الزكاة وتخويف شديد من منعها (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) مقطوع قيل نزلت فى المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كأصح ما كانوا يعملون (قل ائنكم لتكفرون بالذى خلق

بغير لسانهم مافهموه (بشيرا ونذيرا) نعتان للقرآن أى بشيرا لاولياء الله بالثواب ونذيرا لاعدائه بالعقاب (فأعرض أكثرهم) أى عنه (فهم لا يسمعون) أى لا يصغون اليه تكبرا (وقالوا) يعنى مشركى مكة (قلوبنا فى أكنة) أى أغطية (مما تدعونا اليه) أى فلا نفقه ما تقول (وفى آذاننا وقر) أى صمم فلا نسمع ما تقول والمعنى انا فى ترك القبول منك بمنزلة من لا يفهم ولا يسمع (ومن بيننا وبينك حجاب) أى خلاف فى الدين وحاجز فى الملة فلا نوافقك على ما تقول (فاعمل) أى أنت على دينك (اننا عاملون) أى على ديننا (قل) يا محمد (انما أنا بشر مثلكم) أى كواحد منكم (يوحى الى) أى لولا الوحى مادعوتكم قال الحسن علمه الله تعالى التواضع (أنما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه) أى توجهوا اليه بطاعته ولا تميلوا عن سبيله (واستغفروه) أى من ذنوبكم وشرككم (وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة) قال ابن عباس لا يقولون لا اله الا الله لانها زكاة الانفس والمعنى لا يطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد وقيل لا يقرون بالزكاة المفروضة ولا يرون ايتاءها واجبا يقال الزكاة قنطرة الاسلام فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك وقيل معناه لا ينفقون فى طاعة الله ولا يتصدقون وقيل لا يزكون أعمالهم (وهم بالآخرة هم كافرون) أى جاحدون بالبعث بعد الموت (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) قال ابن عباس غير مقطوع وقيل غير منقوص وقيل غير ممنون عليهم به وقيل غير محسوب قيل نزلت هذه الآية فى المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن العمل والطاعة يكتب لهم الاجر كأصح ما كانوا يعملون فيه (خ) عن أبى موسى الاشعرى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة ولا مرتين يقول اذا كان عبد يعمل عملا صالحا فشغله عنه مرض أو سفر كتب الله تعالى له كصالح ما كان يعمل وهو صحيح مقيم قوله عز وجل (قل أئنكم) استفهام بمعنى الانكار وذكر عنهم شيئين منكرين أحدهما الكفر بالله تعالى وهو قوله تعالى (لتكفرون بالذى خلق

الارض في يومين) الاحد والاثنين تعليما للاناة ولو أراد أن يخلقها في لحظة لفعل (وتجعلون له أندادا) شركاء واشباها (ذلك) الذي خلق ما سبق (رب العالمين) خالق جميع الموجودات وسيدها ومربيها (وجعل فيها) في الارض (رواسي) جبالا ثوابت (من فوقها) انما اختار ارساءها فوق الارض لتكون منافع الجبال ظاهرة لطالبيها وليبصر أن الارض والجبال أثقال على اثقال كلها مفتقرة الى

ممسك وهو الله عز وجل (وبارك) بالماء والزرع والشجر والثمر (فيها) في الارض وقيل وبارك فيها وأكثر خيرها (وقدر فيها اقواتها) ارزاق اهلها ومعايشهم وما يصلحهم وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه وقسم فيها أقواتها (في اربعة أيام) في تتمة اربعة ايام يريد بالتتمة اليومين تقول سرت من البصرة الى بغداد في عشرة والى الكوفة في خمسة عشر أي تتمة خمسة عشر ولا بد من هذا التقدير لانه لو اجرى على الظاهر لكانت ثمانية ايام لانه قال خلق الارض في يومين ثم قال وقدر فيها أقواتها في اربعة ايام ثم قال فقضاهن سبع سموات في يومين فيكون خلاف قوله في ستة ايام في موضع آخر وفي الحديث ان الله تعالى خلق الارض يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وخلق يوم الاربعاء الشجر والماء والعمران والخراب فتلك اربعة ايام وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة وخلق آدم عليه السلام في آخر ساعة من يوم الجمعة قيل هي الساعة التي تقوم فيها القيامة (سواء) يعقوب صفة للايام اي في أربعة أيام مستويات تامات سواء بالرفع زيد اي هي سواء غيرهما سواء على المصدر أي استوت سواء أي استواء او على الحال (للسائلين) متعلق بقدر أي قدر فيها الاقوات لاجل الطالبين لها والمحتاجين اليها لان كلا يطلب القوت ويسأله او بمحذوف كانه قيل هذا الحصر لاجل من سأل في كم خلقت الارض وما فيها (ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها (قالتا

الارض في يومين) وثانيهما (وتجعلون له أندادا) اثبات الشركاء والانداد له والمعنى كيف يجوز جعل هذه الاصنام الخسيسة اندادا لله تعالى مع انه تعالى هو الذي خلق الارض في يومين يعني الاحد والاثنين (ذلك رب العالمين) أي هو رب العالمين وخالقهم المستحق للعبادة لا الاصنام المنحوتة من الخشب والحجر (وجعل فيها رواسي) أي جبالا ثوابت (من فوقها) أي من فوق الارض (وبارك فيها) أي في الارض بكثرة الخيرات الحاصلة فيها وهو ما خلق فيها من البحار والانهار والاشجار والثمار وخلق اصناف الحيوانات وكل ما يحتاج اليه (وقدر فيها أقواتها) أي قسم في الارض أرزاق العباد والبهائم وقيل قدر في كل بلدة ما لم يجعله في الاخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة وقيل قدر البر لاهل قطر من الارض والتمر لاهل قطر آخر والذرة لاهل قطر والسمك لاهل قطر وكذلك سائر الاقوات قيل ان الزراعة أكثر الحرف بركة لان الله تعالى وضع الاقوات في الارض قال الله تعالى وقدر فيها أقواتها (في اربعة أيام) أي مع اليومين الاولين خلق الارض في يومين وقدر الاقوات في يومين وهما يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء فصارت أربعة أيام رد الآخر على الاول في الذكر (سواء للسائلين) معناه سواء لمن سأل عن ذلك أي فهكذا الامر سواء لا زيادة فيه ولا نقصان جوابا لمن سأل في كم خلقت الارض والاقوات (ثم استوى الى السماء) أي عمد الى خلق السماء (وهي دخان) ذلك الدخان كان بخار الماء قيل كان العرش قبل خلق السموات والارض على الماء فلما أراد الله تعالى أن يخلق السموات والارض أمر الريح فضربت الماء فارتفع منه بخار كالدخان فخلق منه السماء ثم ايبس الماء فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها سبعا فان قلت هذه الآية مشعرة بأن خلق الارض كان قبل خلق السماء وقوله والارض بعد ذلك دحاها مشعر بأن خلق الارض بعد خلق السماء فكيف الجمع بينهما قلت الجواب المشهور انه تعالى خلق الارض أولا ثم خلق السماء بعدها ثم بعد خلق السماء دحا الارض ومدها وجواب آخر وهو ان يقال ان خلق السماء مقدم على خلق الارض فعلى هذا يكون معنى الآية خلق الارض في يومين وليس الخلق عبارة عن الايجاد والتكوين فقط بل هو عبارة عن التقدير أيضا فيكون المعنى قضى أن يحدث الارض في يومين بعد احداث السماء فعلى هذا يزول الاشكال والله أعلم بالحقيقة (فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها) أي ائتيا ما أمرتكما به أي افعلاه وقيل افعلا ما أمرتكما طوعا والا الجأتكما الى ذلك حتى تفعلاه كرها فاجابتا بالطوع

قالتا أتينا طائعين) هو مجاز عن ايجاد الله تعالى السماء على ما اراد تقول العرب فعل فلان كذا ثم استوى الى عمل كذا
يريدون انه اكمل الاول وابتدأ الثانى و يفهم منه ان خلق السماء كان بعد خلق الارض و به قال ابن عباس رضى الله
عنهما وعنه انه قال اول ما خلق الله تعالى جوهرة طولها وعرضها مسيرة الف سنة فى مسيرة عشرة آلاف سنة فنظر اليها بالهيبة
فذابت واضطربت ثم ثار منها دخان بتسليط النار عليها فارتفع واجتمع زبد فقام فوق الماء فجعل الزبد ارضا والدخان سماء
ومعنى امر السماء والارض بالاتيان وامتثالهما انه اراد أن يكونهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما ارادهما وكانتا فى ذلك
كالمأمور المطيع اذا ورد عليه فعل الآمر المطاع واغا ذكر الارض مع السماء فى الامر بالاتيان والارض مخلوقة قبل
السماء بيومين لانه قد خلق جرم الارض اولا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال والارض بعد ذلك دحاها فالمعنى
أن ائتيا على ما ينبغى ان تأتيا عليه من الشكل والوصف ائتى يا ارض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك وائتى يا سماء مقببة
سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول والوقوع كما تقول اتى عمله مرضيا وقوله ١٥ طوعا او كرها البيان تأثير قدرته فيهما
وان امتناعهما من تأثير
قدرته محال كما تقول لمن تحت
يدك لتفعلن هذا شئت أو أبيت
ولتفعلنه طوعا أو كرها
وانتصابهما على الحال بمعنى
طائعتين أو مكرهتين وانما لم
يقل طائعتين على اللفظ
أو طائعات على المعنى لانهما
سموات وارضون لانهن لما
جعلن مخاطبات ومجيبات
ووصفهن بالطوع والكره قيل
طائعين فى موضع طائعات
كقوله ساجدين (فقضاهن)
فاحكم خلقهن قال
وعليهما مسرودتان قضاهما
والضمير يرجع الى السماء لان
السماء للجنس ويجوز ان يكون
ضميرا مبهما مفسرا بقوله

١٤ ن ع (سبع سموات) والفرق بين النصبين فى سبع سموات ان الاول على الحال
والثانى على التمييز (فى يومين) فى يوم الخميس والجمعة (واوحى فى كل سماء امرها) ما امر به فيها ودبره من خلق الملائكة
والنيرات وغير ذلك (وزينا السماء الدنيا) القريبة من الارض (بمصابيح) بكواكب (وحفظا) وحفظناها من المسترقة
بالكواكب حفظا (ذلك تقدير العزيز) الغالب غير المغلوب (العليم) بمواقع الامور (فان أعرضوا) عن الايمان بعد هذا
البيان (فقل أنذرتكم) خوفتكم (صاعقة) عذابا شديد الوقع كأنه صاعقة وأصلها رعد معه نار (مثل صاعقة عاد وثمود اذ
جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم) أى اتوهم من كل جانب وعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم الا الاعراض وعن
الحسن انذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الامم وعذاب الآخرة (أن) بمعنى اى او مخففة من الثقيلة اصله بانه (لا تعبدوا
الا الله قالوا) اى القوم (لو شاء ربنا) ارسال الرسل فمفعول شاء محذوف (لأنزل ملائكة فانا بما

(قالتا أتينا طائعين) معناه ائتينا بما فينا طائعين فلما وصفهما بالقول أجراهما فى الجمع
مجرى من يعقل قيل قال الله تعالى لهما أخرجا ما خلقت فيكما من المنافع لمصالح العباد أما
أنت يا سماء فأطلعى شمسك وقمرك ونجومك وانت يا أرض فشقى أنهارك وأخرجى ثمارك
ونباتك وقوله تعالى (فقضاهن سبع سموات) اى أتمهن وفرغ من خلقهن (فى يومين)
وهما الخميس والجمعة (وأوحى فى كل سماء أمرها) قال ابن عباس خلق فى كل سماء خلقا
من الملائكة وخلق ما فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه الا الله تعالى وقيل أوحى
الى كل سماء ما أراد من الامر والنهى (وزينا السماء الدنيا) أى التى تلى الارض
(بمصابيح) أى بكواكب تشرق كالمصابيح (وحفظا) أى وجعلناها يعنى الكواكب
حفظا للسماء من الشياطين الذين يسترقون السمع (ذلك) أى الذى ذكر من صنعه
وخلقه (تقدير العزيز) أى فى ملكه (العليم) أى بخلقه وفيه اشارة الى كمال القدرة والعلم
قوله تعالى (فان أعرضوا) يعنى هؤلاء المشركين عن الايمان بعد هذا البيان (فقل
أنذرتكم) أى خوفتكم (صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) اى هلاكا مثل هلاكهم
والصاعقة المهلكة من كل شئ (اذ جاءتهم الرسل) يعنى الى عاد وثمود (من بين ايديهم)
يعنى الرسل الذين أرسلوا الى آبائهم (ومن خلفهم) يعنى ومن بعد الرسل الذين أرسلوا
الى آبائهم وهم الرسل الذين أرسلوا اليهم وهما هود وصالح وانما خص هاتين القبيلتين
لان قريشا كانوا يمرون على بلادهم (أن لا) اى بأن لا (تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا
لأنزل ملائكة) يعنى لو شاء ربنا دعوة الخلق لأنزل ملائكة بدل هؤلاء الرسل (فانا بما

أرسلتم به كافرون) روى البغوي باسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله قال قال الملأ من قريش وأبو جهل قد التبس علينا أمر محمد فلو التمستم رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فأتاه فكلمه ثم أتانا ببيان من أمره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى علي ان كان كذلك فأتاه فلما خرج اليه قال يا محمد أنت خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فيم تشتم آلهتنا وتضلل آباءنا فان كان ما بك الرياسة عقدنا لك ألويتنا فكنت رئيسا ما بقيت وان كان بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن من أي بنات قريش وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغني به أنت وعقبك من بعدك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت لا يتكلم فلما فرغ قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته الى قوله تعالى فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده الرحم ورجع الى أهله ولم يخرج الى قريش واحتبس عنهم فقال أبو جهل يا معشر قريش والله ما نرى عتبة الا قد صبأ الى محمد وأعجبه طعامه وما ذاك الا من حاجة أصابته فانطلقوا بنا اليه فانطلقوا اليه فقال أبو جهل والله يا عتبة ما حبسك عنا الا أنك صبوت الى محمد وأعجبك طعامه فان كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد فغضب عتبة وأقسم لا يكلم محمدا أبدا وقال والله لقد علمتم أني من أكثر قريش مالا ولكني أتيته وقصصت عليه القصة فاجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر وقرأ السورة الى قوله تعالى فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف وقد علمتم أن محمدا اذا قال شيأ لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب وقال محمد بن كعب القرظي حدثت ان عتبة بن ربيعة كان سيدا حليما قال يوما وهو جالس في نادي قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده في المسجد يا معشر قريش ألا أقوم الى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل منا بعضها فنعطيه ويكف عنا وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون قالوا بلى يا أبا الوليد فقم اليه وكلمه فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخي انك منا حيث علمت من البسطة في العشيرة والمكان في النسب وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت جماعتهم وسفهت أحلامهم وعبت آلهتهم وكفرت من مضى من آبائهم فاستمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها فقال صلى الله عليه وسلم قل يا أبا الوليد فقال يا ابن أخي ان كنت انما تريد بما جئت به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون من أكثرنا مالا وان كنت تريد شرفا سودناك علينا وان كان هذا الذي بك رئيا تراه لا تستطيع رده طلبنا لك الطب أو لعل هذا شعر جاش به صدرك فتعذرك فانكم لعمري بني عبد المطلب تقدرون من ذلك على ما لا يقدر عليه أحد حتى اذا فرغ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أقد فرغت يا أبا الوليد قال نعم قال فاستمع مني قال فافعل فقال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته ثم مضى فيها يقرأ فلما سمعها عتبة أنصت وألقى يده خلف ظهره معتمدا

أرسلتم به كافرون) معناه فاذا أنتم بشر ولستم بملائكة فانا لن نؤمن بكم وبما جئتم به وقوله ارسلتم به ليس باقرار بالارسال وانما هو على كلام الرسل وفيه تهكم كما قال فرعون ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون وقولهم فانا بما ارسلتم به كافرون خطاب منهم لهود وصالح ولسائر الانبياء الذين دعوا الى الايمان بهم روي أن قريشا بعثوا عتبة ابن ربيعة وكان أحسنهم حديثا ليكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وينظر ما يريد فأتاه وهو في الحطيم فلم يسأل شيأ الا اجابه ثم قرأ عليه السلام السورة الى قوله مثل صاعقة عاد وثمود فناشده بالرحم وأمسك على فيه ووثب مخافة أن يصب عليهم العذاب فاخبرهم به وقال لقد عرفت السحر والشعر فوالله ما هو بساحر ولا بشاعر فقالوا لقد صبأت اما فهمت منه كلمة فقال لا ولم اهتد الى جوابه فقال عثمان بن مظعون ذلك والله لتعلموا أنه من رب العالمين ثم بين ما ذكر من صاعقة عاد وثمود فقال

عليها

(فلما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق) أي تعظموا فيها على أهلها بما لا يستحقون به التعظيم وهو القوة وعظم الاجرام أو استولوا على الارض بغير استحقاق للولاية (وقالوا من أشد منا قوة) كانوا ذوي اجسام طوال وخلق عظيم وبلغ من قوتهم ان الرجل كان يقتلع الصخرة من الجبل بيده (اولم يروا) اولم يعلموا علما يقوم مقام العيان (أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة) أوسع منهم قدرة لانه قادر على كل شئ وهم قادرون على بعض الاشياء باقداره (وكانوا بآياتنا يجحدون) معطوف على فاستكبروا أي كانوا يعرفون انها حق ولكنهم جحدوها كما يجحد المودع الوديعة (فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا) عاصفة تصرصر أي تصوت في هبوبها من الصر او باردة تحرق بشدة بردها تكرير لبناء الصر وهو البرد قيل انها الدبور

(في أيام نحسات) مشؤمات عليهم نحسات مكي وبصري ونافع ونحس نحسا نقيض سعد سعدا وهو نحس واما نحس فاما مخفف نحس او صفة على فعل او وصف بمصدر وكانت من الاربعاء في آخر شوال الى الاربعاء وما عذب قوم الا في الاربعاء (لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا) اضاف العذاب الى الخزي وهو الذل على انه وصف للعذاب كانه قال عذاب خزي كما تقول فعل السوء تريد الفعل السيئ ويدل عليه قوله (ولعذاب الآخرة أخزى) وهو من الاسناد المجازي ووصف العذاب بالخزي أبلغ من وصفهم به فشتان ما بين قوليك هو شاعر وله شعر شاعر (وهم لا ينصرون) من الاصنام التي عبدوها على رجاء النصر لهم (واما ثمود) بالرفع على الابتداء وهو الفصيح لوقوعه بعد حرف الابتداء والخبر (فهديناهم) وبالنصب المفضل باضمار فعل يفسره فهديناهم أي بينا لهم الرشد (فاستحبوا العمى على الهدى) فاختاروا الكفر على الايمان (فأخذتهم صاعقة العذاب) داهية العذاب (الهون) الهوان وصف به العذاب مبالغة او ابدله منه (بما كانوا يكسبون) بكسبهم وهو شركهم ومعاصيهم وقال الشيخ ابو منصور يحتمل ما ذكر من الهداية التبيين كما بينا ويحتمل خلق الاهتداء فيهم فصاروا مهتدين ثم كفروا بعد ذلك وعقروا الناقة لان الهدى المضاف الى الخالق يكون بمعنى البيان والتوفيق وخلق فعل الاهتداء فاما الهدى المضاف الى الخلق يكون بمعنى البيان لا غير وقال صاحب الكشاف فان قلت أليس معنى قولك هديته جعلت فيه الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها كما تقول ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة

عليها يستمع منه حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السجدة فسجد ثم قال أسمعت يا أبا الوليد فأنت وذاك فقام عتبة الى أصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ما وراءك يا أبا الوليد قال ورائي اني سمعت قولا والله ما سمعت بمثله قط ما هو بشعر ولا بسحر ولا كهانة يا معشر قريش أطيعوني يا معشر قريش خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وأنتم أسعد الناس به قالوا سحرك والله محمد يا أبا الوليد بلسانه قال هذا رأيي لكم فاصنعوا ما بدا لكم قوله عز وجل (فأما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة) وذلك ان هودا هددهم بالعذاب فقالوا نحن نقدر على دفع العذاب عنا بفضل قوتنا وكانوا ذوي أجسام طوال قال الله تعالى ردا عليهم (اولم يروا) أي اولم يعلموا (ان الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا) أي عاصفا شديدا الصوت وقيل هي الريح الباردة قيل ان الريح ثمانية فاربع منها عذاب وهي الريح الصرصر والعاصف والقاصف والعقيم وأربع منها رحمة وهي الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات قيل أرسل عليهم من الريح على قدر خرق الخاتم فاهلكوا جميعا (في ايام نحسات) أي نكدات مشؤومات ذات نحس وقيل ذات غبار وتراب ثائر لا يكاد يبصر فيه وقيل أمسك الله عز وجل عنهم المطر ثلاث سنين ودأبت عليهم الريح من غير مطر (لنذيقهم عذاب الخزي) أي عذاب الذل والهوان وذلك مقابل لقوله فاستكبروا في الارض بغير الحق (في الحيوة الدنيا) أي ذلك الذي نزل بهم من الخزي والهوان في الحياة الدنيا (ولعذاب الآخرة أخزى) أي أشد اهانة (وهم لا ينصرون) أي لا يمنعون من العذاب (وأما ثمود فهديناهم) قال ابن عباس بينا لهم سبيل الهدى وقيل دللناهم على الخير والشر (فاستحبوا العمى على الهدى) أي اختاروا الكفر على الايمان (فأخذتهم صاعقة العذاب الهون) أي ذي الهوان (بما كانوا يكسبون) أي من الشرك

قلت للدلالة على انه مكنهم فأزاح عللهم ولم يبق لهم عذر فكأنه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها وانما تعلل بهذا لانه لا يتمكن من أن يفسره بخلق الاهتداء لانه يخالف مذهبه الفاسد (ونجينا الذين آمنوا) أي اختاروا الهدى على العمى من تلك الصاعقة (وكانوا يتقون) اختيار العمى على الهدى (ويوم يحشر أعداء الله الى النار) أي الكفار من الاولين والآخرين نحشر اعداء نافع ويعقوب ١٠٨ (فهم يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم أي يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم تواليهم وهي عبارة عن كثرة أهل النار وأصله من وزعته أي كففته (حتى اذا ما جاؤها) صاروا بحضرتها وما مزيدة للتأكيد ومعنى التأكيد ان وقت مجيئهم النار لا محالة ان يكون وقت الشهادة عليهم ولا وجه لأن يخلوها (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) شهادة الجلود بملامسة الحرام وقيل هي كناية عن الفروج (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا) لما تعاظمهم من شهادتها عليهم (قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شئ) من الحيوان والمعنى ان نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذي قدر على انطاق كل حيوان (وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون) وهو قادر على انشائكم أول مرة وعلى اعادتكم ورجوعكم الى جزائه (وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) أي انكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة ان يشهد عليكم جوارحكم لانكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء أصلا (ولكن ظننتم أن الله (فان
لا يعلم كثيرا مما تعملون) ولكنكم انما استترتم لظنكم أن الله لا يعلم كثيرا مما كنتم تعملون وهو الخفيات من أعمالكم (وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم) وذلك الظن هو الذي أهلككم وذلكم مبتدأ وظنكم خبر والذي ظننتم بربكم صفته وأرداكم خبر ثان أو ظنكم بدل من ذلكم وأرداكم الخبر (فأصبحتم من الخاسرين

(ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) أي يتقون الشرك والاعمال الخبيثة وهم صالح ومن آمن معه من قومه قوله تعالى (ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون) أي يساقون ويدفعون وقيل يحبس أولهم حتى يلحق آخرهم (حتى اذا ما جاؤها) يعني النار (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم) أي بشراتهم وقيل فروجهم (بما كانوا يعملون) معناه ان الجوارح تنطق بما كتمت الالسن من عملهم (م) عن أنس رضي الله تعالى عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مم أضحك قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه عز وجل يقول يا رب ألم تجرني من الظلم قال فيقول بلى قال فيقول فاني لا أجيز اليوم على نفسي الا شاهدا مني قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين عليك شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاعضائه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل (وقالوا) يعني الكفار الذين يحشرون الى النار (لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شئ) معناه ان القادر الذي خلقكم أول مرة في الدنيا وأنطقكم ثم اعادكم بعد الموت قادر على انطاق الاعضاء والجوارح وهو قوله تعالى (وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون) وقيل تم الكلام عند قوله الذي أنطق كل شئ ثم ابتدأ بقوله وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون وقيل انه ليس من جواب الجلود (وما كنتم تستترون) أي تستخفون وقيل معناه تظنون (أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) والمعنى انكم لا تقدرون على الاستخفاء من جوارحكم ولا تظنون انها تشهد عليكم (ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) قال ابن عباس رضي الله عنهما كان الكفار يقولون ان الله لا يعلم ما في أنفسنا ولكنه يعلم ما يظهر (ق) عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال اجتمع عند البيت ثقفيان وقرشي او قرشيان وثقفي كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم فقال أحدهم أترون ان الله تعالى يسمع ما نقول قال الآخر يسمع اذا جهرنا ولا يسمع ان اخفينا وقال الآخر ان كان يسمع اذا جهرنا فانه يسمع اذا أخفينا فانزل الله تعالى وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون قيل الثقفي هو عبد ياليل وختناه القرشيان ربيعة وصفوان بن أمية قوله تعالى (وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم) أي ظنكم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون (أرداكم) أي أهلككم قال ابن عباس طرحكم في النار (فأصبحتم من الخاسرين) ثم أخبر عن حالهم بقوله تعالى

فان يصبروا فالنار مثوى لهم) أى فان يصبروا لم ينفعهم الصبر ولم ينفكوا به من الثواء فى النار (وان يستعتبوا فما هم من المعتبين) وان يطلبوا الرضا فما هم من المرضيين أو ان يسألوا العتبى وهى الرجوع لهم الى ما يحبون جزعا مما هم فيه لم يعتبوا أى لم يعطوا العتبى ولم يجابوا اليها (وقيضنا لهم) أى قدرنا لمشركى مكة يقال هذان ثوبان قيضان أى مثلان والمقايضة المعاوضة وقيل سلطنا عليهم (قرناء) اخدانا من الشياطين جمع قرين كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين (فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم) أى ما تقدم من أعمالهم وما هم عازمون عليها او ما بين ايديهم من امر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من امر العاقبة وان لا بعث ولا حساب (وحق عليهم القول) كلمة العذاب (فى أمم) فى جملة أمم ومحله النصب على الحال من الضمير فى عليهم أى حق عليهم القول كائنين فى جملة امم (قد خلت من قبلهم) قبل اهل مكة (من الجن والانس انهم كانوا خاسرين) هو تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم ١٠٩ (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن) اذا قرئ (والغوا فيه لعلكم تغلبون) وعارضوه بكلام غير مفهوم حتى تشوشوا عليه وتغلبوا على قراءته واللغو الساقط من الكلام الذى لا طائل تحته (فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا) يجوز أن يريد بالذين كفروا هؤلاء اللاغين والآمرين لهم باللغو خاصة ولكن يذكر الذين كفروا عامة لينطووا تحت ذكرهم (ولنجزينهم اسوأ الذى كانوا يعملون) أى اعظم عقوبة على اسوأ أعمالهم وهو الكفر (ذلك جزاء اعداء الله) ذلك اشارة الى الاسوأ ويجب ان يكون التقدير أسوأ جزاء الذين كانوا يعملون حتى تستقيم هذه الاشارة (النار) عطف بيان للجزاء او خبر مبتدا محذوف (لهم فيها دار الخلد) أى النار فى نفسها دار الخلد كما تقول لك فى هذه الدار دار السرور وأنت تعنى الدار بعينها (جزاء) اى جوزوا بذلك جزاء (بما كانوا بآياتنا يجحدون وقال الذين كفروا ربنا أرنا) و بسكون الراء لثقل الكسرة كما قالوا فى فخذ فخذ مكى وشامى وأبو بكر و بالاختلاس ابو عمرو (اللذين اضلانا) أى الشيطانين اللذين اضلانا (من الجن والانس) لان الشيطان على ضربين جنى وانسى قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن (نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين) فى النار جزاء اضلالهم ايانا (ان الذين قالوا ربنا الله) اى نطقوا بالتوحيد (ثم استقاموا) ثم ثبتوا على الاقرار ومقتضياته وعن الصديق رضى الله عنه استقاموا قولا وفعلا كما استقاموا قولا وعنه انه تلاها ثم قال ما تقولون فيها قالوا لم يذنبوا قال حملتم الامر على أشده قالوا فما تقول قال لم يرجعوا الى عبادة الاوثان وعن عمر رضى الله عنه لم يروغوا روغان الثعالب أى لم ينافقوا وعن عثمان رضى الله عنه اخلصوا العمل وعن على رضى الله عنه أدوا الفرائض وعن الفضيل زهدوا فى الفانية ورغبوا فى الباقية وقيل حقيقة الاستقامة القرار بعد الاقرار لا الفرار بعد الاقرار

(فان يصبروا فالنار مثوى لهم) أى مسكن (وان يستعتبوا) أى يسترضوا و يطلبوا العتبى والمعتب هو الذى قبل عتابه وأجيب الى ما سأل (فما هم من المعتبين) أى المرضيين (وقيضنا لهم) أى بعثنا ووكلنا وقيل هيأنا لهم وسببنا لهم (قرناء) أى نظراء من الشياطين حتى أضلوهم (فزينوا لهم ما بين ايديهم) أى من أمر الدنيا حتى آثروه على الآخرة (وما خلفهم) أى فدعوهم الى التكذيب بالآخرة وانكار البعث وقيل حسنوا لهم أعمالهم القبيحة الماضية والمستقبلة (وحق عليهم القول) أى وجب (فى أمم) أى مع امم (قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين) قوله تعالى (وقال الذين كفروا) يعنى مشركى قريش (لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) قال ابن عباس والغطوا فيه من اللغط وهو كثرة الاصوات كان بعضهم يوصى الى بعض اذا رأيتم محمدا يقرأ فعارضوه بالرجز والشعر وقيل اكثروا الكلام حتى يختلط عليه ما يقول وقيل والغوا فيه بالمكاء والصفير وقيل صيحوا فى وجهه (لعلكم تغلبون) يعنى محمدا على قراءته (فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم اسوأ) يعنى باسوإ (الذين كانوا يعملون) اى فى الدنيا وهو الشرك (ذلك) أى الذى ذكر من العذاب (جزاء أعداء الله) ثم بين ذلك الجزاء فقال (النار لهم فيها دار الخلد) أى دار الاقامة لا انتقال لهم عنها (جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون وقال الذين كفروا) أى فى النار (ربنا) أى يقولون يا ربنا (أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس) يعنون ابليس وقابيل بن آدم الذى قتل أخاه لانهما سنا المعصية (نجعلهما تحت اقدامنا) أى فى النار (ليكونا من الاسفلين) أى فى الدرك الاسفل من النار وقال ابن عباس ليكونا أشد عذابا منا قوله عز و جل (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) قال أهل التحقيق كمال الانسان أن يعرف الحق لذاته لا جل العمل

به ورأس المعرفة اليقينية معرفة الله تعالى واليه الاشارة بقوله ان الذين قالوا ربنا الله ورأس الاعمال الصالحة أن يكون الانسان مستقيما في الوسط غير مائل الى طرفي الافراط والتفريط فتكون الاستقامة في أمر الدين والتوحيد فتكون في الاعمال الصالحة سئل أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه عن الاستقامة فقال أن لا تشرك بالله شيأ وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الاستقامة ان تستقيم على الامر والنهي ولا تروغ روغان الثعلب وقال عثمان رضي الله تعالى عنه استقاموا أخلصوا في العمل وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أدوا الفرائض وهو قول ابن عباس وقيل استقاموا على أمر الله فعملوا بطاعته واجتنبوا معاصيه وقيل استقاموا على شهادة ان لا اله الا الله حتى لحقوا بالله وكان الحسن اذا تلا هذه الآية قال اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة (تتنزل عليهم الملائكة) قال ابن عباس عند الموت وقيل اذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى تكون في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث (ان لا تخافوا) أي من الموت وقيل لا تخافوا على ما تقدمون عليه من أمر الآخرة (ولا تحزنوا) اي على ما خلفتم من أهل وولد فانا نخلفكم في ذلك كله وقيل لا تخافوا من ذنوبكم ولا تحزنوا فأنا أغفرها لكم (وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم) أي تقول لهم الملائكة عند نزولهم بالبشرى نحن أولياؤكم أي أنصاركم وأحباؤكم وقيل تقول لهم الحفظة نحن كنا معكم (في الحيوة الدنيا و) نحن أولياؤكم (في الآخرة) لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة (ولكم فيها) أي في الجنة (ما تشتهي أنفسكم) أي من الكرامات واللذات (ولكم فيها ما تدعون) أي تتمنون (نزلا) أي رزقا والنزل رزق النزيل والنزيل هو الضيف (من غفور رحيم) قال أهل المعاني كل هذه الاشياء المذكورة في هذه الآية جارية مجرى النزل والكريم اذا أعطى هذا النزل فما ظنك بما بعده من الالطاف والكرامة قوله تعالى (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله) أي الى طاعة الله تعالى قيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس الى شهادة أن لا اله الا الله وقيل هو المؤمن أجاب الله تعالى فيما دعاه اليه ودعا الناس الى ما أجاب اليه (وعمل صالحا) في اجابته وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها أرى هذه الآية نزلت في المؤذنين وقيل ان كل من دعا الى الله تعالى بطريق من الطرق فهو داخل في هذه الآية وللدعوة الى الله تعالى مراتب الاولى دعوة الانبياء عليهم الصلاة والسلام الى الله تعالى بالمعجزات وبالحجج والبراهين وبالسيف وهذه المرتبة لم تتفق لغير الانبياء * المرتبة الثانية دعوة العلماء الى الله تعالى بالحجج والبراهين فقط والعلماء أقسام علماء بالله وعلماء بصفات الله وعلماء بأحكام الله * المرتبة الثالثة دعوة المجاهدين الى الله تعالى بالسيف فهم يجاهدون الكفار حتى يدخلوا في دين الله وطاعته * المرتبة الرابعة دعوة المؤذنين الى الصلاة فهم أيضا دعاة الى الله تعالى والى طاعته وعمل صالحا قيل العمل الصالح على قسمين قسم يكون من أعمال القلوب وهو معرفة الله تعالى وقسم يكون بالجوارح وهو سائر الطاعات وقيل وعمل صالحا صلى ركعتين بين الاذان والاقامة (ق) عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله

(تتنزل عليهم الملائكة) عند الموت (أن) بمعنى اي او مخففة من الثقيلة واصله بأنه (لا تخافوا) والهاء ضمير الشأن اي لا تخافوا ما تقدمون عليه (ولا تحزنوا) على ما خلفتم فالخوف غم يلحق الانسان لتوقع المكروه والحزن غم يلحق لوقوعه من فوات نافع او حصول ضار والمعنى ان الله كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه (وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) في الدنيا وقال محمد بن علي الترمذي تتنزل عليهم ملائكة الرحمة عند مفارقة الارواح الابدان أن لا تخافوا سلب الايمان ولا تحزنوا على ما كان من العصيان وأبشروا بدخول الجنان التي كنتم توعدون في سالف الزمان (نحن أولياؤكم في الحيوة الدنيا وفي الآخرة) كما ان الشياطين قرناء العصاة واخوانهم فكذلك الملائكة أولياء المتقين واحباؤهم في الدارين (ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم) من النعيم (ولكم فيها ما تدعون) تتمنون (نزلا) هو رزق النزيل وهو الضيف وانتصابه على الحال من الهاء المحذوفة او من ما (من غفور رحيم) نعت له (ومن احسن قولا ممن دعا الى الله) الى عبادته هو رسول الله دعا الى التوحيد (وعمل صالحا) خالصا

(وقال انني من المسلمين) تفاخرا بالاسلام ومعتقدا له أو أصحابه عليه السلام او المؤذنون أو جميع الهداة والدعاة الى الله (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن) يعني ان الحسنة والسيئة متفاوتتان فى أنفسهما فخذ بالحسنة التى هى أحسن من أختها اذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التى ترد عليك من بعض أعدائك كما لو أساء اليك رجل اساءة فالحسنة ان تعفو عنه والتى هى أحسن ان تحسن اليه مكان اساءته اليك مثل أن يذمك فتمدحه أو يقتل ولدك فتفتدى ولده من يد عدوه (فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم) فانك اذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولى الحميم مصافاة لك ثم قال (وما يلقاها) أى وما يلقى هذه الخصلة التى هى مقابلة الاساءة بالاحسان (الا الذين صبروا) الا أهل الصبر (وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) الا رجل خير وفق لحظ عظيم من الخير وانما لم يقل فادفع بالتى هى أحسن لانه على تقدير قائل قال فكيف أصنع فقال ادفع بالتى هى أحسن وقيل لا مزيدة للتأكيد والمعنى لا تستوى الحسنة والسيئة وكان القياس على هذا التفسير أن يقال ادفع بالتى هى حسنة ولكن وضع التى هى أحسن موضع الحسنة ليكون أبلغ فى الدفع بالحسنة لان من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما دونها وعن ابن عباس رضى الله عنهما بالتى هى أحسن الصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة وفسر الحظ بالثواب وعن الحسن والله ما عظم حظ دون الجنة وقيل نزلت فى أبى سفيان بن حرب وكان عدوا مؤذيا للنبى صلى الله عليه وسلم فصار وليا مصافيا (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) النزغ شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كانه ينخسه يبعثه على مالا ينبغى وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده أو أريد واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر أو لتسويله والمعنى وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتى هى أحسن (فاستعذ بالله) من شره وامض على حلمك ولا تطعه (انه هو السميع) لاستعاذتك (العليم) بنزغ الشيطان (ومن آياته) الدالة على وحدانيته (الليل والنهار) فى تعاقبهما على حد معلوم وتناوبهما على قدر مقسوم (والشمس والقمر) فى اختصاصهما بسير مقدر ونور مقرر (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) فانهما مخلوقان وان كثرت منافعهما (واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون) الضمير فى خلقهن للآيات أو الليل والنهار والشمس والقمر لان حكم جماعة مالا يعقل حكم الانثى والاناث تقول الاقلام بريتها وبريتهن ولعل ناسا منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين فى عبادتهم الكواكب يزعمون انهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله تعالى فنهوا عن هذه الواسطة وأمروا ان يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصا

صلى الله عليه وسلم بين كل أذانين صلاة بين كل أذانين صلاة بين كل أذانين صلاة وقال فى الثالثة لمن شاء * عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد أخرجه أبو داود والترمذى وقال هذا حديث حسن (وقال انني من المسلمين) قيل ليس الغرض منه القول فقط بل يضم اليه اعتقاد القلب فيعتقد بقلبه دين الاسلام مع التلفظ به قوله تعالى (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة) يعنى الصبر والغضب والحلم والجهل والعفو والاساءة (ادفع بالتى هى أحسن) قال ابن عباس أمره بالصبر عند الغضب وبالحلم عند الجهل وبالعفو عند الاساءة (فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم) أى صديق قريب قيل نزلت فى أبى سفيان بن حرب وذلك حيث لان للمسلمين بعد شدة عداوته بالمصاهرة التى حصلت بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم فصار وليا بالاسلام حميما بالقرابة (وما يلقاها) أى وما يلقى هذه الخصلة والفعلة وهى دفع السيئة بالحسنة (الا الذين صبروا) أى على تحمل المكاره وتجرع الشدائد وكظم الغيظ وترك الانتقام (وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) أى من الخير والثواب وقيل الحظ العظيم الجنة يعنى ما يلقاها الا من وجبت له الجنة (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) النزغ شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كانه ينخسه أى يبعثه الى مالا ينبغى ومعنى الآية وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتى هى أحسن (فاستعذ بالله) أى من شره (انه هو السميع) أى لاستعاذتك (العليم) بأحوالك قوله تعالى (ومن آياته) أى ومن دلائل قدرته وحكمته الدالة على وحدانيته (الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) أى انهما مخلوقان مسخران فلا ينبغى السجود لهما لان السجود عبارة عن نهاية التعظيم (واسجدوا لله الذى خلقهن) أى المستحق للسجود والتعظيم هو الله خالق الليل والنهار والشمس والقمر (ان كنتم اياه تعبدون) يعنى أن ناسا كانوا يسجدون للشمس والقمر والكواكب ويزعمون ان سجودهم لهذه الكواكب هو سجود لله

ان كانوا اياه يعبدون وكانوا موحدين غير مشركين فان من عبد مع الله غيره لا يكون عابدا لله (فان استكبروا فالذين عند ربك) أى الملائكة (يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون) لا يملون والمعنى فان استكبروا ولم يمتثلوا ما أمروا به وابوا الا الواسطة وأمروا أن يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصا فدعهم وشأنهم فان الله تعالى لا يعدم عابدا وساجدا بالاخلاص وله العباد المقربون الذين ينزهونه بالليل والنهار ١٢ عن الانداد وعند ربك عبارة عن الزلفى والمكانة والكرامة وموضع السجدة عندنا عند لا يسأمون وعند الشافعى رحمه الله عند تعبدون والاول أحوط (ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة) يابسة مغبرة والخشوع التذلل فاستعير لحال الارض اذا كانت قحطة لا نبات فيها (فاذا أنزلنا عليها الماء) المطر (اهتزت) تحركت بالنبات (وربت) انتفخت (ان الذى احياها لمحيى الموتى انه على كل شئ قدير) فيكون قادرا على البعث ضرورة (ان الذين يلحدون فى آياتنا) يميلون عن الحق فى أدلتنا بالطعن يقال ألحد الحافر ولحد اذا مال عن الاستقامة فحفر فى شق فاستعير لحال الارض اذا كانت ملحودة فاستعير للانحراف فى تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة يلحدون حمزة (لا يخفون علينا) وعيد لهم على التحريف (أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة) هذا تمثيل للكافر والمؤمن (اعملوا ما شئتم) هذا نهاية فى التهديد ومبالغة فى الوعيد (انه بما تعملون بصير) فيجازيكم عليه (ان الذين كفروا بالذكر) بالقرآن لانهم لكفرهم به طعنوا فيه وحرفوا تأويله (لما جاءهم) حين جاءهم وخبر ان محذوف أى يعذبون أو هالكون او أولئك ينادون من مكان بعيد وما بينهما اعتراض (وانه لكتاب عزيز) أى منيع محمى بحماية الله (لا يأتيه الباطل) التبديل أو التناقض (من بين يديه ولا من خلفه) أى بوجه من الوجوه الزمان

٣ الظاهر خبر ان

عز وجل فنهوا عن السجود لهذه الوسائط وأمروا بالسجود لله الذى خلق هذه الاشياء كلها (فان استكبروا) أى عن السجود لله (فالذين عند ربك) يعنى الملائكة (يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون) أى لا يفترون ولا يملون

(فصل) وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة وفى موضع السجود فيها قولان للعلماء وهما وجهان لاصحاب الشافعى أحدهما انه عند قوله تعالى ان كنتم اياه تعبدون وهو قول ابن مسعود والحسن وحكاه الرافعى عن أبى حنيفة وأحمد لان ذكر السجدة قبله والثانى وهو الاصح عند أصحاب الشافعى وكذلك نقله الرافعى انه عند قوله تعالى وهم لا يسأمون وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب وقتادة وحكاه الزمخشرى عن أبى حنيفة لان عنده يتم الكلام (ومن آياته انك ترى الارض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذى أحياها لمحيى الموتى انه على كل شئ قدير) قوله تعالى (ان الذين يلحدون) أى يميلون عن الحق (فى آياتنا) أى فى أدلتنا قيل بالمكاء والتصدية واللغو واللغط وقيل يكذبون بآياتنا ويعاندون ويشاقون (لا يخفون علينا) تهديد ووعيد قيل نزلت فى أبى جهل (أفمن يلقى فى النار) هو أبو جهل (خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة) المعنى الذين يلحدون فى آياتنا يلقون فى النار والذين يؤمنون بآياتنا آمنون يوم القيامة قيل هو حمزة وقيل عثمان وقيل عمار بن ياسر (اعملوا ما شئتم) أمر تهديد ووعيد (انه بما تعملون بصير) اى انه عالم باعمالكم فيجازيكم عليها (ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم) يعنى القرآن ٣ وفى جواب ان وجهان أحدهما أنه محذوف تقديره ان الذين كفروا بالذكر يجازون بكفرهم والثانى جوابه أولئك ينادون من مكان بعيد ثم أخذ فى وصف الذكر فقال تعالى (وانه لكتاب عزيز) قال ابن عباس كريم على الله تعالى وقيل العزيز العديم النظير وذلك ان الخلق عجزوا عن معارضته وقيل اعزه الله بمعنى منعه فلا يجد الباطل اليه سبيلا وهو قوله تعالى (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) قيل الباطل هو الشيطان فلا يستطيع ان يغيره وقيل انه محفوظ من ان ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه أو يزاد فيأتيه الباطل من خلفه فعلى هذا يكون معنى الباطل الزيادة والنقصان وقيل لا يأتيه التكذيب من الكتب التى قبله ولا يجئ بعده كتاب فيبطله وقيل معناه أن الباطل لا يتطرق اليه ولا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل اليه وقيل لا يأتيه الباطل عما اخبر فيما تقدم من

(تنزيل من حكيم حميد) مستحق الحمد (ما يقال لك) ما يقول لك كفار قومك (الا ما قد قيل للرسل من قبلك) الا مثل ما قال للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعنة في الكتب المنزلة (ان ربك لذو مغفرة) ورحمة لانبيائه (وذو عقاب اليم) لاعدائهم ويجوز ان يكون ما يقول لك الله الا مثل ما قال للرسل من قبلك والمقول هو قوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم (ولو جعلناه) أي الذكر (قرآنا أعجميا) أي بلغة العجم كانوا لتعنتهم يقولون هلا نزل القرآن بلغة العجم فقيل في جوابهم لو كان كما يقترحون (لقالوا لولا فصلت آياته) أي بينت بلسان العرب حتى نفهمها تعنتا (أأعجمي وعربي) بهمزتين كوفي غير حفص والهمزة للانكار يعني لانكروا وقالوا أقرآن أعجمي ورسول ١١٣ عربي او مرسل اليه عربي الباقون بهمزة واحدة ممدودة مستفهمة والاعجمي الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه سواء كان من العجم او العرب والعجمي منسوب الى امة العجم فصيحا كان او غير فصيح والمعنى ان آيات الله على أي طريقة جاءتهم وجدوا فيها متعنتا لانهم غير طالبين للحق وانما يتبعون اهواءهم وفيه اشارة الى انه لو انزله بلسان العجم لكان قرآنا فيكون دليلا لابي حنيفة رضي الله عنه في جواز الصلاة اذا قرأ بالفارسية (قل هو) أي القرآن (للذين آمنوا هدى) ارشادا الى الحق (وشفاء) لما في الصدور من الشك اذ الشك مرض (والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر) في موضع الجر لكونه معطوفا على للذين آمنوا أي هو للذين آمنوا هدى وشفاء وهو للذين لا يؤمنون في آذانهم وقر أي صمم الا ان فيه عطفا على عاملين وهو جائز عند الاخفش او الرفع وتقديره والذين لا يؤمنون هو في آذانهم وقر على حذف المبتدا او في آذانهم منه وقر (وهو) اى القرآن (عليهم عمى) ظلمة وشبهة (أولئك ينادون من مكان بعيد) يعني انهم لعدم قبولهم انتفاعهم كانهم ينادون الى الايمان بالقرآن من حيث لا يسمعون لبعد المسافة وقيل ينادون في القيامة من مكان بعيد اقبح الاسماء (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) فقال بعضهم هو حق وقال بعضهم هو باطل كما اختلف قومك في كتابك (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتاخير العذاب (لقضي بينهم) لاهلكهم اهلاك استئصال وقيل الكلمة السابقة هي العدة بالقيامة وان الخصومات تفصل في ذلك اليوم ولولا ذلك لقضي بينهم في الدنيا (وانهم) وان الكفار (لفي شك منه مريب) موقع في الريبة

الزمان ولا فيما تأخر (تنزيل من حكيم) أي في جميع افعاله (حميد) أي الى جميع خلقه بسبب نعمه عليهم ثم عزى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على تكذيبهم اياه فقال عز وجل (ما يقال لك) أي من الاذى والتكذيب (الا ما قد قيل للرسل من قبلك) يعني انه قد قيل للانبياء قبلك ساحر كما يقال لك وكذبوا كما كذبت (ان ربك لذو مغفرة) أي لمن تاب وآمن بك (وذو عقاب أليم) أي لمن اصر على التكذيب قوله عز وجل (ولو جعلناه) أي هذا الكتاب الذي تقرؤه على الناس (قرآنا أعجميا) أي بغير لغة العرب (لقالوا لولا فصلت آياته) اي هلا بينت آياته بالعربية حتى نفهمها (أأعجمي وعربي) اى أكتاب اعجمي ورسول عربي وهذا استفهام انكار والمعنى لو نزل الكتاب بلغة العجم لقالوا كيف يكون المنزل عليه عربيا والمنزل أعجميا وقيل في معنى الآية انا لو أنزلنا هذا القرآن بلغة العجم لكان لهم أن يقولوا كيف أنزل الكلام العجمي الى القوم العرب ولصح قولهم ان يقولوا قلوبنا في اكنة وفي آذاننا وقر لانا لا نفهمه ولا نحيط بمعناه وانا لما أنزلنا هذا القرآن بلغة العرب وهم يفهمونه فكيف يمكنهم ان يقولوا قلوبنا في اكنة وفي آذاننا وقر وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل على يسار غلام عامر بن الحضرمي وكان يهوديا اعجميا يكنى أبا فكيهة فقال المشركون انما يعلمه يسار فضربه سيده وقال انك تعلم محمدا فقال هو والله يعلمني فانزل الله تعالى هذه الآية (قل) يا محمد (هو) يعني القرآن (للذين آمنوا هدى) أي من الضلالة (وشفاء) أي لما في القلوب من مرض الشرك والشك وقيل شفاء من الاوجاع والاسقام (والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى) أي صموا عن استماع القرآن وعموا عنه فلا ينتفعون به (أولئك ينادون من مكان بعيد) أي كأن من دعي من مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم كذلك هؤلاء في قلة انتفاعهم بما يوعظون به كأنهم ينادون من حيث لا يسمعون (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) أي فمصدق به ومكذب كما اختلف قومك في كتابك (ولولا كلمة سبقت من ربك) أي في تأخير العذاب عن المكذبين بالقرآن (لقضي بينهم) أي لفرغ من عذابهم وعجل اهلاكهم (وانهم لفي شك منه مريب) أي من كتابك وصدقك

(من عمل صالحا فلنفسه) فنفسه نفع (ومن أساء فعليها فنفسه) ضر (وما ربك بظلام للعبيد) فيعذب غير المسيء (اليه يرد علم الساعة) أى علم قيامها يرد اليه أى يجب على المسؤل ان يقول الله يعلم ذلك (وما تخرج من ثمرات) مدنى وشامى وحفص وغيرهم بغير ألف (من اكمامها) اوعيتها قبل ان تنشق جمع كم (وما تحمل من أنثى) حملها (ولا تضع الا بعلمه) اى ما يحدث شئ من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع الا وهو عالم به يعلم عدد أيام الحمل وساعاته وأحواله من الخداج والتمام والذكورة والانوثة والحسن والقبح وغير ذلك (ويوم يناديهم أين شركائى) أضافهم الى نفسه على زعمهم وبيانه فى قوله أين شركائى الذين زعمتم وفيه تهكم وتقريع (قالوا آذناك) 114 اعلمناك وقيل أخبرناك وهو الاظهر اذ الله تعالى كان عالما بذلك واعلام العالم محال انما الاخبار للعالم بالشئ تحقق بما علم به الا ان يكون المعنى انك علمت من قلوبنا الآن انا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم فكأنهم اعلموه (ما منا من شهيد) أى ما منا احد اليوم يشهد بأن لك شريكا وما منا الا من هو موحد لك أو ما منا من احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم وضلت عنهم آلهتهم لا يبصرونها فى ساعة التوبيخ وقيل هو كلام الشركاء اى ما منا من شهيد يشهد بما اضافوا الينا من الشرك (وضل عنهم ما كانوا يدعون) يعبدون (من قبل) فى الدنيا (وظنوا) وايقنوا (ما لهم من محيص) مهرب (لا يسأم) لا يمل (الانسان) الكافر بدليل قوله وما أظن الساعة قائمة (من دعاء الخير) من طلب السعة فى المال والنعمة والتقدير من دعائه الخير فحذف الفاعل واضيف الى المفعول (وان مسه الشر) الفقر (فيؤس) من الخير (قنوط) من الرحمة بولغ فيه من طريقين من طريق بناء فعول ومن طريق التكرير والقنوط أن يظهر عليه أثر اليأس فيتضاءل وينكسر أى يقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذا صفة الكافر بدليل قوله تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون (ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى) واذا فرجنا عنه بصحة بعد مرض او سعة بعد ضيق قال هذا لى أى هذا حقى وصل الى لانى استوجبته بما عندى من خير وفضل واعمال بر او هذا لى لا يزول عنى (وما أظن الساعة قائمة) أى ما أظنها تكون قائمة (ولئن رجعت الى ربى) كما يقول المسلمون (ان لى عنده) عند الله (للحسنى) اى الجنة او الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة قائسا أمر الآخرة على أمر الدنيا (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا) فلنخبرنهم بحقيقة ما عملوا من الاعمال الموجبة للعذاب

(من عمل صالحا فلنفسه) أى يعود نفع ايمانه وعمله لنفسه (ومن أساء فعليها) أى ضرر اساءته او كفره يعود على نفسه أيضا (وما ربك بظلام للعبيد) يعنى فيعذب غير المسيء قوله عز وجل (اليه يرد علم الساعة) يعنى اذا سأل عنها سائل قيل له لا يعلم وقت قيام الساعة الا الله تعالى ولا سبيل للخلق الى معرفة ذلك (وما تخرج من ثمرة من اكمامها) أى من أوعيتها وقال ابن عباس هو الكفرى قبل أن ينشق (وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه) أى يعلم قدر أيام الحمل وساعاته ومتى يكون الوضع وذكر الحمل هو أم أنثى ومعنى الآية كما يرد اليه علم الساعة فكذلك يرد اليه علم ما يحدث من كل شئ كالثمار والنتاج وغيره فان قلت قد يقول الرجل الصالح من أصحاب الكشف قولا فيصيب فيه وكذلك الكهان والمنجمون قلت أما أصحاب الكشف اذا قالوا قولا فهو من الهام الله تعالى واطلاعه اياهم عليه فكان من علمه الذى يرد اليه وأما الكهان والمنجمون فلا يمكنهم القطع والجزم فى شئ مما يقولونه البتة وانما غايته ادعاء ظن ضعيف قد لا يصيب وعلم الله تعالى هو العلم اليقين المقطوع به الذى لا يشركه فيه أحد (ويوم يناديهم) أى ينادى الله تعالى المشركين فيقول (أين شركائى) أى الذين تدعون أنها آلهة (قالوا) يعنى المشركين (آذناك) أى اعلمناك (ما منا من شهيد) أى يشهد أن لك شريكا وذلك لما رأوا العذاب تبرؤا من الاصنام (وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل) أى يعبدون فى الدنيا (وظنوا ما لهم من محيص) أى مهرب قوله تعالى (لا يسأم الانسان) أى لا يمل الكافر (من دعاء الخير) يعنى لا يزال يسأل ربه الخير وهو المال والغنى والصحة (وان مسه الشر) أى الشدة والفقر (فيؤس) أى من روح الله تعالى (قنوط) أى من رحمته (ولئن أذقناه رحمة منا) أى آتيناه خيرا وعافية وغنى (من بعد ضراء مسته) أى من بعد شدة وبلاء أصابه (ليقولن هذا لى) أى استحقه بعملى (وما أظن الساعة قائمة) أى ولست على يقين من البعث (ولئن رجعت الى ربى) يقول هذا الكافر أى فان كان الامر على ذلك ورددت الى ربى (ان لى عنده للحسنى) اى الجنة والمعنى كما أعطانى فى الدنيا سيعطينى فى الآخرة (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا) قال ابن عباس لنوقفنهم

(ولنذيقنهم من عذاب غليظ) شديد لا يفترعنهم (واذا أنعمنا على الانسان أعرض) هذا ضرب آخر من طغيان الانسان اذا أصابه الله بنعمة ابطرته النعمة فنسى المنعم وأعرض عن شكره (ونأى بجانبه) وتباعد عن ذكر الله ودعائه أو ذهب بنفسه وتكبر وتعظم وتحقيقه ان يوضع جانبه موضع نفسه لان مكان الشئ وجهته ينزل منزلة نفسه ومنه قول الكتاب كتبت الى جهته والى جانبه العزيز يريدون نفسه وذاته فكأنه قال ونأى بنفسه (واذا مسه الشر) الضر والفقر (فذو دعاء عريض) كثيرأى اقبل على دوام الدعاء وأخذ فى الابتهال والتضرع وقد استعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه وهو من صفة الاجرام كما استعير الغلظ لشدة العذاب ولا منافاة بين قوله فيؤس قنوط وبين قوله فذو دعاء عريض لان الاول فى قوم والثانى فى قوم أو قنوط فى البر وذو دعاء عريض فى البحر أو قنوط بالقلب ذو دعاء عريض باللسان أو قنوط من الصنم ذو دعاء لله تعالى (قل أرأيتم) اخبرونى (ان كان) القرآن (من عند الله ثم كفرتم به) ثم جحدتم أنه من عند الله (من اضل) منكم الا انه وضع قوله (ممن هو فى شقاق بعيد) موضع منكم بيانا لحالهم وصفتهم (سنريهم آياتنا فى الآفاق) من فتح البلاد شرقا وغربا (وفى أنفسهم) فتح مكة (حتى يتبين لهم أنه الحق) أى القرآن او الاسلام (اولم يكف بربك) موضع بربك الرفع على انه فاعل والمفعول محذوف وقوله (أنه على كل شئ شهيد) بدل منه تقديره اولم يكفهم ان ربك على كل شئ شهيد أى اولم تكفهم شهادة ربك على كل شئ ومعناه ان هذا الموعود من اظهار آيات الله فى الآفاق وفى أنفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك ان القرآن تنزيل عالم الغيب الذى هو على كل شئ شهيد (الا انهم فى مرية) شك (من لقاء ربهم الا انه بكل شئ محيط) عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية فيجازيهم على كفرهم ومريتهم فى لقاء ربهم

(سورة شورى مكية وهى ثلاث وخمسون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) فصل (حم) من (عسق) كتابة مخالفة الكهيعص تلفيقا باخواتها ولانه آيتان وكهيعص آية واحدة

على مساوى اعمالهم (ولنذيقنهم من عذاب غليظ واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه) أى ذهب بنفسه وتكبر وتعظم (واذا مسه الشر) أى الشدة والفقر (فذو دعاء عريض) أى كثير (قل) أى قل يا محمد لكفار مكة (أرأيتم ان كان من عند الله) يعنى هذا القرآن (ثم كفرتم به) أى جحدتموه (من أضل ممن هو فى شقاق بعيد) أى فى خلاف للحق بعيد عنه والمعنى فلا أحد أضل منكم (سنريهم آياتنا فى الآفاق) قال ابن عباس يعنى منازل الامم الخالية (وفى أنفسهم) أى بالبلاء والامراض وقيل منازل بهم يوم بدر وقيل فى الآفاق هو ما يفتح من القرى والبلاد على محمد صلى الله عليه وسلم والمسلمين وفى أنفسهم هو فتح مكة (حتى يتبين لهم انه الحق) يعنى دين الاسلام وقيل يتبين القرآن انه من عند الله وقيل يتبين لهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم مؤيد من قبل الله تعالى وقيل فى الآفاق يعنى أقطار السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم والاشجار والانهار والنبات وفى أنفسهم يعنى من لطيف الحكمة وبديع الصنعة حتى يتبين لهم انه الحق يعنى لا يقدر على هذه الاشياء الا الله تعالى (أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد) يعنى يشهد ان القرآن من عند الله تعالى وقيل أولم يكفهم الدلائل الكثيرة التى أوضحها الله لهم على التوحيد وانه شاهد لا يغيب عنه شئ (الا انهم فى مرية من لقاء ربهم) أى فى شك عظيم من البعث والقيامة (الا انه بكل شئ محيط) أى عالم بجميع المعلومات التى لا نهاية لها أحاط بكل شئ علما واحصى كل شئ عددا والله أعلم بمراده واسرار كتابه

(تفسير سورة حم عسق وتسمى سورة الشورى وهى مكية فى قول ابن عباس والجمهور وحكى عن ابن عباس الا أربع آيات نزلت بالمدينة أولها قل لا أسألكم عليه أجرا وقيل فيها من المدنى ذلك الذى يبشر الله عباده الى قوله بذات الصدور وقوله والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون الى قوله من سبيل وهى ثلاث وخمسون آية وثمانمائة وستون كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وثمانية وثمانون حرفا والله تعالى أعلم)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (حم عسق) سئل الحسين بن الفضل لم قطع حروف حم عسق ولم يقطع حروف المص والمر وكهيعص فقال لانها بين سور أوائلها حم فجرت مجرى نظائرها فكان حم مبتدأ وعسق خبره لان حم عسق عدت آيتين وعدت اخواتها التى لم تقطع آية واحدة وقيل لان أهل التأويل لم يختلفوا فى كهيعص واخواتها انها حروف التهجى واختلفوا

(كذلك يوحى اليك) أى مثل ذلك الوحى اومثل ذلك الكتاب يوحى اليك (والى الذين من قبلك) والى الرسل من قبلك (الله) يعنى ان ماتضمنته هذه السورة من المعانى قد اوحى الله اليك مثله فى غيرها من السور و أوحاه الى من قبلك يعنى الى رسله والمعنى ان الله كرر هذه المعانى فى القرآن فى جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم لعباده وعن ابن عباس رضى الله عنهما ليس من نبى صاحب كتاب الا أوحى اليه بحم عسق يوحى بفتح الحاء مكى ورافع اسم الله على هذه القراءة مادل عليه يوحى كأن قائلا قال من الموحى فقيل الله (العزيز) الغالب بقهره (الحكيم) المصيب فى فعله وقوله (له مافى السموات ومافى الارض) ملكا وملكا (وهو العلى) شانه (العظيم) برهانه (تكاد السموات) وبالياء نافع وعلى (يتفطرن من فوقهن) يتشققن ينفطرن ١١٦ بصرى وأبو بكر ومعناه يكدن يتفطرن من علوشأن الله وعظمته يدل عليه مجيئه بعد قوله العلى العظيم وقيل من دعائهم له ولدا كقوله تكاد السموات يتفطرن منه ومعنى من فوقهن أى يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية وكان القياس أن يقال يتفطرن من تحتهن من الجهة التى جاءت منها كلمة الكفر لانها جاءت من الذين تحت السموات ولكنه بولغ فى ذلك فجعلت مؤثرة فى جهة الفوق كأنه قيل يكدن ينفطرن من الجهة التى فوقهن دع الجهة التى تحتهن وقيل من فوقهن من فوق الارض فالكناية راجعة الى الارض لانه بمعنى الارضين وقيل يتشققن لكثرة ماعلى السموات من الملائكة قال عليه السلام أطت السماء وحق لها ان تئط مافيها موضع قدم الا وعليه ملك قائم اوراكع أوساجد (والملائكة يسبحون بحمد ربهم) خضوعا لما يرون من عظمته (و يستغفرون لمن فى الارض) أى للمؤمنين منهم كقوله و يستغفرون للذين آمنوا خوفا عليهم من سطواته أو يوحدون الله و ينزهونه عما لايجوز عليه من الصفات حامدين له على ما أولاهم من الطاعة متعجبين مما رأوا من تعرضهم لسخط الله تعالى و يستغفرون لمؤمنى أهل الارض الذين تبرؤا من تلك الكلمة أو يطلبون الى ربهم أن يحلم عن أهل الارض ولا يعاجلهم بالعقاب (ألا ان الله هو الغفور الرحيم) لهم (والذين اتخذوا من دونه أولياء) أى جعلوا له شركاء وانداداً (الله حفيظ عليهم) رقيب على أقوالهم وأعمالهم لا يفوته منها شئ فيجازيهم عليها (وما أنت) يا محمد (عليهم بوكيل) بموكل عليهم ولامفوض اليك أمرهم انما أنت منذر فحسب (وكذلك)

فى حم فاخرجها بعضهم من حيز الحروف وجعلها فعلا فقال معناها حم الامر أى قضى و بقى عسق على أصله وقال ابن عباس ح حلمه م مجده ع علمه س سناه ق قدرته أقسم الله عزوجل بها وقيل ان العين من العزيز والسين من قدوس والقاف من قاهر وقيل ح حرب فى قريش يعز فيها الذليل ويذل فيها العزيز م ملك يتحول من قوم الى قوم ع عدو لقريش يقصدهم س سنون كسنى يوسف ق قدرة الله فى خلقه وقيل هذا فى شأن محمد صلى الله عليه وسلم فالحاء حوضه المورود والميم ملكه الممدود والعين عزه الموجود والسين سناؤه المشهود والقاف قيامه فى المقام المحمود وقربه من الملك المعبود وقال ابن عباس ليس من نبى صاحب كتاب الا وقد أوحى اليه حم عسق فلذلك قال الله تعالى (كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك) وقيل معناه كذلك نوحى اليك أخبار الغيب كما أوحينا الى الذين من قبلك (الله العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى صنعه والمعنى كأنه قيل من يوحى فقال الله العزيز الحكيم ثم وصف نفسه وسعة ملكه فقال تعالى (له مافى السموات ومافى الارض وهو العلى العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن) أى من فوق الارضين وقيل تنفطر كل واحدة فوق التى تليها من عظمة الله تعالى وقيل من قول المشركين اتخذ الله ولدا (والملائكة يسبحون بحمد ربهم) أى ينزهونه عما لايليق بجلاله وقيل يصلون بأمر ربهم (و يستغفرون لمن فى الارض) أى من المؤمنين دون الكفار لان الكافر لايستحق ان تستغفر له الملائكة وقيل يحتمل ان يكون لجميع من فى الارض أما فى حق الكافرين فبواسطة طلب الايمان لهم ويحتمل ان يكون المراد من الاستغفار ان لا يعاجلهم بالعقاب واما فى حق المؤمنين فبالتجاوز عن سيآتهم وقيل استغفارهم لمن فى الارض هو سؤال الرزق لهم فيدخل فيه المؤمن والكافر (ألا ان الله هو الغفور الرحيم) يعنى انه تعالى يعطى المغفرة التى سألوها ويضم اليها منه وكرمه الرحمة العامة الشاملة قوله تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء) أى جعلوا له شركاء وانداداً (الله حفيظ عليهم) أى رقيب على أحوالهم وأعمالهم (وما أنت عليهم بوكيل) أى لم توكل بهم حتى تؤخذ بهم انما انت نذير

(و كذلك) أي ومثل ذلك (أوحينا اليك) وذلك اشارة الى معنى الآية التي قبلها من أن الله رقيب عليهم لا انت بل أنت منذر لان هذا المعنى كرره الله في كتبه أو هو مفعول به لاوحينا (قرآنا عربيا) حال من المفعول به أي أوحيناه اليك وهو قرآن عربي بين (لتنذر أم القرى) أي مكة لان الارض دحيت من تحتها أو لانها أشرف البقاع والمراد اهل أم القرى (ومن حولها) من العرب (وتنذر يوم الجمع) يوم القيامة لان الخلائق تجتمع فيه (لا ريب فيه) اعتراض لا محل له يقال انذرته كذا وانذرته بكذا وقد عدى لتنذر أم القرى الى المفعول الاول وتنذر يوم الجمع الى المفعول الثاني (فريق في الجنة وفريق في السعير) أي منهم فريق في الجنة ومنهم فريق في السعير والضمير للمجموعين لان المعنى يوم جمع الخلائق (ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة) أي مؤمنين كلهم (ولكن يدخل من يشاء في رحمته) أي يكرم من يشاء بالاسلام (والظالمون) والكافرون (ما لهم من ولي) شافع (ولا نصير) دافع (أم اتخذوا من دونه اولياء فالله هو الولي) الفاء لجواب شرط مقدر كانه قيل بعد انكار كل ولي سواه ان ارادوا أولياء بحق فالله هو الولي بالحق وهو الذي يجب ان يتولى وحده لا ولي سواه (وهو يحيي الموتى وهو على كل شئ قدير) فهو الحقيق بان يتخذوا وليا دون من لا يقدر على شئ (وما اختلفتم فيه من شئ) حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين اى ما خالفكم فيه الكفار من أهل الكتاب والمشركين فاختلفتم انتم وهم فيه من امر من أمور الدين (فحكمه) أي حكم ذلك المختلف فيه مفوض (الى الله) وهو اثابة المحقين فيه من المؤمنين ومعاقبة المبطلين (ذلكم) الحاكم بينكم (الله ربي عليه توكلت) في رد كيد أعداء الدين (واليه أنيب) ارجع في كفاية شرهم وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله أعلم كمعرفة الروح وغيره (فاطر السموات والارض) ارتفاعه على انه احد أخبار ذلكم أو خبر مبتدا محذوف (جعل لكم من أنفسكم) خلق لكم من جنسكم من الناس (أزواجا)

(و كذلك) أي ومثل ما ذكرنا (أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى) يعني مكة والمراد أهلها (ومن حولها) يعني قرى الارض كلها (وتنذر يوم الجمع) أي وتنذرهم بيوم الجمع وهو يوم القيامة يجمع الله سبحانه وتعالى فيه الاولين والآخرين وأهل السموات وأهل الارضين (لا ريب فيه) أي لا شك في الجمع انه كائن ثم بعد ذلك الجمع يتفرقون وهو قوله تعالى (فريق في الجنة وفريق في السعير) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قابضا على كفه ومعه كتابان فقال أتدرون ما هذان الكتابان قلنا لا يا رسول الله فقال للذي في يده اليمين هذا كتاب من رب العالمين باسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل ان يستقروا نطفا في الاصلاب وقبل أن يستقروا نطفا في الارحام اذ هم في الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا ناقص منهم اجمال من الله عليهم الى يوم القيامة ثم قال للذي في يساره هذا كتاب من رب العالمين باسماء أهل النار وأسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل أن يستقروا نطفا في الاصلاب وقبل أن يستقروا نطفا في الارحام اذ هم في الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا ناقص منهم اجمال من الله تعالى عليهم الى يوم القيامة فقال عبد الله بن عمرو ففيم العمل اذا قال اعملوا وسددوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وان عمل أي عمل ثم قال فريق في الجنة وفريق في السعير عدل من الله تعالى أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده قوله تعالى (ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة) قال ابن عباس على دين واحد وقيل على ملة الاسلام (ولكن يدخل من يشاء في رحمته) أي في دين الاسلام (والظالمون) أي الكافرون (ما لهم من ولي) أي يدفع عنهم العذاب (ولا نصير) أي يمنعهم من العذاب (أم اتخذوا) يعني الكفار (من دونه أولياء فالله هو الولي) قال ابن عباس هو وليك يا محمد وولي من اتبعك (وهو يحيي الموتى وهو على كل شئ قدير) يعني ان من يكون بهذه الصفة فهو الحقيق بان يتخذ وليا ومن لا يكون بهذه الصفة فليس بولي (وما اختلفتم فيه من شئ) أي من امر الدين (فحكمه الى الله) أي يقضي فيه ويحكم يوم القيامة بالفصل الذي يزيل الريب وقيل علمه الى الله وقيل تحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لان حكمه من حكم الله تعالى ولا تؤثروا حكومة غيره على حكومته (ذلكم الله) أي الذي يحكم بين المختلفين هو الله (ربي عليه توكلت) أي في جميع أموري (واليه أنيب) أي واليه أرجع في كل المهمات (فاطر السموات والارض جعل لكم من أنفسكم) أي من جنسكم (أزواجا) أي حلائل وانما قال من أنفسكم لان الله تعالى

ومن الانعام ازواجا) اى وخلق للانعام ايضا من انفسها ازواجا (يذرؤكم) يكثركم يقال ذرأ الله الخلق بثهم وكثرهم (فيه) فى هذا التدبير وهو أن جعل الناس والانعام ازواجا حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل واختير فيه على به لانه جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير والضمير فى يذرؤكم يرجع الى المخاطبين والانعام مغلبا فيه المخاطبون العقلاء على الغيب مما لا يعقل (ليس كمثله شئ) قيل ان كلمة التشبيه كررت لتأكيد نفى التماثل وتقديره ليس مثله شئ وقيل المثل زيادة وتقديره ليس كهو شئ كقوله تعالى فان آمنوا بمثل ما آمنتم به وهذا لان المراد نفى المثلية واذا لم تجعل الكاف او المثل زيادة كان اثبات ١١٨ المثل وقيل المراد ليس كذاته شئ لانهم يقولون مثلك لا يبخل يريدون به نفى البخل عن ذاته ويقصدون المبالغة فى ذلك بسلوك طريق الكناية لانهم اذا نفوه عمن يسد مسده فقد نفوه عنه فاذا علم انه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله ليس كالله شئ وبين قوله ليس كمثله شئ الا ما تعطيه الكناية من فائدتها وكانهما عبارتان معتقبتان على معنى واحد وهو نفى المماثلة عن ذاته ونحوه بل يداه مبسوطتان فمعناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لها لانها وقعت عبارة عن الجود حتى انهم استعملوها فيمن لا يد له فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له (وهو السميع) لجميع المسموعات بلا اذن (البصير) لجميع المرئيات بلا حدقة وكانه ذكرهما لئلا يتوهم انه لا صفة له كما لا مثل له (له مقاليد السموات والارض) مر فى الزمر (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) اى يضيق (انه بكل شئ عليم شرع) بين واظهر (لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى) اى شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد وما بينهما من الانبياء عليهم السلام ثم فسر المشروع الذى اشترك هؤلاء الاعلام من رسله فيه بقوله (أن اقيموا الدين) والمراد اقامة دين الاسلام الذى هو توحيد الله وطاعته والايمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء وسائر ما يكون المرء باقامته مسلما ولم يرد به الشرائع فانها مختلفة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ومحل أن اقيموا نصب بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه او رفع على الاستئناف كانه قيل وما ذلك المشروع فقيل هو اقامة الدين (ولا تتفرقوا فيه) ولا تختلفوا فى الدين قال على رضى الله عنه لا تتفرقوا فالجماعة رحمة والفرقة عذاب

خلق حواء من ضلع آدم (ومن الانعام أزواجا) أى اصنافا ذكرانا واناثا (يذرؤكم) أى يخلقكم وقيل يكثركم (فيه) أى فى الرحم وقيل فى البطن لانه قد تقدم ذكر الازواج وقيل نسلا بعد نسل حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل وقيل الضمير فى يذرؤكم يرجع الى المخاطب من الناس والانعام الا انه غلب جانب الناس وهم العقلاء على غير العقلاء من الانعام وقيل فى بمعنى الباء أى يذرؤكم به أى يكثركم بالتزويج (ليس كمثله شئ) المثل صلة أى ليس كهو شئ وقيل الكاف صلة مجازه ليس مثله شئ قال ابن عباس ليس له نظير فان قلت هذه الآية دالة على نفى المثل وقوله تعالى وله المثل الاعلى فى السموات والارض يقتضى اثبات المثل فما الفرق قلت المثل الذى يكون مساويا فى بعض الصفات الخارجة عن الماهية فقوله ليس كمثله شئ معناه ليس له نظير كما قاله ابن عباس أو يكون معناه ليس لذاته سبحانه وتعالى مثل وقوله وله المثل الاعلى معناه وله الوصف الاعلى الذى ليس لغيره مثله ولا يشاركه فيه أحد فقد ظهر بهذا التفسير معنى الآيتين وحصل الفرق بينهما (وهو السميع) أى لسائر المسموعات (البصير) أى لسائر المبصرات (له مقاليد السموات والارض) أى مفاتيح الرزق فى السموات يعنى المطر وفى الارض يعنى النبات يدل عليه قوله تعالى (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يعنى انه يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء لان مفاتيح الرزق بيده (انه بكل شئ عليم) أى من البسط والتضييق قوله عز وجل (شرع لكم من الدين) أى بين وسن لكم طريقا واضحا من الدين أى دينا تطابقت على صحته الانبياء وهو قوله تعالى (ما وصى به نوحا) يعنى انه أول الانبياء أصحاب الشرائع والمعنى قد وصيناه واياك يا محمد دينا واحدا (والذى أوحينا اليك) أى من القرآن وشرائع الاسلام (وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى) انما خص هؤلاء الانبياء الخمسة بالذكر لانهم أكابر الانبياء وأصحاب الشرائع المعظمة والاتباع الكثيرة وأولوا العزم ثم فسر المشروع الذى اشترك فيه هؤلاء الاعلام من رسله بقوله تعالى (ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) والمراد باقامة الدين هو توحيد الله

(كبر على المشركين) عظم عليهم وشق عليهم (ماتدعوهم اليه) من اقامة دين الله والتوحيد (الله يجتبي) يجتلب ويجمع (اليه) الى الدين بالتوفيق والتسديد (من يشاء ويهدي اليه من ينيب) يقبل على طاعته (وماتفرقوا) أي اهل الكتاب بعد أنبيائهم (الامن بعد ماجاءهم العلم) الامن بعد ان علموا ان الفرقة ضلال وأمر متوعد عليه على ألسنة الانبياء عليهم السلام (بغيا بينهم) حسدا وطلبا للرياسة والاستطالة بغير حق (ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى) وهي بل الساعة موعدهم (لقضي بينهم) لاهلكوا حين افترقوا لعظم مااقترفوا ١١٩ (وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم) هم اهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (لفي شك منه) من كتابهم لا يؤمنون به حق الايمان (مريب) مدخل في ريبة وقيل وماتفرق اهل الكتاب الامن بعد ماجاءهم العلم بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى وماتفرق الذين اوتوا الكتاب الامن بعد ما جاءتهم البينة وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم هم المشركون اورثوا القرآن من بعد مااورث اهل الكتاب التوراة والانجيل (فلذلك) فلاجل ذلك التفرق ولما حدث بسببه من تشعب الكفر شعبا (فادع) الى الاتفاق والائتلاف على الملة الحنيفية القوية (واستقم) عليها وعلى الدعوة اليها (كما امرت) كما امرك الله (ولا تتبع اهواءهم) المختلفة الباطلة (وقل آمنت بما انزل الله من كتاب) باي كتاب صح ان الله تعالى انزله يعني الايمان بجميع الكتب المنزلة لان المتفرقين آمنوا ببعض و كفروا ببعض كقوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض الى قوله أولئك هم الكافرون حقا (وأمرت لاعدل بينكم) في الحكم اذا تخاصمتم فتحاكمتم الى (الله ربنا وربكم) أي كلنا عبيده (لنا اعمالنا ولكم اعمالكم) وهو كقوله لكم دينكم ولي دين ويجوز ان يكون معناه انالا نؤاخذ باعمالكم وانتم لا تؤاخذون باعمالنا (لاحجة بيننا وبينكم) اى لاخصومة لان الحق قد ظهر وصرتم محجوجين به فلا حاجة الى المحاجة ومعناه لاايراد حجة بيننا لان المتحاجين يورد هذا حجته وهذا حجته (الله يجمع بيننا) يوم القيامة (واليه المصير) المرجع لفصل القضاء فيفصل بيننا وينتقم لنا منكم

والايمان به وبكتبه ورسله واليوم الآخر وطاعة الله في أوامره ونواهيه وسائر مايكون الرجل به مسلما ولم يرد الشرائع التي هي مصالح الامم على حسب أحوالها فانها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقيل أراد تحليل الحلال وتحريم الحرام وقيل تحريم الامهات والبنات والاخوات فانه مجمع على تحريمهن وقيل لم يبعث الله نبيا الا وصاه باقام الصلاة وايتاء الزكاة والاقرار لله تعالى بالوحدانية والطاعة وقيل بعث الله الانبياء كلهم باقامة الدين والالفة والجماعة وترك الفرقة (كبر على المشركين ماتدعوهم اليه) أي من التوحيد ورفض الاوثان (الله يجتبي اليه من يشاء) أي يصطفي لدينه من يشاء من عباده (ويهدي اليه من ينيب) أي يقبل على طاعته (وماتفرقوا) يعني اهل الاديان المختلفة وقال ابن عباس يعني أهل الكتاب (الامن بعد ماجاءهم العلم) أي بان الفرقة ضلالة (بغيا بينهم) أي ولكنهم فعلوا ذلك للبغي وقيل بغيا منهم على محمد صلى الله عليه سلم (ولولا كلمة سبقت من ربك) أي في تأخير العذاب عنهم (الى أجل مسمى) يعني الى يوم القيامة (لقضي بينهم) أي بين من آمن و كفر يعني لانزل العذاب بالمكذبين في الدنيا (وان الذين أورثوا الكتاب) يعني اليهود والنصارى (من بعدهم) أي من بعد انبيائهم وقيل من الامم الخالية (لفي شك منه) أي من أمر محمد صلى الله عليه وسلم فلا يؤمنون به (مريب) يعني مرتابين شاكين فيه (فلذلك) أي الى ذلك (فادع) أي الى ماوصى الله تعالى به الانبياء من التوحيد وقيل لاجل ماحدث به من الاختلاف في الدين الكثير فادع انت الى الاتفاق على الملة الحنيفية (واستقم كما أمرت) أي اثبت على الدين الذي أمرت به (ولا تتبع أهواءهم) أي المختلفة الباطلة (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) أي آمنت بكتب الله المنزلة كلها وذلك لان المتفرقين آمنوا ببعض الكتب وكفروا ببعض (وأمرت لاعدل بينكم) قال ابن عباس أمرت ان لا أحيف عليكم باكثر مما افترض الله عليكم من الاحكام وقيل لاعدل بينكم في جميع الاحوال والاشياء وقيل لاعدل بينكم في الحكم اذا تخاصمتم وتحاكمتم الى (الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) يعني ان الاله الكل واحد وكل أحد مخصوص بعمل نفسه وان اختلفت اعمالنا فكل يجازى بعمله (لاحجة) اى لاخصومة (بيننا وبينكم) وهذه الآية منسوخة بآية القتال اذ لم يؤمر بالقتال وأمر بالدعوة فلم يكن بينه وبين من لا يجيب خصومة (الله يجمع بيننا) أي في المعاد لفصل القضاء (واليه المصير) قوله عز وجل

(والذين يحاجون فى الله) يخاصمون فى دينه (من بعد ما استجيب له) من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فى الاسلام ليردوهم الى دين الجاهلية كقوله ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا كان اليهود والنصارى يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم وأولى بالحق وقيل من بعد ما استجيب لمحمد عليه السلام دعاؤه على المشركين يوم بدر (حجتهم داحضة) باطلة وسماها حجة وان كانت شبهة لزعمهم انها حجة (عند ربهم وعليهم غضب) بكفرهم (ولهم عذاب شديد) فى الآخرة (الله الذى أنزل الكتاب) أى جنس الكتاب (بالحق) بالصدق أو ملتبسا به (والميزان) والعدل والتسوية ومعنى انزال العدل انه انزله فى كتبه المنزلة وقيل هو عين الميزان انزله فى زمن نوح عليه السلام (وما يدريك لعل الساعة قريب) اى لعل الساعة قريب منك وأنت لا تدرى والمراد مجيء الساعة والساعة فى تأويل البعث ووجه مناسبة اقتراب الساعة مع انزال الكتب والميزان ان الساعة يوم الحساب ووضع الموازين بالقسط فكأنه قيل أمركم بالعدل والتسوية والعمل الصالح فاعملوا بالكتاب والعدل قبل ان يفاجئكم يوم حسابكم ووزن أعمالكم (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) استهزاء (والذين آمنوا مشفقون) خائفون (منها) وجلون لهولها (ويعلمون أنها الحق) الكائن لا محالة (ألا ان الذين يمارون فى الساعة) المماراة الملاحة لان كل واحد منهما يمرى ما عند صاحبه (لفى ضلال بعيد) عن الحق لان قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله تعالى وقد دل الكتاب والسنة على وقوعها والعقل تشهد على انه لابد من دار جزاء (الله لطيف بعباده) فى ايصال المنافع وصرف البلاء من وجه يلطف ادراكه أوهو بر بليغ البر بهم وقد توصل بره الى جميعهم وقيل هو من لطف بالغوامض علمه وعظم عن الجرائم حلمه أو من ينشر المناقب ويستر المثالب او يعفو عمن يهفو أو يعطى العبد فوق الكفاية ويكلفه الطاعة دون الطاقة وعن الجنيد لطف باوليائه فعرفوه ولو لطف باعدائه ما جحدوه (يرزق من يشاء) أى يوسع رزق من يشاء اذا علم مصلحته فيه فى الحديث ان من عبادى المؤمنين من لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو أفقرته لافسده ذلك وان من عبادى المؤمنين من لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو أغنيته لافسده ذلك (وهو القوى) الباهر القدرة الغالب على كل شئ (العزيز) المنيع الذى لا يغلب (من كان يريد حرث الآخرة) سمى ما يعمله العامل مما يبتغى به الفائدة حرثا مجازا (نزد له فى حرثه) بالتوفيق فى عمله أو التضعيف فى احسانه او بان ينال به الدنيا والآخرة

(والذين يحاجون فى الله) أى يخاصمون فى دين الله قيل هم اليهود قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم فهذه خصومتهم (من بعد ما استجيب له) أى من بعد ما استجاب الناس لدين الله تعالى فأسلموا ودخلوا فى دينه لظهور معجزة نبيه صلى الله عليه وسلم (حجتهم داحضة) أى خصومتهم باطلة (عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد) أى فى الآخرة (الله الذى أنزل الكتاب بالحق) أى الكتاب المشتمل على أنواع الدلائل والاحكام (والميزان) أى العدل سمى العدل ميزانا لان الميزان آلة الانصاف والتسوية قال ابن عباس رضى الله عنهما أمر الله تعالى بالوفاء ونهى عن البخس (وما يدريك لعل الساعة قريب) أى وقت اتيانها قريب وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم ذكر الساعة وعنده قوم من المشركين فقالوا تكذيبا له متى تكون الساعة فأنزل الله تعالى (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) أى ظنا منهم انها غير آتية (والذين آمنوا مشفقون) أى خائفون منها ويعلمون انها الحق) اى انها آتية لا شك فيها (ألا ان الذين يمارون) اى يخاصمون (فى الساعة) وقيل يشكون فيها (لفى ضلال بعيد) قوله عز وجل (الله لطيف بعباده) اى كثير الاحسان اليهم قال ابن عباس حفى بهم وقيل رفيق وقيل لطيف بالبر والفاجر حيث لم يهلكهم جوعا بمعاصيهم يدل عليه قوله تعالى (يرزق من يشاء) يعنى ان الاحسان والبر انعام فى حق كل العباد وهو اعطاء ما لا بد منه فكل من رزقه الله تعالى من مؤمن وكافر وذى روح فهو ممن يشاء الله ان يرزقه وقيل لطفه فى الرزق من وجهين احدهما انه جعل رزقكم من الطيبات والثانى انه لم يدفع اليكم مرة واحدة (وهو القوى) اى القادر على كل ما يشاء (العزيز) اى الذى لا يغالب ولا يدافع (من كان يريد حرث الآخرة) اى كسب الآخرة والمعنى من كان يريد بعمله الآخرة (نزد له فى حرثه) اى بالتضعيف الواحدة الى عشرة الى ما يشاء الله تعالى من الزيادة وقيل انا نزيد فى توفيقه واعانته وتسهيل سبيل الخيرات والطاعات اليه

(ومن كان يريد حرث الدنيا) أي من كان عمله للدنيا ولم يؤمن بالآخرة (نؤته منها) أي شيأ منها لأن من للتبعيض وهو رزقه الذي قسم له لا ما يريده ويبتغيه (وماله في الآخرة من نصيب) وماله نصيب قط في الآخرة وله في الدنيا نصيب ولم يذكر في عالم الآخرة ان رزقه المقسوم يصل اليه للاستهانة بذلك الى جنب ماهو بصدده من زكاء عمله وفوزه في المآب (أم لهم شركاء) قيل هي أم المنقطعة وتقديره بل ألهم شركاء وقيل هي المعادلة لألف الاستفهام وفي الكلام اضمار تقديره أيقبلون ماشرع الله من الدين أم لهم آلهة (شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) أي لم يأمر به (ولولا كلمة الفصل) أي القضاء السابق بتأجيل الجزاء أي ولولا العدة بان الفصل يكون يوم القيامة (لقضي بينهم) بين الكافرين والمؤمنين أو لعجلت لهم العقوبة (وان الظالمين لهم عذاب أليم) وان المشركين لهم عذاب أليم في الآخرة وان أخر عنهم في دار الدنيا (ترى الظالمين) المشركين في الآخرة (مشفقين) خائفين (مما كسبوا) من جزاء كفرهم ١٢١ (وهو واقع بهم) نازل بهم لا محالة اشفقوا أو لم يشفقوا (والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات) كأن روضة جنة المؤمن أطيب بقعة فيها وأنزهها (لهم ما يشاؤن عند ربهم) عند نصب بالظرف لا بيشاؤن (ذلك هو الفضل الكبير) على العمل القليل (ذلك) الفضل الكبير (الذي يبشر الله) يبشر مكي وأبو عمرو وعلي (عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي به عباده الذين آمنوا فحذف الجار كقوله واختار موسى قومه ثم حذف الراجع الى الموصول كقوله أهذا الذي بعث الله رسولا ولما قال المشركون أيبتغي محمد على تبليغ الرسالة أجرا نزل (قل لا أسألكم عليه) على التبليغ (أجرا إلا المودة في القربى) يجوز أن يكون استثناء متصلا ويجوز

أن يكون منقطعا أي لا أسألكم أجرا قط ولكني أسألكم أن تودوا قرابتي أي لا أسألكم عليه أجرا إلا هذا وهو أن تودوا أهل قرابتي الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم ولم يقل الا مودة القربى أو المودة للقربى لأنهم جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لي في آل فلان مودة ولي فيهم حب شديد تريد أحبهم وهم مكان حبي ومحله وليست في بصلة للمودة كاللام اذا قلت الا المودة للقربى انما هي متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به في قولك المال في الكيس وتقديره الا المودة ثابتة في القربى ومتمكنة فيها والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة والمراد في أهل القربى وروي انه لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما وقيل معناه الا ان تودوني لقرابتي فيكم ولا تؤذوني ولا تهيجوا علي اذ لم يكن بطن من بطون قريش الا بين رسول الله وبينهم قرابة وقيل القربى التقرب الى الله تعالى اي الا ان تحبوا الله ورسوله في تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح

(ومن كان يريد حرث الدنيا) يعني يريد بعمله الدنيا مؤثرا لها على الآخرة (نؤته منها) أي ما قدر وقسم له منها (وماله في الآخرة من نصيب) يعني لأنه لم يعمل لها عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر هذه الأمة بالسناء والرفعة والتمكين في الأرض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب ذكره في جامع الأصول ولم يعزه الى أحد من الكتب الستة وأخرجه البغوي باسناده قوله تعالى (أم لهم) يعني كفار مكة (شركاء) يعني الأصنام وقيل الشياطين (شرعوا لهم من الدين) قال ابن عباس شرعوا لهم دينا غير دين الاسلام (مالم يأذن به الله) يعني ان تلك الشرائع بأسرها على خلاف دين الله تعالى الذي أمر به وذلك انهم زينوا لهم الشرك وانكار البعث والعمل للدنيا لأنهم لا يعلمون غيرها (ولولا كلمة الفصل) يعني أن الله حكم بين الخلق بتأخير العذاب عنهم الى يوم القيامة (لقضي بينهم) أي لفرغ من عذاب الذين يكذبونك في الدنيا (وان الظالمين) يعني المشركين (لهم عذاب أليم) أي في الآخرة (ترى الظالمين) يعني يوم القيامة (مشفقين) أي وجلين خائفين (مما كسبوا) أي من الشرك والأعمال الخبيثة (وهو واقع بهم) أي جزاء كسبهم واقع بهم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات) لأن هذه الروضات أطيب بقاع الجنة فلذلك خص الذين آمنوا وعملوا الصالحات بها وفيه تنبيه على ان في الجنة منازل غير الروضات هي لمن هو دون هؤلاء الذين عملوا الصالحات من أهل القبلة (لهم ما يشاؤن عند ربهم) أي من الكرامة (ذلك هو الفضل الكبير ذلك) أي الذي ذكر من نعيم الجنة (الذي يبشر الله) به (عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قوله عز وجل (قل لا أسألكم عليه) أي على تبليغ الرسالة (أجرا) أي جزاء (الا المودة في القربى) (خ) عن ابن عباس رضي الله عنهما انه سئل عن قوله الا المودة في القربى فقال سعيد بن

جبير قربى آل محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس عجبت ان النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن بطن من قريش الا وله فيهم قرابة فقال الا أن تصلوا ما بيني و بينكم من القرابة و عن ابن عباس أيضا في قوله الا المودة في القربى يعني أن تحفظوا قرابتي وتودوني و تصلوا رحمي واليه ذهب مجاهد وقتادة وعكرمة ومقاتل والسدي والضحاك (خ) عن ابن عمر أن أبا بكر قال ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم في أهل بيته واختلفوا في قرابته فقيل علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله تعالى عنهم وقيل أهل بيته من تحرم عليهم الصدقة من أقاربه وهم بنوهاشم وبنوا المطلب الذين لم يفترقوا في جاهلية ولا في اسلام (م) عن زيد بن أرقم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله تعالى واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي اذكركم الله في أهل بيتي اذكركم الله في أهل بيتي فقال له حصين من أهل بيته يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته قال نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرمت عليهم الصدقة بعده قال ومن هم قال هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس فان قلت طلب الاجر على تبليغ الرسالة والوحي لا يجوز لقوله في قصة نوح عليه السلام وغيره من الانبياء وما أسئلكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين قلت لا نزاع في انه لا يجوز طلب الاجر على تبليغ الرسالة بقي الجواب عن قوله الا المودة في القربى فالجواب عنه من وجهين الاول معناه لا أطلب منكم الا هذا وهذا في الحقيقة ليس باجر ومنه قول الشاعر

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

معناه اذا كان هذا عيبهم فليس فيهم عيب بل هو مدح فيهم ولان المودة بين المسلمين أمر واجب واذا كان كذلك في حق جميع المسلمين كان في أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم أولى فقوله قل لا أسئلكم عليه أجرا الا المودة في القربى المودة في القربى ليست أجرا في الحقيقة لان قرابته قرابتهم فكانت مودتهم وصلتهم لازمة لهم فثبت ان لا أجرا لبتة والوجه الثاني ان هذا الاستثناء منقطع وتم الكلام عند قوله قل لا أسئلكم عليه أجرا ثم ابتدأ فقال الا المودة في القربى أي لكن اذكركم المودة في قرابتي الذين هم قرابتكم فلا تؤذوهم وقيل ان هذه الآية منسوخة وذلك لانها نزلت بمكة وكان المشركون يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية فأمرهم فيها بمودة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلة رحمه فلما هاجر الى المدينة وآواه الانصار ونصروه أحب الله تعالى ان يلحقه باخوانه من النبيين فأنزل الله تعالى قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ان أجري الا على الله فصارت هذه الآية ناسخة لقوله قل لا أسئلكم عليه أجرا الا المودة في القربى واليه ذهب الضحاك والحسين بن الفضل والقول بنسخ هذه الآية غير مرضي لان مودة النبي صلى الله عليه وسلم وكف الاذى عنه ومودة أقاربه من فرائض الدين وهو قول السلف فلا يجوز المصير الى نسخ هذه الآية وروى عن

ابن

(ولكن ينزل) وبالتخفيف مكي وأبو عمرو (بقدر ما يشاء) بتقدير يقال قدره قدرا وقدرا (انه بعباده خبير بصير) يعلم أحوالهم فيقدر لهم ما تقتضيه حكمته فيفقر ويغني ويمنع ويعطي ويقبض ويبسط ولو أغناهم جميعا لبغوا ولو أفقرهم لهلكوا وما ترى من البسط على من يبغي ومن البغي بدون البسط فهو

قليل ولا شك ان البغي مع الفقر أقل ومع البسط أكثر وأغلب (وهو الذي ينزل الغيث) وبالتشديد مدني وشامي وعاصم (من بعد ما قنطوا) وقرئ قنطوا (وينشر رحمته) أي بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب وقيل لعمر رضي الله عنه اشتد القحط وقنط الناس فقال مطروا اذا أراد هذه الآية أو أراد رحمته في كل شيء (وهو الولي) الذي يتولى عباده باحسانه (الحميد) المحمود على ذلك يحمده أهل طاعته (ومن آياته) أي علامات قدرته (خلق السموات والارض) مع عظمهما (وما بث) فرق وما يجوز ان يكون مرفوعا ومجرورا حملا على المضاف او المضاف اليه (فيهما) في السموات والارض (من دابة) الدواب تكون في الارض وحدها لكن يجوز أن ينسب الشيء الى جميع المذكور وان كان ملتبسا ببعضه كما يقال بنو تميم فيهم شاعر مجيد وانما هو في فخذ من أفخاذهم ومنه قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح ولا يبعد ان يخلق في السموات حيوانات يمشون فيها مشي الاناسي على الارض أو يكون للملائكة مشي مع الطيران فوصفوا بالدبيب كما وصف به الاناسي (وهو على جمعهم) يوم القيامة (اذا يشاء قدير) اذا تدخل على المضارع كما تدخل على الماضي قال الله تعالى والليل اذا يغشى (وما أصابكم من مصيبة) غم وألم ومكروه (فبما كسبت أيديكم) أي بجناية كسبتموها عقوبة عليكم عما كسبت

ابن عباس بغيهم طلبهم منزلة بعد منزلة ومركبا بعد مركب وملبسا بعد ملبس وقيل ان الانسان متكبر بالطبع فاذا وجد الغنى والقدرة رجع الى مقتضى طبعه وهو التكبر واذا وقع في شدة ومكروه وفقر انكسر فرجع الى الطاعة والتواضع وقيل ان البغي مع القبض والفقر أقل ومع البسط والغنى أكثر لان النفس مائلة الى الشر لكنها اذا كانت فاقدة لآلاته كان الشر أقل واذا كانت واجدة لها كان الشر أكثر فثبت ان وجدان المال يوجب الطغيان (ولكن ينزل بقدر ما يشاء) يعني الارزاق نظرا لمصالح عباده وهو قوله تعالى (انه بعباده خبير بصير) والمعنى انه تعالى عالم باحوال عباده وبطبائعهم وبعواقب أمورهم فيقدر أرزاقهم على وفق مصالحهم يدل على ذلك ما روى أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله عز وجل قال يقول الله عز وجل من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة واني لاغضب لاوليائي كما يغضب الليث الحرد وما تقرب الى عبدي المؤمن بمثل أداء ما افترضت عليه وما يزال عبدي المؤمن يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا ان دعاني أجبته وان سألني أعطيته وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه وان من عبادي المؤمنين لمن يسألني الباب من العبادة فاكفه عنه أن لا يدخله عجب فيفسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو أغنيته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الصحة ولو أسقمته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا السقم ولو أصححته لافسده ذلك اني أدبر أمر عبادي بعلمي بقلوبهم اني عليم خبير أخرجه البغوي باسناده قوله عز وجل (وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا) اي يئس الناس منه وذلك ادعى لهم الى الشكر قيل حبس الله المطر عن أهل مكة سبع سنين حتى قنطوا ثم أنزل الله عز وجل المطر فذكرهم نعمته لان الفرح بحصول النعمة بعد الشدة أتم (وينشر رحمته) أي يبسط بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب (وهو الولي) أي لاهل طاعته (الحميد) أي المحمود على ما يوصل الى الخلق من أقسام رحمته (ومن آياته خلق السموات والارض وما بث) أي أوجد (فيهما) أي في السموات والارض (من دابة) فان قلت كيف يجوز اطلاق لفظ الدابة على الملائكة قلت الدبيب في اللغة المشي الخفيف على الارض فيحتمل أن يكون للملائكة مشي مع الطيران فيوصفون بالدبيب كما يوصف به الانسان وقيل يحتمل ان الله تعالى خلق في السموات أنواعا من الحيوانات يدبون دبيب الانسان (وهو على جمعهم اذا يشاء قدير) يعني يوم القيامة قوله عز وجل (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) المراد بهذه المصائب الاحوال المكروهة نحو الاوجاع

صاحبها فهذه شروط التوبة وقيل التوبة الانتقال عن المعاصي نية وفعلا والاقبال على الطاعات نية وفعلا وقال سهل بن عبد الله التستري التوبة الانتقال من الاحوال المذمومة الى الاحوال المحمودة (خ) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله اني لاستغفر الله وأتوب اليه في اليوم أكثر من سبعين مرة (م) عن الاغر بن يسار المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس توبوا الى الله فاني أتوب اليه في اليوم مائة مرة (ق) عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد الحر والعطش أو ما شاء الله قال أرجع الى مكاني الذي كنت فيه فانام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها طعامه وشرابه فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده الدوية الفلاة والمفازة (ق) عن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في ارض فلاة ولمسلم عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب اليه من أحدكم كان على راحلته بارض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فايس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينا هو كذلك اذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة فرحه اللهم أنت عبدي وأنا ربك اخطأ من شدة الفرح * عن صفوان بن عسال المرادي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جعل بالمغرب بابا عرضه مسيرة سبعين عاما للتوبة لا يغلق ما لم تطلع الشمس من قبله وذلك قوله تعالى يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها الآية أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (م) عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وقوله عز وجل (ويعفو عن السيآت) اي يمحوها اذا تابوا (ويعلم ما يفعلون) يعني من خير وشر فيجازيهم عليه (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) يعني تجيب المؤمنون الله تعالى فيما دعاهم لطاعته وقيل معناه ويجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات اذا دعوه وقال ابن عباس ويثيب الذين آمنوا (ويزيدهم من فضله) اي سوى ثواب اعمالهم تفضلا منه وقال ابن عباس يشفعهم في اخوانهم ويزيدهم من فضله قال في اخوان اخوانهم (والكافرون لهم عذاب شديد) قوله عز وجل (ولو بسط الله الرزق لعباده) قال خباب بن الارت فينا نزلت هذه الآية وذلك انا نظرنا الى اموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع فتمنيناها فانزل الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده اي وسع الله الرزق لعباده (لبغوا) اي لطغوا وعتوا (في الارض) قال

(ويعفوا عن السيآت) وهو مادون الشرك يعفو لمن يشاء بلا توبة (ويعلم ما تفعلون) بالتاء كوفي غير أبي بكر أي من التوبة والمعصية ولا وقف عليه للعطف عليه واتصال المعنى (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله) اي اذا دعوه استجاب دعاءهم واعطاهم ما طلبوا وزادهم على مدلولهم واستجاب واجاب بمعنى والسين في مثله لتوكيد الفعل كقولك تعظم واستعظم والتقدير ويجيب الله الذين آمنوا وقيل معناه ويستجيب للذين فحذف اللام من عليهم بان يقبل توبتهم اذا تابوا ويعفو عن سيآتهم ويستجيب لهم اذا دعوه ويزيدهم على ما سألوه وعن ابراهيم بن أدهم انه قيل له ما بالنا ندعوه فلا نجاب قال لانه دعاكم فلم تجيبوه (والكافرون لهم عذاب شديد) في الآخرة (ولو بسط الله الرزق لعباده) أي لو أغناهم جميعا (لبغوا في الارض) من البغي وهو الظلم أي لبغى هذا على ذاك وذاك على هذا لان الغنى مبطرة مأشرة وكفى بحال قارون وفرعون عبرة أو من البغي وهو الكبر أي لتكبروا في الارض

(ولكن ينزل) وبالتخفيف مكي وأبو عمرو (بقدر ما يشاء) بتقدير يقال قدره قدرا وقدرا (انه بعباده خبير بصير) يعلم أحوالهم فيقدر لهم ما تقتضيه حكمته فيفقر ويغني ويمنع ويعطي ويقبض ويبسط ولو أغناهم جميعا لبغوا ولو أفقرهم لهلكوا وماترى من البسط على من يبغى ومن البغى بدون البسط فهو قليل ولا شك ان البغى مع الفقر أقل ومع البسط أكثر وأغلب (وهو الذى ينزل الغيث) وبالتشديد مدنى وشامى وعاصم (من بعد ما قنطوا) وقرئ قنطوا (وينشر رحمته) أى بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب وقيل لعمر رضى الله عنه اشتد القحط وقنط الناس فقال مطروا اذا أراد هذه الآية أو أراد رحمته فى كل شئ (وهو الولى) الذى يتولى عباده باحسانه (الحميد) المحمود على ذلك يحمده أهل طاعته (ومن آياته) أى علامات قدرته (خلق السموات والارض) مع عظمهما (وما بث) فرق وما يجوز ان يكون مرفوعا ومجرورا حملا على المضاف او المضاف اليه (فيهما) فى السموات والارض (من دابة) الدواب تكون فى الارض وحدها لكن يجوز أن ينسب الشئ الى جميع المذكور وان كان ملتبسا ببعضه كما يقال بنو تميم فيهم شاعر مجيد وانما هو فى فخذ من أفخاذهم ومنه قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح ولا يبعد ان يخلق فى السموات حيوانات يمشون فيها مشى الاناسى على الارض أو يكون للملائكة مشى مع الطيران فوصفوا بالدبيب كما وصف به الاناسى (وهو على جمعهم) يوم القيامة (اذا يشاء قدير) اذا تدخل على المضارع كما تدخل على الماضى قال الله تعالى والليل اذا يغشى (وما أصابكم من مصيبة) غم وألم ومكروه (فبما كسبت أيديكم) أى بجناية كسبتموها عقوبة عليكم بما كسبت

ابن عباس بغيهم طلبهم منزلة بعد منزلة ومركبا بعد مركب وملبسا بعد ملبس وقيل ان الانسان متكبر بالطبع فاذا وجد الغنى والقدرة رجع الى مقتضى طبعه وهو التكبر واذا وقع فى شدة ومكروه وفقر انكسر فرجع الى الطاعة والتواضع وقيل ان البغى مع القبض والفقر أقل ومع البسط والغنى أكثر لان النفس مائلة الى الشر لكنها اذا كانت فاقدة لآلاته كان الشر أقل واذا كانت واجدة لها كان الشر أكثر فثبت ان وجدان المال يوجب الطغيان (ولكن ينزل بقدر ما يشاء) يعنى الارزاق نظر المصالح عباده وهو قوله تعالى (انه بعباده خبير بصير) والمعنى انه تعالى عالم باحوال عباده وبطبائعهم وبعواقب أمورهم فيقدر أرزاقهم على وفق مصالحهم يدل على ذلك ماروى أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله عز وجل قال يقول الله عز وجل من اهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة وانى لاغضب لاوليائى كما يغضب الليث الحرد وما تقرب الى عبدى المؤمن بمثل أداء ما افترضت عليه ومازال عبدى المؤمن يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا ان دعانى أجبته وان سألنى أعطيته وماترددت فى شئ انا فاعله ترددى فى قبض روح عبدى المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه وان من عبادى المؤمنين لمن يسألنى الباب من العبادة فاكفه عنه أن لا يدخله عجب فيفسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو أفقرته لافسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو أغنيته لافسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الصحة ولو أسقمته لافسده ذلك وان من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا السقم ولو أصححته لافسده ذلك انى أدبر أمر عبادى بعلمى بقلوبهم انى عليم خبير أخرجه البغوى باسناده قوله عز وجل (وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا) اى يئس الناس منه وذلك ادعى لهم الى الشكر قيل حبس الله المطر عن أهل مكة سبع سنين حتى قنطوا ثم أنزل الله عز وجل المطر فذكرهم نعمته لان الفرح بحصول النعمة بعد الشدة أتم (وينشر رحمته) أى يبسط بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب (وهو الولى) أى لاهل طاعته (الحميد) أى المحمود على ما يوصل الى الخلق من أقسام رحمته (ومن آياته خلق السموات والارض وما بث) أى أوجد (فيهما) أى فى السموات والارض (من دابة) فان قلت كيف يجوز اطلاق لفظ الدابة على الملائكة قلت الدبيب فى اللغة المشى الخفيف على الارض فيحتمل أن يكون للملائكة مشى مع الطيران فيوصفون بالدبيب كما يوصف به الانسان وقيل يحتمل ان الله تعالى خلق فى السموات أنواعا من الحيوانات يدبون دبيب الانسان (وهو على جمعهم اذا يشاء قدير) يعنى يوم القيامة قوله عز وجل (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) المراد بهذه المصائب الاحوال المكروهة نحو الاوجاع

بغير الفاء مدني وشامي على ان ما مبتدأ و بما كسبت خبره من غير تضمين معنى الشرط ومن أثبت الفاء فعلى تضمين معنى الشرط وتعلق بهذه الآية من يقول بالتناسخ وقال لو لم يكن للاطفال حالة كانوا عليها قبل هذه الحالة لما تألموا وقلنا الآية مخصوصة بالمكلفين بالسباق والسياق وهو (ويعفوا عن كثير) اى من الذنوب فلا يعاقب عليه أو عن كثير من الناس فلا يعاجلهم بالعقوبة وقال ابن عطاء من لم يعلم ان ما وصل اليه من الفتن والمصائب باكتسابه وان ما عفا عنه مولاه أكثر كان قليل النظر في احسان ربه اليه وقال محمد بن حامد العبد ملازم للجنايات في كل أوان وجناياته في طاعته أكثر من جناياته في معاصيه لان جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه والله يطهر عبده من جناياته بانواع من المصائب ليخفف عنه أثقاله في القيامة ولولا عفوه ورحمته لهلك في أول خطوة وعن علي رضي الله تعالى عنه هذه أرجى آية للمؤمنين في القرآن لان الكريم اذا عاقب مرة لا يعاقب ثانيا واذا عفا لا يعود (وما أنتم بمعجزين في الارض) أي بفائتين ما قضى عليكم من المصائب (وما لكم من دون الله من ولي) متول بالرحمة (ولا نصير) ناصر يدفع عنكم العذاب اذا حل بكم (ومن آياته الجوار) جمع جارية وهي السفينة الجواري في الحالين مكي وسهل ويعقوب وافقهم مدني وأبو عمرو في الوصل (في البحر كالاعلام) كالجبال (ان يشأ يسكن الريح) الرياح مدني (فيظللن رواكد) ثوابت لا تجري (على ظهره) على ظهر البحر (ان في ذلك لآيات لكل صبار) على بلائه (شكور) لنعمائه أي لكل مؤمن مخلص فالايمان نصفان نصف شكر ونصف صبر أو صبار على طاعته شكور لنعمته (أو يوبقهن) يهلكهن فهو عطف على يسكن والمعنى ان يشأ يسكن الريح فيركدن أو يعصفها فيغرقن بعصفها (بما كسبوا) من الذنوب (ويعف عن كثير) منها فلا يجازي عليها وانما ادخل العفو في حكم الايباق حيث جزم جزمه لان المعنى أو ان يشأ يهلك ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم (ويعلم) بالنصب عطف على تعليل محذوف تقديره لينتقم منهم ويعلم (الذين يجادلون في آياتنا) أي في ابطالها ودفعها ويعلم مدني وشامي عطف على الاستئناف (ما لهم من محيص) مهرب من عذابه (فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله) من الثواب (خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) ما الاولى ضمنت معنى الشرط فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين تصدق بجميع ماله

والانتقام والقحط والغلاء والغرق والصواعق وغير ذلك من المصائب فبما كسبت أيديكم من الذنوب والمعاصي (ويعفوا عن كثير) قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر وروى البغوي باسناد الثعلبي عن أبي سخيلة قال قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه الا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير وسأفسرها لكم يا علي ما أصابكم من مصيبة أي من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم والله أكرم من ان يثني عليكم العقوبة في الآخرة وما عفا الله عنه في الدنيا فالله أحلم من ان يعود بعد عفوه وقال عكرمة ما من نكبة أصابت عبدا فما فوقها الا بذنب لم يكن الله ليغفره الا بها أو درجة لم يكن الله ليرفعه لها الا بها (ق) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصيب المؤمن شوكة فما فوقها الا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة (وما أنتم بمعجزين) أي بفائتين (في الارض) هربا يعني لا تعجزونني حيثما كنتم (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) قوله عز وجل (ومن آياته الجوار) يعني السفن وهي السيارة (في البحر كالاعلام) أي كالقصور وكل شيء مرتفع عند العرب فهو علم (ان يشأ يسكن الريح) أي التي تجري بها السفن (فيظللن) يعني السفن الجواري (رواكد) أي ثوابت (على ظهره) أي على ظهر البحر لا تجري (ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور) وهذه صفة المؤمن لانه يصبر في الشدة ويشكر في الرخاء (أو يوبقهن) أي يغرقهن ويهلكهن (بما كسبوا) أي بما كسبت ركبانها من الذنوب (ويعف عن كثير) أي من ذنوبهم فلا يعاقب عليها (ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص) يعني يعلم الذين يكذبون بالقرآن اذا صاروا الى الله تعالى ما لهم من مهرب من عذابه (فما أوتيتم من شيء) أي من زينة الدنيا (فمتاع الحيوة الدنيا) أي ليس هو من زاد المعاد (وما عند الله) أي من الثواب (خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) والمعنى ان المؤمن والكافر يستويان في متاع الحياة

فلامه الناس (والذين يجتنبون) عطف على الذين آمنوا وكذا ما بعده (كبائر الاثم) أي الكبائر من هذا الجنس كبير الاثم علي وحمزة وعن ابن عباس كبير الاثم هو الشرك (والفواحش) قيل ما عظم قبحه فهو فاحشة كالزنا (واذا ما غضبوا) من أمور دنياهم (هم يغفرون) أي هم الاخصاء بالغفران في حال الغضب والمجيء بهم وايقاعه مبتدأ واسناد يغفرون اليه لهذه الفائدة ومثله هم ينتصرون (والذين استجابوا لربهم) نزلت في الانصار دعاهم الله عز وجل للايمان به وطاعته فاستجابوا له بان آمنوا به واطاعوه (وأقاموا الصلوة) وأتموا الصلوات الخمس ١٢٧ (وأمرهم شورى بينهم) اى ذو شورى لا ينفردون برأي حتى يجتمعوا عليه وعن الحسن ما تشاور قوم الا هدوا لارشد أمرهم والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور (ومما رزقناهم ينفقون) يتصدقون (والذين اذا اصابهم البغي) الظلم (هم ينتصرون) ينتقمون ممن ظلمهم أي يقتصرون في الانتصار على ما جعله الله تعالى لهم ولا يعتدون وكانوا يكرهون ان يذلوا أنفسهم فيجترئ عليهم الفساق وانما حمدوا على الانتصار لان من انتصر واخذ حقه ولم يجاوز في ذلك حد الله فلم يسرف في القتل ان كان ولي دم فهو مطيع لله وكل مطيع محمود ثم بين حد الانتصار فقال (وجزاء سيئة سيئة مثلها) فالاولى سيئة حقيقة والثانية لا وانما سميت سيئة لانها مجازاة السوء أو لانها تسوء من تنزل به ولانه لو لم تكن الاولى لكانت الثانية سيئة لانها اضرار وانما صارت حسنة لغيرها أو في تسمية الثانية سيئة اشارة الى ان العفو مندوب اليه والمعنى انه يجب اذا قوبلت الاساءة أن تقابل بمثلها من غير زيادة (فمن عفا واصلح) بينه وبين خصمه بالعفو والاغضاء (فأجره على الله) عدة مبهمة لا يقاس أمرها في العظم (انه لا يحب الظالمين) الذين يبدؤن بالظلم أو الذين يجاوزون حد الانتصار في الحديث ينادي مناد يوم القيامة من كان له أجر على الله فليقم فلا يقوم الا من عفا (ولمن انتصر بعد ظلمه) أي اخذ حقه بعد ما ظلم على اضافة المصدر الى المفعول (فأولئك) اشارة الى معنى من دون لفظه (ما عليهم من سبيل) للمعاقب ولا للعاتب والعائب (انما السبيل على الذين يظلمون الناس) يبتدؤنهم بالظلم (ويبغون في الارض) يتكبرون فيها ويعلون ويفسدون (بغير الحق أولئك لهم عذاب اليم) وفسر السبيل بالتبعة والحجة (ولمن صبر) على الظلم والاذى (وغفر) ولم ينتصر (ان ذلك) أي الصبر والغفران منه (لمن عزم الامور)

الحياة الدنيا فاذا صارا الى الله تعالى كان ما عند الله من الثواب خيرا وأبقى للمؤمن (والذين يجتنبون كبائر الاثم) يعني كل ذنب تعظم عقوبته كالقتل والزنا والسرقة وشبه ذلك (والفواحش) يعني ما عظم قبحه من الاقوال والافعال (واذا ما غضبوا هم يغفرون) يعني يكظمون الغيظ ويحلمون (والذين استجابوا لربهم) يعني أجابوه الى ما دعاهم اليه من طاعته (وأقاموا الصلوة) يعني المفروضة (وأمرهم شورى بينهم) يعني يتشاورون فيما يبدو لهم ولا يعجلون ولا ينفردون برأي ما لم يجتمعوا عليه قيل ما تشاور قوم الا هدوا لارشد أمرهم (ومما رزقناهم ينفقون والذين اذا أصابهم البغي) يعني الظلم والعدوان (هم ينتصرون) يعني ينتقمون من ظالمهم من غير تعد قال ابن زيد جعل الله تعالى المؤمنين صنفين صنف يعفون عمن ظلمهم فبدأ بذكرهم وهو قوله تعالى واذا ما غضبوا هم يغفرون وصنف ينتصرون من ظالمهم وهم الذين ذكروا في هذه الآية وقال ابراهيم النخعي كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فاذا قدروا عفوا وقيل ان العفو اغراء للسفيه وقال عطاء هم المؤمنون الذين أخرجهم الكفار من مكة وبغوا عليهم ثم مكنهم الله عز وجل في الارض حتى انتصروا ممن ظلمهم ثم بين الله تعالى ان شرعية الانتصار مشروطة برعاية المماثلة فقال تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) سمي الجزاء سيئة وان لم يكن سيئة لتشابههما في الصورة وقيل لان الجزاء يسوء من نزل به وقيل هو جزاء القبيح اذا قال أخزاك الله فقل له أخزاك الله ولا تزد واذا شتمك فاشتمه بمثلها ولا تعتد وقيل هو في القصاص في الجراحات والدماء يقتص بمثل ما جني عليه وقيل ان الله تعالى لم يرغب في الانتصار بل بين انه مشروع ثم بين ان العفو أولى بقوله تعالى (فمن عفا) أي عمن ظلمه (وأصلح) أي بالعفو بينه وبين الظالم (فأجره على الله) قال الحسن اذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله أجر فليقم فلا يقوم الا من عفا ثم قرأ هذه الآية (انه لا يحب الظالمين) قال ابن عباس الذين يبدؤن بالظلم (ولمن انتصر بعد ظلمه) أي بعد ظلم الظالم اياه (فأولئك) يعني المنتصرين (ما عليهم من سبيل) أي بعقوبة ومؤاخذة (انما السبيل على الذين يظلمون الناس) أي يبدؤن بالظلم (ويبغون في الارض بغير الحق) أي يعملون فيها بالمعاصي (أولئك لهم عذاب اليم ولمن صبر) أي لم ينتصر (وغفر) تجاوز عن ظالمه (ان ذلك) أي الصبر والتجاوز (لمن عزم الامور) يعني

أى من الامور التى ندب اليها أو مما ينبغى ان يوجبه العاقل على نفسه ولا يترخص فى تركه وحذف الراجع اى منه لانه مفهوم كما حذف من قولهم السمن منوان بدرهم وقال أبو سعيد القرشى الصبر على المكاره من علامات الانتباه فمن صبر على مكروه يصيبه ولم يجزع أورثه الله تعالى حال الرضا وهو اجل الاحوال ومن جزع من المصيبات وشكا وكله الله تعالى الى نفسه ثم لم تنفعه شكواه (ومن يضلل الله فماله من ولى من بعده) فماله من احد يلى هدايته من بعد اضلال الله اياه ويمنعه من عذابه (وترى الظالمين) يوم القيامة (لما رأوا العذاب) حين يرون العذاب واختير لفظ الماضى للتحقيق (يقولون هل الى مرد من سبيل) يسألون ربهم الرجوع الى الدنيا ليؤمنوا به (وتراهم يعرضون عليها) على النار اذ العذاب يدل عليها (خاشعين) متضائلين متقاصرين مما يلحقهم (من الذل ينظرون) الى النار (من طرف خفى) ضعيف بمسارقة كما ترى المصبور ينظر الى السيف (وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة) يوم متعلق بخسروا وقول المؤمنين واقع فى الدنيا او يقال اى يقولون يوم القيامة اذا رأوهم على تلك الصفة (ألا ان الظالمين فى عذاب مقيم) دائم (وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله) من دون عذابه (ومن يضلل الله فماله من سبيل) الى النجاة (استجيبوا لربكم) أجيبوه الى مادعاكم اليه (من قبل أن يأتى يوم) أى يوم القيامة (لا مرد له من الله) من يتصل بلا مرد أى لا يرده الله بعد ماحكم به أو بيأتى اى من قبل أن يأتى من الله يوم لا يقدر أحد على رده (مالكم من ملجإ يومئذ ومالكم من نكير) اى ليس لكم مخلص من العذاب ولا تقدرون اى ان تنكروا شيأ مما اقترفتموه ودون فى صحائف أعمالكم والنكير الانكار (فان اعرضوا) عن الايمان (فما أرسلناك عليهم حفيظا) رقيبا (ان عليك الا البلاغ) ما عليك الا تبليغ الرسالة وقد فعلت (وانا اذا اذقنا الانسان) المراد الجمع لا الواحد (منا رحمة) نعمة وسعة وامنا وصحة (فرح بها) بطر لاجلها (وان تصبهم سيئة) بلاء كالمرض والفقر ونحوهما وتوحيد فرح باعتبار اللفظ والجمع فى وان تصبهم باعتبار المعنى (بما قدمت ايديهم) بسبب معاصيهم (فان الانسان كفور) ولم يقل فانه كفور ليدل على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال ان الانسان لظلوم كفار والكفور البليغ الكفران والمعنى انه يذكر البلاء وينسى النعم ويغمطها قيل اريد به كفران النعمة وقيل اريد به الكفر بالله تعالى (لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا

تركه الانتصار لمن عزم الامور الجيدة التى أمر الله عز وجل بها وقيل ان الصابر يؤتى بصبره الثواب فالرغبة فى الثواب أتم عزما (ومن يضلل الله فماله من ولى من بعده) يعنى ماله من أحد يلى هدايته بعد اضلال الله اياه او يمنعه من عذابه (وترى الظالمين لما رأوا العذاب) يعنى يوم القيامة (يقولون هل الى مرد من سبيل) يعنى انهم يسألون الرجعة الى الدنيا (وتراهم يعرضون عليها) أى على النار (خاشعين من الذل) أى خاضعين متواضعين (ينظرون من طرف خفى) يعنى يسارقون النظر الى النار خوفا منها وذلة فى أنفسهم وقيل ينظرون بطرف خفى أى ضعيف من الذل وقيل ينظرون الى النار بقلوبهم لانهم يحشرون عميا والنظر بالقلب خفى (وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم) يعنى بأن صاروا الى النار (وأهليهم يوم القيامة) يعنى وخسروا أهليهم بأن صاروا لغيرهم فى الجنة (ألا ان الظالمين فى عذاب مقيم وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فماله من سبيل) أى وصول الى الحق فى الدنيا والجنة فى العقبى فقد استدت عليهم طرق الخير (استجيبوا لربكم) أى أجيبوا داعى الله يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله) أى لا يقدر أحد على دفعه وهو يوم القيامة وقيل هو يوم الموت (مالكم من ملجإ يومئذ) اى مالكم من مخلص من العذاب وقيل من الموت (ومالكم من نكير) أى ينكر حالكم وقيل النكير الانكار يعنى لا تقدرون ان تنكروا من أعمالكم شيأ (فان اعرضوا) اى عن الاجابة (فما ارسلناك عليهم حفيظا) اى تحفظ اعمالهم (ان عليك الا البلاغ) اى ليس عليك الا البلاغ وفيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم (وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة) قال ابن عباس يعنى الغنى والصحة (فرح بها وان تصبهم سيئة) اى قحط (بما قدمت أيديهم) اى من الاعمال الخبيثة (فان الانسان كفور) اى لما تقدم من نعمة الله تعالى عليه قوله عز وجل (لله ملك السموات والارض) يعنى له التصرف فيهما بما يريد (يخلق ما يشاء) اى لا يقدر احد ان يعترض عليه فى ملكه وارادته (يهب لمن يشاء اناثا)

ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوّجهم) أي يقرنهم (ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما) لما ذكر اذاقة الانسان الرحمة واصابته بضدها اتبع ذلك ان له تعالى الملك وانه يقسم النعمة والبلاء كيف أراد ويهب لعباده من الاولاد ما يشاء فيخص بعضا بالاناث وبعضا بالذكور وبعضا بالصنفين جمعا ويجعل البعض عقيما والعقيم التى لا تلد وكذلك رجل عقيم اذا كان لا يولد له وقدم الاناث أوّلا على الذكور لان سياق الكلام انه فاعل ما يشاؤه لا ما يشاؤه الانسان فكان ذكر الاناث اللاتى من جملة ما لا يشاؤه الانسان أهم والاهم واجب التقديم وليلي الجنس الذى كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء ولما أخر الذكور وهم أحقاء بالتقديم تدارك تأخيرهم بتعريفهم لان التعريف تنويه وتشهير ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير وعرف أن تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتض آخر فقال ذكرانا وإناثا وقيل نزلت فى الانبياء عليهم السلام حيث وهب للوط وشعيب اناثا ولابراهيم ذكورا ولمحمد صلى الله عليه وسلم ذكورا واناثا وجعل يحيى وعيسى عليهما السلام عقيمين (انه عليم) بكل شئ (قدير) قادر على كل شئ (وما كان لبشر) وما صح لاحد من البشر (ان يكلمه الله الا وحيا) اى الهاما كما روى نفث فى روعى او رؤيا فى المنام كقوله عليه السلام رؤيا الانبياء وحى وهو كامر ابراهيم عليه السلام بذبح الولد (او من وراء حجاب) أى يسمع كلاما من الله كما سمع موسى عليه السلام من غير أن يبصر السامع من يكلمه وليس المراد به حجاب الله تعالى لان الله تعالى لا يجوز عليه ما يجوز على الاجسام من الحجاب ولكن المراد به أن السامع محجوب عن الرؤية فى الدنيا (او يرسل رسولا) اى يرسل ملكا (فيوحى) أى الملك اليه وقيل وحيا كما اوحى الى الرسل بواسطة الملائكة أو يرسل رسولا أى نبيا كما كلم امم الانبياء على ألسنتهم ووحيا وأن يرسل مصدران واقعان موقع الحال لان أن يرسل فى معنى ارسالا ومن وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال كقوله وعلى جنوبهم والتقدير وما صح أن يكلم أحدا الا موحيا أو مسمعا من وراء حجاب أو مرسلا ويجوز أن يكون المعنى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا بان يوحى أو بان يسمع من وراء حجاب أو بان يرسل رسولا وهو اختيار الخليل أو يرسل رسولا فيوحى بالرفع نافع على تقدير او هو يرسل (باذنه) باذن الله (ما يشاء) من الوحى (انه على) قاهر فلا يمانع (حكيم) مصيب فى أقواله وأفعاله فلا يعارض (وكذلك) أى كما أوحينا الى الرسل قبلك أو كما وصفنا لك (أوحينا اليك) ايحاء كذلك (روحا من أمرنا) يريد ما أوحى اليه لان الخلق يحيون به فى دينهم كما يحيا الجسد بالروح (ما كنت تدرى) الجملة حال من الكاف فى اليك (ما الكتاب) القرآن

أى فلا يولد له ذكر (ويهب لمن يشاء الذكور) أى فلا يولد له أنثى (أو يزوّجهم ذكرانا وإناثا) أى يجمع بينهما فيولد له الذكور والاناث (ويجعل من يشاء عقيما) أى فلا يولد له ولد وقيل هذا فى الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقوله يهب لمن يشاء اناثا يعنى لوطا لم يولد له ذكر انما ولد له ابنتان ويهب لمن يشاء الذكور يعنى ابراهيم عليه الصلاة والسلام لم يولد له أنثى أو يزوّجهم ذكرانا وإناثا يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ولد له أربع بنين وأربع بنات ويجعل من يشاء عقيما يعنى يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام لم يولد لهما وهذا على وجه التمثيل والا فالآية عامة فى جميع الناس (انه عليم) أى بما يخلق (قدير) أى على ما يريد ان يخلق قوله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا) قيل فى سبب نزولها ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى صلى الله عليه وسلم ونظر اليه فقال لم ينظر موسى الى الله تعالى فانزل الله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أى يوحى اليه فى المنام أو بالالهام كما رأى ابراهيم فى المنام أن يذبح ولده وهو وحى وكما ألهمت ام موسى ان تقذفه فى البحر (أو من وراء حجاب) أى يسمعه كلامه من وراء حجاب ولا يراه كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام (أو يرسل رسولا) يعنى من الملائكة اما جبريل او غيره (فيوحى باذنه ما يشاء) يعنى يوحى ذلك الرسول الى المرسل اليه باذن الله ما يشاء وهذه الآية محمولة على انه لا يكلم بشرا الا من وراء حجاب فى الدنيا ويأتى بيان هذه المسئلة ان شاء الله تعالى فى سورة النجم (انه على) أى عن صفات المخلوقين (حكيم) أى فى جميع أفعاله قوله عز وجل (وكذلك) أى وكما أوحينا الى سائر رسلنا (أوحينا اليك روحا من أمرنا) قال ابن عباس نبوّة وقيل قرآنا لان به حياة الارواح وقيل رحمة وقيل جبريل (ما كنت تدرى) أى قبل الوحى (ما الكتاب) يعنى القرآن

(ولا الايمان) أى شرائعه او ولا الايمان بالكتاب لانه اذا كان لا يعلم بان الكتاب ينزل عليه لم يكن عالما بذلك الكتاب وقيل الايمان يتناول اشياء بعضها الطريق اليه العقل و بعضها الطريق اليه السمع فعنى به ما الطريق اليه السمع دون العقل وذلك ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحى (ولكن جعلناه) أى الكتاب (نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى) لتدعو وقرئ به (الى صراط مستقيم) الاسلام (صراط الله) بدل (الذى له ما فى السموات وما فى الارض) ملكا وملكا (ألا الى الله تصير الامور) هو وعيد بالجحيم ووعد ١٣٠ بالنعيم والله أعلم بالصواب * (سورة الزخرف تسع وثمانون آية مكية) *

(بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتاب المبين) أقسم بالكتاب المبين وهو القرآن وجعل قوله (انا جعلناه) صيرناه (قرآنا عربيا) جوابا للقسم وهو من الأيمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه والمبين البين للذين أنزل عليهم لانه بلغتهم وأساليبهم أو الواضح للمتدبرين او الذى أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وابان كل ما تحتاج اليه الامة فى ابواب الديانة (لعلكم تعقلون) لكى تفهموا معانيه (وانه فى ام الكتاب لدينا) وان القرآن مثبت عند الله فى اللوح المحفوظ دليله قوله بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ وسمى ام الكتاب لانه الاصل الذى أثبتت فيه الكتب منه تنقل وتستنسخ أم الكتاب بكسر الالف على وحمزة (لعلى) خبران أى فى أعلى طبقات البلاغة او رفيع الشان فى الكتب لكونه معجزا من بينها (حكيم) ذو حكمة بالغة (أفنضرب عنكم الذكر) أفننحى عنكم الذكر ونذوده عنكم على سبيل المجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض والفاء للعطف على محذوف تقديره أنهملكم فنضرب عنكم الذكر انكارا لان يكون الامر على خلاف ما قدم من انزاله الكتاب وجعله قرآنا عربيا ليعقلوه وليعملوا بواجبه (صفحا) مصدر من صفح عنه اذا أعرض منتصب على انه مفعول له على معنى أفنعزل عنكم انزال القرآن والزام الحجة به اعراضا عنكم ويجوز أن يكون مصدرا على خلاف الصدر لانه يقال ضربت عنه اى اعرضت عنه كذا قاله الفراء

(ولا الايمان) اختلف العلماء فى هذه الآية مع اتفاقهم على ان الانبياء قبل النبوة كانوا مؤمنين فقيل معناه ما كنت تدرى قبل الوحى شرائع الايمان ومعالمه وقال محمد بن اسحق بن خزيمة الايمان فى هذا الموضع الصلاة دليله وما كان الله ليضيع ايمانكم يعنى صلاتكم ولم يرد به الايمان الذى هو الاقرار بالله تعالى لان النبى صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة يوحد الله تعالى ويحج ويعتمر ويبغض اللات والعزى ولا يأكل ما ذبح على النصب وكان يتعبد على دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام ولم تتبين له شرائع دينه الا بعد الوحى اليه (ولكن جعلناه نورا) قال ابن عباس يعنى الايمان وقيل القرآن لانه يهتدى به من الضلالة وهو قوله تعالى (نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى) أى لتدعو (الى صراط مستقيم) يعنى الى دين الاسلام (صراط الله) يعنى دين الله الذى شرعه لعباده (الذى له ما فى السموات وما فى الارض ألا الى الله تصير الامور) يعنى أمور الخلائق فى الآخرة فيثيب المحسن و يعاقب المسىء والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

* (تفسير سورة الزخرف وهى مكية وهى تسع وثمانون آية وثلاث وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف وأربعمائة حرف) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

قوله عز وجل (حم والكتاب المبين) اقسم بالكتاب وهو القرآن الذى أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وابان ما تحتاج اليه الامة من الشريعة وقيل المبين يعنى الواضح للمتدبرين وجواب القسم (انا جعلناه) أى صيرنا هذا الكتاب عربيا وقيل بيناه وقيل سميناه وقيل وصفناه وقيل أنزلناه (قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) يعنى معانيه وأحكامه (وانه) يعنى القرآن (فى ام الكتاب) أى فى اللوح المحفوظ قال ابن عباس أول ما خلق الله عز وجل القلم فأمره ان يكتب ما يريد أن يخلق فالكتاب عنده ثم قرأ وانه فى ام الكتاب (لدينا) أى عندنا فالقرآن مثبت عند الله تعالى فى اللوح المحفوظ (لعلى حكيم) أخبر عن شرفه وعلو منزلته والمعنى ان كذبتم يا أهل مكة بالقرآن فانه عندنا لعلى أى رفيع شريف وقيل على على جميع الكتب حكيم أى محكم لا يتطرق اليه الفساد والبطلان قوله تعالى (أفنضرب عنكم الذكر صفحا) معناه أفنترك عنكم الوحى ونمسك عن انزال القرآن فلا

(ان كنتم) لأن كنتم ان كنتم مدني وحمزة وهو من باب الشرط الذي يصدر من المدل بصحة الامر المتحقق لثبوته كما يقول الاجير ان كنت عملت لك فوفني حقي وهو عالم بذلك (قوما مسرفين) مفرطين في الجهالة مجاوزين الحد في الضلالة (وكم أرسلنا من نبي في الاولين) اي كثيرا من الرسل ارسلنا الى من تقدمك (وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن) هي حكاية حال ماضية مستمرة اي كانوا على ذلك وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه (فأهلكنا اشد منهم بطشا) تمييز والضمير للمسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره عنهم ١٣١ (ومضى مثل الاولين) اي سلف في القرآن في غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التي حقها أن تسير مسير المثل وهذا وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد لهم (ولئن سألتهم) أي المشركين (من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهدا) كوفي وغيره مهادا أي موضع قرار (وجعل لكم فيها سبلا) طرقا (لعلكم تهتدون) لكي تهتدوا في أسفاركم (والذي نزل من السماء ماء بقدر) بمقدار تسلم معه العباد ويحتاج اليه البلاد (فأنشرنا) فأحيينا عدول من المغايبة الى الاخبار لعلم المخاطب بالمراد (به بلدة ميتا) يريد ميتا (كذلك تخرجون) من قبوركم أحياء تخرجون حمزة وعلي ولا وقف على العليم لان الذي صفته وقد وقف عليه أبو حاتم على تقديرهو الذي لان هذه الاوصاف ليست من مقول الكفار لانهم ينكرون الاخراج من القبور فكيف يقولون كذلك تخرجون بل الآية حجة عليهم في انكار البعث (والذي خلق الازواج) الاصناف (كلها وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون) اي تركبونه يقال ركبوا في الفلك وركبوا الانعام فغلب المتعدي بغير واسطة لقوته على المتعدي بواسطة فقيل تركبونه (لتستووا على ظهوره) على ظهور ما تركبونه وهو الفلك والانعام (ثم تذكروا) بقلوبكم (نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا) بالسنتكم (سبحان الذي سخر لنا هذا) ذلل لنا هذا المركوب (وما كنا له مقرنين) مطيقين يقال اقرن الشئ اذا اطاقه وحقيقته اقرنه وجده قرينته لان الصعب لا يكون قرينة للضعيف (وانا الى ربنا

أمركم ولانها لكم من أجل أنكم أسرفتم في كفركم وتركتم الايمان وهو قوله تعالى (أن كنتم) أي لان كنتم (قوما مسرفين) والمعنى لانفعل ذلك قال قتادة والله لو كان هذا القرآن رفع حين رده أوائل هذه الامة لهلكوا ولكن الله عز وجل عاد بعائدته وكرمه ورحمته فكرره عليهم عشرين سنة أو ما شاء الله وقيل معناه أفنضرب عنكم بذكرنا اياكم صافحين أي معرضين عنكم وقيل معناه أفنطوي الذكر عنكم طيا فلا تدعون ولا توعظون وقيل أفنترككم فلا نعاقبكم على كفركم (وكم أرسلنا من نبي في الاولين وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن) يعني كاستهزاء قومك بك وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (فأهلكنا أشد منهم بطشا) أي أقوى من قومك قوة (ومضى مثل الاولين) أي صفتهم والمعنى ان كفار قريش سلكوا في الكفر والتكذيب مسلك من كان قبلهم فليحذروا أن ينزل بهم مثل ما نزل بالاولين من الخزي والعقوبة قوله عز وجل (ولئن سألتهم) أي ولئن سألت يا محمد قومك (من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم) يعني انهم أقروا بأن الله تعالى خلقهما وأقروا بعزته وعلمه ومع اقرارهم بذلك عبدوا غيره وأنكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم ثم ابتدأ تعالى دالا على نفسه بذكر مصنوعاته فقال تعالى (الذي جعل لكم الارض مهدا) معناه واقفة ساكنة يمكن الانتفاع بها ولما كان المهد موضع راحة الصبي فلذلك سمى الارض مهادا لكثرة ما فيها من الراحة للخلق (وجعل لكم فيها سبلا) أي طرقا (لعلكم تهتدون) يعني الى مقاصدكم في أسفاركم (والذي نزل من السماء ماء بقدر) أي بقدر حاجتكم اليه لا كما أنزل على قوم نوح حتى أهلكهم (فأنشرنا به) أي بالمطر (بلدة ميتا) أي كما أحيينا هذه البلدة الميتة بالمطر (كذلك تخرجون) أي من قبوركم أحياء (والذي خلق الازواج كلها) أي الاصناف والانواع كلها قيل ان كل ما سوى الله تعالى فهو زوج وهو الفرد المنزه عن الاضداد والانداد والزوجية (وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون) يعني في البر والبحر (لتستووا على ظهوره) أي على ظهور الفلك والانعام (ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه) يعني بتسخير المركب في البر والبحر (وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا) أي ذلل لنا هذا (وما كنا له مقرنين) أي مطيقين وقيل ضابطين (وانا الى ربنا

المنقلبون) لراجعون في المعاد قيل يذكرون عند ركوبهم مراكب الدنيا آخر مركبهم منها وهو الجنازة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا الى قوله لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا وقالوا اذا ركب في السفينة قال بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم وحكي ان قوما ركبوا وقالوا سبحان الذي سخر لنا هذا الآية وفيهم رجل على ناقة لا تتحرك هزالا فقال اني مقرن لهذه فسقط منها لوثبتها واندقت عنقه وينبغي أن لا يكون ركوب العاقل للتنزه والتلذذ بل للاعتبار ويتأمل عنده انه هالك لا محالة ومنقلب الى الله غير منفلت من قضائه (وجعلوا له من عباده جزأ) متصل بقوله ولئن سألتهم أي ولئن سألتهم عن خالق السموات والارض ليعترفن به وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزأ أي قالوا الملائكة بنات الله فجعلوهم جزأ له وبعضا منه كما يكون الولد جزأ لوالده جزأ أبو بكر وحماد (ان الانسان لكفور مبين) لجحود للنعمة ظاهر جحوده لان نسبة الولد اليه كفر والكفر أصل الكفران كله (أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين) أي بل اتخذ والهمزة للانكار تجهيلا لهم وتعجيبا من شأنهم حيث ادعوا انه اختار لنفسه المنزلة الادنى ولهم الاعلى (واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا) بالجنس الذي جعله له مثلا أي شبها لانه اذا جعل الملائكة جزأ لله وبعضا منه فقد جعله من جنسه ومماثلا له لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد (ظل وجهه مسودا وهو كظيم) يعني انهم نسبوا اليه هذا الجنس ومن حالهم ان أحدهم اذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم واربد وجهه غيظا وتأسفا وهو مملوء من الكرب والظلول بمعنى الصيرورة (أومن ينشأ في الحلية

المنقلبون) أي لمنصرفون في المعاد (م) عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا استوى على بعيره خارجا الى سفر حمد الله تعالى وسبح وكبر ثلاثا ثم قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم انا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون سفرنا هذا واطو عنا بعده اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل اللهم اني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في الاهل والمال والولد واذا رجع قالهن وزاد فيهن آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون قوله وعثاء السفر يعني تعبه وشدته ومشقته وكآبة المنظر وسوء المنقلب الكآبة الحزن والمنقلب المرجع وذلك أن يعود من سفره حزينا كئيبا أو يصادف ما يحزنه في أهل أو مال * عن علي بن ربيعة قال شهدت علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وقد أتي بدابة ليركبها فلما وضع رجله في الركاب قال بسم الله فلما استوى على ظهرها قال الحمد لله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ثم قال الحمد لله ثلاث مرات ثم قال الله أكبر ثلاث مرات ثم قال سبحانك اني ظلمت نفسي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت ثم ضحك فقلت يا أمير المؤمنين مم ضحكت قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل كما فعلت فقلت يا رسول الله من أي شئ ضحكت قال ان ربك يعجب من عبده اذا قال رب اغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب غيرك أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله تعالى (وجعلوا له من عباده جزأ) يعني ولدا وهو قولهم الملائكة بنات الله لان الولد جزء من الاب ومعنى جعلوا حكموا واثبتوا (ان الانسان لكفور مبين) أي لجحود لنعم الله تعالى عليه (أم اتخذ مما يخلق بنات) هذا استفهام انكار وتوبيخ يقول اتخذ ربكم لنفسه البنات (وأصفاكم) أي أخلصكم (بالبنين واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا) أي بالجنس الذي جعله للرحمن شبها لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد والمعنى انهم نسبوا اليه البنات ومن حالهم ان أحدهم اذا قيل له قد ولد لك بنت اغتم وتربد وجهه غيظا وأسفا وهو قوله تعالى (ظل وجهه) أي صار وجهه (مسودا وهو كظيم) أي من الحزن والغيظ قيل ان بعض العرب ولدت له أنثى فهجر بيت امرأته التي ولدت فيه الانثى فقالت المرأة

ما لأبي حمزة لا يأتينا * يظل في البيت الذي يلينا
غضبان أن لا نلد البنينا * ليس لنا من أمرنا ما شينا
وانما نأخذ ما أعطينا * حكمة رب ذي اقتدار فينا

قوله عز وجل (أومن ينشأ) يعني اومن يربى (في الحلية) يعني الزينة والنعمة والمعنى أو يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته ولولا نقصانها لما احتاجت الى

تزيين

وهو فى الخصام غير مبين) أى أو يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته وهو انه ينشأ فى الحلية أى يتربى فى الزينة والنعمة وهو اذا احتاج الى مجاثاة الخصوم ومجاراة الرجال كان غير مبين ليس عنده بيان ولا يأتى ببرهان وذلك لضعف عقولهن قال مقاتل لا تتكلم المرأة الا وتأتى بالحجة عليها وفيه انه جعل النشأة فى الزينة من المعايب فعلى الرجل ان يجتنب ذلك ويتزين بلباس التقوى ومن منصوب المحل والمعنى او جعلوا من ينشأ فى الحلية يعنى البنات لله عز وجل ينشأ حمزة وعلى وحفص أى يربى تدجعوا فى كفرهم ثلاث كفرات وذلك انهم نسبوا الى الله الولد ونسبوا اليه أخس النوعين وجعلوه من الملائكة المكرمين فاستخفوا بهم (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا) أى سموهم وقالوا انهم اناث عند الرحمن مكى ومدنى وشامى أى عندية منزلة ومكانة لا منزل ومكان والعباد جمع عبد وهو ألزم فى الحجاج مع أهل العناد لتضاد بين العبودية والولاد (أشهدوا خلقهم) وهذا تهكم بهم يعنى انهم يقولون ذلك من غير ان يستند قولهم الى علم فان الله لم يضطرهم الى علم ذلك ولا تطرقوا اليه باستدلال ولا أحاطوا به عن خبر يوجب العلم ولم يشاهدوا خلقهم حتى يخبروا عن المشاهدة (ستكتب شهادتهم) التى شهدوا بها على الملائكة من أنوثتهم (ويسئلون) عنها وهذا وعيد (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) أى الملائكة تعلقت المعتزلة بظاهر هذه الآية فى أن الله تعالى لم يشأ الكفر من الكافر وانما شاء الايمان فان الكفار ادعوا ان الله شاء منهم الكفر وما شاء منهم ترك عبادة الاصنام حيث قالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم أى لو شاء منا ترك عبادة الاصنام لمنعنا عن عبادتها ولكن شاء منا عبادة الاصنام والله تعالى رد عليهم قولهم واعتقادهم بقوله (ما لهم بذلك) المقول (من علم ان هم الا يخرصون) أى يكذبون ومعنى الآية عندنا أنهم ارادوا بالمشيئة الرضا وقالوا لو لم يرض بذلك لعجل عقوبتنا أو لمنعنا عن عبادتها مع قهر واضطرار واذ لم يفعل ذلك فقد رضى بذلك فرد الله تعالى عليهم بقوله ما لهم بذلك من علم الآية أو قالوا هذا القول استهزاء لا جدا واعتقادا فأكذبهم الله تعالى فيه وجهلهم حيث لم يقولوا عن اعتقاد كما قال مخبرا عنهم أنطعم من لو يشاء الله أطعمه وهذا حق فى الاصل ولكن لما قالوا ذلك استهزاء كذبهم الله بقوله ان انتم الا فى ضلال مبين وكذلك قال الله تعالى قالوا نشهد انك لرسول الله ثم قال والله يشهد ان المنافقين لكاذبون لانهم لم يقولوه عن اعتقاد وجعلوا المشيئة حجة لهم فيما فعلوا باختيارهم وظنوا ان الله لا يعاقبهم على شئ فعلوه بمشيئته وجعلوا أنفسهم معذورين فى ذلك فرد الله تعالى عليهم (أم آتيناهم كتابا من قبله) من قبل القرآن أو من قبل قولهم هذا (فهم به مستمسكون) آخذون عاملون وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره أشهدوا خلقهم ام آتيناهم كتابا فيه ان الملائكة اناث (بل قالوا) بل لا حجة لهم يتمسكون بها لا من حيث العيان ولا من حيث العقل ولا من حيث السمع الا قولهم (انا وجدنا آباءنا على أمة) على دين فقلدناهم وهى من الام وهو القصد فالامة الطريقة التى تؤم اى تقصد (وانا على آثارهم مهتدون) الظرف صلة لمهتدون او هما خبران (وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير) أى (الا قال مترفوها)

تزيين نفسها بالحلية ثم بين نقصان حالها بوجه آخر وهو قوله (وهو فى الخصام) أى المخاصمة (غير مبين) للحجة وذلك لضعف حالها وقلة عقلها قال قتادة قلما تكلمت امرأة فتريد ان تتكلم بحجتها الا تكلمت بالحجة عليها (وجعلوا) أى وحكموا وأثبتوا (الملائكة الذين هم عباد) وقرئ عند (الرحمن اناثا أشهدوا خلقهم) أى حضروا خلقهم حين خلقوا وهذا استفهام انكار أى لم يشهدوا ذلك (ستكتب شهادتهم) أى على الملائكة انهم بنات الله (ويسئلون) أى عنها قيل لما قالوا هذا القول سألهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال وما يدريكم انها بنات الله قالوا سمعنا من آبائنا ونحن نشهد انهم لم يكذبوا فقال الله تعالى ستكتب شهادتهم ويسئلون عنها فى الآخرة (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) يعنى الملائكة وقيل الاصنام وانما لم يعجل عقوبتنا على عبادتنا اياها لرضاه منا بذلك قال الله تعالى ردا عليهم (ما لهم بذلك من علم) أى فيما يقولون (ان هم الا يخرصون) يعنى ما هم الا كاذبون فى قولهم ان الله رضى منا بعبادتها وقيل يكذبون فى قولهم ان الملائكة اناث وانهم بنات الله (أم آتيناهم كتابا من قبله) أى من قبل القرآن بأن يعبدوا غير الله (فهم به مستمسكون) أى يأخذون بما فيه (بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة) أى على دين وملة (وانا على آثارهم مهتدون) يعنى انهم جعلوا أنفسهم مهتدين باتباع آبائهم وتقليدهم من غير حجة ثم أخبر ان غيرهم قد قال هذه المقالة بقوله تعالى (وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها) أى اغنياؤها ورؤساؤها

أي متنعموها وهم الذين اترفتهم النعمة أي ابطرتهم فلا يحبون الا الشهوات والملاهي ويعافون مشاق الدين وتكاليفه (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) وهذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وبيان ان تقليد الآباء داء قديم (قال) شامي وحفص اي النذير قل غيرهما أي قيل للنذير قل (أولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم) أي اتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم (قالوا انا بما أرسلتم به كافرون) انا ثابتون على دين آبائنا وان جئتنا بما هو اهدى واهدى (فانتقمنا منهم) فعاقبناهم بما استحقوه على اصرارهم (فانظر كيف كان عاقبة المكذبين واذ قال ابراهيم لابيه وقومه) أي واذكر اذ قال (انني براء)

أي بريء وهو مصدر يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث كما تقول رجل عدل وامرأة عدل وقوم عدل والمعنى ذو عدل وذات عدل (مما تعبدون الا الذي فطرني) استثناء منقطع كأنه قال لكن الذي فطرني (فانه سيهدين) يثبتني على الهداية (وجعلها) وجعل ابراهيم عليه السلام كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني (كلمة باقية في عقبه) في ذريته فلم يزل فيهم من يوحد الله ويدعو الى توحيده (لعلهم يرجعون) لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم والترجي لابراهيم (بل متعت هؤلاء وآباءهم) يعني أهل مكة وهم من عقب ابراهيم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وشغلوا بالتنعم واتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد (حتى جاءهم الحق) أي القرآن (ورسول) محمد عليه السلام (مبين) واضح الرسالة بما معه من الآيات البينة (ولما جاءهم الحق) القرآن (قالوا هذا سحر وانا به كافرون وقالوا) فيه متحكمين بالباطل (لولا نزل هذا القرآن) فيه استهانة به (على رجل من القريتين عظيم) أي رجل عظيم من احدى القريتين كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان أي من أحدهما والقريتان مكة والطائف وعنوا بعظيم مكة الوليد بن المغيرة وبعظيم الطائف عروة بن مسعود الثقفي وارادوا بالعظيم من كان ذا مال وذا جاه ولم يعرفوا ان العظيم من كان عند الله عظيما (أهم يقسمون رحمت ربك) أي النبوة والهمزة للانكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من تحكمهم في اختيار من يصلح للنبوة (نحن قسمنا بينهم معيشتهم) ما يعيشون به وهو أرزاقهم (في الحيوة الدنيا) أي لم نجعل قسمة الادون اليهم وهو الرزق فكيف النبوة أو كما فضلنا البعض على البعض في الرزق فكذا

(انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) أي بهم (قل أولو جئتكم بأهدى) أي بدين هو أصوب (مما وجدتم عليه آباءكم) فأبوا ان يقبلوا (قالوا انا بما أرسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) قوله تعالى (واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء) أي بريء (مما تعبدون الا الذي فطرني) معناه أنا أتبرأ مما تعبدون الا من الله الذي خلقني (فانه سيهدين) أي يرشدني الى دينه (وجعلها) أي وجعل ابراهيم كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي لا اله الا الله (كلمة باقية في عقبه) أي في ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالى ويدعو الى توحيده (لعلهم يرجعون) أي لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم وقيل لعل أهل مكة يتبعون هذا الدين ويرجعون عما هم عليه من الشرك الى دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام (بل متعت هؤلاء) يعني كفار مكة (وآباءهم) في الدنيا بالمد في العمر والنعمة ولم أعاجلهم بالعقوبة على كفرهم (حتى جاءهم الحق) يعني القرآن وقيل الاسلام (ورسول) هو محمد صلى الله عليه وسلم (مبين) أي يبين لهم الاحكام وقيل بين الرسالة وأوضحها بما معه من الآيات والمعجزات وكان من حق هذا الانعام ان يطيعوه فلم يفعلوا بل كذبوا وعصوا وسموه ساحرا وهو قوله تعالى (ولما جاءهم الحق) يعني القرآن (قالوا هذا سحر وانا به كافرون) قوله عز وجل (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) معناه انهم قالوا منصب النبوة منصب عظيم شريف لا يليق الا برجل شريف عظيم كثير المال والجاه من احدى القريتين وهما مكة والطائف واختلفوا في هذا الرجل العظيم قيل الوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن مسعود الثقفي بالطائف وقيل عتبة بن ربيعة من مكة وكنانة بن عبد ياليل الثقفي من الطائف وقال ابن عباس الوليد بن المغيرة من مكة ومن الطائف حبيب بن عمير الثقفي قال الله تعالى ردا عليهم (أهم يقسمون رحمت ربك) معناه أبايديهم مفاتيح الرسالة فيضعوها حيث شاؤا وفيه الانكار الدال على تجهيلهم والتعجب من اعتراضهم وتحكمهم وان يكونوا هم المدبرين لامر النبوة ثم ضرب لهذا مثلا فقال تعالى (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا) أي نحن أوقعنا هذا التفاوت بين

أخص بالنبوة من أشاء (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) أي جعلنا البعض اقوياء واغنياء وموالي والبعض ضعفاء وفقراء وخدما (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) ليصرف بعضهم بعضا في حوائجهم ويستخدموهم في مهنهم ويتسخروهم في أشغالهم حتى يتعايشوا ويصلوا الى منافعهم هذا بماله وهذا بأعماله (ورحمت ربك) أي النبوة أو دين الله وما يتبعه من الفوز في المآب (خير مما يجمعون) مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا ولما قلل أمر الدنيا وصغرها أردفه ما يقرر قلة الدنيا عنده فقال (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) ولولا كراهة ان يجتمعوا على الكفر ويطبقوا عليه (لجعلنا) لحقارة الدنيا عندنا (لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكؤن وزخرفا) أي لجعلنا للكفار سقوفا ومصاعد وأبوابا وسررا كلها من فضة وجعلنا لهم زخرفا أي زينة من كل شئ والزخرف الذهب والزينة ويجوز أن يكون الاصل سقفا من فضة وزخرف أي بعضها من فضة وبعضها من ذهب فنصب عطفا على محل من فضة لبيوتهم بدل اشتمال من لمن يكفر سقفا على الجنس مكي وأبو عمرو ويزيد والمعارج جمع معرج وهي المصاعد الى العلالي عليها يظهرون على المعارج يظهرون السطوح أي يعلونها (وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا) ان نافية ولما بمعنى الا اي وما كل ذلك الا متاع الحياة الدنيا وقد قرئ به وقرأ ما بغير عاصم وحمزة على ان اللام هي الفارقة بين ان المخففة والنافية وما صلة أي وان كل ذلك لمتاع الحياة الدنيا (والآخرة) أي ثواب الآخرة (عند ربك للمتقين) لمن يتقي الشرك (ومن يعش) وقرئ ومن يعش والفرق بينهما أنه اذا حصلت الآفة في بصره قيل عشي يعشى واذا نظر نظر العشي ولا آفة به قيل عشا يعشو ومعنى القراءة بالفتح ومن يعم (عن ذكر الرحمن) وهو القرآن

العباد فجعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا مالكا وهذا مملوكا وهذا قويا وهذا ضعيفا ثم ان أحدا من الخلق لم يقدر على تغيير حكمنا ولا على الخروج عن قضائنا فاذا عجزوا عن الاعتراض في حكمنا في احوال الدنيا مع قلتها وذلتها فكيف يقدرون على الاعتراض على حكمنا في تخصيص بعض عبادنا بمنصب النبوة والرسالة والمعنى كما فضلنا بعضهم على بعض كما شئنا كذلك اصطفينا بالرسالة من شئنا ثم قال تعالى (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) يعني لو اننا سوينا بينهم في كل الاحوال لم يخدم احد أحدا ولم يصر أحد منهم مسخرا لغيره وحينئذ يفضي ذلك الى خراب العالم وفساد حال الدنيا ولكنا فعلنا ذلك ليستخدم بعضهم بعضا فتسخر الاغنياء بأموالهم الاجراء الفقراء بالعمل فيكون بعضهم لبعض سبب المعاش فهذا بماله وهذا بعمله فيلتئم قوام العالم وقيل يملك بعضهم بماله بعضا بالملك (ورحمت ربك) يعني الجنة (خير) يعني للمؤمنين (مما يجمعون) أي يجمع الكفار من الاموال لان الدنيا على شرف الزوال والانقراض وفضل الله ورحمته تبقى أبد الآبدين قوله عز وجل (ولولا أن يكون الناس امة واحدة) أي لولا ان يصيروا كلهم كفارا فيجتمعون على الكفر ويرغبون فيه اذا رأوا الكفار في سعة من الخير والرزق لاعطيت الكفار أكثر الاسباب المفيدة للتنعم وهو قوله تعالى (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج) يعني مصاعد ودرجات من فضة (عليها يظهرون) يعني يصعدون ويرتقون عليها (ولبيوتهم أبوابا) أي من فضة (وسررا) أي ولجعلنا لهم سررا من فضة (عليها يتكؤن وزخرفا) أي ولجعلنا من ذلك زخرفا وهو الذهب وقيل الزخرف الزينة من كل شئ (وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا) يعني ان الانسان يستمتع بذلك قليلا ثم ينقضي لان الدنيا سريعة الزوال والذهاب (والآخرة عند ربك للمتقين) يعني الجنة خاصة للمتقين الذين تركوا الدنيا * عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا عند الله تزن جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وعن المستورد بن شداد أحد بني فهر قال كنت في الركب الذين وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السخلة الميتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أترون هذه هانت على اهلها حين ألقوها قالوا من هوانها ألقوها يا رسول الله قال فان الدنيا اهون على الله من هذه الشاة على اهلها أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وعن قتادة بن النعمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أحب الله عبدا حماه من الدنيا كما يظل أحدكم يحمي سقيمه الماء أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (م) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر قوله تعالى (ومن يعش) أي يعرض (عن ذكر الرحمن) أي فلم

لقوله صم بكم عمى ومعنى القراءة بالضم ومن يتعام عن ذكره أي يعرف انه الحق وهو يتجاهل كقوله وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم (نقيض له شيطانا فهو له قرين) قال ابن عباس رضى الله عنهما نسلطه عليه فهو معه فى الدنيا والآخرة يحمله على المعاصى وفيه اشارة الى أن من داوم عليه لم يقرنه الشيطان (وانهم) أى الشياطين (ليصدونهم) ليمنعون العاشين (عن السبيل) عن سبيل الهدى (ويحسبون) أى العاشون (انهم مهتدون) وانما جمع ضمير من وضمير الشيطان لان من مبهم فى جنس العاشى وقد قيض له شيطان مبهم ١٣٦ من جنسه فجاز أن يرجع الضمير اليهما مجموعا (حتى اذا جاءنا) على الواحد عراقى غير أبى بكر أى العاشى جاآنا غيرهم أى العاشى وقرينه (قال) لشيطانه (ياليت بينى وبينك بعد المشرقين) يريد المشرق والمغرب فغلب كما قيل العمران والقمران والمراد بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق (فبئس القرين) أنت (ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم) اذ صح ظلمكم أى كفركم وتبين ولم يبق لكم ولا لاحد شبهة فى انكم كنتم ظالمين واذ بدل من اليوم (أنكم فى العذاب مشتركون) انكم فى محل الرفع على الفاعلية اى ولن ينفعكم اشتراككم فى العذاب أو كونكم مشتركين فى العذاب كما كان عموم البلوى يطيب القلب فى الدنيا كقول الخنساء

ولولا كثرة الباكين حولى على اخوانهم لقتلت نفسى

ولا يبكون مثل أخى ولكن أعزى النفس عنه بالتأسى

أما هؤلاء فلا يؤسيهم اشتراكهم ولا يروحهم لعظم ما هم فيه وقيل الفاعل مضمر اى ولا ينفعكم هذا التمنى أو الاعتذار لانكم فى العذاب مشتركون لاشتراككم فى سببه وهو الكفر ويؤيده قراءة من قرأ انكم بالكسر (أفانت تسمع الصم) أى من فقد سمع القبول (أو تهدى العمى) أى من فقد البصر (ومن كان فى ضلال مبين) ومن كان فى علم الله انه يموت على الضلال (فاما) دخلت ما على ان توكيدا للشرط وكذا النون الثقيلة فى (نذهبن بك) أى نتوفينك قبل ان تنصرك عليهم ونشفى صدور المؤمنين منهم (فانا منهم منتقمون) أشد الانتقام فى الآخرة (أو نرينك الذى وعدناهم) قبل أن نتوفينك يوم بدر (فانا عليهم مقتدرون) قادرون وصفهم بشدة الشكيمة فى الكفر والضلال بقوله أفانت تسمع الصم الآية ثم أوعدهم بعذاب الدنيا والآخرة بقوله فاما نذهبن بك الآيتين

تعالى

يخف عقابه ولم يرد ثوابه وقيل يول ظهره عن القرآن (نقيض له شيطانا) أى نسبب له شيطانا ونضمه اليه ونسلطه عليه (فهو له قرين) يعنى لا يفارقه يزين له العمى ويخيل اليه انه على الهدى (وانهم) يعنى الشياطين (ليصدونهم عن السبيل) يعنى يمنعونهم عن الهدى (ويحسبون انهم مهتدون) يعنى ويحسب كفار بنى آدم انهم على الهدى (حتى اذا جاءنا) يعنى الكافر وحده وقرئ جاآنا على التثنية يعنى الكافر وقرينه وقد جعلا فى سلسلة واحدة (قال) الكافر لقرينه الشيطان (ياليت بينى وبينك بعد المشرقين) أى بعد ما بين المشرق والمغرب فغلب اسم أحدهما على الآخر كما يقال للشمس والقمر القمران ولابى بكر وعمر العمران وقيل أراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء والقول الاول أصح (فبئس القرين) يعنى الشيطان قال أبو سعيد الخدرى اذا بعث الكافر زوج بقرينه من الشياطين فلا يفارقه حتى يصير الى النار (ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم) يعنى أشركتم (أنكم فى العذاب مشتركون) يعنى لا ينفعكم الاشتراك فى العذاب ولا يخفف عنكم شيأ لان لكل واحد من الكفار والشياطين له الحظ الاوفر من العذاب وقيل لن ينفعكم الاعتذار والندم اليوم فانتم وقرناؤكم اليوم مشتركون فى العذاب كما كنتم مشتركين فى الكفر (أفانت تسمع الصم أو تهدى العمى ومن كان فى ضلال مبين) يعنى الكافرين الذين حقت عليهم كلمة العذاب انهم لا يؤمنون قوله عز وجل (فاما نذهبن بك) أى بان نميتك قبل أن نعذبهم (فانا منهم منتقمون) أى بالقتل بعدك (أو نرينك) أى فى حياتك (الذى وعدناهم) أى من العذاب (فانا عليهم مقتدرون) أى قادرون على ذلك متى شئنا عذبناهم وأراد بهم مشركى مكة وقد انتقم منهم يوم بدر وهذا قول أكثر المفسرين وقيل عنى به ما يكون فى أمته وقد كان بعد النبى صلى الله عليه وسلم نقمة شديدة فى أمته ولكن أكرم الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم وذهب به ولم يره فى أمته الا الذى تقربه عينه وأبقى النقمة بعده وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم أرى ما يصيب أمته بعده فما رئى ضاحكا منبسطا حتى قبضه الله

تعالى (فاستمسك بالذي أوحي اليك) يعني القرآن (انك على صراط مستقيم) أي على دين مستقيم لا يميل عنه الا الضال (وانه) يعني القرآن (لذكر) أي لشرف عظيم (لك ولقومك وسوف تسئلون) يعني عن حقه وأداء شكره وروى ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا سئل لمن هذا الامر بعدك لم يخبر بشيء حتى نزلت هذه الآية فكان بعد ذلك اذا سئل قال لقريش (ق) عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي منهم اثنان (خ) عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا الامر في قريش لا يعاديهم أحد الا كبه الله تعالى على وجهه ما أقاموا الدين وقيل القوم هم العرب والقرآن لهم شرف اذ نزل بلغتهم ثم يختص بذلك الشرف الاخص فالاخص من العرب حتى يكون الاكثر لقريش ولبني هاشم وقيل ذكر لك أي ذلك شرف لك بما أعطاك الله من النبوة والحكمة ولقومك يعني المؤمنين لما هداهم الله تعالى به وسوف تسئلون عن القرآن وعما يلزمكم من القيام بحقه قوله تعالى (واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) اختلف العلماء من هؤلاء المسؤلون فروى عن ابن عباس في رواية عنه لما أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم بعث الله عز وجل له آدم وولده من المرسلين فأذن جبريل ثم أقام وقال يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ من الصلاة قال له جبريل سل يا محمد من أرسلنا من قبلك من رسلنا الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا أسأل قد اكتفيت وهذا قول الزهري وسعيد بن جبير وابن زيد قالوا جمع له الرسل ليلة أسري به وأمر أن يسألهم فلم يشك ولم يسأل فعلى هذا القول قال بعضهم هذه الآية نزلت ببيت المقدس ليلة أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال أكثر المفسرين معناه سل مؤمني أهل الكتاب الذين أرسلت اليهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام هل جاءتهم الرسل الا بالتوحيد وهو قول ابن عباس في أكثر الروايات عنه ومجاهد وقتادة والضحاك والسدي والحسن ومقاتل ومعنى الامر بالسؤال التقرير لمشركي قريش انه لم يأت رسول ولا كتاب بعبادة غير الله عز وجل قوله تعالى (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فقال اني رسول رب العالمين فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون) أي يسخرون (وما نريهم من آية الا هي أكبر من أختها) أي من قرينتها التي قبلها (وأخذناهم بالعذاب) أي بالسنين والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس فكانت هذه آيات ودلالات لموسى عليه

(فاستمسك) فتمسك (بالذي أوحي اليك) وهو القرآن واعمل به (انك على صراط مستقيم) على الدين الذي لا عوج له (وانه) وان الذي أوحي اليك (لذكر لك) لشرف لك (ولقومك) ولامتك (وسوف تسئلون) عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه وعن تعظيمكم له وعن شكركم هذه النعمة (واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة السؤال ولكنه مجاز عن النظر في اديانهم والفحص ١٣٧ عن مللهم هل جاءت عبادة الاوثان قط في ملة من ملل الانبياء وكفاه نظرا وفحصا نظره في كتاب الله المعجز المصدق لما بين يديه واخبار الله فيه بانهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وهذه الآية في نفسها كافية لا حاجة الى غيرها وقيل انه عليه السلام جمع له الانبياء ليلة الاسراء فأمهم وقيل له سلهم فلم يشكك ولم يسأل وقيل معناه سل أمم من أرسلنا وهم اهل الكتابين أي التوراة والانجيل وانما يخبرونه عن كتب الرسل فاذا سألهم فكأنه سأل الانبياء ومعنى هذا السؤال التقرير لعبدة الاوثان انهم على الباطل وسل بلا همز مكي وعلي رسلنا ابو عمرو ثم سلى رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فقال اني رسول رب العالمين) ما أجابوه به عند قوله اني رسول رب العالمين محذوف دل عليه قوله (فلما جاءهم بآياتنا) وهو مطالبتهم اياه باحضار البينة على دعواه وابراز الآية (اذا هم منها يضحكون) يسخرون منها

١٨ ن خ

ويهزؤن بها ويسمونها سحرا واذا للمفاجأة وهو جواب فلما لان فعل المفاجأة معها مقدر وهو عامل النصب في محل اذا كانه قيل فلما جاءهم بآياتنا فاجؤا وقت ضحكهم (وما نريهم من آية الا هي أكبر من أختها) قرينتها وصاحبتها التي كانت قبلها في نقض العادة وظاهر النظم يدل على ان اللاحقة أعظم من السابقة وليس كذلك بل المراد بهذا الكلام انهن موصوفات بالكبر لا يكدن يتفاوتن فيه وعليه كلام الناس يقال هما أخوان كل واحد منهما أكرم من الآخر (وأخذناهم بالعذاب) وهو ما قال تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات وارسلنا عليهم الطوفان الآية

(لعلهم يرجعون) عن الكفر الى الايمان (وقالوا يا أيه الساحر) كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لتعظيمهم علم السحر يا أيه الساحر بضم الهاء بلا ألف شامي ووجهه انها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت لالتقاء الساكنين اتبعت حركتها حركة ماقبلها (ادع لنا ربك بما عهد عندك) بعهده عندك من ان دعوتك مستجابة أو بعهده عندك وهو النبوة او بما عهد عندك من كشف العذاب عمن اهتدى (اننا لمهتدون) مؤمنون به (فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون) ينقضون العهد بالايمان ولا يفون به (ونادى فرعون) نادى بنفسه عظماء القبط أو امر مناديا فنادى كقولك قطع الامير اللص اذا أمر بقطعه (في قومه)

جعلهم محلا لندائه وموقعا له (قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الانهار) اى انهار النيل ومعظمها أربعة (تجري من تحتي) من تحت قصري وقيل بين يدي في جناني والواو عاطفة للانهار على ملك مصر وتجري نصب على الحال منها او الواو للحال واسم الاشارة مبتدأ والانهار صفة لاسم الاشارة وتجري خبر للمبتدأ وعن الرشيد انه لما قرأها قال لأولينها اخس عبيدي فولاها الخصيب وكان خادمه على وضوئه وعن عبد الله ابن طاهر انه وليها فخرج اليها فلما شارفها قال اهي القرية التي افتخر بها فرعون حتى قال أليس لي ملك مصر والله لهي أقل عندي من أن أدخلها فثنى عنانه (أفلا تبصرون) قوتي وضعف موسى وغناي وفقره (ام انا خير) ام منقطعة بمعنى بل والهمزة كأنه قال اثبت عندكم واستقر أني أنا خير وهذه حالي (من هذا الذي هو مهين) ضعيف حقير (ولا يكاد يبين) الكلام لما كان به من الرتة (فلولا) فهلا (القي عليه أسورة) حفص ويعقوب وسهل جمع سوار وغيرهم اساورة جمع اسورة وأساور جمع اسوار وهو السوار وحذف الياء من أساوير وعوض منها التاء (من ذهب) اراد بالقاء الاسورة عليه القاء مقاليد الملك اليه لانهم كانوا اذا ارادوا تسويد الرجل سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب (او جاء معه الملائكة مقترنين) يمشون معه يقترن بعضهم ببعض ليكونوا أعضاده وانصاره واعوانه (فاستخف قومه) استفزهم بالقول واستزلهم وعمل فيهم كلامه وقيل طلب منهم الخفة في الطاعة وهي الاسراع (فأطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين) خارجين من دين الله (فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم اجمعين) آسف منقول من اسف اسفا اذا اشتد غضبه ومعناه انهم افرطوا في المعاصي فاستوجبوا ان يعجل لهم عذابنا وانتقامنا

الصلاة والسلام وعذابا لهم وكانت كل واحدة أكبر من التي قبلها (لعلهم يرجعون) أي عن كفرهم (وقالوا) يعني لموسى عليه الصلاة والسلام لما عاينوا العذاب (يا أيه الساحر) أي العالم الكامل الحاذق وانما قالوا ذلك له تعظيما وتوقيرا لان السحر كان عندهم علما عظيما وصنعة ممدوحة وقيل معناه يا أيها الذي غلبنا بسحره (ادع لنا ربك بما عهد عندك) أي بما أخبرتنا عن عهده اليك أنا ان آمنا كشف عنا العذاب فاسأله ان يكشفه عنا (اننا لمهتدون) أي لمؤمنون فدعا موسى ربه فكشف عنهم فلم يؤمنوا فذلك قوله سبحانه وتعالى (فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون) أي ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم (ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي) يعني أنهار النيل الكبار وكانت تجري تحت قصره وقيل معناه تجري بين يدي جناني وبساتيني وقيل تجري بأمري (أفلا تبصرون) أي عظمتي وشدة ملكي (ام انا) أي بل انا (خير) وليس بحرف عطف على قول أكثر المفسرين وقيل فيه اضمار مجازه أفلا تبصرون أم تبصرون ثم ابتدأ فقال أنا خير (من هذا الذي هو مهين) أي ضعيف حقير يعني موسى (ولا يكاد يبين) أي يفصح بكلامه للثغة التي كانت في لسانه وانما عابه بذلك لما كان عليه أولا وقيل معناه ولا يكاد يبين حجته التي تدل على صدقه فيما يدعي ولم يرد به انه لا قدرة له على الكلام (فلولا ألقي عليه) أي ان كان صادقا (أسورة من ذهب) قيل انهم كانوا اذا سودوا رجلا سوروه بسوار من ذهب وطوقوه بطوق من ذهب يكون ذلك دلالة لسيادته فقال فرعون هلا ألقى رب موسى عليه أسورة من ذهب ان كان سيدا تجب طاعته (أو جاء معه الملائكة مقترنين) أي متتابعين يقارن بعضهم بعضا يشهدون له بصدقه ويعينونه على أمره قال الله تعالى (فاستخف) يعني فرعون (قومه) يعني القبط أي وجدهم جهالا وقيل حملهم على الخفة والجهل (فأطاعوه) أي على تكذيب موسى (انهم كانوا قوما فاسقين) يعني حيث أطاعوا فرعون فيما استخفهم به (فلما آسفونا) أي أغضبونا وهو في حق الله تعالى ارادة العقاب وهو قوله تعالى (انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين)

وأن لا نحلم عنهم (فجعلناهم سلفا) جمع سالف كخادم وخدم سلفا حمزة وعلي جمع سليف أي فريق قد سلف (ومثلا) وحديثا عجيب الشأن سائرا مسير المثل يضرب بهم الامثال و يقال مثلكم مثل قوم فرعون (للآخرين) لمن يجيء بعدهم ومعناه فجعلناهم قدوة للآخرين من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم ونزوله بهم لاتيانهم بمثل أفعالهم ومثلا يحدثون به (ولما ضرب ابن مريم مثلا) لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم غضبوا فقال ابن الزبعري يا محمد أخاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الامم فقال عليه السلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم فقال ألست تزعم أن عيسى بن مريم نبي وتثني عليه وعلى أمه خيرا وقد علمت أن النصارى يعبدونهما وعزير يعبد والملائكة يعبدون فان كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم ففرحوا ١٣٩ وضحكوا وسكت النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ونزلت هذه الآية والمعنى ولما ضرب ابن الزبعري عيسى بن مريم مثلا لآلهتهم وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه (اذا قومك) قريش (منه) من هذا المثل (يصدون) يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وضحكا بما سمعوا منه من اسكات النبي صلى الله عليه وسلم بجدله يصدون مدني وشامي والاعشى وعلي من الصدود أي من أجل هذا المثل يصدون عن الحق و يعرضون عنه وقيل من الصديد وهو الجلبة وانهما لغتان نحو يعكف و يعكف (وقالوا أآلهتنا خير أم هو) يعنون أن آلهتنا عندك ليست بخير من عيسى فاذا كان عيسى من حصب النار كان أمر آلهتنا هينا (ماضربوه) أي ماضربوا هذا المثل (لك الاجدلا) الا لاجل الجدل والغلبة في القول لالطلب الميز بين الحق والباطل (بل هم قوم خصمون) لدشداد الخصومة دأبهم اللجاج وذلك أن قوله تعالى انكم وما تعبدون لم يرد به الا الاصنام لان مالغير العقلاء الا أن ابن الزبعري بخداعه لما رأى كلام الله محتملا لفظه وجه العموم مع علمه بان المراد به أصنامهم لاغير وجد للحيلة مساغا فصرف اللفظ الى الشمول والاحاطة بكل معبود غير الله على طريق اللجاج والجدال وحب المغالبة والمكابرة وتوقع في ذلك فتوقر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أجاب عنه ربه (ان هو) ما عيسى (الاعبد) كسائر العبيد (أنعمنا عليه) بالنبوة (وجعلناه مثلا لبني اسرائيل) وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل السائر لبني اسرائيل (ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة

فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين) يعني جعلنا المتقدمين الماضين عبرة وموعظة لمن يجيء من بعدهم قوله تعالى (ولما ضرب ابن مريم مثلا) قال ابن عباس نزلت هذه الآية في مجادلة عبد الله بن الزبعري مع النبي صلى الله عليه وسلم في شأن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وذلك لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقد تقدم ذكره في سورة الانبياء ومعنى الآية ولما ضرب عبد الله بن الزبعري عيسى بن مريم مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه (اذا قومك) يعني قريشا (منه) أي من المثل (يصدون) أي يرتفع لهم ضجيج وصياح وفرح وقيل يقولون ان محمدا ما يريد منا الا أن نعبده ونتخذه الها كما عبدت النصارى عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام (وقالوا أآلهتنا خير أم هو) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم فنعبده ونطيعه ونترك آلهتنا وقيل معنى أم هو يعني عيسى والمعنى قالوا يزعم محمد أن كل ما عبد من دون الله في النار فنحن قد رضينا أن تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة في النار قال الله تعالى (ماضربوه) يعني هذا المثل (لك الاجدلا) أي خصومة بالباطل وقد علموا أن المراد من قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم هؤلاء الاصنام (بل هم قوم خصمون) أي بالباطل * عن أبي امامة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ماضربوه لك الاجدلا بل هم قوم خصمون أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح ثم ذكر عيسى فقال تعالى (ان هو) أي ما عيسى (الاعبد أنعمنا عليه) أي بالنبوة (وجعلناه مثلا) أي آية وعبرة (لبني اسرائيل) يعرفون به قدرة الله على ما يشاء حيث خلقه من غير أب (ولو نشاء لجعلنا منكم) الخطاب لاهل مكة (ملائكة) معناه لو نشاء لاهلكناكم وجعلنا بدلا منكم

فى الارض) أى بدلا منكم كذا قاله الزجاج وقال جامع العلوم لجعلنا بدلكم ومن بمعنى البدل (يخلفون) يخلفونكم فى الارض أو يخلف الملائكة بعضهم بعضا وقيل ولو نشاء لقدرتنا على عجائب الامور لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال ملائكة يخلفونكم فى الارض كما يخلفكم أولادكم كما ولدنا عيسى من أنثى من غير فحل لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة ولتعلموا أن الملائكة أجسام لا تتولد الا من أجسام والقديم متعال عن ذلك (وانه لعلم للساعة) وان عيسى مما يعلم به مجيء الساعة وقرأ ابن عباس لعلم للساعة وهو العلامة اى وان نزوله لعلم للساعة (فلا تمترن بها) فلا تشكن فيها من المرية وهو الشك (واتبعون) وبالياء فيهما سهل ويعقوب أى واتبعوا هداى وشرعى أو رسولى او هو امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقوله (هذا صراط مستقيم) اى هذا الذى ادعوكم اليه (ولا يصدنكم الشيطان) عن الايمان بالساعة اوعن الاتباع (انه لكم عدو مبين) ظاهر العداوة اذ أخرج اباكم من الجنة ونزع عنه لباس النور (ولما جاء عيسى بالبينات) بالمعجزات او بآيات الانجيل والشرائع البينات الواضحات (قال قد جئتكم بالحكمة) اى بالانجيل والشرائع (ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه) وهو امر الدين لا امر الدنيا (فاتقوا الله وأطيعون ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) هذا تمام كلام عيسى عليه السلام (فاختلف الاحزاب) الفرق المتحزبة بعد عيسى وهم اليعقوبية والنسطورية والملكانية والشمعونية (من بينهم) من بين النصارى (فويل للذين ظلموا) حيث قالوا فى عيسى ما كفروا به (من عذاب يوم أليم) وهو يوم القيامة (هل ينظرون الا الساعة) الضمير لقوم عيسى أو للكفار (أن تأتيهم) بدل من الساعة أى هل ينظرون الا اتيان الساعة (بغتة وهم لا يشعرون) اى وهم غافلون لاشتغالهم بامر دنياهم كقوله تأخذهم وهم يخصمون (الاخلاء) جمع خليل (يومئذ) يوم القيامة (بعضهم لبعض عدو

ملائكة (فى الارض يخلفون) أى يكونون خلفا منكم يعمرون الارض و يعبدونى و يطيعونى وقيل يخلف بعضهم بعضا (وانه) يعنى عيسى (لعلم للساعة) يعنى نزوله من اشراط الساعة يعلم به قربها (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عادلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير و يضع الجزية و يفيض المال حتى لا يقبله أحد وفى رواية أبى داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس بينى وبين عيسى نبى وانه نازل فيكم فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الى الحمرة والبياض ينزل بين ممصرتين كأن رأسه يقطر وان لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الاسلام فيدق الصليب و يقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله تعالى فى زمانه الملل كلها الا الاسلام و يهلك الدجال ثم يمكث فى الارض أربعين سنة ثم يتوفى و يصلى عليه المسلمون (ق) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنتم اذا نزل ابن مريم وامامكم منكم وفى رواية فأمكم منكم قال ابن أبى ذؤيب فأمكم بكتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم ويروى أنه ينزل عيسى و بيده حربة وهى التى يقتل بها الدجال فيأتى بيت المقدس والناس فى صلاة العصر فيتأخر الامام فيقدمه عيسى ويصلى خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير و يكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس و يقتل النصارى الا من آمن وقيل فى معنى الآية وانه أى وان القرآن لعلم للساعة أى يعلم قيامها ويخبركم باحوالها وأهوالها (فلا تمترن بها) أى لا تشكن فيها وقال ابن عباس لا تكذبوا بها (واتبعون) أى على التوحيد (هذا) أى الذى انا عليه (صراط مستقيم ولا يصدنكم) أى لا يصرفنكم (الشيطان) أى عن دين الله الذى أمر به (انه) يعنى الشيطان (لكم عدو مبين ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة) أى بالنبوة (ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه) أى من أحكام التوراة وقيل من اختلاف الفرق الذين تحزبوا فى أمر عيسى وقيل الذى جاء به عيسى الانجيل وهو بعض الذى اختلفوا فيه فبين لهم عيسى فى غير الانجيل ما احتاجوا اليه (فاتقوا الله وأطيعون) أى فيما آمركم به (ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم) أى اختلف الفرق المتحزبة بعد عيسى (فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم هل ينظرون) أى ينتظرون (الا الساعة أن تأتيهم بغتة) أى فجأة والمعنى أنها تأتيهم لا محالة (وهم لا يشعرون الاخلاء) أى على الكفر والمعصية فى الدنيا (يومئذ) يعنى يوم القيامة (بعضهم لبعض عدو) أى ان الخلة اذا

كانت

الا المتقين) أى المؤمنين وانتصاب يومئذ بعدو اى تنقطع فى ذلك اليوم كل خلة بين المتخالين فى غير ذات الله وتنقلب عداوة ومعناه الاخلة المتصادقين فى الله فانها الخلة الباقية (ياعبادى) بالياء فى الوصل والوقف مدنى وشامى وأبو عمرو وبفتح الياء أبو بكر الباقون بحذف الياء (لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) هو حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون فى الله يومئذ (الذين) منصوب المحل صفة لعبادى لانه منادى مضاف (آمنوا بآياتنا) صدقوا بآياتنا (وكانوا مسلمين) لله منقادين له (ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم) المؤمنات فى الدنيا (تحبرون) ١٤١ تسرون سرورا يظهر حباره اى اثره على وجوهكم

(يطاف عليهم بصحاف) جمع صحفة (من ذهب وأكواب) أى من ذهب أيضا والكوب الكوز لا عروة له (وفيها) وفى الجنة (ماتشتهيه الانفس) مدنى وشامى وحفص باثبات الهاء العائدة الى الموصول وحذفها غيرهم لطول الموصول بالفعل والفاعل والمفعول (وتلذ الاعين) وهذا حصر لانواع النعم لانها اما مشتهيات فى القلوب أو مستلذة فى العيون (وأنتم فيها خالدون وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون) تلك اشارة الى الجنة المذكورة وهى مبتدأ والجنة خبر والتى أورثتموها صفة الجنة أو الجنة صفة للمبتدا الذى هو اسم الاشارة والتى أورثتموها صفة الجنة وبما كنتم تعملون الخبر والباء يتعلق بمحذوف أى حاصلة أو كائنة كما فى الظروف التى تقع أخبارا وفى الوجه الاول يتعلق باورثتموها وشبهت فى بقائها على أهلها بالميراث الباقى على الورثة (لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) من للتبعيض اى لاتأكلون الا بعضها واعقابها باقية فى شجرها فهى مزينة بالثمار ابدا وفى الحديث لاينزع احد فى الجنة من ثمرها الانبت مكانها مثلاها (ان المجرمين فى عذاب جهنم خالدون) خبر بعد خبر (لا يفتر عنهم) خبر آخر اى لايخفف ولا ينقص (وهم فيه) فى العذاب (مبلسون) آيسون من الفرج متحيرون (وماظلمناهم) بالعذاب (ولكن كانوا هم الظالمين) هم فصل (ونادوا يامالك) لما يسوا من فتور العذاب نادوا يامالك وهو خازن النار وقيل لابن عباس ان ابن مسعود قرأ يامال فقال ما اشغل اهل النار عن الترخيم

كانت كذلك صارت عداوة يوم القيامة (الا المتقين) أى الا الموحدين المتحابين فى الله عز وجل المجتمعين على طاعته روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه فى الآية قال خليلان مؤمنان وخليلان كافران مات أحد المؤمنين فقال يارب ان فلانا كان يأمرنى بطاعتك وطاعة رسولك صلى الله عليه وسلم ويأمرنى بالخير وينهانى عن الشر ويخبرنى انى ملاقيك يارب فلا تضله بعدى واهده كما هديتنى وأكرمه كما أكرمتنى فاذا مات خليله المؤمن جمع بينهما فيقول ليثن كل منكما على صاحبه فيقول نعم الاخ ونعم الخليل ونعم الصاحب قال ويموت أحد الكافرين فيقول رب ان فلانا كان ينهانى عن طاعتك وطاعة رسولك ويأمرنى بالشر وينهانى عن الخير ويخبرنى أنى غير ملاقيك فيقول ليثن كل منكما على صاحبه فيقول بئس الاخ وبئس الخليل وبئس الصاحب قوله عز وجل (ياعبادى لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) قيل ان الناس حين يبعثون ليس أحد منهم الافزع فينادى مناد ياعبادى لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون فيرجوها الناس كلهم فيتبعها (الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين) فييأس الناس كلهم غير المسلمين فيقال لهم (ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون) أى تسرون وتنعمون (يطاف عليهم بصحاف من ذهب) جمع صحفة وهى القصعة الواسعة (وأكواب) جمع كوب وهو اناء مستدير بلا عروة (وفيها) أى فى الجنة (ماتشتهيه الانفس وتلذ الاعين)* عن عبد الرحمن بن سابط قال قال رجل يارسول الله هل فى الجنة خيل فانى أحب الخيل قال ان يدخلك الله الجنة فلا تشاء ان تركب فرسا من ياقوتة حمراء فتطير بك فى أى الجنة شئت الافعلت وسأله آخر فقال يارسول الله هل فى الجنة من ابل فانى أحب الابل قال فلم يقل له ماقال لصاحبه فقال ان يدخلك الله الجنة يكن لك فيها مااشتهت نفسك ولذت عينك أخرجه الترمذى (وأنتم فيها خالدون وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) ورد فى الحديث أنه لاينزع أحد فى الجنة من ثمرها ثمرة الانبت مكانها مثلاها قوله تعالى (ان المجرمين) يعنى المشركين (فى عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم) أى لايخفف عنهم (وهم فيه مبلسون) أى آيسون من رحمة الله تعالى (وماظلمناهم) أى وما عذبناهم بغير ذنب (ولكن كانوا هم الظالمين) أى لانفسهم بما جنوا عليها (ونادوا يامالك) يعنى يدعون مالكا خازن النار يستغيثون به فيقولون

(ليقض علينا ربك) ليمتنا من قضى عليه اذا اماته فوكزه موسى فقضى عليه والمعنى سل ربك ان يقضى علينا (قال انكم ماكثون) لابثون فى العذاب لا تتخلصون عنه بموت ولا فتور (لقد جئناكم بالحق) كلام الله تعالى ويجب ان يكون فى قال ضمير الله لما سألوا مالكا ان يسأل الله القضاء عليهم اجابهم الله بذلك وقيل هو متصل بكلام مالك والمراد بقوله جئناكم الملائكة اذ هم رسل الله وهو منهم (ولكن اكثركم للحق كارهون) لا تقبلونه وتنفرون منه لان مع الباطل الدعة ومع الحق التعب (ام ابرموا امرا) ام احكم مشركو مكة امرا من كيدهم ومكرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم (فانا مبرمون) كيدنا كما ابرموا كيدهم وكانوا يتنادون فيتناجون فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة (ام يحسبون أنا لا نسمع سرهم) حديث انفسهم (ونجواهم) ما يتحدثون فيما بينهم ويخفونه عن غيرهم (بلى) نسمعها ونطلع عليها (ورسلنا)

(ليقض علينا ربك) اى ليمتنا ربك فنستريح والمعنى انهم توسلوا به ليسأل الله تعالى لهم الموت فيجيبهم بعد ألف سنة قاله ابن عباس وقيل بعد مائة سنة وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال ان أهل النار يدعون مالكا فلا يجيبهم أربعين عاما ثم يرد عليهم (قال انكم ماكثون) قال هانت والله دعوتهم على مالك وعلى رب مالك ومعنى ماكثون مقيمون فى العذاب (لقد جئناكم بالحق) يقول أرسلنا اليكم يا معشر قريش رسولنا بالحق (ولكن أكثركم للحق كارهون أم أبرموا أمرا) أى أحكموا أمرا فى المكر بالرسول صلى الله عليه وسلم (فانا مبرمون) أى محكمون أمرا فى مجازاتهم ان كادوا شرا كدتهم بمثله (أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم) أى ما يسرونه من غيرهم و يتناجون به بينهم (بلى) نسمع ذلك كله ونعلمه (ورسلنا) يعنى الحفظة من الملائكة (لديهم يكتبون) قوله عزوجل (قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) معناه ان كان للرحمن ولد فى قولكم وعلى زعمكم فانا أول من عبد الرحمن فانه لا شريك له ولا ولد له وقال ابن عباس ان كان أى ما كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين أى الشاهدين له بذلك وقيل معناه لو كان للرحمن ولد فأنا أول من عبده بذلك ولكن لا ولد له وقيل العابدين بمعنى الآنفين أى انا أول الجاحدين المنكرين لما قلتم وانا أول من غضب للرحمن ان يقال له ولد وقال الزمخشرى فى معنى الآية ان كان للرحمن ولد وصح وثبت ببرهان صحيح توردونه وحجة واضحة تدلون بها فانا أول من يعظم ذلك الولد واسبقكم الى طاعته كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة فى نفى الولد والاطناب فيه مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم فى باب التوحيد وذلك انه علق العبادة بكينونة الولد وهى محال فى نفسها فكان المعلق عليها محالا مثلها ثم نزه نفسه عن الولد فقال تعالى (سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون) أى عما يقولونه من الكذب (فذرهم يخوضوا) أى فى باطلهم (و يلعبوا)

أى الحفظة (لديهم يكتبون) عندهم يكتبون ذلك وعن يحيى ابن معاذ من ستر من الناس ذنوبه وابداها لمن لا تخفى عليه خافية فقد جعله أهون الناظرين اليه وهو من امارات النفاق (قل ان كان للرحمن ولد) وصح ذلك ببرهان (فانا أول العابدين) فانا أول من يعظم ذلك الولد واسبقكم الى طاعته والانقياد اليه كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والمراد نفى الولد وذلك انه علق العبادة بكينونة الولد وهى محال فى نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها ونظيره قول سعيد بن جبير للحجاج حين قال له والله لابدلنك بالدنيا نارا تلظى لو عرفت ان ذلك اليك ما عبدت الها غيرك وقيل ان كان للرحمن ولد فى زعمكم فانا أول العابدين أى الموحدين لله المكذبين قولكم باضافة الولد اليه وقيل ان كان للرحمن ولد فى زعمكم فانا أول الآنفين من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه فهو عبد وعابد وقرئ العبدين وقيل هى ان النافية أى ما كان للرحمن ولد فانا أول من قال بذلك وعبد ووحد وروى ان النضر قال الملائكة بنات الله فنزلت فقال النضر الا ترون انه صدقنى فقال له الوليد ما صدقك ولكن قال ما كان للرحمن ولد فانا أول الموحدين من أهل مكة أن لا ولد له ولد حمزة وعلى ثم نزه ذاته عن اتخاذ الولد فقال (سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون) أى هو رب السموات والارض والعرش فلا يكون جسما اذ لو كان جسما لم يقدر على خلقها واذا لم يكن جسما لا يكون له ولد لان التولد من صفة الاجسام (فذرهم يخوضوا) فى باطلهم (و يلعبوا) فى دنياهم

(حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) أي القيامة وهذا دليل على ان ما يقولونه من باب الجهل والخوض واللعب (وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله) ضمن اسمه تعالى معنى وصف فلذلك علق به الظرف في قوله في السماء وفي الارض كما يقول هو حاتم في طيئ وحاتم في تغلب على تضمين معنى الجواد الذي شهر به كانك قلت هو جواد في طيئ جواد في تغلب وقرئ وهو الذي في السماء الله وفي الارض الله ومثله قوله وهو الله في السموات وفي الارض فكانه ضمن معنى المعبود والراجع الى الموصول محذوف لطول الكلام كقولهم ما انا بالذي قائل لك شيأ والتقدير وهو الذي هو في السماء اله واله يرتفع على أنه خبر مبتدا مضمر ولا يرتفع اله بالابتداء وخبره في السماء لخلو الصلة حينئذ من عائد يعود الى الموصول (وهو الحكيم) في أقواله وأفعاله (العليم) بما كان ويكون (وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة) أي علم قيامها (واليه ترجعون) يرجعون مكي وحمزة وعلي (ولا يملك) آلهتهم (الذين يدعون) يدعونهم (من دونه) من دون الله (الشفاعة) كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله (الا من شهد بالحق) أي ولكن من شهد بالحق بكلمة التوحيد (وهم يعلمون) ان الله ربهم حقا ويعتقدون ذلك هو الذي يملك الشفاعة وهو استثناء منقطع او متصل لان في جملة الذين يدعون من دون الله الملائكة (ولئن سألتهم) اي المشركين (من خلقهم ليقولن الله) لا الاصنام والملائكة (فأنى يؤفكون) فكيف او من اين يصرفون عن التوحيد مع هذا الاقرار (وقيله) بالجر عاصم وحمزة اي وعنده علم الساعة وعلم قيله (يارب) والهاء يعود الى محمد صلى الله عليه وسلم لتقدم ذكره في قوله قل ان كان للرحمن ولد فانا أول العابدين وبالنصب الباقون عطفا على محل الساعة ويعلم قيله اي قيل محمد يارب والقيل والقول والقال والمقال واحد ويجوز ان يكون الجر والنصب على اضمار حرف القسم وحذفه وجواب القسم (ان هؤلاء قوم لا يؤمنون) كانه قيل واقسم بقيله يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون واقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه اليه (فاصفح عنهم) فأعرض عن دعوتهم يائسا عن ايمانهم وودعهم وتاركهم (وقل) لهم (سلام) أي تسلم منكم ومتاركة (فسوف يعلمون) وعيد من الله لهم وتسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم وبالتاء مدني وشامي

(سورة الدخان تسع وخمسون آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) في الخبر من قرأها ليلة جمعة أصبح مغفورا له

أي في دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) يعني يوم القيامة (وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله) أي هو الاله الذي يعبد في السماء وفي الارض لا اله الا هو (وهو الحكيم) أي في تدبير خلقه (العليم) أي بمصالحهم (وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) قيل سبب نزولها ان النضر بن الحرث ونفرا معه قالوا ان كان ما يقول محمد حقا فنحن نتولى الملائكة فهم أحق بالشفاعة من محمد صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية وأراد بالذين يدعون من دونه آلهتهم ثم استثنى عيسى وعزيرا والملائكة بقوله (الا من شهد بالحق) لانهم عبدوا من دون الله ولهم شفاعة وقيل المراد بالذين يدعون من دونه عيسى وعزير والملائكة فان الله تعالى لا يملك لاحد من هؤلاء الشفاعة الا من شهد بالحق وهي كلمة الاخلاص وهي لا اله الا الله فمن شهدها بقلبه شفعوا له وهو قوله (وهم يعلمون) أي بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم وقيل يعلمون ان الله عز وجل خلق عيسى وعزيرا والملائكة ويعلمون أنهم عباده (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) يعني انهم اذا أقروا بأن الله خالق العالم باسره فكيف قدموا على عبادة غيره (فأنى يؤفكون) أي يصرفون عن عبادته الى غيره (وقيله يارب) يعني قول محمد صلى الله عليه وسلم شاكيا الى ربه يارب (ان هؤلاء قوم لا يؤمنون) قال ابن عباس شكا الى الله تعالى تخلف قومه عن الايمان وقال قتادة هذا نبيكم يشكو قومه الى ربه (فاصفح عنهم) أي أعرض عنهم وفي ضمنه منعه من ان يدعو عليهم بالعذاب (وقل سلام) معناه المتاركة وقيل معناه قل خيرا بدلا من شرهم (فسوف يعلمون) أي عاقبة كفرهم وفيه تهديد لهم وقيل معناه يعلمون أنك صادق قال مقاتل نسختها آية السيف والله تعالى أعلم

(تفسير سورة الدخان وهي مكية وهي سبع وقيل تسع وخمسون آية وثلثمائة وست وأربعون كلمة وألف وأربعمائة واحد وثلاثون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم والكتاب المبين) أى القرآن الواو فى والكتاب واو القسم ان جعلت حم تعديد اللحروف او اسماللسورة مرفوعا على خبر الابتداء المحذوف وواو العطف ان كانت حم مقسما بها وجواب القسم (انا أنزلناه فى ليلة مباركة) اى ليلة القدر أو ليلة النصف من شعبان وقيل بينها و بين ليلة القدر اربعون ليلة والجمهور على الاول لقوله انا أنزلناه فى ليلة القدر وقوله شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن وليلة القدر فى أكثر الاقاويل فى شهر رمضان ثم قالوا أنزله جملة من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا ثم نزل به جبريل فى وقت وقوع الحاجة الى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ابتداء نزوله فى ليلة القدر والمباركة الكثيرة الخير لما ينزل فيها من الخير والبركة و يستجاب من الدعاء ولو لم يوجد فيها الا انزال القرآن وحده لكفى به بركة (انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر) هما جملتان مستأنفتان ملفوفتان فسر بهما جواب القسم كانه قيل أنزلناه لان من شأننا الانذار و التحذير من العقاب وكان انزالنا اياه ١٤٤ فى هذه الليلة خصوصا لان انزال القرآن من الامور الحكيمة وهذه الليلة مفرق كل امر حكيم ومعنى يفرق يفصل و يكتب كل امر من ارزاق العباد وآجالهم وجميع امورهم من هذه الليلة الى ليلة القدر التى تجىء فى السنة المقبلة (حكيم) ذى حكمة أى مفعول على ما تقتضيه الحكمة وهو من الاسناد المجازى لان الحكيم صفة صاحب الامر على الحقيقة ووصف الامر به مجازا (امرا من عندنا) نصب على الاختصاص جعل كل امر جزلا فخما بأن وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة وفخامة بأن قال أعنى بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا كما اقتضاه علمنا وتدبيرنا (انا كنا مرسلين) بدل من انا كنا منذرين (رحمة من ربك) مفعول له على معنى انا انزلنا القرآن لان من شأننا وعادتنا ارسال الرسل بالكتب الى عبادنا لاجل الرحمة عليهم أو تعليل لقوله أمرا من عندنا اى ورحمة مفعول به وقد وصف الرحمة بالارسال كما وصفها به فى قوله وما يمسك فلا مرسل له من بعده والاصل انا كنا مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر موضع الضمير ايذانا بأن الربوبية تقتضى الرحمة على المربوبين (انه هو السميع) لاقوالهم (العليم) بأحوالهم (رب) كوفى بدل من ربك وغيرهم بالرفع أى هو رب (السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين) ومعنى الشرط انهم كانوا يقرون بأن للسموات والارض ربا وخالقا فقيل لهم ان ارسال الرسل وانزال الكتب رحمة من الرب ثم قيل ان هذا الرب هو السميع العليم الذى أنتم مقرون به ومعترفون بانه رب السموات والارض وما بينهما ان كان اقراركم عن علم وايقان كما تقول ان هذا انعام زيد الذى تسامع الناس بكرمه ان بلغك حديثه وحدثت بقصته (لا اله الا هو يحيى و يميت هو ربكم) أى هو ربكم (ورب آبائكم الاولين) عطف عليه ثم رد أن يكونوا موقنين بقوله (بل هم فى شك)

قوله عزوجل (حم والكتاب المبين) أى المبين ما يحتاج الناس اليه من حلال وحرام وغير ذلك من الاحكام (انا أنزلناه فى ليلة مباركة) قيل هى ليلة القدر انزل الله تعالى فيها القرآن جملة من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا ثم نزل به جبريل نجوما على حسب الوقائع فى عشرين سنة وقيل هى ليلة النصف من شعبان عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى ينزل ليلة النصف من شعبان الى سماء الدنيا فيغفر لاكثر من عدد شعر غنم كلب أخرجه الترمذى (انا كنا منذرين) أى مخوفين عقابنا (فيها) أى فى تلك الليلة المباركة (يفرق) أى يفصل (كل أمر حكيم) أى محكم قال ابن عباس يكتب من أم الكتاب فى ليلة القدر ما هو كائن فى السنة من الخير والشر والارزاق والآجال حتى الحجاج يقال يحج فلان ويحج فلان وقيل هى ليلة النصف من شعبان يبرم فيها امر السنة و ينسخ الاحياء من الاموات وروى البغوى بسنده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال تقطع الآجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه فى الموتى وعن ابن عباس ان الله يقضى الاقضية فى ليلة النصف من شعبان و يسلمها الى أربابها فى ليلة القدر (أمرا) أى أنزلناه أمرا (من عندنا انا كنا مرسلين) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ومن قبله من الانبياء (رحمة من ربك) قال ابن عباس رأفة منى بخلقى ونعمة عليهم بما بعثنا اليهم من الرسل وقيل أنزلناه فى ليلة مباركة رحمة من ربك (انه هو السميع) أى لاقوالهم (العليم) أى باحوالهم (رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين) أى ان الله رب السموات والارض وما بينهما (لا اله الا هو يحيى و يميت ربكم ورب آبائكم الاولين) قوله تعالى (بل هم فى شك)

أي من هذا القرآن (يلعبون) أي يهزؤن به لاهون عنه (فارتقب) أي يا محمد (يوم تأتي
السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم) (ق) عن مسروق قال كنا جلوسا عند
عبد الله بن مسعود وهو مضطجع بيننا فأتاه رجل فقال يا أبا عبد الرحمن ان قاصا عند
باب كندة يقص ويزعم ان آية الدخان تجيء فتأخذ بأنفاس الكفار ويأخذ المؤمنين
منها كهيئة الزكام فقام عبد الله وجلس وهو غضبان فقال يا أيها الناس اتقوا الله من
علم منكم شيأ فليقل به ومن لا يعلم شيأ فليقل الله أعلم فان من العلم أن يقول لما لا يعلم
الله أعلم فان الله عز وجل قال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا
من المتكلفين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى من الناس ادبارا قال اللهم سبعا
كسبع يوسف وفي رواية لما دعا قريشا فكذبوه واستعصوا عليه قال اللهم اعني عليهم
بسبع كسبع يوسف فأخذتهم سنة حصت كل شئ حتى أكلوا الجلود والميتة من الجوع
وينظر أحدهم الى السماء فيرى كهيئة الدخان فأتاه أبو سفيان فقال يا محمد انك جئت
تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم قال الله عز وجل
فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين الى قوله عائدون قال عبد الله أفيكشف عذاب
الآخرة يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون فالبطشة يوم بدر وفي رواية للبخاري
قالوا (ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون) فقيل له ان كشفناه عنهم عادوا فدعا ربه
فكشف عنهم فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر فذلك قوله تعالى فارتقب يوم تأتي السماء
بدخان مبين الى قوله انا منتقمون قوله حصت كل شئ بالحاء والصاد المهملتين أي
أهلكت واستأصلت كل شئ (ق) عن عبد الله بن مسعود قال خمس قد مضين اللزام
والروم والبطشة والقمر والدخان قيل أصابهم من الجوع كالظلمة في ابصارهم وسبب
ذلك ان في سنة القحط العظيم تيبس الارض بسبب انقطاع المطر ويرتفع الغبار ويظلم الهواء
والجو وذلك يشبه الدخان وقيل هو دخان يجيء قبل قيام الساعة ولم يأت بعد فيدخل
في أسماع الكفار والمنافقين حتى يكون الرجل رأسه كالرأس الحنيذ يعني المشوي
ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت أوقد فيه وهو قول
ابن عباس وابن عمر والحسن يدل عليه ما روى البغوي باسناد الثعلبي عن حذيفة بن
اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الآيات الدخان ونزول عيسى بن مريم
ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر تقيل معهم اذا قالوا قال حذيفة
يا رسول الله وما الدخان فتلا هذه الآية يوم تأتي السماء بدخان مبين يملأ ما بين المشرق
والمغرب يمكث أربعين يوما وليلة أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكام وأما الكافر
كمنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره (أنى لهم الذكرى) أي كيف
يتذكرون ويتعظون بهذه الحالة (وقد جاءهم رسول مبين) معناه وقد جاءهم ما هو
أعظم وادخل في وجوب الطاعة وهو ما ظهر على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم من
المعجزات الظاهرات والآيات البينات الباهرات (ثم تولوا عنه) أي اعرضوا عنه

يلعبون) فان اقرارهم غير
صادر عن علم وايقان بل قول
مخلوط بهزؤ ولعب (فارتقب)
فانتظر (يوم تأتي السماء بدخان)
يأتي دخان من السماء قبل
يوم القيامة يدخل في اسماع
الكفرة حتى يكون رأس
الواحد كالرأس الحنيذ ويعتري
المؤمن منه كهيئة الزكام
وتكون الارض كلها كبيت
أوقد فيه ليس فيه خصاص
وقيل ان قريشا لما استعصت
على رسول الله صلى الله عليه
وسلم دعا عليهم فقال اللهم
اشدد وطأتك على مضر
واجعلها عليهم سنين كسني
يوسف فأصابهم الجهد حتى
أكلوا الجيف والعلهز وكان
الرجل يرى بين السماء
والارض الدخان وكان يحدث
الرجل فيسمع كلامه ولا يراه
من الدخان (مبين) ظاهر حاله
لا يشك أحد في انه دخان
(يغشى الناس) يشملهم
ويلبسهم وهو في محل الجر
صفة لدخان وقوله (هذا عذاب
أليم ربنا اكشف عنا العذاب
انا مؤمنون) أي سنؤمن ان
تكشف عنا العذاب منصوب
المحل بفعل مضمر وهو يقولون
ويقولون منصوب المحل على
الحال أي قائلين ذلك (أنى
لهم الذكرى) كيف يذكرون
ويتعظون ويفون بما وعدوه

من الايمان عند كشف العذاب (وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه

وقالوا معلم مجنون) أي وقد جاءهم ما هو أعظم وأدخل في وجوب الاذكار من كشف الدخان وهو ما ظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات والبينات من الكتاب المعجز وغيره فلم يذكروا وتولوا عنه وبهتوه بأن عداسا غلاما أعجميا لبعض ثقيف هو الذي علمه ونسبوه الى الجنون (انا كاشفوا العذاب قليلا) زمانا قليلا أو كشفا قليلا (انكم عائدون) الى الكفر الذي كنتم فيه أو الى العذاب (يوم نبطش البطشة الكبرى) هي يوم القيامة أو يوم بدر (انا منتقمون) أي ننتقم منهم في ذلك اليوم وانتصاب يوم نبطش باذكر أو بما دل عليه انا منتقمون وهو ننتقم لا بمنتقمون لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها (ولقد فتنا قبلهم) قبل هؤلاء المشركين أي فعلنا بهم فعل المختبر ليظهر منهم ما كان باطنا (قوم فرعون وجاءهم رسول كريم) على الله وعلى عباده المؤمنين أو كريم في نفسه حسيب نسيب لان الله تعالى لم يبعث نبيا الا من سراة قومه وكرامهم (أن ادوا الى) هي أن المفسرة لان مجيء الرسل الى من بعث اليهم متضمن لمعنى القول لانه لا يجيئهم الا مبشرا ونذيرا وداعيا الى الله أو المخففة من الثقيلة ومعناه وجاءهم بأن الشأن والحديث ادوا الى سلموا الى (عباد الله) هو مفعول به وهم بنو اسرائيل يقول ادوهم الى وأرسلوهم معي كقوله ارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم ويجوز أن يكون نداء لهم على معنى ادوا الى يا عباد الله ما هو واجب لي عليكم من الايمان لي وقبول دعوتي واتباع سبيلي وعلل ذلك بقوله (اني لكم رسول أمين) أي على رسالتي غير متهم (وأن لا تعلوا على الله) أن هذه مثل الاولى في وجهيها أي لا تستكبروا على الله بالاستهانة برسوله ووحيه أو لا تستكبروا على نبي الله (اني آتيكم بسلطان مبين) بحجة واضحة تدل على اني نبي (واني عذت) مدغم أبو عمرو وحمزة وعلي (بربي وربكم أن ترجمون) أن تقتلوني رجما ومعناه انه عائذ به متوكل على انه يعصمه منهم ومن كيدهم فهو غير مبال بما كانوا يتوعدونه من الرجم والقتل (وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون) أي ان لم تؤمنوا لي فلا موالاة بيني وبين من لا يؤمن فتنحوا عني أو فخلوني كفافا لا لي ولا علي ولا تتعرضوا لي بشركم واذاكم فليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم ذلك ترجموني فاعتزلوني في الحالين يعقوب (فدعا ربه) شاكيا قومه (أن هؤلاء قوم مجرمون) بأن هؤلاء أي دعا ربه بذلك قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وقرئ ان هؤلاء بالكسر على اضمار القول أي فدعا ربه فقال ان هؤلاء (فأسر) من أسرى فاسر بالوصل حجازي من سرى والقول مضمر بعد الفاء أي فقال أسر (بعبادي) أي بني اسرائيل (ليلا انكم متبعون) أي دبر الله أن تتقدموا ويتبعكم فرعون وجنوده فينجي المتقدمين ويغرق التابعين (واترك البحر رهوا) ساكنا أراد موسى عليه السلام لما جاوز البحر أن يضربه بعصاه فينطبق فأمر بأن يتركه ساكنا على هيئته قارا على حاله من انتصاب الماء وكون الطريق يبسا لا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيأ ليدخله القبط فاذا حصلوا فيه أطبقه الله عليهم وقيل الرهو الفجوة الواسعة أي اتركه مفتوحا على حاله منفرجا

(وقالوا معلم) اي يعلمه بشر (مجنون) أي تلقي اليه الجن هذه الكلمات حال ما يعرض له الغشي (انا كاشفوا العذاب) اي الجوع (قليلا) أي زمنا يسيرا قيل الى يوم بدر (انكم عائدون) أي الى كفركم (يوم نبطش البطشة الكبرى) هو يوم بدر (انا منتقمون) اي منكم في ذلك اليوم وهو قول ابن مسعود وأكثر العلماء وفي رواية عن ابن عباس انه يوم القيامة قوله تعالى (ولقد فتنا قبلهم) أي قبل هؤلاء (قوم فرعون وجاءهم رسول كريم) اي على الله وهو موسى بن عمران عليه السلام (أن ادوا الى عباد الله) أي أطلقوا الى بني اسرائيل ولا تعذبوهم (اني لكم رسول أمين) أي على الوحي (وأن لا تعلوا على الله) اي لا تتجبروا عليه بترك طاعته (اني آتيكم بسلطان مبين) اي ببرهان بين على صدق قولي فلما قال ذلك توعدوه بالقتل فقال (واني عذت بربي وربكم أن ترجمون) اي تقتلون وقال ابن عباس تشتمون وتقولوا هو ساحر وقيل ترجموني بالحجارة (وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون) أي فاتركون لا معي ولا علي وقال ابن عباس اعتزلوا أذاي باليد واللسان فلم يؤمنوا (فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون) أي مشركون (فاسر بعبادي ليلا) أي اجاب الله دعاءه وأمره أن يسري ببني اسرائيل بالليل (انكم متبعون) أي يتبعكم فرعون وقومه (واترك البحر) أي اذا قطعته انت واصحابك (رهوا) اي ساكنا والمعنى لا تأمره أن يرجع بل اتركه على حالته حتى يدخله فرعون وقومه وقيل اتركه طريقا يابسا وذلك أنه لما قطع موسى البحر رجع ليضربه بعصاه ليلتئم وخاف

(انهم جند مغرقون) بعد خروجكم من البحر وقرئ بالفتح أي لانهم (كم) عبارة عن الكثرة منصوب بقوله (تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم) هو ما كان لهم من المنازل الحسنة وقيل المنابر (ونعمة) تنعم (كانوا فيها فاكهين) متنعمين (كذلك) أي الامر كذلك فالكاف في موضع الرفع على انه خبر مبتدا مضمر (وأورثناها قوما آخرين) ليسوا منهم في شيء من قرابا ولادين ولاولاء وهم بنو اسرائيل (فما بكت عليهم السماء والارض) لانهم ماتوا كفارا والمؤمن اذا مات تبكي عليه السماء والارض فيبكي على المؤمن من الارض مصلاه ومن السماء مصعد عمله وعن الحسن أهل السماء والارض (وما كانوا منظرين) أي لم ينظروا الى وقت آخر ولم يمهلوا (ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين) ١٤٧ أي الاستخدام والاستعباد وقتل الاولاد

(من فرعون) بدل من العذاب المهين باعادة الجار كانه في نفسه كان عذابا مهينا لافراطه في تعذيبهم واهانتهم أو خبر مبتدا محذوف أي ذلك من فرعون (انه كان عاليا) متكبرا (من المسرفين) خبر ثان أي كان متكبرا مسرفا (ولقد اخترناهم) أي بني اسرائيل (على علم) حال من ضمير الفاعل أي عالمين بمكان الخيرة وبانهم احقاء بان يختاروا (على العالمين) على عالمي زمانهم (وآتيناهم من الآيات) كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك (ما فيه بلاء مبين) نعمة ظاهرة أو اختبار ظاهر لننظر كيف يعملون (ان هؤلاء) يعني كفار قريش (ليقولون ان هي) ما الموتة (الا موتتنا الاولى) والاشكال أن الكلام وقع في الحياة الثانية لا في الموت فهلا قيل ان هي الا حياتنا الدنيا وما معنى ذكر الاولى كانهم وعدوا موتة أخرى حتى جحدوها واثبتوا الاولى والجواب انه قيل لهم انكم تموتون موتة تتعقبها حياة كما تقدمتكم موتة قد تعقبتها حياة وذلك قوله تعالى وكنتم أمواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فقالوا ان هي الا موتتنا الاولى يريدون ما الموتة التي من شأنها أن تتعقبها حياة الا الموتة الاولى فلا فرق اذا بين هذا وبين قوله الا حياتنا الدنيا في المعنى ويحتمل أن يكون هذا انكارا لما في قوله ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين (وما نحن بمنشرين) بمبعوثين يقال انشر الله الموتى ونشرهم اذا بعثهم (فأتوا بآبائنا) خطاب للذين كانوا يعدونهم النشور من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (ان كنتم صادقين) أي ان صدقتم فيما تقولون فعجلوا لنا احياء من مات من آبائنا بسؤالكم ربكم حتى يكون دليلا على ان ما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى حق

ان يتبعه فرعون بجنوده فقيل لموسى اترك البحر كما هو (انهم جند مغرقون) يعني اخبر موسى بغرقهم ليطمئن قلبه في تركه البحر كما هو (كم تركوا) أي بعد الغرق (من جنات وعيون وزروع ومقام كريم) أي مجلس شريف حسن (ونعمة) أي وعيش لين رغد (كانوا فيها) أي في تلك النعمة (فاكهين) أي ناعمين وقرئ فكهين أي اشرين بطرين (كذلك) اي أفعل بمن عصاني (وأورثناها قوما آخرين) يعني بني اسرائيل (فما بكت عليهم السماء والارض) وذلك ان المؤمن اذا مات تبكي عليه السماء والارض أربعين صباحا وهؤلاء لم يكن يصعد لهم عمل صالح فتبكي السماء على فقده ولا لهم على الارض عمل صالح فتبكي الارض عليه * عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مؤمن الا وله بابان باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فاذا مات بكيا عليه فذلك قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين أخرجه الترمذي وقال حديث غريب لا نعرفه مرفوعا الا من هذا الوجه قيل بكاء السماء حمرة أطرافها وقال مجاهد ما مات مؤمن الا بكت عليه السماء والارض أربعين صباحا فقيل أو تبكي فقال وما للارض لا تبكي على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتسبيحه وتكبيره فيها دوي كدوي النحل وقيل المراد أهل السماء وأهل الارض (وما كانوا منظرين) أي لم يمهلوا حين أخذهم العذاب لتوبة ولا لغيرها قوله عز وجل (ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين) أي من قتل الابناء واستحياء النساء والتعب في العمل (من فرعون انه كان عاليا) أي جبارا (من المسرفين ولقد اخترناهم على علم) أي علمه الله تعالى فيهم (على العالمين) أي عالمي زمانهم (وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين) أي نعمة بينة من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى والنعم التي أنعمنا بها عليهم وقيل ابتلاؤهم بالرخاء والشدة (ان هؤلاء) يعني مشركي مكة (ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى) اي لا موتة لنا الا هذه التي نموتها في الدنيا ولا بعث بعدها وهو قوله (وما نحن بمنشرين) أي بمبعوثين بعد موتتنا هذه (فأتوا بآبائنا) أي الذين ماتوا قبل (ان كنتم صادقين) اي انا نبعث احياء بعد الموت قيل طلبوا

من النبي صلى الله عليه وسلم أن يحيي لهم قصي بن كلاب ثم خوفهم مثل عذاب الامم الخالية فقال تعالى (أهم خير أم قوم تبع) أي ليسوا خيرا من قوم تبع يعني في الشدة والقوة والكثرة قيل هو تبع الحميري وكان من ملوك اليمن سمي تبعا لكثرة اتباعه وقيل كل واحد من ملوك اليمن يسمى تبعا لانه يتبع صاحبه الذي قبله كما يسمى في الاسلام خليفة وكان تبع هذا يعبد النار فأسلم ودعا قومه وهم حمير الى الاسلام فكذبوه * عن سهل بن سعد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تسبوا تبعا فانه كان قد أسلم اخرجه أحمد بن حنبل في مسنده وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أدري أكان تبع نبيا أو غير نبي وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت لا تسبوا تبعا فانه كان رجلا صالحا * وكان من قصته على ماذكر محمد بن اسحق وغيره وذكره عكرمة عن ابن عباس قالوا كان تبع الآخر وهو أبو كرب أسعد بن مليك وكان سار بالجيوش نحو المشرق حتى حير الحيرة وبنى سمرقند ورجع من قبل المشرق فجعل طريقه على المدينة وقد كان حين مر بها خلف بين أظهرهم ابنا له فقتل غيلة فقدمها وهو مجمع على خرابها واستئصال أهلها فجمع له هذا الحي من الانصار حين سمعوا بذلك من أمره فخرجوا لقتاله فكان الانصار يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل فأعجبه ذلك وقال ان هؤلاء لكرام فبينما هو كذلك اذ جاءه حبران عالمان من أحبار بني قريظة وكانا ابني عم اسم أحدهما كعب والآخر أسد حين سمعا ما يريد من اهلاك المدينة وأهلها فقالا له أيها الملك لا تفعل فانك ان أبيت الا ما تريد حيل بينك وبينه ولم نأمن عليك عاجل العقوبة فان هذه المدينة مهاجر نبي يخرج من هذا الحي من قريش اسمه محمد مولده بمكة وهذه دار هجرته ومنزلك الذي أنت فيه يكون به من القتل والجراح أمر كبير في أصحابه وفي عدوهم قال تبع ومن يقاتله وهو نبي قالا يسير اليه قومه فيقتتلون ههنا فتناهى لقولهما عما كان يريد بالمدينة ثم انهما دعواه الى دينهما فأجابهما واتبعهما على دينهما وأكرمهما وانصرف عن المدينة وخرج بهما ونفر من اليهود عامدين الى اليمن فأتاه في الطريق نفر من هذيل وقالوا له انا ندلك على بيت فيه كنز من لؤلؤ وزبرجد وفضة قال اي بيت هذا قالوا بيت بمكة وانما أراد هذيل هلاكه لانهم عرفوا انه لم يرده أحد بسوء الا هلك فذكر الملك ذلك للاحبار فقالوا ما نعلم لله في الارض بيتا غير هذا البيت الذي بمكة فاتخذه مسجدا وانسك عنده وانحر واحلق رأسك وما أراد القوم الا هلاكك وما ناواه أحد قط الا هلك فأكرمه واصنع عنده ما يصنعه أهله فلما قالوا له ذلك أخذ أولئك النفر من هذيل فقطع ايديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ثم صلبهم فلما قدم مكة شرفها الله تعالى نزل بالشعب شعب المطابخ وكسا البيت الوصائل وهي برود تصنع باليمن وهو أول من كسا البيت ونحر بالشعب ستة آلاف بدنة وأقام به ستة أيام وطاف به وحلق وانصرف فلما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه وبين ذلك وقالوا له لا تدخلها علينا وأنت قد فارقت ديننا فدعاهم الى دينه وقال انه دين خير من دينكم قالوا فحاكمنا الى النار وكانت باليمن نار في أسفل جبل يتحاكمون اليها فيما يختلفون فيه فتأكل الظالم

(أهم خير) في القوة والمنعة (أم قوم تبع) هو تبع الحميري كان مؤمنا وقومه كافرين وقيل كان نبيا وفي الحديث ما أدري أكان تبع نبيا أو غير نبي

(والذين من قبلهم) مرفوع بالعطف على قوم تبع (اهلكناهم انهم كانوا مجرمين) كافرين منكرين للبعث (وماخلقنا السموات والارض ومابينهما) أي ومابين الجنسين (لاعبين) حال ولو لم يكن بعث ولاحساب ولاثواب كان خالق الخلق للفناء خاصة فيكون لعبا (ماخلقناهما الا بالحق) بالجد ضد اللعب (ولكن أكثرهم لايعلمون) انه خالق لذلك (ان يوم الفصل) بين المحق والمبطل وهو يوم القيامة (ميقاتهم أجمعين) وقت موعدهم كلهم (يوم لايغني مولى عن مولى شيأ) أي ولى كان عن أي ولى كان شيأ من اغناء اي قليلا منه (ولاهم ينصرون) الضمير للموالي لانهم في المعنى كثير لتناول اللفظ على الابهام والشياع كل مولى (الا من رحم الله) في محل الرفع على البدل من الواو في ينصرون أي لايمنع من العذاب الامن رحمه الله (انه هو العزيز) الغالب على اعدائه (الرحيم) لاوليائه (ان شجرت الزقوم) هي على صورة شجر الدنيا لكنها في النار والزقوم ثمرها وهو كل طعام ثقيل (طعام الاثيم) هو الفاجر الكثير الآثام وعن ابي الدرداء انه كان يقرئ رجلا فكان يقول طعام اليتيم فقال قل طعام الفاجر ياهذا وبهذا يستدل على ان ابدال الكلمة مكان الكلمة جائز اذا كانت مؤدية معناها ومنه أجاز ابو حنيفة رضي الله عنه القراءة بالفارسية بشرط ان يؤدي القارئ المعاني كلها على كمالها من غير ان يخرم منها شيأ قالوا وهذه الشريطة تشهد انها اجازة كلا اجازة لان في كلام العرب خصوصا في القرآن الذي هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه وأساليبه من لطائف المعاني والدقائق مالايستقل بادائه لسان من فارسية وغيرها ويروى رجوعه الى قولهما وعليه الاعتماد (كالمهل) هو دردي الزيت والكاف رفع خبر بعد خبر (تغلي في البطون) وبالياء مكي وحفص فالتاء للشجرة والياء للطعام (كغلي الحميم) أي الماء الحار الذي انتهى غليانه ومعناه غليا كغلي الحميم فالكاف منصوب المحل ثم يقال للزبانية (خذوه) أي الاثيم (فاعتلوه) فقودوه بعنف وغلظة فاعتلوه مكي ونافع وشامي وسهل ويعقوب (الى سواء الجحيم) الى وسطها ومعظمها (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) المصبوب هو الحميم لاعذابه الا انه اذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدته وصب العذاب استعارة ويقال له

ولاتضر المظلوم قال تبع أنصفتم فخرج القوم باوثانهم ومايتقربون به في دينهم وخرج الحبران ومصاحفهما في أعناقهما حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذي تخرج منه فخرجت النار فأقبلت حتى غشيتهم فأكلت الاوثان وماقربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير وخرج الحبران بمصاحفهما يتلوان التوراة تعرق جباههما لم تضرهما النار ونكصت النار حتى رجعت الى مخرجها الذي خرجت منه فاصفقت عند ذلك حمير على دينهما فمن هنالك كان أصل اليهودية باليمن وقال الرقاشي كان أبو كرب أسعد الحميري من التبابعة ممن آمن بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث بسبعمائة سنة وقال كعب ذم الله قومه ولم يذمه قوله تعالى (والذين من قبلهم) أي من الامم الكافرة (أهلكناهم انهم كانوا مجرمين وماخلقنا السموات والارض ومابينهما لاعبين ماخلقناهما الا بالحق) أي بالعدل وهو الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية (ولكن أكثرهم لايعلمون) قوله عزوجل (ان يوم الفصل) أي الذي يفصل الله فيه بين العباد (ميقاتهم اجمعين) أي يوافي يوم القيامة الاولون والآخرون (يوم لايغني مولى عن مولى شيأ) أي لاينفع قريب قريبه ولايدفع عنه شيأ (ولاهم ينصرون) أي يمنعون من عذاب الله (الا من رحم الله) يعني المؤمنين فانه يشفع بعضهم لبعض (انه هو العزيز) أي في انتقامه من أعدائه (الرحيم) أي باوليائه المؤمنين قوله تعالى (ان شجرت الزقوم طعام الاثيم) أي ذي الاثم وهو أبو جهل (كالمهل) أي كدردي الزيت الاسود (يغلي في البطون) أي في بطون الكفار (كغلي الحميم) يعني كالماء الحار اذا اشتد غليانه عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب الى وجهه سقطت فروة وجهه فيه أخرجه الترمذي وقال لانعرفه الامن حديث رشدين بن سعد وقد تكلم فيه من قبل حفظه عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن الا وأنتم مسلمون ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوان قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لافسدت على اهل الدنيا معايشهم فكيف بمن تكون طعامه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله تعالى (خذوه) اي يقال للزبانية خذوه يعني الاثيم (فاعتلوه) اي ادفعوه وسوقوه بالعنف (الى سواء الجحيم) اي الى وسط النار (ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم) قيل ان خازن النار يضرب على راسه فينقب راسه من دماغه ثم يصب فيه ماء

(ذق انك انت العزيز الكريم) على سبيل الهزء والتهكم أنك أي لانك على (ان هذا) اى العذاب أو هذا الامر هو (ما كنتم به تمترون) تشكون (ان المتقين في مقام) بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان وهو من الخاص الذي وقع مستعملا في معنى العموم و بالضم مدني وشامي وهو موضع الاقامة (امين) من امن الرجل امانة فهو امين وهو ضد الخائن فوصف به المكان استعارة لان المكان المخيف كانما يخوف صاحبه بما يلقى فيه من المكاره (في جنات وعيون) بدل من مقام أمين (يلبسون من سندس) مارق من الديباج (واستبرق) ماغلظ منه وهو تعريب استبرو اللفظ اذا عرب خرج من أن يكون عجميا لان معنى التعريب أن يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجرائه على أوجه الاعراب فساغ ان يقع في القرآن العربي (متقابلين) في مجالسهم وهو اتم للانس (كذلك) الكاف مرفوعة أي الامر كذلك (وزوجناهم) وقرناهم ولهذا عدي بالباء (بحور) جمع حوراء وهي الشديدة سواد العين والشديدة بياضها (عين) جمع عيناء وهي واسعة العين (يدعون فيها) يطلبون في الجنة (بكل فاكهة آمنين) من الزوال والانقطاع وتولد الضرر من الاكثار (لا يذوقون فيها) أي في الجنة (الموت) البتة (الا الموتة الاولى) أي سوى الموتة الاولى التي ذاقوها في الدنيا وقيل لكن الموتة قد ذاقوها في الدنيا (ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك) أي للفضل فهو مفعول له أو مصدر مؤكد لما قبله لان قوله ووقاهم عذاب الجحيم تفضل منه لهم لان العبد لا يستحق على الله شيأ (ذلك) أي صرف العذاب ودخول الجنة (هو الفوز العظيم فانما يسرناه) اى الكتاب وقد جرى ذكره في اول السورة (بلسانك لعلهم يتذكرون) يتعظون (فارتقب) فانتظر مايحل بهم (انهم مرتقبون) منتظرون مايحل بك من الدوائر

صلى

الحميم ما قد انتهى حره ثم يقال له (ذق) اى هذا العذاب (انك انت العزيز الكريم) اى عند قومك بزعمك وذلك ان اباجهل لعنه الله كان يقول انا اعز اهل الوادي واكرمهم فيقول له خزنة النار هذا على طريق الاستخفاف والتوبيخ (ان هذا ما كنتم به تمترون) اى تشكون فيه ولا تؤمنون به ثم ذكر مستقر المتقين فقال تعالى (ان المتقين في مقام امين) اى في مجلس امنوا فيه من الغير (في جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق) قيل السندس مارق من الديباج والاستبرق ماغلظ منه وهو معرب استبر فان قلت كيف ساغ ان يقع في القرآن العربي المبين لفظ اعجمي قلت اذا عرب خرج من ان يكون اعجميا لان معنى التعريب ان يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجرائه على اوجه الاعراب (متقابلين) اى يقابل بعضهم بعضا (كذلك) اى كما اكرمناهم بما وصفنا من الجنات والعيون واللباس كذلك (و) اكرمناهم بان (زوجناهم بحور عين) اى قرناهم بهن وليس هو من عقد التزويج وقيل جعلناهم ازواجا لهن اى جعلناهم اثنين اثنين والحور من النساء النقيات البيض وقيل يحار الطرف من بياضهن وصفاء لونهن وقيل الحور الشديدات بياض العينين (يدعون فيها بكل فاكهة) يعني ارادوها واشتهوها (آمنين) اى من نفادها ومن مضرتها وقيل آمنين فيها من الموت والاوصاب والشيطان (لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى) اى لا يذوقون في الجنة الموت البتة سوى الموتة التي ذاقوها في الدنيا وقيل الا بمعنى لكن وتقديره لا يذوقون فيها الموت لكن الموتة الاولى قد ذاقوها وقيل انما استثنى الموتة من موت الجنة لان السعداء حين يموتون يصيرون بلطف الله الى اسباب الجنة يلقون الروح والريحان ويرون منازلهم في الجنة فكان موتهم في الدنيا كانه في الجنة لاتصالهم باسبابها ومشاهدتهم اياها (ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك) يعني كل ما وصل اليه المتقون من الخلاص من عذاب النار والفوز بالجنة انما حصل لهم ذلك بفضل الله تعالى وفعل ذلك بهم تفضلا منه (ذلك هو الفوز العظيم فانما يسرناه بلسانك) اى سهلنا القرآن على لسانك كناية عن غير مذكور (لعلهم يتذكرون) اى يتعظون (فارتقب) اى فانتظر النصر من ربك وقيل انتظر لهم العذاب (انهم مرتقبون) اى منتظرون قهرك بزعمهم وقيل منتظرون موتك قيل هذه الآية منسوخة بآية السيف * عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان في ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعمر بن خثعم احد رواته وهو ضعيف وقال البخاري هو منكر الحديث وعنه قال قال رسول الله

(سورة الجاثية مكية وهي سبع وثلاثون آية) (بسم الله الرحمن الرحيم حم) ان جعلتها اسما للسورة فهي مرفوعة بالابتداء والخبر (تنزيل الكتاب من الله) صلة للتنزيل وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدأ والظرف خبرا (العزيز) في انتقامه (الحكيم) في تدبيره (ان في السموات والارض لآيات) لدلالات على وحدانيته ويجوز أن يكون المعنى ان في خلق السموات والارض لآيات (للمؤمنين) دليله قوله (وفي خلقكم) ويعطف (وما يبث من دابة) على الخلق المضاف لان المضاف اليه ضمير مجرور متصل يقبح العطف عليه (آيات) حمزة وعلي بالنصب وغيرهما بالرفع مثل قولك ان زيدا في الدار وعمرا في السوق أو وعمرو في السوق (لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق) أي مطر وسمى به لانه سبب الرزق (فأحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح) الريح حمزة وعلي (آيات لقوم يعقلون) بالنصب علي وحمزة وغيرهما بالرفع وهذا من العطف على عاملين سواء نصبت أو رفعت فالعاملان اذا نصبت ان وفي أقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في واختلاف الليل والنهار والنصب في آيات واذا رفعت فالعاملان الابتداء وفي عملت الرفع في آيات والجر في واختلاف هذا مذهب الاخفش لانه يجوز العطف على عاملين وأما سيبويه فانه لا يجيزه وتخريج الآية عنده أن يكون على اضمار في والذي حسنه تقدم ذكر في في الآيتين قبل هذه الآية ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وفي اختلاف الليل والنهار ويجوز أن ينصب آيات على الاختصاص بعد انقضاء المجرور معطوفا على ما قبله أو على التكرير توكيدا لآيات في الاولى كأنه قيل آيات آيات ورفعها باضمار هي والمعنى في تقديم الآيات على الايقان وتوسيطه وتأخير الآخر أن المنصفين من العباد اذا نظروا في السموات والارض نظرا صحيحا علموا أنها مصنوعة وانه لابد لها من صانع فآمنوا بالله فاذا نظروا في خلق أنفسهم وتنقلها من حال الى حال وفي خلق ما ظهر على الارض من صنوف الحيوان ازدادوا ايمانا وأيقنوا فاذا نظروا في سائر الحوادث التي تتجدد في كل وقت كاختلاف الليل والنهار ونزول الامطار وحياة الارض بعد موتها وتصريف الرياح جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا عقلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم (تلك) اشارة الى الآيات المتقدمة أي تلك الآيات (آيات الله) وقوله (نتلوها) في محل الحال أي متلوة (عليك بالحق) والعامل ما دل عليه تلك من معنى الاشارة (فبأي حديث بعد الله

صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة غفر له أخرجه الترمذي وقال هشام أبو المقدام أحد رواته ضعيف والله أعلم

(سورة الجاثية وتسمى سورة الشريعة وهي مكية وهي سبع وثلاثون آية وأربعمائة وثمانون كلمة وألفان ومائة وأحد وتسعون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان في السموات والارض) أي ان في خلق السموات والارض وهما خلقان عظيمان يدلان على قدرة القادر المختار وهو قوله (لآيات للمؤمنين وفي خلقكم) أي وفي خلق أنفسكم من تراب ثم من نطفة الى أن يصير انسانا ذا عقل وتمييز (وما يبث من دابة) أي وما يفرق في الارض من جميع الحيوانات على اختلاف أجناسها في الخلق والشكل والصورة (آيات) دلالات تدل على وحدانية من خلقها وأنه الاله القادر المختار (لقوم يوقنون) يعني انه لا اله غيره (واختلاف الليل والنهار) يعني بالظلام والضياء والطول والقصر (وما أنزل الله من السماء من رزق) يعني المطر الذي هو سبب أرزاق العباد (فأحيا به) أي بالمطر (الارض بعد موتها) أي بعد يبسها (وتصريف الرياح) أي في مهابها فمنها الصبا والدبور والشمال والجنوب ومنها الحارة والباردة وغير ذلك (آيات لقوم يعقلون) فان قلت ما وجه هذا الترتيب في قوله لآيات للمؤمنين ولقوم يوقنون ويعقلون قلت معناه أن المنصفين من العباد اذا نظروا في هذه الدلائل النظر الصحيح علموا أنها مصنوعة وانه لابد لها من صانع فآمنوا به وأقروا أنه الاله القادر على كل شيء ثم اذا أمعنوا النظر ازدادوا ايقانا وزال عنهم اللبس فحينئذ استحكم علمهم وعدوا في زمرة العقلاء الذين عقلوا عن الله مراده في أسرار كتابه (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله) أي بعد

وآياته) أى بعد آيات الله كقولهم أعجبنى زيد وكرمه يريدون اعجبنى كرم زيد (يؤمنون) حجازى وأبو عمرو وسهل وحفص وبالتاء غيرهم على تقدير قل يا محمد (ويل لكل أفاك) كذاب (أثيم) يبالغ فى اقتراف الآثام (يسمع آيات الله) فى موضع جر صفة (تتلى عليه) حال من آيات الله (ثم يصر) يقبل على كفره و يقيم عليه (مستكبرا) عن الايمان بالآيات والاذعان لما تنطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده قيل نزلت فى النضر بن الحرث وما كان يشترى من أحاديث العجم و يشغل بها الناس عن استماع القرآن والآية عامة فى كل من كان مضارا لدين الله وجىء بثم لان الاصرار على الضلالة والاستكبار عن الايمان عند سماع آيات القرآن مستبعد فى العقول (كأن لم يسمعها) كأن مخففة والاصل كأنه لم يسمعها والضمير ضمير الشان ومحل الجملة النصب على الحال أى يصر مثل غير السامع (فبشره بعذاب أليم) فأخبره خبرا يظهر أثره على البشرة (واذا علم من آياتنا شيأ) واذا بلغه شىء من آياتنا وعلم انه منها (اتخذها) اتخذ الآيات (هزوا) ولم يقل اتخذه للاشعار بانه اذا أحس بشىء من الكلام انه من جملة ١٥٢ الآيات خاض فى الاستهزاء بجميع الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه ويجوز أن يرجع الضمير الى شىء لانه فى معنى الآية كقول أبى العتاهية

نفسى بشىء من الدنيا معلقة
الله والقائم المهدى يكفيها

حيث أراد عتبة (أولئك) اشارة الى كل أفاك أثيم لشموله الافاكين (لهم عذاب مهين) مخز (من ورائهم) من قدامهم الوراء اسم للجهة التى يواريها الشخص من خلف أو قدام (جهنم ولا يغنى عنهم ما كسبوا) من الاموال (شيأ) من عذاب الله (ولا ما اتخذوا) ما فيهما مصدرية أو موصولة (من دون الله) من الاوثان (أولياء ولهم عذاب عظيم) فى جهنم (هذا هدى) اشارة الى القرآن ويدل عليه (والذين كفروا بآيات ربهم) لان آيات ربهم هى القرآن أى هذا القرآن كامل فى الهداية كما تقول زيد رجل أى كامل فى الرجولية (لهم عذاب من رجز) هو أشد العذاب (أليم) بالرفع مكى و يعقوب وحفص صفة لعذاب وغيرهم بالجر صفة لرجز (الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بامره) باذنه (ولتبتغوا من فضله) بالتجارة أو بالغوص على اللؤلؤ والمرجان واستخراج اللحم الطرى (ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا) هو تأكيد ما فى السموات وهو مفعول سخر وقيل جميعا نصب على الحال (منه) حال أى سخر هذه الاشياء كائنة منه حاصلة من عنده أو خبر مبتدا محذوف أى هذه النعم كلها منه أو صفة للمصدر أى تسخيرا منه (ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون قل للذين آمنوا يغفروا) أى قل لهم اغفروا يغفروا فحذف المقول لان الجواب يدل عليه ومعنى يغفروا يعفوا و يصفحوا وقيل انه مجزوم بلام مضمرة تقديره ليغفروا فهو أمر مستأنف وجاز حذف اللام للدلالة على الامر (للذين لا يرجون أيام الله) لا يتوقعون وقائع الله باعدائه من قولهم لوقائع العرب أيام العرب وقيل لا يؤملون الاوقات التى وقتها الله تعالى لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت فى عمر رضى الله عنه حين شتمه رجل من المشركين من بنى غفار فهم أن يبطش به

كتاب الله (وآياته يؤمنون) قوله تعالى (ويل لكل أفاك أثيم) أى كذاب صاحب اثم يعنى النضر بن الحرث (يسمع آيات الله) يعنى آيات القرآن (تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم واذا علم من آياتنا شيأ) يعنى آيات القرآن (اتخذها هزوا) أى سخر منها (أولئك) اشارة الى من هذه صفته (لهم عذاب مهين) ثم وصفهم فقال تعالى (من ورائهم جهنم) يعنى امامهم جهنم وذلك خزيهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة النار (ولا يغنى عنهم ما كسبوا) أى من الاموال (شيأ ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء) أى ولا يغنى عنهم ما عبدوا من دون الله من الآلهة (ولهم عذاب عظيم هذا) يعنى القرآن (هدى) أى هو هدى من الضلالة (والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله) اى بسبب التجارة واستخراج منافعه (ولعلكم تشكرون) نعمته على ذلك (وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض) يعنى انه تعالى خلقها ومنافعها فهى مسخرة لنا من حيث انا ننتفع بها (جميعا منه) قال ابن عباس كل ذلك رحمة منه وقيل كل ذلك تفضل منه واحسان (ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) قوله عز وجل (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله) أى لا يخافون وقائع الله ولا يبالون نقمته قال ابن عباس نزلت فى عمر بن الخطاب وذلك ان رجلا من بنى غفار شتمه بمكة فهم عمر أن يبطش به فأنزل الله هذه الآية وأمره أن يعفو عنه وقيل نزلت فى ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مكة كانوا فى

ليجزى) تعليل للامر بالمغفرة أى انما أمروا بأن يغفروا ليوفيهم جزاء مغفرتهم يوم القيامة وتنكير (قوما) على المدح لهم
كأنه قيل ليجزى أيما قوم وقوما مخصوصين بصبرهم على أذى أعدائهم لنجزى شامى وحمزة وعلى ليجزى قوما يزيد أى ليجزى
الخير قوما فاضمر الخير لدلالة الكلام عليه كما أضمر الشمس فى قوله حتى توارت بالحجاب لان قوله اذ عرض عليه بالعشى دليل
على توارى الشمس وليس التقدير ليجزى الجزاء قوما لان المصدر لا يقوم مقام الفاعل ومعك مفعول صحيح أما اقامة المفعول
الثانى مقام الفاعل فجائز وأنت تقول جزاك الله خيرا (بما كانوا يكسبون) من الاحسان (من عمل صالحا فلنفسه ومن
أساء فعليها) أى لها الثواب وعليها العقاب (ثم الى ربكم ترجعون) أى الى جزائه ١٥٣ (ولقد آتينا بنى اسرائيل
الكتاب) التوراة (والحكم) الحكمة والفقه أو فصل الخصومات بين الناس لان الملك كان فيهم (والنبوة) خصها بالذكر لكثرة الانبياء عليهم السلام فيهم (ورزقناهم من الطيبات) مما أحل الله لهم وأطاب من الارزاق (وفضلناهم على العالمين) على عالمى زمانهم (وآتيناهم بينات) آيات ومعجزات (من الامر) من أمر الدين (فما اختلفوا) فما وقع الخلاف بينهم فى الدين (الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) أى الا من بعد ما جاءهم ما هو موجب لزوال الخلاف وهو العلم وانما اختلفوا للبغى حدث بينهم أى لعداوة وحسد بينهم (ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) قيل المراد اختلافهم فى أوامر الله ونواهيه فى التوراة حسدا وطلبا للرياسة لا عن جهل يكون الانسان به
معذورا (ثم جعلناك) بعد اختلاف أهل الكتاب (على شريعة) على طريقة ومنهاج (من

٢٠ ن ع

الامر) من أمر الدين (فاتبعها) فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج والدلائل (ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) ولا تتبع ما لا حجة
عليه من أهواء الجهال ودينهم المبنى على هوى وبدعة وهم رؤساء قريش حين قالوا ارجع الى دين آبائك (انهم) ان هؤلاء
الكافرين (لن يغنوا عنك من الله شيأ وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين) وهم موالوه وما أبين الفضل
بين الولايتين (هذا) أى القرآن (بصائر للناس) جعل ما فيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر فى القلوب كما جعل روحا
وحياة (وهدى) من الضلالة (ورحمة) من العذاب (لقوم يوقنون) لمن آمن وأيقن بالبعث (أم حسب الذين) أم منقطعة
ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان (اجترحوا السيئات) اكتسبوا المعاصى والكفر ومنه الجوارح وفلان جارحة أهله أى
كاسبهم (أن نجعلهم) أن نصيرهم وهو من جعل المتعدى الى مفعولين فأولهما الضمير والثانى الكاف فى (كالذين آمنوا وعملوا

أذى شديد من المشركين قبل أن يؤمروا بالقتال فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية ثم نسخها بآية القتال (ليجزى قوما بما كانوا يكسبون)
أى من الاعمال ثم فسر ذلك فقال تعالى (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم الى
ربكم ترجعون) قوله تعالى (ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب) يعنى التوراة (والحكم)
يعنى معرفة أحكام الله (والنبوة ورزقناهم من الطيبات) أى الحلالات وهو ما وسع
عليهم فى الدنيا وأورثهم أموال قوم فرعون وديارهم وأنزل عليهم المن والسلوى
(وفضلناهم على العالمين) أى على عالمى زمانهم قال ابن عباس لم يكن أحد من العالمين فى
زمانهم أكرم على الله ولا أحب اليه منهم (وآتيناهم بينات من الامر) أى بيان الحلال
والحرام وقيل العلم بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم وما بين لهم من أمره (فما اختلفوا الا من
بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) معناه التعجب من حالهم وذلك لان حصول العلم يوجب
ارتفاع الاختلاف وهنا صار مجىء العلم سببا لحصول الاختلاف وذلك انه لم يكن
مقصودهم من العلم نفس العلم وانما كان مقصودهم منه طلب الرياسة والتقدم ثم انهم
لما علموا عاندوا وأظهروا النزاع والحسد والاختلاف (ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة
فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك) يا محمد (على شريعة) أى على طريقة ومنهاج
وسنة بعد موسى (من الامر) أى من الدين (فاتبعها) أى اتبع شريعتك الثابتة (ولا
تتبع أهواء الذين لا يعلمون) يعنى مراد الكافرين وذلك انهم كانوا يقولون له ارجع الى
دين آبائك فانهم كانوا أفضل منك قال تعالى (انهم لن يغنوا عنك من الله شيأ) أى لن
يدفعوا عنك من عذاب الله شيأ ان اتبعت أهواءهم (وان الظالمين بعضهم أولياء بعض)
يعنى ان الظالمين يتولى بعضهم بعضا فى الدنيا ولا ولى لهم فى الآخرة (والله ولى المتقين)
أى هو ناصرهم فى الدنيا ووليهم فى الآخرة (هذا) يعنى القرآن (بصائر للناس) أى معالم
الناس فى الحدود والاحكام يبصرون به (وهدى ورحمة لقوم يوقنون أم حسب الذين
اجترحوا السيئات) أى اكتسبوا المعاصى والكفر (أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا

الصالحات) والجملة التي هي (سواء محياهم ومماتهم) بدل من الكاف لان الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت في حكم المفرد سواء علي وحمزة وحفص بالنصب على الحال من الضمير في نجعلهم ويرتفع محياهم ومماتهم بسواء وقرأ الاعمش ومماتهم بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين كمقدم الحاج أي سواء في محياهم وفي مماتهم والمعنى انكار أن يستوي المسيؤن والمحسنون محيا وان يستووا مماتا لافتراق أحوالهم احياء حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعة وأولئك على اقتراف السيآت ومماتا حيث مات هؤلاء على البشرى بالرحمة والكرامة وأولئك على اليأس من الرحمة والندامة وقيل معناه انكار أن يستووا في الممات كما استووا في الحياة في الرزق والصحة وعن تميم الداري رضي الله عنه انه كان يصلي ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه الآية فجعل يبكي ويردد الى الصباح ١٥٤ وعن الفضيل انه بلغها فجعل يرددها ويبكي ويقول يافضيل ليت شعري من أي الفريقين أنت (ساء ما يحكمون) بئس ما يقضون اذحسبوا أنهم كالمؤمنين فليس من أقعد على بساط الموافقة كمن أقعد في مقام المخالفة بل نفرق بينهم فنعلي المؤمنين ونخزي الكافرين (وخلق الله السموات والارض بالحق) ليدل على قدرته (ولتجزى) معطوف على هذا المعلل المحذوف (كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون أفرأيت من اتخذ الهه هواه) أي هو مطواع لهوى النفس يتبع ما يدعوه اليه فكأنه يعبده كما يعبد الرجل الهه (وأضله الله على علم) منه باختياره الضلال أو أنشأ فيه فعل الضلال على علم منه بذلك (وختم على سمعه) فلا يقبل وعظا (وقلبه) فلا يعتقد حقا (وجعل على بصره غشاوة) فلا يبصر عبرة غشوة

الصالحات) نزلت في نفر من مشركي مكة قالوا للمؤمنين لئن كان ما تقولون حقا لنفضلن عليكم في الآخرة كما فضلنا عليكم في الدنيا (سواء محياهم ومماتهم) معناه أحسبوا أن حياة الكافرين ومماتهم كحياة المؤمنين وموتهم سواء كلا والمعنى ان المؤمن مؤمن في محياه ومماته في الدنيا والآخرة والكافر كافر في محياه ومماته في الدنيا والآخرة وشتان ما بين الحالين في الحال والمآل (ساء ما يحكمون) أي بئس ما يقضون قال مسروق قال لي رجل من أهل مكة هذا مقام أخيك تميم الداري ولقد رأيته قام ذات ليلة حتى أصبح أو قرب أن يصبح يقرأ آية من كتاب الله يركع بها ويسجد ويبكي أم حسب الذين اجترحوا السيآت الآية (وخلق الله السموات والارض بالحق) أي بالعدل (ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون) ومعنى الآية ان المقصود من خلق هذا العالم اظهار العدل والرحمة وذلك لا يتم الا في القيامة ليحصل التفاوت بين المحقين والمبطلين في الدرجات والدركات قوله عز وجل (أفرأيت من اتخذ الهه هواه) قال ابن عباس اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى شيأ الا ركبه لانه لا يؤمن بالله ولا يخافه ولا يحرم ما حرم الله وقيل معناه اتخذ معبوده ما تهواه نفسه وذلك ان العرب كانت تعبد الحجارة والذهب والفضة فاذا رأوا شيأ أحسن من الاول رموا بالاول وكسروه وعبدوا الآخر وقيل انما سمي هوى لانه يهوي بصاحبه في النار (وأضله الله على علم) أي علما منه بعاقبة أمره وقيل على ما سبق في علم الله انه ضال قبل أن يخلقه (وختم على سمعه وقلبه) أي فلم يسمع الهدى ولم يعقله بقلبه (وجعل على بصره غشاوة) أي ظلمة فهو لا يبصر الهدى (فمن يهديه من بعد الله) اي من بعد أن أضله الله (أفلا تذكرون) قال الواحدي ليس يبقى للقدرية مع هذه الآية عذر ولا حيلة لان الله صرح بمنعه اياه عن الهدى حتى أخبر أنه ختم على سمعه وقلبه وبصره (وقالوا) يعني منكري البعث (ماهي الا حياتنا الدنيا) أي ما الحياة الا حياتنا الدنيا (نموت ونحيا) أي يموت الآباء ويحيا الابناء وقيل تقديره نحيا ونموت

حمزة وعلي (فمن يهديه من بعد الله) من بعد اضلال الله اياه (أفلا تذكرون) بالتخفيف حمزة وعلي وحفص وغيرهم وما بالتشديد فاصل الشر متابعة الهوى والخير كله في مخالفته فنعم ما قال اذا طالبتك النفس يوما بشهوة * وكان اليها للخلاف طريق فدعها وخالف ما هويت فانما * هواك عدو والخلاف صديق (وقالوا ماهي) أي ما الحياة لانهم وعدوا حياة ثانية (الا حياتنا الدنيا) التي نحن فيها (نموت ونحيا) نموت نحن ونحيا ببقاء اولادنا او يموت بعض ويحيا بعض او نكون نطفا في الاصلاب مواتا ونحيا بعد ذلك او يصيبنا الامران الموت والحياة يريدون الحياة في الدنيا والموت بعدها وليس وراء ذلك حياة وقيل هذا كلام من يقول بالتناسخ اي يموت الرجل ثم تجعل روحه في موات فيحيا به

(ومايهلكنا الا الدهر) كانوا يزعمون ان مرور الايام والليالي هو المؤثر في هلاك الانفس وينكرون ملك الموت وقبضه الارواح باذن الله وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث الى الدهر والزمان وترى أشعارهم ناطقة بشكوى الزمان ومنه قوله عليه السلام لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر أي فان الله هو الآتي بالحوادث لا الدهر (ومالهم بذلك من علم ان هم الا يظنون) وما يقولون ذلك من علم ويقين ولكن من ظن وتخمين (واذا تتلى عليهم آياتنا) ١٠٠ أي القرآن يعني ما فيه من ذكر البعث (بينات ما كان حجتهم) وسمى قولهم حجة وان لم يكن حجة لانه في زعمهم حجة (الا أن قالوا ائتوا بآبائنا) أي احيوهم (ان كنتم صادقين) في دعوى البعث وحجتهم خبر كان واسمها أن قالوا والمعنى ما كان حجتهم الا مقالتهم ائتوا بآبائنا وقرئ حجتهم بالرفع على انها اسم كان وأن قالوا الخبر (قل الله يحييكم) في الدنيا (ثم يميتكم) فيها عند انتهاء اعماركم (ثم يجمعكم الى يوم القيامة) أي يبعثكم يوم القيامة جميعا ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الاتيان بآبائكم ضرورة (لا ريب فيه) أي في الجمع (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) قدرة الله على البعث لاعراضهم عن التفكر في الدلائل (ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون) عامل النصب في يوم تقوم يخسر ويومئذ بدل من يوم تقوم (وترى كل أمة جاثية) جالسة على الركب يقال جثا فلان يجثو اذا جلس على ركبتيه وقيل جاثية مجتمعة (كل أمة) بالرفع على الابتداء كل بالفتح يعقوب على الابدال من كل أمة (تدعى الى كتابها) الى صحائف أعمالها فاكتفى باسم الجنس فيقال لهم (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) في الدنيا (هذا كتابنا) اضيف الكتاب اليهم لملابسته اياهم لان اعمالهم مثبتة فيه والى الله تعالى لانه مالكه والآمر ملائكته أن يكتبوا فيه اعمال عباده (ينطق عليكم) يشهد عليكم بما عملتم (بالحق) من غير زيادة ولا نقصان (انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) أي نستكتب الملائكة اعمالكم وقيل نسخت واستنسخت بمعنى وليس ذلك بنقل من كتاب بل معناه نثبت

(ومايهلكنا الا الدهر) أي وما يفنينا الا ممر الزمان واختلاف الليل والنهار (ومالهم بذلك من علم) أي لم يقولوه عن علم علموه (ان هم الا يظنون) (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الامر أقلب الليل والنهار وفي رواية يؤذيني ابن آدم ويقول يا خيبة الدهر فلا يقولن أحدكم يا خيبة الدهر فاني أنا الدهر أقلب ليله ونهاره فاذا شئت قبضتهما وفي رواية يسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر بيدي الليل والنهار ومعنى هذه الاحاديث ان العرب كان من شأنها ذم الدهر وسبه عند النوازل لانهم كانوا ينسبون الى الدهر ما يصيبهم من المصائب والمكاره فيقولون اصابتهم قوارع الدهر وأبادهم الدهر كما أخبر الله عز وجل عنهم بقوله وما يهلكنا الا الدهر فاذا أضافوا الى الدهر ما نالهم من الشدائد وسبوا فاعلها كان مرجع سبهم الى الله تعالى اذ هو الفاعل في الحقيقة للامور التي يضيفونها الى الدهر لا الدهر فنهوا عن سب الدهر وقيل لهم لا تسبوا فاعل ذلك فانه هو الله عز وجل والدهر متصرف فيه يقع به التأثير كما يقع بكم والله أعلم قوله تعالى (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم الا أن قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين) معناه ان منكري البعث احتجوا بأن قالوا ان صح ذلك فأتوا بآبائنا الذين ماتوا ليشهدوا لنا بصحة البعث (قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون) يعني في ذلك اليوم يظهر خسران أصحاب الاباطيل وهم الكافرون يصيرون الى النار (وترى كل أمة جاثية) أي باركة على الركب وهي جلسة المخاصم بين يدي الحاكم ينتظر القضاء قال سلمان الفارسي ان في القيامة ساعة هي عشر سنين يخر الناس فيها جثاة على الركب حتى ابراهيم ينادي ربه لا أسألك الا نفسي (كل أمة تدعى الى كتابها) أي الذي فيه أعمالها ويقال لهم (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) أي من خير وشر (هذا كتابنا) يعني ديوان الحفظة فان قلت كيف أضاف الكتاب اليهم أولا بقوله تدعى الى كتابها واليه ثانيا بقوله هذا كتابنا قلت لا منافاة بينهما فاضافته اليهم لانه كتاب أعمالهم واضافته اليه لانه تعالى هو آمر الحفظة بكتبه (ينطق عليكم بالحق) أي يشهد عليكم ببيان شاف كانه ينطق وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ (انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) أي نأمر الملائكة بنسخ أعمالكم وكتابتها واثباتها عليكم وقيل نستنسخ أي نأخذ نسخته وذلك ان الملكين يرفعان عمل الانسان فيثبت الله منه ما كان له ثواب وعليه

(فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته) جنته (ذلك هو الفوز المبين وأما الذين كفروا) فيقال لهم (أفلم

(تكن آياتي تتلى عليكم) والمعنى ألم يأتكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه (فاستكبرتم) عن

الايمان بها (وكنتم قوما مجرمين) كافرين (واذا قيل ان وعد الله) بالجزاء (حق والساعة) بالرفع عطف على محل ان واسمها والساعة حمزة عطف على وعد الله (لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة) أي شيء الساعة (ان نظن الا ظنا) أصله نظن ظنا ومعناه اثبات الظن فحسب فادخل حرف النفي والاستثناء ليفاد اثبات الظن مع نفي ما سواه وزيد نفي ما سوى الظن توكيدا بقوله (وما نحن بمستيقنين وبدا لهم) ظهر لهؤلاء الكفار (سيآت ما عملوا) قبائح أعمالهم او عقوبات اعمالهم السيآت كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) ونزل بهم جزاء استهزائهم (وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) اي نترككم في العذاب كما تركتم عدة لقاء يومكم وهي الطاعة واضافة اللقاء الى اليوم كاضافة المكر في قوله بل مكر الليل والنهار اي نسيتم لقاء الله تعالى في يومكم هذا ولقاء جزائه (ومأواكم النار) أي منزلكم (وما لكم من ناصرين ذلكم) العذاب (بانكم) بسبب انكم (اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا فاليوم لا يخرجون

منها) لا يخرجون حمزة وعلي (ولا هم يستعتبون) ولا يطلب منهم أن يعتبوا ربهم أي يرضوه (فلله الحمد رب التي

السموات ورب الارض رب العالمين) اي فاحمدوا الله الذي هو ربكم ورب كل شيء من السموات والارض والعالمين فان مثل

هذه الربوبية العامة توجب الحمد والثناء على كل مربوب (وله الكبرياء في السموات والارض) و كبروه فقد ظهرت

آثار كبريائه وعظمته في السموات والارض (وهو العزيز) في انتقامه (الحكيم) في أحكامه

عقاب ويطرح منه اللغو نحو قولهم هلم واذهب وقيل الاستنساخ من اللوح المحفوظ تنسخ الملائكة كل عام ما يكون من أعمال بني آدم والاستنساخ لا يكون الا من أصل فينسخ كتاب من كتاب (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته) أي جنته (ذلك هو الفوز المبين) أي الظفر الظاهر (واما الذين كفروا) أي يقال لهم (أفلم تكن آياتي تتلى عليكم) يعني آيات القرآن (فاستكبرتم) أي عن الايمان بها (وكنتم قوما مجرمين) يعني كافرين منكرين قوله عز وجل (واذا قيل ان وعد الله حق) اي البعث كائن (والساعة لا ريب فيها) أي لا شك في انها كائنة (قلتم ما ندري ما الساعة) اي انكرتموها وقلتم (ان نظن الا ظنا) أي ما نعلم ذلك الا حدسا وتوهما (وما نحن بمستيقنين) اي انها كائنة (وبدا لهم) أي في الآخرة (سيآت ما عملوا) أي في الدنيا والمعنى بدا لهم جزاء سيآتهم (وحاق بهم) أي نزل بهم (ما كانوا به يستهزؤن وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا) أي تركتم الايمان والعمل للقاء هذا اليوم (ومأواكم النار وما لكم من ناصرين) أي ما لكم من مانعين يمنعونكم من العذاب (ذلكم) أي هذا الجزاء (بانكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا) يعني حين قلتم لا بعث ولا حساب (فاليوم لا يخرجون منها) أي من النار (ولا هم يستعتبون) أي لا يطلب منهم أن يرجعوا الى طاعة الله والايمان به لانه لا يقبل ذلك اليوم عذر ولا توبة (فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين) معناه فاحمدوا الله الذي هو ربكم ورب كل شيء من السموات والارض والعالمين فان مثل الربوبية العامة توجب الحمد والثناء على كل حال (وله الكبرياء) اي وكبروه فان له الكبرياء والعظمة (في السموات والارض) وحق لمثله أن يكبر و يعظم (وهو العزيز الحكيم) (م) عن أبي سعيد وأبي هريرة قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العز ازاره والكبرياء رداؤه قال الله تعالى فمن ينازعني عذبته لفظ مسلم وأخرجه البرقاني وأبو مسعود رضي الله عنهما يقول الله عز وجل العز ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني شيأ منهما عذبته ولابي داود عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني في واحد منهما قذفته في النار * شرح غريب ألفاظ الحديث قيل هذا الكلام خرج على ما تعتاده العرب في بديع استعاراتهم وذلك انهم يكنون عن الصفة اللازمة بالثياب يقولون شعار فلان الزهد ولباسه التقوى فضرب الله عز وجل الازار والرداء مثلا له في انفراده سبحانه وتعالى بصفة الكبرياء والعظمة والمعنى انهما ليسا كسائر الصفات التي يتصف بها بعض المخلوقين مجازا كالرحمة والكرم وغيرهما وشبههما بالازار والرداء لان المتصف بهما يشملانه كما يشمل الرداء الانسان ولانه لا يشاركه في ازاره وردائه أحد فكذلك الله تعالى لا ينبغي ان يشاركه فيهما أحد لانهما من صفاته اللازمة له المختصة به

(سورة الاحقاف مكية وهي خمس وثلاثون آية) (بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) ملتبسا بالحكمة (وأجل مسمى) وبتقدير أجل مسمى ينتهي اليه وهو يوم القيامة (والذين كفروا عما أنذروا) عما أنذروه من هول ذلك اليوم الذي لابد لكل مخلوق من انتهائه اليه (معرضون) لا يؤمنون به ولا يهتمون بالاستعداد له ويجوز ان تكون ما مصدرية أي عن انذارهم ذلك اليوم (قل أرأيتم) اخبروني (ما تدعون من دون الله) تعبدونه من الاصنام (أروني ماذا خلقوا من الارض) أي شيء خلقوا مما في الارض ان كانوا آلهة (أم لهم شرك في السموات) شركة مع الله في خلق السموات والارض (ائتوني بكتاب من قبل هذا) أي من قبل هذا الكتاب وهو القرآن يعني ان هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وابطال الشرك وما من كتاب أنزل من قبله من كتب الله الا وهو ناطق بمثل ذلك فائتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحة ما أنتم عليه من عبادة غير الله (او اثارة من علم) أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين (ان كنتم صادقين) ان الله أمركم بعبادة الاوثان (ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون) أي ابدا (واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء) أي الاصنام لعبدتها (وكانوا) أي الاصنام (بعبادتهم) بعبادة عبدتهم (كافرين) يقولون ما دعوناهم الى عبادتنا ومعنى الاستفهام في من أضل انكار ان يكون في الضلال كلهم أبلغ ضلالا من عبدة الاوثان حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على كل شيء ويدعون من دونه جمادا لا يستجيب لهم ولا قدرة له على استجابة احد منهم ما دامت الدنيا والى ان تقوم القيامة واذا قامت القيامة وحشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا عليهم ضدا فليسوا في الدارين الا على نكد ومضرة لا تتولاهم في الدنيا بالاستجابة وفي الآخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم ولما اسند اليهم ما يسند الى أولي العلم من الاستجابة والغفلة قيل من وهم ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة طريقه طريق التهكم بها وبعبدتها ونحوه قوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) جمع بينة وهي الحجة والشاهد أو واضحات مبينات (قال الذين كفروا للحق) المراد بالحق الآيات وبالذين كفروا المتلو عليهم فوضع الظاهران موضع الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر وللمتلو بالحق (لما جاءهم) أي بادؤه بالجحود ساعة أتاهم وأول ما سمعوه من غير اجالة فكر ولا اعادة نظر (هذا سحر مبين) ظاهر أمره في البطلان لا شبهة فيه (ام يقولون افتراه) اضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سحرا الى ذكر قولهم ان محمدا عليه السلام افتراه أي اختلقه واضافه الى الله كذبا والضمير للحق والمراد به الآيات

التي لا تليق لغيره والله أعلم

(تفسير سورة الاحقاف وهي مكية) قيل غير قوله قل أرأيتم وقيل وقوله فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل فانهما نزلتا بالمدينة وهي أربع وقيل خمس وثلاثون آية وستمائة وأربع وأربعون كلمة وألفان وخمسمائة وخمسة وتسعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) اي بالعدل (وأجل مسمى) يعني يوم القيامة وهو الاجل الذي ينتهي اليه فناء السموات والارض (والذين كفروا عما أنذروا) اي خوفوا به في القرآن من البعث والحساب (معرضون) اي لا يؤمنون به (قل أرأيتم ما تدعون من دون الله) يعني الاصنام (أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا) اي بكتاب جاءكم من الله قبل القرآن فيه بيان ما تقولون (او اثارة من علم) اي بقية من علم يؤثر عن الاولين ويسند اليهم وقيل برواية عن علم الانبياء وقيل علامة من علم وقيل هو الخط وهو خط كانت العرب تخطه في الارض (ان كنتم صادقين) اي في أن لله شريكا (ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له) يعني الاصنام لا تجيب عابديها الى شيء يسألونها (الى يوم القيامة) يعني لا تجيب أبدا ما دامت الدنيا (وهم عن دعائهم غافلون) يعني لانها جمادات لا تسمع ولا تفهم (واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) أي جاحدين (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين) سموا القرآن سحرا (أم يقولون افتراه)

أى اختلق القرآن محمد من قبل نفسه قال الله عزوجل (قل) يا محمد (ان افتريته فلا تملكون لى من الله شيأ) أى لا تقدرون ان تردوا عنى عذابه ان عذبنى على افترائى فكيف افترى على الله من أجلكم (هو أعلم) أى الله أعلم (بما تفيضون فيه) أى تخوضون فيه من التكذيب بالقرآن والقول فيه انه سحر (كفى به شهيدا بينى وبينكم) أى ان القرآن جاء من عنده (وهو الغفور الرحيم) أى فى تأخير العذاب عنكم وقيل هو دعاء لهم الى التوبة ومعناه انه غفور لمن تاب منكم رحيم به قوله تعالى (قل) يا محمد (ما كنت بدعا) أى بديعا (من الرسل) أى لست بأول مرسل قد بعث قبلى كثير من الانبياء فكيف تنكرون نبوّتى (وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم) اختلف العلماء فى معنى هذه الآية فقيل معناه ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم يوم القيامة ولما نزلت هذه الآية فرح المشركون وقالوا واللات والعزى ما أمرنا وأمر محمد عند الله الا واحد وماله علينا من مزية وفضل ولولا انه ابتدع ما يقوله من ذات نفسه لاخبره الذى بعثه بما يفعل به فأنزل الله عزوجل ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقالت الصحابة هنيئا لك يا نبى الله قد علمت ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فأنزل الله عزوجل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار الآية وأنزل وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا فبين الله ما يفعل به وبهم وهذا قول أنس وقتادة والحسن وعكرمة قالوا انما قال هذا قبل ان يخبر بغفران ذنبه وانما أخبر بغفران ذنبه عام الحديبية فنسخ ذلك (خ) عن خارجة بن زيد بن ثابت ان أم العلاء امرأة من الانصار وكانت بايعت النبى صلى الله عليه وسلم أخبرته أنه اقتسم المهاجرون قرعة قالت فطار لنا عثمان بن مظعون فانزلناه فى ابياتنا فوجع وجعه الذى توفى فيه فلما توفى وغسل وكفن فى اثوابه دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت رحمة الله عليك ابا السائب فشهادتى عليك لقد أكرمك الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم وما يدريك أن الله أكرمه فقلت بابى أنت يا رسول الله فمن يكرمه الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هو فقد جاءه اليقين والله انى لارجو له الخير والله ما أدرى وأنا رسول الله ما يفعل بى قالت فوالله لا أزكى بعده أحدا يا رسول الله قالت واريت لعثمان فى النوم عينا تجرى فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال ذاك عمله وفى رواية غير البخارى قالت لما قدم المهاجرون المدينة اقترعت الانصار على سكناهم قالت فطار لنا عثمان بن مظعون وفيه والله ما أدرى وانا رسول الله ما يفعل بى ولا بكم وقيل فى معنى قوله ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم هذا فى الدنيا اما فى الآخرة فقد علم انه فى الجنة وان من كذبه فى النار فعلى هذا الوجه فقد اختلفوا فيه فقال ابن عباس لما اشتد البلاء باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وهو بمكة ارضا ذات سباخ ونخل رفعت له يهاجر اليها فقال له أصحابه متى تهاجر الى الارض التى اريت فسكت فانزل الله هذه الآية وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم اترك فى مكانى ام اخرج انا وانتم الى الارض التى رفعت لى وقيل لا ادرى الى ماذا يصير امرى

(قل ان افتريته فلا تملكون لى من الله شيأ) أى ان افتريته على سبيل الفرض عاجلنى الله بعقوبة الافتراء عليه فلا تقدرون على كفه عن معاجلتى ولا تطيقون دفع شئ من عقابه فكيف أفتريه واتعرض لعقابه (هو أعلم بما تفيضون فيه) اى تندفعون فيه من القدح فى وحى الله والطعن فى آياته وتسميته سحرا تارة وفرية اخرى (كفى به شهيدا بينى وبينكم) يشهد لى بالصدق والبلاغ ويشهد عليكم بالجحود والانكار ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء افاضتهم (وهو الغفور الرحيم) موعدة بالغفران والرحمة ان تابوا عن الكفر وآمنوا (قل ما كنت بدعا من الرسل) اى بديعا كالخف بمعنى الخفيف والمعنى انى لست بأول مرسل فتنكروا نبوّتى (وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم) اى ما يفعل الله بى وبكم فيما يستقبل من الزمان وعن الكلبى قال له أصحابه وقد ضجروا من اذى المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم أأترك بمكة ام أومر بالخروج الى ارض قد رفعت لى ورايتها يعنى فى منامه ذات نخيل وشجر وما فى ما يفعل يجوز ان تكون موصولة منصوبة وان تكون استفهامية مرفوعة وانما دخل لا فى قوله ولا بكم مع ان يفعل مثبت غير منفى لتناول النفى فيما ادرى ما وما فى حيزه

(ان اتبع الا ما يوحى الي وما انا الا نذير مبين قل أرأيتم ان كان) القرآن (من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني
اسرائيل) هو عبد الله بن سلام عند الجمهور ولهذا قيل ان هذه الآية مدنية لان اسلام ابن سلام بالمدينة روى أنه لما قدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نظر الى وجهه فعلم انه ليس بوجه كذاب وقال له اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن

وأمركم في الدنيا اما أنا فلا أدري أخرج كما أخرجت الانبياء من قبلي أم اقتل كما قتل بعض
الانبياء من قبلي وأما أنتم أيها المصدقون فلا أدري أتخرجون معي أم تتركون أم ماذا
يفعل بكم ولا أدري ما يفعل بكم أيها المكذبون أترمون بالحجارة من السماء أم يخسف بكم
أم أي شئ يفعل بكم مما فعل بالامم المكذبة ثم أخبره الله عز وجل انه يظهر دينه على
الاديان كلها فقال تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
وقال في أمته وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاعلمه
ما يصنع به وبامته وقيل معناه لا أدري الى ماذا يصير أمري وأمركم ومن الغالب والمغلوب
ثم أخبره انه يظهر دينه على الاديان وأمته على سائر الامم وقوله (ان اتبع الا ما يوحى
الي) معناه ما أتبع غير القرآن الذي يوحى الي ولا ابتدع من عندي شيا (وما أنا الا
نذير مبين) أي أنذركم العذاب وأبين لكم الشرائع (قل أرأيتم) أي أخبروني ماذا
تقولون (ان كان من عند الله) يعني القرآن (وكفرتم به) أيها المشركون (وشهد شاهد
من بني اسرائيل على مثله) أي انه من عند الله (فآمن) يعني الشاهد (واستكبرتم)
أي عن الايمان به والمعنى اذا كان الامر كذلك أليس قد ظلمتم وتعديتم (ان الله لا يهدي
القوم الظالمين) واختلفوا في هذا الشاهد فقيل هو عبد الله بن سلام آمن بالنبي صلى الله
عليه وسلم وشهد بصحة نبوته واستكبر اليهود فلم يؤمنوا يدل عليه ما روي عن أنس
ابن مالك قال بلغ عبد الله بن سلام مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهو في أرض
يخترف النخل فأتاه وقال اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما أول أشراط الساعة
وما أول طعام يأكله أهل الجنة ومن أي شئ ينزع الولد الى أبيه ومن أي شئ ينزع الى
أخواله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرني بهن آنفا جبريل قال فقال عبد
الله ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية من كان عدوا لجبريل فانه نزل على
قلبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس
من المشرق الى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت واما
الشبه في الولد فان الرجل اذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له واذا سبقت كان
الشبه لها قال اشهد أنك رسول الله ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت ان علموا
باسلامي قبل ان تسألهم عني بهتوني عندك فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أي رجل فيكم عبد الله بن سلام فقالوا اعلمنا وابن أعلمنا
وخيرنا وابن خيرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرأيتم ان أسلم عبد الله قالوا أعاذه
الله من ذلك زاد في رواية فاعاد عليهم فقالوا مثل ذلك قال فخرج عبد الله اليهم فقال اشهد
ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا ووقعوا فيه زاد في رواية

الا نبي ما أول أشراط الساعة
وما أول طعام يأكله أهل الجنة
وما بال الولد ينزع الى أبيه أو
الى أمه فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اما أول اشراط
الساعة فنار تحشرهم من المشرق
الى المغرب واما أول طعام يأكله
أهل الجنة فزيادة كبد حوت
واما الولد فاذا سبق ماء الرجل
نزعه وان سبق ماء المرأة نزعته
فقال اشهد أنك رسول الله
حقا (على مثله) الضمير للقرآن
أي مثله في المعنى وهو ما في التوراة
من المعاني المطابقة لمعاني القرآن
من التوحيد والوعد والوعيد
وغير ذلك ويجوز أن يكون
المعنى ان كان من عند الله وكفرتم
به وشهد شاهد على نحو ذلك
يعني كونه من عند الله (فآمن)
الشاهد (واستكبرتم) عن
الايمان به وجواب الشرط
محذوف تقديره ان كان القرآن
من عند الله وكفرتم به ألستم
ظالمين ويدل على هذا المحذوف
(ان الله لا يهدي القوم الظالمين)
والواو الاولى عاطفة لكفرتم
على فعل الشرط وكذلك الواو
الاخيرة عاطفة لاستكبرتم على
وشهد شاهد واما الواو في وشهد
فقد عطفت جملة قوله شهد
شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم على جملة قوله كان من عند الله وكفرتم به والمعنى قل اخبروني ان
اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة أعلم بني اسرائيل على نزول مثله فايمانه به مع استكباركم عنه
وعن الايمان به ألستم أضل الناس وأظلمهم

(وقال الذين كفروا للذين آمنوا) أى لاجلهم وهو كلام كفار مكة قالوا ان عامة من يتبع محمدا السقاط يعنون الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود (لو كان خيرا ما سبقونا اليه) لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا اليه هؤلاء (واذ لم يهتدوا به) العامل فى اذ محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره واذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم وقوله (فسيقولون هذا افك قديم) مسبب عنه وقولهم افك قديم أى كذب متقادم كقولهم اساطير ١٦٠ الاولين (ومن قبله) أى القرآن (كتاب موسى) أى التوراة وهو مبتدأ ومن قبله ظرف واقع خبرا مقدما عليه وهو ناصب (اماما) على الحال نحو فى الدار زيد قائما ومعنى اماما قدوة يؤتم به فى دين الله وشرائعه كما يؤتم بالامام (ورحمة) لمن آمن به وعمل بما فيه (وهذا) القرآن (كتاب مصدق) لكتاب موسى او لما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب (لسانا عربيا) حال من ضمير الكتاب فى مصدق والعامل فيه مصدق أو من كتاب لتخصصه بالصفة ويعمل فيه معنى الاشارة وجوز أن يكون مفعولا لمصدق أى يصدق ذا لسان عربى وهو الرسول (لينذر) اى الكتاب لتنذر حجازى وشامى (الذين ظلموا) كفروا (وبشرى) فى محل النصب معطوف على محل لتنذر لانه مفعول له (للمحسنين) المؤمنين المطيعين (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) على توحيد الله وشريعة محمد صلى الله عليه وسلم (فلا خوف عليهم) فى القيامة (ولا هم يحزنون) عند الموت (اولئك أصحاب الجنة خالدين فيها) حال من اصحاب الجنة والعامل فيه معنى الاشارة الذى دل عليه اولئك (جزاء بما كانوا يعملون) جزاء مصدر لفعل دل عليه الكلام أى جوزوا جزاء (ووصينا الانسان بوالديه احسانا) كوفى أى وصيناه بان يحسن بوالديه احسانا حسنا غيرهم اى وصيناه بوالديه أمرا ذا حسن اى بامر ذى حسن فهو فى موضع البدل من قوله بوالديه وهو من بدل الاشتمال (حملته أمه كرها ووضعته كرها) وبفتح الكافين حجازى وأبو عمرو وهما لغتان فى معنى المشقة وانتصابه على الحال أى ذات كره او على انه صفة للمصدر أى حملا ذا كره (وحمله وفصاله) ومدة حمله وفطامه (ثلاثون شهرا) وفيه دليل على

قال يعنى عبد الله بن سلام هذا الذى كنت أخاف يا رسول الله أخرجه البخارى فى صحيحه (ق) عن سعد بن أبى وقاص قال ما سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لحى يمشى على الارض انه من أهل الجنة الا لعبد الله بن سلام قال وفيه نزلت وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله قال الراوى لا أدرى قال مالك الآية او فى الحديث وقيل الشاهد هو موسى بن عمران عليه السلام قال مسروق فى هذه الآية والله ما نزلت فى عبد الله ابن سلام لان آل حم نزلت بمكة وانما أسلم عبد الله بن سلام بالمدينة ونزلت الآية فى محاجة كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه ومثل القرآن التوراة فشهد موسى على التوراة ومحمد على القرآن وكل يصدق الآخر فيكون المعنى وشهد موسى على التوراة التى هى مثل القرآن انها من عند الله كما شهد محمد صلى الله عليه وسلم على القرآن انه كلام الله فآمن من آمن بموسى والتوراة واستكبرتم أنتم يا معشر العرب ان تؤمنوا بمحمد والقرآن ان الله لا يهدى القوم الظالمين قيل انه تهديد وهو قائم مقام جواب الشرط المحذوف والتقدير قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به فانكم لا تكونون مهتدين بل تكونون ضالين قوله تعالى (وقال الذين كفروا) يعنى من اليهود (للذين آمنوا لو كان خيرا) يعنى دين محمد صلى الله عليه وسلم (ما سبقونا اليه) يعنون عبد الله بن سلام واصحابه وقيل نزلت فى مشركى مكة قالوا لو كان ما يدعونا اليه محمد خيرا ما سبقنا اليه فلان وفلان وقيل الذين كفروا اسد وغطفان قالوا للذين آمنوا يعنى جهينة ومزينة لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا اليه رعاء البهم قال الله تعالى (واذ لم يهتدوا به) أى بالقرآن كما اهتدى به أهل الايمان (فسيقولون هذا افك قديم) أى كذب متقدم (ومن قبله) اى من قبل القرآن (كتاب موسى) يعنى التوراة (اماما) اى جعلناه اماما يقتدى به (ورحمة) اى من الله لمن آمن به (وهذا كتاب) يعنى القرآن (مصدق) اى للكتب التى قبله (لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا) يعنى مشركى مكة (وبشرى للمحسنين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون أولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون) تقدم تفسيره قوله عز وجل (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) اى يوصل اليهما احسانا وهو ضد الاساءة (حملته امه كرها) يعنى حين اثقلت وثقل عليها الولد (ووضعته كرها) يريد شدة الطلق (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) يعنى ومدة حمله الى ان ينفصل من الرضاع وهو الفطام ثلاثون شهرا فاقل

ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لان مدة الرضاع اذا كانت حولين لقوله تعالى حولين كاملين بقيت للحمل ستة أشهر وبه قال ابو يوسف ومحمد رحمهما الله وقال ابو حنيفه رضى الله عنه المراد به الحمل باليد كف وفصاله يعقوب والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى (حتى اذا بلغ أشده) هو جمع لا واحد له من لفظه وكان سيبويه يقول واحده شدة وبلوغ

مدة الحمل ستة أشهر وأكثر مدة الرضاع أربعة وعشرون شهرا قال ابن عباس اذا حملت المرأة تسعة اشهر أرضعت أحدا وعشرين شهرا واذا حملت ستة أشهر ارضعت أربعة وعشرين شهرا (حتى اذا بلغ أشده) أى نهاية قوته وغاية شبابه واستوائه وهو مابين ثمان عشرة سنة الى أربعين سنة وهو قوله تعالى (وبلغ أربعين سنة) قيل نزلت هذه الآية فى سعد بن أبى وقاص وقد تقدمت القصة وقيل انها على العموم والاصح انها نزلت فى ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وذلك انه صحب النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة والنبى صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة فى تجارة الى الشام فنزلوا منزلا فيه سدرة فقعد النبى صلى الله عليه وسلم فى ظلها ومضى أبو بكر الى راهب هناك يسأله عن الدين فقال له الراهب من الرجل الذى فى ظل السدرة فقال هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال الراهب هذا والله نبى وما استظل تحتها بعد عيسى أحد الا هذا وهو نبى آخر الزمان فوقع فى قلب أبى بكر اليقين والتصديق فكان لا يفارق النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر ولا حضر فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنة أكرمه الله تعالى بنبوته واختصه برسالته فآمن به أبو بكر وصدقه وهو ابن ثمان وثلاثين سنة فلما بلغ أربعين سنة دعا ربه عز وجل (قال رب اوزعنى) أى الهمنى (أن اشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى) اى بالايمان والهداية وقال على بن ابى طالب فى قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا فى ابى بكر اسلم ابواه جميعا ولم يجتمع لاحد من المهاجرين أن اسلم ابواه غيره أوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده (وأن أعمل صالحا ترضاه) قال ابن عباس أجابه الله تعالى فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون فى الله منهم بلال ولم يرد شيأ من الخير الا اعانه الله عليه ودعا ايضا فقال (وأصلح لى فى ذريتى) فاجابه الله تعالى فلم يكن له ولد الا آمن فاجتمع لابى بكر اسلام أبويه ابوه أبو قحافة عثمان بن عمرو وأمه أم الخير بنت صخر بن عمرو وابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن أبى عتيق محمد فهؤلاء أربعة أبو بكر وابوه وابنه عبد الرحمن وابن ابنه محمد كلهم أدركوا النبى صلى الله عليه وسلم واسلموا ولم يجتمع ذلك لاحد من الصحابة غير أبى بكر وقوله (انى تبت اليك) أى رجعت اليك الى كل ما تحب (وانى من المسلمين) اى واسلمت بقلبى ولسانى (اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا) يعنى اعمالهم الصالحة التى عملوها فى الدنيا وكلها حسن فالاحسن بمعنى الحسن فيثيبهم عليها (ويتجاوز عن سيآتهم) فلا يؤاخذهم بها (فى اصحاب الجنة) اى مع اصحاب الجنة (وعد الصدق) اى الذى وعدهم بان يتقبل حسناتهم ويتجاوز عن سيآتهم ووعده صدق وقيل وعدهم بان يدخلهم الجنة (الذى

الاشدان يكتهل ويستوفى السن التى تستحكم فيها قوته وعقله وذلك اذا اناف على الثلاثين وناطح الاربعين وعن قتادة ثلاث وثلاثون سنة ووجهه ان يكون ذلك اول الاشد وغايته الاربعون (وبلغ أربعين سنة قال رب اوزعنى) الهمنى (ان اشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى) المراد به نعمة التوحيد والاسلام وجمع بين شكرى النعمة عليه وعلى والديه لان النعمة عليهما نعمة عليه (وأن اعمل صالحا ترضاه) قيل هى الصلوات الخمس (واصلح لى فى ذريتى) أى اجعل ذريتى موقعا للصلاح ومظنة له (انى تبت اليك) من كل ذنب (وانى من المسلمين) المخلصين (اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيآتهم) حمزة وعلى وحفص يتقبل ويتجاوز واحسن غيرهم (فى أصحاب الجنة) هو كقولك أكرمنى الامير فى ناس من اصحابه تريد اكرمنى فى جملة من أكرم منهم ونظمنى فى عدادهم ومحله النصب على الحال على معنى كائنين فى اصحاب الجنة ومعدودين فيهم

 (وعد الصدق) مصدر مؤكد لان قوله يتقبل ويتجاوز وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز قيل نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وفى أبيه ابى قحافة وامه ام الخير وفى اولاده واستجابة دعائه فيهم فانه آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ودعا لهما وهو ابن اربعين سنة ولم يكن احد من الصحابة من المهاجرين منهم والانصار اسلم هو ووالداه وبنوه وبناته غير أبى بكر رضى الله عنهم (الذى

كانوا يعدون) في الدنيا (والذي قال لوالديه) مبتدأ خبره أولئك الذين حق عليهم القول والمراد بالذي قال الجنس القائل ذلك القول ولذلك وقع الخبر مجموعا وعن الحسن هو في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وقيل نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنه قبل اسلامه ويشهد لبطلانه كتاب معاوية الى مروان ليأمر الناس بالبيعة ليزيد فقال عبد الرحمن بن ابي بكر لقد جئتم بها هرقلية اتبايعون لابنائكم فقال مروان يا أيها الناس هذا الذي قال الله فيه والذي قال لوالديه اف لكما فسمعت عائشة رضي الله عنها فغضبت ١٦٢ وقالت والله ماهو به ولو شئت ان اسميه لسميته ولكن الله تعالى لعن أباك وانت في صلبه فانت فضض من لعنة الله (أف لكما) مدني وحفص أف مكي وشامي أف غيرهم وهو صوت اذا صوت به الانسان علم انه متضجر كما اذا قال حس علم انه متوجع واللام للبيان اي هذا التأفيف لكما خاصة ولاجلكما دون غيركما (أتعدانني أن اخرج) ان ابعث واخرج من الارض (وقد خلت القرون من قبلي) ولم يبعث منهم احد (وهما) ابواه (يستغيثان الله) يقولان الغياث بالله منك ومن قولك وهو استعظام لقوله ويقولان له (ويلك) دعاء عليه بالثبور والمراد به الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك (آمن) بالله وبالبعث (ان وعد الله) بالبعث (حق) صدق (فيقول) لهما (ماهذا) القول (الا أساطير الاولين أولئك الذين حق عليهم القول) أي لأملأن جهنم (في امم) في جملة امم (قد خلت) مضت (من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل) من الجنسين المذكورين الابرار والفجار (درجات مما عملوا) اي منازل ومراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر او من أجل ما عملوا منهما وانما قال درجات وقد جاء الجنة درجات والنار دركات على وجه التغليب (وليوفيهم اعمالهم) بالياء مكي وبصري وعاصم (وهم لا يظلمون) أي وليوفيهم اعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم قدر جزاءهم على مقادير اعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات واللام متعلقة بمحذوف (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) عرضهم على النار تعذيبهم بها من قولهم عرض بنو فلان على السيف اذا قتلوا به وقيل المراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون

كانوا يوعدون) اي في الدنيا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (والذي قال لوالديه) يعني اذ دعواه الى الايمان بالله والاقرار بالبعث بعد الموت (أف لكما) وهي كلمة كراهية (أتعدانني ان أخرج) أي من قبري حيا (وقد خلت القرون من قبلي) أي فلم يبعث منهم احد (وهما يستغيثان الله) أي يستصرخان بالله عليه ويقولان له (ويلك آمن ان وعد الله حق) اي بالبعث (فيقول ماهذا) أي الذي تدعونني اليه (الا اساطير الاولين) قال ابن عباس نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قبل اسلامه وكان أبواه يدعوانه الى الاسلام وهو يابى ويقول أحيوا لي عبد الله بن جدعان وعامر بن كعب ومشايخ قريش حتى اسألهم عما تقولون وانكرت عائشة ان يكون قد نزل هذا في عبد الرحمن بن ابي بكر (خ) عن يوسف بن ماهك قال كان مروان على الحجاز استعمله معاوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له فقال له عبد الرحمن بن ابي بكر شيأ فقال خذوه فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه فقال مروان هذا الذي أنزل الله فيه والذي قال لوالديه اف لكما فقالت عائشة من وراء الحجاب ما انزل الله فينا شيأ من القرآن الا ما انزل الله في سورة النور من براءتي والقول الصحيح أنه ليس المراد من الآية شخص معين بل المراد كل شخص كان موصوفا بهذه الصفة وهو كل من دعاه ابواه الى الدين الصحيح والايمان بالبعث فأبى وانكر وقيل نزلت في كل كافر عاق لوالديه قال الزجاج قول من قال انها نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر قبل اسلامه يبطله قوله تعالى (أولئك الذين حق عليهم القول) اعلم الله ان هؤلاء قد حقت عليهم كلمة العذاب وعبد الرحمن مؤمن من افاضل المؤمنين فلا يكون ممن حقت عليه كلمة العذاب اي وجب عليهم العذاب (في أمم) اي مع امم (قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا) قال ابن عباس يريد من سبق الى الاسلام فهو افضل ممن تخلف عنه ولو ساعة وقيل لكل واحد من الفريقين المؤمنين والكافرين والبار والعاق درجات يعني منازل ومراتب عند الله يوم القيامة باعمالهم فيجازيهم عليها قيل درجات الجنة تذهب الى علو ودرجات النار تذهب الى اسفل (وليوفيهم اعمالهم) اي جزاء أعمالهم (وهم لا يظلمون) قوله عز وجل (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) أي يجاء بهم فيكشف لهم عنها ويقال لهم

(أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) يعني ان كل ماقدر لكم من الطيبات واللذات فقد افنيتموه في الدنيا وتمتعتم به فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم منها شئ (فاليوم تجزون عذاب الهون) أي الذي فيه ذل وخزي (بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) علق هذا العذاب بامرين أحدهما الاستكبار وهو الترفع ويحتمل ان يكون عن الايمان والثاني الفسق وهو المعاصي والاول من عمل القلوب والثاني من عمل الجوارح

(فصل لما وبخ الله تعالى الكافرين بالتمتع بالطيبات آثر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والصالحون بعدهم اجتناب اللذات في الدنيا رجاء ثواب الآخرة)

(ق) عن عمر بن الخطاب قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكئ على رمال حصير قد أثر في جنبه فقلت أستأنس يا رسول الله قال نعم فجلست فرفعت رأسي في البيت فوالله ما رأيت فيه شيأ يرد البصر الا أهبة ثلاثة فقلت ادع الله ان يوسع على أمتك فقد وسع على فارس والروم ولا يعبدون الله فاستوى جالسا ثم قال أفي شك أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت استغفر لي يا رسول الله (ق) عن عائشة قالت ماشبع آل محمد من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عنها قالت كان يأتي علينا الشهر ما نوقد فيه نارا انما هو الاسودان التمر والماء الا ان نؤتى باللحيم وفي رواية أخرى قالت انا كنا لننظر الى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار قال عروة قلت يا خالة فما كان يعيشكم قالت الاسودان التمر والماء الا انه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الانصار وكانت لهم منائح فكانوا يرسلون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من البانها فيسقينا *عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاويا وأهله لا يجدون عشاء وكان أكثر خبزهم خبز الشعير أخرجه الترمذي وله عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أخفت في الله ما لم يخف أحد وأوذيت في الله ما لم يؤذ أحد ولقد أتى على ثلاثون من بين يوم وليلة ومالي ولبلال طعام الاشئ يواري ابط بلال (خ) عن أبي هريرة قال لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة ما منهم رجل عليه رداء اما ازار واما كساء قد ربطوا في أعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية ان ترى عورته (خ) عن ابراهيم بن عبد الرحمن ان عبد الرحمن بن عوف أتى بطعام وكان صائما فقال قتل مصعب بن عمير وهو خير مني فكفن في بردة ان غطى رأسه بدت رجلاه وان غطى رجلاه بدا رأسه قال وأراه قال قتل حمزة وهو خير مني فلم يوجد ما يكفن فيه الا برده ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط وقد خشيت ان تكون عجلت لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام وقال جابر بن عبد الله رأى عمر بن الخطاب لحما معلقا في يدي فقال ما هذا يا جابر قلت اشتهيت لحما فاشتريته فقال عمر أو كلما اشتهيت يا جابر اشتريت اما تخاف هذه الآية أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا قوله تعالى

عرض الحوض عليها فقلبوا (أذهبتم) أي يقال لهم اذهبتم وهو ناصب الظرف (طيباتكم في حياتكم الدنيا) اي ما كتب لكم حظ من الطيبات الا ما قد أصبتموه في دنياكم وقد ذهبتم به وأخذتموه فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شئ منها وعن عمر رضي الله عنه لو شئت لكنت اطيبكم طعاما واحسنكم لباسا ولكني أستبقي طيباتي وقوله (واستمتعتم بها) بالطيبات (فاليوم تجزون عذاب الهون) أي الهوان وقرئ به (بما كنتم تستكبرون) تتكبرون (في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) أي باستكباركم وفسقكم

(واذكر أخا عاد) أي هودا (إذ أنذر قومه بالأحقاف) جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء إذا اعوج عن ابن عباس رضي الله عنهما هو واد بين عمان ومهرة (وقد خلت النذر) جمع نذير بمعنى المنذر والانذار (من بين يديه ومن خلفه) من قبل هود ومن خلف هود وقوله وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه وقع اعتراضا بين

أنذر قومه وبين (ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) والمعنى واذكر انذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك (قالوا) أي قوم هود (أجئتنا لتأفكنا) لتصرفنا فالأفك الصرف يقال افكه عن رأيه (عن آلهتنا) عن عبادتها (فأتنا بما تعدنا) من معاجلة العذاب على الشرك (إن كنت من الصادقين) في وعيدك (قال إنما العلم) بوقت مجيء العذاب (عند الله) ولا علم لي بالوقت الذي يكون فيه تعذيبكم (وأبلغكم ما أرسلت به) إليكم وبالتخفيف أبو عمرو أي الذي هو من شأني أن أبلغكم ما أرسلت به من الانذار والتخويف (ولكني أراكم قوما تجهلون) أي ولكنكم جاهلون لا تعلمون أن الرسل بعثوا منذرين لا مقترحين ولا سائلين غير ما أذن لهم فيه (فلما رأوه) الضمير يرجع إلى ما تعدنا أو هو مبهم وضح أمره بقوله (عارضا) إما تمييزا أو حالا والعارض السحاب الذي يعرض في أفق السماء (مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا) روي أن المطر قد احتبس عنهم فرأوا سحابة استقبلت أوديتهم فقالوا هذا سحاب يأتينا بالمطر مستجمعا وأظهروا من ذلك فرحا وإضافة مستقبل وممطر مجازية غير معرفة بدليل وقوعهما وهما مضافان إلى معرفتين وصفا للنكرة (بل هو) أي قال هود بل هو ويدل عليه قراءة من قرأ قال هود بل هو (ما استعجلتم به) من العذاب ثم فسره فقال (ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء) تهلك من نفوس عاد وأموالهم الجم الكثير فعبر عن الكثرة بالكلية (بأمر ربها) رب الريح

(واذكر أخا عاد) يعني هودا عليه السلام (إذ أنذر قومه بالأحقاف) قال ابن عباس الأحقاف واد بين عمان ومهرة وقيل كانت منازل عاد باليمن في حضرموت بموضع يقال له مهرة وكانوا أهل عمد سيارة في الربيع فإذا هاج العود رجعوا إلى منازلهم وكانوا من قبيلة إرم وقيل إن عادا كانوا أحياء باليمن وكانوا أهل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر والأحقاف جمع حقف وهو المستطيل من الرمل فيه اعوجاج كهيئة الجبل ولم يبلغ أن يكون جبلا وقيل الأحقاف ما استدار من الرمل (وقد خلت النذر) أي مضت الرسل (من بين يديه) أي من قبل هود (ومن خلفه) أي من بعده (ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) والمعنى أن هودا قد أنذرهم بذلك وأعلمهم أن الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره (قالوا أجئتنا لتأفكنا) أي لتصرفنا (عن آلهتنا) أي عبادتها (فأتنا بما تعدنا) أي من العذاب (إن كنت من الصادقين) يعني أن العذاب نازل بنا (قال) يعني هودا (إنما العلم عند الله) يعني هو يعلم متى يأتيكم العذاب (وأبلغكم ما أرسلت به) يعني من الوحي الذي أنزله الله علي وأمرني بتبليغه إليكم (ولكني أراكم قوما تجهلون) يعني تدرا العذاب الذي ينزل بكم (فلما رأوه) يعني رأوا ما يوعدون به من العذاب ثم بينه فقال تعالى (عارضا) يعني رأوا سحابا عارضا وهو السحاب الذي يعرض في ناحية السماء ثم يطبق السماء (مستقبل أوديتهم) وذلك أنه خرجت عليهم سحابة سوداء من ناحية واد يقال له المغيث وكان قد حبس عنهم المطر مدة طويلة فلما رأوا تلك السحابة استبشروا بها ثم (قالوا هذا عارض ممطرنا) قال الله ردا عليهم (بل هو ما استعجلتم به) يعني من العذاب ثم بين ماهية ذلك العذاب فقال تعالى (ريح فيها عذاب أليم) ثم وصف تلك الريح فقال تعالى (تدمر كل شيء بأمر ربها) يعني تهلك كل شيء مرت به من رجال عاد وأموالهم يقال إن تلك الريح كانت تحمل الفسطاط وتحمل الظعينة حتى ترى كأنها جرادة فلما رأوا ذلك دخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم فجاءت الريح فقلعت الأبواب وصرعتهم وأمر الله الريح فأهالت عليهم الرمال فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم أمر الله الريح فكشفت عنهم الرمل واحتملتهم فرمت بهم في البحر وقيل إن هودا عليه السلام لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى من معه من المؤمنين خطا فكانت الريح تمر بهم لينة باردة طيبة والريح التي تصيب قومه شديدة عاصفة مهلكة وهذه معجزة عظيمة لهود عليه السلام وقيل إن الله تعالى أمر خازن الريح أن يرسل عليهم مثل مقدار الخاتم فأهلكهم الله بهذا القدر وفي هذا إظهار كمال القدرة (ق) عن عائشة قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم

(فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم) عاصم وحمزة وخلف أي لا يرى شئ الا مساكنهم غيرهم لا ترى الا مساكنهم والخطاب للرائى من كان (كذلك نجزي القوم المجرمين) أي مثل ذلك نجزي من اجرم مثل جرمهم وهو تحذير لمشركي العرب عن ابن عباس رضي الله عنهما اعتزل هود عليه السلام ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما تلذه الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة (ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه) ان نافية أي فيما مكناكم فيه الا أن ان أحسن في اللفظ لما في مجامعة ما مثلها من التكرير المستبشع ألا ترى ان الاصل في مهما ماما فلبشاعة التكرير قلبوا الالف هاء وقد جعلت ان صلة وتؤول بانا مكناهم في مثل ما مكناكم فيه والوجه هو الاول لقوله تعالى هم أحسن أثاثا ورئيا كانوا اكثر منهم وأشد قوة وآثارا وما بمعنى الذي او نكرة موصوفة (وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة) اي آلات الدرك والفهم (فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شئ) اي من شئ من الاغناء وهو القليل منه (اذ كانوا يجحدون بآيات الله) اذ نصب بقوله فما اغنى وجرى مجرى التعليل والظرف في قولك ضربته لاساءته وضربته اذ أساء لانك اذا ضربته في وقت اساءته فانما ضربته فيه لوجود اساءته فيه الا ان اذ وحيث غلبتا دون سائر الظروف في ذلك (وحاق بهم) ونزل بهم (ما كانوا به يستهزؤن) جزاء استهزائهم وهذا تهديد لكفار مكة ثم زادهم تهديدا بقوله (ولقد أهلكنا ما حولكم) يا أهل مكة (من القرى) نحو حجر ثمود وقرى قوم لوط والمراد أهل القرى ولذلك قال (وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون) أي كررنا عليهم الحجج وأنواع العبر لعلهم يرجعون عن الطغيان الى الايمان فلم يرجعوا (فلولا) فهلا (نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة) القربان ما تقرب به الى الله تعالى أي اتخذوهم شفعاء متقربا بهم الى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله واحد مفعولي اتخذوا الراجع الى

مستجمعا قط ضاحكا حتى ترى منه لهواته انما كان يتبسم زاد في رواية وكان اذا رأى غيما عرف في وجهه قالت يا رسول الله الناس اذا رأوا الغيم فرحوا رجاء ان يكون فيه المطر وأراك اذا رأيت غيما عرف في وجهك الكراهة فقال يا عائشة وما يؤمنني ان يكون فيه عذاب قد عذب قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا وفي رواية قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا رأى مخيلة في السماء أقبل وأدبر ودخل وخرج وتغير وجهه فاذا أمطرت السماء سرى عنه فعرفته عائشة ذلك فقال وما أدري لعله كما قال قوم هود فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا الآية وفي رواية أخرى قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا عصفت الريح قال اللهم اني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به واذا تخيلت السماء تغير لونه وخرج ودخل وأقبل وأدبر فاذا أمطرت السماء سري عنه فعرفت ذلك عائشة فسألته فقال لعله يا عائشة كما قال قوم عاد فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا المخيلة السحاب الذي يظن فيه مطر وتخيلت السماء اذا تغيمت وقولها سري عنه أي كشف وازيل عنه ما كان به من الغم والحزن وقوله تعالى (فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم) قرئ بالتاء مفتوحة على انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ما ترى يا محمد الا مساكنهم خاوية عاطلة من السكان ليس فيها احد وقرئ بالياء المضمومة والمعنى لا يرى الا آثار مساكنهم لان الريح لم تبق منها الا الآثار والمساكن معطلة (كذلك نجزي القوم المجرمين) يخوف بذلك كفار مكة ثم قال تعالى (ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه) الخطاب لاهل مكة يعني مكناهم فيما لم نمكنكم فيه من قوة الابدان وطول الاعمار وكثرة الاموال (وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة) يعني انا أعطيناهم هذه الحواس ليستعملوها فيما ينفعهم في أمر الدين فما استعملوها الا في طلب الدنيا ولذاتها فلا جرم (فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ) يعني انه لما نزل بهم العذاب ما أغنى ذلك عنهم شيأ (اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) يعني ونزل بهم العذاب الذي كانوا يطلبونه على سبيل الاستهزاء (ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى) الخطاب لاهل مكة يعني اهلكنا قرى ديار ثمود وهي الحجر وسدوم وهي قرى قوم لوط بالشام وقرى قوم عاد باليمن يخوف أهل مكة بذلك (وصرفنا الآيات) يعني وبينا لهم الحجج والدلائل الدالة على التوحيد (لعلهم يرجعون) يعني عن كفرهم فلم يرجعوا فاهلكناهم بسبب كفرهم وتماديهم في الكفر (فلولا) يعني فهلا (نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة)

يعني انهم اتخذوا الاصنام آلهة يتقربون بعبادتها الى الله تعالى والقربان كل ما يتقرب به الى الله تعالى (بل ضلوا عنهم) يعني بل ضلت الآلهة عنهم فلم تنفعهم عند نزول العذاب بهم (وذلك افكهم) يعني كذبهم الذي كانوا يقولون انها تقربهم الى الله تعالى وتشفع لهم عنده (وما كانوا يفترون) يعني يكذبون بقولهم انها آلهة وانها تشفع لهم قوله عز وجل (واذ صرفنا اليك نفرا من الجن) الآية

(ذكر القصة في ذلك) قال المفسرون لما مات أبو طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان في حياته يحوطه وينصره ويمنعه ممن يؤذيه فلما مات وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحشة من قومه فخرج الى الطائف يلتمس من ثقيف النصرة له والمنعة من قومه فروى محمد بن اسحق عن زيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف عمد الى نفر من ثقيف وهم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم وهم اخوة ثلاثة عبد ياليل ومسعود وحبيب بنو عمير وعندهم امرأة من قريش من بني جمح فجلس اليهم فدعاهم الى الله وكلمهم بما جاءله من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال له أحدهم هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله أرسلك وقال الآخر ما وجد الله احدا ارسله غيرك وقال الثالث لا أكلمك كلمة أبدا لئن كنت رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم خطرا من ان أرد عليك الكلام وان كنت تكذب على الله فما ينبغي لي ان اكلمك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خير ثقيف فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا علي وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبلغ قومه فيزيد ذلك في تجرئهم عليه فلم يفعلوا واغروا به سفهاءهم وعبيدهم فجعلوا يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع اليه الناس والجؤه الى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما فيه فرجع عنه سفهاء ثقيف ومن كان تبعه منهم فعمد الى ظل حبلة من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران اليه ويريان ما لقي من سفهاء ثقيف وقد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المرأة التي من بني جمح فقال لها ماذا لقينا من احمائك فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اني اشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس فأنت رؤف وأنت أرحم الراحمين وأنت رب المستضعفين وأنت ربي الى من تكلني الى بعيد يتجهمني أو الى عدو ملكته أمري ان لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ولكن عافيتك أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من ان ينزل بي غضبك او يحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى لا حول ولا قوة الا بك فلما رأى ابنا ربيعة ما لقي تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس فقالا له خذ قطفا من هذا العنب وضعه في ذلك الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل وقل له يأكل منه ففعل عداس ذلك ثم اقبل بالطبق حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له كل فلما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده قال بسم الله ثم أكل فنظر عداس الى وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من أي

الذين محذوف أي اتخذوهم والثاني آلهة وقربانا حال (بل ضلوا عنهم) غابوا عن نصرتهم (وذلك افكهم وما كانوا يفترون) وذلك اشارة الى امتناع نصرة آلهتهم وضلالهم عنهم أي وذلك أثر افكهم الذي هو اتخاذهم اياها آلهة وثمرة شركهم وافترائهم على الله الكذب (واذ صرفنا اليك نفرا) املناهم اليك واقبلنا بهم نحوك والنفر دون العشرة (من الجن) جن نصيبين

البلاد انت يا عداس وما دينك فقال أنا نصراني وأنا رجل من أهل نينوى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال له عداس وما يدريك ما يونس بن متى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك أخي كان نبيا وانا نبي فأكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل رأسه ويديه وقدميه قال فقال أحد ابني ربيعة اما غلامك فقد أفسده عليك فلما جاءهم عداس قالا له ويلك يا عداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه قال يا سيدي ما في الارض خير من هذا الرجل لقد أخبرني بأمر ما يعلمه الا نبي فقالا له ويحك يا عداس لا يصرفك عن دينك فان دينك خير من دينه ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطائف راجعا الى مكة حين يئس من خير ثقيف حتى اذا كان ببطن نخلة قام من جوف الليل يصلي فمر به نفر من جن نصيبين كانوا قاصدين اليمن وذلك حين منعوا من استراق السمع من السماء ورموا بالشهب فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته ولوا الى قومهم منذرين وقد آمنوا به وأجابوا الى ما سمعوا القرآن فقص الله خبرهم عليه فقال تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن وفي الآية قول آخر وسيأتي في سورة الجن وهو حديث مخرج في الصحيحين من حديث ابن عباس وروي ان الجن لما رجموا بالشهب بعث ابليس سراياه ليعرف الخبر فكان أول بعث بعث من أهل نصيبين وهم أشراف الجن وساداتهم فبعثهم الى تهامة وقال أبو حمزة بلغنا انهم من بني الشيصبان وهم أكثر الجن عددا وهم عامة جنود ابليس فلما رجعوا الى قومهم قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا وقال جماعة بل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينذر الجن ويدعوهم الى الله ويقرأ عليهم القرآن فصرف الله عز وجل اليه نفرا من الجن وهم من أهل نينوى وجمعهم له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه اني أمرت ان اقرأ على الجن الليلة فأيكم يتبعني فاطرقوا ثم استتبعهم فاطرقوا ثم استتبعهم الثالثة فتبعه عبد الله بن مسعود قال عبد الله بن مسعود ولم يحضر معه أحد غيري قال فانطلقنا حتى اذا كنا بأعلى مكة دخل نبي الله صلى الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون وخط لي خطا ثم أمرني ان أجلس فيه وقال لا تخرج منه حتى أعود اليك فانطلق حتى قام عليهم فافتتح القرآن فجعلت أرى مثال النسور تهوى وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على نبي الله صلى الله عليه وسلم وغشيته اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى لا أسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين ففرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مع الفجر فانطلق الي فقال لي نمت فقلت لا والله يا رسول الله لقد هممت مرارا ان أستغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول لهم اجلسوا فقال لو خرجت لم آمن عليك أن يتخطفك بعضهم ثم قال هل رأيت شيأ قلت نعم رأيت رجالا سودا عليهم ثياب بيض قال أولئك جن نصيبين سألوني المتاع والمتاع الزاد فمتعتهم بكل عظم حائل وروثة وبعرة فقالوا يا رسول الله يقذرها الناس علينا فنهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يستنجى بالعظم والروث قال فقلت يا رسول الله وما يغني ذلك عنهم فقال انهم لا يجدون عظما الا وجدوا عليه لحمه يوم أكل ولا روثة الا وجدوا فيها حبها يوم أكلت فقلت يا رسول الله سمعت لغطا شديدا فقال ان الجن تدارأت في قتيل قتل

بينهم فتحاكموا الى فقضيت بينهم بالحق قال ثم تبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتانى فقال هل معك ماء قلت يارسول الله معى اداوة فيها شئ من نبيذ التمر فاستدعاه فصببت على يديه فتوضأ وقال تمرة طيبة وماء طهور قال قتادة ذكر لنا ان ابن مسعود قدم الكوفة رأى شيوخا شمطا من الزط فافزعوه حين رآهم ثم قال اظهروا فقيل له ان هؤلاء قوم من الزط فقال ما أشبههم بالنفر الذين صرفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن قلت حديث التوضؤ بنبيذ التمر ضعيف ذكره البيهقى فى كتابه الخلافيات باسانيده وأجاب عنها كلها والذى صح عن علقمة قال قلت لابن مسعود هل صحب النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الجن منكم أحد قال ماصحبه منا أحد ولكنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه فى الاودية والشعاب فقلنا استطير أو اغتيل فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما أصبحنا اذا هو جاء من قبل حراء فقلنا يارسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات قوم قال أتانى داعى الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن قال فانطلق بنا فارانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع فى أيديكم اوفر ما يكون لحما وكل بعرة علف لدوابكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم الجن زاد فى رواية قال الشعبى وكانوا من جن الجزيرة اخرجه مسلم فى صحيحه

*وأما تفسير الآية فقوله تعالى واذ صرفنا اليك الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى واذكر اذ بعثنا اليك يا محمد نفرا من الجن واختلفوا فى عدد أولئك النفر فقال ابن عباس كانوا سبعة من جن نصيبين فجعلهم رسول الله رسلا الى قومهم وقال آخرون كانوا تسعة وروى عن زر بن حبيش قال كان زوبعة من التسعة الذين استمعوا القرآن وروى ان الجن ثلاثة اصناف صنف منهم لهم أجنحة يطيرون بها فى الهواء وصنف على صور الحيات والكلاب وصنف يحلون ويظعنون ونقل بعضهم ان أولئك الجن كانوا يهودا فاسلموا قالوا وفى الجن ملل كثيرة مثل الانس ففيهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاصنام وفى مسلميهم مبتدعة ومن يقول بالقدر وخلق القرآن ونحو ذلك من المذاهب والبدع واطبق المحققون من العلماء على ان الكل مكلفون سئل ابن عباس هل للجن ثواب فقال نعم لهم ثواب وعليهم عقاب (يستمعون القرآن فلما حضروه) الضمير يعود الى القرآن يعنى فلما حضروا القرآن وقيل يحتمل انه يعود على الرسول صلى الله عليه وسلم ويكون المعنى فلما حضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم لاجل استماع القرآن (قالوا أنصتوا) يعنى قال بعضهم لبعض اسكتوا لنسمع الى قراءته ولا يحول بيننا وبين سماعه شئ فانصتوا واستمعوا القرآن حتى كاد يقع بعضهم على بعض من شدة حرصهم على سماعه (فلما قضى) أى فرغ من قراءته (ولوا) أى رجعوا (الى قومهم منذرين) يعنى داعين لهم الى الايمان مخوفين لهم من المخالفة وذلك بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم

(يستمعون القرآن) منه عليه الصلاة والسلام (فلما حضروه) أى الرسول صلى الله عليه وسلم أو القرآن أى كانوا منه بحيث يسمعون (قالوا) أى قال بعضهم لبعض (أنصتوا) اسكتوا مستمعين روى ان الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا الا لنبأ حدث فنهض سبعة نفر أو تسعة من أشراف جن نصيبين أو نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا الى وادى نخلة فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم فى جوف الليل يصلى او فى صلاة الفجر فاستمعوا لقراءته وعن سعيد بن جبير ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم وانما كان يتلو فى صلاته فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر فانبأه الله باستماعهم وقيل بل الله أمر رسوله ان ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف اليه نفرا منهم فقال انى امرت ان اقرأ على الجن الليلة فمن يتبعنى قالها ثلاثا فاطرقوا الا عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه قال لم يحضره ليلة الجن أحد غيرى فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة فى شعب الحجون فخط لى خطا وقال لا تخرج منه حتى اعود اليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت شيأ قلت نعم رجالا سودا فقال أولئك جن نصيبين وكانوا اثنى عشر الفا والسورة التى قرأها عليهم اقرأ باسم ربك (فلما قضى) أى فرغ النبى صلى الله عليه وسلم من القراءة (ولوا الى قومهم منذرين) اياهم لهم

لهم وذلك بعد ايمانهم لانهم لا يدعون غيرهم الى سماع القرآن والتصديق الا بعد ايمانهم به وتصديقهم له (قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا) قال عطاء كان دينهم اليهودية ولذلك قالوا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا (لما بين يديه) يعني من الكتب الالهية المنزلة من السماء وذلك ان كتب الانبياء كانت مشتملة على الدعوة الى التوحيد وتصديق الانبياء والايمان بالمعاد والحشر والنشر وجاء هذا الكتاب وهو القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم كذلك فذلك هو تصديقه لما بين يديه من الكتب (يهدى الى الحق والى طريق مستقيم) يعني يهدى الى دين الحق وهو دين الاسلام ويهدى الى طريق الجنة (ياقومنا أجيبوا داعي الله) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم لانه لا يوصف بهذا غيره وفي الآية دليل على انه مبعوث الى الانس والجن جميعا قال مقاتل لم يبعث الله نبيا الى الانس والجن قبله (وآمنوا به) فان قلت قوله تعالى أجيبوا داعي الله أمر باجابته في كل ما أمر به فيدخل فيه الامر بالايمان فلم أعاد ذكره بلفظ التعيين قلت انما أعاده لان الايمان أهم اقسام المأمور به وأشرفها فلذلك ذكره على التعيين فهو من باب ذكر العام ثم يعطف عليه أشرف انواعه (يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم) قال بعضهم لفظة من هنا زائدة والتقدير يغفر لكم ذنوبكم وقيل هي على أصلها وذلك أن الله يغفر من الذنوب ما كان قبل الاسلام فاذا أسلموا جرت عليهم أحكام الاسلام فمن أتى بذنب أخذ به ما لم يتب منه أو يبقى تحت خطر المشيئة ان شاء الله غفر له وان شاء آخذه بذنبه واختلف العلماء في حكم مؤمني الجن فقال قوم ليس لهم ثواب الا نجاتهم من النار وتأولوا قوله يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم واليه ذهب أبو حنيفة وحكى عن الليث قال ثوابهم أن يجاروا من النار ثم يقال لهم كونوا ترابا مثل البهائم وعن أبي الزناد قال اذا قضى بين الناس قيل لمؤمني الجن عودوا ترابا فيعودون ترابا فعند ذلك يقول الكافر ياليتني كنت ترابا وقال الآخرون لهم الثواب في الاحسان كما يكون عليهم العقاب في الاساءة كالانس وهذا هو الصحيح وهو قول ابن عباس واليه ذهب مالك وابن أبي ليلى قال الضحاك الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون وقال ارطاة بن المنذر سألت ضمرة بن حبيب هل للجن ثواب قال نعم وقرأ لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان قال فالانسيات للانس والجنيات للجن وقال عمر بن عبد العزيز ان مؤمني الجن حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها يعني في الجنة وقوله تعالى (ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض) يعني لا يعجز الله فيفوته (وليس له من دونه أولياء) يعني أنصارا يمنعونه من الله (أولئك) يعني الذين لم يجيبوا داعي الله (في ضلال مبين) قوله تعالى (أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن) يعني انه تعالى خلق هذا الخلق العظيم ولم يعجز عن ابداعه واختراعه وتكوينه (بقادر على أن يحيي الموتى) يعني ان اعادة الخلق واحياءه بعد الموت أهون عليه من ابداعه وخلقه فالكل عليه هين ابداع الخلق واعادته بعد الموت وهو قوله (بلى انه على كل شيء قدير) يعني من اماتة الخلق واحيائهم لانه قادر على

(قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى) وانما قالوا من بعد موسى لانهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الجن لم تكن سمعت بامر عيسى عليه السلام (مصدقا لما بين يديه) من الكتب (يهدى الى الحق) الى الله تعالى (والى طريق مستقيم ياقومنا أجيبوا داعي الله) أي محمدا صلى الله عليه وسلم (وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم) قال أبو حنيفة رضي الله عنه لا ثواب لهم الا النجاة من النار لهذه الآية وقال مالك وابن أبي ليلى وأبو يوسف ومحمد رحمهم الله لهم الثواب والعقاب وعن الضحاك أنهم يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون لقوله تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان (ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض) أي لا ينجي منه مهرب (وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن) هو كقوله وما مسنا من لغوب ويقال عييت بالامر اذا لم تعرف وجهه (بقادر) محله الرفع لانه خبر يدل عليه قراءة عبد الله قادر وانما دخلت الباء لاشتمال النفي في أول الآية على أن وما في حيزها وقال الزجاج لو قلت ما ظننت أن زيدا بقائم جاز كانه قيل أليس الله بقادر ألا ترى الى وقوع بلى مقررة للقدرة على كل شيء من البعث وغيره لا لرؤيتهم (على أن يحيي الموتى بلى) هو جواب للنفي (انه على كل شيء قدير

كل شئ (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) فيه اضمار تقديره فيقال لهم (أليس هذا بالحق) يعني هذا العذاب هو الذي وعدكم به الرسل وهو الحق (قالوا بلى وربنا) هذا اعتراف منهم على أنفسهم بعدما كانوا منكرين لذلك وفيه توبيخ وتقريع لهم فعند ذلك (قال) لهم (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) قوله عز وجل (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أمره الله تعالى بالاقتداء باولي العزم من الرسل في الصبر على أذى قومه قال ابن عباس ذوو الحزم وقال الضحاك ذوو الجد والصبر واختلفوا في أولي العزم من الرسل من هم فقال ابن زيد كل الرسل كانوا أولي عزم لم يبعث الله نبيا الا كان ذا عزم وحزم ورأي وكمال عقل وهذا القول هو اختيار الامام فخر الدين الرازي قال لان لفظة من في قوله من الرسل للتبيين لا للتبعيض كما تقول ثوب من خز كانه قيل له اصبر كما صبر الرسل من قبلك على أذى قومهم ووصفهم بالعزم لقوة صبرهم وثباتهم وقال بعضهم الانبياء كلهم أولوا العزم الا يونس لعجلة كانت فيه ألا ترى أنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ولا تكن كصاحب الحوت وقال قوم أولوا العزم هم نجباء الرسل المذكورون في سورة الانعام وهم ثمانية عشر نبيا لقوله بعد ذكرهم أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال الكلبي هم الذين أمروا بالجهاد وأظهروا المكاشرة لاعداء الله وقيل هم ستة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى وهم المذكورون على النسق في سورة الاعراف والشعراء وقال مقاتل هم ستة نوح صبر على أذى قومه وابراهيم صبر على النار واسحق صبر على الذبح في قول ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف صبر على الجب والسجن وأيوب صبر على الضر وقال ابن عباس وقتادة هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى أصحاب الشرائع فهم مع محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين خمسة وقد ذكرهم الله على التخصيص والتعيين في قوله واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وفي قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الآية روى البغوي بسنده عن عائشة قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله لم يرض من أولي العزم الا بالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ولم يرض الا أن كلفني ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل واني والله لا بد لي من طاعته والله لاصبرن كما صبروا ولاجهدن ولا قوة الا بالله قوله تعالى (ولا تستعجل لهم) يعني اصبر على أذاهم ولا تستعجل بنزول العذاب عليهم فانه نازل بهم لا محالة كانه صلى الله عليه وسلم ضجر بعض الضجر فأحب أن ينزل العذاب بمن أبى منهم فأمره الله تعالى بالصبر وترك الاستعجال ثم أخبر بقرب العذاب فقال تعالى (كأنهم يوم يرون ما يوعدون) يعني من العذاب في الآخرة (لم يلبثوا) يعني في الدنيا (الا ساعة من نهار) يعني أنهم اذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم في الدنيا والبرزخ كأنه قدر ساعة من نهار لان ما مضى وان كان طويلا فهو يسير الى ما يدوم عليهم من العذاب وهو أبدا الآبدين بلا انقطاع ولا فناء وتم الكلام عند قوله ساعة من نهار ثم ابتدأ فقال تعالى (بلاغ) أي هذا القرآن

ويوم يعرض الذين كفروا على النار) يقال لهم (أليس هذا بالحق) وناصب الظرف القول المضمر وهذا اشارة الى العذاب (قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) بكفركم في الدنيا (فاصبر كما صبر أولوا العزم) أولوا الجد والثبات والصبر (من الرسل) من للتبعيض والمراد باولي العزم ما ذكر في الاحزاب واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم ويونس ليس منهم لقوله ولا تكن كصاحب الحوت وكذا آدم لقوله ولم نجد له عزما أو للبيان فيكون أولوا العزم صفة الرسل كلهم (ولا تستعجل لهم) لكفار قريش بالعذاب أي لا تدع لهم بتعجيله فانه نازل بهم لا محالة وان تأخر (كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار) أي انهم يستقصرون حينئذ مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبوها ساعة من نهار (بلاغ) هذا بلاغ أي هذا الذي وعظتم به كفاية في الموعظة أو هذا تبليغ من الرسول

فهل يهلك) هلاك عذاب والمعنى فلن يهلك بعذاب الله (الا القوم الفاسقون) أى المشركون الخارجون عن الاتعاظ به والعمل بموجبه قال عليه السلام من قرأ سورة الاحقاف كتب الله له عشر حسنات بعدد كل ١٧١ رملة فى الدنيا *(سورة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل سورة القتال مدنية وقيل مكية وهى ثمان وثلاثون آية أو تسع وثلاثون آية)*

(بسم الله الرحمن الرحيم

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) أى أعرضوا وامتنعوا عن الدخول فى الاسلام أو صدوا غيرهم عنه قال الجوهرى صد عنه يصد صدودا أى أعرض وصده عن الامر صدا منعه وصرفه عنه وهم المطعمون يوم بدر أو أهل الكتاب أو عام فى كل من كفر وصد (أضل أعمالهم) أبطلها وأحبطها وحقيقته جعلها ضالة ضائعة ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الابل وأعمالهم ما عملوه فى كفرهم من صلة الارحام واطعام الطعام وعمارة المسجد الحرام أو ما عملوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيل الله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) هم ناس من قريش أو من الانصار أو من اهل الكتاب أو عام (وآمنوا بما نزل على محمد) وهو القرآن وتخصيص الايمان بالمنزل على رسوله من بين ما يجب الايمان به لتعظيم شانه وأكد ذلك بالجملة الاعتراضية وهى قوله (وهو الحق من ربهم) أى القرآن وقيل ان دين محمد هو الحق اذ لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره (كفر عنهم سيآتهم) ستر بايمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصى لرجوعهم عنها وتوبتهم (وأصلح بالهم) أى حالهم وشأنهم بالتوفيق فى أمور الدين وبالتسليط على الدنيا بما أعطاهم من النصرة

وما فيه من البينات والهدى بلاغ من الله الحكيم والبلاغ بمعنى التبليغ (فهل يهلك) يعنى بالعذاب اذا نزل (الا القوم الفاسقون) يعنى الخارجين عن الايمان بالله وطاعته قال الزجاج تأويله لا يهلك مع رحمة الله وفضله الا القوم الفاسقون ولهذا قال قوم ما فى الرجاء لرحمة الله آية أقوى من هذه الآية والله أعلم

(تفسير سورة محمد صلى الله عليه وسلم وهى مدنية وهى ثمان وثلاثون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم) يعنى أبطلها ولم يتقبلها منهم وأراد بالاعمال ما كانوا يفعلون من أعمال البر من اطعام الطعام وصلة الارحام وفك العانى وهو الاسير واجارة المستجير ونحو ذلك قال بعضهم أول هذه السورة متعلق بآخر سورة الاحقاف المتقدمة كأن قائلا قال كيف يهلك القوم الفاسقون ولهم أعمال صالحة كاطعام الطعام ونحوه من الاعمال والله لا يضيع لعامل عمله ولو كان مثقال ذرة من خير فاخبر بأن الفاسقين هم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم يعنى أبطلها لانها لم تكن لله ولا بأمره انما فعلوها من عند أنفسهم ليقال عنهم ذلك فلهذا السبب أبطلها الله تعالى وقال الضحاك أبطل كيدهم ومكرهم بالنبى صلى الله عليه وسلم وجعل الدائرة عليهم قال بعضهم المراد بقوله الذين كفروا هم الذين كانوا يطعمون الجيش يوم بدر وهم رؤس كفار قريش منهم أبو جهل والحرث بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وغيرهم وقيل هم جميع كفار قريش وقيل هم كفار أهل الكتاب وقيل هو عام فيدخل فيه كل كافر وصدوا عن سبيل الله يعنى ومنعوا غيرهم عن الدخول فى دين الله وهو الاسلام أو منعوا أنفسهم من الدخول فى الاسلام أضل أعمالهم يعنى أبطلها لانها كانت لغير الله ومنه قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال ابن عباس الذين كفروا مشركو قريش والذين آمنوا هم الانصار وقيل مؤمنو أهل الكتاب وقيل هو عام فيدخل فيه كل مؤمن آمن بالله ورسوله وهذا هو الاولى ليشمل جميع المؤمنين (وآمنوا بما نزل على محمد) يعنى القرآن الذى أنزله الله على محمد وانما ذكره بلفظ الاختصاص مع ما يجب من الايمان بجميع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تعظيما لشان القرآن الكريم وتنبيها على انه لا يتم الايمان الا به وأكد ذلك بقوله (وهو الحق من ربهم) وقيل معناه ان دين محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق لانه ناسخ للاديان كلها ولا يرد عليه نسخ وقال سفيان الثورى فى قوله وآمنوا بما نزل على محمد يعنى لم يخالفوه فى شئ (كفر عنهم سيآتهم) يعنى ستر بايمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصى لرجوعهم وتوبتهم منها فغفر لهم بذلك ما كان منهم (وأصلح بالهم) يعنى حالهم وشأنهم وأمرهم بالتوفيق فى أمور الدين والتسليط على أمور

والتأييد (ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) ذلك مبتدأ وما بعده خبره أي ذلك الامر وهو اضلال أعمال أحد الفريقين وتكفير سيآت الثاني والاصلاح كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهو الشيطان وهؤلاء الحق وهو القرآن (كذلك) مثل ذلك الضرب (يضرب الله) أي يبين الله (للناس أمثالهم) والضمير راجع الى الناس أو الى المذكورين من الفريقين على معنى أنه يضرب أمثالهم لاجل الناس ليعتبروا بهم وقد جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكافرين واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين أو جعل الاضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيآت مثلا لفوز الابرار (فاذا لقيتم الذين كفروا) من اللقاء وهو الحرب (فضرب الرقاب) أصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر فانيب منابه مضافا الى المفعول وفيه اختصار مع اعطاء معنى التوكيد لانك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنصبة التي فيه وضرب الرقاب عبارة عن القتل لان الواجب أن تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الاعضاء ولان قتل الانسان اكثر ما يكون بضرب رقبته فوقع عبارة عن القتل وان ضرب غير رقبته (حتى اذا أثخنتموهم) أكثرتم فيهم القتل (فشدوا الوثاق) فاسروهم والوثاق بالفتح والكسر اسم ما يوثق به والمعنى فشدوا وثاق الاسارى حتى لا يفلتوا منكم (فامامنا بعد) أي بعد أن تاسروهم (واما فداء) منا وفداء منصوبان بفعليهما مضمرين أي فاما تمنون منا أو تفدون فداء والمعنى التخيير بين الامرين بعد الاسر بين أن يمنوا عليهم فيطلقوهم وبين أن يفادوهم وحكم أسارى المشركين عندنا القتل أو الاسترقاق والمن والفداء المذكور في الآية منسوخ بقوله اقتلوا المشركين لان سورة براءة من آخر ما نزل وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء انما هو الاسلام أو ضرب العنق أو المراد بالمن ان يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا أو يمن عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية وبالفداء أن يفادي باساراهم اسارى المسلمين فقد رواه الطحاوي مذهبا عن أبي حنيفة رحمه الله وهو قولهما والمشهور انه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره لئلا يعودوا حربا علينا وعند الشافعي رحمه الله تعالى للامام ان يختار أحد الامور الاربعة القتل والاسترقاق والفداء باسارى المسلمين والمن

الدنيا بما أعطاهم من النصر على أعدائهم وقيل أصلح بالهم يعني قلوبهم لان القلب اذا صلح صلح سائر الجسد وقال ابن عباس عصمهم أيام حياتهم يعني أن هذا الاصلاح يعود الى اصلاح أعمالهم حتى لا يعصوا (ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل) يعني الشيطان (وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) يعني القرآن ومعنى الآية ذلك الامر وهو اضلال اعمال الكفار وتكفير سيآت المؤمنين كائن بسبب اتباع الكفار الباطل واتباع المؤمنين الحق من ربهم (كذلك يضرب الله للناس أمثالهم) الضمير في أمثالهم راجع الى الناس على أنه تعالى يضرب للناس أمثال أنفسهم أو انه راجع الى الفريقين على معنى انه تعالى ضرب امثال الفريقين للناس ليعتبروا بها قال الزجاج كذلك يضرب الله امثال حسنات المؤمنين وامثال اعمال الكافرين للناس قوله تعالى (فاذا لقيتم الذين كفروا) من اللقاء وهو الحرب (فضرب الرقاب) يعني فاضربوا رقابهم ضربا وضرب الرقاب عبارة عن القتل لأن المراد ضرب الرقاب فقط دون سائر الاعضاء وانما خص الرقاب بالضرب لان قتل الانسان اشنع ما يكون بضرب رقبته فلذلك خصت بالذكر في الامر بالقتل ولان الرأس من أشرف اعضاء البدن فاذا ابين عن بدنه كان اسرع الى الموت والهلاك بخلاف غيره من الاعضاء (حتى اذا أثخنتموهم) يعني بالغتم في القتل وقهرتموهم مأخوذ من الشئ الثخين الغليظ والمعنى حتى اذا اثقلتموهم بالقتل والجراح ومنعتموهم النهوض والحركة (فشدوا الوثاق) يعني في الاسرى والمعنى فأسروهم وشدوا وثاقهم حتى لا يفلتوا منكم والوثاق اسم لما يوثق به أي يشد به (فامامنا بعد واما فداء) يعني بعد الاسر اما أن تمنوا عليهم منا باطلاقهم من غير عوض واما أن تفادوهم فداء

(فصل في حكم الآية) اختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال قوم هي منسوخة بقوله فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم وبقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وهذا قول قتادة والضحاك والسدي وابن جريج واليه ذهب الاوزاعي وأصحاب الرأي قالوا لا يجوز المن على من وقع في الاسر من الكفار ولا الفداء بل اما القتل او الاسترقاق أيهما رأى الامام ونقل صاحب الكشاف عن مجاهد قال ليس اليوم من ولا فداء انما هو الاسلام اوضرب العنق ويجوز أن يكون المراد أن يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا أو يمن عليهم فيخلوا لقبول الجزية ان كانوا من أهل الذمة ويراد بالفداء

أن يفادي بأسراهم أسرى المسلمين فقد رواه الطحاوي مذهبا عن أبي حنيفة والمشهور عنه أنه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره خيفة أن يعودوا حربا للمسلمين وذهب أكثر العلماء الى أن الآية محكمة والامام بالخيار في الرجال البالغين من الكفار اذا أسروا بين أن يقتلهم أو يسترقهم أو يمن عليهم فيطلقهم بلا عوض أو يفاديهم بالمال أو بأسارى المسلمين واليه ذهب ابن عمر وبه قال الحسن وعطاء وأكثر الصحابة والعلماء وهو قول الثوري والشافعي وأحمد واسحق قال ابن عباس لما كثر المسلمون واشتد سلطانهم أنزل الله عز وجل في الاسارى فاما منا بعد واما فداء وهذا القول هو الصحيح ولانه به عمل النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده (ق) عن أبي هريرة قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال فربطوه في سارية من سواري المسجد فخرج اليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما عندك يا ثمامة فقال عندي خير يا محمد ان تقتل تقتل ذا دم وان تنعم تنعم على شاكر وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان من الغد قال ما عندك يا ثمامة قال ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر وان تقتل تقتل ذا دم وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان من الغد قال ما عندك يا ثمامة قال عندي ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر وان تقتل تقتل ذا دم وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أطلقوا ثمامة فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله والله ما كان على الارض أبغض الي من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه الي والله ما كان من دين أبغض الي من دينك فأصبح دينك أحب الدين كله الي والله ما كان من بلد أبغض الي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد كلها الي وان خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى فبشره النبي صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل اصبوت قال لا ولكني أسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظ مسلم بطوله واختصره البخاري عن عمران بن حصين قال أسر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني عقيل فأوثقوه وكانت ثقيف قد أسرت رجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ففداه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجلين اللذين أسرتهما ثقيف أخرجه الشافعي في مسنده وأخرجه مسلم وأبو داود بلفظ أطول من هذا وقوله تعالى (حتى تضع الحرب أوزارها) يعني أثقالها وأحمالها والمراد أهل الحرب يعني حتى يضعوا أسلحتهم ويمسكوا عن القتال وأصل الوزر ما يحمله الانسان فسمى الاسلحة وزرا لانها تحمل وقيل الحرب هم المحاربون مثل الشرب والركب وقيل الاوزار الآثام ومعناه حتى يضع المحاربون أوزارهم بأن يتوبوا من كفرهم فيؤمنوا بالله ورسوله وقيل معناه حتى تضع حربكم وقتالكم أوزار المشركين وقبائح أعمالهم بأن يسلموا ومعنى الآية أثخنوا المشركين بالقتل والاسر حتى يدخل

(حتى تضع الحرب أوزارها) أثقالها وآلاتها التي لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع وقيل أوزارها آثامها يعني حتى تترك أهل الحرب وهم المشركون شركهم بان يسلموا وحتى لا يخلوا من أن يتعلق بالضرب والشد أو بالمن والفداء فالمعنى على كلا التعلقين عند الشافعي رحمه الله انهم لا يزالون على ذلك أبدا الى أن لا يكون حرب مع المشركين وذلك اذا لم يبق لهم شوكة وقيل اذا نزل عيسى عليه السلام وعند أبي حنيفة رحمه الله اذا علق بالضرب والشد فالمعنى انهم يقتلون ويؤسرون حتى تضع جنس الحرب الاوزار وذلك حين لا تبقى شوكة للمشركين واذا علق بالمن والفداء فالمعنى انه يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر أوزارها الا أن يتأول المن والفداء بما ذكرنا من التأويل

أهل الملل كلها فى الاسلام ويكون الدين كله لله فلا يكون بعده جهاد ولا قتال وذلك عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام وجاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم الجهاد ماض منذ بعثنى الله الى أن يقاتل آخر أمتى الدجال هكذا ذكره البغوى بغير سند وقال الكلبى معناه حتى يسلموا أو يسالموا وقال الفراء حتى لا يبقى الا مسلم أو مسالم (ذلك) يعنى الذى ذكر وبين من حكم الكفار (ولو يشاء الله لانتصر منهم) يعنى ولو شاء الله لاهلكهم بغير قتال وكفاكم أمرهم (ولكن) يعنى ولكن أمركم بالقتال (ليبلو بعضكم ببعض) يعنى فيصير من قتل من المؤمنين الى الثواب ومن قتل من الكافرين الى العذاب (والذين قتلوا فى سبيل الله) يعنى الشهداء وقرئ قاتلوا وهم المجاهدون فى سبيل الله (فلن يضل أعمالهم) يعنى فلن يبطلها بل يوفيهم ثواب أعمالهم التى عملوها لله تعالى قال قتادة ذكر لنا ان هذه الآية نزلت يوم أحد وقد فشت فى المسلمين الجراحات والقتل (سيهديهم) يعنى أيام حياتهم فى الدنيا الى ارشد الامور وفى الآخرة الى الدرجات العلا (ويصلح بالهم) ويرضى أعمالهم ويقبلها (ويدخلهم الجنة عرفها لهم) بين لهم منازلهم فى الجنة حتى اهتدوا الى مساكنهم لا يخطئونها ولا يستدلون عليها كأنهم ساكنوها منذ خلقوا فيكون المؤمن أهدى الى درجته ومنزله وزوجته وخدمه منه الى منزله وأهله فى الدنيا هذا قول أكثر المفسرين ونقل عن ابن عباس عرفها لهم طيبها لهم من العرف وهو الريح الطيبة وطعام معرف أى مطيب قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله) يعنى تنصروا دين الله ورسوله وقيل تنصروا أولياء الله وحزبه (ينصركم) يعنى على عدوكم (ويثبت أقدامكم) يعنى عند القتال وعلى الصراط (والذين كفروا فتعسا لهم) قال ابن عباس يعنى بعدا لهم وقال أبو العالية سقوطا لهم وقال الضحاك خيبة لهم وقال ابن زيد شقاء لهم وقيل التعس فى الدنيا العثرة وفى الآخرة التردى فى النار يقال للعاثر تعسا اذا دعوا عليه ولم يريدوا قيامه وضده لعا اذا دعوا له وأرادوا قيامه وفى هذا اشارة جليلة وهى انه تعالى لما قال فى حق المؤمنين ويثبت أقدامكم يعنى فى الحرب والقتال كان من الجائز ان يتوهم متوهم ان الكافر أيضا يصبر ويثبت قدمه فى الحرب والقتال فأخبر الله تعالى ان لكم الثبات أيها المؤمنون ولهم العثار والزوال والهلاك وقال فى حق المؤمنين بصيغة الوعد لان الله تعالى لا يجب عليه شئ وقال فى حق الكفار بصيغة الدعاء عليهم (وأضل أعمالهم) يعنى أبطل أعمالهم لانها كانت فى طاعة الشيطان (ذلك) يعنى التعس والاضلال (بانهم كرهوا ما أنزل الله) يعنى القرآن الذى فيه النور والهدى وانما كرهوه لان فيه الاحكام والتكاليف الشاقة على النفس لانهم كانوا قد ألفوا الاهمال واطلاق العنان فى الشهوات والملاذ فشق عليهم ترك ذلك والاخذ بالجد والاجتهاد فى طاعة الله فلهذا السبب كرهوا ما أنزل الله (فأحبط أعمالهم) يعنى فابطل أعمالهم التى عملوها فى غير طاعة الله ولان الشرك محبط للعمل ثم خوف الكفار فقال تعالى (أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) يعنى من الامم الماضية والقرون الخالية الكافرة (دمر الله عليهم) يقال دمره الله يعنى أهلكه ودمر عليه اذا أهلك

(ذلك) أى الامر ذلك فهو مبتدأ وخبر أو افعلوا بهم ذلك فهو فى محل النصب (ولو يشاء الله لانتصر منهم) لانتقم منهم بغير قتال ببعض أسباب الهلاك كالخسف أو الرجفة أو غير ذلك (ولكن) أمركم بالقتال (ليبلو بعضكم ببعض) أى المؤمنين بالكافرين تمحيصا للمؤمنين وتمحيقا للكافرين (والذين قتلوا) بصرى وحفص قاتلوا غيرهم (فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم) الى طريق الجنة أو الى الصواب فى جواب منكر ونكير (ويصلح بالهم) يرضى خصماءهم ويقبل أعمالهم (ويدخلهم الجنة عرفها لهم) عن مجاهد عرفهم مساكنهم فيها حتى لا يحتاجوا أن يسألوا أو طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة (يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله) أى دين الله ورسوله (ينصركم) على عدوكم ويفتح لكم (ويثبت أقدامكم) فى مواطن الحرب أو على محجة الاسلام (والذين كفروا) فى موضع رفع بالابتداء والخبر (فتعسا لهم) وعطف قوله (وأضل أعمالهم) على الفعل الذى نصب تعسا لان المعنى فقال تعسا لهم والتعس العثور وعن ابن عباس رضى الله عنهما يريد فى الدنيا القتل وفى الآخرة التردى فى النار (ذلك) أى التعس والاضلال (بأنهم كرهوا ما أنزل الله) أى القرآن (فأحبط أعمالهم أفلم يسيروا فى الارض) يعنى كفار أمتك (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم) أهلكهم هلاك استئصال

مايختص به والمعنى اهلك الله عليهم مايختص بهم من أنفسهم وأموالهم وأولادهم (وللكافرين) يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم (أمثالها) يعنى ان لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاءهم به من عند الله وهذا التضعيف انما يكون فى الآخرة (ذلك) يعنى الاهلاك والهوان (بأن) اى بسبب ان (الله مولى الذين آمنوا) يعنى هو ناصرهم ووليهم ومتولى أمورهم (وأن الكافرين لا مولى لهم) يعنى لا ناصر لهم وسبب ذلك ان الكفار لما عبدوا الاصنام وهى جماد لا تضر ولا تنفع ولا تنصر من عبدها فلا جرم لا ناصر لهم والفرق بين قوله وأن الكافرين لا مولى لهم وبين قوله ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ان المولى هنا بمعنى الناصر والمولى هناك بمعنى الرب والمالك والله تعالى رب كل أحد من الناس ومالكهم فبان الفرق بين الآيتين ولما ذكر الله تعالى حال المؤمنين والكافرين فى الدنيا ذكر حالهم فى الآخرة فقال تعالى (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار) يعنى هذا لهم فى الآخرة (والذين كفروا يتمتعون) يعنى فى الدنيا بشهواتها ولذاتها (ويأكلون كما تأكل الانعام) يعنى ليس لهم همة الا بطونهم وفروجهم وهم مع ذلك لاهون ساهون عما يراد بهم فى غد ولهذا شبههم بالانعام لان الانعام لا عقل لها ولا تمييز وكذلك الكافر لا عقل له ولا تمييز لانه لو كان له عقل ما عبد ما يضره ولا ينفعه قيل المؤمن فى الدنيا يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وانما وصف الكافر بالتمتع فى الدنيا لانها جنته وهى سجن المؤمن بالنسبة الى ما اعد الله له فى الآخرة من النعيم العظيم الدائم (والنار مثوى لهم) يعنى مقام الكفار فى الآخرة والثواء المقام فى المكان مع الاستقرار فيه فالنار مثوى الكافرين ومستقرهم قوله تعالى (وكأين من قرية هى اشد قوة من قريتك التى اخرجتك) يعنى اخرجك اهلها والمراد بالقرية مكة قال ابن عباس كم من رجال هى أشد قوة من اهل مكة أهلكهم الله يدل عليه قوله (اهلكناهم) ولم يقل اهلكناها (فلا ناصر لهم) يعنى فلا مانع يمنعهم من العذاب والهلاك الذى حل بهم قال ابن عباس لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار التفت الى مكة وقال انت احب بلاد الله تعالى الى الله وأحب بلاد الله الى ولو أن المشركين لم يخرجونى لم اخرج منك فانزل الله هذه الآية (أفمن كان على بينة من ربه) يعنى على يقين من دينه وهو محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه (كمن زين له سوء عمله) وهو الكافر ابو جهل ومن معه من المشركين (واتبعوا اهواءهم) يعنى فى عبادة الاوثان قوله عز وجل (مثل الجنة التى وعد المتقون) لما بين الله عز وجل حال الفريقين فى الاهتداء والضلال بين فى هذه الآية ما أعد لكل واحد من الفريقين فبين اولا ما اعد للمؤمنين المتقين فقال تعالى مثل الجنة التى وعد المتقون يعنى صفة الجنة قال سيبويه المثل هو الوصف فمعناه وصف الجنة وذلك لا يقتضى مشابها به وقيل الممثل به محذوف غير مذكور والمعنى مثل الجنة التى وعد المتقون مثل عجيب وشئ عظيم وقيل الممثل به مذكور وهو قوله كمن هو خالد

(وللكافرين) مشركى قريش (أمثالها) أمثال تلك الهلكة لان التدمير يدل عليها (ذلك) أى نصر المؤمنين وسوء عاقبة الكافرين (بان الله مولى الذين آمنوا) وليهم وناصرهم ١٧٥ (وأن الكافرين لا مولى لهم) أى لا ناصر لهم فالله مولى العباد جميعا من جهة الاختراع وملك التصرف فيهم والنصرة فهو مولى المؤمنين والكافرين من جهة الاختراع والتصرف فيهم ومولى المؤمنين خاصة من جهة النصرة (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون) ينتفعون بمتاع الحياة الدنيا أياما قلائل (ويأكلون) غافلين غير متفكرين فى العاقبة (كما تأكل الانعام) فى معالفها ومساردها غافلة عما هى بصدده من النحر والذبح (والنار مثوى لهم) منزل ومقام (وكأين من قرية) أى وكم من قرية للتكثير وأراد بالقرية أهلها ولذلك قال اهلكناهم (هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك) أى وكم من قرية أشد قوة من قومك الذين أخرجوك أى كانوا سبب خروجك (أهلكناهم فلا ناصر لهم) أى فلم يكن لهم من ينصرهم ويدفع العذاب عنهم (أفمن كان على بينة من ربه) أى على حجة من عنده وبرهان وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم (كمن زين له سوء عمله) هم أهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله وقال سوء عمله (واتبعوا أهواءهم) للحمل على لفظ من ومعناه (مثل الجنة) صفة الجنة العجيبة الشان (التى وعد المتقون) عن الشرك

في النار (فيها) يعني الجنة التي وعد المتقون (أنهار من ماء غير آسن) يعني غير متغير ولا منتن يقال أسن الماء وأجن اذا تغير طعمه وريحه (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) يعني كما تتغير ألبان الدنيا فلا يعود حامضا ولا قارصا ولا ما يكره من الطعوم (وأنهار من خمر لذة للشاربين) يعني ليس فيها حموضة ولا عفوصة ولا مرارة ولم تدنسها الارجل بالدوس ولا الايدي بالعصر وليس مع شربها ذهاب عقل ولا صداع ولا خمار بل هي لمجرد الالتذاذ فقط (وأنهار من عسل مصفى) يعني ليس فيه شمع كعسل الدنيا ولم يخرج من بطون النحل حتى يموت فيه بعض نحله بل هو خالص صاف من جميع شوائب عسل الدنيا عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الانهار بعد أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة قال الشيخ محيي الدين النووي في شرح مسلم سيحان وجيحان غير سيحون وجيحون فاما سيحان وجيحان المذكوران في الحديث اللذان هما من أنهار الجنة فهما في بلاد الارمن فسيحان نهر أذنة وجيحان نهر المصيصة وهما نهران عظيمان جدا أكبرهما جيحان هذا هو الصواب في موضعهما ثم ذكر كلاما بعد هذا طويلا ثم قال فاما كون هذه الانهار من ماء الجنة ففيه تأويلان الثاني وهو الصحيح انها على ظاهرها وان لها مادة من الجنة فالجنة مخلوقة موجودة اليوم هذا مذهب أهل السنة وقال كعب الاحبار نهر دجلة نهر ماء أهل الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيحان نهر عسلهم وهذه الانهار الاربعة تخرج من نهر الكوثر هكذا نقله البغوي عنه وقوله تعالى (ولهم فيها من كل الثمرات) في ذكر الثمرات بعد المشروب اشارة الى ان مأكول أهل الجنة للذة لا للحاجة فلهذا ذكر الثمار بعد المشروب لانها للتفكه واللذة (ومغفرة من ربهم) فان قلت المؤمن المتقي لا يدخل الجنة الا بعد المغفرة فكيف يكون لهم فيها المغفرة قلت ليس بلازم ان يكون المعنى ولهم مغفرة فيها لان الواو لا تقتضي الترتيب فيكون المعنى ولهم فيها من كل الثمرات ولهم مغفرة قبل دخولهم اليها وجواب آخر وهو ان المعنى ولهم مغفرة فيها برفع التكاليف عنهم فيما يأكلون ويشربون بخلاف الدنيا فان مأكولها يترتب عليه حساب وعقاب ونعيم الجنة لا حساب عليه ولا عقاب فيه قوله تعالى (كمن هو خالد في النار) يعني من هو في هذا النعيم المقيم الدائم كمن هو خالد في النار يتجرع من حميمها وهو قوله (وسقوا ماء حميما) يعني شديد الحر قد استعرت عليه جهنم منذ خلقت اذا أدني منهم شوى وجوههم ووقعت فروة رؤسهم (فـ) اذا شربوه (قطع أمعاءهم) يعني فخرجت من أدبارهم والامعاء جمع معى وهو جميع ما في البطن من الحوايا وقال الزجاج قوله كمن هو خالد في النار راجع الى ما تقدم كأنه تعالى قال أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله وهو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ الحميم

حتى

(فيها أنهار) داخل في حكم الصلة كالتكرير لها ألا ترى الى صحة قولك التي فيها أنهار أو حال أي مستقرة فيها أنهار (من ماء غير آسن) غير متغير اللون والريح والطعم يقال اسن الماء اذا تغير طعمه وريحه اسن مكي (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) كما تتغير ألبان الدنيا الى الحموضة وغيرها (وأنهار من خمر لذة) تأنيث لذ وهو اللذيذ (للشاربين) أي ما هو الا التلذذ الخالص ليس معه ذهاب عقل ولا خمار ولا صداع ولا آفة من آفات الخمر (وأنهار من عسل مصفى) لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره (ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم) مثل مبتدأ خبره (كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما) حارا في النهاية (فقطع أمعاءهم) والتقدير أمثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد في النار وهو كلام في صورة الاثبات ومعناه النفي لانطوائه تحت حكم كلام مصدر بحرف الانكار ودخوله في حيزه وهو قوله أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله وفائدة حذف حرف الانكار زيادة تصوير لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه وانه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التي تجري فيها تلك الانهار وبين النار التي يسقى أهلها الحميم

حتى يخلص الى جوفه فيسلت مافى جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان أخرجه الترمذى وقال حديث غريب حسن صحيح *عن أبى امامة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله يسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شرب به قطع امعاءه حتى يخرج من دبره قال الله تعالى ماء حميما فقطع أمعاءهم ويقول وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه أخرجه الترمذى وقال حديث غريب قوله تعالى (ومنهم) يعنى ومن هؤلاء الكفار (من يستمع اليك) وهم المنافقون يستمعون قولك فلا يعونه ولا يفهمونه تهاونا به وتغافلا عنه (حتى اذا خرجوا من عندك) يعنى ان هؤلاء المنافقين الذين كانوا عندك يا محمد يستمعون كلامك فاذا خرجوا من عندك (قالوا) يعنى المنافقين (للذين أوتوا العلم) يعنى من الصحابة (ماذا قال آنفا) يعنى ما الذى قال محمد الآن وهو من الائتناف يقال ائتنفت الامر أى ابتدأته قال مقاتل وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يخطب ويعيب المنافقين فاذا خرجوا من المسجد سألوا عبد الله بن مسعود استهزاء ماذا قال محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس وقد سئلت فيمن سئل (أولئك) يعنى المنافقين (الذين طبع الله على قلوبهم) يعنى فلم يؤمنوا ولم ينتفعوا بما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم (واتبعوا أهواءهم) يعنى فى الكفر والنفاق والمعنى انهم لما تركوا اتباع الحق أمات الله قلوبهم فلم تفهم ولم تعقل فعند ذلك اتبعوا أهواءهم فى الباطل (والذين اهتدوا) يعنى المؤمنين لما بين الله ان المنافق يسمع ولا ينتفع بل هو مصر على متابعة الهوى بين حال المؤمن المهتدى الذى ينتفع بما يستمع فقال تعالى والذين اهتدوا يعنى بهداية الله اياهم الى الايمان (زادهم هدى) يعنى انهم كلما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مما جاء به عن الله عز وجل آمنوا بما سمعوا منه وصدقوه فيزيدهم ذلك هدى مع هدايتهم وايمانا مع ايمانهم (وآتاهم تقواهم) يعنى وفقهم للعمل بما أمرهم به وهو التقوى وقال سعيد بن جبير آتاهم ثواب تقواهم وقيل آتاهم نفس تقواهم بمعنى انه تعالى بين لهم التقوى قوله عز وجل (فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة) يعنى الكافرين والمنافقين الذين قعدوا عن الايمان فلم يؤمنوا فالساعة تأتيهم بغتة تفجؤهم وهم على كفرهم ونفاقهم ففيه وعيد وتهديد والمعنى لا ينتظرون الا الساعة والساعة آتية لا محالة وسميت القيامة ساعة لسرعة قيامها عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بادروا بالاعمال سبعا فهل تنتظرون الا فقرا منسيا أو غنى مطغيا أو مرضا مفسدا أو هرما مفندا أو موتا مجهزا أو الدجال فشر غائب ينتظر او الساعة والساعة أدهى وأمر أخرجه الترمذى وقال حديث حسن وقوله تعالى (فقد جاء أشراطها) أى اماراتها وعلاماتها واحدها شرط ولما كان قيام الساعة أمرا مستبطأ فى النفوس وقد قال الله تعالى فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة فكان قائلا قال متى يكون قيام الساعة فقال تعالى فقد جاء أشراطها قال المفسرون من اشراط الساعة انشقاق القمر وبعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عن سهل بن سعد قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم

(ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا) هم المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يلقون له بالا تهاونا منهم فاذا خرجوا قالوا لاولى العلم من الصحابة ماذا قال الساعة على جهة الاستهزاء (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم والذين اهتدوا) بالايمان واستماع القرآن (زادهم) الله (هدى) أى بصيرة وعلما او شرح صدورهم (وآتاهم تقواهم) اعانهم عليها او آتاهم جزاء تقواهم او بين لهم ما يتقون (فهل ينظرون الا الساعة) اى ينتظرون (ان تأتيهم) اى اتيانها فهو بدل اشتمال من الساعة (بغتة) فجأة (فقد جاء اشراطها) علاماتها وهو مبعث محمد صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر والدخان وقيل قطع الارحام وقلة الكرام وكثرة اللئام

قال باصبعه هكذا الوسطى والتى تلى الابهام وقال بعثت أنا والساعة كهاتين وفى رواية قال بعثت أنا والساعة كهاتين ويشير باصبعيه يمدهما (ق) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين كفضل احداهما على الاخرى وضم السبابة والوسطى وفى رواية قال بعثت فى نفس الساعة فسبقتها كفضل هذه على الاخرى قيل معنى الحديث ان المراد أن ما بين مبعثه صلى الله عليه وسلم وقيام الساعة شئ يسير كما بين الاصبعين فى الطول وقيل هو اشارة الى قرب المجاورة (ق) عن أنس قال عند قرب وفاته الا احدثكم حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم لا يحدثكم به احد غيرى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تقوم الساعة أو قال من اشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل ويشرب الخمر ويفشو الزنا ويذهب الرجال ويبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم وفى رواية ويظهر الزنا ويقل الرجال ويكثر النساء (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اشراط الساعة أن يتقارب الزمان وينقص العلم وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج قالوا وما الهرج قال القتل وفى روايه يرفع العلم ويثبت الجهل او قال ويظهر الجهل (خ) عن ابى هريرة قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس يحدث القوم اذ جاءه اعرابى فقال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديثه فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم بل لم يسمع حتى اذا قضى حديثه قال اين السائل عن الساعة قال ها أنا ذا يا رسول الله قال اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة قال وكيف اضاعتها قال اذا وسد الامر الى غير أهله فانتظر الساعة وقوله تعالى (فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم) يعنى فمن أين لهم التذكر والاتعاظ والتوبة اذا جاءتهم الساعة بغتة وقيل معناه كيف يكون حالهم اذا جاءتهم الساعة فلا تنفعهم الذكرى ولا تقبل منهم التوبة ولا يحتسب بالايمان فى ذلك الوقت (فاعلم أنه لا اله الا الله) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وأورد على هذا أنه صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله وانه لا اله الا هو فما فائدة هذا الامر وأجيب عنه بان معناه دم على ما أنت عليه من العلم فهو كقول القائل للجالس اجلس أى دم على ما أنت عليه من الجلوس او يكون معناه ازدد علما الى علمك وقيل ان هذا الخطاب وان كان للنبى صلى الله عليه وسلم فالمراد به غيره من امته قال أبو العالية وسفيان بن عيينة هذا متصل بما قبله معناه اذا جاءتهم فاعلم انه لا ملجأ ولا منجى ولا مفزع عند قيامها الا الى الله الذى لا اله الا هو وقيل معناه فاعلم انه لا اله الا الله وان جميع الممالك تبطل عند قيامها فلا ملك ولا حكم لاحد الا الله الذى لا اله الا هو (واستغفر لذنبك) أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستغفار مع انه مغفور له ليستن به أمته وليقتدوا به فى ذلك (م) عن الاغر المزنى اغر مزينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه ليغان على قلبى حتى استغفر فى اليوم مائة مرة وفى رواية قال توبوا الى ربكم فوالله انى لاتوب الى ربى عز وجل مائة مرة فى اليوم (خ) عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

(فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم) قال الاخفش التقدير فانى لهم ذكراهم اذا جاءتهم (فاعلم انه) ان الشان (لا اله الا الله واستغفر لذنبك)

يقول انى لاستغفر الله واتوب اليه فى اليوم سبعين مرة وفى رواية أكثر من سبعين مرة
قوله انه ليغان على قلبى الغين التغطية والستر أى يلبس على قلبى ويغطى وسبب ذلك
ما أطلعه عليه من أحوال أمته بعده فأحزنه ذلك حتى كان يستغفر لهم وقيل انه لما كان
يشغله النظر فى أمور المسلمين ومصالحهم حتى يرى انه قد شغل بذلك وان كان من أعظم
طاعة وأشرف عبادة عن أرفع مقام مما هو فيه وهو التفرد بربه عز وجل وصفاء وقته
معه وخلوص همه من كل شئ سواه فلهذا السبب كان صلى الله عليه وسلم يستغفر الله
فان حسنات الابرار سيآت المقربين وقيل هو ماخوذ من الغين وهو الغيم الرقيق الذى
يغشى السماء فكان هذا الشغل والهم يغشى قلبه صلى الله عليه وسلم ويغطيه عن غيره
فكان يستغفر الله منه وقيل هذا الغين هو السكينة التى تغشى قلبه صلى الله عليه وسلم
وكان سبب استغفاره لها اظهار العبودية والافتقار الى الله تعالى وحكى الشيخ محيى
الدين النووى عن القاضى عياض ان المراد به الفترات والغفلات من الذكر الذى كان
شأنه صلى الله عليه وسلم الدوام عليه فاذا فتر أو غفل عد ذلك ذنبا واستغفر منه وحكى
الوجوه المتقدمة عنه وعن غيره وقال الحرث المحاسبى خوف الانبياء والملائكة خوف
اعظام واجلال وان كانوا آمنين من عذاب الله تعالى وقيل يحتمل ان هذا الغين حالة
حسنة واعظام يغشى القلب ويكون استغفاره شكرا كما قال أفلا أكون عبدا شكورا
وقيل فى معنى الآية استغفر لذنبك أى لذنوب أهل بيتك (وللمؤمنين والمؤمنات) يعنى
من غير أهل بيته وهذا اكرام من الله عز وجل لهذه الامة حيث أمر نبيه صلى الله عليه
وسلم أن يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم (والله يعلم متقلبكم ومثواكم) قال ابن
عباس والضحاك متقلبكم يعنى متصرفكم ومنتشركم فى اعمالكم فى الدنيا ومثواكم يعنى
مصيركم الى الجنة او الى النار وقيل متقلبكم فى اشغالكم بالنهار ومثواكم بالليل الى مضاجعكم
وقيل متقلبكم من أصلاب الآباء الى ارحام الامهات وبطونهن ومثواكم فى الدنيا وفى
القبور والمعنى انه تعالى عالم بجميع أحوالكم فلا يخفى عليه شئ منها وان دق وخفى قوله
تعالى (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة) وذلك ان المؤمنين كانوا احراصا على الجهاد فى
سبيل الله فقالوا فهلا أنزلت سورة تامرنا بالجهاد لكى نجاهد (فاذا أنزلت سورة محكمة
وذكر فيها القتال) قال مجاهد كل سورة ذكر فيها الجهاد فهى محكمة وهى أشد القرآن
على المنافقين (رأيت الذين فى قلوبهم مرض) يعنى نفاقا وهم المنافقون (ينظرون اليك)
يعنى شزرا وكراهية منهم للجهاد وجبنا عن لقاء العدو (نظر المغشى عليه من الموت) يعنى
كما ينظر الشاخص بصره عند معاينة الموت (فأولى لهم) فيه وعيد وتهديد وهو معنى
قولهم فى التهديد ويلك وقاربك ما تكره وتم الكلام عنده ثم ابتدأ بقوله (طاعة

وللمؤمنين والمؤمنات) والمعنى فاثبت على ما أنت عليه من العلم بوحدانية الله وعلى التواضع وهضم النفس باستغفار ذنبك
وذنوب من على دينك وفى شرح التأويلات جاز أن يكون له ذنب فامره بالاستغفار له ولكنا لا نعلمه غير ان ذنب
الانبياء ترك الافضل دون مباشرة
القبيح وذنوبنا مباشرة القبائح من
الصغائر والكبائر وقيل الفاآت
فى هذه الآيات لعطف جملة
على جملة بينهما اتصال (والله يعلم
متقلبكم) فى معايشكم ومتاجركم
(ومثواكم) ويعلم حيث تستقرون
من منازلكم أو متقلبكم فى
حياتكم ومثواكم فى القبور
أو متقلبكم فى اعمالكم ومثواكم فى
الجنة والنار ومثله حقيق بان
يتقى ويخشى وأن يستغفر وسئل
سفيان بن عيينة عن فضل العلم
فقال ألم تسمع قوله فاعلم انه لا اله
الا الله واستغفر لذنبك فامر بالعمل
بعد العلم (ويقول الذين آمنوا لولا
نزلت سورة) فيها ذكر الجهاد
(فاذا أنزلت سورة) فى معنى
الجهاد (محكمة) مبينة غير
متشابهة لا تحتمل وجها الا
وجوب القتال وعن قتادة كل
سورة فيها ذكر القتال فهى
محكمة لان النسخ لا يرد عليها
من قبل ان القتال نسخ ما كان
من الصفح والمهادنة وهو غير
منسوخ الى يوم القيامة
(وذكر فيها القتال) أى أمر فيها
بالجهاد (رأيت الذين فى قلوبهم
مرض) نفاق أى رأيت
المنافقين فيما بينهم يضجرون
منها (ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت) أى تشخص أبصارهم جبنا وجزعا كما ينظر من أصابته الغشية عند الموت (فاولى
لهم) وعيد بمعنى فويل لهم وهو افعل من الولى وهو القرب ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه (طاعة

وقول معروف) فعلى هذا هو مبتدأ محذوف الخبر تقديره طاعة وقول معروف أمثل لهم وأولى بهم والمعنى لو أطاعوا وقالوا قولا معروفا كان أمثل وأحسن وقيل هو متصل بما قبله واللام فى لهم بمعنى الباء مجازه فأولى بهم طاعة الله وطاعة رسوله وقول معروف بالاجابة والمعنى لو أطاعوا وأجابوا لكانت الطاعة والاجابة أولى بهم وهذا معنى قول ابن عباس فى رواية عطاء عنه (فاذا عزم الامر) فيه حذف تقديره فاذا عزم صاحب الامر وقيل هو على أصله ومجازه كقولنا جاء الامر ودنا الوقت وهذا أمر متوقع ومعنى الآية فاذا عزم الامر خالف المنافقون وكذبوا فيما وعدوا به (فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم) يعنى الصدق وقيل معناه لو صدقوا الله فى اظهار الايمان والطاعة لكان ذلك خيرا لهم (فهل عسيتم) أى فلعلكم (ان توليتم) يعنى أعرضتم عن سماع القرآن وفارقتم احكامه (أن تفسدوا فى الارض) يعنى تعودوا الى ما كنتم عليه فى الجاهلية من الفساد فى الارض بالمعصية والبغى وسفك الدم وترجعوا الى الفرقة بعد ما جمعكم الله بالاسلام (وتقطعوا أرحامكم) قال قتادة كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله ألم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا الارحام وعصوا الرحمن (ق) عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الرحم شجنة من الرحمن فقال الله تعالى من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته وفى رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن فقال مه فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم أما ترضين ان أصل من وصلك واقطع من قطعك قالت بلى قال فذلك لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا ان شئتم فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى ابصارهم أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها الشجنة القرابة المشتبكة كاشتباك العروق والحقو مشد الازار من الانسان وقد يطلق على الازار ولما جعل الرحم شجنة من الرحمن استعار لها الاستمساك به والاخذ كما يستمسك القريب من قريبه والنسيب من نسيبه ومعنى صلة الرحم مبرة الاقارب والاحسان اليهم وقطع الرحم ضد صلتها والعائذ اللائذ المستجير قال القاضى عياض الرحم التى توصل وتقطع وتبر انما هى معنى من المعانى وليست بجسم وانما هى قرابة ونسب يجمعه رحم والده فيتصل بعضه ببعض فسمى ذلك الاتصال رحما والمعانى لا يتأتى منها القيام ولا الكلام فيكون ذكر قيامها هنا وتعلقها ضرب مثل وحسن استعارة على عادة العرب فى استعمال ذلك والمراد تعظيم شانها وفضيلة واصلها وعظيم اثم قاطعها ولهذا سمى العقوق قطعا كانه قطع ذلك السبب المتصل قال ويجوز أن يكون المراد قيام ملك من الملائكة تعلق بالعرش وتكلم على لسانها بهذا بامر الله عزوجل هذا كلام القاضى عياض فى معنى هذا الحديث والله أعلم وقيل فى الآية فى قوله ان توليتم هو من الولاية يعنى فهل عسيتم ان توليتم أمر الناس أن تفسدوا فى الارض يعنى بالظلم وتقطعوا أرحامكم ومعنى الاستفهام فى قوله فهل عسيتم للتقرير المذكور والمعنى هل

وقول معروف) كلام مستأنف أى طاعة وقول معروف خير لهم (فاذا عزم الامر) فاذا جد الامر ولزمهم فرض القتال (فلو صدقوا الله) فى الايمان والطاعة (لكان) الصدق (خيرا لهم) من كراهة الجهاد ثم التفت من الغيبة الى الخطاب بضرب من التوبيخ والارهاب فقال (فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا ارحامكم) فلعلكم ان اعرضتم عن دين رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته ان ترجعوا الى ما كنتم عليه فى الجاهلية من الافساد فى الارض بالتغاور والتناهب وقطع الارحام بمقاتلة بعض الاقارب بعضا ووأد البنات وخبر عسى ان تفسدوا والشرط اعتراض بين الاسم والخبر والتقدير فهل عسيتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا ارحامكم ان توليتم

يتوقع منكم الافساد فان قلت عسى طمع وترج وتوقع وذلك على الله محال لانه تعالى عالم
بكل شئ فما معناه قلت قال بعضهم معناه يفعل بكم فعل المترجي المبتلي وقال بعضهم معناه
كل من ينظر اليهم يتوقع منهم ذلك وقال الزمخشري معناه انه لما عهد منكم أحقاء بأن
يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم ورخاوة عقدكم في الايمان يا هؤلاء ما ترون
هل يتوقع منكم ان توليتم أمور الناس وتأمرتم عليهم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا
أرحامكم تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا (أولئك) أشارة الى من اذا تولى أفسد في
الارض وقطع الارحام (الذين لعنهم الله) يعني أبعدهم من رحمته وطردهم عن جنته
(فأصمهم) يعني عن سماع الحق (واعمى ابصارهم) يعني عن طريق الهدى وذلك أنهم
لما سمعوا القرآن فلم يفهموه ولم يؤمنوا به وابصروا طريق الحق فلم يسلكوه ولم يتبعوه
فكانوا بمنزلة الصم العمي وان كان لهم اسماع وابصار في الظاهر (افلا يتدبرون القرآن)
يعني يتفكرون فيه وفي مواعظه وزواجره واصل التدبر التفكر في عاقبة الشئ وما يؤول
اليه أمره وتدبر القرآن لا يكون الا مع حضور القلب وجمع الهم وقت تلاوته ويشترط فيه
تقليل الغذاء من الحلال الصرف وخلوص النية (أم على قلوب أقفالها) يعني بل على
قلوب أقفالها وجعل القفل مثلا لكل مانع للانسان من تعاطي فعل الطاعة يقال فلان
مقفل عن كذا بمعنى ممنوع منه فان قلت اذا كان الله تعالى قد اصمهم واعمى أبصارهم
وأقفل على قلوبهم وهو بمعنى الختم فكيف يمكنهم تدبر القرآن مع هذه الموانع الشديدة
قلت تكليف ما لا يطاق جائز عندنا لان الله امر بالايمان لمن سبق في علمه انه لا يؤمن
فكذلك هنا والله يفعل ما يريد لا اعتراض لاحد عليه وقيل ان قوله افلا يتدبرون
القرآن المراد به التأسي وقيل ان هذه الآية محققة للآية المتقدمة وذلك ان الله تعالى
لما قال أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم واعمى ابصارهم فكان قوله أفلا يتدبرون
القرآن كالتهييج لهم على ترك ما هم فيه من الكفر الذي استحقوا بسببه اللعنة او
كالتبكيت لهم على اصرارهم على الكفر والله أعلم بمراده * وروى البغوي باسناد الثعلبي
عن عروة بن الزبير قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلا يتدبرون القرآن أم على
قلوب أقفالها فقال شاب من اهل اليمن بل على قلوب اقفالها حتى يكون الله يفتحها أو
يفرجها فما زال الشاب في نفس عمر حتى ولي فاستعان به هذا حديث مرسل وعروة بن
الزبير تابعي من كبار التابعين واجلاهم لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم لانه ولد سنة
اثنتين وعشرين وقيل غير ذلك قوله عز وجل (ان الذين ارتدوا على ادبارهم) يعني
رجعوا القهقرى كفارا (من بعد ما تبين لهم الهدى) يعني من بعد ما وضح لهم طريق
الهداية قال قتادة هم كفار أهل الكتاب كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من بعد
ما عرفوه ووجدوا نعته في كتابهم وقال ابن عباس والضحاك والسدى هم المنافقون
آمنوا أولا ثم كفروا ثانيا (الشيطان سوّل لهم) يعني زين لهم القبيح حتى رأوه حسنا
(وأملى لهم) قرئ بضم الالف وكسر اللام وفتح الياء على ما لم يسم فاعله يعني أمهلوا
ومد لهم في العمر وقرئ وأملى لهم بفتح الالف واللام بمعنى وأملى لهم الشيطان

(اولئك) اشارة الى المذكورين (الذين لعنهم الله) أبعدهم عن رحمته (فأصمهم) عن استماع الموعظة (واعمى ابصارهم) عن ابصارهم طريق الهدى (افلا يتدبرون القرآن) فيعرفوا ما فيه من المواعظ والزواجر ووعيد العصاة حتى لا يجسروا على المعاصي (أم على قلوب أقفالها) بمعنى بل وهمزة التقرير للتسجيل عليهم بان قلوبهم مقفلة لا يتوصل اليها ذكر ونكرت القلوب لان المراد على قلوب قاسية مبهم أمرها في ذلك والمراد بعض القلوب وهي قلوب المنافقين واضيفت الاقفال الى القلوب لان المراد الاقفال المختصة بها وهي أقفال الكفر التي استغلقت فلا تنفتح نحو الرين والختم والطبع (ان الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى) أي المنافقون رجعوا الى الكفر سرا بعد وضوح الحق لهم (الشيطان سوّل) زين (لهم) جملة من مبتدا وخبر وقعت خبر الان نحو ان زيدا عمرو مر به (وأملى لهم) ومد لهم في الآمال والاماني وأملي أبو عمرو واي أمهلوا ومد في عمرهم

بأن مدلهم في الامل فان قلت الاملاء والامهال لا يكونان الا من الله لانه الفاعل المطلق
وليس للشيطان فعل قط على مذهب اهل السنة فما معنى هذه القراءة قلت ان المسوّل
والمملي هو الله تعالى في الحقيقة وليس للشيطان فعل وانما أسند اليه ذلك من حيث ان
الله تعالى قدر ذلك على يده ولسانه فالشيطان يمنيهم ويزين لهم القبيح ويقول لهم في
آجالكم فسحة فتمتعوا بدنياكم ورياستكم الى آخر العمر (ذلك) اشارة الى التسويل
والاملاء (بانهم) يعني بان أهل الكتاب او المنافقين (قالوا للذين كرهوا ما نزل الله) وهم
المشركون (سنطيعكم في بعض الامر) يعني من التعاون على عداوة محمد صلى الله عليه
وسلم وترك الجهاد معه والقعود عنه وكانوا يقولون ذلك سرا فاخبر الله نبيه محمدا صلى
الله عليه وسلم خبرهم ثم قال (والله يعلم اسرارهم) يعني انه تعالى لا تخفى عليه خافية من
أمرهم (فكيف اذا توفتهم الملائكة) يعني فكيف يكون حالهم اذا توفتهم الملائكة
(يضربون وجوههم وادبارهم ذلك) يعني ذلك الضرب (بانهم) يعني بسبب أنهم
(اتبعوا ما اسخط الله) يعني ترك الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس
بما كتموا من التوراة وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم (وكرهوا رضوانه) يعني كرهوا
ما فيه رضوان الله عز وجل وهو الايمان والطاعة والجهاد مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم (فاحبط أعمالهم) التي عملوها من أعمال البر لانها لم تكن لله ولا بامره (ام حسب
الذين في قلوبهم مرض) أي شك ونفاق وهم المنافقون (أن لن يخرج الله أضغانهم)
يعني يظهر أحقادهم على المؤمنين فيبديها حتى يعرف المؤمنون نفاقهم واحدها ضغن
وهو الحقد الشديد وقال ابن عباس حسدهم (ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم)
لما قال الله تعالى أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم فكأن
قائلا قال لم يخرج أضغانهم ويظهرها فاخبر تعالى انه انما أخر ذلك لمحض المشيئة
لا لخوف منهم فقال تعالى ولو نشاء لاريناكهم اي لا مانع لنا من ذلك والاراءة بمعنى
التعريف والعلم وقوله فلعرفتهم لزيادة فائدة وهي ان التعريف قد يطلق ولا يلزم منه
المعرفة الحقيقية كما يقال عرفته فلم يعرف فكان المعنى هنا عرفناكهم تعريفا تعرفهم
به ففيه اشارة الى قوة ذلك التعريف الذي لا يقع معه اشتباه وقوله بسيماهم يعني
بعلامتهم أي نجعل لك علامة تعرفهم بها قال انس ما خفي على رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعد نزول هذه الآية شيء من المنافقين وكان يعرفهم بسيماهم (ولتعرفنهم في لحن
القول) يعني في معنى القول ونحواه ومقصده واللحن معنيان صواب وخطأ صرف
الكلام وازالته عن التصريح الى المعنى والتعريض وهذا محمود من حيث البلاغة
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فلعل بعضكم الحن بحجته من بعض واليه قصد بقوله
ولتعرفنهم في لحن القول وأما اللحن المذموم فظاهر وهو صرف الكلام عن الصواب
الى الخطأ بازالة الاعراب أو التصحيف ومعنى الآية وانك يا محمد لتعرفن المنافقين فيما
يعرضون به من القول من تهجين امرك وامر المسلمين وتقبيحه والاستهزاء به
فكان بعد هذا لا يتكلم منافق عند النبي صلى الله عليه وسلم الا عرفه بقوله

والقعود عن نصرته (والله يعلم اسرارهم) على المصدر من اسر
حمزة وعلي وحفص أسرارهم غيرهم جمع سر (فكيف اذا توفتهم الملائكة) أي فكيف يعملون وما حيلتهم حينئذ (يضربون وجوههم وأدبارهم) عن ابن عباس رضي الله عنهما لا يتوفى أحد على معصية الا يضرب من الملائكة في وجهه ودبره (ذلك) اشارة الى التوفي الموصوف (بانهم) بسبب انهم (اتبعوا ما اسخط الله) من معاونة الكافرين (وكرهوا رضوانه) من نصرة المؤمنين (فاحبط أعمالهم أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم) أحقادهم والمعنى أظن المنافقون ان الله تعالى لا يبرز بغضهم وعداوتهم للمؤمنين (ولو نشاء لاريناكهم) لعرفناكهم ودللناك عليهم (فلعرفتهم بسيماهم) بعلامتهم وهو ان يسمهم الله بعلامة يعلمون بها وعن أنس رضي الله عنه ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية أحد من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم (ولتعرفنهم في لحن القول) في نحوه واسلوبه الحسن من فحوى كلامهم لانهم كانوا لا يقدرون على كتمان ما في انفسهم واللام في فلعرفتهم داخلة في جواب لو كالتي في لاريناكهم كررت في المعطوف واما اللام في ولتعرفنهم فواقعة مع النون في جواب قسم محذوف

ويستدل

ويستدل بفحوى كلامه على فساد باطنه ونفاقه ثم قال تعالى (والله يعلم أعمالكم) يعنى أعمال جميع عباده فيجازى كلا على قدر عمله قوله تعالى (ولنبلونكم) يعنى ولنعاملنكم معاملة المختبر فان الله تعالى عالم بجميع الاشياء قبل كونها ووجودها (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) يعنى انا نأمركم بالجهاد حتى يظهر المجاهد ويتبين من يبادر منكم ويصبر عليه من غيره لان المراد من قوله حتى نعلم أى علم الوجود والظهور (ونبلو أخباركم) يعنى نظهرها ونكشفها ليتبين من يأبى القتال ولا يصبر على الجهاد (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول) يعنى خالفوه فيما يأمرهم به من الجهاد وغيره (من بعد ما تبين لهم الهدى) يعنى من بعد ما ظهر لهم أدلة الهدى وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم (لن يضروا الله شيأ) يعنى انما يضرون أنفسهم بذلك والله تعالى منزه عن ذلك (وسيحبط أعمالهم) يعنى وسيبطل أعمالهم فلا يرون لها ثوابا فى الآخرة لانها لم تكن لله تعالى قال ابن عباس هم المطعمون يوم بدر قوله عزوجل (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) لما ذكر الله عزوجل الكفار بسبب مشاقتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الله المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى (ولا تبطلوا أعمالكم) قال عطاء يعنى بالشرك والنفاق والمعنى داوموا على ما أنتم عليه من الايمان والطاعة ولا تشركوا فتبطل أعمالكم وقيل لا تبطلوا اعمالكم بترك طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم كما أبطل أهل الكتاب أعمالهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصيانه وقال الكلبى لا تبطلوا أعمالكم بالرياء والسمعة لان الله لا يقبل من الاعمال الا ما كان خالصا لوجهه الكريم وقال الحسن لا تبطلوا أعمالكم بالمعاصى والكبائر قال أبو العالية كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون أنه لا يضرهم مع الايمان ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل فنزلت هذه الآية فخافوا من الكبائر بعد أن تحبط أعمالهم واستدل بهذه الآية من يرى احباط الطاعات بالمعاصى ولا حجة لهم فيها وذلك لان الله تعالى يقول فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال تعالى وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما فالله تعالى أعدل وأكرم من أن يبطل طاعات سنين كثيرة بمعصية واحدة وروى عن ابن عمر انه قال كنا نرى انه لا شئ من حسناتنا الا مقبول حتى نزل ولا تبطلوا أعمالكم فقلنا ما هذا الذى يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر والفواحش حتى نزل ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكففنا عن ذلك القول وكنا نخاف على من أصاب الكبيرة ونرجو لمن لم يصبها واستدل بهذه الآية من لا يرى ابطال النوافل حتى لو دخل فى صلاة تطوع أو صوم تطوع لا يجوز له ابطال ذلك العمل والخروج منه ولا دليل لهم فى الآية ولا حجة لان السنة مبينة للكتاب وقد ثبت فى الصحيحين ان النبى صلى الله عليه وسلم أصبح صائما فلما رجع الى البيت وجد حيسا فقال لعائشة قربيه فلقد أصبحت صائما فأكل وهذا معنى الحديث وليس بلفظه وفى الصحيحين أيضا ان سلمان زار أبا الدرداء فصنع له طعاما فلما قربه اليه قال كل فانى صائم قال لست بآكل

(والله يعلم أعمالكم) فيميز خيرها من شرها (ولنبلونكم) بالقتال اعلاما لا استعلاما أو نعاملكم معاملة المختبر ليكون أبلغ فى اظهار العدل (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) على الجهاد أى نعلم كائنا ما علمناه انه سيكون (ونبلو أخباركم) أسراركم وليبلونكم حتى يعلم ويبلو أبو بكر وعن الفضيل انه كان اذا قرأها بكى وقال اللهم لا تبلنا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا وعذبتنا (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول) وعادوه يعنى المطعمين يوم بدر وقدمر (من بعد ما تبين لهم الهدى) من بعد ما ظهر لهم انه الحق وعرفوا الرسول (لن يضروا الله شيأ وسيحبط أعمالهم) التى عملوها فى مشاقة الرسول أى سيبطلها فلا يصلون منها الى أغراضهم (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) بالنفاق أو بالرياء

العموم (فلا تهنوا) فلا تضعفوا ولا تذلوا للعدو (وتدعوا الى السلم) وبالكسر حمزة وأبو بكر وهما المسالمة أى ولا تدعوا الكفار الى الصلح (وأنتم الاعلون) أى الاغلبون وتدعوا مجزوم لدخوله فى حكم النهى (والله معكم) بالنصرة أى ناصركم (ولن يتركم أعمالكم) ولن ينقصكم أجر أعمالكم (انما الحيوة الدنيا لعب ولهو) تنقطع فى أسرع مدة (وان تؤمنوا) بالله ورسوله (وتتقوا) الشرك (يؤتكم أجوركم) ثواب ايمانكم وتقواكم ولا يسئلكم أموالكم) أى لا يسألكم جميعها بل ربع العشر والفاعل الله أو الرسول وقال سفيان بن عيينة غيضا من فيض (ان يسئلكموها فيحفكم) أى يجهدكم ويطلبه كله والاحفاء المبالغة وبلوغ الغاية فى كل شئ يقال احفاه فى المسئلة اذا لم يترك شيأ من الالحاح وأحفى شاربه اذا استأصله (تبخلوا ويخرج) أى الله أو البخل (أضغانكم) عند الامتناع أو عند سؤال الجميع لان عند مسئلة المال تظهر العداوة والحقد (ها أنتم) ها للتنبيه (هؤلاء) موصول بمعنى الذين صلته (تدعون) أى أنتم الذين تدعون (لتنفقوا فى سبيل الله) هى النفقة فى الغزو أو الزكاة كانه قيل الدليل على انه لو احفاكم لبخلتم وكرهتم العطاء انكم تدعون الى اداء ربع العشر (فمنكم من يبخل) بالرفع لان من هذه ليست للشرط أى فمنكم ناس يبخلون به

حتى تأكل فأكل معه وقال مقاتل فى معنى الآية لا تمنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبطل أعمالكم نزلت فى بنى أسد وسنذكر القصة فى تفسير سورة الحجرات ان شاء الله تعالى (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) قيل نزلت فى أهل القليب وهم أبو جهل وأصحابه الذين قتلوا ببدر وألقوا فى قليب بدر وحكمها عام فى كل كافر مات على كفره فالله لا يغفر له لقوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء (فلا تهنوا) الخطاب فيه لاصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ثم هو عام لجميع المسلمين يعنى فلا تضعفوا أيها المؤمنون (وتدعوا الى السلم) يعنى ولا تدعوا الكفار الى الصلح أبدا منع الله المسلمين أن يدعوا الكفار الى الصلح وأمرهم بحربهم حتى يسلموا (وأنتم الاعلون) يعنى وأنتم الغالبون لهم والعالون عليهم أخبر الله تعالى ان الامر للمسلمين والنصرة والغلبة لهم عليهم وان غلبوا المسلمين فى بعض الاوقات (والله معكم) يعنى بالنصر والمعونة ومن كان الله معه فهو العالى الغالب (ولن يتركم أعمالكم) يعنى لن ينقصكم شيأ من ثواب أعمالكم وقال ابن عباس وغيره لن يظلمكم اعمالكم الصالحة بل يؤتيكم اجورها ثم حض على الآخرة بذم الدنيا فقال تعالى (انما الحيوة الدنيا لعب ولهو) اى باطل وغرور يعنى كيف تمنعكم الدنيا عن طلب الآخرة وقد علمتم ان الدنيا كلها لعب ولهو الا ما كان منها فى عبادة الله عز وجل وطاعته واللعب ما يشغل الانسان وليس فيه منفعة فى الحال ولا فى المآل ثم اذا استعمله الانسان ولم يشغله عن غيره ولم ينسه أشغاله المهمة فهو اللعب وان أشغله عن مهمات نفسه فهو اللهو (وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم) يعنى يؤتكم جزاء أعمالكم فى الآخرة (ولا يسئلكم أموالكم) يعنى ان الله تعالى لا يسأل من العباد أموالهم لابتغاء الاجر عليها بل يأمرهم بالايمان والتقوى والطاعة ليثيبهم عليها الجنة وقيل معناه ولا يسألكم محمد صلى الله عليه وسلم أموالكم وقيل معناه لا يسألكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم أموالكم كلها فى الصدقات انما يسألكم غيضا من فيض وهو ربع العشر من أموالكم وهو زكاة أموالكم ثم ترد عليكم ليس لله ورسوله فيها حاجة انما فرضها الله تعالى فى أموال الاغنياء وردها على الفقراء فطيبوا باخراج الزكاة أنفسكم والى هذا القول ذهب سفيان بن عيينة ويدل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى (ان يسئلكموها) الضمير عائد الى الاموال (فيحفكم) يعنى يجهدكم ويطلبها كلها والاحفاء المبالغة فى المسئلة وبلوغ الغاية فى كل شئ يقال أحفاه فى المسئلة اذا لم يترك شيأ من الالحاح (تبخلوا) يعنى بالمال فلا تعطوه (ويخرج أضغانكم) يعنى بغضكم وعداوتكم لشدة محبتكم للاموال قال قتادة علم الله ان الاحفاء بمسئلة الاموال مخرج للاضغان (ها أنتم هؤلاء) يعنى أنتم يا هؤلاء المخاطبون الموصوفون ثم استأنف وصفهم فقال تعالى (تدعون لتنفقوا فى سبيل الله) قيل أراد به النفقة فى الجهاد والغزو وقيل المراد به اخراج الزكاة وجميع وجوه البر والكل فى سبيل الله (فمنكم من يبخل) يعنى بما فرض عليه

عليه اخراجه من الزكاة أو ندب الى انفاقه فى وجوه البر (ومن يبخل) يعنى بالصدقة وأداء الفريضة فلا يتعداه ضر بخله وهو قوله تعالى (فانما يبخل عن نفسه) أى على نفسه (والله الغنى) يعنى عن صدقاتكم وطاعاتكم لانه الغنى المطلق الذى له ملك السموات والارض (وأنتم الفقراء) يعنى اليه والى ماعنده من الخيرات والثواب فى الدنيا والآخرة (وان تتولوا) يعنى عن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وعن القيام بما أمركم به وألزمكم اياه (يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) يعنى يكونون اطوع لله ورسوله صلى الله عليه وسلم منكم قال الكلبى هم كندة والنخع من عرب اليمن وقال الحسن هم العجم وقال عكرمة هم فارس والروم * عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم قالوا ومن يستبدل بنا قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على منكب سلمان ثم قال هذا وأصحابه أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وفى اسناده مقال وله فى رواية أخرى عن أبى هريرة قال قال ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله من هؤلاء الذين ذكر الله عز وجل ان تولينا استبدلوا منا ثم لا يكونوا أمثالنا قال وكان سلمان بجنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخذ سلمان فقال هذا وأصحابه والذى نفسى بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس ولهذا الحديث طرق فى الصحيح ترد فى سورة الجمعة ان شاء الله تعالى والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

(تفسير سورة الفتح وهى مدنية)

(خ) عن اسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير فى بعض اسفاره وعمر بن الخطاب كان يسير معه ليلا فسأله عمر عن شئ فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه فقال عمر ثكلتك أمك يا عمر كررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك قال عمر فحركت بعيرى حتى تقدمت أمام الناس وخشيت أن ينزل فى قرآن فما لبثت أن سمعت صارخا يصرخ بى فقلت لقد خشيت أن يكون نزل فى قرآن فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقال لقد أنزل على الليلة سورة لهى أحب الى مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ انا فتحنا لك فتحا مبينا وأخرجه الترمذى وزاد فيه وكان فى بعض أسفاره بالحديبية (ق) عن أنس قال لما نزلت انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الى قوله فوزا عظيما مرجعه من الحديبية وهم مخالطهم الحزن والكآبة وقد نحر الهدى بالحديبية قال رسول صلى الله عليه وسلم لقد أنزلت على آية هى أحب الى من الدنيا جميعا لفظ مسلم ولفظ البخارى انا فتحنا لك فتحا مبينا قال الحديبية فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيأ مريأ فما لنا فانزل الله عز وجل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار قال شعبة فقدمت الكوفة فحدثت هذا كله عن قتادة ثم رجعت فذكرت له فقال أما انا فتحنا لك فتحا مبينا فعن أنس وأما هنيأ مريأ فعن عكرمة وأخرجه الترمذى عن قتادة عن أنس قال أنزلت على النبى صلى

(ومن يبخل) بالصدقة واداء الفريضة (فانما يبخل عن نفسه) أى يبخل عن داعى نفسه لا عن داعى ربه وقيل يبخل على نفسه يقال بخلت عليه وعنه (والله الغنى وأنتم الفقراء) أى انه لا يامر بذلك لحاجته اليه لانه غنى عن الحاجات ولكن لحاجتكم وفقركم الى الثواب (وان تتولوا) وان تعرضوا أيها العرب عن طاعته وطاعة رسوله والانفاق فى سبيله وهو معطوف على وان تؤمنوا وتتقوا (يستبدل قوما غيركم) يخلق قوما خيرا منكم وأطوع وهم فارس وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه وقال هذا وقومه والذى نفسى بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناله رجال من فارس (ثم لا يكونوا أمثالكم) أى ثم لا يكونوا فى الطاعة أمثالكم بل أطوع منكم

(سورة الفتح مدنية وهى تسع وعشرون آية)

الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر مرجعه من الحديبية فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد أنزلت علي الليلة آية أحب الي مما على الارض ثم قرأ النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هنيأ مريأ يا رسول الله لقد بين لك ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فنزلت عليه ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار حتى بلغ فوزا عظيما

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (انا فتحنا لك فتحا مبينا) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وحده والمعنى انا قضينا وحكمنا لك فتحا مبينا ظاهرا بغير قتال ولا تعب واختلفوا في هذا الفتح فروى قتادة عن أنس انه فتح مكة وقال مجاهد انه فتح خيبر وقيل هو فتح فارس والروم وسائر بلاد الاسلام التي يفتحها الله عز وجل له فان قلت على هذه الاقوال هذه البلاد مكة وغيرها لم تكن قد فتحت بعد فكيف قال تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا بلفظ الماضي قلت وعد الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالفتح وجيء به بلفظ الماضي جريا على عادة الله تعالى في أخباره لانها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة كانه تعالى قال انا فتحنا لك في حكمنا وتقديرنا وما قدره وحكم به فهو كائن لا محالة وقال أكثر المفسرين ان المراد بهذا الفتح صلح الحديبية وهو الاصح وهو رواية عن أنس ومعنى الفتح فتح المغلق المستصعب وكان الصلح مع المشركين يوم الحديبية مستصعبا متعذرا حتى فتحه الله عز وجل ويسره وسهله بقدرته ولطفه * عن البراء قال تعدون أنتم الفتح فتح مكة ولقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها ولم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا باناء من ماء فتوضأ ثم تمضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم انها أصدرتنا وما شئنا نحن وركابنا وقال الشعبي في قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا قال فتح الحديبية وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأطعموا نخل خيبر وبلغ الهدى محله وظهرت الروم على فارس ففرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس وقال الزهري لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الاسلام في قلوبهم فأسلم في ثلاث سنين خلق كثير فعز الاسلام بذلك وأكرم الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) قيل اللام في قوله ليغفر لك الله لام كي والمعنى فتحنا لك فتحا مبينا لكي يجتمع لك مع المغفرة تمام النعمة بالفتح وقال الحسن بن الفضل هو مردود الى قوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات وقال ابن جرير هو راجع الى قوله في سورة النصر واستغفره انه كان توابا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وقيل ان الفتح لم يجعل سببا للمغفرة ولكن لاجتماع ما قدر له من الامور الاربعة المذكورة

(بسم الله الرحمن الرحيم) (انا فتحنا لك فتحا مبينا) الفتح الظفر بالبلدة عنوة أو صلحا بحرب أو بغير حرب لانه مغلق ما لم يظفر به فاذا ظفر به فقد فتح ثم قيل

هو فتح مكة وقد نزلت مرجعه رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة عام الحديبية عدة له بالفتح وجيء به على لفظ الماضي لانها في تحققها بمنزلة الكائنة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شان المخبر عنه وهو الفتح ما لا يخفى وقيل هو فتح الحديبية ولم يكن فيه قتال شديد ولكن ترام بين القوم بسهام وحجارة فرمى المسلمون المشركين حتى أدخلوهم ديارهم وسألوا الصلح فكان فتحا مبينا وقال الزجاج كان في فتح الحديبية آية عظيمة وذلك انه نزح ماؤها ولم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه في البئر فدرت بالماء حتى شرب جميع الناس وقيل هو فتح خيبر وقيل معناه قضينا لك قضاء بينا على أهل مكة أن تدخلها أنت وأصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت من الفتاحة وهي الحكومة (ليغفر لك الله) قيل الفتح ليس بسبب للمغفرة والتقدير انا فتحنا لك فتحا مبينا فاستغفر ليغفر لك الله ومثله اذا جاء نصر الله والفتح الى قوله فسبح بحمد ربك واستغفره ويجوز أن يكون فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو سببا للغفران وقيل الفتح لم يكن ليغفر له بل لتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز ولكنه لما عدد عليه هذه النعم وصلها بما هو أعظم النعم كانه قيل يسرنا لك فتح مكة أو كذا وهي ليجمع لك بين عز الدارين وأغراض العاجل والآجل (ما تقدم من ذنبك وما تأخر) يريد جميع ما فرط منك أو ما تقدم

وهى المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كانه قال يسرنا لك الفتح ونصرناك على عدوك وغفرنا لك ذنبك وهديناك صراطا مستقيما ليجتمع لك عز الدارين واغراض العاجل والآجل وقيل يجوز ان يكون الفتح سببا للغفران لانه جهاد للعدو وفيه الثواب والمغفرة مع الظفر بالعدو والفوز بالفتح وقيل لما كان هذا الفتح سببا لدخول مكة والطواف بالبيت كان ذلك سببا للمغفرة ومعنى الآية ليغفر لك الله جميع مافرط منك ماتقدم من ذنبك يعنى قبل النبوة وماتأخر يعنى بعدها وهذا على قول من يجوز الصغائر على الانبياء وقال عطاء الخراسانى ماتقدم من ذنبك يعنى من ذنب أبويك آدم وحواء ببركتك وماتأخر من ذنوب أمتك بدعائك لهم وقال سفيان الثورى ماتقدم من ذنبك مما كان منك قبل النبوة وماتأخر يعنى كل شئ لم تعمله ويذكر مثل هذا على طريق التأكيد كما تقول أعط من تراه ومن لم تره واضرب من لقيت ومن لم تلقه فيكون المعنى ماوقع لك من ذنب ومالم يقع فهو مغفور لك وقيل المراد منه ما كان من سهو وغفلة وتأول لان النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن له ذنب كذنوب غيره فالمراد بذكر الذنب هنا ماعسى ان يكون وقع منه من سهو ونحو ذلك لان حسنات الابرار سيآت المقربين فسماه ذنبا فما كان من هذا القبيل وغيره فهو مغفور له فأعلمه الله عز وجل بذلك وانه مغفور له ليتم نعمته عليه وهو قوله تعالى (ويتم نعمته عليك) يعنى بالنبوة وما أعطاك من الفتح والنصر والتمكين (ويهديك صراطا مستقيما) يعنى ويهديك الى صراط مستقيم وهو الاسلام ويثبتك عليه والمعنى ليجمع لك مع الفتح تمام النعمة بالمغفرة والهداية الى صراط مستقيم وهو الاسلام وقيل معناه ويهديك الى صراط مستقيم (وينصرك الله نصرا عزيزا) يعنى غالبا ذا عز ومنعة وظهور على الاعداء وقد ظهر النصر بهذا الفتح المبين وحصل الامن بحمد الله تعالى فان قلت وصف الله تعالى النصر بكونه عزيزا والعزيز هو المنصور صاحب النصر فما معناه قلت معناه ذا عزة كقوله عيشة راضية أى ذات رضا وقيل وصف النصر بما يوصف به المنصور اسنادا مجازيا يقال هذا كلام صادق كما يقال متكلم صادق وقيل معناه نصرا عزيزا صاحبه فحذف المضاف ايجازا واختصارا وقيل انما يحتاج الى هذه التقديرات اذا كانت العزة من الغلبة والعزيز الغالب اما اذا قلنا ان العزيز هو النفيس القليل أو العديم النظير فلا يحتاج الى هذه التقديرات لان النصر الذى هو من الله تعالى عزيز فى نفسه لكونه من الله تعالى فصح وصف كونه نصرا عزيزا قوله تعالى (هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين) يعنى الطمأنينة والوقار فى قلوبهم لئلا تنزعج نفوسهم قال ابن عباس كل سكينة فى القرآن طمأنينة الا التى فى سورة البقرة وقد تقدم تفسيرها فى موضعها ولما قال الله تعالى وينصرك الله نصرا عزيزا بين وجه هذا النصر كيف هو وذلك انه تعالى جعل السكينة التى هى الطمأنينة والثبات فى قلوب المؤمنين ويلزم من ذلك ثبات الاقدام عند اللقاء فى الحروب وغيرها فكان ذلك من أسباب النصر الذى وعد الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى (ليزدادوا ايمانا مع

من حديث مارية وماتأخر من امرأة زيد (ويتم نعمته عليك) باعلاء دينك وفتح البلاد على يدك (ويهديك صراطا مستقيما) ويثبتك على الدين المرضى (وينصرك الله نصرا عزيزا) قويا منيعا لاذل بعده أبدا (هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع

ايمانهم) وذلك انه تعالى جعل السكينة والطمأنينة فى قلوب المؤمنين سببا لزيادة الايمان فى قلوبهم وذلك انه كلما ورد عليهم أمر أونهى آمنوا به وعملوا بمقتضاه فكان ذلك زيادة فى ايمانهم وقال ابن عباس بعث الله عزوجل رسوله صلى الله عليه وسلم بشهادة أن لا اله الا الله فلما آمنوا به وصدقوه زادهم الصلاة ثم الزكاة ثم الصوم ثم الحج ثم الجهاد حتى أكمل دينهم فكلما أمروا بشئ وصدقوه ازدادوا تصديقا الى تصديقهم وقال الضحاك يقينا مع يقينهم وقال الكلبي هذا فى أمر الحديبية حين صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقيل لما آمنوا بالاصول وهو التوحيد وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به عن الله عزوجل وآمنوا بالبعث بعد الموت والجنة والنار وآمنوا بالفروع وهى جميع التكاليف البدنية والمالية كان ذلك زيادة فى ايمانهم (ولله جنود السموات والارض) لما قال الله عز وجل وينصرك الله نصرا عزيزا وكان المؤمنون فى قلة من العدد والعدد فكأن قائلا قال كيف ينصره فأخبره الله عزوجل أن له جنود السموات والارض وهو قادر على نصر رسوله صلى الله عليه وسلم ببعض جنوده بل هو قادر على ان يهلك عدوه بصيحة ورجفة وصاعقة ونحو ذلك فلم يفعل بل أنزل سكينة فى قلوبكم أيها المؤمنون ليكون نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم واهلاك أعدائه على أيديكم فيكون لكم الثواب ولهم العقاب وفى جنود السموات والارض وجوه الاول انهم ملائكة السموات والارض الثانى ان جنود السموات الملائكة وجنود الارض جميع الحيوانات الثالث ان جنود السموات مثل الصاعقة والصيحة والحجارة وجنود الارض مثل الزلازل والخسف والغرق ونحو ذلك (وكان الله عليما) يعنى بجميع جنوده الذين فى السموات والارض (حكيما) يعنى فى تدبيرهم وقيل عليما بما فى قلوبكم أيها المؤمنون حكيما حيث جعل النصر لكم على أعدائكم قوله عزوجل (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار) يستدعى سابقا تقديره هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليدخلهم جنات وقيل تقديره ان من علمه وحكمته أن سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم الفتح والنصر ليشكروه على نعمه فيثيبهم ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار وقد تقدم ماروى عن أنس انه لما نزل قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال الصحابة هنيئا مريئا قد بين الله تعالى ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فأنزل الله عز وجل الآية التى بعدها ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار (خالدين فيها ويكفر عنهم سيآتهم) فان قلت تكفير السيآت انما يكون قبل دخولهم الجنة فكيف ذكره بعد دخولهم الجنة قلت الواو لا تقتضى الترتيب وقيل ان تكفير السيآت والمغفرة من توابع كون المكلف من أهل الجنة فقدم الادخال بالذكر بمعنى انه من أهل الجنة (وكان ذلك عند الله فوزا عظيما) يعنى ان ذلك الادخال والتكفير كان فى علم الله تعالى فوزا عظيما (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) يعنى المنافقين والمنافقات من أهل المدينة والمشركين والمشركات من أهل مكة وانما

ايمانهم) السكينة للسكون كالبهيتة للبهتان أى أنزل الله فى قلوبهم السكون والطمأنينة بسبب الصلح ليزدادوا يقينا على يقينهم وقيل السكينة الصبر على ما أمر الله والثقة بوعد الله والتعظيم لامر الله (ولله جنود السموات والارض وكان الله عليما حكيما ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيآتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) أى ولله جنود السموات والارض يسلط بعضها على بعض كما يقتضيه علمه وحكمته ومن قضيته أن سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم ان يفتح لهم وانما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله ويشكروها فيثيبهم ويعذب الكافرين والمنافقين لما غاظهم من ذلك وكرهوه

(الظانين بالله ظن السوء) وقع السوء عبارة عن رداءة وفساد يقال فعل سوء أي مسخوط فاسد والمراد ظنهم أن الله تعالى لا ينصر الرسول والمؤمنين ولا يرجعهم الى مكة ظاهرين فاتحيها عنوة وقهرا ١٨٩ (عليهم دائرة السوء) مكي وأبو عمرو أي ما يظنونه

قدم المنافقين على المشركين هنا وفي غيره من المواضع لان المنافقين كانوا أشد على المؤمنين من الكافرين لان الكافر يمكن أن يحترز منه ويجاهد لانه عدو مبين والمنافق لا يمكن ان يحترز منه ولا يجاهد فلهذا كان شره أكثر من شر الكافر فكان تقديم المنافق بالذكر أولى (الظانين بالله ظن السوء) يعني أنهم ظنوا ان الله تعالى لا ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (عليهم دائرة السوء) يعني عليهم دائرة العذاب والهلاك (وغضب الله عليهم) زيادة في تعذيبهم وهلاكهم (ولعنهم) يعني وأبعدهم وطردهم عن رحمته (وأعد لهم جهنم) يعني في الآخرة (وساءت مصيرا) يعني ساءت جهنم منقلبا (ولله جنود السموات والارض) تقدم تفسيره بقي ما فائدة التكرير ولم قدم ذكر جنود السموات والارض على ادخال المؤمنين الجنة ولم اخر ذكر جنود السموات والارض هنا بعد تعذيب المنافقين والكافرين فنقول فائدة التكرار للتأكيد وجنود السموات والارض منهم من هو للرحمة ومنهم من هو للعذاب فقدم ذكر جنود السموات والارض قبل ادخال المؤمنين الجنة ليكون مع المؤمنين جنود الرحمة فيثبتوهم على الصراط وعند الميزان فاذا دخلوا الجنة أفضوا الى جوار الله تعالى ورحمته والقرب منه ولا حاجة لهم بعد ذلك الى شيء وأخر ذكر جنود السموات والارض بعد تعذيب الكافرين والمنافقين ليكون معهم جنود السخط فلا يفارقوهم ابدا فان قلت قال في الآية الاولى وكان الله عليما حكيما وقال في هذه الآية (وكان الله عزيزا حكيما) فما معناه قلت لما كان في جنود السموات والارض من هو للرحمة ومن هو للعذاب وعلم الله ضعف المؤمنين ناسب ان تكون خاتمة الآية الاولى وكان الله عليما حكيما ولما بالغ في وصف تعذيب الكافر والمنافق وشدته ناسب أن تكون خاتمة الآية الثانية وكان الله عزيزا حكيما فهو كقوله أليس الله بعزيز ذي انتقام وقوله اخذناهم أخذ عزيز مقتدر قوله تعالى (انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ذكره في معرض الامتنان عليه حيث شرفه بالرسالة وبعثه الى الكافة شاهدا على اعمال أمته ومبشرا يعني لمن آمن به وأطاعه بالثواب ونذيرا يعني لمن خالفه وعصى أمره بالعقاب ثم بين فائدة الارسال فقال تعالى (ليؤمنوا بالله ورسوله) فالضمير فيه للناس المرسل اليهم (ويعزروه) يعني ويقووه وينصروه والتعزير نصر مع تعظيم (ويوقروه) يعني ويعظموه والتوقير التعظيم والتبجيل (ويسبحوه) من التسبيح الذي هو التنزيه من جميع النقائص او من السبحة وهي الصلاة قال الزمخشري والضمائر لله تعالى والمراد بتعزير الله تعالى تعزير دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم ومن فرق الضمائر فقد ابعد وقال غيره الكنايات في قوله ويعزروه ويوقروه راجعة الى الرسول صلى الله عليه وسلم وعندها تم الكلام فالوقف على ويوقروه وقف تام ثم يبتدئ بقوله ويسبحوه (بكرة وأصيلا) على ان الكناية في ويسبحوه راجعة الى الله

ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم والسوء الهلاك والدمار وغيرهما دائرة السوء بالفتح أي الدائرة التي يذمونها ويسخطونها والسوء والسوء كالكره والكره والضعف والضعف الا ان المفتوح غلب في أن يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شيء وأما السوء فجار مجرى الشر الذي هو نقيض الخير (وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا) جهنم (ولله جنود السموات والارض) فيدفع كيد من عادى نبيه عليه السلام والمؤمنين بما شاء منها (وكان الله عزيزا) غالبا فلا يرد بأسه (حكيما) فيما دبر (انا أرسلناك شاهدا) تشهد على امتك يوم القيامة وهذه حال مقدرة (ومبشرا) للمؤمنين بالجنة (ونذيرا) للكافرين من النار (لتؤمنوا بالله ورسوله) والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولامته (وتعزروه) وتقووه بالنصر (وتوقروه) وتعظموه (وتسبحوه) من التسبيح او من السبحة والضمائر لله عز وجل والمراد بتعزير الله تعزير دينه ورسوله ومن فرق الضمائر فجعل الاولين للنبي صلى الله عليه وسلم فقد ابعد ليؤمنوا مكي وأبو عمرو والضمير للناس وكذا الثلاثة الاخيرة بالياء عندهما (بكرة) صلاة الفجر (وأصيلا) الصلوات الاربع

تعالى يعني و يصلوا لله أوو يسبحوا الله بالغداة والعشي قوله عزوجل (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) يعني ان الذين يبايعونك يا محمد بالحديبية على أن لا يفروا انما يبايعون الله لانهم باعوا أنفسهم من الله عزوجل بالجنة وأصل البيعة العقد الذي يعقده الانسان على نفسه من بذل الطاعة للامام والوفاء بالعهد الذي التزمه له والمراد بهذه البيعة بيعة الرضوان بالحديبية وهي قرية ليست بكبيرة بينها وبين مكة أقل من مرحلة أو مرحلة سميت ببئر هناك وقد جاء في الحديث ان الحديبية بئر قال مالك هي من الحرم وقال ابن القصار بعضها من الحل ويجوز في الحديبية التخفيف والتشديد والتخفيف أفصح وعامة المحدثين يشددونها (ق) عن يزيد بن عبيد قال قلت لسلمة بن الاكوع على أي شئ بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على الموت (م) عن معقل بن يسار قال لقد رأيتني يوم الشجرة والنبي صلى الله عليه وسلم يبايع الناس وأنا رافع غصنا من اغصانها عن رأسه ونحن أربع عشرة مائة قال لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على ان لا نفر قال العلماء لا منافاة بين الحديثين ومعناهما صحيح بايعه جماعة منهم سلمة بن الاكوع على الموت فلا يزالون يقاتلون بين يديه حتى يقتلوا أو ينتصروا وبايعه جماعة منهم معقل بن يسار على أن لا يفروا (خ) عن ابن عمر قال ان الناس كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية تفرقوا في ظلال الشجر فاذا الناس محدقون بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال يعني عمر يا عبد الله انظر ما شان الناس أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب فوجدهم يبايعون فبايع ثم رجع الى عمر فخرج فبايع وقوله تعالى (يد الله فوق أيديهم) قال ابن عباس يد الله بالوفاء بما وعدهم من الخير فوق أيديهم وقال السدي كانوا يأخذون بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيبايعونه ويد الله فوق أيديهم كذا نقله البغوي عنه وقال الكلبي نعمة الله عليهم في الهداية فوق ما صنعوا من البيعة وقال الامام فخر الدين الرازي يد الله فوق أيديهم يحتمل وجوها وذلك لان اليد في الموضعين اما أن تكون بمعنى واحد واما أن تكون بمعنيين فان قلنا انها بمعنى واحد ففيه وجهان أحدهما يد الله بمعنى نعمة الله عليهم فوق احسانهم كما قال بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان وثانيهما يد الله فوق أيديهم أي نصرته اياهم أقوى وأعلى من نصرتهم اياه يقال اليد لفلان أي الغلبة والنصرة والقوة وان قلنا انها بمعنيين فنقول اليد في حق الله تعالى بمعنى الحفظ وفي حق المبايعين بمعنى الجارحة فيكون المعنى يد الله فوق أيديهم بالحفظ وقال الزمخشري لما قال انما يبايعون الله أكده تأكيدا على طريقة التخييل فقال يد الله فوق أيديهم يريد أن يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تعلو أيدي المبايعين هي يد الله والله منزه عن الجوارح وعن صفات الاجسام وانما المعنى تقرير أن عقد الميثاق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كعقده مع الله عزوجل من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله هذا مذهب أهل التاويل وكلامهم في هذه الآية ومذهب السلف السكوت عن التأويل وامرار آيات الصفات كما جاءت وتفسيرها قراءتها والايمان بها من غير تشبيه ولا تكييف ولا تعطيل وقوله تعالى (فمن نكث فانما ينكث على نفسه) يعني فمن نقض العهد الذي عقده مع النبي صلى الله عليه وسلم

(ان الذين يبايعونك) أي بيعة الرضوان ولما قال (انما يبايعون الله) أكده تأكيدا على طريقة التخييل فقال (يد الله فوق أيديهم) يريد ان يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تعلو ايدي المبايعين هي يد الله والله منزه عن الجوارح وعن صفات الاجسام وانما المعنى تقرير أن عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله من يطع الرسول فقد أطاع الله وانما يبايعون الله خبر ان (فمن نكث) نقض العهد ولم يف بالبيعة (فانما ينكث على نفسه) فلا يعود ضرر نكثه الا عليه قال جابر بن عبد الله بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على الموت وعلى ان لا نفر فما نكث أحد منا البيعة الا جد بن قيس وكان منافقا اختبأ تحت بطن بعيره ولم يسر مع القوم

ونكث

(ومن أوفى بما عاهد) يقال وفيت بالعهد وأوفيت به ومنه قوله أوفوا بعهد الله والموفون بعهدهم (عليه الله) حفص (فسيؤتيه) وبالنون حجازى وشامى (اجرا عظيما) الجنة (سيقول لك) اذا رجعت من الحديبية (المخلفون من الاعراب) هم الذين خلفوا عن الحديبية وهم اعراب غفار ومزينة وجهينة واسلم واشجع والديل وذلك انه عليه السلام حين اراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب وأهل البوادى ليخرجوا معه حذرا من قريش أن يعرضوا له بحرب او بصدوه عن البيت وأحرم هو صلى الله عليه وسلم وساق معه الهدى ليعلم انه لا يريد حربا فتثاقل كثير من الاعراب وقالوا يذهب الى قوم غزوه فى عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه فيقاتلهم وظنوا انه يهلك فلا ينقلب الى المدينة (شغلتنا أموالنا وأهلونا) هى جمع أهل اعتلوا بالشغل بأهاليهم وأموالهم وانه ليس لهم من يقوم باشغالهم (فاستغفر لنا) ليغفر لنا الله تخلفنا عنك (يقولون بالسنتهم ماليس فى قلوبهم) تكذيب لهم فى اعتذارهم وان الذى خلفهم ليس مايقولون وانما هو الشك فى الله والنفاق فطلبهم الاستغفار أيضا ليس بصادر عن حقيقة (قل فمن يملك لكم من الله شيأ) فمن يمنعكم من مشيئة الله وقضائه (ان أراد بكم ضرا) مايضركم من قتل اوهزيمة ضرا حمزة وعلى (أو أراد بكم نفعا) من غنيمة وظفر (بل كان الله بما تعملون خبيرا بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم ابدا وزين ذلك فى قلوبكم) زينه الشيطان (وظننتم ظن السوء) من علو الكفر وظهور الفساد (وكنتم قوما بورا) جمع بائر كعائذ وعوذ من بار الشئ هلك وفسد أى وكنتم قوما فاسدين فى أنفسكم وقلوبكم ونياتكم لاخير فيكم اوهالكين عند الله مستحقين لسخطه وعقابه (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين) أى لهم فاقيم الظاهر مقام الضمير للايذان بأن من لم يجمع بين الايمانين الايمان بالله والايمان برسوله فهو كافر ونكر (سعيرا) لانها نار مخصوصة كما نكر نارا تلظى

ونكث البيعة فان وبال ذلك وضرره يرجع اليه ولا يضر الا نفسه (ومن أوفى بما عاهد عليه الله) يعنى من البيعة (فسيؤتيه أجرا عظيما) يعنى فى الآخرة وهو الجنة قوله تعالى (سيقول لك المخلفون من الاعراب) قال ابن عباس ومجاهد يعنى اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع والنخع وأسلم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادى ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت فاحرم بالعمرة وساق الهدى ليعلم الناس انه لا يريد حربا فتثاقل عنه كثير من الاعراب وتخلفوا واعتلوا بالشغل فانزل الله تعالى فيهم سيقول لك يا محمد المخلفون من الاعراب الذين خلفهم الله عزوجل عن صحبتك اذا رجعت اليهم من عمرتك هذه وعاتبتهم على التخلف عنك (شغلتنا أموالنا وأهلونا) يعنى النساء والذرارى يعنى لم يكن لنا من يخلفنا فيهم فلذا تخلفنا عنك (فاستغفر لنا) أى انا مع عذرنا معترفون بالاساءة فاستغفر لنا بسبب تخلفنا عنك فاكذبهم الله تعالى فقال (يقولون بالسنتهم ماليس فى قلوبهم) يعنى انهم فى طلب الاستغفار كاذبون لانهم لا يبالون استغفر لهم النبى صلى الله عليه وسلم أم لا (قل فمن يملك لكم من الله شيأ ان أراد بكم ضرا) يعنى سوأ (أو أراد بكم نفعا) وذلك انهم ظنوا أن تخلفهم عن النبى صلى الله عليه وسلم يدفع عنهم الضر او يجعل لهم النفع بالسلامة لهم فى أنفسهم وأموالهم فاخبرهم الله عزوجل انه ان أراد شيأ من ذلك لم يقدر احد على دفعه (بل كان الله بما تعملون خبيرا) يعنى من اظهاركم الاعتذار وطلب الاستغفار واخفائكم النفاق (بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا) يعنى ظننتم ان العدو يستأصلهم فلا يرجعون الى أهليهم (وزين ذلك فى قلوبكم) يعنى زين الشيطان ذلك الظن عندكم حتى قطعتم به حتى صار الظن يقينا عندكم وذلك ان الشيطان قد يوسوس فى قلب الانسان بالشئ ويزينه له حتى يقطع به (وظننتم ظن السوء) يعنى وظننتم ان الله يخلف وعده وذلك انهم قالوا ان محمدا وأصحابه أكلة رأس يريدون بذلك قتالهم فلا يرجعون فأين تذهبون معهم انتظروا مايكون من أمرهم (وكنتم قوما بورا) يعنى وصرتم بسبب ذلك الظن الفاسد قوما بائرين هالكين (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا) لما بين الله تعالى حال المخلفين عن رسول الله صلى الله

المخلفون) الذين تخلفوا عن الحديبية (اذا انطلقتم الى مغانم) الى غنائم خيبر (لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله) كلم الله حمزة وعلى أى يريدون أن يغيروا موعد الله لاهل الحديبية وذلك انه وعدهم ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر اذا قفلوا موادعين لا يصيبون منهم شيأ (قل لن تتبعونا) الى خيبر وهو اخبار من الله بعدم اتباعهم ولا يبدل القول لديه (كذلكم قال الله من قبل) من قبل انصرافهم الى المدينة ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية دون غيرهم (فسيقولون بل تحسدوننا) أى لم يأمركم الله به بل تحسدوننا ان نشارككم فى الغنيمة (بل كانوا لا يفقهون) من كلام الله (الا قليلا) الا شيأ قليلا يعنى مجرد القول والفرق بين الاضرابين ان الاول رد أن يكون حكم الله ان لا يتبعوهم واثبات الحسد والثانى اضراب عن وصفهم باضافة الحسد الى المؤمنين الى وصفهم بما هو أطم منه وهو الجهل وقلة الفقه (قل للمخلفين من الاعراب) هم الذين تخلفوا عن الحديبية (ستدعون الى قوم أولى بأس شديد) يعنى بنى حنيفة قوم مسيلمة وأهل الردة الذين حاربهم أبو بكر رضى الله عنه لان مشركى العرب والمرتدين هم الذين لا يقبل منهم الا الاسلام او السيف وقيل هم فارس وقد دعاهم عمر رضى الله عنه

عليه وسلم وبين حال ظنهم الفاسد وان ذلك يفضى بصاحبه الى الكفر حرضهم على الايمان والتوبة من ذلك الظن الفاسد فقال تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله وظن ان الله يخلف وعده فانه كافر وانا اعتدنا للكافرين سعيرا (ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) لما ذكر الله تعالى حال المؤمنين المبايعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحال الظانين ظن السوء أخبر ان له ملك السموات والارض ومن كان كذلك فهو يغفر لمن يشاء بمشيئته ويعذب من يشاء ولكن غفرانه ورحمته أعم واشمل وأتم واكمل واليه الاشارة بقوله تعالى (وكان الله غفورا رحيما) قوله عز وجل (سيقول المخلفون) يعنى الذين تخلفوا عن الحديبية (اذا انطلقتم) يعنى اذا سرتم وذهبتم أيها المؤمنون (الى مغانم لتأخذوها) يعنى غنائم خيبر وذلك ان المؤمنين لما انصرفوا من الحديبية على صلح من غير قتال ولم يصيبوا من الغنائم شيأ وعدهم الله عز وجل فتح خيبر وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضا عن غنائم أهل مكة حيث انصرفوا عنهم ولم يصيبوا منهم شيأ (ذرونا نتبعكم) يعنى الى خيبر فنشهد معكم قتال أهلها وفى هذا بيان كذب المتخلفين عن الحديبية حيث قالوا شغلتنا أموالنا وأهلونا اذ لم يكن لهم هناك طمع فى غنيمة وهنا قالوا ذرونا نتبعكم حيث كان لهم طمع فى الغنيمة (يريدون أن يبدلوا كلام الله) يعنى يريدون ان يغيروا ويبدلوا مواعيد الله لاهل الحديبية حيث وعدهم غنيمة خيبر لهم خاصة وهذا قول جمهور المفسرين وقال مقاتل يعنى أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم حيث أمره ان لا يسير منهم احد الى خيبر وقال ابن زيد هو قول الله تعالى فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى أبدا والقول الاول أصوب (قل) أى قل لهم يا محمد (لن تتبعونا) يعنى الى خيبر (كذلكم قال الله من قبل) يعنى من قبل مرجعنا اليكم ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب (فسيقولون بل تحسدوننا) يعنى يمنعكم الحسد أن نصيب معكم من الغنائم شيأ (بل كانوا لا يفقهون الا قليلا) يعنى لا يعلمون ولا يفهمون عن الله ما لهم وما عليهم من الدين الا قليلا منهم وهو من تاب منهم وصدق الله ورسوله قوله عز وجل (قل للمخلفين من الاعراب) لما قال الله للنبى صلى الله عليه وسلم قل لن تتبعونا وكان المخلفون جمعا كثيرا من قبائل متشعبة وكان فيهم من ترجى توبته وخيره بخلاف الذين مردوا على النفاق واستمروا عليه جعل الله عز وجل لقبول توبتهم علامة وهى انهم يدعون الى قوم أولى بأس شديد فان أطاعوا كانوا من المؤمنين ويؤتيهم الله أجرا حسنا وهو الجنة وان تولوا وأعرضوا عما دعوا اليه كانوا من المنافقين ويعذبهم عذابا أليما واختلفوا فى المشار اليهم بقوله (ستدعون الى قوم أولى بأس شديد) من هم فقال ابن عباس ومجاهد هم أهل فارس وقال كعب هم الروم وقال الحسن هم فارس والروم وقال سعيد بن جبير هوازن وثقيف وقال قتادة هوازن وغطفان يوم حنين وقال الزهرى وجماعة هم بنو حنيفة أهل اليمامة أصحاب مسيلمة الكذاب وقال رافع بن خديج كنا

تقرأ هذه الآية ولا نعلم من هم حتى دعا أبو بكر رضي الله تعالى عنه الى قتال بني حنيفة فعلمنا انهم هم وقال ابن جريج دعاهم عمر رضي الله عنه الى قتال فارس وقال أبو هريرة لم يات تأويل هذه الآية بعد وأقوى هذه الاقوال قول من قال انهم هوازن وثقيف لان الداعي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وابعدها قول من قال انهم بنو حنيفة أصحاب مسيلمة الكذاب أما الدليل على صحة القول الاول فهو ان العرب كان قد ظهر أمرهم في آخر الامر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فلم يبق الا مؤمن تقي طاهر او كافر مجاهر وأما المنافقون فكان قد علم حالهم لامتناع النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليهم وكان الداعي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حرب من خالفه من الكفار وكانت هوازن وثقيف من أشد العرب بأسا وكذلك غطفان فاستنفر النبي صلى الله عليه وسلم العرب لغزوة حنين وبني المصطلق فصح بهذا البيان ان الداعي هو النبي صلى الله عليه وسلم فان قيل هذا ممتنع لوجهين أحدهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لن تتبعونا وقال لن تخرجوا معي أبدا فكيف كانوا يتبعونه مع هذا النهي الوجه الثاني قوله اولي بأس شديد ولم يبق للنبي صلى الله عليه وسلم حرب مع قوم أولي بأس شديد لان الرعب كان قد دخل قلوب العرب كافة فنقول الجواب عن الوجه الاول من وجهين احدهما أن يكون قوله قل لن تتبعونا ولن تخرجوا معي أبدا مقيدا بقيد هو أن يكون تقديره قل لن تتبعونا ولن تخرجوا معي ابدا ما دمتم على ما أنتم عليه من النفاق والمخالفة وهذا القيد لا بد منه لان من اسلم وحسن اسلامه وجب عليه الجهاد ولا يجوز منعه من الخروج الى الجهاد مع النبي صلى الله عليه وسلم الوجه الثاني في الجواب عن الوجه الاول ان المراد من قوله لن تتبعونا ولن تخرجوا معي أبدا يعني في غزوة خيبر لانها كانت مخصوصة بمن شهد بيعة الرضوان بالحديبية دون غيرهم ثم نقول ان النبي صلى الله عليه وسلم لو لم يدعهم الى الجهاد معه أو منعهم من الخروج الى الجهاد معه لامتنع أبو بكر وعمر من الاذن لهم في الخروج الى الجهاد معهما كما امتنعا من أخذ الزكاة من ثعلبة لامتناع النبي صلى الله عليه وسلم من أخذها وأما الجواب عن الوجه الثاني وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يبق له حرب مع قوم أولي بأس شديد فغير مسلم لان الحرب كانت باقية مع قريش وغيرهم من العرب وهم اولو بأس شديد فثبت بهذا البيان ان الداعي للمخلفين هو النبي صلى الله عليه وسلم وأما قول من قال ان أبا بكر دعاهم الى قتال بني حنيفة أصحاب مسيلمة الكذاب وان عمر دعاهم الى قتال فارس والروم فظاهر في الدلالة وفيه دليل على صحة خلافتهما لان الله تعالى وعد على طاعتهما الجنة وعلى مخالفتهما النار وقوله تعالى (تقاتلونهم أو يسلمون) فيه اشارة الى وقوع أحد الامرين اما الاسلام أو القتل (فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا) يعني الجنة (وان تتولوا) يعني تعرضوا عن الجهاد (كما توليتم من قبل) يعني عام الحديبية (يعذبكم عذابا أليما) يعني النار ولما نزلت هذه الآية قال أهل الزمانة والاعذار كيف حالنا يا رسول الله فأنزل الله عز وجل (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) يعني في التخلف عن الجهاد

(تقاتلونهم أو يسلمون) أي يكون أحد الامرين اما المقاتلة أو الاسلام ومعنى يسلمون على هذا التاويل ينقادون لان فارس مجوس تقبل منهم الجزية وفي الآية دلالة صحة خلافة الشيخين حيث وعدهم الثواب على طاعة الداعي عند دعوته بقوله (فان تطيعوا) من دعاكم الى قتاله (يؤتكم الله أجرا حسنا) فوجب ان يكون الداعي مفترض الطاعة (وان تتولوا كما توليتم من قبل) أي عن الحديبية (يعذبكم عذابا أليما) في الآخرة (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) نفي الحرج عن ذوي العاهات في التخلف عن الغزو

وهذه اعذار ظاهرة في جواز ترك الجهاد لان أصحابها لا يقدرون على الكر والفر لان الاعمى لا يمكنه الاقدام على العدو والطلب ولا يمكنه الاحتراز منه والهرب وكذلك الاعرج والمريض وفي معنى الاعرج الزمن المقعد والاقطع وفي معنى المريض صاحب السعال الشديد والطحال الكبير والذين لا يقدرون على الكر والفر فهذه اعذار مانعة من الجهاد ظاهرة ومن وراء ذلك اعذار أخر دون ما ذكر وهي الفقر الذي لا يمكن صاحبه أن يستصحب معه ما يحتاج اليه من مصالح الجهاد والاشغال التي تعوق عن الجهاد كتمريض المريض الذي ليس له من يقوم مقامه عليه ونحو ذلك وانما قدم الاعمى على الاعرج لان عذر الاعمى مستمر لا يمكن الانتفاع به في حرس ولا غيره بخلاف الاعرج لانه يمكن الانتفاع به في الحراسة ونحوها وقدم الاعرج على المريض لان عذره أشد من عذر المريض لامكان زوال المرض عن قريب (ومن يطع الله ورسوله) يعني في أمر الجهاد وغيره (يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول) يعني يعرض عن الطاعة ويستمر على الكفر والنفاق (يعذبه عذابا أليما) يعني في الآخرة قوله عز وجل (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك) يعني بالحديبية على أن يناجزوا قريشا ولا يفروا (تحت الشجرة) وكانت هذه الشجرة سمرة (ق) عن طارق بن عبد الرحمن قال انطلقت حاجا فمررت بقوم يصلون فقلت ما هذا المسجد قالوا هذه الشجرة حيث بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان فأتيت ابن المسيب فاخبرته فقال سعيد كان أبي ممن بايع تحت الشجرة قال فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فعميت علينا فلم نقدر عليها قال سعيد فأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعلموها وعلمتموها فانتم أعلم فضحك وفي رواية عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال لقد رأيت الشجرة ثم أتيتها بعد عام فلم أعرفها وروى ان عمر مر بذلك المكان بعد أن ذهبت الشجرة فقال اين كانت فجعل بعضهم يقول ههنا وبعضهم يقول ههنا فلما كثر اختلافهم قال سيروا ذهبت الشجرة (خ) عن ابن عمر قال رجعنا من العام المقبل فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التي بايعنا تحتها وكانت رحمة من الله تعالى (م) عن أبي الزبير انه سمع جابرا يسئل كم كانوا يوم الحديبية قال كنا أربع عشرة مائة فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة فبايعناه جميعا غير جد بن قيس الانصاري اختفى تحت بطن بعيره زاد في رواية قال بايعناه على ان لا نفر ولم نبايعه على الموت واخرجه الترمذي عن جابر في قوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا نفر ولم نبايعه على الموت (ق) عن عمرو بن دينار قال سمعت جابر بن عبد الله يقول قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية انتم اليوم خير أهل الارض وكنا ألفا واربعمائة قال ولو كنت ابصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة وروى سالم عن جابر قال كنا خمس عشرة مائة (ق) عن عبد الله بن ابي أوفى قال كان أصحاب الشجرة ألفا وثلثمائة وكانت اسلم ثمن المهاجرين وهذه البيعة تسمى بيعة الرضوان لهذه الآية وكان سبب هذه البيعة على ما ذكر محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا

(ومن يطع الله ورسوله) في الجهاد وغيره ذلك (يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول) يعرض عن الطاعة (يعذبه عذابا أليما) ندخله ونعذبه مدني وشامي (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) هي بيعة الرضوان سميت بهذه الآية وقصتها ان النبي صلى الله عليه وسلم حين نزل بالحديبية بعث خراش بن أمية الخزاعي رسولا الى مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فلما رجع دعا بعمر ليبعثه فقال اني اخافهم على نفسي لما عرف من عداوتي اياهم فبعث عثمان بن عفان فخبرهم انه لم يات لحرب وانما جاء زائرا للبيت فوقروه واحتبس عندهم فارجف بانهم قتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فبايعوه على أن يناجزوا قريشا ولا يفروا تحت الشجرة وكانت سمرة وكان عدد المبايعين الفا واربعمائة

خراش بن امية الخزاعى حين نزل الحديبية فبعثه الى قريش بمكة وحمله على جمل يقال له
الثعلب ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له فعقروا جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا
قتله فمنعتهم الاحابيش فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فدعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ليبعثه الى مكة فقال يارسول الله انى أخاف
على نفسى قريشا وليس بمكة من بنى عدى بن كعب أحد وقد عرفت قريش عداوتى
اياها وغلظتى عليها ولكن ادلك على رجل هو أعز بها منى عثمان بن عفان فدعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم عثمان فبعثه الى أبى سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت
لحرب انما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فخرج عثمان الى مكة فلقيه أبان بن
سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فنزل عن دابته وحمله بين يديه ثم
أردفه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عظماء قريش لعثمان
حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت أن تطوف بالبيت فطف به
فقال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتبسته قريش
عندها فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان قد قتل فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لانبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فكانت بيعة
الرضوان تحت الشجرة وكان الناس يقولون بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على
الموت قال بكير بن الاشج بايعوه على الموت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل على
ما استطعتم وقد تقدم عن جابر ومعقل بن يسار أنهما قالا لم نبايعه على الموت ولكن
بايعناه على أن لانفر وقد تقدم أيضا الجمع بين هذا وبين قول سلمة بن الاكوع بايعناه على
الموت وكان أول من بايع بيعة الرضوان رجلا من بنى أسد يقال له أبو سنان بن وهب ولم
يتخلف عن بيعة الرضوان أحد من المسلمين حضرها الا الجد بن قيس أخو بنى سلمة قال
جابر فكأنى أنظر اليه لاصقا بابط ناقته يستتر بها من الناس ثم أتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن الذى ذكر من أمر عثمان باطل (م) عن جابر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لايدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة * عن جابر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليدخلن الجنة من بايع تحت الشجرة الا صاحب الجمل
الاحمر أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقوله تعالى (فعلم ما فى قلوبهم) يعنى من
الصدق والاخلاص والوفاء كما علم ما فى قلوب المنافقين من المرض والنفاق (فأنزل
السكينة) يعنى الطمأنينة (عليهم) يعنى على المؤمنين المخلصين حتى ثبتوا وبايعوك على
الموت وعلى أن لايفروا وفى هذه الآية لطيفة وهى أن هذه البيعة كانت فيها طاعة الله
وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك موجب لرضوان الله عز وجل وهو موجب
لدخول الجنة ويدل عليه قوله تعالى فى الآية المتقدمة ومن يطع الله ورسوله يدخله
جنات تجرى من تحتها الانهار فثبت بهذا البيان أن أهل بيعة الرضوان من أهل الجنة
ويشهد لصحة ما قلناه الحديث المتقدم فان قلت الفاء فى فعلم للتعقيب وعلم الله قبل
الرضا لانه تعالى علم ما فى قلوبهم من الصدق والايمان فرضى عنهم فكيف يفهم
التعقيب فى قوله فعلم ما فى قلوبهم قلت قوله فعلم ما فى قلوبهم متعلق بقوله اذ يبايعونك

(فعلم ما فى قلوبهم) من الاخلاص
وصدق الضمائر فيما بايعوه
عليه (فأنزل السكينة عليهم)
أى الطمأنينة والامن بسبب
الصلح على قلوبهم

فيكون تقديره لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك فعلم ما في قلوبهم من الصدق اشارة
الى أن الرضا لم يكن عند المبايعة فحسب بل عند المبايعة التي عندها علم الله بصدقهم
والفاء في قوله فانزل السكينة للتعقيب لانه تعالى لما علم ما في قلوبهم رضي عنهم فانزل
السكينة عليهم وقوله تعالى (وأثابهم فتحا قريبا) يعني خيبر (ومغانم كثيرة يأخذونها)
يعني من أموال أهل خيبر وكانت خيبر ذات نخيل وعقار وأموال فقسمها رسول الله صلى
الله عليه وسلم بينهم (وكان الله عزيزا) يعني منيعا كامل العزة غنيا عن اعانتكم
(حكيما) حيث حكم لكم بالغنائم ولاعدائكم بالهلاك على أيديكم قوله تعالى (وعدكم
الله مغانم كثيرة تأخذونها) يعني المغانم التي تغنمونها من الفتوحات التي تفتح لكم الى
يوم القيامة (فعجل لكم هذه) يعني مغانم خيبر وفيه اشارة الى كثرة الفتوحات والغنائم
التي يعطيهم الله عز وجل في المستقبل وانما عجل لهم هذه كعجالة الراكب عجلها الله لكم
وهي في جنب ما وعدكم الله به من الغنائم كالقليل من الكثير (وكف أيدي الناس
عنكم) وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قصد خيبر وحاصر أهلها همت قبائل من بني
أسد وغطفان أن يغيروا على عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة فكف الله عز وجل أيديهم
بالقاء الرعب في قلوبهم وقيل المعنى أن الله عز وجل كف أيدي أهل مكة بالصلح عنكم
لتمام المنة عليكم (ولتكون آية للمؤمنين) هو عطف على ما تقدم تقديره فعجل لكم الغنائم
لتنتفعوا بها ولتكون آية للمؤمنين يعني ولتحصل من بعدكم آية تدلهم على أن ما وهبكم الله
يحصل مثله لهم وقيل لتكون آية للمؤمنين دالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في
اخباره عن الغيوب فيزدادوا يقينا الى يقينهم ويعلموا أن الله هو المتولي حياطتهم
وحراستهم في مشهدهم ومغيبهم (ويهديكم صراطا مستقيما) يعني ويهديكم الى دين
الاسلام ويثبتكم عليه ويزيدكم بصيرة ويقينا بصلح الحديبية وفتح خيبر

(ذكر غزوة خيبر)

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية أقام بالمدينة بقية ذي
الحجة وبعض المحرم ثم خرج الى خيبر في بقية المحرم سنة سبع (ق) عن أنس أن النبي
صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا قوما لم يكن يغزو بنا حتى يصبح وينظر فان سمع أذانا كف
عنهم وان لم يسمع أذانا أغار عليهم قال فخرجنا الى خيبر فلما انتهينا اليهم ليلا فلما أصبح ولم
يسمع أذانا ركب وركبت خلف أبي طلحة وان قدمي لتمس قدم النبي صلى الله عليه وسلم
قال فخرجوا الينا بمكاتلهم ومساحيهم فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا محمد
والخميس فلما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم قال الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة
قوم فساء صباح المنذرين (م) عن سلمة بن الاكوع قال خرجنا الى خيبر مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فجعل عمي عامر يرتجز بالقوم

تالله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا
ونحن عن فضلك ما استغنينا * فثبت الاقدام ان لاقينا
وأنزلن سكينة علينا

(وأثابهم) وجازاهم (فتحا
قريبا) هو فتح خيبر غب
انصرافهم من مكة (ومغانم
كثيرة يأخذونها) هي مغانم
خيبر وكانت أرضا ذات عقار
وأموال فقسمها عليهم (وكان
الله عزيزا) منيعا فلا يغالب
(حكيما) فيما يحكم فلا يعارض
(وعدكم الله مغانم كثيرة
تأخذونها) هي ما أصابوه مع
النبي صلى الله عليه وسلم وبعده
الى يوم القيامة (فعجل لكم
هذه) المغانم يعني مغانم خيبر
(وكف أيدي الناس عنكم)
يعني أيدي أهل خيبر وحلفائهم
من أسد وغطفان حين جاؤا
لنصرتهم فقذف الله في قلوبهم
الرعب فانصرفوا وقيل أيدي
أهل مكة بالصلح (ولتكون
هذه الكفة (آية للمؤمنين)
وعبرة يعرفون بها أنهم من الله
عز وجل بمكان وأنه ضامن
نصرتهم والفتح عليهم فعل
ذلك (ويهديكم صراطا مستقيما)
ويزيدكم بصيرة ويقينا وثقة
بفضل الله

فقال

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا قال أنا عامر قال غفر لك ربك قال وما استغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لانسان يخصه الا استشهد قال فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له يا نبي الله لولا متعتنا بعامر قال فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول

قد علمت خيبر أني مرحب * شاكي السلاح بطل مجرب
اذا الحروب أقبلت تلتهب

قال وبرز له عمي عامر فقال

قد علمت خيبر أني عامر * شاكي السلاح بطل مغامر

قال فاختلفا بضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر وذهب عامر يسفل له فرجع سيفه على نفسه فقطع أكحله فكانت فيها نفسه قال سلمة فخرجت فاذا نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي فقلت يا رسول الله بطل عمل عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال ذلك قلت ناس من أصحابك قال كذب من قال ذلك بل له أجره مرتين ثم أرسلني الى علي وهو أرمد فقال لاعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله او يحبه الله ورسوله قال فأتيت عليا فجئت به أقوده وهو أرمد حتى أتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق في عينيه فبرأ وأعطاه الراية وخرج مرحب فقال

قد علمت خيبر أني مرحب * شاكي السلاح بطل مجرب
اذا الحروب أقبلت تلتهب

فقال علي رضي الله عنه

أنا الذي سمتني أمي حيدره * كليث غابات كريه المنظره
اوفيهم بالصاع كيل السندره

قال فضرب مرحبا فقتله ثم كان الفتح على يده أخرجه مسلم بهذا اللفظ وقد أخرج البخاري طرفا منه قال البغوي وقد روى حديث فتح خيبر جماعة منهم سهل بن سعد وأنس بن مالك وأبو هريرة يزيدون وينقصون وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد أخذته الشقيقة فلم يخرج الى الناس فأخذ أبو بكر راية رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نهض فقاتل قتالا شديدا ثم رجع فأخذها عمر فقاتل قتالا شديدا هو أشد من القتال الاول ثم رجع فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ويفتح الله على يديه فدعا عليا فأعطاه الراية وقال له امش ولا تلتفت حتى يفتح الله على يديك فأتى خيبر فخرج مرحب صاحب الحصن وعلى رأسه مغفر من حجر قد نقبه مثل البيضة وهو يرتجز فخرج اليه علي بن أبي طالب فضربه فقد الحجر والمغفر وفلق رأسه حتى أخذ السيف في الاضراس ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر وهو يرتجز فخرج اليه الزبير بن العوام فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب يقتل ابني يا رسول الله قال ابنك يقتله ان شاء الله ثم التقيا فقتله الزبير ثم كان

الفتح ثم لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح الحصون ويقتل المقاتلة ويسبي الذرية ويحوز الاموال قال محمد بن اسحق فكان أول حصونهم ثم افتتح حصن ناعم وعنده قتل محمود بن مسلمة ألقت اليهود عليه حجرا فقتله ثم فتح القموص حصن ابن أبي الحقيق فاصاب سبايا منهم صفية بنت حيي بن أخطب جاء بها بلال وبأخرى معها فمر بهما على قتلى من قتلى يهود فلما رأتهم التي مع صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعزبوا عني هذه الشيطانة وأمر بصفية فحيزت خلفه وألقى عليها رداءه فعرف المسلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفاها لنفسه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال لما رأى من تلك اليهودية ما رأى أنزعت منك الرحمة يا بلال حيث تمر بامرأتين على قتلى رجالهما وكانت صفية قد رأت في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ان قمرا وقع في حجرها فعرضت رؤياها على زوجها فقال ما هذا الا أنك تمنين ملك الحجاز محمدا ثم لطم وجهها لطمة اخضرت منها عينها فاتي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها اثر منها فسألها عن ذلك ما هو فاخبرته الخبر وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزوجها كنانة بن الربيع وكان عنده كنز بني النضير فسأله فجحد أن يكون يعلم مكانه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل من اليهود فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنانة أرأيت ان وجدناه عندك أنقتلك قال نعم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحفرت فاخرج منها بعض كنزهم ثم ساله ما بقي فابى أن يؤديه اليه فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الزبير بن العوام أن يعذبه حتى يستأصل ما عنده فكان الزبير يقدح بزنده على صدره حتى أشرف على نفسه ثم دفعه الى محمد بن مسلمة فضرب عنقه باخيه محمود بن مسلمة (ق) عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا خيبر فصلينا عندها صلاة الغداة بغلس فركب نبي الله صلى الله عليه وسلم وركب أبو طلحة وأنا رديف أبي طلحة فاجرى نبي الله صلى الله عليه وسلم في زقاق خيبر وان ركبتي لتمس فخذ نبي الله صلى الله عليه وسلم ثم حسر الازار عن فخذه حتى اني انظر بياض فخذ نبي الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل القرية قال الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاثا قال وخرج القوم الى أعمالهم فقالوا محمد والخميس يعني الجيش قال فاصبناها عنوة فجمع السبي فجاء دحية فقال يا رسول الله أعطني جارية من السبي قال اذهب فخذ جارية فاخذ صفية بنت حيي فجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله أعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير لا تصلح الا لك قال ادعوه فجاء بها فلما نظر اليها النبي صلى الله عليه وسلم قال خذ جارية من السبي غيرها قال فاعتقها النبي صلى الله عليه وسلم وتزوجها فقال له ثابت يا أبا حمزة ما أصدقها قال نفسها اعتقها وتزوجها حتى اذا كان بالطريق جهزتها له أم سليم فاهدتها له من الليل وأصبح النبي صلى الله عليه وسلم عروسا فقال من كان عنده شيء فليجيء به وبسط نطعا فجعل الرجل يجيء بالتمر وجعل الآخر

يحيى بأسمن قال واحسبه ذكر السويق قال فأسواحيسا فكانت وليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عن عبد الله بن ابى أوفى قال اصابتنا مجاعة ليالى خيبر فلما كان يوم خيبر وقعنا فى الحمر الاهلية فانتحرناها فلما غلت بها القدور نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أكفؤا القدور ولا تأكلوا من لحوم الحمر شيأ فقال أناس انما نهى عنها لانها لم تخمس وقال آخرون انما نهى عنها البتة (ق) عن أنس ان امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فجىء بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك فقالت اردت لاقتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك أو قال على قالوا أنقتلها قال لا فما زلت أعرفها فى لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم قال محمد بن اسمعيل قال يونس عن الزهرى قال عروة قالت عائشة كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى مرضه الذى مات فيه يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذى أكلت بخيبر فهذا أوان وجدت انقطاع أبهرى من ذلك السم (خ) عن عائشة قالت لما فتحت خيبر قلنا الآن نشبع من التمر (ق) عن ابن عمر أن عمر اجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ظهر على خيبر أراد اخراج اليهود منها وكانت الارض لما ظهر عليها لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين فاراد اخراج اليهود منها فسألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقرهم بها على ان يكفوا العمل ولهم نصف التمر فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نقركم بها على ذلك ما شئنا فقروا بها حتى أجلاهم عمر فى امارته الى تيماء وأريحاء قال محمد بن اسحق لما سمع أهل فدك بما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يحقن دماءهم وان يسيرهم ويخلوا له الاموال ففعل بهم ثم ان أهل خيبر سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم على النصف ففعل على ان لنا اذا شئنا اخراجكم فصالحه أهل فدك على مثل ذلك فكانت خيبر للمسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدت له زينب بنت الحرث امرأة سلام بن مشكم اليهودية شاة مصلية يعنى مشوية وسألت أى عضو من الشاة أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها الذراع فاكثرت فيها السم وسمت سائر الشاة ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم تناول الذراع فأخذها فلاك منها قطعة فلم يسغها ومعه بشر ابن البراء بن معرور فاخذ منها كما اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما بشر فاساغها يعنى ابتلعها واما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها ثم قال ان هذا العظم ليخبرنى انه مسموم ثم دعا بها فاعترفت فقال ما حملك على ذلك فقالت بلغت من قومى ما لا يخفى عليك فقلت ان كان ملكا استرحنا منه وان كان نبيا فسيخبر فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بشر على مرضه الذى توفى فيه فقال يا أم بشر ما زالت أكلة خيبر التى أكلت مع ابنك تعاودنى فهذا أوان انقطاع أبهرى فكان المسلمون يرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما أكرمه الله تعالى به من النبوة * عن عبيد الله بن سلمان ان

(وأخرى) معطوفة على هذه أي فعجل لكم هذه المغانم ومغانم أخرى هي مغانم هوازن في غزوة حنين (لم تقدروا عليها) لما كان فيها من الجولة (قد أحاط الله بها) أي قدر عليها واستولى وأظهركم عليها ويجوز في أخرى النصب بفعل مضمر يفسره قد أحاط الله بها تقديره وقضى الله أخرى

قد أحاط بها وأما لم تقدروا عليها فصفة لأخرى والرفع على الابتداء لكونها موصوفة بلم تقدروا وقد أحاط الله بها خبر المبتدأ (وكان الله على كل شيء قديرا) قادرا (ولو قاتلكم الذين كفروا) من أهل مكة ولم يصالحوا أو من حلفاء أهل خيبر (لولوا الأدبار) لغلبوا وانهزموا (ثم لا يجدون وليا) يلي أمرهم (ولا نصيرا) ينصرهم (سنة الله) في موضع المصدر المؤكد أي سن الله غلبة أنبيائه سنة وهو قوله لأغلبن أنا ورسلي (التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) تغييرا (وهو الذي كف أيديهم عنكم) أي أيدي أهل مكة (وأيديكم عنهم) عن أهل مكة يعني قضى بينهم وبينكم المكافة والمحاجزة بعد ما خولكم الظفر عليهم والغلبة وذلك يوم الفتح وبه استشهد أبو حنيفة رضي الله عنه على أن مكة فتحت عنوة لا صلحا وقيل كان في غزوة الحديبية لما روي أن عكرمة ابن أبي جهل خرج في خمسمائة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من هزمه وأدخله حيطان مكة وعن ابن عباس رضي الله عنهما أظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى أدخلوهم البيوت (ببطن مكة) أي بمكة وبالحديبية لأن بعضها منسوب إلى الحرم (من بعد أن أظفركم عليهم) أي أقدركم وسلطكم (وكان الله بما تعملون بصيرا) وبالياء أبو عمرو (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام)

ذكر

رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال لما فتحنا خيبر أخرجوا غنائمهم من المتاع والسبي فجعل الناس يتبايعون غنائمهم فجاء رجل فقال يا رسول الله لقد ربحت اليوم ربحا ما ربحه أحد من أهل هذا الوادي قال ويحك وما ربحت قال ما زلت أبيع وأبتاع حتى ربحت ثلاثمائة أوقية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئك بخير ربح قال وما هو يا رسول الله قال ركعتان بعد الصلاة أخرجه أبو داود قوله تعالى (وأخرى لم تقدروا عليها) يعني وعدكم الله فتح بلدة أخرى لم تقدروا عليها (قد أحاط الله بها) يعني حفظها لكم حتى تفتحوها ومنعها من غيركم حتى تأخذوها وقال ابن عباس علم الله أنه يفتحها لكم واختلفوا فيها فقال ابن عباس هي فارس والروم وما كانت العرب تقدر على قتال فارس والروم بل كانوا خولا لهم حتى أقدرهم الله عليها بشرف الإسلام وعزه وقيل هي خيبر وعدها الله نبيه صلى الله عليه وسلم قبل أن يصيبها ولم يكونوا يرجونها ففتحها الله لهم وقيل هي مكة وقيل هي كل فتح فتحه المسلمون أو يفتحونه إلى آخر الزمان (وكان الله على كل شيء قديرا) أي من فتح القرى والبلدان لكم وغير ذلك (ولو قاتلكم الذين كفروا) أي أسد وغطفان وأهل خيبر (لولوا الأدبار) أي لانهزموا عنكم (ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا) يعني من تولى الله خذلانه فلا ناصر له ولا مساعد (سنة الله التي قد خلت من قبل) يعني هذه سنة الله في نصر أوليائه وقهر أعدائه (ولن تجد لسنة الله تبديلا) قوله عز وجل (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم) سبب نزول هذه الآية ما روي عن أنس بن مالك أن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين يريدون غرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فأخذهم سلما فاستحياهم فأنزل الله تعالى وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم انفرد بإخراجه مسلم وقال عبد الله بن مغفل المزني كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية في أصل الشجرة التي قال الله في القرآن وعلى ظهره غصن من أغصان تلك الشجرة فرفعته عن ظهره وعلي بن أبي طالب بين يديه يكتب كتاب الصلح فخرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم نبي الله صلى الله عليه وسلم فأخذ الله بأبصارهم فقمنا إليهم فأخذناهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جئتم في عهد أو هل جعل لكم أحد أمانا قالوا اللهم لا فخلى سبيلهم ومعنى الآية أن الله تعالى ذكر منته بحجزه بين الفريقين حتى لم يقتتلوا وحتى اتفق بينهم الصلح الذي كان أعظم من الفتح وهو قوله تعالى وهو الذي كف أيديهم عنكم يعني أيدي أهل مكة وأيديكم عنهم أي قضى بينهم وبينكم بالمكافة والمحاجزة (ببطن مكة) قيل أراد به الحديبية وقيل التنعيم وقيل وادي مكة (من بعد أن أظفركم عليهم) أي مكنكم منهم حتى ظفرتم بهم (وكان الله بما تعملون بصيرا) قوله عز وجل (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام)

(ذكر صلح الحديبية) روى الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة عام الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه سبعين بدنة والناس سبعمائة رجل وكانت كل بدنة عن عشرة نفر فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدى وأشعره وأحرم منها بعمرة وبعث عينا له من خزاعة يخبره عن قريش وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بغدير الاشطاط قريبا من عسفان أتى عتبة الخزاعي وقال ان قريشا قد جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الاحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم أشيروا على أيها الناس أترون ان أميل على ذراري هؤلاء الذين عاونوهم فنصيبهم فان قعدوا قعدوا موتورين وان نجوا تكن عنقا قطعها الله أو ترون ان نؤم البيت لا نريد قتال أحد ولا حربا فمن صدنا عنه قاتلناه فقال أبو بكر يا رسول الله انما جئت عامدا لهذا البيت لا تريد قتال أحد ولا حربا فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه قال امضوا على اسم الله فنفذوا وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى اذا هو بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت راحلته فقال الناس حل حل فألحت فقالوا خلأت القصواء فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال والذي نفسي بيده لا تدعوني قريش اليوم الى خطة يعظمون فيها حرمات الله وفيها صلة الرحم الا أعطيتهم اياها ثم زجرها فوثبت قال فعدل عنهم حتى نزل باقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضا فلم يلبث الناس ان نزحوه وشكا الناس الى النبي صلى الله عليه وسلم العطش فنزع سهما من كنانته وأعطاه رجلا من أصحابه يقال له ناجية بن عمير وهو سائق بدن النبي صلى الله عليه وسلم فنزل في البئر فغرزه في جوفه فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه فبينما هم كذلك اذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل تهامة فقال اني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا على أعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا لم نجئ لقتال أحد ولكنا جئنا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فان شاؤا ماددتهم ويخلوا بيني وبين الناس فان أظهر فان شاؤا أن يدخلوا فيما دخل الناس فيه فعلوا والا فقد جموا وان هم أبوا فوالذي نفسي بيده لاقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي ولينفذن الله أمره فقال بديل سأبلغهم ما تقول فانطلق حتى أتى قريشا فقال انا قد جئنا كم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فان شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشئ وقال ذوو الرأي منهم هات ما سمعته قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبي صلى الله عليه وسلم فقام عروة بن مسعود

الثقفي فقال أي قوم ألستم بالوالد قالوا بلى قال أولست بالولد قالوا بلى قال فهل تتهموني قالوا لا قال ألستم تعلمون اني استنفرت أهل عكاظ فلما بلحوا على جئتكم باهلي وولدي ومن أطاعني قالوا بلى قال فان هذا الرجل قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعوني آتيه قالوا ائته فاتاه فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك يا محمد أرأيت ان استأصلت قومك فهل سمعت باحد من العرب اجتاح أصله قبلك وان تكن الاخرى فاني والله لا أرى وجوها واني لأرى اشوابا من الناس خليقا ان يفروا ويدعوك فقال له أبو بكر رضي الله عنه امصص بظر اللات أنحن نفر عنه وندعه فقال من ذا قالوا أبو بكر قال أما والذي نفسي بيده لولا يد لك عندي ولم اجزك بها لاجبتك قال وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فكلما كلمه أخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر فكلما أهوى عروة بيده الى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنصل السيف وقال أخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع عروة رأسه فقال من هذا قالوا المغيرة بن شعبة فقال أي غدر ألست أسعى في غدرتك وكان المغيرة قد صحب قوما في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فاسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما الاسلام فاقبل واما المال فلست منه في شئ ثم ان عروة جعل يرمق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينه قال فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا أمر ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له فرجع عروة الى أصحابه وقال أي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله ان رأيت ملكا يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا والله ما تنخم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له وقد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل من كنانة دعوني آته فقالوا ائته فلما أشرف على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له فبعثت له واستقبله الناس يلبون فلما رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء ان يصدوا عن البيت فلما رجع الى أصحابه قال رأيت البدن قد قلدت واشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت ثم بعثوا اليه الحليس بن علقمة وكان يومئذ سيد الاحابيش فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه فلما رأى الهدى يسيل اليه من عرض الوادي في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله رجع الى قريش ولم يصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظاما لما رأى فقال يا معشر قريش اني قد رأيت ما لا يحل صد الهدى في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله قالوا له اجلس فانما أنت رجل اعرابي لا علم لك فغضب الحليس عند ذلك وقال يا معشر قريش والله ما على هذا حالفناكم

ولا

ولا على هذا عاقدنا كم أيصد عن بيت الله من جاءه معظما له والذى نفس الحليس بيده
لتخلن بين محمد و بين ما جاء له اولا نفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد فقالوا له كف عنا
يا حليس حتى نأخذ لانفسنا ما نرضى به فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال
دعونى آته فقالوا ائته فلما أشرف عليهم قال النبى صلى الله عليه وسلم هذا مكرز وهو
رجل فاجر فجعل يكلم النبى صلى الله عليه وسلم فبينما هو يكلمه اذ جاء سهيل بن عمرو وقال
معمر فاخبرنى أيوب عن عكرمة أنه لما جاء سهيل قال النبى صلى الله عليه وسلم قد سهل
لكم من أمركم قال معمر قال الزهرى فى حديثه فجاء سهيل بن عمرو فقال هات اكتب
بيننا وبينكم كتابا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب فقال اكتب بسم
الله الرحمن الرحيم فقال سهيل أما الرحمن والله ما أدرى ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم
كما كنت تكتب فقال المسلمون والله ما نكتبها الا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبى
صلى الله عليه وسلم لعلى اكتب باسمك اللهم ثم قال له اكتب هذا ما قاضى عليه محمد
رسول الله فقال سهيل لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن هذا البيت ولا قاتلناك
ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله انى لرسول الله
وان كذبتمونى اكتب محمد بن عبد الله قال الزهرى وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم
لا يسألونى خطة يعظمون فيها حرمات الله الا أعطيتهم اياها فكتب هذا ما قاضى عليه
محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو واصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيها
الناس ويكف بعضهم عن بعض فقال له النبى صلى الله عليه وسلم وعلى ان تخلوا بيننا
وبين البيت فنطوف به فقال سهيل والله لا تتحدث العرب انا أخذنا ضغطة ولكن ذلك
من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى ان لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك الا
رددته الينا فقال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى المشركين من جاء مسلما وروى عن
البراء قصة الصلح وفيها قالوا لو نعلم انك رسول الله ما منعناك شيأ ولكن أنت محمد بن عبد
الله قال أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله ثم قال لعلى امح رسول الله قال لا والله لا أمحوك
أبدا قال فأرنيه فاراه اياه فمحاه النبى صلى الله عليه وسلم بيده وفى رواية فاخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن أن يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن
عبد الله قال البراء على ثلاثة أشياء على ان من أتاه من المشركين رده اليهم ومن أتاهم
من المسلمين لم يردوه وعلى ان يدخلها من قابل ويقيم ثلاثة أيام ولا يدخلها الا بجلبان
السلاح السيف والقوس ونحوه وروى ثابت عن أنس ان قريشا صالحوا النبى صلى الله
عليه وسلم فاشترطوا أن من جاء منا منكم لم نرده عليكم ومن جاءكم منا رددتموه علينا فقالوا
يا رسول الله أنكتب هذا قال نعم انه من ذهب منا اليهم فابعده الله ومن جاءنا منهم سيجعل
الله له فرجا ومخرجا (رجعنا الى حديث الزهرى) قال بينما هم كذلك اذ جاء أبو جندل بن
سهيل بن عمرو يرسف فى قيوده قد انفلت وخرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين
اظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده الى فقال النبى صلى
الله عليه وسلم انا لم نقض الكتاب بعد قال فوالله اذا لا اصالحك على شئ أبدا قال النبى

صلى الله عليه وسلم فاجزه لى قال ما أنا بمجيزه لك قال بلى فافعل قال ما أنا بفاعل ثم جعل
سهيل يجره ليرده الى قريش فقال أبو جندل أى معشر المسلمين أرد الى المشركين وقد
جئت مسلما ألا ترون ما لقيت وكان قد عذب فى الله عذابا شديدا وفى الحديث ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا جندل احتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من
المستضعفين فرجا ومخرجا انا قد عقدنا بيننا وبين القوم عقدا وصلحا وانا لا نغدر فوثب
عمر الى جنب أبى جندل وجعل يقول اصبر يا أبا جندل فانما هم المشركون ودم أحدهم
دم كلب ويدنى السيف منه قال عمر ورجوت أن يأخذ السيف فيضرب به فضن الرجل
بابيه وقد كان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم خرجوا وهم لا يشكون فى الفتح لرؤيا رآها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوا ذلك دخل الناس أمر عظيم حتى كادوا يهلكون
وزادهم امر ابى جندل شرا الى ما بهم قال عمر والله ما شككت منذ أسلمت الا يومئذ
قال الزهرى فى حديثه عن مروان والمسور ورواه أبو وائل عن سهل بن حنيف قال عمر
ابن الخطاب فاتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت ألست نبى الله حقا قال بلى قلت ألسنا
على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت أليس قتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار قال
بلى قلت فلم نعطى الدنية فى ديننا اذا قال انى رسول الله ولست اعصيه وهو ناصرى
قلت أولست كنت تحدثنا انا سنأتى البيت فنطوف به قال بلى أفأخبرتك انك تأتيه
العام قلت لا قال فانك آتيه وتطوف به قال فاتيت أبا بكر فقلت يا أبا بكر أليس هذا نبى
الله حقا قال بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطى الدنية فى
ديننا قال أيها الرجل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس يعصى ربه وهو ناصره
فاستمسك بغرزه فوالله انه على الحق قلت أليس كان يحدثنا انه سيأتى البيت ويطوف به
قال بلى افأخبرك انه آتيه العام قلت لا قال فانك تأتيه وتطوف به قال عمر فعملت لذلك
اعمالا فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا
فانحروا ثم احلقوا فوالله ما قام رجل منهم حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم أحد منهم
قام صلى الله عليه وسلم فدخل على أم سلمة فذكر لها ما لقى من الناس قالت أم سلمة يا نبى
الله اتحب ذلك اخرج ثم لا تكلم منهم أحدا كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك
فيحلقك فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك ونحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا
ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما قال ابن
عمر وابن عباس حلق رجال يوم الحديبية وقصر آخرون فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يرحم الله المحلقين قالوا يا رسول الله والمقصرين قال يرحم الله المحلقين قالوا يا رسول
الله والمقصرين قال يرحم الله المحلقين والمقصرين قالوا يا رسول الله فلم ظاهرت الترحم
للمحلقين دون المقصرين قال لانهم لم يشكوا قال ابن عمر وذلك انه تربص قوم وقالوا
لعلنا نطوف بالبيت قال ابن عباس واهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية
فى هداياه جملا لابى جهل فى رأسه برة من فضة ليغيظ المشركين بذلك قال الزهرى فى
حديثه ثم جاء نسوة مؤمنات فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات
مهاجرات حتى بلغ بعصم الكوافر فطلق عمر امرأتين يومئذ كانتا فى الشرك فتزوج

احداهما معاوية بن أبي سفيان والاخرى صفوان بن أمية قال فنهاهم أن يردوا النساء
وأمرهم أن يردوا الصداق قال ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجاءه أبو
بصير عتبة بن أسيد رجل من قريش وهو مسلم وكان ممن حبس بمكة فكتب فيه أزهر بن
عبد عوف والاخنس بن شريق الثقفي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثا في طلبه
رجلا من بني عامر بن لؤي ومعه مولى لهم فقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالا العهد الذي جعلت لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بصير انا قد أعطينا
هؤلاء القوم ما قد علمت ولا يصلح في ديننا الغدر وان الله تعالى جاعل لك ولمن معك
من المستضعفين فرجا ومخرجا ثم دفعه الى الرجلين فخرجا به حتى اذا بلغا ذا الحليفة نزلوا
يأكلون من تمر لهم فقال أبو بصير لاحد الرجلين والله انى لارى سيفك هذا جيدا فاستله
الآخر فقال أجل والله انه لجيد لقد جربت به ثم جربت به فقال أبو بصير أرني انظر
اليه فأخذه منه فضربه حتى برد وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه لقد رأى هذا ذعرا فلما انتهى الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ويلك مالك قال قتل والله صاحبي واني لمقتول فوالله ما برح
حتى طلع أبو بصير متوشحا السيف حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا نبي الله أوفى الله ذمتك قد رددتني اليهم فانجاني الله تعالى منهم فقال النبي صلى الله عليه
وسلم ويلمه مسعر حرب لو كان معه أحد فلما سمع ذلك عرف انه يرده اليهم فخرج حتى أتى
سيف البحر وبلغ المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي
بصير ويلمه مسعر حرب لو كان معه أحد فخرج عصابة منهم اليه فانفلت أبو جندل
فلحق بابي بصير حتى اجتمع اليه قريب من سبعين رجلا فوالله ما يسمعون بعير خرجت
لقريش الى الشام الا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم فأرسلت قريش الى النبي
صلى الله عليه وسلم تناشده الله والرحم لما أرسل اليهم فمن أتاه فهو آمن فارسل اليهم
النبي صلى الله عليه وسلم فقدموا اليه المدينة وأنزل الله عز وجل وهو الذي كف أيديهم
عنكم وأيديكم عنهم حتى بلغ حمية الجاهلية وكانت حميتهم أنهم لم يقروا أنه نبي الله ولم
يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينه وبين هذا البيت أخرجه البخاري بطوله سوى
ألفاظ منه وهي مستثناة في الحديث منها قوله فنزع سهما من كنانته وأعطاه رجلا من
أصحابه الى قوله فوالله ما زال يجيش لهم بالري ومنها قوله ثم بعثوا الحليس بن علقمة الى
قوله فقالوا كف عنا يا حليس حتى نأخذ لانفسنا بما نرضى به ومنها قوله هذا ما قاضى
عليه محمد بن عبد الله الى قوله وعلى أن يخلوا بيننا وبين البيت ومنها قوله وروى عن البراء
قصة الصلح الى قوله رجعنا الى حديث الزهري ومنها قوله وفي الحديث ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال يا أبا جندل الى قوله قال عمر فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت
ألست نبي الله حقا ومنها قوله قال ابن عمر وابن عباس الى قوله وقال الزهري في حديثه
ثم جاء نسوة مؤمنات فهذه الالفاظ لم يخرجها البخاري في صحيحه * شرح غريب ألفاظ
الحديث قوله بضع عشرة البضع في العدد بالكسر وقد يفتح هو ما بين الثلاثة الى التسعة

وقيل مابين الواحد الى العشرة قوله وبعث عينا له اى جاسوسا قوله وقد جمعوا لك الاحابيش هم أحياء من القارة انضموا الى بني ليث في محاربتهم قريشا وقيل هم حلفاء قريش وهم بنو الهون بن خزيمة وبنو الحرث بن عبد مناة وبنو المصطلق من خزاعة تحالفوا تحت جبل يقال له حبش فسموا بذلك وقيل هو اسم واد باسفل مكة وقيل سموا بذلك لتجمعهم والتحبيش التجمع قوله فان قعدوا قعدوا موتورين أي منقوصين قوله فنفذوا أي مضوا وتخاصوا قوله ان خالد بن الوليد بالغميم اسم موضع ومنه كراع الغميم وقوله طليعة الطليعة الجماعة يبعثون بين يدي الجيش ليطلعوا على أخبار العدو وقوله وقترة الجيش هو الغبار الساطع معه سواد قوله يركض نذير النذير الذي يعلم القوم بالامر الحادث قوله حل حل هو زجر للناقة قوله خلأت القصواء يعني انها المتوقفت عن المشي وتقهقرت ظنوا ذلك خلاء في خلقها وهو كالحران للفرس فقال النبي صلى الله عليه وسلم ماخلأت اى ليس ذلك من خلقها ولكن حبسها حابس الفيل أي منعها عن السير الذي منع الفيل عن مكة وهو الله تعالى والقصواء اسم ناقة النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن قصواء وهو شق الاذن قوله خطة أي حالة وقضية يعظمون فيها حرمات الله جمع حرمة وهي فروضه وما يجب القيام به يريد بذلك حرمة الحرم ونحوه قوله حتى نزل باقصى الحديبية بتخفيف الياء وتشديدها وهي قرية ليست بالكبيرة سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة وبين الحديبية ومكة مرحلة وبينها وبين المدينة تسع مراحل وقال مالك هي من الحرم وقال ابن القصار بعضها من الحل حكاه في المطالع والثمد الماء القليل الذي لامادة له والتبرض أخذ الشيء قليلا قليلا وقوله فمازال يجيش بالري يقال جاشت البئر بالماء اذا ارتفعت وفاضت والري ضد العطش والصدر الرجوع بعد الورود وقوله وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال فلان عيبة نصح فلان اذا كان موضع سره وثقته في ذلك قوله نزلوا على اعداد مياه الحديبية الماء العد الكثير الذي لاانقطاع له كالعيون وجمعه اعداد قوله ومعهم العوذ المطافيل العوذ جمع عائذ وهي الناقة اذا وضعت الى أن يقوى ولدها وقيل هي كل انثى لها سبع ليال منذ وضعت والمطافيل جمع مطفل وهي الناقة معها فصيلها وهذه استعارة استعار ذلك للناس وأراد بهم أن معهم النساء والصبيان قوله وان قريشا قد نهكتهم الحرب أي أضرت بهم وأثرت فيهم وقوله ماددتهم أي جعلت بيني وبينهم مدة قوله والا فقد جموا أي استراحوا والجمام بالجيم الراحة بعد التعب قوله تنفرد سالفتي السالفة الصفحة والسالفتان صفحتا العنق وقيل السالفة حبل العنق وهو مابينه وبين الكتف وهو كناية عن الموت لانها لاتنفرد عنه الا بالموت قوله اني استنفرت يقال استنفر القوم اذا دعاهم الى قتال العدو وعكاظ اسم سوق كانت في الجاهلية معروفة وقوله بلحوا على فيه لغتان التخفيف والتشديد وأصل التبلح الاعياء والفتور والمراد امتناعهم من اجابته وتقاعدهم عنه قوله استأصلت قومك واجتاح أصله من الاجتياح ايقاع المكروه بالانسان ومنه الجائحة والاستئصال والاجتياح متقاربان في مبالغة الاذى قوله اني لاأرى وجوها

واشوابا

وأشوابا الاشواب مثل الاوباش وهم الاخلاط من الناس والرعاع يقال فلان خليق
بذلك أي جدير لا يعد ذلك من خلقه قوله امصص بظر اللات وهي اسم صنم كانوا
يعبدونه لهم والبظر ما تقطعه الخافضة وهي الخاتنة من الهنة التي تكون في فرج المرأة
وكان هذا اللفظ شتما لهم يدور في ألسنتهم قوله لولا يد لك عندي اليد النعمة
وما يمتن به الانسان على غيره قوله أي غدر معدول عن غادر وهو للمبالغة وقوله قد عرض
عليكم خطة رشد يقال خطة رشد وخطة غي والرشد والرشاد خلاف الغي والمراد منه انه قد
طلب منكم طريقا واضحا في هدى واستقامة قوله وهو من قوم يعظمون البدن أي
الابل تهدى الى البيت في حج أو عمرة وتقليدها هو أن يجعل في رقابها شئ كالقلادة من لحاء
الشجر أو نعل أو غيره ليعلم بذلك انه هدى والاشعار هو أن يشق جانب السنام فيسيل
دمه عليه وقوله لما رأى الهدى يسيل عليه أي يقبل عليه كالسيل من عرض الوادي
أي جانبه وقوله هذا مكرز وهو رجل فاجر الفجور الميل عن الحق وكل انبعاث في شر فهو
فجور قوله هذا ما قاضى عليه أي فاعل من القضاء وهو احكام الامر وامضاؤه وهو في
اللغة على وجوه مرجعها الى انقضاء الشئ واتمامه قوله ضغطة هو كناية عن القهر
والضيق قوله بجلبان السلاح بضم الجيم وسكون اللام مع تخفيف الباء ويروى بضم
اللام أيضا مع التشديد وهو وعاء من أدم شبه الجراب يوضع فيه السيف مغمودا ويعلق
في مؤخرة الرحل قوله يرسف بضم السين وكسرها العتان وهو مشي المقيد قوله فأجزه لي
قال ابن الاثير يجوز أن يكون بالزاي من الاجازة أي اجعله جائزا غير ممنوع ولا محرم أو
أطلقه لي وان كان بالراء المهملة فهو من الاجارة والحماية والحفظ وكلاهما صالح في هذا
الموضع قوله فلم نعطي الدنية أي القضية التي لا نرضى بها أي لم نرضى بالادون والاقل
في ديننا قوله فاستمسك بغرزه الغرز لكور الناقة كالركاب لسرج الفرس والمعنى
فاستمسك به ولا تفارقه ساعة كما لا تفارق رجل الراكب غرز رحله فانه على الحق الذي
لا يجوز لاحد تركه قوله ويلمه هذه كلمة تقال للواقع فيما يكره ويتعجب بها أيضا ومسعر
حرب أي موقدها يقال سعرت النار وأسعرتها اذا أوقدتها والمسعر الخشب الذي توقد به
النار وسيف البحر بكسر السين جانبه وساحله والله أعلم وأما تفسير الآية فقوله عز وجل
هم الذين كفروا يعني كفار مكة وصدوكم أي منعوكم عن المسجد الحرام أن تطوفوا به
(والهدى) أي وصدوا الهدى وهو البدن التي ساقها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكانت سبعين بدنة (معكوفا) أي محبوسا (أن يبلغ محله) أي منحره وحيث يحل نحره
وهو الحرم (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) يعني المستضعفين بمكة (لم تعلموهم)
أي لم تعرفوهم (أن تطؤهم) أي بالقتل وتوقعوا بهم (فتصيبكم منهم معرة بغير علم) أي
اثم وقيل غرم الدية وقيل كفارة قتل الخطا لان الله أوجب على قاتل المؤمن في دار
الحرب اذا لم يعلم ايمانه الكفارة دون الدية وقيل هو أن المشركين يعيبونكم ويقولون
قتلوا أهل دينهم والمعرة المشقة يقول لولا أن تطؤا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات لم
تعلموهم فيلزمكم به كفارة أو سيئة وجواب لولا محذوف تقديره لاذن لكم في دخول مكة

والهدى) هو ما يهدى الى
الكعبة ونصبه عطفا على كم
في صدوكم أي وصدوا
الهدى (معكوفا أن يبلغ) محبوسا
أن يبلغ ومعكوفا حال وكان
عليه السلام ساق سبعين بدنة
(محله) مكانه الذي يحل فيه
نحره أي يجب وهذا دليل على
ان المحصر محل هديه الحرم
والمراد المحل المعهود وهو منى
(ولولا رجال مؤمنون ونساء
مؤمنات) بمكة (لم تعلموهم) صفة
للرجال والنساء جميعا (ان تطؤهم)
بدل اشتمال من هم أو من الضمير
المنصوب في تعلموهم (فتصيبكم
منهم معرة) اثم وشدة وهي
مفعلة من عره بمعنى عراه اذا
دهاه ما يكرهه ويشق عليه وهو
الكفارة اذا قتله خطأ وسوء
قالة المشركين انهم فعلوا بأهل
دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير
تمييز والاثم اذا قصر (بغير علم)
متعلق بأن تطؤهم يعني أن
تطؤهم غير عالمين بهم والوطء
عبارة عن الايقاع والابادة
والمعنى انه كان بمكة قوم من
المسلمين مختلطون بالمشركين
غير متميزين منهم فقال ولولا كراهة
ان تهلكوا اناسا مؤمنين بين
ظهراني المشركين وأنتم غير
عارفين بهم فيصيبكم باهلاكهم
مكروه ومشقة لما كف أيديكم
عنهم

وقوله (ليدخل الله في رحمته من يشاء) تعليل لما دلت عليه الآية وسيقت له من كف الايدي عن أهل مكة والمنع عن قتلهم صونا لما بين أظهرهم من المؤمنين كانه قال كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله في رحمته أي في توفيقه لزيادة الخير والطاعة مؤمنيهم أو ليدخل في الاسلام من رغب فيه من مشركيهم (لو تزيلوا) لو تفرقوا وتميز المسلمون من الكافرين وجواب لولا محذوف أغنى عنه جواب لو ويجوز ان يكون لو تزيلوا كالتكرير للولا رجال مؤمنون لمرجعهما الى معنى واحد ويكون (لعذبنا الذين كفروا) هو الجواب تقديره ولولا ان تطؤا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات ولو كانوا متميزين لعذبناهم بالسيف (منهم) من أهل مكة (عذابا أليما) والعامل في (اذ جعل الذين كفروا) أي قريش لعذبنا أي لعذبناهم في ذلك الوقت أو اذكر (في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) المراد بحمية الذين كفروا وهي الانفة وسكينة المؤمنين وهي الوقار ماروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بالحديبية بعث قريش سهيل بن عمرو وحويطب ابن عبد العزى ومكرز بن حفص على ان يعرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم ان يرجع من عامه ذلك على ان تخلى له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل وأصحابه مانعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله أهل مكة فقالوا لو نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فقال عليه السلام اكتب مايريدون فانا أشهد اني رسول الله وأنا محمد بن عبد الله فهم المسلمون ان يأبوا ذلك ويشمئزوا منه فانزل الله على رسوله السكينة فتوقروا وحلموا (وألزمهم كلمة التقوى) الجمهور على أنها كلمة الشهادة وقيل بسم الله الرحمن الرحيم والاضافة الى التقوى باعتبار انها سبب التقوى وأساسها وقيل كلمة أهل التقوى (وكانوا) أي المؤمنون (أحق بها) من غيرهم (وأهلها) بتأهيل الله اياهم (وكان الله بكل شئ عليما) فيجري الامور على مصالحها (لقد صدق الله رسوله الرؤيا) أي صدقه في رؤياه ولم يكذبه تعالى الله عن الكذب فحذف الجار وأوصل الفعل كقوله صدقوا ماعاهدوا الله عليه روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى قبل خروجه الى الحديبية كانه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا وحسبوا انهم داخلوها في عامهم وقالوا ان رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم حق فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن أبي وغيره والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت

ولكنه حال بينكم وبين ذلك لهذا السبب (ليدخل الله في رحمته من يشاء) أي في دين الاسلام من يشاء أي من أهل مكة بعد الصلح وقبل دخولها (لو تزيلوا) أي لو تميز المؤمنون من الكفار (لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما) أي بالسبي والقتل بايديكم وقيل لعذبنا جواب لكلامين أحدهما لولا رجال والثاني لو تزيلوا ثم قال ليدخل الله في رحمته من يشاء يعني المؤمنين والمؤمنات في رحمته أي في جنته قال قتادة في الآية ان الله تعالى يدفع بالمؤمنين عن الكفار كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركي مكة قوله تعالى (اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية) أي الانفة والغضب وذلك حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن البيت ومنعوا الهدي محله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وأنكروا أن يكون محمد رسول الله وقيل قال أهل مكة قد قتلوا أبناءنا واخواننا ثم يدخلون علينا فتحدث العرب انهم دخلوا علينا على رغم منا واللات والعزى لايدخلونها علينا فكانت هذه (حمية الجاهلية) التي دخلت قلوبهم (فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) أي حتى لايدخلهم مادخلهم من الحمية فيعصون الله في قتالهم (وألزمهم كلمة التقوى) قال ابن عباس كلمة التقوى لا اله الا الله أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقال علي وابن عمر كلمة التقوى لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير وقال عطاء الخراساني هي لا اله الا الله محمد رسول الله وقال الزهري هي بسم الله الرحمن الرحيم (وكانوا أحق بها) أي من كفار مكة (وأهلها) أي كانوا أهلها في علم الله لان الله تعالى اختار لدينه وصحبة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أهل الخير والصلاح (وكان الله بكل شئ عليما) يعني من أمر الكفار وما كانوا يستحقونه من العقوبة وأمر المؤمنين وما كانوا يستحقونه من الخير قوله تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا

بالحق) متعلق بصدق أى صدقه فيما رأى وفى كونه وحصوله صدقا ملتبسا ...

بالحق) سبب نزول هذه الآية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى فى المنام وهو بالمدينة قبل أن يخرج الى الحديبية انه يدخل المسجد الحرام هو وأصحابه آمنين ويحلقون رؤسهم فاخبر بذلك أصحابه ففرحوا وحسبوا انهم داخلوا مكة عامهم ذلك فلما انصرفوا ولم يدخلوا شق عليهم ذلك وقال المنافقون أين رؤياه التى رآها فانزل الله هذه الآية ودخلوا فى العام المقبل وروى عن مجمع بن حارثة الانصارى قال شهدنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرفنا عنها اذا الناس يهزون الاباعر فقال بعضهم ما بال الناس قال أوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فخرجنا نرجف فوجدنا النبى صلى الله عليه وسلم واقفا على راحلته عند كراع الغميم فلما اجتمع الناس قرأ انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال عمر أهو فتح يا رسول الله قال نعم والذى نفسى بيده ففيه دليل على ان المراد من الفتح هو صلح الحديبية وتحقيق الرؤيا كان فى العام المقبل وقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق أخبر ان الرؤيا التى أراه اياها فى مخرجه الى الحديبية انه يدخل هو وأصحابه المسجد حق وصدق بالحق أى الذى رآه حق وصدق وقيل يجوز أن يكون بالحق قسما لان الحق من أسماء الله تعالى أو قسما بالحق الذى هو ضد الباطل وجوابه (لتدخلن المسجد الحرام) وقيل لتدخلن من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه حكاية عن رؤياه فأخبر الله عزوجل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك (ان شاء الله آمنين) قيل انما استثنى مع علمه بدخوله تعليما لعباده الادب وتأكيدا لقوله ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله وقيل ان يعنى اذ مجازه اذ شاء الله وقيل لما لم يقع الدخول فى عام الحديبية وكان المؤمنون يريدون الدخول ويأبون الصلح قال لتدخلن المسجد الحرام لا بقوتكم وارادتكم ولكن بمشيئة الله تعالى وقيل الاستثناء واقع على الامن لا على الدخول لان الدخول لم يكن فيه شك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وانا ان شاء الله بكم لاحقون مع انه لا يشك فى الموت (محلقين رؤسكم) أى كلها (ومقصرين) أى تأخذون بعض شعوركم (لا تخافون) أى من عدو فى رجوعكم لان قوله آمنين فى حال الاحرام لانه لا قتال فيه وقوله لا تخافون يرجع الى كمال الامن بعد الاحرام وفى حال الرجوع (فعلم مالم تعلموا) يعنى علم ان الصلاح كان فى الصلح وتأخير الدخول وكان ذلك سببا لوطء المؤمنين والمؤمنات وقيل علم ان دخولكم فى السنة الثانية ولم تعلموا أنتم فظننتم انه فى السنة الاولى (فجعل من دون ذلك) أى من قبل دخولكم الحرم (فتحا قريبا) يعنى صلح الحديبية قاله الاكثرون وقيل هو فتح خيبر قوله عزوجل (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) هذا لبيان صدق الرؤيا وذلك أن الله تعالى لا يرى رسوله صلى الله عليه وسلم مالا يكون فيحدث الناس فيقع خلافه فيكون سببا لاضلال فحقق الله أمر الرؤيا بقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وبقوله هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق وفيه بيان وقوع الفتح ودخول مكة وهو قوله تعالى (ليظهره على الدين كله) أى يعليه ويقويه على الاديان كلها فتصير الاديان كلها دونه والغلبة وقيل هو عند نزول عيسى عليه السلام حين لا يبقى على وجه الارض كافر وقيل هو اظهاره بالحجج والآيات

من الابتلاء والتمييز بين المؤمن الخالص وبين من فى قلبه مرض ويجوز أن يكون بالحق قسما اما بالحق الذى هو نقيض الباطل أو بالحق الذى هو من اسمائه وجوابه (لتدخلن المسجد الحرام) وعلى الاول هو جواب قسم محذوف (ان شاء الله) حكاية من الله تعالى ما قال رسوله لاصحابه وقص عليهم أو تعليم لعباده أن يقولوا فى عداتهم مثل ذلك متأدبين بادب الله ومقتدين بسنته (آمنين) حال والشرط معترض (محلقين) حال من الضمير فى آمنين (رؤسكم) أى جميع شعورها (ومقصرين) بعض شعورها (لا تخافون) حال مؤكدة (فعلم مالم تعلموا) من الحكمة فى تأخير فتح مكة الى العام القابل (فجعل من دون ذلك) أى من دون فتح مكة (فتحا قريبا) وهو فتح خيبر ليستروح اليه قلوب المؤمنين الى أن يتيسر الفتح الموعود (هو الذى أرسل رسوله بالهدى) بالتوحيد (ودين الحق) أى الاسلام (ليظهره) ليعليه (على الدين كله) على جنس الدين يريد الاديان المختلفة من أديان المشركين وأهل الكتاب ولقد حقق ذلك سبحانه فانك لا ترى دينا قط الا وللاسلام دونه العزة

(وكفى بالله شهيدا) على أن ما وعده كائن وعن الحسن شهيدا على نفسه انه سيظهر دينه والتقدير وكفاه الله شهيدا وشهيدا تمييز أو حال (محمد) خبر مبتدأ أى هو محمد لتقدم قوله هو الذى أرسل رسوله أو مبتدأ خبره (رسول الله) وقف عليه نصير (والذين معه) اى أصحابه مبتدأ والخبر

أو محمد مبتدأ ورسول الله عطف بيان والذين معه عطف على المبتدأ وأشداء خبر عن الجميع ومعناه غلاظ (رحماء بينهم) متعاطفون وهو خبر ثان وهما جمعا شديد ورحيم ونحوه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وبلغ من تشددهم على الكفار انهم كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تلزق بثيابهم ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم وبلغ من ترحمهم فيما بينهم انه كان لا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه وعانقه (تراهم ركعا) راكعين (سجدا) ساجدين (يبتغون) حال كما أن ركعا وسجدا كذلك (فضلا من الله ورضوانا سيماهم) علامتهم (فى وجوههم من أثر السجود) أى من التأثير الذى يؤثره السجود وعن عطاء استنارت وجوههم من طول ما صلوا بالليل لقوله عليه السلام من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار (ذلك) أى المذكور (مثلهم) صفتهم (فى التوراة) وعليه وقف (ومثلهم فى الانجيل) مبتدأ خبره (كزرع أخرج شطأه) فراخه يقال اشطأ الزرع اذا فرخ (فآزره) قواه فأزره شامى (فاستغلظ) فصار من الرقة الى الغلظ (فاستوى على سوقه)

(وكفى بالله شهيدا) أى فى أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه تسلية لقلوب المؤمنين وذلك انهم تاذوا من قول الكفار لو نعلم انه رسول الله ما صددناه عن البيت فقال الله تعالى وكفى بالله شهيدا أى فى انه رسول الله ثم قال تعالى (محمد رسول الله) أى هو محمد رسول الله الذى سبق ذكره فى قوله أرسل رسوله قال ابن عباس شهد له بالرسالة ثم ابتدأ فقال (والذين معه) يعنى أصحابه المؤمنين (أشداء على الكفار) أى غلاظ أقوياء كالاسد على فريسته لا تأخذهم فيهم رأفة (رحماء بينهم) أى متعاطفون متوادون بعضهم لبعض كالولد مع الوالد كما قال فى حقهم اذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين (تراهم ركعا سجدا) أخبر عن كثرة صلاتهم ومداومتهم عليها (يبتغون) أى يطلبون (فضلا من الله) يعنى الجنة (ورضوانا) أى ان يرضى عنهم وفيه لطيفة وهو ان المخلص بعمله لله يطلب أجره من الله تعالى والمرائى بعمله لا يبتغى له أجرا وذكر بعضهم فى قوله والذين معه يعنى أبا بكر الصديق أشداء على الكفار عمر بن الخطاب رحماء بينهم عثمان بن عفان تراهم ركعا سجدا على بن أبى طالب يبتغون فضلا من الله ورضوانا بقية الصحابة (سيماهم) أى علامتهم (فى وجوههم من أثر السجود) واختلفوا فى هذه السيما على قولين أحدهما ان المراد فى يوم القيامة قيل هى نور وبياض فى وجوههم يعرفون به يوم القيامة انهم سجدوا لله فى الدنيا وهى رواية عن ابن عباس وقيل تكون مواضع السجود فى وجوههم كالقمر ليلة البدر وقيل يبعثون غرا محجلين يوم القيامة يعرفون بذلك والقول الثانى ان ذلك فى الدنيا وذلك انهم استنارت وجوههم بالنهار من كثرة صلاتهم بالليل وقيل هو السمت الحسن والخشوع والتواضع قال ابن عباس ليس بالذى ترون ولكنه سيما الاسلام وسجيته وسمته وخشوعه والمعنى ان السجود أورثهم الخشوع والسمت الحسن يعرفون به وقيل هو صفرة الوجه من سهر الليل ويعرف ذلك فى رجلين أحدهما سهر الليل فى الصلاة والعبادة والآخر فى اللهو واللعب فاذا أصبحا ظهر الفرق بينهما فيظهر فى وجه المصلى نور وضياء وعلى وجه اللاعب ظلمة وقيل هو أثر التراب على الجباه لانهم كانوا يصلون على التراب لا على الاثواب قال عطاء الخراسانى دخل فى هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمس (ذلك مثلهم فى التوراة) يعنى ذلك الذى ذكر صفتهم فى التوراة وتم الكلام ههنا ثم ابتدأ بذكر نعتهم وصفتهم فى الانجيل فقال تعالى (ومثلهم) أى صفتهم (فى الانجيل كزرع أخرج شطأه) أى افراطه قيل فراخه قيل هو نبت فاخرج بعده فهو شطؤه (فآزره) أى قواه وأعانه وشد أزره (فاستغلظ) أى غلظ ذلك الزرع وقوى (فاستوى) أى تم وتلاحق نباته وقام (على سوقه) جمع ساق أى على أصوله (يعجب الزراع) أى يعجب

فاستقام على قصبه جمع ساق (يعجب الزراع) يتعجبون من قوته وقيل مكتوب فى الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وعن عكرمة أخرج شطأه بابى بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلى رضوان الله عليهم وهذا مثل ضربه الله تعالى لبدء الاسلام وترقيه فى الزيادة الى أن قوى واستحكم لان النبى صلى الله عليه وسلم قام وحده ثم قواه الله تعالى بمن آمن معه كما يقوى الطاقة الاولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها حتى يعجب الزراع

ذلك الزرع زراعه وهو مثل ضربه الله عز وجل لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مكتوب في الانجيل انهم يكونون قليلا ثم يزدادون ويكثرون قال قتادة مثل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مكتوب في الانجيل أنه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر قيل الزرع محمد صلى الله عليه وسلم والشطء أصحابه والمؤمنون وقيل الزرع هو محمد صلى الله عليه وسلم أخرج شطأه أبو بكر فآزره عمر فاستغلظ عثمان فاستوى على سوقه على بن أبي طالب يعجب الزراع يعني جميع المؤمنين (ليغيظ بهم الكفار) قيل هو قول عمر بن الخطاب لأهل مكة بعد ما أسلم لا يعبد الله سرا بعد اليوم وقيل قوتهم وكثرتهم ليغيظ بهم الكفار وقال مالك بن أنس من أصبح وفي قلبه غيظ على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أصابته هذه الآية

*(فصل في فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) *(ق) عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم (م) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم أي الناس خير قال القرن الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث قوله خير الناس قرني ثم الذين يلونهم يعني الصحابة ثم التابعين وتابعيهم والقرن كل أهل زمان قيل هو أربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة سنة *عن عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر في الجنة وعمر بن الخطاب في الجنة وعثمان بن عفان في الجنة وعلى بن أبي طالب في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعد بن أبي وقاص في الجنة وسعيد بن زيد في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة أخرجه الترمذي وأخرج عن سعيد بن زيد نحوه وقال هذا أصح من الحديث الأول * عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأشدهم في أمر الله عمر وأشدهم حياء عثمان وأقضاهم على وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأفرضهم زيد بن ثابت وأقرؤهم أبي بن كعب ولكل قوم أمين وأمين هذه الامة أبو عبيدة بن الجراح وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر أشبه عيسى في ورعه قال عمر فنعرف له ذلك يا رسول الله قال نعم أخرجه الترمذي مفرقا في موضعين أحدهما الى قوله أبو عبيدة بن الجراح والآخر الى أبي ذر (خ) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد أحدا وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال اثبت أحد أراه ضربه برجله فانما عليك نبي وصديق وشهيدان* عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اقتدوا باللذين بعدي من أصحابي أبي بكر وعمر واهتدوا بهدي عثمان وتمسكوا بعهد عبد الله بن مسعود أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (ق) عن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه في جيش ذات السلاسل قال فأتيته فقلت أي الناس أحب اليك قال عائشة فقلت من الرجال قال أبوها قلت ثم من قال ثم عمر بن الخطاب فعد رجالا *عن على بن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أبا بكر زوجني ابنته وحملني الى دار الهجرة وصحبني في الغار وأعتق بلالا من ماله

(ليغيظ بهم الكفار) تعليل لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم في الزيادة والقوة ويجوز أن يعلل به

(وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) لان الكفار اذا سمعوا بما أعد لهم فى الآخرة مع ما يعزهم به فى الدنيا غاظهم ذلك ومن فى منهم للبيان كما فى قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان يعنى فاجتنبوا الرجس الذى هو الاوثان وقولك أنفق من الدراهم أى اجعل نفقتك هذا الجنس وهذه الآية ترد قول الروافض انهم كفروا بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم اذ الوعد لهم بالمغفرة والاجر العظيم انما يكون أن لو ثبتوا على ما كانوا عليه فى حياته

(سورة الحجرات مدنية وهى ثمان عشرة آية) (بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا) قدمه وأقدمه منقولان بتثقيل الحشو والهمزة من قدمه اذا تقدمه فى قوله تعالى يقدم قومه وحذف المفعول ليتناول كل ما وقع فى النفس مما يقدم من القول أو الفعل وجاز أن لا يقصد مفعول والنهى متوجه الى نفس التقدمة كقوله هو الذى يحيى ويميت أو هو من قدم بمعنى تقدم كوجه بمعنى توجه ومنه مقدمة الجيش وهى الجماعة المتقدمة منه ويؤيده قراءة يعقوب لا تقدموا بحذف احدى تاءى تتقدموا (بين يدى الله ورسوله) حقيقة قولهم جلست بين يدى فلان أن تجلس بين الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله قريبا منه فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعا كما يسمى الشئ باسم غيره اذا جاوره وفى هذه العبارة ضرب من المجاز الذى يسمى تمثيلا وفيه فائدة جليلة وهى تصوير الهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الاقدام على أمر من الامور دون الاحتذاء على أمثلة الكتاب والسنة ويجوز أن يجرى مجرى قولك سرنى زيد وحسن حاله أى سرنى حسن حال زيد فكذلك هنا المعنى بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفائدة هذا الاسلوب الدلالة على قوة الاختصاص ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله بالمكان الذى لا يخفى سلك به هذا المسلك وفى هذا تمهيد لما نقم منهم من رفع أصواتهم فوق صوته عليه السلام لان من فضله الله بهذه الاثرة واختصه هذا الاختصاص كان أدنى ما يجب له من التهيب والاجلال أن يخفض صوته بين يديه وعن الحسن ان ناسا ذبحوا يوم الاضحى قبل الصلاة فنزلت وأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعيدوا ذبحا آخر وعن عائشة رضى الله عنها أنها نزلت فى النهى عن صوم يوم الشك

رحم الله عمر ليقول الحق وان كان مرا تركه الحق وماله من صديق رحم الله عثمان تستحى منه الملائكة رحم الله عليا اللهم أدر الحق معه حيث دار أخرجه الترمذى وقال حديث غريب (م) عن زر بن حبيش قال سمعت عليا يقول والذى فلق الحبة وبرأ النسمة انه لعهد النبى الامى الى أنه لا يحبنى الا مؤمن ولا يبغضنى الا منافق *عن عبد الله ابن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يموت من أصحابى بأرض الا بعثه الله قائدا ونورا لهم يوم القيامة أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقد روى عن أبى بريدة مرسلا وهو أصح (ق) عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أن احدكم انفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وعن أبى هريرة نحوه أخرجه مسلم *عن عبد الله بن معقل المزنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا من بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه أخرجه الترمذى وقال حديث غريب قوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم) لفظة من فى قوله منهم لبيان الجنس لا للتبعيض كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان فيكون معنى الآية وعد الله الذين آمنوا من جنس الصحابة وقال ابن جرير يعنى من الشطء الذى أخرجه الزرع وهم الداخلون فى الاسلام الى يوم القيامة ورد الهاء والميم على معنى الشطء لا على لفظه ولذلك لم يقل منه (مغفرة وأجرا عظيما) يعنى الجنة وقيل ان المغفرة جزاء الايمان فان لكل مؤمن مغفرة والاجر العظيم جزاء العمل الصالح والله تعالى أعلم بمراده

(تفسير سورة الحجرات)

وهى مدنية وهى ثمان عشرة آية وثلثمائة وثلاث وأربعون كلمة وألف وأربعمائة وستة وسبعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله) من التقديم أى

(واتقوا الله) فانكم ان اتقيتموه عاقتكم التقوى عن التقدمة المنهي عنها (ان الله سميع) لما تقولون (عليم) بما تعملون وحق مثله ان يتقى (يا أيها الذين آمنوا) اعادة النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد

لا ينبغي لكم أن يصدر منكم تقديم أصلا وقيل لا تقدموا فعلا بين يدي الله ورسوله والمعنى لا تقدموا بين يدي أمر الله ورسوله ولا نهيهما وقيل لا تجعلوا لانفسكم تقدما عند النبي صلى الله عليه وسلم وفيه اشارة الى احترام رسول الله صلى الله عليه وسلم والانقياد لاوامره ونواهيه والمعنى لا تعجلوا بقول أو فعل قبل ان يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قبل ان يفعله وقيل لا تقولوا بخلاف الكتاب والسنة واختلفوا في معنى الآية فروى عن جابر انه في الذبح يوم الاضحى أي لا تذبحوا قبل أن يذبح النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان ناسا ذبحوا قبل النبي صلى الله عليه وسلم فأمروا أن يعيدوا الذبح (ق) عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول ما نبدأ به في يومنا هذا أن نصلي ثم نرجع فننحر فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا ومن ذبح قبل أن يصلي فانما هو لحم عجله لاهله ليس من النسك في شئ زاد الترمذي في أوله قال خطبنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر وذكر الحديث وروي عن عائشة انه في النهي عن صوم يوم الشك أي لا تصوموا قبل نبيكم * عن عمار بن ياسر قال من صام في اليوم الذي يشك فيه فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وقيل في سبب نزول هذه الآية ماروي عن عبد الله بن الزبير انه قدم وفد من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر أمر القعقاع بن معبد بن زرارة وقال عمر بل أمر الاقرع بن حابس قال أبو بكر ما أردت الا خلافي وقال عمر ما أردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزل في ذلك يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله حتى انقضت زاد في رواية فما كان عمر يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه حتى يستفهمه أخرجه البخاري وقيل نزلت الآية في ناس كانوا يقولون لو نزل في كذا أو صنع كذا وكذا فكره الله ذلك وقيل في معنى الآية لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشئ حتى يقضيه الله على لسانه وقيل في القتال وشرائع الدين أي لا تقضوا أمرا من دون الله ورسوله (واتقوا الله) أي في تضييع حقه بمخالفة أمره (ان الله سميع) أي لاقوالكم (عليم) أي بأفعالكم قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) أي لا تجعلوا كلامكم مرتفعا على كلام النبي صلى الله عليه وسلم في الخطاب وذلك لان رفع الصوت دليل على قلة الاحتشام وترك الاحترام وقوله لا تقدموا نهي عن فعل وقوله لا ترفعوا أصواتكم نهي عن قول (ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) أمرهم ان يبجلوه ويفخموه ويعظموه ولا يرفعوا أصواتهم عنده ولا ينادوه كما ينادي بعضهم بعضا فيقول يا محمد بل يقولون يا رسول الله يا نبي الله (أن تحبط أعمالكم) أي لئلا تحبط وقيل مخافة أن تحبط حسناتكم (وأنتم لا تشعرون) أي بذلك (ق) عن أنس بن مالك قال لما نزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا

وتحريك منهم لئلا يغفلوا عن تأملهم (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) أي اذا نطق ونطقتم فعليكم ان لا تبلغوا بأصواتكم وراء الحد الذي يبلغه بصوته وان تغضوا منها بحيث يكون كلامه عاليا لكلامكم وجهره باهرا لجهركم حتى تكون مزيته عليكم لائحة وسابقته لديكم واضحة (ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) أي اذا كلمتموه وهو صامت فاياكم والعدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت بل عليكم أن لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم وان تتعمدوا في مخاطبته القول اللين المقرب من الهمس الذي يضاد الجهر أو لا تقولوا يا محمد يا أحمد وخاطبوه بالنبوة والسكينة والتعظيم ولما نزلت هذه الآية ما كلم النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر الا كأخي السرار وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وكان في اذنه وقر وكان جهوري الصوت وكان اذا كلم رفع صوته وربما كان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته وكاف التشبيه في محل النصب أي لا تجهروا له جهرا مثل جهر بعضكم لبعض وفي هذا انهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم الا أن يكلموه بالمخافتة وانما نهوا عن جهر مخصوص اعني الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه فيما بينهم وهو الخلو عن مراعاة ابهة النبوة وجلالة مقدارها (أن تحبط أعمالكم) منصوب الموضع على انه المفعول له متعلق بمعنى النهي والمعنى انتهوا عما نهيتم عنه لحبوط أعمالكم

اصواتكم فوق صوت النبي الآية جلس ثابت بن قيس في بيته وقال أنا من أهل النار واحتبس عن النبي صلى الله عليه وسلم فسأل النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ فقال يا أبا عمرو ما شأن ثابت أيشتكي فقال سعد انه لجاري وما علمت له شكوى قال فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ثابت أنزلت هذه الآية ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا من أهل النار فذكر ذلك سعد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو من اهل الجنة زاد في رواية فكنا نراه يمشي بين أظهرنا رجل من أهل الجنة لفظ مسلم وللبخاري نحوه * وروي لما نزلت هذه الآية قعد ثابت في الطريق يبكي فمر به عاصم بن عدي فقال ما يبكيك يا ثابت قال هذه الآية أتخوف أن تكون انزلت في وأنا رفيع الصوت على النبي صلى الله عليه وسلم أخاف ان يحبط عملي وأن أكون من أهل النار فمضى عاصم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلب ثابتا البكاء فأتى امرأته جميلة بنت عبد الله ابن أبي ابن سلول فقال لها اذا دخلت بيت فرشي فشدي على الضبة بمسمار فضربتها بمسمار وقال لا أخرج حتى يتوفاني الله أو يرضى عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبره قال اذهب فادعه فجاء عاصم الى المكان الذي رآه فيه فلم يجده فجاء الى أهله فوجده في بيت الفرش فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقال اكسر الضبة فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا ثابت فقال أنا صيت وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت في فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقال رضيت ببشرى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لا أرفع صوتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم أبدا فأنزل الله تعالى (ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله) الآية قال أنس فكنا ننظر الى رجل من أهل الجنة يمشي بين أيدينا فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة رأى ثابت من المسلمين بعض انكسار وانهزمت طائفة منهم فقال أف لهؤلاء ثم قال ثابت لسالم مولى حذيفة ما كنا نقاتل أعداء الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ثم ثبتا وقاتلا حتى قتلا واستشهد ثابت وعليه درع فرآه رجل من الصحابة بعد موته في المنام وانه قال له اعلم ان فلانا رجلا من المسلمين نزع درعي فذهب به وهو في ناحية من العسكر عند فرس يستن في طيله وقد وضع على درعي برمة فأت خالد بن الوليد فأخبره حتى يسترد درعي وأت أبا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل له ان علي دينا حتى يقضيه عني وفلان من رقيقي عتيق فأخبر الرجل خالدا فوجد الدرع والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع وأخبر خالد أبا بكر بتلك الرؤيا فأجاز أبو بكر وصيته قال مالك بن أنس لا أعلم وصية اجيزت بعد موت صاحبها الا هذه قال أبو هريرة وابن عباس لما نزلت هذه الآية كان أبو بكر لا يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كأخي السرار وقال ابن الزبير لما نزلت هذه الآية ما حدث عمر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فسمع النبي صلى الله عليه وسلم كلامه حتى يستفهمه مما يخفض صوته فانزل الله تعالى ان

أي لخشية حبوطها على تقدير حذف المضاف (وأنتم لا تشعرون ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله) ثم اسم ان عند قوله رسول الله والمعنى يخفضون أصواتهم في مجلسه تعظيما له

(أولئك) مبتدأ خبره (الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) وتم صلة الذين عند قوله للتقوى وأولئك مع خبره خبران والمعنى
أخلصها للتقوى من قولهم امتحن الذهب وفتنه اذا أذابه فخلص ابريزه من خبثه ونقاه وحقيقته عاملها معاملة المختبر
فوجدها مخلصة وعن عمر رضي الله عنه أذهب الشهوات عنها والامتحان افتعال من محنه وهو اختباره بليغ أو بلاء جهيد
(لهم مغفرة وأجر عظيم) جملة أخرى قيل نزلت في الشيخين رضي الله عنهما لما كان منهما من غض الصوت وهذه الآية
بنظمها الذي رتبت عليه من ايقاع الغاضين أصواتهم اسما لان المؤكدة وتصيير خبرها جملة من مبتدا وخبر معرفتين معا
والمبتدأ اسم الاشارة واستئناف الجملة المستودعة ما هو جزاؤهم على عملهم وايراد الجزاء نكرة مبهما أمره دالة على غاية
الاعتداد والارتضاء بفعل الخافضين أصواتهم وفيها تعريض لعظيم ما ارتكب الرافعون أصواتهم (ان الذين ينادونك من
وراء الحجرات) نزلت في وفد بني تميم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهيرة وهو راقد وفيهم الاقرع بن حابس وعيينة
ابن حصن ونادوا النبي صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته وقالوا 215 اخرج الينا يا محمد فان مدحنا زين وذمنا شين
فاستيقظ وخرج والوراء الجهة التي يواريها عنك الشخص بظله من خلف أو قدام ومن لابتداء الغاية وان المناداة نشأت من ذلك المكان والحجرة الرقعة من الارض المحجورة بحائط يحوط عليها وهي فعلة بمعنى مفعولة كالقبضة وجمعها الحجرات بضمتين والحجرات بفتح الجيم وهي قراءة يزيد والمراد حجرات نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت لكل منهن حجرة ومناداتهم من ورائها اما بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له أو نادوه من وراء الحجرة التي كان عليه السلام فيها ولكنها جعلت اجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والفعل
وان كان مسندا الى جميعهم فانه يجوز ان يتولاه بعضهم وكان الباقون راضين فكأنهم تولوه جميعا (أكثرهم لا يعقلون)
يحتمل أن يكون فيهم من قصد استثناؤه ويحتمل أن يكون المراد النفي العام اذ القلة تقع موقع النفي وورود الآية على النمط
الذي وردت عليه فيه ما لا يخفى من اجلال محل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها التسجيل على الصائحين به بالسفه والجهل
ومنها ايقاع لفظ الحجرات كناية عن موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه ومنها التعريف باللام دون الاضافة ولو تأمل متأمل
من أول السورة الى آخر هذه الآية لوجدها كذلك فتأمل كيف ابتدأ بايجاب أن تكون الامور التي تنتمي الى الله ورسوله
متقدمة على الامور كلها من غير تقييد ثم أردف ذلك النهي عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر كأن الاول
بساط للثاني ثم أثنى على الغاضين أصواتهم ليدل على عظم موقعه عند الله ثم عقبه بما هو أطم وهجنته أتم من الصياح برسول
الله صلى الله عليه وسلم في حال خلوته من وراء الجدر كما يصاح بأهون الناس قدرا لينبه على فظاعة ما جسروا عليه لان من رفع
الله قدره عن أن يجهر له بالقول كان صنيع هؤلاء من المنكر الذي بلغ في التفاحش مبلغا

الذين يغضون أي يخفضون أصواتهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أي اجلالا له
وتعظيما (أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) أي اختبرها واخلصها كما يمتحن
الذهب بالنار ليخرج خالصه (لهم مغفرة وأجر عظيم) قوله عز وجل (ان الذين ينادونك
من وراء الحجرات) قال ابن عباس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى بني
العنبر وأمر عليهم عيينة بن حصن الفزاري فلما علموا أنه توجه نحوهم هربوا وتركوا
عيالهم فسباهم عيينة وقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه بعد ذلك رجالهم
يفدون الذراري فقدموا وقت الظهيرة ووافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا في
أهله فلما رأتهم الذراري اجهشوا الى آبائهم يبكون وكان لكل امرأة من نساء رسول
الله صلى الله عليه وسلم حجرة فعجلوا أن يخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوا
ينادون يا محمد اخرج الينا حتى أيقظوه من نومه فخرج اليهم فقالوا يا محمد فادنا عيالنا
فنزل جبريل عليه السلام فقال ان الله تعالى يأمرك أن تجعل بينك وبينهم رجلا فقال
لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أترضون أن يكون بيني وبينكم سبرة بن عمرو وهو على
دينكم قالوا نعم قال سبرة أنا لا أحكم وعمي شاهد وهو الاعور بن بشامة فرضوا به فقال
الاعور أرى ان تفادي نصفهم وتعتق نصفهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
رضيت ففادى نصفهم وأعتق نصفهم فأنزل الله عز وجل ان الذين ينادونك من وراء
الحجرات (أكثرهم لا يعقلون) وصفهم بالجهل وقلة العقل وقيل في معنى الآية أكثرهم
اشارة الى من يرجع منهم عن ذلك الامر ومن لا يرجع فيستمر على حاله وهم الاكثر

(ولو أنهم صبروا) أي ولو ثبت صبرهم ومحل أنهم صبروا الرفع على الفاعلية والصبر حبس النفس عن أن تنازع الى هواها
قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم وقولهم صبر عن كذا محذوف منه المفعول وهو النفس وقيل الصبر مر
لا يتجرعه الا حر وقوله (حتى تخرج اليهم) يفيد انه لو خرج ولم يكن خروجه اليهم ولاجلهم للزمهم ان يصبروا الى
ان يعلموا ان خروجه اليهم
(لكان) الصبر (خيرا لهم)
في دينهم (والله غفور رحيم)
بليغ الغفران والرحمة واسعهما
فلن يضيق غفرانه ورحمته عن
هؤلاء ان تابوا وأنابوا (يا أيها
الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا
فتبينوا) أجمعوا انها نزلت في
الوليد بن عقبة وقد بعثه رسول
الله صلى الله عليه وسلم مصدقا
الى بني المصطلق وكانت بينه
وبينهم احنة في الجاهلية فلما
شارف ديارهم ركبوا مستقبلين
اليه فحسبهم مقاتليه فرجع
وقال لرسول الله صلى الله عليه
وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة
فبعث خالد بن الوليد فوجدهم
يصلون فسلموا اليه الصدقات
ورجع وفي تنكير الفاسق
والنبا شياع في الفساق والانباء
كأنه قال أي فاسق جاءكم بأي
نبا فتبينوا فتوقفوا فيه وتطلبوا
بيان الامر وانكشاف الحقيقة
ولا تعتمدوا قول الفاسق لان
من لا يتحامى جنس الفسوق
لا يتحامى الكذب الذي هو
نوع منه وفي الآية دلالة قبول
خبر الواحد العدل لانا لو توقفنا
في خبره لسوينا بينه وبين
الفاسق ولخلا التخصيص به
عن الفائدة والفسوق الخروج من الشيء يقال فسقت الرطبة عن قشرها ومن مقلوبه فقست البيضة من
اذا كسرتها وأخرجت ما فيها ومن مقلوبه أيضا قفست الشيء اذا أخرجته من يد مالكه مغتصبا له عليه ثم استعمل في
الخروج عن القصد بركوب الكبائر حمزة وعلي فتثبتوا والتثبت والتبين متقاربان وهما طلب الثبات والبيان والتعرف

(ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم) فيه بيان لحسن الادب وهو خلاف ما جاؤا به من سوء
الادب وطلب العجلة في الخروج (لكان خيرا لهم) أي الصبر لانك كنت تعتقهم جميعا
وتطلقهم بلا فداء وقيل لكان حسن الادب في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه
وسلم خيرا لهم وقيل نزلت الآية في ناس من اعراب تميم وكان فيهم الاقرع بن حابس
وعيينة بن حصن والزبرقان بن بدر فنادوا على الباب ويروى ذلك عن جابر قال جاءت
بنو تميم فنادوا على الباب فقالوا يا محمد اخرج علينا فان مدحنا زين وذمنا شين فخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول انما ذلكم الله الذي مدحه زين وذمه شين قالوا
نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا جئنا نشاعرك ونفاخرك فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما بالشعر بعثت ولا بالفخر أمرت ولكن هاتوا فقام منهم شاب فذكر فضله
وفضل قومه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس وكان خطيب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قم فاجبه فقام فأجابه وقام شاعرهم فذكر أبياتا فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت أجبه فأجابه فقام الاقرع بن حابس فقال ان محمدا
المؤتى له تكلم خطيبنا فكان خطيبهم أحسن قولا وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم أحسن
شعرا وقولا ثم دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أشهد أن لا اله الا الله وأنك
رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يضرك ما كان قبل هذا ثم أعطاهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساهم وقد كان تخلف في ركابهم عمرو بن الاهتم لحداثة
سنه فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطاهم فأزرى به بعضهم وارتفعت
الاصوات وكثر اللغط عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل فيهم يا أيها الذين آمنوا
لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآيات الى قوله (والله غفور رحيم) أي لمن تاب
منهم وقال زيد بن الارقم جاء ناس من العرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
بعضهم لبعض انطلقوا بنا الى هذا الرجل فان يكن نبيا فنحن أسعد الناس به وان يكن
ملكا نعش في جنابه فجاؤا فجعلوا ينادونه يا محمد يا محمد فأنزل الله هذه الآيات قوله
تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا) الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن
أبي معيط بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق بعد الوقعة مصدقا وكان بينه
وبينهم عداوة في الجاهلية فلما سمع به القوم تلقوه تعظيما لامر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فحدثه الشيطان انهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال ان بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي فغضب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهم ان يغزوهم فبلغ القوم رجوع الوليد فأتوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي له ما قبلناه

من حق الله فبدا له الرجوع فخشينا انه انما رده من الطريق كتاب جاءه منك لغضب
غضبته علينا وانا نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله فاتهمهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم وبعث خالد بن الوليد خفية في عسكر وأمره ان يخفي عليهم قدومه وقال انظر
فان رأيت منهم ما يدل على ايمانهم فخذ منهم زكاة أموالهم وان لم تر ذلك فاستعمل فيهم
ما تستعمل في الكفار ففعل ذلك خالد فوافاهم فسمع منهم أذان المغرب والعشاء فأخذ
منهم صدقاتهم ولم ير منهم الا الطاعة والخير فانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأخبره الخبر فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق يعني الوليد بن عقبة
وقيل هو عام نزلت لبيان التثبت وترك الاعتماد على قول الفاسق وهو أولى من حمل
الآية على رجل بعينه لان الفسوق خروج عن الحق ولا يظن بالوليد ذلك الا انه ظن
وتوهم فاخطأ فعلى هذا يكون معنى الآية ان جاءكم فاسق بنبأ أي بخبر فتبينوا وقرئ
فتثبتوا أي فتوقفوا واطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا على قول الفاسق
(أن تصيبوا) أي كيلا تصيبوا بالقتل والسبي (قوما بجهالة) أي جاهلين حالهم وحقيقة
أمرهم (فتصبحوا على ما فعلتم) أي من اصابتكم بالخطأ (نادمين واعلموا أن فيكم رسول الله)
أي فاتقوا الله أن تقولوا باطلا أو تكذبوه فان الله يخبره ويعرفه حالكم فتفتضحوا
(لو يطيعكم) أي الرسول (في كثير من الامر) أي مما تخبرونه به فيحكم برأيكم (لعنتم) أي
لأثمتم وهلكتم * عن أبي سعيد الخدري انه قرأ واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم
في كثير من الامر لعنتم قال هذا نبيكم يوحى اليه وخيار أئمتكم لو أطاعهم في كثير من
الامر لعنتوا فكيف بكم اليوم أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب (ولكن
الله حبب اليكم الايمان) أي جعله أحب الاديان اليكم (وزينه) أي حسنه وقربه
منكم وأدخله (في قلوبكم) حتى اخترتموه لان من أحب شيئا اذا طال عليه قد يسأم
منه والايمان في كل يوم يزداد في القلب حسنا وثباتا وبذلك تطيعون رسول الله صلى
الله عليه وسلم (وكره اليكم الكفر والفسوق) قال ابن عباس يريد الكذب (والعصيان)
جميع معاصي الله تعالى وفي هذه لطيفة وهو ان الله تعالى ذكر هذه الثلاثة الاشياء
في مقابلة الايمان الكامل المزين في القلب المحبب اليه والايمان الكامل ما اجتمع
فيه ثلاثة امور تصديق بالجنان واقرار باللسان وعمل بالاركان فقوله وكره اليكم الكفر
في مقابلة قوله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وهو التصديق بالجنان والفسوق
وهو الكذب في مقابلة الاقرار باللسان فكره الى عبده المؤمن الكذب وهو الجحود
وحبب اليه الاقرار بشهادة الحق والصدق وهو لا اله الا الله والعصيان في مقابلة العمل
بالاركان فكره اليه العصيان وحبب اليه العمل الصالح بالاركان ثم قال تعالى
(أولئك هم الراشدون) اشارة الى المؤمنين المحبب اليهم الايمان المزين في قلوبهم أي
أولئك هم المهتدون الى محاسن الاعمال ومكارم الاخلاق (فضلا من الله) أي فعل ذلك

(أن تصيبوا قوما) لئلا تصيبوا (بجهالة) حال يعني جاهلين بحقيقة الامر وكنه القصة (فتصبحوا) فتصيروا (على ما فعلتم
نادمين) الندم ضرب من الغم وهو أن تغتم على ما وقع منك تتمنى انه لم يقع وهو غم يصحب الانسان صحبة لها دوام
(واعلموا ان فيكم رسول الله)
فلا تكذبوا فان الله يخبره فيهتك
ستر الكاذب اوفارجعوا اليه
واطلبوا رأيه ثم قال مستأنفا
(لو يطيعكم في كثير من الامر
لعنتم) لوقعتم في الجهد والهلاك
وهذا يدل على ان بعض المؤمنين
زينوا الرسول الله صلى الله عليه
وسلم الايقاع ببني المصطلق
وتصديق قول الوليد وان
بعضهم كانوا يتصونون ويزعهم
جدهم في التقوى عن الجسارة
على ذلك وهم الذين استثناهم
بقوله (ولكن الله حبب اليكم
الايمان) وقيل هم الذين امتحن
الله قلوبهم للتقوى ولما كانت
صفة الذين حبب الله اليهم
الايمان غايرت صفة المتقدم
ذكرهم وقعت لكن في حاق
موقعها من الاستدراك وهو
مخالفة ما بعدها لما قبلها نفيا
واثباتا (وزينه في قلوبكم وكره
اليكم الكفر) وهو تغطية نعم
الله وغمطها بالجحود (والفسوق)
وهو الخروج عن محجة الايمان
بركوب الكبائر (والعصيان)
وهو ترك الانقياد لما أمر به
الشارع (أولئك هم الراشدون)
أي أولئك المستثنون هم
الراشدون يعني اصابوا طريق
الحق ولم يميلوا عن الاستقامة
والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشادة وهي
الصخرة (فضلا من الله

بكم فضلا منه (ونعمة) عليكم (والله عليم) أي بكم وبما في قلوبكم (حكيم) في أمره بما تقتضيه الحكمة وقيل عليم بما في خزائنه من الخير والرحمة والفضل والنعمة حكيم بما ينزله من الخير بقدر الحاجة اليه على وفق الحكم قوله عز وجل (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) (ق) عن أنس قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم لو أتيت عبد الله بن أبي فانطلق اليه النبي صلى الله عليه وسلم فركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون معه وهي أرض سبخة فلما أتاه النبي صلى الله عليه وسلم قال اليك عني والله لقد آذاني نتن حمارك فقال رجل من الانصار والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فتشاتما فغضب لكل واحد منهما أصحابه فكان بينهم ضرب بالجريد والايدي والنعال فبلغنا انها نزلت فيهم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ويروى انها لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فاصطلحوا وكف بعضهم عن بعض (ق) عن اسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب على حمار عليه اكاف تحته قطيفة فدكية واردف أسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة في بني الحرث بن الخزرج قبل وقعة بدر قال فسار حتى مر على مجلس فيه عبد الله بن أبي ابن سلول وذلك قبل ان يسلم عبد الله بن أبي واذا في المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الاصنام واليهود وفي المسلمين عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه ثم قال لا تغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وقف فنزل فدعاهم الى الله تعالى وقرأ عليهم القرآن فقال عبد الله ابن أبي ابن سلول أيها المرء انه لا أحسن مما تقول ان كان حقا فلا تؤذونا به في مجالسنا وارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يا رسول الله فاغشنا في مجالسنا فانا نحب ذلك واستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم دابته وقال قتادة نزلت في رجلين من الانصار كان بينهما مماراة في حق بينهما فقال أحدهما للآخر لآخذن حقي منك عنوة لكثرة عشيرته وان الآخر دعاه ليحاكمه الى النبي صلى الله عليه وسلم فأبى أن يتبعه فلم يزل الامر بينهما حتى تدافعوا وتناول بعضهم بعضا بالايدي والنعال ولم يكن قتال بالسيوف وقيل كانت امرأة من الانصار يقال لها أم زيد تحت رجل وكان بينها وبين زوجها شئ فرقي بها الى علية فحبسها فيها فبلغ ذلك قومها فجاؤا وجاء معه قومه فاقتتلوا بالايدي والنعال فأنزل الله عز وجل وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل المراد من الطائفتين الاوس والخزرج (فاصلحوا بينهما) أي بالدعاء الى حكم كتاب الله والرضا بما فيه لهما وعليهما (فان بغت) أي تعدت (احداهما على الاخرى) وأبت الاجابة الى حكم كتاب الله (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء) أي ترجع (الى أمر الله) أي الى كتابه الذي جعله حكما بين خلقه وقيل ترجع الى طاعته في الصلح الذي أمر به (فان فاءت) أي رجعت الى الحق (فأصلحوا بينهما بالعدل) أي الذي يحملهما على الانصاف والرضا بحكم الله (وأقسطوا) أي اعدلوا

(والله عليم) باحوال المؤمنين وما بينهم من التمايز والتفاضل (حكيم) حين يفضل وينعم بالتوفيق على الافضال (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مجلس بعض الانصار وهو على حمار فبال الحمار فامسك ابن أبي بانفه وقال خل سبيل حمارك فقد آذانا نتنه فقال عبد الله بن رواحة والله ان بول حماره لاطيب من مسكك ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطال الخوض بينهما حتى استبا وتجالدا وجاء قوماهما وهما الاوس والخزرج فتجالدوا بالعصي وقيل بالايدي والنعال والسعف فرجع اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصلح بينهم ونزلت وجمع اقتتلوا حملا على المعنى لان الطائفتين في معنى القوم والناس وثنى في فأصلحوا بينهما نظرا الى اللفظ (فان بغت احداهما على الاخرى) البغي الاستطالة والظلم واباء الصلح (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء) أي ترجع والفيء الرجوع وقد سمي به الظل والغنيمة لان الظل يرجع بعد نسخ الشمس والغنيمة ما يرجع من اموال الكفار الى المسلمين وحكم الفئة الباغية وجوب قتالها ما قاتلت فاذا كفت وقبضت عن الحرب أيديها تركت (الى أمر الله) المذكور في كتابه من الصلح وزوال الشحناء (فان فاءت) عن البغي الى أمر الله (فاصلحوا بينهما بالعدل) بالانصاف (وأقسطوا) (ان

(ان الله يحب المقسطين) أي العادلين (انما المؤمنون اخوة) أي في الدين والولاية وذلك أن الايمان قد عقد بين أهله من السبب والقرابة كعقد النسب الملاصق وان بينهم ما بين الاخوة من النسب والاسلام لهم كالاب قال بعضهم

أبي الاسلام لا أب لي سواه * اذا افتخروا بقيس أو تميم

(فأصلحوا بين أخويكم) أي اذا اختلفا واقتتلا (واتقوا الله) أي فلا تعصوه ولا تخالفوا أمره (لعلكم ترحمون) (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله بها عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله تعالى يوم القيامة والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

(فصل في حكم قتال البغاة) قال العلماء في هاتين الآيتين دليل على أن البغي لا يزيل اسم الايمان لان الله تعالى سماهم اخوة مؤمنين مع كونهم باغين ويدل عليه ما روي عن علي بن أبي طالب وهو القدوة في قتال أهل البغي وقد سئل عن أهل الجمل وصفين امشركون هم فقال لا انهم من الشرك فروا فقيل أمنافقون هم فقال لا ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا قيل فما حالهم قال اخواننا بغوا علينا والباغي في الشرع هو الخارج على الامام العدل فاذا اجتمعت طائفة لهم قوة ومنعة فامتنعوا عن طاعة الامام العدل بتأويل محتمل ونصبوا لهم اماما فالحكم فيهم أن يبعث اليهم الامام ويدعوهم الى طاعته فان أظهروا مظلمة أزالها عنهم وان لم يذكروا مظلمة وأصروا على البغي قاتلهم الامام حتى يفيؤا الى طاعته ثم الحكم في قتالهم أن لا يتبع مدبرهم ولا يقتل أسيرهم ولا يذفف على جريحهم نادى منادي علي يوم الجمل الا لا يتبع مدبر ولا يقتل أسير ولا يذفف على جريح وهو بذال معجمة وهو الاجهاز على الجريح وتحرير قتله وتتميمه وأتي علي يوم صفين بأسير فقال لا أقتلك صبرا اني أخاف الله رب العالمين وما أتلفت احدى الطائفتين على الاخرى في حال القتال من نفس ومال فلا ضمان عليها قال ابن شهاب كانت في تلك الفتنة دماء يعرف في بعضها القاتل والمقتول واتلف فيها أموال ثم صار الناس الى أن سكنت الحرب بينهم وجرى الحكم عليهم فما رأيته اقتص من أحد ولا أغرم مالا اما من لم تجتمع فيه هذه الشروط الثلاثة بأن كانوا جماعة قليلين لا منعة لهم أو لم يكن لهم تأويل أو لم ينصبوا اماما فلا يتعرض لهم اذا لم ينصبوا قتالا ولم يتعرضوا للمسلمين فان فعلوا ذلك فهم كقطاع الطريق في الحكم وروي أن عليا سمع رجلا يقول في ناحية المسجد لا حكم الا لله فقال علي كلمة حق أريد بها باطل لكم علينا ثلاثة لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا ولا نبدؤكم بقتال قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم) الآية نزلت في ثلاثة أسباب السبب الاول من أولها الى قوله خيرا منهم قال ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وذلك انه كان في أذنه وقر فكان اذا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبقوه بالمجلس أوسعوا له حتى يجلس الى جنبه فيسمع ما يقول فاقبل ذات يوم وقد فاتته ركعة من صلاة الفجر فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من

واعدلوا وهو أمر باستعمال القسط على طريق العموم بعد ما أمر به في اصلاح ذات البين (ان الله يحب المقسطين) العادلين والقسط الجور والقسط العدل والفعل منه اقسط وهمزته للسلب أي أزال القسط وهو الجور (انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم) هذا تقرير لما ألزمه من تولي الاصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين وبيان أن الايمان قد عقد بين أهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما ان لم يفضل الاخوة لم ينقص عنها ثم قد جرت العادة على انه اذا نشب مثل ذلك بين الاخوين ولادا لزم السائر ان يتناهضوا في رفعه وازاحته بالصلح بينهما فالاخوة في الدين أحق بذلك اخوتكم يعقوب (واتقوا الله لعلكم ترحمون) أي واتقوا الله فالتقوى تحملكم على التواصل والائتلاف وكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله اليكم مرجوا والآية تدل على أن البغي لا يزيل اسم الايمان لانه سماهم مؤمنين مع وجود البغي (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم

عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن) القوم الرجال خاصة لانهم القوام بامور النساء قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء وهو في الاصل جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر واختصاص القوم بالرجال صريح في الآية اذ لو كانت النساء داخلة في قوم لم يقل ولا نساء وحقق ذلك زهير في قوله * وما أدري ولست اخال أدري * اقوم آل حصن ام نساء * وأما قولهم في قوم فرعون وقوم عاد هم الذكور والاناث فليس لفظ القوم بمتعاط للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الاناث لانهن توابع لرجالهن وتنكير القوم والنساء يحتمل معنيين أن يراد لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض وان يقصد افادة الشياع وان يصير كل جماعة منهم منهية عن السخرية وانما لم يقل رجل من رجل ولا امرأة من امرأة على التوحيد اعلاما باقدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نسائهم على السخرية واستفظاعا للشأن الذي كانوا عليه ٢٢٠ وقوله عسى أن يكونوا خيرا منهم كلام مستأنف ورد مورد جواب المستخبر عن علة النهي والا فقد كان حقه أن يوصل بما قبله بالفاء والمعنى وجوب أن يعتقد كل واحد أن المسخور منه ربما كان عند الله خيرا من الساخر اذ لا اطلاع للناس الا على الظواهر ولا علم لهم بالسرائر والذي يزن عند الله خلوص الضمائر فينبغي أن لا يجترئ أحد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه اذا رآه رث الحال أو ذا عاهة في بدنه أو غير لبيق في محادثته فلعله أخلص ضميرا وأتقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله تعالى وعن ابن مسعود رضي الله عنه البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت أن أحول كلبا (ولا تلمزوا أنفسكم) ولا تطعنوا أهل دينكم واللمز الطعن والضرب باللسان ولا تلمزوا يعقوب وسهل والمؤمنون كنفس واحدة فاذا عاب المؤمن المؤمن فكأنما عاب نفسه وقيل معناه لا تفعلوا ما تلمزون به لان من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه حقيقة (ولا تنابزوا بالالقاب) التنابز بالالقاب التداعي بها والنبز لقب السوء والتلقيب المنهي عنه هو ما يتداخل المدعو به كراهة لكونه تقصيرا به وذما له فاما ما يحبه فلا بأس به وروي أن قوما من بني تميم استهزؤا ببلال وخباب وعمار وصهيب فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها انها كانت تسخر من زينب بنت خزيمة وكانت قصيرة وعن أنس رضي الله عنه عيرت نساء النبي صلى الله عليه وسلم أم سلمة بالقصر وروي انها نزلت في ثابت بن قيس وكان به وقر فكانوا يوسعون له في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسمع فأتى يوما وهو يقول تفسحوا حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل تنح فلم يفعل فقال من هذا فقال الرجل أنا فلان فقال بل أنت ابن فلانة يريد أما كان

الصلاة أخذ أصحابه مجالسهم فظل كل رجل بمجلسه فلا يكاد يوسع أحد لاحد وكان الرجل اذا جاء فلم يجد مجلسا قام قائما كما هو فلما فرغ ثابت من الصلاة أقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخطى رقاب الناس ثم يقول تفسحوا تفسحوا فجعلوا يتفسحون له حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه وبينه رجل فقال له تفسح فقال له الرجل اصبت مجلسا فاجلس فجلس ثابت خلفه مغضبا فلما انجلت الظلمة غمز ثابت الرجل فقال من هذا قال انا فلان قال له ثابت ابن فلانة وذكر أما له كان يعير بها في الجاهلية فنكس الرجل رأسه واستحيا فانزل الله هذه الآية وقال الضحاك نزلت في وفد بني تميم الذين ذكرناهم وكانوا يستهزؤن بفقراء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عمار وخباب وبلال وصهيب وسلمان وسالم مولى حذيفة لما رأوه من رثاثة حالهم فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم أي لا يستهزئ غني بفقير ولا مستور عليه ذنبه بمن لم يستر ولا ذو حسب بلئيم وأشباه ذلك مما ينتقصه به ولعله عند الله خير منه وهو قوله تعالى (عسى أن يكونوا خيرا منهم) السبب الثاني قوله (ولا نساء من نساء) أي لا يستهزئ نساء من نساء (عسى أن يكن خيرا منهن) روي عن أنس أنها نزلت في نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم عيرن أم سلمة بالقصر وعن ابن عباس أنها نزلت في صفية بنت حيي قال لها بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم يهودية بنت يهوديين عن أنس بلغ صفية أن حفصة قالت بنت يهودي فبكت فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقال ما يبكيك قالت قالت لي حفصة اني بنت يهودي فقال النبي صلى الله عليه وسلم انك لابنة نبي وعمك لنبي وانك لتحت نبي ففيم تفتخر عليك ثم قال اتقي الله يا حفصة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب والسبب الثالث قوله تعالى (ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالالقاب) عن أبي جبيرة بن الضحاك هو أخو ثابت بن الضحاك الانصاري

الانصاري قال فينا نزلت هذه الآية في بني سلمة قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس منا رجل الا وله اسمان أو ثلاثة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا فلان فيقولون مه يا رسول الله انه يغضب من هذا الاسم فأنزل الله هذه الآية ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان أخرجه أبو داود وفي الترمذي قال كان الرجل منا يكون له اسمان وثلاثة فيدعى ببعضها فعسى أن يكره قال فنزلت هذه الآية ولا تنابزوا بالالقاب قال الترمذي حديث حسن قوله تعالى ولا تلمزوا أنفسكم أي لا يعب بعضكم بعضا ولا يطعن بعضكم في بعض والمراد بالانفس الاخوان هنا والمعنى لا تعيبوا اخوانكم من المسلمين لانهم كانفسكم فاذا عاب عائب أحدا بعيب فكانه عاب نفسه وقيل لا يخلو أحد من عيب فاذا عاب غيره فيكون حاملا لذلك على عيبه فكانه هو العائب لنفسه ولا تنابزوا بالالقاب أي لا تدعو الانسان بغير ما سمي به وقال ابن عباس التنابز بالالقاب أن يكون الرجل عمل السيآت ثم تاب عنها فنهي أن يعير بما سلف من عمله وقيل هو قول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق يا كافر قيل كان الرجل اليهودي والنصراني يسلم فيقال له بعد اسلامه يا يهودي يا نصراني فنهوا عن ذلك وقيل هو أن تقول لاخيك يا كلب يا حمار يا خنزير وقال بعض العلماء المراد بهذه الالقاب ما يكرهه المنادى به أو يفيد ذما له فاما الالقاب التي صارت كالاعلام لاصحابها كالاعمش والاعرج وما أشبه ذلك فلا بأس بها اذا لم يكرهها المدعو بها وأما الالقاب التي تكسب حمدا ومدحا وتكون حقا وصدقا فلا تكره كما قيل لابي بكر عتيق ولعمر الفاروق ولعثمان ذو النورين ولعلي أبو تراب ولخالد سيف الله ونحو ذلك (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) أي بئس الاسم أن تقولوا له يا يهودي أو يا نصراني بعد ما أسلم أو يا فاسق بعد ما تاب وقيل معناه ان من فعل ما نهي عنه من السخرية واللمز والنبز فهو فاسق وبئس الاسم الفسوق بعد الايمان فلا تفعلوا ذلك فتستحقوا اسم الفسوق (ومن لم يتب) أي من ذلك كله (فأولئك هم الظالمون) أي الضارون لانفسهم بمعصيتهم ومخالفتهم وقيل ظلموا الذين قالوا لهم ذلك قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) قيل نزلت في رجلين اغتابا رفيقهما وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا أو سافر ضم الرجل المحتاج الى رجلين موسرين يخدمهما ويتقدمهما الى المنزل فيهيئ لهما ما يصلحهما من الطعام والشراب فضم سلمان الفارسي الى رجلين في بعض أسفاره فتقدم سلمان الى المنزل فغلبته عيناه فنام ولم يهيئ شيأ لهما فلما قدما قالا له ما صنعت شيأ قال لا غلبتني عيناي فنمت قالا له انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطلب لنا منه طعاما فجاء سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله طعاما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى أسامة بن زيد وقل له ان كان عنده فضل طعام وادم فليعطك وكان اسامة خازن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رحله فاتاه فقال ما عندي شئ فرجع سلمان اليهما فاخبرهما فقالا كان عند اسامة ولكن بخل فبعثا سلمان الى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيأ فلما رجع قالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند

يعيرها في الجاهلية فخجل الرجل فنزلت فقال ثابت لا أفخر على أحد في الحسب بعدها أبدا (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) الاسم ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم أو باللؤم وحقيقته ما سما من ذكره وارتفع بين الناس كانه قيل بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائم ان يذكروا بالفسق وقوله بعد الايمان استقباح للجمع بين الايمان والفسق الذي يحظره الايمان كما تقول بئس الشان بعد الكبرة الصبوة وقيل كان في شتائمهم لمن أسلم من اليهود يا يهودي يا فاسق فنهوا عنه وقيل لهم بئس الذكر أن تذكروا الرجل بالفسق واليهودية بعد ايمانه (ومن لم يتب) عما نهي عنه (فأولئك هم الظالمون) وحد وجمع للفظ من ومعناه (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) يقال جنبه الشر اذا ابعده عنه وحقيقته جعله في جانب فيعدى الى مفعولين قال الله تعالى واجنبني وبني أن نعبد الاصنام ومطاوعه اجتنب الشر فنقص مفعولا والمأمور باجتنابه بعض الظن وذلك البعض موصوف بالكثرة ألا ترى الى قوله

أسامة ما أمرهما به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاآ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالي أرى خضرة اللحم في أفواهكما قالا والله يارسول الله ماتناولنا يومنا هذا لحما قال ظللتما تأكلان لحم سلمان واسامة فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن يعني أن يظن باهل الخير سوأ نهى الله المؤمن أن يظن باخيه المؤمن شرا وقيل هو أن يسمع من أخيه المسلم كلاما لا يريد به سوأ أو يدخل مدخلا لا يريد به سوأ فيراه أخوه المسلم فيظن شرا لان بعض الفعل قد يكون في الصورة قبيحا وفي نفس الامر لا يكون كذلك لجواز أن يكون فاعله ساهيا أو يكون الرائي مخطئا فاما أهل السوء والفسق المجاهرون بذلك فلنا ان نظن فيهم مثل الذي يظهر منهم (ان بعض الظن اثم) قال سفيان الثوري الظن ظنان أحدهما اثم وهو أن يظن ويتكلم به والآخر ليس باثم وهو أن يظن ولا يتكلم به وقيل الظن أنواع فمنه واجب ومأمور به وهو الظن الحسن بالله عز وجل ومنه مندوب اليه وهو الظن الحسن بالاخ المسلم الظاهر العدالة ومنه حرام محظور وهو سوء الظن بالله عز وجل وسوء الظن بالاخ المسلم (ولا تجسسوا) أي لا تبحثوا عن عيوب الناس نهى الله عن البحث عن المستور من أمور الناس وتتبع عوراتهم حتى لا يظهر على ما ستره الله منها (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم والظن لان الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا كما أمركم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا التقوى ههنا التقوى ههنا ويشير الى صدره بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله ان الله لا ينظر الى أجسادكم ولا الى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم التجسس بالجيم التفتيش عن بواطن الامور وأكثر ما يقال في الشر ومنه الجاسوس وبالحاء هو الاستماع الى حديث الغير وقيل معناهما واحد وهو طلب الاخبار وقوله ولا تنافسوا أي لا ترغبوا فيما يرغب فيه الغير من اسباب الدنيا وحظوظها والحسد تمني زوال النعمة عن صاحبها قوله ولا تدابروا أي لا يعطي كل واحد منكم خاه دبره وقفاه فيعرض عنه ويهجره عن ابن عمر قال صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فنادى بصوت رفيع يامعشر من أسلم بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن يتتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله قال نافع ونظر ابن عمر يوما الى الكعبة فقال ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب عن زيد بن وهب قال أتي ابن مسعود فقيل له هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال عبد الله انا قد نهينا عن التجسس ولكن ان يظهر لنا شئ نأخذ به أخرجه أبو داود وله عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رأى عورة فسترها كان كمن احيا موؤدة (م) عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يستر عبد عبدا في الدنيا الا ستره الله يوم القيامة قوله تعالى

(ان بعض الظن اثم) قال الزجاج هو ظنك باهل الخير سوأ فاما أهل الفسق فلنا أن نظن فيهم مثل الذي ظهر منهم أو معناه اجتنبوا كثيرا واحترزوا من الكثير ليقع التحرز عن البعض والاثم الذنب الذي يستحق صاحبه العقاب ومنه قيل لعقوبته الاثام فعال منه كالنكال والعذاب (ولا تجسسوا) أي لا تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم يقال تجسس الامر اذا تطلبه وبحث عنه تفعل من الجس وعن مجاهد خذوا ما ظهر ودعوا ما ستر الله وقال سهل لا تبحثوا عن طلب معايب ما ستره الله على عباده

(ولا يغتب بعضكم بعضا) الغيبة الذكر بالعيب فى ظهر الغيب وهى من الاغتياب كالغيلة من الاغتيال وفى الحديث هو أن
تذكر أخاك بما يكره فان كان فيه فهو غيبة والا فهو بهتان وعن ابن عباس الغيبة ادام كلاب الناس (أيحب أحدكم أن
يأكل لحم أخيه ميتا) ميتا مدنى وهذا تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفحش وجه وفيه مبالغات منها
الاستفهام الذى معناه التقرير ومنها جعل ما هو فى الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة ومنها اسناد الفعل الى أحدكم والاشعار
بأن احدا من الاحدين لا يحب ذلك ومنها أن لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الانسان حتى جعل الانسان

أخا ومنها أن لم يقتصر على لحم
الاخ حتى جعل ميتا وعن قتادة
كما تكره ان وجدت جيفة مدودة
ان تأكل منها كذلك فاكره
لحم أخيك وهو حى وانتصب
ميتا على الحال من اللحم او من
أخيه ولما قررهم بان أحدا
منهم لا يحب أكل جيفة أخيه
عقب ذلك بقوله (فكرهتموه)
أى فتحققت كراهتكم له
باستقامة العقل فليتحقق أيضا
ان تكرهوا ما هو نظيره من
الغيبة باستقامة الدين (واتقوا
الله ان الله تواب رحيم) التواب
البليغ فى قبول التوبة والمعنى
اتقوا الله بترك ما أمرتم باجتنابه
والندم على ما وجد منكم منه
فانكم ان اتقيتم تقبل الله توبتكم
وأنعم عليكم بثواب المؤمنين
التائبين وروى ان سلمان كان
يخدم رجلين من الصحابة ويسوى
لهما طعامهما فنام عن شانه
يوما فبعثاه الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يبغى لهما اداما وكان
اسامة على طعام رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ما عندى شئ فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما جاآ الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لهما مالى أرى خضرة اللحم فى افواهكما فقالا ما تناولنا لحما قال انكما قد اغتبتما ومن اغتاب مسلما فقد أكل
لحمه ثم قرأ الآية وقيل غيبة الخلق انما تكون من الغيبة عن الحق (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى) من آدم وحواء
اوكل واحد منكم من أب وأم فما منكم من أحد الا وهو يدلى بمثل ما يدلى به الآخر سواء بسواء فلا معنى للتفاخر والتفاضل
فى النسب

(ولا يغتب بعضكم بعضا) أى لا يتناول بعضكم بعضا بظهر الغيب بما يسوءه مما هو فيه
عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون ما الغيبة قلت الله ورسوله
اعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قلت وان كان فى أخى ما أقول قال ان كان فيه ما تقول فقد
اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته أخرجه مسلم عن عائشة قالت قلت للنبى صلى الله عليه
وسلم حسبك من صفية كذا وكذا قال بعض الرواة تعنى قصيرة فقال لقد قلت كلمة لو
مزجت بماء البحر لمزجته قالت وحكيت له انسانا فقال ما أحب أنى حكيت انسانا وان
لى كذا وكذا أخرجه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح قوله لمزجته أى
خالطته مخالطة يتغير بها طعمه وريحه لشدة نتنها وقبحها وهذا الحديث من أبلغ الزواجر
عن الغيبة قوله تعالى (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) قال مجاهد
لما قيل أيحب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا قالوا لا قيل فكرهتموه أى كما كرهتم هذا
فاجتنبوا ذكره بسوء غائبا قيل تأويله ان ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة أكل لحمه
وهو ميت لانه لا يحس بذلك وفيه اشارة الى ان عرض الانسان كلحمه ودمه لان
الانسان يتألم قلبه اذا ذكر بسوء كما يتألم جسده اذا قطع لحمه والعرض أشرف من اللحم
فاذا لم يحسن من العاقل أكل لحم الناس فترك أعراضهم أولى وقوله لحم أخيه آكد فى
المنع لان العدو قد يحمله الغضب على أكل لحم عدوه وقوله ميتا أبلغ فى الزجر * عن أنس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بى مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون
وجوههم ولحومهم وفى نسخة وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين
يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم أخرجه أبو داود وقال ميمون بن سياه بينما
أنا نائم اذا بجيفة زنجى وقائل يقول كل يا عبد الله قلت وما آكل قال كل بما اغتبت
عبد فلان قلت والله ما ذكرت فيه خيرا ولا شرا قال ولكنك استمعت ورضيت فكان
ميمون لا يغتاب أحدا ولا يدع أحدا يغتاب أحدا عنده قوله تعالى (واتقوا الله) أى فى
أمر الغيبة واجتناب نواهيه (ان الله تواب رحيم) قوله عز وجل (يا أيها الناس انا
خلقناكم من ذكر وأنثى) قال ابن عباس نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وقوله فى
الرجل الذى لم يفسح له ابن فلانة فقال النبى صلى الله عليه وسلم من الذاكر فلانة قال
ثابت أنا يا رسول الله قال انظر فى وجوه القوم فنظر فقال ما رأيت يا ثابت قال رأيت

أبيض وأحمر واسود قال فانك لا تفضلهم الا بالدين والتقوى فنزلت فى ثابت هذه الآية
ونزل فى الذى لم يفسح له يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا
الآية وقيل لما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا حتى علا على ظهر
الكعبة وأذن فقال عتاب بن أسيد بن العيص الحمد لله الذى قبض أبى ولم ير هذا اليوم
وقال الحرث بن هشام اما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا وقال سهل بن عمرو ان
يكره الله شيأ يغيره وقال أبو سفيان انى لا أقول شيأ أخاف ان يخبره رب السماء فنزل
جبريل فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قالوا وسألهم عما قالوا فاقروا فانزل الله
هذه الآية وزجرهم عن التفاخر بالانساب والتكاثر بالاموال والازراء بالفقراء فقال
يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى يعنى آدم وحواء والمعنى انكم متساوون فى
النسب فلا تفاخر ابعض على بعض لكونكم ابناء رجل واحد وامرأة واحدة وقيل
يحتمل ان يكون المعنى انا خلقنا كل واحد منكم أيها الموجودون من أب وأم فان كل
واحد منكم خلق كما خلق الآخر سواء فلا وجه للتفاخر والتفاضل فى النسب
(وجعلناكم شعوبا) جمع شعب بفتح الشين وهى رؤس القبائل مثل ربيعة ومضر
والاوس والخزرج سموا شعوبا لتشعب القبائل منهم وقيل لتجمعهم (وقبائل) جمع قبيلة
وهى دون الشعوب كبكر من ربيعة وتميم من مضر ودون القبائل العمائر واحدتها
عمارة بفتح العين وهم كشيبان من بكر ودارم من تميم ودون العمائر البطون واحدتها
بطن وهم كبنى غالب ولؤى من قريش ودون البطون الافخاذ واحدتها فخذ وهم كبنى
هاشم وبنى أمية من لؤى ودون الافخاذ الفصائل واحدتها فصيلة بالصاد المهملة كبنى
العباس من بنى هاشم ثم بعد ذلك العشائر واحدتها عشيرة وليس بعد العشيرة شئ يوصف
وقيل الشعوب للعجم والقبائل للعرب والاسباط من بنى اسرائيل وقيل الشعوب الذين
لا ينسبون الى أحد بل ينسبون الى المدائن والقرى والقبائل العرب الذين ينسبون
الى آبائهم (لتعارفوا) أى ليعرف بعضكم بعضا فى قرب النسب وبعده لا للتفاخر بالانساب
ثم بين الخصلة التى بها يفضل الانسان على غيره ويكتسب بها الشرف عند الله تعالى فقال
(ان أكرمكم عند الله أتقاكم) قيل أكرم الكرم التقوى وألأم اللؤم الفجور
وقال ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى عن سمرة بن جندب قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسب المال والكرم التقوى أخرجه الترمذى وقال
حديث حسن غريب (ق) عن أبى هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
أى الناس أكرم قال أكرمهم عند الله اتقاهم قالوا ليس عن هذا نسألك قال فاكرم الناس
يوسف نبى الله ابن نبى الله ابن نبى الله ابن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسألك قال فعن
معادن العرب تسألون قالوا نعم قال فخيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا
فقهوا بضم القاف على المشهور وحكى كسرها ومعناه اذا تعلموا أحكام الشرع

(وجعلناكم شعوبا وقبائل) الشعب الطبقة الاولى من الطبقات الست التى عليها العرب وهى الشعب والقبيلة والعمارة
والبطن والفخذ والفصيلة فالشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع
الافخاذ والفخذ تجمع الفصائل
خزيمة شعب وكنانة قبيلة
وقريش عمارة وقصى بطن
وهاشم فخذ والعباس فصيلة
وسميت الشعوب لان القبائل
تشعبت منها (لتعارفوا) أى
انما رتبكم على شعوب وقبائل
ليعرف بعضكم نسب بعض
فلا يعتزى الى غير آبائه لا أن
تتفاخروا بالآباء والاجداد
وتدعوا التفاضل فى الانساب
ثم بين الخصلة التى يفضل بها
الانسان غيره ويكتسب الشرف
والكرم عند الله فقال (ان أكرمكم
عند الله أتقاكم) فى الحديث
من سره ان يكون أكرم الناس
فليتق الله وعن ابن عباس رضى
الله عنهما كرم الدنيا الغنى
وكرم الآخرة التقوى وروى
انه صلى الله عليه وسلم طاف يوم
فتح مكة فحمد الله واثنى عليه ثم
قال الحمد لله الذى أذهب عنكم
عبية الجاهلية وتكبرها يا أيها
الناس انما الناس رجلان مؤمن
تقى كريم على الله وفاجر شقى
هين على الله ثم قرأ الآية وعن
يزيد بن شجرة مر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى سوق
المدينة فرأى غلاما اسود يقول
من اشترانى فعلى شرط أن لا يمنعنى
من الصلوات الخمس خلف
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتراه بعضهم فرض فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم توفى فحضر
دفنه فقالوا فى ذلك شيأ فنزلت

عن

(ان الله عليم) بكرم القلوب وتقواها (خبير) بهمم النفوس في هواها (قالت الاعراب) أي بعض الاعراب لان من الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر وهم اعراب بني أسد قدموا المدينة في سنة جدبة فاظهروا الشهادة يريدون الصدقة ويمنون عليه (آمنا) أي ظاهرا وباطنا (قل) لهم يا محمد (لم تؤمنوا) لم تصدقوا بقلوبكم (ولكن قولوا أسلمنا) فالايمان هو التصديق والاسلام الدخول في السلم والخروج من أن يكون حربا للمؤمنين باظهار الشهادتين الاترى الى قوله (ولما يدخل الايمان في قلوبكم) فأعلم ان ما يكون من الاقرار باللسان من غير مواطأة القلب فهو اسلام وما واطأ فيه القلب اللسان فهو ايمان وهذا من حيث اللغة وأما في الشرع فالايمان والاسلام واحد لما عرف وفي لما معنى التوقع وقد دل على ان بعض هؤلاء قد آمنوا فيما بعد والآية تنقض على الكرامية مذهبهم ان الايمان لا يكون بالقلب ولكن باللسان فان قلت مقتضى نظم الكلام أن يقال قل لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا أو قل لم تؤمنوا ولكن اسلمتم قلت أفاد هذا النظم تكذيب دعواهم أولا فقيل لم تؤمنوا مع ادب حسن فلم يقل كذبتم تصريحا ووضع لم تؤمنوا الذي هو نفي ما ادعوا اثباته موضعه واستغنى بقوله لم تؤمنوا عن ان يقال لا تقولوا آمنا لاستهجان أن يخاطبوا بلفظ مؤداه النهي عن القول بالايمان ولم يقل ولكن أسلمتم ليكون خارجا مخرج الزعم والدعوى كما كان قولهم آمنا كذلك ولو قيل ولكن اسلمتم لكان كالتسليم والاعتداد بقولهم وهو غير معتد به وليس قوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم تكريرا لمعنى قوله لم تؤمنوا فان فائدة قوله لم تؤمنوا تكذيب لدعواهم وقوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم توقيت لما أمروا به ان يقولوه كأنه قيل لهم ولكن قولوا أسلمنا حين لم تثبت مواطأة قلوبكم لألسنتكم لانه كلام واقع موقع الحال من الضمير في قولوا

عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم طاف يوم الفتح على راحلته يستلم الاركان بمحجنه فلما خرج لم يجد مناخا فنزل على أيدي الرجال ثم قام فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه وقال الحمد لله الذي أذهب عنكم عبية الجاهلية وتكبرها يا أيها الناس ان الناس رجلان برتقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ثم تلا يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ثم قال أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم والمحجن عصا محنية الرأس كالصولجان وقوله عبية الجاهلية يعني كبرها وفخرها (ان الله عليم) أي بظواهركم ويعلم انسابكم (خبير) أي ببواطنكم لا تخفى عليه أسراركم فاجعلوا التقوى زادكم الى معادكم قيل التقي هو العالم بالله المواظب على الوقوف ببابه المتقرب الى جنابه وقيل حد التقوى ان يجتنب العبد المناهي ويأتي بالاوامر والفضائل ولا يغتر ولا يأمن فان اتفق أن يرتكب منهيا لا يأمن ولا يتكل بل يتبعه بحسنة ويظهر عليه توبة وندامة ومن ارتكب منهيا ولم يتب في الحال واتكل على المهلة وغره طول الامل فليس بمتق لان المتقي لم يترك ما أمر به ويترك ما نهي عنه وهو مع ذلك خاش لله خائف منه لا يشتغل بغير الله تعالى فان التفت لحظة الى نفسه وأهله وولده جعل ذلك ذنبه واستغفر منه وجدد له توبة جعلنا الله واياكم من المتقين قوله تعالى (قالت الاعراب آمنا) الآية نزلت في نفر من بني أسد بن خزيمة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة مجدبة فاظهروا الاسلام ولم يكونوا مؤمنين في السر فافسدوا طرق المدينة بالقذرات وأغلوا أسعارها وكانوا يغدون ويروحون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون أتتك العرب بأنفسها على ظهور رواحلها وجئناك بالاثقال والعيال والذراري ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان يمنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ويريدون الصدقة ويقولون أعطنا فانزل الله فيهم هذه الآية وقيل نزلت في الاعراب الذين ذكرهم الله في سورة الفتح وهم جهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار كانوا يقولون آمنا ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم فلما استنفروا للحديبية تخلفوا عنها فانزل الله عز وجل قالت الاعراب آمنا أي صدقنا (قل لم تؤمنوا) أي لم تصدقوا بقلوبكم (ولكن قولوا أسلمنا) أي استسلمنا وانقدنا مخافة القتل والسبي (ولما يدخل الايمان في قلوبكم) اخبر أن حقيقة الايمان هو التصديق بالقلب وان الاقرار باللسان واظهار شرائعه بالابدان لا يكون ايمانا دون التصديق بالقلب والاخلاص (ق) عن سعد بن أبي وقاص قال أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطا وأنا جالس فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا منهم هو أعجبهم الي فقلت مالك عن فلان والله اني لاراه مؤمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مسلما ذكر ذلك

(وان تطيعوا الله ورسوله) في السر بترك النفاق (لا يلتكم) لا يألتكم بصرى (من أعمالكم شيأ) أي لا ينقصكم من ثواب حسناتكم شيأ ألت يألت وألات يليت ولات يليت بمعنى وهو النقص (ان الله غفور) يستر الذنوب (رحيم) بهدايتهم للتوبة عن العيوب ثم وصف المؤمنين المخلصين فقال (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) ارتاب مطاوع رابه اذا أوقعه في الشك مع التهمة والمعنى انهم آمنوا ثم لم يقع في نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا اتهام لمن صدقوه ولما كان الايقان وزوال الريب ملاك الايمان افرد بالذكر بعد تقدم الايمان تنبيها على مكانه وعطف على الايمان بكلمة التراخي اشعارا باستقراره في الازمنة المتراخية المتطاولة غضا جديدا (وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله) يجوز ان يكون المجاهد منويا وهو العدو المحارب أو الشيطان أو الهوى وان يكون جاهد مبالغة في جهد ويجوز ان يراد بالمجاهدة بالنفس الغزو وان يتناول العبادات باجمعها وبالمجاهدة بالمال نحو صنيع عثمان في جيش العسرة وأن يتناول الزكاة وكل ما يتعلق بالمال من أعمال البر وخبر المبتدا الذي هو والمؤمنون (أولئك هم الصادقون) أي الذين صدقوا في قولهم آمنا ولم يكذبوا كما كذب أعراب بني أسد او هم الذين ايمانهم ايمان صدق وحق وقوله الذين آمنوا صفة لهم ولما نزلت هذه الآية جاؤا وحلفوا انهم مخلصون فنزل (قل أتعلمون الله بدينكم) اي أتخبرونه بتصديق قلوبكم (والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شئ عليم) من النفاق والاخلاص وغير ذلك (يمنون عليك أن) أي بأن (اسلموا) يعني باسلامهم والمن ذكر الايادي تعريضا انه لاشكر (قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم) اى المنة لله عليكم (أن هداكم) بان هداكم أو لأن (للايمان ان كنتم صادقين) ان صح زعمكم وصدقت دعواكم الا انكم تزعمون وتدعون ما الله عليم بخلافه وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره ان كنتم صادقين في ادعائكم الايمان بالله فلله المنة عليكم وقرئ ان هداكم (ان الله يعلم غيب السموات والارض

سعد ثلاثا وأجابه بمثل ذلك ثم قال اني لاعطي الرجل وغيره أحب الي منه خشية أن يكب في النار على وجهه زاد في رواية قال الزهري فنرى ان الاسلام الكلمة والايمان العمل الصالح لفظ الحميدي اعلم ان الاسلام هو الدخول في السلم وهو الانقياد والطاعة فمن الاسلام ما هو طاعة على الحقيقة باللسان والابدان والجنان لقوله لابراهيم عليه السلام أسلم قال أسلمت لرب العالمين ومنه ما هو انقياد باللسان دون القلب وذلك قوله ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وقيل الايمان هو التصديق بالقلب مع الثقة وطمأنينة النفس عليه والاسلام هو الدخول في السلم والخروج من أن يكون حربا للمسلمين مع اظهار الشهادتين فان قلت المؤمن والمسلم واحد عند أهل السنة فكيف يفهم ذلك مع هذا القول قلت بين العام والخاص فرق فالايمان لا يحصل الا بالقلب والانقياد قد يحصل بالقلب وقد يحصل باللسان فالاسلام أعم والايمان أخص لكن العام في صورة الخاص متحد مع الخاص ولا يكون أمرا غيره فالعام والخاص مختلفان في العموم والخصوص متحدان في الوجود فذلك المؤمن والمسلم وقوله تعالى (وان تطيعوا الله ورسوله) أي ظاهرا وباطنا سرا وعلانية وقال ابن عباس تخلصوا الايمان (لا يلتكم) أي لا ينقصكم (من أعمالكم شيأ) أي من ثواب أعمالكم (ان الله غفور رحيم) ثم بين حقيقة الايمان فقال تعالى (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) أي لم يشكوا في دينهم (وجاهدوا باموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) أي في ايمانهم ولما نزلت هاتان الآيتان أتت الاعراب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلفون بالله انهم مؤمنون صادقون وعرف الله منهم غير ذلك فانزل الله عز وجل (قل أتعلمون الله بدينكم) أي تخبرون الله بدينكم الذي أنتم عليه (والله يعلم ما في السموات وما في الارض) أي لا تخفى عليه خافية (والله بكل شئ عليم) أي لا يحتاج الى اخباركم (يمنون عليك أن اسلموا) هو قولهم أسلمنا ولم نحاربك يمنون بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبين بذلك ان اسلامهم لم يكن خالصا (قل لا تمنوا على اسلامكم) أي لا تعتدوا على باسلامكم (بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان) أي لله المنة عليكم أن أرشدكم وامدكم بتوفيقه حيث هداكم للايمان على ما زعمتم وادعيتم وهو قوله تعالى (ان كنتم صادقين) أي أنكم مؤمنون (ان الله يعلم غيب السموات والارض) أي

والله بصير بما تعملون) وبالياء مكي وهذا بيان لكونهم غير صادقين في دعواهم يعني أنه تعالى يعلم كل مستتر في العالم ويبصر كل عمل تعملونه في سركم وعلانيتكم لا يخفى عليه منه شيء فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم وهو علام الغيوب *(سورة ق مكية وهي خمس وأربعون آية) *(بسم الله الرحمن الرحيم) الكلام في (ق والقرآن المجيد بل عجبوا) كالكلام في ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا سواء بسواء لالتقائهما في أسلوب واحد والمجيد ذو المجد والشرف على غيره من الكتب ومن أحاط علما بمعانيه وعمل بما فيه مجد عند الله وعند الناس وقوله ٢٢٧ بل عجبوا أي كفار مكة (أن جاءهم منذر منهم) أي محمد صلى الله عليه وسلم انكار لتعجبهم مما ليس بعجيب وهو أن ينذرهم بالمخوف رجل منهم قد عرفوا عدالته وأمانته ومن كان كذلك لم يكن الا ناصحا لقومه خائفا أن ينالهم مكروه واذا علم ان مخوفا أظلهم لزمه ان ينذرهم فكيف بما هو غاية المخاوف وانكار لتعجبهم مما أنذرهم به من البعث مع علمهم بقدرة الله تعالى على خلق السموات والارض وما بينهما وعلى اختراع كل شيء واقرارهم بالنشأة الأولى مع شهادة العقل بانه لابد من الجزاء ثم عول على أحد الانكارين بقوله (فقال الكافرون هذا شيء عجيب أئذا متنا وكنا ترابا) دلالة على أن تعجبهم من البعث ادخل في الاستبعاد وأحق بالانكار ووضع الكافرون موضع الضمير للشهادة على انهم في قولهم هذا مقدمون على الكفر العظيم وهذا اشارة الى الرجع واذا منصوب بمضمر معناه احين نموت ونبلى نرجع متنا نافع وحمزة وعلي وحفص (ذلك رجع بعيد) مستبعد مستنكر كقولك هذا قول بعيد أي بعيد من الوهم والعادة ويجوز أن يكون الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب ويكون من كلام الله تعالى استبعادا لانكارهم ما انذروا به من البعث والوقف على ترابا على هذا حسن وناصب الظرف اذا كان الرجع بمعنى المرجوع ما دل عليه المنذر من المنذر به وهو البعث (قد علمنا ما تنقص الارض منهم) رد لاستبعادهم الرجع لان من لطف علمه حتى علم ما تنقص الارض من أجساد الموتى وتأكله من لحومهم وعظامهم كان قادرا على رجعهم أحياء كما كانوا (وعندنا كتاب حفيظ) محفوظ من الشياطين ومن التغيير وهو اللوح المحفوظ أو حافظ لما أودعه وكتب فيه (بل كذبوا بالحق

انه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء في السموات والارض فكيف يخفى عليه حالكم بل يعلم سركم وعلانيتكم (والله بصير بما تعملون) أي بجوارحكم الظاهرة والباطنة والله سبحانه وتعالى أعلم

(تفسير سورة ق)

وهي مكية وهي خمس وأربعون آية وثلثمائة وسبع وخمسون كلمة وألف وأربعمائة وأربعة وتسعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (ق) قال ابن عباس هو قسم وقيل هو اسم للسورة وقيل اسم من أسماء الله وقيل اسم من أسماء القرآن وقيل هو مفتاح اسمه القدير والقادر والقاهر والقريب والقابض والقدوس والقيوم وقيل معناه قضي الامر أو قضي ما هو كائن وقيل هو جبل محيط بالارض من زمردة خضراء متصلة عروقه بالصخرة التي عليها الارض والسماء كهيئة القبة وعليه كنفاها وخضرة السماء منه والعالم داخله ولا يعلم ما وراءه الا الله تعالى ويقال هو من وراء الحجاب الذي تغيب الشمس من ورائه بمسيرة سنة (والقرآن المجيد) أي الشريف الكريم على الله الكثير الخير والبركة واختلفوا في جواب القسم قيل جوابه محذوف تقديره لتبعثن وقيل جوابه بل عجبوا وقيل ما يلفظ من قول وقيل قد علمنا ومعنى (بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم) انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو أن يخوفهم رجل منهم قد عرفوا وساطته فيهم وعدالته وأمانته وصدقه (فقال الكافرون هذا شيء عجيب) أي معجب غريب (أئذا متنا وكنا ترابا) أي أحين نموت ونبلى نبعث وترك ذكر البعث لدلالة الكلام عليه (ذلك رجع بعيد) أي يبعد أن نبعث بعد الموت قال الله تعالى (قد علمنا ما تنقص الارض منهم) أي ما تأكل الارض من لحومهم ودمائهم وعظامهم لا يعزب عن علمنا شيء (وعندنا) أي مع علمنا بذلك (كتاب حفيظ) بمعنى محفوظ أي من التبديل والتغيير وقيل حفيظ بمعنى حافظ أي حافظ لعددهم وأسمائهم ولما تنقص الارض منهم وهو اللوح المحفوظ وقد أثبت فيه ما يكون (بل كذبوا بالحق)

لماجاءهـم) اضراب اتبع الاضراب الاول للدلالة على انهـم جاؤا بما هو أفظع من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذى هو النبوة الثابتـة بالمعجزات فى اول وهـلة من غـير تفـكر ولا تدبر (فهـم فى أمر مريج) مضطرب يقال مرج الخاتم فى الاصبع اذا اضطرب من سعته فيقولون تارة شاعر وطورا ساحر ومرة كاهن لا يثبتون على شئ واحد وقيل الحق القرآن وقيـل الاخبار بالبعث ثم دلهم على قدرته على البعث فقال (أفلم ينظروا) حين كفروا بالبعث (الى السماء فوقهم) الى آثار قدرة الله تعالى فى خلق العالم (كيف بنيناها) رفعناها بغـير عمد (وزيناها) بالنـيرات (ومالها من فروج) من فتوق وشـقوق أى انها سليمة من العيوب لا فتق فيها ولا صـدع ولا خلل ٢٢٨ (والارض مددناها) دحوناها (والقينا فيها رواسى) جبالا ثوابت لولا هى لمالت (وأنبتنا فيها من كل زوج) صنف (بهيج) يبتهج به لحسنه (تبصرة وذكرى) لنبصر به ونذكر (لكل عبـد منيب) راجع الى ربه مفكر فى بدائع خلقـه (ونزلنا من السماء ماء مباركا) كثير المنافع (فأنبتنا به جنات وحب الحصيد) أى وحب الزرع الذى من شأنه ان يحصد كالحنطة والشعير وغيرهـما (والنخل باسقات) طوالا فى السماء (لها طلع) هو كل ما يطلـع من ثمر النخيل (نضيد) منضود بعضه فوق بعض لكثرة الطلع وتراكمـه أو لكثرة ما فيه من الثمر (رزقا للعباد) أى انبتناها رزقا للعباد لان الانبات فى معنى الرزق فيكون رزقا مصـدرا من غـير لفظه او هو مفعول له اى انبتناها لرزقهم (وأحيينا به) بذلك الماء (بلـدة ميتا) قد جف نباتها (كذلك الخروج) أى كما حييت هذه البلدة الميتة كذلك تخرجون احياء بعد موتكم لان احياء الموات كاحياء الاموات

والكاف فى محـل الرفع على الابتـداء (كذبت قبلهم) قبـل قريش (قوم نوح وأصحاب الرس) هو بئر لم تطووهم قوم باليمامة وقيل أصحاب الاخدود (وثمود وعاد وفرعون) أراد بفرعون قومه كقوله من فرعون وملئهم لان المعطوف عليـه قوم نوح والمعطوفات جماعات (واخوان لوط وأصحاب الأيكة) سماهم اخوانه لان بينهـم وبينه نسبا قريبا (وقوم تبع) هو ملك باليمن اسلم ودعا قومه الى الاسـلام فـكذبوه وسمى به لكثرة تبعه (كل) أى كل واحد منهم (كذب الرسـل) لان من كذب رسولا واحدا فقد كذب جميعهم (فحق وعيد) فوجب وحل وعيدى وفيه تسلية لرسول الله صـلى الله عليه وسلم وتهديد لهم

أى بالقرآن (لما جاءهم) قيـل معناه كذبوا به لما جاءهم وقيل كذبوا المنـذر لما جاءهم (فهـم فى أمر مريج) أى مختلط ملتبس قيـل معنى اختلاط أمرهم قولهم للنبى صـلى الله عليه وسلم مرة شاعر ومرة ساحر ومرة معلم مجنون ويقولون فى القرآن مرة سحر ومرة رجز ومرة مفترى فكان أمرهم مختلطا ملتبسا عليهم وقيل فى هـذه الآية من ترك الحق مرج عليه أمره والتبس عليه دينه وقيـل ما ترك قوم الحق الا مرج عليهم أمرهم ثم دلهم على عظـيم قدرته فقال تعـالى (أفلم ينظروا الى السماء فوقهـم كيف بنيناها) أى بغـير عمد (وزيناها) أى بالكواكب (ومالها من فروج) أى شقوق وصـدوع (والارض مددناها) أى بسطناها على وجه الماء (وألقينا فيها رواسى) أى جبالا ثوابت (وأنبتنا فيهـا من كل زوج بهيج) أى من كل صنف حسن كريم يبتهج به أى يسر به (تبصرة) أى جعلنـا ذلك تبصرة (وذكرى) أى تذكرة (لكل عبـد منيب) أى راجع الى الله تعالى والمعنى ليتبصر ويتذكر به من أناب (ونزلنا من السمـاء ماء مباركا) أى كثير الخـير والبركة فيـه حياة كل شئ وهو المطر (فانبتنا به) أى بذلك الماء (جنـات) أى بساتين (وحب الحصـيد) يعـنى البر والشعير وسائر الحبوب التى تحصد (والنخل باسقات) أى طوالا وقيل مستويات (لها طلع) أى ثمر يطلع ويظهر ويسمى طلعا قبل أن يتشقق (نضيد) أى متراكب بعضـه على بعض فى أكمامه فاذا تشقق وخرج من أكمامـه فليس بنضـيد (رزقا) أى جعلنا ذلك رزقا (للعباد وأحيينا به) أى بالمطر (بلدة ميتا) فانبتنا فيها الكلأ والعشب (كذلك الخروج) أى من القبور أحياء بعـد الموت قوله تعـالى (كذبت قبلهـم قوم نوح وأصحـاب الرس وثمود وعاد وفـرعون واخوان لوط وأصحاب الايكة) قيـل كان لوط مرسلا ٣ الى طائفة من قوم ابراهـيم ولذلك قال واخوان لوط (وقوم تبـع) هو أبو كرب أسعد تبـع الحميرى وقد تقـدم قصص جميعهم قيـل ذم الله عز وجـل قوم تبـع ولم يذمه وذم فرعون لانه هو المكذب المستخف لقومـه فلهـذا خص بالذكر دونهـم (كل كذب الرسل فحق وعيد) أى كل هؤلاء المذكورين كذبوا رسلهـم فحق وعيدى

٣ قوله الى طائفة من قوم ابراهيم كذا بالاصول ولعل الظاهر الى طائفة من قومه بدليل تعليله وعبارة النسفى بالهامش واضحة اه

(أفعيينا) عيي بالامر اذلم يهتد لوجه عمله والهمزة للانكار (بالخلق الاول) أي انالم نعجز عن الخلق الاول فكيف نعجز عن
الثاني والاعتراف بذلك اعتراف بالاعادة (بل هم في لبس) في خلط وشبهة قد لبس عليهم الشيطان وحيرهم وذلك تسويله
اليهم ان احياء الموتى أمر خارج عن العادة فتركوا لذلك الاستدلال الصحيح وهو أن من قدر على الانشاء كان على الاعادة
اقدر (من خلق جديد) بعد الموت وانما نكر الخلق الجديد ليدل على عظمة شأنه وان حق من سمع به ان يخاف ويهتم به
(ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه) الوسوسة الصوت الخفي ووسوسة النفس مايخطر ببال الانسان ويهجس في
ضميره من حديث النفس والباء مثلها في قوله صوت بكذا (ونحن أقرب اليه)

المراد قرب علمه منه (من حبل
الوريد) هو مثل في فرط القرب
والوريد عرق في باطن العنق
والحبل العرق والاضافة للبيان
كقولهم بعير سانية (اذ يتلقى
المتلقيان) يعني الملكين الحافظين
(عن اليمين وعن الشمال قعيد)
التلقي التلقن بالحفظ والكتابة
والقعيد المقاعد كالجليس بمعنى
المجالس وتقديره عن اليمين قعيد
وعن الشمال قعيد من المتلقين
فترك أحدهما لدلالة الثاني
عليه كقوله

رماني بامر كنت منه ووالدي
بريئا ومن أجل الطوى رماني

أي رماني بامر كنت منه بريئا
وكان والدي منه بريئا واذ
منصوب باقرب لما فيه من
معنى وما يقرب ٣ والمعنى انه
لطيف يتوصل علمه الى خطرات
النفس ولا شئ أخفى منه وهو
أقرب من الانسان من كل
قريب حين يتلقى الحفيظان
مايتلفظ به ايذانا بان استحفاظ
الملكين أمر هو غني عنه وكيف
لا يستغني عنه وهو مطلع على اخفى الخفيات وانما ذلك لحكمة وهي مافي كتبة الملكين وحفظهما وعرض صحائف العمل
يوم القيامة من زيادة لطف له في الانتهاء عن السيآت والرغبة في الحسنات (مايلفظ من قول) مايتكلم به ومايرمي به من فيه
(الالديه رقيب) حافظ (عتيد) حاضر ثم قيل يكتبان كل شئ حتى انينه في مرضه وقيل لايكتبان الا مافيه أجر او وزر وقيل
ان الملكين لايجتنبانه الا عند الغائط والجماع لما ذكر انكارهم البعث واحتج عليهم بقدرته وعلمه اعلمهم ان ما انكروه هم
لاقوه عن قريب عند موتهم وعند قيام الساعة ونبه على اقتراب ذلك بأن عبر عنه بلفظ الماضي وهو قوله (وجاءت سكرة
الموت) أي شدته الذاهبة بالعقل ملتبسة (بالحق) أي بحقيقة الامر او بالحكمة

وعيدي أي وجب لهم عذابي وقيل تحق وعيدي للرسل بالنصر (افعيينا بالخلق الاول)
هذا جواب لقولهم ذلك رجع بعيد والمعنى أعجزنا حين خلقناهم أولا فنعيا بالاعادة ثانيا
وذلك لانهم اعترفوا بالخلق الاول وانكروا البعث (بل هم في لبس) أي شك (من
خلق جديد) وهو البعث قوله عزوجل (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه)
أي مايحدث به قلبه فلا تخفى علينا سرائره وضمائره (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد)
بيان لكمال علمه أي نحن اعلم به منه والوريد العرق الذي يجري فيه الدم ويصل الى كل
جزء من أجزاء البدن وهو بين الحلقوم والعلباوين ومعنى الآية ان أجزاء الانسان
وابعاضه يحجب بعضها بعضا ولا يحجب عن علم الله شئ وقيل يحتمل ان يكون المعنى
ونحن أقرب اليه بنفوذ قدرتنا فيه ويجري فيه أمرنا كما يجري الدم في عروقه (اذ يتلقى
المتلقيان) أي يتلقن الملكان الموكلان به وبعمله ومنطقه فيكتبانه ويحفظانه عليه (عن
اليمين وعن الشمال) يعني ان أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله فصاحب اليمين يكتب
الحسنات وصاحب الشمال يكتب السيآت (قعيد) أي قاعد وكل واحد منهما قعيد
فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر وقيل أراد بالقعيد الملازم الذي لايبرح (مايلفظ من
قول) أي مايتكلم من كلام يخرج من فيه (الالديه رقيب) أي حافظ (عتيد) أي
حاضر أينما كان سوى وقت الغائط وعند جماعه فانهما يتأخران عنه فلا يجوز للانسان
ان يتكلم في هاتين الحالتين حتى لا يؤذي الملائكة بدنوهما منه وهو على تلك الحالة
حتى يكتبا مايتكلم به قيل انهما يكتبان عليه كل شئ يتكلم به حتى انينه في مرضه
وقيل لايكتبان الا ماله أجر وثواب أو عليه وزر وعقاب وقيل ان مجلسهما تحت الشعر
على الحنك وكان الحسن البصري يعجبه أن ينظف عنفقته روى البغوي باسناد الثعلبي
عن أبي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات أمين على كاتب
السيآت فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين
لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر قوله تعالى (وجاءت سكرة
الموت) أي غمرته وشدته التي تغشى الانسان وتغلب على عقله (بالحق) أي بحقيقة
الموت وقيل بالحق من أمر الآخرة حتى يتبينه الانسان ويراه بالعيان وقيل بما يؤول اليه

(ذلك ما كنت منه) الاشارة الى الموت والخطاب للانسان فى قوله ولقد خلقنا الانسان على طريق الالتفات (تحيد) تنفر
وتهرب (ونفخ فى الصور) يعنى نفخة البعث (ذلك يوم الوعيد) أى وقت ذلك يوم الوعيد على حذف المضاف والاشارة الى
مصدر نفخ (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) أى ملكان أحدهما يسوقه الى المحشر والآخر يشهد عليه بعمله ومحل
معها سائق النصب على الحال من كل لتعرفه بالاضافة الى ما هو فى حكم المعرفة (لقد كنت) أى يقال لها لقد كنت (فى غفلة
من هذا) النازل بك اليوم (فكشفنا عنك غطاءك) أى فازلنا غفلتك بما تشاهده (فبصرك اليوم حديد) جعلت الغفلة
كأنها غطاء غطى بها جسده كله أو غشاوة غطى بها عينيه فهو لا يبصر شيأ فاذا كان يوم القيامة تيقظ وزالت عنه الغفلة
وغطاؤها فيبصر ما لم يبصره من الحق ورجع بصره الكليل عن الابصار لغفلته حديدا لتيقظه (وقال قرينه)
الجمهور على انه الملك الكاتب الشهيد عليه (هذا) أى ديوان عمله * مجاهد شيطانه الذى قيض له فى قوله نقيض له شيطانا فهو له قرين هذا أى الذى وكلت به (ما لدى عتيد) هذا مبتدأ وما نكرة بمعنى شئ والظرف بعده وصف له وكذلك عتيد وما وصفتها خبر هذا والتقدير هذا شئ ثابت لدى عتيد ثم يقول الله تعالى (ألقيا) والخطاب للسائق والشهيد أو للملك وكأن الاصل ألق ألق فناب ألقيا عن ألق ألق لان الفاعل كالجزء من الفعل فكانت تثنية الفاعل نائبة عن تكرار الفعل وقيل أصله ألقين والالف بدل من النون اجراء للوصل مجرى الوقف دليله قراءة الحسن ألقين (فى جهنم كل كفار) بالنعم والمنعم (عنيد) معاند مجانب للحق معاد لاهله (مناع
للخير) كثير المنع للمال عن حقوقه أو مناع لجنس الخير أن يصل الى أهله (معتد) ظالم متخط للحق (مريب) شاك عنه
فى الله وفى دينه (الذى جعل مع الله الها آخر) مبتدأ متضمن معنى الشرط خبره (فالقياه فى العذاب الشديد) أو بدل من كل
كفار وفالقياه تكرير للتوكيد ولا يجوز أن يكون صفة لكفار لان النكرة لا توصف بالموصول (قال قرينه) أى شيطانه الذى
قرن به وهو شاهد لمجاهد وانما اخليت هذه الجملة عن الواو دون الاولى لان الاولى واجب عطفها للدلالة على الجمع بين معناها
ومعنى ما قبلها فى الحصول أعنى مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ما قال له واما هذه فهى مستأنفة كما تستأنف الجمل
الواقعة فى حكاية التقاول كما فى مقاولة موسى وفرعون فكأن الكافر قال رب هو اطغانى فقال قرينه (ربنا ما أطغيته
ولكن كان فى ضلال بعيد) أى ما أوقعته فى الطغيان ولكنه طغى واختار الضلالة على الهدى

أمر الانسان من السعادة والشقاوة (ذلك ما كنت منه تحيد) أى يقال لمن جاءته سكرة
الموت ذلك الذى كنت عنه تميل وقيل تهرب وقال ابن عباس تكره (ونفخ فى الصور)
يعنى نفخة البعث (ذلك يوم الوعيد) أى ذلك اليوم الذى وعد الله الكفار ان يعذبهم فيه
(وجاءت) أى فى ذلك اليوم (كل نفس معها سائق) أى يسوقها الى المحشر (وشهيد) أى
يشهد عليها بما عملت قال ابن عباس السائق من الملائكة والشاهد من أنفسهم الايدى
والارجل فيقول الله تعالى لصاحب تلك النفس (لقد كنت فى غفلة من هذا) أى من
هذا اليوم فى الدنيا (فكشفنا عنك غطاءك) أى الذى كان على قلبك وسمعك وبصرك
فى الدنيا (فبصرك اليوم حديد) أى قوى ثابت نافذ تبصر ما كنت تنكر به فى الدنيا
وقيل ترى ما كان محجوبا عنك وقيل نظرك الى لسان ميزانك حين توزن حسناتك
وسيا تك (وقال قرينه) يعنى الملك الموكل به (هذا ما لدى) أى عندى (عتيد) أى معد
محضر وقيل يقول الملك هذا الذى وكلتنى به من بنى آدم قد أحضرته وأحضرت ديوان
عمله (ألقيا فى جهنم) أى يقول الله تعالى لقرينه وقيل هذا أمر للسائق والشهيد (كل
كفار) أى شديد الكفر (عنيد) أى عاص معرض عن الحق معاند لله فيما أمره به
(مناع للخير) أى للزكاة المفروضة وكل حق وجب عليه فى ماله (معتد) أى ظالم لا يقر
بتوحيد الله (مريب) أى شاك فى التوحيد (الذى جعل مع الله الها آخر فألقياه فى
العذاب الشديد) يعنى النار (قال قرينه) يعنى الشيطان الذى قيض لهذا الكافر
(ربنا ما أطغيته) قيل هذا جواب لكلام مقدر وهو ان الكافر حين يلقى فى النار
يقول ربنا اطغانى شيطانى فيقول الشيطان ربنا ما أطغيته أى ما أضللته وما أغويته
(ولكن كان فى ضلال بعيد) أى عن الحق فيتبرأ منه شيطانه وقال ابن عباس قرينه
يعنى الملك يقول الكافر رب ان الملك زاد على فى الكتابة فيقول الملك ربنا ما أطغيته
أى ما زدت عليه وما كتبت الا ما قال وعمل ولكن كان فى ضلال بعيد أى طويل لا يرجع

عنه الى الحق (قال) الله تعالى (لاتختصموا لدى) أى لاتعتذروا عندى بغير عذر وقيل
هو خصامهم مع قرنائهم (وقد قدمت اليكم بالوعيد) أى بالقرآن وأنذرتكم على ألسن
الرسل وحذرتكم عذابى فى الآخرة لمن كفر (مايبدل القول لدى) أى لاتبديل لقولى
وهو قوله عزوجل لاملأن جهنم وقضيت عليكم ما أنا قاض فلا يغير قولى ولا يبدل وقيل
معناه لايكذب عندى ولا يغير القول عن وجهه لانى علام الغيوب وأعلم كيف ضلوا
وهذا القول هو الاولى يدل عليه انه قال مايبدل القول لدى ولم يقل مايبدل قولى (وما أنا
بظلام للعبيد) أى فأعاقبهم بغير جرم وقيل معناه فأزيد على اساءة المسىء أو أنقص من
احسان المحسن قوله عزوجل (يوم نقول لجهنم هل امتلأت) بيان لما سبق لها من
وعد الله تعالى اياها انه يملؤها من الجنة والناس وهذا السؤال من الله تعالى لتصديق
خبره وتحقيق وعده (وتقول) يعنى جهنم (هل من مزيد) يعنى تقول قد امتلأت ولم
يبق فى موضع لم يمتلئ فهو استفهام انكارى وقيل هو بمعنى الاستزادة وهو رواية عن
ابن عباس فعلى هذا يكون السؤال وهو قوله هل امتلأت قبل دخول جميع أهلها فيها
وروى عن ابن عباس ان الله تعالى سبقت كلمته لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين
فلما سيق أعداء الله اليها لايلقى فيها فوج الاذهب فيها ولا يملؤها شئ فتقول ألست
قد أقسمت لتملأنى فيضع قدمه عليها فيقول هل امتلأت فتقول قط قط قد امتلأت
وليس فىّ مزيد (ق) عن أنس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لاتزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العرش وفى رواية
رب العزة فيها قدمه فينزوى بعضها الى بعض وتقول قط قط بعزتك ولا يزال فى الجنة
فضل حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم فضول الجنة ولابى هريرة نحوه وزاد ولا يظلم الله
من خلقه أحدا

* (فصل) * هذا الحديث من مشاهير أحاديث الصفات وللعلماء فيه وفى أمثاله مذهبان
أحدهما وهو مذهب جمهور السلف وطائفة من المتكلمين انه لايتكلم فى تأويلها بل
نؤمن بأنها حق على ما أراد الله ورسوله ونجريها على ظاهرها ولها معنى يليق بها
وظاهرها غير مراد والمذهب الثانى وهو قول جمهور المتكلمين انها تتأول بحسب ما
يليق بها فعلى هذا اختلفوا فى تأويل هذا الحديث فقيل المراد بالقدم المقدم وهو سائغ
فى اللغة والمعنى حتى يضع الله فيها من قدمه لها من أهل العذاب وقيل المراد به قدم
بعض المخلوقين فيعود الضمير فى قدمه الى ذلك المخلوق المعلوم وقيل انه يحتمل أن فى
المخلوقات من تسمى بهذه التسمية وخلقوا لها قال القاضى عياض أظهر التأويل انهم
قوم استحقوها وخلقوا لها قال المتكلمون ولابد من صرفه عن ظاهره لقيام الدليل
القطعى العقلى على استحالة الجارحة على الله تعالى والله أعلم قوله قط قط أى حسبى
حسبى قد اكتفيت وفيها ثلاث لغات اسكان الطاء وكسرها منونة وغير منونة وقوله
ولا يظلم الله من خلقه أحدا يعنى انه يستحيل الظلم فى حق الله تعالى فمن عذبه بذنب أو بغير
ذنب فذلك عدل منه سبحانه وتعالى قوله تعالى (وأزلفت الجنة) أى قربت وأدنيت

(قال لاتختصموا) هو استئناف
مثل قوله تعالى قال قرينه كأن
قائلا قال فماذا قال الله فقيل قال
لاتختصموا (لدى وقد قدمت
اليكم بالوعيد) أى لاتختصموا
فى دار الجزاء وموقف الحساب
فلا فائدة فى اختصامكم ولا طائل
تحته وقد أوعدتكم بعذابى على
الطغيان فى كتبى وعلى ألسنة
رسلى فما تركت لكم حجة على
والباء فى بالوعيد مزيدة كما فى
قوله ولا تلقوا بأيديكم أو معدية
على ان قدم مطاوع بمعنى
تقدم (مايبدل القول لدى) أى
لاتطمعوا ان أبدل قولى
ووعيدى بادخال الكفار فى
النار (وما أنا بظلام للعبيد) فلا
أعذب عبدا بغير ذنب وقال
بظلام على لفظ المبالغة لانه من
قولك هو ظالم لعبده وظلام
لعبيده (يوم) نصب بظلام أو
بمضمر هو اذكر وأنذر (يقول)
نافع وأبو بكر أى يقول الله
(لجهنم هل امتلأت وتقول هل
من مزيد) وهو مصدر كالمحيد
أى انها تقول بعد امتلائها هل
من مزيد أى هل بقى فى موضع لم
يمتلئ يعنى قد امتلأت أو أنها
تستزيد وفيها موضع للمزيد وهذا
على تحقيق القول من جهنم وهو
غير مستنكر كانطاق الجوارح
والسؤال لتوبيخ الكفرة لعلمه
تعالى بانها امتلأت أم لا
(وأزلفت الجنة

للمتقين غير بعيد) غير نصب على الظرف أي مكانا غير بعيدا وعلى الحال وتذكيره لانه على زنة المصدر كالصليل والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث أو على حذف الموصوف أي شيأ غير بعيد ومعناه التوكيد كما تقول هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل (هذا) مبتدأ وهو اشارة الى الثواب أو الى مصدر أزلفت (ماتوعدون) صفته وبالياء مكي (لكل أوّاب) رجاع الى ذكر الله خبره (حفيظ) حافظ لحدوده في الحديث من حافظ على أربع ركعات في أول النهار كان أوّابا حفيظا (من) مجرور المحل بدل من أوّاب أو رفع بالابتداء وخبره ادخلوها على تقدير يقال لهم ادخلوها بسلام لان من في معنى الجمع (خشي الرحمن) الخشية انزعاج القلب عند ذكر الخطيئة وقرن بالخشية اسمه الدال على سعة الرحمة للثناء البليغ على الخاشي وهو خشيته مع علمه انه الواسع الرحمة كما أثنى عليه بانه خاش مع ان المخشي منه غائب (بالغيب) حال من المفعول أي خشيه وهو غائب أو صفة لمصدر خشي أي خشيه خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب الحسن اذا أغلق الباب وارخى الستر (وجاء بقلب منيب) راجع الى الله وقيل بسريرة مرضية وعقيدة صحيحة (ادخلوها بسلام) أي سالمين من زوال النعم وحلول النقم (ذلك يوم الخلود) أي يوم تقدير الخلود كقوله فادخلوها خالدين أي مقدرين الخلود (لهم مايشاؤن فيها ولدينا مزيد) على مايشتهون والجمهور على أنه رؤية الله تعالى بلا كيف (وكم أهلكنا قبلهم) قبل قومك (من قرن) من القرون الذين كذبوا رسلهم (هم أشد منهم) من قومك (بطشا) قوّة وسطوة (فنقبوا) فخرقوا (في البلاد) وطافوا والتنقيب التنقير عن الامر والبحث والطلب ودخلت الفاء للتسبيب عن قوله هم أشد منهم بطشا أي شدة بطشهم أقدرتهم على التنقيب وقوّتهم عليه ويجوز أن يراد فنقب أهل مكة في اسفارهم ومسايرهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لانفسهم ويدل عليه قراءة من قرأ فنقبوا على الامر (هل من محيص) مهرب من الله او من الموت (ان في ذلك) المذكور (لذكرى) تذكرة وموعظة (لمن كان له قلب) واع لان من لا يعي قلبه فكأنه لا قلب له (او ألقى السمع) أصغى الى المواعظ (وهو شهيد) حاضر بفطنته لان من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب (ولقد خلقنا السموات

(للمتقين) أي الذين اتقوا الشرك (غير بعيد) يعني انها جعلت عن يمين العرش بحيث يراها أهل الموقف قبل ان يدخلوها (هذا ماتوعدون) أي يقال لهم هذا الذي وعدتم به في الدنيا على ألسنة الانبياء (لكل أوّاب) أي رجاع عن المعصية الى الطاعة قال سعيد ابن المسيب هو الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقيل هو الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر منها وقيل هو التواب وقال ابن عباس هو المسبح وقيل هو المصلي (حفيظ) قال ابن عباس الحافظ لامر الله وعنه هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها وقيل حفيظ لما استودعه الله من حقه وقيل هو المحافظ على نفسه المتعهد لها المراقب لها وقيل هو المحافظ على الطاعات والاوامر (من خشي الرحمن بالغيب) أي خاف الرحمن فأطاعه وان لم يره وقيل خافه في الخلوة بحيث لا يراه احد اذا ألقى الستر وأغلق الباب (وجاء بقلب منيب) أي مخلص مقبل على طاعة الله (ادخلوها) أي يقال لاهل هذه الصفة ادخلوا الجنة (بسلام) أي بسلامة من العذاب والهموم وقيل بسلام من الله وملائكته عليهم وقيل بسلامة من زوال النعم (ذلك يوم الخلود) أي في الجنة لانه لاموت فيها (لهم مايشاؤن فيها) وذلك انهم يسألون الله حتى تنتهي مسئلتهم فيعطون ماسألوا ثم يزيد الله عبيده مالم يسألوا مما لم يخطر بقلب بشر وهو قوله تعالى (ولدينا مزيد) وقيل المزيد هو النظر الى وجهه الكريم قيل يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى في كل جمعة في دار كرامته فهذا هو المزيد قوله تعالى (وكم أهلكنا قبلهم) أي قبل كفار مكة (من قرن هم أشد منهم بطشا) يعني سطوة والبطش الاخذ بصولة وعنف (فنقبوا في البلاد) أي ساروا وتقلبوا في البلاد وسلكوا كل طريق (هل من محيص) أي فلم يجدوا لهم محيصا أي مهربا من أمر الله وقيل لايجدون لهم مفرا من الموت بل يموتون فيصيرون الى عذاب الله وفيه تخويف لاهل مكة لانهم على مثل سبيلهم (ان في ذلك لذكرى) أي ان فيما ذكر من اهلاك القرى تذكرة وموعظة (لمن كان له قلب) قال ابن عباس أي عقل وقيل له قلب حاضر مع الله واع عن الله (أو ألقى السمع) أي استمع القرآن واستمع مايقال له لا يحدث نفسه بغيره (وهو شهيد) أي حاضر القلب ليس بغافل ولاساه قوله تعالى (ولقد خلقنا

السموات والارض ومابينهما فى ستة أيام ومامسنامن لغوب) أى اعياء وتعب قال المفسرون نزلت فى اليهود حيث قالوا خلق الله السموات والارض ومابينهما فى ستة أيام أولها الاحد وآخرها الجمعة ثم استراح يوم السبت واستلقى على العرش فلذلك تركوا العمل فيه فأنزل الله تعالى هذه الآية رداعليهم وتكذيبا لهم فى قولهم استراح يوم السبت بقوله تعالى ومامسنامن لغوب قال الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره والظاهر ان المراد الرد على المشركين والاستدلال بخلق السموات والارض ومابينهما فقوله وما مسنامن لغوب أى ماتعبنا بالخلق الاول حتى لانقدر على الاعادة ثانيا كما قال الله تعالى أفعيينا بالخلق الاول الآية وأماماقاله اليهود ونقلوه من التوراة فهو اماتحريف منهم أولم يعلموا تأويله وذلك أن الاحد والاثنين أزمنة مستمرة بعضها بعد بعض فلو كان خلق السموات والارض ابتدئ يوم الاحد لكان الزمان قبل الاجسام والزمان لاينفك عن الاجسام فيكون قبل خلق الاجسام أجسام لان اليوم عبارة عن زمان سير الشمس من الطلوع الى الغروب وقبل خلق السموات والارض لم يكن شمس ولاقمر لكن اليوم قد يطلق ويراد به الوقت والحين وقد يعبر به عن مدة الزمان أى مدة كانت قوله عزوجل (فاصبر على مايقولون) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أى اصبر يامحمد على مايقولون أى من كذبهم فان الله لهم بالمرصاد وهذا قبل الامر بقتالهم (وسبح بحمد ربك) أى صل حامدالله (قبل طلوع الشمس) أى صلاة الصبح (وقبل الغروب) يعنى صلاة المغرب قال ابن عباس صلاة الظهر والعصر (ومن الليل فسبحه) يعنى صلاة المغرب والعشاء وقيل يعنى صلاة الليل أى وقت صلى (وأدبار السجود) قال عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وغيرهما ادبار السجود الركعتان بعد المغرب وادبار النجوم الركعتان قبل صلاة الفجر وهى رواية عن ابن عباس ويروى مرفوعا عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم على شئ من النوافل أشد تعاهدا منه على ركعتى الفجر (م) عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ركعتا الفجر خير من الدنيا ومافيها يعنى بذلك سنة الفجر عن ابن مسعود قال ما أحصى ماسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الركعتين بعد المغرب والركعتين قبل صلاة الفجر بقل ياأيها الكافرون وقل هو الله أحد أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقيل فى قوله وأدبار السجود التسبيح باللسان فى أدبار الصلوات المكتوبات (خ) عن ابن عباس قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسبح فى أدبار الصلوات كلها يعنى قوله وأدبار السجود (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبح الله فى دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين فذلك تسعة وتسعون ثم قال تمام المائة لااله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير غفرت ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر (خ) عنه ان فقراء المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات والنعيم المقيم فقال وماذاك قالوا اصلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا وأنفقوا من فضول أموالهم وليست لنا

السموات والارض ومابينهما فى ستة أيام ومامسنامن لغوب) اعياء قيل نزلت فى اليهود لعنت تكذيبا لقولهم خلق الله السموات والارض فى ستة أيام أولها الاحد وآخرها الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش وقالوا ان الذى وقع من التشبيه فى هذه الامة انما وقع من اليهود ومنهم أخذ وأنكر اليهود التربيع فى الجلوس وزعموا انه جلس تلك الجلسة يوم السبت (فاصبر على مايقولون) أى على مايقول اليهود ويأتون به من الكفر والتشبيه اوعلى مايقول المشركون فى أمر البعث فان من قدر على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام منهم (وسبح بحمد ربك) حامدا ربك والتسبيح محمول على ظاهره اوعلى الصلاة فالصلاة (قبل طلوع الشمس) الفجر (وقبل الغروب) الظهر والعصر (ومن الليل فسبحه) العشا آن اوالتهجد (وأدبار السجود) التسبيح فى آثار الصلوات والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلاة وقيل النوافل بعد المكتوبات اوالوتر بعد العشاء والأدبار جمع دبر وادبار حجازى وحمزة وخلف من ادبرت الصلاة اذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود كقولهم آتيك خفوق النجم

(واستمع) لما أخبرك به من حال يوم القيامة وفي ذلك تهويل وتعظيم لشان المخبر به وقد وقف يعقوب عليه وانتصب (يوم ينادي المنادي) بما دل عليه ذلك يوم الخروج أي يوم ينادي المنادي يخرجون من القبور وقيل تقديره واستمع حديث يوم ينادي المنادي المنادي بالياء في الحالين مكي وسهل ويعقوب وفي الوصل مدني وأبو عمرو وغيرهم بغير ياء فيهما والمنادي اسرافيل ينفخ في الصور وينادي أيتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبريل ينادي بالحشر (من مكان قريب) من صخرة بيت المقدس وهي أقرب الارض الى السماء باثني عشر

ميلا وهي وسط الارض (يوم يسمعون الصيحة) بدل من يوم ينادي الصيحة

أموال قال أفلا أخبركم بأمر تدركون به من كان قبلكم وتسبقون من جاء بعدكم ولا يأتي أحد بمثل ما جئتم به الا من جاء بمثله تسبحون في دبر كل صلاة عشرا وتحمدون عشرا وتكبرون عشرا قوله تعالى (واستمع يوم ينادي المنادي) يعني استمع يا محمد حديث يوم ينادي المنادي وقيل معناه انتظر صيحة القيامة والنشور قال المفسرون المنادي هو اسرافيل يقف على صخرة بيت المقدس فينادي بالحشر فيقول يا أيتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركن أن تجتمعن لفصل القضاء وهو قوله تعالى (من مكان قريب) قيل ان صخرة بيت المقدس أقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا وقيل هي في وسط الارض (يوم يسمعون الصيحة بالحق) أي الصيحة الاخيرة (ذلك يوم الخروج) أي من القبور (انا نحن نحيي) أي في الدنيا (ونميت) يعني عند انقضاء الاجل (والينا المصير) أي في الآخرة وقيل تقديره نميت في الدنيا ونحيي للبعث والينا المصير بعد البعث (يوم تشقق الارض عنهم سراعا) أي يخرجون سراعا الى المحشر وهو قوله تعالى (ذلك حشر علينا يسير) أي هين (نحن أعلم بما يقولون) يعني كفار مكة في تكذيبك (وما أنت عليهم بجبار) أي بمسلط تجبرهم على الاسلام انما بعثت مذكرا وذلك قبل ان يؤمر بقتالهم (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) أي ما أوعدت به من عصاني من العذاب قال ابن عباس قالوا يا رسول الله لو خوفتنا فنزلت فذكر بالقرآن من يخاف وعيد أي عظ بالقرآن من يخاف وعيدي والله تعالى أعلم بمراده

(تفسير سورة الذاريات)

وهي مكية وهي ستون آية وثلثمائة وستون كلمة وألف ومائتان وتسعة وثلاثون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عزوجل (والذاريات ذروا) يعني الرياح التي تذرو التراب (فالحاملات وقرا) يعني السحاب يحمل ثقلا من الماء (فالجاريات يسرا) يعني السفن تجري في الماء جريا سهلا (فالمقسمات أمرا) يعني الملائكة يقسمون الامور بين الخلق على ما أمروا به وقيل هم

النفخة الثانية (بالحق) متعلق بالصيحة والمراد به البعث والحشر والجزاء (ذلك يوم الخروج) من القبور (انا نحن نحيي) الخلق (ونميت) أي نميتهم في الدنيا (والينا المصير) أي مصيرهم (يوم تشقق) خفيف كوفي وأبو عمرو وغيرهم بالتشديد (الارض عنهم) أي تتصدع الارض فتخرج الموتى من صدوعها (سراعا) حال من المجرور أي مسرعين (ذلك حشر علينا يسير) هين وتقديم الظرف يدل على الاختصاص أي لا يتيسر مثل ذلك الامر العظيم الا على القادر الذي لا يشغله شأن عن شأن (نحن أعلم بما يقولون) فيك وفينا تهديد لهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (وما أنت عليهم بجبار) كقوله بمسيطر أي ما أنت بمسلط عليهم انما أنت داع وباعث وقيل هو من جبره على الامر بمعنى أجبره أي ما أنت بوال عليهم تجبرهم على الايمان (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) كقوله انما أنت منذر من يخشاها لانه لا ينفع الا فيه والله أعلم

(سورة الذاريات مكية وهي ستون آية) أربعة

*(بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات) الرياح لانها تذرو التراب وغيره وبادغام التاء في الذال حمزة وأبو عمرو (ذروا) مصدر والعامل فيه اسم الفاعل (فالحاملات) السحاب لانها تحمل المطر (وقرا) مفعول الحاملات (فالجاريات) الفلك (يسرا) جريا ذا يسر أي ذا سهولة (فالمقسمات أمرا) الملائكة لانها تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرهما أو تفعل التقسيم مامورة بذلك أو تتولى تقسيم أمر العباد فجبريل للغلظة وميكائيل للرحمة وملك الموت لقبض الارواح واسرافيل للنفخ ويجوز ان يراد الرياح لاغير لانها تنشئ السحاب وتقله وتصرفه وتجري

فى الجو خرياسهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب ومعنى الفاء على الاول انه اقسم بالرياح فبالسحاب التى تسوقه فبالفلك التى تجريها بهبوبها فبالملائكة التى تقسم الارزاق باذن الله من الامطار وتجارات البحر ومنافعها وعلى الثانى أنها تبتدئ فى الهبوب فتذروا التراب والحصباء فتقل السحاب فتجرى فى الجو باسطة له فتقسم المطر (ان ماتوعدون) جواب القسم. وما موصولة أو مصدرية والموعود البعث (لصادق) وعد صادق كعيشة راضية أى ذات رضا (وان الدين) الجزاء على الاعمال (لواقع) لكائن (والسماء) هذا قسم آخر (ذات الحبك) الطرائق الحسنة مثل مايظهر على الماء من هبوب الريح وكذلك حبك الشعر آثار تثنيه وتكسره جمع حبيكة كطريقة وطرق ويقال ٢٣٥ ان خلقة السماء كذلك وعن الحسن حبكها

أربعة جبريل صاحب الوحى الى الانبياء الامين عليه وصاحب الغلظة وميكائيل صاحب الرزق والرحمة واسرافيل صاحب الصور واللوح وعزرائيل صاحب قبض الارواح وقيل هذه الاوصاف الاربعة فى الرياح لانها تنشئ السحاب وتسيره ثم تحمله وتقله ثم تجرى به جريا سهلا ثم تقسم الامطار بتصريف السحاب أقسم الله تعالى بهذه الاشياء لشرف ذواتها ولما فيها من الدلالة على عجيب صنعته وقدرته والمعنى أقسم بالذاريات وبهذه الاشياء وقيل فيه مضمر تقديره ورب الذاريات ثم ذكر جواب القسم فقال تعالى (ان ماتوعدون) أى من الثواب والعقاب يوم القيامة (لصادق) أى لحق (وان الدين) أى الحساب والجزاء (لواقع) أى لكائن ثم ابتدأ قسما آخر فقال تعالى (والسماء ذات الحبك) قال ابن عباس ذات الخلق الحسن المستوى وقيل ذات الزينة حبكت بالنجوم وقيل ذات البنيان المتقن وقيل ذات الطرائق كحبك الماء اذا ضربته الريح وحبك الرمل ولكنها لاترى لبعدها من الناس وجواب القسم قوله (انكم) يعنى ياأهل مكة (لفى قول مختلف) يعنى فى القرآن وفى محمد صلى الله عليه وسلم يقولون فى القرآن سحر وكهانة وأساطير الاولين وفى محمد صلى الله عليه وسلم ساحر وشاعر وكاهن ومجنون وقيل لفى قول مختلف أى مصدق ومكذب (يؤفك عنه من أفك) أى يصرف عن الايمان به من صرف حتى يكذبه وهو من حرمه الله الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وقيل معناه انهم كانوا يتلقون الرجل اذا أراد الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فيقولون انه ساحر وشاعر وكاهن ومجنون فيصرفونه عن الايمان به (قتل الخراصون) أى الكذابون وهم المقتسمون الذين اقتسموا أعقاب مكة واقتسموا القول فى النبى صلى الله عليه وسلم ليصرفوا الناس عن الاسلام وقيل هم الكهنة (الذين هم فى غمرة) أى فى غفلة وعمى وجهالة (ساهون) أى لاهون غافلون عن أمر الآخرة والسهو الغفلة عن الشئ وذهاب القلب عنه (يسئلون أيان يوم الدين) أى يقولون يامحمد متى يوم الجزاء يعنى يوم القيامة تكذيبا واستهزاء قال الله تعالى (يوم هم) أى يكون هذا الجزاء فى يوم هم (على النار يفتنون) أى يدخلون ويعذبون بها وتقول لهم خزنة النار (ذوقوا فتنتكم) أى عذابكم (هذا الذى كنتم به تستعجلون) أى فى الدنيا تكذيبا به

نجومها جمع حباك (انكم لفى قول مختلف) أى قولهم فى الرسول ساحر وشاعر ومجنون وفى القرآن سحر وشعر وأساطير الاولين (يؤفك عنه من أفك) الضمير للقرآن أو الرسول أى يصرف عنه من صرف الصرف الذى لاصرف أشد منه وأعظم أو يصرف عنه من صرف فى سابق علم الله أى علم فيما لم يزل انه مأفوك عن الحق لايرعوى ويجوز أن يكون الضمير لما توعدون أو للدين أقسم بالذاريات على أن وقوع أمر القيامة حق ثم أقسم بالسماء على انهم فى قول مختلف فى وقوعه فنهم شاك ومنهم جاحد ثم قال يؤفك عن الاقرار بأمر القيامة من هو المأفوك (قتل) لعن وأصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن (الخراصون) الكذابون المقدرون مالايصح وهم أصحاب القول المختلف واللام اشارة اليهم كانه قيل قتل هؤلاء الخراصون (الذين هم فى غمرة) فى جهل يغمرهم (ساهون) غافلون عما أمروا به (يسئلون) فيقولون (أيان يوم الدين) أى متى يوم الجزاء وتقديره أيان وقوع يوم الدين لانه انما يقع الاحيان ظروفا للحدثان وانتصب اليوم الواقع فى الجواب بفعل مضمر دل عليه السؤال أى يقع (يوم هم على النار يفتنون) ويجوز أن يكون مفتوحا لاضافته الى غير متمكن وهو الجملة ومحله نصب بالمضمر الذى هو يقع أو رفع على هو يوم هم على النار يفتنون يحرقون ويعذبون (ذوقوا فتنتكم) أى تقول لهم خزنة النار ذوقوا عذابكم واحراقكم فى النار (هذا) مبتدأ خبره (الذى كنتم به تستعجلون) فى الدنيا بقولكم فائتنا بما تعدنا ثم ذكر حال المؤمنين فقال

قوله تعالى (ان المتقين فى جنات وعيون) يعنى فى خلال الجنات عيون جارية (آخذين ما آتاهم) أى ما أعطاهم (ربهم) أى من الخير والكرامة (انهم كانوا قبل ذلك محسنين) أى قبل دخولهم الجنة كانوا محسنين فى الدنيا ثم وصف احسانهم فقال تعالى (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) أى كانوا ينامون قليلا من الليل ويصلون اكثره وقال ابن عباس كانوا اقل ليلة تمر بهم الا صلوا فيها شيأ اما من أولها أو من أوسطها وعن أنس بن مالك فى قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون قال كانوا يصلون بين المغرب والعشاء أخرجه أبو داود وقيل كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة وقيل قل ليلة أتت عليهم هجعوها كلها ووقف بعضهم على قوله كانوا قليلا أى من الناس ثم ابتدأ من الليل ما يهجعون أى لا ينامون بالليل البتة بل يقومون الليل كله فى الصلاة والعبادة (وبالاسحار هم يستغفرون) أى ربما مدوا عباداتهم الى وقت السحر ثم أخذوا فى الاستغفار وقيل معناه يستغفرون من تقصيرهم فى العبادة وقيل يستغفرون من ذلك القدر القليل الذى كانوا ينامونه من الليل وقيل معناه يصلون بالاسحار لطلب المغفرة (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعونى فاستجيب له من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فاغفر له ولمسلم قال فيقول أنا الملك أنا الملك وذكر الحديث وفيه حتى يضىء الفجر وزاد فى رواية من يقرض غير عديم ولا ظلوم

(فصل) هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان معروفان أحدهما وهو مذهب السلف وغيرهم أنه يمر كما جاء من غير تأويل ولا تعطيل ويترك الكلام فيه وفى أمثاله مع الايمان به وتنزيه الرب تبارك وتعالى عن صفات الاجسام المذهب الثانى وهو قول جماعة من المتكلمين وغيرهم أن الصعود والنزول من صفات الاجسام والله تعالى يتقدس عن ذلك فعلى هذا يكون معناه نزول الرحمة والالطاف الالهية وقربها من عباده والاقبال على الداعين بالاجابة واللطف وتخصيصه بالثلث الاخير من الليل لان ذلك وقت التهجد والدعاء وغفلة أكثر الناس عن التعرض لنفحات رحمة الله تعالى وفى ذلك الوقت تكون النية خالصة والرغبة الى الله تعالى متوفرة فهو مظنة لقبول الاجابة والله تعالى أعلم (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يتهجد قال اللهم لك الحمد أنت قيوم السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت ملك السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك الحق وقولك الحق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك أنبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت زاد فى رواية وما أنت أعلم به منى أنت المقدم وأنت المؤخر لا اله الا أنت أو لا اله غيرك زاد النسائى ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (خ) عن عبادة بن الصامت عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك

(ان المتقين فى جنات وعيون) أى وتكون العيون وهى الانهار الجارية بحيث يرونها وتقع عليها أبصارهم لا أنهم فيها (آخذين ما آتاهم ربهم) قابلين لكل ما أعطاهم من الثواب راضين به وآخذين حال من الضمير فى الظرف وهو خبر ان (انهم كانوا قبل ذلك) قبل دخول الجنة فى الدنيا (محسنين) قد أحسنوا أعمالهم وتفسير احسانهم ما بعده (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) ينامون وما مزيدة للتوكيد ويهجعون خبر كان والمعنى كانوا يهجعون فى طائفة قليلة من الليل أو مصدرية والتقدير كانوا قليلا من الليل هجوعهم فيرتفع هجوعهم لكونه بدلا من الواو فى كانوا لا بقليلا لانه ح صار موصوفا بقوله من الليل خرج من شبه الفعل وعمله باعتبار المشابهة أى كان هجوعهم قليلا من الليل ولا يجوز أن تكون ما نافية على معنى انهم لا يهجعون من الليل قليلا ويحيونه كله لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها لا تقول زيدا ما ضربت (وبالاسحار هم يستغفرون) وصفهم بانهم يحيون الليل متهجدين فاذا اسحروا اخذوا فى الاستغفار كأنهم اسلفوا فى ليلهم الجرائم والسحر السدس الاخير من الليل

(وفي أموالهم حق للسائل) لمن يسأل لحاجته (والمحروم) أي الذي يتعرض ولا يسأل حياء (وفي الارض آيات) تدل على الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره حيث هي مدحوة كالبساط لما فوقها وفيها المسالك والفجاج للمتقلبين فيها وهي مجزأة فمن سهل ومن جبل وصلبة ورخوة وعذاة وسبخة وفيها عيون منفجرة ومعادن مفتنة ودواب منبثة مختلفة الصور والاشكال متباينة الهيآت والافعال (للموقنين) للموحدين الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصل الى المعرفة فهم نظارون بعيون باصرة وافهام نافذة كلما رأوا آية عرفوا وجه تأملها فازدادوا ايقانا على ايقانهم (وفي أنفسكم) في حال ابتدائها وتنقلها من حال الى حال وفي بواطنها وظواهرها من عجائب الفطر وبدائع الخلق ما تتحير فيه الاذهان وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول وبالالسن والنطق ومخارج الحروف وما في تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعة والبينات القاطعة على حكمة مدبرها وصانعها دع الاسماع والابصار والاطراف وسائر الجوارح وتأتيها لما خلقت له وما سوّى في الاعضاء من المفاصل للانعطاف والتثني فانه اذا جسا منها شئ جاء العجز واذا استرخى اناخ الذل فتبارك الله أحسن الخالقين وما قيل ان التقدير أفلا تبصرون في أنفسكم ضعيف لانه يفضي الى تقديم ما في حيز الاستفهام على حرف الاستفهام (أفلا تبصرون) تنظرون نظر من يعتبر (وفي السماء رزقكم) أي المطر لانه سبب الاقوات وعن الحسن انه كان اذا رأى السحاب قال لاصحابه فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه بخطاياكم (وما توعدون) الجنة فهي على ظهر السماء السابعة تحت العرش أو اراد أن ما ترزقونه في الدنيا وما توعدونه في العقبى كله مقدور مكتوب في السماء (فورب السماء والارض انه لحق) الضمير يعود الى الرزق أو الى ما توعدون (مثل ما أنكم تنطقون) بالرفع كوفي غير حفص صفة للحق أي حق مثل نطقكم وغيرهم بالنصب أي انه لحق حقا مثل نطقكم ويجوز أن يكون فتحا لاضافته الى غير متمكن وما مزيدة وعن الاصمعي انه قال أقبلت من جامع البصرة فطلع اعرابي على قعود فقال ممن الرجل فقلت من بني أصمع قال من أين اقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الله قال اتل علي فتلوت والذاريات فلما بلغت وفي السماء رزقكم قال حسبك فقام الى ناقته فنحرها ووزعها على من أقبل وادبر وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد طفقت اطوف فاذا انا بمن يهتف بي بصوت رقيق فالتفت فاذا انا بالاعرابي قد نحل واصفر فسلم علي واستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال وهل غير هذا فقرأت فورب السماء والارض

وله الحمد وهو على كل شئ قدير الحمد لله وسبحان الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم قال اللهم اغفر لي أو قال دعا استجيب له فان توضأ وصلى قبلت صلاته قوله تعار من الليل يقال تعار الرجل من نومه اذا انتبه وله صوت قوله عز وجل (وفي أموالهم حق) أي نصيب قيل انه ما يصلون به رحما أو يقرون به ضيفا أو يحملون به كلا أو يعينون به محروما وليس بالزكاة قاله ابن عباس وقيل انه الزكاة المفروضة (للسائل) أي الذي يسأل الناس ويطلب منهم (والمحروم) قيل هو الذي ليس له في الغنائم سهم ولا يجري عليه من الفئ شئ قال ابن عباس رضي الله عنهما المحروم الذي ليس له في الاسلام سهم وقيل معناه الذي حرم الخير والعطاء وقيل المحروم المتعفف الذي لا يسأل وقيل هو صاحب الجائحة الذي أصيب زرعه أو ثمره أو نسل ماشيته وقيل هو المحارف المحروم في الرزق والتجارة وقيل هو المملوك وقيل هو المكاتب وأظهر الاقوال انه المتعفف لانه قرنه بالسائل والمتعفف لا يسأل ولا يكاد الناس يعطون من لا يسأل وانما يفطن له متيقظ (وفي الأرض آيات) أي عبر من البحار والجبال والاشجار والثمار وأنواع النبات (للموقنين) أي بالله الذين يعرفونه ويستدلون عليه بصنائعه (وفي أنفسكم) أي آيات اذ كنتم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما الى أن تنفخ الروح وقال ابن عباس رضي الله عنهما يريد اختلاف الالسنة والصور والالوان والطبائع وقيل يريد سبيل الغائط والبول يأكل ويشرب من مدخل واحد ويخرج من سبيلين وقيل يعني تقويم الادوات السمع والبصر والنطق والعقل الى غير ذلك من العجائب المودعة في ابن آدم (أفلا تبصرون) يعني كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث (وفي السماء رزقكم) قال ابن عباس هو المطر وهو سبب الارزاق (وما توعدون) يعني من الثواب والعقاب وقيل من الخير والشر وقيل الجنة والنار ثم أقسم سبحانه وتعالى بنفسه فقال (فورب السماء والارض انه لحق) أي ما ذكر من الرزق وغيره (مثل ما أنكم تنطقون) أي بلا اله الا الله وقيل شبه تحقق

انه لحق فصاح وقال يا سبحان الله من ذا الذى أغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى حلف قالها ثلاثا وخرجت معها نفسه (هل أتاك) تفخيم للحديث وتنبيه على انه ليس من علم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما عرفه بالوحى وانتظامها بما قبلها باعتبار انه قال وفى الارض آيات وقال فى آخر هذه القصة وتركنا فيها آية (حديث ضيف ابراهيم) الضيف للواحد والجماعة كالصوم والزور لانه فى الاصل مصدر ضافه وكانوا اثنى عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل وجعلهم ضيفا لانهم كانوا فى صورة الضيف حين اضافهم ابراهيم او لانهم كانوا فى حسبانه كذلك (المكرمين) عند الله لقوله بل عباد مكرمون وقيل لانه خدمهم بنفسه واخدمهم امرأته وعجل لهم القرى (اذ دخلوا عليه) نصب بالمكرمين اذا فسر باكرام

ابراهيم لهم والا فباضمار اذكر (فقالوا سلاما) مصدر ساد مسد الفعل مستغنى به عنه واصله نسلم عليكم سلاما (قال سلام) أى عليكم سلام فهو مرفوع على الابتداء وخبره محذوف والعدول الى الرفع للدلالة على اثبات السلام كأنه قصد ان يحييهم بأحسن مما حيوه به أخذا بأدب الله وهذا أيضا من اكرامه لهم حمزة وعلى سلم والسلم السلام (قوم منكرون) اى أنتم قوم منكرون فعرفونى من أنتم (فراغ الى أهله) فذهب اليهم فى خفية من ضيوفه ومن أدب المضيف أن يخفى أمره وان يبادر بالقرى من غير أن يشعر به الضيف حذرا من أن يكفه وكان عامة مال ابراهيم عليه السلام البقر (فجاء بعجل سمين فقربه اليهم) ليأكلوا منه فلم يأكلوا (قال ألا تأكلون) انكر عليهم ترك الاكل أو حثهم عليه (فأوجس) فاضمر (منهم خيفة) خوفا لان من لم يأكل طعامك لا يحفظ ذمامك عن ابن عباس رضى الله عنهما وقع فى نفسه انهم ملائكة ارسلوا للعذاب (قالوا لا تخف) انا رسل الله ذلك وقيل مسح جبريل العجل فقام ولحق بأمه (وبشروه بغلام عليم) أى يبلغ ويعلم والمبشر به اسحق عند الجمهور (فاقبلت امرأته فى صرة) فى صيحة من صر القلم والباب قال الزجاج الصرة شدة الصياح ههنا ومحله النصب على الحال أى فجاءت صارة [illegible] صرتها قولها ياويلتا (فصكت وجهها) فلطمت بسط يديها وقيل فضربت باطراف اصابعها [illegible] وز عقيم) أى انا عجوز فكيف الد كما قال فى موضع آخر أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا

ما أخبر عنه بتحقق نطق الآدمى ومعناه انه لحق كما انك تتكلم وقيل ان معناه فى صدقه ووجوده كالذى تعرفه ضرورة وقال بعض الحكماء معناه كما أن كل انسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه أن ينطق بلسان غيره كذلك كل انسان يأكل رزق نفسه الذى قسم له لا يقدر أن يأكل رزق غيره قوله تعالى (هل أتاك حديث ضيف ابراهيم) يعنى هل أتاك يا محمد حديث الذين جاؤا ابراهيم بالبشرى فاستمع نقصه عليك وقد تقدم ذكر عددهم وقصتهم فى سورة هود (المكرمين) قيل سماهم مكرمين لانهم كانوا ملائكة كراما عند الله وقيل لانهم كانوا اضيف ابراهيم وهو اكرم الخلق على الله يومئذ وضيف الكريم مكرمون وقيل لان ابراهيم عليه الصلاة والسلام أكرمهم بتعجيل قراهم وخدمته اياهم بنفسه وطلاقة وجهه لهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما سماهم مكرمين لانهم كانوا غير مدعوين (ق) عن أبى شريح العدوى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون) أى غرباء لا نعرفكم قال ابن عباس قال فى نفسه هؤلاء قوم لا نعرفهم وقيل انما أنكر أمرهم لانهم دخلوا بغير استئذان وقيل أنكر اسلامهم فى ذلك الزمان وفى تلك الارض (فراغ) أى عدل ومال (الى أهله فجاء بعجل سمين) أى جيد وكان مشويا قيل كان عامة مال ابراهيم البقر فجاء بعجل (فقربه اليهم) هذا من آداب المضيف أن يقدم الطعام الى الضيف ولا يحوجهم السعى اليه فلما لم يأكلوا (قال ألا تأكلون) يعنى أنه حثهم على الاكل وقيل عرض عليهم الاكل من غير أن يأمرهم (فأوجس) أى فاضمر (منهم خيفة) لانهم لم يتحرموا بطعامه (قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم) أى يبلغ ويعلم وقيل عليم أى نبى (فاقبلت امرأته) قيل لم يكن ذلك اقبالا من مكان الى مكان بل كانت فى البيت فهو كقول القائل أقبل يفعل كذا اذا أخذ فيه (فى صرة) أى فى صيحة والمعنى انها أخذت تولول وذلك من عادة النساء اذا سمعن شيأ (فصكت وجهها) قال ابن عباس لطمت وجهها وقيل جمعت أصابعها وضربت جبينها تعجبا وذلك من عادة النساء أيضا اذا أنكرن شيأ (وقالت عجوز عقيم) معناه أتلد عجوز عقيم وذلك لان سارة لم تلد قبل

(قالوا كذلك) مثل ذلك الذى قلنا وأخبرنا به (قال ربك) أى انما نخبرك عن الله تعالى والله قادر على ما تستبعدين (انه هو الحكيم) فى فعله (العليم) فلا يخفى عليه شئ وروى ان جبريل قال لها حين استبعدت انظرى الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة ولما علم انهم ملائكة وأنهم لا ينزلون الا بأمر الله رسلا فى بعض الامور (قال فما خطبكم) أى فما شأنكم وما طلبتكم وفيم أرسلتم (أيها المرسلون) أرسلتم بالبشارة خاصة أو لامر آخر أو لهما (قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) أى قوم لوط (لنرسل عليهم حجارة من طين) أريد السجيل وهو طين طبخ كما يطبخ الآجر حتى صار فى صلابة الحجارة (مسومة) معلمة من السومة وهى العلامة على كل واحد منها اسم من يهلك به (عند ربك) فى ملكه وسلطانه (للمسرفين) سماهم مسرفين كما سماهم عادين أى لاسرافهم وعدوانهم فى عملهم حيث لم يقتنعوا بما أبيح لهم (فاخرجنا من كان فيها) فى القرية ولم يجر لها ذكر لكونها معلومة (من المؤمنين) يعنى لوطا ومن آمن به (فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) أى غير أهل بيت وفيه دليل على ان الايمان والاسلام واحد لان الملائكة سموهم مؤمنين ومسلمين هنا (وتركنا فيها) فى قراهم (آية للذين يخافون العذاب الاليم) علامة يعتبر بها الخائفون دون القاسية قلوبهم قيل هى ماء اسود منتن (وفى موسى) معطوف على وفى الارض آيات أو على قوله وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا فى موسى آية كقوله

علفتها تبنا وماء باردا

(اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين) بحجة ظاهرة وهى اليد والعصا (فتولى) فاعرض عن الايمان (بركنه) بما كان يتقوى به من جنوده وملكه والركن ما يركن اليه الانسان من مال وجند (وقال ساحر) أى هو ساحر (او مجنون فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم وهو مليم) آت بما يلام عليه من كفره وعناده وانما وصف يونس عليه السلام به فى قوله فالتقمه الحوت وهو مليم لان موجبات اللوم تختلف وعلى حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم فراكب الكفر ملوم على مقداره وراكب الكبيرة والصغيرة والزلة كذلك والجملة مع الواو حال من الضمير فى فأخذناه (وفى عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) هى التى لا خير فيها من انشاء مطر أو القاح شجر وهى ريح الهلاك واختلف فيها والاظهر انها الدبور لقوله عليه السلام نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور (ما تذر من شئ أتت عليه الا جعلته كالرميم) هو كل ما رم أى بلى وتفتت من عظم أو نبات أو غير ذلك والمعنى ما تترك من شئ هبت عليه من أنفسهم وانعامهم وأموالهم الا أهلكته (وفى ثمود) آية أيضا (اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) تفسيره قوله تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام

ذلك (قالوا كذلك قال ربك) أى كما قلنا لك قال ربك انك ستلدين غلاما (انه هو الحكيم العليم) ثم ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما علم حالهم وانهم من الملائكة (قال فما خطبكم) أى فما شأنكم وما طلبكم (أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) يعنى قوم لوط (لنرسل عليهم حجارة من طين) قيل هو الآجر (مسومة) أى معلمة قيل على كل حجر اسم من يهلك به وقيل معلمة بعلامة تدل على انها ليست من حجارة الدنيا (عند ربك للمسرفين) قال ابن عباس يعنى المشركين لان الشرك أسرف الذنوب وأعظمها (فأخرجنا من كان فيها) أى فى قرى قوم لوط (من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت) أى أهل بيت (من المسلمين) يعنى لوطا وبنتيه وصفهم الله تعالى بالايمان والاسلام جميعا لانه ما من مؤمن الا وهو مسلم لان الاسلام أعم من الايمان واطلاق العام على الخاص لا مانع منه فاذا سمى المؤمن مسلما لا يدل على اتحاد مفهوميهما (وتركنا فيها) أى فى مدينة قوم لوط (آية) أى عبرة (للذين يخافون العذاب الاليم) والمعنى تركنا فيها علامة للخائفين تدلهم على ان الله مهلكهم فيخافون مثل عذابهم قوله عز وجل (وفى موسى) أى وتركنا فى ارسال موسى آية وعبرة (اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين) أى بحجة ظاهرة (فتولى) أى أعرض عن الايمان (بركنه) أى بجمعه وجنوده الذين كان يتقوى بهم (وقال ساحر أو مجنون فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم) أى فاغرقناهم فى البحر (وهو مليم) أى آت بما يلام عليه من دعوى الربوبية وتكذيب الرسل (وفى عاد) أى وفى اهلاك عاد أيضا آية وعبرة (اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) يعنى التى لا خير فيها ولا بركة فلا تلقح شجرا ولا تحمل مطرا (ما تذر من شئ أتت عليه) أى من أنفسهم وأموالهم وأنعامهم (الا جعلته كالرميم) أى كالشئ الهالك البالى وهو ما يبس وديس من نبات الارض كالشجر والتبن ونحوه وأصله من رم العظم اذا بلى (وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) يعنى الى وقت انقضاء آجالهم وذلك انهم لما عقروا

(فعتوا عن أمر ربهم) فاستكبروا عن امتثاله (فاخذتهم الصاعقة) العذاب وكل عذاب مهلك صاعقة الصعقة على وهى المرة من مصدر صعقتهم الصاعقة (وهم ينظرون) لانها كانت نهارا يعاينونها (فما استطاعوا من قيام) أى هرب اوهو من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه (وما كانوا منتصرين) ممتنعين من العذاب أو لم يمكنهم مقابلتها بالعذاب لان معنى الانتصار المقابلة (وقوم نوح) أى وأهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه أو واذكر قوم نوح وبالجر أبو عمرو وعلى وحمزة أى وفى قوم نوح آية ويؤيده قراءة عبد الله وفى قوم نوح (من قبل) من قبل هؤلاء المذكورين (انهم كانوا قوما فاسقين) كافرين (والسماء) نصب بفعل يفسره (بنيناها بايد) بقوة والايد القوة (وانا لموسعون) لقادرون من الوسع وهو الطاقة والموسع القوى على الانفاق أو لموسعون ما بين السماء والارض (والارض فرشناها) بسطناها ومهدناها وهى منصوبة بفعل مضمر أى فرشنا الارض فرشناها (فنعم الماهدون) أى نحن (ومن كل شئ) من الحيوان (خلقنا زوجين) ذكرا وأنثى وعن الحسن السماء والارض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر والموت والحياة فعدد أشياء وقال كل اثنين منها زوج والله تعالى فرد لا مثل له (لعلكم تذكرون) أى فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الارض وخلق الازواج لتتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه (ففروا الى الله) أى من الشرك الى الايمان بالله أو من طاعة الشيطان الى طاعة الرحمن أو مما سواه اليه (انى لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الها آخر انى لكم منه نذير مبين) والتكرير للتوكيد والاطالة فى الوعيد ابلغ (كذلك) الامر مثل ذلك وذلك اشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميته ساحرا او مجنونا ثم فسر ما أجمل بقوله (ما أتى الذين من قبلهم) من قبل قومك (من رسول الا قالوا) هو (ساحر أو مجنون) رموهم بالسحر او الجنون لجهلهم (أتواصوا به) الضمير للقول أى أتواصى الاولون والآخرون بهذا القول حتى قالوه جميعا متفقين عليه

الناقة قيل لهم تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام (فعتوا عن أمر ربهم) اى تكبروا عن طاعة ربهم (فاخذتهم الصاعقة) اى بعد مضى ثلاثة أيام من بعد عقر الناقة وهى الموت فى قول ابن عباس وقيل أخذهم العذاب والصاعقة كل عذاب مهلك (وهم ينظرون) أى يرون ذلك العذاب عيانا (فما استطاعوا من قيام) أى فما قاموا بعد نزول العذاب بهم ولا قدروا على نهوض من تلك الصرعة (وما كانوا منتصرين) أى ممتنعين منا وقيل ما كانت عندهم قوة يمتنعون بها من أمر الله (وقوم نوح) قرئ بكسر الميم ومعناه وفى قوم نوح وقرئ بنصبها ومعناه وأغرقنا قوم نوح (من قبل) أى من قبل هؤلاء وهم عاد وثمود وقوم فرعون (انهم كانوا قوما فاسقين) أى خارجين عن الطاعة قوله تعالى (والسماء بنيناها بأيد) أى بقوة وقدرة (وانا لموسعون) قيل هو من السعة أى أوسعنا السماء بحيث صارت الارض وما يحيط بها من السماء والفضاء بالنسبة الى سعة السماء كالحلقة الملقاة فى الفلاة وقال ابن عباس معناه قادرون على بنائها كذلك وعنه لموسعون أى الرزق على خلقنا وقيل معناه وانا ذوو السعة والغنى (والارض فرشناها) أى بسطناها ومهدناها لكم (فنعم الماهدون) أى نحن (ومن كل شئ خلقنا زوجين) اى صنفين ونوعين مختلفين كالسماء والارض والشمس والقمر والليل والنهار والبر والبحر والسهل والجبل والصيف والشتاء والجن والانس والذكر والانثى والنور والظلمة والايمان والكفر والسعادة والشقاوة والحق والباطل والحلو والحامض (لعلكم تذكرون) أى فتعلموا ان خالق الازواج فرد لا نظير له ولا شريك معه (ففروا الى الله) اى قل يا محمد ففروا الى الله أى فاهربوا من عذابه الى ثوابه بالايمان والطاعة له وقال ابن عباس ففروا منه اليه واعملوا بطاعته وقال سهل بن عبد الله ففروا مما سوى الله الى الله (انى لكم منه نذير) اى مخوف (مبين) أى بين الرسالة بالحجة الظاهرة والمعجزة الباهرة والبرهان القاطع (ولا تجعلوا مع الله الها آخر) أى وحدوه ولا تشركوا به شيأ (انى لكم منه نذير مبين) قيل انما كرر قوله انى لكم منه نذير مبين عند الامر بالطاعة والنهى عن الشرك ليعلم ان الايمان لا ينفع الا مع العمل كما ان العمل لا ينفع الا مع الايمان وانه لا يفوز عند الله الا الجامع بينهما (كذلك) أى كما كذبك قومك وقالوا ساحر أو مجنون كذلك (ما أتى الذين من قبلهم) أى من قبل كفار مكة والامم الخالية (من رسول) يعنى يدعوهم الى الايمان والطاعة (الا قالوا ساحر أو مجنون) قال الله تعالى (أتواصوا به) أى أوصى أولهم آخرهم وبعضهم بعضا بالتكذيب

وتواطؤا

وتواطؤا عليه وفيه توبيخ لهم (بل هم قوم طاغون) أى لم يتواصوا بهذا القول لانهم لم يتلاقوا على زمان واحد بل جمعتهم على ذلك علة واحدة وهى الطغيان وهو الحامل لهم على ذلك القول (فتول عنهم) أى أعرض عنهم (فما انت بملوم) أى لالوم عليك فقد أديت الرسالة و بذلت المجهود وما قصرت فيما أمرت به قال المفسرون لما نزلت هذه الآية حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد على اصحابه وظنوا ان الوحى قد انقطع وان العذاب قد حضر اذ أمر النبى صلى الله عليه وسلم ان يتولى عنهم فانزل الله عز وجل (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) فطابت نفوسهم بذلك والمعنى عظ بالقرآن كفار مكة فان الذكرى تنفع من علم الله أنه يؤمن منهم وقيل معناه عظ بالقرآن من آمن من قومك فان الذكرى تنفعهم قوله عز وجل (وماخلقت الجن والانس) أى من المؤمنين (الا ليعبدون) قيل هذا خاص باهل طاعته من الفريقين يدل عليه قراءة ابن عباس وماخلقت الجن والانس من المؤمنين الا ليعبدون وقيل معناه وماخلقت السعداء من الجن والانس الا لعبادتى والاشقياء منهم الا لمعصيتى وهو ماجبلوا عليه من الشقاوة والسعادة وقال على بن ابى طالب الا ليعبدون أى الا لآمرهم أن يعبدونى وأدعوهم الى عبادتى وقيل معناه الا ليعرفونى وهذا حسن لانه لولم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده وقيل معناه الا ليخضعوا لى و يتذللوا لان معنى العبادة فى اللغة التذلل والانقياد وكل مخلوق من الجن والانس خاضع لقضاء الله متذلل لمشيئة لايملك أحد لنفسه خروجا عما خلق له وقيل معناه الا ليوحدونى فأما المؤمن فيوحده اختيارا فى الشدة والرخاء واما الكافر فيوحده اضطرارا فى الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء (ماأريد منهم من رزق) أى ماأريد أن يرزقوا أحدا من خلقى ولاان يرزقوا أنفسهم لانى أنا الرزاق المتكفل لعبادى بالرزق القائم لكل نفس بما يقيمها من قوتها (وماأريد أن يطعمون) أى ان يطعموا أحدا من خلقى وانما أسند الاطعام الى نفسه لان الخلق كلهم عيال الله ومن اطعم عيال أحد فقد اطعمه لما صح من حديث أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول يوم القيامة ياابن آدم مرضت فلم تعدنى قال يارب كيف أعودك وانت رب العالمين قال أماعلمت ان عبدى فلانا مرض فلم تعده أماعلمت انك لوعدته لوجدتنى عنده ياابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى قال يارب كيف أطعمك وانت رب العالمين قال اماعلمت انه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه أماعلمت انك لواطعمته لوجدت ذلك عندى ياابن آدم استسقيتك فلم تسقنى قال يارب كيف اسقيك وانت رب العالمين قال استسقاك عبدى فلان فلم تسقه اماعلمت انك لوسقيته

(بل هم قوم طاغون) أى لم يتواصوا به لانهم لم يتلاقوا فى زمان واحد بل جمعتهم العلة الواحدة وهى الطغيان والطغيان هو الحامل عليه (فتول عنهم) فأعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم يجيبوا عنادا (فما أنت بملوم) فلا لوم عليك فى اعراضك بعدما بلغت الرسالة و بذلت مجهودك فى البلاغ والدعوة (وذكر) وعظ بالقرآن (فان الذكرى تنفع المؤمنين) بان تزيد فى عملهم (وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون) العبادة ان حملت على حقيقتها فلاتكون الآية عامة بل المراد بها المؤمنون من الفريقين دليله السياق أعنى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وقراءة ابن عباس رضى الله عنهما وما خلقت الجن والانس من المؤمنين وهذا لانه لايجوز أن يخلق الذين علم منهم انهم لايؤمنون للعبادة لانه اذا خلقهم للعبادة وارادمنهم العبادة فلا بد ان توجد منهم فاذا لم يؤمنوا علم انه خلقهم لجهنم كما قال ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقيل الا لآمرهم بالعبادة وهو منقول عن على رضى الله عنه وقيل الا ليكونوا عبادالى والوجه أن تحمل العبادة على التوحيد فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما كل عبادة فى القرآن فهى توحيد والكل يوحدونه فى الآخرة لماعرف ان الكفار كلهم مؤمنون موحدون فى الآخرة دليله قوله ثم لم تكن فتنتهم الأن قالوا والله ربنا ما كنامشركين نعم قد أشرك البعض فى الدنيا لكن مدة الدنيا بالاضافة الى الابد اقل من يوم ومن اشترى غلاما وقال مااشتريته الا للكتابة كان صادقا فى قوله مااشتريته الا للكتابة وان استعمله فى يوم من عمره لعمل آخر (ماأريد منهم من رزق) ماخلقتهم ليرزقوا أنفسهم أوواحدا من عبادى (وماأريد أن يطعمون) قال ثعلب ان يطعموا عبادى وهى اضافة تخصيص كقوله عليه السلام خبرا عن الله تعالى من اكرم مؤمنا فقدا كرمنى ومن آذى مؤمنا فقد آذانى

لو جدت ذلك عندي اخرجه مسلم ثم بين ان الرزاق هو لا غيره فقال تعالى (ان الله هو الرزاق) أي لجميع خلقه (ذو القوة المتين) يعني هو القوي الشديد المقتدر البليغ القوة والقدرة الذي لا يلحقه في افعاله مشقة (فان للذين ظلموا) أي من اهل مكة (ذنوبا) أي نصيبا من العذاب (مثل ذنوب أصحابهم) أي مثل نصيب اصحابهم الذين هلكوا من قوم نوح وعاد وثمود (فلا يستعجلون) أي بالعذاب لانهم اخروا الى يوم القيامة يدل عليه قوله عزوجل (فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون) يعني يوم القيامة وقيل يوم بدر والله تعالى اعلم بمراده

(تفسير سورة الطور)

(مكية وهي تسع وأربعون آية وثلثمائة واثنتا عشرة كلمة وألف وخمسمائة حرف)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عزوجل (والطور) اراد به الجبل الذي كلم الله موسى عليه الصلاة والسلام عليه بالارض المقدسة وقيل بمدين (وكتاب مسطور) أي مكتوب (في رق) يعني الاديم الذي يكتب فيه المصحف (منشور) أي مبسوط واختلفوا في الكتاب فقيل هو ما كتبه الله بيده لموسى من التوراة وموسى يسمع صرير الاقلام وقيل هو اللوح المحفوظ وقيل هو دواوين الحفظة يخرج اليهم يوم القيامة منشورا فآخذ بيمينه وآخذ بشماله وقيل هو القرآن (والبيت المعمور) يعني بكثرة الغاشية والاهل وهو بيت في السماء السابعة قدام العرش بحيال الكعبة يقال له الضراح حرمته في السماء كحرمة الكعبة في الارض وصح في حديث المعراج من أفراد مسلم عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى البيت المعمور في السماء السابعة قال فاذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه وفي رواية اخرى قال فانتهيت الى بناء فقلت للملك ما هذا قال بناء بناه الله للملائكة يدخل فيه كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون يسبحون الله و يقدسونه وفي افراد البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رأى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك (والسقف المرفوع) يعني السماء (والبحر المسجور) يعني الموقد المحمي بمنزلة التنور المسجور وهو قول ابن عباس وذلك ما روي ان الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة نارا فيزاد بها في نار جهنم وجاء في الحديث عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يركبن رجل البحر الا غازيا او معتمرا او حاجا فان تحت البحر نارا وتحت النار بحرا وقيل المسجور المملوء وقيل هو اليابس الذي ذهب ماؤه ونضب وقيل هو المختلط العذب بالملح وروي عن علي انه قال البحر المسجور هو بحر تحت العرش عمره كما بين سبع سموات الى سبع أرضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يمطر العباد بعد النفخة الاولى منه أربعين صباحا فينبتون من قبورهم اقسم الله بهذه الاشياء لما فيها من عظيم قدرته وجواب القسم

نصيب أصحابهم ونظرائهم من القرون المهلكة قال الزجاج الذنوب في اللغة النصيب (فلا يستعجلون) نزول العذاب وهذا جواب النضر واصحابه حين استعجلوا العذاب (فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون) أي من يوم القيامة وقيل من يوم بدر ليعبدوني أن يطعموني فلا يستعجلوني بالياء في الحالين يعقوب وافقه سهل في الوصل الباقون بغير ياء والله أعلم

(سورة الطور مكية وهي تسع واربعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والطور) هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى وهو بمدين (وكتاب مسطور) هو القرآن ونكر لانه كتاب مخصوص من بين سائر الكتب او اللوح المحفوظ أو التوراة (في رق) هو الصحيفة او الجلد الذي يكتب فيه (منشور) مفتوح لا ختم عليه أو لائح (والبيت المعمور) اي الضراح وهو بيت في السماء حيال الكعبة وعمرانه بكثرة زواره من الملائكة روي انه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ويخرجون ثم لا يعودون اليه ابدا وقيل الكعبة لكونها معمورة بالحجاج والعمار (والسقف المرفوع) أي السماء أو العرش (والبحر المسجور) المملوء أو الموقد والواو الاولى للقسم والبواقي للعطف وجواب القسم

(ان عذاب ربك) أى الذى اوعد الكفار به (لواقع) لنازل قال جبير بن مطعم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلمه فى الاسارى فلقيته فى صلاة الفجر يقرأ سورة الطور فلما بلغ ان عذاب ربك لواقع أسلمت خوفا من أن ينزل العذاب (ماله من دافع) لا يمنعه مانع والجملة صفة لواقع اى واقع غير مدفوع والعامل فى يوم لواقع اى يقع فى ذلك اليوم او اذكر (يوم تمور) تدور كالرحى مضطربة (السماء مورا وتسير الجبال سيرا) فى الهواء كالسحاب لانها تصير هباء منثورا (فويل يومئذ للمكذبين الذين هم فى خوض يلعبون) غلب الخوض فى الاندفاع فى الباطل ٢٤٣ والكذب ومنه قوله وكنا نخوض مع الخائضين ويبدل (يوم يدعون الى نار جهنم دعا) من يوم تمور والدع الدفع العنيف وذلك ان خزنة النار يغلون أيديهم الى أعناقهم ويجمعون نواصيهم الى أقدامهم ويدفعونهم الى النار دفعا على وجوههم وزخا فى أقفيتهم فيقال لهم (هذه النار التى كنتم بها تكذبون) فى الدنيا (أفسحر هذا) هذا مبتدأ وسحر خبره يعنى كنتم تقولون للوحى هذا سحر أفسحر هذا يريد اهذا المصداق ايضا سحر ودخلت الفاء لهذا المعنى (أم أنتم لا تبصرون) كما كنتم لا تبصرون فى الدنيا يعنى أم أنتم عمى عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر وهذا تقريع وتهكم (اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم) خبر سواء محذوف اى سواء عليكم الامران الصبر وعدمه وقيل على العكس وعلل استواء الصبر وعدمه بقوله (انما تجزون ما كنتم تعملون) لان الصبر انما يكون له مزية على الجزع لنفعه فى العاقبة بان يجازى عليه الصابر جزاء الخير فاما الصبر على العذاب الذى هو الجزاء ولا عاقبة له ولا منفعة فلا مزية له على الجزع (ان المتقين فى جنات) فى أية جنات (ونعيم) أى واى نعيم بمعنى الكمال فى الصفة أو فى جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين خلقت لهم خاصة (فاكهين) حال من الضمير فى الظرف والظرف خبر أى متلذذين (بما آتاهم ربهم) وعطف قوله (ووقاهم ربهم) على فى جنات أى ان المتقين استقروا فى جنات ووقاهم ربهم أو على آتاهم ربهم على أن تجعل ما مصدرية والمعنى فاكهين بايتائهم ربهم ووقايتهم (عذاب الجحيم) او الواو للحال وقد بعدها مضمرة يقال لهم (كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون) أكلا وشربا هنيئا أو طعاما وشرابا هنيئا وهو الذى لا تنغيص فيه (متكئين) حال من الضمير فى كلوا واشربوا (على

القسم قوله تعالى (ان عذاب ربك لواقع) يعنى انه لحق وكائن ونازل بالمشركين فى الآخرة (ماله من دافع) أى مانع قال جبير بن مطعم قدمت المدينة لا كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أسارى بدر فدفعت له وهو يصلى بأصحابه المغرب وصوته يخرج من المسجد فسمعته يقرأ والطور الى قوله ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع فكأنما صدع قلبى حين سمعت ولم يكن أسلم يومئذ فأسلمت خوفا من نزول العذاب وما كنت أظن انى أقوم من مكانى حتى يقع بى العذاب ثم بين انه متى يقع فقال تعالى (يوم تمور السماء مورا) أى تدور كدور الرحى وتتكفأ بأهلها تكفؤ السفينة وقيل تتحرك وتختلف اجزاؤها بعضها من بعض وتضطرب (وتسير الجبال سيرا) اى تزول عن أماكنها وتصير هباء منثورا والحكمة فى مور السماء وسير الجبال الانذار والاعلام بأن لا رجوع ولا عود الى الدنيا وذلك لان الارض والسماء وما بينهما من الجبال والبحار وغير ذلك انما خلقت لعمارة الدنيا وانتفاع بنى آدم بذلك فلما لم يبق لهم عود اليها أزالها الله تعالى وذلك لخراب الدنيا وعمارة الآخرة (فويل) أى شدة عذاب (يومئذ للمكذبين) أى يوم القيامة (الذين هم فى خوض) أى يخوضون فى الباطل (يلعبون) أى غافلون لاهون عما يراد بهم (يوم يدعون) أى يدفعون (الى نار جهنم دعا) يعنى دفعا بعنف وجفوة وذلك ان خزنة جهنم يغلون أيدى الكفار الى أعناقهم ويجمعون نواصيهم الى أقدامهم ويدفعون بهم دفعا الى النار على وجوههم وزخا فى أقفيتهم حتى يردوا الى النار فاذا دنوا منها قال لهم خزنتها (هذه النار التى كنتم بها تكذبون) أى فى الدنيا (أفسحر هذا) وذلك انهم كانوا ينسبون محمدا صلى الله عليه وسلم الى السحر وانه يغطى على الابصار فوبخوا بذلك وقيل لهم أفسحر هذا (أم أنتم لا تبصرون اصلوها) أى قاسوا شدتها (فاصبروا) أى على العذاب (أو لا تصبروا) أى عليه (سواء عليكم) أى الصبر والجزع (انما تجزون ما كنتم تعملون) أى من الكفر والتكذيب فى الدنيا قوله تعالى (ان المتقين فى جنات ونعيم فاكهين) أى معجبين بذلك ناعمين (بما آتاهم ربهم) أى من الخير والكرامة (ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا) أى يقال لهم كلوا (واشربوا هنيئا) أى مأمون العاقبة من التخمة والسقم (بما كنتم تعملون) أى فى الدنيا من الايمان والطاعة (متكئين على

سرر) جمع سرير (مصفوفة) موصول بعضها ببعض (وزوّجناهم) وقرناهم (بحور) جمع حوراء (عين) عظام الاعين حسانها (والذين آمنوا) مبتدأ (والحقنا بهم) خبره (واتبعتهم) وأتبعناهم أبو عمرو (ذريتهم) أولادهم (بايمان) حال من الفاعل (ألحقنا بهم ذريتهم) أى نلحق الاولاد بايمانهم وأعمالهم درجات الآباء وان قصرت أعمال الذرية عن أعمال الآباء وقيل ان الذرية وان لم يبلغوا مبلغا يكون منهم الايمان استدلالا وانما تلقنوا منهم تقليدا فهم يلحقون بالآباء (١) ذريتهم ذرياتهم مدنى ذريتهم ذرياتهم أبو عمرو ذرياتهم ذرياتهم شامى (وما ألتناهم من عملهم من شئ) وما نقصناهم من ثواب عملهم من شئ ألتناهم مكى ألت يألت والت يالت لغتان من الاولى متعلقة بألتناهم والثانية زائدة (كل امرئ بما كسب رهين) أى مرهون فنفس المؤمن مرهونة بعمله وتجازى به (وأمددناهم) وزدناهم فى وقت بعد وقت (بفاكهة ولحم مما يشتهون) وان لم يقترحوا (يتنازعون فيها كأسا) خمرا يتعاطون ويتعاورون هم وجلساؤهم من أقربائهم يتناول هذا الكاس من يد هذا وهذا من يد هذا (لا لغو فيها) فى شربها (ولا تأثيم) أى لا يجرى بينهم ما يلغى يعنى لا يجرى بينهم باطل ولا ما فيه اثم لو فعله فاعل فى دار التكليف من الكذب والشتم ونحوهما كشاربى خمر الدنيا لان عقولهم ثابتة فيتكلمون بالحكم والكلام الحسن لا لغو فيها ولا تأثيم مكى وبصرى (ويطوف عليهم غلمان لهم) مملوكون لهم مخصوصون بهم (كأنهم) من بياضهم وصفائهم

سرر مصفوفة) أى موضوعة بعضها الى بعض (وزوجناهم بحور عين والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بايمان) يعنى ألحقنا أولادهم الصغار والكبار بايمانهم فالكبار بايمانهم بانفسهم والصغار بايمان آبائهم فان الولد الصغير يحكم باسلامه تبعا لاحد أبويه (ألحقنا بهم ذرياتهم) يعنى المؤمنين فى الجنة بدرجات آبائهم وان لم يبلغوا بأعمالهم درجات آبائهم تكرمة لآبائهم لتقر بذلك أعينهم هذه رواية عن ابن عباس وفى رواية أخرى عنه ان معنى الآية والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم يعنى البالغين بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم الصغار الذين لم يبلغوا الايمان بايمان آبائهم أخبر الله تعالى انه يجمع لعبده المؤمن ذريته فى الجنة كما كان يحب فى الدنيا أن يجتمعوا اليه فيدخلهم الجنة بفضله ويلحقهم بدرجته بعمله من غير ان ينقص الآباء من أعمالهم شيأ وذلك قوله تعالى (وما ألتناهم من عملهم من شئ) يعنى وما انتقصنا الآباء من أعمالهم شيأ * عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يرفع ذرية المؤمن فى درجته وان كانوا دونه فى العمل لتقر بهم عينه ثم قرأ والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم الى آخر الآية * عن على قال سألت خديجة النبى صلى الله عليه وسلم عن ولدين ماتا لها فى الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما فى النار فلما رأى الكراهة فى وجهها قال لو رأيت مكانهما لابغضتهما قالت يا رسول الله فولدى منك قال فى الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمنين وأولادهم فى الجنة وان المشركين وأولادهم فى النار ثم قرأ النبى صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم أخرج هذين الحديثين البغوى باسناد الثعلبى (كل امرئ) أى كافر (بما كسب) أى عمل من الشرك (رهين) أى مرتهن بعمله فى النار والمؤمن لا يكون مرتهنا بعمله لقوله كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين ثم ذكر ما وعدهم به من الخير والنعمة فقال تعالى (وأمددناهم بفاكهة) يعنى زيادة عما كان لهم (ولحم مما يشتهون) أى من أنواع اللحوم (يتنازعون) أى يتعاطون ويتناولون (فيها) أى فى الجنة (كأسا لا لغو فيها) أى لا باطل فيها ولا رفث ولا تخاصم ولا تذهب عقولهم فيلغوا ويرفثوا (ولا تأثيم) أى لا يكون فيها ما يؤثمهم ولا يجرى بينهم ما فيه لغو واثم كما يجرى بين شربة الخمر فى الدنيا وقيل لا يأثمون فى شربها (ويطوف عليهم) أى للخدمة (غلمان لهم كأنهم) أى فى الحسن والبياض والصفاء

(١) قوله ذريتهم ذرياتهم مدنى الخ كذا بالاصل وفى الخطيب وقرأ ذريتهم بايمان والحقنا بهم ذرياتهم نافع بالقصر فى الاولى والجمع فى الثانية مع كسر التاء وقرأ ابن كثير والكوفيون بالقصر فيهما مع ضم التاء وقرأ أبو عمرو بالجمع فيهما مع كسر التاء وقرأ ابن عامر بالجمع فيهما الا انه يرفع التاء فى الاولى ويكسرها فى الثانية اه تأمل اه مصحح

(لؤلؤمكنون) في الصدف لانه رطبا أحسن وأصفى او مخزون لانه لايخزن الا الثمين الغالي القيمة في الحديث ان أدنى أهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه فيجيبه ألف ببابه لبيك لبيك (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) يسأل بعضهم بعضا عن أحواله وأعماله وما استحق به نيل ما عند الله (قالوا انا كنا قبل) أي في الدنيا (في أهلنا مشفقين) ارقاء القلوب من خشية الله اوخائفين من نزع الايمان وفوت الامان اومن رد ٢٠٥ الحسنات والاخذ بالسيآت (فمن الله علينا)

والصفاء (لؤلؤ مكنون) أي مخزون مصون لم تمسه الايدي قال عبد الله بن عمر وما من أحد من أهل الجنة الا يسعى عليه ألف غلام كل واحد منهم على عمل غير عمل صاحبه وعن قتادة قال ذكر لنا أن رجلا قال يا نبي الله هذا الخادم فكيف المخدوم قال فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب قوله تعالى (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) يعني يسأل بعضهم بعضا في الجنة قال ابن عباس يتذاكرون ما كانوا فيه من الخوف والتعب في الدنيا (قالوا انا كنا قبل في أهلنا) أي في الدنيا (مشفقين) أي خائفين من العذاب (فمن الله علينا) أي بالمغفرة (ووقانا عذاب السموم) يعني عذاب النار وقيل هو اسم من أسماء جهنم (انا كنا من قبل) أي في الدنيا (ندعوه) أي نخلص الدعاء والعبادة له (انه هو البر) قال ابن عباس اللطيف وقيل يعني الصادق فيما وعد وقيل البر العطوف على عباده المحسن اليهم الذي عم بره جميع خلقه (الرحيم) بعبيده قوله عز وجل (فذكر) يعني فعظ يا محمد بالقرآن كفار مكة (فما أنت بنعمت ربك) أي برحمته وعصمته وقيل بانعامه عليك بالنبوة (بكاهن ولا مجنون) الكاهن هو الذي يوهم انه يعلم الغيب ويخبر بما في غد من غير وحي والمعنى انك لست كما يقول كفار مكة انه كاهن أو مجنون انما تنطق بالوحي نزلت في الذين اقتسموا اعقاب مكة يرمون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكهانة والسحر والشعر والجنون (أم يقولون) يعني هؤلاء المقتسمين (شاعر) أي هو شاعر (نتربص به) أي ننتظر به (ريب المنون) يعني حوادث الدهر وصروفه فيموت ويهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء أو يتفرق عنه أصحابه وان أباه مات وهو شاب ونحن نرجو أن يكون موته كموت أبيه والمنون اسم للموت وللدهر وأصله القطع سميا بذلك لانهما يقطعان الاجل (قل تربصوا) أي انتظروا بي الموت (فاني معكم من المتربصين) أي من المنتظرين حتى يأتي أمر الله فيكم فعذبوا يوم بدر بالقتل والسبي (أم تأمرهم أحلامهم) أي عقولهم (بهذا) وذلك ان عظماء قريش كانوا يوصفون بالاحلام والعقول فأزرى الله بعقولهم حين لم تثمر لهم معرفة الحق من الباطل (أم هم قوم طاغون) أي يتجاوزون الحد في الطغيان والكفر (أم يقولون تقوله) أي اختلق القرآن من تلقاء نفسه والتقول التكلف ولا يستعمل الا في الكذب والمعنى ليس الامر كما زعموا (بل لا يؤمنون) أي بالقرآن استكبارا ثم ألزمهم الحجة فقال تعالى (فليأتوا بحديث مثله) أي مثل القرآن في نظمه وحسنه وبيانه

بالمغفرة والرحمة (ووقانا عذاب السموم) هي الريح الحارة التي تدخل المسام فسميت بها نار جهنم لانها بهذه الصفة (انا كنا من قبل) من قبل لقاء الله تعالى والمصير اليه يعنون في الدنيا (ندعوه) نعبده ولا نعبد غيره ونسأله الوقاية (انه هو البر) المحسن (الرحيم) العظيم الرحمة الذي اذا عبد اثاب واذا سئل أجاب أنه بالفتح مدني وعلي أي بانه أولانه (فذكر) فاثبت على تذكير الناس وموعظتهم (فما أنت بنعمت ربك) برحمة ربك وانعامه عليك بالنبوة ورجاحة العقل (بكاهن ولا مجنون) كما زعموا وهو في موضع الحال والتقدير لست كاهنا ولا مجنونا ملتبسا بنعمة ربك (ام يقولون) هو (شاعر نتربص به ريب المنون) حوادث الدهر أي ننتظر نوائب الزمان فيهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة وأم في أوائل هذه الآي منقطعة بمعنى بل والهمزة (قل تربصوا فاني معكم من المتربصين) أتربص هلاككم كما تتربصون

هلاكي (أم تأمرهم احلامهم) عقولهم (بهذا) التناقض في القول وهو قولهم كاهن وشاعر مع قولهم مجنون وكانت قريش يدعون أهل الاحلام والنهى (أم هم قوم طاغون) مجاوزون الحد في العناد مع ظهور الحق لهم واسناد الامر الى الاحلام مجاز (أم يقولون تقوله) اختلقه محمد من تلقاء نفسه (بل) رد عليهم أي ليس الامر كما زعموا (لا يؤمنون) فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه المطاعن مع علمهم ببطلان قولهم وانه ليس بمتقول لعجز العرب عنه وما محمد الا واحد من العرب (فليأتوا بحديث) مختلق (مثله) مثل القرآن

(ان كانوا صادقين) فى ان محمدا تقوله من تلقاء نفسه لانه بلسانهم وهم فصحاء (ام خلقوا) ام أحدثوا وقدروا التقدير الذى عليه فطرتهم (من غير شئ) من غير مقدر (ام هم الخالقون) أم هم الذين خلقوا أنفسهم حيث لا يعبدون الخالق وقيل أخلقوا من أجل لا شئ من جزاء ولا حساب أم هم الخالقون فلا يأتمرون (ام خلقوا السموات والارض) فلا يعبدون خالقهما (بل لا يوقنون) أى لا يتدبرون فى الآيات فيعلموا خالقهم وخالق السموات والارض (ام عندهم خزائن ربك) من النبوة والرزق وغيرهما فيخصوا من شاؤا بما شاؤا (أم هم المصيطرون) الارباب الغالبون حتى يدبروا أمر الربوبية ويبنوا الامور على مشيئتهم وبالسين مكى وشامى (أم لهم سلم) منصوب يرتقون به الى السماء (يستمعون فيه) كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من تقدم هلاكه على هلاكهم وظفرهم فى العاقبة دونه كما يزعمون قال الزجاج يستمعون فيه أى عليه (فليأت مستمعهم بسلطان مبين) بحجة واضحة تصدق استماع مستمعهم (ام له البنات ولكم البنون) ثم سفه احلامهم حيث اختاروا لله ما يكرهون وهم حكماء عند أنفسهم (ام تسئلهم أجرا) على التبليغ والانذار (فهم من مغرم مثقلون) المغرم ان يلتزم الانسان ما ليس عليه أى لزمهم مغرم ثقيل فدحهم فزهدهم ذلك فى اتباعك (ام عندهم الغيب) أى اللوح المحفوظ (فهم يكتبون) ما فيه حتى يقولوا لا نبعث وان بعثنا لم نعذب (ام يريدون كيدا) وهو كيدهم فى دار الندوة برسول الله والمؤمنين (فالذين كفروا) اشارة اليهم أو اريد بهم كل من كفر بالله تعالى (هم المكيدون) هم الذين يعود عليهم وبال كيدهم ويحيق بهم مكرهم وذلك انهم قتلوا يوم بدر او المغلوبون فى الكيد من كايدته فكدته (ام لهم اله غير الله) يمنعهم من عذاب الله (سبحان الله عما يشركون وان يروا كسفا من السماء ساقطا

(ان كانوا صادقين) يعنى ان محمدا تقوله من قبل نفسه (أم خلقوا من غير شئ) قال ابن عباس من غير رب خالق والمعنى أم خلقوا من غير شئ خلقهم فوجدوا بلا خالق وذلك مما لا يجوز أن يكون لان تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم فان أنكروا الخالق لم يجز أن يوجدوا بلا خالق (أم هم الخالقون) أى لانفسهم وذلك فى البطلان أشد لان ما لا وجود له كيف يخلق فاذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بان لهم خالقا فليؤمنوا به وليوحدوه وليعبدوه وقيل فى معنى الآية أخلقوا باطلا فلا يحاسبون ولا يؤمرون ولا ينهون أم هم الخالقون أى لانفسهم فلا يجب عليهم لله أمر (أم خلقوا السموات والارض) يعنى ليس الامر كذلك (بل لا يوقنون) أى بالحق وهو توحيد الله تعالى وقدرته على البعث وان الله تعالى هو خالقهم وخالق السموات والارض فليؤمنوا به وليوقنوا انه ربهم وخالقهم (أم عندهم خزائن ربك) يعنى النبوة ومفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاؤا وقيل خزائن المطر والرزق (أم هم المسيطرون) أى المسلطون الجبارون وقيل الارباب القاهرون فلا يكونون تحت أمر ولا نهى ويفعلون ما يشاؤن (أم لهم سلم) يعنى مرقى ومصعدا الى السماء (يستمعون فيه) أى يستمعون عليه الوحى من السماء فيعلمون أن ما هم عليه حق فهم به مستمسكون (فليأت مستمعهم) أى ان ادعوا ذلك (بسلطان مبين) اى بحجة بينة (أم له البنات ولكم البنون) هذا انكار عليهم حيث جعلوا لله ما يكرهون لانفسهم (ام تسئلهم أجرا) أى جعلا على ما جئتهم به من النبوة ودعوتهم اليه من الدين (فهم من مغرم مثقلون) يعنى أثقلهم ذلك المغرم الذى سألتهم فمنعهم عن الاسلام (ام عندهم الغيب) اى علم الغيب وهو ما غاب عنهم حتى علموا ان ما يخبرهم به الرسول من أمر القيامة والبعث باطل وقيل هو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون والمعنى اعلموا ان محمدا يموت قبلهم (فهم يكتبون) اى يحكمون قال ابن عباس معناه أم عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس به (ام يريدون كيدا) أى مكرا بك ليهلكوك (فالذين كفروا هم المكيدون) أى المجزيون بكيدهم والمعنى ان ضرر كيدهم يعود عليهم ويحيق مكرهم بهم وهو أنهم مكروا به فى دار الندوة ليقتلوه فقتلوا ببدر (ام لهم اله غير الله) يعنى يرزقهم و ينصرهم (سبحان الله عما يشركون) المعنى انه نزه نفسه عما يقولون قوله تعالى (وان يروا كسفا من السماء ساقطا) هذا جواب لقولهم فأسقط علينا

كسفا من السماء يقول لو عذبناهم بسقوط قطعة من السماء عليهم لم ينتهوا عن كفرهم (يقولوا) لمعاندتهم هذا (سحاب مركوم) أي بعضه على بعض يسقينا (فذرهم حتى يلاقوا) أي يعاينوا (يومهم الذي فيه يصعقون) أي يموتون ويهلكون (يوم لا يغني عنهم كيدهم شيأ ولا هم ينصرون) أي لا ينفعهم كيدهم يوم الموت ولا يمنعهم من العذاب مانع (وان للذين ظلموا) أي كفروا (عذابا دون ذلك) أي عذابا في الدنيا قبل عذاب الآخرة قال ابن عباس يعني القتل يوم بدر وقيل هو الجوع والقحط سبع سنين وقيل هو عذاب القبر (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أي ان العذاب نازل بهم قوله عز وجل (واصبر لحكم ربك) أي الى أن يقع بهم العذاب الذي حكمنا عليهم به (فانك باعيننا) أي بمرأى منا قال ابن عباس نرى ما يعمل بك وقيل معناه انك بحيث نراك ونحفظك فلا يصلون اليك بمكروه (وسبح بحمد ربك حين تقوم) أي وقل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فان كان المجلس خيرا ازددت بذلك احسانا وان كان غير ذلك كان كفارة له عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك الا كان كفارة لما بينهما أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال ابن عباس معناه حين تقوم من منامك وقيل هو ذكرك الله بالليل من حين تقوم من الفراش الى أن تدخل في الصلاة وعن عاصم بن حميد قال سألت عائشة بأي شيء كان يفتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام الليل فقالت سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك كان اذا قام كبر عشرا وحمد الله عشرا وسبح عشرا وهلل عشرا واستغفر عشرا وقال اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني وعافني وكان يتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة أخرجه أبو داود والنسائي وقيل اذا قمت الى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك يدل عليه ما روى عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا افتتح الصلاة قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وجل ثناؤك ولا اله غيرك أخرجه الترمذي وأبو داود وقد تكلم في أحد رواته وقوله تعالى (ومن الليل فسبحه) أي فصل له يعني صلاة المغرب والعشاء (وادبار النجوم) يعني الركعتين قبل صلاة الفجر وذلك حين تدبر النجوم أي تغيب بضوء الصبح هذا قول أكثر المفسرين يدل عليه ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ادبار النجوم الركعتان قبل الفجر وادبار السجود الركعتان بعد المغرب أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل ادبار النجوم هي فريضة صلاة الصبح (ق) عن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

(تفسير سورة النجم)

(وهي مكية وهي اثنتان وستون آية وثلثمائة وستون كلمة وألف وأربعمائة وخمسة أحرف)

طغيانهم وعنادهم لو أسقطناه عليهم لقالوا هذا سحاب (مركوم) قد ركم أي جمع بعضه على بعض يمطرنا ولم يصدقوا انه كسف ساقط للعذاب (فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون) بضم الياء عاصم وشامي الباقون بفتح الياء يقال صعقه فصعق وذلك عند النفخة الاولى نفخة الصعقة (يوم لا يغني عنهم كيدهم شيأ ولا هم ينصرون وان للذين ظلموا) وان لهؤلاء الظلمة (عذابا دون ذلك) دون يوم القيامة وهو القتل يوم بدر والقحط سبع سنين وعذاب القبر (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ذلك ثم أمره بالصبر الى أن يقع بهم العذاب فقال (واصبر لحكم ربك) بامهالهم وبما يلحقك فيه من المشقة (فانك باعيننا) أي بحيث نراك ونكلؤك وجمع العين لان الضمير بلفظ الجماعة ألا ترى الى قوله ولتصنع على عيني (وسبح بحمد ربك حين تقوم) للصلاة وهو ما يقال بعد التكبير سبحانك اللهم وبحمدك أو من أي مكان قمت أو من منامك (ومن الليل فسبحه وادبار النجوم) واذا أدبرت النجوم من آخر الليل وأدبار زيد أي في اعقاب النجوم وآثارها اذا غربت والمراد الامر بقول سبحان الله وبحمده في هذه الاوقات وقيل التسبيح الصلاة اذا قام من نومه ومن الليل صلاة العشاءين وادبار النجوم صلاة الفجر وبالله التوفيق

(سورة النجم اثنتان وستون آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم والنجم) أقسم بالثريا أو بجنس النجوم (اذا هوى) اذا غرب أو انتثر يوم القيامة وجواب القسم (ما ضل) عن قصد الحق (صاحبكم) ٢٤٨ أي محمد صلى الله عليه وسلم والخطاب لقريش (وما غوى) في اتباع الباطل وقيل الضلال نقيض الهدى والغي نقيض الرشد أي هو مهتد راشد وليس كما تزعمون من نسبتكم اياه الى الضلال والغي (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى) وما أتاكم به من القرآن ليس بمنطق يصدر عن هواه ورأيه انما هو وحي من عند الله يوحى اليه ويحتج بهذه الآية من لا يرى الاجتهاد للانبياء عليهم السلام ويجاب بأن الله تعالى اذا سوغ لهم الاجتهاد وقررهم عليه كان كالوحي لا نطقا عن الهوى (علمه) علم محمدا عليه السلام (شديد القوى) ملك شديد قواه والاضافة غير حقيقية لانها اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها وهو جبريل عليه السلام عند الجمهور ومن قوته انه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الاسود وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين (ذو مرة) ذو منظر حسن عن ابن عباس (فاستوى) فاستقام على صورة نفسه الحقيقية دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي وكان ينزل في صورة دحية وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب أن يراه في صورته التي جبل عليها فاستوى له في الافق الاعلى وهو أفق الشمس فملأ الافق وقيل ما رآه أحد من الانبياء عليهم السلام في صورته الحقيقية سوى محمد الا صلى الله عليه وسلم مرتين مرة في الارض ومرة في السماء (وهو) أي جبريل عليه السلام (بالافق الاعلى) مطلع الشمس

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (والنجم اذا هوى) قال ابن عباس يعني الثريا اذا سقطت وغابت والعرب تسمي الثريا نجما ومنه قولهم اذا طلع النجم عشاء ابتغى الراعي كساء وجاء في الحديث عن أبي هريرة مرفوعا ما طلع النجم قط وفي الارض من العاهة شيء الا رفع أراد بالنجم الثريا وقيل هي نجوم السماء كلها وهويها غروبها فعلى هذا لفظه واحد ومعناه الجمع وروي عن ابن عباس انه الرجوم من النجوم وهي ما ترمى به الشياطين عند استراق السمع وقيل هي النجوم اذا انتثرت يوم القيامة وقيل أراد بالنجم القرآن سمي نجما لانه نزل نجوما متفرقة في عشرين سنة وهو قول ابن عباس أيضا وقيل النجم هو النبت الذي لا ساق له وهويه سقوطه اذا يبس على الارض وقيل النجم هو محمد صلى الله عليه وسلم وهويه نزوله ليلة المعراج من السماء وجواب القسم قوله تعالى (ما ضل صاحبكم) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ما ضل عن طريق الهدى (وما غوى) أي ما جهل وقيل الفرق بين الضلال والغي أن الضلال هو أن لا يجد السالك الى مقصده طريقا أصلا والغواية ان لا يكون له طريق الى مقصده مستقيم وقيل ان الضلال أكثر استعمالا من الغواية (وما ينطق عن الهوى) أي بالهوى والمعنى لا يتكلم بالباطل وذلك انهم قالوا ان محمدا يقول القرآن من تلقاء نفسه (ان هو) أي ما هو يعني القرآن وقيل نطقه في الدين (الا وحي) من الله (يوحى) اليه (علمه شديد القوى) يعني جبريل علم محمدا صلى الله عليه وسلم ما أوحى الله اليه عز وجل وكونه شديد القوى انه اقتلع قرى قوم لوط وحملها على جناحه حتى بلغ بها السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين وكان هبوطه بالوحي على الانبياء أسرع من رجعة الطرف (ذو مرة) أي ذو قوة وشدة وقال ابن عباس ذو منظر حسن وقيل ذو خلق طويل حسن (فاستوى) يعني جبريل عليه الصلاة والسلام (وهو) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى استوى جبريل ومحمد ليلة المعراج (بالافق الاعلى) عند مطلع الشمس وقيل فاستوى يعني جبريل وهو كناية عن جبريل أيضا أي قام في صورته التي خلقه الله فيها وهو بالافق الاعلى وذلك ان جبريل عليه الصلاة والسلام كان يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورة الآدميين كما كان يأتي الانبياء قبله فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريه نفسه على صورته التي جبل عليها فأراه نفسه مرتين مرة في الارض ومرة في السماء فاما التي في الارض فبالافق الاعلى والمراد بالافق الاعلى جانب المشرق وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بحراء فطلع له جبريل عليه الصلاة والسلام من ناحية المشرق فسد الافق الى المغرب فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام في صورة الآدميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه وهو قوله تعالى ثم دنا فتدلى واما التي في السماء فعند سدرة المنتهى ولم يره أحد من الانبياء على تلك الصورة التي خلق عليها

الانبياء محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى) اختلف العلماء فى معنى هذه الآية فروى عن مسروق بن الاجدع قال قلت لعائشة فاين قوله ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او أدنى قالت ذلك جبريل كان يأتيه فى صورة الرجل وانه أتاه فى هذه المرة فى صورته التى هى صورته فسد الافق أخرجاه فى الصحيحين وعن زر بن حبيش فى قوله تعالى فكان قاب قوسين او أدنى وفى قوله ما كذب الفؤاد ما رأى وفى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال فيها كلها ان ابن مسعود قال رأى جبريل عليه الصلاة والسلام له ستمائة جناح زاد فى رواية أخرى رأى جبريل فى صورته أخرجه مسلم والبخارى فى قوله تعالى فكان قاب قوسين او أدنى فاوحى الى عبده ما أوحى فعلى هذا يكون معنى الآية ثم دنا جبريل بعد استوائه بالافق الاعلى من الارض فتدلى الى محمد صلى الله عليه وسلم فكان منه قاب قوسين او أدنى اى بل ادنى و به قال ابن عباس والحسن وقتادة وقيل فى الكلام تقديم وتأخير تقديره ثم تدلى فدنا لان التدلى سبب الدنو وقال آخرون ثم دنا الرب عز و جل من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى اى فقرب منه حتى كان منه قاب قوسين او أدنى وقد ورد فى الصحيحين فى حديث المعراج من رواية شريك بن عبد الله بن أبى نمر عن أنس ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او أدنى وهذه رواية أبى سلمة عن ابن عباس والتدلى هو النزول الى النبى صلى الله عليه وسلم قال الحافظ عبد الحق فى كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكر حديث انس من رواية شريك وقد زاد فيه زيادة مجهولة واتى فيه بالفاظ غير معروفة وقد روى حديث الاسراء جماعة من الحفاظ المتقنين كابن شهاب وثابت البنانى وقتادة يعنى عن انس فلم يأت أحد منهم بما أتى به وفى رواية شريك تقدم وأخر وزاد ونقص فيحتمل ان هذا اللفظ من زيادة شريك فى الحديث وقال الضحاك دنا محمد صلى الله عليه وسلم من ربه عز وجل فتدلى أى فاهوى للسجود فكان منه قاب قوسين أو أدنى والقاب القدر والقوس الذى يرمى به وهو رواية عن ابن عباس وقيل معناه حيث الوتر من القوس فاخبر انه كان بين جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم مقدار قوسين وهذه اشارة الى تأكيد القرب وأصله ان الحليفين من العرب كانا اذا أرادا عقد الصفاء والعهد بينهما خرجا بقوسيهما فألصقا بينهما يريدان بذلك انهما متظاهران يحامى كل واحد منهما عن صاحبه وقال عبد الله بن مسعود قاب قوسين قدر ذراعين والقوس الذراع التى يقاس بها من قاس يقيس او ادنى بل أقرب (فاوحى) أى فاوحى الله (الى عبده) محمد صلى الله عليه وسلم (ما أوحى) وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال أوحى جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوحى اليه ربه عز وجل وقال سعيد بن جبير أوحى اليه ألم يجدك يتيما فآوى الى قوله ورفعنا لك ذكرك وقيل أوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها أنت وعلى الامم حتى تدخلها أمتك قوله عز وجل (ما كذب الفؤاد) قرئ بالتشديد اى ما كذب قلب محمد صلى الله عليه وسلم (ما رأى) أى بعينه تلك الليلة بل صدقه وحققه

(ثم دنى) جبريل من رسول الله صلى الله عليه وسلم (فتدلى) فزاد فى القرب والتدلى هو النزول بقرب الشئ (فكان قاب قوسين) مقدار قوسين عربيتين وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع ومنه لا صلاة ولا كلام الى ان ترتفع الشمس مقدار رمحين وفى الحديث لقاب قوس أحدكم من الجنة وموضع قده خير من الدنيا وما فيها والقد السوط وتقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين فحذفت المضافات (أو ادنى) أى على تقديركم كقوله أو يزيدون وهذا لانهم خوطبوا على لغتهم ومقدار فهمهم وهم يقولون هذا قدر رمحين او انقص وقيل بل ادنى (فاوحى) جبريل عليه السلام (الى عبده) الى عبد الله وان لم يجر لاسمه ذكر لانه لا يلتبس كقوله ماترك على ظهرها (ما أوحى) تفخيم للوحى الذى أوحى اليه قيل أوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها امتك (ما كذب الفؤاد) فؤاد محمد (ما رأى) ما رآه ببصره من صورة جبريل عليه السلام أى ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه يعنى رآه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك فى ان ما رآه حق وقيل المرئى هو الله سبحانه رآه بعين راسه وقيل بقلبه

وقرئ بالتخفيف أي ما كذب فؤاد محمد الذي رآه بل صدقه والمعنى ما كذب الفؤاد فيما
رأى واختلفوا في الذي رآه فقيل رأى جبريل وهو قول ابن عباس وابن مسعود وعائشة
وقيل هو الله عز وجل ثم اختلفوا في معنى الرؤية فقيل جعل بصره في فؤاده وهو قول ابن
عباس (م) عن ابن عباس ما كذب الفؤاد ما رأى ولقد رآه نزلة أخرى قال رآه بفؤاده
مرتين وذهب جماعة الى انه رآه بعينه حقيقة وهو قول انس بن مالك والحسن وعكرمة
قالوا رأى محمد ربه عز وجل وروى عكرمة عن ابن عباس قال ان الله عز وجل اصطفى
ابراهيم بالخلة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمدا بالرؤية وقال كعب ان الله قسم
رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين أخرجه الترمذي باطول
من هذا وكانت عائشة تقول لم ير رسول صلى الله عليه وسلم ربه وتحمل الآية على رؤية
جبريل عن مسروق قال قلت لعائشة يا أماه هل رأى محمد ربه فقالت لقد قف شعري
مما قلت أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك ان محمدا رأى ربه فقد
كذب ثم قرأت لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر
ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب ومن حدثك انه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت
وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت ومن حدثك ان محمدا
كتم أمرا فقد كذب ثم قرأت يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ولكنه رأى جبريل
في صورته مرتين أخرجاه في الصحيحين (م) عن أبي ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه
وسلم هل رأيت ربك قال نور أنى أراه قوله عز وجل (أفتمارونه على ما يرى) يعني
أفتجادلونه على ما يرى وذلك انهم جادلوه حين اسري به وقالوا اصف لنا بيت المقدس
واخبرنا عن عيرنا في الطريق وغير ذلك مما جادلوه به والمعنى اتجادلونه جدالا ترومون
به دفعه عما رآه وعلمه (ولقد رآه نزلة أخرى) يعني رأى جبريل في صورته التي خلق عليها
نازلا من السماء نزلة أخرى وذلك انه رآه في صورته مرتين مرة في الارض ومرة عند سدرة
المنتهى (م) عن أبي هريرة ولقد رآه نزلة اخرى قال رأى جبريل وعلى قول ابن عباس
يعني نزلة أخرى هو أنه كانت للنبي صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة عرجات لمسئلة
التخفيف من اعداد الصلوات فيكون لكل عرجة نزلة فرأى ربه عز وجل في بعضها
وروي عن ابن عباس انه رأى ربه بفؤاده مرتين وعنه انه رآه بعينه (عند سدرة المنتهى)
(م) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به
الى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة واليها ينتهي ما يعرج من الارض فيقبض منها
واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها وقال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش
من ذهب وفي رواية الترمذي اليها ينتهي علم الخلائق لا علم لهم فوق ذلك وفي حديث
المعراج المخرج في الصحيحين ثم صعد بي الى السماء السابعة ثم قال ثم رفعت الى سدرة
المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها كآذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى
وفي افراد مسلم من حديث انس قال ثم عرج بنا الى السماء السابعة وذكره الى أن قال

(أفتمارونه) أفتجادلونه من المراء
وهو المجادلة واشتقاقه من مرى
الناقة كأن كل واحد من
المتجادلين يمري ما عند صاحبه
افتمرونه حمزة وعلي وخلف
ويعقوب افتغلبونه في المراء من
ماريته فمريته ولما فيه من معنى
الغلبة قال (على ما يرى) فعدى
بعلى كما تقول غلبته على كذا
وقيل افتمرونه افتجحدونه يقال
مريته حقه اذا جحدته وتعديته
بعلى لا تصح الا على مذهب
التضمين (ولقد رآه) رأى محمد
جبريل عليهما السلام (نزلة
أخرى) مرة أخرى من النزول
نصبت النزلة نصب الظرف الذي
هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من
الفعل فكانت في حكمها أي
نزل عليه جبريل عليه السلام
نزلة أخرى في صورة نفسه فرآه
عليها وذلك ليلة المعراج (عند
سدرة المنتهى) الجمهور على انها
شجرة نبق في السماء السابعة
عن يمين العرش والمنتهى بمعنى
موضع الانتهاء أو الانتهاء كأنها
في منتهى الجنة وآخرها وقيل
لم يجاوزها أحد واليها ينتهي علم
الملائكة وغيرهم ولا يعلم أحد
ما وراءها وقيل تنتهي اليها
أرواح الشهداء

فيه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى واذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من نور الله ما غشي تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها وقال هلال بن يساف سأل ابن عباس كعبا عن سدرة المنتهى وانا حاضر فقال كعب انها سدرة في أصل العرش على رؤس حملة العرش واليها ينتهي علم الخلائق وما خلفها غيب لا يعلمه الا الله عزوجل وعن اسماء بنت ابي بكر قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر سدرة المنتهى فقال يسير الراكب في ظل الفنن منها مائة سنة او قال يستظل بظلها مائة ألف راكب فيها فراش الذهب كأن ثمرها القلال أخرجه الترمذي وقال مقاتل هي شجرة تحمل الحلي والحلل والثمار من جميع الالوان ولو أن ورقة وضعت منها في الارض لاضاءت لاهل الارض وهي شجرة طوبى التي ذكرها الله في سورة الرعد (عندها جنة المأوى) قال ابن عباس جنة المأوى يأوي اليها جبريل والملائكة وقيل يأوي اليها أرواح الشهداء (اذ يغشى السدرة ما يغشى) قال ابن مسعود فراش من ذهب وقيل يغشاها ملائكة امثال الغربان وقيل أمثال الطيور حتى يقعن عليها وقيل غشيها نور الخلاق وغشيتها الملائكة من حب الله تعالى أمثال الغربان حتى يقعن عليها وقيل هو نور رب العزة ويروى في الحديث قال رأيت على كل ورقة منها ملكا قائما يسبح الله عز وجل (ما زاغ البصر وما طغى) أي ما مال بصر النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام وفي تلك الحضرة المقدسة الشريفة يمينا وشمالا ولا جاوز ما رأى وقيل ما أمر به وهذا وصف أدبه صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام الشريف اذ لم يلتفت الى شئ سوى ما أمر به وفي معنى الآية ان قلنا ان الذي يغشى السدرة فراش من ذهب أي لم يلتفت اليه ولم يشتغل به وفيه بيان أدبه صلى الله عليه وسلم اذ لم يقطع بصره عن المقصود وان قلنا الذي يغشى السدرة هو نور رب العزة ففيه وجهان أحدهما انه صلى الله عليه وسلم لم يلتفت عنه يمنة ولا يسرة ولم يشتغل بغير مطالعة ذلك النور الوجه الثاني ما زاغ البصر بصعقة ولا غشية كما أخبر عن موسى بقوله وخر موسى صعقا وذلك انه لما تجلى رب العزة وظهر نوره على الجبل قطع نظره وغشي عليه ونبينا صلى الله عليه وسلم ثبت في ذلك المقام العظيم الذي تحار فيه العقول وتزل فيه الاقدام وتميل فيه الابصار فوصف الله عزوجل قوة نبينا صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام العظيم بقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى وقوله تعالى (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) يعني رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات العظام وقيل اراد ما رأى تلك الليلة في مسيره ورجوعه وقيل معناه لقد رأى من آيات ربه الآية الكبرى (م) عن عبد الله بن مسعود قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح (خ) عنه قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى رفرفا أخضر سد أفق السماء

(فصل من كلام الشيخ محيي الدين النواوي في معنى قوله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى وهل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه عزوجل ليلة الاسراء) قال القاضي عياض

(عندها جنة المأوى) أي الجنة التي يصير اليها المتقون وقيل تأوي اليها ارواح الشهداء (اذ يغشى السدرة ما يغشى) اي رآه اذ يغشى السدرة ما يغشى وهو تعظيم وتكثير لما يغشاها فقد علم بهذه العبارة ان ما يغشاها من الخلائق الدالة على عظمة الله تعالى وجلاله اشياء لا يحيط بها الوصف وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالى عندها وقيل يغشاها فراش ذهب (ما زاغ البصر) بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عدل عن رؤية العجائب التي امر برؤيتها ومكن منها (وما طغى) وما جاوز ما أمر برؤيته (لقد رأى) والله لقد رأى (من آيات ربه الكبرى) الآيات التي هي كبراها وعظماها يعني حين رقي به الى السماء فارى عجائب الملكوت

اختلف السلف والخلف هل رأى نبينا صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الاسراء فانكرته عائشة كما وقع فى صحيح مسلم وجاء مثله عن أبى هريرة وجماعة وهو المشهور عن ابن مسعود واليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين وروى عن ابن عباس انه رآه بعينه ومثله عن أبى ذر وكعب والحسن وكان يحلف على ذلك وحكى مثله عن ابن مسعود وأبى هريرة وأحمد بن حنبل وحكى أصحاب المقالات عن أبى الحسن الاشعرى وجماعة من أصحابه انه رآه ووقف بعض مشايخنا فى هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز ورؤية الله عز وجل فى الدنيا جائزة وسؤال موسى اياها دليل على جوازها اذ لا يجهل نبى ما يجوز أو يمتنع على ربه واختلفوا فى ان نبينا صلى الله عليه وسلم هل كلم ربه ليلة الاسراء بغير واسطة أم لا فحكى عن الاشعرى وقوم من المتكلمين انه كلمه وعزا بعضهم هذا القول الى جعفر بن محمد وابن مسعود وابن عباس وكذلك اختلفوا فى قوله ثم دنا فتدلى فالاكثر على ان هذا الدنو والتدلى منقسم بين جبريل والنبى صلى الله عليه وسلم أو مختص باحدهما من الآخر أو من سدرة المنتهى وذكر ابن عباس والحسن ومحمد بن كعب وجعفر بن محمد وغيرهم انه دنو من النبى صلى الله عليه وسلم الى ربه أو من الله فعلى هذا القول يكون الدنو والتدلى متأولا ليس على وجهه بل كما قال جعفر بن محمد الدنو من الله لا حد له ومن العباد بالحدود فيكون معنى دنو النبى صلى الله عليه وسلم وقربه منه ظهور عظيم منزلته لديه واشراق انوار معرفته عليه واطلاعه من غيبه وأسرار ملكوته على ما لم يطلع سواه عليه والدنو من الله تعالى له اظهار ذلك وعظيم بره وفضله العظيم لديه ويكون قوله تعالى قاب قوسين أو أدنى هنا عبارة عن لطف المحل وايضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة من نبينا صلى الله عليه وسلم ومن الله تعالى اجابة الرغبة وابانة المنزلة هذا آخر كلام القاضى عياض قال الشيخ محيى الدين وأما صاحب التحرير فانه اختار اثبات الرؤية قال والحجج فى المسئلة وان كانت كثيرة ولكن لا نتمسك الا بالاقوى منها وهو حديث ابن عباس اتعجبون ان تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين وعن عكرمة قال سئل ابن عباس هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه قال نعم وقد روى باسناد لا بأس به عن شعبة عن قتادة عن أنس قال رأى محمد ربه عز وجل وكان الحسن يحلف لقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل والاصل فى المسئلة حديث ابن عباس حبر هذه الامة وعالمها والمرجوع اليه فى المعضلات وقد راجعه ابن عمر فى هذه المسئلة وراسله هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل فاخبره انه رآه ولا يقدح فى هذا حديث عائشة لان عائشة لم تخبر انها سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لم أر ربى وانما ذكرت ما ذكرت متأولة لقول الله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا ولقوله لا تدركه الابصار والصحابى اذا قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن قوله حجة واذا قد صحت الروايات عن ابن عباس انه تكلم فى هذه المسئلة باثبات الرؤية وجب المصير الى اثباتها لانها ليست مما يدرك بالعقل

ويؤخذ

و يؤخذ بالظن وانما يتلقى بالسمع ولا يستجيز أحد ان يظن بابن عباس انه تكلم فى هذه المسئلة بالظن والاجتهاد وقد قال معمر بن راشد حين ذكر اختلاف عائشة وابن عباس ما عائشة عندنا باعلم من ابن عباس ثم ان ابن عباس أثبت ما نفاه غيره والمثبت مقدم على النافى هذا كلام صاحب التحرير فى اثبات الرؤية قال الشيخ محيى الدين فالحاصل ان الراجح عند أكثر العلماء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه عزوجل بعينى رأسه ليلة الاسراء لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم واثبات هذا لا يأخذونه الا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مما لا ينبغى ان يتشكك فيه ثم ان عائشة لم تنف الرؤية بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان معها حديث لذكرته وانما اعتمدت على الاستنباط من الآيات وسنوضح الجواب عنها فنقول اما احتجاج عائشة رضى الله تعالى عنها بقوله تعالى لا تدركه الابصار فجوابه ظاهر فان الادراك هو الاحاطة والله تعالى لا يحاط به واذا ورد النص بنفى الاحاطة لا يلزم منه نفى الرؤية بغير احاطة وهذا الجواب فى نهاية الحسن مع اختصاره وأما احتجاجها بقوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا الآية فالجواب عنه من أوجه أحدها انه لا يلزم مع الرؤية وجود الكلام حال الرؤية فيجوز وجود الرؤية من غير كلام الوجه الثانى انه عام مخصوص بما تقدم من الادلة الوجه الثالث ما قاله بعض العلماء ان المراد بالوحى الكلام من غير واسطة وهذا القول وان كان محتملا لكن الجمهور على ان المراد بالوحى هنا الالهام والرؤية فى المنام وكلاهما يسمى وحيا وأما قوله تعالى او من وراء حجاب فقال الواحدى وغيره معناه غير مجاهر لهم بالكلام بل يسمعون كلامه سبحانه من حيث لا يرونه وليس المراد ان هناك حجابا يفصل موضعا عن موضع ويدل على تحديد المحجوب فهو بمنزلة ما يسمع من وراء حجاب حيث لم ير المتكلم وقول عائشة فى أول الحديث لقد قف شعرى فمعناه قام شعرى من الفزع لكونى سمعت ما لا ينبغى ان يقال تقول العرب عند انكار الشئ قف شعرى واقشعر جلدى واشمأزت نفسى وقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث أبى ذر نور أنى اراه فهو بتنوين نور وبفتح الهمزة فى أنى وتشديد النون المفتوحة ومعناه حجابه نور فكيف أراه قال الماوردى الضمير فى أراه عائد على الله تعالى والمعنى ان النور يمنعنى من الرؤية كما جرت العادة باغشاء الانوار الابصار ومنعها من ادراك ما حلت بين الرائى و بينه وفى رواية رأيت نورا معناه رأيت النور فحسب ولم أر غيره وفى رواية ذاته نور أنى أراه ومعناه هو خالق النور المانع من رؤيته فيكون من صفات الافعال ومن المستحيل ان تكون ذات الله نورا اذ النور من جملة الاجسام والله يتعالى عن ذلك هذا مذهب جميع أئمة المسلمين والله أعلم قوله عزوجل (أفرأيتم اللات والعزى) هذه أسماء أصنام اتخذوها آلهة يعبدونها واشتقوا لها اسماء من اسماء الله عزوجل فقالوا من الله اللات ومن العزيز العزى وقيل العزى تانيث الاعز والمعنى اخبرونا عن هذه الآلهة التى تعبدونها من دون الله هل لها من القدرة والعظمة التى وصف بها رب العزة شئ وكان اللات بالطائف وقيل بنخلة كانت قريش تعبده وقرئ

(أفرأيتم اللات والعزى

ومناة الثالثة) أى اخبرونا عن هذه الاشياء التى تعبدونها من دون الله عزوجل هل لها من القدرة والعظمة التى وصف بها رب العزة اللات والعزى ومناة أصنام لهم وهى مؤنثات فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل كانت بنخلة تعبدها قريش وهى فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها و يعكفون للعبادة والعزى كانت لغطفان وهى سمرة وأصلها تانيث الاعز وقطعها خالد بن الوليد ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة وقيل لثقيف وكانها سميت مناة لان دماء النسائك كانت تمنى عندها أى تراق ومناة مفعلة من النوء كانهم كانوا يستمطرون عندها الانواء تبركا بها (الاخرى) هى صفة ذم أى المتأخرة الوضيعة المقدار كقوله وقالت أخراهم لاولاهم أى وضعاؤهم لرؤسائهم واشرافهم ويجوز ان تكون الاولية والتقدم عندهم للات والعزى كانوا يقولون ان الملائكة وهذه الاصنام بنات الله وكانوا يعبدونهم ويزعمون انهم شفعاؤهم عند الله مع وأدهم البنات وكراهتهم لهن فقيل لهم

اللات بالتشديد (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان اللات رجلا يلت السويق للحاج قيل فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقيل كان فى رأس جبل له غنيمة يسلأ منها السمن و يأخذ منها الاقط و يجمع رسلها ثم يتخذ حيسا فيطعم الحاج وكان ببطن نخلة فلما مات عبدوه وهو اللات وقيل كان رجلا من ثقيف يقال له صرمة بن غنم وكان يسلأ السمن فيضعه على صخرة فتأتيه العرب فتلت به أسوقتهم فلما مات الرجل حولتها ثقيف الى منازلها فعرت الطائف على موضع اللات وأما العزى فقيل هى شجرة بغطفان كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فجعل يضربها بالفأس ويقول

ياعز كفرانك لاسبحانك * انى رأيت الله قد أهانك

فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية بويلها واضعة يدها على رأسها و يقال ان خالدا رجع الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال قد قطعتها فقال ما رأيت فقال ما رأيت شيأ فقال ما قطعت فعاودها ومعه المعول فقطعها واجتث أصلها فخرجت منها امرأة عريانة فقتلها ثم رجع الى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا وقيل هى صنم لغطفان وضعها لهم سعد بن ظالم الغطفانى وقيل انه قدم مكة فرأى الصفا والمروة ورأى أهل مكة يطوفون بينهما فرجع الى بطن نخلة فقال لقومه ان لاهل مكة الصفا والمروة وليستا لكم ولهم اله يعبدونه وليس لكم قالوا فما تأمرنا قال انا اصنع لكم كذلك فاخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة ونقلهما الى نخلة فوضع الذى اخذ من الصفا وقال هذا الصفا ثم وضع الذى اخذ من المروة وقال هذه المروة ثم أخذ ثلاثة احجار واسندها الى شجرة وقال هذا ربكم فجعلوا يطوفون بين الحجرين ويعبدون الحجارة الثلاث حتى افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وأمر برفع الحجارة وأمر خالد بن الوليد بالعزى فقطعها وقيل هى بيت بالطائف كان تعبده ثقيف وقوله (ومناة) قيل هى لخزاعة كانت بقديد وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها فى الانصار كانوا يهلون لمناة وكانت حذو قديد وقيل هى بيت بالمشلل كانت تعبده بنو كعب وقيل مناة صنم لهذيل وخزاعة وكانت تعبدها أهل مكة وقيل اللات والعزى ومناة أصنام من الحجارة كانت فى جوف الكعبة يعبدونها (الثالثة الاخرى) الثالثة نعت لمناة اذهى الثالثة فى الذكر وأما الاخرى فان العرب لاتقول الثالثة الاخرى وانما الاخرى هنا نعت للثلاثة قال الخليل قالها لوفاق رؤس الآى كقوله مآرب أخرى ولم يقل أخر وقيل فى الآية تقديم وتأخير تقديره أفرأيتم اللات والعزى الاخرى ومناة الثالثة وقيل هى صفة ذم كانه تعالى قال ومناة الثالثة المتأخرة الذليلة فعلى هذا فالاصنام ترتب مراتب وذلك لان اللات كان صنما على صورة آدمى والعزى شجرة فهى نبات ومناة صخرة فهى جماد وهى فى أخريات المراتب ومعنى الآية هل رأيتم هذه الاصنام حق الرؤية واذا رأيتموها علمتم انها لاتصلح للعبادة لانها لاتضر ولاتنفع وقيل أفرأيتم أيها الزاعمون ان اللات والعزى ومناة بنات الله ألكم الذكر وله الانثى وقيل كان المشركون بمكة يقولون الاصنام

والملائكة بنات الله وكان الرجل منهم اذا بشر بالانثى كره ذلك فقال الله عز وجل منكرا عليهم (ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى) قال ابن عباس أي قسمة جائرة حيث جعلتم لربكم ما تكرهون لانفسكم وقيل قسمة عوجاء غير معتدلة (ان هي) أي ما هذه الاصنام (الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم) والمعنى انكم سميتموها آلهة وليست بآلهة حقيقة ولا معبودة حقيقة وقيل معناه قلتم لبعضها عزى ولا عزة لها ولا يكون لها مسمى حقيقة (ما أنزل الله بها من سلطان) أي حجة بما تقولون انها آلهة (ان يتبعون الا الظن) أي في قولهم انها آلهة (وما تهوى الانفس) يعني هو ما زين لهم الشيطان من عبادة الاصنام وقيل وضعوا عبادتهم بمقتضى شهواتهم والذي ينبغي أن تكون العبادة بمقتضى الشرع لا بمتابعة هوى النفس (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) أي البيان بالكتاب المنزل والنبي المرسل ان الاصنام ليست بآلهة وان العبادة لا تصلح الا لله الواحد القهار قوله تعالى (أم للانسان ما تمنى) معناه أيظن الكافر أن له ما يتمنى ويشتهى من شفاعة الاصنام أي ليس الامر كما يظن ويتمنى (فلله الآخرة والاولى) أي لا يملك أحد فيهما شيأ أبدا الا باذنه وقيل معناه ان الانسان اذا اختار معبودا على ما تمناه واشتهاه فلله الآخرة والاولى يعاقبه على فعله ذلك ان شاء في الدنيا والآخرة وان شاء أمهله الى الآخرة (وكم من ملك في السموات) اي ممن يعبدهم هؤلاء ويرجون شفاعتهم عند الله (لا تغني شفاعتهم شيأ) يعني ان الملائكة مع علو منزلتهم لا تغني شفاعتهم شيأ فكيف تشفع الاصنام مع حقارتها ثم أخبر ان الشفاعة لا تكون الا باذنه فقال تعالى (الا من بعد أن يأذن الله) اي في الشفاعة (لمن يشاء ويرضى) اي من أهل التوحيد قال ابن عباس يريد لا تشفع الملائكة الا لمن رضى الله عنه وقيل الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء من الملائكة في الشفاعة لمن شاء الشفاعة له (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة) يعني الكفار الذين أنكروا البعث (ليسمون الملائكة تسمية الانثى) اي بتسمية الانثى حيث قالوا انهم بنات الله فان قلت كيف قال تسمية الانثى ولم يقل تسمية الاناث قلت المراد منه بيان الجنس وهذا اللفظ أليق بهذا الموضع لمناسبته رؤس الآى وقيل ان كل واحد من الملائكة يسمونه تسمية الانثى وذلك لانهم اذا قالوا الملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهي تسمية الانثى (وما لهم به من علم) أي بالله فيشركون به ويجعلون له ولدا او قيل ما يستيقنون ان الملائكة اناث (ان يتبعون الا الظن) أي في تسمية الملائكة بالاناث (وان الظن لا يغني من الحق شيأ) أي لا يقوم الظن مقام

حجة (ان يتبعون الا الظن) الا توهم أن ما هم عليه حق (وما تهوى الانفس) وما تشتهيه أنفسهم (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) الرسول والكتاب فتركوه ولم يعملوا به (أم للانسان ما تمنى) هي ام المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار أي ليس للانسان يعني الكافر ما تمنى من شفاعة الاصنام او من قوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقيل هو تمنى بعضهم أن يكون هو النبي (فلله الآخرة والاولى) أي هو مالكهما وله الحكم فيهما يعطي النبوة والشفاعة من شاء وارتضى لا من تمنى (وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيأ الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى) يعني ان أمر الشفاعة ضيق فان الملائكة مع قربهم وكثرتهم لو شفعوا بأجمعهم لاحد لم تغن شفاعتهم قط ولم تنفع الا اذا شفعوا من بعد أن يأذن الله لهم في الشفاعة لمن يشاء الشفاعة له ويرضاه ويراه أهلا لان يشفع له فكيف تشفع الاصنام اليه

لعبدتهم (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة) أي كل واحد منهم (تسمية الانثى) لانهم اذا قالوا الملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهي تسمية الانثى (وما لهم به من علم) أي بما يقولون وقرئ بها أي بالملائكة او بالتسمية (ان يتبعون الا الظن) هو تقليد الآباء (وان الظن لا يغني من الحق شيأ) أي انما يعرف الحق الذي هو حقيقة الشئ وما هو عليه بالعلم والتيقن لا بالظن والتوهم

العلم الذى هو الحق وقيل معناه انما يدرك الحق الذى هو حقيقة الشئ بالعلم واليقين لا بالظن والتوهم وقيل الحق هو الله تعالى والمعنى ان الاوصاف الالهية لاتستخرج بالظنون (فأعرض عمن تولى عن ذكرنا) يعنى القرآن وقيل عن الايمان (ولم يرد الا الحيوة الدنيا) يعنى انهم لا يؤمنون بالآخرة حتى يريدوها ويعملوا لها وفيه اشارة الى انكارهم الحشر ثم صغر رأيهم فقال تعالى (ذلك مبلغهم من العلم) اى ذلك نهاية علمهم وقلة عقولهم أن آثروا الدنيا على الآخرة وقيل معناه انهم لم يبلغوا من العلم الا ظنهم ان الملائكة بنات الله وانهم يشفعون لهم فاعتمدوا على ذلك وأعرضوا عن القرآن والايمان (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) أى هو عالم بالفريقين ويجازيهم باعمالهم (ولله ما فى السموات وما فى الارض) وهذه اشارة الى كمال قدرته وغناه وهو معترض بين الآية الاولى وبين قوله (ليجزى الذين أساؤا بما عملوا) والمعنى اذا كان أعلم بهم جازى كل أحد بما يستحقه فيجزى الذين اساؤا أى اشركوا بما عملوا من الشرك (ويجزى الذين احسنوا) اى وحدوا ربهم (بالحسنى) يعنى بالجنة وانما يقدر على مجازاة المحسن والمسىء اذا كان كثير الملك كامل القدرة فلذلك قال ولله ما فى السموات وما فى الارض ثم وصف المحسنين فقال عز وجل (الذين يجتنبون كبائر الاثم) قيل الاثم الذنب الذى يستحق صاحبه العقاب وقيل هو اسم للافعال المبطئة عن الثواب وقيل هو فعل ما لا يحل وقيل الاثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر وجمعه آثام والكبيرة متعارفة فى كل ذنب تعظم عقوبته وجمعه كبائر (والفواحش) جمع فاحشة وهى ما عظم قبحه من الافعال والاقوال وقيل هى ما فحش من الكبائر (الا اللمم) أى الا ما قل وصغر من الذنوب وقيل هى مقاربة المعصية من قولك الممت بكذا اذا قاربته من غير مواقعة واختلفوا فى معنى الآية فقيل هذا استثناء صحيح واللمم من الكبائر والفواحش ومعنى الآية الا ان يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب او يقع الوقعة ثم ينتهى وهو قول أبى هريرة ومجاهد والحسن ورواية عن ابن عباس وقال عبد الله بن عمرو بن العاص اللمم ما دون الشرك وقال أبو صالح سئلت عن قول الله عز وجل الا اللمم فقلت هو الرجل يلم بالذنب ثم لا يعاود فذكرت ذلك لابن عباس فقال اعانك عليها ملك كريم عن ابن عباس فى قوله عز وجل الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تغفر اللهم تغفر جما وأى عبد لك لا ألما أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح غريب وقيل أصل اللمم والالمام ما يعمله الانسان الحين بعد الحين ولا يكون له اعادة ولا اقامة وقيل هو استثناء منقطع مجازه لكن اللمم ولم يجعلوا اللمم من الكبائر والفواحش ثم اختلفوا فى معناه فقيل هو ما سلف فى الجاهلية فلا يؤاخذهم به فى الاسلام وذلك ان المشركين قالوا للمسلمين انهم كانوا بالامس يعملون معنا فأنزل الله عز وجل هذه الآية وهذا قول زيد بن ثابت وزيد بن أسلم وقيل اللمم هو صغار الذنوب كالنظرة والغمزة والقبلة ونحو ذلك مما هو دون الزنا

(فاعرض عمن تولى عن ذكرنا) فاعرض عمن رأيته معرضا عن ذكر الله أى القرآن (ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك) أى اختيارهم الدنيا والرضا بها (مبلغهم من العلم) منتهى علمهم (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) أى هو أعلم بالضال والمهتدى ومجازيهما (ولله ما فى السموات وما فى الارض ليجزى الذين أساؤا بما عملوا) بعقاب ما عملوا من السوء او بسبب ما عملوا من السوء (ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى) بالمثوبة الحسنى وهى الجنة او بسبب الاعمال الحسنى والمعنى ان الله عز وجل انما خلق العالم وسوى هذا الملكوت ليجزى المحسن من المكلفين والمسىء منهم اذ الملك أهل لنصر الاولياء وقهر الاعداء (الذين) بدل أو فى موضع رفع على المدح أى هم الذين (يجتنبون كبائر الاثم) أى الكبائر من الاثم لان الاثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر والكبائر الذنوب التى يكبر عقابها كبير حمزة وعلى أى النوع الكبير منه (والفواحش) ما فحش من الكبائر كانه قال والفواحش منها خاصة قيل الكبائر ما أوعد عليه النار والفواحش ما شرع فيها الحد (الا اللمم) أى الصغائر والاستثناء منقطع لانه ليس من الكبائر والفواحش وهو كالنظرة والقبلة

وهو قول ابن مسعود وأبي هريرة ومسروق والشعبي والرواية الاخرى عن ابن عباس (ق) عن ابن عباس قال ما رأيت شيأ أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تتمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه ولمسلم قال كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة العينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه وقيل اللمم على وجهين أحدهما انه كل ذنب لم يذكر الله تعالى عليه حدا في الدنيا ولا عذابا في الآخرة فذلك الذي تكفره الصلوات الخمس وصوم رمضان ما لم يبلغ الكبائر والفواحش الوجه الثاني هو الذنب العظيم يلم به المسلم المرة بعد المرة فيتوب منه وقيل هو ما لم على القلب أي خطر وقيل اللمم النظرة من غير عمد فهو مغفور فان أعاد النظر فليس بلمم فهو ذنب والله سبحانه وتعالى أعلم

(فصل في بيان الكبيرة وحدها وتمييزها عن الصغيرة) قال العلماء أكبر الكبائر الشرك بالله وهو ظاهر لا خفاء به لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم ويليه القتل بغير حق فاما ما سواهما من الزنا واللواط وشرب الخمر وشهادة الزور وأكل مال اليتيم بغير حق والسحر وقذف المحصنات وعقوق الوالدين والفرار من الزحف وأكل الربا وغير ذلك من الكبائر التي ورد بها النص فلها تفاصيل وأحكام تعرف بها مراتبها ويختلف أمرها باختلاف الاحوال والمفاسد المرتبة عليها فعلى هذا يقال في كل واحدة منها هي من أكبر الكبائر بالنسبة الى ما دونها وقد جاء عن ابن عباس انه سئل عن الكبائر أسبع هي قال هي الى السبعين أقرب وفي رواية الى سبعمائة أقرب وقد اختلف العلماء في حد الكبيرة وتمييزها عن الصغيرة فجاء عن ابن عباس كل شيء نهى الله عنه فهو كبيرة وبهذا قال الاستاذ أبو اسحق الاسفرايني وحكاه القاضي عياض عن المحققين واحتج القائلون بهذا بأن كل مخالفة فهي بالنسبة الى جلال الله كبيرة وذهب الجماهير من السلف والخلف من جميع الطوائف الى انقسام المعاصي الى صغائر وكبائر وقد تظاهرت على ذلك دلائل الكتاب والسنة واستعمال سلف الائمة واذا ثبت انقسام المعاصي الى صغائر وكبائر فقد اختلف في ضبطها فروي عن ابن عباس انه قال الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب وعن الحسن نحو هذا وقيل هي ما وعد الله عليه بنار في الآخرة أو حد في الدنيا وقال الغزالي في البسيط الضابط الشامل في ضبط الكبيرة ان كل معصية يقدم عليها المرء من غير استشعار خوف أو استحداث ندم كالمتهاون في ارتكابها والمتجرئ عليها اعتيادا فما أشعر بهذا الاستخفاف والتهاون فهو كبيرة وما تحمل عليه فلتات النفس وفترة مراقبة التقوى ولا ينفك عن ندم يمتزج به تنغيص التلذذ بالمعصية فهذا لا يمنع العدالة وليس بكبيرة وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في كتابه القواعد اذا أردت معرفة الفرق بين الكبيرة والصغيرة فاعرض مفسدة الذنب

على مفاسد الكبائر المنصوص عليها فان نقصت عن أقل مفاسد الكبائر فهى من الصغائر وان ساوت أدنى مفاسد الكبائر أو زادت عليه فهى من الكبائر فمن أمسك امرأة محصنة لمن يزنى بها أو أمسك مسلما لمن يقتله فلا شك ان مفسدة ذلك أعظم ممن أكل درهما من مال اليتيم مع كونه من الكبائر وكذلك لودل الكفار على عورة المسلمين مع علمه بانهم يستأصلونهم بدلالته فان تسببه الى هذه المفسدة أعظم من توليه يوم الزحف بغير عذر مع كونه من الكبائر وكذلك لو كذب على انسان كذبا يعلم انه يقتل بسببه ولو كذب على انسان كذبا يعلم انه يؤخذ منه تمرة بسبب كذبه لم يكن ذلك من الكبائر وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح فى فتاويه الكبيرة كل ذنب كبر وعظم عظما بحيث يصح معه انه يطلق عليه اسم الكبيرة ويوصف بكونه عظيما على الاطلاق فهذا أحد الكبيرة ولها أمارات منها الحد ومنها الايعاد عليها بالعذاب بالنار ونحوها فى الكتاب أو السنة ومنها ماوصف فاعلها بالفسق او يضاف اليها اللعن كلعن الله من غير منار الارض ونحو ذلك والله أعلم وقوله تعالى (ان ربك واسع المغفرة) قال ابن عباس لمن فعل ذلك ثم تاب وأناب وروى عن عمر بن الخطاب وابن عباس قالا لا كبيرة فى الاسلام أى لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار ومعناه ان الكبيرة أيضا تمحى بالاستغفار والتوبة والصغيرة تصير كبيرة بالاصرار عليها وقيل فى حد الاصرار هو ان يتكرر منه الصغيرة تكرارا يشعر بقلة مبالاته بذنبه وتم الكلام على قوله ان ربك واسع المغفرة ثم ابتدأ فقال تعالى (هو أعلم بكم) أى قبل ان يخلقكم وهو قوله (اذ أنشأكم من الارض) أى خلق أباكم آدم من التراب (واذ أنتم أجنة) جمع جنين (فى بطون امهاتكم) سمى جنينا لاستتاره فى بطن امه (فلا تزكوا أنفسكم) قال ابن عباس لا تمدحوها وقال الحسن علم الله من كل نفس ماهى صانعة والى ماهى صائرة فلا تزكوا أنفسكم فلا تبرؤها من الآثام ولا تمدحوها بحسن الاعمال وقيل فى معنى الآية هو أعلم بكم أيها المؤمنون علم حالكم من أول خلقكم الى آخر يومكم فلا تزكوا أنفسكم رياء وخيلاء ولا تقولوا لمن لم تعرفوا حقيقته أنا خير منك أو أنا أزكى منك او أتقى منك فان العلم عند الله وفيه اشارة الى وجوب خوف العاقبة فان الله يعلم عاقبة من هو على التقوى وهو قوله تعالى (هو أعلم بمن اتقى) أى بر وأطاع وأخلص العمل وقيل فى معنى الآية فلا تزكوا أنفسكم أى لا تنسبوها الى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات وقيل لا تنسبوها الى الزكاة والطهارة من المعاصى ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكى منكم والتقى أولا وآخرا قبل ان يخرجكم من صلب أبيكم آدم وقبل ان تخرجوا من بطون أمهاتكم قيل نزلت فى ناس كانوا يعملون أعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فانزل الله فيهم هذه الآية قوله عز وجل (أفرأيت الذى تولى) نزلت فى الوليد ابن المغيرة كان قد اتبع النبى صلى الله عليه وسلم على دينه فعيره بعض المشركين وقالوا أتركت دين الاشياخ وضللت قال انى خشيت عذاب الله فضمن له الذى عاتبه ان أعطاه كذا من ماله ورجع الى الشرك ان يتحمل عنه عذاب الله فرجع

والنميمة والغمزة (ان ربك واسع المغفرة) فيغفر مايشاء من الذنوب من غير توبة (هو أعلم بكم اذ أنشأكم) أى أباكم (من الارض واذ أنتم أجنة) جمع جنين (فى بطون امهاتكم فلا تزكوا أنفسكم) فلا تنسبوها الى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات او الى الزكاء والطهارة من المعاصى ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكى منكم والتقى أولا وآخرا قبل ان يخرجكم من صلب آدم عليه السلام وقبل أن تخرجوا من بطون امهاتكم وقيل كان ناس يعملون أعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان على سبيل الاعجاب أو الرياء لا على سبيل الاعتراف بالنعمة فانه جائز لان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر (هو أعلم بمن اتقى) فاكتفوا بعلمه عن علم الناس وبجزائه عن ثناء الناس (أفرأيت الذى تولى) أعرض عن الايمان

(وأعطى قليلا وأكدى) قطع عطيته وامسك واصله اكداء الحافر وهو ان تلقاه كدية وهي صلابة كالصخرة فيمسك عن الحفر عن ابن عباس رضي الله عنهما فيمن كفر بعد الايمان وقيل في الوليد بن المغيرة وكان قد اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بعض الكافرين وقال له تركت دين الاشياخ وزعمت أنهم في النار قال اني خشيت عذاب الله فضمن له ان هو اعطاه شيأ من ماله ورجع الى شركه أن يتحمل عنه عذاب الله ففعل وأعطى الذي عاتبه بعض ما كان ضمن له ثم بخل ومنعه (أعنده علم الغيب فهو يرى) اهو يعلم أن ما ضمنه من عذاب الله حق (ام لم ينبأ) يخبر (بما في صحف موسى) أي التوراة (وابراهيم) أي وفي صحف ابراهيم (الذي وفى) أي وفر وأتم كقوله فأتمهن واطلاقه ليتناول كل وفاء وتوفية وقرئ مخففا والتشديد مبالغة في الوفاء وعن الحسن ما أمره الله بشئ الا وفى به وعن عطاء بن السائب عهد ان لا يسأل مخلوقا فلما قذف في النار قال له جبريل ألك حاجة فقال أما اليك فلا وعن النبي صلى الله عليه وسلم وفى عمله كل يوم باربع ركعات في صدر النهار وهي صلاة الضحى وروى الا أخبركم لم سمى الله خليله الذي وفى كان يقول اذا أصبح واذا أمسى فسبحان الله حين تمسون الى حين تظهرون وقيل وفى سهام الاسلام وهي ثلاثون عشرة في التوبة التائبون وعشرة في الاحزاب ان المسلمين وعشرة في المؤمنين قد أفلح المؤمنون ثم أعلم بما في صحف موسى وابراهيم فقال (ألا تزر وازرة وزر أخرى) تزر من وزر يزر اذا اكتسب وزرا وهو الاثم وأن مخففة من الثقيلة والمعنى انه لا تزر والضمير ضمير الشان ومحل أن وما بعدها الجر بدلا مما في صحف موسى أو الرفع على هو أن لا تزر كأن قائلا قال وما في صحف موسى وابراهيم فقيل ألا تزر وازرة وزر أخرى أي لا تحمل نفس ذنب نفس (وأن ليس للانسان الا ما سعى) أي سعيه وهذه أيضا مما في صحف ابراهيم وموسى واما ما صح في الاخبار من الصدقة عن الميت والحج عنه فقد قيل ان سعي غيره لما لم ينفعه الا مبنيا على سعي نفسه وهو أن يكون مؤمنا كان سعي غيره كأنه سعي نفسه لكونه تابعا له وقائما بقيامه ولان سعي غيره لا ينفعه اذا عمله لنفسه ولكن اذا نواه به فهو بحكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه

الوليد الى الشرك واعطى للذي عيره بعض الذي ضمن له من المال ومنعه تمامه فانزل الله افرأيت الذي تولى أي ادبر واعرض عن الايمان (وأعطى) أي لصاحبه الذي عيره (قليلا وأكدى) أي بخل بالباقي وقيل أعطى قليلا أي من الخير بلسانه وأكدى أي قطعه وأمسك ولم يتم بالعطية وقيل نزلت في العاص بن وائل السهمي وذلك انه كان ربما يوافق النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الامور وقيل نزلت في أبي جهل وذلك انه قال والله ما يأمرنا محمد الا بمكارم الاخلاق فذلك قوله وأعطى قليلا وأكدى أي لم يؤمن به ومعنى الآية أكدى أي قطع واصله من الكدية وهي حجر يظهر في البئر يمنع من الحفر (أعنده علم الغيب فهو يرى) أي ما غاب عنه اي ان صاحبه يتحمل عنه عذابه (أم لم ينبأ) اي يخبر (بما في صحف موسى) يعني أسفار التوراة (وابراهيم) أي ويخبر بما في صحف ابراهيم (الذي وفى) أي كمل وتمم ما أمر به وقيل عمل بما أمر به وبلغ رسالات ربه الى خلقه وقيل وفى بما فرض عليه وقيل قام بذبح ولده وقيل استكمل الطاعة وقيل وفى بما فرض عليه في سهام الاسلام وهو قوله واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن والتوفية الاتمام وقيل وفى في شأن المناسك وروى البغوي بسنده عن أبي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابراهيم الذي وفى عمله كل يوم بأربع ركعات أول النهار عن أبي الدرداء وأبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تبارك وتعالى انه قال ابن آدم اركع لي أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ثم بين ما في صحفهما فقال تعالى (ألا تزر وازرة وزر أخرى) أي لا تحمل نفس حاملة حمل نفس أخرى والمعنى لا تؤخذ نفس باثم غيرها وفي هذا ابطال قول من ضمن للوليد بن المغيرة انه يحمل عنه الاثم وقال ابن عباس كانوا قبل ابراهيم يأخذون الرجل بذنب غيره كان الرجل يقتل بقتل أبيه وابنه وأخيه وامرأته وعبده حتى كان ابراهيم عليه الصلاة والسلام فنهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله تعالى ألا تزر وازرة وزر أخرى (وأن ليس للانسان الا ما سعى) أي عمل وهذا في صحف ابراهيم وموسى أيضا قال ابن عباس هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة بقوله تعالى ألحقنا بهم ذرياتهم فادخل الابناء الجنة بصلاح الآباء وقيل كان ذلك لقوم ابراهيم وموسى فاما هذه الامة فلها

من سعوا وما سعى لهم غيرهم لما روى عن ابن عباس ان امرأة رفعت صبيا لها فقالت يا رسول الله ألهذا حج قال نعم ولك أجر أخرجه مسلم وعنه أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أمى توفيت أينفعها ان تصدقت عنها قال نعم وفى رواية ان سعد بن عبادة أخا بنى ساعدة ذكر نحوه وأخرجه البخارى وعن عائشة رضى الله عنها قالت ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أمى افتلتت نفسها واظنها لو تكلمت تصدقت فهل لها أجر ان تصدقت عنها قال نعم أخرجاه فى الصحيحين وفى حديث ابن عباس دليل لمذهب الشافعى ومالك وأحمد وجماهير العلماء ان حج الصبى منعقد صحيح يثاب عليه وان كان لا يجزيه عن حجة الاسلام بل يقع تطوعا وقال أبو حنيفة لا يصح حجه وانما يكون ذلك تمرينا للعبادة وفى الحديثين الآخرين دليل على أن الصدقة عن الميت تنفع الميت ويصله ثوابها وهو اجماع العلماء وكذلك أجمعوا على وصول الدعاء وقضاء الدين للنصوص الواردة فى ذلك ويصح الحج عن الميت حجة الاسلام وكذا لو أوصى بحج تطوع على الاصح عند الشافعى واختلف العلماء فى الصوم اذا مات وعليه صوم فالراجح جوازه عنه للاحاديث الصحيحة فيه والمشهور من مذهب الشافعى ان قراءة القرآن لا يصله ثوابها وقال جماعة من أصحابه يصله ثوابها وبه قال أحمد بن حنبل وأما الصلوات وسائر التطوعات فلا يصله عند الشافعى والجمهور وقال أحمد يصله ثواب الجميع والله أعلم وقيل أراد بالانسان الكافر والمعنى ليس له من الخير الا ما عمل هو فيثاب عليه فى الدنيا بأن يوسع عليه فى رزقه ويعافى فى بدنه حتى لا يبقى له فى الآخرة خير وروى أن عبد الله بن أبى ابن سلول كان أعطى العباس قيصا ألبسه اياه فلما مات أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم قيصه ليكفن فيه فلم يبق له فى الآخرة حسنة يثاب عليها وقيل ليس للانسان الا ما سعى هو من باب العدل فاما من باب الفضل فجائز أن يزيده الله ما يشاء من فضله وكرمه (وأن سعيه سوف يرى) أى يراه فى ميزانه يوم القيامة وفيه بشارة للمؤمن وذلك ان الله تعالى يريه أعماله الصالحة ليفرح بها ويحزن الكافر بأعماله الفاسدة فيزداد غما (ثم يجزاه) أى السعى (الجزاء الاوفى) أى الاتم الاكمل والمعنى ان الانسان يجزى جزاء سعيه الجزاء الاوفى قوله عز وجل (وأن الى ربك المنتهى) أى اليه منتهى الخلق ومصيرهم اليه فى الآخرة وهو مجازيهم بأعمالهم وفى المخاطب بهذا وجهان أحدهما انه عام تقديره وان الى ربك أيها السامع أو العاقل كائنا من كان المنتهى فهو تهديد بليغ للمسىء وحث شديد للمحسن ليقلع المسىء عن اساءته ويزداد المحسن فى احسانه الوجه الثانى أن المخاطب بهذا هو النبى صلى الله عليه وسلم فعلى هذا ففيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تحزن فان الى ربك المنتهى وقيل فى معنى الآية منه ابتداء المنة واليه انتهاء الآمال وروى البغوى باسناد الثعلبى عن أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله وأن الى ربك المنتهى قال لا فكرة فى الرب وهذا مثل ما روى عن أبى هريرة مرفوعا تفكروا فى الخلق ولا تفكروا فى الخالق فانه لا تحيط به الفكرة ومعناه لا فكرة فى الرب أى انتهى الامر اليه لانك اذا نظرت الى سائر الموجودات الممكنة علمت أنه لا بد لها من موجد واذا علمت أن موجدها هو الله

(وان سعيه سوف يرى) أى يرى سعيه هو يوم القيامة فى ميزانه (ثم يجزاه) ثم يجزى العبد سعيه يقال جزاه الله عمله وجزاه على عمله بحذف الجار وايصال الفعل ويجوز أن يكون الضمير للجزاء ثم فسره بقوله (الجزاء الاوفى) أوابدله عنه (وأن الى ربك المنتهى) هذا كله فى الصحف الاولى والمنتهى مصدر بمعنى الانتهاء أى ينتهى اليه الخلق ويرجعون اليه كقوله والى الله المصير

تعالى فقد انتهى الامر اليه فهو اشارة الى وجوده ووحدانيته سبحانه وتعالى (وأنه هو أضحك وأبكى) أى هو القادر على ايجاد الضدين فى محل واحد الضحك والبكاء ففيه دليل على ان جميع ما يعمله الانسان فبقضاء الله وقدره وخلقه حتى الضحك والبكاء قيل أضحك أهل الجنة فى الجنة وأبكى أهل النار فى النار وقيل اضحك الارض بالنبات وأبكى السماء بالمطر وقيل أفرح وأحزن لان الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء عن جابر بن سمرة قال جالست النبى صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة مرة وكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت وربما تبسم معهم اذا ضحكوا أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وفى رواية سماك بن حرب فيضحكون ويتبسم معهم اذا ضحكوا يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وسئل ابن عمر هل كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون قال نعم والايمان فى قلوبهم أعظم من الجبل (ق) عن أنس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط فقال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين هو بالخاء المعجمة أى بكاء مع صوت يخرج من الانف (وأنه هو أمات وأحيى) أى أمات فى الدنيا وأحيا للبعث وقيل أمات الآباء وأحيا الابناء وقيل أمات الكافر بالنكرة وأحيا المؤمن بالمعرفة (وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى) أى من كل حيوان وهو ايضا من جملة المتضادات التى تتوارد على النطفة فيخلق بعضها ذكرا وبعضها أنثى وهذا شئ لا يصل اليه فهم العقلاء ولا يعلمونه وانما هو بقدرة الله تعالى وخلقه لا بفعل الطبيعة (من نطفة اذا تمنى) أى تصب فى الرحم وقيل تقدر وفى هذا تنبيه على كمال قدرته لان النطفة شئ واحد خلق الله منها أعضاء مختلفة وطباعا متباينة وخلق منها الذكر والانثى وهذا من عجيب صنعته وكمال قدرته ولهذا لم يؤكده بقوله وانه هو خلق لانه لم يدع أحد ايجاد نفسه ولا خلقها ولا خلق غيره كما لم يقدر أحد أن يدعى خلق السموات والارض (وأن عليه النشأة الاخرى) أى الخلق الثانى بعد الموت للبعث يوم القيامة (وأنه هو أغنى وأقنى) أى اغنى الناس بالاموال وأعطى القنية وهى أصول الاموال وما يدخرونه بعد الكفاية وقيل أغنى بالذهب والفضة وصنوف الاموال وما يدخرونه بعد الكفاية وأقنى بالابل والبقر والغنم وقيل أقنى أى اخدم وقال ابن عباس أغنى وأقنى أى اعطى فارضى وقيل أغنى يعنى رفع حاجته ولم يتركه محتاجا الى شئ لان الغنى ضد الفقر وأقنى أى زاد فوق الغنى (وانه هو رب الشعرى) أى انه رب معبودهم وكانت خزاعة تعبد الشعرى واول من سن لهم ذلك رجل من أشرافهم يقال له أبو كبشة عبدها وقال لان النجوم تقطع السماء عرضا والشعرى تقطعها طولا فهى مخالفة لها فعبدها وعبدتها خزاعة فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على خلاف العرب فى الدين سموه ابن ابى كبشة تشبيها له به فى خلافه اياهم كما خالفهم أبو كبشة وعبد الشعرى وهو كوكب يضئ خلف الجوزاء ويسمى كلب الجبار أيضا وهما اثنتان يمانية وشامية يقال لاحداهما العبور والاخرى الغميصاء سميت بذلك لانها أخفى من العبور

(وأنه هو أضحك وأبكى) خلق الضحك والبكاء وقيل خلق الفرح والحزن وقيل أضحك المؤمنين فى العقبى بالمواهب وأبكاهم فى الدنيا بالنوائب (وأنه هو أمات واحيى) قيل أمات الآباء واحيا الابناء او امات بالكفر واحيا بالايمان او امات هنا واحيا ثمة (وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى) اذا تدفق فى الرحم يقال منى وامنى (وأن عليه النشأة الاخرى) الاحياء بعد الموت (وأنه هو اغنى وأقنى) واعطى القنية وهى المال تاثلته وعزمت أن لا تخرجه من يدك (وانه هو رب الشعرى) هو كوكب يطلع بعد الجوزاء فى شدة الحر وكانت خزاعة تعبدها فاعلم الله أنه رب معبودهم هذا

(وانه أهلك عادا الاولى) هم قوم لوط وهود وعاد الاخرى ارم عادلولى مدنى وبصرى غير سهل بادغام التنوين فى اللام وطرح همزة الاولى ونقل ضمتها الى لام التعريف (وثمود فما أبقى) حمزة وعاصم الباقون وثمودا وهو معطوف على عادا ولا ينصب بفما أبقى لان مابعد الفاء لايعمل فيما قبله لاتقول زيدا فضربت وكذا مابعد النفى لايعمل فيما قبله والمعنى واهلك ثمودا فما أبقاهم (وقوم نوح) أى واهلك قوم نوح (من قبل) من قبل عاد وثمود (انهم كانوا هم اظلم واطغى) من عاد وثمود لانهم كانوا يضربونه حتى لايكون

به حراك وينفرون عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم ان يسمعوا منه

والهجرة بينهما وأراد بالشعرى هنا العبور (وانه أهلك عادا الاولى) وهم قوم هود أهلكوا بريح صرصر وكان لهم عقب فكانوا عادا أخرى وقيل الاخرى ارم وقيل الاولى يعنى أول الخلق هلاكا بعد قوم نوح (وثمود) وهم قوم صالح أهلكهم الله بالصيحة (فما أبقى) يعنى منهم أحدا (وقوم نوح من قبل) يعنى أهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود بالغرق (انهم كانوا هم أظلم وأطغى) يعنى لطول دعوة نوح اياهم وعتوهم على الله بالمعصية والتكذيب (والمؤتفكة) يعنى قرى قوم لوط (أهوى) أى اسقط وذلك ان جبريل رفعها الى السماء ثم أهوى بها (فغشاها) أى ألبسها الله (ماغشى) يعنى الحجارة المنضودة المسومة (فبأى آلاء ربك تتمارى) أى تشك أيها الانسان وقيل اراد الوليد بن المغيرة وقال ابن عباس تتمارى أى تكذب (هذا نذير) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (من النذر الاولى) أى رسول من الرسل المتقدمة أرسل اليكم كما أرسلت الرسل الى قومهم وقيل أنذر محمد كما أنذرت الرسل من قبله (أزفت الآزفة) أى قربت القيامة واقتربت الساعة (ليس لها من دون الله كاشفة) اى مظهرة ومبينة متى تقوم وقيل معناه ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله غير انه لايكشفها وقيل الكاشفة مصدر بمعنى الكشف كالعافية والمعنى لايكشف عنها ولايظهرها غيره وقيل معناه ليس لها رد يعنى اذا غشيت الخلق أهوالها وشدائدها لم يكشفها ولم يردها عنهم أحد قوله تعالى (أفمن هذا الحديث) يعنى القرآن (تعجبون) تنكرون (وتضحكون) أى استهزاء (ولا تبكون) اى مما فيه من الوعيد (وأنتم سامدون) اى لاهون غافلون قاله ابن عباس وعنه ان السمود هو الغناء بلغة اهل اليمن وكانوا اذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا وأصل السمود فى اللغة رفع الرأس مأخوذ من سمد البعير اذا رفع رأسه وجد فى سيره والسامد اللاهى والمغنى وقيل معناه اشرون بطرون وقال مجاهد غضاب مبرطمون قيل له وما البرطمة قال الاعراض (فاسجدوا لله) يعنى أيها المؤمنون شكرا على الهداية وقيل هذا محمول على سجود التلاوة وقيل على سجود الفرض فى الصلاة (واعبدوا) اى اعبدوا الله وانما قال واعبدوا والمالكونه معلوما واما لان العبادة فى الحقيقة لاتكون الا لله تعالى (ق) عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم فسجد فيها وسجد من كان معه غير ان شيخا من قريش اخذ كفا من حصباء او تراب فرفعه الى جبهته وقال يكفينى هذا قال عبد الله فلقد رأيته بعد قتل كافرا زاد البخارى

(والمؤتفكة) والقرى التى ائتفكت بأهلها أى انقلبت وهم قوم لوط يقال أفكه فأتفك (اهوى) اى رفعها الى السماء على جناح جبريل ثم اهواها الى الارض اى اسقطها والمؤتفكة منصوب بأهوى (فغشاها) البسها (ماغشى) تهويل وتعظيم لما صب عليها من العذاب وأمطر عليها من الصخر المنضود (فبأى آلاء ربك) أيها المخاطب (تتمارى) تتشكك أى بما اولاك من النعم اوبما كفاك من النقم اوبأى نعم ربك الدالة على وحدانيته وربوبيته تتشكك (هذا نذير) اى محمد منذر (من النذر الاولى) من المنذرين الاولين وقال الاولى على تأويل الجماعة اوهذا القرآن نذير من النذر الاولى اى انذار من جنس الانذارات الاولى التى أنذربها من قبلكم (ازفت الآزفة) قربت الموصوفة بالقرب فى قوله اقتربت الساعة (ليس لها من دون الله كاشفة) اى

ليس لها نفس كاشفة أى مبينة متى تقوم كقوله لايجليها لوقتها الا هو أو ليس لها نفس كاشفة أى قادرة على كشفها فى اذا وقعت الا الله تعالى غير انه لايكشفها (أفمن هذا الحديث) أى القرآن (تعجبون) انكارا (وتضحكون) استهزاء (ولا تبكون) خشوعا (وأنتم سامدون) غافلون لاهون لاعبون وكانوا اذا سمعوا القرآن عارضوه بالغناء ليشغلوا الناس عن استماعه (فاسجدوا لله واعبدوا) أى فاسجدوا لله واعبدوه ولا تعبدوا الآلهة والله أعلم

في رواية له قال أول سورة نزلت فيها سجدة النجم وذكره وقال في آخره وهو أمية بن خلف (خ) عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس (ق) عن زيد بن ثابت قال قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم النجم فلم يسجد فيها ففي هذا الحديث دليل على ان سجود التلاوة غير واجب وهو قول الشافعي وأحمد وقال عمر بن الخطاب ان الله لم يكتبها علينا الا ان نشاء وذهب قوم الى وجوبها على القارئ والمستمع وهو قول سفيان وأصحاب الرأي والله سبحانه وتعالى أعلم

(تفسير سورة القمر)

(وهي مكية وهي خمس وخمسون آية وثلثمائة واثنتان وأربعون كلمة وألف وأربعمائة وثلاثة وعشرون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (اقتربت الساعة) أي دنت القيامة (وانشق القمر) قيل فيه تقديم وتأخير تقديره انشق القمر واقتربت الساعة وانشقاق القمر من آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم الظاهرة ومعجزاته الباهرة يدل عليه ماروى عن أنس ان أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم آية فاراهم انشقاق القمر مرتين أخرجه البخاري ومسلم وزاد الترمذي فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر الى قوله سحر مستمر ولهما عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية اخرى قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى اذا انفلق القمر فلقتين فلقة فوق الجبل وفلقة دونه فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا ولهما عن ابن عباس قال ان القمر انشق في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم (م) ٣ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقتين فستر الجبل فلقة وكانت فلقة فوق الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشهدوا وعن جبير بن مطعم قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فقالت قريش سحر محمد أعيننا فقال بعضهم لئن كان سحرنا ما يستطيع ان يسحر الناس كلهم أخرجه الترمذي وزاد غيره فكانوا يتلقون الركبان فيخبرونهم بانهم قد راوه فيكذبونهم قال مقاتل انشق القمر ثم التام بعد ذلك وروى مسروق عن عبد الله بن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش سحركم ابن أبي كبشة فسألوا السفارة فقالوا نعم قد رأيناه فانزل الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر فهذه الاحاديث الصحيحة قد وردت بهذه المعجزة العظيمة مع شهادة القرآن المجيد بذلك فانه أدل دليل وأقوى مثبت له وامكانه لا يشك فيه مؤمن وقد أخبر عنه الصادق فيجب الايمان به واعتقاد وقوعه وقال الشيخ محيي الدين النووي في شرح صحيح مسلم قال الزجاج وقد أنكرها بعض المبتدعة المضاهين المخالفين للملة وذلك لما أعمى الله قلبه ولا انكار للعقل فيها لان القمر مخلوق لله تعالى

---

*(سورة القمر خمس وخمسون آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم اقتربت الساعة) قربت القيامة (وانشق القمر) نصفين وقرئ وقد انشق أي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق كما تقول أقبل الامير وقد جاء المبشر بقدومه قال ابن مسعود رضي الله عنه رأيت حراء بين فلقتي القمر وقيل معناه ينشق يوم القيامة والجمهور على الاول وهو المروي في الصحيحين ولا يقال لو انشق لما خفي على أهل الاقطار ولو ظهر عندهم لنقلوه متواترا لان الطباع جبلت على نشر العجائب لانه يجوز ان يحجبه الله عنهم بغيم

٣ قوله عن ابن عمر الخ الذي في مسلم عن عبد الله بن مسعود وقال في آخره اشهد بضمير المفرد فليحرر اه

(وان يروا) يعني أهل مكة (آية) تدل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (يعرضوا) عن الايمان به (ويقولوا سحر مستمر)
محكم قوي من المرة القوة او دائم مطرد او مار ذاهب ٢٦٤ يزول ولا يبقى (وكذبوا) النبي صلى الله عليه وسلم (واتبعوا
أهواءهم) وما زين لهم الشيطان
من دفع الحق بعد ظهوره (وكل
أمر) وعدهم الله (مستقر)
كائن في وقته وقيل كل ما قدر
واقع وقيل كل أمر من أمرهم
واقع مستقر أي سيثبت و يستقر
عند ظهور العقاب والثواب (ولقد
جاءهم أهل مكة (من الانباء)
من القرآن المودع أنباء القرون
الخالية او انباء الآخرة وما
وصف من عذاب الكفار
(ما فيه مزدجر) ازدجار عن
الكفر تقول زجرته وازدجرته
أي منعته وأصله ازتجر ولكن
التاء اذا وقعت بعد زاي ساكنة
أبدلت دالا لان التاء حرف مهموس
والزاي حرف مجهور فابدل من
التاء حرف مجهور وهو الدال
ليتناسبا وهذا في آخر كتاب
سيبويه (حكمة) بدل من
ما أو على هو حكمة (بالغة)
نهاية الصواب او بالغة من الله
اليهم (فما تغني النذر) ما نفي
والنذر جمع نذير وهم الرسل
او المنذر به او النذر مصدر بمعنى
الانذار (فتول عنهم) لعلمك ان
الانذار لا يغني فيهم نصب
(يوم يدع الداع) بيخرجون
او باضمار اذكر الداعي الى
الداعي سهل و يعقوب ومكي
فيهما وافق مدني وأبو عمرو في
الوصل ومن أسقط الياء اكتفى بالكسرة عنها وحذف الواو من
يدعو في الكتابة لمتابعة اللفظ والداعي اسرافيل عليه السلام

يفعل فيه ما يشاء كما يفنيه و يكوره في آخر أمره فاما قول بعض الملاحدة لو وقع هذا النقل
متواترا واشترك أهل الارض كلهم في رؤيتهم له ومعرفته ولم يختص بها أهل مكة فاجاب
العلماء عن هذا بان هذا الانشقاق حصل في الليل ومعظم الناس نيام غافلون
والابواب مغلقة وهم مغطون بثيابهم فقل من يتفكر في السماء أو ينظر اليها الا الشاذ
النادر ومما هو مشاهد معتاد أن كسوف القمر وغيره مما يحدث في السماء في الليل من
العجائب والانوار الطوالع والشهب العظام ونحو ذلك يقع ولا يتحدث به الا آحاد الناس
ولا علم عند غيرهم بذلك لما ذكرناه من غفلة الناس عنه وكان هذا الانشقاق آية
عظيمة حصلت في الليل لقوم سألوها واقترحوا رؤيتها فلم يتأهب غيرهم لها قال العلماء
وقد يكون القمر حينئذ في بعض المجاري والمنازل التي تظهر لبعض أهل الآفاق دون
بعض كما يكون ظاهرا لقوم غائبا عن قوم وكما يجد الكسوف أهل بلد دون بلد والله
أعلم وقيل في معنى الآية ينشق القمر يوم القيامة وهذا قول باطل لا يصح وشاذ لا يثبت
لاجماع المفسرين على خلافه ولان الله ذكره بلفظ الماضي وحمل الماضي على المستقبل
بعيد يفتقر الى قرينة تنقله او دليل يدل عليه وفي قوله تعالى (وان يروا آية يعرضوا)
دليل على وجود هذه الآية العظيمة وقد كان ذلك في زمن رسول الله صلى الله عليه
وسلم والمعنى وان يروا آية أي تدل على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد بالآية
هذا انشقاق القمر يعرضوا أي عن التصديق بها (ويقولوا سحر مستمر) أي دائم مطرد
وكل شيء دام حاله قيل فيه مستمر وذلك لما رأوا تتابع المعجزات وترادف الآيات فقالوا
هذا سحر مستمر وقيل مستمر أي قوي محكم شديد يعلو كل سحر وقيل مستمر أي
ذاهب سوف يبطل ويذهب ولا يبقى وانما قالوا ذلك تمنية لانفسهم وتعليلا (وكذبوا)
يعني النبي صلى الله عليه وسلم وما عاينوا من قدرة الله (واتبعوا أهواءهم) أي ما زين لهم
الشيطان من الباطل وقيل هو قولهم انه سحر القمر (وكل أمر مستقر) أي لكل أمر
حقيقة فما كان منه في الدنيا فسيظهر وما كان منه في الآخرة فسيعرف وقيل كل أمر مستقر
فالخير مستقر بأهله في الجنة والشر مستقر بأهله في النار وقيل يستقر قول المصدقين
والمكذبين حين يعرفون حقيقته بالثواب او العقاب وقيل معناه لكل حديث منتهى
وقيل ما قدر فهو كائن وواقع لا محالة وقيل هو جواب قولهم سحر مستمر يعني ليس
أمره بذاهب كما زعمتم بل كل أمر من أموره مستقر وان أمر محمد رسول الله صلى الله عليه
وسلم سيظهر الى غاية يتبين فيها انه حق (ولقد جاءهم) يعني أهل مكة (من الانباء) أي
من أخبار الامم الماضية المكذبة في القرآن (ما فيه مزدجر) أي منتهى وموعظة (حكمة
بالغة) يعني القرآن حكمة تامة قد بلغت الغاية (فما تغني النذر) يعني أي غنى تغني
النذر اذا خالفوهم وكذبوهم (فتول عنهم) أي أعرض عنهم نسختها آية القتال (يوم يدع
الداع) أي اذكر يا محمد يوم يدعو الداعي وهو اسرافيل ينفخ في الصور قائما على صخرة

بيت

(الى شئ نكر) منكر فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد بمثله وهو هول يوم القيامة نكر بالتخفيف مكي (خاشعا أبصارهم) عراقي غير عاصم وهو حال من الخارجين وهو فعل للابصار وذكر كما تقول يخشع أبصارهم غيرهم خشعا على يخشعن أبصارهم وهي لغة من يقول أكلوني البراغيث ويجوز ان يكون في خشعا ضميرهم وتقع ابصارهم بدلا عنه وخشوع الابصار كناية عن الذلة لان ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران في عيونهما (يخرجون من الاجداث) من القبور (كأنهم جراد منتشر) في كثرتهم وتفرقهم في كل جهة والجراد مثل في الكثرة والتموج يقال في الجيش الكثير المائج بعضه في بعض جاؤا كالجراد (مهطعين الى الداع) مسرعين مادي أعناقهم اليه (يقول الكافرون هذا يوم عسر) صعب شديد (كذبت قبلهم) قبل أهل مكة (قوم نوح فكذبوا عبدنا) نوحا عليه السلام ومعنى تكرار التكذيب انهم كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن

مكذب أو كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا أي لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة رأسا كذبوا نوحا لانه من جملة الرسل (وقالوا مجنون) أي هو مجنون (وازدجر) زجر عن أداء الرسالة بالشتم وهدد بالقتل أو هو من جملة قيلهم أي قالوا هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بلبه (فدعا ربه أني) أي باني (مغلوب) غلبني قومي فلم يسمعوا مني واستحكم اليأس من اجابتهم لي (فانتصر) فانتقم لي منهم بعذاب تبعثه عليهم (ففتحنا أبواب السماء) ففتحنا شامي ويزيد وسهل ويعقوب (بماء منهمر) منصب في كثرة وتتابع لم ينقطع أربعين يوما (وفجرنا الارض عيونا) وجعلنا الارض كلها عيونا كأنها عيون تتفجر

٣٤ ن ع

وهو أبلغ من قولك وفجرنا عيون الارض (فالتقى الماء) أي مياه السماء والارض وقرئ الماآن أي النوعان من الماء السماوي والارضي (على أمر قد قدر) على حال قدرها الله كيف شاء أو على أمر قد قدر في اللوح المحفوظ أنه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان (وحملناه على ذات ألواح ودسر) أراد السفينة وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها وتؤدي مؤداها بحيث لا يفصل بينها وبينها ونحوه ولكن قميصي مسرودة من حديد أراد ولكن قميصي درع ألا ترى انك لو جمعت بين السفينة وبين هذه الصفة لم يصح وهذا من فصيح الكلام وبديعه والدسر جمع دسار وهو المسمار فعال من دسره اذا دفعه لانه يدسر به منفذه (تجري بأعيننا) بمرأى منا أو بحفظنا او بأعيننا حال من الضمير في تجري أي محفوظة بنا (جزاء) مفعول له لما قدم من فتح أبواب السماء وما بعده أي فعلنا ذلك جزاء (لمن كان كفر) وهو نوح عليه السلام وجعله مكفورا لان النبي نعمة من الله ورحمة قال الله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين فكان نوح نعمة مكفورة

بيت المقدس (الى شئ نكر) اي منكر فظيع لم يروا مثله فينكرونه استعظاما له (خاشعا) وقرئ خشعا (ابصارهم) أي ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب (يخرجون من الاجداث) أي من القبور (كأنهم جراد منتشر) مثل في كثرتهم وتموج بعضهم في بعض حيارى فزعين (مهطعين) مسرعين مادي أعناقهم مقبلين (الى الداع) أي الى صوت الداعي وهو اسرافيل وقيل ناظرين اليه لا يقلعون بأبصارهم (يقول الكافرون هذا يوم عسر) أي صعب شديد وفيه اشارة الى أن ذلك اليوم يوم شديد على الكافرين لا على المؤمنين قوله تعالى (كذبت قبلهم) أي قبل أهل مكة (قوم نوح فكذبوا عبدنا) يعني نوحا (وقالوا مجنون وازدجر) أي زجروه على دعوته ومقالته بالشتم والوعيد بقولهم لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين (فدعا) يعني نوحا (ربه) وقال (اني مغلوب) أي مقهور (فانتصر) أي فانتقم لي منهم (ففتحنا أبواب السماء) قيل هو على ظاهره وللسماء أبواب تفتح وتغلق ولا يستبعد ذلك لانه قد صح في الحديث ان للسماء أبوابا وقيل هو على الاستعارة فان الظاهر ان يكون المطر من السحاب (بماء منهمر) أي منصب انصبابا شديدا لم ينقطع أربعين يوما (وفجرنا الارض عيونا) أي وجعلنا الارض كلها عيونا تسيل بالماء (فالتقى الماء) يعني ماء السماء وماء الارض (على أمر قد قدر) أي قضي عليهم في أم الكتاب وقيل قدر الله أن يكون الماآن سواء فكانا على ما قدر (وحملناه) يعني نوحا (على ذات ألواح) أي سفينة ذات ألواح وأراد بالالواح خشب السفينة العريضة (ودسر) هي المسامير التي تشد بها الالواح وقيل الدسر صدر السفينة وقيل هي عوارض السفينة واضلاعها وقيل الالواح جانبا السفينة والدسر أصلها وطرفاها (تجري) يعني السفينة (بأعيننا) أي بمرأى منا وقيل بحفظنا وقيل بأمرنا (جزاء لمن كان كفر) يعني فعلنا ذلك به وبهم من انجاء نوح واغراق قومه ثوابا لنوح لانه كان كفر به وجحد أمره

(ولقد تركناها) أي السفينة أو الفعلة أي جعلناها (آية) يعتبر بها وعن قتادة أبقاها الله بارض الجزيرة وقيل على الجودي دهرا طويلا حتى نظر اليها أوائل هذه الامة (فهل من مدكر) متعظ يتعظ ويعتبر وأصله مذتكر بالذال والتاء ولكن التاء أبدلت منها الدال والدال والذال من موضع فادغمت الذال في الدال (فكيف كان عذابي ونذر) جمع نذير وهو الانذار ونذري يعقوب فيهما وافقه سهل في الوصل غيرهما بغير ياء وعلى هذا الاختلاف ما بعده الى آخر السورة (ولقد يسرنا القرآن للذكر) سهلناه للادكار والاتعاظ بأن شحناه بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد (فهل من مدكر) متعظ يتعظ وقيل ولقد سهلناه للحفظ وأعنا عليه من أراد حفظه فهل من طالب لحفظه ليعان عليه ويروى ان كتب أهل الاديان نحو التوراة والانجيل والزبور لا يتلوها أهلها الا نظرا ولا يحفظونها ظاهرا كالقرآن (كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر) أي وانذاراتي لهم بالعذاب قبل نزوله أو وانذاراتي في تعذيبهم لمن بعدهم (انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا) باردة أو شديدة الصوت (في يوم نحس) شؤم (مستمر) دائم الشر فقد استمر عليهم حتى أهلكهم وكان في أربعاء في آخر الشهر (تنزع الناس) تقلعهم عن اماكنهم وكانوا يصطفون آخذا بعضهم بايدي بعض ويتداخلون في الشعاب ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم وتكبهم وتدق رقابهم (كأنهم) حال (أعجاز نخل منقعر) اصول نخل منقلع عن مغارسه وشبهوا باعجاز النخل لان الريح كانت تقطع رؤسهم فتبقى اجسادا بلا رؤس فيتساقطون على الارض أمواتا وهم جثث طوال كأنهم أعجاز نخل وهي أصولها بلا فروع وذكر صفة نخل على اللفظ ولو حملها على المعنى لانث كما قال كأنهم اعجاز نخل خاوية (فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر فقالوا أبشرا منا واحدا) انتصب بشرا بفعل يفسره (نتبعه) تقديره أنتبع بشرا منا واحدا (انا اذا لفي ضلال وسعر) كان يقول ان لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق وسعر ونيران جمع سعير فعكسوا عليه فقالوا ان اتبعناك كنا اذا كما تقول وقيل الضلال الخطأ والبعد عن الصواب والسعر الجنون وقولهم ابشرا انكار لان يتبعوا مثلهم في الجنسية وطلبوا أن يكون من الملائكة فقالوا منا لانه اذا كان منهم كانت المماثلة اقوى وقالوا واحدا انكارا لان تتبع الامة رجلا واحدا أو أرادوا واحدا من أفنائهم وليس من اشرفهم وافضلهم ويدل عليه قوله

وقيل لمن يعني لما أي جزاء لما كان كفر من أيادي الله ونعمه عند الذين أغرقهم وقيل جزاء لما صنع بنوح وأصحابه (ولقد تركناها آية) يعني الفعلة التي فعلنا بهم آية يعتبر بها وقيل أراد السفينة قال قتادة أبقاها الله تعالى بارض الجزيرة عبرة حتى نظر اليها أوائل هذه الامة (فهل من مدكر) أي متذكر معتبر متعظ خائف مثل عقوبتهم (ق) عن ابن مسعود قال قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مذكر فردها علي وفي رواية أخرى سمعته يقول مدكرا دالا (فكيف كان عذابي ونذر) أي انذاري (ولقد يسرنا القرآن) أي سهلنا القرآن (للذكر) أي ليتذكر ويعتبر به قال سعيد بن جبير يسرناه للحفظ والقراءة وليس شئ من كتب الله تعالى يقرأ كله ظاهرا الا القرآن (فهل من مدكر) أي متعظ بمواعظه وفيه الحث على تعليم القرآن والاشتغال به لانه قد يسره الله وسهله على من يشاء من عباده بحيث يسهل حفظه للصغير والكبير والعربي والعجمي وغيرهم قوله تعالى (كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر) أي انذاري لهم بالعذاب (انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا) أي شديدة الهبوب (في يوم نحس) أي في يوم شؤم (مستمر) أي دائم الشؤم استمر على جميعهم بنحوسته فلم يبق منهم أحد الا هلك فيه وقيل كان ذلك اليوم يوم الاربعاء في آخر الشهر (تنزع الناس) أي الريح تقلعهم ثم ترمي بهم على رؤسهم فتدق رقابهم قيل كانت تنزعهم من حفرهم (كأنهم أعجاز نخل) قال ابن عباس أصول نخل (منقعر) أي منقطع من مكانه ساقط على الارض قيل كانت الريح تبين رؤسهم من أجسامهم فتبقى أجسامهم بلا رؤس كعجز النخلة الملقاة (فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر) أي بالانذار الذي جاءهم به صالح (فقالوا أبشرا منا واحدا) يعني آدميا واحدا منا (نتبعه) أي ونحن جماعة كثيرون (انا اذا لفي ضلال) أي خطأ وذهاب عن الصواب (وسعر) قال ابن عباس عذاب وقيل شدة عذاب وقيل انا لفي عناء وعذاب مما يلزمنا من طاعته وقيل لفي جنون وقيل لفي بعد عن الحق

(أألقى الذكر عليه من بيننا) أى أنزل عليه الوحى من بيننا وفينا من هو أحق منه بالاختيار للنبوة (بل هو كذاب أشر) بطر متكبر حمله بطره وطلبه التعظم علينا على ادعاء ذلك (سيعلمون غدا) عند نزول العذاب بهم أو يوم القيامة (من الكذاب الاشر) أصالح ام من كذبه ستعلمون شامى وحمزة على حكاية ما قال لهم صالح مجيبا لهم أوهو كلام الله على سبيل الالتفات (انا مرسلوا الناقة) باعثوها ومخرجوها من الهضبة كما سألوا (فتنة لهم) امتحانا لهم وابتلاء وهو مفعول له أوحال (فارتقبهم) فانتظرهم وتبصر ماهم صانعون (واصطبر) على اذاهم ولا تعجل حتى يأتيك أمرى (ونبئهم ان الماء قسمة بينهم) مقسوم بينهم لها شرب يوم ولهم شرب يوم وقال بينهم تغليبا للعقلاء (كل شرب محتضر) محضور يحضر القوم الشرب يوما وتحضر الناقة يوما (فنادوا صاحبهم) قدار بن سالف احيمر ثمود (فتعاطى) فاجترأ على تعاطى الامر العظيم غير مكترث له (فعقر) الناقة أو فتعاطى الناقة فعقرها أو فتعاطى السيف وانما قال فعقروا الناقة فى آية أخرى لرضاهم به أو لانه عقر بمعونتهم (فكيف كان عذابى ونذر انا أرسلنا عليهم) فى اليوم الرابع من عقرها (صيحة واحدة) صاح بهم جبريل عليه السلام (فكانوا كهشيم المحتظر) الهشيم الشجر اليابس المتهشم المتكسر والمحتظر الذى يعمل الحظيرة وما يحتظر به ييبس بطول الزمان وتتوطؤه البهائم فيتحطم و يتهشم وقرأ الحسن بفتح الظاء وهو موضع الاحتظار أى الحظيرة (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم) يعنى على قوم لوط (حاصبا) ريحا تحصبهم بالحجارة أى ترميهم (الا آل لوط) ابنتيه ومن آمن معه (نجيناهم بسحر) من الاسحار ولذا صرفه ويقال لقيته بسحر اذا لقيته فى سحر يومه وقيل هما سحران فالسحر الاعلى قبل انصداع الفجر والآخر عند انصداعه (نعمة) مفعول له أى انعاما (من عندنا كذلك نجزى من شكر) نعمة الله بايمانه وطاعته (ولقد أنذرهم) أى لوط عليه السلام (بطشتنا) أخذتنا بالعذاب (فتماروا بالنذر) فكذبوا بالنذر متشاكين (ولقد راودوه عن ضيفه) طلبوا الفاحشة من أضيافه (فطمسنا أعينهم) أعميناهم وقيل مسحناها وجعلناها كسائر الوجه لا يرى لها شق روى انهم لما

الحق (أألقى الذكر عليه) يعنى أأنزل عليه الوحى (من بيننا بل هو كذاب أشر) أى بطر متكبر يريد أن يتعظم علينا بادعائه النبوة (سيعلمون غدا) أى حين ينزل بهم العذاب وقيل يعنى يوم القيامة وانما ذكر الغد للتقريب (من الكذاب الاشر) أى صالح ام من كذبه (أنا مرسلوا الناقة) أى باعثوها ومخرجوها من الهضبة التى سألوا وذلك انهم تعنتوا على صالح فسألوه ان يخرج لهم من صخرة حمراء ناقة عشراء فقال الله تعالى انا مرسلوا الناقة (فتنة) أى محنة واختبارا (لهم فارتقبهم) أى فانتظر ماهم صانعون (واصطبر) أى على اذاهم (ونبئهم) أى أخبرهم (ان الماء قسمة بينهم) أى بين الناقة و بينهم لها يوم ولهم يوم وانما قال تعالى بينهم تغليبا للعقلاء (كل شرب) أى نصيب من الماء (محتضر) أى يحضره من كانت نوبته فاذا كان يوم الناقة حضرت شربها واذا كان يومهم حضروا شربهم وقيل يعنى يحضرون الماء اذا غابت الناقة فاذا جاءت حضروا اللبن (فنادوا صاحبهم) يعنى قدار بن سالف (فتعاطى) أى فتناول الناقة بسيفه (فعقر) يعنى الناقة (فكيف كان عذابى ونذر) ثم بين عذابهم فقال تعالى (انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة) يعنى صيحة جبريل (فكانوا كهشيم المحتظر) قال ابن عباس رضى الله عنهما هو الرجل يحظر لغنمه حظيرة من الشجر والشوك دون السباع فما سقط من ذلك فداسته الغنم فهو الهشيم وقيل هو الشجر البالى الذى يهشم حين تذروه الرياح والمعنى انهم صاروا كيبيس الشجر اذا بلى وتحطم وقيل كالعظام النخرة المحترقة وقيل هو التراب يتناثر من الحائط (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) قوله تعالى (كذبت قوم لوط بالنذر انا أرسلنا عليهم حاصبا) يعنى الحصباء وهى الحجارة التى دون ملء الكف وقد يكون الحاصب الرامى فعلى هذا يكون المعنى انا ارسلنا عليهم عذابا يحصبهم اى يرميهم بالحجارة ثم استثنى فقال تعالى (الا آل لوط) يعنى لوطا وابنتيه (نجيناهم) يعنى من العذاب (بسحر نعمة من عندنا) أى جعلناه نعمة منا عليهم حيث نجيناهم (كذلك نجزى) أى كما أنعمنا على آل لوط كذلك نجزى (من شكر) يعنى ان من وحد الله لم يعذبه مع المشركين (ولقد انذرهم) أى لوط (بطشتنا) يعنى اخذنا اياهم بالعقوبة (فتماروا بالنذر) اى شكوا بالانذار ولم يصدقوا وكذبوا (ولقد راودوه عن ضيفه) أى طلبوا امنه ان يسلم اليهم أضيافه (فطمسنا أعينهم) وذلك أنهم لما قصدوا دار لوط عالجوا الباب ليدخلوا

عالجوا باب لوط عليه السلام ليدخلوا فقالت الملائكة خلهم يدخلوا انا رسل ربك لن يصلوا اليك فصفقهم جبريل عليه السلام بجناحه صفقة فتركهم يترددون ولا يهتدون الى الباب حتى اخرجهم لوط (فذوقوا) فقلت لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة (عذابي ونذر ولقد صبحهم بكرة) أول النهار (عذاب مستقر) ثابت قد استقر عليهم الى أن يفضي بهم الى عذاب الآخرة وفائدة تكرير ٢٦٨ (فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) ان يجددوا عند استماع

كل نبأ من انباء الاولين ادكارا واتعاظا وان يستأنفوا تيقظا وانتباها اذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه وهذا حكم التكرير في قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان عند كل نعمة عدها وقوله ويل يومئذ للمكذبين عند كل آية اوردها وكذلك تكرير الانباء والقصص في أنفسها لتكون تلك العبرة حاضرة للقلوب مصورة للاذهان مذكورة غير منسية في كل اوان (ولقد جاء آل فرعون النذر) موسى وهرون وغيرهما من الانبياء اوهو جمع نذير وهو الانذار (كذبوا بآياتنا كلها) بالآيات التسع (فاخذناهم أخذ عزيز) لا يغالب (مقتدر) لا يعجزه شيء (أكفاركم) يا أهل مكة (خير من أولئكم) الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون أي اهم خير قوة وآلة ومكانة في الدنيا أواقل كفرا وعنادا يعني ان كفاركم مثل اولئك بل شر منهم (أم لكم براءة في الزبر) أم أنزلت اليكم يا أهل مكة براءة في الكتب المتقدمة أن من كفر

عليهم فقالت الرسل للوط خل بينهم وبين الدخول فانا رسل ربك لن يصلوا اليك فدخلوا الدار فصفقهم جبريل بجناحه فتركهم عميا باذن الله يترددون متحيرين لا يهتدون الى الباب واخرجهم لوط عميا لا يبصرون ومعنى فطمسنا أعينهم أي صيرناها كسائر الوجه لا يرى لها شق وقيل طمس الله أبصارهم فلم يروا الرسل فقالوا لقد رأيناهم حين دخلوا فاين ذهبوا فلم يروهم (فذوقوا عذابي ونذر) يعني ما أنذركم به لوط من العذاب (ولقد صبحهم بكرة) أي جاءهم وقت الصبح (عذاب مستقر) أي دائم استقر فيهم حتى افضى بهم الى عذاب الآخرة (فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) قوله عز وجل (ولقد جاء آل فرعون النذر) يعني موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام وقيل النذر الآيات التي أنذرهم بها موسى (كذبوا بآياتنا كلها) يعني الآيات التسع (فأخذناهم) أي بالعذاب (اخذ عزيز مقتدر) أي غالب في انتقامه قادر على اهلاكهم لا يعجزه عما أراد ثم خوف كفار مكة فقال تعالى (أكفاركم خير من أولئكم) يعني اقوى واشد من الذين أحللت بهم نقمتي مثل قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وآل فرعون وهذا استفهام انكار اي ليسوا باقوى منهم (أم لكم براءة) يعني من العذاب (في الزبر) أي في الكتب انه لن يصيبكم ما اصاب الامم الخالية (أم يقولون) يعني كفار مكة (نحن جميع) أي امرنا (منتصر) أي من اعدائنا والمعنى نحن يد واحدة على من خالفنا منتصرون ممن عادانا ولم يقل منتصرون لموافقة رؤس الآي وقيل معناه نحن كل واحد منا منتصر كما يقال كلهم عالم أي كل واحد منهم عالم قال الله تعالى (سيهزم الجمع) يعني كفار مكة (ويولون الدبر) اي الادبار فوحد لاجل رؤس الآي وقيل في الافراد اشارة الى انهم في التولية والهزيمة كنفس واحدة فلا يتخلف احد عن الهزيمة ولا يثبت احد للزحف فهم في ذلك كرجل واحد (خ) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في قبة يوم بدر اللهم اني أنشدك عهدك ووعدك اللهم ان شئت لم تعبد بعد هذا اليوم ابدا فاخذ ابو بكر بيده فقال حسبك يا رسول الله فقد ألححت على ربك فخرج وهو في الدرع وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) فصدق الله وعده وهزمهم يوم بدر وقال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا أدري أي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يثب في درعه ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعلمت تاويلها بل الساعة موعدهم يعني جميعا والساعة أدهى وأمر

منكم وكذب الرسل كان آمنا من عذاب الله فامنتم بتلك البراءة (أم يقولون نحن جميع) جماعة امرنا مجتمع (منتصر) ممتنع لانرام ولا نضام (سيهزم الجمع) جمع أهل مكة (ويولون الدبر) أي الادبار كما قال * كلوا في بعض بطنكم تعفوا * أي ينصرفون منهزمين يعني يوم بدر وهذه من علامات النبوة (بل الساعة موعدهم) موعد عذابهم بعد بدر (والساعة أدهى) اشد من موقف بدر والداهية الامر المنكر الذي لا يهتدى لدوائه (وأمر) مذاقا من عذاب الدنيا او اشد من المرة

في النار) يجرون فيها (على وجوههم) و يقال لهم (ذوقوا مس سقر) كقوله وجد مس الحمى وذاق طعم الضرب لان النار اذا اصابتهم بحرها فكأنها تمسهم مسا بذلك وسقر غير منصرف للتأنيث والتعريف لانها علم لجهنم من سقرته النار اذا لوحته (انا كل شئ خلقناه بقدر) كل منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر وقرئ بالرفع شاذا والنصب أولى لانه لو رفع لامكن ان يكون خلقناه فى موضع الجر وصفا للشئ ويكون الخبر مقدرا وتقديره انا كل شئ مخلوق لنا كائن بقدر ويحتمل ان يكون خلقناه هو الخبر وتقديره انا كل شئ مخلوق لنا بقدر فلما تردد الامر فى الرفع عدل الى النصب وتقديره انا خلقنا كل شئ بقدر فيكون الخالق عاما لكل شئ وهو المراد بالآية ولا يجوز فى النصب ان يكون خلقناه صفة لشئ لانه تفسير الناصب والصفة لا تعمل فى الموصوف والقدر والقدر التقدير أى بتقدير سابق او خلقنا كل شئ مقدرا محكما مرتبا على حسب ما اقتضته الحكمة او مقدرا مكتوبا فى اللوح معلوما قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه قال أبو هريرة جاء مشركو قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم يخاصمونه فى القدر فنزلت الآية وكان عمر يحلف انها نزلت فى القدر

أى أعظم داهية وأشد مرارة من الاسر والقتل يوم بدر قوله عز وجل (ان المجرمين) يعني المشركين (فى ضلال وسعر) قيل فى بعد عن الحق وسعر أى نار تسعر عليهم وقيل فى ضلال فى الدنيا ونار مسعرة فى الآخرة وقيل فى ضلال أى ذهاب عن طريق الجنة وسعر أى عذاب الآخرة ثم بين عذابهم فقال تعالى (يوم يسحبون) أى يجرون (فى النار على وجوههم) و يقال لهم (ذوقوا مس سقر) أى ذوقوا ايها المكذبون لمحمد صلى الله عليه وسلم مس سقر (انا كل شئ خلقناه بقدر) أى مقدر مكتوب فى اللوح المحفوظ وقيل معناه قدر الله لكل شئ من خلقه قدره الذى ينبغى له وقال ابن عباس كل شئ بقدر حتى وضعك يدك على خدك

(فصل فى سبب نزول الآية وما ورد فى القدر وما قيل فيه) (م) عن عبد الله بن عمرو ابن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق كلها قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة قال وعرشه على الماء (م) عن ابى هريرة قال جاءت مشركو قريش الى النبى صلى الله عليه وسلم يخاصمونه فى القدر فنزلت هذه الآية ان المجرمين فى ضلال وسعر الى قوله انا كل شئ خلقناه بقدر (م) عن طاوس قال ادركت ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون كل شئ بقدر الله تعالى قال وسمعت عبد الله بن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شئ بقدر حتى العجز والكيس او الكيس والعجز *عن على بن ابى طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يؤمن باربع يشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله بعثنى بالحق ويؤمن بالموت وبالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر اخرجه الترمذى وله عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره وحتى يعلم ان ما أصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه وقال حديث غريب لا نعرفه الا من حديث عبد الله بن ميمون وهو منكر الحديث وفى حديث جبريل المتفق عليه وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت ففيه ذم القدرية *عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل امة مجوس ومجوس هذه الامة الذين يقولون لا قدر من مات منهم فلا تشهدوا جنازته ومن مرض منهم فلا تعودوه وهم من شيعة الدجال وحق على الله ان يلحقهم بالدجال اخرجه ابو داود وله عن أبى هريرة مثله وزاد فلا تجالسوهم ولا تفاتحوهم فى الكلام وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من امتى ليس لهما فى الاسلام نصيب المرجئة والقدرية أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وروى ابن الجوزى فى تفسيره عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا جمع الله الخلائق يوم القيامة امر مناديا فينادى نداء يسمعه الاولون والآخرون اين خصماء الله فتقوم القدرية فيامر بهم الى النار يقول الله ذوقوا مس سقر انا كل شئ خلقناه بقدر قال ابن الجوزى وانما قيل خصماء الله لانهم يخاصمون فى انه لا يجوز ان يقدر المعصية على العبد ثم يعذبه عليها وروى عن الحسن قال والله لو ان قدريا صام حتى يصير كالحبل وصلى حتى

يصير كالوتر ثم أخذ ظلما حتى يذبح بين الركن والمقام لكبه الله على وجهه فى سقر ثم قيل له ذق مس سقر انا كل شئ خلقناه بقدر قال الشيخ محيي الدين النووى رحمه الله اعلم ان مذهب أهل الحق اثبات القدر ومعناه ان الله تعالى قدر الاشياء فى القدم وعلم سبحانه وتعالى انها ستقع فى أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة فهى تقع على حسب ما قدرها الله تعالى وانكرت القدرية هذا وزعمت انه سبحانه وتعالى لم يقدرها ولم يتقدم علمه بها وانها مستأنفة العلم اى انما يعلمها سبحانه وتعالى بعد وقوعها وكذبوا على الله سبحانه وتعالى عن أقوالهم الباطلة علوا كبيرا وسميت هذه الفرقة قدرية لانكارهم القدر قال أصحاب المقالات من المتكلمين وقد انقرضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل ولم يبق أحد من أهل القبلة عليه وصارت القدرية فى الازمان المتأخرة تعتقد اثبات القدر ولكن تقول الخير من الله والشر من غيره تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وحكى أبو محمد بن قتيبة فى كتابه غريب الحديث وأبو المعالى امام الحرمين فى كتابه الارشاد فى أصول الدين ان بعض القدرية قالوا لسنا بقدرية بل انتم القدرية لاعتقادكم اثبات القدر قال ابن قتيبة وامام الحرمين هذا تمويه من هؤلاء الجهلة ومباهتة وتواقح فان أهل الحق يفوضون أمورهم الى الله تعالى ويضيفون القدر والافعال الى الله تعالى وهؤلاء الجهلة يضيفونه الى انفسهم ومدعى الشئ لنفسه ومضيفه اليها أولى بان ينسب اليه ممن يعتقده لغيره وينفيه عن نفسه قال امام الحرمين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة شبههم بهم لتقسيمهم الخير والشر فى حكم الارادة كما قسمت المجوس فصرفت الخير الى يزدان والشر الى أهرمن ولاخفاء باختصاص هذا الحديث بالقدرية وحديث القدرية مجوس هذه الامة رواه أبو حازم عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرجه أبو داود فى سننه والحاكم أبو عبد الله فى المستدرك على الصحيحين وقال صحيح على شرط الشيخين ان صح سماع أبى حازم عن ابن عمر وقال الخطابى انما جعلهم صلى الله عليه وسلم مجوسا لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس لقولهم بالاصلين النور والظلمة يزعمون ان الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة فصاروا ثنوية وكذلك القدرية يضيفون الخير الى الله والشر الى غيره والله سبحانه وتعالى خالق كل شئ الخير والشر جميعا لا يكون شئ منهما الا بمشيئته فهما مضافان اليه سبحانه وتعالى خلقا وايجادا والى الفاعلين لهما من عباده فعلا واكتسابا قال الخطابى وقد يحسب كثير من الناس ان معنى القضاء والقدر اجبار الله تعالى العبد وقهره على ما قدره وقضاه وليس الامر كما يتوهمونه وانما معناه الاخبار عن تقدم علم الله تعالى بما يكون من اكساب العباد وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها قال والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر يقال قدرت الشئ وقدرته بالتخفيف والتثقيل بمعنى واحد والقضاء فى هذا معناه الخلق كقوله تعالى فقضاهن سبع سموات أى خلقهن وقد تظاهرت الادلة القطعية من الكتاب والسنة واجماع الصحابة واهل العقد والحل من السلف والخلف على اثبات قدر الله سبحانه

وتعالى

وتعالى وقد قرر ذلك أئمة المتكلمين أحسن تقرير بدلائله القطعية السمعية والعقلية والله أعلم * وأما معانى الاحاديث المتقدمة فقوله جاء مشركو قريش الى قوله انا كل شئ خلقناه بقدر المراد بالقدر هنا القدر المعروف وهو ما قدره الله وقضاه وسبق به علمه وارادته فكل ذلك مقدر فى الازل معلوم لله تعالى مراد له وكذلك قوله كتب الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء المراد منه تحديد وقت الكتابة فى اللوح المحفوظ أو غيره لا أصل القدر فان ذلك أزلى لا أول له وقوله وعرشه على الماء أى قبل ان يخلق السموات والارض وقوله كل شئ بقدر حتى العجز والكيس أو قال الكيس والعجز العجز عدم القدرة وقيل هو ترك ما يجب فعله بالتسويف به وتأخيره عن وقته وقيل يحتمل العجز عن الطاعات ويحتمل العموم فى أمور الدنيا والآخرة والكيس ضد العجز وهو النشاط والحذق بالامور ومعنى الحديث أن العاجز قدر عجزه والكيس قدر كيسه قوله تعالى (وما أمرنا الا واحدة) أى وما أمرنا الأمر واحدة وقيل معناه وما أمرنا للشئ اذا أردنا تكوينه الا كلمة واحدة كن فيكون لا مراجعة فيه فعلى هذا اذا أراد الله سبحانه وتعالى شيأ قال له كن فيكون فهنا بان فرق بين الارادة والقول فالارادة قدر والقول قضاء وقوله واحدة فيه بيان انه لا حاجة الى تكرير القول بل هو اشارة الى نفاذ الامر (كلمح بالبصر) قال ابن عباس يريد ان قضائى فى خلقى أسرع من لمح البصر وعن ابن عباس أيضا معناه وما أمرنا بمجىء الساعة فى السرعة الا كطرف البصر (ولقد أهلكنا أشياعكم) أى اشباهكم ونظراءكم فى الكفر من الامم السالفة (فهل من مدكر) أى متعظ بان ذلك حق فيخاف و يعتبر (وكل شئ فعلوه) يعنى الاشياع من خير وشر (فى الزبر) أى فى كتب الحفظة وقيل فى اللوح المحفوظ (وكل صغير وكبير) أى من الخلق وأعمالهم وآجالهم (مستطر) أى مكتوب قوله عز وجل (ان المتقين فى جنات) أى بساتين (ونهر) أى انهار وانما وحده لموافقة رؤس الآى وأراد أنهار الجنة من الماء والخمر واللبن والعسل وقيل معناه فى ضياء وسعة ومنه النهار والمعنى لا ليل عندهم (فى مقعد صدق) أى فى مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم وقيل فى مجلس حسن وقيل فى مقعد لا كذب فيه لان الله صادق فمن وصل اليه امتنع عليه الكذب فهو فى مقعد صدق (عند مليك) قيل معناه قرب المنزلة والتشريف لا معنى المكان (مقتدر) أى قادر لا يعجزه شئ وقيل مقربين عند مليك أمره فى الملك والاقتدار أعظم شئ فلا شئ الا وهو تحت ملكه وقدرته فأى منزلة أكرم من تلك المنزلة وأجمع للغبطة كلها والسعادة بأسرها قال جعفر الصادق وصف الله تعالى المكان بالصدق فلا يقعد فيه الا أهل الصدق والله أعلم

* (تفسير سورة الرحمن علا وعز وجل) *

وهى مكية وذكر ابن الجوزى انها مدنية فى قول من قولين عن ابن عباس وهى ست وسبعون آية وثلثمائة واحدى وخمسون كلمة وألف وستمائة وستة وثلاثون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وما أمرنا الا واحدة) الا كلمة واحدة أى وما أمرنا لشئ نريد تكوينه الا ان نقول له كن فيكون (كلمح بالبصر) على قدر ما يلمح أحدكم ببصره وقيل المراد بأمرنا القيامة كقوله وما أمر الساعة الا كلمح البصر (ولقد أهلكنا أشياعكم) اشباهكم فى الكفر من الامم (فهل من مدكر) متعظ (وكل شئ فعلوه) أى اولئك الكفار أى وكل شئ مفعول لهم ثابت (فى الزبر) فى دواوين الحفظة ففعلوه فى موضع جر نعت لشئ وفى الزبر خبر لكل (وكل صغير وكبير) من الاعمال ومن كل ماهو كائن (مستطر) مسطور فى اللوح (ان المتقين فى جنات ونهر) وانهار اكتفى باسم الجنس وقيل هو السعة والضياء ومنه النهار (فى مقعد صدق) فى مكان مرضى (عند مليك) عندية منزلة وكرامة لا مسافة ومماسة (مقتدر) قادر وفائدة التنكير فيهما ان يعلم أن لا شئ الا هو تحت ملكه وقدرته وهو على كل شئ قدير

(سورة الرحمن جل وعلا مكية وهى ست وسبعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الرحمن علم القرآن خلق الانسان) أي الجنس أو آدم أو محمدا عليهما السلام (علمه البيان) عدد الله عز وجل آلاءه فاراد ان يقدم أول شيء ما هو أسبق قدما من ضروب آلائه وصنوف نعمائه وهي نعمة الدين فقدم من نعمة الدين ما هو سنام في أعلى مراتبها وأقصى مراقيها وهو انعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه لانه أعظم وحي الله رتبة وأعلاه منزلة وأحسنه في أبواب الدين أثرا وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها وأخر ذكر خلق الانسان عن ذكره ثم اتبعه اياه ليعلم أنه انما خلقه للدين وليحيط علما بوحيه وكتبه وقدم ما خلق الانسان من أجله عليه ثم ذكر ما يميزه عن سائر الحيوان من البيان وهو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير ٢٧٢ والرحمن مبتدأ وهذه الافعال مع ضمائرها أخبار مترادفة واخلاؤها من العاطف لمجيئها على نمط التعديد كما تقول زيد أغناك بعد فقر أعزك بعد ذل كثرك بعد قلة فعل بك ما لم يفعل أحد باحد فما تنكر من احسانه (الشمس والقمر بحسبان) بحساب معلوم وتقدير سوي يجريان في بروجهما ومنازلهما وفي ذلك منافع للناس منها علم السنين والحساب (والنجم) النبات الذي ينجم من الارض لا ساق له كالبقول (والشجر) الذي له ساق وقيل النجم نجوم السماء (يسجدان) ينقادان لله تعالى فيما خلقا له تشبيها بالساجد من المكلفين في انقياده واتصلت هاتان الجملتان بالرحمن بالوصل المعنوي لما علم ان الحسبان حسبانه والسجود له لا لغيره كأنه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له ولم يذكر العاطف في الجمل الاول ثم جيء به بعد لان الاولى وردت على سبيل التعديد تبكيتا لمن أنكر آلاءه كما يبكت منكر أيادي المنعم عليه من انه
الناس بتعديدها عليه في المثال المذكور ثم رد الكلام الى منهاجه بعد التبكيت في وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعطف وبيان التناسب أن الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر أرضيان فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل وان السماء والارض لا تزالان تذكران قرينتين وأن جري الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لامر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر (والسماء رفعها) خلقها مرفوعة مسموكة حيث جعلها منشأ أحكامه ومصدر قضاياه ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحي على أنبيائه ونبه بذلك على كبرياء شأنه وملكه وسلطانه (ووضع الميزان) أي كل ما توزن به الاشياء وتعرف مقاديرها من ميزان وقرسطون ومكيال ومقياس أي خلقه موضوعا على الارض حيث علق به أحكام عباده من التسوية والتعديل في أخذهم واعطائهم

قوله عز وجل (الرحمن علم القرآن) قيل لما نزلت اسجدوا للرحمن قال كفار مكة وما الرحمن فانكروه وقالوا لا نعرف الرحمن فأنزل الله الرحمن يعني الذي أنكرتموه هو الذي علم القرآن وقيل هذا جواب لاهل مكة حين قالوا انما يعلمه بشر فقال تعالى الرحمن علم القرآن يعني علم محمدا القرآن وقيل علم القرآن يسره للذكر ليحفظ ويتلى وذلك ان الله عز وجل عدد نعمه على عباده فقدم أعظمها نعمة وأعلاها رتبة وهو القرآن العزيز لانه أعظم وحي الله تعالى الى أنبيائه وأشرفه منزلة عند أوليائه وأصفيائه وأكثره ذكرا وأحسنه في أبواب الدين أثرا وهو سنام الكتب السماوية المنزلة على أفضل البرية (خلق الانسان) يعني آدم عليه الصلاة والسلام قاله ابن عباس (علمه البيان) يعني أسماء كل شيء وقيل علمه اللغات كلها فكان آدم يتكلم بسبعمائة لغة أفضلها العربية وقيل الانسان اسم جنس وأراد به جميع الناس فعلى هذا يكون معنى علمه البيان أي النطق الذي يتميز به عن سائر الحيوانات وقيل علمه الكتابة والفهم والافهام حتى عرف ما يقول وما يقال له وقيل علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به وقيل أراد بالانسان محمدا صلى الله عليه وسلم علمه البيان يعني بيان ما يكون وما كان لانه صلى الله عليه وسلم ينبئ عن خبر الاولين والآخرين وعن يوم الدين وقيل علمه بيان الاحكام من الحلال والحرام والحدود والاحكام (الشمس والقمر بحسبان) قال ابن عباس يجريان بحساب ومنازل لا يتعديانها وقيل يعني بهما حساب الاوقات والآجال ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر أحد كيف يحسب ما يريد وقيل الحسبان هو الفلك تشبيها بحسبان الرحى وهو ما يدور الحجر بدورانه (والنجم والشجر يسجدان) قيل النجم ما ليس له ساق من النبات كالبقول والشجر ما له ساق يبقى في الشتاء وسجودها سجود ظلها وقيل النجم هو الكوكب وسجوده طلوعه والقول الاول أظهر لانه ذكره مع الشجر في مقابلة الشمس والقمر ولانهما أرضيان في مقابلة سمائيين (والسماء رفعها) أي فوق الارض (ووضع الميزان) قيل أراد بالميزان العدل لانه آلة العدل والمعنى

انه أمر بالعدل يدل عليه قوله (ألا تطغوا في الميزان) أي لا تجاوزوا العدل وقيل اراد به الآلة التي يوزن بها للتوصل الى الانصاف والانتصاف واصل الوزن التقدير أن لا تطغوا في الميزان أي لئلا تميلوا وتظلموا وتجاوزوا الحق في الميزان (وأقيموا الوزن بالقسط) أي بالعدل وقيل أقيموا لسان الميزان بالعدل وقيل الاقامة باليد والقسط بالقلب (ولا تخسروا) اي لا تنقصوا (الميزان) أي لا تطففوا في الكيل والوزن أمر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للامر باستعماله والحث عليه (والارض وضعها) أي خفضها مدحوة على الماء (للانام) أي للخلق الذين بثهم فيها وهو كل ما ظهر عليها من دابة وقيل للانس والجن فهي كالمهاد لهم يتصرفون فوقها (فيها) أي في الارض (فاكهة) أي من أنواع الفاكهة وقيل ما يتفكهون به من النعم التي لا تحصى (والنخل ذات الاكمام) يعني الاوعية التي يكون فيها الثمر لان ثمر النخل يكون في غلاف وهو الطلع ما لم ينشق وكل شئ ستر شيأ فهو كم وقيل اكمامها ليفها واقتصر على ذكر النخل من بين سائر الشجر لانه اعظمها او اكثرها بركة (والحب) يعني جميع الحبوب التي يقتات بها كالحنطة والشعير ونحوهما وانما أخر ذكر الحب على سبيل الارتقاء الى الاعلى لان الحب أنفع من النخل واعم وجودا في الاماكن (ذو العصف) قال ابن عباس يعني التبن وعنه أنه ورق الزرع الاخضر اذا قطع رؤسه ويبس وقيل هو ورق كل شئ يخرج منه الحب يبدو صلاحه ولا ورق وهو العصف ثم يكون سوقا ثم يحدث الله فيه اكماما ثم يحدث في الاكمام الحب (والريحان) يعني الرزق قال ابن عباس رضي الله عنهما كل ريحان في القرآن فهو رزق وقيل هو الريحان الذي يشم وقيل العصف التبن والريحان ثمرته فذكر قوت الناس والانعام ثم خاطب الجن والانس فقال تعالى (فبأي آلاء ربكما تكذبان) يعني أيها الثقلان يريد هذه الاشياء المذكورة وكرر هذه الآية في هذه السورة في أحد وثلاثين موضعا تقريرا للنعمة وتأكيدا في التذكير بها ثم عدد على الخلق آلاءه وفصل بين كل نعمتين بما ينبههم عليها ليفهمهم النعم ويقررهم بها كقول الرجل لمن أحسن اليه وتابع اليه بالايادي وهو ينكرها ويكفرها ألم تكن فقيرا فاغنيتك أفتنكر هذا ألم تكن عريانا فكسوتك أفتنكر هذا ألم تكن خاملا فعززتك أفتنكر هذا ومثل هذا الكلام شائع في كلام العرب حسن تقريرا وذلك لان الله تعالى ذكر في هذه السورة ما يدل على وحدانيته من خلق الانسان وتعليمه البيان وخلق الشمس والقمر والسماء والارض الى غير ذلك مما أنعم به على خلقه وخاطب الجن والانس فقال فبأي آلاء ربكما تكذبان من الاشياء المذكورة لانها كلها منعم بها عليكم * عن جابر رضي الله تعالى عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها الى آخرها فسكتوا فقال لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا احسن مردودا منكم كنت كلما أتيت على قوله فبأي آلاء ربكما

وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للامر باستعماله والحث عليه (والارض وضعها) خفضها مدحوة على الماء (للانام) للخلق وهو كل ما على ظهر الارض من دابة وعن الحسن الانس والجن فهي كالمهاد لهم يتصرفون فوقها (فيها فاكهة) ضروب مما يتفكه به (والنخل ذات الاكمام) هي أوعية الثمر الواحد كم بكسر الكاف أو كل ما يكم أي يغطى من ليفه وسعفه وكفراه وكله منتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه (والحب ذو العصف) هو ورق الزرع أو التبن (والريحان) الرزق وهو اللب أراد فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب والريحان بالجر حمزة وعلي أي والحب ذو العصف الذي هو علف الانعام والريحان الذي هو مطعم الانام والرفع على وذو الريحان فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقيل معناه وفيها الريحان الذي يشم والحب ذا العصف والريحان شامي أي وخلق الحب والريحان أو وأخص الحب والريحان (فبأي آلاء) أي النعم مما عدد من اول السورة جمع ألي والى ربكما تكذبان) الخطاب للثقلين لدلالة الانام عليهما

(خلق الانسان من صلصال) طين يابس له صلصلة (كالفخار) أى الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف ولا اختلاف فى هذا وفى قوله من حمأ مسنون من طين لازب من تراب لاتفاقها معنى لانه يفيد انه خلقه من تراب ثم جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا (وخلق الجان) أبا الجن وقيل هو ابليس (من مارج) هو اللهب الصافى الذى لادخان فيه وقيل المختلط بسواد النار من مرج الشئ اذا اضطرب واختلط (من نار) هو بيان للمارج كانه قيل من صاف من نار أو مختلط من نار أو أراد من نار مخصوصة كقوله فانذرتكم نارا تلظى (فبأى آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين ورب المغربين) اراد مشرقى الشمس فى الصيف والشتاء ومغربيهما (فبأى آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين يلتقيان) أى أرسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين متلاقيين لافصل بين الماءين فى مرأى العين (بينهما برزخ) حاجز من قدرة الله تعالى (لايبغيان) لايتجاوزان حديهما ولا يبغى أحدهما على الآخر بالممازجة (فبأى آلاء ربكما تكذبان يخرج) يخرج مدنى وبصرى (منهما اللؤلؤ) بلاهمز أبو بكر ويزيد وهو كبار الدر (والمرجان) صغاره وانما قال منهما وهما يخرجان من الملح لانهما لما التقيا وصارا كالشئ الواحد جاز أن يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وتقول خرجت من البلد وانما خرجت من محلة من محاله وقيل لايخرجان الا من ملتقى الملح والعذب (فبأى آلاء ربكما تكذبان وله) ولله (الجوار) السفن جمع جارية قال الزجاج الوقف عليها بالياء والاختيار وصلها وان وقف عليها بغير ياء فجائز على بعد ولكن يروم الكسر فى الراء ليدل على حذف الياء (فى المنشآت) المرفوعات الشرع المنشآت بكسر الشين حمزة ويحيى الرافعات الشرع او اللاتى ينشئن الامواج بجريهن

تكذبان قالوا لابشئ من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وفى رواية غيره كانوا أحسن منكم ردا وفيه ولا بشئ قوله تعالى (خلق الانسان من صلصال) يعنى من طين يابس له صلصلة وهو الصوت منه اذا نقر (كالفخار) يعنى الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف فان قلت قد اختلفت العبارات فى صفة خلق الانسان الذى هو آدم فقال تعالى من تراب وقال من حمأ مسنون وقال من طين لازب وقال من ماء مهين وقال هنا من صلصال كالفخار قلت ليس فى هذه العبارات اختلاف بل المعنى متفق وذلك ان الله تعالى خلقه اولا من تراب ثم جعله طينا لازبا لما اختلط بالماء ثم حمأ مسنونا وهو الطين الاسود المنتن فلما يبس صار صلصالا كالفخار (وخلق الجان) وهو أبو الجن وقيل هو ابليس (من مارج من نار) يعنى الصافى من لهب النار الذى لادخان فيه وقيل هو ما اختلط بعضه ببعض من اللهب الاحمر والاصفر والاخضر الذى يعلو النار اذا أوقدت (فبأى آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين) يعنى مشرق الصيف وهو غاية ارتفاع الشمس ومشرق الشتاء وهو غاية انحطاط الشمس (ورب المغربين) يعنى مغرب الصيف ومغرب الشتاء وقيل يعنى مشرق الشمس ومشرق القمر ومغرب الشمس ومغرب القمر (فبأى آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين) يعنى أرسل البحرين العذب والملح متجاورين متلاقيين لافصل بين الماءين لان من شأنهما الاختلاط وهو قوله (يلتقيان) لكن الله تعالى منعهما عما فى طبعهما بالبرزخ وهو قوله (بينهما برزخ) أى حاجز من قدرة الله (لايبغيان) أى لا يبغى أحدهما على صاحبه وقيل لايختلطان ولا يتغيران وقيل لا يطغيان على الناس بالغرق وقيل مرج البحرين يعنى بحر الروم وبحر الهند وانتم الحاجز بينهما وقيل بحر فارس والروم بينهما برزخ يعنى الجزائر وقيل بحر السماء وبحر الارض يلتقيان فى كل عام (فبأى آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما) قيل انما يخرج من البحر الملح دون العذب فهو كقوله وجعل القمر فيهن نورا وقيل اراد يخرج من أحدهما فحذف المضاف وقيل لما التقى البحران فصارا كالشئ الواحد جاز أن يقال يخرج منهما كما يقال يخرج من البحر ولا يخرج من جميع البحر ولكن من بعضه وقيل يخرج من ماء السماء وماء البحر قيل اذا أمطرت السماء تفتح الاصداف أفواهها فحيثما وقعت قطرة صارت لؤلؤة على قدر القطرة وقوله تعالى (اللؤلؤ) قيل هو ما عظم من الدر (والمرجان) صغاره وقيل بعكس ذلك وقيل المرجان هو الخرز الاحمر (فبأى آلاء ربكما تكذبان وله الجوار) يعنى السفن الكبار (المنشآت) أى المرفوعات التى يرفع خشبها بعضه على بعض وقيل هى ما رفع قلعها من السفن أما ما لم يرفع قلعها فليست من المنشآت وقيل معنى المنشآت المحدثات المخلوقات المسخرات

(فى البحر كالاعلام) جمع علم وهو الجبل الطويل (فبأى آلاء ربكما تكذبان كل من عليها) على الارض (فان ويبقى وجه ربك) ذاته (ذو الجلال) ذو العظمة والسلطان وهو صفة الوجه (والاكرام) بالتجاوز والاحسان وهذه الصفة من عظيم صفات الله وفى الحديث ألظوا بياذا الجلال والاكرام وروى انه عليه السلام مر برجل وهو يصلى ويقول ياذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك (فبأى آلاء ربكما تكذبان) والنعمة فى الفناء باعتبار أن المؤمنين به يصلون الى النعيم السرمد وقال يحيى بن معاذ حبذا الموت فهو الذى يقرب الحبيب الى الحبيب (يسئله من فى السموات والارض) وقف عليها نافع كل من أهل السموات والارض مفتقرون اليه فيسأله أهل السموات ما يتعلق بدينهم وأهل الارض ما يتعلق بدينهم ودنياهم وينتصب (كل يوم) ظرفا بما دل عليه (هو فى شان) أى كل وقت وحين يحدث أمورا ويجدد أحوالا كما روى انه عليه السلام تلاها فقيل له وما ذلك الشان فقال من شانه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وعن ابن عيينة الدهر عند الله يومان أحدهما اليوم الذى هو مدة الدنيا فشأنه فيه الامر والنهى والاحياء والاماتة والاعطاء والمنع والآخر يوم القيامة فشانه فيه الجزاء والحساب وقيل نزلت فى اليهود حين قالوا ان الله لا يقضى يوم السبت شأنا وسأل بعض الملوك وزيره عن الآية فاستمهله الى الغد وذهب كئيبا يفكر فيها فقال غلام له أسود يا مولاى اخبرنى ما أصابك لعل الله يسهل لك على يدى فاخبره فقال أنا افسرها للملك فأعلمه فقال أيها الملك شأن الله انه يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل ويخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويشفى سقيما ويسقم سليما ويبتلى معافى ويعافى مبتلى ويعز ذليلا ويذل عزيزا ويفقر غنيا ويغنى فقيرا فقال الامير أحسنت وأمر الوزير أن يخلع عليه ثياب الوزارة فقال يا مولاى هذا من شأن الله وقيل سوق المقادير الى المواقيت وقيل ان عبد الله بن طاهر دعا الحسين بن الفضل وقال له أشكلت على ثلاث آيات دعوتك لتكشفها لى قوله فأصبح من النادمين وقد صح أن الندم توبة وقوله كل يوم هو فى شان وصح أن القلم جف بما هو كائن الى يوم القيامة وقوله وأن ليس للانسان الا ما سعى فما بال الاضعاف فقال الحسين يجوز أن لا يكون الندم توبة فى تلك الامة وقيل ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله وكذا قيل وأن ليس للانسان الا ما سعى مخصوص بقوم ابراهيم وموسى عليهما السلام وأما قوله كل يوم هو فى شان فانها شؤن يبديها لا شؤن يبتديها فقام عبد الله وقبل رأسه وسوغ خراجه

(فى البحر كالاعلام) أى كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل شبه السفن فى البحر بالجبل فى البر (فبأى آلاء ربكما تكذبان) قوله عز وجل (كل من عليها) أى على الارض من حيوان وانما ذكره بلفظة من تغليبا للعقلاء (فان) أى هالك لان وجود الانسان فى الدنيا عرض فهو غير باق وما ليس بباق فهو فان ففيه الحث على العبادة وصرف الزمن اليسير الى الطاعة (ويبقى وجه ربك) يعنى ذاته والوجه يعبر به عن الجملة وفى المخاطب وجهان أحدهما انه كل واحد والمعنى ويبقى وجه ربك أيها الانسان السامع والوجه الثانى انه يحتمل أن الخطاب مع النبى صلى الله عليه وسلم (ذو الجلال) أى ذو العظمة والكبرياء ومعناه الذى يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه (والاكرام) أى المكرم لانبيائه وأوليائه وجميع خلقه بلطفه واحسانه اليهم مع جلاله وعظمته (فبأى آلاء ربكما تكذبان) عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألظوا بيا ذا الجلال والاكرام أخرجه الترمذى وقال الحاكم حديث صحيح الاسناد ومعنى ألظوا الزموا هذه الدعوة وأكثروا منها قوله تعالى (يسئله من فى السموات والارض) يعنى من ملك وانس وجن فلا يستغنى عن فضله أهل السموات والارض قال ابن عباس فاهل السموات يسألونه المغفرة وأهل الارض يسألونه الرزق والمغفرة وقيل كل أحد يسأله الرحمة وما يحتاج اليه فى دينه أو دنياه وفيه اشارة الى كمال قدرة الله تعالى وأن كل مخلوق وان جل وعظم فهو عاجز عن تحصيل ما يحتاج اليه مفتقر الى الله تعالى (كل يوم هو فى شأن) قيل نزلت ردا على اليهود حيث قالوا ان الله لا يقضى يوم السبت شيأ قال المفسرون من شأنه انه يحيى ويميت ويرزق ويعز قوما ويذل قوما ويشفى مريضا ويمرض صحيحا ويفك عانيا ويفرج عن مكروب ويجيب داعيا ويعطى سائلا ويغفر ذنبا الى ما لا يحصى من أفعاله واحداثه فى خلقه ما يشاء سبحانه وتعالى وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عباس قال ان مما خلق الله عز وجل لوحا من درة بيضاء دفتاه من

لكم) مستعار من قول الرجل لمن يتهدده سأفرغ لك يريد سأتجرد للإيقاع بك من كل ما يشغلني عنه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه ويجوز أن يراد ستنتهي الدنيا وتبلغ آخرها وتنتهي عند ذلك شؤون الخلق التي أرادها بقوله كل يوم هو في شأن فلا يبقى الا شأن واحد وهو جزاؤكم فجعل ذلك فراغا لهم على طريق المثل سيفرغ حمزة وعلي أي الله تعالى (أيه الثقلان) الانس والجن سميا بذلك لانهما ثقلا الارض (فبأي آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس) هو كالترجمة لقوله أيها الثقلان (ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا) أي ان قدرتم أن تخرجوا من جوانب السموات والارض هربا من قضائي فاخرجوا ثم قال (لا تنفذون) لا تقدرون على النفوذ (الا بسلطان) بقوة وقهر وغلبة وأنى لكم ذلك وقيل دلهم على العجز عن قوتهم للحساب غدا بالعجز عن نفوذ الاقطار اليوم وقيل يقال لهم هذا يوم القيامة حين تحدق بهم الملائكة فاذا رآهم الجن والانس هربوا فلا يأتون وجها الا وجدوا الملائكة احتاطت به (فبأي آلاء ربكما تكذبان يرسل عليكما شواظ من نار) وبكسر الشين مكي وكلاهما اللهب الخالص

يا قوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ينظر الله فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء فذلك قوله تعالى كل يوم هو في شأن قال سفيان ابن عيينة الدهر كله عند الله يومان أحدهما مدة أيام الدنيا والآخر يوم القيامة والشأن الذي هو فيه اليوم الذي [illegible] أيام الدنيا الاختبار بالامر والنهي والاحياء والاماتة والاعطاء والمنع وشأن يوم القيامة الجزاء والحساب والثواب والعقاب وقال الحسين بن الفضل هو سوق المقادير الى المواقيت ومعناه ان الله عز وجل كتب ما يكون في كل يوم وقدر ما هو كائن فاذا جاء ذلك الوقت تعلقت ارادته بالفعل فيوجده في ذلك الوقت وقال أبو سليمان الداراني في هذه الآية له في كل يوم الى العبيد بر جديد وقيل شأنه تعالى انه يخرج في كل يوم وليلة ثلاثة عساكر عسكرا من أصلاب الآباء الى أرحام الامهات وعسكرا من الارحام الى الدنيا وعسكرا من الدنيا الى القبور ثم يرتحلون جميعا الى الله تعالى (فبأي آلاء ربكما تكذبان سنفرغ لكم أيه الثقلان) قيل هو وعيد من الله تعالى للخلق بالمحاسبة وليس هو فراغا عن شغل لان الله تعالى لا يشغله شأن عن شأن فهو كقول القائل لمن يريد تهديده لأتفرغن لك وما به شغل وهذا قول ابن عباس وانما حسن ذكر هذا الفراغ لسبق ذكر الشأن وقيل معناه سنقصدكم بعد الترك والامهال ونأخذ في أمركم فهو كقول القائل الذي لا شغل له قد فرغت لك وقيل معناه ان الله وعد أهل التقوى وأوعد أهل الفجور فقال سنفرغ لكم مما وعدناكم وأخبرناكم فنحاسبكم ونجازيكم فننجز لكم ما وعدناكم فنتم ذلك ونفرغ منه فهو على طريق المثل وأراد بالثقلين الانس والجن سميا ثقلين لانهما ثقلا على الارض أحياء وأمواتا وقيل كل شيء له قدر ووزن ينافس فيه فهو ثقل ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي فجعلهما ثقلين اعظاما لقدرهما وقال جعفر بن محمد الصادق سمي الانس والجن ثقلين لانهما مثقلان بالذنوب (فبأي آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا) أي تخرجوا (من أقطار السموات والارض) أي جوانبها وأطرافها (فانفذوا) أي فاخرجوا والمعنى ان استطعتم ان تهربوا من الموت بالخروج من أقطار السموات والارض فاهربوا واخرجوا منها فحيثما كنتم يدرككم الموت وقيل يقال لهم هذا يوم القيامة والمعنى ان استطعتم أن تخرجوا من أقطار السموات والارض فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم فاخرجوا وقيل معناه ان استطعتم أن تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكي ومن سمائي وأرضي فافعلوا وقدم الجن على الانس في هذه الآية لانهم اقدر على النفوذ والهرب من الانس وأقوى على ذلك ثم قال تعالى (لا تنفذون الا بسلطان) يعني لا تقدرون على النفوذ الا بقوة وقهر وغلبة وأنى لكم ذلك لا لكم حيثما توجهتم كنتم في ملكي وسلطاني وقال ابن عباس معناه ان استطعتم أن تعلموا ما في السموات والارض فاعلموا ولن تعلموه الا بسلطان أي بينة من الله تعالى (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وفي الخبر يحاط على الخلق بالملائكة وبلسان من نار ثم ينادي يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض الآية فذلك قوله تعالى (يرسل عليكما شواظ من نار) قال أكثر المفسرين هو اللهب الذي

لادخان فيه وقيل هو اللهب الاخضر المنقطع من النار (ونحاس) قيل هو الدخان وهو رواية عن ابن عباس وقيل هو الصفر المذاب يصب على رؤسهم وهو الرواية الثانية عن ابن عباس وقال ابن مسعود النحاس المهل وقيل يرسل عليهما هذا مرة وهذا مرة وقيل يجوز أن يرسلا معا من غير أن يمتزج أحدهما بالآخر (فلاتنتصران) أى فلاتمتنعان من الله ولايكون لكم ناصر منه (فبأى آلاء ربكما تكذبان فاذا انشقت السماء) أى انفرجت فصارت أبوابا لنزول الملائكة وقيل المراد منه خراب السماء وذلك لما قال كل من عليها فان اشارة الى أهل الارض ذكر فى هذه الآية بيان حال سكان السماء وقيل فيه تهويل وتعظيم للامر لان فيه اشارة الى ماهو أعظم من ارسال الشواظ على الانس والجن وهو تشقق السماء وذوبانها وهو قوله تعالى (فكانت وردة كالدهان) جمع دهن شبه تلون السماء عند انشقاقها بتلون الفرس الورد وهو الابيض الذى يضرب الى الحمرة وقيل ان السماء تتلون يومئذ ألوانا كألوان الفرس الورد يكون فى الربيع أصفر وفى أول الشتاء أحمر فاذا اشتد البرد صار أغبر فشبه السماء فى تلونها عند انشقاقها بهذا الفرس فى تلونه وقيل كالدهان أى كعصير الزيت لانه يتلون فى الساعة ألوانا وقيل تصير السماء كالدهن الذائب وذلك حين يصلاها حر جهنم وقيل كالدهان أى كالاديم الاحمر (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيومئذ لايسئل عن ذنبه انس ولاجان) قيل لايسئلون عن ذنوبهم لتعلم من جهتهم لان الله تعالى علمها منهم وكتبتها الحفظة عليهم وهذه رواية عن ابن عباس وعنه لاتسأل الملائكة المجرمين لانهم يعرفون بسيماهم دليله مابعده وعن ابن عباس أيضا فى الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى فوربك لنسئلنهم أجمعين عما كانوا يعملون قال لايسألهم هل عملتم كذا وكذا لانه أعلم بذلك منهم ولكنه يسألهم لم عملتم كذا وكذا وقيل انها مواطن فيسئل فى بعضها ولا يسئل فى بعضها وعن ابن عباس أيضا قال لايسئلون سؤال شفقة ورحمة انما يسئلون سؤال تقريع وتوبيخ وقيل لايسئل غير المجرم عن ذنب المجرم (فبأى آلاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم) يعنى بسواد وجوههم وزرقة عيونهم (فيؤخذ بالنواصى والاقدام) قيل تجعل الاقدام مضمومة الى النواصى من خلف ظهره وقيل تجعل رؤسهم على ركبهم ونواصيهم فى أصابع أرجلهم مربوطة وقيل يسحب بعضهم بالنواصى وبعضهم بالاقدام ثم يلقون فى النار (فبأى آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم) أى يقال لهم هذه جهنم ثم يلقون فيها (التى يكذب بها المجرمون) يعنى المشركين (يطوفون بينها وبين حميم آن) يعنى قد انتهى حره والمعنى أنهم يسعون بين الجحيم وبين الحميم فاذا استغاثوا من النار جعل عذابهم الحميم الآنى الذى قد صار كالمهل وقال كعب الاحبار آن واد من أودية جهنم يجمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم فى الاغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع أوصالهم ثم يخرجون منه وقد أحدث الله لهم خلقا جديدا فيلقون فى

(ونحاس) أى دخان ونحاس مكى وأبو عمرو فالرفع عطفه على شواظ والجر على نار والمعنى اذا خرجتم من قبوركم يرسل عليكما له - خالص من النار ودخان يسوقكم الى المحشر (فلاتنتصران) فلا تمتنعان منهما (فبأى آلاء ربكما تكذبان فاذا انشقت السماء) انفك بعضها من بعض لقيام الساعة (فكانت وردة) فصارت كلون الورد الاحمر وقيل أصل لون السماء الحمرة ولكن من بعدها ترى زرقاء (كالدهان) كدهن الزيت كما قال كالمهل وهو دردى الزيت وهو جمع دهن وقيل الدهان الاديم الاحمر (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيومئذ) أى فيوم تنشق السماء (لايسئل عن ذنبه انس ولاجان) أى ولاجن فوضع الجان الذى هو أبو الجن موضع الجن كما يقال هاشم ويراد ولده والتقدير لايسئل انس ولاجان عن ذنبه والتوفيق بين هذه الآية وبين قوله فوربك لنسئلنهم أجمعين وقوله وقفوهم انهم مسئولون أن ذلك يوم طويل وفيه مواطن فيسئلون فى موطن ولايسئلون فى آخر وقال قتادة قد كانت مسئلة ثم ختم على أفواه القوم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وقيل لايسئل عن ذنبه ليعلم من جهته ولكن يسئل للتوبيخ (فبأى آلاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم) بسواد وجوههم وزرقة عيونهم (فيؤخذ بالنواصى والاقدام) أى يؤخذ تارة بالنواصى وتارة بالاقدام (فبأى آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن) ماء حار قد انتهى حره أى يعاقب عليهم بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم

النار فذلك قوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فان قلت هذه الامور المذكورة فى هذه الآيات من قوله كل من عليها فان الى هنا ليست نعما فكيف عقبها بقوله فبأى آلاء ربكما تكذبان قلت المذكور فى هذه الآيات مواعظ وزواجر وتخويف وكل ذلك نعمة من الله تعالى لانها تزجر العبد عن المعاصى فصارت نعما فحسن ختم كل آية منها بقوله تعالى فبأى آلاء ربكما تكذبان ثم ذكر ماأعده لمن اتقاه وخافه من عباده المؤمنين فقال تعالى (ولمن خاف مقام ربه) يعنى مقامه بين يدى ربه للحساب فترك الشهوة والمعصية وقيل قيام ربه عليه يعنى اطلاعه عليه وهو الذى يهم بالمعصية فيذكر الله واطلاعه عليه فيدعها من مخافة الله وقيل لمن راقب الله فى السر والعلانية بعمله فماعرض له من محرم تركه من خشيته وماعمل من خير أخلصه لله ولايحب ان يطلع عليه أحد قيل ان المؤمنين خافوا ذلك المقام فعملوا لله مع الاخلاص ودأبوا الليل والنهار (جنتان) يعنى جنة عدن وجنة نعيم وقيل جنة بخوفه ربه وجنة بتركه شهوته ❊ عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا ان سلعة الله غالية ألا ان سلعة الله الجنة أخرجه الترمذى قوله أدلج الادلاج مخففا سير أول الليل ومثقلا سير آخر الليل والمراد من الادلاج التشمير والجد والاجتهاد فى أول الامر فان من سار أول الليل كان جديرا ببلوغ المنزل وروى البغوى بسنده عن أبى ذر انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقص على المنبر وهو يقول ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى وان سرق فقال وان زنى وان سرق ثم قال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثانية وان زنى وان سرق يارسول الله فقال وان زنى وان سرق ثم قال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثالثة وان زنى وان سرق يارسول الله فقال وان زنى وان سرق على رغم أنف أبى ذر (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ثم وصف الجنتين فقال تعالى (ذواتا أفنان) أى أغصان واحدها فنن وهو الغصن المستقيم طولا وقيل ذواتا ظلال وهو ظل الاغصان على الحيطان وقال ابن عباس ذواتا ألوان يعنى ألوان الفواكه وجمع عطاء بين القولين فقال فى كل غصن فنون من الفاكهة وقيل ذواتا فضل وسعة على ماسواهما (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان) قال ابن عباس بالكرامة والزيادة لاهل الجنة وقيل تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل وقيل احداهما من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين (فباى آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان) أى صنفان ونوعان وقيل معناه ان فيهما من كل مايتفكه به ضربين رطبا ويابسا قال ابن عباس مافى الدنيا ثمرة حلوة ولامرة الا وهى فى الجنة حتى الحنظل الا أنه حلو (فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش) جمع فراش (بطائنها) جمع بطانة وهى التى تلى الارض من تحت الظهارة (من استبرق) وهو ماغلظ من الديباج قال ابن مسعود وأبو هريرة هذه البطائن فماظنكم بالظهائر وقيل لسعيد ابن جبير البطائن من استبرق فما الظهائر قال هى مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى

(فباى آلاء ربكما تكذبان) والنعمة فى هذا النجاة الناجى منه بفضله ورحمته وما فى الانذار به من التنبيه (ولمن خاف مقام ربه) موقفه الذى يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة فترك المعاصى أو فادى الفرائض وقيل هو مقحم كقوله ونفيت عنه مقام الذئب أى نفيت عنه الذئب (جنتان) جنة الانس وجنة الجن لان الخطاب للثقلين وكانه قيل لكل خائفين منكما جنتان جنة للخائف الانسى وجنة للخائف الجنى (فبأى آلاء ربكما تكذبان ذواتا أفنان) أغصان جمع فنن وخص الافنان لانها هى التى تورق وتثمر فمنها تمتد الظلال ومنها تجتنى الثمار أو ألوان جمع فن أى له فيها ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين قال

ومن كل افنان اللذاذة والصبا
لهوت به والعيش أخضر ناضر

(فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما) فى الجنتين (عينان تجريان) حيث شاؤا فى الاعالى والاسافل وعن الحسن تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان) صنفان صنف معروف وصنف غريب (فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين) نصب على المدح للخائفين أو حال منهم لان من خاف فى معنى الجمع (على فرش) جمع فراش (بطائنها) جمع بطانة (من استبرق) ديباج ثخين وهو معرب قيل ظهائرها من سندس وقيل لايعلمها الا الله

لهم من قرة أعين وعنه أيضا قال بطائنها من استبرق وظواهرها من نور جامد وقال ابن عباس وصف البطائن وترك الظواهر لانه ليس في الارض أحد يعرف ما الظواهر وقيل ظواهرها من سندس وهو الديباج الرقيق الناعم وهذا يدل على نهاية شرف هذه الفرش لانه ذكر أن بطائنها من الاستبرق ولابد أن تكون الظهائر خيرا من البطائن فهو مما لا يعلمه البشر (وجنى الجنتين دان) يعني أن ثمرهما قريب يناله القائم والقاعد والنائم وهذا بخلاف ثمر الدنيا فانها لا تنال الا بكد وتعب قال ابن عباس تدنو الشجرة حتى يجنيها ولي الله ان شاء قائما وان شاء قاعدا وقيل لا يرد أيديهم عنها بعد ولا شوك (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن) فان قلت الضمير الى ماذا يعود قلت الى الجنتين وانما جمع بقوله فيهن لاشتمال الجنتين على مساكن وقصور ومجالس (قاصرات الطرف) أي غاضات الاعين قصرن أطرافهن على أزواجهن فلا ينظرن الى غيرهم ولا يردن سواهم قيل تقول الزوجة لزوجها وعزة ربي ما أرى في الجنة شيأ أحسن منك فالحمد لله الذي جعلك زوجي وجعلني زوجتك (لم يطمثهن) أي لم يجامعهن ولم يفرعهن والمعنى لم يدمهن بالجماع وقيل معناه لم يمسهن ومنه قول الفرزدق

خرجن الي لم يطمثن قبلي * وهن أصح من بيض النعام

أي لم يمسسن والمعنى لم يطأهن ولم يغشهن (انس قبلهم) أي قبل أزواجهن من أهل الجنة (ولا جان) قيل انما نفى الجن لان لهم أزواجا في الجنة منهم وفي الآية دليل على أن الجني يغشى كما يغشى الانسي وسئل ضمرة بن حبيب هل للجن ثواب فقال نعم وقرأ هذه الآية ثم قال الانسيات للانس والجنيات للجن وقال مجاهد في هذه الآية اذا جامع ولم يسم انطوى الجني على احليله فجامع معه واختلف في هؤلاء اللواتي لم يطمثن فقيل هن الحور العين لانهن خلقن في الجنة فلم يمسهن أحد قبل أزواجهن وقيل انهن من نساء الدنيا أنشئن خلقا آخر أبكارا كما وصفهن لم يمسهن منذ أنشئن خلقا آخر أحد وقيل هن الآدميات اللاتي متن أبكارا ومعنى الآية المبالغة في نفي الطمث عنهن لان ذلك أقر لاعين أزواجهن اذا لم يغشهن أحد غيرهم (فبأي آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان) أراد صفاء الياقوت في بياض المرجان وهو صغار اللؤلؤ وأشده بياضا وقيل شبه لونهن ببياض اللؤلؤ مع حمرة الياقوت لان أحسن الالوان البياض المشوب بحمرة والاصح أنه شبههن بالياقوت لصفائه لانه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيت السلك من ظاهره لصفائه وقال عمرو بن ميمون ان المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من وراء الحلل كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضاء يدل على صحة ذلك ما روي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك لان الله تعالى يقول كأنهن الياقوت والمرجان فأما الياقوت فانه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيته من ورائه أخرجه الترمذي قال وقد روي عن ابن مسعود بمعناه ولم يرفعه وهو أصح (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول زمرة تلج الجنة صورهم على

(وجنى الجنتين دان) وثمرهما قريب يناله القائم والقاعد والمتكئ (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن) في الجنتين لاشتمالهما على أماكن وقصور ومجالس أو في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى (قاصرات الطرف) نساء قصرن أبصارهن على أزواجهن لا ينظرن الى غيرهم (لم يطمثهن) بكسر الميم الدوري وعلى بضم الميم والطمث الجماع بالتدمية (انس قبلهم ولا جان) وهذا دليل على ان الجن يطمثون كما يطمث الانس (فبأي آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت) صفاء (والمرجان) بياضا فهو أبيض من اللؤلؤ

صورة القمر ليلة البدر زاد في رواية ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء اضاءة لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون آنيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب ومجامرهم الالوة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيا وللبخاري قلوبهم على قلب رجل واحد وزاد فيه ولا يسقمون قوله مجامرهم الالوة يعني بخورهم العود (فبأي آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان الا الاحسان) أي ما جزاء من أحسن في الدنيا الا ان يحسن اليه في الآخرة وقال ابن عباس هل جزاء من قال لا اله الا الله وعمل بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم الا الجنة روى البغوي باسناد الثعلبي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هل جزاء الاحسان الا الاحسان ثم قال هل تدرون ما قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال يقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد الا الجنة وروى الواحدي بغير سند عن ابن عمر وابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في هذه الآية يقول الله عز وجل هل جزاء من أنعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي الا أن أسكنه جنتي وحظيرة قدسي برحمتي وقيل في معنى الآية هل جزاء من أتى بالفعل الحسن الا أن يؤتى في مقابلته بفعل حسن وفي الآية اشارة الى رفع التكليف في الآخرة لان الله وعد المؤمن بالاحسان وهو الجنة فلو بقي التكليف في الآخرة وتركه العبد لاستحق العقاب على ترك العمل والعقاب ترك الاحسان اليه فلا تكليف (فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان) أي ومن دون الجنتين الاوليين جنتان أخريان وقال ابن عباس من دونهما في الدرج وقيل في الفضل وقال أبو موسى الاشعري جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة للتابعين وقال ابن جريج هن أربع جنان جنتان للمقربين السابقين فيهما من كل فاكهة زوجان وجنتان لاصحاب اليمين والتابعين فيهما فاكهة ونخل ورمان (ق) عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الارداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن وقال الكسائي ومن دونهما جنتان يعني أمامهما وقبلهما يدل عليه قول الضحاك الجنتان الاوليان من ذهب وفضة والجنتان الاخريان من ياقوت وزبرجد وهما أفضل من الاوليين (فبأي آلاء ربكما تكذبان) ثم وصف الجنتين فقال تعالى (مدهامتان) أي سوداوان من ريهما وشدة خضرتهما لان الخضرة اذا اشتدت ضربت الى السواد (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان) أي فوارتان بالماء لا ينقطعان وقال ابن عباس والضحاك ينضخان بالخير والبركة على أهل الجنة وقال ابن مسعود ينضخان بالمسك والكافور على أولياء الله وقال أنس بن مالك ينضخان بالمسك والعنبر في دور أهل الجنة كطش المطر (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان) يعني فيهما من أنواع الفواكه كلها وانما عطف النخل والرمان

(فبأي آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان) في العمل (الا الاحسان) في الثواب وقيل ماجزاء من قال لا اله الا الله الا الجنة وعن ابراهيم الخواص فيه هل جزاء الاسلام الا دار السلام (فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما) ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للمقربين (جنتان) لمن دونهم من أصحاب اليمين (فبأي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان) سوداوان من شدة الخضرة قال الخليل الدهمة السواد (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان) فوارتان بالماء لا تنقطعان (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة) الوان الفواكه (ونخل ورمان) والرمان والتمر ليسا من الفواكه عند أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه للعطف ولان التمر فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه وهما قالا انما عطفا على الفاكهة لفضلهما كأنهما جنسان آخران لما لهما من المزية كقوله وجبريل وميكال

بالواو وان كانامن جملة الفواكه تنبيها على فضلهما وشرفهما على سائر الفواكه وعلى هذا القول عامة المفسرين وأهل اللغة قالوا انما فصلهما بالذكر للتخصيص والتفضيل فهو كقوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال خصهما بالذكر وان كانا من جملة الملائكة لشرفهما وفضلهما وقال بعضهم ليس النخل والرمان من الفواكه لان ثمرة النخل فاكهة وطعام وثمرة الرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه ولهذا قال أبو حنيفة اذا حلف لا يأكل الفاكهة فاكل رطبا أو رمانا لم يحنث وخالفه صاحباه وهذا القول خلاف قول أهل اللغة ولا حجة له فى الآية وروى البغوى بسنده عن ابن عباس موقوفا قال نخل الجنة جذوعها زمرذ أخضر وكرمها ذهب أحمر وسعفها كسوة لاهل الجنة منها حللهم وثمرها مثل القلال أو الدلاء أشد بياضا من اللبن واحلى من العسل وألين من الزبد ليس له عجم وروى ان الرمانة من رمان الجنة مثل البعير المقتب وقيل ان نخل أهل الجنة نضيد وثمرها كالقلال كلما نزعت منها واحدة عادت مكانها أخرى العنقود منها اثنا عشر ذراعا (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن) أى فى الجنان الاربع (خيرات حسان) روى عن أم سلمة قالت قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنى عن قوله خيرات حسان قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه (فبأى آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات) أى مخدرات مستورات لايخرجن لكرامتهن وشرفهن روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان امرأة من نساء اهل الجنة اطلعت الى الارض لاضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها وقيل قصرن اطرافهن وأنفسهن على أزواجهن فلا يبغين بهم بدلا (فى الخيام) قيل هى البيوت قال ابن الاعرابى الخيمة لاتكون الا من اربعة اعواد ثم تسقف بالثمام ويقال خيم فلان خيمة اذا بناها من جريد النخل وخيم بها اذا أقام بها وتظلل فيها وقيل كل خيامها من در ولؤلؤ وزبرجد مجوف تضاف الى القصور فى الجنة (ق) عن أبى موسى الاشعرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها فى السماء وفى رواية عرضها ستون ميلا للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا (فبأى آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) تقدم تفسيره (فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر) قيل الرفرف رياض الجنة خضر مخصبة وروى هذا عن ابن عباس وقيل ان الرفرف البسط وعن ابن عباس الرفرف فضول المجالس والبسط منه وقيل هى مجالس خضر فوق الفرش وقيل هى المرافق وقيل الزرابى وقيل كل ثوب عريض عند العرب فهو رفرف (وعبقرى حسان) قيل هى الزرابى والطنافس الثخان وقيل هى الطنافس الرقاق وقيل كل ثوب موشى عند العرب فهو عبقرى وقال الخليل كل جليل نفيس فاخر من الرجال وغيرهم فهو عبقرى عند العرب ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم فى عمر فلم أر عبقريا يفرى فريه وأصل هذا فيما قيل انه نسب الى عبقر وهى أرض يسكنها الجن فصار مثلا لكل منسوب الى شئ رفيع عجيب وذلك ان العرب تعتقد فى الجن كل صفة عجيبة وانهم يأتون بكل أمر عجيب ولما

قوله وكرمها كذا فى النسخ بالميم هنا والجمل ولعل الصواب بالباء الموحدة ومعناه أصول السعف كما فى الصحاح اهـ مصحح

(فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات حسان) أى خيرات فخففت وقرئ خيرات على الاصل والمعنى فاضلات الاخلاق حسان الخلق (فبأى آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات فى الخيام) أى مخدرات يقال امرأة قصيرة ومقصورة أى مخدرة قيل الخيام من الدر المجوف (فبأى آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم) قبل أصحاب الجنتين ودل عليهم ذكر الجنتين (ولا جان فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين) نصب على الاختصاص (على رفرف) هو كل ثوب عريض وقيل الوسائد (خضر وعبقرى حسان) ديباج أو طنافس

(فبأى آلاء ربكما تكذبان) وانما تقاصرت صفات هاتين الجنتين عن الاوليين حتى قيل ومن دونهما لان مدهامتان دون ذواتا أفنان ونضاختان دون تجريان وفاكهة دون كل فاكهة وكذلك صفة الحور والمتكأ (تبارك اسم ربك ذى الجلال) ذى العظمة ذو الجلال شامى صفة لاسم (والاكرام) لاوليائه بالانعام روى جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ سورة الرحمن فقال مالى أراكم سكوتا للجن كانوا أحسن منكم ردا ما أتيت على قول الله فبأى آلاء ربكما تكذبان الا قالوا

كانت عبقر معروفة بسكنى الجن نسبوا اليها كل شئ عجيب بديع (فبأى آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام) قيل لما ختم نعم الدنيا بقوله ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وفيه اشارة الى ان الباقى هو الله تعالى وان الدنيا فانية ختم نعمة الآخرة بهذه الآية وهو اشارة الى تمجيده وتحميده (م) عن ثوبان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم من الصلاة لم يقعد الامقدار ما يقول اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام أخرجه أبو داود والنسائى غير قولهما لم يقعد الامقدار ما يقول والله أعلم بمراده

(تفسير سورة الواقعة)

وهى مكية سبع وتسعون آية وثلثمائة وثمان وسبعون كلمة وألف وسبعمائة وثلاثة أحرف روى البغوى بسنده عن أبى ظبية عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا وكان أبو ظبية لا يدعها أبدا وأخرجه ابن الاثير فى كتابه جامع الاصول ولم يعزه والله تعالى أعلم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (اذا وقعت الواقعة) اى اذا قامت القيامة وقيل اذا نزلت صيحة القيامة وهى النفخة الاخيرة وقيل الواقعة اسم للقيامة كالآزفة (ليس لوقعتها) أى لمجيئها (كاذبة) أى ليس لها كذب والمعنى انها تقع حقا وصدقا وقيل معناه ليس لوقعتها قصة كاذبة أى كل ما أخبر الله عنها وقص من خبرها قصة صادقة غير كاذبة وقيل معناه ليس لوقعتها نفس كاذبة اى أن كل من يخبر عن وقوعها صادق غير كاذب لم تكذب نفس اخبرت عن وقوعها (خافضة رافعة) أى تخفض اقواما الى النار وترفع اقواما الى الجنة وقال ابن عباس تخفض أقواما كانوا فى الدنيا مرتفعين وترفع أقواما كانوا فى الدنيا متضعين وقيل تخفض أقواما بالمعصية وترفع أقواما بالطاعة (اذا رجت الارض رجا) أى اذا حركت وزلزلت زلزالا وذلك ان الله عز وجل اذا أوحى اليها اضطربت فرقا وخوفا قال المفسرون ترتج كما يرتج الصبى فى المهد حتى ينهدم كل بناء عليها وينكسر كل ما فيها من جبال وغيرها وهو قوله تعالى (وبست الجبال بسا) أى فتتت حتى صارت كالدقيق

ولا بشئ من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد ولك الشكر وكررت هذه الآية فى هذه السورة احدى وثلاثين مرة ذكر ثمانية منها عقب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله وبدائع صنعه ومبدإ الخلق ومعادهم ثم سبعة منها عقب آيات فيها ذكر النار وشدائدها على عدد أبواب جهنم وبعد هذه السبعة ثمانية فى وصف الجنتين وأهلهما على عدد أبواب الجنة وثمانية أخرى بعدها للجنتين اللتين دونهما فمن اعتقد الثمانية الاولى وعمل بموجبها فتحت له أبواب الجنة وأغلقت عنه أبواب جهنم نعوذ بالله منها والله أعلم

(سورة الواقعة سبع وتسعون آية مدنية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا وقعت الواقعة) قامت القيامة وقيل وصفت بالوقوع لانها تقع لامحالة فكأنه قيل اذا وقعت الواقعة التى لابد من وقوعها ووقوع الامر نزوله يقال وقع ما كنت أتوقعه أى نزل ما كنت أترقب نزوله وانتصاب اذا باضمار اذكر (ليس لوقعتها كاذبة) نفس كاذبة أى لا تكون حين تقع نفس تكذب على الله وتكذب فى تكذيب الغيب لان كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة وأكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات واللام مثلها فى قوله تعالى ياليتنى قدمت لحياتى (خافضة رافعة) أى هى خافضة رافعة ترفع أقواما وتضع آخرين (اذا رجت الارض رجا) حركت تحريكا شديدا حتى ينهدم كل شئ فوقها من جبل وبناء وهو بدل من اذا وقعت ويجوز أن ينتصب بخافضة رافعة أى تخفض وترفع وقت رج الارض وبس الجبال (وبست الجبال بسا)

كالدقيق المبسوس وهو المبلول وقيل صارت كثيبا مهيلا بعد أن كانت شامخة وقيل معناه قلعت من أصلها وسيرت على وجه الارض حتى ذهب بها (فكانت هباء منبثا) أى غبارا متفرقا كالذى يرى فى شعاع الشمس اذا دخل الكوة وهو الهباء (وكنتم أزواجا) أى أصنافا (ثلاثة) ثم فسر الازواج فقال تعالى (فأصحاب الميمنة) يعنى اصحاب اليمين والميمنة ناحية اليمين وهم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة وقال ابن عباس هم الذين كانوا على يمين آدم حين أخرجت الذرية من صلبه وقال الله تعالى هؤلاء الى الجنة ولا أبالى وقيل هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم وقيل هم الذين كانوا ميامين أى مباركين على أنفسهم وكانت أعمالهم صالحة فى طاعة الله وهم التابعون باحسان (ما أصحاب الميمنة) تعجيب من حالهم فى السعادة والمعنى أى شئ هم (واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة) يعنى اصحاب الشمال وهم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار وقال ابن عباس هم الذين كانوا على شمال آدم عند اخراج الذرية وقال الله تعالى لهم هؤلاء الى النار ولا أبالى وقيل هم الذين يؤتون كتبهم بشمائلهم وقيل هم المشائيم على أنفسهم وكانت أعمالهم فى المعاصى لان العرب تسمى اليد اليسرى الشؤمى (والسابقون السابقون) قال ابن عباس هم السابقون الى الهجرة السابقون فى الآخرة الى الجنة وقيل هم السابقون الى الاسلام وقيل هم الذين صلوا الى القبلتين من المهاجرين والانصار وقيل هم السابقون الى الصلوات الخمس وقيل الى الجهاد وقيل هم المسارعون الى التوبة والى ما دعا الله اليه من اعمال البر والخير وقيل هم اهل القرآن المتوجون يوم القيامة فان قلت لم أخر ذكر السابقين وكانوا أولى بالتقديم على اصحاب اليمين قلت فيه لطيفة وذلك ان الله تعالى ذكر فى أول السورة من الامور الهائلة عند قيام الساعة تخويفا العباده فامامحسن فيزداد رغبة فى الثواب واما مسئ فيرجع عن اساءته خوفا من العقاب فلذلك قدم اصحاب اليمين ليسمعوا ويرغبوا ثم ذكر اصحاب الشمال ليرهبوا ثم ذكر السابقين وهم الذين لا يحزنهم الفزع الاكبر ليجتهد اصحاب اليمين فى القرب من درجتهم ثم أثنى على السابقين فقال تعالى (أولئك المقربون) أى من الله فى جواره وفى ظل عرشه ودار كرامته وهو قوله (فى جنات النعيم) قوله تعالى (ثلة) اى جماعة غير محصورة العدد (من الاوّلين) أى من الامم الماضية من لدن آدم الى زمن نبينا (وقليل من الآخرين) يعنى من هذه الامة وذلك لان الذين عاينوا جميع الانبياء وصدقوهم من الامم الماضية أكثر ممن عاين النبى صلى الله عليه وسلم وآمن به وقيل ان الاوّلين هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقليل من الآخرين يعنى التابعين لهم باحسان وقيل ان الاوّلين سباق المهاجرين والانصار وقليل من الآخرين أى ممن جاء بعدهم من الصحابة (على سرر موضونة) أى منسوجة من الذهب والجوهر وقيل موضونة يعنى مصفوفة (متكئين

وفتت حتى تعود كالسويق أوسيقت من بس الغنم اذا ساقها كقوله وسيرت الجبال (فكانت هباء) غبارا (منبثا) متفرقا (وكنتم أزواجا) أصنافا يقال للاصناف التى بعضها من بعض أويذكر بعضها مع بعض أزواج (ثلاثة) صنفان فى الجنة وصنف فى النار ثم فسر الازواج فقال (فأصحاب الميمنة) مبتدأ وهم الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم (ما أصحاب الميمنة) مبتدأ وخبر وهما خبر المبتدأ الاول وهو تعجيب من حالهم فى السعادة وتعظيم لشأنهم كانه قال ماهم وأى شئ هم (وأصحاب المشأمة) أى الذين يؤتون صحائفهم بشمائلهم أو اصحاب المنزلة السنية واصحاب المنزلة الدنية الخسيسة من قولك فلان منى باليمين وفلان منى بالشمال اذا وصفتهما بالرفعة عندك والضعة وذلك لتيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل وقيل يؤخذ بأهل الجنة ذات اليمين وبأهل النار ذات الشمال (ما أصحاب المشأمة) أى أى شئ هم وهو تعجيب من حالهم بالشقاء (والسابقون) مبتدأ (السابقون) خبره تقديره السابقون الى الخيرات السابقون الى الجنات وقيل الثانى تأكيد للاول والخبر (أولئك المقربون) والاول أوجه (فى جنات النعيم) أى هم فى جنات النعيم (ثلة من الاولين وقليل من الآخرين) أى هم ثلة والثلة الامة من الناس الكثيرة والمعنى أن السابقين كثير من الاولين وهم الامم من لدن آدم الى نبينا محمد عليهما السلام وقليل من الآخرين وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من الاولين من متقدمى هذه الامة ومن الآخرين من متأخريها وعن النبى صلى الله عليه وسلم الثلتان جميعا من أمتى (على سرر) جمع سرير ككثيب وكثب (موضونة) مرمولة ومنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت (متكئين)

عليها) أي على السرر (متقابلين) يعني لا ينظر بعضهم في قفا بعض وصفوا بحسن العشرة
في المجالسة وقيل لأنهم صاروا أرواحا نورانية صافية ليس لهم أدبار وظهور (يطوف
عليهم) أي للخدمة (ولدان) أي غلمان (مخلدون) لا يموتون ولا يهرمون ولا يتغيرون
ولا ينتقلون من حالة الى حالة وقيل مخلدون مقرطون والخلد القرط وهو الحلقة تعلق
في الاذن واختلفوا في هؤلاء الولدان فقيل هم أولاد المؤمنين الذين ماتوا أطفالا وفيه
ضعف لان الله أخبر أنه يلحقهم بآبائهم ولان من المؤمنين من لا ولد له فلو خدمه ولد غيره
كان منقصة بأبي الخادم وقيل هم صغار الكفار الذين ماتوا قبل التكليف وهذا
القول أقرب من الاول لانه قد اختلف في أولاد المشركين على ثلاثة مذاهب فقال
الاكثرون هم في النار تبعا لآبائهم وتوقف فيهم طائفة والمذهب الثالث وهو الصحيح
الذي ذهب اليه المحققون انهم من اهل الجنة ولكل مذهب دليل ليس هذا موضعه
وقيل هم أطفال ماتوا ولم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيآت فيعاقبوا عليها ومن
قال بهذه الاقوال يعلل بأن الجنة ليس فيها ولادة والقول الصحيح الذي لا معدل عنه ان
شاء الله انهم ولدان خلقوا في الجنة لخدمة أهل الجنة كالحور وان لم يولدوا ولم يحملوا عن
ولادة أطلق عليهم اسم الولدان لان العرب تسمي الغلام وليدا ما لم يحتلم والامة وليدة وان
أسنت (بأكواب) جمع كوب وهي الاقداح المستديرة الافواه لا آذان لها ولا عرا
(وأباريق) جمع ابريق وهي ذوات الخراطيم والعرا سميت أباريق لبريق لونها من
الصفاء وقيل لانها يرى باطنها كما يرى ظاهرها (وكأس من معين) أي من خمرة جارية
(لا يصدعون عنها) أي لا تصدع رؤسهم من شربها وعنها كناية عن الكاس وقيل
لا يتفرقون عنها (ولا ينزفون) أي لا يغلب على عقولهم ولا يسكرون منها وقرئ بكسر
الزاي ومعناه لا ينفد شرابهم (وفاكهة مما يتخيرون) أي يأخذون خيارها (ولحم طير
مما يشتهون) قال ابن عباس يخطر على قلبه لحم الطير فيطير ممثلا بين يديه على ما اشتهى
وقيل انه يقع على صحفة الرجل فيأكل منه ما يشتهي ثم يطير فان قلت هل في تخصيص
الفاكهة بالتخير واللحم بالاشتهاء بلاغة قلت نعم وكيف لا وفي كل حرف من حروف
القرآن بلاغة وفصاحة والذي يظهر فيه ان اللحم والفاكهة اذا حضرا عند الجائع تميل
نفسه الى اللحم واذا حضرا عند الشبعان تميل نفسه الى الفاكهة فالجائع مشتهٍ
والشبعان غير مشتهٍ بل هو مختار وأهل الجنة انما يأكلون لا من جوع بل للتفكه
فميلهم الى الفاكهة أكثر فيتخيرونها ولهذا ذكرت في مواضع كثيرة من القرآن بخلاف اللحم
واذا اشتهاه حضر بين يديه على ما يشتهيه فتميل نفسه اليه أدنى ميل ولهذا قدم الفاكهة
على اللحم والله أعلم (وحور عين) أي ويطوف عليهم حور عين وقيل ولهم حور عين وجاء
في تفسير حور أي بيض عين أي ضخام العيون (كأمثال اللؤلؤ المكنون) أي المخزون
في الصدف المصون الذي لم تمسه الايدي ولم تقع عليه الشمس والهواء فيكون في نهاية
الصفاء روي انه سطع نور في الجنة فقيل ما هذا قيل ضوء ثغر حوراء ضحكت وروي ان
الحوراء اذا مشت يسمع تقديس الخلاخل من ساقيها وتمجيد الاسورة من ساعديها وان

عقد

حال من الضمير في على وهو العامل فيها أي استقروا عليها متكئين (عليها متقابلين) ينظر بعضهم في وجوه بعض
ولا ينظر بعضهم في أقفاء بعض
وصفوا بحسن العشرة وتهذيب
الاخلاق وصفاء المودة
ومتقابلين حال أيضا (يطوف
عليهم) يخدمهم (ولدان)
غلمان جمع وليد (مخلدون)
مبقون أبدا على شكل الولدان
لا يتحولون عنه وقيل مقرطون
والخلدة القرط قيل هم أولاد
أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات
فيثابوا عليها ولا سيآت فيعاقبوا
عليها وفي الحديث أولاد
الكفار خدام أهل الجنة
(بأكواب) جمع كوب وهي
آنية لا عروة لها ولا خرطوم
(وأباريق) جمع ابريق وهو
ماله خرطوم وعروة (وكأس)
وقدح فيه شراب وان لم يكن
فيه شراب فليس بكأس (من
معين) من خمر تجري من العيون
(لا يصدعون عنها) أي بسببها
وحقيقته لا يصدر صداعهم
عنها أو لا يفرقون عنها (ولا
ينزفون) ولا يسكرون نزف
الرجل ذهب عقله بالسكر ولا
ينزفون بكسر الزاي كوفي أي
لا ينفد شرابهم يقال أنزف
القوم اذا فني شرابهم (وفاكهة مما
يتخيرون) يأخذون خيره
وافضله (ولحم طير مما يشتهون)
يتمنون (وحور) جمع حوراء
(عين) جمع عيناء أي وفيها
حور عين أو ولهم حور عين
ويجوز أن يكون عطفا على
ولدان وحور يزيد وحمزة وعلى عطفا على جنات النعيم كأنه قال هم في جنات النعيم وفاكهة ولحم
وحور (كأمثال اللؤلؤ) في الصفاء والنقاء (المكنون) المصون

عقد الياقوت يضحك من نحرها وفى رجليها نعلان من ذهب شراكهما من لؤلؤ يصران بالتسبيح (جزاء بما كانوا يعملون) أى فعلنا ذلك بهم جزاء بما كانوا يعملون فى الدنيا بطاعتنا (لا يسمعون فيها) أى فى الجنة (لغوا) قيل اللغو ما رغب عنه من الكلام ويستحق أن يلغى وقيل هو القبيح من القول والمعنى ليس فيها اللغو فيسمع (ولا تأثيما) قيل معناه أن بعضهم لا يقول لبعض أثمت لانهم لا يتكلمون بما فيه اثم كما يتكلم به أهل الدنيا وقيل معناه لا يأتون تأثيما أى ماهو سبب التأثيم من قول أو فعل قبيح (الا قيلا) معناه لكن يقولون قيلا أو يسمعون قيلا (سلاما سلاما) يعنى يسلم بعضهم على بعض وقيل تسلم الملائكة عليهم أو يرسل الرب بالسلام اليهم وقيل معناه أن قولهم يسلم من اللغو ثم ذكر أصحاب اليمين وعجب من شأنهم فقال تعالى (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) لما بين حال السابقين شرع فى بيان حال أصحاب اليمين فقال تعالى (فى سدر مخضود) أى لا شوك فيه كأنه خضد شوكه أى قطع ونزع منه وهذا قول ابن عباس وقيل هو الموقر حملا قيل ثمرها أعظم من القلال وهو النبق قيل لما نظر المسلمون الى وج وهو واد مخصب بالطائف فأعجبهم سدره فقالوا ليت لنا مثل هذا فأنزل الله هذه الآية (وطلح) قيل هو الموز عند أكثر المفسرين وقيل هو شجر له ظل بارد طيب وقيل هو شجر أم غيلان له شوك ونور طيب الرائحة فخوطبوا ووعدوا بمثل ما يحبون و يعرفون الا أن فضله على شجر الدنيا كفضل الجنة على الدنيا (منضود) أى متراكم قد نضد بالحمل من أوله الى آخره ليست له سوق بارزة بل من عروقه الى أغصانه ثمر وليس شئ من ثمر الجنة فى غلاف كثمر الدنيا مثل الباقلاء والجوز ونحوهما بل كلها مأكول ومشروب ومشموم ومنظور اليه (وظل ممدود) أى دائم لا تنسخه الشمس كظل أهل الدنيا وذلك لان الجنة ظل كلها لا شمس فيها (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة واقرؤا ان شئتم وظل ممدود وعن ابن عباس فى قوله وظل ممدود قال شجرة فى الجنة على ساق يخرج اليها أهل الجنة فيتحدثون فى أصلها فيشتهى بعضهم لهو الدنيا فيرسل الله عز وجل ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو فى الدنيا (وماء مسكوب) أى مصبوب يجرى دائما فى غير اخدود ولا ينقطع (وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة) قال ابن عباس لا تنقطع اذا جنيت ولا تمتنع من أحد اذا أراد أخذها وقيل لا مقطوعة بالازمان ولا ممنوعة بالاثمان كما تنقطع ثمار الدنيا فى الشتاء ولا يوصل اليها الا بالثمن وقيل لا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وجاء فى الحديث ما قطعت ثمرة من ثمار الجنة الا أبدل الله عز وجل مكانها ضعفين (وفرش مرفوعة) قال على مرفوعة على الاسرة وقيل بعضها فوق بعض فهى مرفوعة عالية * عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله وفرش مرفوعة قال ارتفاعها كما بين السماء والارض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب قال الترمذى قال بعض أهل العلم معنى هذا الحديث ارتفاعها كما بين السماء والارض يقول ارتفاع الفرش المرفوعة فى الدرجات والدرجات

يعملون) جزاء مفعول له أى يفعل بهم ذلك كله لجزاء أعمالهم أو مصدر أى يجزون جزاء (لا يسمعون فيها) فى الجنة (لغوا) باطلا (ولا تأثيما) هذيانا (الا قيلا سلاما سلاما) الا قولا ذا سلامة والاستثناء منقطع وسلاما بدل من قيلا أو مفعول به لقيلا أى لا يسمعون فيها الا أن يقولوا سلاما سلاما والمعنى انهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فى سدر مخضود) السدر شجر النبق والمخضود الذى لا شوك له كانما خضد شوكه (وطلح منضود) الطلح شجر الموز والمنضود الذى نضد بالحمل من أسفله الى أعلاه فليست له ساق بارزة (وظل ممدود) ممتد منبسط كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس (وماء مسكوب) جار بلا حد ولا خد أى يجرى على الارض فى غير أخدود (وفاكهة كثيرة) أى كثيرة الاجناس (لا مقطوعة) لا تنقطع فى بعض الاوقات كفواكه الدنيا بل هى دائمة (ولا ممنوعة) لا تمنع عن متناولها بوجه وقيل لا مقطوعة بالازمان ولا ممنوعة بالاثمان (وفرش مرفوعة) رفيعة القدر أو نضدت حتى ارتفعت أو مرفوعة على الاسرة وقيل هى النساء لان المرأة يكنى عنها بالفراش مرفوعة على الارائك قال الله تعالى هم وأزواجهم فى ظلال على الارائك متكئون ويدل عليه قوله

مابين كل درجتين كما بين السماء والارض وقيل أراد بالفرش النساء والعرب تسمى المرأة فراشا ولباسا على الاستعارة فعلى هذا القول يكون معنى مرفوعة أى رفعن بالفضل والجمال على نساء الدنيا ويدل على هذا التأويل قوله فى عقبه (انا أنشأناهن انشاء) أى خلقناهن خلقا جديدا قال ابن عباس يعنى الآدميات العجائز الشمط يقول خلقناهن بعد الكبر والهرم خلقا آخر (فجعلناهن أبكارا) يعنى عذارى عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا أنشأناهن انشاء قال ان من المنشآت اللاتى كن فى الدنيا عجائز عمشا رمصا أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وضعف بعض رواته وروى البغوى بسنده عن الحسن قال أتت عجوز النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ادع الله أن يدخلنى الجنة فقال ياأم فلان ان الجنة لايدخلها عجوز قال فولت تبكى قال أخبروها انها لاتدخلها وهى عجوز ان الله تعالى قال انا انشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا هذا حديث مرسل وروى باسناد الثعلبى عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله انا أنشأناهن انشاء قال عجائز كن فى الدنيا عمشا رمصا فجعلناهن أبكارا وقال المسيب بن شريك هن عجائز الدنيا انشاهن الله بقدرته خلقا جديدا كلما آتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا وقيل انهن فضلن على الحور العين بصلاتهن فى الدنيا وقيل هن الحور العين أنشاهن الله لم تقع عليهن ولادة فجعلناهن أبكارا عذارى وليس هناك وجع (عربا) جمع عروب وهى المتحببة الى زوجها قاله ابن عباس فى رواية عنه وعنه انها الملقة وقيل الغنجة وعن أسامة بن زيد عن أبيه عربا قال حسان الكلام (أترابا) يعنى امثالا فى الخلق وقيل مستويات فى السن على سن واحد بنات ثلاث وثلاثين عن معاذ بن جبل عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا مكحلين أبناء ثلاثين أو قال ثلاث وثلاثين سنة أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (لاصحاب اليمين) يعنى أنشاناهن لاصحاب اليمين وقيل هذا الذى ذكرنا لاصحاب اليمين (ثلة من الاولين) يعنى من المؤمنين الذين هم قبل هذه الامة (وثلة من الآخرين) يعنى من مؤمنى هذه الامة يدل عليه ماروى البغوى باسناد الثعلبى عن عروة بن رويم قال لما أنزل الله عزوجل على رسوله صلى الله عليه وسلم ثلة من الاولين وقليل من الآخرين بكى عمر فقال يانبى الله آمنا برسول الله وصدقناه ومن ينجو منا قليل فانزل الله عزوجل ثلة من الاولين وثلة من الآخرين فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر فقال قد أنزل الله تعالى فيما قلت فقال رضينا عن ربنا وتصديق نبينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آدم الينا ثلة ومنا الى يوم القيامة ثلة ولا يستتمها الا السودان من رعاة الابل ممن قال لا اله الا الله (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت على الامم فرأيت النبى ومعه الرهيط والنبى ومعه الرجل والرجلان والنبى وليس معه أحد اذ رفع الى سواد عظيم فظننت انهم أمتى فقيل لى هذا موسى وقومه ولكن انظر الى الافق

(انا أنشأناهن انشاء) ابتدأنا خلقهن ابتداء من غير ولادة فاما أن يراد اللاتى ابتدئ انشاؤهن أو اللاتى أعيد انشاؤهن وعلى غير هذا التاويل اضمر لهن لان ذكر الفرش وهى المضاجع دل عليهن (فجعلناهن أبكارا) عذارى كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا (عربا) عربا حمزة وخلف ويحيى وحماد جمع عروب وهى المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل (أترابا) مستويات فى السن بنات ثلاث وثلاثين وأزواجهن كذلك واللام فى (لاصحاب اليمين) من صلة أنشانا (ثلة) أى أصحاب اليمين ثلة (من الاولين وثلة من الآخرين) فان قلت كيف قال قبل هذا وقليل من الآخرين ثم قال هنا وثلة من الآخرين قلت ذاك فى السابقين وهذا فى أصحاب اليمين وانهم يتكاثرون من الاولين والآخرين جميعا وعن الحسن سابقو الامم أكثر من سابقى امتنا وتابعو الامم مثل تابعى هذه الامة

فنظرت فاذا سواد عظيم فقيل لى انظر الى الافق الآخر فاذا سواد عظيم فقيل لى هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم نهض فدخل منزله فخاض القوم فى أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقال بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا فى الاسلام ولم يشركوا بالله وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما الذى تخوضون فيه فأخبروه فقال هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم فقال أنت منهم فقام رجل آخر فقال يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم فقال سبقك بها عكاشة الرهيط تصغير رهط وهم دون العشرة وقيل الى الاربعين (ق) عن عبد الله بن مسعود قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبة نحوا من أربعين فقال أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة قلنا نعم قال أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة قلنا نعم قال والذى نفس محمد بيده انى لارجو أن تكونوا نصف أهل الجنة وذلك أن الجنة لا يدخلها الا نفس مؤمنة مسلمة وما أنتم فى أهل الشرك الا كالشعرة البيضاء فى جلد الثور الاسود أو كالشعرة السوداء فى جلد الثور الاحمر وعن بريدة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الامة وأربعون من سائر الامم أخرجه الترمذى وقال حديث حسن وذهب جماعة الى أن الثلتين جميعا من هذه الامة وهو قول أبى العالية ومجاهد وعطاء بن أبى رباح والضحاك قالوا ثلة من الاولين من سابقى هذه الامة وثلة من الآخرين من هذه الامة أيضا فى آخر الزمان يدل على ذلك ما روى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عباس فى هذه الآية ثلة من الاولين وثلة من الآخرين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما جميعا من أمتى وهذا القول هو اختيار الزجاج قال معناه جماعة ممن تبع النبى صلى الله عليه وسلم وآمن به وعاينه وجماعة ممن آمن به وكان بعده ولم يعاينه فان قلت كيف قال فى الآية الاولى وقليل من الآخرين وقال فى هذه الآية وثلة من الآخرين قلت الآية الاولى فى السابقين الاولين وقليل ممن يلحق بهم من الآخرين وهذه الآية فى أصحاب اليمين وهم كثيرون من الاولين والآخرين وحكى عن بعضهم ان هذه ناسخة للاولى واستدل بحديث عروة بن رويم ونحوه والقول بالنسخ لا يصح لان الكلام فى الآيتين خبر والخبر لا يدخله النسخ قوله تعالى (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال) قد تقدم انه بمعنى التعجب من حالتهم وهم الذين يعطون كتبهم بشمائلهم ثم بين منقلبهم وما أعد لهم من العذاب فقال تعالى (فى سموم) أى فى حر النار وقيل فى ريح شديدة الحرارة (وحميم) أى ماء حار يغلى (وظل من يحموم) يعنى فى ظل من دخان شديد السواد قيل ان النار سوداء وأهلها سود وكل شئ فيها اسود وقيل اليحموم اسم من أسماء النار (لا بارد ولا كريم) يعنى لا بارد المنزل ولا كريم المنظر وذلك لان فائدة الظل ترجع الى أمرين أحدهما دفع الحر والثانى حسن المنظر وكون

(وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال) الشمال والمشأمة واحدة (فى سموم) فى حر نار ينفذ فى المسام (وحميم) وماء حار متناهى الحرارة (وظل من يحموم) من دخان اسود (لا بارد ولا كريم) نفى لصفتى الظل عنه يريد انه ظل ولكن لا كسائر الظلال سماه ظلا ثم نفى عنه برد الظل وروحه ونفعه من يأوى اليه من أذى الحر وكذلك كرمه ليمحق ما فى مدلول الظل من الاسترواح اليه والمعنى انه ظل حار ضار

(انهم كانوا قبل ذلك) أي في الدنيا (مترفين) متنعمين فمنعهم ذلك من الانزجار وشغلهم عن الاعتبار (وكانوا يصرون) يداومون (على الحنث العظيم) أي على الذنب العظيم أو على الشرك لانه نقض عهد الميثاق والحنث نقض العهد المؤكد باليمين أو الكفر بالبعث بدليل قوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت (وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) تقديره انبعث اذا متنا وهو العامل في الظرف وجاز حذفه اذ مبعوثون يدل عليه ولا يعمل فيه مبعوثون لان اذا والاستفهام يمنعان أن يعمل ما بعدهما فيما قبلهما (أو آباؤنا الاولون) دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف وحسن العطف على المضمر في لمبعوثون من غير توكيد بنحن للفاصل الذي هو الهمزة كما حسن في قوله ما أشركنا ولا آباؤنا لفصل لا المؤكدة للنفي او آباؤنا مدني وشامي (قل ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم) الى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة ٢٨٨ بمعنى من كخاتم فضة والميقات ما وقت به الشيء أي حد ومنه مواقيت الاحرام وهي الحدود التي لا يجاوزها من يريد دخول مكة الا محرما (ثم انكم أيها الضالون) عن الهدى (المكذبون) بالبعث وهم أهل مكة ومن في مثل حالهم (لآكلون من شجر) من لابتداء الغاية (من زقوم) من لبيان الشجر (فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم) أنث ضمير الشجر على المعنى وذكر على اللفظ في منها وعليه (فشاربون شرب) بضم الشين مدني وعاصم وحمزة وسهل وبفتح الشين غيرهم وهما مصدران (الهيم) هي ابل عطاش لا تروى جمع اهيم وهيماء والمعنى انه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم الى اكل الزقوم الذي هو كالمهل فاذا ملؤا منه البطون سلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذي يقطع أمعاءهم فيشربونه شرب الهيم وانما صح عطف الشاربين على الشاربين وهما لذوات متفقة وصفتين متفقتين لان كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة وقطع الامعاء أمر عجيب وشربهم له على ذلك كما يشرب الهيم الماء أمر عجيب أيضا فكانتا صفتين مختلفتين (هذا نزلهم) هو الرزق الذي يعد للنازل تكرمة له (يوم الدين) يوم الجزاء (نحن خلقناكم فلولا) فهلا (تصدقون) تحضيض على التصديق اما بالخلق لانهم وان كانوا مصدقين به الا انه لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق فكأنهم مكذبون به واما بالبعث لان من خلق أولا لم يمتنع عليه أن يخلق ثانيا (أفرأيتم ما تمنون) ما تمنونه أي تقذفونه في الارحام من النطف (أأنتم تخلقونه) تقدرونه وتصورونه وتجعلونه بشرا سويا (أم نحن الخالقون) نحن قدرنا بينكم الموت) تقديرا وقسمناه عليكم قسمة الارزاق على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه مشيئتنا فاختلفت اعماركم من قصير وطويل ومتوسط قدرنا بالتخفيف مكي سبقته بالشيء اذا أعجزته عنه وغلبته عليه فمعنى قوله

الانسان فيه مكر ما وظل أهل النار بخلاف هذا لانهم في ظل من دخان أسود حار ثم بين بم استحقوا ذلك فقال تعالى (انهم كانوا قبل ذلك) يعني في الدنيا (مترفين) يعني منعمين (وكانوا يصرون على الحنث العظيم) يعني على الذنب الكبير وهو الشرك وقيل الحنث العظيم اليمين الغموس وذلك انهم كانوا يحلفون أنهم لا يبعثون وكذبوا في ذلك يدل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى (وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون) فرد الله تعالى عليهم بقوله (قل ان الاولين والآخرين) يعني الآباء والابناء (لمجموعون الى ميقات يوم معلوم) يعني انهم يجمعون ويحشرون ليوم الحساب (ثم انكم أيها الضالون) يعني عن الهدى (المكذبون) أي بالبعث والخطاب لكفار مكة وقيل انه عام مع كل ضال مكذب (لآكلون من شجر من زقوم) تقدم تفسيره (فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم) يعني الابل العطاش قيل ان الهيام داء يصيب الابل فلا تروى معه ولا تزال تشرب حتى تهلك وقيل الهيم الارض ذات الرمل التي لا تروى بالماء قيل يلقى على اهل النار العطش فيشربون من الحميم شرب الهيم فلا يروون (هذا نزلهم) يعني ما ذكر من الزقوم والحميم أي رزقهم وغذاؤهم وما أعد لهم (يوم الدين) يعني يوم يجازون باعمالهم ثم احتج عليهم في البعث بقوله تعالى (نحن خلقناكم) يعني ولم تكونوا شيأ وأنتم تعلمون ذلك (فلولا) أي فهلا (تصدقون) يعني بالبعث بعد الموت قوله عز وجل (أفرأيتم ما تمنون) يعني ما تصبون في الارحام من النطف (أأنتم تخلقونه) اي أأنتم تخلقون ما تمنون بشرا (أم نحن الخالقون) أي انه خالق النطفة وصورها واحياها فلم لا تصدقون بانه واحد قادر على أن يعيدكم كما أنشأكم احتج عليهم في البعث بالقدرة على ابتداء الخلق (نحن قدرنا بينكم الموت) يعني الآجال فمنكم من يبلغ الكبر والهرم

ومنكم من يموت صبيا وشابا وغير ذلك من الآجال القريبة والبعيدة وقيل معناه انه جعل أهل السماء وأهل الارض فيه سواء شريفهم ووضيعهم فعلى هذا القول يكون معنى قدرنا قضينا (وما نحن بمسبوقين) يعني لا يفوتني شئ أريده ولا يمتنع مني أحد وقيل معناه وما نحن بمغلوبين عاجزين عن اهلاككم وابدالكم بامثالكم وهو قوله تعالى (على أن نبدل امثالكم) أي نأتي بخلق مثلكم بدلا منكم في أسرع حين (وننشئكم) أي نخلقكم (فيما لا تعلمون) أي من الصور والمعنى نغير حليتكم الى ماهو أسمج منها من أي خلق شئنا وقيل نبدل صفاتكم فنجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بمن كان قبلكم أي ان أردنا ان نفعل ذلك بكم مافاتنا وقال سعيد بن المسيب فيما لا تعلمون في حواصل طيور سود كأنها الخطاطيف تكون ببرهوت وهو واد باليمن وهذه الاقوال كلها تدل على المسخ وعلى انه لو شاء ان يبدلهم بامثالهم من بني آدم قدر ولو شاء ان يمسخهم في غير صورهم قدر وقال بعض أهل المعاني هذا يدل على النشأة الثانية يكونها الله تعالى في وقت لا يعلمه العباد ولا يعلمون كيفيته كما علموا الانشاء الاول من جهة التناسل ويكون التقدير على هذا وما نحن بمسبوقين على ان ننشئكم في وقت لا تعلمونه يعني وقت البعث والقيامة وفيه فائدة وهو التحريض على العمل الصالح لان التبديل والانشاء هو الموت والبعث واذا كان ذلك واقعا في الازمان ولا يعلمه احد فينبغي ان لا يتكل الانسان على طول المدة ولا يغفل عن اعداد العدة (ولقد علمتم النشأة الاولى) أي الخلقة الاولى ولم تكونوا شيأ وفيه تقرير للنشأة الثانية يوم القيامة (فلولا تذكرون) أي باني قادر على اعادتكم كما قدرت على ابدائكم أول مرة قوله تعالى (افرأيتم ماتحرثون) لما ذكر الله تعالى ابتداء الخلق ومافيه من دلائل الوحدانية ذكر بعده الرزق لان به البقاء وذكر أمورا ثلاثة المأكول والمشروب ومابه اصلاح المأكول والمشروب ورتبه ترتيبا حسنا فذكر المأكول أولا لانه هو الغذاء واتبعه المشروب لان به الاستمراء ثم النار التي بها الاصلاح وذكر من أنواع المأكول الحب لانه هو الاصل ومن المشروب الماء لانه أيضا هو الاصل وذكر من المصلحات النار لان بها اصلاح أكثر الاغذية فقوله افرأيتم ماتحرثون أي ماتثيرون من الارض وتلقون فيه البذر (أأنتم تزرعونه) أي تنبتونه وتنشؤنه حتى يشتد ويقوم على سوقه (أم نحن الزارعون) معناه أأنتم فعلتم ذلك أم الله ولا شك في ان ايجاد الحب في السنبل ليس بفعل أحد غير الله تعالى وان كان القاء البذر من فعل الناس (لو نشاء لجعلناه) يعني ماتحرثونه وتلقون فيه من البذر (حطاما) أي تبنا لا قمح فيه وقيل هشيما لا ينتفع به في مطعم ولا غيره وقيل هو جواب لمعاند يقول نحن نحرثه وهو بنفسه يصير زرعا لا بفعلنا ولا بفعل غيرنا فرد الله على هذا المعاند بقوله لو نشاء لجعلناه حطاما فهل تقدرون انتم على حفظه أو هو يدفع عن نفسه بنفسه تلك الآفات التي تصيبه ولا يشك أحد في أن دفع الآفات ليس الا باذن الله وحفظه (فظلتم تفكهون) أي تتعجبون مما نزل بكم في زرعكم وقيل تندمون على نفقاتكم وقيل تندمون على ماسلف منكم من المعاصي التي أوجبت تلك العقوبة وقيل

(وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم) انا قادرون على ذلك لا تغلبوننا عليه وأمثالكم جمع مثل أي على أن نبدل منكم ومكانكم أشباهكم من الخلق (وننشئكم فيما لا تعلمون) وعلى ان ننشئكم في خلق لا تعلمونها وما عهدتم بمثلها يعني انا نقدر على الامرين جميعا على خلق ما يماثلكم ومالا يماثلكم فكيف نعجز عن اعادتكم ويجوز أن يكون أمثالكم جمع مثل أي على ان نبدل ونغير صفاتكم التي أنتم عليها في خلقكم واخلاقكم وننشئكم في صفات لا تعلمونها (ولقد علمتم النشأة الاولى) النشاءة مكي وأبو عمرو (فلولا تذكرون) ان من قدر على شئ مرة لم يمتنع عليه ثانيا وفيه دليل صحة القياس حيث جهلهم في ترك قياس النشأة الاخرى على الاولى (أفرأيتم ماتحرثون) ماتحرثونه من الطعام أي تثيرون الارض وتلقون فيها البذر (أأنتم تزرعونه) تنبتونه وتردونه نباتا (أم نحن الزارعون) المنبتون وفي الحديث لا يقولن أحدكم زرعت وليقل حرثت (لو نشاء لجعلناه حطاما) هشيما متكسرا قبل ادراكه (فظلتم تفكهون) تعجبون أو تندمون على تعبكم فيه وانفاقكم عليه أو على ما اقترفتم من المعاصي التي أصبتم بذلك من أجلها

(انا) أى تقولون انا أثنا أبوبكر (لمغرمون) لملزمون غرامة ما أنفقنا أومهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك (بل نحن) قوم (محرومون) محارفون محدودون لامجدودون لاحظ لنا ولابخت لنا ولو كنا مجدودين لماجرى علينا هذا (أفرأيتم الماء الذى تشربون) أى الماء العذب الصالح للشرب (أأنتم أنزلتموه من المزن) السحاب الابيض وهو اعذب ماء (أم نحن المنزلون) بقدرتنا (لونشاء جعلناه أجاجا) ملحا أومرا لايقدر على شربه (فلولا تشكرون) فهلا تشكرون ودخلت اللام على جواب لوفى قوله لجعلناه حطاما ونزعت منه هنا لان لولما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالاولى تعلق الجزاء بالشرط ولم تكن مخلصة للشرط كان ولاعاملة مثلها وانما سرى فيها معنى الشرط اتفاقا من حيث افادتها فى مضمونى جملتيها ان الثانى امتنع لامتناع الاول افتقرت فى جوابها الى ماينصب علما على هذا التعلق فزيدت هذه اللام لتكون علما على ذلك ولما شهر موقعه لم يبال باسقاطه عن اللفظ لعلم كل أحد به وتساوى حالى حذفه واثباته على أن تقدم ذكرها والمسافة قصيرة مغن عن ذكرها ثانية ولان هذه اللام تفيد معنى التأكيد لامحالة فادخلت فى آية المطعوم دون آية المشروب للدلالة على ان امر المطعوم مقدم على أمر المشروب وان الوعيد بفقده أشد وأصعب من قبل أن المشروب انما يحتاج اليه تبعا للطعوم ولهذا قدمت آية المطعوم على آية المشروب (افرأيتم النار التى تورون) تقدحونها وتستخرجونها من الزناد والعرب تقدح بعودين تحك أحدهما على الآخر ويسمون الاعلى الزند والاسفل الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة (أأنتم انشأتم شجرتها) التى منها الزناد (أم نحن المنشئون) الخالقون على لها ابتداء (نحن جعلناها) أى النار (تذكرة) تذكيرا النار جهنم حيث علقنا بها أسباب المعاش وعممنا بالحاجة اليها البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون اليها ويذكرون ما أوعدوابه (ومتاعا) ومنفعة (للمقوين) للمسافرين فى القواء وهى القفر اوللذين خلت بطونهم أومزاودهم من الطعام من قولهم اقوت الدار اذا خلت من ساكنيها بدأ بذكر خلق الانسان فقال أفرأيتم ماتمنون لان النعمة فيه سابقة على جميع النعم ثم بما به قوامه وهو الحب فقال أفرأيتم ماتحرثون ثم بما يعجن به ويشرب عليه وهو الماء ثم بما يخبز به وهو النار فحصول الطعام بمجموع الثلاثة ولا يستغنى عنه الجسد مادام حيا (فسبح باسم ربك) فنزه ربك عما لايليق به أيها المستمع المستدل أوأراد بالاسم الذكر اى فسبح بذكر ربك (العظيم) صفة للمضاف

تتلاومون وقيل تحزنون وقيل هو تلهف على مافات (انا لمغرمون) أى وتقولون فحذف القول ومعنى الغرم ذهاب المال بغير عوض وقيل معناه لموقع بنا وقال ابن عباس رضى الله عنهما المعذبون يعنى انهم عذبوا بذهاب أموالهم بغير فائدة والمعنى انا غرمنا الحب الذى بذرناه فذهب بغير عوض (بل نحن محرومون) أى ممنوعون والمعنى حرمنا الذى كنا نطلبه من الريع فى الزرع (افرأيتم الماء الذى تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون) ذكرهم الله تعالى نعمه عليهم بانزال المطر الذى لا يقدر عليه الا الله عزوجل (لونشاء جعلناه أجاجا) قال ابن عباس شديد الملوحة وقيل مرا لايمكن شربه (فلولا) أى أفلا (تشكرون) يعنى نعمة الله عليكم (أفرأيتم النار التى تورون) يعنى تقدحون من الزند (أأنتم انشأتم شجرتها) يعنى التى تقدح منها النار وهى المرخ والعفار وهما شجرتان تقدح منهما النار وهما رطبتان وقيل أراد جميع الشجر الذى توقد منه النار (أم نحن المنشئون نحن جعلناها) يعنى نار الدنيا (تذكرة) أى للنار الكبرى اذا رأى الرائى هذه النار ذكر بها نار جهنم فيخشى الله ويخاف عقابه وقيل موعظة يتعظ بها المؤمن (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ناركم هذه التى توقدون جزء من سبعين جزأ من نار جهنم قالوا والله ان كانت لكافية يارسول الله قال فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزأ كلها مثل حرها (ومتاعا) أى بلغة ومنفعة (للمقوين) يعنى للمسافرين والمقوى النازل فى الارض القواء وهى القفر الخالية البعيدة من العمران والمعنى انه ينتفع بها أهل البوادى والسفار فان منفعتهم أكثر من المقيم فانهم يوقدونها بالليل لتهرب السباع ويهتدى بها الضال الى غيرذلك من المنافع هذا قول أكثر المفسرين وقيل المقوين الذين يستمتعون بها فى الظلمة ويصطلون بها من البرد وينتفعون بها فى الطبخ والخبز الى غيرذلك من المنافع وقيل المقوى من الاضداد يقال للفقير مقو لخلوه من المال ويقال للغنى مقو لقوته على مايريد والمعنى ان فيها متاعا ومنفعة للفقراء والاغنياء جميعا لاغنى لاحد عنها (فسبح باسم ربك العظيم) لما ذكر الله مايدل على وحدانيته وقدرته وانعامه

على سائر الخلق خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون خطابا لكل فرد من الناس فقال تعالى فسبح باسم ربك أى برئ الله ونزهه عما يقول المشركون فى صفته والاسم يكون بمعنى الذات والمعنى فسبح بذات ربك العظيم قوله عز وجل (فلا اقسم) قال أكثر المفسرين معناه فاقسم ولا صلة مؤكدة وقيل لا على أصلها وفى معناها وجهان احدهما انها ترجع الى ما تقدم ومعناها النهى وتقديره فلا تكذبوا ولا تجحدوا ما ذكرته من النعم والحجج الوجه الثانى ان لا رد لما قاله الكفار فى القرآن من انه سحر وشعر وكهانة والمعنى ليس الامر كما تقولون ثم استأنف القسم فقال اقسم والمعنى لا والله لا صحة لقول الكفار وقيل ان لا هنا معناها النفى فهو كقول القائل لا تسأل عما جرى وهو يريد تعظيم الامر لا النهى عن السؤال (بمواقع النجوم) قال ابن عباس أراد نجوم القرآن فانه كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم متفرقا وقيل أراد مغارب النجوم ومساقطها وقيل أراد منازلها وقيل انكدارها وانتثارها يوم القيامة وقيل مواقعها فى اتباع الشياطين عند الرجم (وانه لقسم لو تعلمون عظيم) قيل هذا يدل على ان المراد بمواقع النجوم نزول القرآن والمعنى ان القسم بمواقع النجوم لقسم عظيم لو تعلمون عظمته لانتفعتم بذلك وقيل معنى لو تعلمون أى فاعلموا عظمته وقيل انه اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى فاقسم بمواقع النجوم (انه لقرآن كريم) أى ان الكتاب الذى انزل على محمد صلى الله عليه وسلم لقرآن كريم أى عزيز مكرم لانه كلام الله تعالى ووحيه الى نبيه صلى الله عليه وسلم وقيل الكريم الذى من شانه ان يعطى الكثير وسمى القرآن كريما لانه يفيد الدلائل التى تؤدى الى الحق فى الدين وقيل الكريم اسم جامع لما يحمد والقرآن كريم لما يحمد فيه من الهدى والنور والبيان والعلم والحكم فالفقيه يستدل به ويأخذ منه والحكيم يستمد منه ويحتج به والاديب يستفيد منه ويتقوى به فكل عالم يطلب أصل علمه منه وقيل سمى كريما لان كل احد يناله ويحفظه من كبير وصغير وذكى وبليد بخلاف غيره من الكتب وقيل ان الكلام اذا كرر مرارا يسامه السامعون ويهون فى الاعين وتمله الآذان والقرآن عزيز كريم لا يهون بكثرة التلاوة ولا يخلق بكثرة الترداد ولا يمله السامعون ولا يثقل على الالسنة بل هو غض طرى يبقى أبد الدهر كذلك (فى كتاب مكنون) أى مصون مستور عند الله تعالى فى اللوح المحفوظ من الشيطان من ان يناله بسوء وقيل المراد بالكتاب المصحف ومعنى مكنون مصون محفوظ من التبديل والتحريف والقول الاول أصح (لا يمسه) أى ذلك الكتاب المكنون (الا المطهرون) وهم الملائكة الموصوفون بالطهارة من الشرك والذنوب والاحداث يروى هذا القول عن ابن عباس وأنس وهو قول سعيد بن جبير وأبى العالية وقتادة وابن زيد وقيل هم السفرة الكرام البررة وعلى القول الثانى من ان المراد بالكتاب المصحف فقيل معنى لا يمسه الا المطهرون أى من الشرك وكان ابن عباس ينهى ان تمكن اليهود والنصارى من قراءة القرآن قال الفراء لا يجد طعمه ونفعه الا من آمن به وقيل معناه لا يقرؤه الا الموحدون وقال قوم معناه لا يمسه الا المطهرون من الاحداث والجنابات

(فلا اقسم) أى فاقسم ولا مزيدة مؤكدة مثلها فى قوله لئلا يعلم أهل الكتاب وقرئ فلأقسم ومعناه فلأنا أقسم اللام لام الابتداء دخلت على جملة من مبتدا وخبر وهى أنا أقسم ثم حذف المبتدا ولا يصح أن تكون اللام لام القسم لان حقها أن تقرن بها النون المؤكدة (بمواقع النجوم) بمساقطها ومغاربها بموقع حمزة وعلى ولعل لله تعالى فى آخر الليل اذا انحطت النجوم الى المغرب أفعالا مخصوصة عظيمة أو للملائكة عبادات موصوفة أولانه وقت قيام المتهجدين ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك أقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله (وانه لقسم لو تعلمون عظيم) وهو اعتراض فى اعتراض لانه اعترض به بين القسم والمقسم عليه وهو قوله (انه لقرآن كريم) حسن مرضى أو نفاع جم المنافع او كريم على الله واعترض بلو تعلمون بين الموصوف وصفته (فى كتاب) أى اللوح المحفوظ (مكنون) مصون عن ان يأتيه الباطل أو من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم (لا يمسه الا المطهرون) من جميع الادناس أدناس الذنوب وغيرها ان جعلت الجملة صفة لكتاب مكنون وهو اللوح وان جعلتها صفة للقرآن فالمعنى لا ينبغى ان يمسه الا من هو على الطهارة من الناس والمراد مس المكتوب منه

وظاهر الآية نفي ومعناها نهي قالوا لا يجوز للجنب ولا للحائض ولا للمحدث حمل المصحف ولا مسه وهو قول عطاء وطاوس وسالم والقاسم وأكثر أهل العلم وبه قال مالك والشافعي وأكثر الفقهاء يدل عليه ما روى مالك في الموطا عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم ان في الكتاب الذي كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم ان لا يمس القرآن الا طاهرا أخرجه مالك مرسلا وقد جاء موصولا عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى أهل اليمن بهذا والصحيح فيه الارسال وروى الدارقطني بسنده عن سالم عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمس القرآن الا طاهر والمراد بالقرآن المصحف سماه قرآنا على قرب الجوار والاتساع كما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يسافر بالقرآن الى أرض العدو وأراد به المصحف وقال الحكم وحماد وأبو حنيفة يجوز للمحدث والجنب حمل المصحف ومسه بغلافه فان قلت اذا كان الاصح ان المراد من الكتاب هو اللوح المحفوظ وان المراد من لا يمسه الا المطهرون هم الملائكة ولو كان المراد نفي الحدث لقال لا يمسه الا المتطهرون من التطهر فكيف يصح قول الشافعي لا يصح للمحدث مس المصحف قلت من قال ان الشافعي أخذه من صريح الآية حمله على التفسير الثاني وهو القول بأن المراد من الكتاب هو المصحف ومن قال انه أخذه من طريق الاستنباط قال المس بطهر صفة دالة على التعظيم والمس بغير طهر نوع استهانة وهذا لا يليق بمباشرة المصحف الكريم والصحيح انه أخذه من السنة ودليله ما تقدم من الاحاديث والله أعلم قوله تعالى (تنزيل من رب العالمين) صفة للقرآن أي القرآن منزل من عند رب العالمين سمى المنزل تنزيلا على اتساع اللغة يقال للمقدور قدر وللمخلوق خلق وفيه رد على من قال ان القرآن شعر أو سحر او كهانة فقال الله تعالى بل القرآن تنزيل من رب العالمين قوله عز وجل (أفبهذا الحديث) يعني القرآن (أنتم) أي يا أهل مكة (مدهنون) قال ابن عباس مكذبون وقيل كافرون والمدهن والمداهن الكذاب والمنافق والادهان الجري في الباطن على خلاف الظاهر هذا أصله ثم قيل للمكذب والكافر مدهن وان صرح بالتكذيب والكفر (وتجعلون رزقكم) أي حظكم ونصيبكم من القرآن (أنكم تكذبون) قال الحسن في هذه الآية خسر عبد لا يكون حظه من كتاب الله الا التكذيب وقال جماعة من المفسرين معناه وتجعلون شكركم أنكم تكذبون أي بنعمة الله عليكم وهذا في الاستسقاء بالانواء وذلك انهم كانوا اذا مطروا يقولون مطرنا بنوء كذا ولا يرون ذلك المطر من فضل الله عليهم فقيل لهم أتجعلون رزقكم أي شكركم بما رزقكم التكذيب فمن نسب الانزال الى النجم فقد كذب برزق الله تعالى ونعمه وكذب بما جاء به القرآن والمعنى أتجعلون بدل الشكر التكذيب (ق) عن زيد بن خالد الجهني قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية في اثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فامامن قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر

بالكواكب

(تنزيل) صفة رابعة للقرآن أي منزل (من رب العالمين) او وصف بالمصدر لانه نزل نجوما من بين سائر كتب الله فكأنه في نفسه تنزيل ولذلك جرى مجرى بعض أسمائه فقيل جاء في التنزيل كذا ونطق به التنزيل او هو تنزيل على حذف المبتدا (أفبهذا الحديث) أي القرآن (أنتم مدهنون) متهاونون به كمن يدهن في بعض الامر أي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) أي تجعلون شكر رزقكم التكذيب موضع الشكر أي وضعتم التكذيب موضع الشكر وفي قراءة علي رضي الله عنه وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجعلون شكركم انكم تكذبون أي تجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به وقيل نزلت في الانواء ونسبتهم السقيا اليها والرزق المطر أي وتجعلون شكر ما يرزقكم الله من الغيث أنكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه الى النجوم

بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب رواه مسلم وفيه عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعناه وزاد فنزلت هذه الآية فلا أقسم بمواقع النجوم الى قوله وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أنزل الله من السماء من بركة الا أصبح فريق من الناس بها كافرين ينزل الله الغيث فيقولون الكوكب كذا وكذا وفي رواية بكوكب كذا وكذا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون قال شكركم تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وبنجم كذا وكذا وفي رواية بكوكب كذا وكذا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله في اثر سماء أي اثر مطر والنوء الكوكب يقال ناء النجم ينوء اذا سقط وغاب وقيل ناء اذا نهض وطلع واختلف العلماء في معنى الحديث وكفر من قال مطرنا بنوء كذا على قولين أحدهما انه كفر بالله تعالى سالب لاصل الايمان مخرج عن ملة الاسلام وذلك فيمن قال ذلك معتقدا ان الكوكب فاعل مدبر منشئ للمطر كما كان بعض الجاهلية يزعم فمن اعتقد هذا فلا شك في كفره وهذا القول هو الذي ذهب اليه جماهير العلماء منهم الشافعي وهو ظاهر الحديث وعلى هذا لو قال مطرنا بنوء كذا وكذا وهو معتقد ان ايجاد المطر من الله ورحمته وان النوء ميقات له وم اده انا مطرنا في وقت طلوع نجم كذا ولم يقصد الى فعل النجم كما جاء عن عمر انه استسقى بالمصلى ثم نادى العباس كم بقي من نوء الثريا فقال ان العلماء يزعمون انها تعترض في الافق سبعا بعد وقوعها فوالله ما مضت تلك السبع حتى غيث الناس وانما أراد عمر كم بقي من الوقت الذي جرت العادة انه اذا تم أتى الله بالمطر فهذا جائز لا كفر فيه واختلفوا في كراهية هذا والاظهر انها كراهية تنزيه لا اثم فيها ولا تحريم وسبب هذه الكراهة انها كلمة مترددة بين الكفر وغيره فيساء الظن بقائلها ولانها من شعار الجاهلية ومن سلك مسلكهم والقول الثاني في تأويل أصل الحديث ان المراد بالكفر كفر النعمة لله تعالى لاقتصاره على اضافة الغيث الى الكواكب وهذا جار فيمن لا يعتقد تدبير الكواكب ويؤيد هذا التأويل حديث أبي هريرة ما أنزل الله من السماء من بركة الا أصبح فريق من الناس بها كافرين فقوله بها يدل على انه كفر بالنعمة والله أعلم قوله تعالى (فلولا) أي فهلا (اذا بلغت الحلقوم) أي النفس أو الروح الى الحلقوم عند الموت (وأنتم) يعني يا أهل الميت (حينئذ تنظرون) يعني الى الميت متى تخرج نفسه وقيل تنظرون الى أمري وسلطاني لا يمكنكم الدفع ولا تملكون شيأ (ونحن أقرب اليه منكم) أي بالعلم والقدرة والرؤية وقيل ورسلنا الذين يقبضون روحه أقرب الى الميت منكم (ولكن لا تبصرون) اي الذين حضروه من الملائكة لقبض روحه وقيل لا تبصرون أي لا تعلمون ذلك (فلولا ان كنتم غير مدينين) أي مملوكين وقيل محاسبين ومجزيين (ترجعونها ان كنتم صادقين) أي تردون نفس هذا الميت الى جسده بعد ما بلغت الحلقوم فأجاب عن قوله فلولا اذا بلغت الحلقوم وعن قوله فلولا ان كنتم غير مدينين بجواب واحد وهو قوله

(فلولا اذا بلغت) النفس أي الروح عند الموت (الحلقوم) ممر الطعام والشراب (وأنتم حينئذ تنظرون) الخطاب لمن حضر الميت تلك الساعة (ونحن أقرب اليه) الى المحتضر (منكم ولكن لا تبصرون) لا تعقلون ولا تعلمون (فلولا ان كنتم غير مدينين) مربوبين من دان السلطان الرعية اذا ساسهم (ترجعونها) تردون النفس وهي الروح الى الجسد بعد بلوغ الحلقوم (ان كنتم صادقين) انكم غير مربوبين مقهورين فلولا في الآيتين للتحضيض يستدعي فعلا وذا قوله ترجعونها واكتفي بذكره مرة وترتيب الآية فلولا ترجعونها اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين وفلولا الثانية مكررة للتأكيد ونحن أقرب اليه منكم يا أهل الميت بقدرتنا وعلمنا أو بملائكة الموت والمعنى انكم في جحودكم آيات الله في كل شئ ان أنزل عليكم كتابا معجزا قلتم سحر وافتراء وان أرسل اليكم رسولا صادقا قلتم ساحر كذاب وان رزقكم مطرا يحييكم به قلتم صدق نوء كذا على مذهب يؤدي الى الاهمال والتعطيل فما لكم لا ترجعون الروح الى البدن بعد بلوغه الحلقوم ان لم يكن ثمة قابض وكنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت المبدئ المعيد

ترجعونها والمعنى ان كان الامر كما تقولون انه لا بعث ولا حساب ولا اله يجازى فهلا تردون
نفس من يعز عليكم اذا بلغت الحلقوم واذا لم يمكنكم ذلك فاعلموا ان الامر الى غيركم وهو
الله تعالى فآمنوا به ثم ذكر طبقات الخلق عند الموت وبين درجاتهم فقال تعالى (فاما
ان كان من المقربين) يعنى السابقين (فروح) أى فله روح وهو الراحة وقيل فله فرح
وقيل رحمة (وريحان) أى وله استراحة وقيل رزق وقيل هو الريحان الذى يشم قال أبو
العالية لا يفارق أحد من المقربين الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه فتقبض
روحه (وجنة نعيم) أى وله جنة نعيم يفضى اليها فى الآخرة قال أبو بكر الوراق الروح النجاة
من النار والريحان رضوان دار القرار (وأما ان كان) يعنى المتوفى (من أصحاب اليمين
فسلام لك من أصحاب اليمين) أى فسلامة لك يا محمد منهم والمعنى فلا تهتم لهم فانهم سلموا من
عذاب الله وانك ترى فيهم ما تحب من السلامة وقيل هو أن الله يتجاوز عن سيئاتهم
ويقبل حسناتهم وقيل معناه مسلم لك انهم من أصحاب اليمين أو يقال لصاحب اليمين مسلم
لك أنك من أصحاب اليمين وقيل فسلام عليك من أصحاب اليمين (وأما ان كان من
المكذبين) أى بالبعث (الضالين) اى عن الهدى وهم أصحاب الشمال (فنزل من حميم)
أى الذى يعد لهم حميم جهنم (وتصلية جحيم) أى وادخال نار عظيمة (ان هذا) يعنى ما ذكر
من قصة المحتضرين (لهو حق اليقين) أى لا شك فيه وقيل ان هذا الذى قصصناه عليك
فى هذه السورة من الاقاصيص وما أعد الله لاوليائه من النعيم وما أعد لاعدائه من
العذاب الاليم وما ذكر مما يدل على وحدانيته يقين لا شك فيه (فسبح باسم ربك العظيم)
اى فنزه ربك العظيم عن كل سوء وقيل معناه فصل بذكر ربك العظيم وبأمره عن عقبة
ابن عامر الجهنى قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اجعلوها فى ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها فى سجودكم أخرجه أبو
داود عن حذيفة أنه صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم فكان يقول فى ركوعه سبحان ربى
العظيم وفى سجوده سبحان ربى الاعلى وما أتى على آية رحمة الا وقف وسأل وما أتى على
آية عذاب الا وقف وتعوذ أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وله عن جابر عن
النبى صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة فى الجنة (م) عن
أبى ذر قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا اخبرك بأحب الكلام الى الله تعالى
قال سبحان الله وبحمده (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان
خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان
الله العظيم هذا الحديث آخر حديث فى صحيح البخارى والله اعلم

(تفسير سورة الحديد)

وهى مدنية وتسع وعشرون آية وخمسمائة وأربع وأربعون كلمة وألفان وأربعمائة وستة وسبعون حرفا

فله استراحة (وريحان) ورزق (وجنة نعيم وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين) أى فسلام لك يا صاحب اليمين من اخوانك أصحاب اليمين أى يسلمون عليك كقوله الا قيلا سلاما سلاما (وأما ان كان من المكذبين الضالين) هم الصنف الثالث من الازواج الثلاثة وهم الذين قيل لهم فى هذه السورة ثم انكم أيها الضالون المكذبون (فنزل من حميم وتصلية جحيم) أى ادخال فيها وفى هذه الآيات اشارة الى أن الكفر كله ملة واحدة وان أصحاب الكبائر من أصحاب اليمين لانهم غير مكذبين (ان هذا) الذى أنزل فى هذه السورة (لهو حق اليقين) أى الحق الثابت من اليقين (فسبح باسم ربك العظيم) روى ان عثمان ابن عفان رضى الله عنه دخل على ابن مسعود رضى الله عنه فى مرض موته فقال له ما تشتكى فقال ذنوبى فقال ما تشتهى قال رحمة ربى قال أفلا ندعو الطبيب قال الطبيب أمرضنى فقال ألا نأمر بعطائك قال لا حاجة لى فيه قال ندفعه الى بناتك قال لا حاجة لهن فيه قد أمرتهن ان يقرأن سورة الواقعة فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا وليس فى هذه السور الثلاث ذكر الله اقتربت الرحمن الواقعة والله أعلم

(سورة الحديد مكية وهى تسع وعشرون آية) (بسم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عزوجل (سبح لله ما في السموات والارض) يعني كل ذي روح وغيره يسبح الله تعالى فتسبيح العقلاء تنزيه الله عزوجل عن كل سوء وعما لا يليق بجلاله وتسبيح غير العقلاء من ناطق وجماد اختلفوا فيه فقيل تسبيحه دلالته على صانعه فكأنه ناطق بتسبيحه وقيل تسبيحه بالقول يدل عليه قوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم أي قولهم والحق ان التسبيح هو القول الذي لا يصدر الا من العاقل العارف بالله تعالى وماسوى العاقل ففي تسبيحه وجهان احدهما انها تدل على تعظيمه وتنزيهه والثاني ان جميع الموجودات بأسرها منقادة له يتصرف فيها كيف يشاء فان حملنا التسبيح المذكور في الآية على القول كان المراد بقوله ما في السموات والارض من في السموات وهم الملائكة ومسبحي الارض وهم المؤمنون العارفون بالله وان حملنا التسبيح على التسبيح المعنوي فجميع اجزاء السموات ومافيها من شمس وقمر ونجوم وغير ذلك وجميع ذرات الارضين ومافيها من جبال وبحار وشجر ودواب وغير ذلك كلها مسبحة خاشعة خاضعة لجلال عظمة الله جل جلاله وتقدست أسماؤه وصفاته منقادة له يتصرف فيها كيف يشاء فان قلت قد جاء في بعض فواتح السور سبح بلفظ الماضي وفي بعضها يسبح بلفظ المضارع فما معناه قلت فيه اشارة الى كون جميع الاشياء مسبحة لله أبدا غير مختص بوقت دون وقت بل هي كانت مسبحة ابدا في الماضي وستكون مسبحة أبدا في المستقبل (وهو العزيز) أي الغالب الكامل القدرة الذي لا ينازعه شئ (الحكيم) أي الذي جميع أفعاله على وفق الحكمة والصواب (له ملك السموات والارض) أي انه الغني عن جميع خلقه وكلهم محتاجون اليه (يحيي ويميت) أي يحيي الاموات للبعث ويميت الاحياء في الدنيا (وهو على كل شئ قدير) قوله عزوجل (هو الاول والآخر والظاهر والباطن) يعني هو الاول قبل كل شئ بلا ابتداء كان هو ولم يكن شئ موجودا والآخر بعد فناء كل أحد بلا انتهاء يفنى الاشياء ويبقى هو والظاهر الغالب العالي على كل شئ والباطن العالم بكل شئ هذا معنى قول ابن عباس وقيل هو الاول بوجوده ليس قبله شئ والآخر ليس بعده شئ وقيل هو الاول بوجوده في الازل وقبل الابتداء والآخر بوجوده في الابد وبعد الانتهاء والظاهر بالدلائل الدالة على وحدانيته والباطن الذي احتجب عن العقول أن تكيفه وقيل هو الاول الذي سبق وجوده كل موجود والآخر الذي يبقى بعد كل مفقود وقال الامام أبو بكر بن الباقلاني معناه انه تعالى الباقي بصفاته من العلم والقدرة وغيرهما التي كان عليها في الازل ويكون كذلك بعد موت الخلائق وذهاب علومهم وقدرهم وحواسهم وتفرق أجسامهم قال وتعلقت المعتزلة بهذا الاسم فاحتجوا لمذهبهم في فناء الاجسام وذهابها بالكلية قالوا معناه انه الباقي بعد فناء خلقه ومذهب أهل الحق يعني أهل السنة بخلاف ذلك وان المراد الآخر بصفاته بعد ذهاب صفاتهم كما

(بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله) جاء في بعض الفواتح سبح بلفظ الماضي وفي بعضها بلفظ المضارع وفي بني اسرائيل بلفظ المصدر وفي الاعلى بلفظ الامر استيعابا لهذه الكلمة من جميع جهاتها وهي أربع المصدر والماضي والمضارع والامر وهذا الفعل قد عدي باللام تارة وبنفسه أخرى في قوله وتسبحوه وأصله التعدي بنفسه لان معنى سبحته بعدته من السوء منقول من سبح اذا ذهب وبعد فاللام اما أن تكون مثل اللام في نصحته ونصحت له واما ان يراد بسبح لله اكتسب التسبيح لاجل الله ولوجهه خالصا (ما في السموات والارض) ما يتأتى منه التسبيح ويصح (وهو العزيز) المنتقم من مكلف لم يسبح عنادا (الحكيم) في مجازاة من سبح له انقيادا (له ملك السموات والارض) لا لغيره وموضع (يحيي) رفع أي هو يحيي الموتى (ويميت) الاحياء أو نصب أي له ملك السموات والارض محييا ومميتا (وهو على كل شئ قدير هو الاول) هو القديم الذي كان قبل كل شئ (والآخر) الذي يبقى بعد هلاك كل شئ (والظاهر) بالادلة الدالة عليه (والباطن) لكونه غير مدرك بالحواس وان كان مرئيا والواو الاولى معناها الدلالة على انه الجامع بين الظهور والخفاء وأما الوسطى فعلى انه الجامع بين مجموع الصفتين الاوليين ومجموع الصفتين الاخريين فهو مستمر الوجود في جميع الاوقات الماضية والآتية وهو في جميعها ظاهر وباطن وقيل الظاهر العالي على كل شئ الغالب له من ظهر عليه اذا علاه وغلبه والباطن الذي بطن كل شئ أي علم باطنه

يقال آخر من بقي من بني فلان فلان يراد حياته ولا يراد فناء أجسام موتاه وذهابها بالكلية هذا آخر كلام ابن الباقلاني وقيل هو الاول السابق للاشياء والآخر الباقي بعد فناء الاحياء والظاهر بحججه الباهرة وبراهينه النيرة الزاهرة وشواهده الدالة على وحدانيته والباطن الذي احتجب عن ابصار الخلق فلا تستولي عليه الكيفية وقيل هو الاول القديم والآخر الرحيم والظاهر الحكيم والباطن العليم وقيل هو الاول ببره اذ عرفك توحيده والآخر بجوده اذ عرفك طريق التوبة عما جنيت والظاهر بتوفيقه اذ وفقك للسجود له والباطن بستره اذا عصيت يستر عليك وقال الجنيد هو الاول بشرح القلوب والآخر بغفران الذنوب والظاهر بكشف الكروب والباطن بعلم الغيوب وسأل عمر كعبا عن هذه الآية فقال معناها ان علمه بالاول كعلمه بالآخر وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن (وهو بكل شئ عليم) (م) عن سهيل بن أبي صالح قال كان أبو صالح يأمرنا اذا أراد احدنا ان ينام ان يضطجع على شقه الايمن ثم يقول اللهم رب السموات ورب الارض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شئ فالق الحب والنوى منزل التوراة والانجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل شئ أنت آخذ بناصيته وفي رواية من شر كل دابة انت آخذ بناصيتها اللهم أنت الاول فليس قبلك شئ وانت الآخر فليس بعدك شئ وأنت الظاهر فليس فوقك شئ وأنت الباطن فليس دونك شئ اقض عنا الدين وأغننا من الفقر وكان يروي ذلك عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي هريرة أيضا قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالس وأصحابه اذ اتى عليهم سحاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذه العنان هذه روايا الارض يسوقها الله تعالى الى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه ثم قال هل تدرون ما فوقكم قالوا الله ورسوله اعلم قال فانها الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف ثم قال هل تدرون كم بينكم وبينها قالوا الله ورسوله اعلم قال بينكم وبينها خمسمائة سنة ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال سماآن بعد ما بينهما خمسمائة سنة حتى عد سبع سموات ما بين كل سماءين كما بين السماء والارض ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال فان فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء بعد ما بين السماءين ثم قال هل تدرون ما الذي تحتكم قالوا الله ورسوله اعلم قال فانها الارض ثم قال هل تدرون ما الذي تحت ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال فان تحتها ارضا اخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة حتى عد سبع ارضين بين كل ارضين مسيرة خمسمائة سنة ثم قال والذي نفس محمد بيده لو أنكم دليتم بحبل الى الارض السابعة السفلى لهبط على الله ثم قرأ هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم أخرجه الترمذي وقال حديث غريب قال الترمذي قال بعض اهل العلم في تفسير هذا الحديث انما أراد لهبط على علم الله وقدرته وسلطانه وعلم الله وقدرته وسلطانه في كل مكان وهو على العرش كما وصف نفسه في كتابه العنان اسم للسحاب ومعنى روايا الارض الحوامل والرقيع اسم للسماء وقيل هو اسم لسماء الدنيا قوله عز وجل (هو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض

هو الذي (وهو بكل شئ عليم) (وهو بكل شئ عليم هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام) عن الحسن من ايام الدنيا ولو أراد ان يجعلها في طرفة عين لفعل ولكن جعل الستة أصلا لما يكون عليها المدار (ثم استوى) استولى (على العرش يعلم ما يلج في الارض) ما يدخل في الارض من البذر والقطر والكنوز والموتى

وما

(ومايخرج منها) من النبات وغيره (وماينزل من السماء) من الملائكة والامطار (ومايعرج فيها) من الاعمال والدعوات (وهو معكم أينما كنتم) بالعلم والقدرة عموما وبالفضل والرحمة خصوصا (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم على حسب أعمالكم (له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور يولج الليل فى النهار) يدخل الليل فى النهار بان ينقص من الليل ويزيد فى النهار (ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا) يحتمل الزكاة والانفاق فى سبيل الله (مما جعلكم مستخلفين فيه) يعنى ان الاموال التى فى ايديكم انما هى أموال الله بخلقه وانشائه لها وانما مولكم اياها للاستمتاع بها وجعلكم خلفاء فى التصرف فيها فليست هى باموالكم فى الحقيقة ٢٩٧ وما أنتم فيها الا بمنزلة الوكلاء والنواب فانفقوا منها فى حقوق الله تعالى وليهن عليكم الانفاق منها كما يهون على الرجل الانفاق من مال غيره اذا اذن له فيه أو جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم فيما فى ايديكم بتوريثه اياكم وسينقله منكم الى من بعدكم فاعتبروا بحالهم ولا تبخلوا به (فالذين آمنوا) بالله ورسله (منكم وانفقوا لهم أجر كبير ومالكم لا تؤمنون بالله) هو حال من معنى الفعل فى مالكم كما تقول مالك قائما بمعنى ما تصنع قائما أى ومالكم كافرين بالله والواو فى (والرسول يدعوكم) واو الحال فهما حالان متداخلتان والمعنى واى عذر لكم فى ترك الايمان والرسول يدعوكم (لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم) وقبل ذلك قد أخذ الله ميثاقكم بقوله ألست بربكم أو بما ركب فيكم من العقول ومكنكم من النظر فى الادلة فاذا لم تبق لكم علة بعد ادلة العقول وتنبيه الرسول

ومايخرج منها وماينزل من السماء ومايعرج فيها) تقدم تفسيره (وهو معكم أينما كنتم) أى بالعلم والقدرة فليس ينفك أحد من تعليق علم الله تعالى وقدرته به أينما كان من أرض أو سماء براو بحرا وقيل وهو معكم بالحفظ والحراسة وقوله تعالى (والله بما تعملون بصير) يدل على صحة القول الاول (له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور) تقدم تفسيره قوله تعالى (آمنوا بالله ورسوله) لما ذكر أنواعا من الدلائل الدالة على التوحيد والعلم والقدرة شرع يخاطب كفار قريش ويأمرهم بالايمان بالله ورسوله ويأمرهم بترك الدنيا والاعراض عنها والنفقة فى جميع وجوه البر وهو قوله تعالى (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) يعنى المال الذى كان بيد غيركم فأهلكهم وأعطاكم اياه فكنتم فى ذلك المال خلفاء عمن مضى (فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم اجر كبير ومالكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم) يعنى وأى عذر لكم فى ترك الايمان بالله والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبرهان والحجج (وقد أخذ ميثاقكم) أى أخذ الله ميثاقكم حين أخرجكم من ظهر آدم عليه السلام بان الله ربكم لا اله لكم سواه وقيل أخذ ميثاقكم حيث ركب فيكم العقول ونصب لكم الادلة والبراهين والحجج التى تدعو الى متابعة الرسول (ان كنتم مؤمنين) أى يوما ما فالآن أحرى الاوقات ان تؤمنوا لقيام الحجج والاعلام ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى (هو الذى ينزل على عبده) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (آيات بينات) يعنى القرآن (ليخرجكم) يعنى الله بالقرآن وقيل الرسول بالدعوة (من الظلمات الى النور) أى من ظلمات الشرك الى نور الايمان (وان الله بكم لرؤف رحيم) قوله تعالى (ومالكم ألا تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات والارض) يقول أى شئ لكم فى ترك الانفاق فيما يقربكم من الله تعالى وأنتم ميتون تاركون أموالكم لغيركم فالاولى ان تنفقوها أنتم فيما يقربكم الى الله تعالى وتستحقون به الثواب ثم بين فضل من سبق بالانفاق فى سبيل الله وبالجهاد فقال تعالى (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) يعنى فتح مكة

فمالكم لا تؤمنون (ان كنتم مؤمنين) لموجب ما فان هذا الموجب لا مزيد عليه أخذ ميثاقكم أبو عمرو (هو الذى ينزل على عبده) محمد صلى الله عليه وسلم (آيات بينات) يعنى القرآن (ليخرجكم) الله تعالى أو محمد بدعوته (من الظلمات الى النور) من ظلمات الكفر الى نور الايمان (وان الله بكم لرؤف) بالمد والهمزة حجازى وشامى وحفص (رحيم) الرأفة أشد الرحمة (ومالكم ألا تنفقوا) فى ان لا تنفقوا (فى سبيل الله ولله ميراث السموات والارض) يرث كل شئ فيهما لا يبقى منه باق لاحد من مال وغيره يعنى وأى غرض لكم فى ترك الانفاق فى سبيل الله والجهاد مع رسوله والله مهلككم فوارث أموالكم وهو من ابلغ البعث على الانفاق فى سبيل الله ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم فقال (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) أى فتح مكة

قبل عز الاسلام وقوة أهله ودخول الناس في دين الله أفواجا ومن أنفق من بعد الفتح فحذف لان قوله من الذين أنفقوا من بعد يدل عليه (أولئك) الذين أنفقوا قبل الفتح وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لو أنفق احدكم مثل أحد ٢٩٨ ذهبا مابلغ مد احدهم ولا نصيفه (أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا) أي كل واحد من الفريقين (وعد الله الحسنى) أي المثوبة الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات وكلا مفعول اول لوعد والحسنى مفعول ثان وكل شامي أي وكل وعده الله الحسنى نزلت في أبي بكر رضي الله عنه لانه أول من أسلم واول من أنفق في سبيل الله وفيه دليل على فضله وتقدمه (والله بما تعملون خبير) فيجازيكم على قدر أعمالكم (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) بطيب نفسه والمراد الانفاق في سبيله واستعير لفظ القرض ليدل على التزام الجزاء (فيضاعفه له) أي يعطيه أجره على انفاقه اضعافا مضاعفة من فضله (وله أجر كريم) أي وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه فيضعفه مكي فيضعفه شامي فيضاعفه عاصم وسهل فيضاعفه غيرهم فالنصب على جواب الاستفهام والرفع على فهو يضاعفه أو عطف على يقرض (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) ظرف لقوله وله أجر كريم او منصوب باضمار اذكر تعظيما لذلك اليوم (يسعى) يمضي (نورهم) نور التوحيد والطاعات وانما قال (بين أيديهم وبأيمانهم) لان السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين كما ان الاشقياء يؤتونها من شمائلهم ووراء ظهورهم فجعل النور في الجهتين شعارا لهم لانهم هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحائفهم البيض افلحوا فاذا ذهب بهم الى الجنة ومروا على الصراط يسعون بسعي النور وتقول لهم الملائكة

في قول أكثر المفسرين وقيل هو صلح الحديبية والمعنى لا يستوي في الفضل من أنفق ماله وقاتل العدو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة مع من أنفق ماله وقاتل بعد الفتح (أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا) قال الكلبي ان هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لانه أول من أسلم وأول من أنفق ماله في سبيل الله وذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عبد الله بن مسعود أول من أظهر اسلامه سبعة منهم النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده أبو بكر وعليه عباءة قد خلها في صدره بخلال فنزل جبريل فقال مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلها في صدره بخلال فقال أنفق ماله على قبل الفتح قال فان الله عزوجل يقول اقرأ عليه السلام وقل له أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر ان الله يقرئك السلام ويقول لك أراض أنت في فقرك هذا أم ساخط فقال أبو بكر أأسخط على ربي اني على ربي راض اني على ربي راض (وكلا وعد الله الحسنى) يعني الجنة قال عطاء درجات الجنة تتفاضل فالذين أنفقوا قبل الفتح في أفضلها (والله بما تعملون خبير من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) أي صادقا محتسبا بالصدقة طيبة بها نفسه وسمى هذا الانفاق قرضا من حيث انه وعد به الجنة تشبيها بالقرض قال بعض العلماء القرض لا يكون حسنا حتى تجمع فيه أوصاف عشرة وهي أن يكون المال من الحلال وأن يكون من أجود المال وأن تتصدق به وأنت محتاج اليه وأن تصرف صدقتك الى الاحوج اليها وأن تكتم الصدقة ما أمكنك وأن لا تتبعها بالمن والاذى وان تقصد بها وجه الله ولا ترائي بها الناس وان تستحقر ما تعطي وتتصدق به وان كان كثيرا وأن يكون من أحب اموالك اليك وأن لا ترى عز نفسك وذل الفقير فهذه عشرة أوصاف اذا اجتمعت في الصدقة كانت قرضا حسنا (فيضاعفه له) يعني يعطيه اجره على انفاقه مضاعفا (وله أجر كريم) يعني وذلك الاجر كريم في نفسه قوله عزوجل (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) يعني على الصراط (يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم) أي عن أيمانهم وقيل أراد جميع الجوانب فعبر بالبعض عن الكل وذلك دليلهم الى الجنة وقال قتادة ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة الى عدن أبين وصنعاء ودون ذلك حتى ان من المؤمنين من لا يضيء نوره الا موضع قدميه وقال عبد الله بن مسعود يؤتون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وأدناهم نورا من نوره على ابهامه فيطفأ مرة ويتقد مرة وقيل في معنى الآية

(بشراكم اليوم جنات) أي دخول جنات لان البشارة تقع بالاحداث دون الجثث (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول) هو بدل من يوم ترى (المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا) انتظرونا لانه يسرع

يسعى نورهم بين أيديهم أي يعطون كتبهم بأيمانهم وتقول لهم الملائكة (بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا) اى انتظرونا (نقتبس من نوركم) أى نستضئ من نوركم قيل تغشى الناس ظلمة شديدة يوم القيامة فيعطى الله المؤمنين نورا على قدر أعمالهم يمشون به على الصراط ويعطى المنافقين ايضا نورا خديعة لهم فبينما هم يمشون اذ بعث الله ريحا وظلمة فاطفأت نور المنافقين فذلك قوله تعالى يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا مخافة ان يسلبوا نورهم كما سلب نور المنافقين وقيل بل يستضيؤن بنور المؤمنين ولا يعطون النور فاذا سبقهم المؤمنون بقوا فى الظلمة وقالوا للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم (قيل ارجعوا وراءكم) قال ابن عباس يقول لهم المؤمنون وقيل يقول لهم الملائكة ارجعوا وراءكم من حيث جئتم وقيل ارجعوا الى الدنيا فاعملوا فيها أعمالا يجعلها الله لكم نورا وقيل معناه لا نور لكم عندنا فارجعوا وراءكم (فالتمسوا) أى اطلبوا لانفسكم هنالك (نورا) أى لا سبيل لكم الى الاقتباس من نورنا فيرجعون فى طلب النور فلا يجدون شيأ فينصرفون اليهم ليلقوهم فيميز بينهم وبين المؤمنين فذلك قوله تعالى (فضرب بينهم) أى المؤمنين والمنافقين (بسور) وهو حائط بين الجنة والنار (له) أى لذلك السور (باب باطنه فيه الرحمة) أى فى باطن ذلك السور الرحمة وهى الجنة (وظاهره من قبله العذاب) أى من قبل ذلك الظاهر العذاب وهو النار وروى عن عبد الله بن عمر قال ان السور الذى ذكر فى القرآن هو سور بيت المقدس الشرقى باطنه فيه المسجد وظاهره من قبله العذاب وادى جهنم وقال ابن شريح كان كعب يقول فى الباب الذى يسمى باب الرحمة فى بيت المقدس انه الباب الذى قال الله تعالى فضرب بينهم بسور له باب الآية (ينادونهم) يعنى ينادى المنافقون المؤمنين من وراء ذلك السور حين حجز بينهم وبقوا فى الظلمة (ألم نكن معكم) أى فى الدنيا نصلى ونصوم (قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم) أى اهلكتموها بالنفاق والكفر واستعملتموها فى المعاصى والشهوات وكلها فتنة (وتربصتم) أى بالايمان والتوبة وقيل تربصتم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقلتم يوشك ان يموت فنستريح منه (وارتبتم) أى شككتم فى نبوته وفيما أوعدكم به (وغرتكم الامانى) أى الاباطيل وذلك ما كنتم تتمنون من نزول الدوائر بالمؤمنين (حتى جاء أمر الله) يعنى الموت وقيل هو القاؤهم فى النار وهو قوله تعالى (وغركم بالله الغرور) يعنى الشيطان قال قتادة ما زالوا على خدعة من الشيطان حتى قذفهم الله فى النار (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية) أى عوض وبدل بان تفدوا أنفسكم من العذاب وقيل معناه لا يقبل منكم ايمان ولا توبة (ولا من الذين كفروا) يعنى المشركين وانما عطف الكفار على المنافقين

بهم الى الجنة كالبروق الخاطفة أنظرونا حمزة من النظرة وهى الامهال جعل اتئادهم فى المضى الى أن يلحقوا بهم انظارا لهم (نقتبس من نوركم) نصب منه وذلك أن يلحقوا بهم فيستنيروا به (قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا) طردلهم وتهكم بهم أى تقول لهم الملائكة أو المؤمنون ارجعوا الى الموقف الى حيث أعطينا هذا النور فالتمسوه هنالك فمن ثم يقتبس أو ارجعوا الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل سببه وهو الايمان (فضرب بينهم) بين المؤمنين والمنافقين (بسور) بحائط حائل بين شق الجنة وشق النار قيل هو الاعراف (له) لذلك السور (باب) لاهل الجنة يدخلون منه (باطنه) باطن السور أو الباب وهو الشق الذى يلى الجنة (فيه الرحمة) اى النور او الجنة (وظاهره) ما ظهر لاهل النار (من قبله) من عنده ومن جهته (العذاب) أى الظلمة أو النار (ينادونهم) أى ينادى المنافقون المؤمنين (ألم نكن معكم) يريدون مرافقتهم فى الظاهر (قالوا) أى المؤمنون (بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم) محنتموها بالنفاق واهلكتموها (وتربصتم) بالمؤمنين الدوائر

(وارتبتم) وشككتم فى التوحيد (وغرتكم الامانى) طول الآمال والطمع فى امتداد الاعمار (حتى جاء امر الله) أى الموت (وغركم بالله الغرور) وغركم الشيطان بان الله عفو كريم لا يعذبكم أو بانه لا بعث ولا حساب (فاليوم لا يؤخذ) و بالتاء شامى (منكم) أيها المنافقون (فدية) ما يفتدى به (ولا من الذين كفروا

مأواكم النار) مرجعكم (هي مولاكم) هي أولى بكم وحقيقته مولاكم محراكم أي مكانكم الذي يقال فيه هو أولى بكم كما يقال هو
مئنة للكرم اى مكان لقول القائل انه لكريم (وبئس المصير) النار (ألم يأن) من انى الامر يانى اذا جاء أناه اى وقته قيل
كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود رضى الله

وان كان المنافق كافرا فى الحقيقة لان المنافق ابطن الكفر والكافر اظهره فصار غير
المنافق فحسن عطفه على المنافق (مأواكم النار) أى مصيركم (هى مولاكم) أى وليكم
وقيل هى أولى بكم لما اسلفتم من الذنوب والمعنى هى التى تلى عليكم لانها ملكت أمركم
واسلمتم اليها فهى أولى بكم من كل شئ وقيل معنى الآية لا مولى لكم ولا ناصر لان من
كانت النار مولاه فلا مولى له (وبئس المصير) قوله تعالى (ألم يأن للذين آمنوا أن
تخشع قلوبهم لذكر الله) قيل نزلت فى المنافقين بعد الهجرة بسنة وذلك انهم سألوا سلمان
الفارسى ذات يوم حدثنا عن التوراة فان فيها العجائب فنزل نحن نقص عليك أحسن
القصص فاخبرهم أن القرآن أحسن من غيره فكفوا عن سؤال سلمان ما شاء الله ثم عادوا
فسألوه مثل ذلك فنزل الله نزل أحسن الحديث الآية فكفوا عن سؤاله ما شاء الله ثم
عادوا فسألوه فنزلت هذه الآية فعلى هذا القول يكون تأويل قوله ألم يأن للذين آمنوا
يعنى فى العلانية باللسان ولم يؤمنوا بالقلب وقيل نزلت فى المؤمنين وذلك انهم لما قدموا
المدينة أصابوا من لين العيش ورفاهيته ففتروا عن بعض ما كانوا عليه فعوتبوا ونزل فى
ذلك ألم يأن للذين آمنوا الآية قال ابن مسعود ما كان بين اسلامنا وبين أن عاتبنا الله
بهذه الآية الا اربع سنين أخرجه مسلم وقال ابن عباس ان الله تعالى استبطأ قلوب
المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن فقال ألم يأن يعنى أما حان
للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم اى ترق وتلين وتخضع قلوبهم لذكر الله اى لمواعظ الله
(ومانزل من الحق) يعنى القرآن (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل) يعنى
اليهود والنصارى (فطال عليهم الامد) اى الزمان الذى بينهم وبين انبيائهم (فقست
قلوبهم) قال ابن عباس مالوا الى الدنيا واعرضوا عن مواعظ القرآن والمعنى ان الله نهى
المؤمنين أن يكونوا فى صحبة القرآن كاليهود والنصارى الذين قست قلوبهم لما طال
عليهم الدهر روى عن ابى موسى الاشعرى انه بعث الى قراء البصرة فدخل عليه
ثلثمائة رجل قد قرؤا القرآن فقال أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم فاتلوه ولا يطولن
عليكم الامد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم (وكثير منهم فاسقون) يعنى الذين
تركوا الايمان بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم قوله عزوجل (اعلموا أن الله يحيى
الارض) أى بالمطر (بعد موتها) أى يخرج منها النبات بعد يبسها فكذلك يقدر على احياء
الموتى وقال ابن عباس يلين القلوب بعد قسوتها فيجعلها مخبتة منيبة وكذلك يحيى القلوب
الميتة بالعلم والحكمة والافقد علم احياء الارض بالمطر مشاهدة (قد بينا لكم الآيات)
اى الدالة على وحدانيتنا وقدرتنا (لعلكم تعقلون ان المصدقين والمصدقات واقرضوا

عنه ما كان بين اسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية الا اربع سنين وعن أبي بكر رضى الله عنه أن هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من اهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب (للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله ومانزل من الحق) بالتخفيف نافع وحفص الباقون نزل وما بمعنى الذى والمراد بالذكر ومانزل من الحق القرآن لانه جامع للامرين للذكر والموعظة وانه حق نازل من السماء (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل) القراءة بالياء عطف على تخشع وبالتاء ورش على الالتفات ويجوز ان يكون نهيا لهم عن مماثلة أهل الكتاب فى قسوة القلوب بعد أن وبخوا وذلك ان بنى اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا التوراة والانجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا واحدثوا ما احدثوا من التحريف وغيره (فطال عليهم الامد) الاجل أو الزمان
(فقست قلوبهم) باتباع الشهوات (وكثير منهم فاسقون) خارجون عن دينهم رافضون لما فى الكتابين أى الله
وقليل منهم مؤمنون (اعلموا أن الله يحيى الارض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون) قيل هذا تمثيل لاثر الذكر فى
القلوب وانه يحييها كما يحيى الغيث الارض (ان المصدقين والمصدقات) بتشديد الدال وحده مكى وأبو بكر وهو اسم فاعل
من صدق وهم الذين صدقوا الله ورسوله يعنى المؤمنين الباقون بتشديد الصاد والدال وهو اسم فاعل من تصدق فادغمت
التاء فى الصاد وقرئ على الاصل (واقرضوا

الله قرضا حسنا) هو عطف على معنى الفعل فى المصدقين لان اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى الفعل وهو اصدقوا كانه قيل ان الذين اصدقوا واقرضوا والقرض الحسن ان يتصدق من الطيب عن طيبة النفس وصحة النية على المستحق للصدقة (يضاعف لهم) يضعف مكى وشامى (ولهم أجر كريم) أى الجنة (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم) يريد ان المؤمنين بالله ورسله هم عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء وهم الذين سبقوا الى التصديق واستشهدوا فى سبيل الله (لهم أجرهم ونورهم) أى مثل أجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم ويجوز أن يكون والشهداء مبتدأ ولهم أجرهم خبره (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم اعلموا أنما الحيوة الدنيا لعب) كلعب الصبيان (ولهو) كلهو الفتيان (وزينة) كزينة النسوان (وتفاخر بينكم) كتفاخر الاقران (وتكاثر) كتكاثر الدهقان (فى الاموال والاولاد) أى مباهاة بهما والتكاثر ادعاء الاستكثار (كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا) بعد خضرته (ثم يكون حطاما) متفتتا شبه حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة جدواها بنبات أنبته الغيث فاستوى وقوى وأعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات فبعث الله عليه العاهة فهاج واصفر وصار حطاما عقوبة لهم على جحودهم كما فعل بأصحاب الجنة وصاحب الجنتين وقيل الكفار الزراع (وفى الآخرة عذاب شديد) للكفار (ومغفرة من الله ورضوان) للمؤمنين يعنى ان الدنيا وما فيها ليست الا من محقرات الامور وهى اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر واما الآخرة فما هى الا أمور عظام وهى العذاب الشديد والمغفرة والرضوان من الله الحميد والكاف فى كمثل غيث فى محل رفع على انه خبر بعد خبر أى الحياة الدنيا مثل غيث (وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور) لمن ركن اليها واعتمد عليها قال ذو النون يا معشر المريدين لا تطلبوا الدنيا وان طلبتموها فلا تحبوها فان الزاد منها والمقيل فى غيرها وما احقر الدنيا وصغر أمرها وعظم أمر الآخرة بعث عباده على المسارعة

الله قرضا حسنا) أى بالنفقة والصدقة فى سبيل الله (يضاعف لهم) أى ذلك القرض (ولهم أجر كريم) أى ثواب حسن وهو الجنة (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون) أى الكثير والصدق قال مجاهد كل من آمن بالله ورسوله فهو صديق وتلا هذه الآية فعلى هذا الآية عامة فى كل من آمن بالله ورسوله وقيل ان الآية خاصة فى ثمانية نفر من هذه الامة سبقوا أهل الارض فى زمانهم الى الاسلام وهم أبو بكر وعلى وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة وتاسعهم عمر بن الخطاب ألحقه الله بهم لما عرف من صدق نيته (والشهداء عند ربهم) قيل أراد بالشهداء المؤمنين المخلصين قال مجاهد كل مؤمن صديق شهيد وتلا هذه الآية وقيل هم التسعة الذين تقدم ذكرهم وقيل تم الكلام عند قوله هم الصديقون ثم ابتدأ والشهداء عند ربهم وهم الانبياء الذين يشهدون على الامم يروى ذلك عن ابن عباس وقيل هم الذين استشهدوا فى سبيل الله (لهم أجرهم) أى بما عملوا من العمل الصالح (ونورهم) يعنى على الصراط (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) لما ذكر حال المؤمنين أتبعه بحال الكافرين قوله عز وجل (اعلموا أنما الحيوة الدنيا) أى مدة الحياة فى هذه الدار الدنيا وانما أراد من صرف حياته فى غير طاعة الله فحياته مذمومة ومن صرف حياته فى طاعة الله فحياته خير كلها ثم وصفها بقوله (لعب) أى باطل لا حاصل له كلعب الصبيان (ولهو) أى فرح ساعة ثم ينقضى عن قريب (وزينة) أى منظر يتزينون به (وتفاخر بينكم) يعنى انكم تشتغلون فى حياتكم بما يفتخر به بعضكم على بعض (وتكاثر فى الاموال والاولاد) أى مباهاة بكثرة الاموال والاولاد وقيل يجمع ما لا يحل له فيتطاول بماله وخدمه وولده على أولياء الله تعالى وأهل طاعته ثم ضرب لهذه الحياة مثلا فقال تعالى (كمثل غيث أعجب الكفار) أى الزراع انما سمى الزراع كفارا لسترهم الارض بالبذر (نباته) أى ما نبت بذلك الغيث (ثم يهيج) أى ييبس (فتراه مصفرا) أى بعد خضرته (ثم يكون حطاما) أى يتحطم ويتكسر بعد يبسه ويفنى (وفى الآخرة عذاب شديد) أى لمن كانت حياته بهذه الصفة قال أهل المعانى زهد الله بهذه الآية فى العمل للدنيا وهذه صفة حياة الكافرين وحياة من يشتغل باللعب واللهو ورغب فى العمل للآخرة بقوله (ومغفرة من الله ورضوان) أى لاوليائه وأهل طاعته وقيل عذاب شديد لاعدائه ومغفرة من الله ورضوان لاوليائه لان الآخرة اما عذاب واما جنة (وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور) أى لمن عمل لها ولم يعمل للآخرة فمن اشتغل فى الدنيا

الى نيل ماوعد من ذلك وهى المغفرة المنجية من العذاب الشديد والفوز بدخول الجنة بقوله (سابقوا) أى بالاعمال الصالحة (الى مغفرة من ربكم) وقيل سارعوا مسارعة السابقين لاقرانهم فى المضمار (وجنة عرضها كعرض السماء والارض) قال السدى كعرض سبع السموات وسبع الارضين وذكر العرض دون الطول لان كل ماله عرض وطول فان عرضه أقل من طوله فاذا وصف عرضه بالبسطة عرف ان طوله أبسط أو أريد بالعرض البسطة وهذا ينفى قول من يقول ان الجنة فى السماء الرابعة لان التى فى احدى السموات لا تكون فى عرض السموات والارض (أعدت

للذين آمنوا بالله ورسله) وهذا دليل على انها مخلوقة (ذلك) الموعود من المغفرة والجنة (فضل الله يؤتيه من يشاء) وهم المؤمنون وفيه دليل على انه لا يدخل أحد الجنة الا بفضل الله (والله ذو الفضل العظيم) ثم بين ان كل كائن بقضاء الله وقدره بقوله (ما أصاب من مصيبة فى الارض) من الجدب وآفات الزروع والثمار وقوله فى الارض فى موضع الجر أى ما أصاب من مصيبة ثابتة فى الارض (ولا فى أنفسكم) من الامراض والاوصاب وموت الاولاد (الا فى كتاب) فى اللوح وهو فى موضع الحال أى الامكتوبا فى اللوح (من قبل أن نبرأها) من قبل ان نخلق الانفس (ان ذلك) اى تقدير ذلك واثباته فى كتاب (على الله يسير) وان كان عسيرا على العباد ثم علل ذلك وبين الحكمة فيه بقوله (لكيلا تأسوا) تحزنوا حزنا يطغيكم (على مافاتكم) من الدنيا وسعتها أو من العافية وصحتها (ولا تفرحوا) فرح المختال الفخور (بما آتاكم) أعطاكم من الايتاء أبو عمرو أتاكم نفسه

أى جاءكم من الاتيان يعنى انكم اذا علمتم ان كل شئ مقدر مكتوب عند الله قل أساكم على الفائت وفرحكم على الآتى لان من علم ان ماعنده مفقود لا محالة لم يتفاقم جزعه عند فقده لانه وطن نفسه على ذلك وكذلك من علم ان بعض الخير واصل اليه وان وصوله لا يفوته بحال لم يعظم فرحه عند نيله وليس أحد الا وهو يفرح عند منفعة تصيبه ويحزن عند مضرة تنزل به ولكن ينبغى أن يكون الفرح شكرا والحزن صبرا وانما يذم من الحزن الجزع المنافى للصبر ومن الفرح الاشر المطغى الملهى عن الشكر

بطالب الآخرة فهى له بلاغ الى ماهو خير منه وقيل متاع الغرور لمن لم يشتغل فيها بطالب الآخرة قوله عزوجل (سابقوا الى مغفرة من ربكم) معناه لتكن مفاخرتكم ومكاثرتكم فى غيرما أنتم عليه بل احرصوا على ان تكون مسابقتكم فى طلب الآخرة والمعنى سارعوا مسارعة المسابقين فى المضمار الى مغفرة أى الى ماوجب المغفرة وهى التوبة من الذنوب وقيل سابقوا الى ما كلفتم به من الاعمال فتدخل فيه التوبة وغيرها (وجنة عرضها كعرض السماء والارض) قيل ان السموات السبع والارضين السبع لو جعلت صفائح وألزق بعضها ببعض لكان عرض الجنة فى قدرها جميعا وقال ابن عباس ان لكل واحد من المطيعين جنة بهذه السعة وقيل ان الله تعالى شبه عرض الجنة بعرض السموات والارضين ولا شك ان الطول يكون أزيد من العرض فذكر العرض تنبيها على ان طولها أضعاف ذلك وقيل ان هذا تمثيل للعباد بما يعقلونه ويقع فى نفوسهم وافكارهم واكثر ما يقع فى نفوسهم مقدار السموات والارض فشبه عرض الجنة بعرض السموات والارض على ما يعرفه الناس (أعدت للذين آمنوا بالله ورسله) فيه أعظم رجاء وأقوى امل لانه ذكر أن الجنة اعدت لمن آمن بالله ورسله ولم يذكر مع الايمان شيأ آخر يدل عليه قوله فى سياق الآية (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) فبين انه لا يدخل أحد الجنة الا بفضل الله تعالى لا بعمله (والله ذو الفضل العظيم) (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل أحدا منكم الجنة عمله قالوا ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدنى الله بفضل رحمته وقد تقدم الكلام على معنى هذا الحديث والجمع بينه وبين قوله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون فى تفسير سورة النحل قوله تعالى (ما أصاب من مصيبة فى الارض) يعنى عدم المطر وقلة النبات ونقص الثمار (ولا فى أنفسكم) يعنى الامراض وفقد الاولاد (الا فى كتاب) يعنى فى اللوح المحفوظ (من قبل أن نبرأها) أى من قبل ان نخلق الارض والانفس وقال ابن عباس من قبل ان نبرأ المصيبة (ان ذلك على الله يسير) أى اثبات ذلك على كثرته هين على الله عزوجل (لكيلا تأسوا) أى تحزنوا (على ما فاتكم) من الدنيا (ولا تفرحوا) أى لا تبطروا (بما آتاكم) أى أعطاكم قال عكرمة ليس أحد الا وهو يفرح ويحزن ولكن اجعلوا الفرح شكرا والحزن صبرا قال صاحب الكشاف ان قلت ما من أحد يملك

(والله لايحب كل مختال فخور) لان من فرح بحظ من الدنيا وعظم فى نفسه إختال وافتخر به وتكبر على الناس (الذين يبخلون) خبر مبتدا محذوف أو بدل من كل مختال فخور كانه قال لايحب الذين يبخلون يريد الذين يفرحون الفرح المطغى اذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم يزوونه عن حقوق الله تعالى و يبخلون به (و يأمرون الناس بالبخل) و يحضون غيرهم على البخل ويرغبونهم فى الامساك (ومن يتول) ٣٠٣ يعرض عن الانفاق أوعن أوامر الله ونواهيه ولم ينته عمانهى عنه من الاسى على الفائت والفرح بالآتى (فان الله هو الغنى) عن جميع المخلوقات فكيف عنه (الحميد) فى أفعاله فان الله الغنى بترك هو مدنى وشامى (لقد أرسلنا رسلنا) يعنى أرسلنا الملائكة الى الانبياء (بالبينات) بالحجج والمعجزات (وأنزلنا معهم الكتاب) أى الوحى وقيل الرسل الانبياء والاول أولى لقوله معهم لان الانبياء ينزل عليهم الكتاب (والميزان) روى ان جبريل نزل بالميزان فدفعه الى نوح وقال مر قومك يزنوا به (ليقوم الناس) ليتعاملوا بينهم ايفاء واستيفاء (بالقسط) بالعدل ولا يظلم أحد أحدا (وأنزلنا الحديد) قيل نزل آدم من الجنة ومعه خمسة اشياء من حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وروى ومعه المر والمسحاة وعن الحسن أنزلنا الحديد خلقناه (فيه باس شديد) وهو القتال به (ومنافع للناس) فى مصالحهم ومعايشهم وصنائعهم فما من صناعة الا والحديد آلة فيها أو ما يعمل بالحديد (وليعلم الله من ينصره ورسله) باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح فى مجاهدة أعداء الدين وقال الزجاج ليعلم الله من يقاتل مع رسوله فى سبيله (بالغيب) غائبا عنهم (ان الله قوى) يدفع بقوته باس من يعرض عن ملته (عزيز) يربط بعزته جاش من يتعرض لنصرته والمناسبة بين هذه الاشياء الثلاثة ان الكتاب قانون الشريعة ودستور الاحكام الدينية يبين سبل المراشد والعهود و يتضمن جوامع الاحكام والحدود و يأمر بالعدل

نفسه عنده ضرة تنزل به ولا عنده منفعة ينالها أن لايحزن ولا يفرح قلت المراد الحزن المخرج الى مايذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لامر الله ورجاء ثواب الصابرين والفرح المطغى الملهى عن الشكر فأما الحزن الذى لايكاد الانسان يخلو منه مع الاستسلام والسرور بنعمة الله والاعتداد بها مع الشكر فلا بأس بهما والله أعلم وقال جعفر بن محمد الصادق يا ابن آدم مالك تأسف على مفقود لا يرده اليك الفوت ومالك تفرح بموجود لايتركه فى يديك الموت (والله لايحب كل مختال) أى متكبر بما أوتى من الدنيا (فخور) أى بذلك الذى أوتى على الناس (الذين يبخلون و يأمرون الناس بالبخل) قيل هذه الآية متعلقة بما قبلها والمعنى والله لايحب الذين يبخلون يريد اذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم يبخلون به ولا ينفقونه فى سبيل الله ووجوه الخير ولا يكفيهم أنهم بخلوا به حتى يأمرون الناس بالبخل وقيل ان الآية كلام مستأنف لاتعلق له بما قبله وانها فى صفة اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وبخلوا ببيان نعته (ومن يتول) قال ابن عباس عن الايمان (فان الله هو الغنى) أى عن عباده (الحميد) أى الى أوليائه قوله عز وجل (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات) أى بالدلالات والآيات والحجج (وأنزلنا معهم الكتاب) أى المتضمن للاحكام وشرائع الدين (والميزان) يعنى العدل أى وأمرنا بالعدل وقيل المراد بالميزان هو الآلة التى يوزن بها وهو يرجع الى العدل أيضا وهو قوله (ليقوم الناس بالقسط) أى ليتعاملوا بينهم بالعدل (وأنزلنا الحديد) قيل ان الله تعالى أنزل مع آدم عليه الصلاة والسلام لما اهبط الى الارض السندان والمطرقة والكلبتين وروى عن ابن عمر يرفعه ان الله أنزل أربع بركات من السماء الى الارض الحديد والنار والماء والملح وقيل أنزلنا هنا بمعنى انشأنا وأحدثنا الحديد وذلك ان الله تعالى أخرج لهم الحديد من المعادن وعلمهم صنعته بوحيه والهامه (فيه باس شديد) أى قوة شديدة فمنه جنة وهى آلة الدفع ومنه سلاح وهى آلة الضرب (ومنافع للناس) أى ومنه ما ينتفعون به فى مصالحهم كالسكين والفاس والابرة ونحو ذلك اذ الحديد آلة لكل صنعة فلاغنى لاحد عنه (وليعلم الله) أى وأرسلنا رسلنا وانزلنا معهم هذه الاشياء ليتعامل الناس بالحق والعدل وليرى الله (من ينصره) أى من ينصر دينه (ورسله بالغيب) أى الذين لم يروا الله ولا الآخرة وانما يحمد ويثاب من أطاع بالغيب وقال ابن عباس ينصرونه ولا يبصرونه (ان الله قوى) فى أمره (عزيز) فى ملكه

(ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب) معناه انه تعالى شرف نوحا وابراهيم بالرسالة وجعل في ذريتهما النبوة والكتاب فلا يوجد نبي الا من نسلهما (فمنهم) أي من الذرية (مهتد وكثير منهم فاسقون ثم قفينا) أي أتبعنا (على آثارهم برسلنا) والمعنى بعثنا رسولا بعد رسول الى أن انتهت الرسالة الى عيسى بن مريم وهو قوله تعالى (وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه) أي على دينه (رأفة ورحمة) يعني انهم كانوا متوادين بعضهم لبعض (ورهبانية ابتدعوها) ليس هذا عطفا على ما قبله والمعنى انهم جاؤا بها من قبل أنفسهم وهي ترهبهم في الجبال والكهوف والغيران والديرة فروا من الفتنة وحملوا أنفسهم المشاق في العبادة الزائدة وترك النكاح واستعمال الخشن في المطعم والمشرب والملبس مع التقلل من ذلك (ما كتبناها عليهم) أي ما فرضناها نحن عليهم (الا ابتغاء رضوان الله) أي لكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله (فما رعوها حق رعايتها) يعني انهم لم يرعوا تلك الرهبانية حق رعايتها بل ضيعوها وضموا اليها التثليث والاتحاد وكفروا بدين عيسى ودخلوا في دين ملوكهم وأقام أناس منهم على دين عيسى حتى أدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم فآمنوا به فذلك قوله تعالى (فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم) وهم الذين ثبتوا على الدين الصحيح (وكثير منهم فاسقون) وهم الذين تركوا الرهبانية وكفروا بدين عيسى صلى الله عليه وسلم وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن مسعود قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على اثنتين وسبعين فرقة نجا منها ثلاث وهلك سائرهن فرقة وازت الملوك وقاتلوهم على دين عيسى فأخذوهم وقتلوهم وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا ان يقيموا بين ظهرانيهم يدعونهم الى دين الله ودين عيسى فساحوا في البلاد وترهبوا وهم الذين قال الله عز وجل فيهم ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم قال صلى الله عليه وسلم من آمن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بي فأولئك هم الهالكون وعنه قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي يا ابن أم عبد هل تدري من أين أخذت بنو اسرائيل الرهبانية قلت الله ورسوله اعلم قال ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى يعملون بالمعاصي فغضب أهل الايمان فقاتلوهم فهزم أهل الايمان ثلاث مرات فلم يبق منهم الا القليل فقالوا ان ظهرنا لهؤلاء فتنونا ولم يبق أحد يدعو اليه تعالى فتعالوا لنتفرق في الارض الى أن يبعث الله النبي الذي وعدنا عيسى به يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم فتفرقوا في غيران الجبال وأحدثوا الرهبانية فمنهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر ثم تلا هذه الآية ورهبانية

والاحسان و ينهى عن البغي والطغيان واستعمال العدل والاجتناب عن الظلم انما يقع بما له يقع بها التعامل و يحصل بها التساوي والتعادل وهي الميزان ومن المعلوم أن الكتاب الجامع للاوامر الالهية والآلة الموضوعة للتعامل بالتسوية انما تحض العامة على اتباعهما بالسيف الذي هو حجة الله على من جحد وعند ونزع عن صفقة الجماعة اليد وهو الحديد الذي وصف بالبأس الشديد (ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم) ٣٠٤ خصا بالذكر لانهما أبوان للانبياء عليهم السلام (وجعلنا في ذريتهما) أولادهما (النبوة والكتاب) الوحي وعن ابن عباس رضي الله عنهما الخط بالقلم يقال كتبت كتابا وكتابة (فمنهم) فمن الذرية أو من المرسل اليهم وقد دل عليهم ذكر الارسال والمرسلين (مهتد وكثير منهم فاسقون) هذا تفصيل لحالهم أي فمنهم من اهتدى باتباع الرسل ومنهم من فسق أي خرج عن الطاعة والغلبة للفساق (ثم قفينا على آثارهم) أي نوح وابراهيم ومن مضى من الانبياء (برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة) مودة ولينا (ورحمة) تعطفا على اخوانهم كما قال في صفة اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رحماء بينهم (ورهبانية ابتدعوها) هي ترهبهم في الجبال فارين من الفتنة في الدين مخلصين أنفسهم للعبادة وهي الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشي وانتصابها بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وابتدعوا رهبانية ابتدعوها أي أخرجوها من عند

٤ نفـ نذروها (ما كتبناها عليهم) لم نفرضها نحن عليهم (الا ابتغاء ابتدعوها

وصوله لا يفوته بحزن ثم يعظم ترحمه لكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله (فما رعوها حق رعايتها) كما يجب على الناذر رعاية أن يكون الفرح شكرا والحزن صبرا وانما (فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم) أي أهل الرأفة والرحمة والذين اتبعوا عيسى عليه وسلم (وكثير منهم فاسقون) الكافرون

ابتدعوها الى فآتينا الذين آمنوا منهم أي من الذين ثبتوا عليها أجرهم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابن أم عبد أتدري ما رهبانية أمتي قلت الله ورسوله اعلم قال الهجرة والصلاة والجهاد والصوم والحج والعمرة والتكبير على التلاع وروى عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الامة الجهاد في سبيل الله وعن ابن عباس قال كانت ملوك بعد عيسى عليه الصلاة والسلام بدلوا التوراة والانجيل وكان فيهم جماعة مؤمنون يقرؤن التوراة والانجيل ويدعونهم الى دين الله فقيل لملوكهم لو جمعتم هؤلاء الذين شقوا عليكم فقتلتموهم أو دخلوا فيما نحن فيه فجمعهم ملكهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والانجيل الا ما بدلوا منها فقالوا ما تريدون الى ذلك دعونا نحن نكفيكم أنفسنا فقالت طائفة منهم ابنوا لنا اسطوانا ثم ارفعونا فيه ثم أعطونا شيأ نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم وطائفة قالت دعونا نسيح في الارض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فان قدرتم علينا في أرضكم فاقتلونا وقالت طائفة منهم ابنوا لنا دورا في الفيافي ونحتفر الآبار ونحترث البقول ولا نرد عليكم ولا نمر عليكم وليس أحد من القبائل الا وله حميم فيهم قال ففعلوا ذلك فمضى أولئك على منهاج عيسى وخلف قوم من بعدهم ممن غير الكتاب فجعل الرجل يقول نكون في مكان فلان نتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دورا كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بايمان الذين اقتدوا بهم فذلك قول الله عز وجل ورهبانية ابتدعوها يعني ابتدعها الصالحون فما رعوها حق رعايتها يعني الآخرين الذين جاؤا من بعدهم فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم يعني الذين ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وكثير منهم فاسقون وهم الذين جاؤا من بعدهم فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم الا القليل انحط رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب دير من ديره فآمنوا به وصدقوه فقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته أجرين بايمانهم بعيسى وبالتوراة والانجيل وبايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتصديقهم له وقال ويجعل لكم نورا تمشون به القرآن واتباعهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال لئلا يعلم اهل الكتاب الذين يتشبهون بكم أن لا يقدرون على شيء من فضل الله الآية أخرجه النسائي موقوفا على ابن عباس وقال قوم انقطع الكلام عند قوله ورحمة ثم قال ورهبانية ابتدعوها وذلك انهم تركوا الحق فأكلوا الخنزير وشربوا الخمر وتركوا الوضوء والغسل من الجنابة والختان فما رعوها يعني الملة والطاعة حق رعايتها كناية عن غير مذكور فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وهم أهل الرأفة والرحمة وكثير منهم فاسقون وهم الذين غيروا وبدلوا وابتدعوا الرهبانية ويكون معنى قوله ابتغاء رضوان الله على هذا التأويل ما كتبناها عليهم لكن ابتغاء رضوان الله وابتغاء رضوان الله اتباع ما أمر به دون الترهب لأنه لم يأمر به قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) الخطاب لاهل الكتابين من اليهود والنصارى يعني يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتقوا الله في محمد وآمنوا به وهو قوله تعالى (وآمنوا برسوله) يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم (يؤتكم

(يا أيها الذين آمنوا) الخطاب لاهل الكتاب (اتقوا الله وآمنوا برسوله) محمد صلى الله عليه وسلم (يؤتكم) الله

كفلين) أي نصيبين (من رحمته) يعني يؤتكم أجرين لايمانكم بعيسى والانجيل وبمحمد
صلى الله عليه وسلم والقرآن (ق) عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد
صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك اذا أدى حق مواليه وحق الله ورجل كانت عنده
أمة يطؤها فأدبها فأحسن تاديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران
(ويجعل لكم نورا تمشون به) يعني على الصراط وقال ابن عباس النور هو القرآن
وقيل هو الهدى والبيان أي يجعل لكم سبيلا واضحا في الدين تهتدون به (ويغفر لكم)
أي ماسلف من ذنوبكم قبل الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (والله غفور رحيم لئلا يعلم
أهل الكتاب) قيل لما سمع من لم يؤمن من أهل الكتاب قوله أولئك يؤتون أجرهم
مرتين قالوا للمسلمين أما من آمن منا بكتابكم فله أجره مرتين لايمانه بكتابكم وكتابنا ومن لم
يؤمن فله أجر كأجركم فما فضلكم علينا فنزل لئلا يعلم أي ليعلم ولا صلة أهل الكتاب يعني
الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وحسدوا المؤمنين (ألا يقدرون) يعني أنهم
لا يقدرون (على شيء من فضل الله) والمعنى جعلنا الاجرين لمن آمن بمحمد صلى الله عليه
وسلم ليعلم الذين لم يؤمنوا به أنهم لا أجر لهم ولا نصيب من فضل الله وقيل لما نزل في مسلمي
أهل الكتاب أولئك يؤتون أجرهم مرتين افتخروا على المسلمين بزيادة الاجر فشق ذلك
على المسلمين فنزل لئلا يعلم أهل الكتاب يعني المؤمنين منهم أن لا يقدرون على شيء من
فضل الله (وأن الفضل بيد الله) يعني الذي خصكم به فانه فضلكم على جميع الخلائق وقيل
يحتمل أن يكون الاجر الواحد أكثر من الاجرين وقيل قالت اليهود يوشك أن يخرج
منا نبي يقطع الايدي والارجل فلما خرج من العرب كفروا به فأنزل الله هذه الآية فعلى
هذا يكون فضل الله النبوة (يؤتيه من يشاء) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وهو قوله
وأن الفضل بيد الله أي في ملكه وتصرفه يؤتيه من يشاء لانه قادر مختار (والله ذو الفضل
العظيم) (خ) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو قائم على المنبر يقول انما بقاؤكم فيمن سلف قبلكم من الامم كما بين صلاة العصر الى غروب
الشمس أوتي أهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا فأعطوا قيراطا
قيراطا ثم أوتي أهل الانجيل الانجيل فعملوا الى صلاة العصر ثم عجزوا فأعطوا
قيراطا قيراطا ثم أوتينا القرآن فعملنا الى غروب الشمس فأعطينا قيراطين قيراطين
فقال أهل الكتابين أي ربنا أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين وأعطيتنا قيراطا
قيراطا ونحن أكثر عملا قال الله تعالى هل ظلمتكم من أجركم شيأ قالوا لا قال فهو فضلي
أوتيه من أشاء وفي رواية انما أجلكم في أجل من خلا من الامم كما بين صلاة العصر الى
غروب الشمس وانما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا فقال من
يعمل لي الى نصف النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود الى نصف النهار على قيراط
قيراط ثم قال من يعمل لي من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط فعملت
النصارى من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لي

(كفلين) نصيبين (من رحمته)
لايمانكم بمحمد صلى الله عليه
وسلم وايمانكم بمن قبله (ويجعل
لكم) يوم القيامة (نورا تمشون به)
وهو النور المذكور في قوله
يسعى نورهم الآية (ويغفر لكم)
ذنوبكم (والله غفور رحيم لئلا
يعلم) ليعلم (أهل الكتاب)
الذين لم يسلموا ولا مزيدة (ألا
يقدرون) أن مخففة من الثقيلة
أصله أنه لا يقدرون يعني أن
الشأن لا يقدرون (على شيء
من فضل الله) أي لا ينالون شيأ
مما ذكر من فضل الله من
الكفلين والنور والمغفرة لانهم
لم يؤمنوا برسول الله صلى الله
عليه وسلم فلم ينفعهم ايمانهم بمن
قبله ولم يكسبهم فضلا قط (وأن
الفضل) عطف على أن لا يقدرون
(بيد الله) أي في ملكه
وتصرفه (يؤتيه من يشاء) من
عباده (والله ذو الفضل العظيم)
والله أعلم

من صلاة العصر الى غروب الشمس على قيراطين قيراطين ألا فانتم الذين يعملون من
صلاة العصر الى غروب الشمس ألا لكم الاجر مرتين فغضبت اليهود والنصارى وقالوا
نحن أكثر عملا وأقل عطاء قال الله عز وجل وهل ظلمتكم من حقكم شيأ قالوا لا قال فانه
فضلى أصيب به من شئت أى اعطيه من شئت (خ) عن أبى موسى الاشعرى رضى الله
عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر
قوما يعملون له الى الليل على أجر معلوم فعملوا الى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا الى
أجرك الذى شرطت لنا وما عملنا باطل فقال لهم لا تفعلوا اعملوا بقية يومكم وخذوا أجركم
كاملا فابوا وتركوا واستأجر آخرين بعدهم فقال اعملوا بقية يومكم ولكم الذى شرطت
لهم من الاجر فعملوا حتى اذا كان حين صلاة العصر قالوا ما عملنا باطل ولك الاجر الذى
جعلت لنا فيه فقال أكملوا بقية عملكم فان ما بقى من النهار شئ يسير فأبوا فاستأجر قوما
أن يعملوا بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا أجر الفريقين
كليهما فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور والله سبحانه وتعالى أعلم

(سورة المجادلة)

مدنية وهى اثنان وعشرون آية وأربعمائة وثلاث وسبعون كلمة وألف
وسبعمائة واثنان وتسعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها) نزلت فى خولة بنت ثعلبة وقيل
اسمها جميلة وزوجها أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت وكان به لمم وكانت هى
حسنة الجسم فاراد فابت عليه فقال لها أنت على كظهر أمى ثم ندم على ما قال وكان
الظهار والايلاء من طلاق أهل الجاهلية فقال ما أظنك الا قد حرمت على فقالت والله
ماذاك طلاق فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة تغسل شق رأسه فقالت
يارسول الله ان زوجى أوس بن الصامت تزوجنى وأنا شابة غنية ذات أهل ومال حتى اذا
أكل مالى وأفنى شبابى وتفرق أهلى وكبر سنى ظاهر منى وقد ندم فهل من شئ تجمعنى
واياه وتنعشنى به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت يارسول الله
والذى أنزل عليك الكتاب ما ذكر الطلاق وانه أبو ولدى وأحب الناس الى فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت أشكو الى الله فاقتى ووحدتى قد طالت له
صحبتى ونثرت له بطنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أراك الا قد حرمت عليه ولم
أومر فى شأنك بشئ فجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلما قال لها رسول الله
صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وقالت أشكو الى الله فاقتى ووحدتى وشدة حالى
وان لى صبية صغارا ان ضممتهم الى جاعوا وان ضممتهم اليه ضاعوا وجعلت ترفع رأسها
الى السماء وتقول اللهم أشكو اليك اللهم فأنزل على لسان نبيك فرجى وهذا كان أول
ظهار فى الاسلام فقامت عائشة تغسل شق رأسه الآخر فقالت انظر فى أمرى جعلنى الله

(سورة المجادلة مدنية وهى اثنان وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قد سمع الله قول التى تجادلك) تحاورك وقرئ بها وهى خولة بنت ثعلبة امرأة أوس بن الصامت أخى عبادة رآها وهى تصلى وكانت حسنة الجسم فلما سلمت راودها فابت فغضب فظاهر منها فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان أوسا تزوجنى وأنا شابة مرغوب فى فلما خلا سنى ونثرت بطنى أى كثر ولدى جعلنى عليه كامه وروى أنها قالت ان لى صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الى جاعوا فقال صلى الله عليه وسلم ما عندى فى أمرك شئ وروى أنه قال لها حرمت عليه فقالت يارسول الله ما ذكر طلاقا وانما هو أبو ولدى وأحب الناس الى فقال حرمت عليه فقالت أشكو الى الله فاقتى ووحدتى كلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وشكت فنزلت (فى زوجها) فى شانه ومعناه

فداءك يانبي الله فقالت عائشة اقصري حديثك ومجادلتك أما ترين وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي أخذه مثل السبات فلما قضي الوحي قال ادعي لي
زوجك فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها
الاية (ق) عن عائشة قالت الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات لقد جاءت المجادلة خولة
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمته في جانب البيت وما أسمع ما تقول فانزل الله قد
سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله الآية وأما تفسير الآية فقوله
تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك أي تحاورك وتخاصمك وتراجعك في زوجها أي في أمر
زوجها (وتشتكي الى الله) أي شدة حالها وفاقتها ووحدتها (والله يسمع تحاوركما) أي
مراجعتكما الكلام (ان الله سميع) أي لمن يناجيه ويتضرع اليه (بصير) أي بمن
يشكو اليه ثم ذم الظهار فقال تعالى (الذين يظاهرون منكم من نسائهم) يعني يقولون
لهن أنتن كظهور أمهاتنا (ماهن أمهاتهم) أي ما اللواتي يجعلونهن من زوجاتهن
كالامهات بامهات والمعنى ليس هن بامهاتهم (ان أمهاتهم) أي ما أمهاتهم (الا اللائي
ولدنهم وانهم) يعني المظاهرين (ليقولون منكرا من القول) يعني لا يعرف في الشرع
(وزورا) يعني كذبا وقيل انما وصفه بكونه منكرا من القول وزورا لان الام محرمة
تحريما مؤبدا والزوجة لا تحرم عليه بهذا القول تحريما مؤبدا فلا جرم صار ذلك
منكرا من القول وزورا (وان الله لعفو غفور) عفا الله عنهم وغفر لهم بايجاب
الكفارة عليهم

* (فصل في أحكام الظهار وفيه مسائل) * المسئلة الاولى في معناه لغة قيل انه مشتق
من الظهر وهو العلو وليس هو من ظهر الانسان اذ ليس الظهر باولى من سائر الاعضاء
التي هي مواضع التلذذ والمباضعة فثبت بهذا انه مأخوذ من الظهر الذي هو العلو لان
امرأة الرجل مركب له وظهر يدل عليه قول العرب في الطلاق نزلت عن امرأتي أي
طلقتها وفي قولهم أنت علي كظهر أمي حذف واضمار لان تأويله ظهرك علي أي ملكي
اياك وعلوي عليك حرام كعلوي أمي وعلوه عليها حرام * المسئلة الثانية كان الظهار
من أشد طلاق أهل الجاهلية لانه في التحريم آكد ما يمكن فان كان ذلك الحكم صار
مقررا بالشرع كانت الآية ناسخة له والا لم يعد نسخا لان النسخ انما يدخل في الشرائع
لا في أحكام الجاهلية وعاداتهم * المسئلة الثالثة في الالفاظ المستعملة لهذا المعنى في
الشريعة وعرف الفقهاء الاصل في هذا قوله أنت علي كظهر أمي وأنت مني أو معي
أو عندي كظهر أمي وكذا لو قال أنت علي كبطن أمي او كرأس امي او كيد أمي او قال
بطنك او رأسك أو يدك علي كظهر أمي أو شبه عضوا منها بعضو من أعضاء أمه يكون ذلك
ظهارا وقال أبو حنيفة ان شبهها ببطن أمه أو بفرجها أو بفخذها يكون ظهارا وان
شبهها بعضو غير هذه الاعضاء لا يكون ظهارا ولو قال أنت علي كامي أو كروح أمي
وأراد به الاعزاز والاكرام لا يكون ظهارا حتى ينويه ويريده ولو شبهها بجدته فقال أنت
علي كظهر جدتي يكون ظهارا وكذا لو شبهها بامرأة محرمة عليه بالقرابة بان قال أنت

(وتشتكي الى الله) تظهر ما بها
من المكروه (والله يسمع
تحاوركما) مراجعتكما الكلام
من حور اذا رجع (ان الله
سميع) يسمع شكوى المضطر
(بصير) بحاله (الذين يظاهرون)
عاصم يظهرون حجازي وبصري
غيرهم يظاهرون وفي (منكم)
توبيخ للعرب لانه كان من
أيمان اهل جاهليتهم خاصة
دون سائر الامم (من نسائهم)
زوجاتهم (ماهن امهاتهم) حجازي
امهاتهم المفضل والاول حجازي
والثاني تميمي (ان امهاتهم
الا اللائي ولدنهم) يريد ان
الامهات على الحقيقة الوالدات
والمرضعات ملحقات بالوالدات
بواسطة الرضاع وكذا أزواج
رسول الله صلى الله عليه وسلم
لزيادة حرمتهن واما الزوجات
فابعد شئ من الامومة فلذا قال
(وانهم ليقولون منكرا من
القول) أي تنكره الحقيقة
والاحكام الشرعية (وزورا)
وكذبا باطلا منحرفا عن الحق
(وان الله لعفو غفور) لما
سلف منهم

على كظهر أختي أو عمتي او خالتي أو شبهها بأم أو محرمة عليه بالرضاع يكون ظهارا على الاصح * المسئلة الرابعة فيمن يصح ظهاره قال الشافعي الضابط في هذا ان كل من صح طلاقه صح ظهاره فعلى هذا يصح ظهار الذمي وقال أبو حنيفة لا يصح احتج الشافعي بعموم قوله والذين يظاهرون من نسائهم واحتج أبو حنيفة بان هذا خطاب للمؤمنين فيدل على أن الظهار مخصوص بالمؤمنين وأجيب عنه بان هذا خطاب يتناول جميع الحاضرين فلم قلتم انه مختص بالمؤمنين قوله تعالى (والذين يظاهرون من نسائهم) يعني يمتنعون بهذا اللفظ من جماعهن (ثم يعودون لما قالوا) اختلف العلماء في معنى العود في قوله ثم يعودون لما قالوا ولابد أولا من بيان أقوال اهل العربية ثم بيان اقوال الفقهاء فنقول قال الفراء لا فرق في اللغة بين ان يقال يعودون لما قالوا وفيما قالوا وقال ابو علي الفارسي كلمة الى واللام تتعاقبان كقوله وأوحي الى نوح وبان ربك أوحى لها واما لفظة ما في قوله لما فهي بمعنى الذي والمعنى يعودون الى الذي قالوا اوفي الذي قالوا وفيه وجهان أحدهما انه لفظ الظهار والمعنى انهم يعودون الى ذلك اللفظ الوجه الثاني أن المراد لما قالوا اي المقول فيه وهو الذي حرموه على أنفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه وعلى هذا معنى قوله ثم يعودون لما قالوا أي يعودون الى شئ وذلك الشئ هو الذي قالوا فيه ذلك القول ثم اذا فسر هذا اللفظ بالوجه الاول يجوز أن يكون المعنى عاد لما فعل أي فعله مرة أخرى وعلى الوجه الثاني يجوز أن يقال عاد لما فعل اي نقض مافعل وذلك ان من فعل شيأ ثم أراد ان يفعله ثانيا فقد عاد اليه وكذا من فعل شيأ ثم أراد ابطاله فقد عاد اليه بالتصرف فيه فقد ظهر بما تقدم ان قوله ثم يعودون لما قالوا يحتمل أن يكون المراد ثم يعودون اليه بان يفعلوا مثله مرة اخرى ويحتمل أن يكون المراد ثم يعودون اليه بالنقض والرفع والازالة والى هذا الاحتمال ذهب اكثر المجتهدين ثم اختلفوا فيه على وجوه الاول وهو قول الشافعي ان معنى العود لما قالوا هو السكوت عن الطلاق بعد الظهار زمانا يمكنه أن يطلقها فيه وذلك لانه لما ظاهر فقد قصد التحريم فان وصله بالطلاق فقد تمم ماشرع فيه من ايقاع التحريم ولا كفارة عليه فاذا سكت عن الطلاق فذلك يدل على أنه ندم على ما ابتدأ به من التحريم فحينئذ تجب عليه الكفارة وفسر ابن عباس العود بالندم فقال يندمون فيرجعون الى الالفة الوجه الثاني في تفسير العود وهو قول أبي حنيفة انه عبارة عن استباحة الوطء والملامسة والنظر اليها بالشهوة وذلك انه لما شبهها بالام في حرمة هذه الاشياء ثم قصد استباحة ذلك كان مناقضا لقوله أنت على كظهر امي الوجه الثالث وهو قول مالك أن العود اليها عبارة عن العزم على وطئها وهو قريب من قول أبي حنيفة الوجه الرابع وهو قول الحسن وقتادة وطاوس والزهري أن العود اليها عبارة عن جماعها وقالوا لا كفارة عليه مالم يطأها قال العلماء والعود المذكور هنا صالح للجماع أو للعزم عليه اولاستباحته الا ان الذي قاله الشافعي هو أقل ما ينطلق عليه الاسم فيجب تعليق الحكم عليه لانه هو الذي به يتحقق مسمى العود وأما الباقي فزيادة لا دليل عليه وأما الاحتمال الاول في قوله ثم يعودون أي

(والذين يظاهرون من نسائهم) بين في الآية الاولى ان ذلك من قائله منكر وزور وبين في الثانية حكم الظهار (ثم يعودون لما قالوا) العود الصيرورة ابتداء او بناء فمن الاول قوله تعالى حتى عاد كالعرجون القديم ومن الثاني وان عدتم عدنا ويعدى بنفسه كقولك عدته اذا اتيته وصرت اليه وبحرف الجر بالى وعلى وفي واللام كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ومنه ثم يعودون لما قالوا أي يعودون لنقض ماقالوا أو لتداركه على حذف المضاف ومن ثعلبة يعودون لتحليل ما حرموا على حذف المضاف ايضا غير انه اراد بما قالوا ما حرموه على أنفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه كقوله ونرثه ما يقول اراد المقول فيه وهو المال والولد ثم اختلفوا ان النقض بماذا يحصل فعندنا بالعزم على الوطء وهو قول ابن عباس والحسن وقتادة وعند الشافعي بمجرد الامساك وهو أن لا يطلقها عقيب الظهار

(فتحرير رقبة) فعليه اعتاق رقبة مؤمنة أو كافرة ولم يجز المدبر وام الولد والمكاتب الذى ادى شيأ (من قبل ان يتماسا)
الضمير يرجع الى مادل عليه الكلام من المظاهر والمظاهر منها والمماسة الاستمتاع بها من جماع اولمس بشهوة او نظر الى
فرجها بشهوة (ذلكم) الحكم (توعظون به) لان الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية فيجب ان تتعظوا بهذا الحكم
حتى لاتعودوا الى الظهار وتخافوا عقاب

الله عليه (والله بما تعملون خبير) والظهار ان يقول الرجل

يفعلون مثل مافعلوه فعلى هذا الاحتمال فى الآية وجوه أيضا الاول قال مجاهد والثورى
العود هو الاتيان بالظهار فى الاسلام وتجب الكفارة به والمراد من العود هو العود الى
ما كانوا عليه فى الجاهلية وذلك ان أهل الجاهلية كانوا يطلقون بالظهار فجعل الله حكم
الظهار فى الاسلام على خلاف حكمه عندهم فمعنى ثم يعودون لما قالوا أى فى الاسلام
فيقولون فى الاسلام مثل ما كانوا يقولون فى الجاهلية فكفارته كذا وكذا * الوجه
الثانى قال أبو العالية اذا كرر لفظ الظهار فقد عاد والا لم يكن عود وهذا قول اهل
الظاهر واحتجوا عليه بان ظاهر قوله ثم يعودون لما قالوا يدل على اعادة مافعلوه وهذا
لا يكون الا بالتكرير وان لم يكرر اللفظ فلا كفارة عليه وقوله تعالى (فتحرير رقبة من
قبل أن يتماسا) المراد بالتماس المجامعة فلا يحل للظاهر وطء امرأته التى ظاهر منها مالم
يكفر (ذلكم توعظون به) يعنى ان غلظ الكفارة وعظ لكم حتى تتركوا الظهار ولا
تعاودوه (والله بما تعملون) أى من التكفير وتركه (خبير) ثم ذكر حكم العاجز عن
الرقبة فقال تعالى (فمن لم يجد) أى الرقبة (فصيام شهرين) أى فكفارته وقيل فعليه
صيام شهرين (متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع) أى الصيام (ف) كفارته
(اطعام ستين مسكينا ذلك) أى الفرض الذى وصفناه (لتؤمنوا بالله ورسوله) اى
لتصدقوا الله فيما أمر به وتصدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به عن الله تعالى
(وتلك حدود الله) يعنى ماوصف من الكفارة فى الظهار (وللكافرين) أى لمن جحد
هذا او كذب به (عذاب أليم) أى فى نار جهنم يوم القيامة

(فصل فى أحكام الكفارة وما يتعلق بالظهار) وفيه مسائل * المسئلة الاولى
اختلفوا فيما يحرمه الظهار فللشافعى قولان أحدهما انه يحرم الجماع فقط والقول الثانى
وهو الاظهر انه يحرم جميع جهات الاستمتاع وهو قول أبى حنيفة * المسئلة الثانية
اختلفوا فيمن ظاهر مرارا فقال الشافعى وأبو حنيفة لكل ظهار كفارة الا أن يكون فى
مجلس واحد وأراد التكرار للتأكيد فان عليه كفارة واحدة وقال مالك من ظاهر من
امرأته فى مجالس متفرقة فليس عليه الا كفارة واحدة * المسئلة الثالثة الآية تدل على
ايجاب الكفارة قبل المماسة سواء أراد التكفير بالاعتاق او بالصيام أو بالاطعام
وعند مالك ان أراد التكفير بالاطعام يجوز له الوطء قبله لان الله تعالى قيد العتق
والصوم بما قبل المسيس ولم يقل فى الاطعام من قبل أن يتماسا فدل على ذلك وعند
الآخرين الاطلاق فى الاطعام محمول على المقيد فى العتق والصيام فان جامع قبل

لامرأته أنت على كظهر أمى
واذا وضع موضع انت عضوا
منها يعبر به عن الجملة أو مكان
الظهر عضوا آخر يحرم النظر
اليه من الام كالبطن والفخذ
أو مكان الام ذات رحم محرم
منه بنسب أو رضاع اوصهر او
جماع نحو أن يقول انت على
كظهر أختى من الرضاع أو عمتى
من النسب اوامرأة ابنى اوأبى
اوام امرأتى او ابنتها فهو مظاهر
واذا امتنع المظاهر من الكفارة
للمرأة أن ترافعه وعلى القاضى
ان يجبره على ان يكفر وان يحبسه
ولاشئ من الكفارات يجبر
عليه ويحبس الا كفارة الظهار
لانه يضربها فى ترك التكفير
والامتناع من الاستمتاع فان
[illegible]
[illegible]
[illegible]
يستأنف عند أبى حنيفة رضى
الله عنه (فمن لم يجد) الرقبة
(فصيام شهرين) فعليه صيام
شهرين (متتابعين من قبل
أن يتماسا فمن لم يستطع)
الصيام (فاطعام) فعليه اطعام
(ستين مسكينا) لكل مسكين

نصف صاع من بر اوصاع من غيره ويجب أن يقدمه على المسيس ولكن لايستأنف ان جامع فى خلال الاطعام (ذلك) البيان والتعليم للاحكام (لتؤمنوا) اى لتصدقوا (بالله ورسوله) فى العمل بشرائعه التى شرعها من
الظهار وغيره ورفض ما كنتم عليه فى جاهليتكم (وتلك) أى الاحكام التى وصفنا فى الظهار والكفارة (حدود الله) التى
لايجوز تعديها (وللكافرين) الذين لايتبعونها (عذاب أليم) مؤلم

ان يكفر لم يجب عليه الا كفارة واحدة وهو قول أكثر أهل العلم كمالك وأبى حنيفة والشافعى وأحمد وسفيان وقال بعضهم ان واقعها قبل أن يكفر فعليه كفارتان وهو قول عبد الرحمن بن مهدى * المسئلة الرابعة كفارة الظهار مرتبة فيجب عليه عتق رقبة مؤمنة وقال أبو حنيفة هذه الرقبة تجزئ سواء كانت مؤمنة أو كافرة لقوله تعالى فتحرير رقبة فهذا اللفظ يفيد العموم فى جميع الرقاب دليلنا أنا أجمعنا على ان الرقبة فى كفارة القتل مقيدة بالايمان فكذا هنا وحمل المطلق على المقيد أولى * المسئلة الخامسة الصوم فمن لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين فان أفطر يوما متعمدا أو نسى النية يجب عليه استئناف الشهرين ولو شرع فى الصوم ثم جامع فى خلال الشهرين بالليل عصى الله تعالى بتقديم الجماع على الكفارة لكن لا يجب عليه استئناف الشهرين وعند أبى حنيفة يجب عليه استئناف الشهرين * المسئلة السادسة ان عجز عن الصوم لمرض أو كبر أو فرط شهوة بحيث لا يصبر عن الجماع يجب عليه اطعام ستين مسكينا كل مسكين مد من الطعام الذى يقتات به أهل البلد من حنطة أو شعير أو أرز أو ذرة أو تمر أو نحو ذلك وقال أبو حنيفة يعطى لكل مسكين نصف صاع من بر أو دقيق أو سويق أو صاعا من تمر أو صاعا من شعير ولو أطعم مسكينا واحدا ستين جزأ لا يجزيه عند الشافعى وقال أبو حنيفة يجزيه حجة الشافعى ظاهر الآية وهو ان الله تعالى أوجب اطعام ستين مسكينا فوجب رعاية ظاهر الآية وحجة أبى حنيفة ان المقصود دفع الحاجة وهو حاصل وأجيب عنه بان ادخال السرور على قلب ستين مسكينا أولى من ادخال السرور على قلب مسكين واحد * المسئلة السابعة اذا كانت له رقبة الا انه محتاج الى الخدمة أو له ثمن الرقبة لكنه محتاج اليه لنفقته ونفقة عياله فله أن ينتقل الى الصوم وقال مالك والاوزاعى يلزمه الاعتاق اذا كان واجدا للرقبة أو ثمنها وان كان محتاجا اليه وقال أبو حنيفة ان كان واجدا لعين الرقبة يجب عليه اعتاقها وان كان محتاجا اليها وان كان واجدا لثمن الرقبة لكنه محتاج اليه فله أن يصوم * المسئلة الثامنة قال أصحاب الشافعى الشبق المفرط والغلمة الهائجة عذر فى الانتقال من الصيام الى الاطعام والدليل عليه ماروى عن سلمة بن صخر البياضى قال كنت امرأ أصيب من النساء مالا يصيب غيرى فلما دخل شهر رمضان خفت ان أصيب من امرأتى شيأ تتابع بى حتى أصبح فظاهرت منها حتى ينسلخ شهر رمضان فبينما هى تخدمنى ذات ليلة اذ انكشف لى منها شئ فما لبثت ان نزوت عليها فلما أصبحت خرجت الى قومى فأخبرتهم الخبر قال فقلت امشوا معى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لا والله فانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال أنت بذاك ياسلمة قلت انا بذاك يارسول الله مرتين وأنا صابر لامر الله فاحكم بما أراك الله به قال حرر رقبة قلت والذى بعثك بالحق نبيا ما أملك رقبة غيرها وضربت صفحة رقبتى قال فصم شهرين متتابعين قال وهل أصبت الذى أصبت الا من الصيام قال فأطعم وسقا من تمر ستين مسكينا قلت والذى بعثك بالحق نبيا لقد بتنا وحشين لا نملك لنا طعاما قال فانطلق الى صاحب صدقة بنى زريق فليدفعها اليك فأطعم ستين

مسكيناوسقامن تمروكل أنت وعيالك بقيتها فرجعت الى قومى فقلت وجدت عندكم الضيق وسوء الرأى ووجدت عند النبى صلى الله عليه وسلم السعة وحسن الرأى وقد أمر لى بصدقتكم وبنو بياضة بطن من بنى زريق أخرجه أبوداود قوله نزوت عليها أى وثبت عليها وأراد به الجماع وقوله تتابع بى التتايع الوقوع فى الشر واللجاج فيه والوسق ستون صاعا وقوله وحشين يقال رجل وحش اذا لم يكن له طعام وأوحش الرجل اذا جاع وعن خولة بنت مالك بن ثعلبة قالت ظاهر منى زوجى أوس بن الصامت فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم أشكو اليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يجادلنى فيه ويقول اتقى الله فانه ابن عمك فما برحت حتى نزل القرآن قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها الى الفرض قال يعتق رقبة قلت لا يجد قال فليصم شهرين متتابعين قالت يارسول الله انه شيخ كبير مابه من صيام قال فليطعم ستين مسكينا قلت ماعنده شئ يتصدق به قال فانى سأعينه بعرق من تمر قلت يارسول الله وأنا أعينه بعرق آخر قال قد أحسنت اذهبى فأطعمى بهما عنه ستين مسكينا وارجعى الى ابن عمك أخرجه أبوداود وفى رواية قالت ان أوسا ظاهر منى وذكرت ان به لمما وقالت والذى بعثك بالحق ماجئتك الا رحمة له ان له فى منافع وذكرت نحوه العرق بفتح العين والراء المهملتين زنبيل يسع ثلاثين صاعا وقيل خمسة عشر صاعا وقولها ان به لمما اللمم طرف من الجنون وقال الخطابى ليس المراد من اللمم هنا الجنون والخبل اذ لو كان به ذلك ثم ظاهر فى تلك الحال لم يلزمه شئ بل معنى اللمم ههنا الالمام بالنساء وشدة الحرص والشبق والله أعلم قوله عز وجل (ان الذين يحادون الله ورسوله) أى يعادون الله ورسوله و يشاقون و يخالفون أمرهما (كبتوا) أى أذلوا وأخزوا وأهلكوا (كما كبت الذين من قبلهم) أى كما أخزى من كان قبلهم من أهل الشرك (وقد أنزلنا آيات بينات) يعنى فرائض وأحكاما (وللكافرين) أى الذين لم يعملوا بها وجحدوها (عذاب مهين يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله) أى حفظ الله أعمالهم (ونسوه) أى نسوا ما كانوا يعملون فى الدنيا (والله على كل شئ شهيد) قوله تعالى (ألم تر) أى ألم تعلم (أن الله يعلم مافى السموات وما فى الارض) يعنى انه سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات لا تخفى عليه خافية فى الارض ولا فى السموات ثم أكد ذلك بقوله تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة) أى من أسرار ثلاثة وهى المسارة والمشاورة والمعنى مامن شئ يناجى به الرجل صاحبه وقيل مايكون من متناجين ثلاثة يسار بعضهم بعضا (الا هو رابعهم) أى بالعلم يعنى يعلم نجواهم كانه حاضر معهم ومشاهدهم كما تكون نجواهم معلومة عند الرابع الذى يكون معهم (ولا خمسة الا هو سادسهم) فان قلت لم خص الثلاثة والخمسة قلت أقل مايكفى فى المشاورة ثلاثة حتى يتم الغرض فيكون اثنان كالمتنازعين فى النفى والاثبات والثالث كالمتوسط الحاكم بينهما فحينئذ تحمد تلك المشاورة و يتم ذلك الغرض وهكذا كل جمع يجتمع للمشاورة لا بد من واحد يكون حكما بينهم مقبول القول وقيل ان العدد الفرد أشرف من الزوج فلهذا خص الله تعالى الثلاثة والخمسة ثم قال تعالى (ولا أدنى من ذلك

(ان الذين يحادون الله ورسوله) يعادون و يشاقون (كبتوا) أخزوا وأهلكوا (كما كبت الذين من قبلهم) من اعداء الرسل (وقد أنزلنا آيات بينات) تدل على صدق الرسول وصحة ماجاء به (وللكافرين) بهذه الآيات (عذاب مهين) يذهب بعزهم وكبرهم (يوم يبعثهم) منصوب بمهين أو باضمار اذكر تعظيما لليوم (الله جميعا) كلهم لا يترك منهم أحدا غير مبعوث او مجتمعين فى حال واحدة (فينبئهم بما عملوا) تخجيلا لهم وتوبيخا وتشهيرا بحالهم يتمنون عنده المسارعة بهم الى النار لما يلحقهم من الخزى على رؤس الاشهاد (أحصاه الله) احاط به عددا لم يفته منه شئ (ونسوه) لانهم تهاونوا به حين ارتكبوه وانما تحفظ معظمات الامور (والله على كل شئ شهيد) لا يغيب عنه شئ (ألم تر أن الله يعلم مافى السموات ومافى الارض مايكون) من كان التامة أى مايقع (من نجوى ثلاثة) النجوى التناجى وقد أضيفت الى ثلاثة أى من نجوى ثلاثة نفر (الا هو) أى الله (رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى) ولا أقل (من ذلك

ولا أكثر الا هو معهم) يعلم ما يتناجون به ولا يخفى عليه ما هم فيه وقد تعالى عن المكان علوا كبيرا وتخصيص الثلاثة والخمسة لانها نزلت في المنافقين وكانوا يتحلقون للتناجي مغايظة للمؤمنين على هذين العددين وقيل ما تناجى منهم ثلاثة ولا خمسة ولا أدنى من عدديهم ولا أكثر الا والله معهم يسمع ما يقولون ولان

أهل التناجي في العادة طائفة من أهل الرأي والتجارب وأول عددهم الاثنان فصاعدا الى خمسة الى ستة الى ما اقتضته الحال فذكر عز وعلا الثلاثة والخمسة وقال ولا أدنى من ذلك فدل على الاثنين والاربعة وقال ولا أكثر فدل على ما يقارب هذا العدد (أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة) فيجازيهم عليه (ان الله بكل شيء عليم ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول) كانت اليهود والمنافقون يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا رأوا المؤمنين ويريدون ان يغيظوهم ويوهموهم في نجواهم وتغامزهم ان غزاتهم غلبوا وأن أقاربهم قتلوا فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعادوا لمثل فعلهم وكان تناجيهم بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول ومخالفته ويتنجون حمزة وهو بمعنى الاول (واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله) يعني انهم يقولون في تحيتك السام عليك يا محمد والسام الموت والله تعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى ويا أيها الرسول ويا أيها النبي (ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول) أي يقولون فيما بينهم لو كان نبيا لعاقبنا الله بما نقوله فقال الله تعالى (حسبهم جهنم) عذابا (يصلونها) حال أي يدخلونها (فبئس المصير) المرجع جهنم

ولا أكثر) يعني ولا أقل من ثلاثة وخمسة ولا أكثر من ذلك العدد (الا هو معهم أينما كانوا) أي بالعلم والقدرة (ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم) قوله عز وجل (ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى) نزلت في اليهود والمنافقين وذلك انهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون الى المؤمنين ويتغامزون باعينهم ويوهمون المؤمنين أنهم يتناجون بما يسوءهم فيحزن المؤمنون لذلك ويقولون ما نراهم الا قد بلغهم عن اخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل أو هزيمة فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم فلما طال على المؤمنين وكثر شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهم ان لا يتناجوا دون المؤمنين فلم ينتهوا فأنزل الله ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى أي المناجاة فيما بينهم (ثم يعودون لما نهوا عنه) أي يرجعون الى المناجاة التي نهوا عنها (ويتناجون بالاثم والعدوان) يعني ذلك السر الذي كان بينهم لانه اما مكر وكيد بالمسلمين أو شيء يسوءهم وكلاهما اثم وعدوان (ومعصيت الرسول) وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد نهاهم عن النجوى فعصوه وعادوا اليها وقيل معناه يوصي بعضهم بعضا بمعصية الرسول (واذا جاؤك) يعني اليهود (حيوك بما لم يحيك به الله) وذلك ان اليهود كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون السام عليك والسام الموت وهم يوهمونه بأنهم يسلمون عليه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرد فيقول عليكم (ويقولون في أنفسهم) يعني اذا خرجوا من عنده قالوا (لولا يعذبنا الله بما نقول) يريدون لو كان نبيا لعذبنا الله بما نقول من الاستخفاف به قال الله تعالى (حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير) المعنى ان تقديم العذاب انما يكون بحسب المشيئة والمصلحة واذا لم تقتض المشيئة والمصلحة تقديم العذاب فعذاب جهنم يوم القيامة كافيهم (ق) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك قالت عائشة ففهمتها فقلت عليكم السام واللعنة قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا عائشة ان الله يحب الرفق في الامر كله فقلت يا رسول الله ألم تسمع ما قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قلت عليكم وللبخاري ان اليهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك فقال وعليكم فقالت عائشة السام عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة عليك بالرفق واياك والعنف والفحش قالت أولم تسمع ما قالوا قال أولم تسمعي ما قلت رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في السام الموت قال الخطابي عامة المحدثين يروون اذا سلم عليكم أهل الكتاب فانما يقولون السام عليكم فقولوا وعليكم الحديث فيثبتون الواو في وعليكم وكان سفيان بن عيينة يرويه بغير واو قال وهو الصواب لانه اذا حذف الواو صار قولهم

الذى قالوه مردودا عليهم بعينه واذا أثبت الواو وقع الاشتراك معهم لان الواو تجمع بين الشيئين والعنف ضد الرفق واللين والفحش الردىء من القول قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول) فى المخاطبين بهذه الآية قولان أحدهما انه خطاب للمؤمنين وذلك انه لما ذم اليهود والمنافقين على التناجى بالاثم والعدوان ومعصية الرسول اتبعه بان نهى المؤمنين ان يسلكوا مثل طريقهم وان يفعلوا كفعلهم فقال لا تتناجوا بالاثم وهو ما يقبح من القول والعدوان وهو ما يؤدى الى الظلم ومعصية الرسول وهو ما يكون خلافا عليه والقول الثانى وهو الاصح انه خطاب للمنافقين والمعنى يا أيها الذين آمنوا بالسنتهم وقيل آمنوا بزعمهم كانه قال لهم لا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول (وتناجوا بالبر والتقوى) أى بالطاعة وترك المعصية (واتقوا الله الذى اليه تحشرون انما النجوى من الشيطان) أى من تزيين الشيطان وهو ما يأمرهم به من الاثم والعدوان ومعصية الرسول (ليحزن الذين آمنوا) أى انما يزين ذلك ليحزن المؤمنين (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث زاد ابن مسعود فى رواية فان ذلك يحزنه وهذه الزيادة لابى داود (وليس بضارهم شيأ) يعنى ذلك التناجى وقيل الشيطان ليس بضارهم شيأ (الا باذن الله) أى الا ما أراد الله تعالى وقيل الا باذن الله فى الضر (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أى فليكل المؤمنون أمرهم الى الله تعالى ويستعيذوا به من الشيطان فان من توكل على الله لا يخيب أمله ولا يبطل سعيه قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا) الآية قيل فى سبب نزولها ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يكرم أهل بدر من المهاجرين والانصار فجاء ناس منهم يوما وقد سبقوا الى المجلس فقاموا حيال النبى صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه فرد عليهم ثم سلموا على القوم فردوا عليهم ثم قاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فلم يفسحوا وشق ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله قم يا فلان وأنت يا فلان فأقام من المجلس بقدر أولئك النفر الذين كانوا بين يديه من أهل بدر فشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف النبى صلى الله عليه وسلم الكراهية فى وجوههم فانزل الله هذه الآية وقيل نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وقد تقدمت القصة فى سورة الحجرات وقيل كانوا يتنافسون فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحبون القرب منه فكانوا اذا رأوا من جاءهم مقبلا تضاموا فى مجالسهم فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض وقيل كان ذلك يوم الجمعة فى الصفة والمكان ضيق والاقرب ان المراد مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرصا على استماع كلامه فأمر الله المؤمنين بالتواضع وان يفسحوا فى المجالس لمن أراد الجلوس عند النبى صلى الله عليه وسلم ليتساوى الناس فى الاخذ بالحظ منه وقرئ فى المجالس لان لكل واحد مجلسا ومعناه ليفسح كل رجل فى مجلسه فافسحوا أى

(يا أيها الذين آمنوا) بالسنتهم وهو خطاب للمنافقين والظاهر انه خطاب للمؤمنين (اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول) أى اذا تناجيتم فلا تشبهوا باليهود والمنافقين فى تناجيهم بالشر (وتناجوا بالبر) باداء الفرائض والطاعات (والتقوى) وترك المعاصى (واتقوا الله الذى اليه تحشرون) للحساب فيجازيكم بما تتناجون به من خير أو شر (انما النجوى) بالاثم والعدوان (من الشيطان) من تزيينه (ليحزن) أى الشيطان وبضم الياء نافع (الذين آمنوا وليس) الشيطان أو الحزن (بضارهم شيأ الا باذن الله) بعلمه وقضائه وقدره (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أى يكلون أمرهم الى الله ويستعيذون به من الشيطان (يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجلس) توسعوا فيه فى المجالس عاصم ونافع والمراد مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجالس من مجالس القتال وهى مراكز الغزاة كقوله مقاعد للقتال مقاتل فى صلاة الجمعة (فافسحوا) فوسعوا

(يفسح الله لكم) مطلق في كل ما يبتغي الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغير ذلك (واذا قيل انشزوا)
انهضوا للتوسعة على المقبلين أو انهضوا عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمرتم بالنهوض عنه

فأوسعوا في المجالس أم وابان يوسعوا في المجالس لغيرهم (يفسح الله لكم) أي يوسع الله لكم في الجنة والمجالس فيها (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقيمن أحدكم رجلا من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا يفسح الله لكم (م) عن جابر بن عبد الله قال لا يقيمن أحدكم أخاه يوم الجمعة ثم يخالف الى مقعده فيقعد فيه ولكن يقول افسحوا ذكره الحميدي في أفراد مسلم موقوفا على جابر ورفعه غير الحميدي وقيل في معنى الآية ان هذا في مجالس الحرب ومقاعد القتال كان الرجل يأتي القوم وهم في الصف فيقول توسعوا فيأبون عليه لحرصهم على القتال ورغبتهم في الشهادة فأمروا بان يوسعوا لاخوانهم لان الرجل الشديد البأس قد يكون متأخرا عن الصف الاول والحاجة داعية الى تقدمه فلابد من التفسح له ثم يقاس على ذلك سائر المجالس كمجالس العلم والقرآن والحديث والذكر ونحو ذلك لان كل من وسع على عباد الله أنواع الخير والراحة وسع الله عليه خيري الدنيا والآخرة (واذا قيل انشزوا فانشزوا) أي اذا قيل ارتفعوا عن مواضعكم حتى توسعوا لاخوانكم فارتفعوا وقيل كان رجال يتثاقلون عن الصلاة في الجماعة اذا نودي لها فانزل الله تعالى هذه الآية والمعنى اذا نودي الى الصلاة فانهضوا اليها وقيل اذا قيل لكم انهضوا الى الصلاة والى الجهاد والى كل خير فانهضوا اليه ولا تقصروا عنه (يرفع الله الذين آمنوا منكم) أي بطاعتهم لله ولرسوله وامتثال أوامره في قيامهم من مجالسهم وتوسعتهم لاخوانهم (والذين أوتوا العلم) أي ويرفع الذين أوتوا العلم من المؤمنين بفضل علمهم وسابقتهم (درجات) أي على من سواهم في الجنة قيل يقال للمؤمن الذي ليس بعالم اذا انتهى الى باب الجنة ادخل ويقال للعالم قف فاشفع في الناس أخبر الله عز وجل ان رسوله صلى الله عليه وسلم مصيب فيما أمر وان أولئك المؤمنين مثابون فيما ائتمروا وان النفر من أهل بدر مستحقون لما عوملوا به من الاكرام (والله بما تعملون خبير) قال الحسن قرأ ابن مسعود هذه الآية وقال يا أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم في العلم فان الله تعالى يقول يرفع المؤمن العالم فوق المؤمن الذي ليس بعالم درجات وقيل ان العالم يحصل له بعمله من المنزلة والرفعة ما لا يحصل لغيره لانه يقتدى بالعالم في أقواله وفي أفعاله كلها عن قيس بن كثير قال قدم رجل من المدينة على أبي الدرداء وهو بدمشق فقال ما أقدمك يا أخي قال حديث بلغني انك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أما جئت لحاجة غيره قال لا قال أما قدمت في تجارة قال لا قال ما جئت الا في طلب هذا الحديث قال نعم قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يبتغي فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة وان الملائكة تضع أجنحتها رضا لطالب العلم وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا

أو انهضوا الى الصلاة والجهاد وأعمال الخير (فانشزوا) بالضم فيهما مدني وشامي وعاصم غير حماد (يرفع الله الذين آمنوا منكم) بامتثال أوامره وأوامر رسوله (والذين أوتوا العلم) والعالمين منهم خاصة (درجات والله بما تعملون خبير) وفي الدرجات قولان أحدهما في الدنيا في المرتبة والشرف والآخر في الآخرة وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه كان اذا قرأها قال يا أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم في العلم وعن النبي صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه صلى الله عليه وسلم عبادة العالم يوما واحدا تعدل عبادة العابد أربعين سنة وعنه صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فأعظم بمرتبة هي واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما خير سليمان عليه السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطي المال والملك معه وقال صلى الله عليه وسلم أوحى الله الى ابراهيم عليه السلام
يا ابراهيم اني عليم أحب كل عليم وعن بعض الحكماء ليت شعري أي شئ أدرك من فاته العلم وأي شئ فات من أدرك العلم
وعن الزبيري العلم ذكر فلا يحبه الا ذكورة الرجال والعلوم أنواع فأشرفها أشرفها معلوما

درهما انما أورثوا العلم فمن أخذه فقد اخذ بحظ وافر أخرجه الترمذي ولابي داود نحوه (ق) عن معاوية بن أبي سفيان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وعن ابن عباس مثله أخرجه الترمذي وروى البغوي بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجلسين في مسجده أحد المجلسين يدعون الى الله ويرغبون اليه والآخر يتعلمون الفقه ويعلمونه فقال كلا المجلسين على خير وأحدهما أفضل من صاحبه اما هؤلاء فيدعون الى الله ويرغبون اليه واما هؤلاء فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل فهؤلاء أفضل وانما بعثت معلما ثم جلس فيهم قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) يعني اذا أردتم مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدموا أمام ذلك صدقة وفائدة ذلك اعظام مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الانسان اذا وجد الشئ بمشقة استعظمه وان وجده بسهولة استحقره ونفع كثير من الفقراء بتلك الصدقة المقدمة قبل المناجاة قال ابن عباس ان الناس سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثروا حتى شق عليه فأراد الله تعالى أن يخفف على نبيه صلى الله عليه وسلم ويثبطهم عن ذلك فأمرهم أن يقدموا صدقة على مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في الاغنياء وذلك انهم كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكثرون مناجاته ويغلبون الفقراء على المجالس حتى كره رسول الله صلى الله عليه وسلم طول جلوسهم ومناجاتهم فلما أمروا بالصدقة كفوا عن مناجاته فاما الفقراء واهل العسرة فلم يجدوا شيأ واما الاغنياء واهل الميسرة فضنوا واشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه فنزلت الرخصة وقال مجاهد نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا فلم يناجه الا علي بن أبي طالب تصدق بدينار وناجاه ثم نزلت الرخصة فكان علي يقول آية في كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي وهي آية المناجاة وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لما نزلت يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ماترى دينارا قلت لا يطيقونه قال فنصف دينار قلت لا يطيقونه قال فكم قلت شعيرة قال انك لزهيد قال فنزلت أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات الآية قال فبي خفف الله عن هذه الامة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله قلت شعيرة أي وزن شعيرة من ذهب وقوله انك لزهيد يعني قليل المال قدرت على قدر حالك فان قلت في هذه الآية منقبة عظيمة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه اذ لم يعمل بها احد غيره قلت هو كما قلت وليس فيها طعن على غيره من الصحابة ووجه ذلك ان الوقت لم يتسع ليعملوا بهذه الآية ولو اتسع الوقت لم يتخلفوا عن العمل بها وعلى تقدير اتساع الوقت ولم يفعلوا ذلك انما هو مراعاة لقلوب الفقراء الذين لم يجدوا ما يتصدقون به لو احتاجوا الى المناجاة فيكون ذلك سببا لحزن الفقراء اذ لم يجدوا ما يتصدقون به عند مناجاته ووجه آخر وهو ان هذه المناجاة لم تكن من المفروضات ولا من الواجبات ولا من الطاعات المندوب اليها بل انما كلفوا هذه الصدقة ليتركوا هذه المناجاة ولما كانت هذه

(يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول) اذا أردتم مناجاته (فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) أي قبل نجواكم وهي استعارة ممن له يدان كقول عمر رضي الله عنه افضل ما أوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل أمام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل به اللئيم يريد قبل حاجته

المناجاة

(ذلك) التقديم (خير لكم) فى دينكم (واطهر) لان الصدقة طهرة (فان لم تجدوا) ما تتصدقون به (فان الله غفور رحيم) فى ترخيص المناجاة من غير صدقة قيل كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقيل ما كان الا ساعة من نهار ثم نسخ وقال على رضى الله عنه هذه آية من كتاب الله ما عمل بها أحد قبلى ولا يعمل بها أحد بعدى كان لى دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر مسائل فاجابنى عنها قلت يا رسول الله ما الوفاء قال التوحيد وشهادة أن لا اله الا الله قلت وما الفساد قال الكفر والشرك بالله قلت وما الحق قال الاسلام والقرآن والولاية اذا انتهت اليك قلت وما الحيلة قال ترك الحيلة قلت وما على قال طاعة الله وطاعة رسوله قلت وكيف ادعو الله قال بالصدق واليقين قلت وماذا أسأل الله قال العافية قلت وما أصنع لنجاة نفسى قال كل حلالا وقل صدقا قلت وما السرور قال الجنة قلت وما الراحة قال لقاء الله فلما فرغت منها نزل نسخها (أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات) أخفتم تقديم الصدقات لما فيه من الانفاق الذى تكرهونه (فاذ لم تفعلوا) ما أمرتم به وشق عليكم (وتاب الله عليكم) أى خفف عنكم وازال عنكم المؤاخذة بترك تقديم الصدقة على المناجاة كما أزال المؤاخذة بالذنب عن التائب عنه (فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وأطيعوا الله ورسوله) أى فلا تفرطوا فى الصلاة والزكاة وسائر الطاعات (والله خبير بما تعملون) وهذا وعد ووعيد (ألم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) كان المنافقون يتولون اليهود وهم الذين غضب الله عليهم فى قوله من لعنه الله وغضب عليه و ينقلون اليهم اسرار المؤمنين (ماهم منكم) يا مسلمون (ولا منهم) ولا من اليهود كقوله مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء (ويحلفون على الكذب) أى يقولون والله انا لمسلمون لا منافقون (وهم يعلمون) انهم كاذبون منافقون (أعد الله لهم عذابا شديدا) نوعا من العذاب متفاقما (انهم ساء ما كانوا يعملون) اى انهم كانوا فى الزمان الماضى مصرين على سوء العمل أوهى حكاية ما يقال لهم فى الآخرة (اتخذوا أيمانهم) الكاذبة (جنة) وقاية دون أموالهم ودمائهم (فصدوا) الناس فى خلال أمنهم وسلامتهم (عن سبيل الله) عن طاعته والايمان به (فلهم عذاب مهين) وعدهم العذاب المخزى لكفرهم وصدهم كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب (لن تغنى عنهم اموالهم ولا أولادهم من الله) من عذاب الله

المناجاة أولى بان تترك لم يعملوا بها وليس فيها طعن على أحد منهم وقوله (ذلك خير لكم) يعنى تقديم الصدقة على المناجاة لما فيه من طاعة الله وطاعة رسوله (وأطهر) أى لذنوبكم (فان لم تجدوا) يعنى الفقراء الذين لا يجدون ما يتصدقون به (فان الله غفور رحيم) يعنى أنه تعالى رفع عنهم ذلك (أأشفقتم) قال ابن عباس ابخلتم والمعنى أخفتم العيلة والفاقة ان قدمتم وهو قوله (أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا) أى ما أمرتم به (وتاب الله عليكم) أى تجاوز عنكم ونسخ الصدقة قال مقاتل بن حيان كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقال الكلبى ما كان الا ساعة من نهار ثم نسخ (فأقيموا الصلوة) أى المفروضة (وآتوا الزكوة) أى الواجبة (وأطيعوا الله ورسوله) أى فيما أمر ونهى (والله خبير بما تعملون) أى انه محيط باعمالكم ونياتكم قوله عز وجل (ألم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) نزلت فى المنافقين وذلك انهم تولوا اليهود ونصحوهم ونقلوا اسرار المؤمنين اليهم فارا د بقوله قوما غضب الله عليهم اليهود (ماهم) يعنى المنافقين (منكم) أى من المؤمنين فى الدين والولاء (ولا منهم) يعنى ولا من اليهود (ويحلفون على الكذب وهم يعلمون) اى انهم كذبة نزلت فى عبد الله بن نبتل المنافق و كان يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرفع حديثه الى اليهود فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجرة من حجره اذ قال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار ينظر بعينى شيطان فدخل عبد الله بن نبتل وكان أزرق العينين فقال له النبى صلى الله عليه وسلم علام تشتمنى أنت واصحابك فحلف بالله ما فعل وجاء باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فانزل الله هذه الآية (أعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون اتخذوا أيمانهم) يعنى الكاذبة (جنة) أى يستجنون بها من القتل ويدفعون بها عن انفسهم وأموالهم (فصدوا عن سبيل الله) يعنى انهم صدوا المؤمنين عن جهادهم بالقتل وأخذ أموالهم بسبب أيمانهم وقيل معناه صدوا الناس عن دين الله الذى هو الاسلام (فلهم عذاب مهين) يعنى فى الآخرة (لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم) يوم القيامه (من الله

(شيا) قليلا من الاغناء (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له) أى لله فى الآخرة انهم كانوا مخلصين فى الدنيا غير منافقين (كما يحلفون لكم) فى الدنيا على ذلك (ويحسبون أنهم) فى الدنيا (على شئ) من النفع أو يحسبون أنهم على شئ من النفع ثم بايمانهم الكاذبة كما انتفعوا ههنا (ألا انهم هم الكاذبون) حيث استوت حالهم فيه فى الدنيا والآخرة (استحوذ عليهم الشيطان) استولى عليهم (فانساهم ذكر الله) قال شاه الكرمانى علامة استحواذ الشيطان على العبد ان يشغله بعمارة ظاهره من المآكل والملابس ويشغل قلبه عن التفكر فى آلاء الله ونعمائه والقيام بشكرها ويشغل لسانه عن ذكر ربه بالكذب والغيبة والبهتان ويشغل لبه عن التفكر والمراقبة بتدبير الدنيا وجمعها (أولئك حزب الشيطان) جنده (ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الاذلين) فى جملة من هو أذل خلق الله تعالى لاترى احدا أذل منهم (كتب الله) فى اللوح (لأغلبن أنا ورسلى) بالحجة والسيف أو باحدهما (ان الله قوى) لا يمتنع عليه ما يريد (عزيز) غالب غير مغلوب (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون) هو مفعول ثان لتجد او حال أو صفة لقوما وتجد بمعنى تصادف على هذا (من حاد الله) خالفه وعاداه (ورسوله) أى من الممتنع ان تجد قوما مؤمنين يوالون المشركين والمراد انه لا ينبغى أن يكون ذلك وحقه ان يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة فى التوصية بالتصلب فى مجانبة أعداء الله ومباعدتهم والاحتراز عن مخالطتهم ومعاشرتهم وزاد ذلك تأكيدا وتشديدا بقوله (ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم) وبقوله (أولئك كتب فى قلوبهم الايمان) أى أثبته فيها وبمقابلة قوله أولئك حزب الشيطان بقوله أولئك حزب الله (وأيدهم بروح منه) أى بكتاب أنزله فيه حياة لهم ويجوز أن يكون الضمير للايمان أى بروح

شيأ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له) يعنى كاذبين انهم ما كانوا مشركين (كما يحلفون لكم) أى فى الدنيا وقيل كان الحلف جنة لهم فى الدنيا فظنوا انه ينفع فى الآخرة أيضا (ويحسبون أنهم على شئ) يعنى من أيمانهم الكاذبة (ألا انهم هم الكاذبون) يعنى فى أقوالهم وأيمانهم (استحوذ عليهم الشيطان) أى غلب واستولى عليهم وملكهم (فانساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الاذلين) يعنى فى جملة من يلحقهم الذل فى الدنيا والآخرة لان ذل أحد الخصمين على حسب عز الخصم الثانى ولما كانت عزة الله غير متناهية كانت ذلة من ينازعه غير متناهية (كتب الله لأغلبن أنا ورسلى) أى قضى الله ذلك قضاء ثابتا قيل غلبة الرسل على نوعين فمنهم من يؤمر بالحرب فهو غالب بالحرب ومن لم يؤمر بالحرب فهو غالب بالحجة (ان الله قوى) أى على نصر رسله وأوليائه (عزيز) أى غالب على أعدائه قوله تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) أخبر الله تعالى ان ايمان المؤمنين يفسد بموادة الكافرين وان من كان مؤمنا لا يوالى من كفر لان من أحب أحدا امتنع ان يحب عدوه فان قلت قد اجمعت الامة على أنه تجوز مخالطتهم ومعاملتهم ومعاشرتهم فما هذه المودة المحظورة قلت المودة المحظورة هى مناصحتهم وارادة الخير لهم دينا ودنيا مع كفرهم فاما ما سوى ذلك فلا حظر فيه ثم انه تعالى بالغ فى الزجر عن مودتهم بقوله (ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم) يعنى ان الميل الى هؤلاء من أعظم أنواع الميل ومع هذا فيجب ان يطرح الميل الى هؤلاء والمودة لهم بسبب مخالفة الدين قيل نزلت هذه الآية فى حاطب بن أبى بلتعة حين كتب الى أهل مكة وستأتى قصته فى سورة الممتحنة وروى عن عبد الله بن مسعود فى هذه الآية قال ولو كانوا آباءهم يعنى أبا عبيدة بن الجراح قتل أباه الجراح يوم أحد أو أبناءهم يعنى أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه دعا ابنه يوم بدر الى البراز وقال يا رسول الله دعنى أكن فى الرعلة الاولى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا أبا بكر أو اخوانهم يعنى مصعب بن عمير قتل اخاه عبد الله بن عمير أو عشيرتهم يعنى عمر بن الخطاب قتل خاله العاص بن هشام ابن المغيرة يوم بدر وعلى بن أبى طالب وحمزة وأبا عبيدة قتلوا عتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر (أولئك كتب فى قلوبهم الايمان) أى اثبت التصديق فى قلوبهم فهى مؤمنة موقنة مخلصة وقيل حكم لهم بالايمان وانما ذكر القلوب لأنها موضعه (وأيدهم بروح منه) أى قواهم بنصر منه وانما سمى نصره اياهم روحا لان به

حيي أمرهم وقيل بالايمان وقيل بالقرآن وقيل بجبريل وقيل برحمته (ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه) انما ذكر رضوانه عليهم بعد دخولهم الجنة لانه أعظم النعم وأجل المراتب ثم لما ذكر هذه النعم أتبعه بما يوجب ترك المودة لاعداء الله سبحانه وتعالى فقال (أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون) والله أعلم بمراده

(تفسير سورة الحشر)

قال سعيد بن جبير قلت لابن عباس سورة الحشر فقال قل سورة النضير وهي مدنية أربع وعشرون آية واربعمائة وخمس وأربعون كلمة وألف وتسعمائة وثلاثة عشر حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم هو الذي أخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم) قال المفسرون نزلت هذه السورة في بني النضير وهم طائفة من اليهود وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة صالحه بنو النضير على أن لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه فقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا وظهر على المشركين قال بنو النضير والله انه النبي الامي الذي نجد نعته في التوراة لا ترد له راية فلما غزا أحدا وهزم المسلمون ارتابوا وأظهروا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وركب كعب بن الاشرف في أربعين راكبا من اليهود الى مكة فأتوا قريشا فحالفوهم وعاقدوهم على أن تكون كلمتهم واحدة على محمد صلى الله عليه وسلم ودخل أبو سفيان في أربعين من قريش وكعب بن الاشرف في أربعين من اليهود المسجد الحرام وأخذ بعضهم على بعض الميثاق بين استار الكعبة ثم رجع كعب واصحابه الى المدينة فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما تعاقد عليه كعب وأبو سفيان وأمره بقتل كعب بن الاشرف فقتله محمد بن مسلمة غيلة وقد تقدمت القصة في سورة آل عمران وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اطلع منهم على خيانة حين اتاهم يستعينهم في دية الرجلين المسلمين اللذين قتلهما عمرو بن امية الضمري في منصرفه من بئر معونة فهموا بطرح حجر على النبي صلى الله عليه وسلم من الحصن فعصمه الله منهم واخبره بذلك وقد تقدمت القصة في سورة المائدة فلما قتل كعب

من الايمان على انه في نفسه روح لحياة القلوب به وعن الثوري انه قال كانوا يرون أنها نزلت فيمن يصحب السلطان وعن عبد العزيز بن أبي رواد انه لقيه المنصور فلما عرفه هرب منه وتلاها وقال سهل من صحح ايمانه واخلص توحيده فانه لا يأنس بمبتدع ولا يجالسه ولا يظهر له من نفسه العداوة ومن داهن مبتدعا سلبه الله حلاوة السنن ومن اجاب مبتدعا لطلب عز الدنيا اوغناها اذله الله بذلك العز وافقره بذلك الغنى ومن ضحك الى

مبتدع نزع الله نور الايمان من قلبه ومن لم يصدق فليجرب (ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم) بتوحيدهم الخالص وطاعتهم (ورضوا عنه) بثوابه الجسيم في الآخرة أو بما قضى عليهم في الدنيا (أولئك حزب الله) انصار حقه ودعاة خلقه (ألا ان حزب الله هم المفلحون) الباقون في النعيم المقيم الفائزون بكل محبوب الآمنون من كل مرهوب

(سورة الحشر مدنية وهي أربع وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم) روى أن هذه السورة نزلت باسرها في بني النضير وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة صالح بنو النضير رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يكونوا عليه ولا له فلما ظهر يوم بدر قالوا هذا النبي الذي نعته في التوراة فلما هزم المسلمون يوم أحد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف في أربعين راكبا الى مكة فحالف اباسفيان عند الكعبة فامر صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الانصاري فقتل كعبا غيلة ثم خرج صلى الله عليه وسلم مع الجيش اليهم فحاصرهم احدى وعشرين ليلة وأمر بقطع نخيلهم فلما قذف الله الرعب في قلوبهم طلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلاء على أن يحمل كل ثلاثة ابيات على بعير ماشاؤا من متاعهم فجلوا الى الشام الى اريحاء واذرعات (هو الذي أخرج الذين كفروا من اهل الكتاب) يعني يهود بني النضير (من ديارهم) بالمدينة

ابن الاشرف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر الناس بالمسير الى بنى النضير
وكانوا بقرية يقال لها زهرة فلما سار اليهم النبى صلى الله عليه وسلم وجدهم ينوحون
على كعب بن الاشرف فقالوا يا محمد واعية على اثر واعية وباكية على اثر باكية قال نعم
فقالوا ذرنا نبك شجونا ثم ائتمر أمرك فقال النبى صلى الله عليه وسلم اخرجوا من المدينة
فقالوا الموت أقرب الينا من ذلك ثم تنادوا بالحرب واذنوا بالقتال ودس المنافقون
عبد الله بن أبى وأصحابه اليهم أن لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم ولا نخذلكم
ولننصرنكم ولئن أخرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها ثم انهم أجمعوا
على الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فارسلوا اليه أن اخرج الينا فى ثلاثين رجلا من
أصحابك وليخرج منا ثلاثون حتى نلتقى بمكان نصف بيننا وبينك فيسمعوا منك فان
صدقوك وآمنوا بك آمنا كلنا فخرج النبى صلى الله عليه وسلم فى ثلاثين من أصحابه
وخرج اليه ثلاثون حبرا من اليهود حتى كانوا فى براز من الارض فقال بعض اليهود
لبعض كيف تخلصون اليه ومعه ثلاثون رجلا من أصحابه كلهم يحب الموت قبله ولكن
أرسلوا اليه كيف نفهم ونحن ستون اخرج فى ثلاثة من أصحابك ويخرج اليك ثلاثة
من علمائنا فيسمعون منك فان آمنوا بك آمنا بك وصدقناك فخرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم فى ثلاثة من أصحابه وخرج ثلاثة من اليهود معهم الخناجر وأرادوا الفتك
برسول الله صلى الله عليه وسلم فارسلت امرأة ناصحة من بنى النضير الى أخيها وهو رجل
مسلم من الانصار فاخبرته بما أراد بنو النضير من الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم
فأقبل أخوها سريعا حتى أدرك النبى صلى الله عليه وسلم فساره بخبرهم قبل أن يصل
اليهم فرجع النبى صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد صبحهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالكتائب فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فقذف الله فى قلوبهم الرعب وأيسوا من
نصر المنافقين فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح فابى عليهم الا أن يخرجوا من
المدينة على ما يأمرهم به فقبلوا ذلك فصالحهم على الجلاء وعلى أن لهم ما أقلت الابل من
أموالهم الا الحلقة وهى السلاح وعلى أن يخلوا لهم ديارهم وعقارهم وسائر أموالهم وقال
ابن عباس على أن يحمل كل اهل بيت على بعير ما شاؤا من متاعهم وللنبى صلى الله عليه
وسلم ما بقى وقيل أعطى كل ثلاثة نفر بعيرا وسقاء ففعلوا ذلك وخرجوا من ديارهم الى
اذرعات وأريحاء من أرض الشام الا أهل بيتين منهم آل أبى الحقيق وآل حيى بن
اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة فذلك قوله عز وجل هو الذى أخرج
الذين كفروا من اهل الكتاب يعنى بنى النضير من ديارهم يعنى التى كانت بالمدينة قال
ابن اسحق كان اجلاء بنى النضير مرجع النبى صلى الله عليه وسلم من احد وفتح قريظة
مرجعه من الاحزاب وبينهما سنتان (لأول الحشر) قال الزهرى كانوا من سبط لم
يصبهم جلاء فيما مضى وكان الله قد كتب عليهم الجلاء ولولا ذلك لعذبهم فى الدنيا قال ابن
عباس من شك أن المحشر بالشام فليقرأ هذه الآية فكان هذا اول حشر الى الشام قال
النبى صلى الله عليه وسلم اخرجوا قالوا الى أين قال الى ارض المحشر ثم يحشر الخلق

واللام فى (لأول الحشر) تتعلق
بأخرج وهى اللام فى قوله تعالى
يا ليتنى قدمت لحياتى وقوله
جئته لوقت كذا أى أخرج
الذين كفروا عند أول الحشر
ومعنى اول الحشر ان هذا اول
حشرهم الى الشام وكانوا من
سبط لم يصبهم جلاء قط وهم
اول من اخرج من اهل الكتاب
من جزيرة العرب الى الشام او
هذا اول حشرهم وآخر حشرهم
اجلاء عمر اياهم من خيبر الى
الشام او آخر حشرهم حشر يوم
القيامة قال ابن عباس رضى
الله عنهما من شك ان المحشر
بالشام فليقرأ هذه الآية فهم
الحشر الاول وسائر الناس
الحشر الثانى وقال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما خرجوا
امضوا فانكم اول الحشر ونحن
على الاثر قتادة اذا كان آخر
الزمان جاءت نار من قبل المشرق
فحشرت الناس الى ارض الشام
وبها تقوم عليهم القيامة وقيل
معناه اخرجهم من ديارهم لاول
ما حشر لقتالهم لانه أول قتال
قاتلهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم

(ماظننتم ان يخرجوا) لشدة باسهم ومنعتهم ووثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعدتهم (وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله) أي ظنوا ان حصونهم تمنعهم من بأس الله والفرق بين هذا التركيب وبين النظم الذي جاء عليه أن في تقديم الخبر على المبتدا دليلا على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها اياهم وفي تصيير ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه دليل على اعتقادهم في أنفسهم انهم في عزة ومنعة لا يبالى معها بأحد يتعرض لهم او يطمع في مغازاتهم وليس ذلك في قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم (فاتاهم الله) اى أمر الله وعقابه وفي الشواذ فآتاهم الله أي فآتاهم الهلاك (من حيث لم يحتسبوا) من حيث لم يظنوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف غرة على يد أخيه رضاعا (وقذف في قلوبهم الرعب) الخوف

(يخربون بيوتهم بايديهم وأيدي المؤمنين) يخربون أبو عمرو والتخريب والاخراب الافساد بالنقض والهدم والخربة الفساد وكانوا يخربون بواطنها والمسلمون ظواهرها لما أراد الله من استئصال شافتهم وان لا تبقى لهم بالمدينة دار ولا منهم ديار والذي دعاهم الى التخريب حاجتهم الى الخشب والحجارة ليسدوا بها أفواه الأزقة وان لا يتحسروا بعد جلائهم على بقائها مساكن للمسلمين وان ينقلوا معهم ما كان في ابنيتهم من جيد الخشب والساج وأما المؤمنون فداعيهم الى التخريب ازالة متحصنهم وان يتسع لهم مجال الحرب ومعنى تخريبهم لها بأيدي المؤمنين انهم لما عرضوهم بنكث العهد لذلك وكانوا السبب فيه فكأنهم امروهم به وكلفوهم اياه (فاعتبروا يا أولي الابصار) أي فتأملوا فيما نزل بهؤلاء والسبب الذي استحقوا به ذلك فاحذروا ان تفعلوا مثل فعلهم فتعاقبوا بمثل عقوبتهم وهو دليل على جواز القياس (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء) الخروج من الوطن مع الاهل والولد (لعذبهم في الدنيا) بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة (ولهم) سواء اجلوا او قتلوا (في الآخرة عذاب النار) الذي لا أشد منه (ذلك بانهم) اى انما اصابهم ذلك بسبب انهم (شاقوا الله) خالفوه (ورسوله ومن يشاق الله) ورسوله (فان الله شديد العقاب ماقطعتم من لينة) هو بيان لما قطعتم ومحل ما نصب بقطعتم كانه قيل أي شئ قطعتم وأنث الضمير الراجع الى ما في قوله (أو تركتموها) لانه في معنى اللينة واللينة النخلة من الالوان وياؤها عن واو قلبت لكسرة ما قبلها وقيل اللينة النخلة الكريمة كأنهم اشتقوها من اللين (قائمة على اصولها فباذن الله) فقطعها وتركها باذن الله

يوم القيامة الى الشام وقيل انما قال لاول الحشر لانهم كانوا أول من أجلي من أهل الكتاب من جزيرة العرب ثم أجلى آخرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقيل كان هذا أول الحشر من المدينة والحشر الثاني من خيبر وجميع جزيرة العرب الى اذرعات واريحاء من أرض الشام في أيام عمر وقيل كان هذا أول الحشر والحشر الثاني نار تحشرهم يوم القيامة من المشرق الى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا (ماظننتم) يعني أيها المؤمنون (ان يخرجوا) أي من المدينة لعزتهم ومنعتهم وذلك انهم كانوا أهل حصون وعقار ونخل كثير (وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله) أي وظن بنو النضير ان حصونهم تمنعهم من سلطان الله (فاتاهم الله) أي أتاهم أمر الله وعذابه (من حيث لم يحتسبوا) وهو ان الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بقتالهم واجلائهم وكانوا لا يظنون ذلك (وقذف في قلوبهم الرعب) أي الخوف الشديد بقتل سيدهم كعب بن الاشرف (يخربون بيوتهم بايديهم وأيدي المؤمنين) قال الزهري وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صالحهم على ان لهم ما أقلت الابل كانوا ينظرون الى الخشب في منازلهم فيهدمونها وينزعون ما استحسنوه منها فيحملونه على ابلهم ويخرب المؤمنون باقيها وقيل كانوا يقلعون العمد وينقضون السقوف وينقبون الجدران لئلا يسكنها المؤمنون حسدا منهم وبغضا وقيل كان المسلمون يخربون ما يليهم من ظاهرها ويخربها اليهود من داخلها وقال ابن عباس كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها لتتسع لهم المقاتل وجعل أعداء الله ينقبون دورهم من أدبارها فيخرجون الى التي بعدها فيتحصنون فيها ويكسرون ما يليهم ويرمون بالتي خرجوا منها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (فاعتبروا) أي فاتعظوا وانظروا ما نزل بهم (يا أولي الابصار) أي ياذوي العقول والبصائر (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء) يعني الخروج من الوطن (لعذبهم في الدنيا) يعني بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة (ولهم في الآخرة عذاب النار وذلك) أي الذي لحقهم ونزل بهم (بانهم شاقوا الله ورسوله) أي خالفوا الله ورسوله (ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب) قوله تعالى (ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله) الآية وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل ببني النضير وتحصنوا

بحصونهم أمر بقطع نخيلهم واحراقها فجزع أعداء الله عند ذلك وقالوا يا محمد زعمت انك
تريد الصلاح أفمن الصلاح عقر الشجر وقطع النخل وهل وجدت فيما زعمت انه انزل عليك
الفساد فى الارض فوجد المسلمون فى أنفسهم من قولهم وخشوا أن يكون ذلك فسادا
واختلفوا فى ذلك فقال بعضهم لا تقطعوا فانه مما أفاء الله علينا وقال بعضهم بل نغيظهم
بقطعه فانزل الله هذه الآية بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الاثم وان
ذلك كان باذن الله تعالى (ق) عن ابن عمر قال حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بنى
النضير وقطع وهى البويرة فنزل ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله
وليخزى الفاسقين البويرة اسم موضع لبنى النضير وفى ذلك يقول حسان بن ثابت

وهان على سراة بنى لؤى * حريق بالبويرة مستطير

قال ابن عباس النخل كلها لينة ماخلا العجوة وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقطع نخلهم
الا العجوة وأهل المدينة يسمون ماخلا العجوة من التمر الالوان وقيل النخل كلها لينة الا
العجوة والبرنية وقيل اللينة النخل كلها من غير استثناء وقال ابن عباس فى رواية أخرى
عنه هى لون من النخل وقيل كرام النخل وقيل هى ضرب من النخل يقال لتمرها اللون
وهو شديد الصفرة ويرى نواه من خارج يغيب فيه الضرس وكان من أجود تمرهم
وأعجبه اليهم وكانت النخلة الواحدة ثمنها ثمن وصيف وأحب اليهم من وصيف فلما رأوهم
يقطعونها شق عليهم ذلك وقالوا للمؤمنين انكم تكرهون الفساد وأنتم تفسدون دعوا هذا
النخل قائما هو لمن غلب عليه فاخبر الله ان قطعها كان باذنه (وليخزى الفاسقين) يعنى
اليهود والمعنى ولاجل اخزاء اليهود أذن الله فى قطعها احتج العلماء بهذه الآية على أن
حصون الكفار وديارهم لا باس ان تهدم وتحرق وترمى بالمجانيق وكذلك قطع أشجارهم
ونحوها قوله عز وجل (وما أفاء الله على رسوله) أى ما رد الله على رسوله (منهم) أى من
يهود بنى النضير (فما أوجفتم عليه) يعنى أوضعتم وهو سرعة السير (من خيل ولا ركاب)
يعنى الابل التى تحمل القوم وذلك أن بنى النضير لما تركوا رباعهم وضياعهم طلب
المسلمون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقسمها بينهم كما فعل بغنائم خيبر فبين الله
تعالى فى هذه الآية انها لم يوجف المسلمون عليها خيلا ولا ركابا ولم يقطعوا اليها شقة ولا
نالوا مشقة وانما كانوا يعنى بنى النضير على ميلين من المدينة فمشوا اليها مشيا ولم يركب
الا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على جمل (ولكن الله يسلط رسله على من يشاء) من
أعدائه (والله على كل شئ قدير) أى فهى له خاصة يضعها حيث يشاء فقسمها رسول الله
صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيأ الا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة
وهم أبو دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة (ق) عن مالك بن أوس
النضرى ان عمر دعاه اذ جاء حاجبه يرفأ فقال هل لك يا أمير المؤمنين فى عثمان وعبد الرحمن
ابن عوف والزبير وسعد يستاذنون قال نعم فادخلهم فلبث قليلا ثم جاء يرفأ فقال هل لك فى
عباس وعلى يستاذنان قال نعم فاذن لهما فلما دخلا قال العباس يا أمير المؤمنين اقض بينى
وبين هذا فقال القوم أجل يا أمير المؤمنين اقض بينهما وارح أحدهما من الآخر فقال

(وليخزى الفاسقين) وليذل
اليهود ويغيظهم اذن فى قطعها
(وما أفاء الله على رسوله) جعله
فيأ له خاصة (منهم) من بنى
النضير (فما أوجفتم عليه من
خيل ولا ركاب) فلم يكن ذلك
بايجاف خيل أو ركاب منكم
على ذلك والركاب الابل والمعنى
فما أوجفتم على تحصيله
وتغنيمه خيلا ولا ركابا ولا
تعبتم فى القتال عليه وانما
مشيتم اليه على أرجلكم لانه على
ميلين من المدينة وكان صلى
الله عليه وسلم على حمار فحسب
(ولكن الله يسلط رسله على من
يشاء) يعنى ان ما خول الله رسوله
من أموال بنى النضير شئ لم تحصلوه
بالقتال والغلبة ولكن سلطه
الله عليهم وعلى ما فى أيديهم كما
كان يسلط رسله على أعدائهم
فالامر فيه مفوض اليه يضعه
حيث يشاء ولا يقسمه قسمة
الغنائم التى قوتل عليها وأخذت
عنوة وقهرا فقسمها بين
المهاجرين ولم يعط الانصار الا
ثلاثة منهم لفقرهم (والله على
كل شئ قدير)

مالك بن اوس يخيل الى انهم قد كانوا قدموهم لذلك فقال عمر اتئدوا أنشدكم بالله الذى باذنه تقوم السماء والارض هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لانورث ماتركنا صدقة يريد بذلك نفسه قالوا نعم ثم أقبل عمر على العباس وعلى وقال أنشدكما بالله الذى باذنه تقوم السماء والارض أتعلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لانورث ماتركنا صدقة قالا نعم قال عمر ان الله خص رسوله صلى الله عليه وسلم بخاصة لم يخصص بها أحدا غيره فقال وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولاركاب الآية قال فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم بينكم أموال بنى النضير فوالله مااستأثرها عليكم ولا أخذها دونكم فقد أعطاكموها وقسمها فيكم حتى بقى هذا المال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ منه نفقة سنة ثم مابقى يجعله مجعل مال الله فعمل بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حياته ثم أنشدكم بالله الذى باذنه تقوم السماء والارض أتعلمون ذلك قالوا نعم قال ثم نشد عباسا وعليا بمثل مانشد القوم أتعلمان ذلك قالا نعم قال فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر أنا ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبضه أبو بكر فعمل فيه بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم حينئذ و اقبل على على وعباس وقال تذكران أن أبا بكر عمل فيه كما تقولان والله يعلم انه لصادق بار راشد تابع للحق ثم توفى الله أبا بكر فقلت أنا ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر فقبضته سنتين من امارتى أعمل فيه بما عمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر والله يعلم انى فيه لصادق بار راشد تابع للحق ثم جئتمانى كلاكما وكلمتكما واحدة وأمركما جميع فقلت لكما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لانورث ماتركنا صدقة فلما بدالى أن ادفعه اليكما قلت ان شئتما دفعته اليكما على ان عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيه بما عمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وما عملت فيه منذ وليت والا فلا تكلمانى فقلتما ادفعه الينا بذلك فدفعته اليكما أفتلتمسان منى قضاء غير ذلك فوالله الذى باذنه تقوم السماء والارض لاأقضى فيه بقضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة فان عجزتما عنه فادفعاه الى فانى اكفيكماه قوله تعالى (ماأفاء الله على رسوله من أهل القرى) يعنى من أموال كفار أهل القرى قال ابن عباس هى قريظة والنضير وفدك وخيبر وقرى عرينة (فلله وللرسول ولذى القربى) يعنى بنى هاشم وبنى المطلب (واليتامى والمساكين وابن السبيل) قد تقدم تفسيره فى سورة الانفال فى حكم الغنيمة وقسمتها وأما حكم الفىء فانه لرسول الله صلى الله عليه وسلم مدة حياته يضعه حيث يشاء فكان ينفق على أهله منه نفقة سنتهم ويجعل مابقى مجعل مال الله فى الكراع والسلاح عدة فى سبيل الله واختلف العلماء فى مصرف الفىء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم هو للائمة بعده وللشافعى فيه قولان أحدهما انه للمقاتلة والثانى هو لمصالح المسلمين ويبدأ بالمقاتلة ثم بالاهم فالاهم من المصالح واختلفوا فى تخميس مال الفىء فذهب قوم الى انه يخمس فخمس لاهل خمس الغنيمة وأربعة للمقاتلة أو للمصالح وذهب الاكثرون الى انه لايخمس بل مصرف جميعه واحد ولجميع المسلمين فيه حق قرأ عمر بن الخطاب ماأفاء الله على رسوله من أهل القرى حتى بلغ للفقراء المهاجرين الى قوله والذين

ماأفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) وانما لم يدخل العاطف على هذه الجملة لانها بيان للاولى فهى منها غير أجنبية عنها بين لرسول الله صلى الله عليه وسلم مايصنع بما أفاء الله عليه وأمره ان يضعه حيث يضع الخمس من الغنائم مقسوما على الاقسام الخمسة وزيف هذا القول بعض المفسرين وقال الآية الاولى نزلت فى أموال بنى النضير وقد جعلها الله لرسوله خاصة وهذه الآية فى غنائم كل قرية تؤخذ بقوة الغزاة وفى الآية بيان مصرف خمسها فهى مبتدأة

جاؤا من بعدهم ثم قال هذه استوعبت المسلمين عامة قال وما على وجه الارض مسلم الا وله
في هذا الفيء حق الا ما ملكت ايمانكم (كيلا يكون) الفيء (دولة) والدولة اسم الشيء
الذي يتداوله القوم بينهم (بين الاغنياء منكم) يعني بين الرؤساء والاقوياء فيغلبوا عليه
الفقراء والضعفاء وذلك ان أهل الجاهلية كانوا اذا غنموا غنيمة أخذ الرئيس ربعها
لنفسه وهو المرباع ثم يصطفي بعده ما شاء فجعله الله لرسوله صلى الله عليه وسلم يقسمه
فيما أمر به (وما آتاكم الرسول فخذوه) أي من مال الفيء والغنيمة (وما نهاكم عنه) أي
من الغلول وغيره (فانتهوا) وهذا نازل في أموال الفيء وهو عام في كل ما أمر به النبي صلى
الله عليه وسلم أو نهى عنه من قول او عمل من واجب او مندوب او مستحب او نهى عن
محرم فيدخل فيه الفيء وغيره (ق) عن عبد الله بن مسعود انه قال لعن الله الواشمات
والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله فبلغ ذلك امرأة من بني
أسد يقال لها أم يعقوب وكانت تقرأ القرآن فأتته فقالت ما حديث بلغني عنك انك
قلت كذا وكذا وذكرته فقال عبد الله ومالي لا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو في كتاب الله تعالى فقالت المرأة لقد قرأت لوحي المصحف فما وجدته فقال
ان كنت قرأته لقد وجدته قال الله عز وجل وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه
فانتهوا الوشم هو غرز العضو من الانسان بالابرة ثم يحشى بكحل والمستوشمة هي
التي تطلب ان يفعل بها ذلك والنامصة هي التي تنتف الشعر من الوجه والمتفلجة هي
التي تتكلف تفريج ما بين ثناياها بصناعة وقيل هي التي تتفلج في مشيتها فكل ذلك
منهي عنه (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد وفي رواية من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد * عن
أبي رافع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه أمر
مما أمرت به او نهيت عنه فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه أخرجه أبو داود
والترمذي وقال هذا حديث حسن الاريكة كل ما اتكئ عليه من سرير أو فراش
او منصة او نحو ذلك (واتقوا الله) أي في أمر الفيء (ان الله شديد العقاب) أي على ترك
ما أمركم به رسول الله صلى الله عليه وسلم او نهاكم عنه ثم بين من له الحق في الفيء فقال
عز وجل (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم) يعني ألجأهم كفار
مكة الى الخروج (يبتغون فضلا من الله) اي رزقا وقيل ثوابا من الله (ورضوانا) اي
خرجوا من ديارهم طلبا لرضا الله عز وجل (وينصرون الله ورسوله) اي بأنفسهم
وأموالهم والمراد بنصر الله نصر دينه واعلاء كلمته (أولئك هم الصادقون) اي في
ايمانهم قال قتادة هم المهاجرون الذين تركوا الديار والاموال والعشائر وخرجوا
حبا لله ولرسوله واختاروا الاسلام على ما كانوا فيه من شدة حتى ذكر لنا ان الرجل كان
يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ماله
دثار غيرها (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان فقراء المهاجرين يسبقون الاغنياء يوم القيامة الى الجنة

ومعنى قوله كيلا يكون دولة
(بين الاغنياء منكم) لئلا يكون
الفيء الذي حقه ان يعطى
الفقراء ليكون لهم بلغة يعيشون
بها جدا بين الاغنياء يتكاثرون
به (وما آتاكم الرسول) اي ما
أعطاكم من قسمة غنيمة او فيء
(فخذوه) فاقبلوه (وما نهاكم
عنه) عن أخذه (فانتهوا) عنه
ولا تطلبوه (واتقوا الله) أن
تخالفوه وتتهاونوا بأوامره
ونواهيه (ان الله شديد
العقاب) لمن خالف رسول الله
صلى الله عليه وسلم والاجود
ان يكون عاما في كل ما آتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونهى عنه وأمر الفيء داخل في
عمومه (للفقراء) بدل من قوله
ولذي القربى والمعطوف عليه
والذي منع الابدال من لله
وللرسول وان كان المعنى لرسول
الله أن الله عز وجل أخرج رسوله
من الفقراء في قوله وينصرون الله
ورسوله وانه يترفع برسول
الله عن التسمية بالفقير وان
الابدال على ظاهر اللفظ من
خلاف الواجب في تعظيم الله
عز وجل (المهاجرين الذين
أخرجوا من ديارهم وأموالهم)
بمكة وفيه دليل على ان الكفار
يملكون بالاستيلاء أموال المسلمين
لان الله تعالى سمى المهاجرين فقراء
مع انه كانت لهم ديار وأموال
(يبتغون) حال (فضلا من الله
ورضوانا) أي يطلبون الجنة
ورضوان الله (وينصرون الله ورسوله) أي ينصرون دين الله ويعينون رسوله (أولئك هم الصادقون)

في ايمانهم وجهادهم (والذين) معطوف على المهاجرين وهم الانصار (تبوؤا الدار) توطنوا المدينة (والايمان) وأخلصوا
الايمان كقوله * علفتها تبنا وماء باردا * أو وجعلوا الايمان مستقرا ومتوطنا لهم لتمكنهم
واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك أو أراد دار الهجرة ودار الايمان فاقام لام التعريف في الدار مقام المضاف اليه وحذف المضاف من دار الايمان ووضع المضاف اليه مقامه (من قبلهم) من قبل المهاجرين لانهم سبقوهم في تبوئ دار الدنيا والايمان وقيل من قبل هجرتهم (يحبون من هاجر اليهم) حتى شاطروهم أموالهم وأنزلوهم منازلهم ونزل من كانت له امرأتان عن احداهما حتى تزوج بها رجل من المهاجرين (ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا) ولا يعلمون في أنفسهم طلب محتاج اليه مما أوتي المهاجرون من الفيء وغيره والمحتاج اليه يسمى حاجة يعني ان نفوسهم لم تتبع ما أعطوا ولم تطمح الى شيء منه تحتاج اليه وقيل حاجة حسدا مما أعطي المهاجرون من الفيء حيث خصهم النبي صلى الله عليه وسلم به وقيل لا يجدون في صدورهم مس حاجة من فقد ما أوتوا فحذف المضافان (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) فقر وأصلها خصاص البيت وهي فروجه والجملة في موضع الحال أي مفروضة خصاصتهم روي أنه نزل برجل منهم ضيف فنوم الصبية
وقرب الطعام واطفأ المصباح ليشبع ضيفه ولا يأكل هو وعن أنس أهدي لبعضهم رأس مشوي وهو مجهود فوجهه الى جاره
فتداولته تسعة أنفس حتى عاد الى الاول أبو يزيد قال لي شاب من أهل بلخ ما الزهد عندكم قلت اذا وجدنا أكلنا واذا فقدنا

نار بعين خريفا وعن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا صعاليك
المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك
خمسمائة سنة أخرجه أبو داود قوله عز وجل (والذين تبوؤا الدار والايمان) يعني
الانصار توطنوا الدار وهي المدينة واتخذوها سكنا (من قبلهم) يعني انهم أسلموا في
ديارهم وآثروا الايمان وابتنوا المساجد قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين
والمعنى والذين تبوؤا الدار من قبل المهاجرين وقد آمنوا لان الايمان ليس بمكان
يتبوأ (يحبون من هاجر اليهم) وذلك انهم أنزلوا المهاجرين في منازلهم وأشركوهم في
أموالهم (ولا يجدون في صدورهم حاجة) أي حزازة وغيظا وحسدا (مما أوتوا) أي
أعطي المهاجرون من الفيء دونهم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بني
النضير بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيأ الا ثلاثة فطابت أنفس الانصار بذلك
(ويؤثرون على أنفسهم) أي ويؤثر الانصار المهاجرين باموالهم ومنازلهم على
أنفسهم (ولو كان بهم خصاصة) أي فاقة وحاجة الى ما يؤثرون به (ق) عن أبي هريرة
رضي الله تعالى عنه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني مجهود
فأرسل الى بعض نسائه فقالت والذي بعثك بالحق ما عندي الا الماء ثم أرسل به الى
أخرى فقالت مثل ذلك وقلن كلهن مثل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
يضيفه يرحمه الله فقام رجل من الانصار يقال له أبو طلحة فقال أنا يا رسول الله فانطلق به
الى رحله فقال لامرأته هل عندك شيء قالت لا الا قوت صبياني قال فعلليهم بشيء ونوميهم
فاذا دخل ضيفنا فاريه انا نأكل فاذا أهوى بيده ليأكل فقومي الى السراج كي تصلحيه
فاطفئيه ففعلت فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاويين فلما أصبح غدا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله أو ضحك الله من فلان
وفلانة زاد في رواية فأنزل الله ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (ق) عن أبي
هريرة قال قالت الانصار للنبي صلى الله عليه وسلم اقسم بيننا وبين اخواننا النخيل قال لا
فقالوا أتكفونا المؤنة ونشرككم في الثمر قالوا سمعنا وأطعنا (خ) عن أنس بن مالك رضي
الله عنه قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار الى ان يقطع لهم البحرين
فقالوا لا الا ان تقطع لاخواننا من المهاجرين مثلها فقال اما لا فاصبروا حتى تلقوني على
الحوض فانه سيصيبكم أثرة بعدي وفي رواية ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني
على الحوض الاثرة بفتح الهمزة والثاء والراء وضبطه بعضهم بضم الهمزة واسكان الثاء
والاول أشهر ومعناه الاستئثار وهو ان يستأثر عليكم بامور الدنيا ويفضل غيركم عليكم
ولا يجعل لكم في الامر نصيب وقيل هو من آثر اذا أعطى أراد انه يستأثر عليكم غيركم
فيفضل في نصيبه من الفيء والاستئثار الانفراد بالشيء وقيل الاثرة الشدة والاول أظهر
وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النضير للانصار ان شئتم قسمتم
للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركونهم في هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم

صبرنا فقال هكذا عندنا كلاب بلخ بل اذا فقدنا صبرنا واذا وجدنا آثرنا (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) الظافرون بما أرادوا والشح اللؤم وان تكون نفس الرجل كزة حريصة على المنع وأما البخل فهو المنع نفسه وقيل الشح أكل مال أخيك ظلما والبخل منع مالك وعن كسرى الشح أضر من الفقر لان الفقير يتسع اذا وجد بخلاف الشحيح (والذين جاؤا من بعدهم) عطف أيضا على المهاجرين وهم الذين هاجروا من بعد وقيل التابعون باحسان وقيل من بعدهم الى يوم القيامة قال عمر رضى الله عنه دخل فى هذا الفىء كل من هو مولود الى يوم القيامة فى الاسلام فجعل الواو للعطف فيهما وقرئ للذين فيهما (يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) قيل هم المهاجرون والانصار عائشة رضى الله عنها أمروا بان يستغفروا لهم فسبوهم (ولا تجعل فى قلوبنا غلا) حقدا (للذين آمنوا) يعنى الصحابة (ربنا انك رؤف رحيم) وقيل لسعيد بن المسيب ما تقول فى عثمان وطلحة والزبير قال أقول ما قولنيه الله وتلا هذه الآية ثم عجب نبيه بقوله

أموالكم ودياركم ولم نقسم لكم شيأ من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فانزل الله عز وجل ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون والشح فى كلام العرب البخل مع الحرص وقد فرق بعض العلماء بين البخل والشح فقال البخل نفس المنع والشح الحالة النفسانية التى تقتضى ذلك المنع ولما كان الشح من صفات النفس لا جرم قال الله تعالى (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) أى الفائزون بما أرادوا وروى أن رجلا قال لابن مسعود انى أخاف ان أكون قد هلكت قال وما ذاك قال انى أسمع الله يقول ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وأنا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدى شئ فقال عبد الله ليس ذلك بالشح الذى ذكر الله فى القرآن ولكن الشح ان تأكل مال أخيك ظلما ولكن ذلك البخل وبئس الشئ البخل وقال ابن عمر ليس الشح أن يمنع الرجل ماله انما الشح ان تطمع عين الرجل فيما ليس له وقيل الشح هو الحرص الشديد الذى يحمل صاحبه على ارتكاب المحارم وقيل من لم يأخذ شيأ نهاه الله عن أخذه ولم يمنع شيأ أمره الله باعطائه فقد وقاه الله شح نفسه (م) عن جابر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم * عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شر ما فى الرجل شح هالع وجبن خالع أخرجه أبو داود الهلع أشد الجزع والمراد منه ان الشحيح يجزع جزعا شديدا ويحزن على شئ يفوته أو يخرج من يده والخالع الذى خلع فؤاده لشدة خوفه وفزعه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى جوف عبد ابدا ولا يجتمع الشح والايمان فى قلب عبد ابدا أخرجه النسائى قوله تعالى (والذين جاؤا من بعدهم) يعنى من بعد المهاجرين والانصار وهم التابعون لهم الى يوم القيامة (يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) اخبر انهم يدعون لانفسهم بالمغفرة ولاخوانهم الذين سبقوهم بالايمان (ولا تجعل فى قلوبنا غلا) أى غشا وحسدا وبغضا (للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم) فكل من كان فى قلبه غل أو بغض لاحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يترحم على جميعهم فانه ليس ممن عناه الله بهذه الآية لان الله تعالى رتب المؤمنين على ثلاث منازل المهاجرون ثم من بعدهم الانصار ثم من بعدهم التابعون الموصوفون بما ذكر فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجا من أقسام المؤمنين وليس له فى المسلمين نصيب وقال ابن أبى ليلى الناس على ثلاثة منازل الفقراء المهاجرون والذين تبوؤا الدار والايمان والذين جاؤا من بعدهم فاجتهد ان لا تكون خارجا من هذه الثلاث منازل (ق) عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابى فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه (م) عن عروة بن الزبير قال قالت عائشة يا ابن أختى أمروا أن يستغفروا لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبوهم عن عبد الله بن مغفل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول

(ألم تر إلى الذين نافقوا) أي ألم تر يا محمد إلى عبد الله بن أبي وأشياعه (يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب) يعني بني النضير والمراد أخوة الكفر (لئن أخرجتم) من دياركم (لنخرجن معكم) روي أن ابن أبي وأصحابه دسوا إلى بني

يقول الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه أخرجه الترمذي وقال مالك بن أنس من انتقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كان في قلبه غل عليهم فليس له حق في فيء المسلمين ثم تلا هذه الآية ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى إلى والذين جاؤوا من بعدهم إلى رؤوف رحيم وقال مالك بن مغول قال الشعبي يا مالك تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة سئلت اليهود من خير أهل ملتكم قالوا أصحاب موسى وسئلت النصارى من خير أهل ملتكم قالوا حواري عيسى وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم فقالوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أمروا أن يستغفروا لهم فسبوهم والسيف مسلول عليهم إلى يوم القيامة لا تقوم لهم راية ولا يثبت لهم قدم ولا تجتمع لهم كلمة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله بسفك دمائهم وتفريق شملهم وإدحاض حجتهم أعاذنا الله وإياكم من الأهواء المضلة * وروي عن جابر قال قيل لعائشة إن ناسا يتناولون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أبا بكر وعمر فقالت وما تعجبون من هذا انقطع عنهم العمل فأحب الله أن لا يقطع عنهم الأجر وروي أن ابن عباس سمع رجلا ينال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أمن المهاجرين الأولين أنت قال لا قال فمن الأنصار أنت قال لا قال فأنا أشهد بأنك لست من التابعين لهم بإحسان قوله عز وجل (ألم تر إلى الذين نافقوا) يعني أظهروا خلاف ما أضمروا وهم عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه (يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب) يعني اليهود من بني قريظة وبني النضير وإنما جعل المنافقين إخوانهم لأنهم كفار مثلهم (لئن أخرجتم) أي من المدينة (لنخرجن معكم) أي منها (ولا نطيع فيكم أحدا أبدا) يعني إن سألنا أحد خلافكم وخذلانكم فلا نطيعه فيكم (وإن قوتلتم لننصرنكم) أي لنعيننكم ولنقاتلن معكم (والله يشهد إنهم) يعني المنافقين (لكاذبون) أي فيما قالوا ووعدوا ثم أخبر الله عن حال المنافقين فقال تعالى (لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم) وكان الأمر كذلك فإنهم أخرجوا ولم يخرج المنافقون معهم وقوتلوا فلم ينصروهم (ولئن نصروهم ليولن الأدبار) يعني لو قدروا نصرهم أو لو قصدوا نصر اليهود لولوا الأدبار منهزمين (ثم لا ينصرون) يعني بني النضير لا يصيرون منصورين إذا انهزم ناصروهم (لأنتم) يعني يا معشر المسلمين (أشد رهبة في صدورهم من الله) أصل الرهبة والرهب الخوف الشديد مع حزن واضطراب والمعنى أنهم يرهبونكم ويخافون منكم أشد من رهبتهم من الله (ذلك) أي الخوف منكم (بأنهم قوم لا يفقهون) يعني عظمة الله تعالى (لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة) أي لا يبرزون لقتالكم إنما يقاتلونكم متحصنين بالقرى والجدران وهو قوله تعالى (أو من وراء جدار) وقرئ جدر

النضير حين حاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم لا تخرجوا من الحصن فإن قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن أخرجتم لنخرجن معكم (ولا نطيع فيكم) في قتالكم (أحدا أبدا) من رسول الله والمسلمين إن حملنا عليه أو في خذلانكم وإخلاف ما وعدناكم من النصرة (وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون) في مواعيدهم لليهود وفيه دليل على صحة النبوة لأنه إخبار بالغيب (لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون) وإنما قال ولئن نصروهم بعد الإخبار بأنهم لا ينصرون على الفرض والتقدير كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك وكما يعلم ما يكون فهو يعلم ما لا يكون لو كان كيف يكون والمعنى ولئن نصر المنافقون اليهود لينهزمن المنافقون ثم لا ينصرون بعد ذلك أي يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم أو لينهزمن اليهود ثم لا تنفعهم نصرة المنافقين (لأنتم أشد رهبة) أي أشد مرهوبية مصدر رهب المبني للمفعول وقوله (في صدورهم) دلالة على نفاقهم يعني أنهم يظهرون لكم في العلانية خوف الله وأنتم أهيب في صدورهم (من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) لا يعلمون الله وعظمته حتى يخشوه حق خشيته (لا يقاتلونكم) لا يقدرون على مقاتلتكم (جميعا) مجتمعين يعني اليهود والمنافقين (إلا) كائنين (في قرى محصنة) بالخنادق والدروب (أو من وراء جدر) جدار مكي وأبو عمرو

(باسهم بينهم شديد) أى بعضهم فظ على بعض أو عداوة بعضهم بعضا شديدة وقيل باسهم فيما بينهم من وراء الحيطان والحصون شديد فاذا خرجوا اليكم فهم أجبن خلق الله (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) أى متفرقة مختلفة قال قتادة أهل الباطل مختلفة أهواؤهم مختلفة أعمالهم مختلفة شهاداتهم وهم مجتمعون فى عداوة أهل الحق وقيل أراد ان دين المنافقين وآراءهم يخالف دين اليهود وآراءهم (ذلك بانهم قوم لا يعقلون) ثم ضرب لليهود مثلا فقال تعالى (كمثل الذين من قبلهم قريبا) يعنى مشركى مكة (ذاقوا وبال أمرهم) يعنى القتل ببدر وكان ذلك قبل غزوة بنى النضير وقال ابن عباس كمثل الذين من قبلهم يعنى بنى قينقاع وقيل مثل قريظة كمثل بنى النضير وكان بينهما سنتان (ولهم عذاب أليم) اى فى الآخرة ثم ضرب مثلا آخر للمنافقين واليهود جميعا فى تخاذلهم وتخلى بعضهم عن بعض فقال تعالى (كمثل الشيطان) اى مثل المنافقين مع بنى النضير وخذلانهم اياهم كمثل الشيطان (اذ قال للانسان اكفر) وذلك ما روى عن عطاء وغيره عن ابن عباس قال كان راهب فى الفترة يقال له برصيصا تعبد فى صومعة له سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين وان ابليس اعياه فى أمره الحيل فجمع ذات يوم مردة الشياطين وقال ألا أحد منكم يكفينى أمر برصيصا فقال الابيض وهو صاحب الانبياء وهو الذى تصدى للنبى صلى الله عليه وسلم وجاءه فى صورة جبريل ليوسوس اليه على وجه الوحى فلحقه جبريل عليه السلام فدفعه الى أقصى أرض الهند لا بلدس انا اكفيك أمره فانطلق فتزين بزينة الرهبان وحلق وسط رأسه وأتى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه وكان لا ينفتل عن صلاته الا فى كل عشرة أيام ولا يفطر الا فى كل عشرة أيام مرة فلما رأى الابيض انه لا يجيبه أقبل على العبادة فى أصل الصومعة فلما انفتل برصيصا من صلاته اطلع من صومعته فرأى الابيض قائما يصلى فى هيئة حسنة على هيئة الرهبان فلما رأى ذلك من حاله ندم فى نفسه أى لام نفسه حين لم يجبه فقال له انك ناديتنى وكنت مشتغلا عنك فما حاجتك قال الابيض حاجتى أنى جئت لاكون معك فاتادب بادبك واقتبس من عملك ونجتمع على العبادة فتدعو لى وأدعو لك قال برصيصا انى لفى شغل عنك فان كنت مؤمنا فان الله سيجعل لك فيما للمؤمنين نصيبا ان استجاب لى ثم أقبل على صلاته وترك الابيض واقبل الابيض يصلى فلم يلتفت اليه برصيصا أربعين يوما فلما انفتل بعدها رآه قائما يصلى فلما رأى برصيصا شدة اجتهاد الابيض قال له ما حاجتك قال حاجتى ان تاذن لى فارتفع اليك فاذن له فارتفع اليه فى صومعته فاقام حولا يتعبد لا يفطر الا فى كل أربعين يوما مرة ولا ينفتل عن صلاته الا كذلك وربما مد الى الثمانين فلما رأى برصيصا اجتهاده تقاصرت اليه نفسه واعجبه شان الابيض فلما حال الحول قال الابيض لبرصيصا انى منطلق فان لى صاحبا غيرك ظننت انك اشد اجتهادا مما رأيت وكان يبلغنا عنك غير الذى رأيت فدخل من ذلك على برصيصا أمر شديد وكره مفارقته لما رأى من كثرة اجتهاده ولما ودعه الابيض قال له ان عندى دعوات اعلمكها تدعو بهن فهو خير لك مما انت فيه يشفى الله بها

(باسهم بينهم شديد) يعنى ان البأس الشديد الذى يوصفون به انما هو بينهم اذا اقتتلوا ولو قاتلوكم لم يبق لهم ذلك البأس والشدة لان الشجاع يجبن عند محاربة الله ورسوله (تحسبهم) أى اليهود والمنافقين (جميعا) مجتمعين ذوى ألفة واتحاد (وقلوبهم شتى) متفرقة لا ألفة بينها يعنى ان بينهم احنا وعداوات فلا يتعاضدون حق التعاضد وهذا تحسير للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم على قتالهم (ذلك) التفرق (بانهم قوم لا يعقلون) أن تشتت القلوب مما يوهن قواهم ويعين على أرواحهم (كمثل الذين من قبلهم) أى مثلهم كمثل أهل بدر فحذف المبتدأ (قريبا) أى استقروا من قبلهم زمنا قريبا (ذاقوا وبال أمرهم) سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم كلأ وبيل وخيم سيئ العاقبة يعنى ذاقوا عذاب القتل فى الدنيا (ولهم عذاب أليم) أى ولهم مع ذلك فى الآخرة عذاب النار (كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر

السقيم ويعافى بها المبتلى والمجنون قال برصيصا أنا أكره هذه المنزلة لان لى فى نفسى شغلا وانى أخاف ان علم الناس شغلونى عن العبادة فلم يزل به الابيض حتى علمه ثم انطلق حتى أتى ابليس فقال قد والله أهلكت الرجل قال فانطلق الابيض فتعرض لرجل فخنقه ثم جاء فى صورة رجل متطبب فقال لاهله ان بصاحبكم جنونا أفأعالجه قالوا نعم فعالجه فلم يفد فقال لهم انى لا أقوى على جنته ولكن سأرشدكم الى من يدعو الله فيعافيه انطلقوا الى برصيصا فان عنده الاسم الذى اذا دعا به أجيب قال فانطلقوا اليه فسألوه ذلك فدعا بتلك الكلمات فذهب عنه الشيطان فكان الابيض يفعل ذلك بالناس ويرشدهم الى برصيصا فيدعو لهم فيعافون فانطلق الابيض فتعرض لجارية من بنات ملوك بنى اسرائيل ولها ثلاثة اخوة وكان أبوهم هو الملك فلما مات استخلف أخاه فكان عم تلك الجارية ملك بنى اسرائيل فخنقها وعذبها ثم جاء اليهم كما كان يأتى الناس فى صورة متطبب فقال لهم أعالجها قالوا نعم فقال ان الذى عرض لها مارد لا يطاق ولكن سأرشدكم الى من تثقون به تدعونها عنده فاذا جاء شيطانها دعا لها فاذا علمتم انها قد عوفيت تردونها صحيحة قالوا ومن هو قال برصيصا قالوا وكيف لنا ان يجيبنا الى هذا وهو أعظم شأنا من ذلك قال فانطلقوا فابنوا صومعة الى جنب صومعته حتى تشرف عليه فان قبلها والا فضعوها فى صومعتها وقولوا له هذه أمانة عندك فاحتسب أمانتك قال فانطلقوا فسألوه ذلك فأبى عليهم فبنوا صومعة على ما أمرهم الابيض ثم انطلقوا فوضعوا الجارية فى صومعتها وقالوا يا برصيصا هذه أختنا أمانة عندك فاحتسب فيها ثم انصرفوا فلما انفتل برصيصا عن صلاته حتى عاين الجارية وما هى عليه من الجمال فوقعت فى قلبه ودخل عليه أمر عظيم فجاءها الشيطان فخنقها فدعا برصيصا بتلك الدعوات فذهب الشيطان عنها ثم أقبل برصيصا على صلاته فجاءها الشيطان فخنقها فكانت تكشف عن نفسها وتتعرض لبرصيصا فجاءه الشيطان وقال له ويحك واقعها فلم تجد مثلها وستتوب بعد ذلك فتدرك ما تريد من الامر فلم يزل به حتى واقعها فلم يزل كذلك يأتيها حتى حملت وظهر حملها فقال له الشيطان ويحك يا برصيصا قد افتضحت فهل لك أن تقتلها وتتوب فان سألوك فقل ذهب بها شيطانها فلم أقف عليه فقتلها ثم انطلق بها فدفنها الى جانب الجبل فجاء الشيطان وهو يدفنها بالليل فأخذ بطرف ازارها فبقى خارجا من التراب ثم رجع برصيصا الى صومعته وأقبل على صلاته اذ جاء اخوتها يتعاهدون أختهم وكانوا يجيئون فى بعض الايام يسئلون عنها ويوصونه بها فقالوا يا برصيصا ما فعلت اختنا قال قد جاء شيطانها فذهب بها ولم أطقه فصدقوه وانصرفوا فلما أمسوا وهم مكروبون جاء الشيطان الى أكبرهم فى منامه فقال ويحك ان برصيصا فعل باختك كذا وكذا وانه دفنها فى موضع كذا وكذا فقال هذا حلم وهو من الشيطان ان برصيصا خير من ذلك فتتابع عليه ثلاث ليال فلم يكترث به فانطلق الشيطان الى أوسطهم فقال للاوسط مثل ما قال الاكبر ولم يخبر به أحدا فانطلق الى أصغرهم بمثل ذلك فقال الاصغر لاخويه والله لقد رأيت كذا وكذا فقال الاوسط انا والله قد رأيت مثله فقال الاكبر

وانا والله قد رأيت مثله فانطلقوا الى برصيصا فقالوا يا برصيصا مافعلت اختنا فقال
البس قد اعلمتكم بحالها فكأنكم قد اتهمتمونى فقالوا الا والله لا نتهمك واستحيوا منه
وانصرفوا فجاءهم الشيطان وقال ويحكم انها المدفونة فى موضع كذا وكذا وان طرف
ازارها خرج من التراب فانطلقوا فرأوا اختهم على مارأوه فى النوم فمشوا فى مواليهم
وغلمانهم معهم الفؤس والمساحى فهدموا صومعة برصيصا وانزلوه منها وكتفوه ثم
انطلقوا به للملك فاقر على نفسه وذلك ان الشيطان أتاه فوسوس له فقال له تقتلها ثم
تكابر يجتمع عليك أمران قتل ومكابرة اعترف فلما اعترف أمر الملك بقتله وصلبه على
خشبة فلما صلب أتاه الابيض فقال يا برصيصا أتعرفنى فقال لا قال انا صاحبك الذى
علمتك الدعوات وكنت اذا دعوت بهن يستجاب لك ويحك مااتقيت الله فى أمانتك
خنت أهلها وانك زعمت انك اعبد بنى اسرائيل اما استحييت فلم يزل يعيره ويعنفه حتى
قال فى آخر ذلك الم يكفك ماصنعت حتى أقررت على نفسك وفضحت أشباهك من الناس
وفضحت نفسك فان مت على هذه الحالة لن تفلح أبدا ولن يفلح أحد من نظرائك قال
فكيف اصنع قال تطيعنى فى خصلة واحدة حتى اخلصك مما أنت فيه فآخذ باعينهم
واخرجك من مكانك قال وماهى قال تسجد لى قال ما أستطيع افعل قال بطرفك افعل
فسجد له برصيصا فقال يا برصيصا هذا الذى أردت منك صارت عاقبة أمرك الى أن كفرت
بربك (فلما كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين) قال الله تعالى (فكان
عاقبتهما) يعنى الشيطان وذلك الانسان (أنهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين)
قال ابن عباس ضرب الله هذا المثل ليهود بنى النضير والمنافقين من أهل المدينة
وذلك ان الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم باجلاء بنى النضير فدس المنافقون الى
اليهود وقالوا لا تجيبوا محمدا الى مادعاكم ولا تخرجوا من دياركم فان قاتلكم فانا معكم وان
اخرجكم خرجنا معكم فاجابوهم ودربوا على حصونهم وتحصنوا فى ديارهم رجاء نصر
المنافقين فخذلوهم وتبرؤا منهم كما تبرأ الشيطان من برصيصا وخذله فكان عاقبة
الفريقين النار قال ابن عباس فكان الرهبان بعد ذلك لا يمشون فى بنى اسرائيل الا بالتقية
والكتمان وطمع أهل الفسق والفجور فى الاحبار ورموهم بالبهتان والقبيح حتى كان
من أمر جريج الراهب ما كان فلما برأه الله مما رموه من الزنا انبسطت الرهبان بعده
وظهروا للناس * وكانت قصة جريج على ماروى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى
صلى الله عليه وسلم قال لم يتكلم فى المهد الا ثلاثة عيسى بن مريم وصاحب جريج وكان
جريج رجلا صالحا عابدا فاتخذ صومعة فكان فيها فاتته أمه وهو يصلى فيها فقالت
ياجريج فقال يارب أمى وصلاتى فاقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد أتته
فقالت ياجريج فقال يارب امى وصلاتى فاقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد أتته
فقالت ياجريج فقال يارب امى وصلاتى فأقبل على صلاته فقالت اللهم لا تمته حتى ينظر
فى وجوه المومسات فتذاكر بنو اسرائيل جريجا وعبادته وكانت امرأة بغى يتمثل بحسنها
معهم فقالت ان شئتم لافتننه لكم قال فتعرضت له فلم يلتفت اليها فاتت راعيا كان

فلما كفر قال انى برىء منك
انى أخاف الله رب العالمين)
أى مثل المنافقين فى اغرائهم
اليهود على القتال ووعدهم
اياهم النصر ثم متاركتهم لهم
واخلافهم كمثل الشيطان
اذا استغوى الانسان بكيده ثم
تبرأ منه فى العاقبة وقيل المراد
استغواؤه قريشا يوم بدر وقوله
لهم لا غالب لكم اليوم من
الناس وانى جار لكم الى قوله
انى برىء منكم (فكان عاقبتهما
عاقبة الانسان الكافر
والشيطان (أنهما فى النار
خالدين فيها) عاقبتهما خبر كان
مقدم وأن مع اسمها وخبرها
أى فى النار فى موضع الرفع على
الاسم وخالدين حال (وذلك جزاء
الظالمين

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) فى أوامره فلا تخالفوها (ولتنظر نفس) نكر النفس تقليلا للانفس النواظر فيما قدمن للآخرة (ما قدمت لغد) يعنى يوم القيامة سماه باليوم الذى يلى يومك تقريبا له او عبر عن الآخرة بالغد كأن الدنيا والآخرة نهاران يوم وغد وتنكيره لتعظيم أمره أى لغد لا يعرف كنهه لعظمه وعن مالك بن دينار مكتوب على باب الجنة وجدنا ما عملنا ربحنا ما قدمنا خسرنا ما خلفنا (واتقوا الله) كرر الامر بالتقوى تأكيدا او اتقوا الله فى أداء الواجبات لانه قرن بما هو عمل واتقوا الله فى ترك المعاصى لانه قرن بما يجرى مجرى الوعيد وقوله (ان الله خبير بما تعملون) فيه تحريض على المراقبة لان من علم وقت فعله ان الله مطلع على ما يرتكب من الذنوب يمتنع عنه (ولا تكونوا كالذين نسوا الله) تركوا ذكر الله عز وجل وما أمرهم به (فانساهم أنفسهم) فتركهم من ذكره بالرحمة والتوفيق (أولئك هم الفاسقون) الخارجون عن طاعة الله (لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون) هذا تنبيه للناس وايذان بانهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم فى العاقبة وتهالكهم على ايثار العاجلة واتباع الشهوات كأنهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار والبون العظيم بين أصحابهما وان الفوز العظيم مع أصحاب الجنة والعذاب الاليم مع أصحاب النار فمن حقهم ان يعلموا ذلك وينبهوا عليه كما تقول لمن يعق أباه هو أبوك تجعله بمنزلة من لا يعرفه فتنبهه بذلك على حق الابوة الذى يقتضى البر والتعطف وقد استدلت الشافعية بهذه الآية على ان المسلم لا يقتل بالكافر وان الكافر لا يملك مال المسلم بالاستيلاء وقد أجبنا عن مثل هذا فى أصول الفقه والكافى

يأوى الى صومعته فأمكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت هو من جريج فاتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال ما شأنكم فقالوا زنيت بهذه البغى فولدت منك فقال أين الصبى فجاؤا به فقال دعونى حتى أصلى فصلى فلما انصرف أتى الصبى فطعن فى بطنه وقال يا غلام من أبوك قال فلان الراعى قال فاقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا انبنى لك صومعتك من ذهب قال أعيدوها من طين كما كانت ففعلوا وبينا صبى يرضع من أمه فمر رجل راكب على دابة فارهة ذو شارة حسنة فقالت امه اللهم اجعل ابنى مثل هذا فترك الثدى وأقبل عليه فنظر اليه فقال اللهم لا تجعلنى مثله ثم أقبل على ثديه فجعل يرضع قال فكأنى أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحكى ارتضاعه باصبعه السبابة فى فيه فجعل يمصها قال ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون زنيت وسرقت وهى تقول حسبى الله ونعم الوكيل فقالت أمه اللهم لا تجعل ابنى مثلها فترك الرضاع ونظر اليها فقال اللهم اجعلنى مثلها فهنالك تراجعا الحديث فقالت مر رجل حسن الهيئة فقلت اللهم اجعل ابنى مثله فقلت اللهم لا تجعلنى مثله ومروا بهذه الامة وهم يضربونها وهم يقولون زنت وسرقت فقلت اللهم لا تجعل ابنى مثلها فقلت اللهم اجعلنى مثلها فقال ان ذلك الرجل كان جبارا فقلت اللهم لا تجعلنى مثله وان هذه يقولون لها زنيت ولم تزن وسرقت ولم تسرق فقلت اللهم اجعلنى مثلها أخرجه مسلم بتمامه وهذا لفظه وأخرجه البخارى مفرقا حديث جريج تعليقا وحديث المرأة وابنها خاصة المومسات الزوانى جمع مومسة وهى المرأة الفاجرة والبغى الزانية أيضا وقوله يتمثل بحسنها أى يتعجب منه ويضرب به المثل وقوله ذو شارة حسنة أى صاحب جمال ظاهر فى الهيئة والملبس والمركب ونحو ذلك والجبار العاتى المتكبر القاهر للناس قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد) أى لينظر أحد كم أى شئ قدم لنفسه من الاعمال عملا صالحا ينجيه أم سيئا يوبقه والمراد بالغد يوم القيامة وقربه على الناس كأن يوم القيامة يأتى غدا وكل ما هو آت فهو قريب (واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) قيل كرر الامر بالتقوى تأكيدا وقيل معنى الاول اتقوا الله فى أداء الواجبات ومعنى الثانى واتقوا الله فلا تأتوا المنهيات (ولا تكونوا كالذين نسوا الله) أى تركوا أمر الله (فانساهم أنفسهم) أى انساهم حظوظ أنفسهم حتى لم يقدموا لها خيرا ينفعها عنده (أولئك هم الفاسقون لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون) لما أرشد المؤمنين الى ما يصلحهم بقوله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وهدد الكافرين بقوله نسوا الله فانساهم أنفسهم بين الفرق بين الفريقين بقوله لا يستوى أصحاب النار يعنى الذين هم فى

العذاب الدائم وأصحاب الجنة يعني الذين هم في النعيم المقيم ثم اتبعه بقوله أصحاب الجنة
هم الفائزون ومعلوم ان من جعل له النعيم المقيم فقد فاز فوزا عظيما قوله تعالى (لو أنزلنا
هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) قيل معناه انه لو جعل في
الجبل تمييزا وعقلا كما جعل فيكم وأنزل عليه القرآن لخشع أي تطأطأ وخضع وتشقق
وتصدع من خشية الله والمعنى ان الجبل مع صلابته ورزانته مشفق من خشية الله
وحذر من ان لا يؤدي حق الله تعالى في تعظيم القرآن والكافر مستخف بحقه معرض
عما فيه من العبر والاحكام كأنه لم يسمعها وصفه بقساوة القلب فهو غافل عما يتضمنه
القرآن من المواعظ والامثال والوعد والوعيد وتمييز الحق من الباطل والواجب مما
لا يجب باحسن بيان وأوضح برهان ومن وقف على هذا وفهمه أوجب له الخشوع
والخشية وهذا تمثيل لان الجبل لا يتصور منه الخشوع والخشية الا ان يخلق الله تعالى
له تمييزا وعقلا ويدل على انه تمثيل قوله تعالى (وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم
يتفكرون) أي الغرض من هذا التمثيل التنبيه على فساد قلوب هؤلاء الكفار وقساوتها
وغلظ طباعهم ولما وصف القرآن بالعظم اتبعه بوصف عظمته فقال تعالى (هو الله
الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة) يعني انه تعالى أعلم بما غاب عن العباد مما
لم يعاينوه ولم يعلموه وعلم ما شاهدوه وما علموه وقيل استوى في علمه تعالى السر والعلانية
والموجود والمعدوم وقيل علم حال الدنيا والآخرة (هو الرحمن الرحيم) اسمان مشتقان
اشتقاقهما من الرحمة وهما صفتان لله تعالى ومعناهما ذو الرحمة ورحمة الله ارادته
الخير والنعمة والاحسان الى خلقه وقيل ان الرحمن أشد مبالغة من الرحيم ولهذا قيل
هو رحمن الدنيا ورحيم الآخرة لان احسانه تعالى في الدنيا يعم المؤمن والكافر وفي الآخرة
يختص احسانه وانعامه بالمؤمنين (هو الله الذي لا اله الا هو الملك) أي المتصرف بالامر
والنهي في جميع خلقه المالك لهم فهم تحت ملكه وقهره وارادته (القدوس) أي الطاهر
عن كل عيب المنزه عما لا يليق به وقيل هو الذي كثرت بركته (السلام) أي الذي سلم
من النقائص وكل آفة تلحق الخلق فان قلت على هذا التفسير لا يبقى بين القدوس
والسلام فرق فيكون كالتكرار وذلك لا يليق بفصاحة القرآن قلت الفرق بينهما
أن القدوس اشارة الى براءته عن جميع العيوب والنقائص في الماضي والحاضر
والسلام اشارة الى انه لا يطرأ عليه شيء من العيوب والنقائص في المستقبل فان الذي
يطرأ عليه شيء من ذلك تزول سلامته ولا يبقى سليما وقيل السلام أي سلم خلقه من ظلمه
(المؤمن) قال ابن عباس هو الذي أمن الناس من ظلمه وأمن من آمن به من عذابه
وقيل هو المصدق لرسله باظهار المعجزات لهم والمصدق للمؤمنين بما وعدهم من الثواب
وبما أوعد الكافرين من العذاب (المهيمن) قال ابن عباس أي الشهيد على عباده
باعمالهم الذي لا يغيب عنه شيء وقيل هو القائم على خلقه برزقه وأنشد في معناه

الا ان خير الناس بعد نبيه * مهيمنه التاليه في العرف والنكر

أي القائم على الناس بعده وقيل هو الرقيب الحافظ وقيل هو المصدق وقيل هو القاضي
وقيل هو بمعنى الامين والمؤتمن وقيل بمعنى العلي ومنه قول العباس يمدح النبي صلى الله

(لو أنزلنا هذا القرآن على جبل
لرأيته خاشعا متصدعا من
خشية الله) أي من شأن القرآن
وعظمته انه لو جعل في الجبل
تمييز وأنزل عليه القرآن لخشع
أي لخضع وتطأطأ وتصدع أي
تشقق من خشية الله وجائز أن
يكون هذا تمثيلا كما في قوله انا
عرضنا الامانة ويدل عليه قوله
(وتلك الامثال نضربها للناس
لعلهم يتفكرون) وهي اشارة الى
هذا المثل والى أمثاله في مواضع
من التنزيل والمراد توبيخ الانسان
على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند
تلاوة القرآن وتدبر قوارعه
وزواجره ثم رد على من أشرك
وشبهه بخلقه فقال (هو الله الذي
لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة)
أي السر والعلانية أو الدنيا
والآخرة أو المعدوم والموجود
(هو الرحمن الرحيم هو الله الذي
لا اله الا هو الملك) الذي لا يزول
ملكه (القدوس) المنزه عن
القبائح وفي تسبيح الملائكة
سبوح قدوس رب الملائكة
والروح (السلام) الذي سلم
الخلق من ظلمه عن الزجاج
(المؤمن) واهب الامن وعن
الزجاج الذي أمن الخلق من
ظلمه أو المؤمن من عذابه من
أطاعه (المهيمن) الرقيب على
كل شيء الحافظ له مفيعل من
الامن الا ان همزته قلبت هاء

(العزيز) الغالب غير المغلوب (الجبار) العالي العظيم الذي يذل له من دونه أو العظيم الشان في القدرة والسلطان أو القهار ذو الجبروت (المتكبر) البليغ الكبرياء والعظمة (سبحان الله عما يشركون) نزه ذاته عما يصفه به المشركون (هو الله الخالق) المقدر لما يوجده (البارئ) الموجد (المصور) في الارحام (له الاسماء الحسنى) الدالة على الصفات العلا (يسبح له ما في السموات و الارض وهو العزيز الحكيم) ختم السورة بما بدأ به عن أبي هريرة رضي الله عنه سألت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاسم الاعظم فقال عليك بآخر الحشر فأكثر قراءته فاعدت عليه فاعاد على فاعدت عليه فاعاد على

عليه وسلم في أبيات منها

حتى احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء زانها النطق

وقيل المهيمن اسم من أسماء الله تعالى هو أعلم بتأويله وأنشدوا في معناه

جل المهيمن عن صفات عبيده * ولقد تعالى عن عقول أولي النهى

راموا بزعمهم صفات مليكهم * والوصف يعجز عن مليك لا يرى

(العزيز) أي الذي لا يوجد له نظير وقيل الغالب القاهر (الجبار) قال ابن عباس الجبار هو العظيم وجبروت الله عظمته فعلى هذا هو صفة ذات وقيل هو من الجبر يعني الذي يغني الفقير ويجبر الكسير فعلى هذا هو صفة فعل وهو سبحانه وتعالى كذلك يجبر كل كسير ويغني كل فقير وقيل هو الذي يجبر الخلق ويقهرهم على ما أراد وسئل بعضهم عن معنى الجبار فقال هو القهار الذي اذا أراد أمرا فعله لا يحجزه عنه حاجز وقيل الجبار هو الذي لا ينال ولا يداني والجبار في صفة الله تعالى صفة مدح وفي صفة الناس صفة ذم وكذلك (المتكبر) في صفة الناس صفة ذم لان المتكبر هو الذي يظهر من نفسه الكبر وذلك نقص في حقه لانه ليس له كبر ولا علو بل له الحقارة والذلة فاذا أظهر الكبر كان كذابا في فعله فكان مذموما في حق الناس وأما المتكبر في صفة الله تعالى فهو صفة مدح لان له جميع صفات العلو والعظمة ولهذا قال في آخر الآية (سبحان الله عما يشركون) كانه قيل ان بعض الخلق يتكبر فيكون ذلك نقصا في حقه أما الله تعالى فله العلو والعظمة والعزة والكبرياء فان أظهر ذلك كان ضم كمال الى كمال قال ابن عباس المتكبر هو الذي تكبر بربوبيته فلا شئ مثله وقيل هو الذي تكبر عن كل سوء وقيل هو المتعظم عما لا يليق بجماله وجلاله وقيل هو المتكبر عن ظلم عباده وقيل الكبر والكبرياء الامتناع وقيل هو ذو الكبرياء وهو الملك سبحان الله عما يشركون أي من ادعاء الكبر لانفسهم (هو الله الخالق) أي المقدر لما يوجده فهو سبحانه وتعالى قدر افعاله على وجوه مخصوصة فهو راجع الى الارادة وقيل المقدر لقلب الشئ بالتدبير الى غيره (البارئ) أي المخترع المنشئ للاعيان من العدم الى الوجود (المصور) أي الذي يخلق صورة الخلق على ما يريده وقيل معناه الممثل للمخلوقات بالعلامات التي يتميز بعضها عن بعض وقيل الخالق المبدئ للخلق المخترع له على غير مثال سبق البارئ المنشئ لما يريد خلقه فيظهره من العدم الى الوجود المصور لما خلقه وانشاه على صور مختلفة واشكال متباينة وقيل معنى التصوير التخطيط والتشكيل فاولا يكون خلقا ثم برأثم تصويرا وانما قدم الخالق على البارئ لان تأثير الارادة متقدم على تأثير القدرة وقدم البارئ على المصور لان ايجاد الذات مقدم على ايجاد الصفات (له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم) عن معقل بن يسار رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ الثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي فان مات في ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين

(ان يثقفوكم) أن يظفروا بكم و يتمكنوا منكم (يكونوا لكم أعداء) خالصي العداوة ولا يكونوا لكم أولياء كما أنتم (ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء) بالقتل والشتم (وودوا لو تكفرون) وتمنوا لو ترتدون عن دينكم فاذا موادة أمثالهم خطأ عظيم منكم والماضي وان كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع ففيه نكتة كانه قيل ودوا قبل كل شئ كفركم وارتدادكم يعني انهم يريدون أن يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين من قتل الانفس وتمزيق الاعراض وردكم كفارا اسبق المضار عندهم وأولها لعلمهم ان الدين أعز عليكم من أرواحكم لانكم بذالون لها دونه والعدو أهم شئ عنده ان يقصد أهم شئ عند صاحبه (لن تنفعكم أرحامكم) قراباتكم (ولا أولادكم) الذين توالون الكفار من أجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم ثم قال (يوم القيامة يفصل بينكم) وبين أقاربكم وأولادكم يوم يفر المرء من أخيه الآية فما لكم ترفضون حق الله مراعاة لحق من يفر منكم غدا يفصل عاصم يفصل حمزة وعلي والفاعل هو الله عز وجل يفصل ابن ذكوان غيرهم يفصل (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم على أعمالكم (قد كانت لكم اسوة) قدوة في التبري من الاهل (حسنة في ابراهيم) أي في أقواله ولهذا استثنى منها الا قول ابراهيم (والذين معه) من المؤمنين وقيل كانوا أنبياء (اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم) جمع بريء كظريف وظرفاء (ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة) بالافعال (والبغضاء) بالقلوب (أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) فحينئذ نترك عداوتكم (الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك) وذلك لموعدة وعدها اياه أي اقتدوا به في أقواله ولا تأسوا به في الاستغفار لابيه الكافر (وما أملك لك من الله من شئ) أي من هداية ومغفرة وتوفيق وهذه الجملة لا تليق بالاستثناء ألا ترى الى قوله قل فمن يملك لكم من الله شيأ ولكن المراد استثناء جملة قوله لابيه والقصد الى موعد الاستغفار له وما بعده تابع له كانه قال أستغفر لك وما في طاقتي الا الاستغفار (ربنا عليك توكلنا) متصل بما قبل الاستثناء وهو من جملة الاسوة الحسنة وقيل معناه قولوا ربنا فهو ابتداء أمر من الله للمؤمنين بان يقولوه (واليك أنبنا) اقبلنا (واليك المصير) المرجع (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) أي لا تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب (واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم) أي الغالب الحاكم (لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجوا

(ان يثقفوكم) اي يظفروا بكم ويروكم (يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء) أي بالضرب والقتل والشتم والسب (وودوا) أي تمنوا (لو تكفرون) أي ترجعون الى دينهم كما كفروا والمعنى ان أعداء الله لا يخلصون المودة لاولياء الله ولا يناصحونهم لما بينهم من الخلاف فلا تناصحوهم أنتم ولا توادوهم (ان تنفعكم أرحامكم ولا اولادكم) أي لا يدعونكم ولا يحملنكم ذووا أرحامكم وقراباتكم وأولادكم الذين بمكة الى خيانة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وترك مناصحتهم ونقل أخبارهم وموالاة أعدائهم فانه لا تنفعكم ارحامكم ولا أولادكم الذين عصيتم الله لاجلهم (يوم القيامة يفصل بينكم) أي يدخل أهل طاعته الجنة واهل معصيته النار (والله بما تعملون بصير) قوله تعالى (قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم) يخاطب حاطبا والمؤمنين ويامرهم بالاقتداء بابراهيم عليه الصلاة والسلام (والذين معه) اي من اهل الايمان (اذ قالوا لقومهم) يعني المشركين (انا برآء منكم) جمع بريء (ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم) أي جحدناكم وانكرنا دينكم (وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) والمعنى ان ابراهيم عليه السلام وأصحابه تبرؤا من قومهم وعادوهم لكفرهم فامر حاطبا والمؤمنين ان يتأسوا بهم (الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك) يعني لكم ان تتاسوا بابراهيم في جميع أموره الا في الاستغفار لابيه المشرك فلا تتأسوا به فان ابراهيم كان قد قال لابيه لاستغفرن لك فلما تبين له اقامته على الكفر تبرأ منه (وما أملك لك من الله من شئ) هذا من قول ابراهيم لابيه يعني ما أغني عنك ولا أدفع عنك عذاب الله ان عصيته واشركت به وانما وعده بالاستغفار رجاء اسلامه وكان من دعاء ابراهيم ومن معه من المؤمنين (ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) اي لا تظهرهم علينا فيظنوا انهم على الحق وقيل معناه لا تعذبنا بايديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على الحق ما اصابهم ذلك (واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم) يعني في ابراهيم ومن معه (اسوة حسنة) اى اقتداء حسن (لمن كان

(تلقون) حال من الضمير في لا تتخذوا والتقدير لا تتخذوهم أولياء ملقين (اليهم بالمودة) أو مستأنف بعد وقف على التوبيخ والالقاء عبارة عن ايصال المودة والافضاء بها اليهم والباء في بالمودة زائدة مؤكدة للتعدي كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة أو ثابتة على أن مفعول تلقون محذوف معناه تلقون اليهم أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة التي بينكم وبينهم (وقد كفروا) حال من لا تتخذوا أو من تلقون أي لا تتولوهم أو توادونهم وهذه حالهم (بما جاءكم من الحق) دين الاسلام والقرآن (يخرجون الرسول واياكم) استئناف كالتفسير لكفرهم وعتوهم أو حال من كفروا (أن تؤمنوا) تعليل ليخرجون أي يخرجونكم من مكة لايمانكم (بالله ربكم ان كنتم خرجتم) متعلق بلا تتخذوا أي لا تتولوا أعدائي ان كنتم أوليائي وقول النحويين في مثله هو شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه (جهادا في سبيلي) مصدر في موضع الحال اي ان كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلي (وابتغاء مرضاتي) ومبتغين مرضاتي (تسرون اليهم بالمودة) أي تفضون اليهم بمودتكم سرا أو تسرون اليهم أسرار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة وهو استئناف (وانا اعلم بما أخفيتم وما أعلنتم) والمعنى أي طائل لكم في اسراركم وقد علمتم ان الاخفاء والاعلان سيان في علمي وانا مطلع رسولي على ما تسرون (ومن يفعله) أي هذا الاسرار (منكم فقد ضل سواء السبيل) فقد اخطأ طريق الحق والصواب

لتعطوني وتكسوني وتحملوني فقال لها وأين أنت من شباب مكة وكانت مغنية نائحة قالت ما طلب مني شيء بعد وقعة بدر فحث عليها بني عبد المطلب فأعطوها نفقة وكسوها وحملوها فأتاها حاطب بن أبي بلتعة حليف بني أسد بن عبد العزى فكتب معها الى أهل مكة وأعطاها عشرة دنانير وكساها بردا على أن توصل الكتاب الى أهل مكة وكتب في الكتاب من حاطب بن أبي بلتعة الى أهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل عليه السلام فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما فعل فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا والزبير وطلحة والمقداد بن الاسود وأبا مرثد فرسانا فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة الى المشركين فخذوه منها وخلوا سبيلها وان لم تدفعه لكم فاضربوا عنقها فخرجوا حتى ادركوها في ذلك المكان الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لها أين الكتاب فحلفت بالله ما معها من كتاب فبحثوا وفتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع فقال علي والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسل السيف وقال أخرجي الكتاب والا لاجردنك ولاضربن عنقك فلما رأت الجد أخرجته من ذوائبها وكانت قد خبأته في شعرها فخلوا سبيلها ولم يتعرضوا لها ولا لما معها ورجعوا بالكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حاطب فأتاه فقال له هل تعرف الكتاب قال نعم قال فما حملك على ما صنعت فقال والله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكن لم يكن أحد من المهاجرين الا وله بمكة من يمنع عشيرته وكنت غريبا فيهم وكان أهلي بين ظهرانيهم فخشيت على أهلي فأردت ان اتخذ لي عندهم يدا وقد علمت ان الله تعالى ينزل بهم بأسه وأن كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره فقام عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فأنزل الله في شأن حاطب بن أبي بلتعة يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء يعني أصدقاء وأنصارا (تلقون اليهم بالمودة) أي بأسباب المحبة وقيل معناه تلقون اليهم أخبار النبي صلى الله عليه وسلم وسره بالمودة التي بينكم وبينهم (وقد كفروا) أي وحالهم انهم كفروا (بما جاءكم من الحق) يعني القرآن (يخرجون الرسول واياكم) يعني من مكة (أن تؤمنوا) أي لان آمنتم كأنه قال يفعلون ذلك لايمانكم (بالله ربكم ان كنتم خرجتم) هذا شرط جوابه متقدم والمعنى ان كنتم خرجتم (جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي) فلا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء وقوله (تسرون اليهم بالمودة) أي بالنصيحة (وانا أعلم بما أخفيتم) اي من المودة للكفار (وما أعلنتم) اي اظهرتم بالسنتكم منها (ومن يفعله منكم) اي الاسرار والقاء المودة اليهم (فقد ضل سواء السبيل) اي اخطأ طريق الهدى ثم اخبر عن عداوة الكفار فقال تعالى

يرجوا الله واليوم الآخر) ثم كرر الحث على الائتساء بابراهيم عليه السلام وقومه تقريرا وتأكيدا عليهم ولذا جاء به مصدرا بالقسم لانه الغاية في التأكيد وابدل من قوله لكم قوله لمن كان يرجو الله أي ثوابه اي يخشى الله وعقبه بقوله (ومن يتول) يعرض عن أمرنا ويوال الكفار (فان الله هو الغني) عن الخلق (الحميد) المستحق للحمد فلم يترك نوعا من التأكيد الا جاء به ولما نزلت هذه الآيات وتشدد المؤمنون في عداوة آبائهم وابنائهم وجميع اقربائهم من المشركين أطمعهم في تحول الحال الى خلافه فقال (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم) أي من أهل مكة من اقربائكم (مودة) بأن يوفقهم للايمان فلما يسر فتح مكة أظفرهم الله بامنيتهم فاسلم قومهم وتم بينهم التحاب وعسى وعد من الله على عادات الملوك حيث يقولون في بعض الحوائج عسى أو لعل فلا تبقى شبهة للمحتاج في تمام ذلك أو أريد به اطماع المؤمنين (والله قدير) على تقليب القلوب وتحويل الاحوال وتسهيل أسباب المودة (والله غفور رحيم) لمن أسلم من المشركين (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم) تكرموهم وتحسنوا اليهم قولا وفعلا ومحل أن تبروهم جر على البدل من الذين لم يقاتلوكم وهو بدل اشتمال والتقدير عن بر الذين (وتقسطوا اليهم) وتقضوا اليهم بالقسط ولا تظلموهم واذا نهى عن الظلم في حق المشرك فكيف في حق المسلم (ان الله يحب المقسطين انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم) هو بدل من الذين قاتلوكم والمعنى لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء وانما ينهاكم عن تولي هؤلاء (ومن يتولهم) منكم (فأولئك هم الظالمون) حيث وضعوا التولي غير موضعه (يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات) سماهن مؤمنات لنطقهن بكلمة الشهادة أو لانهن مشارفات لثبات ايمانهن بالامتحان (مهاجرات) نصب على الحال (فامتحنوهن) فابتلوهن بالنظر في الامارات ليغلب على ظنونكم صدق ايمانهن وعن ابن عباس امتحانها أن تقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله

يرجوا الله واليوم الآخر) أي ان هذه الاسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة (ومن يتول) أي يعرض عن الايمان ويوال الكفار (فان الله هو الغني) أي عن خلقه (الحميد) أي الى أهل طاعته وأوليائه فلما أمر الله المؤمنين بعداوة الكفار عادى المؤمنون أقرباءهم المشركين وأظهروا لهم العداوة والبراءة وعلم الله شدة وجد المؤمنين بذلك فأنزل الله تعالى (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم) أي من كفار مكة (مودة) ففعل الله تعالى ذلك بان أسلم كثير منهم فصاروا لهم أولياء واخوانا وخالطوهم وناكحوهم وتزوج النبي صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبي سفيان ولان لهم أبو سفيان (والله قدير) أي على جعل المودة بينكم (والله غفور رحيم) أي لمن تاب منهم وأسلم ثم رخص في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم فقال تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم) أي لا ينهاكم الله عن بر الذين لم يقاتلوكم (وتقسطوا اليهم) أي وتعدلوا فيهم بالاحسان اليهم والبر (ان الله يحب المقسطين) أي العادلين قال ابن عباس نزلت في خزاعة وذلك انهم صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه أحدا فرخص الله في برهم وقال عبد الله بن الزبير نزلت في أمه وهي أسماء بنت أبي بكر وذلك ان أمها قتيلة بنت عبد العزى قدمت عليها المدينة بهدايا ضبابا وقرصا وسمنا وهي مشركة فقالت أسماء لا أقبل منك هدية ولا تدخلي على بيتي حتى أستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته فأنزل الله تعالى هذه الآية فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تدخلها منزلها وأن تقبل هديتها وتكرمها وتحسن اليها (ق) عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما قالت قدمت على أمي وهي مشركة في عهد قريش اذ عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدتهم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ان أمي قدمت علي وهي راغبة أفأصلها قال نعم صليها زاد في رواية قال ابن عيينة فأنزل الله فيها لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ثم ذكر الله الذين نهى عن صلتهم وبرهم فقال تعالى (انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم) وهم مشركو مكة (أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن) الآية (خ)

يرجوا الله واليوم الآخر) ثم كرر الحث على الائتساء بابراهيم عليه السلام وقومه تقريرا وتأكيدا عليهم ولذا جاء به مصدرا بالقسم لانه الغاية فى التأكيد وابدل من قوله لكم قوله لمن كان يرجوا الله أى ثوابه اى يخشى الله وعقبه بقوله (ومن يتول) يعرض عن أمرنا ويوال الكفار (فان الله هو الغنى) عن الخلق (الحميد) المستحق للحمد فلم يترك نوعا من التأكيد الا جاء به ولما نزلت هذه الآيات وتشدد المؤمنون فى عداوة آبائهم وابنائهم وجميع اقربائهم من المشركين أطمعهم فى تحول الحال الى خلافه فقال (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم) أى من أهل مكة من اقربائكم (مودة) بان يوفقهم للايمان فلما يسر فتح مكة أظفرهم الله بامنيتهم فاسلم قومهم وتم بينهم التحاب وعسى وعد من الله على عادات الملوك حيث يقولون فى بعض الحوائج عسى أو لعل فلا تبقى شبهة للمحتاج فى تمام ذلك أو أريد به اطماع المؤمنين (والله قدير) على تقليب القلوب وتحويل الاحوال وتسهيل أسباب المودة (والله غفور رحيم) لمن أسلم من المشركين (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم) تكرموهم وتحسنوا اليهم قولا وفعلا ومحل أن تبروهم جر على البدل من الذين لم يقاتلوكم وهو بدل اشتمال والتقدير عن بر الذين (وتقسطوا اليهم) وتقضوا اليهم بالقسط ولا تظلموهم واذا نهى عن الظلم فى حق المشرك فكيف فى حق المسلم (ان الله يحب المقسطين انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على

اخراجكم أن تولوهم) هو بدل من الذين قاتلوكم والمعنى لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء وانما ينهاكم عن تولى هؤلاء (ومن يتولهم) منكم (فأولئك هم الظالمون) حيث وضعوا التولى غير موضعه (يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات) سماهن مؤمنات لنطقهن بكلمة الشهادة أو لانهن مشارفات لثبات ايمانهن بالامتحان (مهاجرات) نصب على الحال (فامتحنوهن) فابتلوهن بالنظر فى الامارات ليغلب على ظنونكم صدق ايمانهن وعن ابن عباس امتحانها أن تقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله

يرجوا الله واليوم الآخر) أى ان هذه الاسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة (ومن يتول) أى يعرض عن الايمان ويوال الكفار (فان الله هو الغنى) أى عن خلقه (الحميد) أى الى أهل طاعته وأوليائه فلما أمر الله المؤمنين بعداوة الكفار عادى المؤمنون أقرباءهم المشركين وأظهروا لهم العداوة والبراءة وعلم الله شدة وجد المؤمنين بذلك فأنزل الله تعالى (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم) أى من كفار مكة (مودة) ففعل الله تعالى ذلك بان أسلم كثير منهم فصاروا لهم أولياء واخوانا وخالطوهم وناكحوهم وتزوج النبى صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبى سفيان ولان لهم أبو سفيان (والله قدير) أى على جعل المودة بينكم (والله غفور رحيم) أى لمن تاب منهم وأسلم ثم رخص فى صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم فقال تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم) أى لا ينهاكم الله عن بر الذين لم يقاتلوكم (وتقسطوا اليهم) أى وتعدلوا فيهم بالاحسان اليهم والبر (ان الله يحب المقسطين) أى العادلين قال ابن عباس نزلت فى خزاعة وذلك انهم صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه أحدا فرخص الله فى برهم وقال عبد الله بن الزبير نزلت فى أمه وهى أسماء بنت أبى بكر وذلك ان أمها قتيلة بنت عبد العزى قدمت عليها المدينة بهدايا ضبابا وقرصا وسمنا وهى مشركة فقالت أسماء لا أقبل منك هدية ولا تدخلى على بيتى حتى أستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته فأنزل الله تعالى هذه الآية فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تدخلها منزلها وأن تقبل هديتها وتكرمها وتحسن اليها (ق) عن أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما قالت قدمت على أمى وهى مشركة فى عهد قريش اذ عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدتهم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ان أمى قدمت على وهى راغبة أفأصلها قال نعم صليها زاد فى رواية قال ابن عيينة فأنزل الله فيها لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ثم ذكر الله الذين نهى عن صلتهم وبرهم فقال تعالى (انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم) وهم مشركو مكة (أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن) الآية (خ)

عن عروة بن الزبير انه سمع مروان والمسور بن مخرمة يخبران عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما كاتب سهيل بن عمرو يومئذ كان فيما اشترط سهيل بن عمرو على النبي صلى الله عليه وسلم انه لا يأتيك منا أحد وان كان على دينك الا رددته الينا وخليت بيننا وبينه وكره المؤمنون ذلك وأبى سهيل الا ذلك فكاتبه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك فرد يومئذ أبا جندل الى أبيه سهيل بن عمرو ولم يأته أحد من الرجال الا رده في تلك المدة وان كان مسلما وجاءت المؤمنات مهاجرات وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ وهي عاتق فجاء أهلها يسألون عنها النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجعها اليهم فلم يرجعها حتى أنزل الله فيهن اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن الى ولا هم يحلون لهن قال عروة فأخبرتني عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحنهن بهذه الآية يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات الى قوله غفور رحيم قال عروة قالت عائشة فمن أقرت بهذا الشرط منهن قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بايعتك كلاما يكلمها والله ما مست يده يد امرأة قط في المبايعة ولا بايعهن الا بقوله وقال ابن عباس أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرا حتى اذا كان بالحديبية صالحه مشركو مكة على ان من أتاه من أهل مكة رده اليهم ومن أتى مكة من أصحابه لم يردوه اليه وكتبوا بذلك كتابا وختموا عليه فجاءت سبيعة بنت الحرث الاسلمية مسلمة بعد فراغ الكتاب وأقبل زوجها مسافر من بني مخزوم وقيل هو صيفي بن الراهب في طلبها وهو كافر فقال يا محمد اردد على امرأتي فانك قد شرطت أن ترد علينا من أتاك منا وهذه طية الكتاب لم تجف بعد فانزل الله يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات أي من دار الكفر الى دار الاسلام فامتحنوهن قال ابن عباس امتحانها ان تستحلف ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة عن أرض الى أرض ولا لحدث أحدثته ولا التماس دنيا وما خرجت الا رغبة في الاسلام وحبا لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فاذا حلفت على ذلك لم يردها فاستحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيعة فحلفت فلم يردها واعطى زوجها مهرها وما أنفق عليها فتزوجها عمر بن الخطاب قال المفسرون المراد بقوله يا أيها الذين آمنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه هو الذي تولى امتحانهن بنفسه فكان يمسك من جاءه من النساء بعد الامتحان ويعطي أزواجهن مهورهن ويرد من جاءه من الرجال واختلف العلماء هل دخل رد النساء في عقد الهدنة لفظا أو عموما فقيل قد كان شرط ردهن في عقد الهدنة لفظا صريحا فنسخ الله تعالى ردهن من العقد ومنع منه وابقاه في الرجال على ما كان في العقد وقيل لم يشترط ردهن في العقد لفظا صريحا وانما أطلق العهد فكان ظاهره العموم لاشتماله على النساء وعلى الرجال فبين الله تعالى خروجهن من عموم العقد وفرق بينهن وبين الرجال في الحكم (الله أعلم بايمانهن) أي هذا الامتحان لكم والله أعلم بايمانهن (فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن) أي اذا أقررن بالايمان فلا تردوهن الى الكفار لان الله لم يبح مؤمنة لكافر (وآتوهم) يعني أزواجهن (ما أنفقوا) أي عليهن

(الله أعلم بايمانهن) منكم فانكم وان رزتم أحوالهن لا تعلمون ذلك حقيقة وعند الله حقيقة العلم به (فان علمتموهن مؤمنات) العلم الذي تبلغه طاقتكم وهو الظن الغالب بظهور الامارات وتسمية الظن علما يؤذن بان الظن الغالب وما يفضي اليه القياس جار مجرى العلم وصاحبه غير داخل في قوله ولا تقف ما ليس لك به علم (فلا ترجعوهن الى الكفار) فلا تردوهن الى أزواجهن المشركين (لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن) أي لا حل بين المؤمنة والمشرك لوقوع الفرقة بينهما بخروجها مسلمة (وآتوهم ما أنفقوا) واعطوا أزواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور ونزلت الآية بعد صلح الحديبية وكان الصلح قد وقع على أن يرد على اهل مكة من جاء مؤمنا منهم فانزل الله هذه الآية بيانا أن ذلك في الرجال لا في النساء لان المسلمة لا تحل للكافر وقيل نسخت هذه الآية الحكم الاول

(ولاجناح عليكم ان تنكحوهن) ثم نفى عنهم الجناح فى تزوج هؤلاء المهاجرات (اذا آتيتموهن أجورهن) أى مهورهن
لان المهر أجر البضع وبه احتج أبو حنيفة رضى الله عنه على أن لا عدة على المهاجرة (ولا تمسكوا) ولا تمسكوا بصرى (بعصم
الكوافر) العصمة ما يعتصم به من عقد وسبب والكوافر جمع كافرة وهى التى بقيت فى دار الحرب أو لحقت بدار
الحرب مرتدة أى لا يكن بينكم
وبينهن عصمة ولا علقة زوجية
قال ابن عباس رضى الله عنهما
من كانت له امرأة كافرة بمكة
فلا يعتدن بها من نسائه لان
اختلاف الدارين قطع عصمتها
منه (واسئلوا ما أنفقتم) من
مهور أزواجكم اللاحقات
بالكفار ممن تزوجها (وليسئلوا
ما أنفقوا) من مهور نسائهم
المهاجرات ممن تزوجها منا
(ذلكم حكم الله) أى جميع
ما ذكر فى هذه الآية (يحكم
بينكم) كلام مستأنف أو حال
من حكم الله على حذف الضمير
أى يحكمه الله أو جعل الحكم
حاكما على المبالغة وهو منسوخ
فلم يبق سؤال المهر لا منا ولا
منهم (والله عليم حكيم وان فاتكم
شئ من أزواجكم الى الكفار)
وان انفلت أحد منهن الى
الكفار وهو فى قراءة ابن
مسعود رضى الله عنه أحد
(فعاقبتم) فأصبتموهم فى القتال
بعقوبة حتى غنمتم عن الزجاج
(فآتوا الذين ذهبت أزواجهم
مثل ما أنفقوا) فأعطوا المسلمين
الذين ارتدت زوجاتهم ولحقن
بدار الحرب مهور زوجاتهم من
هذه الغنيمة

من المهر الذى دفعوه اليهن (ولا جناح عليكم أن تنكحوهن اذا آتيتموهن أجورهن)
أى مهورهن أباح الله للمسلمين نكاح المهاجرات من دار الحرب الى دار الاسلام وان كان
لهن أزواج كفار فى دار الحرب لان الاسلام فرق بينهن وبين أزواجهن الكفار ووقعت
الفرقة بانقضاء عدتها فان أسلم الزوج قبل انقضاء عدتها فهى زوجته وبه قال الاوزاعى
والليث بن سعد ومالك والشافعى وأحمد وقال أبو حنيفة تقع الفرقة باختلاف الدارين
(ولا تمسكوا بعصم الكوافر) جمع عصمة وهى ما اعتصم به من العقد والسبب نهى
الله تعالى المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات يقول الله تعالى وان كانت له امرأة
كافرة بمكة فلا يعتد بها فقد انقطعت عصمة الزوجية بينهما قال الزهرى لما نزلت هذه
الآية طلق عمر بن الخطاب امرأتين كانتا بمكة مشركتين قريبة بنت أبى أمية بن المغيرة
فتزوجها معاوية بن أبى سفيان وهما على شركهما بمكة والاخرى أم كلثوم بنت عمرو بن
جرول الخزاعية وهى أم ابنه عبيد الله فتزوجها أبو جهم بن حذافة بن غنم وهما على
شركهما وكانت أروى بنت ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب تحت طلحة بن عبيد الله
فهاجر طلحة وبقيت هى على دين قومها ففرق الاسلام بينهما فتزوجها بعده فى الاسلام
خالد بن سعيد بن العاص بن أمية قال الشعبى وكانت زينب بنت رسول الله صلى الله
عليه وسلم امرأة أبى العاص بن الربيع فاسلمت وهاجرت ولحقت بالنبى صلى الله عليه
وسلم وأقام أبو العاص بمكة مشركا ثم أتى المدينة فأسلم فردها عليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم (واسئلوا) أى أيها المؤمنون (ما أنفقتم) يعنى ان لحقت امرأة منكم بالمشركين
مرتدة فاطلبوا ما أنفقتم من المهر اذا منعوها ممن تزوجها منهم (وليسئلوا) يعنى
المشركين الذين لحقت أزواجهم بكم (ما أنفقوا) من المهر ممن تزوجها منكم (ذلكم
حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم) قال الزهرى ولولا الهدنة والعهد الذى كان بين
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش لامسك النساء ولم يرد الصداق وكذلك صنع
بمن جاء من المسلمات قبل العهد فلما نزلت هذه الآية أقر المؤمنون بحكم الله تعالى
وأدوا ما أمروا به من أداء نفقات المشركين على نسائهم وأبى المشركون أن يقروا بحكم
الله فيما أمر من أداء نفقات المسلمين فأنزل الله عز وجل (وان فاتكم) أيها المؤمنون (شئ
من أزواجكم الى الكفار) أى فلحقن بهم مرتدات (فعاقبتم) معناه غزوتم فغنمتم وأصبتم
من الكفار عقبى وهى الغنيمة وقيل معناه ظهرتم وكانت العاقبة لكم (فآتوا الذين
ذهبت أزواجهم) أى الى الكفار (مثل ما أنفقوا) معناه أعطوا الذين ذهبت أزواجهم
منكم الى الكفار مرتدات مثل ما أنفقوا عليهن من الغنائم التى صارت فى أيديكم من
أموال الكفار قال ابن عباس لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة
أم الحكم بنت أبى سفيان وكانت تحت عياض بن شداد الفهرى (١) وفاطمة بنت

(١) قوله فاطمة تقدم ان اسمها قريبة فلعل فى اسمها خلافا ذكر الخطيب أولا ان اسمها قريبة وثانيا فاطمة كما هنا والله
أعلم اه مصحح

أبي أمية بن المغيرة اخت أم سلمة وكانت تحت عمر بن الخطاب فلما أراد عمر أن يهاجر أبت وارتدت وبروع بنت عقبة وكانت تحت شماس بن عثمان وعزة بنت عبد العزيز ابن نضلة وتزوجها عمرو بن عبدود وهند بنت أبي جهل بن هشام وكانت تحت هشام بن العاص بن وائل وأم كلثوم وكانت تحت عمر بن الخطاب فكلهن رجعن عن الاسلام فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أزواجهن مهور نسائهم من الغنيمة واختلف القول في رد مهر من أسلمت من النساء الى زوجها هل كان واجبا أو مندوبا واصل هذه المسئلة أن الصلح هل كان وقع على رد النساء أم لا فيه قولان أحدهما انه وقع على رد الرجال والنساء جميعا لما روى انه لا يأتيك منا أحد الا رددته ثم صار الحكم في رد النساء منسوخا بقوله تعالى فلا ترجعوهن الى الكفار فعلى هذا كان رد المهر واجبا والقول الثاني أن الصلح لم يقع على رد النساء لانه روى عن على أنه قال لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته وذلك لان الرجل لا يخشى عليه من الفتنة في الرد ما يخشى على المرأة من اصابة المشرك اياها وانه لا يؤمن عليها الردة اذا خوفت واكرهت عليها لضعف قلبها وقلة هدايتها الى المخرج من الكفر باظهار كلمة الكفر مع التورية واضمار كلمة الايمان وطمأنينة القلب عليه ولا يخشى ذلك على الرجل لقوته وهدايته التقية فعلى هذا كان المهر مندوبا واختلفوا في انه هل يجب العمل به اليوم في رد المال اذا شرط في معاقدة الكفار فقال قوم لا يجب وزعموا ان الآية منسوخة وهم عطاء ومجاهد وقتادة وقال قوم الآية غير منسوخة ويرد عليهم ما أنفقوا قوله تعالى (واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك) الآية قال المفسرون لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وفرغ من بيعة الرجال وهو على الصفا أتته النساء يبايعنه وعمر بن الخطاب أسفل منه يبلغهن عنه وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متنقبة متنكرة مع النساء خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرفها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبايعهن (على أن لا يشركن بالله شيأ) فرفعت هند رأسها وقالت والله انك لتأخذ علينا امرا ما رأيناك اخذته على الرجال وكان قد بايع الرجال يومئذ على الاسلام والجهاد فقط فقال النبي صلى الله عليه وسلم (ولا يسرقن) فقالت هند ان أبا سفيان رجل شحيح واني اصبت من ماله هنات فلا ادري ايحل لي أم لا فقال ابو سفيان ما اصبت من شئ فيما مضى وفيما غبر فهو حلال فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك فقال (ولا يزنين) فقالت هند أو تزني الحرة فقال (ولا يقتلن أولادهن) فقالت هند ربيناهم صغارا وقتلتموهم كبارا فانتم وهم أعلم وكان ابنها حنظلة بن ابي سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) فقالت هند والله ان البهتان لقبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق (ولا يعصينك في معروف) فقالت هند ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شئ فاقر النسوة بما أخذ عليهن من البيعة قال ابن الجوزي وجملة من أحصي من المبايعات أربعمائة وسبعة

(واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون وقيل هذا الحكم منسوخ أيضا (يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك) هو حال (على أن لا يشركن بالله شيأ ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن) يريد وأد البنات (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن) كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدى منك كنى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذى تلصقه بزوجها كذبا لان بطنها الذى تحمله فيه بين اليدين وفرجها الذى تلده به بين الرجلين (ولا يعصينك في معروف) طاعة الله ورسوله

(فبايعهن واستغفر لهن الله) عما مضى (ان الله غفور) بتحقيق ما سلف (رحيم) بتوفيق ما ائتنف وروى ان

وخمسون امرأة ولم يصافح في البيعة امرأة وانما بايعهن بالكلام (ق) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع النساء بالكلام بهذه الآية على ان لا يشركن بالله شيأ وما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة الا يملكها وأما تفسير الآية فقوله تعالى ولا يقتلن أولادهن أراد به وأد البنات الذي كان يفعله أهل الجاهلية ثم هو عام في كل نوع من قتل الولد ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن يعني لا تلحق المرأة بزوجها غير ولده وذلك ان المرأة كانت تلتقط المولود فتقول لزوجها هذا ولدي منك فهذا هو البهتان المفترى وليس المراد منه نهيهن عن الزنا لان النهي عنه قد تقدم ذكره ومعنى بين أيديهن وأرجلهن ان الولد اذا وضعته الام سقط بين يديها ورجليها ولا يعصينك في معروف أي في كل ما تأمرهن به أو تنهاهن عنه وقيل في كل أمر وافق طاعة الله وكل أمر فيه رشد وقيل هو النهي عن النوح والدعاء بالويل وتمزيق الثياب وحلق الشعر ونتفه وخمش الوجه وان لا تحدث المرأة الرجال الاجانب ولا تخلو برجل غير ذي محرم ولا تسافر مع غير ذي محرم قال ابن عباس في قوله ولا يعصينك في معروف انما هو شرط شرطه الله على النساء أخرجه البخاري (ق) عن أم عطية قالت بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ علينا ان لا يشركن بالله شيأ ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة منا يدها فقالت فلانة أسعدتني فانا أريد أن أجزيها فما قال لها النبي صلى الله عليه وسلم شيأ فانطلقت ثم رجعت فبايعها (ق) عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية * عن اسيد بن أسيد عن امرأة من المبايعات قالت كان فيما أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعروف الذي أخذ علينا ان لا نعصيه فيه ان لا نخمش وجها ولا ندعو ويلا ولا نشق جيبا ولا ننشر شعرا أخرجه أبو داود * عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ على النساء حين بايعهن ان لا ينحن فقلن يا رسول الله نساء أسعدتنا في الجاهلية فنسعدهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اسعاد في الاسلام أخرجه النسائي (م) عن أبي مالك الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقوم يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم النائحة والمستمعة أخرجه أبو داود وقوله تعالى (فبايعهن) يعني اذا بايعنك على هذه الشروط فبايعهن (واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم) عن أميمة بنت رقيقة قالت بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة فقال لنا فيما استطعتن وأطعتن قلنا الله ورسوله أرحم بنا منا بأنفسنا قلت يا رسول الله بايعنا قال سفيان يعني صافحنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) يعني من اليهود وذلك ان ناسا من فقراء المسلمين

رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال أخذ في بيعة النساء وهو على الصفا وعمر قاعد اسفل منه يبايعهن عنه بامره ويبلغهن عنه وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متقنعة متنكرة خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرفها لما صنعت بحمزة فقال عليه السلام أبايعكن على ان لا تشركن بالله شيأ فبايع عمر النساء على أن لا يشركن بالله شيأ فقال عليه السلام ولا يسرقن فقالت هند ان أبا سفيان رجل شحيح واني اصبت من ماله هنات فقال أبو سفيان ما أصبت فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها وقال لها انك لهند قالت نعم فاعف عما سلف يا نبي الله قال عفا الله عنك فقال ولا يزنين فقالت أو تزني الحرة فقال ولا يقتلن أولادهن فقالت ربيناهم صغارا وقتلتموهم كبارا فانتم وهم أعلم وكان ابنها حنظلة قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولا يأتين ببهتان فقالت والله ان البهتان لامر قبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال ولا يعصينك في معروف فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا ان نعصيك في شيء وهو يشير الى ان طاعة الولاة لا تجب في المنكر (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) ختم السورة بما بدأ به قيل هم المشركون

(قد يئسوا من الآخرة) من ثوابها لانهم ينكرون البعث (كما يئس الكفار) اى كما يئسوا الا انه وضع الظاهر موضع الضمير (من أصحاب القبور) أن يرجعوا اليهم أو كما يئس أسلافهم الذين هم فى القبور من الآخرة أى هؤلاء كسلفهم وقيل هم اليهود أى لا تتولوا قوما مغضوبا عليهم قد يئسوا من ان يكون لهم حظ فى الآخرة لعنادهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون انه الرسول المنعوت فى التوراة كما يئس الكفار من موتاهم ان يبعثوا ويرجعوا أحياء وقيل من أصحاب

كانوا يخبرون اليهود باخبار المسلمين يتوصلون اليهم بذلك فيصيبون من ثمارهم فنهاهم الله عن ذلك (قد يئسوا من الآخرة) يعنى اليهود وذلك انهم عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم وانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبوا به فيئسوا من أن يكون لهم ثواب أو خير فى الآخرة (كما يئس الكفار من أصحاب القبور) يعنى كما يئس الذين ماتوا على الكفر وصاروا الى القبور من ان يكون لهم ثواب فى الآخرة وذلك ان الكفار اذا دخلوا قبورهم أيسوا من رحمة الله تعالى وقيل معناه كما يئس الكفار من أصحاب القبور أن يرجعوا اليهم والمعنى ان اليهود الذين عاينوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمنوا به قد يئسوا من ثواب الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور ان يرجعوا اليهم والله سبحانه وتعالى أعلم

(تفسير سورة الصف)

وفيها قولان أحدهما انها مدنية وهو قول ابن عباس والجمهور والثانى انها مكية وهى أربع عشرة آية ومائتان واحدى وعشرون كلمة وتسعمائة حرف

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) قيل سبب نزولها ما روى عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال قعدنا نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكرنا فقلنا لو نعلم أى الاعمال أحب الى الله لعملنا فانزل الله تعالى سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون قال عبد الله بن سلام فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه الترمذى وقال المفسرون ان المؤمنين قالوا لو علمنا أحب الاعمال الى الله لعملناه ولبذلنا فيها أموالنا وأنفسنا فانزل الله عز وجل ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا وأنزل الله هل أدلكم على تجارة الآية فابتلوا بذلك يوم أحد فولوا مدبرين وكرهوا الموت وأحبوا الحياة فانزل الله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون وقيل لما أخبر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بثواب أهل بدر قالت الصحابة لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم أحد فعيرهم الله بهذه الآية وقيل نزلت فى شان القتال كان الرجل يقول قاتلت ولم يقاتل وأطعمت ولم يطعم وضربت ولم يضرب فنزلت هذه الآية وقيل نزلت فى المنافقين وذلك انهم كانوا يعدون النصر للمؤمنين وهم كاذبون (كبر مقتا عند الله) أى عظم بغضا عند الله (أن تقولوا ما لا تفعلون)

القبور بيان للكفار أى كما يئس الكفار الذين قبروا من خير الآخرة لانهم تبينوا قبح حالهم وسوء منقلبهم والله أعلم

(سورة الصف مدنية وهى أربع عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم) روى انهم قالوا قبل ان يؤمروا بالجهاد لو نعلم أحب الاعمال الى الله لعملناه فنزلت آية الجهاد فتباطأ بعضهم فنزلت (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) لم هى لام الاضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر فى قولك بم وفيم ومم وعم والام وعلام وانما حذفت الالف لان ما واللام أو غيرها كشئ واحد وهو كثير الاستعمال فى كلام المستفهم وقد جاء استعمال الاصل قليلا قال

على ما قام يشتمنى جرير

والوقف على زيادة هاء السكت او الاسكان ومن اسكن فى الوصل فلا جرائه مجرى الوقف (كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون) قصد فى كبر التعجب من غير لفظه كقوله

معناه

غلت ناب كليب بواؤها ومعنى التعجب تعظيم الامر فى قلوب السامعين لان التعجب لا يكون الا من شئ خارج عن نظائره واسند الى ان تقولوا ونصب مقتا على التمييز وفيه دلالة على ان قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه والمعنى كبر قولكم ما لا تفعلون مقتا عند الله واختير لفظ المقت لانه أشد البغض وعن بعض السلف انه قيل له حدثنا فقال اتأمروننى ان أقول

مالا أفعل فأستعجل مقت الله ثم أعلم الله عز وجل ما يحبه فقال (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا) أي صافين أنفسهم مصدر وقع موقع الحال (كأنهم بنيان مرصوص) لاصق بعضه ببعض وقيل أريد به استواء نياتهم في حرب عدوهم

معناه أن يعدوا من أنفسهم شيأ ولم يفوا به (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا) أي يصفون أنفسهم عند القتال صفا ولا يزولون عن أماكنهم (كأنهم بنيان مرصوص) أي قد رص بعضه ببعض والزق بعضه الى بعض وأحكم فليس فيه فرجة ولا خلل ومنه الحديث تراصوا في الصف ومعنى الآية ان الله يحب من يثبت في الجهاد في سبيله و يلزم مكانه كثبوت البناء المرصوص قوله تعالى (واذ قال موسى لقومه) أي واذكر يا محمد لقومك اذ قال موسى لقومه بني اسرائيل (يا قوم لم تؤذونني) قيل انهم كانوا يؤذونه بانواع من الاذى والتعنت منها قولهم ارنا الله جهرة وقولهم لن نصبر على طعام واحد ومنها انهم رموه بالادرة (وقد تعلمون أني رسول الله اليكم) يعني تؤذونني وأنتم عالمون علما قطعيا اني رسول الله اليكم والرسول يعظم ويوقر ويحترم ولا يؤذى (فلما زاغوا) أي عدلوا ومالوا عن الحق (أزاغ الله قلوبهم) أي امالها عن الحق الى غيره (والله لا يهدي القوم الفاسقين) أي لا يهدي من سبق في علمه انه فاسق خارج عن طاعته وهدايته وهذا تنبيه على عظم ايذاء الرسل حتى ان أذاهم يؤدي الى الكفر وزيغ القلوب عن الهدى (واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم) أي اني رسول أرسلت اليكم بالوصف الذي وصفت به في التوراة (مصدقا لما بين يدي من التوراة) أي اني مقر معترف باحكام التوراة وكتب الله وأنبيائه جميعا ممن قد تقدم (ومبشرا برسول يأتي من بعدي) أي يصدق بالتوراة على مثل تصديقي فكأنه قيل ما اسمه فقال (اسمه أحمد) عن أبي موسى قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يأتوا النجاشي وذكر الحديث وفيه قال سمعت النجاشي يقول أشهد أن محمدا رسول الله وانه الذي بشر به عيسى ولولا ما أنا فيه من الملك وما تحملت من أمر الناس لأتيته حتى أحمل نعليه أخرجه أبو داود وعن عبد الله بن سلام قال مكتوب في التوراة صفة محمد وعيسى بن مريم يدفن معه فقال أبو داود المدني قد بقي في البيت موضع قبر اخرجه الترمذي عن كعب الاحبار ان الحواريين قالوا لعيسى صلى الله عليه وسلم يا روح الله هل بعدنا من أمة ٢ قال نعم يأتي بعدكم أمة حكماء علماء أبرار أتقياء كأنهم في الفقه أنبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل (ق) عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي يوم القيامة وأنا العاقب الذي ليس بعدي نبي وقد سماه الله تعالى رؤفا رحيما واحمد يحتمل معنيين احدهما انه مبالغة من الفاعل ومعناه ان الانبياء كلهم حامدون لله عز وجل وهو أكثر حمدا لله من غيره والثاني انه مبالغة من المفعول ومعناه ان الانبياء كلهم محمودون لما فيهم من الخصال الحميدة وهو أكثر مبالغة واجمع للفضائل والمحاسن والاخلاق التي يحمد بها من غيره (فلما جاءهم بالبينات) قيل هو عيسى عليه الصلاة والسلام وقيل هو محمد

حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان الذي رص بعضه الى بعض وهو حال أيضا (واذ) منصوب باذكر (قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني) بجحود الآيات والقذف بما ليس في (وقد تعلمون) في موضع الحال أي تؤذونني عالمين علما يقينا (أني رسول الله اليكم) وقضية علمكم بذلك توقيري وتعظيمي لا أن تؤذوني (فلما زاغوا) مالوا عن الحق (أزاغ الله قلوبهم) عن الهداية أو لما تركوا أوامره نزع نور الايمان من قلوبهم أو فلما اختاروا الزيغ أزاغ الله قلوبهم أي خذلهم وحرمهم توفيق اتباع الحق (والله لا يهدي القوم الفاسقين) أي لا يهدي من سبق في علمه انه فاسق (واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل) ولم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه (اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) أي ارسلت اليكم في حال تصديقي ما تقدمني من التوراة وفي حال تبشيري برسول يأتي من بعدي يعني ان ديني التصديق بكتب الله وانبيائه جميعا ممن تقدم وتأخر بعدي حجازي وأبو عمرو وأبو بكر وهو اختيار الخليل وسيبويه وانتصب مصدقا ومبشرا بما في الرسول من معنى الارسال (فلما جاءهم) عيسى أو محمد عليهما السلام (بالبينات) بالمعجزات

(٢) قوله قال نعم الخ كذا في نسخة وفي اخرى قال نعم أمة أحمد حكماء اهـ مصحح

(قالوا هذا سحر مبين) ساحر حمزة وعلي (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدي القوم
الظالمين) وأي الناس اشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه الى الاسلام الذي له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته
اليه افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده الى الحق هذا سحر والسحر كذب وتمويه (يريدون ليطفئوا
نور الله بافواههم) هذا تهكم بهم في ارادتهم ابطال الاسلام بقولهم في القرآن هذا سحر مثلت حالهم بحال من ينفخ في
الشمس بفيه ليطفئه والمفعول محذوف واللام للتعليل والتقدير يريدون الكذب ليطفئوا نور الله بافواههم أي بكلامهم
(والله متم نوره) مكي وحمزة وعلي ٣٤٤ وحفص متم نوره غيرهم أي متم الحق ومبلغه غايته (ولو كره الكافرون هو الذي

أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) أي الملة الحنيفية (ليظهره) ليعليه (على الدين كله) على جميع الاديان المخالفة له ولعمري لقد فعل فما بقي دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام وعن مجاهد اذا نزل عيسى لم يكن في الارض الا دين الاسلام (ولو كره المشركون يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) تنجيكم شامي (تؤمنون) استئناف كأنهم قالوا كيف نعمل فقال تؤمنون وهو بمعنى آمنوا عند سيبويه ولهذا اجيب بقوله يغفر لكم ويدل عليه قراءة ابن مسعود آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا وانما جيء به على لفظ الخبر للايذان بوجوب الامتثال وكأنه امتثل فهو يخبر عن ايمان وجهاد موجودين (بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وأنفسكم

ذلكم) أي ما ذكر من الايمان والجهاد (خير لكم) من أموالكم وانفسكم (ان كنتم تعلمون) انه خير لكم (وبشر
كان خيرا لكم حينئذ لانكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه احببتم الايمان والجهاد فوق ما تحبون أموالكم وأنفسكم فتفلحون
وتخلصون (يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن) أي اقامة وخلود
يقال عدن بالمكان اذا أقام به كذا قيل (ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها) ولكم الى هذه النعمة المذكورة من المغفرة
والثواب في الآجلة نعمة أخرى عاجلة محبوبة اليكم ثم فسرها بقوله (نصر من الله وفتح قريب) أي عاجل وهو فتح مكة
والنصر على قريش أو فتح فارس والروم وفي تحبونها شيء من التوبيخ على محبة العاجل وقال صاحب الكشاف معناه هل
ادلكم على تجارة تنجيكم وعلى تجارة اخرى تحبونها ثم قال نصر أي هي نصر

صلى الله عليه وسلم (قالوا هذا سحر مبين) أي ظاهر (ومن أظلم ممن افترى على
الكذب) أي ومن أقبح ظلما ممن بلغ افتراؤه أن يكذب على الله وذلك انهم ع
ان ما نالوه من نعمة فمن الله ثم كفروا به (وهو يدعى الى الاسلام) معنى الآية
الناس أشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم الى الاسلام الذي
فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته افتراء الكذب على الله بقوله هذا سحر
(والله لا يهدي القوم الظالمين) اي لا يوفقهم للهداية لما علم من حالهم عقوبة لهم
(يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم) يعني أرادتهم ابطال الاسلام بقولهم في القرآن هذا
سحر (والله متم نوره) يعني متم للحق ومظهره ومبلغه غايته وقال ابن عباس مظهر دينه
(ولو كره الكافرون هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله)
أي ليعليه على الاديان المخالفة له ولقد فعل ذلك فلم يبق دين من الاديان الا وهو مغلوب
ومقهور بدين الاسلام (ولو كره المشركون) قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا هل
أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) نزلت هذه الآية حين قالوا لو نعلم اي الاعمال
احب الى الله عز وجل لعملناه وانما سماه تجارة لانهم يربحون فيه رضا الله عز وجل
ونيل جنته والنجاة من النار ثم بين تلك التجارة فقال تعالى (تؤمنون بالله ورسوله
وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم) اي الذي آمركم به من
الايمان والجهاد في سبيله (ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم) هذا جواب قوله
تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون لان معناه معنى الامر والمعنى آمنوا بالله وجاهدوا في
سبيل الله أي اذا فعلتم ذلك يغفر لكم ذنوبكم (ويدخلكم جنات تجري من تحتها
الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم) يعني هذا الجزاء
الذي ذكر هو الفوز العظيم (وأخرى تحبونها) اي ولكم تجارة اخرى وقيل لكم
خصلة أخرى تحبونها في العاجل مع ثواب الآخرة وتلك الخصلة (نصر من الله وفتح
قريب) قيل هو النصر على قريش وفتح مكة وقيل فتح مدائن فارس والروم)

(و بشر المؤمنين) أى يا محمد بالنصر فى الدنيا والجنة فى الآخرة ثم حضهم على نصر الدين وجهاد المخالفين فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصارى الى الله) أى مع الله والمعنى انصروا دين الله كما نصر الحواريون دين الله لما قال لهم عيسى من أنصارى الى الله (قال الحواريون نحن أنصار الله) وكانوا اثنى عشر رجلا أول من آمن بعيسى عليه الصلاة والسلام وحوارى الرجل صفيه وخلاصته ومنه قوله صلى الله عليه وسلم حوارى الزبير (فآمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة) قال ابن عباس فى زمن عيسى عليه الصلاة والسلام وذلك انه لما رفع تفرق قومه ثلاث فرق فرقة قالوا كان الله فارتفع وفرقة قالوا كان ابن الله فرفعه وفرقة قالوا كان عبد الله ورسوله فرفعه وهم المؤمنون واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس فاقتتلوا فظهرت الفرقتان الكافرتان على المؤمنين حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة فذلك قوله تعالى (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) أى غالبين وقيل معناه فأصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم أن عيسى روح الله وكلمته والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

(تفسير سورة الجمعة)

وهى مدنية واحدى عشرة آية ومائة وثمانون كلمة وسبعمائة وعشرون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذى بعث فى الاميين) يعنى العرب وكانت العرب امة امية لا تكتب ولا تقرأ حتى بعث فيهم نبى الله وقيل الامى هو الذى على ما خلق عليه كأنه منسوب الى امه (رسولا منهم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم يعلمون نسبه وهو من جنسهم وقيل اميا مثلهم وانما كان اميا لان نعته فى كتب الانبياء النبى الامى وكونه بهذه الصفة أبعد من توهم الاستعانة بالكتابة على ما أتى به من الوحى والحكمة ولتكون حاله مشاكلة لحال امته الذين بعث فيهم وذلك أقرب الى صدقه (يتلو عليهم آياته) أى التى تبين رسالته وقيل آياته التى

(وبشر المؤمنين) عطف على تؤمنون لانه فى معنى الامر كانه قيل آمنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم وبشر يا رسول الله المؤمنين بذلك وقيل هو عطف على قل مرادا قبل يا أيها الذين آمنوا اهل أدلكم (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله) اى أنصار دينه أنصارا لله حجازى وأبو عمرو (كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصارى الى الله) ظاهره تشبيه كونهم أنصارا بقول عيسى حين قال لهم من أنصارى الى الله ومعناه من جندى متوجها الى نصرة الله ليطابق جواب الحواريين وهو قوله (قال الحواريون نحن أنصار الله) أى نحن الذين ينصرون الله ومعنى من أنصارى من الانصار الذين يختصون بى ويكونون معى فى نصرة الله والحواريون اصفياؤه وهم أول من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلا وحوارى الرجل صفيه وخالصه من الحور وهو البياض الخالص وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب أى يبيضونها (فآمنت طائفة من بنى اسرائيل) بعيسى (وكفرت طائفة) به (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم) فقوينا مؤمنيهم على كفارهم (فأصبحوا ظاهرين) فغلبوا عليهم والله ولى المؤمنين والله أعلم

*(سورة الجمعة مدنية وهى احدى عشرة آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض الملك القدوس العزيز الحكيم) التسبيح اما ان يكون تسبيح خلقة يعنى اذا نظرت الى كل شئ دلتك خلقته على وحدانية الله تعالى وتنزيهه عن الاشباه أو تسبيح معرفة بان يجعل الله بلطفه فى كل شئ ما يعرف به الله تعالى وينزهه الا ترى الى قوله وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم او تسبيح ضرورة بان يجرى الله التسبيح على كل جوهر من غير معرفة له بذلك (هو الذى بعث) أرسل (فى الاميين رسولا منهم) أى بعث رجلا اميا فى قوم اميين وقيل منهم كقوله من انفسكم يعلمون نسبه وأحواله والامى منسوب الى امة العرب لانهم كانوا لا يكتبون ولا يقرؤن من بين الامم وقيل بدئت الكتابة بالطائف وهم أخذوها من أهل الحيرة واهل الحيرة من أهل الانبار (يتلوا عليهم آياته) القرآن

(ويزكيهم) ويطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية (ويعلمهم الكتاب) القرآن (والحكمة) السنة أو الفقه في الدين
(وإن كانوا من قبل) من قبل محمد صلى الله عليه وسلم (لفي ضلال مبين) كفر وجهالة وإن مخففة من الثقيلة واللام دليل
عليها أي كانوا في ضلال لا ترى ضلالا أعظم منه (وآخرين منهم) مجرور معطوف على الاميين يعني انه بعثه في الاميين
الذين على عهده وفي آخرين من الاميين (لما يلحقوا بهم) أي لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم وهم الذين بعد
الصحابة رضي الله عنهم أو هم
الذين يأتون من بعدهم الى يوم
الدين وقيل هم العجم أو منصوب
معطوف على المنصوب في ويعلمهم
أي يعلمهم ويعلم آخرين لان
التعليم اذا تناسق الى آخر الزمان
كان كله مستندا الى أوله فكانه
هو الذي تولى كل ما وجد منه
(وهو العزيز الحكيم) في تمكينه
رجلا أميا من ذلك الامر العظيم
وتأييده عليه واختياره اياه من
بين كافة البشر (ذلك) الفضل
الذي أعطاه محمدا وهو ان يكون
نبي ابناء عصره ونبي ابناء العصور
الغوابر هو (فضل الله يؤتيه من
يشاء) اعطاءه وتقتضيه حكمته
(والله ذو الفضل العظيم مثل
الذين حملوا التوراة) أي كلفوا
علمها والعمل بما فيها (ثم لم
يحملوها) ثم لم يعملوا بها فكأنهم
لم يحملوها (كمثل الحمار يحمل
أسفارا) جمع سفر وهو الكتاب
الكبير ويحمل في محل النصب
على الحال او الجر على الوصف
لان الحمار كاللئيم في قوله
* ولقد أمر على اللئيم يسبني *
شبه اليهود في انهم حملة التوراة
وقراؤها وحفاظ ما فيها ثم لم
يعملوا بها ولم ينتفعوا بآياتها وذلك ان فيها نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم والبشارة به فلم يؤمنوا به
بالحمار حمل كتبا كبارا من كتب العلم فهو يمشي بها ولا يدري منها الا ما يمر بجنبيه وظهره من الكد والتعب وكل من علم ولم
يعمل بعلمه فهذا مثله (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) أي بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله أو بئس
مثل القوم المكذبين مثلهم وهم اليهود الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

القرآن

يتميز بها الحلال من الحرام والحق من الباطل (ويزكيهم) أي يطهرهم من دنس
الشرك (ويعلمهم الكتاب) أي القرآن وقيل الفرائض (والحكمة) قيل هي السنة
(وان كانوا من قبل) أي من قبل ارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم (لفي ضلال مبين
وآخرين منهم) أي من المؤمنين الذين ظهروا ويدينون بدينهم لانهم اذا أسلموا صاروا
منهم فان المسلمين كلهم أمة واحدة وقيل أراد بالآخرين العجم وهو قول ابن عمر وسعيد
ابن جبير ورواية عن مجاهد يدل عليه ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كنا
جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ نزلت سورة الجمعة فتلاها فلما بلغ وآخرين منهم
لما يلحقوا بهم قال له رجل يا رسول الله من هؤلاء الذين لم يلحقوا بنا فلم يكلمه حتى سأله ثلاثا
قال وسلمان الفارسي فينا فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على سلمان وقال
والذي نفسي بيده لو كان الايمان بالثريا لتناوله رجال من هؤلاء اخرجاه في الصحيح
وقيل هم التابعون وقيل هم جميع من دخل في الاسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم الى
يوم القيامة (لما يلحقوا بهم) لم يدركوهم ولكنهم جاؤا بعدهم وقيل لم يلحقوا بهم في
الفضل والسابقة لان التابعين لا يدركون شأو الصحابة (وهو العزيز) أي الغالب الذي
قهر الجبابرة (الحكيم) أي الذي جعل كل مخلوق يشهد بوحدانيته (ذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء) يعني الاسلام وقيل النبوة خص بها محمدا صلى الله عليه وسلم (والله
ذو الفضل العظيم) أي على خلقه حيث أرسل فيهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى (مثل الذين حملوا التوراة) يعني اليهود حيث كلفوا القيام بها والعمل بما
فيها وليس هو من الحمل على الظهر وانما هو من الحمالة والحميل هو الكفيل (ثم لم
يحملوها) أي لم يعملوا بما فيها ولم يؤدوا حقها (كمثل الحمار يحمل أسفارا) جمع
سفر وهي الكتب العظام من العلم سمي سفرا لانه يسفر عما فيه من المعنى وهذا مثل
ضربه الله تعالى لليهود الذين اعرضوا عن العمل بالتوراة والايمان بمحمد صلى
الله عليه وسلم شبهوا اذ لم ينتفعوا بما في التوراة الدال على الايمان بمحمد صلى الله
عليه وسلم بالحمار الذي يحمل الكتب ولا يدري ما فيها ولا ينتفع بها كذلك اليهود
الذين يقرؤن التوراة ولا ينتفعون بها لانهم خالفوا ما فيها وهذا المثل يلحق
من لم يفهم معاني القرآن ولم يعمل بما فيه واعرض عنه اعراض من لا يحتاج اليه
ولهذا قال ميمون بن مهران يا أهل القرآن اتبعوا القرآن قبل ان يتبعكم ثم تلا هذه الآية
ثم ذم هذا المثل والمراد منه ذمهم فقال تعالى (بئس مثل القوم) أي بئس مثل
القوم (الذين كذبوا بآيات الله) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وما أتى به من آيات

القرآن وقيل المراد من الآيات آيات التوراة لانهم كذبوا بها حين تركوا الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (والله لا يهدي القوم الظالمين) أي لا يهدي من سبق في علمه انه يكون ظالما وقيل يعني الذين ظلموا أنفسهم بتكذيب آيات الله وأنبيائه (قل) أي قل يا محمد (يا أيها الذين هادوا ان زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس) أي من دون محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه (فتمنوا الموت) أي ادعوا على أنفسكم بالموت (ان كنتم صادقين) يعني فيما زعمتم انكم أبناء الله وأحباؤه فان الموت هو الذي يوصلكم اليه لان الآخرة خير لأولياء الله من الدنيا (ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم) أي بسبب ما قدموا من الكفر والتكذيب (والله عليم بالظالمين قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم) أي لا ينفعكم الفرار منه (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) فيه وعيد وتهديد قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلوة) أي لوقت الصلاة (من يوم الجمعة) أي في يوم الجمعة وأراد بهذا النداء الاذان عند قعود الامام على المنبر للخطبة لانه لم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نداء سواه كان اذا جلس صلى الله عليه وسلم على المنبر اذن بلال (خ) عن السائب بن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة أوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثاني على الزوراء زاد في رواية فثبت الامر على ذلك ولابي داود قال كان يؤذن بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم اذا جلس على المنبر يوم الجمعة على باب المسجد وذكر نحوه الزوراء موضع عند سوق المدينة قريب من المسجد وقيل كان مرتفعا كالمنارة واختلفوا في تسمية هذا اليوم جمعة فقيل لان الله تعالى جمع فيه خلق آدم وقيل لان الله تعالى فرغ من خلق الاشياء فيه فاجتمعت فيه المخلوقات وقيل لاجتماع الجماعات فيه للصلاة وقيل أول من سمى هذا اليوم جمعة كعب بن لؤي قال ابو سلمة أول من قال اما بعد كعب بن لؤي وكان أول من سمى الجمعة جمعة وكان يقال لها يوم العروبة عن ابن سيرين قال جمع أهل المدينة قبل ان يقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وقبل ان تنزل الجمعة وهم الذين سموا الجمعة وقالوا لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام وللنصارى يوم فهلم فلنجعل يوما نجتمع فيه فنذكر اسم الله تعالى ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة ثم أنزل الله تعالى في ذلك يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلوة الآية * عن كعب بن مالك انه كان اذا سمع النداء يوم الجمعة ترحم لاسعد بن زرارة فقال له ابنه عبد الرحمن يا ابت اذا سمعت النداء ترحمت لاسعد بن زرارة قال لانه أول من جمع بنا في هزم النبيت من حرة بني بياضة في نقيع يقال له نقيع الخضمات قلت له كم كنتم يومئذ قال أربعون أخرجه أبو داود واما أول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه فذكر أصحاب السير ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة مهاجرا نزل قباء على بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين لثنتي عشرة خلت من ربيع الاول حين امتد الضحى فأقام بقباء يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء ويوم الخميس واسس مسجدهم ثم خرج من بين أظهرهم يوم الجمعة عامدا

(والله لا يهدي القوم الظالمين) أي وقت اختيارهم الظلم أو لا يهدي من سبق في علمه انه يكون ظالما (قل يا أيها الذين هادوا) هاد يهود اذا تهود (ان زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) كانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه أي ان كان قولكم حقا وكنتم على ثقة فتمنوا على الله ان يميتكم وينقلكم سريعا الى دار كرامته التي أعدها لاوليائه ثم قال (ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم) أي بسبب ما قدموا من الكفر ولا فرق بين لا ولن في ان كل واحدة منهما نفي للمستقبل الا ان في لن تأكيدا وتشديدا ليس في لا فأتى مرة بلفظ التأكيد ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه (والله عليم بالظالمين) وعيد لهم (قل ان الموت الذي تفرون منه) ولا تجسرون ان تتمنوه خيفة ان تؤخذوا بوبال كفركم (فانه ملاقيكم) لا محالة والجملة خبر ان ودخلت الفاء لتضمن الذي معنى الشرط (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) فيجازيكم بما أنتم أهله من العقاب (يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة)

الى المدينة فادركته صلاة الجمعة فى بنى سالم بن عوف فى بطن واديهم وقد اتخذوا فى ذلك الموضع مسجدا فجمع فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطب وقوله تعالى (فاسعوا الى ذكر الله) أى فامضوا اليه واعملوا له وليس المراد من السعى الاسراع فى المشى وانما المراد منه العمل وكان عمر بن الخطاب يقرأ فامضوا الى ذكر الله وقال الحسن اما والله ماهو بالسعى على الاقدام ولقد نهوا ان يأتوا الى الصلاة الا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية والخشوع وعن قتادة فى هذه الآية فاسعوا الى ذكر الله قال السعى ان تسعى بقلبك وعملك وهو المشى اليها وكان يتأول قوله فلما بلغ معه السعى بقوله فلما مشى معه (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم الاقامة فامشوا الى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا وفى رواية فاذا اقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون واتوها تمشون وعليكم السكينة وذكره زاد مسلم فان أحدكم اذا كان يعمد الى الصلاة فهو فى الصلاة والمراد بقوله فاسعوا الى ذكر الله الصلاة وقال سعيد بن المسيب هو موعظة الامام (وذروا البيع) يعنى البيع والشراء لان البيع اسم يتناولهما جميعا وهو من لوازمه وانما يحرم البيع والشراء عند الاذان الثانى وقال الزهرى عند خروج الامام وقال الضحاك اذا زالت الشمس حرم البيع والشراء (ذلكم) أى الذى ذكرتم من حضور الجمعة وترك البيع والشراء (خير لكم) أى من المبايعة فى ذلك الوقت (ان كنتم تعلمون) أى مصالح أنفسكم والله تعالى أعلم

(فصل فى فضل الجمعة وأحكامها واثم تاركها) وفيه مسائل *(المسئلة الاولى)* فى فضلها (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها زاد فى رواية ولا تقوم الساعة الا فى يوم الجمعة (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلى يسأل الله فيها شيأ الا أعطاه اياه وأشار بيده يقللها (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فى الساعة الاولى فكأنما قرب بدنة ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر وفى رواية اذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المساجد ملائكة يكتبون الاول فالاول فاذا جلس الامام طووا الصحف وجاؤا يستمعون الذكر قوله من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة معناه غسلا كغسل الجنابة (م) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة واستمع وانصت غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى وزيادة ثلاثة أيام ومن مس الحصى فقد لغا قوله ومن مس الحصى فقد لغا معناه انه يشغله عن سماع الخطبة كما يشغله الكلام فجعله كاللغو (خ) عن عبادة قال أدركنى أبو عيسى وأنا ذاهب

النداء الاذان ومن بيان لاذا وتفسير له ويوم الجمعة سيد الايام وفى الحديث من مات يوم الجمعة كتب الله له اجر شهيد ووقى فتنة القبر (فاسعوا) فامضوا وقرئ بها وقال الفراء السعى والمضى والذهاب واحد وليس المراد به السرعة فى المشى (الى ذكر الله) اى الى الخطبة عند الجمهور وبه استدل أبو حنيفة رضى الله عنه على ان الخطيب اذا اقتصر على الحمد لله جاز (وذروا البيع) أراد الامر بترك ما يذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا وانما خص البيع من بينها لان يوم الجمعة يتكاثر فيه البيع والشراء عند الزوال فقيل لهم بادروا تجارة الآخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر الله الذى لا شئ أنفع منه وأربح وذروا البيع الذى نفعه يسير (ذلكم) أى السعى الى ذكر الله (خير لكم) من البيع والشراء (ان كنتم تعلمون

الى الجمعة فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار * عن أبي هريرة رضي الله عنه قال خرجت الى الطور فرأيت كعب الاحبار فجلست معه فحدثني عن التوراة وحدثته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فيما حدثته أن قلت له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه اهبط وفيه مات وفيه تيب عليه وفيه تقوم الساعة وما من دابة الا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة الا الجن والانس وفيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله تعالى شيأ الا أعطاه اياه قال كعب ذلك في كل سنة يوم فقلت بل في كل جمعة فقرأ كعب التوراة فقال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو هريرة ثم لقيت عبد الله بن سلام فحدثته بمجلسي مع كعب الاحبار وما حدثته في يوم الجمعة فقال عبد الله بن سلام قد علمت أي ساعة هي قال أبو هريرة فقلت أخبرني بها ولا تضن عني وفي رواية تضن علي قال هي آخر ساعة في يوم الجمعة قال أبو هريرة قلت وكيف تقول آخر ساعة في يوم الجمعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي وتلك الساعة لا يصلى فيها قال عبد الله بن سلام ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصليها قال أبو هريرة فقلت بلى قال فهو ذلك أخرجه مالك في الموطا والنسائي (خ) عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من الطهور ويدهن من دهنه ويمس من طيب بيته ثم يخرج فلم يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت اذا تكلم الامام الا غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى * عن أوس بن أوس الثقفي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من غسل واغتسل وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الامام ولم يلغ واستمع كان له بكل خطوة أجر عمل سنة صيامها وقيامها أخرجه أبو داود والنسائي قال أبو داود وسئل مكحول عن غسل واغتسل قال غسل رأسه وجسده *(المسئلة الثانية)* في اثم تاركها (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص وأبي هريرة أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على منبره لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات او ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين * عن أبي الجعد الضمري وكان له صحبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ترك ثلاث جمع تهاونا طبع الله على قلبه اخرجه أبو داود والنسائي وللترمذي نحوه (م) عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لقوم يتخلفون عن الجمعة هممت ان آمر رجلا أن يصلي بالناس ثم احرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم *(المسئلة الثالثة)* في تاكيد وجوبها قال العلماء صلاة الجمعة هي من فروض الاعيان فتجب على كل مسلم حر بالغ عاقل ذكر مقيم اذا لم يكن له عذر في تركها ومن تركها من غير عذر استحق الوعيد أما الصبي والمجنون فلا جمعة عليهما لانهما ليسا من أهل الفرض ولا جمعة على النساء بالاتفاق يدل عليه ما روي عن طارق بن شهاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة الا على أربعة عبد مملوك او امرأة او صبي او

مريض أخرجه أبو داود وقال طارق رأى النبي صلى الله عليه وسلم وبعضا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه شيأ * عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجمعة على من سمع النداء اخرجه أبو داود وقال رواه جماعة ولم يرفعوه وانما اسنده قبيصة * عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الجمعة على من آواه الليل الى أهله أخرجه الترمذي ولا تجب الجمعة على العبيد وقال الحسن وقتادة والاوزاعي تجب على العبد المكاتب وعن احمد في العبيد روايتان وتجب الجمعة على أهل القرى والبوادي اذا سمعوا النداء من موضع تقام فيه الجمعة فيلزمهم الحضور وان لم يسمعوا فلا جمعة عليهم وبه قال الشافعي واحمد واسحق والشرط أنه يبلغهم نداء مؤذن جهوري الصوت يؤذن في وقت تكون الاصوات هادئة والرياح ساكنة فكل قرية تكون من موضع الجمعة في القرب على هذا القدر يجب على أهلها حضور الجمعة وقال سعيد بن المسيب تجب الجمعة على من آواه المبيت وقال الزهري تجب على من كان على ستة أميال وقال ربيعة على أربعة أميال وقال مالك والليث على ثلاثة أميال وقال أبو حنيفة لا جمعة على أهل السواد سواء كانت القرية قريبة أو بعيدة دليل الشافعي ومن وافقه ما روى البخاري عن ابن عباس قال ان أول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد عبد القيس بجواثى من البحرين ولابي داود نحوه وفيه بجواثى قرية من قرى البحرين * (المسئلة الرابعة) * في ترك الجمعة بالعذر كل من له عذر من مرض أو تعهد مريض أو خوف جاز له ترك الجمعة وكذا له تركها بعذر المطر والوحل يدل على ذلك ما روى عن ابن عباس انه خطب في يوم ذي ردغ فأمر المؤذن فلما بلغ حي على الصلاة قال قل الصلاة في الرحال فنظر بعضهم الى بعض كأنهم أنكروا ذلك فقال كأنكم أنكرتم هذا ان هذا فعله من هو خير مني يعني النبي صلى الله عليه وسلم وانها عزمة واني كرهت أن أحرجكم زاد في رواية فتمشون في الطين والدحض والزلق أخرجه البخاري ومسلم وكل من لا تجب عليه الجمعة فاذا حضر وصلى مع الامام الجمعة سقط عنه فرض الظهر ولكن لا يكمل به عدد الذين تنعقد بهم الجمعة الا صاحب العذر فانه اذا حضر كمل به العدد * (المسئلة الخامسة) * في العدد الذي تنعقد به الجمعة اختلف أهل العلم في العدد الذي تنعقد به الجمعة فقيل لا تنعقد باقل من أربعين رجلا وهو قول عبيد الله بن عبد الله وعمر بن عبد العزيز وبه قال الشافعي وأحمد واسحق قالوا لا تنعقد الجمعة باقل من أربعين رجلا من أهل الكمال وذلك بان يكونوا احرارا بالغين عاقلين مقيمين في موضع لا يظعنون عنه شتاء ولا صيفا الا ظعن حاجة وشرط عمر ابن عبد العزيز أن يكون فيهم وال والوالي غير شرط عند الشافعي وقال علي بن أبي طالب لا جمعة الا في مصر جامع وهو قول أصحاب الرأي ثم عند أبي حنيفة تنعقد باربعة والوالي شرط عنده وقال الاوزاعي وأبو يوسف تنعقد بثلاثة اذا كان فيهم وال وقال الحسن تنعقد باثنين كسائر الصلوات وقال ربيعة تنعقد باثني عشر رجلا ولا يكمل العدد بمن لا تجب عليه الجمعة كالعبد والمرأة والمسافر والصبي ولا تنعقد

الا

الا فى موضع واحد من البلد وبه قال الشافعى ومالك وأبو يوسف وقال احمد تصح بموضعين اذا كثر الناس وضاق الجامع *(المسئلة السادسة)* لا يجوز أن يسافر الرجل يوم الجمعة بعد الزوال قبل أن يصلى الجمعة وجوز اصحاب الرأى ان يسافر بعد الزوال اذا كان يفارق البلد قبل خروج الوقت اما اذا سافر قبل الزوال وبعد طلوع الفجر فانه يجوز غير انه يكره الان يكون سفره سفر طاعة كحج أو غزو وذهب بعضهم الى انه اذا اصبح يوم الجمعة مقيما فلا يسافر حتى يصلى الجمعة يدل على جوازه ماروى عن ابن عباس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله بن رواحة فى سرية فوافق ذلك يوم الجمعة فغدا أصحابه وقال اتخلف فاصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ألحقهم فلما صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم رآه فقال مامنعك ان تغدو مع أصحابك قال اردت ان اصلى معك ثم اتبعهم فقال لو انفقت مافى الارض جميعا ماأدركت فضل غدوتهم أخرجه الترمذى وروى ان عمر رأى رجلا عليه اهبة السفر وسمعه يقول لولا أن اليوم يوم الجمعة لخرجت فقال له عمر اخرج فان الجمعة لاتحبس عن سفر وللجمعة شرائط وسنن وآداب مذكورة فى كتب الفقه وفى هذا القدر كفاية والله أعلم قوله عز وجل (فاذا قضيت الصلوة فانتشروا فى الارض) اى اذا فرغ من صلاة الجمعة فانتشروا فى الارض للتجارة والتصرف فى حوائجكم (وابتغوا من فضل الله) يعنى الرزق وهذا أمر اباحة قال ابن عباس ان شئت فاخرج وان شئت فاقعد وان شئت فصل الى العصر وقيل قوله فانتشروا فى الارض ليس لطلب دنيا ولكن لعيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ فى الله وقيل وابتغوا من فضل الله هو طلب العلم وعن عراك بن مالك انه كان اذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد وقال اللهم أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتنى فارزقنى من فضلك وأنت خير الرازقين (واذكروا الله كثيرا) أى اذا فرغتم من الصلاة ورجعتم الى التجارة والبيع والشراء فاذكروا الله كثيرا قيل باللسان وقيل بالطاعة قيل لاتكون من الذاكرين الله كثيرا حتى تذكره قائما وقاعدا ومضطجعا (لعلكم تفلحون) قوله تعالى (واذا رأوا تجارة أولهوا انفضوا اليها وتركوك قائما) (ق) عن جابر قال بينما نحن نصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أقبلت عير تحمل طعاما فالتفتوا اليها حتى مابقى مع النبى صلى الله عليه وسلم الا اثنا عشر رجلا فنزلت هذه الآية واذا رأوا تجارة أولهوا انفضوا اليها وتركوك قائما وفى رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائما فجاءت عير من الشام وذكر نحوه وفيه الا اثنا عشر رجلا فيهم أبو بكر وعمر ولمسلم كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فقدمت سويقة قال فخرج الناس اليها فلم يبق الا اثنا عشر رجلا انا فيهم وذكر الحديث وهو حجة من يرى صحة الجمعة باثنى عشر رجلا وأجيب عنه بانه ليس فيه بيان انه أقام بهم الجمعة حتى يكون الحديث حجة لاشتراط هذا العدد وقال ابن عباس فى رواية عنه لم يبق فى المسجد الا ثمانية رهط قال الحسن وأبو مالك اصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية بن خليفة الكلبى بتجارة زيت وطعام من الشام والنبى صلى الله

فاذا قضيت الصلوة) أى أديت (فانتشروا فى الارض) أمر اباحة (وابتغوا من فضل الله) الرزق أو طلب العلم أو عيادة المريض أو زيارة أخ فى الله (واذكروا الله كثيرا) واشكروه على ماوفقكم لاداء فرضه (لعلكم تفلحون واذا رأوا تجارة أولهوا انفضوا اليها) تفرقوا عنك اليها وتقديره واذا رأوا تجارة انفضوا اليها أولهوا انفضوا اليه فحذف احدهما لدلالة المذكور عليه وانما خص التجارة لانها كانت أهم عندهم روى ان أهل المدينة أصابهم جوع وغلاء فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشأم والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه فمابقى معه الاثمانية أو اثنا عشر فقال صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده لوخرجوا جميعا لاضرم الله عليهم الوادى نارا وكانوا اذا اقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق فهو المراد باللهو (وتركوك) على المنبر (قائما) تخطب وفيه دليل على ان الخطيب ينبغى ان يخطب قائما

عليه وسلم يخطب فلما رأوه بالبقيع قاموا اليه خشية أن يسبقوا اليه فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الا رهط فيهم أبو بكر وعمر فنزلت هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده لو تتابعتم حتى لا يبقى منكم أحد لسال بكم الوادى نارا وقال مقاتل بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة اذ قدم دحية بن خليفة الكلبي من الشام بالتجارة وكان اذا قدم لم تبق عاتق بالمدينة الا اتته وكان يقدم بكل ما يحتاج اليه من دقيق وبر وزيت وغيره وينزل عند احجار الزيت وهو مكان فى سوق المدينة ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه فيخرج اليه الناس ليبتاعوا منه فقدم ذات جمعة وذلك قبل ان يسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر يخطب فخرج اليه الناس ولم يبق فى المسجد الا اثناعشر رجلا وامرأة فقال النبي صلى الله عليه وسلم كم بقى فى المسجد فقالوا اثناعشر رجلا وامرأة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا هؤلاء لسومت لهم الحجارة من السماء فانزل الله هذه الآية واراد باللهو الطبل وكانت العير اذا قدمت استقبلوها بالطبل والتصفيق وقوله تعالى انفضوا أى تفرقوا وذهبوا نحوها والضمير فى اليها راجع الى التجارة لانها أهم اليهم وتركوك قائما اتفقوا على ان هذا القيام كان فى الخطبة للجمعة قال علقمة سئل ابن مسعود أكان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب قائما أو قاعدا قال أما تقرؤن وتركوك قائما قال العلماء الخطبة فريضة فى صلاة الجمعة وقال داود الظاهرى هى مستحبة ويجب أن يخطب الامام قائما خطبتين يفصل بينهما بجلوس وقال أبو حنيفة واحمد لا يشترط القيام ولا القعود وتشترط الطهارة فى الخطبة عند الشافعى فى أحد القولين وأقل ما يقع عليه اسم الخطبة أن يحمد الله ويصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ويوصى بتقوى الله هذه الثلاث شروط فى الخطبتين جميعا ويجب أن يقرأ فى الاولى آية من القرآن ويدعو للمؤمنين فى الثانية ولو ترك واحدة من هذه الخمسة لم تصح خطبته ولا جمعته عند الشافعى وذهب أبو حنيفة الى انه لو أتى بتسبيحة او تحميدة أو تكبيرة اجزأه وهذا القدر لا يقع عليه اسم الخطبة وهو مأمور بالخطبة والسنة للامام اذا صعد المنبر ان يستقبل الناس وان يسلم عليهم خلافا لابى حنيفة ومالك وهل يحرم الكلام فى حال الخطبة فيه خلاف بين العلماء والاصح انه يحرم على المستمع دون الخاطب ويستحب ان يصلى تحية المسجد اذا دخل والامام يخطب خلافا لابى حنيفة ومالك

(ذكر الاحاديث الواردة الدالة على هذه الاحكام)

(ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب خطبتين يقعد بينهما وفى رواية أخرى كان يخطب يوم الجمعة وهو قائم ثم يجلس ثم يقوم فيتم كما يفعلون الآن (م) عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال كانت للنبي صلى الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس زاد فى رواية فمن حدثك أنه كان يخطب جالسا فقد كذب (م) عن كعب بن عجرة رضى الله عنه انه دخل المسجد وعبد الرحمن بن الحكم

يخطب جالسا فقال انظروا الى هذا الخبيث يخطب قاعدا وقد قال الله تعالى واذا رأوا
تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما (م) عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال كنت
أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة فكانت صلاته قصدا وخطبته قصدا زاد
أبو داود يقرأ آيات من القرآن ويذكر الناس * عن أبي هريرة رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء أخرجه
أبو داود والترمذي ولأبي داود عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل كلام لا يبدأ
فيه بالحمد لله فهو أجذم * عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان اذا تشهد قال الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا من يهد الله
فهو المهتد ومن يضلل فلا هادي له واشهد أن لا اله الا الله وأشهد ان محمدا عبده ورسوله
أرسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدي الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما
فانه لا يضر الا نفسه ولا يضر الله شيأ وفي رواية ان يونس سأل ابن شهاب عن تشهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فذكر نحوه وقال فيه ومن يعصهما فقد غوى ونسأل
الله ربنا أن يجعلنا ممن يطيعه ويطيع رسوله ويتبع رضوانه ويجتنب سخطه انما نحن
به وله أخرجه أبو داود (م) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال كانت خطبة رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يحمد الله ويثني عليه بما هو أهله ثم يقول على اثر ذلك
وقد علا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ويقول بعثت
انا والساعة كهاتين ويقرن بين اصبعيه السبابة والوسطى ويقول اما بعد فان خير
الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ثم
يقول انا أولى بكل مؤمن من نفسه من ترك مالا فلاهله ومن ترك دينا أو ضياعا فالي
وعلي * عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استوى
على المنبر استقبلناه بوجوهنا أخرجه الترمذي (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت والامام يخطب
فقد لغوت * عن نافع ان ابن عمر رأى رجلين يتحدثان والامام يخطب يوم الجمعة
فحصبهما أن اصمتا أخرجه مالك في الموطا قال ابن شهاب خروج الامام يقطع الصلاة
وكلامه يقطع الكلام فأما صفة صلاة الجمعة فركعتان يجهر فيهما بالقراءة ولجواز
الجمعة خمس شروط الوقت وهو وقت الظهر ما بين زوال الشمس الى دخول وقت
العصر والعدد والامام والخطبة ودار الاقامة فان فقد شرط من هذه الشروط الخمس
يجب أن يصلي ظهرا ولا يجوز للامام أن يبتدئ الخطبة قبل تمام العدد وهو أربعون
عند الشافعي فلو اجتمعوا وخطب بهم ثم انفضوا قبل افتتاح الصلاة أو انفض واحد من
العدد لا يجوز أن يصلي بهم الجمعة بل يصلي الظهر ولو افتتح بهم الصلاة ثم انفضوا فاصح
أقوال الشافعي ان بقاء الاربعين شرط الى آخر الصلاة كما ان بقاء الوقت شرط الى آخر
الصلاة فلو نقص واحد قبل أن يسلم الامام يجب على الباقين أن يصلوها ظهرا وفيه قول

(قل ما عند الله) من الثواب
(خير من اللهو ومن التجارة والله
خير الرازقين) أي لا يفوتهم
رزق الله بترك البيع فهو خير
الرازقين والله أعلم

(سورة المنافقين احدى عشرة
آية مدنية) *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد
انك لرسول الله) أرادوا شهادة
واطأت فيها قلوبهم ألسنتهم
(والله يعلم انك لرسوله) أي
والله يعلم أن الامر كما يدل عليه
قولهم انك لرسول الله (والله
يشهد ان المنافقين لكاذبون)
في ادعاء المواطاة أو انهم لكاذبون
فيه لانه اذا خلا عن المواطاة
لم يكن شهادة في الحقيقة فهم
كاذبون في تسميته شهادة أو انهم
لكاذبون عند أنفسهم لانهم
كانوا يعتقدون ان قولهم انك
لرسول الله كذب وخبر على خلاف
ما عليه حال المخبر عنه (اتخذوا
أيمانهم جنة) وقاية من السبي
والقتل وفيه دليل على ان
أشهد يمين (فصدوا) الناس
(عن سبيل الله) عن الاسلام
بالتنفير والقاء الشبه (انهم ساء
ما كانوا يعملون) من نفاقهم
وصدهم الناس عن سبيل الله
وفي ساء معنى التعجب الذي هو
تعظيم أمرهم عند السامعين
(ذلك) اشارة الى قوله ساء
ما كانوا يعملون أي ذلك القول
الشاهد عليهم بانهم أسوأ الناس
أعمالا (بأنهم) بسبب أنهم (آمنوا

آخر وهو انه ان بقي معه اثنان أتمها جمعة وقيل ان بقي معه واحد أتمها جمعة وعند المزني ان انفضوا بعدما صلى بهم الامام ركعة أتمها جمعة وان بقي وحده وان كان في الركعة الاولى يتمها أربعا وان انفض من العدد واحد وبه قال أبو حنيفة لكن في العدد الذي يشترط كالمسبوق اذا أدرك مع الامام ركعة من الجمعة فاذا سلم الامام أتمها جمعة وان أدرك أقل من ركعة أتمها أربعا (خ) عن أنس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الجمعة حين تميل الشمس (م) عن عبيد الله بن أبي رافع قال استخلف مروان أبا هريرة على المدينة وخرج الى مكة فصلى بنا أبو هريرة الجمعة فقرأ بعد الحمد سورة الجمعة في الأولى واذا جاءك المنافقون في الثانية قال فادركت أبا هريرة حين انصرف فقلت له انك قرأت بسورتين كان علي بن أبي طالب يقرأ بهما في الكوفة فقال أبو هريرة اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما يوم الجمعة (م) عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في العيدين وفي الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل أتاك حديث الغاشية قال واذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد يقرأ بهما في الصلاتين * عن سمرة بن جندب رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل أتاك حديث الغاشية أخرجه أبو داود والنسائي وقوله تعالى (قل ما عند الله) أي ما عند الله من الثواب والاجر على الصلاة والثبات مع النبي صلى الله عليه وسلم (خير من اللهو ومن التجارة) الذي جاء بها دحية (والله خير الرازقين) يعني انه تعالى موجد الارزاق وأصلها منه فاياه فاسألوا ومنه فاطلبوا والله تعالى أعلم

(تفسير سورة المنافقين)

وهي مدنية واحدى عشرة آية ومائة وثمانون كلمة وتسعمائة وستة وسبعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (اذا جاءك المنافقون) يعني عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه (قالوا نشهد انك لرسول الله) وتم الخبر عنهم ثم ابتدأ فقال تعالى (والله يعلم انك لرسوله) أي هو الذي أرسلك فهو عالم بك (والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) يعني في قولهم نشهد انك لرسول الله لانهم أضمروا خلاف ما أظهروا وذلك لان حقيقة الايمان ان يواطئ اللسان القلب وكذلك الكلام فمن أخبر عن شيء واعتقد خلافه أو أضمر خلاف ما أظهر فهو كاذب ألا ترى انهم كانوا يقولون بالسنتهم نشهد انك لرسول الله وسماه كذبا لان قولهم خالف اعتقادهم (اتخذوا أيمانهم جنة) أي سترا يستترون بها من القتل ومعنى أيمانهم ما أخبر الله عنهم من حلفهم انهم لمنكم وقولهم نشهد انك لرسول الله (فصدوا عن سبيل الله) أي أعرضوا بأنفسهم عن طاعة الله وطاعة رسوله وقيل منعوا الناس عن الجهاد وعن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (انهم ساء ما كانوا يعملون) يعني حيث آثروا الكفر على الايمان (ذلك بأنهم آمنوا) أي في الظاهر وذلك اذا رأوا المؤمنين أقروا

ثم كفروا) اوالى ماوصف من حالهم فى النفاق والكذب والاستجنان بالايمان أى ذلك كله بسبب انهم آمنوا أى نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل فى الاسلام ثم كفروا ثم ظهر كفرهم بعد ذلك بقولهم ان كان ما يقول محمد حقا فنحن حمير ونحو ذلك أو نطقوا بالايمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالاسلام كقوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا الآية (فطبع على قلوبهم) فختم عليها حتى لايدخلها الايمان جزاء على نفاقهم (فهم لا يفقهون) لا يتدبرون اولا يعرفون صحة الايمان والخطاب فى (واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم) لرسول الله اولكل من يخاطب (وان يقولوا تسمع لقولهم) كان ابن أبى رجلا جسيما صبيحا فصيحا وقوم من المنافقين فى مثل صفته فكانوا يحضرون مجالس النبى صلى الله عليه وسلم فيستندون فيه ولهم جهارة المناظرة وفصاحة الالسن فكان النبى صلى الله عليه وسلم ومن حضر يعجبون بهياكلهم ويسمعون الى كلامهم وموضع (كأنهم خشب) ٣٠٠ رفع على هم كأنهم خشب أوهو كلام مستأنف لامحل له (مسندة)

الى الحائط شبهوا فى استنادهم وماهم الااجرام خالية عن الايمان والخير بالخشب المسندة الى الحائط لان الخشب اذا انتفع به كان فى سقف اوجدار اوغيرهما من مظان الانتفاع ومادام متروكا غير منتفع به اسند الى الحائط فشبهوا به فى عدم الانتفاع اولانهم اشباح بلاارواح واجسام بلااحلام خشب ابو عمرو وغير عباس وعلى جمع خشبة كبدنة وبدن وخشب كثمرة وثمر (يحسبون كل صيحة عليهم) كل صيحة مفعول اول والمفعول الثانى عليهم وتم الكلام اى يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وضارة لهم لخيفتهم ورعبهم يعنى اذا نادى مناد فى العسكر او انفلتت دابة أو انشدت ضالة ظنوه ايقاعا بهم ثم قال (هم العدو) أى هم الكاملون فى العداوة لان أعدى الاعداء العدو المداجى الذى يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوى (فاحذرهم) ولا تغترر بظاهرهم (قاتلهم الله) دعاء عليهم أو تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك (أنى يؤفكون) كيف يعدلون عن الحق تعجبا من جهلهم وضلالتهم (واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم) عطفوها وأمالوها اعراضا عن ذلك واستكبارا لووا بالتخفيف نافع (ورأيتهم يصدون) يعرضون (وهم مستكبرون) عن الاعتذار والاستغفار روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين لقى بنى المصطلق على المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم وقتلهم ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد اجير لعمر وسنان الجهنى حليف لابن أبى واقتتلا فصرخ جهجاه يا للمهاجرين وسنان يا للانصار فاعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فقال عبد الله لجعال وانت هناك وقال ماصحبنا محمدا الا لنلطم والله مامثلنا ومثلهم الا كما قال سمن كلبك يأكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لقومه والله لو امسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع بذلك زيد بن أرقم وهو حدث فقال أنت والله الذليل القليل

بالايمان (ثم كفروا) أى فى السر وذلك اذا خلوا مع المشركين وفيه تأكيد لقوله والله يشهد انهم لكاذبون (فطبع على قلوبهم) أى بالكفر (فهم لا يفقهون) أى الايمان وقيل لا يتدبرون القرآن (واذا رأيتهم) يعنى المنافقين مثل عبد الله بن أبى ابن سلول (تعجبك اجسامهم) يعنى ان لهم اجساما ومناظر حسنة (وان يقولوا تسمع لقولهم) أى فتحسب انه صدق قال ابن عباس كان عبد الله بن أبى ابن سلول جسيما فصيحا ذلق اللسان فاذا قال سمع النبى صلى الله عليه وسلم قوله (كأنهم خشب مسندة) أى أشباح بلا أرواح واجسام بلا احلام شبههم بالخشب المسندة الى جدر وليست باشجار مثمرة ينتفع بها (يحسبون كل صيحة عليهم) يعنى انهم لا يسمعون صوتا فى العسكر بان ينادى مناد او تنفلت دابة أو تنشد ضالة الا ظنوا من خبثهم وسوء ظنهم انهم يرادون بذلك وظنوا أنهم قد أتوا لما فى قلوبهم من الرعب وقيل انهم على خوف ووجل من ان ينزل فيهم امر يهتك أستارهم ويبيح دماءهم وتم الكلام عند قوله عليهم ثم ابتدأ فقال تعالى (هم العدو فاحذرهم) اى لاتأمنهم فانهم وان كانوا معك ويظهرون تصديقك اعداء لك فاحذرهم ولاتأمنهم على سرك لانهم عيون لاعدائك من الكفار ينقلون اليهم اسرارك (قاتلهم الله) أى لعنهم الله (أنى يؤفكون) اى يصرفون عن الحق قوله تعالى (واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم) اى أمالوها واعرضوا بوجوههم رغبة عن الاستغفار (ورأيتهم يصدون) اى يعرضون عما دعوا اليه (وهم مستكبرون)

أى عن استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم (سواء عليهم أستغفرت لهم) أى يا محمد (أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لايهدى القوم الفاسقين)

(ذكر القصة فى سبب نزول هذه الآية)

قال محمد بن اسحق وغيره من أصحاب السير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن بنى المصطلق يجتمعون لحربه وقائدهم الحرث بن أبى ضرار وهو أبو جويرية زوج النبى صلى الله عليه وسلم فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك خرج اليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل فتزاحم الناس واقتتلوا فهزم الله تعالى بنى المصطلق وأمكن منهم وقتل من قتل منهم ونفل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم ونساءهم وأموالهم فافاءها عليهم فبينما الناس على ذلك الماء اذ وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير له من بنى غفار يقال له جهجاه بن سعيد الغفارى يقود له فرسه فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهنى حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهنى يامعشر الانصار وصرخ الغفارى يامعشر المهاجرين وأعان جهجاها رجل من المهاجرين يقال له جعال وكان فقيرا فقال له عبد الله ابن أبى لجعال وانك لهناك فقال جعال وما يمنعنى أن افعل ذلك فغضب عبد الله ابن أبى وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن ارقم وهو غلام حديث السن فقال عبد الله بن ابى أفعلوها قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ثم أقبل على من حضر من قومه فقال هذا ما فعلتم بانفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم اموالكم أما والله لو أمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولتحولوا الى غير بلادكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فقال زيد بن ارقم أنت والله الذليل القليل المبغض فى قومك ومحمد صلى الله عليه وسلم فى عز من الرحمن ومودة من المسلمين فقال عبد الله بن أبى اسكت لقد كنت ألعب فمشى زيد بن أرقم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد فراغه من الغزو فاخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب فقال دعنى أضرب عنقه يارسول الله قال كيف ياعمر اذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ولكن أذن بالرحيل وذلك فى ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها فارتحل الناس وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبد الله بن أبى فاتاه فقال له أنت صاحب هذا الكلام الذى بلغنى فقال عبد الله بن أبى والذى أنزل عليك الكتاب ماقلت شيأ من ذلك وان زيدا لكاذب وكان عبد الله فى قومه شريفا عظيما فقال من حضر من الانصار من اصحابه يارسول الله عسى ان يكون الغلام قد وهم فى حديثه ولم يحفظ ماقاله فعذره النبى صلى الله عليه وسلم وفشت الملامة لزيد فى الانصار وكذبوه وقال له عمه وكان زيد معه ما أردت الا ان كذبك رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس

ومقتوك

المبغض فى قومك ومحمد على رأسه تاج المعراج فى عز من الرحمن وقوة من المسلمين فقال عبد الله اسكت فانما كنت ألعب فاخبر زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضى الله عنه دعنى اضرب عنق هذا المنافق يارسول الله فقال اذن ترعد انف كثيرة بيثرب قال فان كرهت ان يقتله مهاجر فأمر به انصاريا قال فكيف اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال عليه الصلاة والسلام لعبد الله انت صاحب الكلام الذى بلغنى قال والله الذى أنزل عليك الكتاب ماقلت شيأ من ذلك وان زيدا لكاذب فهو قوله اتخذوا أيمانهم جنة فقال الحاضرون يارسول الله شيخنا وكبيرنا لاتصدق عليه كلام غلام عسى ان يكون قد وهم فلما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد ياغلام ان الله قد صدقك وكذب المنافقين فلما بان كذب عبد الله قيل له قد نزلت فيك آى شداد فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فلوى رأسه فقال أمرتمونى أن اومن فآمنت وامرتمونى أن ازكى مالى فزكيت وما بقى لى الا ان اسجد لمحمد فنزل واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله ولم يلبث الا اياما حتى اشتكى ومات (سواء عليهم أستغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم) اى ماداموا على النفاق والمعنى سواء عليهم الاستغفار وعدمه لانهم لايلتفتون اليه ولا يعتدون به لكفرهم أولان الله لايغفر لهم وقرئ استغفرت على حذف حرف الاستفهام لان ام المعادلة تدل عليه (ان الله لايهدى القوم الفاسقين)

ومقتولك وكان زيد يسا ير النبي صلى الله عليه وسلم فاستحيا بعد ذلك أن يدنو من النبي صلى الله عليه وسلم فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار لقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ثم قال يا رسول الله صلى الله عليك وسلم لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح فيها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أوما بلغك ما قال صاحبك عبد الله بن أبي فقال أسيد وما قال قال يزعم انه ان رجع الى المدينة أخرج الاعز منها الاذل فقال اسيد أنت والله يا رسول الله تخرجه هو والله الذليل وأنت والله العزيز ثم قال يا رسول الله ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه فانه ليرى انك قد سلبته ملكا وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي ما كان من أبيه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله انه بلغني انك تريد قتل عبد الله ابن أبي لما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمرني به فانا أحمل اليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالديه مني واني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أن أنظر الى قاتل عبد الله بن أبي يمشي على الارض فاقتله فاقتل مؤمنا بكافر فادخل النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا قالوا وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم يومه ذلك حتى أمسى وليلته حتى أصبح وصدر يومه حتى آذتهم الشمس فنزل بالناس فلم يكن الا أن وجدوا مس الارض فوقعوا نياما وانما فعل ذلك ليشغل الناس عن حديث عبد الله بن أبي الذي كان منه بالامس ثم راح بالناس حتى نزل على ماء بالحجاز فويق البقيع يقال لها نقعاء فهاجت ريح شديدة آذتهم وتخوفوها وضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بالليل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تخافوا فانما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار توفي بالمدينة فقيل من هو قال رفاعة بن زيد بن التابوت فقال رجل من المنافقين كيف يزعم أنه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته ألا يخبره الذي يأتيه بالوحي فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فاخبره بقول المنافق وبمكان ناقته فاخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال ما أزعم اني أعلم الغيب ولا أعلمه ولكن الله اخبرني بقول المنافق وبمكان ناقتي هي في الشعب وقد تعلق زمامها بشجرة فخرجوا يسعون قبل الشعب فاذا هي كما قال فجاؤا بها فآمن ذلك المنافق وحسن ايمانه فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد ابن التابوت قد مات في ذلك اليوم وكان من عظماء اليهود وكهفا للمنافقين فلما وافى رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال زيد بن أرقم جلست في البيت لما بي من الهم والحياء فانزل الله عز وجل سورة المنافقين في تصديق زيد بن أرقم وتكذيب عبد الله ابن أبي فلما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم باذن زيد وقال يا زيد ان الله قد صدقك وأوفى باذنك (ق) عن زيد بن أرقم قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر أصاب الناس فيه شدة فقال عبد الله بن أبي لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بذلك فارسل الى عبد الله بن أبي فسأله فاجتهد يمينه

هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا) يتفرقوا (ولله خزائن السموات والارض) أي وله الارزاق والقسم فهو رازقهم منها وان ابى أهل المدينة ان ينفقوا عليهم (ولكن المنافقين لا يفقهون) ولكن عبد الله واضرابه جاهلون لا يفقهون ذلك فيهذون بما يزين لهم الشيطان (يقولون لئن رجعنا) من غزوة بني المصطلق (الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة) أي الغلبة والقوة (ولرسوله وللمؤمنين) ولمن أعزه الله وأيده من رسله ومن المؤمنين وهم الاخصاء بذلك كما أن المذلة والهوان للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين وعن بعض الصالحات وكانت في هيئة رثة ألست على الاسلام وهو العز الذي لا ذل معه والغنى الذي لا فقر معه وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أن رجلا قال له ان الناس يزعمون أن فيك تيها قال ليس بتيه ولكنه عزة وتلا هذه الآية (ولكن المنافقين لا يعلمون يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم) لا تشغلكم (أموالكم) هو التصرف فيها والسعي في تدبير أمرها بالنماء وطلب النتاج (ولا أولادكم) وسروركم بهم وشفقتكم عليهم والقيام بمؤنهم (عن ذكر الله) أي عن الصلوات الخمس أو عن القرآن

مافعل فقالوا كذب زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوقع في نفسي مما قالوه شدة حتى أنزل الله بتصديقي اذا جاءك المنافقون قال ثم دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر لهم قال فلووا رؤسهم وقوله كأنهم خشب مسندة قال كانوا رجالا أجمل شئ (ق) عن جابر قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا وكان من المهاجرين رجل لعاب فكسع انصاريا فغضب الانصاري غضبا شديدا حتى تداعوا وقال الانصاري يا للانصار وقال المهاجر يا للمهاجرين فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما بال دعوى الجاهلية ثم قال ما شأنهم فاخبر بكسعة المهاجر الانصاري فقال دعوها فانها خبيثة وقال عبد الله بن أبي ابن سلول أقد تداعوا علينا لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال عمر ألا أقتل يا نبي الله هذا الخبيث لعبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يتحدث الناس انه كان يقتل اصحابه ولمسلم رواية وفيها فقال لا باس ولينصر الرجل أخاه ظالما كان او مظلوما ان كان ظالما فلينهه فانه له نصر وان كان مظلوما فلينصره وزاد الترمذي فيه فقال له ابنه عبد الله بن عبد الله لا تنقلب حتى تقر أنك أنت الذليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم العزيز ففعل قال أصحاب السير وكان عبد الله بن ابي بقرب المدينة فلما أراد أن يدخلها جاءه ابنه عبد الله حتى أناخ على مجامع طرق المدينة فلما جاء عبد الله بن ابي قال له ابنه وراءك قال ويلك مالك قال لا والله لا تدخلها أبدا الا أن يأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولتعلمن اليوم من الاعز من الاذل فشكا عبد الله بن أبي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع ابنه عبد الله فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن خل عنه يدخل فقال عبد الله اما اذا جاء أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنعم فدخل قالوا فلما نزلت هذه السورة وتبين كذب المنافقين قيل يا أبا حباب انه قد نزل فيك آي شداد فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فلوى رأسه وقال امرتموني ان أومن فآمنت وأمرتموني ان أعطي زكاة مالي فقد أعطيت فما بقي الا أن اسجد لمحمد صلى الله عليه وسلم فانزل الله واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم الآية ونزل (هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا) أي يتفرقوا عنه (ولله خزائن السموات والارض) يعني بيده مفاتيح الرزق فلا يعطي أحد أحدا شيأ الا باذنه ولا يمنعه الا بمشيئته (ولكن المنافقين لا يفقهون) يعني ان أمر الله اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون (يقولون لئن رجعنا الى المدينة) يعني من غزوة بني المصطلق (ليخرجن الاعز منها الاذل) فرد الله عليهم بقوله (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) فعزة الله تعالى قهره وغلبته على من دونه وعزة رسوله صلى الله عليه وسلم اظهار دينه على الاديان كلها وعزة المؤمنين نصر الله اياهم على أعدائهم (ولكن المنافقين لا يعلمون) أي ذلك ولو علموا ما قالوا هذه المقالة قال أصحاب السير فلما نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي ابن سلول لم يلبث الا أياما قلائل حتى اشتكى ومات على نفاقه قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم) أي لا تشغلكم (أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) يعني عن الصلوات الخمس والمعنى

لا

لاتشغلكم أموالكم ولا أولادكم كما شغلت المنافقين عن ذكر الله (ومن يفعل ذلك) أى ومن شغله ماله وولده عن ذكر الله (فأولئك هم الخاسرون) أى فى تجارتهم حيث آثروا الفانى على الباقى (وأنفقوا مما رزقناكم) قال ابن عباس يريد زكاة الاموال (من قبل أن يأتى أحدكم الموت) أى دلائل الموت ومقدماته وعلاماته فيسأل الرجعة (فيقول رب لولا أخرتنى) أى هلا أمهلتنى وقيل لو أخرت أجلى (الى أجل قريب فأصدق) أى فأزكى مالى (وأكون) وقرئ وأكن (من الصالحين) أى المؤمنين وقيل نزلت هذه الآية فى المنافقين ويدل على هذا ان المؤمن لا يسأل الرجعة وقيل نزلت فى المؤمنين والمراد بالصلاح هنا الحج قال ابن عباس مامن أحد يموت وكان له مال ولم يؤد زكاته أو أطاق الحج ولم يحج الا سأل الرجعة عند الموت وقرأ هذه الآية وأكون من الصالحين أى أحج وأزكى (ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها) يعنى انه تعالى لا يؤخر من حضر أجله وانقضت مدته (والله خبير بما تعملون) يعنى انه لو رد الى الدنيا وأجيب الى ما سأل ما حج وما زكى وقيل هو خطاب شائع لكل عامل عملا من خير أو شر والله سبحانه وتعالى أعلم

(تفسير سورة التغابن)

وهى مدنية فى قول الاكثر وقيل هى مكية الا ثلاث آيات من قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم الى آخر ثلاث آيات وهى ثمانى عشرة آية ومائتان واحدى وأربعون كلمة وألف وسبعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض له الملك وله الحمد) يعنى انه تعالى متصرف فى ملكه كيف يشاء تصرف اختصاص لا شريك له فيه وله الحمد لان أصول النعم كلها منه وهو الذى يحمد على كل حال فلا محمود فى جميع الاحوال الا هو (وهو على كل شئ قدير) يعنى انه سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء كما يشاء بلا مانع ولا مدافع (هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) قال ابن عباس ان الله تعالى خلق بنى آدم مؤمنا وكافرا ثم يعيدهم يوم القيامة كما خلقهم مؤمنا وكافرا (م) عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله خلق للجنة أهلا خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم وخلق للنار أهلا خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم (ق) عن أنس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالرحم ملكا فيقول أى رب نطفة أى رب علقة أى رب مضغة فاذا أراد الله أن يقضى خلقها قال يا رب أذكر أم أنثى أشقى أم سعيد فما الرزق فما الاجل فيكتب ذلك وهو فى بطن أمه وقال جماعة فى معنى الآية

(ومن يفعل ذلك) يريد الشغل بالدنيا عن الدين وقيل من يشتغل بتثمير أمواله عن تدبير أحواله وبمرضاة أولاده عن اصلاح معاده (فأولئك هم الخاسرون) فى تجارتهم حيث باعوا الباقى بالفانى (وأنفقوا مما رزقناكم) من للتبعيض والمراد بالانفاق الواجب (من قبل أن يأتى أحدكم الموت) أى من قبل أن يرى دلائل الموت ويعاين ما ييأس معه من الامهال ويتعذر عليه الانفاق (فيقول رب لولا أخرتنى) هلا أخرت موتى (الى أجل قريب) الى زمان قليل (فأصدق) فأتصدق وهو جواب لولا (وأكن من الصالحين) من المؤمنين والآية فى المؤمنين وقيل فى المنافقين وأكون أبو عمرو بالنصب عطفا على اللفظ والجزم على موضع فأصدق كأنه قيل ان أخرتنى أصدق وأكن (ولن يؤخر الله نفسا) عن الموت (اذا جاء أجلها) المكتوب فى اللوح المحفوظ (والله خبير بما تعملون) يعملون حماد ويحيى والمعنى انكم اذا علمتم ان تأخير الموت عن وقته مما لا سبيل اليه وانه هاجم لا محالة والله عليم بأعمالكم فمجاز عليها من منع واجب وغيره لم يبق الا المسارعة الى الخروج عن عهدة الواجب والاستعداد للقاء الله تعالى والله أعلم بالصواب

(سورة التغابن ثمانى عشرة آية مختلف فيها)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير) قدم الظرفان ليدل بتقديمهما على اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل وذلك ان الملك على الحقيقة له لانه مبدئ كل شئ والقائم به وكذا الحمد لان أصول النعم وفروعها منه وأما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء وحمد غيره اعتداد بان نعمة الله جرت على يده (هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) أى فمنكم آت بالكفر وفاعل له ومنكم آت بالايمان وفاعل له ويدل عليه قوله

(والله بما تعملون بصير) أي عالم و بصير بكفركم وايمانكم اللذين هما من عملكم والمعنى هو الذي تفضل عليكم باصل النعم الذي هو الخلق والايجاد عن العدم وكان يجب أن تكونوا باجمعكم شاكرين فما بالكم تفرقتم أمما فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقدم الكفر لانه الاغلب عليهم والاكثر فيهم وهو رد لقول من يقول بالمنزلة بين المنزلتين وقيل هو الذي خلقكم فمنكم كافر بالخالق وهم الدهرية ومنكم مؤمن به (خلق السموات والارض بالحق) بالحكمة البالغة وهو أن جعلها مقار المكلفين ليعملوا فيجازيهم (وصوركم فأحسن صوركم) أي جعلكم أحسن الحيوان كله وأبهاه بدليل ان الانسان لا يتمنى أن تكون صورته على خلاف ما يرى من سائر الصور ومن أحسن صورته انه خلقه منتصبا غير منكب

ومن كان دميما مشوه الصورة سمج الخلقة فلا سماجة ثم ولكن الحسن على طبقات فلانحطاطها عما فوقها لا تستملح ولكنها غير خارجة عن حد الحسن وقالت الحكماء شيئآن لا غاية لهما الجمال والبيان (واليه المصير) فأحسنوا سرائركم كما أحسن صوركم (يعلم ما في السموات والارض و يعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور) نبه بعلمه ما في السموات والارض ثم بعلمه بما يسره العباد ويعلنونه ثم بعلمه بذات الصدور أن شيأ من الكليات والجزئيات غير خاف عليه فحقه ان يتقى ويحذر ولا يجترأ على شئ مما يخالف رضاه وتكرير العلم في معنى تكرير الوعيد وكل ما ذكره بعد قوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن في معنى الوعيد على الكفر وانكار أن يعصى الخالق ولا تشكر نعمته (ألم يأتكم) الخطاب لكفار مكة (نبأ الذين كفروا من قبل) يعني قوم نوح وهود وصالح ولوط (فذاقوا وبال أمرهم) أي ذاقوا ثم وبال كفرهم في الدنيا (ولهم عذاب أليم) في العقبى (ذلك) اشارة الى ما ذكر من الوبال الذي ذاقوه في الدنيا وما أعد لهم من العذاب في الآخرة (بانه) بأن الشان والحديث (كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات (فقالوا أبشر يهدوننا) انكروا الرسالة للبشر ولم ينكروا العبادة للحجر (فكفروا) بالرسل (وتولوا) عن الايمان (واستغنى الله) أطلق ليتناول كل شئ ومن جملته ايمانهم وطاعتهم (والله غني) عن خلقه (حميد) على صنعه

ان الله تعالى خلق الخلق ثم كفروا وآمنوا لان الله ذكر الخلق ثم وصفهم بفعلهم فقال فمنكم كافر ومنكم مؤمن ثم اختلفوا في تأويلها فروى عن أبي سعيد الخدري انه قال فمنكم كافر حياته مؤمن في العاقبة ومنكم مؤمن حياته كافر في العاقبة وقال عطاء بن أبي رباح فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب وقيل فمنكم كافر أي بان الله خلقه وهم الدهرية وأصحاب الطبائع ومنكم مؤمن أي بان الله خالقه وجملة القول فيه ان الله تعالى خلق الكافر وكفره فعلا له وكسبا وخلق المؤمن وايمانه فعلا له وكسبا فلكل واحد من الفريقين كسب واختيار وكسبه واختياره بتقدير الله وبمشيئته فالمؤمن بعد خلق الله اياه يختار الايمان لان الله أراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه والكافر بعد خلق الله اياه يختار الكفر لان الله تعالى قدر ذلك عليه وعلمه منه هذا طريق أهل السنة فمن سلك هذا أصاب الحق وسلم من مذهب الجبرية والقدرية (والله بما تعملون بصير) أي انه عالم بكفر الكافر وايمان المؤمن (خلق السموات والارض بالحق وصوركم فأحسن صوركم) أي انه أتقن وأحكم صوركم على وجه لا يوجد مثله في الحسن والمنظر من حسن القامة والمناسبة في الاعضاء وقد علم بهذا ان صورة الانسان أحسن صورة وأكملها (واليه المصير) أي المرجع في القيامة (يعلم ما في السموات والارض و يعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور) معناه انه لا تخفى عليه خافية فاستوى في علمه الظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم قوله تعالى (ألم يأتكم) يخاطب كفار مكة (نبأ الذين كفروا من قبل) يعني خبر الامم الخالية (فذاقوا وبال أمرهم) أي جزاء أعمالهم وهو ما لحقهم من العذاب في الدنيا (ولهم عذاب أليم) أي في الآخرة (ذلك) أي الذي نزل بهم من العذاب (بانه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا) معناه انهم أنكروا أن يكون الرسول بشرا وذلك لقلة عقولهم وسخافة أحلامهم ولم ينكروا أن يكون معبودهم حجرا (فكفروا) أي جحدوا وأنكروا (وتولوا) أي أعرضوا (واستغنى الله) أي عن ايمانهم وعبادتهم (والله غني) أي عن خلقه (حميد) أي في أفعاله

(زعم الذين كفروا) أى أهل مكة والزعم ادعاء العلم ويتعدى تعدى العلم (أن لن يبعثوا) أن مع ما فى حيزه قائم مقام المفعولين وتقديره انهم لن يبعثوا (قل بلى) هو اثبات لما بعد لن وهو البعث (وربى لتبعثن) أكد الاخبار باليمين فان قلت ما معنى اليمين على شئ أنكروه قلت هو جائز لان التهدد به أعظم موقعا فى القلب فكأنه قيل لهم ما تنكرونه كائن لا محالة (ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك) البعث (على الله يسير) هين (فآمنوا بالله ورسوله) محمد صلى الله عليه وسلم (والنور الذى أنزلنا) يعنى القرآن لانه يبين حقيقة كل شئ فيهتدى به كما بالنور (والله بما تعملون خبير) فراقبوا أموركم (يوم يجمعكم) انتصب الظرف بقوله لتنبؤن أو باضمار اذكر (ليوم الجمع) ليوم يجمع فيه الاولون والآخرون (ذلك يوم التغابن) وهو مستعار من تغابن القوم فى التجارة وهو ان يغبن بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء التى كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء ونزول الاشقياء منازل السعداء التى كانوا ينزلونها لو كانوا أشقياء كما ورد فى الحديث ومعنى ذلك يوم التغابن وقد يتغابن الناس فى غير ذلك اليوم استعظام له وأن تغابنه هو التغابن فى الحقيقة لا التغابن فى أمور الدنيا (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا) صفة للمصدر أى عملا صالحا (يكفر عنه سيآته ويدخله) وبالنون فيهما مدنى وشامى (جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ما أصاب من مصيبة) شدة ومرض وموت أهل أو شئ يقتضى هما (الا باذن الله) بعلمه وتقديره ومشيئته كأنه اذن للمصيبة ان تصيبه (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) للاسترجاع عند المصيبة حتى يقول انا لله وانا اليه راجعون أو يشرحه للازدياد من الطاعة والخير أو يهد قلبه حتى يعلم ان ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وعن مجاهد ان ابتلى صبر وان أعطى شكر وان ظلم غفر (والله بكل شئ عليم وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول

ثم أخبر الله تعالى عن انكارهم البعث فقال تعالى (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل) أى قل لهم يا محمد (بلى وربى لتبعثن) أى يوم القيامة (ثم لتنبؤن) أى لتخبرن (بما عملتم وذلك على الله يسير) أى أمر البعث والحساب يوم القيامة (فآمنوا بالله ورسوله) لما ذكر حال الامم الماضية المكذبة وما نزل بهم من العذاب قال فآمنوا أنتم بالله ورسوله لئلا ينزل بكم ما نزل بهم من العقوبة (والنور الذى أنزلنا) يعنى القرآن سماه نورا لانه يهتدى به فى ظلمات الضلال كما يهتدى بالنور فى الظلمة (والله بما تعملون خبير) يعنى انه مطلع عليكم عالم بأحوالكم جميعا فراقبوه وخافوه قوله عز وجل (يوم يجمعكم ليوم الجمع) يعنى يوم القيامة يجمع الله فيه الاولين والآخرين وأهل السموات وأهل الارضين (ذلك يوم التغابن) من الغبن وهو فوت الحظ والمراد فى المجازاة والتجارة وذلك انه اذا أخذ الشئ بدون قيمته فقد غبن والمغبون من غبن أهله ومنازله فى الجنة وذلك لان كل كافر له أهل ومنزل فى الجنة لو أسلم فيظهر يومئذ غبن كل كافر بتركه الايمان ويظهر غبن كل مؤمن بتقصيره فى الاحسان وقيل ان قوما فى النار يعذبون وقوما فى الجنة ينعمون فلا غبن أعظم من هذا وقيل هو غبن المظلوم للظالم لان المظلوم مغبون فى الدنيا فصار فى الآخرة غابنا لظالمه وأصل الغبن فى البيع والشراء وقد ذكر الله فى حق الكافرين انهم خسروا وغبنوا فى شرائهم فقال تعالى اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة وقال فى حق المؤمنين هل أدلكم على تجارة وقال ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فخسرت صفقة الكافرين وربحت صفقة المؤمنين (ومن يؤمن بالله) على ما جاءت به الرسل من الايمان بالبعث والجنة والنار (ويعمل صالحا) أى فى ايمانه الى أن يموت على ذلك (يكفر عنه سيآته ويدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا) أى بوحدانية الله وقدرته (وكذبوا بآياتنا) أى الدالة على البعث (أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ما أصاب من مصيبة الا باذن الله) أى بقضاء الله وقدره وارادته (ومن يؤمن بالله) أى يصدق انه لا يصيبه مصيبة من موت أو مرض أو ذهاب مال ونحو ذلك الا بقضاء الله وقدره واذنه (يهد قلبه) أى يوفقه لليقين حتى يعلم ان ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه فيسلم لقضاء الله تعالى وقدره وقيل يهد قلبه للشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء (والله بكل شئ عليم وأطيعوا الله) أى فيما أمر (وأطيعوا الرسول) أى فيما جاء به عن الله

(فإن توليتم) عن طاعة الله وطاعة رسوله (فإنما على رسولنا البلاغ المبين) أي عليه التبليغ وقد فعل (الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون) بعث لرسول الله صلى الله عليه وسلم على التوكل عليه حتى ينصره على من كذبه وتولى

عنه (يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم) أي إن من الأزواج أزواجا يعادين بعولتهن ويخاصمنهم ومن الأولاد أولادا يعادون آباءهم ويعقونهم (فاحذروهم) الضمير للعدو أو للأزواج والأولاد جميعا أي لما علمتم أن هؤلاء لا يخلون من عدو فكونوا منهم على حذر ولا تأمنوا غوائلهم وشرهم (وإن تعفوا) عنهم إذا اطلعتم منهم على عداوة ولم تقابلوهم بمثلها (وتصفحوا) تعرضوا عن التوبيخ (وتغفروا) وتستروا ذنوبهم (فإن الله غفور رحيم) يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عنكم قيل إن ناسا أرادوا الهجرة عن مكة فثبطهم أزواجهم وأولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا الذين سبقوهم قد فقهوا في الدين أرادوا أن يعاقبوا أزواجهم وأولادهم فزين لهم العفو (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) بلاء ومحنة لأنهم يوقعون في الإثم والعقوبة ولا بلاء أعظم منهما (والله عنده أجر عظيم) أي في الآخرة وذلك أعظم من منفعتكم بأموالكم وأولادكم ولم يدخل فيه من كما في العداوة لأن الكل لا يخلو عن الفتنة وشغل القلب وقد يخلو بعضهم عن العداوة (فاتقوا الله ما استطعتم) جهدكم ووسعكم قيل هو تفسير لقوله حق تقاته (واسمعوا) ما توعظون به (وأطيعوا) فيما تؤمرون به وتنهون عنه

وما أمركم به (فإن توليتم) أي عن إجابة الرسول فيما دعاكم إليه (فإنما على رسولنا البلاغ المبين الله لا إله إلا هو) أي لا معبود ولا مقصود إلا هو (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) عن ابن عباس قال هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة وأرادوا أن يأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم أن يأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فلما أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا الناس قد فقهوا في الدين فهموا أن يعاقبوهم فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم الآية أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعنه قالوا لهم صبرنا على إسلامكم فلا صبر لنا على فراقكم فأطاعوهم وتركوا الهجرة فقال الله تعالى فاحذروهم أي أن تطيعوهم وتدعوا الهجرة (وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا) هذا فيمن أقام على الأهل والولد ولم يهاجر ثم هاجر فرأى الذين قد سبقوه بالهجرة قد فقهوا في الدين فهم أن يعاقب زوجته وولده الذين ثبطوه ومنعوه عن الهجرة لما لحقوا به ولا ينفق عليهم ولا يصيبهم بخير فأمره الله بالعفو والصفح عنهم وقال عطاء بن يسار نزلت في عوف بن مالك الأشجعي وكان ذا أهل وولد فإذا أراد أن يغزو بكوا عليه ورققوه وقالوا إلى من تدعنا فيرق عليهم فيقيم فأنزل الله تعالى إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم بحملهم إياكم على ترك طاعة الله فاحذروهم أي أن تقبلوا منهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا أي فلا تعاقبوهم على خلافكم (فإن الله غفور رحيم إنما أموالكم وأولادكم فتنة) أي بلاء واختبار وشغل عن الآخرة وقد يقع الإنسان بسببهم في العظائم ومنع الحق وتناول الحرام وغصب مال الغير ونحو ذلك (والله عنده أجر عظيم) يعني الجنة والمعنى لا تباشروا المعاصي بسبب أولادكم ولا تؤثروهم على ما عند الله من الأجر العظيم قال بعضهم لما ذكر الله العداوة أدخل من للتبعيض فقال إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم لأنهم كلهم ليسوا بأعداء ولم يذكر من في قوله إنما أموالكم وأولادكم فتنة لأنهم لم يخلوا عن الفتنة واشتغال القلب بهم وكان عبد الله بن مسعود يقول لا يقولن أحدكم اللهم إني أعوذ بك من الفتنة فإنه ليس أحد منكم يرجع إلى أهل ومال وولد إلا يشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم إني أعوذ بك من مضلات الفتن * عن بريدة رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال صدق الله إنما أموالكم وأولادكم فتنة نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وقوله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) أي ما أطقتم وهذه الآية ناسخة لقوله اتقوا الله حق تقاته (واسمعوا وأطيعوا) أي الله ولرسوله فيما يأمركم به وينهاكم عنه

(وأنفقوا

(وأنفقوا) في الوجوه التي وجبت عليكم النفقة فيها (خيرا لأنفسكم) أي انفاقا خيرا لأنفسكم وقال الكسائي يكن الانفاق خيرا لأنفسكم والأصح أن تقديره ائتوا خيرا لأنفسكم وافعلوا ما هو خير لها وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الأوامر وبيان لأن هذه الأمور خير لأنفسكم من الأموال والأولاد وما أنتم عاكفون عليه من حب الشهوات وزخارف الدنيا (ومن يوق شح نفسه) أي البخل بالزكاة والصدقة الواجبة (فأولئك هم المفلحون ان تقرضوا الله قرضا حسنا) بنية واخلاص وذكر القرض تلطفا في الاستدعاء (يضاعفه لكم) يكتب لكم بالواحدة ٣٦٣ عشرا أو سبعمائة الى ما شاء من الزيادة (و يغفر لكم

(وانفقوا) أي من أموالكم حق الله الذي أمركم به (خيرا لأنفسكم) أي ما أنفقتم في طاعة الله (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) تقدم تفسيره (ان تقرضوا الله قرضا حسنا) القرض الحسن هو التصدق من الحلال مع طيبة نفس يعني ان تقرضوا أي تنفقوا في طاعة الله متقربين اليه بالانفاق (يضاعفه لكم) أي يجز كم بالضعف الى سبعمائة الى ما يشاء من الزيادة (ويغفر لكم والله شكور) يعني يحب المتقربين اليه (حليم) أي لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم (عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم) والله أعلم

(تفسير سورة الطلاق مدنية)

وهي اثنتا عشرة آية ومائتان وتسع وأربعون كلمة وألف وستون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (يا أيها النبي اذا طلقتم النساء) نادى النبي صلى الله عليه وسلم ثم خاطب أمته لأنه المقدم عليهم فاذا خوطب خطاب الجمع كانت أمته داخلة في ذلك الخطاب وقيل معناه يا أيها النبي قل لأمتك فأضمر القول اذا طلقتم النساء أي اذا أردتم تطليقهن (فطلقوهن لعدتهن) أي لزمان عدتهن وهو الطهر لأنها تعتد بذلك الطهر من عدتها وتحصل في العدة عقيب الطلاق فلا يطول عليها زمان العدة وكان ابن عباس وابن عمر يقرآن فطلقوهن قبل عدتهن وهذا في المدخول بها لأن غير المدخول بها لا عدة عليها نزلت هذه الآية في عبد الله بن عمر كان قد طلق امرأته في حال الحيض (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه طلق امرأته وهي حائض فذكر ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتغيظ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال مره فليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فان بدا له أن يطلقها فليطلقها قبل أن يمسها فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء زاد في رواية كان عبد الله طلقها تطليقة فحسبت من طلاقها وراجعها عبد الله كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية لمسلم انه طلق امرأته وهي حائض فذكر ذلك عمر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال مره فليراجعها ثم ليطلقها طاهرا أو حاملا ولمسلم من حديث أبي الزبير انه سمع عبد الرحمن بن أيمن مولى عروة يسأل ابن

والله شكور) يقبل القليل و يعطي الجزيل (حليم) يقيل الجليل من ذنب البخيل او يضعف الصدقة لدافعها ولا يعجل العقوبة لمانعها (عالم الغيب) أي يعلم ما استتر من سرائر القلوب (والشهادة) أي ما انتشر من ظواهر الخطوب (العزيز) المعز باظهار السيوب (الحكيم) في الاخبار عن الغيوب والله أعلم

(سورة الطلاق مدنية وهي اثنتا عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها النبي اذا طلقتم النساء) خص النبي صلى الله عليه وسلم بالنداء وعم بالخطاب لأن النبي امام أمته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم يا فلان افعلوا كذا اظهارا لتقدمه واعتبارا لترؤسه وانه قدوة قومه فكان هو وحده في حكم كلهم وسادا مسد جميعهم وقيل التقدير يا أيها النبي والمؤمنين ومعنى اذا طلقتم النساء اذا أردتم تطليقهن على تنزيل المقبل على الأمر المشارف له منزلة الشارع فيه كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه ومنه كان الماشي الى الصلاة والمنتظر لها في حكم المصلي (فطلقوهن لعدتهن) فطلقوهن مستقبلات لعدتهن وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبل عدتهن واذا طلقت المرأة في الطهر المتقدم للقرء الأول من أقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد أن تطلق المدخول بهن من المعتدات بالحيض في طهر لم يجامعن فيه ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا أحسن الطلاق

عمرو وأبو الزبير يسمع كيف ترى في رجل طلق امرأته حائضا فقال طلق ابن عمر امرأته وهي حائض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعها فردها وقال اذا طهرت فليطلق أو ليمسك قال ابن عمر وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن في قبل عدتهن ٤

* (فصل) * اعلم أن الطلاق في حال الحيض والنفاس بدعة وكذلك في الطهر الذي جامعها فيه لقول النبي صلى الله عليه وسلم وان شاء طلق قبل أن يمس والطلاق السني ان يطلقها في طهر لم يجامعها فيه وهذا في حق امرأة تلزمها العدة بالاقراء فاما اذا طلق غير المدخول بها في حال الحيض أو طلق الصغيرة التي لم تحض أو الآيسة بعد ما جامعها أو طلق الحامل بعد ما جامعها أو طلق التي لم تر الدم لا يكون بدعيا ولا سنة ولا بدعة في طلاق هؤلاء لان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثم ليطلقها طاهرا أو حاملا والخلع في حال الحيض أو في طهر جامعها فيه لا يكون بدعيا لان النبي صلى الله عليه وسلم اذن لثابت بن قيس في مخالعة زوجته قبل أن يعرف حالها ولولا جوازه في جميع الاحوال لامره أن يتعرف الحال ولو طلق امرأته في حال الحيض أو في طهر جامعها فيه قصدا عصى الله تعالى ووقع الطلاق لان النبي صلى الله عليه وسلم أمر ابن عمر بالمراجعة فلولا وقوع الطلاق لم يأمره بالمراجعة واذا راجعها في حال الحيض يجوز أن يطلقها في حال الطهر الذي يعقب تلك الحيضة قبل المسيس كما رواه يونس بن جبير وأنس بن سيرين عن ابن عمر ولم يقولا ثم تحيض ثم تطهر وما رواه نافع عن ابن عمر ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فأمر استحباب استحب تأخير الطلاق الى الطهر الثاني حتى لا تكون مراجعته اياها للطلاق كما انه يكره النكاح للطلاق ولا بدعة في الجمع بين الطلقات الثلاث عند بعض أهل العلم فلو طلق امرأته في حال الطهر ثلاثا لا يكون بدعيا وهو قول الشافعي وأحمد وذهب بعضهم الى انه بدعة وهو قول مالك وأصحاب الرأي قوله تعالى (وأحصوا العدة) أي عدة اقرائها فاحفظوها قيل أمر باحصاء العدة لتفريق الطلاق على الاقراء اذا أراد أن يطلق ثلاثا وقيل للعلم ببقاء زمان الرجعة ومراعاة أمر النفقة والسكنى (واتقوا الله ربكم) أي واخشوا الله ولا تعصوه فيما أمركم به (لا تخرجوهن من بيوتهن) يعني اذا كان المسكن الذي طلقها فيه الزوج له بملك أو كراء وان كان عارية فارتجعت كان على الزوج أن يكري لها منزلا غيره ولا يجوز للزوج أن يخرج المرأة من المسكن الذي طلقها فيه (ولا يخرجن) يعني ولا يجوز للمرأة ان تخرج مالم تنقض عدتها لحق الله تعالى فان خرجت لغير ضرورة اثمت فان وقعت ضرورة بان خافت هدما أو غرقا جاز لها أن تخرج الى منزل آخر وكذلك اذا كان لها حاجة ضرورية من بيع غزل أو شراء قطن جاز لها الخروج نهارا ولا يجوز ليلا يدل على ذلك أن رجالا استشهدوا باحد فقالت نساؤهم نستوحش في بيوتنا فاذن لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتحدثن عند احداهن فاذا كان وقت النوم تأوي كل امرأة الى بيتها وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالة جابر وقد كان طلقها زوجها أن تخرج لجداد نخلها فاذا لزمتها العدة في السفر تعتد في أهلها ذاهبة وراجعة والبدوية

٤ قوله في قبل عدتهن قال في شرح مسلم هي قراءة ابن عباس وابن عمر وهي شاذة لا تثبت قرآنا بالاجماع ولا يكون لها حكم خبر الواحد عندنا اه

(وأحصوا العدة) واضبطوها بالحفظ وأكملوها ثلاثة اقراء مستقبلات كوامل لا نقصان فيهن وخوطب الازواج لغفلة النساء (واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن) حتى تنقضي عدتهن (من بيوتهن) من مساكنهن التي يسكنها قبل العدة وهي بيوت الازواج وأضيفت اليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى وفيه دليل على أن السكنى واجبة وأن الحنث بدخول دار يسكنها فلان بغير ملك ثابت فيما اذا حلف لا يدخل داره ومعنى الاخراج أن لا يخرجهن البعولة غضبا عليهن وكراهة لمساكنتهن أو لحاجة لهم الى المساكن وان لا يأذنوا لهن في الخروج اذا طلبن ذلك ايذانا بان أذنهم لا اثر له في رفع الحظر (ولا يخرجن) بانفسهن ان اردن ذلك

تبوأ حيث يتبوأ أهلها في العدة لان الانتقال في حقهم كالاقامة في حق المقيم وقوله تعالى (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) قال ابن عباس الفاحشة المبينة بذاءتها على أهل زوجها فيحل اخراجها لسوء خلقها وقيل أراد بالفاحشة أن تزني فتخرج لاقامة الحد عليها ثم ترد الى منزلها يروى ذلك عن ابن مسعود وقيل معناه الا أن يطلقها على نشوزها فلها أن تتحول من بيت زوجها والفاحشة النشوز وقيل خروجها قبل انقضاء عدتها فاحشة (وتلك حدود الله) يعني ما ذكر من سنة الطلاق وما بعده من الاحكام (ومن يتعد حدود الله) أي فيطلق لغير السنة أو تجاوز هذه الاحكام (فقد ظلم نفسه) أي ضر نفسه (لاتدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) أي يوقع في قلب الزوج مراجعتها بعد الطلقة والطلقتين وهذا يدل على ان المستحب أن يفرق الطلقات ولا يوقع الثلاث دفعة واحدة حتى اذا ندم أمكنه المراجعة * عن محارب بن دثار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أحل الله شيأ أبغض اليه من الطلاق أخرجه أبو داود مرسلا وله في رواية عنه عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أبغض الحلال الى الله الطلاق * عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس به حرام عليها رائحة الجنة أخرجه أبو داود والترمذي قوله تعالى (فاذا بلغن أجلهن) أي اذا قربن من انقضاء عدتهن (فامسكوهن) أي راجعوهن (بمعروف أو فارقوهن بمعروف) أي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيبن منكم (وأشهدوا ذوى عدل منكم) أي على الرجعة وعلى الفراق أمر بالاشهاد على الرجعة وعلى الطلاق * عن عمران بن حصين انه سئل عن رجل يطلق امرأته ثم يقع عليها ولم يشهد على طلاقها ولا على رجعتها فقال طلقت لغير سنة وراجعت لغير سنة أشهد على طلاقها وعلى رجعتها ولا تعد أخرجه أبو داود وهذا الاشهاد مندوب اليه عند أبي حنيفة كما في قوله واشهدوا اذا تبايعتم وعند الشافعي هو واجب في الرجعة مندوب اليه في الفرقة وفائدة هذا الاشهاد ان لا يقع بينهما التجاحد وان لا يتهم في امساكها وان لا يموت أحد الزوجين فيدعي الآخر ثبوت الزوجية ليرث وقيل أمر بالاشهاد للاحتياط مخافة أن تنكر الزوجة المراجعة فتنقضي العدة وتنكح زوجا غيره (وأقيموا الشهادة) يعني أيها الشهود (لله) أي طلبا لمرضاة الله وقياما بوصيته والمعنى اشهدوا بالحق وادوها على الصحة (ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا) قيل معناه ومن يتق الله فيطلق للسنة يجعل له مخرجا الى الرجعة وقال أكثر المفسرين نزلت في عوف ابن مالك أسر ابن له يسمى مالكا فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أسر العدو ابني وشكا اليه أيضا الفاقة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اتق الله واصبروا أكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل الرجل ذلك فبينما هو في بيته اذ أتاه ابنه وقد غفل عنه العدو فاصاب منهم ابلا وجاء بها الى أبيه وعن ابن عباس قال غفل عنه العدو

(الا ان يأتين بفاحشة مبينة) قيل هي الزنا اي الا ان يزنين فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة في نفسه (وتلك حدود الله) اي الاحكام المذكورة (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لاتدرى) ايها المخاطب (لعل الله يحدث بعد ذلك امرا) بان يقلب قلبه من بغضها الى محبتها ومن الرغبة عنها الى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق الى الندم عليه فيراجعها والمعنى فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة ولا تخرجوهن من بيوتهن لعلكم تندمون فتراجعون (فاذا بلغن اجلهن) قاربن آخر العدة (فأمسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف) اى فأنتم بالخيار ان شئتم فالرجعة والامساك بالمعروف والاحسان وان شئتم فترك الرجعة والمفارقة واتقاء الضرار وهو أن يراجعها في آخر عدتها ثم يطلقها تطويلا للعدة عليها وتعذيبا لها (وأشهدوا) يعنى عند الرجعة والفرقة جميعا وهذا الاشهاد مندوب اليه لئلا يقع بينهما التجاحد (ذوى عدل منكم) من المسلمين (واقيموا الشهادة لله) لوجهه خالصا وذلك ان يقيموها لا للمشهود له ولا للمشهود عليه ولا لغرض من الاغراض سوى اقامة الحق ودفع الضرر (ذلكم) الحث على اقامة الشهادة لوجه الله ولاجل القيام بالقسط (يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) اى انما ينتفع به هؤلاء (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) هذه جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من اجراء امر الطلاق على السنة والمعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فأشهد يجعل الله له مخرجا مما في شأن الازواج من الغموم والوقوع في المضايق ويفرج عنه ويعطيه الخلاص

(و يرزقه من حيث لا يحتسب) من وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه و يجوز ان يجاء بها على سبيل الاستطراد عند ذكر قوله
ذلكم يوعظ به اى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والآخرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأها فقال
مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم انى لاعلم آية لو اخذ الناس بها
لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها و يعيدها وروى ان عوف بن مالك اسر المشركون ابناله فأتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال اسر ابنى وشكا اليه الفاقة فقال ٣٦٦ ما امسى عند آل محمد الامد فاتق الله واصبروأ كثر من قول لا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم فعاد الى
بيته وقال لامرأته ان رسول الله
أمرنى واياك أن نستكثر من
قول لا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم فقالت نعم ما أمرنا
به فجعلا يقولان ذلك فبيناهو
فى بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه
مائة من الابل تغفل عنها العدو
فاستاقها فنزلت هذه الآية
(ومن يتوكل على الله) يكل
أمره اليه عن طمع غيره وتدبير
نفسه (فهو حسبه) كافيه فى
الدارين (ان الله بالغ أمره)
حفص منفذ أمره غيره بالغ أمره
أى يبلغ ما يريد لا يفوته مراد
ولا يعجزه مطلوب (قد جعل الله
لكل شئ قدرا) تقديرا وتوقيتا
وهذا بيان لوجوب التوكل على
الله وتفويض الامر اليه لانه
اذا علم ان كل شئ من الرزق
ونحوه لا يكون الا بتقديره
وتوقيته لم يبق الا التسليم للقدر
والتوكل (واللائى يئسن من
المحيض من نسائكم) روى
ان ناسا قالوا قد عرفنا عدة ذوات
الاقراء فما عدة اللائى لم يحضن
فنزلت (ان ارتبتم) اى أشكل
عليكم حكمهن وجهلتم كيف
يعتددن (فعدتهن ثلاثة اشهر) اى فهذا حكمهن وقيل ان ارتبتم فى
دم البالغات مبلغ الياس وقد قدروه بستين سنة او بخمس وخمسين اهو دم حيض او استحاضة فعدتهن ثلاثة اشهر
واذا كانت هذه عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها أولى بذلك (واللائى لم يحضن) هن الصغائر وتقديره واللائى لم يحضن
فعدتهن ثلاثة أشهر فحذفت الجملة لدلالة المذكور عليها (وأولات الاحمال أجلهن) عدتهن (ان يضعن حملهن)

فاستاق غنمهم فجاء بها الى أبيه وهى أربعة آلاف شاة فنزلت ومن يتق الله يجعل له
مخرجا أى فى ابنه (و يرزقه من حيث لا يحتسب) يعنى ما ساق من الغنم وقيل أصاب
غنما ومتاعا ثم رجع الى أبيه فانطلق أبوه الى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر
وسأله أيحل له أن يأكل ما أتى به ابنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم نعم ونزلت الآية
وقال ابن مسعود ومن يتق الله يجعل له مخرجا من كل شئ و يرزقه من حيث لا يحتسب
هو ان يعلم انه من قبل الله وان الله رازقه وقال الربيع بن خيثم يجعل له مخرجا من كل
شئ ضاق على الناس وقيل مخرجا من كل شدة وقيل مخرجا عما نهاه الله عنه (ومن
يتوكل على الله فهو حسبه) يعنى من يتق الله فيما نابه كفاه ما أهمه وروى ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو
خماصا وتروح بطانا (ان الله بالغ أمره) أى منفذ أمره وممض فى خلقه ما قضاه (قد جعل
الله لكل شئ قدرا) أى جعل لكل شئ من شدة أو رخاء أجلا ينتهى اليه وقال مسروق
فى هذه الآية ان الله بالغ أمره توكل عليه أم لم يتوكل عليه غير ان المتوكل يكفر عنه
سيئاته و يعظم له أجرا قوله عز وجل (واللائى يئسن من المحيض من نسائكم) قيل لما
نزلت والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء قال خلاد بن النعمان بن قيس
الانصارى يا رسول الله فما عدة من تحيض والتى لم تحض وعدة الحبلى فأنزل الله عز وجل
واللائى يئسن من المحيض من نسائكم يعنى القواعد اللائى قعدن عن الحيض فلا يرجى
أن يحضن وهن العجائز الآيسات من الحيض (ان ارتبتم) أى شككتم فى حكمهن
ولم تدروا ما عدتهن (فعدتهن ثلاثة أشهر واللائى لم يحضن) يعنى الصغائر اللائى لم
يحضن بعد فعدتهن أيضا ثلاثة أشهر أما الشابة التى كانت تحيض فارتفع حيضها قبل
بلوغ سن الآيسات فذهب أكثر أهل العلم الى ان عدتها لا تنقضى حتى يعاودها الدم
فتعتد بثلاثة أقراء أو تبلغ سن الآيسات فتعتد بثلاثة أشهر وهذا قول عثمان وعلى
وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وبه قال عطاء واليه ذهب الشافعى وأصحاب الرأى
وحكى عن عمر انها تتربص تسعة أشهر فان لم تحض فتعتد بثلاثة أشهر وهو قول مالك
وقال الحسن تتربص سنة فان لم تحض فتعتد بثلاثة أشهر وهذا كله فى عدة الطلاق وأما
المتوفى عنها زوجها فعدتها أربعة أشهر وعشر سواء كانت ممن تحيض أو لا تحيض وأما
الحامل فعدتها بوضع الحمل سواء طلقها زوجها أو مات عنها وهو قوله تعالى (وأولات
الاحمال أجلهن ان يضعن حملهن) (ق) عن سبيعة الاسلمية انها كانت تحت سعد بن
خولة

والنص يتناول المطلقات والمتوفى عنهن أزواجهن وعن علي وابن عباس رضي الله عنهما عدة الحامل المتوفى عنها زوجها ابعد الاجلين (ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا) ييسر له من امره ويحلل من عقده بسبب التقوى (ذلك امر الله) اى ما علم من حكم هؤلاء المعتدات (انزله اليكم) من اللوح المحفوظ

(ومن يتق الله) في العمل بما انزله من هذه الاحكام وحافظ على الحقوق الواجبة عليه (يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا) ثم بين التقوى في قوله ومن يتق الله فكأنه قيل كيف نعمل بالتقوى في شأن المعتدات فقيل (أسكنوهن) وكذا وكذا (من حيث سكنتم) هي من التبعيضية مبعضها محذوف اى أسكنوهن مكانا من حيث سكنتم اى بعض مكان سكناكم (من وجدكم) هو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له كانه قيل أسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تطيقونه والوجد الوسع والطاقة وقرئ بالحركات الثلاث والمشهور الضم والنفقة والسكنى واجبتان لكل مطلقة وعند مالك والشافعي لا نفقة للمبتوتة لحديث فاطمة بنت قيس ان زوجها بت طلاقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سكنى لك ولا نفقة وعن عمر رضي الله عنه لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا بقول امرأة لعلها نسيت أو شبه لها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لها السكنى والنفقة (ولا تضاروهن) ولا تستعملوا معهن الضرار (لتضيقوا عليهن) في المسكن ببعض الاسباب من انزال من لا يوافقهن او بشغل مكانهن أو غير ذلك حتى تضطروهن الى الخروج (وان كن) اى المطلقات (اولات حمل) ذوات احمال (فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) وفائدة اشتراط الحمل ان مدة الحمل ربما تطول فيظن ظان ان النفقة تسقط اذا مضى مقدار عدة الحائل فنفى ذلك الوهم

خولة وهو من بني عامر بن لؤي وكان ممن شهد بدرا فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك رجل من بني عبد الدار فقال لها مالي أراك تجملت للخطاب ترجين النكاح وأنت والله ما أنت بناكح حتى يمر عليك أربعة أشهر وعشر قالت سبيعة فلما قال لي ذلك جمعت علي ثيابي حتى أمسيت وأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فافتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي وأمرني بالتزوج ان بدا لي لفظ البخاري ولمسلم نحوه وزاد قال ابن شهاب ولا أرى بأسا أن تتزوج حين وضعت وان كانت في دمها غير انه لا يقربها زوجها حتى تطهر (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) أي يسهل عليه أمر الدنيا والآخرة (ذلك) أي ذلك الذي ذكر من الاحكام (أمر الله أنزله اليكم) أي لتعملوا به (ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا) قوله تعالى (أسكنوهن) يعني مطلقات نسائكم (من حيث سكنتم من وجدكم) أي من سعتكم وطاقتكم فان كان موسرا يوسع عليها في المسكن والنفقة وان كان فقيرا فعلى قدر الطاقة (ولا تضاروهن) أي لا تؤذوهن (لتضيقوا عليهن) يعني في مساكنهن فيخرجن (وان كن أولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) أي فيخرجن من عدتهن

(فصل في حكم الآية) اعلم ان المعتدة الرجعية تستحق على الزوج النفقة والسكنى مادامت في العدة ونعني بالسكنى مؤنة السكنى فان كانت الدار التي طلقها الزوج فيها ملك الزوج يجب عليه أن يخرج منها ويترك الدار لها مدة عدتها وان كانت باجارة فعلى الزوج الاجرة وان كانت عارية فرجع المعير فعليه أن يكتري لها دارا تسكنها وأما المعتدة البائنة بالخلع أو بالطلاق الثلاث أو باللعان فلها السكنى حاملا كانت أو غير حامل عند أكثر أهل العلم وروي عن ابن عباس انه قال لا سكنى لها الا أن تكون حاملا وهو قول الحسن والشعبي واختلفوا في نفقتها فذهب قوم الى انه لا نفقة لها الا أن تكون حاملا يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن والشعبي وبه قال الشافعي وأحمد ومنهم من أوجبها بكل حال يروى ذلك عن ابن مسعود وهو قول ابراهيم النخعي وبه قال الثوري وأصحاب الرأي وظاهر القرآن يدل على انها لا تستحق النفقة الا أن تكون حاملا لقوله تعالى وان كن أولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن وأما الدليل على ذلك من السنة فما روي عن فاطمة بنت قيس ان أبا عمرو بن حفص طلقها البتة وهو غائب فارسل اليها وكيله بشعير فسخطته فقال والله مالك علينا من شئ فجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال لها ليس لك عليه نفقة وأمرها أن تعتد في بيت أم شريك ثم قال تلك امرأة يغشاها أصحابي فاعتدي عند ابن أم مكتوم فانه

رجل أعمى تضعين ثيابك عنده فاذا حللت فآذنيني قالت فلما حللت ذكرت له ان معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خطباني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه وأما معاوية فصعلوك لا مال له انكحي اسامة بن زيد فكرهته ثم قال انكحي اسامة بن زيد فنكحته فجعل الله فيه خيرا واغتبطت أخرجه مسلم واحتج بهذا الحديث من لم يجعل لها سكنى وقال ان النبي صلى الله عليه وسلم أمرها ان تعتد في بيت عمرو بن أم مكتوم ولا حجة له فيه لما روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت كانت فاطمة في مكان وحش فخيف على ناحيتها وقال سعيد بن المسيب انما نقلت فاطمة لطول لسانها على احمائها وكان في لسانها ذرابة واما المعتدة عن وطء الشبهة والمفسوخ نكاحها بعيب أو خيار عتق فلا سكنى لها ولا نفقة وان كانت حاملا واما المعتدة عن وفاة الزوج فلا نفقة لها عند أكثر أهل العلم وروي عن علي ان لها النفقة ان كانت حاملا من التركة حتى تضع وهو قول شريح والشعبي والنخعي والثوري واختلفوا في سكناها وللشافعي فيه قولان أحدهما انه لا سكنى لها بل تعتد حيث تشاء وهو قول علي وابن عباس وعائشة وبه قال عطاء والحسن وهو قول أبي حنيفة والثاني ان لها السكنى وهو قول عمر وعثمان وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وبه قال مالك والثوري وأحمد واسحق واحتج من أوجب لها السكنى بما روي عن الفريعة بنت مالك بن سنان وهي أخت أبي سعيد الخدري انها جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألته أن ترجع الى أهلها في بني خدرة فان زوجها خرج في طلب أعبد له أبقوا حتى اذا كان بطرف القدوم لحقهم فقتلوه قالت فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أرجع الى أهلي في بني خدرة فان زوجي لم يتركني في مسكن يملكه ولا نفقة قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قالت فانصرفت حتى اذا كنت في الحجرة ناداني رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أمر بي فنوديت فقال كيف قلت فرددت عليه القصة التي ذكرت له من شأن زوجي فقال امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله قالت فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشرا قالت فلما كان عثمان أرسل الي فسألني عن ذلك فاخبرته فاتبعه وقضى به أخرجه أبو داود والترمذي فمن قال بهذا القول قال اذنه لفريعة أولا بالرجوع صار منسوخا بقوله آخرا امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله ومن لم يوجب السكنى قال أمرها بالمكث في بيتها آخرا استحبابا لا وجوبا قوله عز وجل (فان أرضعن لكم) يعني أولادكم (فآتوهن أجورهن) يعني على ارضاعهن وفيه دليل على أن اللبن وان كان قد خلق لمكان الولد فهو ملك للام والا لم يكن لها أن تأخذ عليه أجرا وفيه دليل على ان حق الرضاع والنفقة على الازواج في حق الاولاد (وأتمروا بينكم بمعروف) أي ليقبل بعضكم من بعض اذا أمره بالمعروف وقيل يتراضى الاب والام على أجر مسمى والخطاب للزوجين جميعا أمرهم أن يأتوا بالمعروف وما هو الاحسن ولا يقصدوا الضرار وقيل المعروف ههنا ان لا يقصر الرجل في حق المرأة ونفقتها ولا المرأة في حق الولد ورضاعه (وان تعاسرتم) أي في حق الولد وأجرة الرضاع فأبى الزوج أن يعطي المرأة أجرة رضاعها وأبت الام أن ترضعه فليس له اكراهها

(فان أرضعن لكم) يعني هؤلاء المطلقات ان أرضعن لكم ولدا من ظئرهن أو منهن بعد انقطاع عصمة الزوجية (فآتوهن أجورهن) فحكمهن في ذلك حكم الاظآر ولا يجوز الاستئجار اذا كان الولد منهن ما لم يبن خلافا للشافعي رحمه الله (وأتمروا بينكم) أي تشاوروا على التراضي في الاجرة أو اولياء أمر بعضكم بعضا والخطاب للآباء والامهات (بمعروف) بما يليق بالسنة ويحسن في المروءة فلا يماكس الاب ولا تعاسر الام لانه ولدهما وهما شريكان فيه وفي وجوب الاشفاق عليه (وان تعاسرتم) تضايقتم فلم ترض الام بما ترضع به الاجنبية ولم يزد الاب على ذلك

(فسترضع له أخرى) فستوجد ولا تعوز مرضعة غير الام ترضعه وفيه طرف من معاقبة الام على المعاسرة وقوله له أى للاب أى سيجد الاب غير معاسرة ترضع له ولده ان عاسرته امه (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) اى لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه يريد ما امر به من الانفاق على المطلقات والمرضعات ومعنى قدر عليه رزقه ضيق اى رزقه الله على قدر قوته (لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها) اعطاها من الرزق (سيجعل الله بعد عسر يسرا) بعد ضيق فى المعيشة سعة وهذا وعد لذى العسر باليسر (وكأين من قرية) من اهل قرية (عتت) اى عصت (عن امر ربها ورسله) اعرضت عنه على وجه العتو والعناد (فحاسبناها حسابا شديدا) بالاستقصاء والمناقشة (وعذبناها عذابا نكرا) نكرا مدنى وابو بكر منكرا عظيما (فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا) اى خسارا وهلاكا

والمراد حساب الآخرة وعذابها وما يذوقون فيها من الوبال ويلقون من الخسر وجيء به على لفظ الماضى لان المنتظر من وعد الله ووعيده ملقى فى الحقيقة وما هو كائن فكأن قد كان (أعد الله لهم عذابا شديدا) تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كانه قال أعد الله لهم هذا العذاب (فاتقوا الله يا أولى الالباب الذين آمنوا) فليكن لكم ذلك يا أولى الالبب من المؤمنين لطفا فى تقوى الله وحذر عقابه ويجوز أن يراد احصاء السيئات واستقصاؤها عليهم فى الدنيا واثباتها فى صحائف الحفظة وما اصيبوا به من العذاب فى العاجل وان يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية وأعد الله لهم جوابا لكأين (قد أنزل الله اليكم ذكرا) أى القرآن وانتصب (رسولا) بفعل مضمر تقديره ارسل رسولا او هو بدل من ذكرا كانه فى نفسه ذكر أو على تقدير حذف المضاف اى قد انزل الله اليكم ذا ذكر رسولا او اريد بالذكر الشرف كقوله وانه لذكر لك ولقومك اى ذا شرف ومجد عند الله وبالرسول جبريل او محمد عليهما السلام (يتلوا) اى الرسول او الله عز وجل (عليكم آيات الله مبينات ليخرج) الله (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) اى ليحصل لهم ما هم عليه الساعة من الايمان والعمل الصالح او ليخرج الذين علم أنهم يؤمنون (من الظلمات الى النور) من ظلمات الكفر او الجهل الى نور الايمان او العلم (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله) وبالنون مدنى وشامى (جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا) وحد وجمع حملا على لفظ من ومعناه (قد احسن الله له رزقا) فيه معنى التعجب والتعظيم لما رزق المؤمنين من الثواب (الله الذى خلق) مبتدأ وخبر (سبع سموات) اجمع المفسرون على ان السموات سبع (ومن الارض مثلهن) بالنصب عطفا على سبع سموات

على ارضاعه بل يستأجر للصبى مرضعا غير أمه وذلك قوله (فسترضع له أخرى لينفق ذو سعة من سعته) أى على قدر غناه (ومن قدر) أى ضيق (عليه رزقه) فكان بمقدار القوت (فلينفق مما آتاه الله) أى على قدر ما آتاه الله من المال (لا يكلف الله نفسا) أى فى النفقة (الا ما آتاها) يعنى من المال والمعنى لا يكلف الفقير مثل ما يكلف الغنى فى النفقة (سيجعل الله بعد عسر يسرا) أى بعد ضيق وشدة غنى وسعة قوله تعالى (وكأين من قرية عتت) أى عصت وطغت والمراد أهل القرية (عن أمر ربها ورسله) أى وأمر رسله (فحاسبناها حسابا شديدا) أى بالمناقشة والاستقصاء وقيل حاسبها بعملها فى الكفر فجزاها النار وهو قوله (وعذبناها عذابا نكرا) أى منكرا فظيعا وقيل فى الآية تقديم وتأخير مجازها فعذبناها فى الدنيا بالجوع والقحط والسيف وسائر أنواع البلاء وحاسبناها فى الآخرة حسابا شديدا (فذاقت وبال أمرها) أى شدة أمرها وجزاء كفرها (وكان عاقبة أمرها خسرا) أى خسرانا فى الدنيا والآخرة (أعد الله لهم عذابا شديدا) يخوف كفار مكة أن ينزل بهم مثل ما نزل بالامم الماضية (فاتقوا الله يا أولى الالباب) أى يا ذوى العقول ثم نعتهم فقال تعالى (الذين آمنوا قد أنزل الله اليكم ذكرا) يعنى القرآن (رسولا) أى وأرسل اليكم رسولا (يتلوا عليكم آيات الله مبينات) قرئ مبينات بالخفض أى تبين الحلال من الحرام والامر والنهى وقرئ بالنصب ومعناه انها واضحات (ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور) أى من ظلمة الكفر الى نور الايمان ومن ظلمة الجهل الى نور العلم (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا) يعنى الجنة التى لا ينقطع نعيمها وقيل يرزقون طاعة فى الدنيا وثوابا فى الآخرة (الله الذى خلق سبع سموات) يعنى بعضها فوق بعض (ومن الارض مثلهن) أى فى العدد

وحكمه بينهن وملكه ينفذ فيهن (لتعلموا أن الله على كل شئ قدير) اللام يتعلق بخلق (وأن الله قد أحاط بكل شئ علما) هو تمييز او مصدر من غير لفظ الاول أي قد علم كل شئ علما وهو علام الغيوب

(سورة التحريم مدنية وهي اثنتا عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا بمارية في يوم عائشة رضي الله عنها وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمي علي وقد حرمت مارية على نفسي وأبشرك ان أبا بكر وعمر يملكان بعدي أمر امتي فاخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها في يوم حفصة فارضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه ومكث تسعا وعشرين ليلة في بيت مارية فنزل جبريل عليه السلام وقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها لمن نسائك في الجنة وروى انه شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فتواطات عائشة وحفصة وقالتا له انا نشم منك ريح المغافير وكان يكره رسول الله صلى الله عليه وسلم التفل فحرم العسل فمعناه لم تحرم

(يتنزل الامر بينهن) أي الوحي الى خلقه من السماء العليا الى الارض السفلى وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره ينزل المطر ويخرج النبات ويأتي بالليل والنهار وبالصيف والشتاء ويخلق الحيوان على اختلاف هيآته وينقله من حال الى حال فيحكم بحياة بعض وموت بعض وسلامة هذا وهلاك هذا وقيل في كل سماء من سمواته وأرض من أرضيه خلق من خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضائه (لتعلموا أن الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما) يعني انه سبحانه وتعالى عالم بكل شئ لا تخفى عليه خافية وانه قادر على الانشاء بعد الافناء وكل الكائنات جارية تحت قدرته داخلة في علمه والله تعالى أعلم

(تفسير سورة التحريم)

وهي مدنية واثنتا عشرة آية ومائتان وسبع وأربعون كلمة وألف وستون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم)

ذكر سبب نزولها (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل وكان اذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من احداهن فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس فغرت فسألت عن ذلك فقيل لي اهدت لها امرأة من قومها عكة من عسل فسقت النبي صلى الله عليه وسلم منه شربة فقلت أما والله لنحتالن له فذكرت ذلك لسودة وقلت اذا دخل عليك فانه سيدنو منك فقولي له يا رسول الله أكلت مغافير فانه سيقول لا فقولي ما هذه الريح التي اجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه ان يوجد منه الريح فانه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل فقولي له جرست نحله العرفط وسأقول ذلك وقولي أنت يا صفية ذلك فلما دخل على سودة قالت تقول سودة والله الذي لا اله الا هو لقد كدت أباديه بالذي قلت لي وانه لعلى الباب فرقا منك فلما دنا منها قالت له سودة يا رسول الله أكلت مغافير قال لا قالت فما هذه الريح التي اجد منك قال سقتني حفصة شربة عسل قالت جرست نحله العرفط فلما دخل علي قلت له مثل ذلك ثم دخل على صفية فقالت له مثل ذلك فلما دخل على حفصة قالت له يا رسول الله الا اسقيك منه قال لا حاجة لي فيه قالت تقول سودة سبحان الله لقد حرمناه قلت لها اسكتي (ق) عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلا فتواطيت أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل له اني اجد منك ريح مغافير أكلت مغافير فدخل على احداهما فقالت ذلك له فقال بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن اعود له فنزلت يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك الى قوله ان تتوبا

ما أحل الله لك من ملك اليمين أو من العسل (تبتغي مرضات أزواجك) تفسير لتحرم أو حال او استئناف وكان هذا زلة منه لانه ليس لاحد ان يحرم ما احل الله (والله غفور) قد غفر لك ما زلت فيه (رحيم) قد رحمك فلم يؤاخذك به

تتوبا الى الله لعائشة وحفصة واذ أسر النبي الى بعض أزواجه حديثا لقوله بل شربت عسلا ولن أعود له وقد حلفت فلا تخبري بذلك أحدا زاد في رواية يبتغي بذلك مرضاة أزواجه

(شرح غريب ألفاظ الحديثين وما يتعلق بهما) قولها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل الحلواء بالمد وهو كل شئ حلو وذكر العسل بعدها وان كان داخلا في جملة الحلواء تنبيها على شرفه ومزيته وهو من باب ذكر الخاص بعد العام قولها في الحديث الثاني فتواطيت أنا وحفصة هكذا وقع في الرواية وأصله فتواطأت أي اتفقت أنا وحفصة قولها اني لاجد منك ريح مغافير هو بغين معجمة وفاء بعدها ياء وراء وهو صمغ حلو كالناطف وله رائحة كريهة ينضحه شجر يقال له العرفط بضم العين المهملة وبالفاء يكون بالحجاز وقيل العرفط نبات له ورق عريض يفرش على الارض له شوكة وثمره خبيث الرائحة وقال أهل اللغة العرفط من شجر العضاه وهو كل شجر له شوك وقيل رائحته كرائحة النبيذ وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكره ان يوجد منه رائحة كريهة قولها جرست نحله العرفط هو بالجيم والراء وبالسين المهملتين ومعناه أكلت نحله العرفط فصار منه العسل قولها في الحديث الثاني فقال شربت عسلا عند زينب بنت جحش وفي الحديث الاول ان الشرب كان عند حفصة بنت عمر بن الخطاب وان عائشة وسودة وصفية هن اللواتي تظاهرن عليه قال القاضي عياض والصحيح الاول قال النسائي اسناد حديث حجاج بن محمد عن ابن جريج صحيح جيد غاية وقال الاصيلي حديث حجاج اصح وهو أولى بظاهر كتاب الله وأكمل فائدة يريد قوله تعالى وان تظاهرا عليه وهما ثنتان لا ثلاثة وانهما عائشة وحفصة كما اعترف به عمر في حديث ابن عباس وسيأتي الحديث قال وقد انقلبت الاسماء على الراوي في الرواية الاخرى يعني الحديث الاول الذي فيه ان الشرب كان عند حفصة قال القاضي عياض والصواب ان شرب العسل كان عند زينب بنت جحش ذكره الشيخ محيي الدين النووي في شرح مسلم وكذا ذكره القرطبي أيضا *وقال المفسرون في سبب النزول ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فلما كان يوم حفصة استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في زيارة أبيها فاذن لها فلما خرجت أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جاريته مارية القبطية فادخلها بيت حفصة وخلا بها فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا فجلست عند الباب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكي فقال ما يبكيك قالت انما اذنت لي من أجل هذا ادخلت امتك بيتي ووقعت عليها في يومي وعلى فراشي اما رأيت لي حرمة وحقا ما كنت تصنع هذا بامرأة منهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليس هي جاريتي قد أحلها الله لي اسكتي فهي علي حرام التمس بذلك رضاك فلا تخبري بهذا امرأة منهن فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة فقالت الا أبشرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرم عليه أمته مارية وقد أراحنا الله منها وأخبرت عائشة بما

ذات وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فغضبت عائشة فلم تزل بنبي الله صلى الله عليه وسلم حتى حلف ان لا يقربها * عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له أمة يطؤها فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرمها على نفسه فأنزل الله تعالى يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك الآية أخرجه النسائي قال العلماء الصحيح في سبب نزول الآية أنها في قصة العسل لا في قصة مارية المروية في غير الصحيحين ولم تأت قصة مارية من طريق صحيح قال النسائي اسناد حديث عائشة في العسل جيد صحيح غاية * وأما التفسير فقوله يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك أي من العسل او ملك اليمين على اختلاف الرواية فيه وهذا التحريم تحريم امتناع عن الانتفاع بها او بالعسل لا تحريم اعتقاد بكونه حراما بعدما أحله الله فالنبي صلى الله عليه وسلم امتنع عن الانتفاع بذلك مع اعتقاده ان ذلك حلال تبتغي مرضاة أزواجك أي تطلب رضاهن بترك ما أحل الله لك والله غفور رحيم أي غفر لك ذلك التحريم (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) أي بين وأوجب لكم تحليل أيمانكم بالكفارة وهو ما ذكر في سورة المائدة فأمره الله ان يكفر عن يمينه ويراجع أمته فأعتق رقبة (والله مولاكم) أي وليكم وناصركم (وهو العليم) أي بخلقه (الحكيم) أي فيما فرض من حكمه

(فصل) اختلف العلماء في لفظ التحريم فقيل ليس هو بيمين فان قال لزوجته أنت علي حرام او قال حرمتك فان نوى طلاقا فهو طلاق وان نوى ظهارا فظهار وان نوى تحريم ذاتها او أطلق فعليه كفارة اليمين بنفس اللفظ وان قال ذلك لجاريته فان نوى عتقا عتقت وان نوى تحريم ذاتها أو أطلق فعليه كفارة اليمين وان قال لطعام حرمته على نفسي فلا شيء عليه وهذا قول أبي بكر وعمر وغيرهما من الصحابة والتابعين واليه ذهب الشافعي وان لم ينو شيأ ففيه قولان للشافعي أحدهما انه يلزمه كفارة اليمين والثاني لا شيء عليه وانه لغو فلا يترتب عليه شيء من الاحكام وذهب جماعة الى انه يمين فان قال ذلك لزوجته او جاريته فلا تجب عليه الكفارة مالم يقربها كما لو حلف انه لا يطؤها وان حرم طعاما فهو كما لو حلف ان لا يأكله فلا كفارة عليه مالم يأكله واليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اذا حرم الرجل امرأته فهي يمين يكفرها وقال لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وفي رواية اذا حرم امرأته ليس بشيء لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لفظ الحميدي قوله تعالى (واذ أسر النبي الى بعض أزواجه حديثا) يعني ما أسر الى حفصة من تحريم مارية على نفسه واستكتمها ذلك وهو قوله لا تخبري بذلك أحدا وقال ابن عباس أسر أمر الخلافة بعده فحدثت حفصة قال الكلبي أسر اليها ان أباك وأبا عائشة يكونان خليفتين على امتي من بعدي وقيل لما رأى الغيرة في وجه حفصة أراد ان يرضيها فسرها بشيئين بتحريم مارية على نفسه وان الخلافة بعده في أبي بكر وأبيها عمر (فلما نبأت به) اى اخبرت به حفصة عائشة (واظهره الله عليه) اى أطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على قول حفصة

لعائشة

(قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) قد قدر الله لكم ما تحللون به أيمانكم وهي الكفارة او قد شرع لكم تحليلها بالكفارة او شرع الله لكم الاستثناء في ايمانكم من قولك حلل فلان في يمينه اذا استثنى فيها وذلك ان يقول ان شاء الله عقيبها حتى لا يحنث وتحريم الحلال يمين عندنا وعن مقاتل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتق رقبة في تحريم مارية وعن الحسن انه لم يكفر لانه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وانما هو تعليم للمؤمنين (والله مولاكم) سيدكم ومتولي أموركم وقيل مولاكم أولى بكم من أنفسكم فكانت نصيحته أنفع لكم من نصائحكم انفسكم (وهو العليم) بما يصلحكم فيشرعه لكم (الحكيم) فيما احل وحرم (واذ أسر النبي الى بعض أزواجه) يعني حفصة (حديثا) حديث مارية وامامة الشيخين (فلما نبأت به) أفشته الى عائشة رضي الله عنها (وأظهره الله عليه) وأطلع النبي صلى الله عليه وسلم على افشائها الحديث على لسان جبريل عليه السلام

لعائشة (عرف بعضه) قرئ بتخفيف الراء أى عرف بعض الذى فعلته حفصة فغضب
من افشاء سره وجازاها عليه بان طلقها فلما بلغ عمر ذلك قال لها لو كان فى آل الخطاب
خير لما طلقك رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه جبريل عليه السلام وأمره بمراجعتها
وقيل لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة وانما هم بطلاقها فاتاه جبريل فقال
لا تطلقها فانها صوامة قوامة وانها من نسائك فى الجنة وقرئ عرّف بالتشديد ومعناه
عرّف حفصة بعض الحديث وأخبرها ببعض ما كان منها (وأعرض عن بعض) أى لم
يعرّفها اياه ولم يخبرها به قال الحسن ما استقصى كريم قط قال الله تعالى عرّف بعضه
وأعرض عن بعض والمعنى ان النبى صلى الله عليه وسلم أخبر حفصة ببعض ما أخبرت به
عائشة وهو تحريم الامة وأعرض عن ذكر الخلافة لانه صلى الله عليه وسلم كره ان
ينتشر ذلك فى الناس (فلما نبأها به) أى اخبر حفصة بما أظهره الله عليه (قالت) يعنى
حفصة (من أنبأك هذا) اى من أخبرك بانى أفشيت السر (قال نبأنى العليم) أى بما
تكنه الضمائر (الخبير) أى بخفيات الامور وقوله عز وجل (ان تتوبا الى الله)
يخاطب عائشة وحفصة أى من التعاون على رسول الله صلى الله عليه وسلم والايذاء له
(فقد صغت قلوبكما) أى زاغت ومالت عن الحق واستوجبتما أن تتوبا وذلك بان
سرهما ما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اجتناب مارية (ق) عن ابن عباس
رضى الله عنهما قال لم أزل حريصا على ان اسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من
أزواج النبى صلى الله عليه وسلم اللتين قال الله عز وجل ان تتوبا الى الله فقد صغت
قلوبكما حتى حج عمر وحججت معه فلما كان عمر ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه
بالاداوة فتبرز ثم أتانى فسكبت على يديه فتوضأ فقلت يا أمير المؤمنين من المرأتان من
أزواج النبى صلى الله عليه وسلم اللتان قال الله تعالى ان تتوبا الى الله فقد صغت
قلوبكما قال عمر واعجبا لك يا ابن العباس قال الزهرى كره والله ما سأله عنه ولم يكتمه قال
هما عائشة وحفصة ثم اخذ يسوق الحديث قال كنا معشر قريش قوما نغلب النساء
فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم قال
وكان منزلى فى بنى أمية بن زيد بالعوالى فغضبت يوما على امرأتى فاذا هى تراجعنى
فانكرت أن تراجعنى فقالت ما تنكر أن أراجعك فوالله ان أزواج النبى صلى الله عليه
وسلم ليراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت
اتراجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت نعم فقلت اتهجره احداكن اليوم الى
الليل قالت نعم قلت لقد خاب من فعلت ذلك منكن وخسرت أفتأمن احداكن ان
يغضب الله عليها لغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هى قد هلكت لا تراجعى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسأليه شيأ وسلينى ما بدا لك ولا يغرنك أن كانت
جارتك هى اوسم واحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك يريد عائشة وكان
لى جار من الانصار فكنا نتناوب النزول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فينزل يوما
و يأتينى بخبر الوحى وغيره وآتيه بمثل ذلك وكنا نتحدث أن غسان تنعل الخيل لتغزونا
فنزل صاحبى الانصارى يوم نوبته ثم اتانى عشاء فضرب بابى ثم نادانى فخرجت اليه

(عرف بعضه) أى اعلم ببعض الحديث (وأعرض عن بعض) فلم يخبر به تكرما قال سفيان ما زال التغافل من فعل الكرام عرف بالتخفيف على أى جازى عليه من قولك للمسىء لاعرفن لك ذلك وقيل المعرف حديث الامامة والمعرض عنه حديث مارية وروى انه قال لها الم اقل لك اكتمى على قالت والذى بعثك بالحق ما ملكت نفسى فرحا بالكرامة التى خص الله بها اباها (فلما نبأها به) نبأ النبى حفصة بما أفشت من السر الى عائشة (قالت) حفصة للنبى صلى الله عليه وسلم (من أنبأك هذا قال نبأنى العليم) بالسرائر (الخبير) بالضمائر (ان تتوبا الى الله) خطاب لحفصة وعائشة على طريقة الالتفات ليكون ابلغ فى معاتبتهما وجواب الشرط محذوف والتقدير ان تتوبا الى الله فهو الواجب ودل على المحذوف (فقد صغت) مالت (قلوبكما) عن الواجب فى مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم من حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه

فقال حدث أمر عظيم قلت ماذا اجاءت غسان قال لا بل أعظم من ذلك وأهول طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه قلت قد خابت حفصة وخسرت قد كنت اظن هذا يوشك أن يكون حتى اذا صليت الصبح شددت على ثيابي ثم نزلت فدخلت على حفصة وهي تبكي فقلت اطلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لا أدري ها هو ذا معتزل في هذه المشربة فاتيت غلاما له اسود فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج الي فقال قد ذكرتك له فصمت فانطلقت حتى اتيت المنبر فاذا عنده رهط جلوس يبكي بعضهم فجلست قليلا ثم غلبني ما اجد فاتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج الي فقال قد ذكرتك له فصمت فجلست الى المنبر ثم غلبني ما اجد فاتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج فقال قد ذكرتك له فصمت فوليت مدبرا فاذا الغلام يدعوني فقال ادخل فقد اذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكئ على رمال حصير قد اثر في جنبه فقلت اطلقت يا رسول الله نساءك فرفع رأسه الي وقال لا فقلت الله أكبر لو رأيتنا يا رسول الله وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم فغضبت على امرأتي يوما فاذا هي تراجعني فانكرت اذ راجعتني فقالت ما تنكر أن اراجعك فوالله ان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل فقلت قد خاب من فعل ذلك منهن وخسر افتأمن احداهن أن يغضب الله عليها لغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هي قد هلكت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله قد دخلت على حفصة فقلت لا يغرنك أن كانت جارتك هي اوسم واحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك فتبسم أخرى فقلت أستأنس يا رسول الله قال نعم فجلست فرفعت رأسي في البيت فوالله ما رأيت فيه شيأ يرد البصر الا اهبة ثلاثة فقلت يا رسول الله ادع الله ان يوسع على امتك فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله فاستوى جالسا ثم قال افي شك انت يا ابن الخطاب اولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت استغفر لي يا رسول الله وكان اقسم أن لا يدخل عليهن شهرا من أجل ذلك الحديث حين افشته حفصة لعائشة من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله تعالى قال الزهري فأخبرني عروة عن عائشة قالت لما مضت تسع وعشرون دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ بي فقلت يا رسول الله انك اقسمت ان لا تدخل علينا شهرا وانك دخلت من تسع وعشرين أعدهن فقال ان الشهر يكون تسعا وعشرين زاد في رواية وكان ذلك الشهر تسعا وعشرين ليلة ثم قال يا عائشة اني ذاكر لك أمرا فلا عليك ان لا تعجلي حتى تستأمري أبويك ثم قال يا أيها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها حتى بلغ الى قوله عظيما قالت عائشة قد علم والله ان ابوي لم يكونا ليأمراني بفراقه فقلت افي هذا استأمر أبوي فاني اريد الله ورسوله والدار الآخرة زاد في رواية أن عائشة قالت لا تخبر نساءك أني اخترتك فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ان الله أرسلني مبلغا ولم يرسلني متعنتا ولمسلم عن ابن

(وان تظاهرا عليه) بالتخفيف كوفي وان تعاونا عليه بما يسوءه من الافراط في الغيرة وافشاء سره (فان الله هو مولاه) وليه وناصره وزيادة هو ايذان بانه يتولى ذلك بذاته (وجبريل) أيضا وليه (وصالح المؤمنين) ومن صلح من المؤمنين أي كل من آمن وعمل صالحا وقيل من برئ من النفاق وقيل الصحابة ٣٧٥ وقيل واحد اريد به الجمع كقولك لا يفعل هذا الصالح من الناس تريد الجنس وقيل أصله صالحو المؤمنين فحذفت الواو من الخط موافقة للفظ وقوله (والملائكة) على تكاثر عددهم (بعد ذلك) بعد نصرة الله وجبريل وصالحي المؤمنين (ظهير) فوج مظاهر له فما يبلغ تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه ولما كانت مظاهرة الملائكة من جملة نصرة الله قال بعد ذلك تعظيما لنصرتهم ومظاهرتهم (عسى ربه ان طلقكن أن يبدله) يبدله مدني وأبو عمرو فالتشديد للكثرة (أزواجا خيرا منكن) فان قلت كيف تكون المبدلات خيرا منهن ولم يكن على وجه الارض نساء خير من أمهات المؤمنين قلت اذا طلقهن رسول الله صلى الله عليه وسلم لايذائهن اياه لم يبقين على تلك الصفة وكان غيرهن من الموصوفات بهذه الاوصاف خيرا منهن (مسلمات مؤمنات) مقرات مخلصات (قانتات) مطيعات فالقنوت هو القيام بطاعة الله وطاعة الله في طاعة رسوله (تائبات) من الذنوب اوراجعات الى الله والى أمر رسوله (عابدات) لله (سائحات)

عباس عن عمر نحوه وفيه قال دخلت عليه فقلت يا رسول الله ما يشق عليك من شان النساء فان كنت طلقتهن فان الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك وقلما تكلمت وأحمد الله بكلام الا رجوت أن يكون الله يصدق قولي الذي اقول ونزلت هذه الآية عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير وفيه انه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخبر الناس انه لم يطلق نساءه فاذن له و انه قام على باب المسجد فنادى باعلى صوته لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه

(شرح بعض ألفاظه) قوله فعدلت معه بالاداوة أي فلت معه بالركوة فتبرز أي أتى البراز وهو الفضاء من الارض لقضاء الحاجة العوالي جمع عالية وهي أماكن باعلى أتى البراز وهو الفضاء من الارض لقضاء الحاجة العوالي جمع عالية وهي أماكن باعلى أراضي المدينة قوله ولا يغرنك أن كانت جارتك يريد بها الضرة وهي عائشة اوسم منك اى اكثر حسنا وجمالا منك قوله فكنا نتناوب النزول التناوب هو أن يفعله الانسان مرة ويفعله الآخر بعده المشربة بضم الراء وفتحها الغرفة قوله فاذا هو متكئ على رمال حصير يقال رملت الحصير اذا ضفرته ونسجته والمراد به انه لم يكن على السرير وطاء سوى الحصير قوله ما رأيت فيه ما يرد البصر الأهبة ثلاثة الاهبة والاهب جمع اهاب وهو الجلد قوله من شدة موجدته الموجدة الغضب قوله تعالى (وان تظاهرا عليه) أي تتعاونا على ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم (فان الله هو مولاه) أي وليه وناصره (وجبريل) يعني وجبريل وليه وناصره أيضا وانما أفرده وان كان داخلا في جملة الملائكة تعظيما له وتنبيها على علو منزلته ومكانته (وصالح المؤمنين) روى عن ابن مسعود وأبي بن كعب صالح المؤمنين أبو بكر وعمر وقيل هم المخلصون من المؤمنين الذين ليسوا بمنافقين وقيل هم الانبياء (والملائكة بعد ذلك) أي بعد نصر الله وجبريل وصالح المؤمنين (ظهير) أي أعوان للنبي صلى الله عليه وسلم ينصرونه (عسى ربه) أي واجب من الله (ان طلقكن) يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن يبدله أزواجا خيرا منكن) ثم وصف الازواج اللواتي كان يزوجه بهن فقال (مسلمات) أي خاضعات لله بالطاعة (مؤمنات) أي مصدقات بتوحيد الله تعالى (قانتات) أي طائعات وقيل داعيات وقيل مصليات بالليل (تائبات) أي تاركات للذنوب لقبحها أو كثيرات التوبة (عابدات) كثيرات العبادة (سائحات) أي صائمات وقيل مهاجرات وقيل يسحن معه حيث ساح (ثيبات) جمع ثيب وهي التي تزوجت ثم بانت بوجه من الوجوه (وأبكارا) أي عذارى جمع بكر وهذا من باب الاخبار عن القدرة لا عن الكون لانه قال ان طلقكن وقد علم انه لا يطلقهن فاخبر عن قدرته انه ان طلقهن ابدله أزواجا خيرا منهن

مهاجرات او صائمات وقيل للصائم سائح لان السائح لا زاد معه فلا يزال ممسكا الى ان يجد ما يطعمه فشبه به الصائم في امساكه الى ان يجيء وقت افطاره (ثيبات وابكارا) انما وسط العاطف بين الثيبات والابكار دون سائر الصفات لانهما صفتان متنافيتان بخلاف سائر الصفات

(ياأيها الذين آمنوا قوا انفسكم) بترك المعاصى وفعل الطاعات (واهليكم) بان تاخذوهم بما تأخذون به أنفسكم (نارا وقودها الناس والحجارة) نوعا من النار لاتتقد الا بالناس والحجارة كما يتقد غيرها من النيران بالحطب (عليها) يلى أمرها وتعذيب أهلها (ملائكة) يعنى الزبانية التسعة عشر وأعوانهم (غلاظ شداد) فى اجرامهم غلظة وشدة او غلاظ الاقوال شدادا لافعال (لا يعصون الله) فى موضع الرفع على النعت (ما أمرهم) فى محل النصب على البدل أى لايعصون ما أمر الله أى امره كقوله افعصيت أمرى أولا يعصونه فيما أمرهم (ويفعلون ما يؤمرون) وليست الجملتان فى معنى واحد اذ معنى الاولى انهم يتقبلون أوامره ويلتزمونها ومعنى الثانية انهم يؤدون ما يؤمرون به ولا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه (ياأيها الذين كفروا لاتعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون) فى الدنيا أى يقال لهم ذلك عند دخولهم النار لاتعتذروا لانه لاعذر لكم أولانه لاينفعكم الاعتذار (ياأيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا) صادقة عن الاخفش رحمه الله وقيل خالصة يقال عسل ناصح اذا خلص من الشمع وقيل نصوحا من نصاحة الثوب أى توبة ترفو خروقك فى دينك وترم خللك ويجوز أن يراد توبة تنصح الناس اى تدعوهم الى مثلها لظهور أثرها فى صاحبها واستعماله الجد والعزيمة فى العمل على مقتضياتها وبضم النون حماد ويحيى وهو مصدر أى ذات نصوح أو تنصح نصوحا وجاء مرفوعا ان التوبة النصوح ان يتوب ثم لايعود الى الذنب الى ان يعود اللبن فى الضرع وعن حذيفة بحسب الرجل من الشر أن يتوب عن الذنب ثم يعود فيه وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى الاستغفار باللسان والندم بالجنان والاقلاع بالاركان

الله

نحو يقالهن قوله عز وجل (ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم) قال ابن عباس بالانتهاء عما نهاكم الله عنه والعمل بطاعته (وأهليكم) يعنى مروهم بالخير وانهوهم عن الشر وعلموهم وادبوهم تقوهم بذلك (نارا وقودها الناس والحجارة) يعنى الكبريت لانه اشد الاشياء حرا وأسرع ايقادا (عليها ملائكة) يعنى خزنة النار وهم الزبانية (غلاظ) أى فظاظ على أهل النار (شداد) يعنى اقوياء يدفع الواحد منهم بالدفعة الواحدة سبعين ألفا فى النار لم يخلق الله الرحمة فيهم (لا يعصون الله ما أمرهم) أى لايخالفون الله فيما أمرهم به ونهاهم عنه (ويفعلون ما يؤمرون) أى لا تأخذهم رأفة فى تنفيذ اوامره والانتقام من أعدائه (ياأيها الذين كفروا لاتعتذروا اليوم) أى يقال لهم لاتعتذروا اليوم وذلك حين يعاينون النار وشدتها لانه قد قدم اليهم الانذار والاعذار فلا ينفعهم الاعتذار لانه غير مقبول بعد دخول النار (انما تجزون ما كنتم تعملون) يعنى ان اعمالكم السيئة ألزمتكم العذاب قوله (ياأيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا) أى ذات نصح تنصح صاحبها بترك العود الى الذنب الذى تاب منه قال عمر بن الخطاب وأبى بن كعب ومعاذ التوبة النصوح ان يتوب ثم لايعود الى الذنب كما لا يعود اللبن الى الضرع وقال الحسن هى أن يكون العبد نادما على ما مضى مجمعا على أن لا يعود اليه وقال الكلبى أن يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن وقال سعيد بن المسيب معناه توبة تنصحون بها انفسكم وقال محمد بن كعب القرظى التوبة النصوح يجمعها أربعة أشياء الاستغفار باللسان والاقلاع بالابدان واضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيئ الاخوان

* (فصل) وقال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب على الفور ولا يجوز تأخيرها سواء كانت المعصية صغيرة أو كبيرة فان كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمى فلها ثلاثة شروط أحدها ان يقلع عن المعصية والثانى أن يندم على فعلها والثالث ان يعزم على أن لا يعود اليها أبدا فاذا اجتمعت هذه الشروط فى التوبة كانت نصوحا وان فقد شرط منها لم تصح توبته فان كانت المعصية تتعلق بحق آدمى فشروطها أربعة هذه الثلاثة المتقدمة والرابع ان يبرأ من حق صاحبها فان كانت المعصية مالا ونحوه رده الى صاحبه وان كان حد قذف أو نحوه مكنه من نفسه أو طلب عفوه وان كانت غيبة استحله منها ويجب أن يتوب العبد من جميع الذنوب فان تاب من بعضها صحت توبته من ذلك الذنب وبقى عليه مالم يتب منه هذا مذهب أهل السنة وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة واجماع الامة على وجوب التوبة (م) عن الاغر بن يسار المزنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياأيها الناس توبوا الى الله فانى أتوب فى اليوم مائة مرة (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى

(عسى ربكم أن يكفر عنكم سيآتكم) هذا على ما جرت به عادة الملوك من الاجابة بعسى ولعل ووقوع ذلك منهم موقع القطع
والبت (ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار) ونصب (يوم) بيدخلكم (لا يخزى الله النبي والذين آمنوا

الله عليه وسلم يقول والله انى لاستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة (ق) عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله فى أرض فلاة الحديث (م) عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها * عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر أخرجه الترمذى وقال حديث حسن وقوله تعالى (عسى ربكم أن يكفر عنكم سيآتكم) هذا اطماع من الله تعالى لعباده فى قبول التوبة وذلك تفضلا وتكرما لا وجوبا عليه (ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار يوم لا يخزى الله النبي والذين آمنوا معه) أى لا يعذبهم بدخول النار (نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم) يعنى على الصراط (يقولون ربنا) يعنى اذا انطفأ نور المنافقين (أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شئ قدير يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير) تقدم تفسيره قوله تعالى (ضرب الله مثلا) أى بين شبها وحالا (للذين كفروا امرأت نوح) واسمها واعلة (وامرأت لوط) واسمها واهلة وقيل اسمهما والعة ووالهة (كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين) وهما نوح ولوط عليهما الصلاة والسلام وقوله من عبادنا اضافة تشريف وتعظيم (فخانتاهما) قال ابن عباس رضى الله عنهما ما بغت امرأة نبى قط وانما كانت خيانتهما انهما كانتا على غير دينهما وكانت امرأة نوح تقول للناس انه مجنون واذا آمن به أحد أخبرت به الجبابرة من قومها وأما امرأة لوط فانها كانت تدل قومها على أضيافه اذا نزل به ضيف بالليل أوقدت النار واذا نزل به ضيف بالنهار دخنت لتعلم قومها بذلك وقيل انهما أسرتا النفاق وأظهرتا الايمان (فلم يغنيا عنهما من الله شيأ) أى لم يدفعا عن امرأتيهما مع نبوتهما عذاب الله (وقيل ادخلا النار مع الداخلين) وهذا مثل ضربه الله تعالى للصالحين والصالحات من النساء وأنه لا ينفع العاصى طاعة غيره ولا يضر المطيع معصية غيره وان كانت القرابة متصلة بينهم وان القريب كالاجانب بل أبعد وان كان القريب الذى يتصل به الكافر نبيا كامرأة نوح وامرأة لوط لما خانتاهما لم يغن هذان الرسولان عن امرأتيهما شيأ فقطع بهذه الآية طمع من يرتكب المعصية ويتكل على صلاح غيره وفى هذا المثل تعريض بأمى المؤمنين عائشة وحفصة وما فرط منهما وتحذير لهما على أغلظ وجه وأشده * ثم ضرب مثلا آخر يتضمن ان معصية الغير لا تضره اذا كان مطيعا وان وصلة المسلم بالكافر لا تضر المؤمن فقال تعالى (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون) يعنى آسية بنت مزاحم قال المفسرون لما غلب

معه) فيه تعريض بمن أخزاهم الله من أهل الكفر (نورهم) مبتدا (يسعى بين أيديهم وبأيمانهم) فى موضع الخبر (يقولون ربنا أتمم لنا نورنا) يقولون ذلك اذا انطفأ نور المنافقين (واغفر لنا انك على كل شئ قدير يا أيها النبي جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالقول الغليظ والوعظ البليغ وقيل باقامة الحدود عليهم (واغلظ عليهم) على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة باللسان (ومأواهم جهنم وبئس المصير ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيأ وقيل ادخلا النار مع الداخلين) مثل الله عزوجل حال الكفار فى انهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين بلا محاباة ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم وبينهم من النسب والمصاهرة وان كان المؤمن الذى يتصل به الكافر نبيا بحال امرأة نوح وامرأة لوط لما نافقتا وخانتا الرسولين بافشاء اسرارهما فلم يغن الرسولان عنهما أى عن المرأتين بحق

ما بينهما وبينهما من الزواج اغناء ما من عذاب الله وقيل لهما عند موتهما أو يوم القيامة ادخلا النار مع سائر الداخلين الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء أو مع داخليها من اخوانكما من قوم نوح وقوم لوط (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون) هى آسية بنت مزاحم آمنت بموسى فعذبها فرعون بالاوتاد الاربعة

(اذقالت) وهي تعذب (رب ابن لي عندك بيتا في الجنة) فكأنها أرادت الدرجة العالية لانه تعالى منزه عن المكان فعبرت عنها بقولها عندك (ونجني من فرعون وعمله) أي من عمل فرعون أو من نفس فرعون الخبيثة وخصوصا من عمله وهو الكفر والظلم والتعذيب بغير جرم (ونجني من القوم الظالمين) من القبط كلهم وفيه دليل على ان الاستعاذة بالله والالتجاء اليه ومسئلة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين (ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها) من الرجال (فنفخنا) فنفخ جبريل بأمرنا (فيه) في الفرج (من روحنا) المخلوقة لنا (وصدقت بكلمات ربها) أي بصحفه التي انزلها على ادريس وغيره (وكتبه) بصري وحفص يعني الكتب الاربعة (وكانت من القانتين) لما كان القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين غلب ذكوره على اناثه ومن للتبعيض ويجوز ان يكون لابتداء الغاية على انها ولدت من القانتين لانها من اعقاب هرون أخي موسى عليهما السلام ومثل حال المؤمنين في أن وصلة الكافرين لا تضرهم ولا تنقص شيأ من ثوابهم وزلفاهم عند الله بحال امرأة فرعون ومنزلتها عند الله مع كونها زوجة أعدى أعداء الله ومريم ابنة عمران وما أوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع ان قومها كانوا كفارا وفي طي هذين التمثيلين تعريض بامي المؤمنين المذكورتين في أول السورة وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كرهه وتحذير لهما على أغلظ وجه واشارة الى ان من حقهما أن يكونا في الاخلاص كهاتين المؤمنتين وأن لا يتكلا على أنهما زوجا رسول الله صلى الله عليه وسلم

قوله

*(سورة الملك مكية وهي ثلاثون آية) وتسمى الواقية والمنجية لانها تقي قارئها من عذاب القبر وجاء مرفوعا من قرأها في ليلة أكثر وأطيب ٣ (بسم الله الرحمن الرحيم)

موسى السحرة آمنت به امرأة فرعون فلما تبين لفرعون اسلامها أوتد يديها ورجليها بأربعة أوتاد وألقاها في الشمس فكانت تعذب في الشمس فاذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكة (اذقالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة) فكشف الله لها عن بيتها في الجنة وقيل ان فرعون أمر بصخرة عظيمة لتلقى عليها فلما أتوها بالصخرة قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فابصرت بيتها في الجنة من درة بيضاء وانتزعت روحها فالقيت الصخرة على جسد لا روح فيه ولم تجد ألما وقيل رفع الله امرأة فرعون الى الجنة فهي تأكل وتشرب فيها (ونجني من فرعون وعمله) يعني وشركه وقال ابن عباس عمله يعني جماعه (ونجني من القوم الظالمين) يعني الكافرين (ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها) اي عن الفواحش والمحصنة العفيفة (فنفخنا فيه) أي في جيب درعها ولذلك ذكر الكناية (من روحنا) اضافة تمليك وتشريف كبيت الله وناقة الله (وصدقت بكلمات ربها) يعني الشرائع التي شرعها الله لعباده بكلماته المنزلة على أنبيائه (وكتبه) يعني الكتب المنزلة على ابراهيم وموسى وداود وعيسى عليهم الصلاة والسلام (وكانت من القانتين) يعني كانت من القوم القانتين أي المطيعين وهم رهطها وعشيرتها لانهم كانوا أهل بيت صلاح وطاعة لله * عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين مريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح والله اعلم بمراده

(تفسير سورة الملك)

مكية وهي ثلاثون آية وثلثمائة وثلاثون كلمة وألف وثلثمائة وثلاثة عشر حرفا

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهي تبارك الذي بيده الملك أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ولابي داود نحوه وفيه تشفع لصاحبها * عن ابن عباس قال ضرب بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فاذا هو قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ضربت خبائي على قبر انسان وأنا لا أحسب أنه قبر فاذا هو قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فقال النبي صلى الله عليه وسلم هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر اخرجه الترمذي وقال حديث غريب

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تبارك) تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين (الذي بيده الملك) اى بتصرفه الملك والاستيلاء على كل موجود وهو مالك الملك يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء (وهو على كل شئ) من المقدورات أو من الانعام والانتقام (قدير) قادر على الكمال (الذي خلق الموت) خبر مبتدا محذوف اوبدل من الذي قبله (والحيوة) أي ما يصح بوجوده الاحساس والموت ضده ومعنى خلق الموت والحياة ايجاد ذلك المصحح واعدامه والمعنى خلق موتكم وحياتكم أيها المكلفون (ليبلوكم) ليمتحنكم بأمره ونهيه فيما بين الموت الذي يعم الامير والاسير والحياة التي لا تفي بعليل ولا طبيب

فيظهر منكم ما علم انه يكون منكم فيجازيكم على عملكم لا على علمه بكم (أيكم) مبتدا وخبره (احسن عملا) اى أخلصه وأصوبه فالخالص أن يكون لوجه الله والصواب أن يكون على السنة والمراد انه اعطاكم الحياة التي تقدرون بها على العمل وسلط عليكم الموت الذي هو داعيكم الى اختيار العمل الحسن على القبيح فما وراءه الا البعث والجزاء الذي لا بد منه وقدم الموت على الحياة لان أقوى الناس داعيا الى العمل من نصب موته بين عينيه فقدم لانه فيما يرجع الى المسوق له الآية أهم ولما قدم الموت الذي هو أثر صفة القهر على الحياة التي هي أثر اللطف قدم صفة القهر على صفة اللطف بقوله (وهو العزيز) أى الغالب الذي لا يعجزه من اساء العمل (الغفور) الستور الذي لا ييأس منه أهل الاساءة والزلل (الذي خلق سبع سموات طباقا) مطبقة بعضها فوق بعض من طابق النعل اذا خصفها طبقا على طبق وهذا وصف بالمصدر او على ذات طباق او على طوبقت طباقا وقيل جمع طبق كجمل وجمال والخطاب في (ماترى في خلق الرحمن) للرسول او لكل مخاطب (من تفاوت) تفوت حمزة وعلى ومعنى البناءين واحد كالتعاهد والتعهد أى من اختلاف واضطراب وعن السدى من عيب وحقيقة التفاوت عدم التناسب كأن بعض الشئ يفوت بعضا ولا يلائمه وهذه الجملة صفة لطباقا وأصلها ما ترى فيهن من تفاوت فوضع خلق الرحمن موضع الضمير تعظيما لخلقهن وتنبيها على سبب سلامتهن من التفاوت وهو أنه خلق الرحمن وانه بباهر قدرته هو الذي يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب (فارجع البصر) رده الى السماء حتى يصح عندك ما أخبرت به بالمعاينة فلا تبقى معك شبهة فيه

قوله عزوجل (تبارك الذي بيده الملك) أى له الامر والنهي والسلطان فيعز من يشاء ويذل من يشاء (وهو على كل شئ قدير) أى من الممكنات (الذي خلق الموت والحيوة) قيل أراد موت الانسان وحياته في الدنيا جعل الله الدنيا دار حياة وفناء وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء وانما قدم الموت لانه أقرب الى قهر الانسان وقيل قدمه لانه أقدم وذلك لان الاشياء كانت في الابتداء في حكم الموتى كالتراب والنطفة والعلقة ونحو ذلك ثم طرأت عليها الحياة وقال ابن عباس خلق الموت على صورة كبش أملح لا يمر بشئ ولا يجد ريحه شئ الا مات وخلقت الحياة على صورة فرس بلقاء وهي التي كان جبريل والانبياء يركبونها لا تمر بشئ ولا يجد ريحها شئ الا حيي وهي التي أخذ السامري قبضة من أثرها فالقاها في العجل فخار وحيي وقيل ان الموت صفة وجودية مضادة للحياة وقيل الموت عبارة عن زوال القوة الحيوانية وابانة الروح عن الجسد وضده الحياة وهي القوة الحساسة مع وجود الروح في الجسد وبه سمي الحيوان حيوانا وقيل ان الموت نعمة لانه الفاصل بين حال التكليف في هذه الدار وحال المجازاة في دار القرار والحياة أيضا نعمة اذ لولاها لم يتنعم أحد في الدنيا ولم يصل اليه الثواب في الآخرة (ليبلوكم) أى ليختبركم فيما بين الحياة الى الموت (أيكم أحسن عملا) روى عن ابن عمر مرفوعا أحسن عملا أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعته وقال الفضيل بن عياض أحسن عملا أخلصه وأصوبه وقال أيضا العمل لا يقبل حتى يكون خالصا صوابا فالخالص اذا كان لله والصواب اذا كان على السنة وقيل أيكم أزهد في الدنيا (وهو العزيز) أى الغالب المنتقم ممن عصاه (الغفور) أى لمن تاب اليه ورجع عن اساءته قوله تعالى (الذي خلق سبع سموات طباقا) يعني طبقا على طبق بعضها فوق بعض كل سماء مقببة على الاخرى وسماء الدنيا كالقبة على الارض قال كعب الاحبار سماء الدنيا موج مكفوف والثانية مرمرة بيضاء والثالثة حديد والرابعة صفر أوقال نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء وما بين السماء السابعة الى الحجب السبعة صحارى من نور (ماترى في خلق الرحمن من تفاوت) أى ماترى يا ابن آدم في شئ مما خلق الرحمن اعوجاجا ولا اختلافا ولا تناقضا بل خلقهن مستقيمة مستوية (فارجع البصر)

(هل ترى من فطور) صدوع وشقوق جمع فطور وهو الشق (ثم ارجع البصر كرتين) كرر النظر مرتين أي كرتين مع الاولى
وقيل سوى الاولى فتكون ثلاث مرات وقيل لم يرد الاقتصار على مرتين بل أراد به التكرير بكثرة أي كرر نظرك ودققه هل
ترى خللا او عيبا وجواب الامر (ينقلب) يرجع (اليك البصر خاسئا) ذليلا او بعيدا مما تريد وهو حال من البصر (وهو
حسير) كليل معي ولم تر فيها خللا (ولقد زينا السماء الدنيا) القربى أي السماء الدنيا منكم (بمصابيح) بكواكب مضيئة كاضاءة
الصبح والمصابيح السرج فسميت بها الكواكب والناس يزينون مساجدهم ودورهم بايقاد المصابيح فقيل ولقد زينا
سقف الدار التي اجتمعتم فيها بمصابيح أي بأي مصابيح لا توازيها مصابيحكم اضاءة (وجعلناها رجوما للشياطين) أي
لاعدائكم الذين يخرجونكم من النور الى الظلمات قال قتادة خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين

أي كرر النظر (هل ترى من فطور) اى شقوق وصدوع (ثم ارجع البصر كرتين)
قال ابن عباس مرة بعد مرة (ينقلب) اى ينصرف (اليك) فيرجع (البصر خاسئا) أي
صاغرا ذليلا مبعدا لم ير ما يهوى (وهو حسير) اى كليل منقطع لم يدرك ما طلب (ولقد
زينا السماء الدنيا) أي القربى من الارض وهي التي يراها الناس (بمصابيح) أي
بكواكب كالمصابيح في الاضاءة وهي اعلام الكواكب وقال ابن عباس بنجوم لها نور
قيل خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء وعلامات يهتدى بها في ظلمات البر والبحر
ورجوما للشياطين وهو قوله تعالى (وجعلناها رجوما للشياطين) قال ابن عباس يرجم
بها الشياطين الذين يسترقون السمع فان قلت جعل الكواكب زينة للسماء يقتضي
بقاءها وجعلها رجوما للشياطين يقتضي زوالها فكيف الجمع بين هاتين الحالتين
قلت قالوا انه ليس المراد انهم يرمون باجرام الكواكب بل يجوز أن تنفصل من
الكواكب شعلة وترمى الشياطين بتلك الشعلة وهي الشهب ومثلها كمثل قبس
يؤخذ من النار وهي على حالها (وأعتدنا لهم) اى وأعتدنا للشياطين بعد الاحتراق في
الدنيا (عذاب السعير) اى في الآخرة وهي النار الموقدة (وللذين كفروا بربهم) اى ليس
العذاب مختصا بالشياطين بل لكل من كفر بالله من انس وجن (عذاب جهنم وبئس
المصير) ثم وصف جهنم فقال تعالى (اذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا) هو أول صوت نهيق
الحمار وذلك اقبح الاصوات (وهي تفور) اى تغلي بهم كغلي المرجل وقيل تفور بهم كما
يفور الماء الكثير بالحب القليل (تكاد تميز) أي تتقطع (من الغيظ) من تغيظها عليهم
(كلما ألقي فيها فوج) اى جماعة (سألهم خزنتها) يعني سؤال توبيخ وتقريع (ألم يأتكم
نذير) اى رسول ينذركم (قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا) يعني للرسول (ما نزل الله
من شيء) وهذا اعتراف منهم بانه ازاح عللهم ببعثة الرسل ولكنهم كذبوا وقالوا ما نزل الله
من شيء (ان أنتم الا في ضلال كبير) فيه وجهان أحدهما وهو الاظهر أنه من جملة قول

وعلامات يهتدى بها فمن تأول
فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم
له به والرجوم جمع رجم وهو
مصدر سمي به ما يرجم به ومعنى
كونها رجوما للشياطين ان
ينفصل عنها شهاب قبس يؤخذ
من نار فيقتل الجني او يخبله لان
الكواكب لا تزول عن أماكنها
لانها قارة في الفلك على حالها
(وأعتدنا لهم) للشياطين (عذاب
السعير) في الآخرة بعد الاحراق
بالشهب في الدنيا (وللذين
كفروا بربهم) ولكل من كفر
بالله من الشياطين وغيرهم
(عذاب جهنم) ليس الشياطين
المرجومون مخصوصين بذلك
(وبئس المصير) المرجع جهنم
(اذا ألقوا فيها) طرحوا في جهنم
كما يطرح الحطب في النار
العظيمة (سمعوا لها) لجهنم (شهيقا)
صوتا منكرا كصوت الحمير شبه
حسيسها المنكر الفظيع بالشهيق (وهي تفور) تغلي بهم غليان المرجل بما فيه الكفار

(تكاد تميز) اي تتميز يعني تتقطع وتتفرق (من الغيظ) على الكفار فجعلت كالمغتاظة عليهم استعارة لشدة غليانها بهم (كلما
ألقي فيها فوج) جماعة من الكفار (سألهم خزنتها) مالك واعوانه من الزبانية توبيخا لهم (ألم يأتكم نذير) رسول يخوفكم من
هذا العذاب (قالوا بلى قد جاءنا نذير) اعتراف منهم بعدل الله واقرار بانه تعالى ازاح عللهم ببعث الرسل وانذارهم ما وقعوا
فيه (فكذبنا) أي فكذبناهم (وقلنا ما نزل الله من شيء) مما تقولون من وعد ووعيد وغير ذلك (ان أنتم الا في ضلال كبير) أي
قال الكفار للمنذرين ما أنتم الا في خطأ عظيم فالنذير بمعنى الانذار ثم وصف به منذروهم لغلوهم في الانذار كأنهم ليسوا الا
انذارا وجاز أن يكون هذا كلام الخزنة للكفار على ارادة القول ومرادهم بالضلال الهلاك أو سموا جزاء الضلال

باسمه كما يسمى جزاء السيئة والاعتداء سيئة واعتداء ويسمى المشاكلة في علم البيان أو كلام الرسل لهم حكوه للخزنة أي قالوا لنا هذا فلم نقبله (وقالوا لو كنا نسمع) الانذار سماع طالب الحق (أو نعقل) عقل متأمل (ما كنا في أصحاب السعير) في جملة أهل النار وفيه دليل على أن مدار التكليف على أدلة السمع والعقل وأنهما حجتان ملزمتان (فاعترفوا بذنبهم) بكفرهم في تكذيبهم الرسل (فسحقا لأصحاب السعير) وبضم الحاء يزيد وعلي فبعدا لهم عن رحمة الله وكرامته اعترفوا أو جحدوا فان ذلك لا ينفعهم وانتصابه على أنه مصدر وقع موقع الدعاء (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) قبل معاينة العذاب (لهم مغفرة) للذنوب (وأجر كبير) أي الجنة (وأسروا قولكم أو اجهروا به) ظاهره الامر بأحد الامرين الاسرار والاجهار ومعناه ليستو

عندكم اسراركم واجهاركم في علم الله بهما روي أن مشركي مكة كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل بما قالوه فيه ونالوا منه فقالوا فيما بينهم اسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد فنزلت ثم علله بقوله (انه عليم بذات الصدور) اي بضمائرها قبل ان تترجم الالسنة عنها فكيف لا يعلم ما تكلم به (ألا يعلم من خلق) من في موضع رفع بانه فاعل يعلم (وهو اللطيف الخبير) انكر ان لا يحيط علما بالمضمر والسر والجهر من خلقها وصفته انه اللطيف اي العالم بدقائق الاشياء الخبير العالم بحقائق الاشياء وفيه اثبات خلق الاقوال فيكون دليلا على خلق افعال العباد وقال أبو بكر بن الاصم وجعفر بن حرب من مفعول والفاعل مضمر وهو الله تعالى فاحتالا بهذا لنفي خلق الافعال (هو الذي جعل لكم الارض ذلولا) لينة سهلة مذللة لا تمنع المشي فيها (فامشوا في مناكبها) جوانبها استدلالا واسترزاقا أو جبالها او طرقها (وكلوا من رزقه) أي من رزق الله فيها (واليه النشور) أي واليه نشوركم فهو سائلكم عن شكر ما أنعم به عليكم (أأمنتم من في السماء) اي من ملكوته في السماء لانها مسكن ملائكته ومنها تنزل قضاياه وكتبه وأوامره ونواهيه اولانهم كانوا يعتقدون التشبيه وانه في السماء وان الرحمة والعذاب ينزلان منه فقيل لهم على حسب اعتقادهم أأمنتم من تزعمون انه في السماء وهو متعال عن المكان (أن يخسف بكم الارض) كما خسف بقارون (فاذا هي تمور) تضطرب وتتحرك (ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا) حجارة أن يرسل بدل من من بدل الاشتمال وكذا ان يخسف (فستعلمون

الكفار للرسل والثاني يحتمل أن يكون من كلام الخزنة للكفار والمعنى لقد كنتم في الدنيا في ضلال كبير (وقالوا لو كنا نسمع) أي من الرسل ما جاؤوا به (أو نعقل) أي نفهم منهم قال ابن عباس لو كنا نسمع الهدى أو نعقله فنعمل به (ما كنا في أصحاب السعير) وقيل معناه لو كنا نسمع سمع من يعي ونعقل عقل من يميز وننظر ونتفكر ما كنا في أصحاب السعير (فاعترفوا بذنبهم) هو في معنى الجمع أي بتكذيبهم الرسل وقولهم ما نزل الله من شئ (فسحقا) أي بعدا (لأصحاب السعير) قوله عز وجل (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) أي يخافون ربهم ولم يروه فيؤمنون به خوفا من عذابه (لهم مغفرة) اى لذنوبهم (وأجر كبير) يعني جزاء أعمالهم الصالحة (واسروا قولكم أو اجهروا به) قال ابن عباس نزلت في المشركين كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل بما قالوا فقال بعضهم لبعض أسروا قولكم كي لا يسمع اله محمد فاخبره الله أنه لا يخفى عليه خافية فقال تعالى (انه عليم بذات الصدور) ثم أكد ذلك بقوله تعالى (ألا يعلم من خلق) يعني ألا يعلم من خلق مخلوقه وقيل ألا يعلم الله من خلق والمعنى ألا يعلم الله ما في صدور من خلق (وهو اللطيف) أي باستخراج ما في الصدور (الخبير) بما فيها من السر والوسوسة قوله تعالى (هو الذي جعل لكم الارض ذلولا) الذلول المنقاد من كل شئ والمعنى جعلها لكم سهلة لا يمتنع المشي فيها لحزونتها وغلظها (فامشوا في مناكبها) امر اباحة وكذا قوله (وكلوا من رزقه) ومناكبها جوانبها واطرافها ونواحيها وقيل طرقها وفجاجها وقال ابن عباس جبالها والمعنى هو الذي سهل لكم السلوك في جبالها وهو ابلغ التذلل وكلوا من رزقه أي مما خلقه الله لكم في الارض (واليه النشور) أي واليه تبعثون من قبوركم ثم خوف كفار مكة فقال تعالى (أأمنتم من في السماء) قال ابن عباس يعني عقاب من في السماء ان عصيتموه (أن يخسف بكم الارض فاذا هي تمور) أي تتحرك باهلها وقيل تهوي بهم والمعنى ان الله تعالى يحرك الارض عند الخسف بهم حتى يقلبهم الى أسفل وتعلو الارض عليهم وتمور فوقهم أي تجيء وتذهب (ام أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا) يعني ريحا ذات حجارة كما فعل بقوم لوط (فستعلمون) اى عند الموت في الآخرة

كيف نذير) اى اذا رأيتم المنذر به علمتم كيف انذارى حين لا ينفعكم العلم (ولقد كذب الذين من قبلهم) من قبل قومك (فكيف كان نكير) اى انكارى عليهم اذ أهلكتهم ثم نبه على قدرته على الخسف وارسال الحاصب بقوله (اولم يروا الى الطير) جمع طائر (فوقهم) فى الهواء (صافات) باسطات اجنحتهن فى الجوّ عند طيرانهن (و يقبضن) و يضممنها اذا ضربن بها جنوبهن و يقبضن معطوف على اسم الفاعل حملا على المعنى اى يصففن و يقبضن او صافات وقابضات واختيار هذا التركيب باعتبار أن اصل الطيران هو صف الاجنحة لأن الطيران فى الهواء كالسباحة فى الماء والهواء للطائر كالماء للسابح والاصل فى السباحة مد الاطراف و بسطها وأما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك فجىء بما هو طارئ بلفظ الفعل على معنى انهن صافات ٣٨٢ و يكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح (ما يمسكهن) عن

الوقوع عند القبض والبسط (الا الرحمن) بقدرته والا فالثقيل يتسفل طبعا ولا يعلو و كذا لو امسك حفظه وتدبيره عن العالم لتهافتت الافلاك وما يمسكهن مستأنف وان جعل حالا من الضمير فى يقبضن يجوز (انه بكل شئ بصير) يعلم كيف يخلق و كيف يدبر العجائب (أمن) مبتدا خبره (هذا) و يبدل من هذا (الذى هو جند لكم) ومحل (ينصركم من دون الرحمن) رفع نعت لجند محمول على اللفظ والمعنى من المشار اليه بالنصر غير الله تعالى (ان الكافرون الا فى غرور) أى ماهم الا فى غرور (أمن هذا الذى يرزقكم ان امسك رزقه) ام من يشار اليه و يقال هذا الذى يرزقكم ان امسك رزقه وهذا على التقدير و يجوز ان يكون اشارة الى جميع الاوثان

(كيف نذير) أى انذارى اذا عاينتم العذاب (ولقد كذب الذين من قبلهم) أى من قبل كفار مكة وهم الامم الخالية (فكيف كان نكير) أى انكارى عليهم أليس وجدوا العذاب حقا قوله عز وجل (اولم يروا الى الطير فوقهم صافات) أى باسطات اجنحتهن فى الجو عند طيرانها (و يقبضن) أى يضممن اجنحتهن اذا ضربن بهن جنوبهن بعد البسط (ما يمسكهن) أى حال القبض والبسط (الا الرحمن) والمعنى أن الطير مع ثقلها وضخامة جسمها لم يكن بقاؤها وثبوتها فى الجو الا بامساك الله عز وجل اياها وحفظه لها (انه بكل شئ بصير) يعنى انه تعالى لا تخفى عليه خافية (امّن هذا الذى هو جند لكم) استفهام انكار أى لا جند لكم (ينصركم) أى يمنعكم (من دون الرحمن) أى من عذاب الله قال ابن عباس اى من ينصركم منى ان أردت عذابكم (ان الكافرون الا فى غرور) أى من الشيطان يغرهم بان العذاب لا ينزل بهم (أمن هذا الذى يرزقكم ان امسك رزقه) يعنى من ذا الذى يرزقكم المطر ان امسكه الله عنكم (بل لجوا) أى تمادوا (فى عتو) أى نبوّ وتكبر (ونفور) أى تباعد عن الحق ثم ضرب مثلا للكافر والمؤمن فقال تعالى (افمن يمشى مكبا على وجهه) أى كابا رأسه فى الضلالة والجهالة اعمى القلب والعين لا يبصر يمينا ولا شمالا وهو الكافر اكب على الكفر والمعاصى فى الدنيا فحشره الله على وجهه يوم القيامة (اهدى) أى هو اهدى (أمن يمشى سويا) أى قائما معتدلا يبصر الطريق (على صراط مستقيم) يعنى المؤمن يمشى يوم القيامة سويا (قل هو الذى انشأكم) أى خلقكم (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) يعنى انه تعالى ركب فيكم هذه القوى لكنكم ضيعتموها فلم تقبلوا ما سمعتموه ولا اعتبرتم بما ابصرتموه ولا تأملتم ما عقلتموه فكانكم ضيعتم هذه النعم فاستعملتموها فى غير ما خلقت له فلهذا قال (قليلا ما تشكرون) وذلك لان شكر نعم الله صرفها فى وجه مرضاته فلما صرفتموها فى

لاعتقادهم انهم يحفظون من النوائب و يرزقون ببركة آلهتهم فكانهم الجند الناصر والرازق فلما لم يتعظوا وأضربوا عنهم فقال (بل لجوا) تمادوا (فى عتو) استكبار عن الحق (ونفور) وشراد عنه لثقله عليهم فلم يتبعوه ثم ضرب مثلا للكافرين والمؤمنين فقال (افمن يمشى مكبا على وجهه) اى ساقطا على وجهه يعثر كل ساعة و يمشى معتسفا وخبر من (اهدى) ارشد وأكب مطاوع كبه يقال كببته فاكب (أمن يمشى سويا) مستويا منتصبا سالما من العثور والخرور (على صراط مستقيم) على طريق مستو وخبر من محذوف لدلالة اهدى عليه وعن الكلبي يعنى بالمكب أباجهل و بالسوى النبى عليه السلام (قل هو الذى انشاكم) خلقكم ابتداء (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) خصها لانها آلات العلم (قليلا ما تشكرون) هذه النعم لانكم تشركون بالله ولا تخلصون له العبادة والمعنى تشكرون شكرا قليلا وما زائدة وقيل القلة عبارة عن العدم

(قل هو الذى ذرأكم) خلقكم (فى الارض واليه تحشرون) للحساب والجزاء (ويقولون) أى الكافرون للمؤمنين استهزاء (متى هذا الوعد) الذى تعدوننا به يعنى العذاب (ان كنتم صادقين) فى كونه فأعلمونا زمانه (قل انما العلم) أى علم وقت العذاب (عند الله وانما أنا نذير) مخوف (مبين) ابين لكم الشرائع (فلما رأوه) أى الوعد يعنى العذاب الموعود (زلفة) قريبا منهم وانتصابها على الحال (سيئت وجوه الذين كفروا) أى ساءت رؤية الوعد وجوههم بان علتها الكآبة والمساءة وغشيتها القترة والسواد (وقيل هذا الذى) القائلون الزبانية (كنتم به تدعون) تفتعلون من الدعاء أى تسألون تعجيله وتقولون ائتنا بما تعدنا أو هو من الدعوى أى كنتم بسببه تدعون انكم لا تبعثون وقرأ يعقوب تدعون (قل أرأيتم ان أهلكنى الله) اى أماتنى الله كقوله ان امرؤ هلك (ومن معى) من أصحابى (او رحمنا) او أخر فى آجالنا (فمن يجير) ينجى (الكافرين من عذاب أليم) مؤلم كان كفار مكة يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك فأمر بان يقول لهم نحن مؤمنون متربصون لاحدى الحسنيين اما ان نهلك كما تتمنون فنقلب الى الجنة او نرحم بالنصرة عليكم كما نرجو فأنتم ما تصنعون من مجيركم وأنتم كافرون من عذاب النار لابد لكم منه (قل هو الرحمن) أى الذى ادعوكم اليه (آمنا به) صدقنا به ولم نكفر به كما كفرتم (وعليه توكلنا) فوضنا اليه امورنا (فستعلمون) اذا نزل بكم العذاب وبالياء على (من هو فى ضلال مبين) نحن أم أنتم (قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا) غائرا ذاهبا فى الارض لا تناله الدلاء وهو وصف بالمصدر كعدل بمعنى عادل (فمن يأتيكم بماء معين) جار يصل اليه من اراده وتليت عند ملحد فقال يأتى بالمعول والمعن فذهب ماء عينه فى تلك الليلة وعمى وقيل انه محمد بن زكريا المتطبب زادنا الله بصيرة

(سورة ن مكية وهى اثنتان وخمسون آية) (بسم الله الرحمن الرحيم)

غير مرضاته فكانكم ماشكرتم رب هذه النعم الواهب لها (قل هو الذى ذرأكم) أى خلقكم وبثكم (فى الارض واليه تحشرون) اى يوم القيامة والمعنى ان القادر على الابداء قادر على الاعادة (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) هذا سؤال يحتمل وجهين أحدهما أنه سؤال عن نزول العذاب بهم والثانى انه سؤال عن يوم القيامة فاجاب الله عن ذلك بقوله (قل انما العلم عند الله وانما أنا نذير مبين) أمره باضافة العلم الى الله تعالى وتبليغ ما اوحى اليه (فلما رأوه) يعنى العذاب فى الآخرة على قول أكثر المفسرين وقيل يعنى العذاب ببدر (زلفة) أى قريبا (سيئت وجوه الذين كفروا) أى اسودت وعلتها الكآبة والمعنى قبحت وجوههم بالسواد (وقيل) لهم أى وقالت لهم الخزنة (هذا الذى كنتم به تدعون) من الدعاء أى تتمنون وتطلبون أن يعجله لكم وقيل من الدعوى أى تدعون انه باطل (قل) يا محمد لمشركى مكة الذين يتمنون هلاكك (أرأيتم ان اهلكنى الله ومن معى) اى من المؤمنين (او رحمنا) اى فأبقانا وأخر فى آجالنا (فمن يجير الكافرين من عذاب اليم) اى انه واقع بهم لا محالة وقيل فى معنى الآية قل أرأيتم ان أهلكنى الله أى فعذبنى ومن معى او رحمنا أى فغفر لنا فنحن مع ايماننا خائفون ان يهلكنا بذنوبنا لان حكمه نافذ فينا فمن يجيركم ويمنعكم من عذاب أليم وأنتم كافرون وهذا قول ابن عباس (قل) اى قل لهم فى انكارك عليهم وتوبيخك لهم (هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا) اى نحن آمنا به وعبدناه وانتم كفرتم به (فستعلمون) اى عند معاينة العذاب (من هو فى ضلال مبين) اى نحن ام انتم وهذا تهديد لهم ثم ذكرهم ببعض نعمه عليهم على طريق الاحتجاج فقال تعالى (قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم) قيل يريد ماء زمزم وقيل غيرها من المياه (غورا) أى غائرا ذاهبا فى الارض لا تناله الايدى ولا الدلاء (فمن يأتيكم بماء معين) اى ظاهر تراه العيون وتناله الايدى والدلاء وقال ابن عباس معين اى جار والمقصود من الآية أن يجعلهم مقرين ببعض نعمه عليهم ويريهم قبح ما هم عليه من الكفر والمعنى اخبرونى ان صار ماؤكم ذاهبا فى الارض فمن يأتيكم بماء معين فلابد ان يقولوا هو الله تعالى فيقال لهم حينئذ فلم تجعلون معه من لا يقدر على شئ أصلا شريكا له فى العبودية فهذا محال والله أعلم

(تفسير سورة ن)

مكية وهى اثنان وخمسون آية وثلثمائة كلمة وألف ومائتان وستة وخمسون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عزوجل (ن) قال ابن عباس هو الحوت الذي على ظهره الارض وعنه ان أول ماخلق الله القلم يجري بما هو كائن الى يوم القيامة ثم خلق النون فبسط الارض على ظهره فتحرك النون فمادت الارض فاثبتت بالجبال فان الجبال لتفخر على الارض ثم قرأ ن والقلم وما يسطرون قيل اسم النون بهموت وقيل ليوثا وقيل لوثيا وعن علي بلهوت قال أصحاب السير والاخبار لما خلق الله الارض وفتقها سبع أرضين بعث من تحت العرش ملكا فهبط الى الارض حتى دخل تحت الارضين السبع وضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فأهبط الله تعالى من الفردوس ثورا له أربعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة وجعل قرار قدم الملك على سنامه فلم تستقر قدمه فأخذ الله ياقوتة خضراء من أعلى درجة الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة سنة فوضعها بين سنام الثور الى اذنه فاستقر عليها قدما الملك وقرون ذلك الثور خارجة من أقطار الارض ومنخاره في البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فاذا تنفس مد البحر واذا رد نفسه جزر البحر فلم يكن لقوائم الثور قرار فخلق الله تعالى صخرة كغلظ سبع سموات وسبع أرضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه فتكن في صخرة فلم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة قيل فكل الدنيا بما عليها حرفان قال لها الجبار سبحانه وتعالى وتنزه وتقدس كوني فكانت قال كعب الاحبار ان ابليس تغلغل الى الحوت الذي على ظهره الارض فوسوس اليه فقال له اتدري ما على ظهرك يا ليوثا من الامم والدواب والشجر والجبال لو نفضتهم لالقيتهم عن ظهرك فهم ليوثا ان يفعل ذلك فبعث له دابة فدخلت منخره فوصلت الى دماغه فعج الحوت الى الله تعالى منها فاذن لها فخرجت قال كعب الاحبار فوالذي نفسي بيده انه لينظر اليها وتنظر اليه ان هم بشئ من ذلك عادت كما كانت وعن ابن عباس أيضا ان النون هو الدواة ومنه قول الشاعر

اذا ما الشوق برح بي اليهم ❊ ألقت النون بالدمع السجام

أراد بالنون الدواة وعن ابن عباس أيضا ان نونا حرف من حروف الرحمن اذا جمعت الرحمن وقيل هو مفتاح اسمه نصير وناصر وقيل هو اسم للسورة (والقلم) هو القلم الذي كتب الله به الذكر وهو قلم من نور طوله ما بين السماء والارض ويقال اول ماخلق الله القلم فنظر اليه فانشق نصفين ثم قال اجر بما هو كائن الى يوم القيامة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك وانما يجري الناس على أمر قد فرغ منه (وما يسطرون) أي وما يكتب الحفظة من أعمال بني آدم وقيل ان حملنا القلم على ذلك القلم المعين فيحتمل أن يكون المراد وما يسطرون فيه وهو اللوح المحفوظ ويكون الجمع في وما يسطرون للتعظيم لا للجمع (ما أنت) يا محمد (بنعمة ربك بمجنون) هذا جواب القسم اقسم الله بنون والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وهو رد لقولهم يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون والمعنى انك لا تكون مجنونا وقد أنعم الله عليك بالنبوة والحكمة فنفى عنه

(ن) الظاهر ان المراد به هذا الحرف من حروف المعجم وأما قول الحسن انه الدواة وقول ابن عباس انه الحوت الذي عليه الارض واسمه بهموت فمشكل لانه لابد له من الاعراب سواء كان اسم جنس او اسم علم فالسكون دليل على أنه من حروف المعجم (والقلم) أي ما كتب به اللوح او قلم الملائكة او الذي يكتب به الناس اقسم به لما فيه من المنافع والفوائد التي لا يحيط بها الوصف (وما يسطرون) أي ما يسطره الحفظة وما يكتب به من الخير من كتب وما موصولة او مصدرية وجواب القسم (ما أنت بنعمة ربك) أي بانعامه عليك بالنبوة وغيرها فانت اسم ما وخبرها (بمجنون) وبنعمة ربك اعتراض بين الاسم والخبر والباء في بنعمة ربك تتعلق بمحذوف ومحله النصب على الحال والعامل فيها بمجنون وتقديره ما أنت بمجنون منعما عليك بذلك ولم تمنع الباء أن يعمل مجنون فيما قبله لانها زائدة لتأكيد النفي وهو جواب يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون.

بالجنون وقيل معناه ما أنت بمجنون والنعمة لله وهو كما يقال ما أنت بمجنون والحمد لله وقيل ان نعمة الله كانت ظاهرة عليه من الفصاحة التامة والعقل الكامل والسيرة المرضية والاخلاق الحميدة والبراءة من كل عيب والاتصاف بكل مكرمة واذا كانت هذه النعم محسوسة ظاهرة فوجودها ينفي حصول الجنون فنبه الله تعالى بهذه الآية على كونهم كاذبين في قولهم انك لمجنون (وان لك لاجرا غير ممنون) أي غير منقوص ولا مقطوع ومنه قول لبيد * عبس كواسب ما يمن طعامها * أي ما يقطع يصف بذلك كلابا ضارية وقيل في معنى الآية انه غير مكدر عليك بسبب المنة والقول والاول ومعناه ان لك على احتمالك الطعن وصبرك على هذا القول القبيح وافترائهم عليك أجرا عظيما دائما لا ينقطع وقيل ان لك على اظهار النبوة وتبليغ الرسالة ودعاء الخلق الى الله تعالى والصبر على ذلك وبيان الشرائع لهم أجرا عظيما فلا تمنعك نسبتهم اياك الى الجنون عن الاشتغال بهذا الامر العظيم الذي قد حملته ثم وصفه بما يخالف حال المجنون فقال تعالى (وانك لعلى خلق عظيم) وهذا كالتفسير لقوله ما أنت بنعمة ربك بمجنون لان الاخلاق الحميدة والافعال المرضية كانت ظاهرة عليه ومن كان كذلك لم تجز اضافة الجنون اليه ولما كانت اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم كاملة حميدة وافعاله المرضية الجميلة وافرة وصفها الله تعالى بانها عظيمة وحقيقة الخلق قوى نفسانية يسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الحميدة والآداب المرضية فيصير ذلك كالخلقة في صاحبه ويدخل في حسن الخلق التحرز من الشح والبخل والتشديد في المعاملات ويستعمل في حسن الخلق التحبب الى الناس بالقول والفعل والبذل وحسن الادب والمعاشرة بالمعروف مع الاقارب والاجانب والتساهل في جميع الامور والتسامح بما يلزم من الحقوق وترك التقاطع والتهاجر واحتمال الاذى من الاعلى والادنى مع طلاقة الوجه وادامة البشر فهذه الخصال تجمع جميع محاسن الاخلاق ومكارم الافعال ولقد كان جميع ذلك في رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا وصفه الله تعالى بقوله وانك لعلى خلق عظيم وقال ابن عباس معناه على دين عظيم لا دين أحب الي ولا أرضى عندي منه وهو دين الاسلام وقال الحسن هو آداب القرآن سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن وقال قتادة هو ما كان يأتمر به من أوامر الله وينتهي عنه من مناهي الله تعالى والمعنى وانك على الخلق الذي أمرك الله به في القرآن وقيل سمى الله خلقه عظيما لانه امتثل تأديب الله اياه بقوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين والله سبحانه وتعالى أعلم

(فصل في فضل حسن الخلق وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم) من ذلك ما روى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله بعثني لتمام مكارم الاخلاق وتمام محاسن الافعال (م) عن النواس بن سمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم البر حسن الخلق والاثم ما حاك في صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس * عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله

(وان لك) على احتمال ذلك والصبر عليه (لاجرا) لثوابا (غير ممنون) غير مقطوع أو غير ممنون عليك به (وانك لعلى خلق عظيم) قيل هو ما أمره الله تعالى به في قوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن أي ما فيه من مكارم الاخلاق وانما استعظم خلقه لانه جاد بالكونين ... وتوكل

صلى الله عليه وسلم يقول ان المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم أخرجه أبو داود * وعنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من أكمل الناس ايمانا أحسنهم خلقا وألطفهم باهله أخرجه الترمذى وقال حديث حسن * عن أبى الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من شئ أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن وان الله تعالى يبغض الفاحش البذى أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * وله عن جابر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من أحبكم الى الله وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا (ق) عن البراء رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا ليس بالطويل ولا بالقصير (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشا وكان يقول خياركم أحاسنكم أخلاقا (ق) عن أنس رضى الله عنه قال خدمت النبى صلى الله عليه وسلم عشر سنين والله ما قال لى أف قط ولا قال لشئ لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا زاد الترمذى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا وما مسست خزا قط ولا حريرا ولا شيأ كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم (خ) عنه قال ان كانت الامة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت زاد فى رواية ويجيب اذا دعى * وعنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع يده ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو الذى يصرفه ولم ير مقدما ركبتيه بين يدى جليس له أخرجه الترمذى (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين قط الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه فى شئ قط الا أن تنتهك حرمة الله فينتقم زاد مسلم عنها وما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ قط بيده ولا امرأة ولا خادما الا ان يجاهد فى سبيل الله تعالى (ق) عن أنس قال كنت امشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية فادركه اعرابى فجبذه جبذة شديدة حتى نظرت الى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال يا محمد مر لى من مال الله الذى عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك وأمر له بعطاء (ق) عنه رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا وكان لى أخ يقال له أبا عمير وكان فطيما كان اذا جاءنا قال يا أبا عمير ما فعل النغير لنغير كان يلعب به النغير طائر صغير يشبه العصفور الا انه أحمر المنقار (م) عن الاسود قال سألت عائشة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل فى بيته قالت كان يكون فى مهنة أهله فاذا حضرت الصلاة يتوضأ ويخرج الى الصلاة المهنة الخدمة * عن عبد الله بن الحرث بن جزء قال ما رأيت أحدا

أكثر

(فستبصر ويبصرون) أى عن قريب ترى ويرون وهذا وعد له ووعيد لهم (بأيكم المفتون) المجنون لانه فتن أى محن بالجنون والباء مزيدة أو المفتون مصدر كالمعقول أى بأيكم الجنون وقال الزجاج الباء بمعنى فى تقول كنت ببلد كذا أى فى بلد كذا وتقديره فى أيكم المفتون أى فى أى الفريقين منكم المجنون فريق الاسلام أو فريق الكفر (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله) أى هو أعلم بالجانين على الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله (وهو أعلم بالمهتدين) أى هو أعلم بالعقلاء

وهم المهتدون (فلا تطع المكذبين) تهييج للتصميم على معاصاتهم وقد أرادوا أن يعبدوا الله مدة وآلهتهم مدة ويكفوا عنه غوائلهم (ودوا لو تدهن) لو تلين لهم (فيدهنون) فيلينون لك ولم ينصب باضمار أن وهو جواب التمنى لانه عدل به الى طريق آخر وهو أن جعل خبر مبتدا محذوف أى فهم يدهنون أى فهم الآن يدهنون لطمعهم فى ادهانك (ولا تطع كل حلاف) كثير الحلف فى الحق والباطل وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف (مهين) حقير فى الرأى والتمييز من المهانة وهى القلة والحقارة أو كذاب لانه حقير عند الناس (هماز) عياب طعان مغتاب (مشاء بنميم) نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم والنميم والنميمة السعاية (مناع للخير) بخيل والخير المال أو مناع أهله من الخير وهو الاسلام والمراد الوليد بن المغيرة عند الجمهور وكان يقول لبنيه العشرة من أسلم منكم منعته رفدى (معتد) مجاوز فى الظلم حده (أثيم) كثير الآثام (عتل) غليظ جاف (بعد ذلك) بعد ما عدله من المثالب (زنيم) دعى وكان الوليد دعيا فى قريش ليس من سنخهم ادعاه أبوه بعد ثمان عشرة سنة من مولده وقيل بغت أمه ولم يعرف حتى نزلت هذه الآية والنطفة اذا خبثت خبث الناشئ منها روى انه دخل على أمه وقال ان محمدا وصفنى بعشر صفات وجدت تسعا فى فاما الزنيم فلا علم لى به فان أخبرتنى بحقيقته والا ضربت عنقك فقالت ان أباك عنين وخفت أن يموت فيصل ماله الى غير ولده فدعوت راعيا الى نفسى فانت من ذلك الراعى

أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه الترمذى قوله تعالى (فستبصر) أى يا محمد (ويبصرون) يعنى أهل مكة اذا نزل بهم العذاب (بأيكم المفتون) قال ابن عباس معناه بأيكم الجنون وقيل الباء بمعنى فى معناه فستبصر ويبصرون فى أى الفريقين المجنون فى فريقك أو فريقهم وقيل المفتون هو الشيطان الذى فتن بالجنون (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) معناه انهم رموه بالجنون والضلال ووصفوا أنفسهم بالعقل والهداية فأعلم الله تعالى انه هو العالم بالفريقين الضال والمهتدى والمجنون والعاقل (فلا تطع المكذبين) يعنى مشركى مكة وذلك انهم دعوه الى دين آبائه فنهاه الله ان يطيعهم (ودوا لو تدهن فيدهنون) أصل الادهان اللين والمصانعة والمقاربة فى الكلام وقيل ادهن الرجل فى دينه وداهن فى أمره خان فيه وأظهر خلاف ما أبطن ومعنى الآية انهم تمنوا ان تترك بعض ما أنت عليه مما لا يرضونه مصانعة لهم فيفعلوا مثل ذلك ويتركوا بعض ما لا ترضى به فتلين لهم ويلينون لك وقيل معناه ودوا لو تكفر فيكفرون وهو ان تعبد آلهتهم مدة ويعبدون الله مدة (ولا تطع كل حلاف) أى كثير الحلف بالباطل (مهين) أى ضعيف حقير ذليل وقيل هو من المهانة وهى قلة الرأى والتمييز وقال ابن عباس كذاب وهو قريب من الاول لان الانسان انما يكذب لمهانة نفسه عليه قيل هو الوليد بن المغيرة وقيل هو الاسود بن عبد يغوث وقيل هو الاخنس بن شريق (هماز) أى مغتاب يأكل لحوم الناس بالطعن والعيب وقيل هو الذى يغمز باخيه فى المجلس (مشاء بنميم) أى قتات يسعى بالنميمة ليفسد بين الناس (مناع للخير) أى بخيل بالمال وقال ابن عباس مناع للخير أى يمنع ولده وعشيرته عن الاسلام يقول لئن دخل واحد منكم فى دين محمد لا أنفعه بشئ أبدا (معتد) أى ظلوم يتعدى الحق (أثيم) أى فاجر يتعاطى الاثم (عتل) أى غليظ جاف وقيل هو الفاحش السيئ الخلق وقيل هو الشديد فى الخصومة بالباطل وقيل هو الشديد فى كفره وقيل العتل الاكول الشروب القوى الشديد ولا يزن فى الميزان شعيرة يدفع الملك من أولئك سبعين ألفا فى النار دفعة واحدة (بعد ذلك زنيم) أى مع ما وصفناه به من الصفات المذمومة زنيم وهو الدعى الملصق فى القوم وليس منهم قال ابن عباس يريد هذا هو دعى فى قريش وليس منهم قيل انما ادعاه أبوه بعد ثمانى عشرة سنة وقيل الزنيم هو الذى له زنمة كزنمة الشاة وقال ابن عباس فى هذه الآية نعت من لا يعرف حتى قيل زنيم فعرف وكانت له زنمة فى عنقه يعرف بها وعنه أيضا قال يعرف بالشر كما تعرف الشاة

(أن كان ذا مال) متعلق بقوله ولا تطع أى ولا تطعه مع هذه المثالب لأن كان ذا مال أى ليساره وحظه من الدنيا ويجوز ان يتعلق بما بعده أى لأن كان ذا مال (وبنين) كذب بآياتنا يدل عليه (اذا تتلى عليه آياتنا) أى القرآن (قال أساطير الاولين) ولا يعمل فيه قال لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله أأن حمزة وأبو بكر أى لان كان ذا مال كذب ان شامى ويزيد ويعقوب وسهل قالوا الما عاب الوليد النبى صلى الله عليه وسلم كاذبا باسم واحد وهو المجنون سماه الله تعالى بعشرة أسماء صادقا فان كان من عدله أن يجزى المسىء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشرة كان من فضله ان من صلى عليه واحدة صلى الله عليه بها عشرا (سنسمه) سنكويه (على الخرطوم) على أنفه مهانة له وعلما يعرف به وتخصيص الانف بالذكر لان الوسم عليه أبشع وقيل خطم بالسيف يوم بدر فبقيت سمة على خرطومه (انا بلوناهم) امتحنا أهل مكة بالقحط والجوع حتى أكلوا الجيف والرمم بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها سنين كسنى يوسف (كما بلونا أصحاب الجنة) هم قوم من أهل الصلاة كانت لابيهم هذه الجنة بقرية يقال لها ضروان وكانت على فرسخين من صنعاء وكان يأخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقى على الفقراء فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الامر ونحن أولو عيال فحلفوا ليصرمنها مصبحين فى السدف خيفة من المساكين ولم يستثنوا فى يمينهم فاحرق الله جنتهم وقال الحسن كانوا كفارا والجمهور على الاول (اذ أقسموا) حلفوا (ليصرمنها) ليقطعن ثمرها (مصبحين) داخلين فى الصبح قبل انتشار الفقراء حال من فاعل ليصرمنها (ولا يستثنون) ولا يقولون ان شاء الله وسمى استثناء وان كان شرطا صورة لانه يؤدى مؤدى الاستثناء من حيث ان معنى قولك لاخرجن ان شاء الله لا أخرج الا أن يشاء الله (فطاف عليها طائف من ربك) نزل عليها بلاء قيل أنزل الله تعالى عليها نارا فاحرقتها (وهم نائمون) أى فى حال نومهم (فاصبحت) فصارت الجنة (كالصريم)

بزعمه قال ابن قتيبة لا نعلم أن الله وصف أحدا ولا ذكر من عيوبه مثل ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة فالحق به عارا لا يفارقه فى الدنيا ولا فى الآخرة (أن كان ذا مال وبنين) قرئ على الخبر ومعناه فلا تطع كل حلاف مهين لأن كان ذا مال وبنين أى لا تطعه لماله وبنيه وقرئ أأن كان ذا مال وبنين بالاستفهام ومعناه ألأن كان ذا مال وبنين (اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين) أى جعل مجازاة النعم التى خولها من المال والبنين الكفر بآياتنا وقيل لأن كان ذا مال وبنين تطيعه ثم أوعده فقال تعالى (سنسمه على الخرطوم) أى على الانف والمعنى نسود وجهه فنجعل له علما يعرف به فى الآخرة وهو سواد الوجه فعبر بالانف عن الوجه وقال ابن عباس سنسمه بالسيف وفعل به ذلك يوم بدر وقيل معناه سنلحق به شينا لا يفارقه أى سنسمه ميسم سوء يريد نلصق به عارا لا يفارقه كما ان السمة لا تمحى ولا يعفى أثرها وقد الحق الله به ما ذكر من عيوبه عارا لا يفارقه فى الدنيا ولا فى الآخرة كالوسم على الخرطوم الذى لا يخفى قط وقيل معناه سنكوبه على وجهه وقوله تعالى (انا بلوناهم) أى اختبرنا أهل مكة بالقحط والجوع (كما بلونا أصحاب الجنة) روى عن ابن عباس فى قوله تعالى انا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة قال بستان باليمن يقال له الضر وان دون صنعاء بفرسخين يطؤه أهل الطريق وكان غرسه قوم من أهل الصلاة وكان لرجل فمات فورثه ثلاثة بنين له وكان يترك للمساكين اذا صرموا نخلهم كل شئ تعداه المنجل فلم يجزه واذا طرح من فوق النخل الى البساط وكل شئ يخرج من المنجل الى البساط فهو أيضا للمساكين واذا حصدوا زرعهم فكل شئ تعداه المنجل فهو للمساكين واذا داسوه كان لهم كل شئ ينتثر أيضا فلما مات الاب وورثه بنوه هؤلاء الاخوة الثلاثة قالوا والله ان المال قليل وان العيال كثير وانما كان هذا الامر يفعل لما كان المال كثيرا والعيال قليلا فاما اذ قل المال وكثر العيال فانا لا نستطيع أن نفعل فتحالفوا بينهم يوما أن يغدوا غدوة قبل خروج الناس فليصرمن نخلهم فذلك قوله تعالى (اذ أقسموا) أى تحالفوا (ليصرمنها) أى ليقطعن ثمرها (مصبحين) أى اذا أصبحوا قبل ان يخرج اليهم المساكين وقبل أن يعلم بها المساكين (ولا يستثنون) أى ولم يقولوا ان شاء الله وقيل لا يستثنون شيأ للمساكين من ثمر جنتهم (فطاف عليها طائف من ربك) أى عذاب من ربك ولا يكون الطائف الا بالليل وهو قوله تعالى (وهم نائمون) وكان ذلك الطائف نارا نزلت من السماء فاحرقتها وهو قوله تعالى (فاصبحت) أى الجنة (كالصريم) أى كالليل الاسود المظلم وقيل تصرم منها الخير فليس فيها شئ ينتفع به وقال ابن عباس كالرماد الاسود وهو

كالليل المظلم أي احترقت فاسودت أو كالصبح أي صارت أرضا بيضاء بلا شجر وقيل كالمصرومة أي كأنها صرمت لهلاك ثمرها (فتنادوا مصبحين) نادى بعضهم بعضا عند الصباح (أن اغدوا) باكروا (على حرثكم) ولم يقل الى حرثكم لان الغدو اليه ليصرموه كان غدوا عليه أو ضمن الغدو معنى الاقبال أي فاقبلوا على حرثكم باكرين (ان كنتم صارمين) مريدين صرامه (فانطلقوا) ذهبوا (وهم يتخافتون) يتسارون فيما بينهم لئلا يسمع المساكين (أن لا يدخلنها) أي الجنة وأن مفسرة وقرئ بطرحها باضمار القول أي يتخافتون يقولون لا يدخلنها (اليوم عليكم مسكين) والنهي عن دخول المساكين نهي عن التمكين أي لا تمكنوه من الدخول (وغدوا على حرد) على جد في المنع (قادرين) عند أنفسهم على المنع كذا عن نفطويه أو الحرد القصد والسرعة أي وغدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها وزي منفعتها عن المساكين أو هو علم للجنة أي غدوا على تلك الجنة قادرين على صرامها عند انفسهم (فلما رأوها) أي جنتهم محترقة (قالوا) في بديهة وصولهم (انا لضالون) أي ضللنا جنتنا وما هي بها لما رأوا من هلاكها فلما تأملوا وعرفوا انها هي قالوا (بل نحن محرومون) حرمنا خيرها لجنايتنا على انفسنا (قال اوسطهم) أعدلهم وخيرهم (ألم أقل لكم لولا تسبحون) أي هلا تستثنون اذ الاستثناء التسبيح لالتقائهما في معنى التعظيم لله لان الاستثناء تفويض اليه والتسبيح تنزيه له وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم أو لولا تذكرون الله وتتوبون اليه من خبث نيتكم كان أوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة فعصوه فعيرهم ولهذا (قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين) فتكلموا بعد خراب البصرة بما كان يدعوهم الى التكلم به اولا وأقروا على أنفسهم بالظلم في منع المعروف وترك الاستثناء ونزهوه عن أن يكون ظالما (فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون) يلوم بعضهم بعضا بما فعلوا من الهرب من المساكين ويحيل كل واحد منهم اللائمة على الآخر ثم اعترفوا جميعا بانهم تجاوزوا الحد بقوله (قالوا ياويلنا انا كنا طاغين) بمنع حق الفقراء وترك الاستثناء (عسى ربنا ان يبدلنا) وبالتشديد مدني وأبو عمرو (خيرا منها) من هذه الجنة (انا الى ربنا راغبون) طالبون منه الخير راجون لعفوه عن مجاهد تابوا فابدلوا خيرا منها وعن ابن مسعود رضي الله عنه بلغني انهم اخلصوا فابدلهم بها جنة تسمى الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا

بالغة خزيمة (فتنادوا) اى فنادى بعضهم بعضا (مصبحين) يعني لما أصبحوا (ان اغدوا على حرثكم) يعني الثمار والزرع والاعناب (ان كنتم صارمين) أي قاطعين ثماركم (فانطلقوا) أي مشوا اليها (وهم يتخافتون) أي يتسارون يقول بعضهم لبعض سرا (أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد) أي على قصد ومنع وقيل معناه على جد وجهد وقيل على أمر مجتمع قد أسسوه بينهم وقيل على حنق وغضب من المساكين وقال ابن عباس على قدرة (قادرين) أي عند أنفسهم على جنتهم وثمارها لا يحول بينهم و بينها احد (فلما رأوها) اى رأوا الجنة محترقة (قالوا انا لضالون) أي لمخطئون الطريق اضللنا عن مكان جنتنا وليست هذه جنتنا (بل نحن محرومون) أي قال بعضهم قد حرمنا خيرها ونفعها بمنعنا المساكين وتركنا الاستثناء (قال أوسطهم) اى اعدلهم واعقلهم وأفضلهم (ألم اقل لكم لولا تسبحون) اى هلا تستثنون انكر عليهم ترك الاستثناء في قولهم ليصرمنها مصبحين سماه تسبيحا لانه تعظيم لله واقرار بانه لا يقدر احد على شئ الا بمشيئته وعلى التفسير الثاني ان الاستثناء بمعنى لا يتركون شيأ للمساكين من ثمر جنتهم يكون معنى لولا تسبحون أي تتوبون وتستغفرون الله من ذنوبكم وتفريطكم ومنعكم حق المساكين وقيل كان استثناؤهم سبحان الله وقيل هلا تسبحون الله وتشكرونه على ما أعطاكم من نعمه (قالوا سبحان ربنا) معناه انهم نزهوه عن الظلم فيما فعل واقروا على أنفسهم بالظلم فقالوا (انا كنا ظالمين) اى بمنعنا المساكين حقوقهم (فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون) أي يلوم بعضهم بعضا (قالوا ياويلنا) دعوا على انفسهم بالويل (انا كنا طاغين) أي في منعنا حق الفقراء والمساكين وقيل معناه طغينا في نعم الله فلم نشكرها ولم نصنع ما كان يصنع آباؤنا من قبل ثم رجعوا الى أنفسهم فقالوا (عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون) قال ابن مسعود بلغني ان القوم اخلصوا وعرف الله منهم الصدق فابدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها

(كذلك العذاب) أى مثل ذلك العذاب الذى ذكرناه من عذاب الدنيا لمن سلك سبيلهم (ولعذاب الآخرة أكبر) أعظم منه (لو كانوا يعلمون) لما فعلوا ما يفضى الى هذا العذاب ثم ذكر ما عنده للمؤمنين فقال (ان للمتقين) عن الشرك (عند ربهم) أى فى الآخرة (جنات نعيم) جنات ليس فيها الا التنعم الخالص بخلاف جنات الدنيا (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) استفهام انكار على قولهم لو كان ما يقول محمد حقا فنحن نعطى فى الآخرة خيرا مما يعطى هو ومن معه كما فى الدنيا فقيل لهم أنحيف فى الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم على طريقة الالتفات (ما لكم كيف تحكمون) هذا الحكم الاعوج وهو التسوية بين المطيع والعاصى كأن أمر الجزاء مفوض اليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم (أم لكم كتاب) من السماء (فيه تدرسون) تقرؤن فى ذلك الكتاب ٢٠٩٠ (ان لكم فيه لما تخيرون) أى ان ما تختارونه وتشتهونه لكم والاصل تدرسون ان لكم ما تتخيرون بفتح أن لانه مدروس لوقوع الدرس عليه (٣) وانما كسرت اللام فى خبرها ويجوز أن يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح وتخير الشئ واختاره أخذ خيره (أم لكم أيمان علينا) عهود مؤكدة بالأيمان (بالغة) نعت أيمان ويتعلق (الى يوم القيامة) ببالغة أى أنها تبلغ ذلك اليوم وتنتهى اليه وافرة لم تبطل منها يمين الى أن يحصل المقسم عليه من التحكيم أو بالمقدر فى الظرف أى هى ثابتة لكم علينا الى يوم القيامة لا تخرج عن عهدتها الا يومئذ اذا حكمنا كم وأعطينا كم ما تحكمون (ان لكم لما تحكمون) به لانفسكم وهو جواب القسم لان معنى أم لكم أيمان علينا أم أقسمنا لكم بأيمان مغلظة متناهية فى التوكيد (سلهم) أى المشركين (أيهم بذلك) الحكم (زعيم) الامر كفيل بانه يكون ذلك (أم لهم شركاء) أى ناس يشاركونهم فى هذا القول ويذهبون مذهبهم فيه (فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين) فى دعواهم يعنى ان أحدا لا يسلم لهم هذا ولا يساعدهم عليه كما انه لا كتاب لهم ينطق به ولا عهد لهم به عند الله ولا زعيم لهم يضمن لهم من الله بهذا (يوم يكشف عن ساق) ناصب الظرف فليأتوا أو اذكر مضمرا والجمهور على ان الكشف عن الساق عبارة عن شدة الامر وصعوبة الخطب فمعنى يوم يكشف عن ساق يوم يشتد الامر ويصعب ولا كشف ثمة ولا ساق ولكن كنى به عن الشدة لانهم اذا ابتلوا بشدة كشفوا عن الساق وهذا كما تقول للاقطع الشحيح يده مغلولة ولا يد ثمة ولا غل وانما هو كناية عن البخل وأما من شبه فلضيق عطنه وقلة نظره فى علم البيان ولو كان الامر كما زعم المشبه لكان من حق الساق ان يعرف لانها ساق معهودة

عنب يحمل البغل منه عنقودا قال الله تعالى (كذلك العذاب) أى كفعلنا بهم نفعل بمن تعدى حدودنا وخالف امرنا يخوف بذلك كفار مكة ثم قال تعالى (ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) ثم أخبر بما أعد الله للمتقين فقال تعالى (ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم) اى عند ربهم فى الآخرة ولما نزلت هذه الآية قال المشركون انا نعطى فى الآخرة أفضل مما تعطون فقال الله تعالى تكذيبا للمشركين (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) يعنى ان التسوية بين المسلم والمجرم غير جائزة فكيف يكون أفضل أو يعطى افضل منه ولما قال تعالى ذلك على سبيل الاستبعاد والانكار قال لهم على طريق الالتفات (ما لكم كيف تحكمون) يعنى هذا الحكم المعوج (أم لكم كتاب) أى نزل من عند الله (فيه) اى فى ذلك الكتاب (تدرسون) أى تقرؤن (ان لكم فيه) أى فى ذلك الكتاب (لما تخيرون) أى تختارون وتشتهون (أم لكم أيمان علينا بالغة) معناه ألكم عهود ومواثيق مؤكدة عاهدناكم عليها فاستوثقتم بها منا (الى يوم القيامة) أى لا تنقطع تلك الأيمان والعهود الى يوم القيامة (ان لكم) أى فى ذلك العهد (لما تحكمون) أى لانفسكم من الخير والكرامة عند الله تعالى ثم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (سلهم أيهم بذلك زعيم) اى أيهم كفيل لهم بان لهم فى الآخرة ما للمسلمين (أم لهم شركاء) اى بل لهم شركاء يعنى ما كانوا يجعلونه لله شركاء وانما أضاف الشركاء اليهم لانهم هم جعلوها شركاء لله وقيل معنى شركاء شهداء يشهدون بصدق ما ادعوه (فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين) أى فى دعواهم (يوم يكشف) أى فليأتوا بشركائهم فى ذلك اليوم لتنفعهم وتشفع لهم (عن ساق) أى عن أمر فظيع شديد قال ابن عباس هو أشد ساعة فى القيامة تقول العرب للرجل اذا وقع فى أمر عظيم فظيع يحتاج فيه الى الجد ومقاساة الشدة شمر عن ساقه اذا قام فى ذلك الامر ويقال اذا اشتد

(٣) قوله وانما كسرت الالام لعله لمجىء اللام اه

الامر في الحرب كشفت الحرب عن ساق وسئل ابن عباس عن هذه الآية فقال اذا خفي عليكم شئ من القرآن فابتغوه في الشعر فانه ديوان العرب أما سمعتم قول الشاعر

سن لنا قومك ضرب الاعناق * وقامت الحرب بنا على ساق

ثم قال ابن عباس هو يوم كرب وشدة وأنشد أهل اللغة أبياتا في هذا المعنى فمنها ما أنشده أبو عبيدة لقيس بن زهير

فان شمرت لك عن ساقها * فدنها ربيع ولا تسام

ومنها قول جرير

الا رب ساهي الطرف من آل مازن * اذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقد كثر مثل هذا في كلام العرب حتى صار كالمثل للامر العظيم الشديد (ق) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان ناسا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال ما تضارون في رؤية الله يوم القيامة الا كما تضارون في رؤية احدهما اذا كان يوم القيامة أذن مؤذن لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الاصنام والانصاب الا يتساقطون في النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغبر أهل الكتاب فتدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزير ابن الله فيقال كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون قالوا عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار اليهم ألا تردون فيحشرون الى النار كانها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار ثم تدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم ماذا تبغون فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار اليهم الا تردون فيحشرون الى جهنم كانها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر اتاهم رب العالمين في ادنى صورة من التي رأوه فيها قال فماذا تنتظرون تتبع كل امة ما كانت تعبد قالوا يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا افقر ما كنا اليهم ولم نصاحبهم فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيأ مرتين أو ثلاثا حتى ان بعضهم ليكاد ان ينقلب فيقول هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه الا اذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء الا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد ان يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رؤسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها اول مرة فقال انا ربكم فيقولون انت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل يا رسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكاجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكردس في نار جهنم حتى اذا خلص المؤمنون من

النار فوالذى نفسى بيده ما من أحد منكم باشد مناشدة لله فى استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين فى النار فيقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار الى نصف ساقيه والى ركبتيه ثم يقولون ربنا ما بقى فيها أحد ممن امرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان أبو سعيد يقول ان لم تصدقونى بهذا الحديث فاقرؤا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل ألا ترونها تكون الى الحجر أو الى الشجر ما يكون الى الشمس أصيفر أو أخيضر وما يكون منها الى الظل يكون أبيض قال فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين فيقول لكم عندى أفضل من هذا فيقولون ربنا أى شئ أفضل من هذا فيقول رضاى فلا أسخط عليكم ابدا لفظ مسلم وللبخارى نحوه بمعناه

(فصل فى شرح الفاظ الحديث وما يتعلق به) اما الرؤية وما يتعلق بها فسيأتى الكلام عليها فى موضعها ان شاء الله تعالى قوله حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين فى أدنى صورة من التى رأوه فيها وفى رواية أبى هريرة فيأتيهم الله فى صورة غير صورته التى يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء عرفناه فيأتيهم الله فى صورته التى يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه قال الشيخ محيى الدين النووى رحمه الله وغيره اعلم أن هذا الحديث من أكبر أحاديث الصفات وأعظمها وللعلماء فيه وفى أمثاله قولان أحدهما وهو قول معظم السلف أو كلهم انه لا يتكلم فى معناها بل يقولون يجب علينا أن نؤمن بها ونعتقد أن لها معنى يليق بجلال الله تعالى وعظمته مع اعتقادنا الجازم ان الله تعالى ليس كمثله شئ وانه منزه عن التجسيم والانتقال والتحيز فى جهة وعن سائر صفات المخلوقين وهذا القول هو مذهب جماعة من المتكلمين واختاره جماعة من محققيهم وهو أسلم وقال الخطابى هذا الحديث تهيب القول فيه شيوخنا فاجروه على ظاهر لفظه ولم يكشفوا عن باطن معناه على نحو مذهبهم فى التوقف عن تفسير كل ما لا يحيط العلم بكنهه من هذا الباب والقول الثانى وهو مذهب معظم المتكلمين أنها تتأول

على ما يليق بها على حسب مواقعها وانما يسوغ تأويلها لمن كان من أهله فعلى هذا المذهب يقال في قوله صلى الله عليه وسلم فيأتيهم الله ان الاتيان عبارة عن رؤيتهم اياه لان العادة ان من غاب عن غيره لا يمكنه رؤيته الا بالاتيان فعبر بالاتيان والمجيء هنا عن الرؤية مجازا وقيل الاتيان فعل من أفعال الله تعالى سماه اتيانا وقيل المراد بيأتيهم الله يأتيهم بعض ملائكته قال القاضي عياض وهذا الوجه أشبه عندي بالحديث قال ويكون هذا الملك هو الذي جاءهم في الصورة التي أنكروها من سمات الحدوث الظاهرة على الملك والمخلوق قال أو يكون معناه يأتيهم الله في صورة أي بصور ويظهر لهم من صور ملائكته ومخلوقاته التي لا تشبه صفات الاله ليختبرهم وهذا آخر امتحان المؤمنين فاذا قال لهم هذا الملك او هذه الصورة أنا ربكم رأوا عليه علامة من علامات المخلوقات مما ينكرونه ويعلمون بذلك أنه ليس ربهم فيستعيذون بالله منه وأما قوله صلى الله عليه وسلم فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فالمراد بالصورة هنا الصفة ومعناه فيتجلى الله تعالى لهم في الصفة التي يعلمونها ويعرفونه بها وانما عرفوه بصفته وان لم تكن تقدمت لهم رؤية له سبحانه وتعالى لانهم على هذه الصفة يرونه لا يشبه شيأ من مخلوقاته وقد علموا أنه لا يشبه شيأ من مخلوقاته فيعلمون بذلك أنه ربهم فيقولون أنت ربنا وانما عبر عن الصفة بالصورة لمشابهتها اياها ولمجانسة الكلام فانه تقدم ذكر الصورة وقوله في حديث أبي سعيد أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها معنى رأوه فيها أي علموها وهي صفته المعلومة للمؤمنين وهي أنه لا يشبهه شيء وقولهم نعوذ بالله منك لا نشرك بالله انما استعاذوا منه لما قدمناه من كونهم رأوا عليه سمات المخلوق قوله فيكشف عن ساق وفي رواية للبخاري يكشف ربنا عن ساقه ذكر هذه الرواية البيهقي في كتاب الاسماء والصفات قال أبو سليمان الخطابي فيحتمل أن يكون معنى قوله يكشف ربنا عن ساقه أي عن قدرته التي تكشف عن الشدة وضبط يكشف بفتح الياء وضمها وقد تقدم تفسير كشف الساق وقيل المراد بالساق في هذا الحديث نور عظيم وورد ذلك في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما روي عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يوم يكشف عن ساق قال نور عظيم يخرون له سجدا تفرد به روح بن جناح عن مولى عمر بن عبد العزيز وهو شامي يأتي بأحاديث منكرة لا يتابع عليها وموالي عمر بن عبد العزيز كثيرون ففي اسناده مجهول أيضا وقال ابن فورك ومعنى ذلك هو ما يتجدد للمؤمن عند رؤية الله تعالى من الفوائد والالطاف قال القاضي عياض وقد يكون الساق علامة بينه وبين المؤمنين من ظهور جماعة من الملائكة على خلقة عظيمة وقد تكون ساقا مخلوقة جعلها الله تعالى علامة للمؤمنين خارجة عن السوق المعتادة وقيل معناه كشف الحزن وازالة الرعب عنهم وما كان غلب على عقولهم من الاهوال فتطمئن حينئذ نفوسهم عند ذلك ويتجلى الله لهم فيخرون سجدا قال الخطابي وهذه الرؤية في هذا المقام يوم القيامة غير الرؤية التي هي في الجنة لكرامة أولياء الله وانما هذه الرؤية امتحان الله لعباده وقوله

فلا يبقى من كان يسجد لله تعالى من تلقاء نفسه الا اذن الله له فى السجود ولا يبقى من كا
يسجد نفاقا ورياء الا جعل الله ظهره طبقة واحدة هذا السجود امتحان من الله تعالى
لعباده ومعنى طبقة واحدة أى فقارة واحدة كالصفيحة فلا يقدر على السجود وقوله
يرفعون رؤسهم وقد تحوّل فى صورته التى رأوه فيها أول مرة معناه ثم يرفعون رؤسهم
أزال المانع لهم من رؤيته وتجلى لهم فيقولون أنت ربنا وقوله ثم يضرب الجسر على
جهنم الجسر بفتح الجيم وكسرها لغتان وهو الصراط وتحل الشفاعة بكسر الحاء وقيل
بضمها من حل ومعناه وتقع الشفاعة ويؤذن فيها قوله دحض مزلقة أى تزلق فيه
الاقدام ولا تثبت قوله فيه خطاطيف جمع خطاف وهو الذى يخطف الشئ وكلاليب
جمع كلوب وهو الحديدة التى يعلق بها اللحم والحسك الذى يقال له السعدان نبت
شوك عظيم من كل جانب قوله فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكردس فى نار جهنم معناه
انهم ثلاثة أقسام قسم يسلم فلا يناله شئ أصلا وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص وقوله
يكردس أى يلقى و يسقط فى جهنم وفى هذا اثبات الصراط وهو مذهب أهل السنة
وأهل الحق وهو جسر يجعل على متن جهنم وهو أرق من الشعر وأحد من السيف فيمر
عليه الناس كلهم فالمؤمنون ينجون على حسب منازلهم وأعمالهم والآخرون يسقطون
فى جهنم أعاذنا الله منها ومعنى مناشدة المؤمنين الله يوم القيامة لاخوانهم الذين فى النار
شفاعتهم لهم وقوله فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير ومثقال نصف دينار من خير
ومثقال ذرة قال القاضى عياض قيل معنى الخير اليقين قال والصحيح ان معناه شئ زائد
على مجرد الايمان لان الايمان الذى هو التصديق لا يتجزأ وانما يكون هذا الخير زائدا
عليه من عمل صالح وذكر خفى وعمل من أعمال القلب من شفقة على مسكين أو خوف
من الله تعالى أو نية صادقة ومثقال الذرة مثل لاقل الخير لان ذلك أقل المقادير وقوله
المؤمنين لم نذر فيها خيرا أى صاحب خير وقوله تعالى شفعت الملائكة هو بفتح الفاء
وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج
منها قوما لم يعملوا خيرا قط هؤلاء هم الذين معهم مجرد الايمان فقط ولم يعملوا خيرا قط وتفرد
الله تعالى بعلم ما تكنه القلوب فالرحمة لمن ليس عنده الا مجرد الايمان فقط ومعنى قبض
قبضة أى جمع جماعة قوله قد عادوا حمما أى صاروا فحما فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة
جمع فوهة وهى أول النهر قوله فيخرجون كاللؤلؤ أى فى الصفاء فى رقابهم الخواتم قيل
معناه انه يعلق فى رقابهم أشياء من ذهب أو غير ذلك مما يعرفون بها والله أعلم قوله تعالى
(ويدعون الى السجود فلا يستطيعون) السجود يعنى الكفار والمنافقين تصير أصلابهم
كصياصى البقر أو كصفيحة نحاس فلا يستطيعون السجود (خاشعة أبصارهم ترهقهم
ذلة) وذلك ان المؤمنين يرفعون رؤسهم من السجود ووجوههم أشد بياضا من الثلج ولها
علاها النور والبهاء وتسود وجوه الكفار والمنافقين ويغشاهم ذل وخسران وندامة
(وقد كانوا يدعون الى السجود) يعنى فى دار الدنيا كانوا يدعون الى الصلاة المكتوبة
بالاذان والاقامة وذلك انهم كانوا يسمعون حى على الصلاة حى على الفلاح فلا يجيبونه

عنده (ويدعون) أى الكفار
ثمة (الى السجود) لا تكليفا
ولكن توبيخا على تركهم
السجود فى الدنيا (فلا يستطيعون)
ذلك لان ظهورهم تصير
كصياصى البقر لا تنثنى عند
الخفض والرفع (خاشعة) ذليلة
حال من الضمير فى يدعون
(أبصارهم) أى يدعون فى حال
خشوع أبصارهم (ترهقهم
ذلة) يغشاهم صغار (وقد كانوا
يدعون) على ألسن الرسل (الى
السجود) فى الدنيا

(وهم

(وهم سالمون) أى وهم أصحاء فلا يسجدون فلذلك منعوا عن السجود ثم (فذرنى) يقال ذرنى واياه أى كله الى فانى اكفيكه (ومن يكذب) معطوف على المفعول أو مفعول معه (بهذا الحديث) بالقرآن والمراد كل أمره الى وخل بينى وبينه فانى عالم بما ينبغى أن يفعل به مطيق له فلا تشغل قلبك بشانه وتوكل على فى الانتقام منه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد للمكذبين (سنستدرجهم) سندنيهم من العذاب درجة درجة يقال استدرجه الى كذا أى استنزله اليه درجة فدرجة حتى يورطه فيه واستدراج الله تعالى العصاة أن يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلون رزق الله ذريعة الى ازدياد المعاصى (من حيث لا يعلمون) من الجهة التى لا يشعرون انه استدراج قيل كلما جددوا معصية جددنا لهم نعمة وانسيناهم شكرها قال عليه السلام اذا رأيت الله تعالى ينعم على عبد وهو مقيم على معصيته فاعلم انه مستدرج وتلا الآية (وأملى لهم) وأمهلهم (ان كيدى متين) قوى شديد فسمى احسانه وتمكينه كيدا كما سماه استدراجا لكونه فى صورة الكيد حيث كان سببا للهلاك والاصل ان معنى الكيد والمكر والاستدراج هو الاخذ من جهة الامن ولا يجوز أن يسمى الله كائدا وماكرا ومستدرجا (أم تسئلهم) على تبليغ الرسالة (أجرا فهم من مغرم) غرامة (مثقلون) فلا يؤمنون استفهام بمعنى النفى أى لست تطلب أجرا على تبليغ الوحى فيثقل عليهم ذلك فيمتنعوا لذلك (أم عندهم الغيب) أى اللوح المحفوظ عند الجمهور (فهم يكتبون) منه ما يحكمون به (فاصبر لحكم ربك) وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم لانهم وان امهلوا لم يهملوا (ولا تكن كصاحب الحوت) كيونس عليه السلام فى العجلة والغضب على القوم حتى لا تبتلى ببلائه والوقف على الحوت لان اذ ليس بظرف لما تقدمه اذ النداء طاعة فلا ينهى عنه بل مفعول محذوف أى اذكر (اذ نادى) دعا ربه فى بطن الحوت بلا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين (وهو مكظوم) مملوء غيظا من كظم السقاء اذا ملأه (لولا أن تداركه نعمة) رحمة (من ربه) أى لولا ان الله انعم عليه باجابة دعائه وقبول عذره (لنبذ) من بطن الحوت (بالعراء) بالفضاء (وهو مذموم) معاتب بزلته لكنه رحم فنبذ غير مذموم (فاجتباه ربه) اصطفاه لدعائه وعذره (فجعله من

(وهم سالمون) يعنى أنهم كانوا يدعون الى الصلاة وهم اصحاء فلا يأتونها قال كعب الاحبار والله ما نزلت هذه الآية الا فى الذين يتخلفون عن الجماعة قوله عز وجل (فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث) أى دعنى والمكذبين بالقرآن وخل بينى وبينهم ولا تشغل قلبك بهم وكلهم الى فانى أكفيك اياهم (سنستدرجهم) أى سنأخذهم بالعذاب (من حيث لا يعلمون) فعذبوا يوم بدر بالقتل والاسر وقيل فى معنى الآية كلما أذنبوا ذنبا جددنا لهم نعمة وأنسيناهم الاستغفار والتوبة وهذا هو الاستدراج لانهم يحسبونه تفضيلا لهم على المؤمنين وهو فى الحقيقة سبب اهلاكهم فعلى العبد المسلم اذا تجددت عنده نعمة أن يقابلها بالشكر واذا أذنب ذنبا أن يعاجله بالاستغفار والتوبة (وأملى لهم) أى أمهلهم وأطيل لهم المدة وقيل معناه أمهلهم الى الموت فلا أعاجلهم بالعقوبة (ان كيدى متين) أى عذابى شديد وقيل الكيد ضرب من الاحتيال فيكون بمعنى الاستدراج المؤدى الى العذاب (أم تسئلهم أجرا) أى على تبليغ الرسالة (فهم من مغرم مثقلون) المغرم الغرامة والمعنى أتطلب منهم أجرا فيثقل عليهم حمل الغرامات فى أموالهم فيثبطهم ذلك عن الايمان (أم عندهم الغيب فهم يكتبون) أى أعندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون منه ما يحكمون به وهو استفهام على سبيل الانكار (فاصبر لحكم ربك) أى اصبر على أذاهم لقضاء ربك قيل انه منسوخ بآية السيف (ولا تكن) فى الضجر والعجلة (كصاحب الحوت) يعنى يونس بن متى (اذ نادى) ربه أى فى بطن الحوت (وهو مكظوم) أى مملوء غما (لولا أن تداركه نعمة من ربه) أى حين رحمه وتاب عليه (لنبذ بالعراء) أى لطرح بالفضاء من بطن الحوت على الارض (وهو مذموم) أى يذم ويلام بالذنب وقيل فى معنى الآية لولا تداركته نعمة من ربه لبقى فى بطن الحوت الى يوم القيامة ثم ينبذ بعراء القيامة أى بارضها وفضائها فان قلت هل يدل قوله وهو مذموم على كونه كان فاعلا للذنب قلت الجواب عنه من ثلاثة أوجه أحدها ان كلمة لولا دلت على أنه لم يحصل منه ما يوجب الذم الثانى لعل المراد منه ترك الافضل فان حسنات الابرار سيآت المقربين الثالث لعل هذه الواقعة كانت قبل النبوة يدل عليه قوله تعالى (فاجتباه ربه) والفاء للتعقيب أى اصطفاه ورد عليه الوحى وشفعه فى قومه (فجعله من

الصالحين) من المستكملين لصفات الصلاح ولم يبق له زلة وقيل من الانبياء وقيل من المرسلين والوجه هو الاول لانه كان مرسلا ونبيا قبله لقوله تعالى وان يونس لمن المرسلين اذ أبق الى الفلك المشحون الآيات (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم) وبفتح الياء مدني ان مخففة من الثقيلة واللام علمها زلقه وأزلقه أزاله عن مكانه أي قارب الكفار من شدة نظرهم اليك شزرا بعيون العداوة ان يزلوك بأبصارهم عن مكانك أو يهلكوك لشدة حنقهم عليك وكانت العين في بني أسد فكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة أيام فلا يمر به شئ فيقول فيه لم أر كاليوم مثله الا هلك فاريد بعض العيانين على أن يقول في رسول الله مثل ذلك فقال لم أر كاليوم مثله رجلا فعصمه الله من ذلك وفي الحديث العين حق وان العين لتدخل الجمل القدر والرجل القبر وعن الحسن رقية العين هذه الآية (لما سمعوا الذكر) القرآن (ويقولون) حسدا على ما أوتيت من النبوة (انه لمجنون) ان محمدا لمجنون حيرة في أمره وتنفيرا عنه (وما هو) أي القرآن (الا ذكر) وعظ (للعالمين) للجن والانس يعني انهم جننوه لاجل القرآن وما القرآن الا موعظة للعالمين فكيف يجنن من جاء بمثله وقيل لما سمعوا الذكر أي ذكره عليه السلام وما هو أي محمد عليه السلام الا ذكر شرف للعالمين فكيف ينسب اليه الجنون والله أعلم

(سورة الحاقة مكية)

الصالحين) أي النبيين قوله تعالى (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم) وذلك أن الكفار أرادوا أن يصيبوا النبي صلى الله عليه وسلم بالعين فنظرت قريش اليه وقالوا ما رأينا مثله ولا مثل حججه وقيل كانت العين في بني أسد حتى ان كانت الناقة أو البقرة لتمر بأحدهم فيعاينها ثم يقول لجاريته خذي المكتل والدراهم فائتينا بلحم من لحم هذه فما تبرح حتى تقع بالموت فتنحر وقيل كان رجل من العرب يمكث لا يأكل يومين أو ثلاثة ثم يرفع جانب خبائه فتمر به الابل فيقول لم أر كاليوم ابلا ولا غنما أحسن من هذه فما تذهب الا قليلا حتى يسقط منها عدة فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعين ويفعل به مثل ذلك فعصم الله نبيه صلى الله عليه وسلم وأنزل وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم قال ابن عباس معناه ينفذونك وقيل يصيبونك بعيونهم كما يصيب العائن بعينه ما يعجبه وقيل يصرعونك وقيل يصرفونك عما أنت عليه من تبليغ الرسالة وانما أراد أنهم ينظرون اليك اذا قرأت القرآن نظرا شديدا بالعداوة والبغضاء يكاد يسقطك ومنه قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني أو يكاد يأكلني يدل على صحة هذا المعنى أنه قرن هذا النظر بسماع القرآن وهو قوله (لما سمعوا الذكر) لانهم كانوا يكرهون ذلك أشد الكراهة ويحدون النظر اليه بالبغضاء (ويقولون انه لمجنون) أي ينسبونه الى الجنون اذا سمعوه يقرأ القرآن قال الله تعالى ردا عليهم (وما هو) يعني القرآن (الا ذكر للعالمين) قال ابن عباس موعظة للمؤمنين قال الحسن دواء من أصابته العين أن تقرأ عليه هذه الآية (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق زاد البخاري ونهى عن الوشم (م) عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولو كان شئ سابق القدر سبقته العين واذا استغسلتم فاغسلوا وعن عبيد الله بن رفاعة الزرقي ان أسماء بنت عميس كانت تقول يا رسول الله ان ولد جعفر تسرع اليهم العين أفأسترقي لهم قال نعم ولو كان شئ سابق القدر لسبقته العين أخرجه الترمذي قوله العين حق أخذ بظاهر هذا الحديث جماهير العلماء وقالوا العين حق وأنكره طوائف من المبتدعة والدليل على فساد قولهم ان كل معنى ليس مخالفا في نفسه ولا يؤدي الى قلب حقيقة ولا افساد دليل فانه من مجوزات العقول فاذا أخبر الشارع بوقوعه وجب اعتقاده ولا يجوز تكذيبه ومذهب أهل السنة أن العين انما تفسد وتهلك عند مقابلة هذا الشخص الذي هو العائن لشخص آخر فتؤثر فيه بقدرة الله تعالى وفعله وقوله ولو كان شئ سابق القدر لسبقته العين فيه اثبات القدر وانه حق والمعنى ان الاشياء كلها بقدر الله ولا يقع شئ الا على حسب ما قدر الله وسبق به علمه ولا يقع ضرر العين وغيره من الخير والشر الا بقدرة الله وفيه صحة اثبات العين وانها قوية الضرر اذا وافقها القدر والله أعلم

(تفسير سورة الحاقة)

(سورة الحاقة احدى وخمسون آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة) الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء التي هي آتية لا ريب فيها من حق يحق بالكسر اى وجب (ما الحاقة) مبتدأ وخبر وهما خبر الحاقة والاصل الحاقة ماهى اى أى شئ هى تفخيما لشأنها وتعظيما لهولها أى حقها ان يستفهم عنها لعظمها فوضع الظاهر موضع الضمير لزيادة التهويل ٣٩٧ (وما أدراك) وأى شئ أعلمك (ما الحاقة) يعنى انك لاعلم لك بكنهها ومدى عظمها لانه من العظم والشدة بحيث لا تبلغه دراية المخلوقين وما رفع بالابتداء وادراك الخبر والجملة بعده فى موضع نصب لانها مفعول ثان لادرى (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) اى بالحاقة فوضعت القارعة موضعها لانها من أسماء القيامة وسميت بها لانها تقرع الناس بالافزاع والاهوال ولما ذكرها وفخمها أتبع ذكر ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم (فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية) بالواقعة المجاوزة للحد فى الشدة واختلف فيها فقيل الرجفة وقيل الصيحة وقيل الطاغية مصدر كالعافية اى بطغيانهم ولكن هذا لا يطابق قوله (وأما عاد فاهلكوا بريح) اى بالدبور لقوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور (صرصر) شديدة الصوت من الصرة الصيحة أو باردة من الصر كأنها التى كرر فيها البرد وكثر فهى تحرق بشدة بردها (عاتية) شديدة العصف أو عتت على خزانها فلم يضبطوها باذن الله غضبا على أعداء الله (سخرها) سلطها (عليهم سبع ليال وثمانية أيام) وكان ابتداء العذاب يوم الاربعاء آخر الشهر الى الاربعاء الاخرى (حسوما) أى متتابعة لا تنقطع جمع حاسم كشهود تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم فى اعادة الكى على الداء كرة بعد أخرى حتى ينحسم وجاز أن يكون مصدرا اى تحسم حسوما بمعنى تستأصل استئصالا (فترى) أيها المخاطب (القوم فيها) فى مهابها أو فى الليالى والايام (صرعى) حال جمع صريع

مكية وهى اثنتان وخمسون آية ومائتان وست وخمسون كلمة
وألف وأربع وثلاثون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

[ق]وله عز وجل (الحاقة) يعنى القيامة سميت حاقة من الحق الثابت يعنى انها ثابتة [ا]لوقوع لا ريب فيها وقيل لان فيها تحقق الامور فتعرف على الحقيقة وفيها يحق الجزاء [ع]لى الاعمال أى يجب وقيل الحاقة النازلة التى حقت فلا كاذبة لها وقيل الحاقة هى التى [ت]حق على القوم أى تقع بهم (ما الحاقة) استفهام ومعناه التفخيم لشأنها والتهويل لها [و]المعنى أى شئ هى الحاقة (وما أدراك ما الحاقة) أى انك لا تعلمها اذ لم تعاينها ولم تر ما فيها [م]ن الاهوال على انه من العظم والشدة أمر لا تبلغه دراية أحد ولا فكره وكيف قدرت [ح]الها فهى أعظم من ذلك (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) قال ابن عباس بالقيامة سميت [ق]ارعة لانها تقرع قلوب العباد بالمخافة وقيل كذبت بالعذاب الذى أوعدهم نبيهم حتى [نز]ل بهم فقرع قلوبهم (فاما ثمود فأهلكوا بالطاغية) أى بطغيانهم وكفرهم وقيل [ال]طاغية الصيحة الشديدة المجاوزة الحد فى القوة وقيل الطاغية الفرقة التى عقروا [ال]ناقة فاهلكت قوم ثمود بسببهم (وأما عاد فاهلكوا بريح صرصر) أى شديدة الصوت [و]المهبوب لها صرصرة وقيل هى الباردة من الصر كأنها التى كرر فيها البرد وكثر فهى [تح]رق بشدة بردها (عاتية) أى عتت على خزنتها فلم تطعهم ولم يكن لهم عليها سبيل [و]جاوزت الحد والمقدار فلم يعرفوا مقدار ما خرج منها وقيل عتت على عاد فلم يقدروا على [د]فعها عنهم بقوة ولا حيلة (سخرها عليهم) أى أرسلها وسلطها عليهم وفيه رد على من [ق]ال ان سبب ذلك كان باتصال الكواكب فنفى هذا المذهب بقوله سخرها عليهم [ف]بين الله تعالى ان ذلك بقضائه وقدره وبمشيئته لا باتصال الكواكب (سبع ليال [و]ثمانية أيام) ذات برد ورياح شديدة قال وهب هى الايام التى سماها العرب العجوز لانها [أ]يام ذات برد ورياح شديدة وسميت عجوزا لانها تأتى فى عجز الشتاء وقيل لان عجوزا من [ق]وم عاد دخلت سربها فاتبعتها الريح حتى قتلتها (حسوما) أى متتابعة دائمة ليس فيها [فت]ور وذلك ان الريح المهلكة تتابعت عليهم فى هذه الايام فلم يكن لها فتور ولا انقطاع [ح]تى أهلكتهم وقيل حسوما شؤما وقيل لهذه الايام حسوما لانها تحسم الخير عن أهلها [و]الحسم القطع والمعنى انها حسمتهم بعذاب الاستئصال فلم تبق منهم أحدا (فترى القوم [ف]يها) أى فى تلك الليالى والايام (صرعى) أى هلكى جمع صريع قد صرعهم الموت

(كأنهم) حال أخرى (أعجاز) أصول (نخل) جمع نخلة (خاوية) ساقطة أو بالية (فهل ترى لهم من باقية) من نفس باقية او من بقاء كالطاغية بمعنى الطغيان (وجاء فرعون ومن قبله) ومن تقدمه من الامم ومن قبله بصري وعلي أي ومن عنده من اتباعه (والمؤتفكات) قرى قوم لوط فهي ائتفكت أي انقلبت بهم (بالخاطئة) بالخطا أو بالفعلة أو بالافعال ذات الخطا العظيم (فعصوا) اى قوم لوط (رسول ربهم) لوطا (فاخذهم أخذة رابية) شديدة زائدة في الشدة كما زادت قبائحهم في القبح (انا لما طغى الماء) ارتفع وقت الطوفان على أعلى جبل في الدنيا خمسة عشر ذراعا (حملناكم) اى آباءكم (في الجارية) في سفينة نوح عليه السلام (لنجعلها) اى الفعلة وهي انجاء المؤمنين واغراق الكافرين (لكم تذكرة) عبرة وعظة (وتعيها) وتحفظها (أذن) بضم الذال غير نافع (واعية) حافظة لما تسمع قال قتادة وهي أذن عقلت عن الله وانتفعت بما سمعت (فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة) هي النفخة الاولى ويموت عندها الناس والثانية يبعثون عندها (وحملت الارض والجبال) رفعتا عن موضعهما (فدكتا دكة واحدة) دقتا وكسرتا اى ضرب بعضها ببعض حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا (فيومئذ) فحينئذ (وقعت الواقعة) نزلت النازلة وهي القيامة وجواب اذا وقعت ويومئذ بدل من اذا (وانشقت السماء) فتحت أبوابا (فهي يومئذ واهية) مسترخية ساقطة القوة بعدما كانت محكمة (والملك) للجنس بمعنى الجمع وهو أعم من الملائكة (على أرجائها) جوانبها واحدها رجا مقصور ولانها اذا انشقت وهي مسكن الملائكة فيلجؤن الى أطرافها (ويحمل عرش ربك فوقهم) فوق الملك الذين على أرجائها (يومئذ ثمانية) منهم واليوم تحمله أربعة وزيدت أربعة أخرى يوم القيامة وعن الضحاك ثمانية صفوف وقيل ثمانية أصناف

(كأنهم أعجاز نخل خاوية) أى ساقطة وقيل خالية الاجواف شبههم بجذوع نخل ساقطة ليس لها رؤس (فهل ترى لهم من باقية) أى من نفس باقية قيل انهم لما أصبحوا موتى في اليوم الثامن كما وصفهم الله تعالى بقوله أعجاز نخل خاوية حملتهم الريح فالقتهم في البحر فلم يبق منهم أحد قوله تعالى (وجاء فرعون ومن قبله) قرئ بكسر القاف وفتح الباء أى ومن معه من جنوده واتباعه وقرئ بفتح القاف وسكون الباء أى ومن قبله من الامم الكافرة (والمؤتفكات) يعني قرى قوم لوط ويريد أهل المؤتفكات وقيل يريد الامم الذين ائتفكوا بخطيئتهم وهو قوله (بالخاطئة) اى بالخطيئة والمعصية وهو الشرك (فعصوا رسول ربهم) قيل يعني موسى بن عمران وقيل لوطا والاولى أن يقال المراد بالرسول كلاهما لتقدم ذكر الامتين جميعا (فاخذهم أخذة رابية) يعني نامية وقال ابن عباس شديدة وقيل زائدة على عذاب الامم (انا لما طغى الماء) أى عتا وجاوز حده حتى علا على كل شئ وارتفع فوقه وذلك في زمن نوح عليه الصلاة والسلام وهو الطوفان (حملناكم في الجارية) يعني حملنا آباءكم وأنتم في أصلابهم فصح خطاب الحاضرين في الجارية اى السفينة التى تجرى في الماء (لنجعلها) أى لنجعل تلك الفعلة التى فعلناها من اغراق قوم نوح ونجاة من حملنا معه (لكم تذكرة) أى عبرة وموعظة (وتعيها) أى تحفظها (أذن واعية) أى حافظة لما جاء من عند الله وقيل اذن سمعت وعقلت ما سمعت وقيل لتحفظها كل أذن فتكون عظة وعبرة لمن ياتى بعد والمراد صاحب الاذن والمعنى ليعتبر ويعمل بالموعظة قوله عز وجل (فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة) يعني النفخة الاولى (وحملت الارض والجبال) أى رفعت من أماكنها (فدكتا دكة واحدة) أى كسرتا وفتتتا حتى صارتا هباء منبثا والضمير عائد الى الارض والجبال فعبر عنهما بلفظ الاثنين (فيومئذ وقعت الواقعة) أى قامت القيامة (وانشقت السماء فهي يومئذ واهية) أى ضعيفة لتشققها (والملك) يعني الملائكة (على أرجائها) يعني نواحيها وأقطارها وهو الذى لم ينشق منها قال الضحاك تكون الملائكة على حافتها حتى يامرهم الرب فينزلون فيحيطون بالارض ومن عليها (ويحمل عرش ربك فوقهم) أى فوق رؤسهم يعني الحملة (يومئذ) أى يوم القيامة (ثمانية) يعني ثمانية أملاك وجاء في الحديث انهم اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة آخرين فكانوا ثمانية على صورة الاوعال بين أظلافهم الى ركبهم كما بين سماء الى سماء الاوعال تيوس الجبل وروى السدى عن أبي مالك قال ان الصخرة التى تحت الارض السابعة ومنتهى علم الخلائق على أرجائها يحملها أربعة من الملائكة لكل واحد منهم أربعة وجوه وجه

انسان

انسان ووجه اسد ووجه ثور ووجه نسر فهم قيام عليها قد احاطوا بالسموات والارض ورؤسهم تحت العرش وعن عروة بن الزبير قال حملة العرش منهم من صورته على صورة الانسان ومنهم من صورته على صورة النسر ومنهم من صورته على صورة الثور ومنهم من صورته على صورة الاسد وعن ابن عباس قال صدّق النبي صلى الله عليه وسلم أمية بن أبي الصلت في شئ من الشعر فقال

رجل وثور تحت رجل يمينه * والنسر للاخرى وليث برصد

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق * عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أذن لي ان احدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ان ما بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام أخرجه أبو داود باسناد صحيح غريب * عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عم النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت جالسا في البطحاء في عصابة ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم اذ مرت سحابة فنظروا اليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما اسم هذا قلنا نعم هذا السحاب قال والمزن قالوا والمزن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والعنان قالوا والعنان ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون كم بعد ما بين السماء والارض قالوا لا والله ما ندري قال فان بعد ما بينهما اما قال واحدة واما قال اثنتان واما ثلاث وسبعون سنة و بعد التي فوقها كذلك وكذلك حتى عدهن سبع سموات كذلك ثم فوق السماء السابعة بحر أعلاه واسفله كما بين سماء الى سماء وفوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهن وركبهن كما بين سماء الى سماء ثم فوق ظهورهن العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين السماء الى السماء والله عز وجل فوق ذلك أخرجه الترمذي وأبو داود زاد في رواية وليس يخفى عليه من أعمال بني آدم شئ * عن ابن مسعود قال ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام وما بين كل سماء وسماء خمسمائة عام وفضاء كل سماء وأرض مسيرة خمسمائة عام وما بين السماء السابعة والكرسي مسيرة خمسمائة عام وما بين الكرسي والماء مسيرة خمسمائة عام والعرش على الماء والله على العرش لا يخفى عليه شئ من أعمالكم أخرجه أبو سعيد الدارمي وابن خزيمة وغيرهما موقوفا على ابن مسعود قال ابن خزيمة اختلاف خبر العباس وابن مسعود في قدر المسافة على اختلاف سير الدواب وعن ابن عباس قال لحملة العرش قرون ما بين اخمص أحدهم الى كعبه مسيرة خمسمائة عام ومن كعبه الى ركبته مسيرة خمسمائة عام ومن ترقوته الى موضع القرط مسيرة خمسمائة عام وعن عبد الله بن عمر قال الذين يحملون العرش ما بين موق أحدهم الى مؤخر عينيه خمسمائة عام وعن شهر بن حوشب قال حملة العرش ثمانية فاربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك وروى عن ابن عباس في قوله يومئذ ثمانية قال ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم الا الله عز وجل (يومئذ تعرضون) أي على الله تعالى للحساب (لا تخفى منكم خافية) أي فعلة خافية

(يومئذ تعرضون) للحساب والسؤال شبه ذلك بعرض السلطان العسكر لتعرف احواله (لا تخفى منكم خافية) سريرة وحال كانت تخفى في الدنيا وبالياء كوفي غير عاصم وفي الحديث يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير واما الثالثة فعندها تطير الصحف فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله

(فأما) تفصيل للعرض (من أوتى كتابه بيمينه فيقول) سرورا به لما يرى فيه من الخيرات خطابا لجماعته (هاؤم) اسم للفعل أى خذوا (اقرؤا كتابيه) تقديره هاؤم كتابى اقرؤا كتابيه فحذف الاول لدلالة الثانى عليه والعامل فى كتابيه اقرؤا عند البصريين لانهم يعملون الاقرب والهاء فى كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه للسكت وحقها أن تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل وقد استحب ايثار الوقف ايثارا لثباتها لثبوتها فى المصحف (انى ظننت) علمت وانما أجرى الظن مجرى العلم لان الظن الغالب يقوم مقام العلم فى العادات والاحكام ولان مايدرك بالاجتهاد قلما يخلو من الوسواس والخواطر وهى تفضى الى الظنون فجاز اطلاق لفظ الظن عليها لما لا يخلو عنه (أنى ملاق حسابيه) معاين حسابى (فهو فى عيشة راضية) ذات رضا يرضى بها صاحبها كلابن (فى جنة عالية) رفيعة المكان أو رفيعة الدرجات أو رفيعة المبانى والقصور وهو خبر بعد خبر (قطوفها دانية) ثمارها قريبة من مريدها ينالها القائم والقاعد والمتكئ يقال لهم (كلوا واشربوا هنيأ) أكلا وشربا هنيأ لا مكروه فيهما ولا أذى أو هنئتم هنيأ على المصدر (بما أسلفتم) بما قدمتم من الاعمال الصالحة (فى الايام الخالية) الماضية من أيام الدنيا وعن ابن عباس هى فى الصائمين أى كلوا واشربوا بدل ما أمسكتم عن الاكل والشرب لوجه الله (وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه) لما يرى فيها من الفضائح (ولم أدر ما حسابيه) اى ياليتنى لم أعلم ما حسابى (ياليتها) ياليت الموتة التى متها (كانت القاضية) أى القاطعة لامرى فلم ابعث بعدها ولم ألق ما ألقى (ما أغنى عنى ماليه) أى لم ينفعنى ما جمعته فى الدنيا فما نفى والمفعول محذوف اى شيأ (هلك عنى سلطانيه) ملكى وتسلطى على الناس وبقيت فقيرا ذليلا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ضلت عنى حجتى أى بطلت حجتى التى كنت احتج بها فى الدنيا فيقول الله تعالى لخزنة جهنم

والمعنى انه تعالى عالم بأحوالكم لا يخفى عليه شئ منها وان عرضكم يوم القيامة عليه لتفيد المبالغة والتهديد وقيل معناه لا يخفى منكم يوم القيامة ما كان مخفيا فى الدنيا فانه يظهر أحوال الخلائق فالمحسنون يسرون باحسانهم والمسيئون يحزنون باساءتهم * عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف فى الايدى فآخذ بيمينه وآخذ بشماله أخرجه الترمذى وقال ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبى هريرة وقد رواه بعضهم عن الحسن عن أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (فأما من أوتى) أى أعطى (كتابه بيمينه فيقول هاؤم) أى تعالوا (اقرؤا كتابيه) والمعنى انه لما بلغ الغاية فى السرور وعلم أنه من الناجين باعطاء كتابه بيمينه أحب أن يظهر ذلك لغيره حتى يفرحوا له وقيل يقول ذلك لاهله واقربائه (انى ظننت) أى علمت وايقنت وانما اجرى الظن مجرى العلم لان الظن فى الغالب يقوم مقام العلم فى العادات والاحكام (أنى ملاق حسابيه) أى فى الآخرة والمعنى انى كنت فى الدنيا أستيقن أنى احاسب فى الآخرة (فهو فى عيشة راضية) أى فى حالة من العيش مرضية وذلك بانه لقى الثواب وامن من العقاب (فى جنة عالية) رفيعة (قطوفها دانية) أى ثمارها قريبة لمن يتناولها ينالها قائما وقاعدا ومضطجعا يقطفونها كيف شاؤا (كلوا) أى يقال لهم كلوا (واشربوا هنيأ بما أسلفتم) أى بما قدمتم لآخرتكم من الاعمال الصالحة (فى الايام الخالية) أى الماضية يريد أيام الدنيا (وأما من أوتى كتابه بشماله) قيل تلوى يده اليسرى خلف ظهره ثم يعطى كتابه بها وقيل تنزع يده اليسرى من صدره الى خلف ظهره ثم يعطى كتابه بها (فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه) وذلك لما نظر فى كتابه ورأى قبائح اعماله مثبتة عليه تمنى انه لم يؤت كتابه لما حصل له من الخجل والافتضاح (ولم أدر ما حسابيه) أى لم ادر أى شئ حسابى لانه لا طائل ولا حاصل له وانما كله عليه لا له (ياليتها كانت القاضية) يعنى انه لم يبعث للحساب والمعنى ياليت الموتة التى متها فى الدنيا كانت القاضية عن كل ما بعدها والقاطعة للحياة أى ما احيا بعدها قال قتادة تمنى الموت ولم يكن شئ عنده اكره منه اليه أى من الموت فى الدنيا لانه رأى تلك الحالة أشنع وامر مما ذاقه من الموت (ما أغنى عنى ماليه) أى لم يدفع عنى يسارى ومالى من العذاب شيأ (هلك عنى سلطانيه) أى ضلت عنى حجتى التى كنت احتج بها فى الدنيا وقيل ضلت عنه حجته حين شهدت عليه الجوارح بالشرك وقيل

معناه

(خذوه فغلوه) أى اجمعوا يديه الى عنقه (ثم الجحيم صلوه) أى أدخلوه يعنى ثم لا تصلوه الا الجحيم وهى النار العظمى أو نصب
الجحيم بفعل يفسره صلوه (ثم فى سلسلة ذرعها) طولها (سبعون ذراعا) بذراع الملك عن ابن جريج وقيل لا يعرف قدرها الا
الله (فاسلكوه) فأدخلوه والمعنى فى تقديم السلسلة على السلك مثله فى تقديم الجحيم على التصلية (انه) تعليل كانه

قيل ماله يعذب هذا العذاب الشديد فاجيب بانه (كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين) على بذل طعام المسكين وفيه اشارة الى انه كان لا يؤمن بالبعث لان الناس لا يطلبون من المساكين الجزاء فيما يطعمونهم وانما يطعمونهم لوجه الله ورجاء الثواب فى الآخرة فاذا لم يؤمن بالبعث لم يكن له ما يحمله على اطعامهم أى انه مع كفره لا يحرض غيره على اطعام المحتاجين وفيه دليل قوى على عظم جرم حرمان المسكين لانه عطفه على الكفر وجعله دليلا عليه وقرينة له ولانه ذكر الحض دون الفعل ليعلم ان تارك الحض اذا كان بهذه المنزلة فتارك الفعل أحق وعن أبى الدرداء انه كان يحض امرأته على تكثير المرق لاجل المساكين ويقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان فلنخلع نصفها بهذا وهذه الآيات ناطقة على ان المؤمنين يرحمون جميعا والكافرين لا يرحمون لانه قسم الخلق نصفين فجعل صنفا

منهم أهل اليمين ووصفهم بالايمان فحسب بقوله انى ظننت انى ملاق
حسابيه وصنفا منهم أهل الشمال ووصفهم بالكفر لقوله انه كان لا يؤمن بالله العظيم وجاز أن الذى يعاقب من المؤمنين انما
يعاقب قبل ان يؤتى كتابه بيمينه (فليس له اليوم ههنا حميم) قريب يدفع عنه ويحترق له قلبه (ولا طعام الا من غسلين)
غسالة أهل النار فعلين من الغسل والنون زائدة وأريد به هنا ما يسيل من أبدانهم من الصديد والدم (لا يأكله الا الخاطئون)
الكافرون أصحاب الخطايا وخطئ الرجل اذا تعمد الذنب (فلا أقسم بما تبصرون) من الاجسام والارض والسماء

معناه زال عنى ملكى وقوتى وتسلطى على الناس وبقيت ذليلا حقيرا فقيرا (خذوه)
أى يقول الله تعالى لخزنة جهنم خذوه (فغلوه) أى اجمعوا يديه الى عنقه (ثم الجحيم صلوه)
أى أدخلوه معظم النار لانه كان يتعاظم فى الدنيا (ثم فى سلسلة) وهى حلق منتظمة كل
حلقة منها فى حلقة (ذرعها) أى مقدارها والذرع التقدير بالذراع من اليد أو غيرها
(سبعون ذراعا) قال ابن عباس بذراع الملك وقال نوف البكالى سبعون ذراعا كل ذراع
سبعون باعا كل باع أبعد مما بينك وبين مكة وكان فى رحبة الكوفة وقال سفيان كل
ذراع سبعون ذراعا وقال الحسن الله أعلم أى ذراع هو * عن عبد الله بن عمرو بن العاص
رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان رضاضة مثل هذه وأشار الى
مثل الجمجمة أرسلت من السماء الى الارض وهى مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الارض
قبل الليل ولو أنها أرسلت فى رأس السلسلة لسارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل ان تبلغ
قعرها أو أصلها أخرجه الترمذى وقال حديث حسن الرضاض الحصباء الصغار وقوله
مثل هذه وأشار الى مثل الجمجمة الجمجمة قدح من خشب وجمعه جماجم والجمجمة
الرأس وهو أشرف الاعضاء وقال وهب لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها وقوله
تعالى (فاسلكوه) أى أدخلوه فيها قال ابن عباس تدخل فى دبره وتخرج من منخره
وقيل تدخل فى فيه وتخرج من دبره (انه كان لا يؤمن بالله العظيم) أى لا يصدق
وحدانية الله وعظمته (ولا يحض على طعام المسكين) أى ولا يحث نفسه على اطعام
المسكين ولا يأمر أهله بذلك وفيه دليل على تعظيم الجرم فى حرمان المساكين لان الله
تعالى عطفه على الكفر وجعله قرينه قال الحسن فى هذه الآية أدركت أقواما يعزمون
على أهليهم أن لا يردوا سائلا وعن بعضهم انه كان يأمر أهله بتكثير المرقة لاجل
المساكين ويقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان أفلا نخلع النصف الثانى بالاطعام
(فليس له اليوم ههنا حميم) أى ليس له فى الآخرة قريب ينفعه ويشفع له (ولا طعام الا
من غسلين) يعنى صديد أهل النار مأخوذ من الغسل كانه غسالة جروحهم وقروحهم
وقيل هو شجر يأكله أهل النار (لا يأكله الا الخاطئون) أى الكافرون قوله عز وجل
(فلا أقسم) قيل ان لا صلة والمعنى اقسم وقيل لا رد لكلام المشركين كانه قال ليس
الامر كما يقول المشركون ثم قال تعالى اقسم وقيل لا ههنا نافية للقسم على معنى انه
لا يحتاج اليه لوضوح الحق فيه كانه قال لا أقسم على ان القرآن قول رسول كريم
فكانه لوضوحه استغنى عن القسم وقوله (بما تبصرون وما لا تبصرون) يعنى بما
ترون وتشاهدون وبما لا ترون وما لا تشاهدون أقسم بالاشياء كلها فيدخل فيه

جميع المكنونات والموجودات وقيل اقسم بالدنيا والآخرة وقيل بما تبصرون يعني
على ظهر الارض وما لا تبصرون أي ما في بطنها وقيل بما تبصرون يعني الاجسا
وما لا تبصرون يعني الارواح وقيل بما تبصرون يعني الانس وما لا تبصرون يعني
الملائكة والجن وقيل بما تبصرون من النعم الظاهرة وما لا تبصرون من النعم الباطنة
وقيل بما تبصرون هو ما أظهره الله من مكنون غيبه الملائكة واللوح والقلم وجميع
خلقه وما لا تبصرون هو ما استأثر الله بعلمه فلم يطلع عليه أحدا من خلقه ثم ذكر المقسم
عليه فقال تعالى (انه) يعني القرآن (لقول رسول كريم) يعني تلاوة رسول كريم وهو
محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الرسول هو جبريل عليه السلام فعلى هذا يكون المعنى ا
لرسالة رسول كريم والقول الاول أصح لانهم لم يصفوا جبريل بالشعر والكهانة وانما
وصفوا بهما محمدا صلى الله عليه وسلم فان قلت قد توجه ههنا سؤال وهو ان جمهور الامة
وهم أهل السنة مجمعون على أن القرآن كلام الله فكيف يصح اضافته الى الرسول
قلت اما اضافته الى الله تعالى فلانه هو المتكلم به واما اضافته الى الرسول فلانه هو المبلغ
عن الله تعالى ما أوحى اليه ولهذا أكده بقوله تنزيل من رب العالمين ليزول هذا الاشكال
قال ابن قتيبة لم يرد انه قول الرسول وانما أراد انه قول الرسول المبلغ عن الله تعالى وفي
الرسول ما يدل على ذلك فاكتفى به عن ان يقول عن الله تعالى وقوله تعالى (وما هو
بقول شاعر) يعني ان هذا القرآن ليس بقول رجل شاعر ولا هو من ضروب الشعر و
تركيبه (قليلا ما تؤمنون) أراد بالقليل عدم ايمانهم أصلا والمعنى انكم لا تصدقون بأن
القرآن من عند الله تعالى (ولا بقول كاهن) أي وليس هو بقول رجل كاهن ولا هو من
جنس الكهانة (قليلا ما تذكرون) يعني لا تتذكرون البتة (تنزيل) أي هو تنزيل يعني
القرآن (من رب العالمين) وذلك انه لما قال انه لقول رسول كريم اتبعه بقوله تنزيل
من رب العالمين ليزول هذا الاشكال قوله تعالى (ولو تقول علينا) أي اختلق علينا
محمد (بعض الاقاويل) يعني أتى بشيء من عند نفسه لم نقله نحن ولم نوحه اليه (لاخذنا منه
باليمين) أي لاخذناه بالقوة والقدرة وانتقمنا منه باليمين أي بالحق قال ابن عباس لاخذناه
بالقوة والقدرة قال الشماخ يمدح عرابة ملك اليمن

اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

أي بالقوة فعبر عن القوة باليمين لان قوة كل شيء في ميامنه والمعنى لاخذنا منه اليمين أي
سلبناه القوة فعلى هذا المعنى الباء زائدة وقيل معنى الآية لاذللناه وأهناه كفعل
السلطان بمن يريد ان يهينه يقول لبعض اعوانه خذ بيده فاقمه وانما خص اليمين بالذكر
لانه أشرف العضوين (ثم لقطعنا منه الوتين) قال ابن عباس يعني نياط القلب وقيل هو
حبل الظهر وقيل هو عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب فاذا انقطع مات صاحبه
وقيل هو عرق يتصل من القلب بالرأس قال ابن قتيبة لم يرد انا نقطعه بعينه بل المراد منه
انه لو كذب علينا لامتناه فكان كمن قطع وتينه والمعنى انه لو كذب علينا وتقول علينا
قولا لم نقله لمنعناه من ذلك اما بواسطة اقامة الحجة عليه بان نقيض له من يعارضه ويظهر

(وما لا تبصرون) من الملائكة
والارواح فالحاصل انه أقسم
بجميع الاشياء (انه) أي ان
القرآن (لقول رسول كريم)
أي محمد صلى الله عليه وسلم أو
جبريل عليه السلام أي يقول
ويتكلم به على وجه الرسالة من
عند الله (وما هو بقول شاعر)
كما تدعون (قليلا ما تؤمنون ولا
بقول كاهن) كما تقولون (قليلا
ما تذكرون) وبالياء فيهما مكي
وشامي ويعقوب وسهل وبتخفيف
الذال كوفي غير أبي بكر والقلة
في معنى العدم يقال هذه أرض
قلما تنبت أي لا تنبت أصلا
والمعنى لا تؤمنون ولا تذكرون
البتة (تنزيل) هو تنزيل بيانا
لانه قول رسول نزل عليه (من
رب العالمين ولو تقول علينا بعض
الاقاويل) ولو ادعى علينا شيأ
لم نقله (لاخذنا منه باليمين)
لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك بمن
يتكذب عليهم معاجلة بالسخط
والانتقام فصور قتل الصبر
بصورته ليكون أهول وهو أن
يؤخذ بيده وتضرب رقبته وخص
اليمين لان القتال اذا أراد أن
يوقع الضرب في قفاه أخذ بيساره
واذا أراد ان يوقعه في جيده
وأن يكفحه بالسيف وهو أشد
على المصبور لنظره الى السيف
أخذ بيمينه ومعنى لاخذنا منه
باليمين لاخذنا بيمينه وكذا (ثم
لقطعنا منه الوتين) لقطعنا وتينه
وهو نياط القلب اذا قطع مات
صاحبه

للناس

للناس كذبه فيكون ذلك ابطالا لدعواه واما أن نسلب عنه قوة التكلم بذلك القول الكذب حتى لا يشتبه الصادق بالكاذب واما أن نميته (فما منكم من أحد عنه حاجزين) أي مانعين يحجزوننا عن عقوبته والمعنى ان محمدا لا يتكلم الكذب علينا لاجلكم مع علمه أنه لو تكلم لعاقبناه ولا يقدر أحد على دفع عقوبتنا عنه وانما قال حاجزين بلفظ الجمع وهو وصف أحد ردا على معناه (وانه) يعني القرآن وذلك انه لما وصفه بانه تنزيل من رب العالمين بواسطة جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم بين ماهو فقال تعالى (لتذكرة) أي لعظة (للمتقين) أي لمن اتقى عقاب الله (وانا لنعلم ان منكم مكذبين) فيه وعيد لمن كذب بالقرآن (وانه) يعني القرآن (لحسرة على الكافرين) يعني يوم القيامة والمعنى أنهم يندمون على ترك الايمان به لما يرون من ثواب من آمن به (وانه لحق اليقين) معناه انه حق معين لا بطلان فيه ويقين لا شك ولا ريب فيه (فسبح باسم ربك العظيم) أي نزه ربك العظيم واشكره على أن جعلك أهلا لايحائه اليك والله سبحانه وتعالى أعلم

(تفسير سورة سأل سائل)

وتسمى المعارج مكية وهي أربع وأربعون آية ومائتان وأربع وعشرون كلمة وتسعمائة وتسعة وعشرون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (سال سائل) قرئ بغير همزة وفيه وجهان الاول انه لغة في السؤال والثاني انه من السيل ومعناه اندفع عليهم واد بعذاب وقيل سال واد من أودية جهنم وقرئ سأل سائل بالهمز من السؤال (بعذاب) قيل الباء بمعنى عن أي عن عذاب (واقع) أي نازل وكائن وعلى من ينزل ولمن ذلك العذاب فقال الله تعالى مجيبا لذلك السؤال (للكافرين) وذلك أن أهل مكة لما خوفهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب قال بعضهم لبعض من أهل هذا العذاب ولمن هو سلوا عنه محمدا فسألوه فانزل الله تعالى سأل سائل بعذاب واقع للكافرين أي هو للكافرين والباء صلة ومعنى الآية دعا داع وطلب طالب عذابا واقعا للكافرين وهذا السائل هو النضر بن الحرث حيث دعا على نفسه وسأل العذاب فقال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فنزل به ماسال فقتل يوم بدر صبرا وهذا قول ابن عباس (ليس له دافع) أي ان العذاب واقع بهم لامحالة سواء طلبوه أو لم يطلبوه اما في الدنيا بالقتل واما في الآخرة لان العذاب واقع بهم في الآخرة لا يدفعه عنهم دافع (من الله) أي بعذاب من الله والمعنى ليس لذلك العذاب الصادر من الله للكافرين دافع يدفعه عنهم (ذي المعارج) قال ابن عباس ذي السموات سماها معارج لان الملائكة تعرج فيها وقيل ذي الدرجات وهي المصاعد التي تعرج

(فما منكم) الخطاب للناس أو للمسلمين (من أحد) من زائدة (عنه) عن قتل محمد وجمع (حاجزين) وان كان وصف أحد لانه في معنى الجماعة ومنه قوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله (وانه) وان القرآن (لتذكرة) لعظة (للمتقين وانا لنعلم أن منكم مكذبين وانه) وان القرآن (لحسرة على الكافرين) به المكذبين له اذا رأوا ثواب المصدقين به (وانه) وان القرآن (لحق اليقين) لعين اليقين ومحض اليقين (فسبح باسم ربك العظيم) فسبح الله بذكر اسمه العظيم وهو قوله سبحان الله

(سورة المعارج مكية وهي أربع وأربعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سأل سائل) هو النضر بن الحرث قال ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب أليم أو هو النبي صلى الله عليه وسلم دعا بنزول العذاب عليهم ولما ضمن سأل معنى دعا عدي تعديته كانه قيل دعا داع (بعذاب واقع) من قولك دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه ومنه قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة وسال بغير همز مدني وشامي وهو من السؤال أيضا الا انه خفف بالتليين وسائل مهموز اجماعا (للكافرين) صفة لعذاب أي بعذاب واقع كائن للكافرين (ليس له) لذلك العذاب (دافع) راد (من الله) متصل بواقع أي واقع من عنده أو بدافع أي ليس له دافع من جهته تعالى اذا جاء وقته (ذي المعارج) أي مصاعد السماء للملائكة جمع معرج وهو موضع العروج ثم وصف المصاعد وبعد مداها في العلو والارتفاع فقال

(تعرج) تصعد وبالياء على (الملائكة والروح) أي جبريل عليه السلام خصه بالذكر بعد العموم لفضله وشرفه أو خلق هم حفظة على الملائكة كما ان الملائكة

حفظة علينا أو أرواح المؤمنين عند الموت (اليه) الى عرشه ومهبط أمره (في يوم) من صلة تعرج (كان مقداره خمسين ألف سنة) من سني الدنيا لو صعد فيه غير الملك أو من صلة واقع أي يقع في يوم طويل مقداره خمسون ألف سنة من سنيكم وهو يوم القيامة فاما ان يكون استطالة له لشدته على الكفار أو لانه على الحقيقة كذلك فقد قيل فيه خمسون موطنا لكل موطن ألف سنة وما قدر ذلك على المؤمن الا كما بين الظهر والعصر (فاصبر) متعلق بسأل سائل لان استعجال النضر بالعذاب انما كان على وجه الاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم والتكذيب بالوحي وكان ذلك مما يضجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بالصبر عليه (صبرا جميلا) بلا جزع ولا شكوى (انهم) ان الكفار (يرونه) أي العذاب او يوم القيامة (بعيدا) مستحيلا (ونراه قريبا) كائنا لا محالة فالمراد بالبعيد البعد من الامكان وبالقريب القرب منه نصب (يوم تكون السماء) بقريبا أي يمكن في ذلك اليوم او هو بدل عن في يوم فمن علقه بواقع (كالمهل) كدردي الزيت او كالفضة المذابة في تلونها (وتكون الجبال كالعهن) كالصوف المصبوغ الوانا لان الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود فاذا بست وطيرت في الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح

الملائكة فيها وقيل ذي الفواضل والنعم وذلك لان افضاله وانعامه مراتب وهي تصل الى الخلق على مراتب مختلفة (تعرج الملائكة والروح) يعني جبريل عليه الصلاة والسلام وانما افرده بالذكر وان كان من جملة الملائكة لشرفه وفضل منزلته وقيل ان الله تعالى اذا ذكر الملائكة في معرض التخويف والتهويل أفرد الروح بالذكر وهذا يقتضي ان الروح أعظم الملائكة (اليه) أي الى الله عز وجل (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) أي من سني الدنيا والمعنى انه لو صعد غير الملك من بني آدم من منتهى أمر الله تعالى من أسفل الارض السابعة الى منتهى أمر الله تعالى من فوق السماء السابعة لما صعد في أقل من خمسين ألف سنة والملك يقطع ذلك كله في ساعة واحدة او أقل من ذلك وذكر ان مقدار ما بين الارض السابعة السفلى الى منتهى العرش مسافة خمسين ألف سنة وقيل ان ذلك اليوم هو يوم القيامة قال الحسن هو يوم القيامة وأراد ان موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس في مقدار خمسين ألف سنة من سني الدنيا وليس معنى ان مقدار طول ذلك اليوم خمسون ألف سنة دون غيره من الايام لان يوم القيامة له أول وليس له آخر لانه يوم ممدود ولا آخر له ولو كان له آخر كان منقطعا او هذا الطول في حق الكفار دون المؤمنين قال ابن عباس يوم القيامة يكون على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة وروى البغوي بسنده عن أبي سعيد الخدري قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فما أطول هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون عليه أخف من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا وقال ابن عباس معناه لو ولي محاسبة العباد في ذلك اليوم غير الله لم يفرغ منه في خمسين ألف سنة وقال عطاء ويفرغ الله تعالى منها في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا وقال الكلبي يقول الله تعالى لو وليت حساب ذلك اليوم الملائكة والجن والانس وطوقتهم محاسبتهم لم يفرغوا منه في خمسين ألف سنة وانا افرغ منه في ساعة من نهار وقال يمان هو يوم القيامة فيه خمسون موطنا كل موطن ألف سنة فعلى هذا يكون المعنى ليس له دافع من الله في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وقيل معناه سأل سائل بعذاب واقع في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وفيه تقديم وتأخير (فاصبر) أي يا محمد على تكذيبهم اياك (صبرا جميلا) أي لا جزع فيه وهذا قبل ان يؤمر بالقتال ثم نسخ بآية السيف (انهم يرونه) أي العذاب (بعيدا) أي غير كائن (ونراه قريبا) أي كائنا لا محالة لان كل ما هو آت قريب وقيل الضمير في يرونه بعيدا يعود الى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة والمعنى انهم يستبعدونه على جهة الانكار والاحالة ونحن نراه قريبا في قدرتنا غير بعيد علينا فلا يتعذر علينا امكانه (يوم تكون السماء كالمهل) أي كعكر الزيت وقال الحسن كالفضة المذابة (وتكون الجبال كالعهن) أي الصوف المصبوغ وانما شبه الجبال

(ولا يسئل حميم حميما) لا يسأل قريب عن قريب لاشتغاله بنفسه وعن البزي والبرجمي بضم الياء أي لا يسئل قريب عن قريب أي لا يطالب به ولا يؤخذ بذنبه (يبصرونهم) صفة أي حميما مبصرين معرفين اياهم أو مستأنف كانه لما قال ولا يسئل حميم حميما قيل لعله لا يبصره فقيل يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساؤلهم والواو ضمير الحميم الاول وهم ضمير الحميم الثاني أي يبصر الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم وانما جمع الضميران وهما للحميمين لان فعيلا يقع موقع الجمع (يود المجرم) يتمنى المشرك وهو مستأنف أو حال من الضمير المرفوع أو المنصوب من يبصرونهم (لو يفتدى من عذاب يومئذ) وبالفتح مدني وعلي على البناء للاضافة الى غير متمكن (ببنيه وصاحبته) وزوجته (وأخيه وفصيلته) وعشيرته الادنين (التي تؤويه) تضمه انتماء اليها و بغير همز يزيد (ومن في الارض جميعا) من الناس (ثم ينجيه) الافتداء عطف على يفتدى (كلا) ردع للمجرم عن الودادة وتنبيه على أنه لا ينفعه الافتداء ولا ينجيه من العذاب (انها) ان النار ودل ذكر العذاب عليها أو هو ضمير مبهم ترجم عنه الخبر أو ضمير القصة (لظى) علم للنار (نزاعة) حفص والمفضل على الحال المؤكدة أو على الاختصاص للتهويل وغيرهما بالرفع خبر بعد خبر لان أو على هي نزاعة (للشوى) لاطراف الانسان كاليدين والرجلين أو جمع شواة وهي جلدة الرأس تنزعها نزعا فتفرقها ثم تعود الى ما كانت (تدعوا) باسمائهم يا كافر يا منافق الي الي أو تهلك من قولهم دعاك الله أي اهلكك أو لما كان مصيره اليها جعلت كأنها دعته (من أدبر) عن الحق (وتولى) عن الطاعة (وجمع) المال (فأوعى) فجعله في وعاء ولم يؤد حق الله منه (ان الانسان) أريد به الجنس ليصح استثناء المصلين منه (خلق هلوعا) عن ابن عباس رضي الله عنهما تفسيره ما بعده (اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا)

بالمصبوغ من الصوف لانها ذات ألوان أحمر وأبيض وغرابيب سود ونحو ذلك فاذا بست الجبال وسيرت أشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح وقيل العهن الصوف الاحمر وهو أضعف الصوف وأول ما تتغير الجبال تصير رملا مهيلا ثم عهنا منفوشا ثم تصير هباء منثورا (ولا يسئل حميم حميما) أي لا يسأل قريب قريبه لشغله بشأن نفسه والمعنى لا يسأل الحميم حميمه كيف حالك ولا يكلمه لهول ذلك اليوم وشدته وقيل لا يسأله الشفاعة أو لا يسأله الاحسان اليه ولا الرفق به كما كان يسأله في الدنيا وذلك لشدة الامر وهول يوم القيامة (يبصرونهم) أي يرونهم وليس في القيامة مخلوق من جن أو انس الا وهو نصب عين صاحبه فيبصر الرجل أباه وأخاه وقرابته فلا يسألهم ويبصر حميمه فلا يكلمه لاشتغاله بنفسه وقال ابن عباس يتعارفون ساعة من النهار ثم لا يتعارفون بعد ذلك وقيل يعرف الحميم حميمه ومع ذلك لا يسأله عن حاله لشغله بنفسه وقيل يبصرونهم أي يعرفونهم أما المؤمن فيعرف ببياض وجهه وأما الكافر فيعرف بسواد وجهه (يود المجرم) أي يتمنى المشرك (لو يفتدى من عذاب يومئذ) أي عذاب يوم القيامة (ببنيه وصاحبته) أي زوجته (وأخيه وفصيلته) أي عشيرته وقيل قبيلته وقيل أقرباؤه الاقربين (التي تؤويه) أي تضمه ويأوي اليها (ومن في الارض جميعا) يعني انه يتمنى لو ملك هؤلاء وكانوا تحت يده ثم انه يفتدى بهم جميعا (ثم ينجيه) اي ذلك الفداء من عذاب الله (كلا) أي لا ينجيه من عذاب الله شيء ثم ابتدأ فقال تعالى (انها لظى) يعني النار ولظى اسم من أسمائها وقيل الدركة الثانية من النار سميت لظى لانها تتلظى أي تلتهب (نزاعة للشوى) يعني الاطراف كاليدين والرجلين مما ليس بمقتل والمعنى ان النار تنزع الاطراف فلا تترك عليها لحما ولا جلدا وقال ابن عباس تنزع العصب والعقب وقيل تنزع اللحم دون العظام وقيل تأكل الدماغ كله ثم يعود كما كان ثم تأكله فذلك دأبها وقيل لمكارم خلقه ومحاسن وجهه واطرافه (تدعوا) يعني النار الى نفسها (من أدبر) أي عن الايمان (وتولى) أي عن الحق فتقول له الي يا مشرك الي يا منافق الي قال ابن عباس تدعو الكافر والمنافق باسمائهم بلسان فصيح ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب وقيل تدعو أي تعذب قال اعرابي لآخر دعاك الله اي عذبك الله (وجمع فأوعى) يعني وتدعو من جمع المال في الوعاء ولم يؤد حق الله منه (ان الانسان خلق هلوعا) قال ابن عباس الهلوع الحريص على ما لا يحل وقيل شحيحا بخيلا وقيل ضجورا وقيل جزوعا وقيل ضيق القلب والهلع شدة الحرص وقلة الصبر وقال ابن عباس تفسيره ما بعده وهو قوله تعالى (اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا)

والهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير وسأل محمد بن عبد الله بن طاهر ثعلبا عن الهلع فقال قد
فسره الله تعالى ولا يكون تفسير أبين من تفسيره وهو الذي اذا ناله شر اظهر شدة الجزع واذا ناله خير بخل به ومنعه الناس
وهذا طبعه وهو مأمور بمخالفة طبعه وموافقة ٤٠٦ شرعه والشر الضر والفقر والخير السعة والغنى او المرض والصحة

يعني اذا أصابه الفقر لم يصبر واذا أصابه المال لم ينفق وقال ابن كيسان خلق الله
الانسان يحب ما يسره ويهرب مما يكره ثم تعبده بانفاق ما يحب والصبر على ما يكره
قيل اراد بالانسان هنا الكافر وقيل هو على عمومه ثم استثنى الله عز وجل فقال تعالى
(الا المصلين) وهذا استثناء الجمع من الواحد لان الانسان واحد وفيه معنى الجمع
(الذين هم على صلوتهم دائمون) يعني يقيمونها في أوقاتها وهي الفرائض فان قلت كيف
قال على صلوتهم دائمون ثم قال بعده على صلوتهم يحافظون قلت معنى ادامتهم عليها
ان يواظبوا على أدائها وان لا يتركوها في شيء من الاوقات وان لا يشتغلوا عنها بغيرها
اذا دخل وقتها والمحافظة عليها ترجع الى الاهتمام بحالها وهو أن يأتي بها العبد على
أكمل الوجوه وهذا انما يحصل بامور ثلاثة منها ماهو سابق للصلاة كاشتغاله بالوضوء
وستر العورة وارصاد المكان الطاهر للصلاة وقصد الجماعة وتعلق القلب بدخول وقتها
وتفريغه عن الوسواس والالتفات الى ماسوى الله عز وجل واما الامور المقارنة للصلاة
فهي أن لا يلتفت في الصلاة يمينا ولا شمالا وان يكون حاضر القلب في جميعها بالخشوع
والخوف واتمام ركوعها وسجودها وأما الامور الخارجة عن الصلاة فهو ان يحترز عن
الرياء والسمعة وخوف أن لا تقبل منه مع الابتهال والتضرع الى الله تعالى في سؤال
قبولها وطلب الثواب فالمداومة على الصلاة ترجع الى نفسها والمحافظة عليها ترجع
الى أحوالها وهيآتها وروى البغوي بسنده عن أبي الخير قال سألنا عقبة بن عامر عن
قوله عز وجل الذين هم على صلوتهم دائمون أهم الذين يصلون أبدا قال لا ولكنه اذا
صلى لم يلتفت عن يمينه ولا عن شماله ولا خلفه (والذين في أموالهم حق معلوم) يعني
الزكاة المفروضة لانها مقدرة معلومة وقيل هي صدقة التطوع وذلك بان يوظف
الرجل على نفسه شيأ من الصدقة يخرجه على سبيل الندب في أوقات معلومة (للسائل)
يعني الذي يسأل الناس (والمحروم) يعني الفقير المتعفف عن السؤال فيحسب غنيا
فيحرم (والذين يصدقون بيوم الدين) أي يؤمنون بالبعث بعد الموت والحشر
والنشر والجزاء يوم القيامة (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) أي خائفون ثم
أكد ذلك الخوف فقال تعالى (ان عذاب ربهم غير مامون) يعني ان الانسان
لا يمكنه القطع بانه أدى الواجبات كما ينبغي ولا اجتنب المحظورات بالكلية كما
ينبغي بل قد يكون وقع منه تقصير من الجانبين فلا جرم ينبغي أن يكون العبد بين
الخوف والرجاء وقوله تعالى (والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم
أو ماملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون
والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون) تقدم تفسيره في سورة المؤمنين قوله تعالى

(الا المصلين الذين هم على
صلوتهم) أي صلواتهم الخمس
(دائمون) أي يحافظون عليها
في مواقيتها عن ابن مسعود
رضي الله عنه (والذين في
أموالهم حق معلوم) يعني
الزكاة لانها مقدرة معلومة
أو صدقة يوظفها الرجل على
نفسه يؤديها في أوقات معلومة
(للسائل) الذي يسأل (والمحروم)
الذي يتعفف عن السؤال
فيحسب غنيا فيحرم (والذين
يصدقون بيوم الدين) أي يوم
الجزاء والحساب وهو يوم
القيامة (والذين هم من عذاب
ربهم مشفقون) خائفون
واعترض بقوله (ان عذاب
ربهم غير مامون) بالهمز سوى
أبي عمرو أي لا ينبغي لاحد وان
بالغ في الاجتهاد والطاعة أن
يأمنه وينبغي أن يكون مترجحا
بين الخوف والرجاء (والذين
هم لفروجهم حافظون الا على
أزواجهم) نسائهم (أو ما
ملكت أيمانهم) أي امائهم
(فانهم غير ملومين) على ترك
الحفظ (فمن ابتغى) طلب منكحا
(وراء ذلك) أي غير الزوجات
والمملوكات (فاولئك
هم العادون) المتجاوزون عن
الحلال الى الحرام وهذه الآية
تدل على حرمة المتعة ووطء الذكران والبهائم والاستمناء بالكف (والذين هم لاماناتهم) لامانتهم مكي وهي تتناول امانات الشرع وأمانات العباد (وعهدهم) أي عهودهم ويدخل فيها عهود الخلق والنذور والأيمان (والذين
(راعون) حافظون غير خائنين ولا ناقضين وقيل الامانات ماتدل عليه العقول والعهد ما أتى به الرسول

(والذين هم بشهاداتهم) حفص بالالف وسهل ويعقوب (قائمون) يقيمونها عند الحكام بلا ميل الى قريب وشريف وترجيح للقوى على الضعيف اظهارا للصلابة فى الدين ورغبة فى احياء حقوق المسلمين (والذين هم على صلوتهم يحافظون) كرر ذكر الصلاة لبيان انها اهم اولان احداهما للفرائض والاخرى للنوافل وقيل الدوام عليها الاستكثار منها والمحافظة عليها ان لا تضيع عن مواقيتها أو الدوام عليها أداؤها فى أوقاتها والمحافظة عليها حفظ أركانها وواجباتها وسننها وآدابها

(والذين هم بشهاداتهم قائمون) أى يقومون فيها عند الحكام ولا يكتمونها ولا يغيرونها وهذه الشهادة من جملة الامانات الا انه خصها بالذكر لفضلها لان بها تحيا الحقوق وتظهر وفى تركها تموت وتضيع وقيل أراد بالشهادة الشهادة بان لا اله الا الله وحده لا شريك له ولهذا عطف عليها (والذين هم على صلوتهم يحافظون) ثم ذكر ما أعده لهم فقال تعالى (أولئك) يعنى من هذه صفته (فى جنات مكرمون) قوله تعالى (فمال الذين كفروا) أى فما بالهم (قبلك مهطعين) أى مسرعين مقبلين اليك مادى أعناقهم ومديى النظر اليك متطلعين نحوك نزلت فى جماعة من الكفار كانوا يجتمعون حول النبى صلى الله عليه وسلم يستمعون كلامه ويستهزؤن به ويكذبونه فقال الله تعالى مالهم ينظرون اليك و يجلسون عندك وهم لا ينتفعون بما يسمعون منك (عن اليمين وعن الشمال عزين) يعنى انهم كانوا عن يمينه وعن شماله مجتمعين حلقا وفرقا والعزون جماعات فى تفرقة (أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم) قال ابن عباس معناه أيطمع كل رجل منهم أن يدخل جنة النعيم كما يدخلها المسلمون و يتنعمون وقد كذبوا نبيى (كلا) أى لا يدخلونها ثم ابتدأ فقال تعالى (انا خلقناهم مما يعلمون) أى من الاشياء المستقذرة من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة نبه الله الناس على انهم خلقوا من أصل واحد وشئ واحد وانما يتفاضلون بالمعرفة ويستوجبون الجنة بالايمان والطاعة روى البغوى باسناد الثعلبى عن بشر بن جحاش قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم و بصق يوما فى كفه ووضع عليها اصبعه فقال يقول الله عز وجل يا ابن آدم أنى تعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك ومشيت بين بردين وللارض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقى قلت اتصدق وأنى اوان الصدقة وأخرجه ابن الجوزى فى تفسيره بلا اسناد وقيل فى معنى الآية انا خلقناهم من أجل ما يعلمون وهو الامر والنهى والثواب والعقاب وقيل معناه انا خلقناهم ممن يعلمون ويعقلون ولم نخلقهم كالبهائم بلا علم ولا عقل (فلا أقسم) يعنى واقسم وقد تقدم بيانه (برب المشارق والمغارب) يعنى مشرق كل يوم من السنة ومغربه وقيل يعنى مشرق كل نجم ومغربه (انا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم) معناه انا لقادرون على اهلاكهم وعلى أن نخلق امثل منهم واطوع لله (وما نحن بمسبوقين) أى بمغلوبين عاجزين عن اهلاككم وابدالكم بمن هو خير منكم (فذرهم يخوضوا) أى فى أباطيلهم (ويلعبوا) فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) نسختها آية القتال ثم فسر ذلك اليوم فقال تعالى

(أولئك) أصحاب هذه الصفات (فى جنات مكرمون) هما خبران (فمال) كتب مفصولا اتباعا لمصحف عثمان رضى الله عنه (الذين كفروا قبلك) نحوك معمول (مهطعين) مسرعين حال من الذين كفروا (عن اليمين وعن الشمال) عن يمين النبى صلى الله عليه وسلم وعن شماله (عزين) حال أى فرقا شتى جمع عزة وأصلها عزوة كأن كل فرقة تعتزى الى غير من تعتزى اليه الاخرى فهم مفترقون كان المشركون يحتفون حول النبى صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا يستمعون ويستهزؤن بكلامه و يقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت (أيطمع كل امرئ منهم ان يدخل) بضم الياء وفتح الخاء سوى المفضل (جنة نعيم) كالمؤمنين (كلا) ردع لهم عن طمعهم فى دخول الجنة (انا خلقناهم مما يعلمون) أى من النطفة المذرة ولذلك ابهم اشعارا بانه منصب يستحيى من ذكره فمن أين يتشرفون و يدعون

التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم أو معناه انا خلقناهم من نطفة كما خلقنا بنى آدم كلهم ومن حكمنا ان لا يدخل أحد الجنة الا بالايمان فلم يطمع ان يدخلها من لا ايمان له (فلا أقسم برب المشارق) مطالع الشمس (والمغارب) ومغاربها (انا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم) على أن نهلكهم و نأتى بخلق امثل منهم وأطوع لله (وما نحن بمسبوقين) بعاجزين (فذرهم) فدع المكذبين (يخوضوا) فى باطلهم (ويلعبوا) فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) فيه العذاب

(يوم) بدل من يومهم (يخرجون) بفتح الياء وضم الراء سوى الاعشى (من الاجداث) القبور (سراعا) جمع سريع حال أى الى الداعى (كأنهم) حال (الى نصب) شامى وحفص وسهل نصب المفضل نصب غيرهم وهو كل ما نصب وعبد من دون الله (يوفضون) يسرعون (خاشعة) حال من ضمير يخرجون أى ذليلة (أبصارهم) يعنى لا يرفعونها لذلتهم (ترهقهم ذلة) يغشاهم هوان (ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون) فى الدنيا وهم يكذبون به *(سورة نوح عليه السلام مكية)* وهى ثمان وعشرون آية (بسم الله الرحمن الرحيم انا أرسلنا نوحا) قيل معناه بالسريانية الساكن (الى قومه أن أنذر) خوف أصله بان انذر فحذف الجار ٤٠٨ وأوصل الفعل ومحله عند الخليل جر وعند غيره نصب أو أن مفسرة بمعنى أى لان فى الارسال معنى القول (قومك من قبل ان يأتيهم عذاب أليم) عذاب الآخرة أو الطوفان (قال يا قوم) اضافهم الى نفسه اظهارا للشفقة (انى لكم نذير) مخوف (مبين) أبين لكم رسالة الله بلغة تعرفونها (أن اعبدوا الله) وحدوه وأن هذه نحو أن انذر فى الوجهين (واتقوه) واحذروا عصيانه (وأطيعون) فيما آمركم به وانما لم عنه وانما أضافه الى نفسه لان الطاعة قد تكون لغير الله تعالى بخلاف العبادة (يغفر لكم) جواب الامر (من ذنوبكم) من للبيان كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان أو للتبعيض لان ما يكون بينه وبين الخلق يؤاخذ به بعد الاسلام كالقصاص وغيره كذا فى شرح التأويلات (ويؤخركم الى أجل مسمى) وهو وقت موتكم (ان أجل الله) أى الموت (اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون) أى لو كنتم تعلمون ما يحل بكم من الندامة عند انقضاء اجلكم لآمنتم قيل ان الله تعالى قضى مثلا ان قوم نوح ان آمنوا عمرهم ألف سنة وان لم يؤمنوا اهلكهم على رأس تسعمائة فقيل لهم آمنوا يؤخركم الى أجل مسمى أى تبلغوا ألف سنة ثم أخبران الالف اذا جاء لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت وقيل انهم كانوا يخافون على أنفسهم الاهلاك من قومهم بايمانهم واجابتهم لنوح عليه السلام فكأنه عليه السلام امنهم من ذلك ووعدهم انهم بايمانهم يبقون الى الاجل الذى ضرب لهم لو لم يؤمنوا أى انكم ان أسلمتم بقيتم الى أجل مسمى آمنين من عدوكم وضرب به

(راعون) ـه

(يوم يخرجون من الاجداث) يعنى القبور (سراعا) أى الى اجابة الداعى (كأنهم الى نصب) يعنى الى شئ منصوب كالعلم والراية ونحوه وقرئ بضم النون والصاد وهى الاصنام التى كانوا يعبدونها (يوفضون) أى يسرعون ومعنى الآية انهم يخرجون من الاجداث يسرعون الى الداعى مستبقين اليه كما كانوا يستبقون الى نصبهم ليستلموها (خاشعة أبصارهم) أى ذليلة خاضعة (ترهقهم ذلة) أى يغشاهم هوان (ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون) يعنى يوم القيامة الذى كانوا يوعدون به فى الدنيا والله سبحانه وتعالى أعلم

(تفسير سورة نوح عليه الصلاة والسلام)

مكية وهى ثمان وعشرون آية ومائتان واربع وعشرون كلمة وتسعمائة وتسعة وتسعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (انا أرسلنا نوحا الى قومه أن أنذر قومك) أى بان خوف قومك وحذرهم (من قبل أن يأتيهم عذاب اليم) يعنى الغرق بالطوفان والمعنى انا ارسلناه لينذرهم بالعذاب ان لم يؤمنوا (قال يا قوم انى لكم نذير مبين) اى انذركم وأبين لكم (أن اعبدوا الله) أى وحدوه ولا تشركوا به شيأ (واتقوه) أى وخافوه بان تحفظوا أنفسكم مما يؤثمكم (وأطيعون) أى فيما آمركم به من عبادة الله وتقواه (يغفر لكم من ذنوبكم) أى يغفر لكم ذنوبكم ومن صلة وقيل يغفر لكم ما سلف من ذنوبكم الى وقت الايمان وذلك بعض الذنوب (ويؤخركم الى أجل مسمى) أى الى منتهى آجالكم فلا يعاقبكم (ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون) معناه يقول آمنوا قبل الموت تسلموا من العذاب فان اجل الله وهو الموت اذا جاء لا يؤخر قال الزمخشرى ان قلت كيف قال ويؤخركم مع الاخبار بامتناع تاخير الاجل وهل هذا الا تناقض قلت قضى مثلا ان قوم نوح ان آمنوا عمرهم ألف سنة وان بقوا على كفرهم أهلكهم على رأس تسعمائة سنة فقيل لهم آمنوا يؤخركم الى أجل مسمى أى الى وقت سماه الله

(قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا) دائبا بلا فتور (فلم يزدهم دعائى الا فرارا) عن طاعتك ونسب ذلك الى دعائه لحصوله عنده وان لم يكن الدعاء سببا للفرار فى الحقيقة وهو كقوله وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا والقرآن لا يكون سببا لزيادة الرجس وكان الرجل يذهب بابنه الى نوح عليه السلام فيقول احذر هذا فلا يغرنك فان أبى قد وصانى به

وضربه أمدا تنتهون اليه لا تتجاوزونه وهو الوقت الاطول تمام الالف ثم أخبر انه اذا جاء ذلك الاجل لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت ولم تكن لكم حيلة فبادروا فى أوقات الامهال والتأخير عنكم وحيث يمكنكم الايمان (قال) يعنى نوحا عليه الصلاة والسلام (رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى الا فرارا) أى نفارا وادبارا عن الايمان (وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم) أى ليؤمنوا بك فتغفر لهم (جعلوا أصابعهم فى آذانهم) لئلا يسمعوا دعوتى (واستغشوا ثيابهم) أى غطوا وجوههم بثيابهم لئلا يرونى (وأصروا) على كفرهم (واستكبروا) عن الايمان بك (استكبارا) أى تكبرا عظيما (ثم انى دعوتهم جهارا) أى معلنا قال ابن عباس باعلى صوتى (ثم انى أعلنت لهم) أى كررت لهم الدعاء معلنا (وأسررت لهم اسرارا) قال ابن عباس يريد الرجل بعد الرجل اكلمه سرا بينى وبينه أدعوه الى عبادتك وتوحيدك (فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا) وذلك ان قوم نوح لما كذبوه زمانا طويلا حبس الله عنهم المطر واعقم ارحام نسائهم أربعين سنة فهلكت أموالهم ومواشيهم فقال لهم استغفروا ربكم أى من الشرك واطلبوا المغفرة بالتوحيد حتى يفتح عليكم أبواب نعمه وذلك لان الاشتغال بالطاعة يكون سببا لاتساع الخير والرزق وان الكفر سبب لهلاك الدنيا فاذا اشتغلوا بالايمان والطاعة حصل ما يحتاجون اليه فى الدنيا وروى الشعبى ان عمر بن الخطاب خرج يستسقى بالناس فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فقيل له ما سمعناك استسقيت فقال طلبت الغيث بمجاديح السماء التى يستنزل بها القطر ثم قرأ استغفروا ربكم انه كان غفارا الآية قوله بمجاديح السماء واحدها مجدح وهو نجم من النجوم وقيل هو الدبران وقيل هى ثلاثة كواكب كالاثافى تشبيها بالمجدح الذى له شعب وهى عند العرب من الانواء الدالة على المطر فجعل عمر الاستغفار مشبها بالانواء مخاطبة لهم بما يعرفون وكانوا يزعمون ان من شأنها المطر لا انه يقول بالانواء وعن بكر بن عبد الله ان أكثر الناس ذنوبا اقلهم استغفارا واكثرهم استغفارا اقلهم ذنوبا وعن الحسن ان رجلا شكا اليه الجدب فقال له استغفر الله وشكا آخر اليه الفقر وقلة النسل وآخر قلة ريع أرضه فأمرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح أتاك رجال يشكون أنواعا فأمرتهم كلهم بالاستغفار فتلا هذه الآية وقوله يرسل السماء عليكم أى يرسل ماء السماء وذلك لان ماء المطر ينزل من السماء الى السحاب ثم ينزل من السحاب الى الارض وقيل أراد بالسماء السحاب وقيل أراد بالسماء المطر من قول

(وانى كلما دعوتهم) الى الايمان بك (لتغفر لهم) أى ليؤمنوا فتغفر لهم فاكتفى بذكر المسبب (جعلوا أصابعهم فى آذانهم) سدوا مسامعهم لئلا يسمعوا كلامى (واستغشوا ثيابهم) وتغطوا بثيابهم لئلا يبصرونى كراهة النظر الى وجه من ينصحهم فى دين الله (وأصروا) وأقاموا على كفرهم (واستكبروا استكبارا) وتعظموا عن اجابتى وذكر المصدر دليل على فرط استكبارهم (ثم انى دعوتهم جهارا) مصدر فى موضع الحال أى مجاهرا أو مصدر دعوتهم كقعد القرفصاء لان الجهار أحد نوعى الدعاء يعنى أظهرت لهم الدعوة فى المحافل (ثم انى أعلنت لهم وأسررت لهم اسرارا) أى خلطت دعاءهم بالعلانية بدعاء السر فالحاصل انه دعاهم ليلا ونهارا فى السر ثم دعاهم جهارا ثم دعاهم فى السر والعلن وهكذا يفعل الآمر بالمعروف يبتدى بالاهون ثم بالاشد فالاشد

فافتتح بالمناصحة فى السر فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة فلما لم تؤثر

ثلث بالجمع بين الاسرار والاعلان وثم تدل على تباعد الاحوال لان الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بين الامرين اغلظ من افراد احدهما (فقلت استغفروا ربكم) من الشرك لان الاستغفار طلب المغفرة فان كان المستغفر كافرا فهو من الكفر وان كان عاصيا مؤمنا فهو من الذنوب (انه كان غفارا) لم يزل غفار الذنوب من ينيب اليه (يرسل السماء) المطر (عليكم مدرارا) كثيرة الدرور ومفعال يستوى فيه المذكر والمؤنث

(ويمددكم بأموال وبنين) يزدكم أموالا وبنين (ويجعل لكم جنات) بساتين (ويجعل لكم أنهارا) جارية لمزارعكم وبساتينكم وكانوا يحبون الاموال والاولاد فحركوا بهذا على الايمان وقيل لما كذبوه بعد طول تكرير الدعوة حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم أربعين سنة أو سبعين فوعدهم انهم ان آمنوا رزقهم الله الخصب ورفع عنهم ما كانوا فيه وعن عمر رضي الله عنه انه خرج يستسقي فما زاد على الاستغفار فقيل له ما رايناك استسقيت فقال لقد استسقيت بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر شبه عمر الاستغفار بالانواء الصادقة التي لا تخطئ وقرأ الآيات وعن الحسن ان رجلا شكا اليه الجدب فقال استغفر الله وشكا اليه آخر ٤١٠ الفقر وآخر قلة النسل وآخر قلة ريع أرضه فأمرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح أتاك رجال يشكون أبوابا فأمرتهم كلهم بالاستغفار فتلا الآيات (ما لكم لا ترجون لله وقارا) لا تخافون لله عظمة عن الاخفش قال والرجاء هنا الخوف لان مع الرجاء طرفا من الخوف ومن اليأس والوقار العظمة أولا تأملون له توقيرا أي تعظيما والمعنى ما لكم لا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله اياكم في دار الثواب (وقد خلقكم أطوارا) في موضع الحال أي ما لكم لا تؤمنون بالله والحال هذه وهي حال موجبة للايمان به لانه خلقكم أطوارا أي تارات وكرات خلقكم أولا نطفا ثم خلقكم علقا ثم خلقكم مضغا ثم خلقكم عظاما ولحما نبههم أولا على النظر في أنفسهم لانها أقرب ثم على النظر في العالم وما سوى فيه من العجائب الدالة على الصانع بقوله (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) بعضها على بعض (وجعل القمر فيهن نورا) أي في السموات وهو في السماء الدنيا لان بين السموات ملابسة من حيث انها طباق فجاز ان يقال فيهن كذا وان لم يكن في جميعهن كما يقال في المدينة كذا وهو في بعض نواحيها وعن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم ان الشمس والقمر وجوههما مما يلي السموات وظهورهما مما يلي الارض فيكون نور القمر محيطا بجميع السموات لانها لطيفة لا تحجب نوره (وجعل الشمس سراجا) مصباحا يبصر أهل الدنيا في ضوئها كما يبصر أهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره وضوء الشمس اقوى من نور القمر واجمعوا على ان الشمس في السماء الرابعة (والله أنبتكم من الارض) انشأكم استعير الانبات للانشاء (نباتا) فنبتم نباتا (ثم يعيدكم فيها) بعد الموت (ويخرجكم) يوم القيامة

الشاعر إذا نزل السماء بارض قوم * رعيناه وإن كانوا غضابا

يعني المطر مدرارا أي كثير الدر وهو حلب الشاة حالا بعد حال وقيل مدرارا أي متتابعا (ويمددكم بأموال وبنين) أي يكثر أموالكم وأولادكم (ويجعل لكم جنات) أي بساتين (ويجعل لكم أنهارا) وهذا كله مما يميل طبع البشرية اليه (ما لكم لا ترجون لله وقارا) قال ابن عباس أي لا ترون لله عظمة وقيل معناه لا تخافون عظمته فالرجاء بمعنى الخوف والوقار العظمة من التوقير وهو التعظيم وقيل معناه ما لكم لا تعرفون لله حقا ولا تشكرون له نعمة وقيل معناه ما لكم لا ترجون في عبادة الله ان يثيبكم على توقيركم اياه خيرا (وقد خلقكم أطوارا) يعني تارة بعد تارة وحالا بعد حال نطفة ثم علقة ثم مضغة الى تمام الخلق وقيل معناه خلقكم أصنافا مختلفين لا يشبه بعضكم بعضا وهذا مما يدل على وحدانية الله وسعة قدرته (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) أي بعضها فوق بعض (وجعل القمر فيهن نورا) يعني في سماء الدنيا وقوله فيهن هو كما يقال أتيت بني تميم وانما أتى رجلا منهم (وجعل الشمس سراجا) يعني مصباحا مضيئا قال عبد الله بن عمرو ان الشمس والقمر وجوههما الى السموات وضوء الشمس والقمر فيهن جميعا واقفيتهما الى الارض ويروى هذا عن ابن عباس أيضا (والله أنبتكم من الارض نباتا) أراد مبدأ خلق آدم وأصل خلقه من الارض والناس كلهم من ولده وقوله نباتا اسم جعل في موضع المصدر أي انباتا وقيل تقديره انبتكم فنبتم نباتا وفيه دقيقة لطيفة وهي انه لو قال انبتكم انباتا كان المعنى أنبتكم انباتا عجيبا غريبا ولما قال انبتكم نباتا كان المعنى انبتكم فنبتم نباتا عجيبا وهذا الثاني أولى لان الانبات صفة الله تعالى وصفة الله غير محسوسة لنا فلا يعرف ان ذلك الانبات انبات عجيب كامل الا بواسطة اخبار الله تعالى وهذا المقام مقام الاستدلال على كمال قدرة الله تعالى فكان هذا اموافقا لهذا المقام فظهر بهذا ان العدول عن تلك الحقيقة الى هذا المجاز كان لهذا السر اللطيف (ثم يعيدكم فيها) أي في الارض بعد الموت (ويخرجكم)

(اخراجا) أكد بالمصدر أي أي اخراج (والله جعل لكم الارض بساطا) مبسوطة (لتسلكوا منها) لتتقلبوا عليها كما يتقلب
الرجل على بساطه (سبلا) طرقا (فجاجا) واسعة أو مختلفة (قال نوح رب انهم عصوني) فيما أمرتهم به من الايمان والاستغفار
(واتبعوا) أي السفلة والفقراء (من لم يزده ماله وولده) أي الرؤساء وأصحاب الاموال والاولاد وولده مكي

أي منها يوم البعث (اخراجا) يعني اخراجا حقا لا محالة (والله جعل لكم الارض بساطا)
أي فرشها لكم مبسوطة تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه (لتسلكوا منها
سبلا فجاجا) أي طرقا واسعة قوله تعالى (قال نوح رب انهم عصوني) أي لم يجيبوا
دعوتي (واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا) يعني اتبع السفلة والفقراء القادة
والرؤساء الذين لم تزدهم كثرة المال والولد الا ضلالا في الدنيا وعقوبة في الآخرة
(ومكروا مكرا كبارا) يعني كبيرا عظيما يقال كبير وكبار وكبار بالتشديد والتخفيف
والتشديد أشد وأعظم في المبالغة والماكرون هم الرؤساء والقادة ومكرهم احتيالهم
في الدين وكيدهم لنوح عليه الصلاة والسلام وتحريش السفلة على اذاه وصد الناس
عن الايمان به والميل اليه والاستماع منه وقيل مكرهم هو قولهم لا تذرن آلهتكم
وتعبدوا اله نوح وقال ابن عباس في مكرهم قالوا قولا عظيما وقيل افتروا على الله
الكذب وكذبوا رسوله (وقالوا) يعني القادة للاتباع (لا تذرن آلهتكم) أي لا تتركن
عبادتها (ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) هذه أسماء آلهتهم وانما
أفردها بالذكر وان كانت داخلة في جملة قوله لا تذرن آلهتكم لانهم كانت لهم أصنام
هذه الخمسة المذكورة هي أعظمها عندهم قال محمد بن كعب هذه أسماء قوم صالحين
كانوا بين آدم ونوح فلما ماتوا كان اتباعهم يقتدون بهم ويأخذون بعدهم بأخذهم
في العبادة فجاءهم ابليس وقال لهم لو صورتم صورهم كان ذلك أنشط لكم وأشوق الى
العبادة ففعلوا ذلك ثم نشأ قوم بعدهم فقال لهم ابليس ان الذين من قبلكم كانوا
يعبدونهم فابتداء عبادة الاوثان كان من ذلك وسميت تلك الصور بهذه الاسماء لانهم
صوروها على صورة أولئك القوم الصالحين من المسلمين (خ) عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال صارت الاوثان التي كانت تعبد قوم نوح في العرب بعد أما ود فكانت
لكلب بدومة الجندل واما سواع فكانت لهذيل واما يغوث فكانت لمراد ثم صارت
لبني غطيف بالجرف عند سبا واما يعوق فكانت لهمدان واما نسر فكانت لحمير لآل
ذي الكلاع وروى سفيان عن موسى عن محمد بن قيس في قوله ولا تذرن ودا ولا سواعا
ولا يغوث ويعوق ونسرا قال كانت أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا
أوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها انصابا
وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى هلك أولئك ونسخ العلم فعبدت الاوثان وروى
عن ابن عباس ان تلك الاوثان دفنها الطوفان وطمها التراب فلم تزل مدفونة حتى
أخرجها الشيطان لمشركي العرب وكانت للعرب أصنام أخر فاللات كانت لثقيف والعزى
لسليم وغطفان وجشم ومناة كانت لخزاعة بقديد واساف ونائلة وهبل كانت لاهل

وعراقي غير عاصم وهو جمع ولد كاسد وأسد (الاخسارا) في الآخرة (ومكروا) معطوف على لم يزده وجمع الضمير وهو راجع الى من لانه في معنى الجمع والماكرون هم الرؤساء ومكرهم احتيالهم في الدين وكيدهم لنوح وتحريش الناس على أذاه وصدهم عن الميل اليه (مكرا كبارا) عظيما وهو أكبر من الكبار وقرئ به وهو أكبر من الكبير (وقالوا) أي الرؤساء لسفلتهم (لا تذرن آلهتكم) على العموم أي عبادتها (ولا تذرن ودا) بفتح الواو وضمها وهو قراءة نافع لغتان صنم على صورة رجل (ولا سواعا) هو على صورة امرأة (ولا يغوث) هو على صورة أسد (ويعوق) هو على صورة فرس وهما لا ينصرفان للتعريف ووزن الفعل ان كانا عربيين وللتعريف والعجمة ان كانا عجميين (ونسرا) هو على صورة نسر أي هذه الاصنام الخمسة على الخصوص وكأنها كانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم فخصوها بعد العموم وقد انتقلت هذه الاصنام عن قوم نوح الى
العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقيل هي أسماء رجال صالحين كان
الناس يقتدون بهم بين آدم ونوح فلما ماتوا صوروهم ليكون ذلك ادعى لهم الى العبادة فلما طال الزمان قال لهم ابليس انهم
كانوا يعبدونهم فعبدوهم

(وقد أضلوا) أى الاصنام كقوله انهن أضللن (كثيرا) من الناس أو الرؤساء (ولا تزد الظالمين) عطف على رب انهم عصونى على حكاية كلام نوح عليه السلام بعد قال وبعد الواو النائبة عنه ومعناه قال رب انهم عصونى وقال لا تزد الظالمين أى قال هذين القولين وهما فى محل النصب لانهما مفعولا قال (الا ضلالا) هلاكا كقوله ولا تزد الظالمين الا تبارا

(مما خطيئاتهم) خطاياهم أبو عمرو أى ذنوبهم (اغرقوا) بالطوفان (فأدخلوا نارا) عظيمة وتقديم مما خطاياهم لبيان أن لم يكن اغراقهم بالطوفان وادخالهم فى النيران الا من أجل خطيئاتهم واكد هذا المعنى بزيادة ما وكفى بها مزجرة لمرتكب الكبيرة فان كفر قوم نوح كان واحدة من خطيئاتهم وان كانت كبراهن والفاء فى فادخلوا للايذان بانهم عذبوا بالاحراق عقيب الاغراق فيكون دليلا على اثبات عذاب القبر (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله (وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا) أى أحدا يدور فى الارض وهو فيعال من الدور وهو من الاسماء المستعملة فى النفى العام (انك ان تذرهم) ولا تهلكهم (يضلوا عبادك) يدعوهم الى الضلال (ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) الا من اذا بلغ فجر وكفر وانما قال ذلك لان الله تعالى أخبره بقوله لن يؤمن من قومك الا من قد آمن (رب اغفر لى ولوالدى) وكانا مسلمين واسم أبيه لمك واسم أمه شمخاء قيل هما آدم وحواء وقرئ لولدى يريد ساما وحاما (ولمن دخل بيتى) منزلى أو مسجدى أو سفينتى (مؤمنا) لانه علم ان من دخل بيته مؤمنا لا يعود به الى الكفر (وللمؤمنين والمؤمنات) الى يوم القيامة خص أولا من يتصل به لانهم أولى وأحق بدعائه ثم عم المؤمنين والمؤمنات

مكة ولذلك سمت العرب أنفسهم بعبد ود وعبد يغوث وعبد العزى ونحو ذلك من الاسماء (وقد أضلوا كثيرا) أى ضل بسبب الاصنام كثير من الناس وقيل أضل كبراء قوم نوح كثيرا من الناس (ولا تزد الظالمين الا ضلالا) يعنى ولا تزد المشركين بعبادتهم الاصنام الا ضلالا وهذا دعاء عليهم وذلك ان نوحا عليه السلام كان قد امتلأ قلبه غضبا وغيظا عليهم فدعا عليهم فان قلت كيف يليق بمنصب النبوة ان يدعو بمزيد الضلال وانما بعث ليصرفهم عنه قلت انما دعا عليهم بعد أن أعلمه الله انهم لا يؤمنون وهو قوله تعالى أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن وقيل انما أراد بالضلال فى أمر الدنيا وما يتعلق بها لا فى أمر الآخرة (مما خطاياهم أغرقوا) أى بالطوفان (فأدخلوا نارا) أى فى حالة واحدة وذلك فى الدنيا كانوا يغرقون من جانب ويحترقون من جانب واستدل بعضهم بهذه الآية على صحة عذاب القبر وذلك لان الفاء تقتضى التعقيب فى قوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا وهذا يدل على انه انما حصل دخول النار عقيب الاغراق ولا يمكن حمله على عذاب الآخرة لانه يبطل دلالة الفاء وقيل معناه انهم سيدخلون نارا فى الآخرة فعبر عن المستقبل بلفظ الماضى لصدق الوعد فى ذلك والاول أصح (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) يعنى تنصرهم وتمنعهم من العذاب الذى نزل بهم (وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا) يعنى أحدا يدور فى الارض فيذهب ويجىء من الدوران وقيل أصله من الدار اى نازل دار (انك ان تذرهم يضلوا عبادك) قال ابن عباس وغيره كان الرجل ينطلق بابنه الى نوح فيقول له احذر هذا فانه كذاب وان أبى حذرنيه فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك (ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) انما قال نوح هذا حين أخرج الله كل مؤمن من أصلابهم وأرحام نسائهم واعقم بعد ذلك أرحام النساء وأيبس أصلاب الرجال وذلك قبل نزول العذاب بأربعين سنة وقيل بسبعين سنة وأخبر الله نوحا انهم لا يؤمنون ولا يلدون مؤمنا فحينئذ دعا عليهم فاجاب الله دعوته فاهلكهم جميعا ولم يكن معهم صبى وقت العذاب لان الله تعالى أعقمهم قبل العذاب (رب اغفر لى) وذلك انه لما دعا على الكفار قال رب اغفر لى يعنى ما صدر منى من ترك الافضل وقيل يحتمل أنه حين دعا على الكفار انه انما دعا عليهم بسبب تأذيه منهم فكان ذلك الدعاء عليهم كالانتقام منهم فاستغفر من ذلك لما فيه من طلب حظ النفس أو لانه ترك الاحتمال (ولوالدى) وكان اسم أبيه لمك بن متوشلخ واسم امه شمخاء بنت أنوش وكانا مؤمنين وقيل لم يكن بين آدم ونوح عليهما السلام من آبائه كافر وكان بينهما عشرة آباء (ولمن دخل بيتى مؤمنا) أى دارى وقيل مسجدى وقيل سفينتى (وللمؤمنين والمؤمنات) وهذا عام فى كل مؤمن آمن بالله وصدق الرسل وانما بدأ بنفسه لانها أولى بالتخصيص والتقديم ثم ثنى بالمتصلين

به لانهم أحق بدعائه من غيرهم ثم عمم جميع المؤمنين والمؤمنات ليكون ذلك أبلغ فى الدعاء (ولا تزد الظالمين الا تبارا) أى هلاكا ودمارا فاستجاب الله تعالى دعاءه فأهلكهم جميعا والله أعلم

(تفسير سورة الجن)

وهى ثمان وعشرون آية ومائتان وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة وسبعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن) اختلف الناس قديما وحديثا فى ثبوت وجود الجن فانكر وجودهم معظم الفلاسفة واعترف بوجودهم جمع منهم وسموهم بالارواح السفلية وزعموا انهم أسرع اجابة من الارواح الفلكية الا أنهم أضعف وأما جمهور أرباب الملل وهم اتباع الرسل والشرائع فقد اعترفوا بوجود الجن لكن اختلفوا فى ماهيتهم فقيل الجن حيوان هوائى يتشكل باشكال مختلفة وقيل انها جواهر ليست باجسام ولا أعراض ثم هذه الجواهر أنواع مختلفة بالماهية فبعضها خيرة كريمة محبة للخيرات وبعضها دنيئة خسيسة شريرة محبة للشرور والآفات ولا يعلم عدة أنواعهم الا الله تعالى وقيل انهم أجسام مختلفة الماهية لكن تجمعهم صفة واحدة وهى كونهم حاصلون فى الحيز موصوفون بالطول والعرض والعمق وينقسمون الى لطيف وكثيف وعلوى وسفلى ولا يمتنع فى بعض الاجسام اللطيفة الهوائية ان تكون مخالفة لسائر أنواع الاجسام فى الماهية وان يكون لها علم مخصوص وقدرة مخصوصة على افعال عجيبة أوشاقة يعجز البشر عن مثلها وقد يتشكلون باشكال مختلفة وذلك باقدار الله تعالى اياهم على ذلك وقيل ان الاجسام متساوية فى تمام الماهية وليست البنية شرطا للحياة وهذا قول الاشعرى وجمهور اتباعه وشذ تأويل المعتزلة من هذه الامة فانكروا وجود الجن وقالوا البنية شرط للحياة وانه لابد من صلابة البنية حتى يكون قادرا على الافعال الشاقة وهذا قول منكر وصاحب هذا القول ينكر خرق العادات ورد ما ثبت وجوده بنص الكتاب والسنة *(فصل)* اختلف الرواة هل رأى النبى صلى الله عليه وسلم الجن فاثبتها ابن مسعود فيما رواه عنه مسلم فى صحيحه وقد تقدم حديثه فى تفسير سورة الاحقاف عند قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن وأنكرها ابن عباس فيما رواه عنه البخارى ومسلم قال ابن عباس ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طائفة من أصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسل عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا مالكم فقيل حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب قالوا وما ذاك الا من شئ قد حدث

(ولا تزد الظالمين) اى الكافرين (الا تبارا) هلاكا فاهلكوا قال ابن عباس رضى الله عنه ما دعا نوح عليه السلام بدعوتين احداهما للمؤمنين بالمغفرة واخرى على الكافرين بالتبار وقد أجيبت دعوته فى حق الكفار بالتبار فاستحال ان لا تستجاب دعوته فى حق المؤمنين واختلف فى صبيانهم حين أغرقوا فقيل أعقم الله ارحام نسائهم قبل الطوفان باربعين سنة فلم يكن معهم صبى حين اغرقوا وقيل علم الله براءتهم فاهلكوا بغير عذاب والله اعلم

(سورة الجن مكية وهى ثمان وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم قل) يا محمد (اوحى الى أنه) أن الامر والشأن اجمعوا على فتح أنه لانه فاعل اوحى وأن لو استقاموا وأن المساجد للعطف على أنه استمع فأن مخففة من الثقيلة وأن قد أبلغوا التعدى بعلم اليها وعلى كسر ما بعد فاء الجزاء وبعد القول نحو فان له نار جهنم وقالوا انا سمعنا لانه مبتدأ محكى بعد القول واختلفوا فى فتح الهمزة وكسرها من انه تعالى جد ربنا الى وانا منا المسلمون ففتحها شامى وكوفى غير ابى بكر عطفا على أنه استمع او على محل الجار والمجرور فى آمنا به تقديره صدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا وانه كان يقول سفيهنا الى آخرها وكسرها غيرهم عطفا على انا سمعنا وهم يقفون على آخر الآيات (استمع نفر) جماعة من الثلاثة الى العشرة (من الجن) جن نصيبين

فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فانظروا ما هـذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الارض ومغاربها فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدين الى سوق عكاظ وهو يصلى باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا اله وقالوا هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا الى قومهم فقالوا يا قومنا انا سمعنا قرآ نا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا فانزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن زاد فى رواية وانما أوحى اليه قول الجن أخرجاه فى الصحيحين قال القرطبى فى شرح مسلم فى حديث ابن عباس هذا معناه انه لم يقصدهم بالقراءة بل لما تفرقوا يطلبون الخبر الذى حال بينهم وبين استراق السمع صادف هؤلاء النفر رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى باصحابه وعلى هذا فهو صلى الله عليه وسلم لم يعلم باستماعهم ولم يكلمهم وانما أعلمه الله عزوجل بما أوحى اليه من قوله قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن وأما حديث ابن مسعود فقضية أخرى وجن آخرون والحاصل من الكتاب والسنة العلم القطعى بان الجن والشياطين موجودون متعبدون بالاحكام الشرعية على النحو الذى يليق بخلقتهم وبحالهم وان النبى صلى الله عليه وسلم رسول الانس والجن فمن دخل فى دينه فهو من المؤمنين ومعهم فى الدنيا والآخرة والجنة ومن كفر به فهو من الشياطين المبعدين المعذبين فيها والنار مستقره وهذا الحديث يقتضى أن الرجم بالنجوم لم يكن قبل المبعث وذهب قوم الى انه كان قبل مبعثه وآخرون الى انه كان لكن زاد بهذا المبعث وبهذا القول يرتفع التعارض بين الحديثين هذا آخر كلام القرطبى والله أعلم عكاظ سويقة معروفة بقرب مكة كان العرب يقصدونها فى كل سنة مرة فى الجاهلية وأول الاسلام وتهامة كل مانزل عن نجد من بلاد الحجاز سميت تهامة لتغير هوائها ومكة من تهامة معدودة ونخلة وادمن أودية مكة قريب منها وأما التفسير فقوله سبحانه وتعالى قل أوحى الى أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يظهر لاصحابه واقعة الجن وكما أنه مبعوث الى الانس فهو ايضا مبعوث الى الجن لتعلم قريش أن الجن مع تمردهم لما سمعوا القرآن عرفوا اعجازه فآمنوا به وقوله استمع نفر من الجن النفر ما بين الثلاثة الى العشرة قيل كانوا تسعة من جن نصيبين وقيل سبعة سمعوا قراءة النبى صلى الله عليه وسلم (فقالوا) أى لما رجعوا الى قومهم (انا سمعنا قرآنا عجبا) قال ابن عباس رضى الله عنهما بليغا أى ذا عجب يعجب منه لبلاغته وفصاحته (يهدى الى الرشد) أى يدعو الى الصواب يعنى التوحيد والايمان (فآمنا به) أى بالقرآن (ولن نشرك بربنا احدا) أى ولن نعود الى ما كنا عليه من الشرك وفيه دليل على ان أولئك النفر كانوا مشركين قيل كانوا يهودا وقيل كانوا نصارى وقيل كانوا مجوسا ومشركين (وانه تعالى جد ربنا) أى جلال ربنا وعظمته ومنه قول أنس كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا أى عظم قدره وقيل الجد الغنى ومنه الحديث ولا ينفع ذا الجد منك الجد أى لا ينفع ذا الغنى غناه وقال ابن عباس عظمت قدرة ربنا

(فقالوا) لقومهم حين رجعوا اليهم من استماع قراءة النبى صلى الله عليه وسلم فى صلاة الفجر (انا سمعنا قرآنا عجبا) عجيبا بديعا مباينا لسائر الكتب فى حسن نظمه وصحة معانيه والعجب ما يكون خارجا عن العادة وهو مصدر وضع موضع العجيب (يهدى الى الرشد) يدعو الى الصواب او الى التوحيد والايمان (فآمنا به) بالقرآن ولما كان الايمان به ايمانا بالله وبوحدانيته وبراءة من الشرك قالوا (ولن نشرك بربنا أحدا) من خلقه وجاز ان يكون الضمير فى به لله تعالى لان قوله بربنا يفسره (وانه تعالى جد ربنا) عظمته يقال جد فلان فى عينى اذا عظم ومنه قول عمر أو انس كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا اى عظم فى عيوننا

(ما اتخذ صاحبة) زوجة (ولا ولدا) كما يقول كفار الجن والانس (وانه كان يقول سفيهنا) جاهلنا أو ابليس اذ ليس فوقه سفيه (على الله شططا) كفرا لبعده عن الصواب من شطت الدار أي بعدت أو قولا يجور فيه عن الحق وهو نسبة الصاحبة والولد اليه والشطط مجاوزة الحد في الظلم وغيره (وانا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذبا) قولا كذبا أو مكذوبا فيه أو نصب على المصدر اذ الكذب نوع من القول أي كان في ظننا ان أحدا لن يكذب على الله بنسبة الصاحبة والولد اليه فكنا صدقهم فيما أضافوا اليه حتى تبين لنا بالقرآن كذبهم ٤١٥ كان الرجل من العرب اذا نزل بمخوف من الارض قال أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد كبير الجن فقال (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم) أي زاد الانس الجن باستعاذتهم بهم (رهقا) طغيانا وسفها وكبرا بان قالوا سدنا الجن والانس أو فزاد الجن الانس رهقا اثما لاستعاذتهم بهم وأصل الرهق غشيان المحظور (وانهم) وان الجن (ظنوا كما ظننتم) يا أهل مكة (أن لن يبعث الله أحدا) بعد الموت أي ان الجن كانوا ينكرون البعث كانكاركم ثم بسماع القرآن اهتدوا وأقروا بالبعث فهلا أقررتم كما أقروا (وانا لمسنا السماء) طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام أهلها واللمس المس فاستعير للطلب لان الماس طالب متعرف (فوجدناها ملئت حرسا شديدا) جمعا أقوياء من الملائكة يحرسون جمع حارس ونصب على التمييز وقيل الحرس اسم مفرد في معنى الحراس كالخدم في معنى الخدام ولذا وصف بشديد ولو نظر الى معناه لقيل شدادا (وشهبا) جمع شهاب اى كواكب مضيئة (وانا كنا نقعد منها) من السماء قبل هذا (مقاعد للسمع) لاستماع أخبار السماء يعني كنا نجد بعض السماء خالية من الحرس والشهب قبل المبعث (فمن يستمع) يرد الاستماع (الآن) بعد المبعث (يجد له) لنفسه (شهابا رصدا) صفة لشهابا بمعنى الراصد أي يجد شهابا راصدا له ولاجله أو هو اسم جمع للراصد على معنى ذوي شهاب راصدين بالرجم وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع والجمهور على ان ذلك لم يكن قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم وقيل كان الرجم في الجاهلية ولكن الشياطين كانت تسترق السمع في بعض الاوقات فمنعوا من الاستراق أصلا بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم

وقيل أمر ربنا وقيل فعله وقيل آلاؤه ونعماؤه على خلقه وقيل علا ملك ربنا (ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) أي انه تعالى جلال ربنا وعظمته عن أن يتخذ صاحبة أو ولدا لان الصاحبة تتخذ للحاجة والولد للاستئناس به والله تعالى منزه عن كل نقص (وانه كان يقول سفيهنا) يعني جاهلنا قيل هو ابليس (على الله شططا) أي كذبا أو عدوانا وهو وصفه تعالى بالشريك والولد أو الشطط هو مجاوزة الحد في كل شئ (وانا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذبا) اي كنا نظن ان الانس والجن صادقون في قولهم ان لله صاحبة وولدا وانهم لا يكذبون على الله في ذلك فلما سمعنا القرآن علمنا انهم قد كذبوا على الله قوله تعالى (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن) وذلك ان الرجل من العرب في الجاهلية كان اذا سافر فامسى في أرض قفر قال أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فيبيت في أمن وجواره حتى يصبح روى البغوي باسناد الثعلبي عن كردم بن أبي السائب الانصاري قال خرجت مع أبي الى المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فآوانا المبيت الى راعي غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فاخذ حملا من الغنم فوثب الراعي فقال يا عامر الوادي جارك فنادى مناد لا نراه يا سرحان أرسله فاتى الحمل يشتد حتى دخل الغنم ولم تصبه كدمة فانزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم بمكة وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن (فزادوهم رهقا) وذكره ابن الجوزي في تفسيره بغير سند ومعنى الآية زاد الانس الجن باستعاذتهم بقادتهم رهقا قال ابن عباس اثما وقيل طغيانا وقيل غيا وقيل شرا وقيل عظمة وذلك انهم كانوا يزدادون بهذا التعوذ طغيانا وعظمة ويقولون يعني عظماء الجن سدنا الجن والانس والرهق في كلام العرب الاثم وغشيان المحارم (وانهم ظنوا) يعني الجن (كما ظننتم) أي يا معشر الكفار من الانس (أن لن يبعث الله أحدا) يعني بعد الموت (وأنا) يعني يقول الجن وانا (لمسنا السماء) اى طلبنا بلوغ السماء الدنيا واستماع كلام أهلها (فوجدناها ملئت حرسا) يعني من الملائكة (شديدا وشهبا) أي من النجوم (وانا كنا نقعد منها) أي من السماء (مقاعد للسمع) يعني كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والآن قد ملئت المقاعد كلها (فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا)

(وانا لا ندري أشر) عذاب (أريد بمن في الارض) بعدم استراق السمع (أم أراد بهم ربهم رشدا) خيرا ورحمة (وانا منا الصالحون) الابرار المتقون (ومنا) قوم (دون ذلك) فحذف الموصوف وهم المقتصدون في الصلاح غير الكاملين فيه او أرادوا غير الصالحين (كنا طرائق قددا) بيان للقسمة المذكورة أي كنا ذوي مذاهب متفرقة أو أديان مختلفة والقدد جمع قدة وهي القطعة من قددت السير أي قطعته (وانا ظننا) أيقنا (أن لن نعجز الله) أي لن نفوته (في الارض) حال أي لن نعجزه كائنين في الارض أينما كنا فيها (ولن نعجزه هربا) مصدر في موضع الحال أي ولن نعجزه هاربين منها الى السماء وهذه صفة الجن وما هم عليه من أحوالهم وعقائدهم (وانا لما سمعنا الهدى) القرآن (آمنا به) بالقرآن أو بالله (فمن يؤمن بربه فلا يخاف) فهو لا يخاف مبتدا وخبر (بخسا) نقصا من ثوابه (ولا رهقا) أي ولا ترهقه ذلة من قوله وترهقهم ذلة وقوله ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة وفيه دليل على ان العمل ليس من الايمان (وانا منا المسلمون) المؤمنون (ومنا القاسطون) الكافرون الجائرون عن طريق الحق قسط جار واقسط عدل (فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا) طلبوا الهدى والتحري طلب الاحرى أي الاولى (وأما القاسطون فكانوا) في علم الله (لجهنم حطبا) وقودا وفيه دليل على ان الجني الكافر يعذب في النار ويتوقف في كيفية ثوابهم

أي أرصد له ليرمى به وقيل شهابا من الكواكب ورصدا من الملائكة عن ابن عباس قال كان الجن يصعدون الى السماء يستمعون الوحي فاذا سمعوا الكلمة زادوا عليها تسعا فاما الكلمة فتكون حقا وأما ما زاد فيكون باطلا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لابليس ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم ابليس ما هذا الا من أمر قد حدث في الارض فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلي بين جبلين أراه قال بمكة فاخبروه فقال هذا الحدث في الارض أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لم يكن مثل ما كان بعد مبعثه في شدة الحراسة وكانوا يسترقون في بعض الاحوال فلما بعث منعوا من ذلك أصلا فعلى هذا القول يكون حمل الجن على الضرب في الارض وطلب السبب انما كان لكثرة الرجم ومنعهم عن الاستراق بالكلية (وانا لا ندري أشر أريد بمن في الارض) اي برمي الشهب (ام أراد بهم ربهم رشدا) ومعنى الآية لا ندري هل المقصود من المنع من الاستراق هو شر أريد بأهل الارض أم أريد بهم صلاح وخير (وانا منا الصالحون) اي المؤمنون المخلصون (ومنا دون ذلك) اي دون الصالحين مرتبة قيل المراد بهم غير الكاملين في الصلاح وهم المقتصدون فيدخل فيهم الكافر وغيره (كنا طرائق قددا) اي جماعات متفرقين وأصنافا مختلفة والقدة القطعة من الشئ قال مجاهد يعنون مسلمين وكافرين وقيل أهواء مختلفة وشيعا متفرقة لكل فرقة هوى كأهواء الناس وذلك ان الجن فيهم القدرية والمرجئة والرافضة والخوارج وغير ذلك من أهل الاهواء فعلى هذا التفسير يكون معنى طرائق قددا اي سنصير طرائق قددا او هو بيان للقسمة المذكورة اي كنا ذوي مذاهب مختلفة متفرقة وقيل معناه كنا في اختلاف أحوالنا مثل الطرائق المختلفة (وانا ظننا) الظن هنا بمعنى العلم واليقين اي علمنا وأيقنا (ان لن نعجز الله في الارض) أي لن نفوته ان أراد بنا أمرا (ولن نعجزه هربا) اي ان طلبنا فلن نعجزه أينما كنا (وانا لما سمعنا الهدى آمنا به) اي لما سمعنا القرآن آمنا به وبمحمد صلى الله عليه وسلم (فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا) اي نقصانا من عمله وثوابه (ولا رهقا) يعني ظلما وقيل مكروها يغشاه (وانا منا المسلمون) وهم الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم (ومنا القاسطون) اي الجائرون العادلون عن الحق قال ابن عباس هم الذين جعلوا لله أندادا (فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا) أي قصدوا طريق الحق وتوخوه (وأما القاسطون) يعني الذين كفروا (فكانوا لجهنم حطبا) يعني وقودا للنار يوم القيامة فان قلت قد يتمسك بظاهر هذه الآية من لا يرى لمؤمني الجن ثوابا وذلك لان الله تعالى ذكر عقاب الكافرين منهم ولم يذكر ثواب المؤمنين منهم قلت ليس فيه تمسك له وكفى بقوله فأولئك تحروا رشدا فذكر سبب الثواب والله أعدل وأكرم من أن يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد فان قلت كيف يعذب الجن بالنار وقد خلقوا منها قلت وان خلقوا من النار فقد تغيروا وعن

لك الهيئة وصاروا خلقا آخر والله تعالى قادر ان يعذب النار بالنار قوله عز وجل
(وأن لو استقاموا على الطريقة) اختلفوا فيمن يرجع الضمير اليه فقيل هو راجع الى
الجن الذين تقدم ذكرهم ووصفهم والمعنى لو استقام الجن على الطريقة المثلى الحسنى
لانعمنا عليهم وانما ذكر الماء كناية عن طيب العيش وكثرة المنافع وقيل معناه لو
ثبت الجن الذين سمعوا القرآن على الطريقة التي كانوا عليها قبل استماع القرآن ولم
يسلموا (لاسقيناهم ماء غدقا) أي لوسعنا الرزق عليهم (لنفتنهم فيه) وقيل الضمير راجع
الى الانس وتم الخبر عن الجن ثم رجع الى خطاب الانس فقال تعالى وأن لو استقاموا
يعني كفار مكة على الطريقة يعني على طريقة الحق والايمان والهدى وكانوا مؤمنين
مطيعين لاسقيناهم ماء غدقا يعني كثيرا وذلك بعد ما رفع عنهم المطر سبع سنين والمعنى
لو آمنوا لوسعنا عليهم في الدنيا ولاعطيناهم ماء كثيرا وعيشا رغدا وانما ذكر الماء
الغدق مثلا لان الخير والرزق كله أصله من المطر وقوله لنفتنهم فيه أي لنختبرهم كيف
شكرهم فيما خولوا فيه وقيل في معنى الآية لو استقاموا أي ثبتوا على طريقة الكفر
والضلالة لاعطيناهم مالا كثيرا ولوسعنا عليهم لنفتنهم فيه عقوبة لهم واستدراجا لهم
حتى يفتتنوا به فنعذبهم والقول الاول اصح لان الطريقة معرفة بالالف واللام وهي
طريقة الهدى والقول بأن الآية في الانس أولى لان الانس هم الذين ينتفعون بالمطر
(ومن يعرض عن ذكر ربه) أي عن عبادة ربه وقيل عن مواعظه (نسلكه) أي
ندخله (عذابا صعدا) قال ابن عباس شاقا وقيل عذابا لا راحة فيه وقيل لا يزداد
الا شدة قوله تعالى (وأن المساجد لله) يعني المواضع التي بنيت للصلاة والعبادة وذكر
الله تعالى فيدخل فيه مساجد المسلمين والكنائس والبيع التي لليهود والنصارى
(فلا تدعوا مع الله أحدا) قال قتادة كان اليهود والنصارى اذا دخلوا كنائسهم وبيعهم
اشركوا بالله فيها فأمر الله عز وجل المؤمنين أن يخلصوا الدعوة لله اذا دخلوا المساجد
كلها وقيل أراد بالمساجد بقاع الارض كلها لان الارض كلها جعلت مسجدا للنبي صلى
الله عليه وسلم فعلى هذا يكون المعنى فلا تسجدوا على الارض لغير الله تعالى قال سعيد بن
جبير قالت الجن للنبي صلى الله عليه وسلم كيف لنا أن نشهد معك الصلاة ونحن ناؤن
عنك فنزلت وأن المساجد لله وروي عنه أيضا ان المراد بالمساجد الاعضاء التي يسجد
عليها الانسان وهي سبعة الجبهة واليدان والركبتان والقدمان والمعنى ان هذه
الاعضاء التي يقع عليها السجود مخلوقة لله فلا تسجدوا عليها لغيره (م) عن العباس
بن عبد المطلب انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا سجد العبد سجد معه سبعة
آراب وجهه وكفاه وركبتاه وقدماه الآراب الاعضاء (ق) عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم ان نسجد على سبعة أعضاء وان لا نكف شعرا
ولا ثوبا الجبهة واليدين والركبتين والقدمين وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال امرت ان اسجد على سبعة أعضاء على الجبهة وأشار بيده الى أنفه واليدين والركبتين
واطراف القدمين ولا نكفف الثياب ولا الشعر كف شعره عقصه وغرز طرفه في أعلى
ضفيرة وقد نهي عن ذلك قوله عز وجل (وانه لما قام عبد الله) يعني النبي صلى الله

(وأن) مخففة من الثقيلة يعني وانه وهي من جملة الموحى أي أوحي الي ان الشأن (لو استقاموا) أي القاسطون (على الطريقة) طريقة الاسلام (لاسقيناهم ماء غدقا) كثيرا والمعنى لوسعنا عليهم الرزق وذكر الماء الغدق لانه سبب سعة الرزق (لنفتنهم فيه) لنختبرهم فيه كيف يشكرون ما خولوا منه (ومن يعرض عن ذكر ربه) القرآن أو التوحيد أو العبادة (يسلكه) بالياء عراقي غير أبي بكر يدخله (عذابا صعدا) شاقا مصدر صعد يقال صعد صعدا وصعودا فوصف به العذاب لانه يتصعد المعذب أي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه ومنه قول عمر رضي الله عنه ما تصعدني شيء ما تصعدتني خطبة النكاح أي ما شق علي (وأن المساجد لله) من جملة الموحى أي أوحي الي ان المساجد أي البيوت المبنية للصلاة فيها لله وقيل معناه ولان المساجد لله فلا تدعوا على ان اللام متعلقة بلا تدعوا أي (فلا تدعوا مع الله أحدا) في المساجد لانها خالصة لله ولعبادته وقيل المساجد أعضاء السجود وهي الجبهة واليدان والركبتان والقدمان (وأنه لما قام عبد الله) محمد عليه السلام الى الصلاة وتقديره وأوحي الي انه لما قام عبد الله

(يدعوه) يعبده ويقرأ القرآن ولم يقل نبي الله أو رسول الله لانه من أحب الاسماء الى النبي صلى الله عليه وسلم ولانه لما كان واقعا في كلامه صلى الله عليه وسلم عن نفسه جيء به على ما يقتضيه التواضع أولان عبادة عبد الله لله ليست بمستبعد حتى يكونوا عليه لبدا (كادوا) كاد الجن (يكونون عليه لبدا) جماعات جمع لبدة تعجبا مما رأوا من عبادته واقتداء أصحابه به واعجابا بما تلاه من القرآن لانهم رأوا مالم يروا مثله (قل انما أدعوا ربي) وحده قال غير عاصم وحمزة (ولا أشرك به أحدا) في العبادة فلم تتعجبون وتزدحمون على (قل اني لا أملك لكم ضرا) مضرة (ولا رشدا) نفعا أو اراد بالضر الغي بدليل قراءة أبي غيا ولا رشدا يعني لا أستطيع ان اضركم وان أنفعكم لان الضار والنافع هو الله (قل اني لن يجيرني من الله أحد) لن يدفع عني عذابه أحد ان عصيته كقول صالح ٤١٨ عليه السلام فمن ينصرني من الله ان عصيته (ولن أجد من دونه ملتحدا) ملتجأ (الا بلاغا من الله) استثناء من لا املك أي لا املك لكم ضرا ولا رشدا الا بلاغا من الله وقل اني لن يجيرني اعتراض لتأكيد نفي الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه وقيل بلاغا بدل من ملتحدا أي لن أجد من دونه منجى الا أن أبلغ عنه ما ارسلني به يعني لا ينجيني الا أن أبلغ عن الله ما أرسلت به فان ذلك ينجيني وقال الفراء هذا شرط وجزاء وليس باستثناء وان منفصلة من لا وتقديره ان لا ابلغ بلاغا أي ان لم ابلغ لم أجد من دونه ملتجأ ولا مجيرا لي كقولك ان لا قياما فقعودا والبلاغ في هذه الوجوه بمعنى التبليغ (ورسالاته) عطف على بلاغا كانه قيل لا أملك لكم الا التبليغ والرسالات أي الا ان ابلغ عن الله فاقول قال الله كذا ناسبا القول اليه وان ابلغ رسالته التي أرسلني بها بلا زيادة ونقصان ومن ليست بصلة للتبليغ لانه يقال بلغ عنه انما هي بمنزلة ما من في براءة من الله أي بلاغا كائنا من الله (ومن يعص الله ورسوله) في ترك القبول لما انزل على الرسول لانه ذكر على اثر تبليغ الرسالة (فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا) وحد في قوله له وجمع في خالدين للفظ من ومعناه (حتى) يتعلق بمحذوف دلت عليه الحال كانه قيل لا يزالون على ما هم عليه حتى (اذا رأوا ما يوعدون) من العذاب (فسيعلمون) عند حلول العذاب بهم (من أضعف ناصرا وأقل عددا) أهم أم المؤمنون أي الكافر لا ناصر له يومئذ والمؤمن ينصره الله وملائكته وانبياؤه (قل ان أدري) ما أدري (أقريب ما توعدون) من العذاب (أم يجعل له ربي) وبفتح الياء حجازي وأبو عمرو (امدا) غاية بعيدة يعني انكم تعذبون قطعا ولكن لا أدري اهو حال أم مؤجل (عالم الغيب) هو خبر مبتدإ أي هو عالم الغيب

عليه وسلم (يدعوه) يعني يعبد الله ويقرأ القرآن وذلك حين كان يصلي الفجر ببطن نخلة (كادوا) يعني الجن (يكونون عليه لبدا) يعني يركب بعضهم بعضا من الازدحام عليه حرصا على استماع القرآن قاله ابن عباس وعنه أيضا انه من قول النفر من الجن الذين رجعوا الى قومهم فاخبروهم من طاعة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم له واقتدائهم به في الصلاة وقيل في معنى الآية لما قام عبد الله بالدعوة تلبدت الانس والجن وتظاهروا عليه ليبطلوا الحق الذي جاءهم به ويطفؤا نور الله فابى الله الا أن يتم نوره ويظهر هذا الامر وينصره على من ناواه وعاداه وأصل اللبد الجماعة بعضهم فوق بعض (قال) يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ قل على الامر (انما أدعوا ربي) وذلك ان كفار مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لقد جئت بامر عظيم فارجع عنه فنحن نجيرك فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم انما أدعو ربي (ولا أشرك به أحدا قل اني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا) أي لا أقدر على أن أدفع عنكم ضرا ولا أسوق اليكم رشدا وانما الضار والنافع والمرشد والمغوي هو الله تعالى (قل اني لن يجيرني من الله أحد) أي لن يمنعني منه أحد ان عصيته (ولن أجد من دونه ملتحدا) أي ملجأ الجأ اليه وقيل حرزا أحترز به وقيل مدخلا في الارض مثل السرب ادخل فيه (الا بلاغا من الله ورسالاته) أي ففيه الجوار والامن والنجاة وقيل معناه ذلك الذي يجيرني من عذاب الله يعني التبليغ وقيل الا بلاغا من الله فذلك الذي املكه بعون الله وتوفيقه وقيل معناه لا أملك لكم ضرا ولا رشدا لكن أبلغ بلاغا عن الله عز وجل فانما انا مرسل لا أملك الا ما ملكت (ومن يعص الله ورسوله) يعني ولم يؤمن (فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا حتى اذا رأوا ما يوعدون) يعني العذاب يوم القيامة (فسيعلمون) أي عند نزول العذاب (من أضعف ناصرا وأقل عددا) أهم أم المؤمنون (قل ان أدري) أي ما أدري (أقريب ما توعدون) يعني العذاب وقيل يوم القيامة (أم يجعل له ربي أمدا) أي أجلا وغاية تطول مدتها والمعنى ان علم وقت العذاب غيب لا يعلمه الا الله عز وجل (عالم الغيب) أي هو عالم

ماغاب عن العباد (فلا يظهر) أى فلا يطلع (على غيبه) أى الغيب الذى يعلمه وانفرد به (احدا) أى من الناس ثم استثنى فقال تعالى (الا من ارتضى من رسول) يعنى الا من يصطفيه لرسالته ونبوته فيظهره على مايشاء من الغيب حتى يستدل على نبوته بما يخبر به من المغيبات فيكون ذلك معجزة له وآية دالة على نبوته قال الزمخشرى وفى هذا ابطال الكرامات لان الذين تضاف اليهم الكرامات وان كانوا أولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وفيه أيضا ابطال الكهانة والتنجيم لان أصحابهما ابعد شئ من الارتضاء وادخله فى السخط قال الواحدى وفى هذا دليل على ان من ادعى ان النجوم تدله على مايكون من حياة أو موت ونحو ذلك فقد كفر بما فى القرآن فاما الزمخشرى فانكر كرامات الاولياء جريا على قاعدة مذهبه فى الاعتزال ووافق الواحدى وغيره من المفسرين فى ابطال الكهانة والتنجيم قال الامام فخر الدين ونسبة الآية الى الصورتين واحدة فان جعل الآية دالة على المنع من أحكام النجوم فينبغى أن يجعلها دالة على المنع من الكرامات قال وعندى ان الآية لادلالة فيها على شئ من ذلك والذى تدل عليه ان قوله فلا يظهر على غيبه أحدا ليس فيه صيغة عموم فيكفى فى العمل بمقتضاه ان لا يظهر الله تعالى خلقه على غيب واحد من غيوبه فنحمله على وقت وقوع القيامة فيكون المراد من الآية انه تعالى لا يظهر هذا الغيب لاحد فلا يبقى فى الآية دلالة على انه لا يظهر شيأ من الغيوب لاحد ثم انه يجوز ان يطلع الله على شئ من المغيبات غير الرسل كالكهنة وغيرهم وذكر مايدل على صحة قوله والذى ينبغى ان مذهب أهل السنة اثبات كرامات الاولياء خلافا للمعتزلة وانه يجوز ان يلهم الله بعض أوليائه وقوع بعض الوقائع فى المستقبل فيخبر به وهو من اطلاع الله اياه على ذلك ويدل على صحة ذلك ماروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كان فيمن كان قبلكم من الامم ناس محدثون من غير أن يكونوا أنبياء وان يكن فى امتى احد فانه عمر بن الخطاب أخرجه البخارى قال ابن وهب تفسير محدثون ملهمون ولمسلم عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يقول قد كان يكون فى الامم قبلكم محدثون فان يكن فى أمتى منهم احد فان عمر بن الخطاب منهم ففى هذا اثبات كرامات الاولياء ولا يقال لو جازت الكرامة للولى لما تميزت معجزة النبى صلى الله عليه وسلم عن غيرها ولانسد الطريق الى معرفة الرسول من غيره فنقول الفرق بين معجزة النبى وكرامة الولى ان المعجزة أمر خارق للعادة مع عدم المعارضة مقرون بالتحدى ولا يجوز للولى أن يدعى خرق العادة مع التحدى اذ لو ادعاه الولى لكفر من ساعته فبان الفرق بين المعجزة والكرامة وقد يظهر على يد الولى أمر خارق للعادة من غير دعواه وهذا أيضا يدل على ثبوت نبوة النبى لان الكرامة انما تظهر على يد من هو معتقد للرسول متابع له فلولم تكن نبوته حقا لما ظهر الخارق على يد متابعه واما الكاهن فليس بمتبع للرسول وقد انسد باب الكهانة بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم فمن ادعى منهم اطلاعا على غيب فقد كفر بما جاء به القرآن وكذلك حكم المنجم والله تعالى أعلم وقوله تعالى

(فلا يظهر) فلا يطلع (على غيبه أحدا) من خلقه (الا من ارتضى من رسول) الا رسولا قد ارتضاه لعلم بعض الغيب ليكون اخباره عن الغيب معجزة له فانه يطلعه على غيبه ماشاء ومن رسول بيان لمن ارتضى والولى اذا أخبر بشئ فظهر فهو غير جازم عليه ولكنه أخبر بناء على رؤياه أو بالفراسة على ان كل كرامة للولى فهى معجزة للرسول وذكر فى التأويلات قال بعضهم فى هذه الآية دلالة تكذيب المنجمة وليس كذلك فان فيهم من يصدق خبره وكذلك المتطببة يعرفون طبائع النبات وذا لا يعرف بالتأمل فعلم بانهم وقفوا على علمه من جهة رسول انقطع أثره وبقى علمه فى الخلق

(فانه يسلك) يدخل (من بين يديه) يدى الرسول (ومن خلفه رصدا) حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين ويعصمونه من وساوسهم وتخاليطهم حتى يبلغ الوحى (ليعلم) الله (أن قد أبلغوا) أى الرسل (رسالات ربهم) كاملة بلا زيادة ولا نقصان الى المرسل اليهم اى ٢٠ ليعلم الله ذلك موجودا حال وجوده كما كان يعلم ذلك قبل وجوده انه يوجد وحد الضمير فى من بين يديه للفظ من وجمع فى أبلغوا لمعناه (وأحاط) الله (بما لديهم) بما عند الرسل من العلم (وأحصى كل شئ عددا) من القطر والرمل وورق الاشجار وزبد البحر فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه وعددا حال أى وعلم كل شئ معدودا محصورا او مصدر فى معنى احصاء والله أعلم.

*(سورة المزمل صلى الله عليه وسلم مكية)

وهى تسع عشرة آية بصرى وثمان عشرة شامى

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها المزمل) أى المتزمل وهو الذى تزمل فى ثيابه أى تلفف بها بادغام التاء فى الزاى وكان النبى صلى الله عليه وسلم نائما بالليل متزملا فى ثيابه فامر بالقيام للصلاة بقوله (قم الليل الا قليلا نصفه) بدل من الليل والا قليلا استثناء من قوله نصفه تقديره قم نصف الليل الا قليلا من نصف الليل (أو انقص منه) من النصف بضم الواو غير عاصم وحمزة (قليلا) الى الثلث (او زد عليه) على النصف الى الثلثين

(فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه) أى من بين يدى الرسول ومن خلفه وذكر البعض دال على جميع الجهات (رصدا) اى حفظة من الملائكة يحفظونه من الشيطان أن يسترق السمع من الملائكة و يحفظونه من الجن أن يسمعوا الوحى فيلقوه الى الكهنة فيخبروا به قبل الرسول وقيل ان الله تعالى كان اذا بعث رسولا أتاه ابليس فى صورة ملك يخبره فيبعث الله من بين يديه ومن خلفه رصدا من الملائكة يحرسونه و يطردون الشيطان عنه فاذا جاءه شيطان فى صورة ملك أخبروه بانه شيطان فاحذره وان جاءه ملك قالوا له هذا رسول ربك (ليعلم) أى ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم (أن) أى ان جبريل قد بلغ اليه رسالات ربه وقيل معناه ليعلم محمد أن الرسل قبله قد أبلغوا رسالات ربهم وأن الله قد حفظهم ودفع عنهم وقيل معناه ليعلم الله أن الرسل (قد أبلغوا رسالات ربهم) فيعلم الله ذلك ظاهرا موجودا فيوجب فيه الثواب (وأحاط بما لديهم) أى علم الله ما عند الرسل فلا يخفى عليه شئ من أمورهم (وأحصى كل شئ عددا) قال ابن عباس أحصى ما خلق وعرف ما خلق لم يفته شئ حتى مثاقيل الذر والخردل والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

(تفسير سورة المزمل)

هى مكية قيل غير آيتين منها وهما قوله واصبر على ما يقولون وقيل غير آية وهى ان ربك يعلم أنك تقوم الآية وهى عشرون آية ومائتان وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة وثمانية وثلاثون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (يا أيها المزمل) هذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وأصله المتزمل وهو الذى تزمل فى ثيابه أى تلفف قال المفسرون كان النبى صلى الله عليه وسلم يتزمل فى ثيابه أول ما جاءه جبريل فرقا منه فكان يقول زملونى زملونى حتى أنس به وقيل خرج يوما من البيت وقد لبس ثيابه فناداه جبريل يا أيها المزمل وقيل معناه متزمل النبوة أى حاملها والمعنى زملت هذا الامر فقم به واحمله فانه أمر عظيم وانما لم يخاطب بالنبى والرسول لانه كان فى أول الامر ومبدئه ثم خوطب بالنبى والرسول بعد ذلك وقيل كان صلى الله عليه وسلم قد نام وهو متزمل فى ثوبه فنودى يا أيها المزمل (قم الليل) أى للصلاة والعبادة واهجر هذه الحالة واشتغل بالصلاة والعبودية وكان قيام الليل فريضة فى ابتداء الاسلام (الا قليلا) أى صل الليل الا قليلا تنام فيه وهو الثلث ثم بين قدر القيام فقال تعالى (نصفه) أى قم نصف الليل (أو انقص منه قليلا) أى الى الثلث (أو زد عليه)

والمراد التخيير بين أمرين بين أن يقوم أقل من نصف الليل على البت وبين أن يختار أحد الامرين وهما النقصان اى من النصف والزيادة عليه وان جعلت نصفه بدلا من قليلا كان مخيرا بين ثلاثة أشياء بين قيام نصف الليل تاما وبين قيام الناقص منه وبين قيام الزائد عليه وانما وصف النصف بالقلة بالنسبة الى الكل والا فاطلاق لفظ القليل ينطلق على ما دون النصف ولهذا قلنا اذا اقر أن لفلان عليه ألف درهم الا قليلا انه يلزمه أكثر من نصف الالف

أي على النصف الى الثلثين خيره بين هذه المنازل فكان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يقومون على هذه المقادير وكان الرجل منهم لا يدري متى ثلث الليل أو متى نصفه أو متى ثلثاه فكان يقوم الليل كله حتى يصبح مخافة أن لا يحفظ القدر الواجب واشتد ذلك عليهم حتى انتفخت أقدامهم فرحمهم الله وخفف عنهم ونسخها عنهم بقوله فاقرؤا ما تيسر منه قيل ليس في القرآن سورة نسخ آخرها أولها الا هذه السورة وكان بين نزول أولها ونزول آخرها سنة وقيل ستة عشر شهرا وكان قيام الليل فرضا ثم نسخ بعد ذلك في حق الامة بالصلوات الخمس وثبتت فريضته على النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك (م) عن سعد بن هشام قال انطلقت الى عائشة فقلت يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ألست تقرأ القرآن قلت بلى قالت فان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن قلت فقيام رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم المؤمنين قالت ألست تقرأ المزمل قلت بلى قالت فان الله افترض القيام في أول هذه السورة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولا حتى انتفخت أقدامهم وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهرا في السماء ثم أنزل التخفيف في آخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة وقوله تعالى (ورتل القرآن ترتيلا) قال ابن عباس بينه بيانا وعنه أيضا اقرأه على هينتك ثلاث آيات وأربعا وخمسا وقيل الترتيل هو التوقف والترسل والتمهل والافهام وتبيين القراءة حرفا حرفا اثره في اثر بعض بالمد والاشباع والتحقيق وترتيلا تأكيد في الامر به وانه لابد للقارئ منه وقيل ان الله تعالى لما أمر بقيام الليل أتبعه بترتيل القرآن حتى يتمكن المصلي من حضور القلب والتأمل والتفكر في حقائق الآيات ومعانيها فعند الوصول الى ذكر الله تعالى يستشعر بقلبه عظمة المذكور وجلاله وعند ذكر الوعد والوعيد يحصل الرجاء والخوف وعند ذكر القصص والامثال يحصل الاعتبار فيستنير القلب عند ذلك بنور المعرفة والاسراع في القراءة لا يحصل فيها ذلك فظهر بذلك أن المقصود من الترتيل انما هو حضور القلب عند القراءة

(فصل) (خ) عن قتادة قال سئل أنس كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد ببسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم * عن أم سلمة رضي الله عنها وقد سألها يعلي بن مالك عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلاته فقالت ما لكم وصلاته ثم نعتت قراءته فاذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا أخرجه النسائي * وللترمذي قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف الرحمن الرحيم ثم يقف وكان يقول مالك يوم الدين ثم يقف وفي رواية أبي داود قالت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين يقطع قراءته آية آية (ق) عن عبد الله بن مغفل قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته يقرأ سورة الفتح فرجع في قراءته (ق) عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال جاء رجل الى ابن مسعود قال اني لأقرأ المفصل في ركعة قال عبد الله هذا كهذ الشعر ان أقواما يقرؤن

(ورتل القرآن) بين وفصل من الثغر المرتل أي المفلج الاسنان وكلام رتل بالتحريك أي مرتل وثغر رتل أيضا اذا كان مستوى البنيان او اقرأه على تؤدة بتبيين الحروف وحفظ الوقوف واشباع الحركات (ترتيلا) هو تأكيد في ايجاب الامر به وانه لابد منه للقارئ

القرآن لايجاوز تراقيهم ولكن اذا وقع فى القلب فرسخ نفع ان أفضل الصلاة الركوع والسجود انى لاعرف النظائر التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرن بينهن سورتين فى كل ركعة وفى رواية فذكر عشرين سورة من المفصل الهذ سرعة القطع والمراد به هنا سرعة القراءة والعجلة فيها وقوله لايجاوز تراقيهم التراقى جمع ترقوة وهى العظم الذى بين ثغرة النحر والعاتق وعند مخرج الصوت والنظائر جمع نظير وهو الشبه والمثل عن عائشة رضى الله عنها قالت قام النبى صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن أخرجه الترمذى وللنسائى عن أبى ذر نحوه وزادوا الآية ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم * عن سهل بن سعد قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرأ فقال الحمد لله كتاب الله واحد وفيكم الاحمر وفيكم الابيض وفيكم الاسود اقرؤا القرآن قبل ان يقرأه أقوام يقيمونه كما يقام السهم يتعجل لقراءته ولا يتأجله أخرجه أبو داود وزاد غيره فى رواية لايجاوز تراقيهم * عن جابر رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرأ القرآن وفينا العربى والعجمى فقال اقرؤا فكل حسن وسيجىء أقوام يقيمونه كما يقام القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه أخرجه أبو داود * عن ابن مسعود قال لاتنثروه نثر الدقل ولا تهذوه هذ الشعر قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة قوله تعالى (انا سنلقى عليك قولا ثقيلا) قال ابن عباس شديدا وقيل ثقيلا يعنى كلاما عظيما جليلا ذا خطر وعظمة لانه كلام رب العالمين وكل شئ له خطر ومقدار فهو ثقيل والمعنى فصير نفسك مستعدة لقبول هذا القول العظيم الثقيل الشاق وقيل سماه ثقيلا لما فيه من الاوامر والنواهى فان فيه مشقة وكلفة على الانفس وقيل ثقيلا لما فيه من الوعد والوعيد والحلال والحرام والحدود والفرائض والاحكام وقيل ثقيلا على المنافقين لانه يبين عيوبهم و يظهر نفاقهم وقيل هو خفيف على اللسان بالتلاوة ثقيل فى الميزان بالثواب يوم القيامة وقيل ثقيلا أى ليس بالخفيف ولا السفساف لانه كلام ربنا تبارك وتعالى وقيل معناه انه قول مبين فى صحته و بيانه ونفعه كما تقول هذا كلام رصين وهذا قول له وزن اذا استجدته وعلمت انه صادق الحكمة والبيان وقيل سماه ثقيلا لما فيه من المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وقيل ثقيلا فى الوحى وذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا انزل عليه القرآن والوحى يجد له مشقة (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان الحرث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحيانا يأتينى فى مثل صلصلة الجرس وهذا أشده على فيفصم عنى وقد وعيت ما قال واحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فاعى ما يقول قالت عائشة ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا (م) عن عبادة بن الصامت قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه الوحى كرب لذلك وتربد له وجهه وفى رواية كان اذا انزل عليه الوحى عرفنا ذلك فى فيه وغمض عينيه وتربد وجهه قوله مثل صلصلة الجرس الصلصلة الصوت الشديد الصلب اليابس من الاشياء الصلبة كالجرس ونحوه

(انا سنلقى عليك) سننزل عليك (قولا ثقيلا) أى القرآن لما فيه من الاوامر والنواهى التى هى تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين أو ثقيلا على المنافقين او كلام له وزن ورجحان ليس بالسفساف الخفيف

فهو مصدر من نشأ اذا قام ونهض على فاعلة كالعافية أو العبادة التى تنشأ بالليل أى تحدث أو ساعات الليل لانها تنشأ ساعة فساعة وكان زين العابدين رضى الله عنه يصلى بين العشاءين ويقول هذه ناشئة الليل (هى أشد وطاء) وفاقا شامى وأبو عمرو أى يواطئ فيها قلب القائم لسانه وعن الحسن أشد موافقة بين السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلائق غيرهما أو طأ أى أثقل على المصلى من صلاة النهار لطرد النوم فى وقته من قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر (وأقوم قيلا) وأشد مقالا وأثبت قراءة لهدو الاصوات وانقطاع الحركات (ان لك فى النهار سبحا طويلا) تصرفا وتقلبا فى مهماتك وشواغلك ففرغ نفسك فى الليل لعبادة ربك أو فراغا طويلا لنومك وراحتك (واذكر اسم ربك) ودم على ذكره فى الليل والنهار وذكر الله يتناول التسبيح والتهليل والتكبير والصلاة وتلاوة القرآن ودراسة العلم (وتبتل اليه) انقطع الى عبادته عن كل شئ والتبتل الانقطاع الى الله تعالى بتأميل الخير منه دون غيره وقيل رفض الدنيا وما فيها والتماس ما عند الله (تبتيلا) فى اختلاف المصدر زيادة تأكيد أى بتلك الله فتبتل تبتيلا أو جى به مراعاة لحق الفواصل

قوله فيفصم أى ينفصل عنى و يفارقنى وقد وعيت ما قال أى حفظت وقولها ليتفصد عرقا أى يجرى عرقه كما يجرى الدم من الفاصد قوله تربد وجهه الربدة فى الالوان غبرة مع سواد وقوله تعالى (ان ناشئة الليل) أى ساعاته كلها وكل ساعة منه ناشئة لانها تنشأ عن التى قبلها وقال ابن أبى مليكة سألت ابن عباس وابن الزبير عنها فقالا الليل كله ناشئة وهى عبارة عن الامور التى تحدث وتنشأ فى الليل وقالت عائشة الناشئة القيام بعد النوم وقيل هى قيام آخر الليل وقيل أوله وقيل أى ساعة قام الانسان من الليل فقد نشأ روى عن زين العابدين على بن الحسين انه كان يصلى بين المغرب والعشاء ويقول هذه ناشئة الليل وقيل كل صلاة بعد العشاء الآخرة فهى ناشئة الليل وقيل ناشئة الليل قيامه (هى أشد وطاء) قرئ بكسر الواو مع المد يعنى من المواطأة والموافقة وذلك لان مواطأة القلب واللسان والسمع والبصر تكون بالليل أكثر مما تكون بالنهار وقرئ وطأ بفتح الواو وسكون الطاء أى أشد على المصلى وأثقل من صلاة النهار لان الليل جعل للنوم والراحة فكان قيامه على النفس أشد وأثقل وقال ابن عباس كانت صلاتهم أول الليل هى أشد وطأ يقول هى أجدر أن يحصوا ما فرض الله عليهم من القيام وذلك ان الانسان اذا نام لا يدرى متى يستيقظ وقيل أثبت للخير واحفظ للقراءة من النهار وقيل هى أوطأ للقيام وأسهل على المصلى من ساعات النهار لانه خلق لتصرف العباد والليل للعبادة والخلوة برب العباد ولان الليل أفرغ للقلب من النهار ولا يعرض له فى الليل حوائج وموانع مثل النهار وامنع من الشيطان وأبعد من الرياء وهو قوله تعالى (وأقوم قيلا) أى أصوب قراءة وأصح قولا من النهار لهدأة الناس وسكون الاصوات وقيل معناه أبين قولا بالقرآن والحاصل ان عبادة الليل أشد نشاطا وأتم اخلاصا وأبعد عن الرياء وأكثر بركة وأبلغ فى الثواب وأدخل فى القبول (ان لك فى النهار سبحا طويلا) أى تصرفا وتقلبا واقبالا وادبارا فى حوائجك واشغالك وقيل فراغا وسعة لنومك وتصرفك فى حوائجك أفضل من الليل (واذكر اسم ربك) أى بالتوحيد والتعظيم والتقديس والتسبيح (وتبتل اليه تبتيلا) قال ابن عباس أخلص اليه اخلاصا وقيل تفرغ لعبادته وانقطع اليه انقطاعا والمعنى بتل اليه نفسك واقطعها عن كل شئ سواه وقيل التبتل رفض الدنيا وما فيها والتماس ما عند الله وقيل معناه وتوكل عليه توكلا واجتهد فى العبادة وقيل يقال للعابد اذا ترك كل شئ وأقبل على العبادة قد تبتل أى انقطع عن كل شئ الا من عبادة الله وطاعته فان قلت كيف قال تبتيلا مكان تبتلا ولم يجئ على مصدره قلت جاء تبتيلا على بتل نفسك اليه تبتيلا فوقع المصدر موضع مقارنه فى المعنى ويكون التقدير وتبتل مبتلا نفسك اليه تبتيلا فهو كقوله والله أنبتكم من الارض نباتا وقيل لان معنى تبتل بتل نفسك فجئ به على معناه مراعاة لحق الفواصل وقيل الاصل فى تبتل أن يقال بتلت تبتيلا وتبتلت تبتلا فتبتيلا محمول على معنى بتل اليه تبتيلا وقيل انما عدل عن هذه العبارة لدقيقة لطيفة وهى ان المقصود انما هو التبتل فاما التبتيل فهو تصرف والمشتغل بالتصرف لا يكون متبتلا الى الله تعالى لان المشتغل بغير الله لا يكون

(رب المشرق والمغرب) بالرفع أي هو رب او مبتدأ خبره (لا اله الا هو) وبالجر شامي وكوفي غير حفص بدل من ربك وعن ابن
عباس رضي الله عنهما على القسم باضمار حرف القسم نحو الله لافعلن وجوابه لا اله الا هو كقولك والله لا أحد في الدار الا زيد
(فاتخذه وكيلا) ولياً وكفيلا بما وعدك من النصر أو اذا علمت انه ملك المشرق والمغرب وان لا اله الا هو فاتخذه كافيا
لامورك وفائدة الفاء أن لا تلبث بعد ان عرفت في تفويض الامور الى الواحد القهار اذ لا عذر لك في الانتظار بعد الاقرار
(واصبر على ما يقولون) على ما يقولون فيّ من الصاحبة والولد وفيك من الساحر والشاعر (واهجرهم هجرا جميلا) جانبهم
بقلبك وخالفهم مع حسن المحافظة وترك المكافأة وقيل هو منسوخ بآية القتال (وذرني) أي كلهم الي فانا أكافيهم
(والمكذبين) رؤساء قريش مفعول معه أو عطف على ذرني أي دعني واياهم (أولي النعمة) التنعم وبالكسر الانعام وبالضم المسرة (ومهلهم) امهالا (قليلا) الى يوم بدر أو الى يوم القيامة (ان لدينا) للكافرين في الآخرة (أنكالا) قيودا ثقالا جمع نكل (وجحيما) نارا محرقة (وطعاما ذا غصة) أي الذي ينشب في الحلوق فلا ينساغ يعني الضريع والزقوم (وعذابا أليما) يخلص وجعه الى القلب وروي انه صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فصعق وعن الحسن انه أمسى صائما فأتي بطعام فعرضت له هذه الآية فقال ارفعه ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه وكذلك الليلة الثالثة فاخبر ثابت البناني وغيره فجاؤا فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق (يوم) منصوب بما في لدينا من معنى الفعل أي استقر للكفار لدينا كذا وكذا (يوم
ترجف الارض والجبال) أي تتحرك حركة شديدة (وكانت الجبال كثيبا) رملا مجتمعا من كثب الشيء اذا في
جمعه كانه فعيل بمعنى مفعول (مهيلا) سائلا بعد اجتماعه (انا أرسلنا اليكم رسولا) يعني محمدا عليه السلام (شاهدا عليكم)
يشهد عليكم يوم القيامة بكفركم وتكذيبكم (كما أرسلنا الى فرعون رسولا) يعني موسى عليه السلام (فعصى فرعون الرسول)
أي ذلك الرسول اذ النكرة اذا أعيدت معرفة كان الثاني عين الاول (فأخذناه أخذا وبيلا) شديدا غليظا وانما خص موسى
وفرعون لان خبرهما كان منتشرا بين أهل مكة لانهم كانوا جيران اليهود (فكيف تتقون ان كفرتم

منقطعا اليه الا أنه لا بد من التبتيل حتى يحصل التبتل فذكر أولا التبتل لانه المقصود
وذكر التبتيل ثانيا اشعارا بأنه لا بد منه (رب المشرق والمغرب) يعني ان التبتل
والانقطاع لا يليق الا لله تعالى الذي هو رب المشرق والمغرب (لا اله الا هو فاتخذه
وكيلا) أي فوض أمرك اليه وتوكل عليه وقيل معناه اتخذه يا محمد ربك كفيلا بما وعدك من
النصر على الاعداء (واصبر على ما يقولون) أي من التكذيب لك والاذى (واهجرهم
هجرا جميلا) أي واعتزلهم اعتزالا حسنا لا جزع فيه وهذه الآية منسوخة بآية القتال
(وذرني والمكذبين) أي دعني ومن كذبك لا تهتم به فاني أكفيكه (أولي النعمة) أي
أصحاب النعم والترفه نزلت في صناديد قريش المستهزئين وقيل نزلت في المطعمين ببدر
(ومهلهم قليلا) يعني الى يوم بدر فلم يكن الا يسيرا حتى قتلوا ببدر وقيل أراد بالتقليل أيام
الدنيا ثم وصف عذابهم فقال تعالى (ان لدينا) أي عندنا في الآخرة (أنكالا) يعني
قيودا عظاما ثقالا لا تنفك أبدا وقيل أغلالا من حديد (وجحيما وطعاما ذا غصة) أي غير
سائغ في الحلق لا ينزل ولا يخرج وهو الزقوم والضريع (وعذابا أليما) أي وجيعا (يوم
ترجف الارض والجبال) أي تتزلزل وتتحرك وهو يوم القيامة (وكانت الجبال كثيبا
مهيلا) يعني رملا سائلا وهو الذي اذا أخذت منه شيأ تبعك ما بعده (انا أرسلنا اليكم) يعني
يا أهل مكة (رسولا) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (شاهدا عليكم) أي بالتبليغ وايمان
من آمن منكم وكفر من كفر (كما أرسلنا الى فرعون رسولا) يعني موسى بن عمران عليه
الصلاة والسلام قيل انما خص فرعون وموسى بالذكر من بين سائر الامم والرسل لان محمدا
صلى الله عليه وسلم آذاه أهل مكة واستخفوا به لانه ولد فيهم كما ان فرعون ازدرى بموسى
وآذاه لانه رباه (فعصى فرعون الرسول فأخذناه) أي فرعون (أخذا وبيلا) أي شديدا
ثقيلا يعني عاقبناه عقوبة غليظة خوف بذلك كفار مكة ثم خوفهم يوم القيامة فقال تعالى
(فكيف تتقون ان كفرتم) أي كيف لكم بالتقوى يوم القيامة ان كفرتم أي في الدنيا
المعنى لا سبيل لكم الى التقوى اذا وافيتم القيامة وقيل معنى الآية فكيف تتقون العذاب
يوم القيامة وبأي شيء تتحصنون من عذاب ذلك اليوم وكيف تنجون منه ان كفرتم

في الدنيا (يوما يجعل الولدان شيبا) يعني شيوخا شمطا من هول ذلك اليوم وشدته وذلك حين يقال لآدم عليه الصلاة والسلام قم فابعث بعث النار من ذريتك (ق) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك زاد في رواية والخير في يديك فينادي بصوت ان الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعث النار قال يارب وما بعث النار قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم قالوا يا رسول الله أينا ذلك الرجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم أبشروا فان من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم واحد ثم قال أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الابيض أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الاسود وفي رواية كالرقمة في ذراع الحمار واني لارجو ان تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا ثم قال ثلث أهل الجنة فكبرنا ثم قال شطر أهل الجنة فكبرنا أماما يتعلق بمعنى الحديث فقوله أن تخرج من ذريتك بعث النار فمعناه ميز أهل الجنة من أهل النار وأما الرقمة بفتح الراء واسكان القاف فهي الاثرة في باطن عضد الحمار وقوله اني لارجو أن تكونوا ربع أهل الجنة وثلث أهل الجنة وشطر أهل الجنة فيه البشارة العظيمة لهذه الامة وجعلهم ربع أهل الجنة أولا ثم الثلث ثم الشطر لفائدة حسنة وهي ان ذلك أوقع في نفوسهم وأبلغ في اكرامهم فان اعطاء الانسان مرة بعد مرة دليل على الاعتناء به ودوام ملاحظته وفيه تكرير البشارة مرة بعد أخرى وفيه أيضا حملهم على تجديد شكر الله وحمده على انعامه عليهم وهو تكبيرهم لهذه البشارة العظيمة وسرورهم بها وأما ما يتعلق بمعنى الآية الكريمة والحديث في قوله تعالى فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا وقوله صلى الله عليه وسلم ويشيب الوليد ففيه وجهان الاول انه عند زلزلة الساعة قبل خروجهم من الدنيا فعلى هذا هو على ظاهره الثاني انه في القيامة فعلى هذا يكون ذكر الشيب مجازا لان القيامة ليس فيها شيب وانما هو مثل في شدة الامر وهوله يقال في اليوم الشديد يوم تشيب فيه نواصي الاطفال والاصل فيه ان الهموم والاحزان اذا تعاقبت على الانسان أسرع فيه الشيب قال المتنبي

والهم يخترم الجسيم نحافة * ويشيب ناصية الصبي ويهرم

فلما كان الشيب من لوازم كثرة الهموم والاحزان جعلوه كناية عن الشدة والهول وليس المراد ان هول ذلك اليوم يجعل الولدان شيبا حقيقة لان الطفل لا تمييز له وقيل يحتمل أن يكون المراد وصف ذلك اليوم بالطول وان الاطفال يبلغون من الشيخوخة والشيب (السماء منفطر به) وصف اليوم بالشدة أيضا وان السماء مع عظمها تنفطر به وتنشق فما ظنك بغيرها من الخلائق وقيل تنشق لنزول الملائكة وقيل به أي بذلك المكان وقيل الهاء ترجع الى الرب سبحانه وتعالى أي بأمره وهيبته (كان وعده مفعولا) أي كائنا لا محالة فيه ولا خلاف (ان هذه) أي آيات القرآن (تذكرة) أي مواعظ يتذكر

يوما) هو مفعول تتقون أي كيف تتقون عذاب يوم كذا ان كفرتم أو ظرف أي فكيف لكم التقوى يوم القيامة ان كفرتم في الدنيا أو منصوب بكفرتم على تأويل جحدتم أي كيف تتقون الله وتخشونه ان جحدتم يوم القيامة والجزاء لأن تقوى الله خوف عقابه (يجعل الولدان) صفة ليوما والعائد محذوف أي فيه (شيبا) من هوله وشدته وذلك حين يقال لآدم عليه السلام قم فابعث بعث النار من ذريتك وهو جمع أشيب وقيل هو على التمثيل للتهويل يقال لليوم الشديد يوم يشيب نواصي الاطفال (السماء منفطر به) وصف لليوم بالشدة أيضا أي السماء على عظمها واحكامها تنفطر به أي تنشق فما ظنك بغيرها من الخلائق والتذكير على تأويل السماء بالسقف أو السماء شيء منفطر وقوله به أي بيوم القيامة يعني انها تنفطر لشدة ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشيء بما يفطر به (كان وعده) المصدر مضاف الى المفعول وهو اليوم أو الى الفاعل وهو الله عز وجل (مفعولا) كائنا (ان هذه) الآيات الناطقة بالوعيد (تذكرة) موعظة

بها (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) بالايمان والطاعة قوله تعالى (ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل) أى أقل من ثلثى الليل (ونصفه وثلثه) أى تقوم نصفه وثلثه (وطائفة من الذين معك) يعنى المؤمنين وكانوا يقومون معه الليل (والله يقدر الليل والنهار) يعنى أن العالم بمقادير الليل والنهار وأجزائهما وساعاتهما هو الله تعالى لا يفوته علم ما يفعلون فيعلم القدر الذى يقومون من الليل والذى ينامون منه (علم أن لن تحصوه) يعنى أن لن تطيقوا معرفته على الحقيقة قيل قاموا حتى انتفخت أقدامهم فنزل علم أن لن تحصوه أى لن تطيقوه قيل كان الرجل يصلى الليل كله مخافة أن لا يصيب ما أمر الله به من القيام فقال تعالى علم أن لن تحصوه أى لن تطيقوا معرفة ذلك (فتاب عليكم) أى فعاد عليكم بالعفو والتخفيف والمعنى عفا عنكم ما لم تحيطوا بعلمه ورفع المشقة عنكم (فاقرؤا ما تيسر من القرآن) فيه قولان أحدهما أن المراد بهذه القراءة القراءة فى الصلاة وذلك لان القراءة أحد أجزاء الصلاة فاطلق اسم الجزء على الكل والمعنى فصلوا ما تيسر عليكم وقال الحسن يعنى فى صلاة المغرب والعشاء قال قيس بن أبى حازم صليت خلف ابن عباس بالبصرة فقرأ فى أول ركعة بالحمد وأول آية من البقرة ثم قام فى الثانية فقرأ بالحمد والآية الثانية من البقرة ثم ركع فلما انصرف أقبل علينا بوجهه فقال ان الله تعالى يقول فاقرؤا ما تيسر منه وقيل نسخ ذلك التهجد واكتفى بما تيسر ثم نسخ ذلك أيضا بالصلوات الخمس وذلك فى حق الامة وثبت قيام الليل فى حقه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك * القول الثانى ان المراد بقوله فاقرؤا ما تيسر من القرآن دراسته وتحصيل حفظه وان لا يعرض للنسيان فقيل يقرأ مائة آية ونحوها وقيل ان قراءة السورة القصيرة كافية روى البغوى باسناده عن أنس رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ خمسين آية فى يوم أو ليلة لم يكتب من الغافلين ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين ومن قرأ مائتى آية لم يحاجه القرآن يوم القيامة ومن قرأ خمسمائة آية كتب له قنطار من الاجر ذكره الشيخ محيى الدين فى كتابه الاذكار ولم يضعفه وقال فى رواية من قرأ أربعين آية بدل خمسين وفى رواية عشرين وفى رواية عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ عشر آيات لم يكتب من الغافلين (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم أخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة قلت بلى يا رسول الله ولم أرد بذلك الا الخير قال فصم صوم داود وكان أعبد الناس واقرأ القرآن فى كل شهر مرة قال قلت يا نبى الله انى أطيق أفضل من ذلك قال فاقرأه فى كل عشر قال قلت يا نبى الله انى أطيق أفضل من ذلك قال فاقرأه فى سبع ولا تزد على ذلك ثم ذكر الله حكمة النسخ والتخفيف فقال تعالى (علم أن سيكون منكم مرضى) يعنى ان المريض يضعف

كثر ذلك (من ثلثى الليل) بضم اللام سوى هشام (ونصفه وثلثه) منصوبان عطف على أدنى مكى وكوفى ومن جرهما عطف على ثلثى (وطائفة) عطف على الضمير فى تقوم وجاز بلا توكيد لوجود الفاصل (من الذين معك) أى ويقوم ذلك المقدار جماعة من أصحابك (والله يقدر الليل والنهار) أى ولا يقدر على تقدير الليل والنهار ولا يعلم مقادير ساعاتهما الا الله وحده وتقديم اسمه عز وجل مبتدأ مبنيا عليه يقدر هو الدال على انه مختص بالتقدير ثم انهم قاموا حتى انتفخت اقدامهم فنزل (علم أن لن تحصوه) لن تطيقوا قيامه على هذه المقادير الا بشدة ومشقة وفى ذلك حرج (فتاب عليكم) خفف عليكم واسقط عنكم فرض قيام الليل (فاقرؤا) فى الصلاة والامر للوجوب او فى غيرها والامر للندب (ما تيسر) عليكم (من القرآن) روى أبو حنيفة عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال من قرأ مائة آية فى ليلة لم يكتب من الغافلين ومن قرأ مائتى آية كتب من القانتين وقيل اراد بالقرآن الصلاة لانه بعض اركانها اى

فصلوا ما تيسر عليكم ولم يتعذر من صلاة الليل وهذا ناسخ للاول ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس ثم بين عن
الحكمة فى النسخ وهو تعذر القيام على المرضى والمسافرين والمجاهدين فقال (علم أن سيكون منكم) أن مخففة من الثقيلة
والسين بدل من تخفيفها وحذف اسمها (مرضى) فيشق عليهم قيام الليل

(وآخرون يضربون في الارض) يسافرون (يبتغون) حال من ضمير يضربون (من فضل الله) رزقه بالتجارة او طلب العلم (وآخرون يقاتلون في سبيل الله) سوى بين المجاهد والمكتسب لان كسب الحلال جهاد قال ابن مسعود رضي الله عنه أيما رجل جلب شيأ الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء وقال ابن عمر رضي الله عنهما ماخلق الله موتة أموتها بعد القتل في سبيل الله أحب الى من أن أموت بين شعبتي رحل أضرب في الارض أبتغي من فضل الله (فاقرؤا ماتيسر منه) كرر الامر بالتيسير لشدة احتياطهم (واقيموا الصلوة) المفروضة (وآتوا الزكوة) الواجبة (وأقرضوا الله) بالنوافل والقرض لغة القطع فالمقرض يقطع ذلك القدر من ماله فيدفعه الى غيره وكذا المتصدق يقطع ذلك القدر من ماله فيجعله لله تعالى وانما أضافه الى نفسه لئلا يمن على الفقير فيما يتصدق به عليه وهذا لان الفقير معاون له في تلك القربة فلا يكون له عليه منة بل المنة للفقير عليه (قرضا حسنا) من الحلال بالاخلاص (وماتقدموا لانفسكم من خير تجدوه) أى ثوابه وهو جزاء الشرط (عند الله هو خيرا) مما خلفتم وتركتم فالمفعول الثاني لتجدوه خيرا وهو فصل وجاز وان لم يقع بين معرفتين لان أفعل من أشبه المعرفة لامتناعه من حرف التعريف (وأعظم أجرا) واجزل ثوابا (واستغفروا الله) من السيآت والتقصير في الحسنات (ان الله غفور) يستر على أهل الذنب والتقصير (رحيم) يخفف عن اهل الجهد والتوفير وهو على مايشاء قدير والله اعلم

عن التهجد بالليل فخفف الله عزوجل عنه لاجل ضعفهم وعجزه عنه (وآخرون يضربون في الارض) يعني المسافرين للتجارة (يبتغون من فضل الله) أى يطلبون من رزق الله وهو الربح في التجارة (وآخرون يقاتلون في سبيل الله) يعني الغزاة والمجاهدين وذلك لان المجاهد والمسافر مشتغل في النهار بالاعمال الشاقة فلولم ينم بالليل لتوالت عليه أسباب المشقة فخفف الله عنهم لذلك روى عن ابن مسعود قال أيما رجل جلب شيأ الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهداء ثم قرأ عبد الله وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله (فاقرؤا ماتيسر منه) أى من القرآن وانما أعاده للتأكيد (وأقيموا الصلوة) يعني المفروضة (وآتوا الزكوة) أى الواجبة (وأقرضوا الله قرضا حسنا) قال ابن عباس يريد سوى الزكاة من صلة الرحم وقرى الضيف وقيل يريد سائر الصدقات وذلك بأن يخرجها على أحسن وجه من كسب طيب ومن أكثر الاموال نفعا للفقراء ومراعاة النية والاخلاص وابتغاء مرضاة الله تعالى بما يخرج والصرف الى المستحق (وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله) أى ثوابه وأجره (هو خيرا وأعظم أجرا) يعني ان الذي قدمتم لانفسكم خير من الذي أخرتموه ولم تقدموه وروى البغوي بسنده عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايكم ماله أحب اليه من مال وارثه قالوا يارسول الله مامنا أحد الا ماله أحب اليه من مال وارثه قال اعلموا ماتقولون قالوا مانعلم الا ذلك يارسول الله قال مامنكم رجل الا مال وارثه أحب اليه من ماله قالوا كيف يارسول الله قال انما مال أحدكم ماقدم ومال وارثه ما أخر (واستغفروا الله) أى لذنوبكم وتقصيركم في قيام الليل (ان الله غفور رحيم) أى لجميع الذنوب والله تعالى أعلم

(تفسير سورة المدثر)

وهي مكية قيل غير آية من آخرها وهي ست وخمسون آية ومائتان وخمس وخمسون كلمة وألف حرف وعشرة أحرف

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عزوجل (ياأيها المدثر) (ق) عن يحيى بن كثير قال سألت أباسلمة بن عبد الرحمن عن اوّل مانزل من القرآن قال ياأيها المدثر قلت يقولون اقرأ باسم ربك قال أبوسلمة سألت جابرا عن ذلك وقلت له مثل الذي قلت فقال لي جابر لا احدثك الا ماحدثنا به رسول الله

(سورة المدثر صلى الله عليه وسلم) مكية وهي خمسون وست آيات (بسم الله الرحمن الرحيم)

روى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت على جبل حراء فنوديت يامحمد انك رسول الله فنظرت عن يميني وعن يساري فلم ار شيأ فنظرت فوقي فاذا هو قاعد على عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة وقلت دثروني دثروني فدثرته خديجة فجاء جبريل وقرأ (ياايها المدثر) اى المتلفف بثيابه من الدثار وهو كل ما كان من الثياب فوق الشعار والشعار الثوب الذي يلي الجسد واصله المتدثر فادغم

صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيأ ونظرت عن شمالي فلم أر شيأ ونظرت خلفي فلم أر شيأ فرفعت رأسي فرأيت شيأ فأتيت خديجة فقلت دثروني فدثروني وصبوا على ماء باردا فنزلت يا أيها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر وذلك قبل أن تفرض الصلاة وفي رواية فلما قضيت جواري هبطت فاستبطنت الوادي وذكر نحوه فاذا هو قاعد على عرش في الهواء يعني جبريل فأخذتني رجفة شديدة (ق) عن جابر رضي الله عنه من رواية الزهري عن أبي سلمة عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي فقال لي في حديثه فبينا أنا أمشي سمعت صوتا من السماء فرفعت رأسي فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالسا على كرسي بين السماء والارض فجئثت منه رعبا فقلت زملوني زملوني فدثروني فانزل الله عز وجل يا أيها المدثر الى والرجز فاهجر وفي رواية فجئثت منه حتى هويت الى الارض فجئت الى أهلي وذكره وفيه قال أبو سلمة الرجز الاوثان قال ثم حمي الوحي بعد وتتابع فان قلت دل هذا الحديث على ان سورة المدثر أول ما نزل من القرآن ويعارضه حديث عائشة رضي الله عنها المخرج في الصحيحين أيضا في بدء الوحي وسيأتي في موضعه ان شاء الله تعالى وفيه فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق حتى بلغ مالم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده الحديث قلت الصواب الذي عليه جمهور العلماء ان أول ما نزل من القرآن على الاطلاق اقرأ باسم ربك الذي خلق كما صرح به في حديث عائشة وقول من قال ان سورة المدثر اول ما نزل من القرآن على الاطلاق ضعيف لا يعتد به وانما كان نزولها بعد فترة الوحي كما صرح به في رواية الزهري عن أبي سلمة عن جابر ويدل عليه أيضا قوله في الحديث وهو يحدث عن فترة الوحي الى أن قال وأنزل الله تعالى يا أيها المدثر ويدل عليه أيضا قوله فاذا الملك الذي جاءني بحراء ثم قال وأنزل الله تعالى يا أيها المدثر وأيضا قوله ثم حمي الوحي بعد وتتابع فالصواب ان أول ما نزل من القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق وان أول ما نزل بعد فترة الوحي سورة المدثر فحصل بهذا الذي بيناه الجمع بين الحديثين والله أعلم قوله فاذا هو قاعد على عرش بين السماء والارض يريد به السرير الذي يجلس عليه وقوله يحدث عن فترة الوحي أي عن احتباسه وعدم تتابعه وتواليه في النزول قوله فجئثت منه روي بجيم مضمومة ثم همزة مكسورة ثم ثاء مثلثة ساكنة ثم تاء الضمير وروي بثاءين مثلثتين بعد الجيم ومعناه فرعبت منه وفزعت وقوله وحمي الوحي بعد وتتابع أي كثر نزوله وازداد بعد فترته من قولهم حميت الشمس والنار اذا ازداد حرهما وقوله وصبوا على ماء فيه انه ينبغي لمن فزع أن يصب عليه ماء حتى يسكن فزعه والله أعلم واما التفسير فقوله عز وجل يا أيها المدثر أصله المتدثر وهو الذي يتدثر في ثيابه ليستدفئ بها وأجمعوا على انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما سماه مدثرا لقوله صلى الله عليه وسلم دثروني وقيل معناه يا أيها المدثر بدثار النبوة والرسالة من قولهم ألبسه الله لباس التقوى فجعل النبوة كالدثار واللباس مجازا (قم فأنذر) أي حذرهم من عذاب ربك ان لم يؤمنوا والمعنى

(قم) من مضجعك أو قم قيام عزم وتصميم (فأنذر) فحذر قومك من عذاب الله ان لم يؤمنوا أو فافعل الانذار من غير تخصيص له بأحد وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه مفكرا كما يفعل المغموم فقيل له يا أيها الصارف أذى الكفار عن نفسك بالدثار قم فاشتغل بالانذار وان آذاك الفجار

قم من مضجعك ودثارك وقيل قم قيام عزم واشتغل بالانذار الذى تحملته (وربك فكبر) أى عظم ربك عما يقوله عبدة الاوثان (وثيابك فطهر) فيه أربعة أوجه احدها ان ينزل لفظ الثياب والتطهير على الحقيقة والثانى أن ينزل لفظ الثياب على الحقيقة والتطهير على المجاز والثالث أن ينزل لفظ الثياب على المجاز والتطهير على الحقيقة والرابع أن ينزل لفظ الثياب والتطهير على المجاز * أما الوجه الاول فمعناه وثيابك فطهر من النجاسات والمستقذرات وذلك أن المشركين لم يكونوا يحترزون عنها فامر صلى الله عليه وسلم بصون ثيابه من النجاسات وغيرها خلافا للمشركين * الوجه الثانى معناه وثيابك فقصر وذلك لان المشركين كانوا يطولون ثيابهم ويجرون أذيالهم على النجاسات وفى الثوب الطويل من الخيلاء والكبر والفخر ما ليس فى الثوب القصير فنهى عن تطويل الثوب وأمر بتقصيره لذلك وقيل معناه وثيابك فطهر عن أن تكون مغصوبة أو محرمة بل تكون من وجه حلال وكسب طيب * الوجه الثالث معناه حمل الثوب على النفس قال عنترة

وشككت بالرمح الاصم ثيابه * ليس الكريم على القنا بمحرم

يريد نفسه والمعنى ونفسك فطهر عن الذنوب والريب وغيرهما وكنى بالثياب عن الجسد لانها اشتمل عليه * الوجه الرابع وهو حمل الثياب والتطهير على المجاز فقيل معناه وقلبك فطهر عن الصفات المذمومة وقيل معناه وخلقك فحسن وسئل ابن عباس عن قوله وثيابك فطهر فقال لا تلبسها على معصية ولا غدر أما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفى

وانى بحمد الله لا ثوب فاجر * لبست ولا من غدرة أتقنع

والعرب تقول فى وصف الرجل بالصدق والوفاء هو طاهر الثياب وتقول لمن غدر انه لدنس الثوب والسبب فى ذلك أن الثوب كالشئ الملازم للانسان فلهذا جعلوه كناية عن الانسان كما يقال الكرم فى ثوبه والعفة فى ازاره وقيل ان من طهر باطنه طهر ظاهره وقوله تعالى (والرجز فاهجر) يعنى اترك الاوثان ولا تقربها وقال ابن عباس اترك المآثم وقيل الشرك والمعنى اترك كل ما أوجب لك العذاب من الاعمال والاقوال (ولا تمنن تستكثر) يعنى لا تعط مالك مصانعة لتعطى اكثر منه هذا قول اكثر المفسرين وهذا النهى مختص بالنبى صلى الله عليه وسلم وانما نهى عن ذلك تنزيها لمنصب النبوة لان من أعطى شيأ لغيره يطلب منه الزيادة عليه لابد وأن يتواضع لذلك الذى أعطاه ومنصب النبوة يجل عن ذلك وهذا غير موجود فى حق الامة فيجوز لغيره من الامة ذلك كما قيل هما رباآن حلال وحرام فالحلال الهدية يهديها الرجل لغيره ليعطيه اكثر منها وأما الحرام فالربا المحرم بنص الشرع وقيل معناه لا تعط شيأ للمجازاة الدنيا أعط لله وأرد به وجه الله وقيل معناه لا تمنن على الله بعملك فتستكثره ولا يكثرن عملك فى عينك فانه فيما أنعم الله به عليك واعطاك قليل وقيل معناه لا تمنن على أصحابك بما تعلمهم من أمر الدين وتبلغهم من أمر الوحى كالمستكثر بذلك عليهم وقيل لا تمنن عليهم بنبوتك فتاخذ منهم على ذلك اجرا تستكثر به وقيل معناه لا تمنن لا تضعف عن الخير تستكثر منه وقيل معناه لا تمنن

(وربك فكبر) واختص ربك بالتكبير وهو التعظيم أى لا يكبر فى عينك غيره وقل عند ما يعروك من غير الله اكبر وروى انه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر فكبرت خديجة وفرحت وأيقنت انه الوحى وقد يحمل على تكبير الصلاة ودخلت الفاء لمعنى الشرط كانه قيل وما كان فلا تدع تكبيره (وثيابك فطهر) بالماء عن النجاسة لان الصلاة لا تصح الا بها وهى الاولى فى غير الصلاة أو فقصر مخالفة للعرب فى تطويلهم الثياب وجرهم الذيول اذ لا يؤمن معه اصابة النجاسة أو طهر نفسك مما يستقذر من الافعال يقال فلان طاهر الثياب اذا وصفوه بالنقاء من المعايب وفلان دنس الثياب للغادر ولان من طهر باطنه يطهر ظاهره ظاهرا (والرجز) بضم الراء يعقوب وسهل وحفص وغيرهم بالكسر العذاب والمراد ما يؤدى اليه (فاهجر) أى اثبت على هجره لانه كان برياً منه (ولا تمنن تستكثر) بالرفع وهو منصوب المحل على الحال أى لا تعط مستكثرا رائيا لما تعطيه كثيرا أو طالبا أكثر مما اعطيت فانك مامور باجل الاخلاق وأشرف الآداب وهو من من عليه اذا انعم عليه وقرأ الحسن تستكثر بالسكون جوابا للنهى

على الناس بما تنعم عليهم وتعطيهم استكثارا منك لتلك العطية فان المن يحبط العمل (ولربك فاصبر) أى على طاعته وأوامره ونواهيه لاجل ثواب الله تعالى وقيل معناه فاصبر لله على ما أوذيت فيه وقيل معناه انك حملت أمرا عظيما فيه محاربة العرب والعجم فاصبر على ذلك لله عز وجل وقيل معناه فاصبر تحت موارد القضاء لاجل الله (فاذا نقر فى الناقور) أى نفخ فى الصور وهو القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل وهى النفخة الاولى وقيل الثانية وهو الاصح (فذلك يومئذ) يعنى يوم النفخة وهو يوم القيامة (يوم عسير) أى شديد (على الكافرين) يعنى يعسر عليهم فى ذلك اليوم الامر فيعطون كتبهم بشمائلهم وتسود وجوههم (غير يسير) أى هين فان قلت ما فائدة قوله غير يسير وعسير مغن عنه قلت فائدة التكرار التأكيد كقوله أنا محب لك غير مبغض وقيل لما كان على الكافرين غير يسير دل على أنه يهون على المؤمنين بخلاف الكفار فانه عليهم عسير لا يسر فيه ليزداد غيظ الكافرين وبشارة المؤمنين قوله تعالى (ذرنى ومن خلقت وحيدا) أى خلقته فى بطن أمه وحيدا فريدا لا مال له ولا ولد وقيل معناه خلقته وحدى لم يشاركنى فى خلقه أحد والمعنى ذرنى واياه فانا اكفيكه نزلت هذه الآية فى الوليد بن المغيرة المخزومى وكان يسمى الوحيد فى قومه (وجعلت له مالا ممدودا) أى كثيرا يمد بعضه بعضا دائما غير منقطع وقيل ما يمد بالنماء كالزرع والضرع والتجارة واختلفوا فى مبلغه فقيل كان ألف دينار وقيل أربعة آلاف درهم وقيل ألف ألف وقال ابن عباس تسعة آلاف مثقال فضة وعنه كان له بين مكة والطائف ابل وخيل ونعم وكان له غنم كثيرة وعبيد وجوار وقيل كان له بستان بالطائف لا تنقطع ثماره شتاء ولا صيفا وقيل كان له غلة شهر بشهر (وبنين شهودا) أى حضورا بمكة لا يغيبون عنه لانهم كانوا أغنياء غير محتاجين الى الغيبة لطلب الكسب وقيل معنى شهودا أى رجالا يشهدون معه المحافل والمجامع قيل كانوا عشرة وقيل سبعة وهم الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس أسلم منهم ثلاثة نفر خالد وهشام وعمارة (ومهدت له تمهيدا) أى بسطت له فى العيش وطول العمر بسطا مع الجاه العريض والرياسة فى قومه وكان الوليد من اكابر قريش وكان يدعى ريحانة قريش (ثم يطمع) أى يرجو (أن أزيد) اى أزيده مالا وولدا وتمهيدا (كلا) أى لا أفعل ولا أزيده قالوا فما زال الوليد بعد نزول هذه الآية فى نقصان ماله وولده حتى هلك (انه كان لآياتنا عنيدا) أى معاندا والمعنى انه كان معاندا فى جميع دلائل التوحيد والقدرة والبعث والنبوة

(ولربك فاصبر) ولوجه الله فاستعمل الصبر على أوامره ونواهيه وكل مصبور عليه ومصبور عنه (فاذا نقر فى الناقور) نفخ فى الصور وهى النفخة الاولى وقيل الثانية (فذلك) اشارة الى وقت النقر وهو مبتدأ (يومئذ) مرفوع المحل بدل من ذلك (يوم عسير) خبر كانه قيل فيوم النقر يوم عسير والفاء فى فاذا للتسبيب وفى فذلك للجزاء كانه قيل اصبر على أذاهم فبين ايديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة أمرهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والعامل فى فاذا ما دل عليه الجزاء أى فاذا نقر فى ٣٠ ، الناقور عسر الامر (على الكافرين غير يسير) واكد بقوله غير يسير ليؤذن بانه يسير على المؤمنين أو عسير لا يرجى أن يرجع يسيرا كما يرجى تيسير العسير من أمور الدنيا (ذرنى ومن خلقت) أى كله الى يعنى الوليد بن المغيرة وكان يلقب فى قومه بالوحيد ومن خلقت معطوف أو مفعول معه (وحيدا) حال من الياء فى ذرنى أى ذرنى وحدى معه فانى اكفيك أمره أو من التاء فى خلقت أى خلقته وحدى لم يشركنى فى خلقه أحد أو من الهاء المحذوفة أو من من أى خلقته منفردا بلا أهل ولا مال ثم أنعمت عليه (وجعلت له مالا ممدودا) مبسوطا كثيرا أو ممدودا بالنماء وكان له الزرع والضرع والتجارة وعن مجاهد كان له مائة ألف دينار وعنه أن له أرضا بالطائف لا ينقطع ثمرها (وبنين شهودا) حضورا معه بمكة لغناهم عن السفر وكانوا عشرة أسلم منهم خالد وهشام وعمارة (ومهدت له تمهيدا) وبسطت له الجاه والرياسة فاتممت عليه نعمتى الجاه والمال واجتماعهما هو الكمال عند أهل الدنيا (ثم يطمع أن أزيد) استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه فيرجو أن أزيد فى ماله وولده من غير شكر وقال الحسن أن أزيد اى ادخله الجنة فأوتيه مالا وولدا كما قال لأوتين مالا وولدا (كلا) ردع له وقطع لرجائه أى لا يجمع له بعد اليوم بين الكفر والمزيد من النعم فلم يزل بعد نزول الآية فى نقصان من المال والجاه حتى هلك (انه كان لآياتنا) للقرآن (عنيدا) معاندا جاحدا وهو تعليل للردع على وجه الاستئناف كأن قائلا قال لم لا يزاد فقيل انه عاند آيات المنعم وكفر بذلك نعمته والكافر لا يستحق المزيد

منكرا الكل وقيل كان كفره كفر عناد وهو انه كان يعرف هذا بقلبه وينكره بلسانه وهو أقبح الكفر وأخبثه (سأرهقه صعودا) يعني سأكلفه مشقة من العذاب لا راحة له فيها * وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصعود عقبة في النار يتصعد فيها الكافر سبعين خريفا ثم يهوي فيها سبعين خريفا فهو كذلك أبدا أخرجه الترمذي وقال حديث غريب * وروى البغوي باسناد الثعلبي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله سأرهقه صعودا قال هو جبل من نار يكلف أن يصعده فاذا وضع يده ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت وقال الكلبي الصعود صخرة ملساء في النار يكلف الكافر أن يصعدها لا يترك يتنفس في صعوده يجذب من أمامه بسلاسل الحديد ويضرب من خلفه بمقامع من حديد فيصعدها في أربعين عاما فاذا بلغ ذروتها أحدر الى أسفلها ثم يكلف أن يصعدها يجذب من امامه ويضرب من خلفه فذلك دأبه أبدا قوله عز وجل (انه فكر وقدر) أي فكر في الامر الذي يريده ونظر فيه وتدبره ورتب في قلبه كلاما وهيأه لذلك الامر وهو المراد بقوله وقدر أي وقدر ذلك الكلام في قلبه وذلك أن الله تعالى لما أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم الى قوله المصير قام النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد يصلي والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبي صلى الله عليه وسلم لاستماعه أعاد قراءة الآية فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه من بني مخزوم فقال والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى ثم انصرف الى منزله فقالت قريش صبا والله الوليد ولتصبون قريش كلهم فقال أبو جهل أنا أكفيكموه فانطلق حتى جلس الى جنب الوليد حزينا فقال له الوليد مالي أراك حزينا يا ابن أخي فقال وما يمنعني ان لا أحزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك على كبر سنك ويزعمون انك زينت كلام محمد وانك تدخل على ابن أبي كبشة وابن أبي قحافة لتنال من فضل طعامهم فغضب الوليد وقال ألم تعلم قريش أني من أكثرهم مالا وولدا وهل شبع محمد وأصحابه من الطعام حتى يكون لهم فضل طعام ثم قام مع أبي جهل حتى أتى مجلس قومه فقال لهم تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كاهن فهل رأيتموه قط تكهن قالوا اللهم لا قال تزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه ينطق بشعر قط قالوا اللهم لا قال تزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيأ من الكذب قالوا اللهم لا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الامين قبل النبوة لصدقه فقالت قريش للوليد فما هو فتفكر في نفسه ثم قال ما هو الا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه فهو ساحر وما يقوله سحر يؤثر فذلك قوله عز وجل انه فكر أي في أمر محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقدر في نفسه ماذا يمكنه أن يقول في محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (فقتل كيف قدر) أي عذب وقيل لعن كيف قدر وهو على طريق التعجب والانكار والتوبيخ (ثم قتل كيف قدر) كرره للتأكيد وقيل معناه لعن على أي حال قدر من الكلام

(سأرهقه) سأغشيه (صعودا) عقبة شاقة المصعد وفي الحديث الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك أبدا (انه فكر) تعليل للوعيد كان الله تعالى عاجله بالفقر والذل بعد الغنى والعز لعناده ويعاقبه في الآخرة باشد العذاب لبلوغه بالعناد غايته وتسميته القرآن سحرا يعني انه فكر ماذا يقول في القرآن (وقدر) في نفسه ما يقول وهيأه (فقتل) لعن (كيف قدر) تعجيب من تقديره (ثم قتل كيف قدر) كرر للتأكيد وثم يشعر بان الدعاء الثاني أبلغ من الاول

(ثم نظر) فى وجوه الناس لو فيما قدر (ثم عبس) قطب وجهه (و بسر) زاد فى القبض والكلوح (ثم أدبر) عن الحق (واستكبر) عنه أوعن مقامه وفى مقاله وثم نظر عطف على فكر وقدر والدعاء اعتراض بينهما وايراد ثم فى المعطوفات لبيان أن بين الافعال المعطوفة تراخيا (فقال ان هذا) ما هذا (الا سحر يؤثر) يروى عن السحرة روى أن الوليد قال لبنى مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو ٤٣٢ من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبا والله الوليد فقال ابو جهل وهو ابن أخيه انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما احماه فقام الوليد فاتاهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رايتموه قط يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رايتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيأ من الكذب فقالوا فى كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه وما الذى يقوله الا سحر يؤثر عن مسيلمة واهل بابل فارتج النادى فرحا وتفرقوا متعجبين منه وذكر الفاء دليل على ان هذه الكلمة لما خطرت بباله نطق بها من غير تلبث (ان هذا الا قول البشر) ولم يذكر العاطف بين هاتين الجملتين لان الثانية جرت مجرى التوكيد للاولى (سأصليه) سأدخله بدل من سأرهقه صعودا (سقر) علم لجهنم ولم ينصرف للتعريف والتأنيث (وما أدراك ما سقر) تهويل لشأنها (لا تبقى) أى هى لا تبقى لحما (ولا تذر) عظما أو لا تبقى شيأ يلقى فيها الا أهلكته ولا تذره هالكا بل يعود كما كان (لواحة) خبر مبتدا محذوف أى هى لواحة (للبشر) جمع بشرة وهى ظاهر الجلد أى مسودة للجلود ومحرقة لها (عليها) على سقر (تسعة عشر) أى يلى أمرها تسعة عشر ملكا عند الجمهور وقيل صنفا من الملائكة وقيل صفا وقيل نقيبا (وماجعلنا أصحاب النار) اى خزنتها (الا ملائكة) لانهم خلاف جنس المعذبين فلا تاخذهم الرأفة والرقة لانهم اشد الخلق باسا فللواحد منهم قوة الثقلين (وماجعلنا عدتهم) تسعة عشر

(ثم نظر) أى فى طلب ما يدفع به القرآن ويرده (ثم عبس وبسر) أى كلح وقطب وجهه كالمهتم المتفكر فى شئ يدبره (ثم أدبر) أى عن الايمان (واستكبر) أى حين دعى اليه (فقال ان هذا) أى الذى يقوله محمد ويقرؤه (الا سحر يؤثر) يروى ويحكى عن السحرة (ان هذا الا قول البشر) يعنى يسارا وجبرا فهو يأثره عنهما قال الله تعالى (سأصليه) أى سأدخله (سقر) هو اسم من أسماء جهنم وقيل آخر دركاتها (وما ادراك ما سقر) أى وما أعلمك أى شئ هى سقر وانما ذكره على سبيل التهويل والتعظيم لامرها (لا تبقى ولا تذر) قيل هما بمعنى كما تقول صد عنى وأعرض عنى وقيل لابد من الفرق والا لزم التكرار فقيل معناه لا تبقى أحدا من المستحقين للعذاب الا أخذته ثم لا تذر من لحوم أولئك شيأ الا أكلته وأهلكته وقيل لا يموت فيها ولا يحيا اى لا تبقى من فيها حيا ولا تذر من فيها ميتا كلما احترقوا جددوا وأعيدوا وقيل لا تبقى لهم لحما ولا تذر منهم عظما وقيل لكل شئ ملال وفترة الا جهنم ليس لها ملال ولا فترة فهى لا تبقى عليهم ولا تذرهم (لواحة للبشر) جمع بشرة أى مغيرة للجلد حتى تجعله اسود وقال مجاهد تلفح الجلد حتى تدعه أشد سوادا من الليل وقال ابن عباس محرقة للجلد وقيل تلوح لهم جهنم حتى يروها عيانا (عليها تسعة عشر) أى على النار تسعة عشر من الملائكة وهم خزنتها مالك ومعه ثمانية عشر جاء فى الاثر ان أعينهم كالبرق الخاطف وأنيابهم كالصياصى يخرج لهب النار من أفواههم ما بين منكبى أحدهم مسيرة سنة قد نزعت منهم الرحمة يدفع أحدهم سبعين ألفا فيرميهم حيث أراد من جهنم وقال عمرو بن دينار ان احدهم يدفع بالدفعة الواحدة فى جهنم أكثر من ربيعة ومضر وقال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال أبو جهل لقريش ثكلتكم أمهاتكم أسمع من ابن أبى كبشة يخبر أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدهم يعنى الشجعان افيعجز كل عشرة منكم أن تبطش بواحد منهم يعنى خزنة جهنم فقال أبو الاشد بن أسيد بن كلدة بن خلف الجمحى انا أكفيكم منهم سبعة عشر عشرة على ظهرى وسبعة على بطنى واكفونى أنتم اثنين ويروى عنه انه قال أنا أمشى بين أيديكم على الصراط فادفع عشرة بمنكبى الايمن وتسعة بمنكبى الايسر فى النار ونمضى فندخل الجنة فانزل الله تعالى (وماجعلنا أصحاب النار الا ملائكة) يعنى لا رجالا آدميين فمن ذا يغلب الملائكة وانما جعلهم ملائكة ليكونوا من غير جنس المعذبين وأشد منهم لان الجنسية مظنة الرأفة والرحمة (وماجعلنا عدتهم) أى عددهم فى القلة

(الا فتنة للذين كفروا) أى ضلالة لهم حتى قالوا ما قالوا وقيل فتنتهم هى قولهم لم لم يكونوا عشرين وما الحكمة فى تخصيص هذا العدد وقيل فتنتهم هى قولهم كيف يقدر هذا العدد القليل على تعذيب جميع من فى النار وأجيب عن قولهم لم لم يكونوا عشرين بأن افعال الله تعالى لا تعلل ولا يقال فيها لم وتخصيص الزبانية بهذا العدد لامر اقتضته الحكمة وقيل وجه الحكمة فى كونهم تسعة عشر أن هذا العدد يجمع أكثر القليل وأقل الكثير ووجه ذلك ان الآحاد أقل الاعداد وأكثرها تسعة وأقل الكثير عشرة فوقع الاقتصار على عدد يجمع أقل الكثير وأكثر القليل لهذه الحكمة وما سوى ذلك من الاعداد فكثير لا يدخل تحت الحصر وأجيب عن قولهم كيف يقدر هذا العدد القليل على تعذيب جميع أهل النار وذلك بأن الله جل جلاله يعطى هذا القليل من القوة والقدرة ما يقدرون به على ذلك فن اعترف بكمال قدرة الله وانه على كل شئ قدير وان أحوال القيامة على خلاف أحوال الدنيا زال عن قلبه هذا الاستبعاد بالكلية (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) يعنى ان هذا العدد مكتوب فى التوراة والانجيل انهم تسعة عشر (ويزداد الذين آمنوا ايمانا) يعنى من آمن من أهل الكتاب يزدادون تصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان العدد كان موجودا فى كتابهم وأخبر به النبى صلى الله عليه وسلم على وفق ما عندهم من غير سابقة دراسة وتعلم علم انما حصل له ذلك بالوحى السماوى فازدادوا بذلك ايمانا وتصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم (ولا يرتاب) أى ولا يشك (الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) يعنى فى عددهم وانما قال ولا يرتاب وان كان الاستيقان يدل على نفى الارتياب ليجمع لهم بين اثبات اليقين ونفى الشك وذلك ابلغ وآكد لان فيه تعريضا بحال غيرهم كأنه قال وليخالف حالهم حال الناس المرتابين من أهل الكفر والنفاق (وليقول الذين فى قلوبهم مرض) أى شك ونفاق (والكافرون) أى مشركو مكة فان قلت لم يكن بمكة نفاق فكيف قال وليقول الذين فى قلوبهم مرض وهم المنافقون وهذه السورة مكية قلت لانه كان فى علم الله تعالى ان النفاق سيحدث فاخبره الله عما سيكون وهو كسائر الاخبار بالغيوب فعلى هذا تصير الآية معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم لانه اخبار عن غيب سيقع وقد وقع على وفق الخبر وقيل يحتمل ان يراد بالذين فى قلوبهم مرض أهل مكة لان فيهم من هو شاك وفيهم من هو قاطع بالكذب (ماذا أراد الله بهذا مثلا) يعنى أى شئ أراد الله

(الا فتنة) أى ابتلاء واختبارا (للذين كفروا) حتى قال أبو جهل لما نزلت عليها تسعة عشر ما يستطيع كل عشرة منكم أن يأخذوا واحدا منهم وأنتم الدهم فقال أبو الاشد وكان شديد البطش انا اكفيكم سبعة عشر فاكفونى أنتم اثنين فنزلت وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة أى وما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون وقالوا فى تخصيص الخزنة بهذا العدد مع انه لا يطلب فى الاعداد العلل ان ستة منهم يقودون الكفرة الى النار وستة يسوقونهم وستة يضربونهم بمقامع الحديد والآخر خازن جهنم وهو مالك وهو الاكبر وقيل فى سقر تسعة عشر دركا وقد سلط على كل درك ملك وقيل يعذب فيها بتسعة عشر لونا من العذاب وعلى كل لون ملك موكل وقيل ان جهنم تحفظ بما تحفظ به الارض من الجبال وهى تسعة عشر وان كان أصلها مائة وتسعين الا ان غيرها يتشعب عنها (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) لان عدتهم تسعة عشر فى الكتابين فاذا سمعوا بمثلها فى القرآن ايقنوا انه منزل من الله (ويزداد الذين آمنوا) بمحمد وهو عطف على ليستيقن (ايمانا) لتصديقهم بذلك كما صدقوا سائر ما أنزل أو يزدادوا يقينا لموافقة كتابهم كتاب أولئك (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) هذا عطف أيضا وفيه توكيد للاستيقان وزيادة الايمان اذ الاستيقان وازدياد الايمان دالان على انتفاء الارتياب ثم عطف على ليستيقن أيضا (وليقول الذين فى قلوبهم مرض) نفاق (والكافرون) المشركون فان قلت النفاق ظهر فى المدينة والسورة مكية قلت معناه وليقول المنافقون الذين يظهرون فى المستقبل بالمدينة بعد الهجرة والكافرون بمكة (ماذا أراد الله بهذا مثلا) وهذا اخبار بما سيكون كسائر الاخبارات بالغيوب وذا لا يخالف كون السورة مكية وقيل المراد بالمرض الشك والارتياب لان أهل مكة كان أكثرهم شاكين ومثلا تمييز لهذا أو حال منه كقوله هذه ناقة الله لكم آية ولما كان ذكر العدد فى غاية الغرابة وأن مثله حقيق بأن تسير به الركبان سيرها بالامثال سمى مثلا والمعنى أى شئ أراد الله بهذا العدد العجيب وأى معنى أراد فى أن جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين وغرضهم انكاره أصلا وانه ليس من عند الله وانه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص

(كذلك يضل الله من يشاء) الكاف نصب وذلك اشارة الى ماقبله من معنى الاضلال والهدى أى مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يعنى اضلال المنافقين والمشركين حتى قالوا ماقالوا وهدى المؤمنين لتصديقه ورؤية الحكمة فى ذلك يضل الله من يشاء من عباده وهو الذى علم منه اختيار الضلال (ويهدى من يشاء) وهو الذى علم منه اختيار الاهتداء وفيه دليل خلق الافعال ووصف الله بالهداية والاضلال ولما قال أبو جهل لعنه الله امالرب محمد أعوان الا تسعة عشر نزل (ومايعلم جنود ربك) لفرط كثرتها (الاهو) فلا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن له فى هذا العدد الخاص حكمة لاتعلمونها (وماهى) متصل بوصف سقر وهى ضميرها أى وماسقر وصفتها (الاذكرى للبشر) أى تذكرة للبشر أوضمير الآيات التى ذكرت فيها (كلا) انكار بعد أن جعلها ذكرى أن تكون لهم ذكرى لانهم لايتذكرون (والقمر) أقسم به لعظم منافعه (والليل اذ أدبر) نافع وحفص وحمزة ويعقوب وخلف وغيرهم اذا دبر ودبر بمعنى أدبر ومعناهما ولى وذهب وقيل أدبر ولى ومضى ودبر جاء بعد النهار (والصبح اذا أسفر) اضاء وجواب القسم (انها) ان سقر (لاحدى الكبر) هى جمع الكبرى أى لاحدى البلايا أو الدواهى الكبر ومعنى كونها احداهن انها من بينهن واحدة فى العظم لانظيرة لها كما تقول هو أحد الرجال وهى احدى النساء (نذيرا) تمييز من احدى أى انها لاحدى الدواهى انذارا كقولك هى احدى النساء عفافا وأبدل من (للبشر لمن شاء منكم) باعادة الجار (أن يتقدم) الى الخير (أو يتأخر) عنه وعن الزجاج الى ما أمر وعما نهى

بهذا المثل العجيب وانما سموه مثلا لانه استعارة من المثل المضروب لانه مما غرب من الكلام وبدع استغرابا منهم لهذا العدد واستبعادا له والمعنى أى غرض قصد فى جعل الملائكة تسعة عشر لاعشرين ومرادهم بذلك انكاره هذا من أصله وانه ليس من عند الله فلهذا اسموه مثلا (كذلك) أى كما أضل من أنكر عدد الخزنة وهدى من صدق به كذلك (يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء) لان الله تعالى بيده الهداية والاضلال (ومايعلم جنود ربك الاهو) هذا جواب لابى جهل حين قال أمالمحمد أعوان الا تسعة عشر والمعنى ان الخزنة تسعة عشر ولهم أعوان وجنود من الملائكة لايعلم عددهم الا الله تعالى خلقوا لتعذيب أهل النار وقيل كما ان مقدورات الله تعالى غير متناهية فكذلك جنوده غير متناهية (وماهى) يعنى النار (الاذكرى للبشر) أى الاتذكرة وموعظة للناس وقيل ماهى يعنى آيات القرآن ومواعظه الاتذكرة للناس يتعظون بها (كلا) أى لايتعظون ولايتذكرون وقيل معناه ليس الامر كما يقول من زعم انه يكفى أصحابه خزنة النار وقيل كلا هنا بمعنى حقا (والقمر والليل اذا دبر) أى ولى ذاهبا وقيل دبر بمعنى أقبل تقول العرب دبر بنى فلان أى جاء خلفى فالليل يأتى خلف النهار (والصبح اذا أسفر) أى اضاء وتبين وهذا قسم وجوابه (انها لاحدى الكبر) يعنى ان سقر لاحدى الامور العظام وقيل أراد بالكبر دركات النار وهى سبعة جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية (نذيرا للبشر) قيل يحتمل أن يكون نذيرا صفة للنار والمعنى ان النار نذير للبشر قال الحسن والله ما أنذر بشئ أدهى من النار وقيل يجوز أن يكون نذيرا صفة لله تعالى والمعنى انا لكم منها نذير فاتقوها وقيل هو صفة للنبى صلى الله عليه وسلم ومعناه ياأيها المدثر قم نذيرا للبشر فانذر (لمن شاء منكم ان يتقدم أو يتأخر) أى يتقدم فى الخير والطاعة أو يتأخر عنهما فيقع فى الشر والمعصية والمعنى ان الانذار قد حصل لكل واحد ممن آمن أو كفر وقد تمسك بهذه الآية من يرى ان العبد غير مجبور على الفعل وانه متمكن من فعل نفسه وأجيب عنه بان مشيئته تابعة لمشيئة الله تعالى وقيل اضافة المشيئة الى المخاطبين على سبيل التهديد كقوله اعملوا ماشئتم وقيل هذه المشيئة لله تعالى والمعنى لمن شاء الله منكم ان يتقدم أو يتأخر قوله تعالى (كل نفس بما كسبت رهينة) أى مرتهنة فى النار بكسبها ومأخوذة بعملها (الاأصحاب اليمين) فانهم غير مرتهنين

(كل نفس بما كسبت رهينة) هى ليست بتأنيث رهين فى قوله كل امرئ بما كسب رهين لتأنيث النفس لانه لو قصدت الصفة لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث وانما هى اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كانه قيل كل نفس بما كسبت رهن والمعنى كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك (الاأصحاب اليمين) أى أطفال المسلمين لانهم لاأعمال لهم يرهنون بها أو الا المسلمين فانهم فكوا رقابهم بالطاعة كما يخلص الراهن رهنه باداء الحق

مرتهنين بذنوبهم في النار ولكن الله يغفر لهم وقيل معناه فكوا رقاب أنفسهم باعمالهم الحسنة كما يفك الراهن رهنه باداء الحق الذي عليه واختلفوا في أصحاب اليمين من هم فقيل هم المؤمنون المخلصون وقيل هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم وقيل هم الذين كانوا على يمين آدم يوم أخذ الميثاق وحين قال الله تعالى لهم هؤلاء في الجنة ولا أبالي وقيل هم الذين كانوا ميامين أي مباركين على أنفسهم وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه انهم أطفال المسلمين وهو أشبه بالصواب لان الاطفال لم يكتسبوا اثما يرتهنون به وعن ابن عباس قال هم الملائكة (في جنات) أي هم في بساتين (يتساءلون عن المجرمين) أي يتساءلون المجرمين وعن صلة فيقولون لهم (ما سلككم في سقر) قيل وهذا يقوي قول من قال ان أصحاب اليمين هم الاطفال لانهم لم يعرفوا الذنوب التي توجب النار وقيل معناه يسأل بعضهم بعضا عن المجرمين فعلى هذا التفسير يكون معنى ما سلككم أي يقول المسؤلون للسائلين قلنا للمجرمين ما سلككم اي أدخلكم وقيل ما حبسكم في سقر وهذا سؤال توبيخ وتقريع (قالوا) مجيبين لهم (لم نك من المصلين) أي لله في الدنيا (ولم نك نطعم المسكين) أي لم نتصدق عليه (وكنا نخوض مع الخائضين) أي في الباطل (وكنا نكذب بيوم الدين) أي بيوم الجزاء على الاعمال وهو يوم القيامة (حتى أتانا اليقين) يعني الموت قال الله تعالى (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) قال ابن مسعود تشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون وجميع المؤمنين فلا يبقى في النار الا أربعة ثم تلا قالوا لم نك من المصلين الآية وقال عمران بن حصين الشفاعة نافعة لكل أحد دون هؤلاء الذين تسمعون روى البغوي بسنده عن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف أهل النار فيعذبون قال فيمر بهم الرجل من أهل الجنة فيقول للرجل منهم يا فلان فيقول ما تريد فيقول أما تذكر رجلا سقاك شربة يوم كذا وكذا قال فيقول وانك لانت هو فيقول نعم فيشفع له فيشفع فيه قال ثم يمر بهم الرجل من أهل الجنة فيقول يا فلان فيقول ما تريد فيقول أما تذكر رجلا وهب لك وضوءا يوم كذا وكذا فيقول وانك لانت هو فيقول نعم فيشفع له فيشفع فيه (فما لهم عن التذكرة معرضين) أي عن مواعظ القرآن (كأنهم حمر) جمع حمار (مستنفرة) قرئ بالكسر أي نافرة وقرئ بالفتح أي منفرة مذعورة محمولة على النفار (فرت من قسورة) قيل القسورة جماعة الرماة لا واحد له من لفظه وهي رواية عن ابن عباس وعنه انها القناص وعنه قال هي حبال الصيادين وقيل معناه فرت من رجال أقوياء وكل ضخم شديد عند العرب قسورة وقسور وقيل القسورة لغط القوم وأصواتهم وقيل القسورة شدة سواد ظلمة الليل وقال أبو هريرة هي الاسد وذلك لان الحمر الوحشية اذا عاينت الاسد هربت فكذلك هؤلاء المشركون اذا سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن هربوا منه شبههم بالحمر في البلادة والبله وذلك انه لا يرى مثل نفار حمر

(في جنات) أي هم في جنان لا يكتنه وصفها (يتساءلون عن المجرمين) يسأل بعضهم بعضا عنهم أو يتساءلون غيرهم عنهم (ما سلككم في سقر) ادخلكم فيها ولا يقال لا يطابق قوله ما سلككم وهو سؤال للمجرمين قوله يتساءلون عن المجرمين وهو سؤال عنهم وانما يطابق ذلك لو قيل يتساءلون المجرمين ما سلككم لان ما سلككم ليس ببيان للتساؤل عنهم وانما هو حكاية قول المسؤلين عنهم لان المسؤلين يلقون الى السائلين ماجرى بينهم وبين المجرمين فيقولون قلنا لهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين الا انه اختصر كما هو نهج القرآن وقيل عن زائدة (قالوا لم نك من المصلين) أي لم نعتقد فرضيتها (ولم نك نطعم المسكين) كما يطعم المسلمون (وكنا نخوض مع الخائضين) الخوض الشروع في الباطل أي نقول الباطل والزور في آيات الله (وكنا نكذب بيوم الدين) الحساب والجزاء (حتى أتانا اليقين) الموت (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) من الملائكة والنبيين والصالحين لانها للمؤمنين دون الكافرين وفيه دليل ثبوت الشفاعة للمؤمنين في الحديث ان من أمتي من يدخل الجنة بشفاعته أكثر من ربيعة ومضر (فما لهم عن التذكرة) عن التذكير وهو العظة أي القرآن (معرضين) مولين حال من الضمير نحو مالك قائما (كأنهم حمر) أي حمر الوحش حال من الضمير في معرضين (مستنفرة) شديدة النفار كأنها تطلب النفار من نفوسها وبفتح الفاء مدني وشامي أي استنفرها غيرها (فرت من قسورة) حال وقد معها مقدرة والقسورة الرماة أو الاسد فعولة من القسر وهو القهر والغلبة شبهوا في اعراضهم عن القرآن واستماع الذكر بحمر جدت في نفارها

(بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة) قراطيس تنشر وتقرأ وذلك انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تأتى كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين الى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك ونحوه قوله لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقيل قالوا ان كان محمد صادقا فليصبح عند رأس كل واحد منا صحيفة فيها

الوحش اذا خافت من شئ (بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة) قال المفسرون ان كفار قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليصبح عند رأس كل رجل منا كتاب منشور من الله انك رسوله نؤمر فيه باتباعك وقيل ان المشركين قالوا يا محمد بلغنا ان الرجل من بنى اسرائيل كان يصبح وعند رأسه ذنبه وكفارته فأتنا بمثل ذلك (كلا) أى لا يؤتون الصحف وهو ردع لهم عن هذه الاقتراحات (بل لا يخافون الآخرة) أى لا يخافون عذاب الآخرة والمعنى انهم لو خافوا النار لما اقترحوا هذه الآيات بعد قيام الادلة لانه لما حصلت المعجزات الكثيرة كفت فى الدلالة على صحة النبوة فطلب الزيادة يكون من باب التعنت (كلا) أى حقا (انه تذكرة) يعنى انه عظة عظيمة (فمن شاء ذكره) أى اتعظ به فانما يعود نفع ذلك عليه (وما يذكرون الا أن يشاء الله) أى الا ان يشاء الله لهم الهدى فيتذكروا ويتعظوا (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) أى هو حقيق بان يتقيه عباده ويخافوا عقابه فيؤمنوا به ويطيعوه وهو حقيق بان يغفر لهم ما سلف من كفرهم وذنوبهم وقيل هو اهل أن تتقى محارمه وأهل أن يغفر لمن اتقاه ٭عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى هذه الآية هو أهل التقوى وأهل المغفرة قال الله تبارك وتعالى انا أهل ان أتقى فمن اتقانى فلم يجعل معى الها فانا أهل ان أغفر له أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وفى اسناده سهيل بن عبد الله القطيعى وليس بالقوى فى الحديث وقد تفرد به عن ثابت والله تعالى اعلم بمراده

٭(تفسير سورة القيامة مكية)٭

وهى أربعون آية ومائة وتسع وتسعون كلمة وستمائة واثنان وخمسون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (لا أقسم بيوم القيامة) اتفقوا على ان المعنى اقسم واختلفوا فى لفظ لا فقيل ادخال لفظة لا على القسم مستفيض فى كلام العرب وأشعارهم قال امرؤ القيس

لا وأبيك ابنة العامرى لا يدعى القوم أنى أفر

قالوا وفائدتها تأكيد القسم كقولك لا والله ما ذاك كما تقول تريد والله فيجوز حذفها لكنه أبلغ فى الردمع اثباتها وقيل انها صلة كقول الله تعالى لئلا يعلم أهل الكتاب وفيه ضعف لانها لا تزاد الا فى وسط الكلام لا فى أوله واجيب عنه بان القرآن فى حكم السورة الواحدة بعضه متصل ببعض يدل عليه انه قد يجئ ذكر الشئ فى سورة ويذكر جوابه فى سورة أخرى كقوله يا أيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون وجوابه فى سورة ن ما أنت بنعمة ربك بمجنون واذا كان كذلك كان اول هذه السورة جاريا مجرى الوسط وفيه ضعف ايضا لان القرآن فى حكم السورة الواحدة فى عدم التناقض لا أن تقرن سورة بما

براءته وامنه من النار (كلا) ردع لهم عن تلك الارادة وزجر عن اقتراح الآيات ثم قال (بل لا يخافون الآخرة) فلذلك أعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف (كلا انه تذكرة) ردعهم عن اعراضهم عن التذكرة وقال ان القرآن تذكرة بليغة كافية (فمن شاء ذكره) أى فمن شاء أن يذكره ولا ينساه فعل فان نفع ذلك عائد اليه (وما يذكرون) وبالتاء نافع ويعقوب (الا أن يشاء الله) الا وقت مشيئة الله أو الا بمشيئة الله (هو اهل التقوى واهل المغفرة) فى الحديث هو اهل ان يتقى واهل ان يغفر لمن اتقاه والله اعلم

(سورة القيامة مكية وهى اربعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لا اقسم بيوم القيامة) اى اقسم عن ابن عباس ولا صلة كقوله لئلا يعلم وقوله

٭فى بئر لا حور سرى وما شعر٭

وكقوله

تذكرت ليلى فاعترتنى صبابة وكاد ضمير القلب لا يتقطع

وعليه الجمهور وعن الفراء لا رد لانكار المشركين البعث كانه قيل ليس الامر كما تزعمون ثم قيل اقسم بيوم القيامة وقيل أصله بعدها لأقسم كقراءة ابن كثير على ان اللام للابتداء واقسم خبر مبتدا محذوف أى لانا اقسم ويقويه انه فى الامام بغير الف ثم أشبع فظهر من الاشباع ألف وهذا اللام يصحبه نون التأكيد فى الاغلب وقد يفارقه

بعدها فذلك غير جائز وقيل لا رد لكلام المشركين المنكرين للبعث اى ليس الامر كما
زعموا ثم ابتدأ فقال اقسم بيوم القيامة واقسم بالنفس اللوامة وقيل الوجه فيه ان يقال
ان لا هي للنفي والمعنى فى ذلك كأنه قال لا اقسم بذلك اليوم ولا بتلك النفس الا اعظاما
لهما فيكون الغرض تعظيم المقسم به وتفخيم شأنه وقيل معناه لا أقسم بهذه الاشياء على
اثبات هذا المطلوب فان اثباته اظهر من أن يقسم عليه وروى البغوى فى تفسير القيامة
عن المغيرة بن شعبة قال يقولون القيامة وقيامة احدهم موته وشهد علقمة جنازة فلما
دفنت قال أما هذا فقد قامت قيامته وفيه ضعف لاتفاق المفسرين على ان المراد به
القيامة الكبرى لسياق الآيات فى ذلك وقوله (ولا أقسم بالنفس اللوامة) قيل هى
التى تلوم على الخير والشر ولا تصبر على السراء والضراء وقيل اللوامة هى التى تندم على
مافات فتقول لو فعلت ولو لم تفعل وقيل ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وهى تلوم نفسها
ان كانت عملت خيرا تقول هلا ازددت وان عملت شرا تقول ياليتنى لم افعل وقال الحسن
هى نفس المؤمن ان المؤمن ما تراه الا يلوم نفسه ما أردت بكلامى ما اردت باكلى وان
الكافر يمضى ولا يحاسب نفسه ولا يعاتبها وقيل هى النفس الشريفة التى تلوم
النفوس العاصية يوم القيامة بسبب ترك التقوى وقيل هى النفس الشريفة التى
لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت فى الطاعة وقيل هى النفس الشقية العاصية يوم
القيامة بسبب ترك التقوى وقيل هى النفس الشقية تلوم نفسها حين تعاين اهوال
يوم القيامة فتقول ياحسرتا على مافرطت فى جنب الله فان قلت أى مناسبة بين يوم
القيامة وبين النفس اللوامة حتى جمع بينهما فى القسم قلت وجه المناسبة ان فى يوم
القيامة تظهر أحوال النفوس اللوامة من الشقاوة أو السعادة فلهذا حسن الجمع بينهما
فى القسم وقيل انما وقع القسم بالنفس اللوامة على معنى التعظيم لها من حيث انها ابدا
تستقصر فعلها واجتهادها فى طاعة الله تعالى وقيل انه تعالى اقسم بيوم القيامة ولم يقسم
بالنفس اللوامة فكأنه قال اقسم بيوم القيامة تعظيما لها ولا اقسم بالنفس اللوامة
تحقيرا لها لان النفس الكافرة أو الفاجرة لا يقسم بها فان قلت المقسم به هو يوم القيامة
والمقسم عليه هو يوم القيامة فيصير حاصله أنه اقسم بيوم القيامة على وقوع القيامة
وفيه اشكال قلت ان المحققين قالوا القسم بهذه الاشياء قسم بربها فى الحقيقة فكأنه قال
اقسم برب القيامة وقيل لله تعالى ان يقسم بما يشاء من خلقه وجواب القسم محذوف
تقديره لتبعثن ثم لتحاسبن يدل عليه قوله تعالى (أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه)
وقيل جواب القسم قوله (بلى قادرين على ان نسوى بنانه) ومعنى ايحسب الانسان
ايظن هذا الكافر ان العظام بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطة بالتراب وبعد
مانسفتها الريح فطيرتها فى اباعد الارض ان لن نجمع عظامه أى لا يمكننا جمعها مرة اخرى
وكيف خطر بباله هذا الخاطر الفاسد وما علم ان القادر على الابداء قادر على الاعادة
نزلت هذه الآية فى عدى بن ربيعة حليف بنى زهرة وهو ختن الاخنس بن شريق
الثقفى وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفنى جارى السوء يعنى عديا

(ولا أقسم بالنفس اللوامة)
الجمهور على انه قسم آخر وعن
الحسن اقسم بيوم القيامة ولم
يقسم بالنفس اللوامة فهى صفة
ذم وعلى القسم صفة مدح أى
النفس المتقية التى تلوم على
التقصير فى التقوى وقيل هى
نفس آدم لم تزل تلوم على فعلها
التى خرجت به من الجنة وجواب
القسم محذوف أى لتبعثن دليله
(أيحسب الانسان) اى الكافر
المنكر للبعث (ان لن نجمع
عظامه) بعد تفرقها ورجوعها
رفاتا مختلطا بالتراب (بلى)
أوجبت ما بعد النفى أى بلى
نجمعها (قادرين) حال من
الضمير فى نجمع أى نجمعها
قادرين على جمعها واعادتها
كما كانت (على أن نسوى
بنانه) أصابعه كما كانت فى
الدنيا بلا نقصان وتفاوت مع
صغرها فكيف بكبار العظام

والاخنس وذلك أن عديا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد حدثني متى تكون القيامة وكيف أمرها وحالها فاخبره النبي صلى الله عليه وسلم فقال عدي بن ربيعة لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك ولم أومن بك أو يجمع الله العظام فانزل الله عز وجل أيحسب الانسان يعني هذا الكافر أن لن نجمع عظامه يعني بعد التفرق والبلاء فنحييه كما كان أول مرة وقيل ذكر العظام وأراد بها نفسه جميعها لان العظام قالب النفوس ولا يستوي الخلق الا باستوائها وقيل انما خرج على وفق قول هذا المنكر أو يجمع الله العظام بلى قادرين يعني على جمع عظامه وتأليفها واعادتها الى التركيب الاول والحالة والهيئة الاولى وعلى ما هو اعظم من ذلك وهو ان نسوي بنانه يعني أنامله فنجعل أصابع يديه ورجليه شيأ واحدا كخف البعير أو كحافر الحمار فلا يقدر ان يرتفق بها بالقبض والبسط والاعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة وغيرهما وقيل معناه اظن الكافر أن لن نقدر على جمع عظامه بلى نقدر على جمع عظامه حتى نعيد السلاميات على صغرها الى أماكنها ونؤلف بينها حتى تستوي البنان فمن يقدر على جمع العظام الصغار فهو على جمع كبارها اقدر وهذا القول اقرب الى الصواب وقيل انما خص البنان بالذكر لانه آخر ما يتم به الخلق قوله تعالى (بل يريد الانسان ليفجر أمامه) أي ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان ما عاش لا ينزع عن المعاصي ولا يتوب وقال سعيد بن جبير يقدم الذنب ويؤخر التوبة ويقول سوف اتوب سوف أعمل حتى يأتيه الموت وهو على سوء حاله وشر أعماله وقيل هو طول الامل يقول اعيش فاصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت وقال ابن عباس يكذب بما امامه من البعث والحساب وأصل الفجور الميل وسمي الكافر والفاسق فاجرا لميله عن الحق (يسئل أيان يوم القيامة) أي متى يكون يوم القيامة والمعنى ان الكافر يسأل سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة قال الله تعالى (فاذا برق البصر) أي شخص البصر عند الموت فلا يطرف مما يرى من العجائب التي كان يكذب بها في الدنيا وقيل تبرق أبصار الكفار عند رؤية جهنم وقيل برق اذا فزع وتحير لما يرى من العجائب وقيل برق أي شق عينه وفتحها من البريق وهو التلألؤ (وخسف القمر) اي اظلم وذهب ضوءه (وجمع الشمس والقمر) يعني اسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران وقيل يجمع بينهما في ذهاب الضوء وقيل يجمعان ثم يقذفان في البحر فهناك نار الله الكبرى (يقول الانسان) يعني الكافر المكذب (يومئذ) أي يوم القيامة (أين المفر) أي المهرب وهو موضع الفرار (كلا) أي لا ملجأ لهم يهربون اليه وهو قوله (لا وزر) أي لا حرز ولا ملجأ ولا جبل وكانوا اذا فزعوا لجؤا الى الجبل فتحصنوا به فقيل لهم لا جبل لكم يومئذ تتحصنون به واصل الوزر الجبل المنيع وكل ما التجأت اليه وتحصنت به فهو وزر ومنه قول كعب بن مالك

الناس الب علينا فيك ليس لنا * الا السيوف واطراف القنا وزر

ومعنى الآية انه لا شئ يعصمهم من أمر الله تعالى لا حصن ولا جبل يوم القيامة يستندون اليه من النار (الى ربك يومئذ المستقر) يعني مستقر الخلق وقال عبد الله بن

(بل يريد الانسان) عطف على أيحسب فيجوز أن يكون مثله استفهاما (ليفجر أمامه) ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمن (يسئل أيان) متى (يوم القيامة) سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة (فاذا برق البصر) تحير فزعا وبفتح الراء مدنى شخص (وخسف القمر) أي ذهب ضوءه أوغاب من قولهم خسف فمابه وقرأ أبو حيوة بضم الخاء (وجمع الشمس والقمر) أي جمع بينهما في الطلوع من المغرب أو جمعا في ذهاب الضوء أو يجمعان فيقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى (يقول الانسان) الكافر (يومئذ أين المفر) هو مصدر أي الفرار من النار أو المؤمن أيضا من الهول وقرأ الحسن بكسر الفاء وهو يحتمل المكان والمصدر (كلا) ردع عن طلب المفر (لا وزر) لا ملجأ (الى ربك) خاصة (يومئذ المستقر) مستقر العباد او موضع قرارهم من جنة أو نار مفوض ذلك لمشيئته من شاء أدخله الجنة ومن شاء أدخله النار

مسعود اليه المصير والمرجع وهو بمعنى الاستقرار وقيل الى ربك مستقرهم أى موضع قرارهم من جنة أو نار وذلك مفوض الى مشيئته فمن شاء أدخله الجنة برحمته ومن شاء أدخله النار بعدله (ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر) قال ابن مسعود وابن عباس بما قدم قبل موته من عمل صالح أو سيء وما أخر بعد موته من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها وعن ابن عباس أيضا بما قدم من المعصية وأخر من الطاعة وقيل بما قدم من طاعة الله وأخر من حق الله فضيعه وقيل بأول عمله وآخره وهو ما عمله فى أول عمره وفى آخره وقيل بما قدم من ماله لنفسه قبل موته وما أخر من ماله لورثته (بل الانسان على نفسه بصيرة) أى بل الانسان على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه ويشهدون عليه بعمله وهى سمعه وبصره وجوارحه وانما دخلت الهاء فى البصيرة لان المراد من الانسان جوارحه وقيل معناه بل الانسان على نفسه عين بصيرة وفى رواية عن ابن عباس بل الانسان على نفسه شاهد فتكون الهاء للمبالغة كعلامة (ولو ألقى معاذيره) يعنى ولو اعتذر بكل عذر وجادل عن نفسه فانه لا ينفعه لانه قد شهد عليه شاهد من نفسه وقيل معناه ولو اعتذر فعليه من نفسه ما يكذب عذره وقيل ان أهل اليمن يسمون الستر معذارا وجمعه معاذير فعلى هذا يكون معناه ولو أرخى الستور وأغلق الابواب ليخفى ما يعمل فان نفسه شاهدة عليه وهذا فى حق الكافر لانه ينكر يوم القيامة فتشهد عليه جوارحه بما عمل فى الدنيا قوله عز وجل (لا تحرك به لسانك لتعجل به) (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه قال ابن جبير قال ابن عباس أنا أحركهما كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما فحرك شفتيه فأنزل الله عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه قال جمعه فى صدرك ثم تقرأه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه قال فاستمع وأنصت ثم ان علينا ان تقرأه قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتاه جبريل بعد ذلك استمع فاذا انطلق جبريل قرأه النبى صلى الله عليه وسلم كما قرأه وفى رواية كما وعده الله تعالى لفظ الحميدى ورواه البغوى من طريق البخارى وقال فيه كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه جبريل بالوحى كان مما يحرك لسانه وشفتيه فيشتد عليه وكان يعرف منه فأنزل الله عز وجل الآية التى فى لا أقسم بيوم القيامة لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا ان نجمعه فى صدرك وتقرأه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه فاذا أنزلناه فاستمع ثم ان علينا بيانه علينا ان نبينه بلسانك قال فكان اذا أتاه جبريل أطرق فاذا ذهب قرأه كما وعده الله تعالى وفى رواية كان يحرك شفتيه اذا نزل عليه يخشى ان ينفلت منه فقيل له لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه أى نجمعه فى صدرك وقرآنه أى تقرأه ومعنى الآية لا تحرك بالقرآن لسانك وانما جاز هذا الاضمار وان لم يجر له ذكر لدلالة الحال عليه لتعجل به أى بأخذه (ان علينا جمعه) أى جمعه فى صدرك وحفظك اياه (وقرآنه) أى وقراءته علينا والمعنى سنقرئك يا محمد بحيث تصير لا تنساه (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) أى لا تكن قراءتك مقارنة لقراءة جبريل عليك بل

للمبالغة كعلامة أو أنثه لانه أراد به جوارحه اذ جوارحه تشهد عليه أو هو حجة على نفسه والبصيرة الحجة قال الله تعالى قد جاءكم بصائر من ربكم وتقول لغيرك أنت حجة على نفسك وبصيرة رفع بالابتداء وخبره على نفسه تقدم عليه والجملة خبر الانسان كقولك زيد على رأسه عمامة والبصيرة على هذا يجوز ان يكون الملك الموكل عليه (ولو ألقى معاذيره) ولو أرخى ستوره والمعذار الستر وقيل ولو جاء بكل معذرة ما قبلت منه فعليه من يكذب عذره والمعاذير ليس بجمع معذرة لان جمعها معاذر بل هى اسم جمع لها ونحوه المناكير فى المنكر (لا تحرك به) بالقرآن (لسانك لتعجل به) بالقرآن وكان صلى الله عليه وسلم يأخذ فى القراءة قبل فراغ جبريل كراهة أن ينفلت منه فقيل له لا تحرك لسانك بقراءة الوحى ما دام جبريل يقرأ لتعجل به لتأخذه على عجلة ولئلا ينفلت منك ثم علل النهى عن العجلة بقوله (ان علينا جمعه) فى صدرك (وقرآنه) واثبات قراءته فى لسانك والقرآن القراءة ونحوه ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه (فاذا قرأناه) اى قرأه عليك جبريل فجعل قراءة جبريل قراءته (فاتبع قرآنه) اى قراءته عليك

اسكت حتى يتم جبريل ما يوحي اليك فاذا فرغ جبريل من القراءة فخذ أنت فيها وجعل قراءة جبريل قراءته لأنه بأمره نزل بالوحي ونظيره من يطع الرسول فقد أطاع الله وقيل معناه اعمل به واتبع حلاله وحرامه والقول الاول أولى لان هذا ليس موضع الامر باتباع حلاله وحرامه وانما هو موضع الامر بالاستماع حتى يفرغ جبريل من قراءته فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اذا نزل عليه جبريل بالوحي أصغى اليه فاذا فرغ من قراءته وعاه النبي صلى الله عليه وسلم وحفظه (ثم ان علينا بيانه) أي ان نبينه بلسانك فتقرأ كما أقرأك جبريل وقيل اذا أشكل شيء من معانيه فنحن نبينه لك وعلينا بيان ما فيه من الاحكام والحلال والحرام وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أشكل عليه شيء سأل جبريل عن معانيه لغاية حرصه على العلم فقيل له نحن نبينه لك قوله تعالى (كلا) أي حقا (بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) أي تختارون الدنيا على العقبى وتعملون لها يخاطب كفار مكة (وجوه يومئذ) أي يوم القيامة (ناضرة) من النضارة وهي الحسن قال ابن عباس حسنة وقيل مسرورة بالنعيم وقيل ناعمة وقيل مسفرة مضيئة وقيل بيض يعلوها نور وبهاء وقيل مشرقة بالنعيم (الى ربها ناظرة) قال ابن عباس وأكثر المفسرين تنظر الى ربها عيانا بلا حجاب قال الحسن حق أن تنضر وهي تنظر الى الخالق سبحانه وتعالى وروي عن مجاهد وأبي صالح أنهما فسرا النظر في هذه الآية بالانتظار قال مجاهد تنتظر من ربها ما أمرها به وقال أبو صالح تنتظر الثواب من ربها قال الازهري ومن قال ان معنى قوله الى ربها ناظرة بمعنى منتظرة فقد أخطأ لان العرب لا تقول نظرت الى الشيء بمعنى انتظرته انما تقول نظرت فلانا أي انتظرته ومنه قول الحطيئة

وقد نظرتكم اعشاء صادرة * للورد طال بها حوزي وتنساسي

فاذا قلت نظرت اليه لم يكن الا بالعين واذا قلت نظرت في الامر احتمل أن يكون تفكرا فيه وتدبرا بالقلب وهذا آخر كلامه ويشهد لصحة هذا ان النظر الوارد في التنزيل بمعنى الانتظار كثير ولم يوصل في موضع بالى كقوله انظرونا نقتبس من نوركم وقوله هل ينظرون الا تأويله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله واوجها اذا وصف بالنظر وعدي بالى لم يحتمل غير الرؤية واما قوله انظر الى الله ثم اليك على معنى أتوقع فضل الله ثم فضلك فيكون النظر الى الوجه لم يحتمل نظر القلب انما يجوز هذا اذا لم يسند الى الوجه فاذا أسند النظر الى الوجه لم يحتمل نظر القلب ولا الانتظار واذا بطل المعنيان لم يبق لبقاء الرؤية كلام وان شق ذلك عليهم والاحاديث الصحيحة تعضد قول من فسر النظر في هذه الآية بالرؤية وسنذكرها ان شاء الله تعالى

(فصل في اثبات رؤية المؤمنين ربهم سبحانه وتعالى في الآخرة) قال علماء أهل السنة رؤية الله سبحانه وتعالى ممكنة غير مستحيلة عقلا وأجمعوا على وقوعها في الآخرة وان المؤمنين يرون الله سبحانه وتعالى دون الكافرين بدليل قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وزعمت طوائف من أهل البدع كالمعتزلة والخوارج وبعض المرجئة أن الله تعالى لا يراه أحد من خلقه وان رؤيته مستحيلة عقلا وهذا الذي قالوه خطأ صريح

وجهل

(ثم ان علينا بيانه) اذا أشكل عليك شيء من معانيه (كلا) ردع عن انكار البعث او ردع لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن العجلة وانكارها عليه واكده بقوله (بل تحبون العاجلة) كأنه قيل بل أنتم يا بني آدم لانكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون في كل شيء ومن ثم تحبون العاجلة الدنيا وشهواتها (وتذرون الآخرة) الدار الآخرة ونعيمها فلا تعملون لها والقراءة فيهما بالتاء مدني وكوفي (وجوه) هي وجوه المؤمنين (يومئذ ناضرة) حسنة ناعمة (الى ربها ناظرة) بلا كيفية ولا جهة ولا ثبوت مسافة وحمل النظر على الانتظار لامر ربها او ثوابه لا يصح لانه يقال نظرت فيه أي تفكرت ونظرته انتظرته ولا يعدى بالى الا بمعنى الرؤية مع انه لا يليق الانتظار في دار القرار

وجهل قبيح وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الامة على اثبات رؤية الله تعالى وقد رواها نحو من عشرين صحابيا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآيات القرآن فيها مشهورة واعتراضات المبتدعة عليها لها أجوبة مشهورة فى كتب المتكلمين من أهل السنة وكذلك باقى شبههم وأجوبتها مشهورة مستفاضة فى كتب الكلام وليس هذا موضع ذكرها ثم مذهب أهل الحق أن الرؤية قوة يجعلها الله فى خلقه ولا يشترط فيها اتصال الاشعة ولا مقابلة المرئى ولا غير ذلك وأما الاحاديث الواردة فى اثبات الرؤية فمنها ماروى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جناته وأزواجه ونعمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة أخرجه الترمذى وقال هذا حديث غريب وقال وقد روى عن ابن عمر رضى الله عنهما ولم يرفعه (ق) عن جرير ابن عبد الله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته فان استطعتم أن لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب قوله لا تضامون روى بفتح التاء وتشديد الميم وقد تضم التاء مع التشديد أيضا ومعناه لا ينضم بعضكم الى بعض ولا تزدحمون وقت النظر اليه وروى بتخفيف الميم ومعناه لا ينالكم ضيم فى رؤيته فيراه بعضكم دون بعض وقوله انكم سترون ربكم عيانا كما ترون القمر معناه تشبيه الرؤية بالرؤية فى الوضوح وزوال الشك والمشقة لا تشبيه المرئى بالمرئى * عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ان ناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون فى القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم سترونه كذلك أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذى وليس عنده فى أوله ان ناسا سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا قوله ليس دونها سحاب قال الترمذى وقد روى مثل هذا الحديث عن أبى سعيد وهو صحيح وهذا الحديث طرف من حديث طويل قد أخرجه البخارى ومسلم ومعنى تضارون وتضامون واحد * عن أبى رزين العقيلى قال قلت يا رسول الله أكلنا يرى ربه مخليا به يوم القيامة قال نعم قلت وما آية ذلك فى خلقه قال يا أبا رزين أليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليا به قلت بلى قال فالله أعظم انما هو خلق من خلق الله يعنى القمر فالله أجل وأعظم أخرجه ابو داود (م) عن صهيب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيأ أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما اعطوا شيأ أحب اليهم من النظر الى ربهم تبارك وتعالى والاحاديث فى الباب كثيرة وهذا القدر كاف والله أعلم قوله عز وجل (ووجوه يومئذ باسرة) أى عابسة كالحة متغيرة مسودة قد أظلمت ألوانها

(ووجوه يومئذ باسرة) كالحة شديدة العبوسة وهى وجوه الكفار

(تظن) تتوقع (أن يفعل بها) فعل هو فى شدته (فاقرة) داهية تقصم فقار الظهر (كلا) ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة كأنه قيل ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا على ما بين ايديكم من الموت الذى عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنتقلون الى الآجلة التى تبقون فيها مخلدين (اذا بلغت) اى الروح وجاز وان لم يجر لها ذكر لان الآية تدل عليها (التراقى) العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال جمع ترقوة (وقيل من راق) يقف حفص على من وقيفة أى قال حاضروا المحتضر بعضهم لبعض أيكم يرقيه مما به من الرقية من حد ضرب أو هو من كلام الملائكة أيكم يرقى بروحه أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب من الرقى من حد علم (وظن) أيقن المحتضر (أنه الفراق) ان هذا الذى نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة (والتفت الساق بالساق) التوت ساقاه عند موته وعن سعيد بن المسيب هما ساقاه حين تلفان فى اكفانه وقيل شدة فراق الدنيا بشدة اقبال الآخرة على أن الساق مثل فى الشدة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هما همان هم الاهل والولد وهم القدوم على الواحد الصمد (الى ربك يومئذ المساق) هو مصدر ساقه أى مساق العباد الى حيث أمر الله اما الى الجنة أو الى النار (فلا صدق) بالرسول والقرآن (ولا صلى) الانسان فى قوله أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه (ولكن كذب) بالقرآن (وتولى) عن الايمان أو فلا صدق ماله يعنى فلا زكاه (ثم ذهب الى اهله يتمطى) يتبختر وأصله يتمطط أى يتمدد لان المتبختر يمد خطاه فابدلت الطاء ياء لاجتماع ثلاثة احرف متماثلة (أولى لك) بمعنى ويل لك وهو دعاء عليه بان يليه ما يكره (فأولى ثم أولى لك فأولى) كرر للتأكيد كأنه قال ويل لك فويل لك ثم ويل لك فويل لك وقيل ويل لك يوم الموت وويل لك فى القبر وويل لك حين البعث وويل لك فى النار

وعدمت آثار النعمة والسرور منها لما أدركها من اليأس من رحمة الله تعالى وذلك حين يميز بين أهل الجنة والنار (تظن) أى تستيقن والظن هنا بمعنى اليقين (أن يفعل بها فاقرة) أن يفعل بها أمر عظيم من العذاب والفاقرة الداهية العظيمة والامر الشديد الذى يكسر فقار الظهر ويقصمه وقيل الفاقرة دخول النار وقيل هى أن تحجب تلك الوجوه عن رؤية الله تعالى (كلا) أى حقا (اذا بلغت) يعنى النفس كناية عن غير مذكور (التراقى) جمع ترقوة وهى العظام التى بين ثغرة النحر والعاتق ويكنى ببلوغ النفس التراقى عن الاشراف على الموت ومنه قول دريد بن الصمة

ورب عظيمة دافعت عنها ✽ وقد بلغت نفوسهم التراقى

(وقيل) يعنى وقال من حضره (من راق) أى هل من طبيب يرقيه ويداويه مما نزل ويشفيه ويخلصه من ذلك برقيته ودوائه وقيل لما نزل به من قضاء الله ما نزل التمسوا الاطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيأ وقيل هذا من قول الملائكة الذين يحضرونه عند الموت يقول بعضهم لبعض من يرقى بروحه اذا خرجت فيصعد بها ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب (وظن) اى أيقن الذى بلغت روحه التراقى (انه الفراق) بعد الخروج من الدنيا وفراق المال والاهل والولد (والتفت) أى اجتمعت (الساق بالساق) أى الشدة بالشدة يعنى شدة مفارقة الدنيا مع شدة الموت وكربه وقيل شدة الموت بشدة الآخرة وقيل تتابعت عليه الشدائد لا يخرج من كرب الا جاءه ما هو اشد منه وقال ابن عباس أمر الدنيا بأمر الآخرة فكان فى آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة وقيل الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه وقيل هما ساقا الميت اذا التفتا فى الكفن وقيل هما ساقاه عند الموت ألا تراه كيف يضرب باحد رجليه على الاخرى عند النزع وقيل اذا مات يبست ساقاه فالتفت احداهما بالاخرى (الى ربك يومئذ المساق) اى مرجع العباد الى الله تعالى يساقون اليه يوم القيامة ليفصل بينهم قوله تعالى (فلا صدق ولا صلى) يعنى أبا جهل لم يصدق بالقرآن ولم يصل لله تعالى (ولكن كذب وتولى) اى أعرض عن الايمان والتصديق (ثم ذهب الى أهله يتمطى) أى يتبختر ويختال فى مشيته وقيل اصله يتمطط أى يتمدد من المط وقيل من المطا وهو الظهر لانه يلويه (أولى لك فأولى) هذا وعيد على وعيد من الله تعالى لابى جهل وهى كلمة موضوعة للتهديد والوعيد ومعناه ويل لك مرة بعد مرة وهو دعاء عليه بان يليه ما يكرهه وقيل معناه انك أجدر بهذا العذاب وأحق وأولى به يقال ذلك لمن يصيبه مكروه يستوجبه قال قتادة ذكر لنا أن النبى صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية اخذ بمجامع ثوب أبى جهل بالبطحاء وقال له أولى لك فأولى (ثم أولى لك فأولى) قال فقال

أبو

أبو جهل أتتوعدني يا محمد والله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيأ وإني لأعز من مشى بين جبليها فلما كان يوم بدر صرعه الله شر صرعة وقتله أشد قتلة وكان نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لكل أمة فرعونا وان فرعون هذه الامة أبو جهل (أيحسب الانسان أن يترك سدى) أي هملا لا يؤمر ولا ينهى ولا يكلف في الدنيا ولا يحاسب في الآخرة (ألم يك نطفة) أي ماء قليلا (من مني يمنى) أي يصب في الرحم والمعنى كيف يليق بمن خلق من شيء قذر مستقذر أن يتكبر ويتمرد عن الطاعة (ثم كان علقة) أي صار الانسان علقة بعد النطفة (فخلق فسوى) أي فقدر خلقه وسواه وعدله وقيل نفخ فيه الروح وكمل أعضاءه (فجعل منه) أي من الانسان (الزوجين) أي الصنفين ثم فسرهما فقال (الذكر والانثى) أي خلق من مائه أولادا ذكورا واناثا (أليس ذلك) أي الذي فعل هذا وأنشأ الاشياء أول مرة (بقادر على أن يحيي الموتى) أي بقادر على اعادته بعد الموت * عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى الى آخرها أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ لا أقسم بيوم القيامة فانتهى الى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى فليقل بلى ومن قرأ والمرسلات فبلغ فبأي حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله أخرجه أبو داود * وله عن موسى بن أبي عائشة قال كان رجل يصلي فوق بيته فكان اذا قرأ أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى قال سبحانك بلى فسألوه عن ذلك فقال سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى أعلم

(تفسير سورة هل أتى وتسمى سورة الانسان أيضا)

وهي مدنية كذا قال مجاهد وقتادة والجمهور وقيل مكية يحكى ذلك عن ابن عباس وعطاء بن يسار ومقاتل وقيل فيها مكي ومدني فالمكي منها قوله ولا تطع منهم آثما أو كفورا وباقيها مدني قاله الحسن وعكرمة وقيل ان المدني من أولها الى قوله تعالى انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا ومن هذه الآية الى آخرها مكي حكاه الماوردي وهي احدى وثلاثون آية ومائتان وأربعون كلمة وألف وأربعة وخمسون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (هل أتى) أي قد أتى (على الانسان) يعني آدم عليه الصلاة والسلام (حين من الدهر) يعني مدة أربعين سنة وهو من طين ملقى (م) عن أنس رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه فجعل ابليس يطيف به وينظر اليه فلما رآه اجوف عرف انه خلق لا يتمالك قوله يطيف به أي يدور حوله فلما رآه اجوف أي صاحب جوف وقيل هو الذي داخله خال وقوله عرف انه خلق لا يتمالك أي لا يملك نفسه ويحبسها عن الشهوات وقيل لا يملك دفع الوسواس عنه وقيل لا يملك نفسه عند الغضب وروي في تفسير الآية ان آدم بقي أربعين سنة طينا وأربعين سنة حمأ مسنونا وأربعين سنة صلصالا كالفخار فتم خلقه

(أيحسب الانسان ان يترك سدى) أيحسب الكافر ان يترك مهملا لا يؤمر ولا ينهى ولا يبعث ولا يجازى (ألم يك نطفة من مني يمنى) بالياء ابن عامر وحفص أي يراق المني في الرحم وبالتاء يعود الى النطفة (ثم كان علقة) اي صار المني قطعة دم جامد بعد اربعين يوما (فخلق فسوى) فخلق الله منه بشرا سويا (فجعل منه) من الانسان (الزوجين الذكر والانثى) اي من المني الصنفين (أليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى) أليس الفعال لهذه الاشياء بقادر على الاعادة وكان صلى الله عليه وسلم اذا قرأها يقول سبحانك بلى والله اعلم

(سورة الانسان مكية وهي احدى وثلاثون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هل أتى) قد مضى (على الانسان) آدم عليه السلام (حين من الدهر) اربعون سنة مصورا قبل نفخ الروح فيه

بعد مائة وعشرين سنة (لم يكن شيأ مذكورا) أي لا يذكر ولا يعرف ولا يدري ما اسمه ولا ما يراد به وذلك قبل أن ينفخ فيه الروح كان شيأ ولم يكن شيأ يذكر روى عن عمر انه سمع رجلا يقرأ هذه الآية لم يكن شيأ مذكورا فقال عمر ليتها تمت يعني ليته بقي على ما كان عليه ويروى نحوه عن أبي بكر وابن مسعود وقيل المراد بالانسان جنس الانسان وهم بنو آدم بدليل قوله (انا خلقنا الانسان) فالانسان في الموضعين واحد فعلى هذا يكون معنى قوله حين من الدهر طائفة من الدهر غير مقدرة لم يكن شيأ مذكورا يعني انهم كانوا نطفا في الاصلاب ثم علقا ومضغا في الارحام لم يذكروا بشيء انا خلقنا الانسان يعني ولد آدم (من نطفة) أي من مني الرجل ومني المرأة (أمشاج) أي اخلاط قال ابن عباس وغيره يعني ماء الرجل وماء المرأة يختلطان في الرحم فيكون منهما الولد فماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق فأيهما علا صاحبه كان الشبه له وما كان من عصب وعظم فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة وقيل الامشاج اختلاف ألوان النطفة فنطفة الرجل بيضاء ونطفة المرأة صفراء وكل لونين اختلطا فهو امشاج وقال ابن مسعود هي العروق التي تكون في النطفة وقيل هي نطفة مشجت أي خلطت بدم وهو دم الحيض فاذا أحبلت المرأة ارتفع دم الحيض وقيل الامشاج أطوار الخلق نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما ثم يكسوه لحما ثم ينشئه خلقا آخر وقيل ان الله تعالى جعل في النطفة أخلاطا من الطبائع التي تكون في الانسان من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة فعلى هذا يكون التقدير من نطفة ذات أمشاج (نبتليه) أي نختبره بالامر والنهي (فجعلناه سميعا بصيرا) قيل فيه تقديم وتأخير تقديره فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه لان الابتلاء لا يقع الا بعد تمام الخلقة وقيل معناه انا خلقنا الانسان من هذه الامشاج للابتلاء والامتحان ثم ذكر أنه أعطاه ما يصح معه الابتلاء وهو السمع والبصر وهما كنايتان عن الفهم والتمييز وقيل المراد بالسمع والبصر الحاستان المعروفتان وانما خصهما بالذكر لانهما أعظم الحواس وأشرفها (انا هديناه السبيل) أي بينا له سبيل الحق والباطل والهدى والضلالة وعرفناه طريق الخير والشر وقيل معناه أرشدنا الى الهدى لانه لا يطلق اسم السبيل الا عليه والمراد من هداية السبيل نصب الدلائل وبعثة الرسل وانزال الكتب (اما شاكرا واما كفورا) يعني اما موحدا طائعا لله واما مشركا بالله في علم الله وذلك ان الله تعالى بين سبيل التوحيد ليتبين شكر الانسان من كفره وطاعته من معصيته وقيل في معنى الآية اما مؤمنا سعيدا واما كافرا شقيا وقيل معناه الجزاء أي بينا له الطريق ان شكر أو كفر وقيل المراد من الشاكر الذي يكون مقرا معترفا بوجوب شكر خالقه سبحانه وتعالى عليه والمراد من الكفور الذي لا يقر بوجوب الشكر عليه ثم بين ما للفريقين فوعد الشاكر وأوعد الكافر فقال تعالى (انا أعتدنا) أي هيأنا في جهنم (للكافرين سلاسل) أي يشدون بها (وأغلالا) أي في أيديهم تغل بها الى أعناقهم (وسعيرا) يعني وقودا لا توصف شدته وهذا من أعظم أنواع

بأنه قد اتى عليه حين من الدهر ومحل لم يكن شيأ مذكورا النصب على الحال من الانسان أي أتى عليه حين من الدهر غير مذكور (انا خلقنا الانسان) اى ولد آدم وقيل الاول ولد آدم أيضا وحين من الدهر على هذا مدة لبثه في بطن امه الى ان صار شيأ مذكورا بين الناس (من نطفة امشاج) نعت او بدل منها أي من نطفة قد امتزج فيها الماآن ومشجت ومزجت بمعنى ونطفة امشاج كبرمة اعشار فهو مفرد غير جمع ولذا وقع صفة للمفرد (نبتليه) حال اى خلقناه مبتلين أي مريدين ابتلاءه بالامر والنهي له (فجعلناه سميعا بصيرا) ذا سمع وبصر (انا هديناه السبيل) بيناله طريق الهدى بادلة العقل والسمع (اما شاكرا) مؤمنا (واما كفورا) كافرا حال من الهاء في هديناه اى ان شكر أو كفر فقد هديناه السبيل في الحالين او من السبيل اى عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز ولما ذكر الفريقين اتبعهما ما اعد لهما فقال (انا اعتدنا للكافرين سلاسل) جمع سلسلة بغير تنوين حفص ومكي وابو عمرو وحمزة وبه لينا سب اغلالا وسعيرا اذ يجوز صرف غير المنصرف للتناسب غيرهم (واغلالا) جمع غل (وسعيرا) نارا موقدة وقال

الترهيب والتخويف ثم ذكر ما أعد للشاكرين الموحدين فقال تعالى (ان الابرار)
يعني المؤمنين الصادقين في ايمانهم المطيعين لربهم واحدهم بار وبر وأصله التوسع فمعنى
البر المتوسع في الطاعة (يشربون من كأس) يعني فيها شراب (كان مزاجها كافورا)
قيل يمزج لهم شرابهم بالكافور ويختم بالمسك فان قلت ان الكافور غير لذيذ وشربه
مضر فما وجه مزج شرابهم به قلت قال أهل المعاني أراد كالكافور في بياضه وطيب
ريحه وبرده لان الكافور لا يشرب وقال ابن عباس هو اسم عين في الجنة والمعنى ان ذلك
الشراب يمازجه شراب ماء هذه العين التي تسمى كافورا ولا يكون في ذلك ضرر لان أهل
الجنة لا يمسهم ضرر فيما يأكلون ويشربون وقيل هو كافور لذيذ طيب الطعم ليس فيه
مضرة وليس ككافور الدنيا ولكن الله سمى ما عنده بما عندكم يمزج شرابهم بذلك
الكافور والمسك والزنجبيل (عينا) بدل من الكافور وقيل أعني عينا (يشرب بها) اى
يشرب منها (عباد الله) قال ابن عباس أولياء الله (يفجرونها تفجيرا) اى يقودونها الى
حيث شاؤا من منازلهم وقصورهم تفجيرا سهلا لا يمتنع عليهم قوله تعالى (يوفون
بالنذر) لما وصف الله تعالى ثواب الابرار في الآخرة وصف أعمالهم في الدنيا التي
يستوجبون بها هذا الثواب والمعنى كانوا في الدنيا يوفون بالنذر والنذر الايجاب والمعنى
يوفون بما فرض الله عليهم فيدخل فيه جميع الطاعات من الايمان والصلاة والزكاة
والصوم والحج والعمرة وغير ذلك من الواجبات وقيل النذر في عرف الشرع واللغة ان
يوجب الرجل على نفسه شيأ ليس بواجب عليه وذلك بان يقول لله على كذا وكذا من
صدقة أو صلاة أو صوم أو حج أو عمرة يعلق ذلك بامر يلتمسه من الله وذلك بان يقول ان
شفى الله مريضى أو قدم غائبى كان لله على كذا ولو نذر في معصية لا يجب الوفاء به (خ) عن
عائشة رضى الله تعالى عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نذر ان
يطيع الله فليف بنذره ومن نذر ان يعصى الله فلا يف به وفي رواية فليطعه ولا يعصه
وعنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نذر في معصية الله وكفارته كفارة يمين
أخرجه الترمذي وأبو داود والنسائي (ق) عن ابن عباس قال استفتى سعد بن عبادة
رسول الله صلى الله عليه وسلم في نذر كان على أمه فتوفيت قبل ان تقضيه فامره ان
يقضيه عنها أخرجه الجماعة وفي الآية دليل على وجوب الوفاء بالنذر وهذا مبالغة في
وصفهم باداء الواجبات لان من وفى بما أوجبه على نفسه كان لما أوجبه الله عليه أوفى
(ويخافون يوما كان شره مستطيرا) اى منتشرا فاشيا ممتدا وقيل استطار خوفه في أهل
السموات وأهل الارض وفي أولياء الله وأعدائه وقيل فشا شره في السموات فانشقت
وتناثرت الكواكب وفزعت الملائكة وكورت الشمس والقمر وفي الارض فتشققت
الجبال وغارت المياه وكسر كل شيء على الارض من جبل وبناء والمعنى انهم يوفون
بالنذر وهم خائفون من شر ذلك اليوم وهوله وشدته قوله عز وجل (ويطعمون الطعام
على حبه) اى حب الطعام وقلته وشهوتهم له والحاجة اليه فوصفهم الله تعالى بانهم
يؤثرون غيرهم على أنفسهم بالطعام ويواسون به أهل الحاجة وذلك لان أشرف

(ان الابرار) جمع بر أو بار كرب
وأرباب وشاهد وأشهاد وهم
الصادقون في الايمان أو الذين
لا يؤذون الذر ولا يضمرون الشر
(يشربون من كاس) خمر فنفس
الخمر تسمى كاسا وقيل الكاس
الزجاجة اذا كان فيها خمر (كان
مزاجها) ما تمزج به (كافورا)
ماء كافور وهو اسم عين في الجنة
ماؤها في بياض الكافور
ورائحته وبرده (عينا) بدل منه
(يشرب بها عباد الله) أى منها او
الباء زائدة او هو محمول على المعنى
اى يلتذ بها او يروى بها وانما
قال أولا بحرف من وثانيا بحرف
الباء لان الكاس مبتدأ شربهم
واول غايته واما العين فبها
يمزجون شرابهم فكانه قيل يشرب
عباد الله بها الخمر (يفجرونها)
يجرونها حيث شاؤا من منازلهم
(تفجيرا) سهلا لا يمتنع عليهم
(يوفون بالنذر) بما اوجبوا
على أنفسهم وهو جواب من
عسى أن يقول مالهم يرزقون
ذلك والوفاء بالنذر مبالغة في
وصفهم بالتوفر على أداء
الواجبات لان من وفى بما
أوجبه على نفسه لوجه الله كان
بما أوجبه الله عليه اوفى
(ويخافون يوما كان شره)
شدائده (مستطيرا) منتشرا من
استطار الفجر (ويطعمون
الطعام على حبه) اى حب
الطعام مع الاشتهاء والحاجة
اليه او على حب الله

(مسكينا) فقيرا عاجزا عن الاكتساب (ويتيما) صغيرا لا أب له (وأسيرا) مأسورا مملوكا أو غيره ثم عللوا اطعامهم فقالوا
(انما نطعمكم لوجه الله) اي لطلب ثوابه أو هو بيان من الله عز وجل عما في ضمائرهم لان الله تعالى علمه
منهم فأثنى عليهم وان لم يقولوا
شيأ (لا نريد منكم جزاء) هدية
على ذلك (ولا شكورا) ثناء
وهو مصدر كالشكر (انا نخاف
من ربنا) اي انا لا نريد منكم
المكافأة لخوف عقاب الله على
طلب المكافأة بالصدقة أو انا
نخاف من ربنا فنتصدق لوجهه
حتى نأمن من ذلك الخوف (يوما
عبوسا قمطريرا) وصف اليوم
بصفة أهله من الاشقياء نحو
نهارك صائم والقمطرير
الشديد العبوس الذي يجمع
ما بين عينيه (فوقاهم الله شر
ذلك اليوم) صانهم من شدائده
(ولقاهم) أعطاهم بدل عبوس
الفجار (نضرة) حسنا في الوجوه
(وسرورا) فرحا في القلوب
(وجزاهم بما صبروا) بصبرهم
على الايثار نزلت في علي وفاطمة
وفضة جارية لهما لما مرض الحسن
والحسين رضي الله عنهما نذروا
صوم ثلاثة أيام فاستقرض
علي رضي الله عنه من يهودي
ثلاثة أصوع من الشعير فطحنت
فاطمة رضي الله عنها كل يوم
صاعا وخبزت فآثروا بذلك
ثلاث عشايا على أنفسهم مسكينا
ويتيما وأسيرا ولم يذوقوا الا
الماء في وقت الافطار (جنة)
بستانا فيه مأكل هنيء (وحريرا)
ملبسا بهيا (متكئين) حال من هم
في جزائهم (فيها) في الجنة (على الارائك) الاسرة جمع الاريكة (لا يرون)

أنواع الاحسان والبر اطعام الطعام لان به قوام الابدان وقيل على حب الله عز وجل
أي لحب الله (مسكينا) يعني فقيرا وهو الذي لا مال له ولا يقدر على الكسب
(ويتيما) أي صغيرا وهو الذي لا أب له يكتسب له وينفق عليه (وأسيرا) قيل هو
المسجون من أهل القبلة يعني من المسلمين وقيل الاسير هو من أهل الشرك أمر الله
بالاسرى أن يحسن اليهم وان اسراهم يومئذ أهل الشرك فعلى هذا الوجه يجوز اطعام
الاسرى وان كانوا على غير ديننا وانه يرجى ثوابه ولا يجوز ان يعطوا من الصدقة الواجبة
كالزكاة والكفارة وقيل الاسير المملوك وقيل الاسير المرأة لقول النبي صلى الله عليه
وسلم اتقوا الله في النساء فانهن عندكم عوان يعني اسرى وقيل غريمك أسيرك فاحسن الى
أسيرك واختلفوا في سبب نزول الآية فقيل نزلت في رجل من الانصار يقال له أبو
الدحداح صام يوما فلما كان وقت الافطار جاءه مسكين ويتيم وأسير فاطعمهم ثلاثة
أرغفة وبقي له ولاهله رغيف واحد فنزلت هذه الآية فيه وروي عن ابن عباس انها
نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وذلك انه عمل ليهودي بشيء من شعير
فقبض ذلك الشعير فطحن منه ثلثه وأصلحوا منه شيأ يأكلونه فلما فرغ أتى مسكين
فسأل فاعطوه ذلك ثم عمل الثلث الثاني فلما فرغ أتى يتيم فسأل فاعطوه ذلك ثم عمل
الثلث الباقي فلما تم نضجه أتى أسير من المشركين فسأل فاعطوه ذلك وطووا يومهم
وليلتهم فنزلت هذه الآية وقيل الآية عامة في كل من أطعم المسكين واليتيم والاسير لله
تعالى وآثر على نفسه (انما نطعمكم لوجه الله) اي لاجل وجه الله تعالى (لا نريد منكم
جزاء ولا شكورا) قيل انهم لم يتكلموا به ولكن علم الله ذلك من قلوبهم فأثنى به عليهم
وقيل قالوا ذلك منعا للمحتاجين من المكافأة وقيل قالوا ذلك ليقتدي بهم غيرهم في ذلك
وذلك ان الاحسان الى الغير تارة يكون لاجل الله تعالى لا يراد به غيره فهذا هو
الاخلاص وتارة يكون لطلب المكافأة أو لطلب الحمد من الناس أو لهما وهذان القسمان
مردودان لا يقبلهما الله تعالى لان فيهما شركا ورياء فنفوا ذلك عنهم بقولهم انما نطعمكم
لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا (انا نخاف من ربنا يوما) يعني أن احساننا اليكم
للخوف من شدة ذلك اليوم لا لطلب مكافأتكم (عبوسا) وصف ذلك اليوم بالعبوس
مجازا كما يقال نهاره صائم والمراد أهله والمعنى تعبس فيه الوجوه من هوله وشدته وقيل
وصف اليوم بالعبوس لما فيه من الشدة (قمطريرا) يعني شديدا كريها يقبض الوجوه
والجباه بالتعبيس وقيل العبوس الذي لا انبساط فيه والقمطرير الشديد وقيل هو
أشد ما يكون من الايام وأطوله في البلاء (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) اي الذي يخافونه
(ولقاهم نضرة) أي حسنا في وجوههم (وسرورا) اي في قلوبهم (وجزاهم بما صبروا)
اي على طاعة الله واجتناب معصيته وقيل على الفقر والجوع مع الوفاء بالنذر والايثار
(جنة وحريرا) اي أدخلهم الجنة وألبسهم الحرير (متكئين فيها) اي في الجنة (على
الارائك) جمع أريكة وهي السرر في الحجال ولا تسمى أريكة الا اذا اجتمعا (لا يرون

حال من الضمير المرفوع في متكئين غير رائين (فيها) في الجنة (شمسا ولا زمهريرا) لانه لا شمس فيها ولا زمهرير فظلها دائم
وهواؤها معتدل لا حر شمس يحمى ولا شدة برد يؤذي وفي الحديث هواء الجنة سجسج لا حر ولا قر فالزمهرير البرد الشديد وقيل
القمر أي الجنة مضيئة لا يحتاج فيها الى شمس وقمر (ودانية عليهم ظلالها) قريبة منهم ظلال أشجارها عطفت على جنة
أي وجنة أخرى دانية عليهم ظلالها كأنهم وعدوا بجنتين لانهم وصفوا بالخوف بقوله انا نخاف من ربنا ولمن
خاف مقام ربه جنتان (وذللت) سخرت للقائم والقاعد والمتكئ وهو حال من دانية اي تدنو ظلالها عليهم في حال تذليل قطوفها عليهم او معطوفة عليها أي ودانية عليهم ظلالها ومذللة (قطوفها) ثمارها جمع قطف (تذليلا ويطاف عليهم بآنية من فضة) أي يدير عليهم خدمهم كؤس الشراب والآنية جمع اناء وهو وعاء الماء (واكواب) أي من فضة جمع كوب وهو ابريق لا عروة له (كانت قواريرا) كان تامة اي كونت فكانت قوارير بتكوين الله نصب على الحال (قوارير من فضة) اي مخلوقة من فضة فهي جامعة لبياض الفضة وحسنها وصفاء القوارير وشفيفها حيث يرى ما فيها من الشراب من خارجها قال ابن عباس رضي الله عنهما قوارير كل ارض من تربتها وارض الجنة فضة قرأ نافع والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر بالتنوين فيهما وحمزة
وابن عامر وأبو عمرو وحفص بغير تنوين فيهما وابن كثير بتنوين الاول والتنوين في الاول لتناسب الآي المتقدمة
والمتأخرة وفي الثاني لاتباعه الاول والوقف على الاول قد قيل ولا يوثق به لان الثاني بدل من الاول (قدروها تقديرا) صفة
لقوارير من فضة أي أهل الجنة قدروها على اشكال مخصوصة فجاءت كما قدروها تكرمة لهم أو السقاة جعلوها على قدر ري
شاربها فهي ألذ لهم وأخف عليهم وعن مجاهد لا تفيض ولا تغيض (ويسقون) أي الابرار (فيها) في الجنة (كأسا) خمرا
كان مزاجها زنجبيلا عينا) بدل من زنجبيلا (فيها) في الجنة (تسمى) تلك العين (سلسبيلا) سميت العين زنجبيلا لطعم الزنجبيل
بها والعرب تستلذه وتستطيبه وسلسبيلا لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها قال أبو عبيدة ماء سلسبيل أي عذب طيب

فيها شمسا ولا زمهريرا) يعني لا يؤذيهم حر الشمس ولا برد الزمهرير كما كان يؤذيهم في
الدنيا والزمهرير أشد البرد وحكى الزمخشري قولا أن الزمهرير هو القمر وعن ثعلب
انه في لغة طيء وأنشد

وليلة ظلامها قد اعتكر * قطعتها والزمهرير ما زهر

والمعنى ان الجنة ضياء لا يحتاج فيها الى شمس وقمر (ودانية عليهم ظلالها) أي قريبة
منهم ظلال أشجارها (وذللت) أي سخرت وقربت (قطوفها) أي ثمارها (تذليلا) أي
يأكلون من ثمارها قياما وقعودا ومضطجعين ويتناولونها كيف شاؤا وعلى أي حال
أرادوا (ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب) قيل هي الكيزان التي لا عرى لها
كالقدح ونحوه (كانت قواريرا قوارير من فضة) قال أهل التفسير أراد بياض الفضة
في صفاء القوارير فهو والزجاج والمعنى أن آنية أهل الجنة من فضة بيضاء في صفاء
الزجاج والمعنى يرى ما في باطنها من ظاهرها قال الكلبي ان الله تبارك وتعالى جعل
قوارير كل قوم من تراب أرضهم وان أرض الجنة من فضة فجعل منها قوارير يشربون
فيها وقيل ان القوارير التي في الدنيا من الرمل والقوارير التي في الجنة من الفضة
ولكنها أصفى من الزجاج (قدروها تقديرا) أي قدروا الكؤس على قدر ريهم
وكفايتهم لا تزيد ولا تنقص والمعنى ان السقاة والخدم الذين يطوفون عليهم يقدرونها
لهم ثم يسقونهم (ويسقون فيها) أي في الجنة (كأسا كان مزاجها زنجبيلا) قيل ان
الزنجبيل هو اسم للعين التي يشرب منها الابرار يوجد منها طعم الزنجبيل يشرب بها المقربون
صرفا ويمزج لسائر أهل الجنة وقيل هو النبت المعروف والعرب كانوا يجعلون الزنجبيل
في شرابهم لانه يحصل فيه ضرب من اللذع قال الاعشى

كأن القرنفل والزنجبيل * باتا بفيها وأريا مشورا

الاري العسل والمشور المستخرج من بيوت النحل وقال المسيب بن علس

فكأن طعم الزنجبيل به * اذ ذقته وسلافة الخمر

فلما كان الزنجبيل مستطابا عند العرب وصف الله تعالى شراب أهل الجنة بذلك وقيل
ان شراب أهل الجنة على برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك قال ابن عباس كل ما
ذكر الله تعالى في القرآن مما في الجنة وسماه ليس له مثل في الدنيا وذلك لان زنجبيل الجنة
لا يشبه زنجبيل الدنيا (عينا فيها تسمى سلسبيلا) أي سلسة منقادة لهم يصرفونها حيث

(ويطوف عليهم ولدان) غلمان ينشئهم الله لخدمة المؤمنين أو ولدان الكفرة يجعلهم الله تعالى خدما لاهل الجنة (مخلدون) لايموتون (اذا رأيتهم حسبتهم) لحسنهم وصفاء الوانهم وانبثاثهم فى مجالسهم (لؤلؤا منثورا) وتخصيص المنثور لانه ازين فى النظر من المنظوم (واذا رأيت ثم) ظرف اى فى الجنة وليس لرايت مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع فى كل مرئى تقديره واذا اكتسبت الرؤية فى الجنة (رأيت نعيما) كثيرا (وملكا كبيرا) واسعا روى ان ادنى اهل الجنة منزلة ينظر فى ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه وقيل ملك لا يعقبه هلاك اولهم فيها مايشاؤن او تسلم عليهم الملائكة ويستأذنون فى الدخول عليهم (عاليهم) بالنصب على انه حال من الضمير فى يطوف عليهم اى يطوف عليهم ولدان عاليا بالمطوف عليهم ثياب وبالسكون مدنى وحمزة على انه مبتدأ خبره (ثياب سندس) اى مايعلوهم من ملابسهم ثياب سندس رقيق الديباج (خضر) جمع اخضر (واستبرق) غليظ برفعهما حملا على الثياب نافع وحفص وبجرهما حمزة وعلى حملا على سندس وبرفع الاول وجر الثانى اوعكسه غيرهم (وحلوا) عطف على ويطوف (اساور من فضة) وفى سورة الملائكة يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا قال ابن المسيب لا احد من اهل الجنة الا وفى يده ثلاثة اسورة واحدة من فضة واخرى من ذهب واخرى من لؤلؤ (وسقاهم ربهم) اضيف اليه تعالى للتشريف والتخصيص وقيل ان الملائكة يعرضون عليهم الشراب فيأبون قبوله منهم ويقولون لقد طال اخذنا من الوسائط فاذاهم بكاسات تلاقى افواههم بغير اكف من غيب الى عبد ابن (شرابا طهورا) ليس برجس كخمر الدنيا لان كونها رجسا بالشرع لا بالعقل ولا تكليف ثم اولانه لم يعصر فتمسه الايدى الوضرة وتدوسه الاقدام الدنسة يقال لاهل الجنة (ان هذا) النعيم (كان لكم جزاء) لاعمالكم (وكان سعيكم مشكورا) محمودا مقبولا مرضيا عندنا حيث قلتم للمسكين واليتيم والاسير لانريد منكم جزاء ولا شكورا (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) تكرير الضمير بعد ايقاعه اسما لان تأكيد على تأكيد لمعنى اختصاص الله بالتنزيل ليستقر فى نفس النبى صلى الله عليه وسلم انه اذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله مفرقا الا حكمة وصوابا ومن الحكمة الامر بالمصابرة

شاؤا وقيل حديدة الجرية وقيل سميت سلسبيلا لانها تسيل عليهم فى طرقهم ومنازلهم تنبع من أصل العرش من جنة عدن الى سائر الجنان وقيل سميت بذلك لانها فى غاية السلاسة تتسلسل فى الحلق ومعنى تسمى أى توصف لان أكثر العلماء على ان سلسبيلا صفة لا اسم (ويطوف عليهم ولدان مخلدون) أى فى الخدمة وقيل مخلدون مسرورون ومقرطون (اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) يعنى فى بياض اللؤلؤ الرطب وحسنه وصفائه واللؤلؤ اذا انتثر على البساط كان أصفى منه منظوما وقيل انما شبهوا بالمنثور لانتشارهم فى الخدمة قوله عز وجل (واذا رأيت) قيل الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وقيل لكل واحد ممن يدخل الجنة والمعنى اذا رأيت ببصرك ونظرت به (ثم) يعنى الى الجنة (رأيت نعيما) أى لا يوصف عظمه (وملكا كبيرا) قيل هو أن أدناهم منزلة من ينظر فى ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه وقيل هو أن رسول رب العزة من الملائكة لا يدخل عليه الا باذنه وهو استئذان الملائكة عليهم وقيل معناه ملكا لا زوال له ولا انتقال (عاليهم) أى فوقهم (ثياب سندس خضر) وهو مارق من الديباج (واستبرق) وهو ماغلظ منه وكلاهما داخل فى اسم الحرير (وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا) يعنى طاهرا من الاقذار والادران لم تمسه الايدى ولم تدنسه الارجل كخمر الدنيا وقيل انه لا يستحيل بولا ولكنه يستحيل رشحا فى أبدانهم كريح المسك وذلك انهم يؤتون بالطعام ثم من بعده يؤتون بالشراب الطهور فيشربون منه فتطهر بطونهم ويصير ما أكلوا رشحا يخرج من جلودهم أطيب من المسك الاذفر وتضمر بطونهم وتعود شهواتهم وقيل الشراب الطهور هو عين ماء على باب الجنة من شرب منه نزع الله ما كان فى قلبه من غل وغش وحسد (ان هذا كان لكم جزاء) أى يقال لاهل الجنة بعد دخولهم فيها ومشاهدتهم نعيمها ان هذا كان لكم جزاء قد أعده الله لكم الى هذا الوقت فهو لكم باعمالكم وقيل هو اخبار من الله تعالى لعباده المؤمنين انه قد أعده لهم فى الآخرة (وكان سعيكم مشكورا) أى شكرتكم عليه وآتيتكم أفضل منه وهو الثواب وقيل شكر الله لعباده هو رضاه منهم بالقليل من الطاعة واعطاؤه اياهم الكثير من الخيرات قوله عز وجل (انا نحن نزلنا عليك) أى يا محمد (القرآن تنزيلا) قال

(فاصبر لحكم ربك) عليك بتبليغ الرسالة واحتمال الاذية وتأخير نصرتك على أعدائك من أهل مكة (ولا تطع منهم) من الكفرة للضجر من تأخير الظفر (آثما) راكبا لما هو اثم داعيا لك اليه (أو كفورا) فاعلا لما هو كفر داعيا لك اليه لانهم اما ان يدعوه الى مساعدتهم على فعل ماهو اثم أو كفر أو غير اثم ولا كفر فنهى أن يساعدهم على الاولين دون الثالث

ابن عباس متفرقا آية بعد آية ولم ننزله جملة واحدة والمعنى انزلنا عليك القرآن متفرقا لحكمة بالغة تقتضي تخصيص كل شئ بوقت معين والمقصود من ذلك تثبيت قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرح صدره وان الذي أنزله اليه وحي منه ليس بكهانة ولاسحر لتزول تلك الوحشة التي حصلت له من قول الكفار انه سحر او كهانة (فاصبر لحكم ربك) أي لعباداته فهي من الحكمة المحضة وقيل معناه فاصبر لحكم ربك في تأخير الاذن في القتال وقيل هو عام في جميع التكاليف أي فاصبر لحكم ربك في كل ما حكم الله به سواء كان تكليفا خاصا كالعبادات والطاعات أو عاما متعلقا بالغير كالتبليغ وأداء الرسالة وتحمل المشاق وغير ذلك (ولا تطع منهم آثما او كفورا) يعني وكفورا قيل أراد به أبا جهل وذلك انه لما فرضت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم نهاه أبو جهل عنها وقال لئن رأيت محمدا يصلي لأطأن عنقه وقيل أراد بالآثم عتبة بن ربيعة وبالكفور الوليد بن المغيرة وذلك انهما قالا للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت صنعت ما صنعت لاجل النساء والمال فارجع عن هذا الامر وقال عتبة انا أزوجك ابنتي وأسوقها اليك بغير مهر وقال الوليد أنا أعطيك من المال حتى ترضى فارجع عن هذا الامر فانزل الله تعالى هذه الآية فان قلت هل من فرق بين الآثم والكفور قلت نعم الآثم هو المقدم على المعاصي أي معصية كانت والكفور هو الجاحد فكل كفور آثم ولا ينعكس لان من عبد غير الله فقد اجتمع في حقه هذان الوصفان لانه لما عبد غير الله فقد عصاه وجحد نعمه عليه (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا) قيل المراد من الذكر الصلاة والمعنى وصل لربك بكرة يعني صلاة الصبح وأصيلا يعني صلاة الظهر والعصر (ومن الليل فاسجد له) يعني صلاة المغرب والعشاء فعلى هذا تكون الآية جامعة لمواقيت الصلاة الخمس (وسبحه ليلا طويلا) يعني صلاة التطوع بعد المكتوبة وهو التهجد بالليل وقيل المراد من الآية هو الذكر باللسان والمقصود ان يكون ذاكرا لله تعالى في جميع الاوقات في الليل والنهار بقلبه وبلسانه قوله عز وجل (ان هؤلاء) يعني كفار مكة (يحبون العاجلة) يعني الدار العاجلة وهي الدنيا (ويذرون وراءهم) يعني أمامهم (يوما ثقيلا) يعني شديدا وهو يوم القيامة والمعنى انهم يتركونه فلا يؤمنون به ولا يعملون له (نحن خلقناهم وشددنا) أي قوينا واحكمنا (أسرهم) أي خلقهم وقيل أوصالهم شددنا بعضها الى بعض بالعروق والاعصاب وقيل الاسر مجرى البول والغائط وذلك انه اذا خرج الاذى انقبضا (واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا) أي اذا شئنا أهلكناهم وأتينا باشباههم فجعلناهم بدلا منهم (ان هذه) أي السورة (تذكرة) أي تذكير وعظة (فمن شاء اتخذ) أي لنفسه في الدنيا (الى ربه سبيلا) أي وسيلة بالطاعة

وقيل الآثم عتبة لانه كان ركابا للمآثم والفسوق والكفور الوليد لانه كان غاليا في الكفر والجحود والظاهر ان المراد كل آثم وكافر أي لا تطع أحدهما واذا نهى عن طاعة أحدهما لا بعينه فقد نهى عن طاعتهما معا ومتفرقا ولو كان بالواو لجاز ان يطيع أحدهما لان الواو للجمع فيكون منهيا عن طاعتهما لا عن طاعة أحدهما واذا نهى عن طاعة احدهما لا بعينه كان عن طاعتهما جميعا انهى وقيل أو بمعنى ولا أي ولا تطع آثما ولا كفورا (واذكر اسم ربك) صل له (بكرة) صلاة الفجر (وأصيلا) صلاة الظهر والعصر (ومن الليل فاسجد له) وبعض الليل فصل صلاة العشاءين (وسبحه ليلا طويلا) أي تهجد له هزيعا طويلا من الليل ثلثيه أو نصفه أو ثلثه (ان هؤلاء) الكفرة (يحبون العاجلة) يؤثرونها على الآخرة (ويذرون وراءهم) قدامهم أو خلف ظهورهم (يوما ثقيلا) شديدا لا يعبؤن به وهو يوم القيامة لان شدائده تثقل على الكفار (نحن خلقناهم وشددنا) احكمنا (أسرهم) أي خلقهم عن ابن عباس رضي الله عنهما والفراء (واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا) أي اذا شئنا اهلاكهم أهلكناهم وبدلنا أمثالهم في الخلقة ممن يطيع (ان هذه) السورة (تذكرة) عظة (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) بالتقرب اليه بالطاعة له واتباع رسوله

(وما تشاؤن) اتخاذ السبيل الى الله وبالياء مكي وشامي وأبو عمرو ومحـل (الا أن يشاء الله) النصب عـلى الظرف أي الاوقت مشيئة الله وانما يشاء الله ذلك ممن عـلم منه اختياره ذلك وقيـل هو لعموم المشيئة في الطاعة والعصيان والكفر والايمان فيكون حجة لنا على المعتزلة (ان الله كان عليما) بما يكون منهم من الاحوال (حكيما) مصيبا في الاقوال والافعال (يدخل من يشاء) وهم المؤمنون (في رحمته) جنته ٥٠٠ لانها برحمتـه تنال وهو حجة على المعتزلة لانهـم يقولون قد شاء أن يدخـل كلا في رحمتـه لانه شاء ايمان الكل ولله تعالى أن يدخـل من يشاء في رحمتـه وهو الذى عـلم منـه انه يختار الهـدى (والظالمين) الكافرين لانهم وضعوا العبادة في غير موضعها ونصب بفـعل مضمر يفسره (أعد لهـم عـذابا أليما) نحو وعدوكا أ

(سورة المرسلات مكية وهي خمسون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والمرسلات عرفا فالعاصفات عصـفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عـذرا أو نذرا) أقسم سبحانه وتعالى بطوائف من الملائكة ارسلهن باوامره فعصفن في مضيهن وبطوائف منهم نشرن اجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي أو نشرن الشرائع في الارض أو نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما أوحين ففرقن بين الحق والباطل فالقين ذكرا الى الانبياء عليهـم السـلام عـذرا للمحقين أو نذرا للمبطلـين أو أقسم برياح عـذاب ارسلهن فعصفن وبرياح رحمـة نشرن السحاب في الجو ففرقن بينه كقوله ويجعله كسفا فألقين ذكرا اما عذرا للذين يعتذرون الى الله بتوبتهم واستغفارهم اذا رأوا نعمة الله في الغيث ويشكرونها هم واما انذارا للذين لا يشكرون وينسبون ذلك الى الانواء وجعلن ملقيات للذكر باعتبار السببية عرفا حال أي متتابعـة كعرف الفرس يتلو بعضه بعضا أو مفعول له أي أرسلن للاحسان والمعروف وعصفا ونشرا مصدران اونذرا أبو عمرو وكوفي غير أبي بكر وحماد والعذر والنذر مصدران من عذر اذا محا الاساءة ومن أنذر اذا خوف على فعل كالكفر والشكر وانتصابهما على البدل من ذكرا او على المفعول له

والتقرب اليه وهذه مما يتمسك بها القدرية يقولون اتخاذ السبيل هو عبارة عن التقرب الى الله تعالى وهو الى اختيار العبد ومشيئته قال أهل السنة ويرد عليهم قوله عز وجل في سياق الآية (وما تشاؤن الا أن يشاء الله) أي لستم تشاؤن الا بمشيئة الله تعالى لان الامر اليه ومشيئة الله مستلزمة لفعل العبد فجميع ما يصدر عن العبد بمشيئة الله جل جلاله وتعالى شأنه (ان الله كان عليما) أي باحوال خلقـه وما يكون منهم (حكيما) أي حيث خلقهـم مع علمه بهم (يدخـل من يشاء في رحمته) أي في دينه وقيل في جنتـه فان فسرت الرحمة بالدين كان ذلك من الله تعالى وان فسرت بالجنة كان دخول الجنة بسبب مشيئة الله جل جـلاله وتعالى شأنه وفضـله واحسانه لا بسبب الاستحقاق (والظالمين) يعني المشركين (أعد لهم عذابا أليما) أي مؤلما والله سبحانه وتعالى أعلم

(تفسير سورة المرسلات)

مكية وهي خمسون آية ومائة وثمانون كلمة وثمانمائة وستة عشر حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (والمرسـلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عـذرا أو نذرا) اعـلم ان المفسرين ذكروا في هـذه الكلمات الخمس وجوها الاول ان المراد باسرها الرياح ومعـنى المرسـلات عرفا الرياح أرسلت متتابعـة كعرف الفرس وقيـل عرفا أي كثيرا فالعاصفات عصفا يعني الرياح الشـديدة الهبوب والناشرات نشرا يعني الرياح اللينة وقيل هي الرياح التي أرسلها نشرا بين يدي رحمتـه وقيل هي الرياح التي تنشر السحاب وتأتي بالمطر فالفارقات فرقا يعني الرياح التي تفرق السحاب وتبـدده فالملقيات ذكرا يعـني ان الرياح اذا أرسلت عاصـفة شـديدة قلعت الاشجار وخربت الديار وغـيرت الآثار فيحصـل بذلك خوف للعباد في القلوب فيلجؤن الى الله تعالى ويذكرونه فصارت تلك الرياح كانها القت الذكر والمعرفة في القلوب عند هبوبها * الوجه الثـاني ان المراد باسرها الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى ومعنى المرسلات عرفا المـلائكة الذين أرسلوا بالمعروف من أمر الله ونهيه وهذا القول رواية عن ابن مسـعود فالعاصفات عصفا يعني الملائكة تعصف في طيرانهـم ونزولهـم كعصف الرياح في السرعة والناشرات نشرا يعني انهـم اذا نزلوا الى الارض نشروا اجنحتهم وقيل

هم الذين ينشرون الكتب ودواوين الاعمال يوم القيامة فالفارقات فرقا قال ابن عباس يعنى الملائكة تأتى بما يفرق بين الحق والباطل فالملقيات ذكرا يعنى الملائكة تلقى الذكر الى الانبياء وقيل يجوز أن يكون الذكر هو القرآن خاصة فعلى هذا يكون الملقى هو جبريل وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم * الوجه الثالث ان المراد بأسرها آيات القرآن ومعنى والمرسلات عرفا آيات القرآن المتتابعة فى النزول على محمد صلى الله عليه وسلم بكل عرف وخير فالعاصفات عصفا يعنى آيات القرآن تعصف القلوب بذكر الوعيد حتى تجعلها كالعصف وهو النبت المتكسر والناشرات نشرا يعنى آيات القرآن تنشر أنوار الهداية والمعرفة فى قلوب المؤمنين فالفارقات فرقا يعنى آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل فالملقيات ذكرا يعنى آيات القرآن وهى الذكر الحكيم الذى يلقى الايمان والنور فى قلوب المؤمنين الوجه الرابع انه ليس المراد من هذه الكلمات الخمس شيأ واحدا بعينه فعلى هذا يكون المراد بقوله تعالى والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا الرياح ويكون المراد بقوله فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا الملائكة فان قلت وما المجانسة بين الرياح والملائكة حتى جمع بينهما فى القسم قلت الملائكة روحانيون فهم بسبب لطافتهم وسرعة حركاتهم شابهوا الرياح فحصلت المجانسة بينهما من هذا الوجه فحسن الجمع بينهما فى القسم عذرا أو نذرا أى للاعذار والانذار من الله وقيل عذرا من الله ونذرا منه الى خلقه وهذه كلها أقسام وجواب القسم قوله تعالى (ان ماتوعدون) اى من أمر الساعة ومجيئها (لواقع) أى لكائن نازل لامحالة وقيل معناه ان ماتوعدون به من الخير والشر لواقع بكم ثم ذكر متى يقع فقال تعالى (فاذا النجوم طمست) أى محى نورها وقيل محقت (واذا السماء فرجت) أى شقت وقيل فتحت (واذا الجبال نسفت) أى قلعت من أماكنها (واذا الرسل أقتت) وقرئ وقتت بالواو ومعناهما واحد أى جمعت لميقات يوم معلوم وهو يوم القيامة ليشهدوا على الامم (لاى يوم أجلت) اى أخرت وضرب الاجل لجمعهم كأنه تعالى يعجب العباد من تعظيم ذلك اليوم والمعنى جمعت الرسل فى ذلك اليوم لتعذيب من كذبهم وتعظيم من آمن بهم ثم بين ذلك اليوم فقال تعالى (ليوم الفصل) قال ابن عباس يوم يفصل الرحمن فيه بين الخلائق ثم اتبع ذلك تعظيما وتهويلا فقال تعالى (وما أدراك مايوم الفصل) أى وما أعلمك بيوم الفصل وهوله وشدته (ويل يومئذ للمكذبين) أى بالتوحيد والنبوة والمعاد والبعث والحساب قوله تعالى (ألم نهلك الاولين) يعنى الامم الماضية بالعذاب فى الدنيا حين كذبوا رسلهم (ثم نتبعهم الآخرين) يعنى السالكين سبيلهم فى الكفر والتكذيب وهم كفار قريش أى نهلكهم بتكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم (كذلك نفعل بالمجرمين) أى انما نفعل بهم ذلك لكونهم مجرمين (ويل يومئذ للمكذبين ألم نخلقكم من ماء مهين) يعنى النطفة (فجعلناه فى قرار مكين) يعنى الرحم (الى قدر

(ان ماتوعدون) ان الذى توعدونه من مجيء يوم القيامة (لواقع) لكائن نازل لاريب فيه وهو جواب القسم ولا وقف الى هنا لوصل الجواب بالقسم (فاذا النجوم طمست) محيت أو ذهب بنورها وجواب فاذا محذوف والعامل فيها جوابها وهو وقوع الفصل ونحوه والنجوم فاعل فعل يفسره طمست (واذا السماء فرجت) فتحت فكانت أبوابا (واذا الجبال نسفت) قلعت من أماكنها (واذا الرسل أقتت) أى وقتت كقراءة أبى عمرو أبدلت الهمزة من الواو ومعنى توقيت الرسل تبيين وقتها الذى يحضرون فيه للشهادة على أممهم (لاى يوم أجلت) أخرت وأمهلت وفيه تعظيم لليوم وتعجيب من هوله والتأجيل من الاجل كالتوقيت من الوقت (ليوم الفصل) تعجيب آخر وتعظيم لامره وهو بيان ليوم التأجيل وهو اليوم الذى يفصل فيه بين الخلائق (وما أدراك مايوم الفصل) تعجيب آخر وتعظيم لامره (ويل) مبتدأ وان كان نكرة لانه فى أصله مصدر منصوب ساد مسد فعله ولكنه عدل به الى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ونحوه سلام عليكم (يومئذ) ظرفه (للمكذبين) بذلك اليوم خبره (ألم نهلك الاولين) الامم الخالية المكذبة (ثم نتبعهم الآخرين) مستأنف بعد وقف وهو وعيد لاهل مكة أى ثم نفعل بأمثالهم من الآخرين مافعلنا بالاولين لانهم كذبوا مثل تكذيبهم (كذلك) مثل ذلك الفعل الشنيع (نفعل بالمجرمين) بكل من أجرم (ويل يومئذ للمكذبين) بما أوعدنا (ألم نخلقكم من ماء مهين) حقير وهو النطفة (فجعلناه) أى الماء (فى قرار مكين) مقر يتمكن فيه وهو الرحم ومحل (الى قدر

معلوم) الحال أي مؤخرا الى مقدار من الوقت معلوم قد علمه الله وحكم به وهو تسعة أشهر او ما فوقها أو ما دونها (فقدرنا) فقدرنا ذلك تقديرا (فنعم القادرون) فنعم المقدرون له نحن أو فقدرنا على ذلك فنعم القادرون عليه نحن والاول أحق لقراءة نافع وعلي بالتشديد ولقوله من نطفة خلقه فقدره (ويل يومئذ للمكذبين) بنعمة الفطرة (ألم نجعل الارض كفاتا) هو من كفت الشيء اذا ضمه وجمعه وهو اسم ما يكفت كقولهم الضمام لما يضم وبه انتصب (أحياء وأمواتا) كانه قيل كافتة أحياء وأمواتا أو بفعل مضمر يدل عليه كفاتا وهو تكفت أي تكفت أحياء على ظهرها وأمواتا في بطنها والتنكير فيهما للتفخيم أي تكفت أحياء لا يعدون وأمواتا لا يحصرون (وجعلنا فيها رواسي) جبالا ثوابت (شامخات) عاليات (وأسقيناكم ماء فراتا) عذبا (ويل يومئذ للمكذبين) بهذه النعمة (انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون) أي يقال للكافرين يوم القيامة سيروا الى النار التي كنتم بها تكذبون (انطلقوا) تكرير للتوكيد (الى ظل) دخان جهنم (ذي ثلاث شعب) يتشعب لعظمه ثلاث شعب وهكذا الدخان العظيم يتفرق ثلاث فرق (لا ظليل) نعت ظل أي لا مظل من حر ذلك اليوم وحر النار (ولا يغني) في محل الجر أي وغير مغن لهم (من اللهب) من حر اللهب شيأ (انها) أي النار (ترمي بشرر) هو ما تطاير من النار (كالقصر) في العظم وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة (كانه جمالة) كوفي غير أبي بكر جمع جمل جمالات غيرهم جمع الجمع (صفر) جمع اصفر أي سود تضرب الى الصفرة وشبه الشرر بالقصر لعظمه وارتفاعه وبالجمال للعظم والطول واللون (ويل يومئذ للمكذبين) بان هذه صفتها (هذا يوم لا ينطقون) وقرئ بنصب اليوم أي هذا الذي قص عليكم واقع يومئذ وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن هذه الآية وعن قوله ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون فقال في ذلك اليوم مواقف في بعضها

معلوم) يعني وقت الولادة وهو معلوم لله تعالى لا يعلم ذلك غيره (فقدرنا) قرئ بالتشديد من التقدير أي قدرنا ذلك تقديرا (فنعم القادرون) أي المقدرون له وقرئ بالتخفيف من القدرة أي قدرنا على خلقه وتصويره كيف شئنا فنعم القادرون حيث خلقناه في أحسن صورة وهيئة (ويل يومئذ للمكذبين) أي المنكرين للبعث لان القادر على الابتداء قادر على الاعادة (ألم نجعل الارض كفاتا) يعني وعاء وأصله الضم والجمع (أحياء وأمواتا) يعني تكفتهم أحياء على ظهرها بمعنى تضمهم في دورهم ومنازلهم وتكفتهم أمواتا في بطنها في قبورهم ولذلك تسمى الارض أما لانها تضم الناس كالام تضم ولدها (وجعلنا فيها) أي في الارض (رواسي شامخات) يعني جبالا عاليات (وأسقيناكم ماء فراتا) يعني عذبا (ويل يومئذ للمكذبين) يعني ان هذا كله أعجب من البعث فالقادر عليه قادر على البعث قوله عز وجل (انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون) يعني يقال للمكذبين يوم القيامة في الدنيا انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون وهو العذاب ثم فسره بقوله (انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب) يعني دخان جهنم اذا سطع وارتفع تشعب وتفرق ثلاث فرق وكذلك شأن الدخان العظيم فيقال لهم كونوا فيه الى أن يفرغ من الحساب كما يكون أولياء الله تعالى في ظل عرشه وقيل يخرج عنق من النار فيتشعب ثلاث شعب على رؤسهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم (لا ظليل) أي ان ذلك الظل لا يظل من حر (ولا يغني من اللهب) أي لا يرد عنهم لهب جهنم والمعنى انهم اذا استظلوا بذلك الظل لا يدفع عنهم حر اللهب (انها) يعني جهنم (ترمي بشرر) جمع شرارة وهي ما تطاير من النار (كالقصر) يعني كالبناء العظيم ونحوه وقيل هي أصول الشجر والنخل العظام واحدتها قصرة وسئل ابن عباس عن قوله ترمي بشرر كالقصر فقال هي الخشب العظام المقطعة وكنا نعمد الى الخشبة فنقطعها ثلاثة أذرع وفوق ذلك ودونه وندخرها للشتاء وكنا نسميها القصر (كانه) يعني الشرر (جمالات) جمع الجمال وقال ابن عباس هي حبال السفن يجمع بعضها الى بعض حتى تكون كأوساط الجمال (صفر) جمع اصفر يعني ان لون ذلك الشرر أصفر وأنشد بعضهم

دعتهم بأعلى صوتها ورمتهم * بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى

وقيل الصفر هنا معناه السود لانه جاء في الحديث ان شرر نار جهنم أسود كالقير والعرب تسمي سود الابل صفرا لانه يشوب سوادها شيء من الصفرة وقيل هي قطع النحاس والمعنى ان هذا الشرر يرتفع كانه شيء مجموع غليظ أصفر (ويل يومئذ للمكذبين) قوله عز وجل (هذا يوم لا ينطقون) يعني بحجة تنفعهم قيل هذا في بعض مواطن القيامة ومواقفها

يختصمون وفي بعضها لا ينطقون أو لا ينطقون بما ينفعهم جعل نطقهم كلا نطق (ولا يؤذن لهم) في الاعتذار (فيعتذرون) عطف على يؤذن منخرط في سلك النفي أي لا يكون لهم اذن واعتذار (ويل يومئذ للمكذبين) بهذا اليوم (هذا يوم الفصل) بين المحق والمبطل والمحسن والمسيء بالجزاء (جمعناكم) يا مكذبي محمد (والاولين) والمكذبين قبلكم (فان كان لكم كيد) حيلة في دفع العذاب (فكيدون) فاحتالوا على تخليص أنفسكم من العذاب والكيد متعد تقول كدت فلانا اذا احتلت عليه (ويل يومئذ للمكذبين) بالبعث (ان المتقين) من عذاب الله (في ظلال) جمع ظل (وعيون) جارية في الجنة (وفواكه مما يشتهون) أي لذيذة مشتهاة (كلوا واشربوا) في موضع الحال من ضمير المتقين في الظرف الذي هو في ظلال أي هم مستقرون في ظلال مقولا لهم ذلك (هنيئا بما كنتم تعملون) في الدنيا (انا كذلك نجزي المحسنين) فأحسنوا لتجزوا بهذا (ويل يومئذ للمكذبين) بالجنة (كلوا وتمتعوا) كلام مستأنف خطاب للمكذبين في الدنيا على وجه التهديد كقوله اعملوا ما شئتم (قليلا) لان متاع الدنيا قليل (انكم مجرمون) كافرون أي ان كل مجرم يأكل ويتمتع أياما قلائل ثم يبقى في الهلاك الدائم (ويل يومئذ للمكذبين) بالنعم (واذا قيل لهم اركعوا) اخشعوا لله وتواضعوا اليه بقبول وحيه واتباع دينه ودعوا هذا الاستكبار (لا يركعون) لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على استكبارهم أو اذا قيل لهم صلوا لا يصلون (ويل يومئذ للمكذبين) بالامر والنهي (فبأي حديث بعده) بعد القرآن (يؤمنون) أي ان لم يؤمنوا بالقرآن مع انه آية مبصرة ومعجزة باهرة من بين الكتب السماوية فبأي كتاب بعده يؤمنون والله أعلم

ومواقفها أو ذلك لان في بعضها يتكلمون وفي بعضها يختصمون وفي بعضها يختم على أفواههم فلا ينطقون (ولا يؤذن لهم فيعتذرون) عطف على يؤذن واختير ذلك لان رؤس الآي بالنون فلو قال فيعتذروا لم يوافق الآيات والعرب تستحب وفاق الفواصل كما تستحب وفاق القوافي والقرآن نزل على ما تستحب العرب من موافقة المقاطع والمعنى لا يكون اذن واعتذار قال الجنيد أي عذر لمن أعرض عن منعمه وكفر أياديه ونعمه فان قلت قد توهم ان لهم عذرا ولكن قد منعوا من ذكره قلت ليس لهم عذر في الحقيقة لانه قد تقدم الاعذار والانذار في الدنيا فلم يبق لهم عذر في الآخرة ولكن ربما تخيلوا خيالا فاسدا ان لهم عذرا فلم يؤذن لهم في ذلك العذر الفاسد (ويل يومئذ للمكذبين) يعني انه لما تبين انه لا عذر لهم ولا حجة فيما أتوا به من الاعمال السيئة ولا قدرة لهم على دفع العذاب عنهم لا جرم قال في حقهم ويل يومئذ للمكذبين (هذا يوم الفصل) يعني بين أهل الجنة وأهل النار وقيل هو الفصل بين العباد في الحقوق والمحاكمات (جمعناكم والاولين) يعني مكذبي هذه الامة والذين كذبوا أنبياءهم من الامم الماضية (فان كان لكم كيد فكيدون) أي ان كانت لكم حيلة تحتالون بها لانفسكم فاحتالوا وهم يعلمون أن الحيل يومئذ منقطعة لا تنفع وهذا في نهاية التوبيخ والتقريع فلهذا عقبه بقوله (ويل يومئذ للمكذبين) قوله عز وجل (ان المتقين) أي الذين اتقوا الشرك (في ظلال) جمع ظل وهو ظل الاشجار (وعيون) أي في ظلهم عيون ماء (وفواكه مما يشتهون) أي يتلذذون بها (كلوا واشربوا) أي ويقال لهم كلوا واشربوا وهذا القول يحتمل أن يكون من جهة الله تعالى بلا واسطة وما أعظمها من نعمة أو يكون من جهة الملائكة على سبيل الاكرام (هنيئا) أي خالص اللذة لا يشوبه تنغيص (بما كنتم تعملون) أي في الدنيا من الطاعات (انا كذلك نجزي المحسنين) قيل المقصود منه تذكير الكفار ما فاتهم من النعم العظيمة ليعلموا انهم لو كانوا من المتقين المحسنين لفازوا بمثل ذلك الخير العظيم فلما لم يفعلوا ذلك وقعوا في قوله (ويل يومئذ للمكذبين) قوله عز وجل (كلوا وتمتعوا قليلا) يقول لكفار مكة كلوا وتمتعوا قليلا في الدنيا الى منتهى آجالكم وهذا وان كان في ظاهر اللفظ أمرا الا انه في المعنى نهي بليغ وزجر عظيم (انكم مجرمون) أي مشركون بالله مستحقون للعقاب لا جرم أتبعه بقوله (ويل يومئذ للمكذبين) (واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون) أي واذا قيل لهم صلوا مع محمد وأصحابه لا يصلون فعبر عن الصلاة بلفظ الركوع لانه ركن من أركانها وقال ابن عباس انما يقال لهم هذا يوم القيامة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون (ويل يومئذ للمكذبين فبأي حديث بعده يؤمنون) أي بعد نزول القرآن اذا لم يؤمنوا به فبأي شيء يؤمنون والله أعلم

(تفسير سورة النبا وتسمى سورة عم يتساءلون والتساؤل)

مكية وهى أربعون آية ومائة وثلاث وسبعون كلمة وتسعمائة وسبعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (عم) أصله عن ما (يتساءلون) عن أى شئ يتساءلون يعنى المشركين ولفظه استفهام ومعناه التفخيم كقولك أى شئ زيد اذا عظمت شأنه وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما دعاهم الى التوحيد وأخبرهم بالبعث بعد الموت وتلا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون فيما بينهم فيقول بعضهم لبعض ماذا جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر عماذا تساؤلهم فقال تعالى (عن النبا العظيم) يعنى الخبر العظيم الشان قال الاكثرون هو القرآن وقيل هو البعث وقيل هو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به (الذى هم فيه مختلفون) فمن فسر النبأ العظيم بالقرآن قال اختلافهم فيه هو قولهم انه سحر أو شعر أو كهانة أو نحو ذلك مما قالوه فى القرآن ومن فسر النبأ العظيم بالبعث قال اختلافهم فيه فمن مصدق به وهم المؤمنون ومن مكذب به وهم الكافرون ومن فسره بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال اختلافهم فيه كاختلافهم فى القرآن (كلا) هى ردع وزجر وقيل هى نفى لاختلافهم والمعنى ليس الامر كما قالوا (سيعلمون) أى عاقبة تكذيبهم حين ينكشف الامر يعنى فى القيامة (ثم كلا سيعلمون) وعيد على اثر وعيد وقيل معناه كلا سيعلمون يعنى الكافرين عاقبة تكذيبهم وكفرهم ثم كلا سيعلمون يعنى المؤمنين عاقبة تصديقهم وايمانهم ثم ذكر أشياء من عجائب صنائعه ليستدلوا بذلك على توحيده ويعلموا انه قادر على ايجاد العالم وفنائه بعد ايجاده وايجاده مرة أخرى للبعث والحساب والثواب والعقاب فقال تعالى (ألم نجعل الارض مهادا) أى فراشا وبساطا لنستقر عليها الاقدام (والجبال أوتادا) يعنى للارض حتى لا تميد (وخلقناكم أزواجا) يعنى أصنافا ذكورا واناثا (وجعلنا نومكم سباتا) أى راحة لابدانكم وليس الغرض ان السبات للراحة بل المقصود منه ان النوم يقطع التعب ويزيله ومع ذلك تحصل الراحة وأصل السبت القطع ومعناه ان النوم يقطع عن الحركة والتصرف فى الاعمال (وجعلنا الليل لباسا) أى غطاء وغشاء يستر كل شئ بظلمته عن العيون ولهذا سمى الليل لباسا على وجه المجاز ووجه النعمة فى ذلك هو ان الانسان يستتر بظلمة الليل عن العيون اذا أراد هربا من عدو ونحو ذلك (وجعلنا النهار معاشا) أى سببا للمعاش والتصرف فى المصالح وقال ابن عباس تبتغون فيه من فضل الله وما قسم لكم من رزقه

* (سورة النبا مكية وهى أربعون آية) * (بسم الله الرحمن الرحيم عم) أصله عن ما وقرئ بها ثم أدغمت النون فى الميم فصار عما وقرئ بها ثم حذفت الالف تخفيفا لكثرة فى الاستعمال فى الاستفهام وعليه الاستعمال الكثير وهذا استفهام تفخيم للمستفهم عنه لانه تعالى لا تخفى عليه خافية (يتساءلون) يسأل بعضهم بعضا أو يسألون غيرهم من المؤمنين والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث و يسألون المؤمنين عنه على طريق الاستهزاء (عن النبا العظيم) أى البعث وهو بيان للشان المفخم وتقديره عم يتساءلون يتساءلون عن النبا العظيم (الذى هم فيه مختلفون) فمنهم من يقطع بانكاره ومنهم من يشك وقيل الضمير للمسلمين والكافرين وكانوا جميعا يتساءلون عنه فالمسلم يسأل ليزداد خشية والكافر يسأل استهزاء (كلا) ردع عن الاختلاف أو التساؤل هزؤا (سيعلمون) وعيد لهم بانهم سوف يعلمون عيانا ان ما يتساءلون عنه حق (ثم كلا سيعلمون) كرر الردع للتشديد وثم يشعر أن الثانى أبلغ من الاول وأشد (ألم نجعل الارض) لما أنكروا البعث قيل لهم ألم يخلق من أضيف اليه البعث هذه الخلائق العجيبة فلم تنكرون قدرته على البعث وما هو الا اختراع كهذه الاختراعات أو قيل لهم لم فعل هذه الاشياء والحكيم لا يفعل عبثا وانكار البعث يؤدى الى انه عابث فى كل ما فعل (مهادا) فراشا فرشناها لكم حتى سكنتموها (والجبال أوتادا) للارض لئلا تميد بكم (وخلقناكم أزواجا) ذكرا وانثى (وجعلنا نومكم سباتا) قطعا لاعمالكم وراحة لابدانكم والسبت القطع (وجعلنا الليل لباسا) سترا يستركم عن العيون اذا أردتم اخفاء ما لا تحبون الاطلاع عليه (وجعلنا النهار معاشا) وقت معاش تتقلبون فى حوائجكم ومكاسبكم

(وبنينا فوقكم سبعا) سبع سموات (شدادا) جمع شديدة أي محكمة قوية لا يؤثر فيها مرور الزمان أو غلاظا غلظ كل واحدة مسيرة خمسمائة عام (وجعلنا سراجا وهاجا) مضيأ وقادا أي جامعا للنور والحرارة والمراد الشمس (وأنزلنا من المعصرات) اى السحائب اذا أعصرت أي شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر ومنه أعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض او الرياح لانها تنشئ السحاب وتدر اخلافه فيصح ان يجعل مبدأ للانزال وقد جاء ان الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء الى السحاب (ماء ثجاجا) منصبا بكثرة (لنخرج به) بالماء (حبا) كالبر والشعير (ونباتا) وكلأ (وجنات) بساتين (الفافا) ملتفة الاشجار واحدها لف كجذع واجذاع اولفيف كشريف واشراف أو لا واحد له كاوزاع أوهي جمع الجمع فهي جمع لف والالف جمع لفاء وهي شجرة مجتمعة ولا وقف من ألم نجعل الى ألفافا والوقف الضروري على أوتادا ومعاشا (ان يوم الفصل) بين المحسن والمسيء والحق والمبطل (كان ميقاتا) وقتا محدودا ومنتهى معلوما لوقوع الجزاء أو ميعادا للثواب والعقاب (يوم ينفخ) بدل من يوم الفصل أو عطف بيان (في الصور) في القرن (فتأتون أفواجا) حال أي جماعات مختلفة او أمما كل أمة مع رسولها (وفتحت السماء) خفيف كوفي أي شققت لنزول الملائكة (فكانت أبوابا) فصارت ذات أبواب وطرق وفروج ومالها اليوم من فروج (وسيرت الجبال) عن وجه الارض (فكانت سرابا) اى هباء تخيل الشمس انه ماء (ان جهنم كانت مرصادا) طريقا عليه ممر الخلق والمؤمن يمر عليها والكافر يدخلها او قيل المرصاد الحد الذي يكون فيه الرصد اى هي حد الطاغين الذين يرصدون فيه للعذاب وهي مآبهم او هي مرصاد لاهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لان مجازهم عليها (للطاغين)

(وبنينا فوقكم سبعا شدادا) يعني سبع سموات محكمة ليس يتطرق عليها شقوق ولا فطور على ممر الزمان الى أن يأتي أمر الله تعالى (وجعلنا سراجا وهاجا) يعني الشمس مضيئة منيرة وقيل الوهاج الوقاد وقيل جعل في الشمس حرارة ونورا والوهج يجمع النور والحرارة (وأنزلنا من المعصرات) يعني الرياح التي تعصر السحاب وهي رواية عن ابن عباس وقيل هي الرياح ذوات الاعاصير وعلى هذا المعنى تكون من بمعنى الباء أي وأنزلنا بالمعصرات وذلك لان الريح تستدر المطر من السحاب وقيل هي السحاب وفي الرواية الاخرى عن ابن عباس المعصرات السحابة التي حان لها أن تمطر ولما تمطر وقيل المعصرات المغيثات والعاصر هو الغيث وقيل المعصرات السموات وذلك لان المطر ينزل من السماء الى السحاب (ماء ثجاجا) أي صبابا مدرارا متتابعا يتلو بعضه بعضا ومنه الحديث أفضل الحج العج والثج أي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي (لنخرج به) أي بذلك الماء (حبا) أي ما يأكله الانسان كالحنطة ونحوها (ونباتا) أي ما ينبت في الارض من الحشيش مما يأكل منه الانعام (وجنات ألفافا) أي ملتفة بالشجر ليس بينها خلال فدل على البعث بذكر ابتداء الخلق ثم أخبر عنه بقوله تعالى (ان يوم الفصل) أي الحساب (كان ميقاتا) أي لما وعده الله من الثواب والعقاب وقيل ميقاتا يجتمع فيه الخلائق ليقضي بينهم (يوم ينفخ في الصور) يعني النفخة الاخيرة (فتأتون أفواجا) يعني زمرا زمرا من كل مكان للحساب (وفتحت السماء فكانت أبوابا) يعني فكانت ذات أبواب لنزول الملائكة وقيل تنحل وتتناثر حتى يصير فيها أبواب وطرق (وسيرت الجبال) أي عن وجه الارض (فكانت سرابا) أي هباء منبثا كالسراب في عين الناظر (ان جهنم كانت مرصادا) أي طريقا وممرا فلا سبيل لاحد الى الجنة حتى يقطع النار وروي عن ابن عباس ان على جسر جهنم سبع محابس يسئل العبد عند أولها عن شهادة ان لا اله الا الله فان جاء بها تامة جاز الى الثاني فيسئل عن الصلوات فان جاء بها تامة جاز الى الثالث فيسئل عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز الى الرابع فيسئل عن الصوم فان جاء به تاما جاز الى الخامس فيسئل عن الحج فان جاء به تاما جاز الى السادس فيسئل عن العمرة فان جاء بها تامة جاز الى السابع فيسئل عن المظالم فان خرج منها والا يقال انظروا فان كان له تطوع أكمل به أعماله فاذا فرغ انطلق به الى الجنة وقيل كانت مرصادا أي معدة لهم وقيل هو من رصدت الشيء أرصده اذا ترقبته والمرصاد المكان الذي يرصد فيه الراصد العدو والمعنى ان جهنم ترصد الكفار أي تنتظرهم (للطاغين)

ما آبا) للكافرين مرجعا (لابثين) ماكثين حال مقدرة من الضمير فى للطاغين حمزة لبثين واللبث اقوى اذ اللابث من وجد منه اللبث وان قل واللبث من شانه اللبث والمقام فى المكان (فيها) فى جهنم (احقابا) ظرف جمع حقب وهو الدهر ولم يرد به عدد محصور بل الابد كلما مضى حقب تبعه آخر الى غير نهاية ولا يستعمل الحقب والحقبة الا اذا اريد تتابع الازمنة وتواليها وقيل الحقب ثمانون سنة وسئل بعض العلماء عن هذه الآية فأجاب بعد عشرين سنة لابثين فيها احقابا

أي الكافرين (مآبا) أي مرجعا يرجعون اليها (لابثين فيها) أي فى جهنم (احقابا) جمع حقب وهو ثمانون سنة كل سنة اثنا عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما كل يوم ألف سنة يروى ذلك عن على بن أبى طالب وقيل الحقب الواحد سبعة عشر ألف سنة فان قلت الاحقاب وان طالت فهى متناهية وعذاب الكفار فى جهنم غير متناه فما معنى قوله أحقابا قلت ذكروا فيه وجوها * أحدها ماروى عن الحسن قال ان الله تعالى لم يجعل لاهل النار مدة بل قال لابثين فيها أحقابا فوالله ماهو الا انه اذا مضى حقب دخل حقب آخر ثم آخر الى الابد فليس للاحقاب عدة الا الخلود وروى عن عبد الله بن مسعود قال لو علم أهل النار انهم يلبثون فى النار عدد حصى الدنيا لفرحوا ولو علم أهل الجنة انهم يلبثون فى الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا * الوجه الثانى ان لفظ الاحقاب لايدل على نهاية والحقب الواحد متناه والمعنى انهم يلبثون فيها احقابا لايذوقون فيها أى فى تلك الاحقاب بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا فهذا توقيت لانواع العذاب الذى يبدلونه لا توقيت للبثهم فيها * الوجه الثالث أن الآية منسوخة بقوله فلن نزيدكم الا عذابا يعنى ان العدد قد ارتفع والخلود قد حصل (لايذوقون فيها بردا) قال ابن عباس البرد النوم وقيل بردا أى روحا وراحة وقيل لايذوقون بردا ينفعهم (ولا شرابا) أى يغنيهم عن عطش (الا حميما وغساقا) أى لكن يشربون حميما قيل هو الصفر المذاب وقيل هو الماء الحار الذى انتهى حره وغساقا قال ابن عباس الغساق الزمهرير يحرقهم ببرده وقيل هو صديد أهل النار (جزاء وفاقا) أى جزيناهم جزاء وافق أعمالهم وقيل وافق العذاب الذنب فلا ذنب أعظم من الشرك ولا عذاب أعظم من النار (انهم كانوا لايرجون حسابا) أى لايخافون ان يحاسبوا والمعنى انهم كانوا لايؤمنون بالبعث ولا بانهم يحاسبون (وكذبوا بآياتنا) أى التى جاءت بها الانبياء وقيل كذبوا بدلائل التوحيد والنبوة والبعث والحساب (كذابا) أى تكذيبا قال الفراء هى لغة يمانية فصيحة يقولون فى مصدر التفعيل فعال قال وقد سألنى اعرابى منهم يستفتينى الحلق أحب اليك أم القصار يريد التقصير (وكل شئ) أى من الاعمال (أحصيناه) اى بيناه وأثبتناه (كتابا) أى فى كتاب وهو اللوح المحفوظ وقيل معناه وكل شئ علمناه علما لايزول ولا يتغير ولا يتبدل والمعنى انا عالم بجميع ما فعلوه من خير وشر وانا أجازيهم على قدر أعمالهم جزاء وفاقا (فذوقوا) أى يقال لهم ذوقوا (فلن نزيدكم الا عذابا) قيل هذه الآية أشد آية فى القرآن على أهل النار كلما استغاثوا من نوع من العذاب اغيثوا باشد منه

(لايذوقون فيها بردا ولا شرابا) أى غير ذائقين حال من ضمير لابثين فاذا انقضت هذه الاحقاب التى عذبوا فيها بمنع البرد والشراب بدلوا باحقاب أخر فيها عذاب آخر وهى أحقاب بعد أحقاب لا انقطاع لها وقيل هو من حقب عامنا اذا قل مطره وخيره وحقب فلان اذا أخطأه الرزق فهو حقب وجمعه احقاب فينتصب حالا عنهم أى لابثين فيها احقبين جهدين ولايذوقون فيها بردا ولا شرابا تفسير له وقوله (الا حميما وغساقا) استثناء منقطع أى لايذوقون فى جهنم أو فى الاحقاب بردا روحا ينفس عنهم حر النار أو نوما ومنه منع البرد البرد ولا شرابا يسكن عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما ماء حارا يحرق ما يأتى عليه وغساقا ماء يسيل من صديدهم وبالتشديد كوفى غير أبى بكر (جزاء) جوزوا جزاء (وفاقا) موافقا لاعمالهم مصدر بمعنى الصفة أو ذا وفاق ثم استأنف معللا فقال (انهم كانوا لايرجون حسابا) لايخافون محاسبة الله اياهم اولم يؤمنوا بالبعث ليرجوا حسابا (وكذبوا بآياتنا كذابا) تكذيبا وفعال فى معنى فعل كله فاش (وكل شئ) نصب بمضمر يفسره قوله (أحصيناه كتابا) مكتوبا فى اللوح بالحساب او حال او مصدر فى موضع احصاء او احصينا فى معنى كتبنا لان الاحصاء يكون بالكتابة غالبا وهذه الآيات اعتراض لان قوله (فذوقوا) مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات أى فذوقوا جزاءكم والالتفات شاهد على شدة الغضب (فلن نزيدكم الا عذابا) فى الحديث هذه الآية أشد ما فى القرآن على أهل النار

قوله عز وجل (ان للمتقين مفازا) أي فوزا أي نجاة من العذاب وقيل فوزا بما طلبوه من نعيم الجنة ويحتمل أن يفسر الفوز بالامرين جميعا لانهم فازوا بمعنى نجوا من العذاب وفازوا بما حصل لهم من النعيم ثم فسره فقال (حدائق) جمع حديقة وهي البستان المحوط فيه كل ما يشتهون (وأعنابا) التنكير يدل على تعظيم ذلك العنب (وكواعب) جمع كاعب يعني جواري نواهد قد تكعبت ثديهن (أترابا) يعني مستويات في السن (وكأسا دهاقا) قال ابن عباس مملوءة مترعة وقيل متتابعة وقيل صافية (لا يسمعون فيها) أي في الجنة وقيل في حالة شربهم لان أهل الدنيا يتكلمون بالباطل في حالة شربهم (لغوا) أي باطلا من الكلام (ولا كذابا) أي تكذيبا والمعنى انه لا يكذب بعضهم بعضا ولا ينطقون به (جزاء من ربك عطاء حسابا) أي جازاهم جزاء وأعطاهم عطاء حسابا أي كافيا وافيا وقيل حسابا يعني كثيرا وقيل جزاء بقدر أعمالهم (رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا) أي لا يقدر الخلق أن يكلموا الرب الا باذنه وقيل لا يملكون منه خطابا أي لا يملكون شفاعة الا باذنه في ذلك اليوم (يوم يقوم الروح والملائكة صفا) قيل هو جبريل عليه الصلاة والسلام وقال ابن عباس الروح ملك من الملائكة ما خلق الله مخلوقا أعظم منه فاذا كان يوم القيامة قام وحده صفا وقامت الملائكة كلهم صفا واحدا فيكون من عظم خلقه مثلهم وقال ابن مسعود الروح ملك عظيم أعظم من السموات والارض والجبال وهو في السماء الرابعة يسبح الله كل يوم اثني عشر ألف تسبيحة يخلق الله من كل تسبيحة ملكا يجيء يوم القيامة صفا وحده وقيل الروح خلق على صورة بني آدم وليسوا بناس يقومون صفا والملائكة صفا هؤلاء جند وهؤلاء جند وقال ابن عباس الروح خلق على صورة بني آدم وما ينزل من السماء ملك الا ومعه واحد منهم وعنه انهم بنو آدم يقومون صفا والملائكة صفا وقيل يقوم سماطان سماط من الروح وسماط من الملائكة (لا يتكلمون) يعني الخلق كلهم اجلالا لعظمة الله تعالى جل جلاله وتعالى عطاؤه وشأنه من هول ذلك اليوم (الا من أذن له الرحمن) أي في الكلام (وقال صوابا) أي حقا في الدنيا وعمل به وقيل قال لا اله الا الله وقيل الاستثناء يرجع الى الروح والملائكة ومعنى الآية لا يشفعون الا في شخص أذن الرحمن في الشفاعة له وذلك الشخص ممن كان يقول صوابا في الدنيا وهو لا اله الا الله (ذلك اليوم الحق) أي الكائن الواقع لا محالة وهو يوم القيامة (فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا) أي سبيلا يرجع اليه وهو طاعة الله وما يتقرب به اليه (انا أنذرناكم) أي خوفناكم في الدنيا (عذابا قريبا) أي في الآخرة وكل ما هو آت قريب (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) يعني من خير أو شر مثبتا في صحيفته ينظر اليه يوم القيامة

(ان للمتقين مفازا) مفعول من الفوز يصلح مصدرا أي نجاة من كل مكروه وظفرا بكل محبوب و يصلح للمكان وهو الجنة ثم ابدل عنه بدل البعض من الكل فقال (حدائق) بساتين فيها أنواع الشجر المثمر جمع حديقة (وأعنابا) كروما عطف على حدائق (وكواعب) نواهد (أترابا) لدات مستويات في السن (وكأسا دهاقا) مملوءة (لا يسمعون فيها) في الجنة حال من ضمير خبر ان (لغوا) باطلا (ولا كذابا) الكسائي خفيف بمعنى مكاذبة أي لا يكذب بعضهم بعضا أو لا يكاذبه (جزاء) مصدر أي جزاهم جزاء (من ربك عطاء) مصدر أو بدل من جزاء (حسابا) صفة بمعنى كافيا أو على حسب أعمالهم (رب السموات والارض وما بينهما الرحمن) بجرهما ابن عامر وعاصم بدلا من ربك ومن رفعهما فرب خبر مبتدا محذوف أو مبتدأ خبره الرحمن أو الرحمن صفته ولا يملكون خبر أو هما خبران والضمير في (لا يملكون) لاهل السموات والارض وفي (منه خطابا) لله تعالى أي لا يملكون الشفاعة من عذابه تعالى الا باذنه أو لا يقدر أحد أن يخاطبه تعالى خوفا (يوم يقوم) ان جعلته ظرفا للا يملكون لا تقف على خطابا وان جعلته ظرفا للا يتكلمون تقف (الروح) جبريل عند الجمهور وقيل هو ملك عظيم ما خلق الله تعالى بعد العرش خلقا أعظم منه (والملائكة صفا) حال أي مصطفين (لا يتكلمون) أي الخلائق ثم خوفا (الا من أذن له الرحمن) في الكلام أو الشفاعة (وقال صوابا) حقا بان قال المشفوع له لا اله الا الله في الدنيا أو لا يؤذن الا لمن تكلم بالصواب في أمر الشفاعة (ذلك اليوم الحق) الثابت وقوعه (فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا) مرجعا بالعمل الصالح (انا أنذرناكم) أيها الكفار (عذابا قريبا) في الآخرة لان ما هو آت قريب (يوم ينظر المرء) الكافر لقوله انا أنذرناكم عذابا قريبا (ما قدمت يداه) من الشر لقوله وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم

وتخصيص الايدى لان اكثر الاعمال تقع بها وان احتمل ان لا يكون للايدى مدخل فيما ارتكب من الآثام
(و يقول الكافر) وضع الظاهر موضع المضمر لزيادة الذم او المرء عام وخص منه الكافر وما قدمت يداه ما عمل من خير
وشر اوهو المؤمن لذكر الكافر بعده وما قدم من خير وما استفهامية منصوبة بقدمت اى ينظر اى شئ قدمت
يداه أو موصولة منصوبة بينظر يقال نظرته يعني نظرت اليه والراجع فى الصلة محذوف اى ما قدمته (ياليتنى كنت ترابا) فى
الدنيا فلم اخلق ولم أكلف اوليتنى كنت ترابا فى هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر الله تعالى الحيوان غير المكلف حتى
يقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر ابليس يتمنى ان يكون كآدم مخلوقا من
التراب ليثاب ثواب أولاده المؤمنين والله أعلم

(سورة النازعات ست وأربعون آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات أمرا) لا وقف الى هنا ولزم هنا لانه لو وصل لصار يوم ظرف المدبرات وقد انقضى تدبير الملائكة فى ذلك اليوم أقسم سبحانه بطوائف الملائكة التى تنزع الارواح من الاجساد غرقا أى اغراقا فى النزع أى تنزعها من أقاصى الاجساد من أناملها ومواضع أظفارها وبالطوائف التى تنشطها أى تخرجها من نشط الدلو من البئر اذا أخرجها وبالطوائف التى تسبح فى مضيها أى تسرع فتسبق الى ما أمروا به فتدبر أمرا من أمور العباد مما يصلحهم فى دينهم أو دنياهم
كما رسم لهم او بخيل الغزاة التى تنزع فى اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها لانها عراب الملائكة
والتى تخرج من دار الاسلام الى دار الحرب من قولك ثور ناشط اذا خرج من بلد الى بلد والتى تسبح فى جريها فتسبق الى الغاية
فتدبر أمر الغلبة والظفر واسناد التدبير اليها لانها من اسبابه او بالنجوم التى تنزع من المشرق الى المغرب واغراقها فى النزع ان
تقطع الفلك كله حتى تنحط فى اقصى الغرب والتى تخرج من برج الى برج والتى تسبح فى الفلك من السيارة فتسبق فتدبر
أمرا من علم الحساب وجواب القسم محذوف وهو لتبعثن لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة

(ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا) قال عبد الله بن عمرو اذا كان يوم القيامة مدت
الارض مد الاديم وحشر الدواب والبهائم والوحش ثم يجعل القصاص بين البهائم حتى
يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء نطحتها فاذا فرغ من القصاص قيل لها كونى ترابا
فعند ذلك يقول الكافر ياليتنى كنت ترابا وقيل يقول الله عز وجل للبهائم بعد القصاص
انا خلقناكم وسخرناكم لبنى ادم وكنتم مطيعين لهم أيام حياتكم فارجعوا الى ما كنتم
عليه كونوا ترابا فاذا رأى الكافر ذلك تمنى وقال ياليتنى كنت فى الدنيا فى صورة بعض
هذه البهائم وكنت اليوم ترابا وقيل اذا قضى الله بين الناس وأمر باهل الجنة الى الجنة
وأهل النار الى النار وقيل لسائر الامم سوى الناس والجن عودوا ترابا فيعودون ترابا
فحينئذ يقول الكافر ياليتنى كنت ترابا وقيل معناه ان الكافر اذا رأى ما أنعم الله به
على المؤمنين من الخير والرحمة قال ياليتنى كنت ترابا يعني متواضعا فى طاعة الله فى
الدنيا ولم أكن جبارا متكبرا وقيل ان الكافر ههنا هو ابليس وذلك انه عاب آدم
وكونه خلق من تراب وافتخر عليه بانه خلق من نار فاذا كان يوم القيامة ورأى ما فيه
آدم وبنوه المؤمنون من الثواب والرحمة وما هو فيه من الشدة والعذاب قال ياليتنى
كنت ترابا قال أبو هريرة رضى الله عنه يقول التراب لا ولا كرامة لك من جعلك مثلى
والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

(تفسير سورة النازعات مكية)

وهى ست وقيل خمس وأربعون آية ومائة وسبع وتسعون كلمة
وسبعمائة وثلاثة وخمسون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا)
اختلفت عبارات المفسرين فى هذه الكلمات هل هى صفات لشئ واحد أم لاشياء
مختلفة على أوجه واتفقوا على أن المراد بقوله (فالمدبرات أمرا) وصف لشئ واحد هم

الملائكة * الوجه الاول فى قوله تعالى والنازعات غرقا يعنى الملائكة تنزع أرواح الكفار من أقاصى أجسامهم كما يغرق النازع فى القوس فيبلغ بها غاية المد والغرق من الاغراق أى والنازعات اغراقا وقال ابن مسعود ان ملك الموت وأعوانه ينزعون روح الكافر كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل فتخرج نفس الكافر كالغريق فى الماء والناشطات نشطا الملائكة تنشط نفس المؤمن أى تسلها سلا رفيقا فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير وانما خص النزع بنفس الكافر والنشط بنفس المؤمن لان بينهما فرقا فالنزع جذب بشدة والنشط جذب برفق والسابحات سبحا يعنى الملائكة يقبضون أرواح المؤمنين يسلونها سلا رفيقا ثم يدعونها حتى تستريح ثم يستخرجونها كالسابح فى الماء يتحرك فيه برفق ولطافة وقيل هم الملائكة ينزلون من السماء مسرعين كالفرس الجواد اذا أسرع فى جريه يقال له سابح فالسابقات سبقا يعنى الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح وقيل هم الملائكة تسبق بارواح المؤمنين الى الجنة * الوجه الثانى فى قوله والنازعات غرقا يعنى النفس حين تنزع من الجسد فتغرق فى الصدر ثم تخرج والناشطات نشطا قال ابن عباس هى نفوس المؤمنين تنشط للخروج عند الموت لما ترى من الكرامة وذلك لانه يعرض عليه مقعده فى الجنة قبل أن يموت وقال على بن أبى طالب هى أرواح الكفار تنشط بين الجلد والاظفار حتى تخرج من أفواههم بالكرب والغم والسابحات سبحا يعنى أرواح المؤمنين حين تسبح فى الملكوت فالسابقات سبقا يعنى استباقها الى الحضرة المقدسة * الوجه الثالث فى قوله تعالى والنازعات غرقا يعنى النجوم تنزع من أفق الى أفق تطلع ثم تغيب والناشطات نشطا يعنى النجوم تنشط من أفق الى أفق أى تذهب والسابحات سبحا يعنى النجوم والشمس والقمر يسبحون فى الفلك فالسابقات سبقا يعنى النجوم يسبق بعضها بعضا فى السير * الوجه الرابع فى قوله تعالى والنازعات غرقا يعنى خيل الغزاة تنزع فى أعنتها وتغرق فى عرقها وهى الناشطات نشطا لانها تخرج بسرعة الى ميدانها وهى السابحات فى جريها وهى السابقات سبقا لاستباقها الى الغاية * الوجه الخامس فى قوله والنازعات غرقا يعنى الغزاة حين تنزع قسيها فى الرمى فتبلغ غاية المد وهو قوله غرقا والناشطات نشطا أى السهام فى الرمى والسابحات سبحا فالسابقات سبقا يعنى الخيل والابل حين يخرجها أصحابها الى الغزو * الوجه السادس ليس المراد بهذه الكلمات شيأ واحدا فقوله والنازعات يعنى ملك الموت ينزع النفوس غرقا حتى يبلغ بها الغاية والناشطات نشطا يعنى النفس تنشط من القدمين بمعنى تجذب والسابحات سبحا يعنى السفن والسابقات سبقا يعنى مسابقة نفوس المؤمنين الى الخيرات والطاعات * اما قوله فالمدبرات أمرا فاجمعوا على أنهم الملائكة قال ابن عباس هم الملائكة وكلوا بامور عرفهم الله عز وجل العمل بها وقال عبد الرحمن بن سابط يدبر الامر فى الدنيا أربعة أملاك جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت واسمه عزرائيل فاما جبريل فوكل بالرياح والجنود وأما ميكائيل فوكل بالقطر والنبات وأما ملك الموت فوكل بقبض الانفس وأما

(يوم ترجف) تحرك حركة شديدة والرجف شدة الحركة (الراجفة) النفخة الاولى وصفت بما يحدث بحدوثها لانها تضطرب بها الارض حتى يموت كل من عليها (تتبعها) حال من الراجفة (الرادفة) النفخة الثانية لانها تردف الاولى وبينهما اربعون سنة والاولى تميت الخلق والثانية تحييهم (قلوب يومئذ) قلوب منكرى البعث (واجفة) مضطربة من الوجيف وهو الوجيب وانتصاب يوم ترجف بما دل عليه قلوب ٤٦٠ يومئذ واجفة اى يوم ترجف وجفت القلوب وارتفاع قلوب بالابتداء وواجفة صفتها (أبصارها) أى ابصار اصحابها (خاشعة) ذليلة لهول ما ترى خبرها (يقولون) اى منكرو البعث فى الدنيا استهزاء وانكارا للبعث (أئنا لمردودون فى الحافرة) استفهام بمعنى الانكار أى انرد بعد موتنا الى أول الامر فنعود احياء كما كنا والحافرة الحالة الاولى يقال لمن كان فى امر فخرج منه ثم عاد اليه رجع الى حافرته اى الى حالته الاولى ويقال النقد عند الحافرة اى عند الحالة الاولى وهى الصفقة انكروا البعث ثم زادوا الاستبعاد فقالوا (أئذا كنا عظاما نخرة) بالية ناخرة كوفى غير حفص وفعل ابلغ من فاعل يقال نخر العظم فهو نخر وناخر والمعنى انرد الى الحياة بعد ان صرنا عظاما بالية واذا منصوب بمحذوف وهو نبعث (قالوا) اى منكرو البعث (تلك) رجعتنا (اذا كرة خاسرة) رجعة ذات خسران او خاسر أصحابها والمعنى انها ان صحت وبعثنا فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهذا استهزاء منهم (فانما هى زجرة واحدة) متعلق بمحذوف اى لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله عزوجل فانها سهلة هينة فى قدرته فما هى الا صيحة واحدة يريد النفخة الثانية من قولهم زجر البعير اذا صاح عليه (فاذا هم بالساهرة) فاذا هم احياء على وجه الارض بعد ما كانوا أمواتا فى جوفها وقيل الساهرة ارض بعينها بالشام الى جنب بيت المقدس أو أرض مكة أو جهنم (هل اتاك حديث موسى) استفهام

اسرافيل فهو ينزل عليهم بالامر من الله تعالى أقسم الله بهذه الاشياء لشرفها ولله ان يقسم بما يشاء من خلقه أو يكون التقدير ورب هذه الاشياء وجواب القسم محذوف تقديره لتبعثن ولتحاسبن وقيل جوابه ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى وقيل هو قوله قلوب يومئذ واجفة (يوم ترجف الراجفة) يعنى النفخة الاولى يتزلزل ويتحرك لها كل شئ ويموت منها جميع الخلق (تتبعها الرادفة) يعنى النفخة الثانية ردفت الاولى وبينهما أربعون سنة وقال قتادة هما صيحتان فالاولى تميت كل شئ والاخرى تحيي كل شئ باذن الله عزوجل وقيل الراجفة التى تزلزل الارض والجبال والرادفة التى تشق السماء وقيل الراجفة القيامة والرادفة البعث يوم القيامة وروى البغوى بسنده الثعلبى عن أبى بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام وقال أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه قوله عزوجل (قلوب يومئذ واجفة) أى خائفة قلقة مضطربة وقيل وجلة زائلة عن أماكنها (أبصارها خاشعة) أى ابصار أهلها خاشعة ذليلة والمراد بها الكفار بدليل قوله تعالى (يقولون) يعنى المنكرين للبعث اذا قيل لهم انكم مبعوثون بعد الموت (أئنا لمردودون فى الحافرة) يعنى أنرد الى أول الحال وابتداء الامر فنصير أحياء بعد الموت كما كنا أول مرة والعرب تقول رجع فلان فى حافرته أى رجع من حيث جاء فالحافرة عندهم اسم لابتداء الشئ وأول الشئ ويقال رجع فلان فى حافرته أى فى طريقه الذى جاء منه بحفره بمشيته فحصل باثر قدميه حفر فهى محفورة فى الحقيقة وقيل الحافرة الارض التى تحفر فيها قبورهم سميت حافرة لانها يستقر عليها الحافر والمعنى أئنا لمردودون الى الارض فنبعث خلقا جديدا نمشى عليها وقيل الحافرة النار (أئذا كنا عظاما نخرة) أى بالية وقرئ ناخرة وهما بمعنى وقيل الناخرة المجوفة التى يمر فيها الريح فتنخر أى تصوت (قالوا) يعنى المنكرين للبعث اذا عاينوا أهوال القيامة (تلك اذا كرة خاسرة) أى رجعة غابنة يعنى ان رددنا بعد الموت لنخسرن بما يصيبنا بعد الموت (فانما هى) يعنى النفخة الاخيرة (زجرة واحدة) أى صيحة واحدة يجمعون بها جميعا (فاذا هم بالساهرة) يعنى وجه الارض سميت ساهرة لان عليها نوم الحيوان وسهرهم وقيل هى التى كثر الوطء عليها كأنها سهرت والمعنى انهم كانوا فى بطن الارض فلما سمعوا الصيحة صاروا على وجهها وقيل هى أرض الشام وقيل أرض القيامة وقيل هى ارض جهنم قوله عزوجل (هل أتاك حديث موسى) يعنى قد أتاك حديث موسى يا محمد وذلك انه صلى الله عليه وسلم شق عليه حين كذبه قومه فذكر له قصة موسى عليه

الصلاة

(اذ ناداه ربه) حين ناداه (بالواد المقدس) المبارك المطهر (طوى) اسمه (اذهب الى فرعون) على ارادة القول (انه طغى) تجاوز الحد في الكفر والفساد (فقل هل لك الى أن تزكى) هل لك ميل الى أن تتطهر من الشرك والعصيان بالطاعة والايمان وبتشديد الزاي حجازي (وأهديك الى ربك) وأرشدك الى معرفة الله بذكر صفاته فتعرفه (فتخشى) لان الخشية لا تكون الا بالمعرفة قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء أي العلماء به وعن بعض الحكماء اعرف الله فمن عرف الله لم يقدر ان يعصيه طرفة عين فالخشية ملاك الامر من خشي الله أتى منه كل خير ومن أمن اجترأ على كل شر ومنه الحديث من خاف ادلج ومن أدلج بلغ المنزل بدأ مخاطبته بالاستفهام الذي معناه العرض كما يقول الرجل لضيفه هل لك أن تنزل بنا وأردفه الكلام الرقيق ليستدعيه باللطف في القول ويستنزله بالمداراة عن عتوه كما أمر بذلك في قوله تعالى فقولا له قولا لينا (فاراه الآية الكبرى) أي فذهب فارى موسى فرعون العصا واليد البيضاء لانهما في حكم آية واحدة (فكذب) فرعون بموسى والآية الكبرى وسماهما ساحرا وسحرا (وعصى) الله تعالى (ثم أدبر) تولى عن موسى (يسعى) يجتهد في مكايدته أو لما رأى الثعبان أدبر مرعوبا يسرع في مشيته وكان طياشا خفيفا (فحشر) فجمع السحرة وجنده (فنادى) في المقام الذي اجتمعوا فيه معه (فقال أنا ربكم الاعلى) لا رب فوقي وكانت لهم أصنام يعبدونها (فأخذه الله نكال الآخرة) عاقبه الله عقوبة الآخرة والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم ونصبه على المصدر لان أخذ بمعنى نكل كأنه قيل نكل الله به نكال الآخرة أي الاحراق (والاولى) أي الاغراق أو نكال كلمته الآخرة وهي أنا ربكم الاعلى والاولى وهي ما علمت لكم من اله غيري وبينهما أربعون سنة أو ثلاثون أو عشرون (ان في ذلك) المذكور (لعبرة لمن يخشى) الله (أأنتم) يا منكري البعث (أشد خلقا) أصعب خلقا وانشاء (أم السماء) مبتدأ محذوف الخبر أي أم السماء أشد خلقا ثم بين كيف خلقها فقال (بناها) أي الله ثم بين البناء فقال (رفع سمكها) أعلى سقفها وقيل جعل مقدار ذهابها في سمت العلو رفيعا مسيرة خمسمائة عام (فسواها) فعدلها مستوية بلا شقوق ولا فطور (وأغطش ليلها) أظلمه (وأخرج ضحاها) أبرز ضوء شمسها وأضيف الليل والشمس الى السماء لان الليل ظلها والشمس سراجها

الصلاة والسلام وانه كان يتحمل المشاق من قومه لتتأسى به (اذ ناداه ربه بالواد المقدس) أي المطهر (طوى) هو اسم واد بالشام عند الطور (اذهب الى فرعون انه طغى) أي علا وتكبر وكفر بالله (فقل هل لك الى أن تزكى) أي تتطهر من الشرك والكفر وقيل معناه تسلم وتصلح العمل وقال ابن عباس تشهد أن لا اله الا الله (وأهديك الى ربك) أي ادعوك الى عبادة ربك وتوحيده (فتخشى) يعني عقابه وانما خص فرعون بالذكر وان كانت دعوة موسى شاملة لجميع قومه لان فرعون كان اعظمهم فكانت دعوته دعوة لجميع قومه (فاراه) اي ارى موسى فرعون (الآية الكبرى) يعني اليد البيضاء والعصا (فكذب) يعني فرعون بانها من الله (وعصى) اي تمرد وأظهر التجبر (ثم أدبر) أي أعرض عن الايمان (يسعى) يعمل الفساد في الارض (فحشر) أي فجمع قومه وجنوده (فنادى) أي لما اجتمعوا (فقال) يعني فرعون لقومه (أنا ربكم الاعلى) أي لا رب فوقي وقيل أراد أن الاصنام أرباب وهو ربها وربهم (فأخذه الله نكال الآخرة والاولى) أي عاقبه فجعله عبرة لغيره بان أغرقه في الدنيا ويدخله النار في الآخرة وقيل أراد بالآخرة والاولى كلمتي فرعون وهما قوله ما علمت لكم من اله غيري وقوله أنا ربكم الاعلى وكان بينهما أربعون سنة (ان في ذلك) أي في الذي فعل بفرعون حين كذب وعصى (لعبرة) أي عظة (لمن يخشى) أي يخاف الله عز وجل ثم عاتب منكري البعث فقال تعالى (أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها) معناه أخلقكم بعد الموت أشد أم خلق السماء عندكم في تقديركم فان كلا الامرين بالنسبة الى قدرة الله واحد لان خلق الانسان على صغره وضعفه اذا أضيف الى خلق السماء مع عظمها وعظم أحوالها كان يسيرا فبين تعالى ان خلق السماء أعظم واذا كان كذلك كان خلقكم بعد الموت أهون على الله تعالى فكيف تنكرون ذلك مع علمكم بانه خالق السموات والارض ولا تنكرون ذلك ثم انه تعالى ذكر كيفية خلق السماء والارض فقال تعالى (رفع سمكها) يعني علو سمتها وقيل رفعها بغير عمد (فسواها) أي أتقن بناءها فليس فيها شقوق ولا فطور (وأغطش) أي أظلم (ليلها) والغطش الظلمة (وأخرج) أي وأظهر وأبرز (ضحاها) أي نهارها وانما عبر

(والارض بعد ذلك دحاها) بسطها وكانت مخلوقة غير مدحوة فدحيت من مكة بعد خلق السماء بالفى عام ثم فسر البسط فقال (أخرج منها ماءها) بتفجير العيون (ومرعاها) كلأها ولذا لم يدخل العاطف على أخرج أو أخرج حال باضمار قد (والجبال ارساها) أثبتها وانتصاب الارض والجبال باضمار دحا وارسى على شريطة التفسير (متاعا لكم ولانعامكم) فعل ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم (فاذا جاءت الطامة الكبرى) الداهية العظمى التى تطم على الدواهى اى تعلو وتغلب وهى النفخة الثانية او الساعة التى يساق فيها اهل الجنة ٤٦٣ الى الجنة واهل النار الى النار (يوم يتذكر الانسان) بدل من اذا جاءت اى اذا رأى أعماله مدونة فى كتابه تذكرها وكان قد نسيها (ماسعى) مصدرية أى سعيه أو موصولة (وبرزت الجحيم) وأظهرت (لمن يرى) لكل راء لظهورها ظهورا بينا (فأما) جواب فاذا أى اذا جاءت الطامة فان الامر كذلك (من طغى) جاوز الحد فكفر (وآثر الحيوة الدنيا) على الآخرة باتباع الشهوات (فان الجحيم هى المأوى) المرجع أى ماواه والالف واللام بدل من الاضافة وهذا عند الكوفيين وعند سيبويه وعند البصريين هى المأوى له (وأما من خاف مقام ربه) أى علم ان له مقاما يوم القيامة لحساب ربه (ونهى النفس) الامارة بالسوء (عن الهوى) المؤذى أى زجرها عن اتباع الشهوات وقيل هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها والهوى ميل النفس الى شهواتها (فان الجنة هى المأوى) اى المرجع

عن النهار بالضحى لانه أكمل أجزاء النهار فى النور والضوء وانما أضاف الليل والنهار الى السماء لانهما يجريان بسبب غروب الشمس وطلوعها وهى فى السماء ثم وصف كيفية خلق الارض فقال تعالى (والارض بعد ذلك دحاها) أى بسطها ومدها قال امية بن أبى الصلت

دحوت البلاد فسويتها * وانت على طيها قادر

فان قلت ظاهر هذه الآية يقتضى ان الارض خلقت بعد السماء بدليل قوله تعالى بعد ذلك وقد قال تعالى فى حم السجدة ثم استوى الى السماء فكيف الجمع بين الآيتين وما معناهما قلت خلق الله الارض اولا مجتمعة ثم سمك السماء ثانيا ثم دحا الارض بمعنى مدها وبسطها ثالثا فحصل بهذا التفسير الجمع بين الآيتين وزال الاشكال قال ابن عباس خلق الله الارض باقواتها من غير ان يدحوها قبل السماء ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات ثم دحا الارض بعد ذلك وقيل معناه والارض مع ذلك دحاها كقوله عتل بعد ذلك زنيم اى مع ذلك (اخرج منها ماءها ومرعاها) اى فجر من الارض عيونها ومرعاها أى رعيها وهو ما يأكله الناس والانعام واستعير الرعى للانسان على سبيل التجوز (والجبال أرساها) أى أثبتها (متاعا لكم ولانعامكم) أى الذى أخرج من الارض هو بلغة لكم ولانعامكم قوله عز وجل (فاذا جاءت الطامة الكبرى) يعنى النفخة الثانية التى فيها البعث وقيل الطامة القيامة سميت بذلك لانها تطم على كل شئ فتعلو عليه والطامة عند العرب الداهية التى لا تستطاع (يوم يتذكر الانسان ما سعى) أى ما عمل فى الدنيا من خير أو شر (وبرزت الجحيم لمن يرى) يعنى انه ينكشف عنها الغطاء فينظر اليها الخلق (فاما من طغى) أى كفر (وآثر الحيوة الدنيا) أى على الآخرة (فان الجحيم هى المأوى) أى لمن هذه صفته (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى) أى المحارم التى يشتهيها وقيل هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه بين يديه جل جلاله للحساب فيتركها لذلك (فان الجنة هى المأوى) أى لمن هذه صفته قوله عز وجل (يسئلونك) أى يا محمد (عن الساعة أيان مرساها) أى متى ظهورها وقيامها (فيم أنت من ذكراها) أى لست فى شئ من علمها وذكراها حتى تهتم لها وتذكر وقتها (الى ربك منتهاها)

(يسئلونك عن الساعة ايان مرساها) متى ارساؤها اى اقامتها يعنى متى يقيمها الله تعالى ويثبتها (فيم انت من ذكراها) اى فى اى شئ انت من ان تذكر وقتها لهم وتعلمهم به اى ما انت من ذكراها لهم وتبيين وقتها فى شئ كقولك ليس فلان من العلم فى شئ أو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت فهو على هذا تعجب من كثرة ذكره لها اى انهم يسألونك عنها فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسأل عنها (الى ربك منتهاها) منتهى علمها متى تكون لا يعلمها غيره او فيم انكار لسؤالهم عنها اى فيم هذا السؤال ثم قال انت من ذكراها اى ارسالك وانت آخر الانبياء علامة من علاماتها فلا معنى لسؤالهم عنها ولا يبعد ان يوقف على هذا على فيم وقيل فيم انت من ذكراها متصل بالسؤال اى

اى منتهى علمها لا يعلم متى تقوم الساعة الا هو وقيل معناه فيم انكار لسؤالهم اى فيم هذا السؤال ثم قال أنت يا محمد من ذكراها اى من علامتها لانك آخر الرسل وخاتم الانبياء فكفاهم ذلك دليلا على دنوها ووجوب الاستعداد لها (انما أنت منذر من يخشاها) اى انما ينفع انذارك من يخافها (كأنهم) يعنى الكفار (يوم يرونها) أى يعاينون يوم القيامة (لم يلبثوا) اى فى الدنيا وقيل فى قبورهم (الاعشية أوضحاها) فان قلت العشية ليس لها ضحى فما معنى قوله اوضحاها قلت قيل ان الهاء والالف صلة والمعنى لم يلبثوا الاعشية اوضحى وقيل اضافة الضحى الى العشية اضافة الى يومها كأنه قال الاعشية اوضحى يومها والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

(تفسير سورة عبس مكية)

وهى احدى وأربعون آية ومائة وثلاثون كلمة وخمسمائة وثلاثة وثلاثون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (عبس وتولى) أى كلح وقطب وجهه وتولى أى اعرض بوجهه (أن جاءه الاعمى) يعنى ابن أم مكتوم واسمه عمرو وقيل عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة وقيل عمرو بن قيس بن زائدة بن الاصم بن زهرة بن رواحة القرشى الفهرى من بنى عامر بن لؤى واسم أمه عاتكة بنت عبد الله المخزومية وهو ابن خالة خديجة بنت خويلد اسلم قديما بمكة وذلك انه أتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يناجى عتبة بن ربيعة وأبا جهل ابن هشام والعباس بن عبد المطلب وأبى بن خلف وأخاه أمية بن خلف ويدعوهم الى الله يرجو اسلامهم فقال ابن أم مكتوم يا رسول الله أقرئنى وعلمنى مما علمك الله وجعل يناديه ويكرر النداء وهو لا يدرى انه مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهة فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقطعه كلامه وقال فى نفسه يقول هؤلاء الصناديد انما اتبعه الصبيان والعبيد والسفلة فعبس وجهه وأعرض عنه واقبل على القوم الذين كان يكلمهم فانزل الله هذه الآيات معاتبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه اذا رآه ويقول مرحبا بمن عاتبنى الله فيه ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين فى غزوتين وكان من المهاجرين الاولين وقيل قتل شهيدا بالقادسية قال أنس رأيته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت أنزلت عبس وتولى فى ابن أم مكتوم الاعمى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول يا رسول الله أرشدنى وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم عظماء قريش من المشركين فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الآخرين ويقول أترى بما أقول باسا فيقول لا ففى هذا أنزلت أخرجه الترمذى

منذرون يزيد وعباس (كأنهم يوم يرونها) اى الساعة (لم يلبثوا) فى الدنيا (الاعشية او ضحاها) اى ضحى العشية استقلوا مدة لبثهم فى الدنيا لما عاينوا من الهول كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقوله قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم وانما صحت اضافة الضحى الى العشية للملابسة بينهما لاجتماعهما فى نهار واحد والمراد ان مدة لبثهم لم تبلغ يوما كاملا ولكن احد طرفى النهار عشيته أو ضحاه والله أعلم

(سورة عبس مكية وهى اثنتان واربعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(عبس) كلح اى النبى صلى الله عليه وسلم (وتولى) اعرض (أن جاءه) لان جاءه ومحله نصب لانه مفعول له والعامل فيه عبس او تولى على اختلاف المذهبين (الاعمى) عبد الله بن ام مكتوم وأم مكتوم ام أبيه وابوه شريح بن مالك أتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يدعو اشراف قريش الى الاسلام فقال يا رسول الله علمنى مما علمك الله وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه

لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه بعدها ويقول مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى واستخلفه على المدينة مرتين

(ومايدريك) واى شئ يجعلك داريا بحال هذا الاعمى (لعله يزكى) لعل الاعمى يتطهر بما يسمع منك من دنس الجهل واصله يتزكى وادغمت التاء فى الزاى وكذا (أويذكر) يتعظ (فتنفعه) نصبه عاصم غير الاعشى جوابا للعل وغيره رفعه عطفا على يذكر (الذكرى) ذكراك اى موعظتك اى انك لاتدرى ما هو مترقب منه من تزك اوتذكر ولودريت مافرط ذلك منك (امامن استغنى) اى من كان غنيا بالمال (فانت له تصدى) تتعرض بالاقبال عليه حرصا على ايمانه تصدى بادغام التاء فى الصاد حجازى (وماعليك ألايزكى) وليس عليك باس فى أن لايتزكى بالاسلام ان عليك الا البلاغ (وأمامن جاءك يسعى) يسرع فى طلب الخير (وهو يخشى) الله اوالكفار اى اذاهم فى اتيانك أوالكبوة كعادة العميان (فانت عنه تلهى) تتشاغل واصله تتلهى وروى انه ماعبس بعدها فى وجه فقير قط ولاتصدى لغنى وروى ان الفقراء فى مجلس الثورى كانوا أمراء (كلا) ردع اى لاتعد الى مثله (انها) ان السورة أوالآيات (تذكرة) موعظة يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها (فمن شاء ذكره) فمن شاء ان يذكره ذكره وذكر الضمير لان التذكرة فى معنى الذكر والوعظ والمعنى فمن شاء الذكر الهمه الله تعالى اياه (فى صحف) صفة لتذكرة أى انها مثبتة فى صحف منتسخة من اللوح أو خبر مبتدا محذوف أى هى فى صحف (مكرمة) عند الله (مرفوعة) فى السماء أومرفوعة القدر والمنزلة (مطهرة) عن مس غير الملائكة اوعما ليس من كلام الله (بايدى سفرة) كتبة جمع سافر اى الملائكة ينتسخون الكتب من اللوح (كرام) على الله أوعن المعاصى (بررة) اتقياء جمع بار (قتل الانسان) لعن الكافر أوهو أمية اوعتبة (ما أكفره) استفهام توبيخ اى اى شئ حمله على الكفر أوهو تعجب أى ما أشد كفره (من أى شئ خلقه) من أى حقير خلقه وهو استفهام ومعناه التقرير ثم بين ذلك الشئ فقال (من نطفة خلقه فقدره) على ما يشاء من خلقه (ثم السبيل يسره) نصب السبيل باضمار يسر اى ثم سهل له سبيل الخروج من بطن أمه أو بين له سبيل الخير والشر (ثم أماته فاقبره) جعله ذا قبر يوارى فيه لا كالبهائم كرامة له قبر الميت دفنه واقبره الميت امره بان يقبره ومكنه منه

وقال حديث غريب (ومايدريك) اى أى شئ يجعلك داريا (لعله يزكى) اى يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح وما يتعلمه منك (او يذكر) اى يتعظ (فتنفعه الذكرى) اى الموعظة (أما من استغنى) قال ابن عباس عن الله وعن الايمان بماله من المال (فانت له تصدى) اى تتعرض له وتقبل عليه وتصغى الى كلامه (وماعليك ألا يزكى) اى لا يؤمن ولايهتدى وانما عليك البلاغ (وأما من جاءك يسعى) يمشى يعنى ابن أم مكتوم (وهو يخشى) اى الله عزوجل (فانت عنه تلهى) اى تتشاغل وتعرض عنه (كلا) اى لاتفعل بعدها مثلها (انها) يعنى الموعظة وقيل آيات القرآن (تذكرة) اى موعظة للخلق (فمن شاء) اى من عباد الله (ذكره) اى اتعظ به يعنى القرآن ثم وصف جلالة القرآن ومحله عنده فقال عزوجل (فى صحف مكرمة) يعنى القرآن فى اللوح المحفوظ (مرفوعة) اى رفيعة القدر عند الله وقيل مرفوعة فى السماء السابعة (مطهرة) يعنى الصحف لا يمسها الا المطهرون وهم الملائكة (بايدى سفرة) قال ابن عباس يعنى كتبة وهم الملائكة الكرام الكاتبون واحدهم سافر ومنه قيل للكاتب سفر وقيل هم الرسل من الملائكة الى الانبياء واحدهم سفير ثم أثنى عليهم بقوله (كرام) أى هم كرام على الله (بررة) اى مطيعين له جمع بار قوله عزوجل (قتل الانسان) أى لعن الكافر وطرد (ما أكفره) أى ما أشد كفره بالله مع كثرة احسانه اليه وأياديه عنده وهذا على سبيل التعجب اى اعجبوا من كفره وقيل معناه أى شئ حمله على الكفر نزلت هذه الآية فى عتبة بن أبى لهب وقيل فى أمية بن خلف وقيل فى الذين قتلوا يوم بدر وقيل الآية عامة فى كل كافر ثم بين من أمره ما كان ينبغى معه أن يعلم ان الله تعالى خالقه منه فقال تعالى (من أى شئ خلقه) لفظه استفهام ومعناه التقرير ثم فسر ذلك فقال تعالى (من نطفة خلقه فقدره) يعنى خلقه أطوارا نطفة ثم علقة ثم مضغة الى آخر خلقه وقيل قدره يعنى خلق رأسه وعينيه ويديه ورجليه على قدر ما أراده (ثم السبيل يسره) أى سهل له طريق خروجه من بطن أمه وقيل سهل له العلم بطريق الحق والباطل وقيل يسر على كل أحد ما خلق له وقدر عليه (ثم أماته فاقبره) أى جعل له قبرا يوارى فيه وقيل جعله مقبورا ولم يجعله ملقى للسباع والوحوش والطيور أو أقبره معناه صيره الله بحيث يقبر وجعله ذا قبر يدفن فيه وهذه تكرمة لبنى آدم على سائر الحيوانات ثم

قال تعالى (ثم اذا شاء أنشره) أى احياه بعد موته للبعث والحساب وانما قال تعالى ثم
اذا شاء أنشره لان وقت البعث غير معلوم لاحد فهو الى مشيئة الله تعالى متى شاء ان
يحيي الخلق احياهم (كلا) ردع وزجر للانسان عن تكبره وتجبره وترفعه وعن كفره
واصراره على انكار التوحيد وانكار البعث والحساب (لما يقض ما أمره) أى لم يفعل
ما أمره به ربه ولم يؤد ما فرض عليه ولما ذكر خلق ابن آدم ذكر رزقه ليعتبر فانه موضع
لاعتبار فقال تعالى (فلينظر الانسان الى طعامه) الى قدرة ربه فيه أى كيف قدره ربه
ويسره ودبره له وجعله سببا لحياته وقيل مدخل طعامه ومخرجه ثم بين ذلك فقال تعالى
(أنا صببنا الماء صبا) يعنى المطر (ثم شققنا الارض شقا) أى بالنبات (فانبتنا فيها) أى
ذلك الماء (حبا) يعنى الحبوب التى يتغذى بها الانسان (وعنبا) يعنى انه غذاء من وجه
فاكهة من وجه فلهذا اتبعه الحب (وقضبا) يعنى القت وهو الرطب سمى بذلك لانه
يقضب أى يقطع فى كل الايام وقيل القضب هو العلف كله الذى تعلف به الدواب
(وزيتونا) وهو ما يعصر منه الزيت (ونخلا وحدائق) جمع حديقة (غلبا) يعنى غلاظ
الاشجار وقيل الغلب الشجر الملتف بعضه على بعض وقال ابن عباس طوالا (وفاكهة)
يعنى جميع ألوان الفاكهة (وأبا) يعنى الكلأ والمرعى الذى لم يزرعه الناس مما يأكله
الدواب والانعام وقيل الفاكهة ما يأكله الناس والاب ما يأكله الدواب وقال ابن عباس
ما أنبتت الارض مما يأكل الناس والانعام روى ابراهيم التيمى ان أبا بكر سئل
عن قوله وفاكهة وأبا فقال أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى اذا قلت فى كتاب الله
ما لا أعلم (خ) عن أنس ان عمر قرأ وفاكهة وأبا قال فما الاب ثم قال ما كلفنا أو قال
ما أمرنا بهذا لفظ البخارى وزاد غيره ثم قال اتبعوا ما بين لكم هذا الكتاب وما لا فدعوه
(متاعا لكم) يعنى الفواكه والحب والعشب منفعة لكم (ولانعامكم) ثم ذكر اهوال
القيامة فقال تعالى (فاذا جاءت الصاخة) يعنى صيحة القيامة سميت صاخة لانها تصخ
اسماع الخلق أى تبالغ فى اسماعهم حتى تكاد تصمها (يوم يفر المرء من أخيه وأمه
وأبيه وصاحبته وبنيه) أى انه لا يلتفت الى واحد من هؤلاء لشغله بنفسه والمراد من
الفرار التباعد والسبب فى ذلك الاحتراز عن المطالبة بالحقوق فالاخ يقول ما واسيتنى
بمالك والابوان يقولان قصرت فى برنا والصاحبة تقول لم توفنى حقى والبنون يقولون
ما علمتنا وما أرشدتنا وقيل أول من يفر هابيل من أخيه قابيل والنبى صلى الله عليه وسلم
من أمه وابراهيم عليه الصلاة والسلام من أبيه ولوط من صاحبته ونوح من ابنه
وقيل يفر المؤمن من موالاة هؤلاء ونصرتهم والمعنى ان هؤلاء الذين كانوا يقربونهم فى
الدنيا ويتقوون بهم ويتعززون بهم يفرون منهم فى الدار الآخرة وفائدة الترتيب كأنه
قيل يوم يفر المرء من أخيه بل من أبويه لانهما أقرب من الاخوة بل من الصاحبة
والولد لان تعلقه بهما أشد من تعلقه بالابوين (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه)
أى يشغله شأن نفسه عن شأن غيره عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال
تحشرون حفاة عراة غرلا فقالت امرأة أيبصر أحدنا أو يرى بعضنا عورة بعض قال

ثم اذا شاء أنشره) أحياه بعد موته (كلا) ردع للانسان عن الكفر (لما يقض ما أمره) لم يفعل هذا الكافر
ما أمره الله به من الايمان ولما
عدد النعم فى نفسه من ابتداء
حدوثه الى آن انتهائه اتبعه
ذكر النعم فيما يحتاج اليه فقال
(فلينظر الانسان الى طعامه)
الذى يأكله ويحيا به كيف دبرنا
أمره (أنا) بالفتح كوفى على انه
بدل اشتمال من الطعام وبالكسر
على الاستئناف غيرهم (صببنا
الماء صبا) يعنى المطر من
السحاب (ثم شققنا الارض شقا)
بالنبات (فانبتنا فيها حبا) كالبر
والشعير وغيرهما مما يتغذى
به (وعنبا) ثمرة الكرم أى
الطعام والفاكهة (وقضبا) رطبة
سمى بمصدر قضبه أى قطعه لانه
يقضب مرة بعد مرة (وزيتونا
ونخلا وحدائق) بساتين (غلبا)
غلاظ الاشجار جمع غلباء (وفاكهة)
لكم (وأبا) مرعى لدوابكم (متاعا)
مصدر أى منفعة (لكم ولانعامكم
فاذا جاءت الصاخة) صيحة
القيامة لانها تصخ الآذان أى
تصمها وجوابه محذوف لظهوره
(يوم يفر المرء من أخيه وأمه
وأبيه) لتبعات بينه وبينهم او
لاشتغاله بنفسه (وصاحبته)
وزوجته (وبنيه) بدأ بالاخ
ثم بالابوين لانهما أقرب منه ثم
بالصاحبة والبنين لانهم أحب
قيل أول من يفر من أخيه هابيل
ومن ابويه ابراهيم ومن صاحبته
نوح ولوط ومن ابنه نوح (لكل
امرئ منهم يومئذ شأن) فى نفسه (يغنيه) يكفيه فى الاهتمام به ويشغله عن غيره

(وجوه يومئذ مسفرة) مضيئة من قيام الليل او من آثار الوضوء (ضاحكة مستبشرة) أى أصحاب هذه الوجوه وهم المؤمنون ضاحكون مسرورون (ووجوه يومئذ عليها غبرة) غبار (ترهقها قترة) يعلو الغبرة سواد كالدخان ولا ترى أوحش

يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح ولما ذكر الله تعالى حال القيامة وأهوالها بين حال المكلفين وانهم على قسمين منهم السعداء والاشقياء فوصف السعداء بقوله تعالى (وجوه يومئذ مسفرة) أى مشرقة مضيئة من أسفر الصبح اذا أضاء وقيل مسفرة من قيام الليل وقيل من أثر الوضوء وقيل من الغبار فى سبيل الله (ضاحكة) أى عند الفراغ من الحساب (مستبشرة) أى بالسرور فرحة بما تنال من كرامة الله ورضوانه ثم وصف الاشقياء فقال تعالى (ووجوه يومئذ عليها غبرة) أى سواد وكآبة للهم الذى نزل بهم (ترهقها قترة) أى تعلوها وتغشاها ظلمة وكسوف وقال ابن عباس تغشاها ذلة والفرق بين الغبرة والقترة ان الغبرة ما كان أسفل فى الارض والقترة ما ارتفع من الغبار فلحق بالسماء (أولئك) أى الذين صنع بهم هذا (هم الكفرة الفجرة) جمع كافر وفاجر والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

(تفسير سورة التكوير مكية)

وهى تسع وعشرون آية ومائة وأربع كلمات وخمسمائة وثلاثون حرفا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن ينظر الى يوم القيامة كأنه رأى العين فليقرأ اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت أخرجه الترمذى

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (اذا الشمس كورت) قال ابن عباس أظلمت وغورت وقيل اضمحلت وقيل لفت كما تلف العمامة وأصل التكوير جمع بعض الشئ الى بعض ومعناه ان الشمس يجمع بعضها الى بعض ثم تلف فاذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها قال ابن عباس يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة فى البحر ثم يبعث عليها ريحا دبورا فتضربها فتصير نارا (خ) عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الشمس والقمر يكوران يوم القيامة قيل ان الشمس والقمر جمادان فالقاؤهما فى النار يكون سببا لازدياد الحر فى جهنم (واذا النجوم انكدرت) أى تناثرت من السماء وسقطت على الارض قال الكلبى وعطاء تمطر السماء يومئذ نجوما فلا يبقى نجم الا وقع (واذا الجبال سيرت) أى عن وجه الارض فصارت هباء منثورا (واذا العشار عطلت) يعنى النوق الحوامل التى أتى عليها عشرة أشهر من حملها واحدتها عشراء ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع لتمام سنة وهى أنفس مال عند العرب فاذا كان ذلك اليوم عطلت وتركت هملا بلا راع أهملها أهلها وقد كانوا لازمين لاذنابها ولم يكن مال أعجب اليهم منها لما جاءهم من أهوال يوم القيامة (واذا الوحوش) يعنى من دواب البر (حشرت) أى جمعت يوم القيامة ليقتص لبعضها من بعض وقال ابن عباس حشرها موتها قال وحشر كل شئ موته غير الجن والانس فانهما يوقفان يوم القيامة (واذا البحار سجرت) قال ابن عباس أوقدت فصارت نارا تضطرم

من اجتماع الغبرة والسواد فى الوجه (أولئك) أهل هذه الحالة (هم الكفرة) فى حقوق الله (الفجرة) فى حقوق العباد ولما جمعوا الفجور الى الكفر جمع الى سواد وجوههم الغبرة والله أعلم

(سورة التكوير مكية وهى تسع وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا الشمس كورت) ذهب ضوؤها من كورت العمامة اذا لففتها أى يلف ضوءها لفا فيذهب انبساطه وانتشاره فى الآفاق وارتفاع الشمس بالفاعلية ورافعها فعل مضمر يفسره كورت لان اذا يطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط (واذا النجوم انكدرت) تساقطت (واذا الجبال سيرت) عن وجه الارض وأبعدت أو سيرت فى الجو تسيير السحاب (واذا العشار) جمع عشراء وهى الناقة التى أتى على حملها عشرة أشهر ثم هو اسمها الى أن تضع لتمام السنة (عطلت) أهملت عطلها أهلها لاشتغالهم بأنفسهم وكانوا يحبسونها اذا بلغت هذه الحالة لعزتها عندهم و يعطلون مادونها عطلت بالتخفيف عن اليزيدى (واذا الوحوش حشرت) جمعت من كل ناحية قال قتادة يحشر كل شئ حتى الذباب للقصاص فاذا قضى بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبنى آدم كالطاوس ونحوه وعن ابن عباس رضى الله عنهما حشرها موتها يقال اذا أجحفت السنة بالناس وأموالهم حشرتهم السنة (واذا البحار سجرت) سجرت مكى و بصرى

وقيل

من سجر التنور اذا ملأه بالحطب أي ملئت وفجر بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا وقيل ملئت نيرانا لتعذيب أهل
النار (واذا النفوس زوجت) قرنت كل نفس بشكلها الصالح مع الصالح ٤٦٧ في الجنة والطالح مع الطالح في النار أو
قرنت الارواح بالاجساد أو
بكتبها وأعمالها ونفوس المؤمنين
بالحور العين ونفوس الكافرين
بالشياطين (واذا الموؤودة)
المدفونة حية وكانت العرب
تئد البنات خشية الاملاق
وخوف الاسترقاق (سئلت)
سؤال تلطف لتقول بلا ذنب
قتلت أو لتدل على قاتلها وهو
توبيخ لقاتلها بصرف الخطاب
عنه كقوله أأنت قلت
للناس الآية (بأي ذنب قتلت)
وبالتشديد يزيد وفيه دليل على
ان اطفال المشركين لا يعذبون
وعلى ان التعذيب لا يكون
بلا ذنب (واذا الصحف نشرت)
فتحت وبالتخفيف مدني وشامي
وعاصم وسهل ويعقوب والمراد
صحف الاعمال تطوى صحيفة
الانسان عند موته ثم تنشر اذا
حوسب ويجوز أن يراد نشرت
بين أصحابها أي فرقت بينهم
(واذا السماء كشطت) قال
الزجاج قلعت كما يقلع السقف
(واذا الجحيم سعرت) أوقدت
ايقادا شديدا وبالتشديد شامي
ومدني وعاصم غير حماد ويحيى
للمبالغة (واذا الجنة أزلفت)
أدنيت من المتقين كقوله
وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد
فهذه اثنتا عشرة خصلة ستة منها
في الدنيا والباقية في الآخرة ولا
وقف مطلقا من أول السورة
الى ما أحضرت لان عامل النصب في اذا الشمس وفيما عطف عليه جوابها وهو

وقيل فجر بعضها في بعض العذب والملح حتى صارت البحار كلها بحرا واحدا وقيل صارت
مياهها من حميم أهل النار وقيل سجرت أي يبست وذهب ماؤها فلم تبق فيها قطرة قال
أبي بن كعب ست آيات قبل يوم القيامة بينما الناس في أسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس
فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على الارض فبينما هم كذلك اذ تناثرت النجوم
فتحركت واضطربت وفزعت الانس والجن واختلطت الدواب والطير والوحش وماج
بعضهم في بعض فذلك قوله تعالى اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال
سيرت واذا العشار عطلت واذا الوحوش حشرت واذا البحار سجرت فحينئذ تقول الجن
للانس نحن نأتيكم بالخبر فينطلقون الى البحر فاذا هو نار تأجج فبينما هم كذلك اذ انصدعت
الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة السفلى والى السماء السابعة العليا فبينما هم
كذلك اذ جاءتهم ريح فأماتتهم وعن ابن عباس قال هي اثنتا عشرة خصلة ستة في الدنيا
وستة في الآخرة وهي ما ذكر بعد هذه وهو قوله تعالى (واذا النفوس زوجت) روى
النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب انه سئل عن هذه الآية فقال يقرن بين الرجل
الصالح مع الرجل الصالح في الجنة ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار
وقيل ألحق كل امرئ بشيعته اليهود باليهود والنصارى بالنصارى وقيل يحشر الرجل
مع صاحب عمله وقيل زوجت النفوس بأعمالها وقيل زوجت نفوس المؤمنين بالحور
العين وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين وقيل معنى زوجت ردت الارواح الى
الاجساد (واذا الموؤودة سئلت) يعني الجارية التي دفنت وهي حية سميت بذلك لما
يطرح عليها من التراب فيؤدها أي يثقلها حتى تموت وكانت العرب تفعل ذلك في
الجاهلية تدفن البنات حية مخافة العار والحاجة وروى عن ابن عباس قال كانت
المرأة في الجاهلية اذا حملت وكان أوان ولادتها حفرت حفيرة فتمخضت على رأس الحفيرة
فان ولدت جارية رمت بها في الحفيرة واذا ولدت غلاما حبسته وقيل كان الرجل في
الجاهلية اذا ولدت له بنت وأراد بقاءها حية ألبسها جبة صوف أو شعر وتركها ترعى
الابل والغنم في البادية واذا أراد قتلها تركها حتى تشب فاذا بلغت قال لامها طيبيها
وزينيها حتى أذهب بها الى احمائها وقد حفر بئرا في الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها
انظري فيها فاذا نظرت دفعها من ورائها ويهيل عليها التراب حتى تستوي بالارض عن
ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائد والموؤودة في النار أخرجه أبو داود
وكان صعصعة بن ناجية ممن منع الوأد ولم يئد فافتخر به الفرزدق في شعره فقال

ومنا الذي منع الوائدات * وأحيا الوئيد فلم توأد

(بأي ذنب قتلت) معناه تسئل الموؤودة فيقال لها بأي ذنب قتلت ومعنى سؤالها توبيخ
قاتلها لانها قتلت بغير ذنب (واذا الصحف نشرت) يعني صحائف الاعمال تنشر للحساب
(واذا السماء كشطت) أي نزعت وطويت وقيل قلعت كما يقلع السقف وقيل كشفت
وأزيلت عمن فيها (واذا الجحيم سعرت) أوقدت لاعداء الله تعالى (واذا الجنة أزلفت)

أى قربت لاولياء الله (علمت نفس ما أحضرت) يعنى عند ذلك تعلم كل نفس ما احضرت من خير أو شر وهذا جواب لقوله اذا الشمس كورت الى هنا قوله عز وجل (فلا أقسم) لا زائدة والمعنى أقسم وقد تقدم ذلك فى قوله لا أقسم بيوم القيامة (بالخنس الجوار الكنس) يعنى النجوم تبدو بالليل فتظهر وتخنس بالنهار تحت نور الشمس ونحو هذا المعنى روى عن على بن أبى طالب وقيل هى النجوم الخمسة زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد تخنس فى مجاريها أى ترجع وراءها فى الفلك وتكنس أى تستر وقت اختفائها وقيل انها تخنس أى تتأخر عن مطالعها والكنس معناه انها لا ترى بالنهار وقيل هى الظباء وهى رواية عن ابن عباس وأصل الخنوس الرجوع الى وراء والكنوس هو ان تأوى الى كناسها وهو الموضع الذى يأوى اليه الوحش (والليل اذا عسعس) أى أقبل بظلامه وقيل أدبر والعسعسة رقة الظلام وذلك يكون فى طرف الليل (والصبح اذا تنفس) أى اقبل وبدا أوله وقيل اسفر وفى تنفسه قولان أحدهما ان فى اقبال الصبح روحا ونسيما فجعل ذلك نفسا على المجاز الثانى انه شبه الليل بالمكروب المحزون فاذا تنفس وجد راحة فكأنه تخلص من الحزن فعبر عنه بالتنفس فهو استعارة لطيفة ولما ذكر المقسم به اتبعه بالمقسم عليه فقال تعالى (انه) يعنى القرآن (لقول رسول كريم) يعنى جبريل عليه الصلاة والسلام والمعنى ان جبريل نزل به عن الله عز وجل (ذى قوة) وكان من قوته أنه اقتلع قرى قوم لوط الاربع من الماء الأسود وحملها على جناحه فرفعها الى السماء ثم قلبها وانه أبصر ابليس يكلم عيسى عليه الصلاة والسلام على بعض عقاب الارض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة ألقاه الى أقصى جبل بالهند وانه صاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وانه يهبط من السماء الى الارض ثم يصعد فى أسرع من رد الطرف (عند ذى العرش مكين) اى فى المنزلة والجاه (مطاع ثم) اى فى السموات تطيعه الملائكة ومن طاعة الملائكة له انهم فتحوا أبواب السموات ليلة المعراج بقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح خزنة الجنة أبوابها بقوله (أمين) يعنى على وحى الله تعالى الى أنبيائه (وما صاحبكم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم يخاطب كفار مكة (بمجنون) وهذا أيضا من جواب القسم اقسم على ان القرآن نزل به جبريل وان محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بمجنون كما يقول أهل مكة وذلك انهم قالوا انه مجنون وان ما يقوله ليس هو الا من عند نفسه فنفى الله عنه الجنون وكون القرآن من عند نفسه (ولقد رآه) يعنى رأى النبى صلى الله عليه وسلم جبريل عليه الصلاة والسلام على صورته التى خلق فيها (بالافق المبين) يعنى بالافق الاعلى من ناحية المشرق حيث تطلع الشمس روى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه الصلاة والسلام انى أحب أن أراك فى صورتك التى تكون فيها فى السماء

الشمس والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس وقيل هى جميع الكواكب (والليل اذا عسعس) أقبل بظلامه أو أدبر فهو من الاضداد (والصبح اذا تنفس) امتد ضوءه ولما كان اقبال الصبح يلازمه الروح والنسيم جعل ذلك نفسا له مجازا وجواب القسم (انه) أى القرآن (لقول رسول) أى جبريل عليه السلام وانما أضيف القرآن اليه لانه هو الذى نزل به (كريم) عند ربه (ذى قوة) قدرة على ما يكلف لا يعجز عنه ولا يضعف (عند ذى العرش) عند الله (مكين) ذى جاه ومنزلة ولما كانت حال المكانة على حسب حال الممكن قال عند ذى العرش ليدل على عظم منزلته ومكانته (مطاع ثم) أى فى السموات يطيعه من فيها أو عند ذى العرش أى عند الله يطيعه ملائكته المقربون يصدرون عن أمره ويرجعون الى رأيه (أمين) على الوحى (وما صاحبكم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (بمجنون) كما تزعم الكفرة وهو عطف على جواب القسم (ولقد رآه) رأى محمد جبريل عليه السلام على صورته (بالافق المبين) بمطلع الشمس

٣ قوله فبعرفات الخ كذا بالنسخ بايدينا وفي الخطيب قال فبعرفات قال ذلك بالحرى أن يسعني اه مصحح

قال لن تقوى على ذلك قال بلى قال فاين تشاء ان أتخيل لك قال بالابطح قال لا يسعني ذلك قال فبمنى قال لا يسعني ذلك ٣ قال فبعرفات قال لا يسعني ذلك قال بحراء قال ان يسعني فواعده فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت فاذا هو بجبريل قد أقبل من حيال عرفات بخشخشة وكلكلة قد ملأ ما بين المشرق والمغرب ورأسه في السماء ورجلاه في الارض فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم خر مغشيا عليه فتحول جبريل عن صورته وضمه الى صدره وقال يا محمد لا تخف فكيف لو رأيت اسرافيل ورأسه تحت العرش ورجلاه في تخوم الارض السابعة وان العرش لعلى كاهله وانه ليتضاءل أحيانا من مخافة الله جل جلاله وعلا علاؤه وشأنه حتى يصير كالصعو يعني العصفور حتى ما يحمل عرش ربك الا عظمته (وما هو) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (على الغيب) أي الوحي وخبر السماء وما اطلع عليه مما كان غائبا عن علمه من القصص والانباء (بظنين) قرئ بالظاء ومعناه بمتهم والظنة التهمة وقرئ بضنين بالضاد ومعناه ببخيل يقول انه يأتيه علم الغيب ولا يبخل به عليكم ويخبركم به ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلوانا وهو أجرة الكاهن وقراءة الظاء أولى لانهم لم يبخلوه وانما اتهموه فنفى الله عنه تلك التهمة ولو أراد البخل لقال وما هو بالغيب (وما هو) يعني القرآن (بقول شيطان رجيم) يعني ان القرآن ليس بشعر ولا كهانة كما قالت قريش وقيل كانوا يقولون ان شيطانا يلقيه على لسانه فنفى الله ذلك عنه (فاين تذهبون) فاين تعدلون عن القرآن وفيه الشفاء والهدى والبيان وقيل معناه أي طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التي قد بينت لكم (ان هو) يعني ما في القرآن (الا ذكر للعالمين) أي موعظة للخلق أجمعين (لمن شاء منكم أن يستقيم) أي يتبع الحق ويقيم عليه وينتفع به ثم بين ان مشيئة العبد موقوفة بمشيئته فقال تعالى (وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين) أعلمهم الله ان المشيئة في التوفيق للاستقامة اليه وانهم لا يقدرون على ذلك الا بمشيئة الله وتوفيقه وفيه اعلام ان أحدا لا يعمل خيرا الا بتوفيق الله تعالى ولا شرا الا بخذلانه ومشيئته والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

*(تفسير سورة الانفطار مكية)

وهي تسع عشرة آية وثمانون كلمة وثلثمائة وسبعة وعشرون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (اذا السماء انفطرت) أي انشقت (واذا الكواكب انتثرت) أي تساقطت (واذا البحار فجرت) أي فجر بعضها في بعض واختلط العذب بالملح فصارت بحرا واحدا وقيل معنى فجرت فاضت (واذا القبور بعثرت) أي بحثت وقلب ترابها وبعث من

لا يبخل بالوحي كما يبخل الكهان رغبة في الحلوان بل يعلمه كما علم ولا يكتم شيأ مما علم بظنين مكي وأبو عمرو وعلي أي بمتهم فينقص شيأ مما أوحي اليه أو يزيد فيه من الظنة وهي التهمة (وما هو) وما القرآن (بقول شيطان رجيم) طريد وهو كقوله وما تنزلت به الشياطين أي ليس هو بقول بعض المسترقة للسمع وبوحيهم الى أوليائهم من الكهنة (فاين تذهبون) استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافا أو ذهابا في بنيات الطريق أين تذهب مثلت حالهم بحاله في تركهم الحق وعدولهم عنه الى الباطل وقال الزجاج معناه فاي طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التي بينت لكم وقال الجنيد فاين تذهبون عنا وان من شئ الا عندنا (ان هو الا ذكر للعالمين) ما القرآن الا عظة للخلق (لمن شاء منكم) بدل من العالمين (أن يستقيم) أي القرآن ذكر لمن شاء الاستقامة يعني ان الذين شاؤا الاستقامة بالدخول في الاسلام هم المنتفعون بالذكر فكأنه لم يوعظ به غيرهم وان كانوا موعوظين جميعا (وما تشاؤن) الاستقامة (الا أن يشاء الله رب العالمين) مالك الخلق أجمعين

*(سورة الانفطار مكية وهي تسع عشرة آية) (بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا السماء انفطرت) انشقت (واذا الكواكب انتثرت) تساقطت (واذا البحار فجرت) فتح بعضها الى بعض وصارت البحار بحرا واحدا (واذا القبور بعثرت) بحثت وأخرج موتاها وجواب اذا

(علمت نفس) أي كل نفس برة وفاجرة (ماقدمت) ماعملت من الطاعة (وأخرت) وتركت ولم تعمل أو ماقدمت من الصدقات وماأخرت من الميراث (ياأيها الانسان) قيل الخطاب لمنكري البعث (ماغرك بربك الكريم الذي خلقك) أي شيء خدعك حتى ضيعت ماوجب عليك مع كرم ربك حيث أنعم عليك بالخلق والتسوية والتعديل وعنه عليه السلام حين تلاها غره جهله وعن عمر رضي الله عنه غره حمقه وعن الحسن غره شيطانه وعن الفضيل لو خوطبت أقول غرتني ستورك المرخاة وعن

يحيى بن معاذ أقول غرني برك بي سالفا وآنفا (فسواك) فجعلك مستوي الخلق سالم الاعضاء (فعدلك) فصيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه فلم يجعل احدى اليدين أطول ولا احدى العينين أوسع ولا بعض الاعضاء أبيض وبعضها أسود وجعلك معتدلا الخلق تمشي قائما لا كالبهائم وبالتخفيف كوفي وهو بمعنى المشدد أي عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت فكنت معتدل الخلقة متناسبا (في أي صورة ماشاء ركبك) ما مزيدة للتوكيد أي ركبك في أي صورة اقتضتها مشيئته من الصورة المختلفة في الحسن والقبح والطول والقصر ولم يعطف هذه الجملة كما عطف ماقبلها لانها بيان لعدلك والجار يتعلق بركبك على معنى وضعك في بعض الصور ومكنك فيها أو بمحذوف أي ركبك حاصلا في بعض الصور (كلا) ردع عن الغفلة عن الله تعالى (بل تكذبون بالدين) أصلا وهو الجزاء أو دين الاسلام فلا تصدقون ثوابا ولا عقابا (وان عليكم لحافظين) أعمالكم وأقوالكم من الملائكة (كراما كاتبين) يعني أنكم تكذبون بالجزاء والكاتبون يكتبون عليكم أعمالكم لتجزوا بها (يعلمون ما تفعلون) لا يخفى عليهم شيء من أعمالكم وفي تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لامر الجزاء وانه عند الله من جلائل الامور وفيه انذار وتهويل للمجرمين ولطف للمتقين وعن الفضيل انه كان اذا قرأها قال ما أشدها من آية على الغافلين

فيها من الموتى احياء (علمت نفس ما قدمت وأخرت) يعني علمت في ذلك اليوم ماقدمت من عمل صالح أو سيء وأخرت بعدها من حسنة أو سيئة وقيل ماقدمت من الصدقات وأخرت من الزكوات وهذه أحوال يوم القيامة قوله عز وجل (ياأيها الانسان ماغرك بربك الكريم) أي ماخدعك وسول لك الباطل حتى صنعت ماصنعت وضيعت ماأوجب عليك والمعنى ماذا أمنك من عقابه قيل نزلت في الوليد بن المغيرة وقيل في أبي الاشريق واسمه أسيد بن كلدة وقيل كلدة بن خلف وكان كافرا ضرب النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعاقبه الله وأنزل الله هذه الآية وقيل الآية عامة في كل كافر وعاص يقول ما الذي غرك قيل غره حمقه وجهله وقيل تسويل الشيطان له وقيل غره عفو الله عنه حيث لم يعاجله بالعقوبة في أول مرة بربك الكريم أي المتجاوز عنك فهو بكرمه لك لم يعاجلك بعقوبته بل بسط لك المدة لرجاء التوبة قال ابن مسعود مامنكم من أحد الا سيخلو الله عز وجل به يوم القيامة فيقول يا ابن آدم ماغرك بي يا ابن آدم ماذا عملت فيما علمت يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين وقيل للفضيل بن عياض لو أقامك الله يوم القيامة فيقول لك يا ابن آدم ماغرك بربك الكريم ماذا كنت تقول قال أقول غرني ستورك المرخاة وقال يحيى بن معاذ لو أقامني بين يديه وقال ماغرك بي أقول غرني برك بي سالفا وآنفا وقال أبو بكر الوراق لو قال لي ماغرك بربك الكريم لقلت غرني كرم الكريم وقال بعض أهل الاشارة انما قال بربك الكريم دون سائر أسمائه وصفاته كأنه لقنه حجته في الاجابة حتى يقول غرني كرم الكريم (الذي خلقك) أي أوجدك من العدم الى الوجود (فسواك) أي جعلك سويا سالم الاعضاء تسمع وتبصر (فعدلك) أي عدل خلقك في مناسبة الاعضاء فلم يجعل بعضها أطول من بعض وقيل معناه جعلك قائما معتدلا حسن الصورة ولم يجعلك كالبهيمة المنحنية (في أي صورة ماشاء ركبك) أي في أي شبه من أب أو أم أو خال أو عم وجاء في الحديث ان النطفة اذا استقرت في الرحم أحضر كل عرق بينه وبين آدم ثم قرأ في أي صورة ماشاء ركبك وقيل معناه ان شاء ركبك في صورة انسان وان شاء في صورة دابة أو حيوان وقيل في أي صورة ماشاء ركبك من الصور المختلفة بحسب الطول والقصر والحسن والقبح والذكورة والانوثة وفي هذه دلالة على قدرة الصانع المختار القادر وذلك انه لما اختلفت الهيئات والصفات دل ذلك على كمال القدرة واتساع الصنعة وان المدبر المختار هو الله تعالى قوله عز وجل (كلا بل تكذبون بالدين) أي بيوم الحساب والجزاء (وان عليكم لحافظين) يعني رقباء من الملائكة يحفظون عليكم أعمالكم (كراما) أي على الله (كاتبين) أي يكتبون أقوالكم وأعمالكم (يعلمون ما تفعلون) يعني من خير

(ان الابرار لفي نعيم) ان المؤمنين لفي نعيم الجنة (وان الفجار لفي جحيم) وان الكفار لفي النار (يصلونها يوم الدين) يدخلونها يوم الجزاء (وماهم عنها بغائبين) أي لا يخرجون منها كقوله وماهم بخارجين منها ثم عظم شأن يوم القيامة فقال (وما أدراك مايوم الدين ثم ما أدراك مايوم الدين) فكرر للتأكيد والتهويل وبينه بقوله (يوم لا تملك نفس لنفس شيأ) أي لا تستطيع دفعا عنها ولا نفعا لها بوجه ولا تملك الشفاعة الا بالاذن يوم بالرفع مكي وبصري أي هو أو بدل من يوم الدين ومن

قوله عز وجل (ان الابرار) يعني الذين بروا وصدقوا في ايمانهم باداء ما افترض الله عليهم واجتناب معاصيه (لفي نعيم) يعني نعيم الجنة (وان الفجار لفي جحيم) روي ان سليمان بن عبد الملك قال لابي حازم المزني ليت شعري مالنا عند الله فقال له اعرض عملك على كتاب الله فانك تعلم مالك عند الله قال أين أجد ذلك في كتاب الله قال عند قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم قال سليمان فاين رحمة الله قال قريب من المحسنين (يصلونها يوم الدين) يعني يوم القيامة لانه يوم الجزاء (وماهم عنها بغائبين) أي عن النار ثم عظم شأن ذلك اليوم فقال تعالى (وما أدراك مايوم الدين) قيل المخاطب بذلك هو الكافر وهو على وجه الزجر وقيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى أي شئ أعلمك به لولم نعرفك أحواله (ثم ما أدراك مايوم الدين) التكرير لتعظيم ذلك اليوم وتفخيم شأنه (يوم لا تملك نفس لنفس شيأ) أي لا تملك نفس كافرة لنفس كافرة شيأ من المنفعة (والامر يومئذ لله) يعني انه لم يملك الله في ذلك أحدا شيأ كما ملكهم في الدنيا والله أعلم

(تفسير سورة المطففين مدنية)

في قول ومكية في قول وقيل فيها ثمان آيات مكية وهي من قوله ان الذين أجرموا الى آخرها وقيل فيها آية مكية وهي قوله تعالى اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين وقيل انها نزلت بين مكة والمدينة زمن الهجرة وهي ست وثلاثون آية ومائة وتسع وستون كلمة وسبعمائة وثلاثون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (ويل) أي قبح وهي كلمة تذكر عند وقوع البلاء يقال ويل له وويل عليه وقيل ويل اسم واد في جهنم (للمطففين) يعني الذين ينقصون المكيال والميزان لانه لا يكاد المطفف يسرق في الكيل والوزن الا الشئ اليسير الطفيف قال ابن عباس لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا فانزل الله عز وجل ويل للمطففين فاحسنوا الكيل وقيل لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وبها رجل يقال له أبو جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالآخر فانزل الله هذه الآية وجعل الويل للمطففين ثم بين من هم فقال تعالى (الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون) يعني انهم اذا اكتالوا من الناس ومن وعلى يتعاقبان وقيل معناه اذا اكتالوا من الناس أي اشتروا شيأ استوفوا عليهم لانفسهم الكيل والوزن (واذا كالوهم أو وزنوهم) يعني واذا كالوا لهم أو وزنوا لهم للناس كما يقال نصحتك ونصحت لك (يخسرون) أي ينقصون الكيل والوزن وهذا الوعيد يلحق من يأخذ لنفسه زائدا ويدفع الى غيره ناقصا ويتناول الوعيد القليل والكثير لكن اذا لم يتب منه فان تاب

نصب فباضمار اذكر أو باضمار يدانون لان الدين يدل عليه (والامر يومئذ لله) أي لا أمر الا لله وحده فهو القاضي فيه دون غيره

* (سورة المطففين مختلف فيها وهي ست وثلاثون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ويل) مبتدأ خبره (للمطففين) الذين يبخسون حقوق الناس في الكيل والوزن (الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون) أي اذا أخذوا بالكيل من الناس يأخذون حقوقهم وافية تامة ولما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم أبدل على مكان من للدلالة على ذلك ويجوز أن يتعلق على بيستوفون ويقدم المفعول على الفعل لافادة الاختصاص أي يستوفون على الناس خاصة وقال الفراء من وعلى يعتقبان في هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكأنه قال أخذت ماعليك واذا قال اكتلت منك فكأنه قال استوفيت منك والضمير المنصوب في (واذا كالوهم أو وزنوهم) راجع الى الناس أي كالوا لهم أو وزنوا لهم فحذف الجار وأوصل الفعل وانما لم يقل أو اتزنوا كما قيل أو وزنوهم اكتفاء ويحتمل ان المطففين كانوا لا يأخذون مايكال ويوزن الا بالمكاييل لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لانهم يدعون ويحتالون في الملء واذا اعطوا كالوا أو وزنوا لتمكنهم من البخس في النوعين (يخسرون) ينقصون يقال خسر الميزان وأخسره

(ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم) يعني يوم القيامة ادخل همزة الاستفهام على لا النافية توبيخا وليست ألا هذه للتنبيه وفيه انكار وتعجيب عظيم من حالهم في الاجتراء على التطفيف كأنهم لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخمينا انهم مبعوثون ومحاسبون على مقدار الذرة ولو ظنوا انهم يبعثون ما نقصوا في الكيل والوزن * وعن عبد الملك بن مروان
ان اعرابيا قال له قد سمعت
ما قال الله في المطففين أراد بذلك
ان المطفف قد توجه عليه الوعيد
العظيم الذي سمعت به فاظنك
بنفسك وأنت تاخذ أموال
المسلمين بلا كيل ولا وزن ونصب
(يوم يقوم الناس) بمبعوثون
(لرب العالمين) لامره وجزائه
وعن ابن عمر انه قرأ هذه السورة
فلما بلغ هنا بكى نحيبا وامتنع
من قراءة ما بعدها (كلا) ردع
وتنبيه اى ردعهم عما كانوا
عليه من التطفيف والغفلة عن
البعث والحساب ونبههم على
انه مما يجب أن يتاب عنه
ويندم عليه ثم أتبعه وعيد
الفجار على العموم فقال (ان
كتاب الفجار) صحائف أعمالهم
(لفي سجين وما أدراك ما سجين
كتاب مرقوم) فان قلت قد
أخبر الله عن كتاب الفجار بانه
في سجين وفسر سجينا بكتاب
مرقوم فكانه قيل ان كتابهم
في كتاب مرقوم فما معناه قلت
سجين كتاب جامع هو ديوان
الشر دوّن الله فيه أعمال
الشياطين والكفرة من الجن
والانس وهو كتاب مرقوم
مسطور بين الكتابة أو معلم يعلم
من رآه انه لا خير فيه من رقم
الثياب علامتها والمعنى أن ما كتب
من أعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان وسمي سجينا فعيلا من السجن وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق في جهنم أو لانه مطروح تحت الارض السابعة في مكان وحش مظلم وهو مسكن ابليس وذريته وهو اسم علم منقول من وصف كحاتم منصرف لوجود سبب واحد وهو العلمية فحسب ان

منه ورد الحقوق الى أهلها قبلت توبته ومن فعل ذلك وأصر عليه كان مصرا على كبيرة من الكبائر وذلك لان عامة الخلق محتاجون الى المعاملات وهي مبنية على أمر الكيل والوزن والزرع فلهذا السبب عظم الله أمر الكيل والوزن قال نافع كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول له اتق الله أوف الكيل والوزن فان المطففين يوقفون يوم القيامة حتى يلجمهم العرق وقال قتادة أوف يا ابن آدم كما تحب أن يوفى لك واعدل كما تحب أن يعدل لك وقال الفضيل بخس الميزان سواد يوم القيامة (ألا يظن) أي ألا يعلم ويستيقن (أولئك) اى الذين يفعلون هذا الفعل وهم المطففون (أنهم مبعوثون ليوم عظيم) يعني يوم القيامة (يوم يقوم الناس) يعني من قبورهم (لرب العالمين) أي لامره وجزائه وحسابه (ق) عن نافع أن ابن عمر تلا ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يقوم أحدهم في رشحه الى انصاف أذنيه وروى مرفوعا (م) عن المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تدنو الشمس من رؤس الخلائق يوم القيامة حتى تكون منهم كمقدار ميل زاد الترمذي أو ميلين قال سليم بن عامر والله ما أدري ما يعني بالميل مسافة الارض أو الميل ما تكتحل به العين قال فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون الى كعبيه ومنهم من يكون الى ركبتيه ومنهم من يكون الى حقويه ومنهم من يلجمه العرق الجاما وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه الى فيه قوله عز وجل (كلا) قيل انه ردع وتنبيه أي ليس الامر على ما هم عليه من بخس الكيل والميزان فليرتدعوا عنه فعلى هذا تم الكلام هنا وقيل كلا ابتداء يتصل بما بعده على معنى حقا (ان كتاب الفجار) أي الذي كتبت فيه أعمالهم (لفي سجين) قال ابن عمر هي الارض السابعة السفلى وفيها أرواح الكفار وروى البغوي باسناد الثعلبي عن البراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سجين أسفل سبع أرضين وعليون في السماء السابعة تحت العرش وقال شمر بن عطية جاء ابن عباس الى كعب الاحبار فقال اخبرني عن قول الله عز وجل ان كتاب الفجار لفي سجين قال ان روح الفاجر يصعد بها الى السماء فتأبى السماء أن تقبلها ثم يهبط بها الى الارض فتأبى أن تقبلها فتدخل تحت سبع أرضين حتى ينتهى بها الى سجين وهو موضع جند ابليس فيخرج لها من سجين رق فيرقم ويختم ويوضع تحت جند ابليس بمعرفتها الهلاك بحساب يوم القيامة وقيل هي صخرة تحت الارض السابعة السفلى خضراء خضرة السماء منها فتقلب ويجعل كتاب الفجار تحتها قال وهب هي آخر سلطان ابليس وجاء في الحديث الفلق جب في جهنم مغطى وسجين جب في جهنم مفتوح وقيل معناه لفي سجين لفي خسار وضلال وقيل انه مشتق من السجن ومعناه لفي حبس وضيق شديد (وما أدراك ما سجين) أي ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت ولا قومك وقيل انما قال ذلك تعظيما للامر سجين (كتاب مرقوم) ليس هذا تفسيرا للسجين وانما هو بيان للكتاب المذكور في قوله

ان كتاب الفجار والمعنى ان كتاب الفجار مرقوم أى مكتوب فيه أعمالهم مثبتة عليهم كالرقم فى الثوب لا ينسى ولا يمحى حتى يحاسبوا به ويجازوا عليه وقيل مرقوم رقم عليهم بشر كأنه علم بعلامة يعرف بها انه كافر وقيل مرقوم أى مختوم وهو بلغة حمير (ويل يومئذ للمكذبين) وقيل انه متصل بقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين ومعنى الآية ويل لمن كذب بهذا اليوم وقيل مرقوم معناه مرقوم بالشقاوة ثم قال ويل يومئذ للمكذبين أى فى ذلك اليوم من ذلك الكتاب المرقوم عليهم بالشقاوة (الذين يكذبون بيوم الدين) أى بيوم القيامة لانه يوم الجزاء (وما يكذب به) أى بيوم القيامة (الا كل معتد) أى متجاوز عن نهج الحق (أثيم) هو مبالغة فى الاثم وهو المرتكب الاثم والمعاصى (اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين) أى أكاذيب الاولين قوله عز وجل (كلا) أى لا يؤمن ثم استأنف فقال (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا أخطأ خطيئة نكت فى قلبه نكتة فاذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه وان عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه وهو الران الذى قال الله بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وأصل الران الغلبة ومعنى الآية ان الذنوب والمعاصى غلبت على قلوبهم وأحاطت بها وقيل هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب وقال ابن عباس ران على قلوبهم طبع عليها وقيل الرين أن يسود القلب من الذنوب والطبع أن يطبع الله على القلب وهو أشد من الرين والاقفال أشد من الطبع وقيل الرين التغطية والمعنى انه يغشى القلب شئ كالصدا فيغطيه فعند ذلك يموت القلب (كلا) قال ابن عباس يريد لا يصدقون وقيل معناه ليس الامر كما يقولون ان لهم فى الآخرة خيرا ثم استأنف فقال تعالى (انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) قيل عن كرامته ورحمته ممنوعون وقيل ان الله لا ينظر اليهم ولا يزكيهم وهذا التفسير فيه ضعف لأن حمله على منع الكرامة والرحمة فهو عدول عن الظاهر بغير دليل وكذا الوجه الثانى فان من حجب عن الله فان الله لا ينظر اليه نظر رحمة ولا يزكيه والذى ذهب اليه أكثر المفسرين انهم محجوبون عن رؤية الله وهذا هو الصحيح واحتج بهذه الآية من أثبت الرؤية للمؤمنين قالوا ولولا ذلك لم يكن للتخصيص فائدة ووجه آخر وهو انه تعالى ذكر الحجاب فى معرض الوعيد والتهديد للكفار وما يكون وعيدا وتهديدا للكفار لا يجوز حصوله فى حق المؤمنين فوجب ان لا يحصل هذا الحجاب فى حق المؤمنين قال الحسن لو علم الزاهدون والعابدون انهم لا يرون ربهم فى المعاد لزهقت انفسهم فى الدنيا وقيل كما حجبهم فى الدنيا عن توحيده حجبهم فى الآخرة عن رؤيته وسئل مالك عن هذه الآية فقال لما حجب الله اعداءه فلم يروه تجلى لاوليائه حتى رأوه وقال الشافعى فى قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون دلالة على ان اولياء الله يرون الله جل جلاله وعنه كما حجب قوما بالسخط دل على أن قوما يرونه بالرضا ثم اخبر ان الكفار مع كونهم محجوبين عن الله يدخلون النار فقال عز من قائل (ثم انهم لصالوا الجحيم) اى لداخلوا النار (ثم يقال)

أحاديث المتقدمين وقال الزجاج أساطير أباطيل واحدها اسطورة مثل أحدوثة وأحاديث (كلا) ردع للمعتدى الاثيم عن هذا القول (بل) نفى لما قالوا ويقف حفص على بل وقيفة (ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) غطاها كسبهم أى غلب على قلوبهم حتى غمرها ما كانوا يكسبون من المعاصى وعن الحسن الذنب بعد الذنب حتى يسود القلب وعن الضحاك الرين موت القلب وعن أبى سليمان الرين والقسوة زماما الغفلة ودواؤهما ادمان الصوم فان وجد بعد ذلك قسوة فليترك الادام (كلا) ردع عن الكسب الرائن على القلب (انهم عن ربهم) عن رؤية ربهم (يومئذ لمحجوبون) لممنوعون والحجب المنع قال الزجاج فى الآية دليل على ان المؤمنين يرون ربهم والا لا يكون التخصيص مفيدا وقال الحسين بن الفضل كما حجبهم فى الدنيا عن توحيده حجبهم فى العقبى عن رؤيته وقال مالك بن أنس رحمه الله لما حجب أعداءه فلم يروه تجلى لاوليائه حتى رأوه وقيل عن كرامة ربهم لانهم فى الدنيا لم يشكروا انعمه فيئسوا فى الآخرة عن كرامته مجازاة والاول أصح لان الرؤية أقوى الكرامات والحجب عنها دليل

الحجب عن غيرها (ثم انهم لصالوا الجحيم) ثم بعد كونهم محجوبين عن ربهم لداخلون النار (ثم يقال)

ذكر فى مقابلة الفجار وبين الفجار بأنهم المكذبون بيوم الدين وعن الحسن البر الذى لا يؤذى الذر (لفى عليين) هو علم لديوان الخير الذى دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع على فعيل من العلو سمى به لانه سبب الارتفاع الى أعلى الدرجات فى الجنة أولانه مرفوع فى السماء السابعة حيث تسكن الكروبيون تكريماله (وما أدراك ما الذى أعلمك يا محمد (ما عليون) أى شئ هو (كتاب مرقوم يشهده المقربون) تحضره الملائكة قيل يشهد عمل الابرار مقربو كل سماء اذا رفع (ان الابرار لفى نعيم) تنعم فى الجنان (على الارائك) الاسرة فى الحجال (ينظرون) الى كرامة الله ونعمه والى أعدائهم كيف يعذبون (تعرف فى وجوههم نضرة النعيم) بهجة التنعم وطراوته (يسقون من رحيق) شراب خالص (مختوم ختامه مسك) تختم أوانيه بمسك بدل الطين الذى يختم به الشراب فى الدنيا أمر الله تعالى بالختم عليه اكراما لاصحابه أو ختامه مسك مقطعه رائحة مسك أى توجد

أى تقول لهم الخزنة (هذا) أى هذا العذاب (الذى كنتم به تكذبون) يعنى فى الدنيا (كلا) أى ليس الامر كما يتوهمه الفجار من انكار البعث وقيل كلا أى لا يؤمنون بالعذاب الذى يصلونه ثم بين محل كتاب الابرار فقال تعالى (ان كتاب الابرار لفى عليين) جمع على من العلو وقيل هو موضوع على صفة الجمع لا واحد له من لفظه وتقدم من حديث البراء المرفوع ان عليين فى السماء السابعة تحت العرش وقال ابن عباس هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيه وقيل هو قائمة العرش اليمنى وقال ابن عباس فى رواية عنه هى الجنة وقيل هى سدرة المنتهى وقيل معناه علو بعد علو وشرف بعد شرف وقيل هى مراتب عالية محفوفة بالجلالة وقد عظمها الله وأعلاها (وما أدراك ما عليون) تنبيها له على عظم شأنه (كتاب مرقوم) ليس تفسير العليين والمعنى ان كتاب الابرار كتاب مرقوم فى عليين فيه ما أعد الله لهم فى الآخرة من الكرامة وقيل مكتوب فيه أعمالهم وعليون محل الملائكة وضده سجين وهو محل ابليس وجنوده (يشهده المقربون) يعنى الملائكة الذين هم فى عليين يشهدون أى يحضرون ذلك المكتوب ومن قال انه كتاب الاعمال قال يشهد ذلك الكتاب اذا صعد به الى عليين المقربون من الملائكة لكرامة المؤمن قوله تعالى (ان الابرار) يعنى المطيعين لله (لفى نعيم) يعنى نعيم الجنة (على الارائك) جمع أريكة وهى الاسرة فى الحجال (ينظرون) أى الى ما أعد الله لهم من نعيم الجنة وقيل ينظرون الى أعدائهم كيف يعذبون فى النار وقيل ينظرون الى ربهم سبحانه وتعالى (تعرف فى وجوههم نضرة النعيم) يعنى انك اذا رأيتهم تعرف انهم من أهل النعمة لما ترى على وجوههم من النور والحسن والبياض قيل النضرة فى الوجه والسرور فى القلب (يسقون من رحيق) يعنى الخمر الصافية الطيبة البيضاء (مختوم) يعنى ختم على ذلك الشراب ومنع من أن تمسه الايدى الى أن يفك ختمه الابرار فان قلت قد قال فى سورة محمد صلى الله عليه وسلم وأنهار من خمر والنهر لا يختم عليه فكيف طريق الجمع بين الآيتين قلت يحتمل أن يكون المذكور فى هذه الآية فى أوان مختوم عليها وهى غير تلك الخمر التى فى الانهار وانما ختم عليها لشرفها ونفاستها (ختامه مسك) أى طينته التى ختم عليه بها مسك بخلاف خمر الدنيا فان ختامها طين وقال ابن مسعود مختوم أى ممزوج ختامه أى آخر طعمه وعاقبته مسك وقيل يمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) أى فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله عز وجل ليحصل لهم هذا الشراب المختوم بالمسك وقيل أصله من الشئ النفيس الذى تحرص عليه نفوس الناس ويريده كل أحد لنفسه وينفس به على غيره أى يضن ويبخل (ومزاجه من تسنيم) أى شراب ينصب عليهم من غرفهم ومنازلهم وقيل يجرى فى الهواء مسنما فيصب فى أوانى أهل الجنة على قدر مائها فاذا امتلأت أمسك وأصل هذه الكلمة من العلو ومنه سنام البعير لانه أعلاه

رائحة المسك عند خاتمة شربه ختمه على (وفى ذلك) الرحيق أو النعيم (فليتنافس المتنافسون) فليرغب الراغبون وذا انما يكون بالمسارعة الى الخيرات والانتهاء عن السيآت (ومزاجه) ومزاج الرحيق (من تسنيم) هو علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذى هو مصدر سنمه اذا رفعه لانها أرفع شراب فى الجنة أولانها تأتيهم من فوق وتنصب فى أوانيهم

أعلاه وقيل هو شراب اسمه تسنيم وهو من أشرف شراب أهل الجنة وقال ابن مسعود وابن عباس هو خالص للمقربين يشربونه صرفا ويمزج لسائر أهل الجنة وسئل ابن عباس عن قوله من تسنيم فقال هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين (عينا يشرب بها) أى منها وقيل يشرب بها (المقربون) أى صرفا وقوله عزوجل (ان الذين أجرموا) أى اشركوا يعنى كفار قريش أباجهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأصحابهم من مترفى أهل مكة (كانوا من الذين آمنوا) أى من عمار وخباب وصهيب وبلال وأصحابهم من فقراء المؤمنين (يضحكون) أى منهم ويستهزؤن بهم (واذا مروا بهم) يعنى مر المؤمنون الفقراء بالكفار الاغنياء (يتغامزون) يعنى يتغامز الكفار والغمز الاشارة بالجفن والحاجب أى يشيرون اليهم بالاعين استهزاء بهم (واذا انقلبوا الى أهلهم) يعنى الكفار (انقلبوا فكهين) أى معجبين بما هم فيه وقيل ينقلبون بذكرهم كانهم يتفكهون بحديثهم (واذا رأوهم) يعنى رأوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (قالو ان هؤلاء لضالون) أى هم فى ضلال يأتون محمدا ويرون انهم على شئ قال الله عزوجل (وما أرسلوا) يعنى المشركين (عليهم) يعنى على المؤمنين (حافظين) أى لاعمالهم والمعنى انهم لم يوكلوا بحفظ أعمالهم قوله عزوجل (فاليوم) يعنى فى الآخرة (الذين آمنوا من الكفار يضحكون) وسبب هذا الضحك أن الكفار لما كانوا فى الدنيا يضحكون من المؤمنين لما هم فيه من الشدة والبلاء فلما أفضوا الى الآخرة انعكس ذلك الامر فصار المؤمنون فى السرور والنعيم وصار الكفار فى العذاب والبلاء فضحك المؤمنون من الكافرين لما رأوا حالهم وقال أبو صالح تفتح للكافرين أبواب النار وهم فيها ويقال لهم اخرجوا فاذا انتهوا اليها أغلقت دونهم فيفعل ذلك بهم مرارا والمؤمنون ينظرون اليهم ويضحكون منهم وقال كعب بين الجنة والنار كوى فاذا أراد المؤمن أن ينظر الى عدوه فى الدنيا من الكفار اطلع عليه من تلك الكوى وهو يعذب فيضحك منه فذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون (على الارائك) جمع أريكة وهو السرير ويتخذ فى الحجلة وهى الكلة يزين بها البيت وأرائك الجنة من الدر والياقوت (ينظرون) يعنى اليهم وهم فى النار يعذبون قال الله تعالى (هل ثوب الكفار) أى جوزى الكفار (ما كانوا يفعلون) أى بالمؤمنين من الاستهزاء والضحك وهذا الاستفهام بمعنى التقرير وثوب وأثيب بمعنى قال أوس

ساجزيك أو يجزيك عنى مثوب ❊ وحسبك أن يثنى عليك وتحمدى

والله سبحانه وتعالى أعلم

❊(تفسير سورة الانشقاق وهى مكية)❊

(عينا) حال او نصب على المدح (يشرب بها) اى منها (المقربون) عن ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم يشربها المقربون صرفا وتمزج لاصحاب اليمين (ان الذين اجرموا) كفروا (كانوا من الذين آمنوا يضحكون) فى الدنيا استهزاء بهم (واذا مروا بهم يتغامزون) يشير بعضهم الى بعض بالعين طعنا فيهم وعيبا لهم قيل جاء على رضى الله عنه فى نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا وقالوا أترون هذا الاصلع فنزلت قبل أن يصل على الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (واذا انقلبوا الى أهلهم) أى اذا رجع الكفار منازلهم (انقلبوا فكهين) متلذذين بذكرهم والسخرية منهم وقرأ غير حفص فاكهين أى فرحين (واذا رأوهم) واذا رأى الكافرون المؤمنين (قالوا ان هؤلاء لضالون) أى خدع محمد هؤلاء فضلوا وتركوا اللذات لما يرجونه فى الآخرة من الكرامات فقد تركوا الحقيقة بالخيال وهذا هو عين الضلال (وما أرسلوا) وما أرسل الكفار (عليهم) على المؤمنين (حافظين) يحفظون عليهم أحوالهم ويرقبون أعمالهم بل أمروا باصلاح أنفسهم فاشتغالهم بذلك أولى بهم من تتبع غيرهم وتسفيه أحلامهم (فاليوم) أى يوم القيامة (الذين آمنوا من الكفار يضحكون) ثم كما ضحكوا منهم هنا مجازاة (على الارائك ينظرون) حال أى يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ما هم فيه من الهوان والصغار بعد العزة والاستكبار وهم على الارائك آمنون وقيل يفتح باب للكفار الى الجنة فيقال لهم هلموا الى الجنة فاذا وصلوا اليها اغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) هل جوزوا بسخريتهم بالمؤمنين فى الدنيا اذا فعل بهم ما ذكر والله اعلم

❊(سورة الانشقاق مكية وهى خمس وعشرون آية)❊

(بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انشقت) تصدعت وتشققت (وأذنت لربها) سمعت وأطاعت وأجابت ربها الى الانشقاق ولم تأب ولم تمتنع (وحقت) وحق لها ان تسمع وتطيع لامر الله اذ هي مصنوعة مربوبة لله تعالى (واذا الارض مدت) بسطت وسويت بان دك كل جبالها وكل امت فيها (وألقت ما فيها) ورمت ما في جوفها من الكنوز والموتى (وتخلت) وخلت غاية الخلو حتى لم يبق شيء في باطنها كأنها تكلفت أقصى جهدها في الخلو يقال تكرم الكريم اذا بلغ

جهده في الكرم وتكلف فوق ما في طبعه (وأذنت لربها) في القاء ما في بطنها وتخليها (وحقت) وهي حقيقة بان تنقاد ولا تمتنع وحذف جواب اذا ليذهب المقدر كل مذهب أو اكتفاء بما علم في مثلها من سورة التكوير والانفطار وجوابه ما دل عليه فملاقيه أي اذا السماء انشقت لاقى الانسان كدحه (يا أيها الانسان) خطاب للجنس (انك كادح الى ربك كدحا) جاهد الى لقاء ربك وهو الموت وما بعده من الحال الممثلة باللقاء (فملاقيه) الضمير للكدح وهو جهد النفس في العمل والكد فيه حتى يؤثر فيها والمراد جزاء الكدح ان خيرا فخير وان شرا فشر وقيل لقاء الكدح لقاء كتاب فيه ذلك الكدح يدل عليه قوله (فأما من أوتي كتابه بيمينه) أي كتاب عمله (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) سهلا هينا وهو أن يجازى على الحسنات ويتجاوز عن السيآت وفي الحديث من يحاسب يعذب فقيل فأين قوله فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلكم العرض ومن نوقش في الحساب عذب (وينقلب الى أهله) الى عشيرته ان كانوا مؤمنين أو الى فريق المؤمنين أو الى أهله في الجنة (مسرورا) من الحور العين (مسرورا) فرحا (وأما من أوتي كتابه وراء ظهره) قيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره (فسوف يدعوا ثبورا) يقول يا ثبوراه والثبور الهلاك (ويصلى) عراقي غير علي (سعيرا) أي ويدخل جهنم (انه كان) في الدنيا (في أهله) معهم

وخمس وعشرون آية ومائة وسبع كلمات وأربعمائة وثلاثون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (اذا السماء انشقت) يعني عند قيام الساعة وهي من علاماتها (وأذنت لربها) أي سمعت أمر ربها بالانشقاق وأطاعته من الاذن وهو الاستماع (وحقت) أي حق لها ان تطيع امر ربها (واذا الارض مدت) يعني مد الاديم العكاظي وزيد في سعتها وقيل سويت فلا يبقى فيها بناء ولا جبل (وألقت ما فيها) أي اخرجت ما في بطنها من الموتى والكنوز (وتخلت) أي من ذلك الذي كان في بطنها من الموتى والكنوز (وأذنت لربها وحقت) واختلفوا في جواب اذا فقيل جوابه محذوف تقديره اذا كانت هذه الاشياء يرى الانسان الثواب او العقاب وقيل جوابه يا أيها الانسان انك كادح والمعنى اذا انشقت السماء لقي كل كادح ما عمله وقيل جوابه وأذنت وحينئذ تكون الواو زائدة (يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا) أي ساع اليه في عملك سعيا والكدح عمل الانسان وجهده في الامر من الخير والشر وقيل معناه عامل لربك عملا وقيل معناه انك كادح في لقاء ربك وهو الموت والمعنى ان هذا الكدح يستمر بك الى الموت وقيل معناه انك تكدح في دنياك كدحا تصير به الى ربك (فملاقيه) أي فملاق جزاء عملك خيرا كان أو شرا وقيل فملاق ربك (فأما من أوتي كتابه بيمينه) يعني ديوان عمله (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) سوف من الله واجب والحساب اليسير هو أن تعرض عليه أعماله فيعرف بالطاعة والمعصية ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز له عن المعصية فهذا هو الحساب اليسير لانه لا شدة فيه على صاحبه ولا مناقشة ولا يقال له لم فعلت هذا ولا يطالب بالعذر فيه ولا الحجة عليه فانه متى طولب بذلك لم يجد عذرا ولا حجة فيفتضح (ق) عن ابن أبي مليكة ان عائشة كانت لا تسمع شيأ لا تعرفه الا راجعت فيه حتى تعرفه وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حوسب عذب قالت فقلت أوليس يقول الله عز وجل فسوف يحاسب حسابا يسيرا قالت فقال انما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب عذب (وينقلب الى أهله) يعني في الجنة من الحور العين والآدميات (مسرورا) أي بما أوتي من الخير والكرامة (وأما من أوتي كتابه وراء ظهره) يعني انه تغل يده اليمنى الى عنقه وتجعل يده اليسرى وراء ظهره فيعطى كتابه بشماله من وراء ظهره وقيل تخلع يده الشمال فتخرج من وراء ظهره فيعطى بها كتابه (فسوف يدعوا ثبورا) يعني عند اعطائه كتابه بشماله من وراء ظهره يعلم انه من أهل النار فيدعو بالويل والهلاك فيقول يا ويلاه يا ثبوراه (ويصلى سعيرا) أي ويقاسي التهاب النار وحرها (انه كان في أهله) يعني في الدنيا

مسرورا) يعنى باتباع هواه وركوب شهواته (انه ظن أن لن يحور) أى لن يرجع الينا لن يبعث والحور الرجوع (بلى) أى ليس الامر كما ظن بل يحور الينا و يبعث ويحاسب ان ربه كان به بصيرا) أى من يوم خلقه الى أن بعثه قوله عز وجل (فلا أقسم بالشفق) قدم الكلام فى تفسير لا أقسم فى سورة القيامة وأما الشفق فقال مجاهد هو النهار كله حجته فى ذلك انه عطف عليه الليل فيجب أن يكون المذكور أولا هو النهار فعلى هذا الوجه يكون القسم بالليل والنهار اللذين فيهما معاش العالم وسكونه وقيل هو ما بقى من النهار قال ابن عباس وأكثر المفسرين هو الحمرة التى تبقى فى الافق بعد غروب الشمس وهو مذهب عامة العلماء وقيل هو البياض الذى يعقب تلك الحمرة وهو مذهب أبى حنيفة والليل وما وسق) أى جمع وضم ما كان منتشرا بالنهار من الخلق والدواب والهوام ذلك ان الليل اذا أقبل أوى كل شئ الى مأواه وقيل وما عمل فيه ويحتمل أن يكون ذلك تهجد العباد فيجوز أن يقسم به (والقمر اذا اتسق) أى اجتمع وتم نوره وذلك فى الايام البيض وقيل استدار واستوى ولما ذكر المقسم به اتبعه بالمقسم عليه فقال تعالى لتركبن) قرئ بفتح الباء وهو خطاب الواحد والمعنى لتركبن يا محمد (طبقا عن طبق) يعنى سماء بعد سماء وقد فعل الله ذلك معه ليلة أسرى به فأصعده سماء بعد سماء وقيل درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة فى القرب من الله تعالى وقيل معناه لتركبن حالا بعد حال الخ) عن ابن عباس قال لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال هذا نبيكم صلى الله عليه وسلم ومعنى هذا يكون لك الظفر والغلبة على المشركين حتى يختم لك بجميل العاقبة فلا يحزنك تكذيبهم وتماديهم فى كفرهم وقرئ لتركبن بضم الباء وهو الاشبه ويكون خطاب الجمع والمعنى لتركبن أيها الناس حالا بعد حال وأمرا بعد أمر وذلك فى موقف القيامة تتقلب بهم الاحوال فيصيرون فى الآخرة على غير الحال التى كانوا عليها فى الدنيا (قال ابن عباس يعنى الشدائد وأهوال الموت ثم البعث ثم العرض وقيل حال الانسان حالا بعد حال رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم كهل ثم شيخ وقيل معناه لتركبن سنن من كان قبلكم وأحوالهم (ق) عن أبى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتتبعن سنن من كان قبلكم وأحوالهم شبرا بعد شبر وذراعا بعد ذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وقيل فى معنى الآية انه أراد السماء تتغير لونا بعد لون فتصير تارة وردة كالدهان وتارة كالمهل وتنشق مرة وتطوى اخرى (فما لهم لا يؤمنون) يعنى بالبعث والحساب وهو استفهام انكار (واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) يعنى لا يصلون فعبر بالسجود عن الصلاة لانه جزء منها وقيل أراد به سجود التلاوة وهذه السجدة أحد سجدات القرآن عند الشافعى ومن وافقه (ق) عن أبى رافع قال صليت مع أبى هريرة العتمة فقرأ اذا السماء انشقت فسجد فقلت ما هذه قال

مسرورا) بالكفر يضحك ممن آمن بالبعث قيل كان لنفسه متابعا وفى مراتع هواه واقعا (انه ظن أن لن يحور) لن يرجع الى تكذيبا بالبعث قال ابن عباس رضى الله عنهما ما عرفت تفسيره حتى سمعت اعرابية تقول لبنتها حورى اى ارجعى (بلى) ايجاب لما بعد النفى فى لن يحور أى بلى ليحورن (ان ربه كان به) و بأعماله (بصيرا) لا يخفى عليه فلا بد أن يرجعه ويجازيه عليها (فلا أقسم بالشفق) فاقسم بالبياض بعد الحمرة أو الحمرة (والليل وما وسق) جمع وضم والمراد ما جمعه من الظلمة والنجم أو ما عمل فيه من التهجد وغيره (والقمر اذا اتسق) اجتمع وتم بدرا افتعل من الوسق (لتركبن) أيها الناس على ارادة الجنس (طبقا عن طبق) حالا بعد حال كل واحدة مطابقة لاختها فى الشدة والهول والطبق ما طابق غيره يقال ما هذا بطبق لذا اى لا يطابقه ومنه قيل للغطاء الطبق ويجوز ان يكون جمع طبقة وهى المرتبة من قولهم هو على طبقات اى لتركبن احوالا بعد احوال هى طبقات فى الشدة بعضها ارفع من بعض وهى الموت وما بعده من مواطن القيامة واهوالها ومحل عن طبق نصب على انه صفة لطبقا اى طبقا مجاوزا لطبق او حال من الضمير فى لتركبن اى لتركبن طبقا مجاوزين لطبق وقال مكحول فى كل عشرين عاما تجدون امرا لم تكونوا عليه و بفتح الباء مكى وعلى وحمزة خطاب له عليه السلام أى طبقا من طباق السماء بعد طبق اى فى المعراج (فما لهم لا يؤمنون) فما لهم فى أن لا يؤمنوا (واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) لا يخضعون

(بل الذين كفروا يكذبون) بالبعث والقرآن (والله أعلم بما يوعون) بما يجمعون في صدورهم ويضمرون من الكفر وتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم أو بما يجمعون في صحفهم من أعمال السوء ويدخرون لانفسهم من أنواع العذاب (فبشرهم بعذاب أليم) أخبرهم خبرا يظهر أثره على بشرتهم (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) استثناء منقطع (لهم أجر غير ممنون) أي غير مقطوع أو غير منقوص والله أعلم

*(سورة البروج مكية وهي اثنتان وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والسماء ذات البروج) هي البروج الاثنا عشر وقيل النجوم أو عظام الكواكب (واليوم الموعود) يوم القيامة (وشاهد ومشهود) أي وشاهد في ذلك اليوم ومشهود فيه والمراد بالشاهد من يشهد فيه من الخلائق كلهم وبالمشهود فيه ما في ذلك اليوم من عجائبه وطريق تنكيرهما اما من قوله علمت نفس ما أحضرت كأنه قيل ما أفرطت كثرته من شاهد ومشهود واما للابهام في الوصف كانه قيل وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما وقد كثرت أقاويل المفسرين فيهما فقيل محمد ويوم القيامة أو عيسى وأمته لقوله وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم أو أمة محمد وسائر الامم أو الحجر الاسود والحجيج أو الايام والليالي وبنو آدم للحديث ما من يوم الا ينادي أنا يوم جديد وعلى ما يفعل في شهيد فاغتنمني ولو غابت شمسي لم تدركني الى يوم القيامة أو الحفظة وبنو آدم أو الله تعالى والخلق لقوله تعالى وكفى بالله شهيدا أو الانبياء ومحمد عليهم السلام وجواب القسم محذوف يدل عليه (قتل أصحاب الاخدود) أي لعن كانه قيل أقسم بهذه الاشياء انهم ملعونون يعني كفار قريش كما لعن أصحاب الاخدود وهو جمع خد أي شق عظيم في الارض روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فسمع منه فرأى في طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس فأخذ حجرا فقال اللهم ان كان الراهب أحب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الاكمه

شهدت بها خلف أبي القاسم صلى الله عليه وسلم فلا أزال أسجد فيها حتى ألقاه ولمسلم عنه قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقرأ باسم ربك واذا السماء انشقت (بل الذين كفروا يكذبون) يعني بالقرآن والبعث (والله أعلم بما يوعون) يعني يجمعون في صدورهم من التكذيب (فبشرهم بعذاب أليم) يعني على عنادهم وكفرهم (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) يعني غير مقطوع ولا منقوص في الآخرة والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

(تفسير سورة البروج)

وهي مكية واثنتان وعشرون آية ومائة وتسع كلمات وأربعمائة وخمسة وستون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (والسماء ذات البروج) يعني البروج الاثنى عشر وانما حسن القسم بها لما فيها من عجيب حكمة الباري جل جلاله وهو سير الشمس والقمر والكواكب فيها على قدر معلوم لا يختلف وقيل البروج الكواكب العظام سميت بروجا لظهورها (واليوم الموعود) يعني يوم القيامة (وشاهد ومشهود) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم الموعود يوم القيامة والمشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة ما طلعت الشمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله بخير الا استجاب الله له ولا يستعيذ من شر الا أعاذه الله منه أخرجه الترمذي وضعف أحد رواته من قبل حفظه وهذا قول ابن عباس والاكثرين ان الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وقيل الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم النحر وقيل الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة وانما حسن القسم بهذه الايام لعظمها وشرفها واجتماع المسلمين فيها وقيل الشاهد هو الله تعالى والمشهود يوم القيامة وقيل الشاهد هم الانبياء والمشهود أي عليهم هم الامم وقيل الشاهد هو الملك والمشهود أي عليه هو آدم وذريته وقيل الشاهد هذه الامة ونبيها صلى الله عليه وسلم والمشهود عليهم هم الامم المتقدمة وقيل الشاهد الانبياء والمشهود له هو محمد صلى الله عليه وسلم لان الانبياء قبله شهدوا له بالنبوة وقوله والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود أقسام أقسم الله تعالى بها لشرفها وعظمها وجواب القسم قوله تعالى (قتل أصحاب الاخدود) أي لعن وقتل وقيل جوابه ان بطش ربك لشديد والاخدود الشق المستطيل

المستطيل في الارض واختلفوا فيهم فروى عن صهيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر الساحر قال للملك اني قد كبرت فابعث الى غلاما أعلمه السحر فبعث اليه غلاما يعلمه وكان في طريقه اذا سلك اليه راهب فقعد اليه وسمع كلامه فأعجبه فكان اذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد اليه فاذا أتى الساحر ضربه واذا رجع من الساحر قعد الى الراهب وسمع كلامه فاذا أتى أهله ضربوه فشكا ذلك الى الراهب فقال اذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي واذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر فبينما هو كذلك اذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم أعلم الراهب أفضل أم الساحر فاخذ حجرا ثم قال اللهم ان كان أمر الراهب أحب اليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها فقتلها فمضى الناس فاتى الراهب فاخبره فقال له الراهب أي بني أنت أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى وانك ستبتلى فان ابتليت فلا تدل على فكان الغلام يبرئ الاكمه والابرص ويداوي الناس من سائر الادواء فسمع جليس للملك كان قد عمي فاتاه بهدايا كثيرة فقال ما ههنا لك اجمع ان أنت شفيتني قال اني لا أشفي أحدا انما يشفي الله عزوجل فان آمنت بالله دعوت الله عزوجل فشفاك فآمن به فشفاه الله عزوجل فاتى الملك فجلس اليه كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك فقال ربي فقال أولك رب غيري قال ربي وربك الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دله على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك أي بني انه قد بلغ من سحرك ما تبرئ الاكمه والابرص وتفعل وتفعل فقال اني لا أشفي أحدا انما يشفي الله عزوجل فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجيء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فابى فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيء بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فابى فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فابى فدفعه الى نفر من أصحابه فقال لهم اذهبوا به الى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فاذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك قال كفانيهم الله فدفعه الى نفر من أصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه في قرقور فتوسطوا به البحر فان رجع عن دينه والا فاقذفوه فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك قال كفانيهم الله تعالى فقال للملك انك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به فقال وما هو قال تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع نخل ثم خذ سهما من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل بسم الله رب الغلام ثم ارمني به فانك ان فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال بسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده على صدغه موضع السهم فمات فقال الناس آمنا برب الغلام ثلاثا فاتى الملك فقيل له أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك

والابرص وعمي جليس للملك فابراه فابصره الملك فسأله من رد عليك بصرك فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمنشار وأبى الغلام فذهب به الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في

حذرك قد آمن الناس فامر بالاخدود فى أفواه السكك فخدت واضرم النيران وقال من
لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها ففعلوا ذلك حتى جاءت امرأة ومعها صبى لها فتقاعست أن
تقع فيها فقال لها الغلام يا أماه اصبرى ولا تقاعسى فانك على الحق هذا حديث صحيح
أخرجه مسلم وفى هذا الحديث اثبات كرامات الاولياء وفيه جواز الكذب فى مصلحة
ترجع الى الدين وفيه انقاذ النفس من الهلاك والاكمه هو الذى خلق أعمى والمشار
بالياء وتخفيف الهمزة وروى بالنون وذروة الجبل بالضم والكسر أعلاه ورجف تحرك
واضطرب والقرقور بضم القاف الاولى السفينة الصغيرة وانكفأت انقلبت
والصعيد هنا الارض البارزة والسكك الطرق والاخدود الشق العظيم فى الارض
وأقحموه أى ارموه فيها وتقاعست أى تأخرت وكرهت الدخول فى النار * وقال ابن
عباس كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له يوسف ذو نواس بن شرحبيل بن شراحيل
فى الفترة قبل مولد النبى صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان فى بلاده غلام يقال له
عبد الله بن تامر وكان أبوه يسلمه الى معلم يعلمه السحر فكره ذلك الغلام ولم يجد بدا من
طاعة أبيه فجعل يختلف الى المعلم وكان فى طريقه راهب حسن القراءة حسن الصوت
فاعجبه ذلك وذكر نحو حديث صهيب * وقال وهب بن منبه ان رجلا كان قد بقى على
دين عيسى فوقع الى نجران فاجابوه فسار اليه ذو نواس اليهودى بجنوده من حمير وخيرهم
بين النار واليهودية فابوا عليه فخد الاخدود وحرق اثنى عشر ألفا ثم غلب أرياط على اليمن
فخرج ذو نواس هاربا فاقتحم البحر بفرسه فغرق * وقال محمد بن اسحق عن عبد الله بن أبى
بكر ان خربة احتفرت فى زمن عمر بن الخطاب فوجدوا عبد الله بن تامر واضعا يده على
ضربة فى راسه اذا أميطت يده عنها انبعثت دما واذا تركت ارتدت مكانها وفى يده خاتم
حديد فيه مكتوب ربى الله فبلغ ذلك عمر فكتب أن أعيدوا عليه الذى وجدتم
عليه * وقال سعيد بن جبير وابن ابزى لما انهزم أهل اسفندهار قال عمر بن الخطاب أى
شئ يجرى على المجوس من الاحكام فانهم ليسوا باهل كتاب فقال على بن أبى طالب بلى
قد كان لهم كتاب وكانت الخمر قد أحلت لهم فتناولها ملك من ملوكهم فغلبت على عقله
فوقع على أخته فلما ذهب عنه السكر ندم وقال لها ويحك ما هذا الذى أتيت وما المخرج
منه قالت المخرج منه أنك تخطب الناس وتقول ان الله قد أحل نكاح الاخوات فاذا
ذهب فى الناس وتناسوه خطبتهم فحرمته فقام خطيبا بذلك فقال ان الله قد أحل لكم
نكاح الاخوات فقال الناس باجمعهم معاذ الله أن نؤمن بهذا أو نقر به ما جاءنا به من
نبى ولا أنزل علينا فى كتاب فبسط فيهم السوط فابوا أن يقروا فجرد فيهم السيف
فابوا أن يقروا به فخد لهم الاخدود وأوقد فيها النيران وعرضهم عليها فمن أبى قذفه فى
النار ومن أجاب اطلقه * وروى عن على قال كان اصحاب الاخدود نبيهم حبشى بعث
من الحبشة الى قومه ثم قرأ على ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك
ومنهم من لم نقصص عليك الآية فدعاهم فتابعه اناس فقاتلهم الكفار فقتل
اصحابه واخذ من انفلت منهم فاوثقوه ثم خدوا له اخدودا فملؤها نارا فمن تبع

صعيد وتصلبنى على جذع
وتأخذ سهما من كنانتى وتقول
بسم الله رب الغلام ثم ترمينى به
فرماه فوقع فى صدغه فوضع يده
عليه فمات فقال الناس آمنا
برب الغلام فقيل للملك نزل بك
ما كنت تحذره فخد اخدودا
وملأها نارا فمن لم يرجع عن
دينه طرحه فيها حتى جاءت
امرأة معها صبى فتقاعست أن
تقع فيها فقال الصبى يا أماه
اصبرى فانك على الحق فالقى
الصبى وامه فيها

(النار) بدل اشتمال من الاخدود (ذات الوقود) وصف لها بانها عظيمة لها ما يرتفع به لهبها من الحطب الكثير وأبدان الناس (اذ) ظرف لقتل أي لعنوا حين أحرقوا بالنار قاعدين حولها (هم عليها) أي الكفار على ما يدنو منها من حافات الاخدود (قعود) جلوس على الكراسي (وهم) أي الكفار (على ما يفعلون بالمؤمنين) من الاحراق (شهود) يشهد بعضهم لبعض عند الملك ان أحدا منهم لم يفرط فيما أمر به وفوض اليه من التعذيب وفيه حث للمؤمنين على الصبر وتحمل أذى أهل مكة (وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا) وما عابوا منهم وما أنكروا الا الايمان كقوله

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم

وقوله

ما نقموا من بني أمية الا … أنهم يحلمون ان غضبوا

وقرئ نقموا بالكسر والفصيح هو الفتح (بالله العزيز الحميد) ذكر الاوصاف التي يستحق بها ان يؤمن به وهو كونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه حميدا منعما يجب له الحمد على نعمته ويرجى ثوابه (الذي له ملك السموات والارض) فكل من فيهما تحق عليه عبادته والخشوع له تقريرا لان ما نقموا منهم هو الحق الذي لا ينقمه الا مبطل وان الناقمين أهل لانتقام الله منهم بعذاب عظيم (والله على كل شئ شهيد) وعيد لهم يعني أنه علم ما فعلوا وهو مجازيهم عليه (ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) يجوز ان يريد بالذين فتنوا أصحاب الاخدود خاصة وبالذين آمنوا المطروحين في الاخدود ومعنى

فتنوهم عذبوهم بالنار وأحرقوهم (ثم لم يتوبوا) لم يرجعوا عن كفرهم (فلهم) في الآخرة (عذاب جهنم) بكفرهم (ولهم عذاب الحريق) في الدنيا لما روي ان النار انقلبت عليهم فأحرقتهم ويجوز ان يريد الذين فتنوا المؤمنين أي بلوهم بالأذى على العموم والمؤمنين المفتونين وان للفاتنين عذابين في الآخرة لكفرهم ولفتنتهم (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير) أي الذين صبروا على تعذيب الاخدود أو هو عام (ان بطش ربك لشديد) البطش الاخذ بالعنف فاذا وصف بالشدة فقد تضاعف

ذلك النبي رمى به في النار ومن تابعهم تركوه فجاؤا بامرأة معها صبي رضيع فجزعت فقال الصبي يا أماه قعي ولا تقاعسي وقيل كانت الاخدود ثلاثة واحدة بنجران باليمن والاخرى بالشام والاخرى بفارس حرقوا بالنار فاما التي بالشام فهو انطاموس الرومي وأما التي بفارس فبختنصر ويزعمون انهم أصحاب دانيال وأما التي باليمن فذو نواس يوسف فاما التي بالشام وفارس فلم ينزل الله فيهم قرآنا وأنزل في التي بنجران اليمن وذلك ان هذه القصة كانت مشهورة عند أهل مكة فذكر الله تعالى ذلك لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحملهم بذلك على الصبر وتحمل المكاره في الدين وقوله تعالى (النار ذات الوقود) هو تعظيم لامر تلك النار قال الربيع بن أنس نجى الله المؤمنين الذين ألقوا في النار بقبض أرواحهم قبل ان تمسهم النار وخرجت النار الى من على شفير الاخدود من الكفار فاحرقتهم (اذ هم عليها قعود) أي جلوس عند الاخدود (وهم) يعني الملك الذي خد الاخدود وأصحابه (على ما يفعلون بالمؤمنين) أي من عرضهم على النار وارادتهم أن يرجعوا الى دينهم (شهود) أي حضور وقيل يشهدون ان المؤمنين ضلال حين تركوا عبادة الصنم (وما نقموا منهم) قال ابن عباس ما كرهوا منهم (الا ان يؤمنوا بالله) وقيل ما عابوا ولا علموا فيهم عيبا الا ايمانهم بالله (العزيز) يعني أن الذي يستحق العبادة هو الله العزيز الغالب القاهر الذي لا يغلب ولا يدافع (الحميد) يعني الذي يستحق ان يحمد ويثنى عليه وهو أهل لذلك وهو الله جل جلاله (الذي له ملك السموات والارض) أي فهو المستحق للعبادة (والله على كل شئ) أي من افعالهم بالمؤمنين (شهيد) وفيه وعد عظيم للمؤمنين ووعيد عظيم للكافرين قوله عز وجل (ان الذين فتنوا) أي عذبوا وأحرقوا (المؤمنين والمؤمنات) أي بالنار (ثم لم يتوبوا) أي لم يرجعوا عما هم عليه من الكفر وفيه دليل على انهم اذا تابوا وآمنوا يقبل منهم ويخرجون من هذا الوعيد وان الله تعالى يقبل منهم التوبة وان توبة القاتل مقبولة وانهم ان لم يتوبوا (فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق) يعني لهم عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق بما أحرقوا المؤمنين وقيل لهم عذاب الحريق في الدنيا وذلك ان الله أحرقهم بالنار التي أحرقوا بها المؤمنين ارتفعت اليهم من الاخدود فاحرقتهم ولهم عذاب جهنم في الآخرة ثم ذكر ما أعد للمؤمنين فقال تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير) قوله عز وجل (ان بطش ربك لشديد) قال ابن عباس ان

وتفاقم والمراد أخذ الظلمة والجبابرة بالعذاب والانتقام (انه هو يبدئ ويعيد) أى يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد ان صيرهم ترابا دل باقتداره على الابداء والاعادة على شدة بطشه او أوعد الكفرة بانه يعيدهم كما بدأهم ليبطش بهم اذ لم يشكروا نعمة الابداء وكذبوا بالاعادة (وهو الغفور) الساتر للعيوب العافى عن الذنوب (الودود) المحب لأوليائه وقيل الفاعل لاهل الطاعة ما يفعله الودود من اعطائهم ما أرادوا (ذو العرش) خالقه ومالكه (المجيد) وبالجر

أخذه بالعذاب اذا أخذ الظلمة لشديد (انه هو يبدئ ويعيد) أى يخلقهم أولا فى الدنيا ثم يعيدهم أحياء بعد الموت ليجازيهم بأعمالهم فى القيامة (وهو الغفور) يعنى لذنوب جميع المؤمنين (الودود) أى المحب لهم وقيل المحبوب أى يوده أولياؤه ويحبونه وقيل يغفر ويود ان يغفر وقيل هو المتودد الى أوليائه بالمغفرة (ذو العرش) أى خالقه ومالكه (المجيد) قرئ بالرفع على انه صفة لله تعالى لان المجيد من صفات التعالى والجلال وذلك لا يليق الا بالله تعالى وقرئ المجيد بالكسر على انه صفة للعرش أى السرير العظيم اذ لا يعلم صفة العرش وعظمته الا الله تعالى وقيل أراد حسنه فوصفه بالمجيد فقد قيل ان العرش أحسن الاجسام ثم قال تعالى (فعال لما يريد) يعنى انه لا يعجزه شئ ولا يمتنع منه شئ طلبه وقيل فعال لما يريد لا يعترض عليه معترض ولا يغلبه غالب فهو يدخل أولياءه الجنة برحمته لا يمنعه من ذلك مانع ويدخل أعداءه النار لا ينصرهم منه ناصر (هل أتاك) أى قد أتاك (حديث الجنود) أى خبر الجموع الكافرة الذين تجندوا على الانبياء ثم بين من هم فقال تعالى (فرعون) يعنى وقومه (وثمود) وكانت قصتهم عند أهل مكة مشهورة (بل الذين كفروا) أى من قومك يا محمد (فى تكذيب) يعنى لك وللقرآن كما كذب من كان قبلهم من الامم ولم يعتبروا بمن أهلك منهم (والله من ورائهم محيط) أى عالم بهم لا يخفى عليه شئ من أعمالهم يقدر ان ينزل بهم ما أنزل بمن كان قبلهم (بل هو قرآن مجيد) أى كريم شريف كثير النفع والخير ليس هو كما زعم المشركون انه شعر وكهانة (فى لوح محفوظ) قرئ بالرفع على انه نعت للقرآن يعنى ان القرآن محفوظ من التبديل والتغيير والتحريف وقرئ محفوظ بالكسر على انه نعت للوح لانه يعرف باللوح المحفوظ وهو أم الكتاب ومنه تنسخ الكتب وسمى محفوظا لانه حفظ من الشياطين ومن الزيادة والنقص وهو عن يمين العرش وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عباس قال ان فى صدر اللوح لا اله الا الله وحده دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله عز وجل وصدق بوعده واتبع رسله أدخله الجنة وقال واللوح لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب وحافتاه الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمراء وقلمه من نور وكلامه سر معقود بالعرش وأصله فى حجر ملك والله تعالى أعلم بمراده

(تفسير سورة الطارق)

وهى مكية وسبع عشرة آية واحدى وستون كلمة ومائتان وتسعة وثلاثون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حمزة وعلى على انه صفة للعرش ومجد الله عظمته ومجد العرش علوه وعظمه (فعال) خبر مبتدا محذوف (لما يريد) تكوينه فيكون فيه دلالة خلق افعال العباد (هل أتاك حديث الجنود) أى قد أتاك خبر الجموع الطاغية فى الامم الخالية (فرعون وثمود) بدل من الجنود وأراد بفرعون اياه وآله والمعنى قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرسل وما نزل بهم لتكذيبهم (بل الذين كفروا) من قومك (فى تكذيب) واستيجاب للعذاب ولا يعتبرون بالجنود لا لخفاء حال الجنود عليهم لكن يكذبونك عنادا (والله من ورائهم محيط) أى عالم بأحوالهم وقادر عليهم وهم لا يعجزونه والاحاطة بهم من ورائهم مثل لانهم لا يفوتونه كما لا يفوت الشئ المحيط به (بل هو) بل هذا الذى كذبوا به (قرآن مجيد) شريف عالى الطبقة فى الكتب وفى نظمه واعجازه ليس كما يزعمون انه مفترى وانه أساطير الاولين (فى لوح محفوظ) من وصول الشياطين محفوظ نافع صفة للقرآن أى من التغيير والتبديل واللوح عند الحسن شئ يلوح للملائكة فيقرؤنه وعند ابن عباس رضى الله عنهما هو من درة بيضاء طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب قلمه نور وكل شئ فيه مسطور مقاتل هو على يمين العرش وقيل أعلاه معقود بالعرش وأسفله فى حجر ملك كريم والله أعلم

قوله

(سورة الطارق مكية وهى سبع عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب) عظم قدر السماء فى أعين الخلق لكونها معدن رزقهم ومسكن ملائكته وفيها خلق الجنة فاقسم بها وبالطارق والمراد جنس النجوم او جنس الشهب التى يرجم بها لعظم منفعتها ثم فسره بالنجم الثاقب أى المضىء كانه يثقب الظلام فينفذ فيه ووصف بالطارق لانه يبدو بالليل كما يقال للآتى ليلا طارق أولانه يطرق

قوله عزوجل (والسماء والطارق) قيل نزلت فى أبى طالب وذلك انه أتى النبى صلى الله عليه وسلم فاتحفه بخبز وابن فبينما هو جالس يأكل اذ انحط نجم فامتلأ ماء ثم نارا ففزع أبو طالب وقال أى شئ هذا فقال النبى صلى الله عليه وسلم هذا نجم رمى به وهو آية من آيات الله تعالى فعجب أبو طالب فانزل الله والسماء والطارق يعنى النجم يظهر بالليل وكل ما أتاك بالليل فهو طارق ولا يسمى ذلك بالنهار وسمى النجم طارقا لانه يطرق بالليل قالت هند

نحن بنات طارق ☼ نمشى على النمارق

تريد ان أباها نجم فى علوه وشرفه (وما أدراك ما الطارق) قيل لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم يعرفه حتى بينه الله له بقوله (النجم الثاقب) أى المضىء المنير وقيل المتوهج وقيل المرتفع العالى وقيل هو الذى يرمى به الشيطان فيثقبه أى ينفذه وقيل النجم الثاقب هو الثريا لان العرب تسميها النجم وقيل هو زحل سمى بذلك لارتفاعه وقيل هو كل نجم يرمى به الشيطان لانه يثقبه فينفذه وهذه أقسام أقسم الله بها وقيل تقديره ورب هذه الاشياء وجواب القسم قوله تعالى (ان كل نفس لما عليها حافظ) يعنى ان كل نفس عليها حافظ من ربها يحفظ عملها ويحصى عليها ما تكتسب من خير أو شر قال ابن عباس هم الحفظة من الملائكة وقيل حافظ من الله تعالى يحفظها ويحفظ قولها وفعلها حتى يدفعها او يسلمها الى المقادير ثم يخلى عنها وقيل يحفظها من المهالك والمعاطب الا ما قدر لها قوله عزوجل (فلينظر الانسان) يعنى نظر تفكر واعتبار (مم خلق) أى من أى شئ خلقه ربه ثم بين ذلك فقال تعالى (خلق من ماء) يعنى من منى (دافق) أى مدفوق مصبوب فى الرحم وأراد به ماء الرجل وماء المرأة لان الولد مخلوق منهما وانما جعله واحدا لامتزاجهما (يخرج) يعنى ذلك الماء وهو المنى (من بين الصلب والترائب) يعنى صلب الرجل وترائب المرأة وهى عظام الصدر والنحر قال ابن عباس هى موضع القلادة من الصدر وعنه انها بين ثدى المرأة قيل ان المنى يخرج من جميع اعضاء الانسان وأكثر ما يخرج من الدماغ فينصب فى عرق فى ظهر الرجل وينزل فى عروق كثيرة من مقدم بدن المرأة وهى الترائب فلهذا السبب خص الله تعالى هذين العضوين بالذكر (انه على رجعه لقادر) يعنى ان الله تعالى قادر على ان يرد النطفة فى الاحليل وقيل قادر على رد الماء فى الصلب الذى خرج منه وقيل قادر على رد الانسان ماء كما كان من قبل وقيل معناه ان شئت رددته من الكبر الى الشباب ومن الشباب الى الصبا ومن الصبا الى النطفة وقيل انه على حبس ذلك الماء حتى لا يخرج لقادر وقيل

الجنى أى يصكه وجواب القسم (ان كل نفس لما عليها حافظ) لما ان كانت مشددة بمعنى الا كقراءة عاصم وحمزة وابن عامر فتكون ان نافية أى ما كل نفس الا عليها حافظ وان كانت مخففة كقراءة غيرهم فتكون ان مخففة من الثقيلة أى ان كل نفس لعليها حافظ يحفظها من الآفات أو يحفظ عملها ورزقها وأجلها فاذا استوفى ذلك مات وقيل هو كاتب الاعمال فما زائدة واللام فارقة بين الثقيلة والخفيفة وحافظ مبتدأ وعليها الخبر والجملة خبر كل وأيتهما كانت فهى مما يتلقى به القسم (فلينظر الانسان مم خلق) لما ذكر ان على كل نفس حافظا أمره بالنظر فى أول أمره ليعلم ان من أنشأه قادر على اعادته وجزائه فيعمل ليوم الجزاء ولا يملى على حافظه الا ما يسره فى عاقبته ومم خلق استفهام أى من أى شئ خلق جوابه (خلق من ماء دافق) والدفق صب فيه دفع والدفق فى الحقيقة لصاحبه والاسناد الى الماء مجاز وعن بعض أهل

اللغة دفقت الماء دفقا صببته ودفق الماء بنفسه أى انصب ولم يقل من ماءين لامتزاجهما فى الرحم واتحادهما حين ابتدئ فى خلقه (يخرج من بين الصلب والترائب) من بين صلب الرجل وترائب المرأة وهى عظام الصدر حيث تكون القلادة وقيل العظم والعصب من الرجل واللحم والدم من المرأة (انه) ان الخالق لدلالة خلق عليه ومعناه ان الذى خلق الانسان ابتداء من نطفة (على رجعه) على اعادته خصوصا (لقادر) لبين القدرة لا يعجز عنه كقوله انى لفقير أى لبين الفقر ونصب

(يوم تبلى) أى تكشف برجعه او بمضمر دل عليه قوله رجعه أى يبعثه يوم تبلى (السرائر) ما أسر فى القلوب من العقائد والنيات وما أخفى من الاعمال (فماله) فما للانسان (من قوة) فى نفسه على دفع ما حل به (ولا ناصر) يعينه ويدفع عنه (والسماء ذات الرجع) أى المطر سمى

به لعوده كل حين (والارض ذات الصدع) هو ما تتصدع عنه الارض

معناه وان الذى قدر على خلق الانسان ابتداء قادر على اعادته حيا بعد موته وهو أهون عليه وهذا القول هو الاصح والاولى بمعنى الآية لقوله تعالى بعده (يوم تبلى السرائر) وذلك يوم القيامة قيل معناه تظهر الخبايا وقيل معنى تبلى تختبر وقيل السرائر هى فرائض الاعمال كالصوم والصلاة والوضوء والغسل من الجنابة فكل هذه سرائر بين العبد وبين ربه عز وجل وذلك لان العبد قد يقول صليت ولم يصل وصمت ولم يصم واغتسلت ولم يغتسل فاذا كان يوم القيامة يختبر حتى يظهر من أداها ومن ضيعها قال عبد الله بن عمر يبدى الله تعالى يوم القيامة كل سر فيكون زينا فى وجوه وشينا فى وجوه يعنى من أدى الفرائض كما أمر كان وجهه مشرقا مستنيرا يوم القيامة ومن ضيعها أو انتقص منها كان وجهه أغبر (فماله) أى لهذا الانسان المنكر البعث (من قوة) أى يمتنع بها من عذاب الله (ولا ناصر) أى ينصره من الله ثم ذكر قسما آخر فقال تعالى (والسماء ذات الرجع) أى ذات المطر سمى به لانه يجىء ويرجع ويتكرر (والارض ذات الصدع) أى تتصدع وتنشق عن النبات والشجر والانهار وجواب القسم قوله تعالى (انه) يعنى القرآن (لقول فصل) أى انه لحق وجد يفصل بين الحق والباطل (وما هو بالهزل) أى باللعب والباطل (انهم) يعنى مشركى مكة (يكيدون كيدا) يعنى يحتالون بالمكر بالنبى صلى الله عليه وسلم وذلك حين اجتمعوا فى دار الندوة وتشاوروا فيه (وأكيد كيدا) يعنى اجازيهم على كيدهم بان استدرجهم من حيث لا يعلمون فانتقم منهم فى الدنيا بالسيف وفى الآخرة بالنار (فمهل الكافرين) أى لا تستعجل ولا تدع بهلاكهم قال ابن عباس هذا وعيد لهم من الله عز وجل ثم لما أمره بامهالهم بين ان ذلك الامهال قليل فقال تعالى (أمهلهم رويدا) يعنى قليلا فاخذهم الله يوم بدر ونسخ الامهال بآية السيف والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

(تفسير سورة الاعلى)

وهى مكية وتسع عشرة آية واثنتان وسبعون كلمة ومائتان واحد وتسعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (سبح اسم ربك الاعلى) أى قل سبحان ربى الاعلى وهو قول جماعة من الصحابة والتابعين يدل عليه ما روى عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قرأ سبح اسم ربك الاعلى فقال سبحان ربى الاعلى ذكره البغوى باسناد الثعلبى وقيل معناه نزه ربك الاعلى عما يصفه الملحدون فعلى هذا يكون الاسم صلة وقيل معناه نزه تسمية ربك الاعلى بان تذكره وأنت له معظم ولذكره محترم وقال ابن عباس سبح أى صل بأمر ربك

من النبات (انه) ان القرآن (لقول فصل) فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان (وما هو بالهزل) باللعب والباطل يعنى انه جد كله ومن حقه وقد وصفه الله بذلك أن يكون مهيبا فى الصدور معظما فى القلوب يرتفع به قارئه وسامعه أن يلم بهزل أو يتفكه بمزاح (انهم) يعنى مشركى مكة (يكيدون كيدا) يعملون المكايد فى ابطال أمر الله واطفاء نور الحق (وأكيد كيدا) واجازيهم جزاء كيدهم باستدراجى لهم من حيث لا يعلمون سمى جزاء الكيد كيدا كما سمى جزاء الاعتداء والسيئة اعتداء وسيئة وان لم يكن اعتداء وسيئة ولا يجوز اطلاق هذا الوصف على الله تعالى الا على وجه الجزاء كقوله نسوا الله فنسيهم يخادعون الله وهو خادعهم الله يستهزئ بهم (فمهل الكافرين) أى لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به (أمهلهم) أنظرهم فكرر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين والتصبير (رويدا) مهلا يسيرا ولا يتكلم بها الا مصغرة وهى من رادت الريح ترود رودا تحركت حركة ضعيفة

الاعلى

(سورة الاعلى مكية وهى تسع عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم سبح اسم ربك الاعلى) نزه ذاته عما لا يليق به والاسم صلة وذلك بان يفسر الاعلى بمعنى العلو الذى هو القهر والاقتدار لا بمعنى العلو فى المكان وقيل قل سبحان ربى الاعلى وفى الحديث لما نزلت قال عليه السلام اجعلوها فى سجودكم

(الذى خلق فسوّى) أى خلق كل شئ فسوى خلقه تسوية ولم يأت به متفاوتا غير ملتئم ولكن على احكام واتساق ودلالة على أنه صادر عن عالم حكيم او سوّاه على ما فيه منفعة ومصلحة (والذى قدر فهدى) أى قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه اليه وعرّفه وجه الانتفاع به أو فهدى وأضل ولكن حذف واضل اكتفاء بقوله يضل ٤٨٥ من يشاء ويهدى من يشاء قدر على (والذى أخرج المرعى) أنبت ما ترعاه الدواب (فجعله غثاء) يابسا هشيما (أحوى) أسود فاحوى صفة لغثاء (سنقرئك فلا تنسى) سنعلمك القرآن حتى لا تنساه (الا ما شاء الله) أن ينسخه وهذا بشارة من الله لنبيه أن يحفظ عليه الوحى حتى لا ينفلت منه شئ الا ما شاء الله أن ينسخه فيذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته وسأل ابن كيسان النحوى جنيدا عنه فقال فلا تنسى العمل به فقال مثلك يصدّر وقيل قوله فلا تنسى على النهى والالف مزيدة للفاصلة كقوله السبيلا أى فلا تغفل قراءته وتكريره فتنساه الا ما شاء الله أن ينسيكه برفع تلاوته (انه يعلم الجهر وما يخفى) أى انك تجهر بالقرآن مع قراءة جبريل مخافة التفلت والله يعلم جهرك معه وما فى نفسك مما يدعوك الى الجهر أو ما تقرأ فى نفسك مخافة النسيان أو يعلم ما أسررتم وما أعلنتم من أقوالكم وأفعالكم وما ظهر وما بطن من أحوالكم (ونيسرك لليسرى) معطوف على سنقرئك وقوله انه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض ومعناه ونوفقك للطريقة التى هى أيسر وأسهل يعنى حفظ الوحى وقيل للشريعة السمحة التى هى أيسر الشرائع أو نوفقك لعمل الجنة (فذكر) عظ بالقرآن (ان نفعت الذكرى) جواب ان مدلول قوله فذكر قيل ظاهره شرط ومعناه استبعاد لتأثير الذكرى فيهم وقيل هو أمر بالتذكير على الاطلاق كقوله فذكر انما أنت مذكر غير مشروط بالنفع (سيذكر) سيتعظ ويقبل التذكرة (من يخشى) الله وسوء العاقبة

الاعلى ٭ عن عقبة بن عامر قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال النبى صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها فى سجودكم أخرجه أبو داود (الذى خلق فسوى) أى خلق كل ذى روح فسوى اليدين والرجلين والعينين وقيل خلق الانسان مستويا معتدل القامة (والذى قدر فهدى) قيل قدر الارزاق وهدى لاكتسابها وقيل قدر لكل شئ شكله فهدى أى فعرّف كيف يأتى الذكر الانثى وقيل قدر مدة الجنين فى الرحم وهداه الى الخروج منه وقيل قدر السعادة لاقوام والشقاوة لاقوام ثم هدى كل فريق من الطائفتين لسلوك سبيل ما قدر له وعليه وقيل قدر الخير والشر وهدى اليهما وقيل قدر أى أعطى كل حيوان ما يحتاج اليه وهدى الانعام وسائر الحيوانات لمراعيها وهو قوله تعالى (والذى أخرج المرعى) أى أنبت العشب وما ترعاه الانعام من أخضر وأصفر وأحمر وأبيض وغير ذلك (فجعله) يعنى المرعى بعد الخضرة (غثاء) أى هشيما يابسا باليا كالغثاء الذى تراه فوق السيل (أحوى) أى اسود بعد الخضرة وذلك ان الكلأ اذا جف ويبس اسود قوله عز وجل (سنقرئك) أى نعلمك القرآن بقراءة جبريل عليك (فلا تنسى) يعنى ما يقرأ عليك وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل جبريل بالوحى لم يفرغ من آخر الآية حتى يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأولها مخافة أن ينساها فأنزل الله تعالى سنقرئك فلا تنسى فلم ينس شيأ بعد ذلك (الا ما شاء الله) يعنى ان تنساه وهو ما نسخ الله تعالى تلاوته من القرآن ورفعه من الصدور وقيل معناه الا ما شاء الله أن تنساه ثم تذكره بعد ذلك كما صح من حديث عائشة رضى الله عنها قالت سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقرأ فى سورة بالليل فقال يرحمه الله لقد أذكرنى كذا وكذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا وفى رواية كنت أسقطتهن من سورة كذا أخرجاه فى الصحيحين وقيل هذا الاستثناء لم يقع ولم يشأ الله أن ينسيه شيأ (انه يعلم الجهر) يعنى من القول والفعل (وما يخفى) يعنى منهما والمعنى انه تعالى يعلم السر والعلانية (ونيسرك لليسرى) أى نهون عليك أن تعمل خيرا ونسهله عليك حتى تعمله وقيل نوفقك للشريعة اليسرى وهى الحنيفية السمحة وقيل هو متصل بالكلام الاول والمعنى انه يعلم الجهر مما تقرؤه على جبريل اذا فرغ من التلاوة وما يخفى مما تقرؤه فى نفسك مخافة النسيان ثم وعده فقال ونيسرك لليسرى أى نهون عليك الوحى حتى تحفظه ولا تنساه (فذكر) أى فعظ بالقرآن (ان نفعت الذكرى) أى مدة نفع الموعظة والتذكير والمعنى عظ أنت وذكر ان نفعت الذكرى أو لم تنفع انما عليك البلاغ (سيذكر من يخشى) أى سيتعظ من

(ويتجنبها) ويتباعد عن الذكرى فلا يقبلها (الاشقى) الكافر او الذى هو أشقى الكفرة لتوغله فى عداوة رسول الله قيل
نزلت فى الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة (الذى يصلى النار الكبرى) يدخل نار جهنم والصغرى نار الدنيا (ثم
لا يموت فيها) فيستريح من العذاب (ولا يحيى) حياة يتلذذ بها وقيل بثم لان الترجح بين الحياة والموت أفظع من الصلى فهو متراخ عنه فى مراتب الشدة (قد أفلح) نال الفوز (من تزكى) تطهر من الشرك أو تطهر للصلاة أو أدى الزكاة تفعل من الزكاة كتصدق من الصدقة (وذكر اسم ربه) وكبر للافتتاح (فصلى) الخمس وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى انها ليست من الصلاة لان الصلاة عطفت عليها وهو يقتضى المغايرة وعلى ان الافتتاح جائز بكل اسم من أسمائه عزوجل وعن ابن عباس رضى الله عنهما ذكر معاده ووقوفه بين يدى ربه فصلى له عن الضحاك وذكر اسم ربه فى طريق المصلى فصلى صلاة العيد (بل تؤثرون الحيوة الدنيا) على الآخرة فلا تفعلون ما به تفلحون والمخاطب به الكافرون دليله قراءة أبى عمرو يؤثرون بالياء (والآخرة خير وأبقى) افضل فى نفسها وادوم (ان هذا لفى الصحف الاولى) هذا اشارة الى قوله قد افلح الى أبقى أى أن معنى هذا الكلام وارد فى تلك الصحف
او الى ما فى السورة كلها وهو دليل على جواز قراءة القرآن بالفارسية فى الصلاة لانه جعله مذكورا فى
تلك الصحف مع انه لم يكن فيها بهذا النظم وبهذه اللغة (صحف ابراهيم وموسى) بدل من الصحف الاولى وفى الاثر وفى صحف
ابراهيم ينبغى للعاقل ان يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شانه شيأ

يخشى الله تعالى (ويتجنبها) أى الذكرى ويتباعد عنها (الاشقى) أى فى علم الله تعالى
(الذى يصلى النار الكبرى) أى النار العظيمة الفظيعة وقيل النار الكبرى هى نار
الآخرة والنار الصغرى هى نار الدنيا (ثم لا يموت فيها) أى فى النار فيستريح (ولا يحيى)
أى حياة طيبة تنفعه قوله عزوجل (قد أفلح من تزكى) أى تطهر من الشرك وقال لا اله
الا الله قاله ابن عباس وقيل قد أفلح من كان عمله زاكيا وقيل هو صدقة الفطر روى عن
أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه فى قوله قد أفلح من تزكى قال أعطى صدقة الفطر (وذكر
اسم ربه فصلى) قال خرج الى العيد فصلى وكان ابن مسعود يقول رحم الله أمرا تصدق ثم
صلى ثم يقرأ هذه الآية وقال نافع كان ابن عمر اذا صلى الغداة يعنى يوم العيد قال يا نافع
أخرجت الصدقة فان قلت نعم مضى الى المصلى وان قلت لا قال فالآن فأخرج فانما هذه
الآية فى هذا قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى فان قلت فاوجه هذا التأويل وهذه
السورة مكية ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر قلت يجوز أن يكون النزول سابقا على
الحكم كما قال وأنت حل بهذا البلد وهذه السورة مكية وظهر أثر الحل يوم الفتح وكذا
نزل بمكة سيهزم الجمع ويولون الدبر وكان ذلك يوم بدر قال عمر بن الخطاب كنت لا أدرى
أى جمع سيهزم فلما كان يوم بدر رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يثب فى الدرع ويقول
سيهزم الجمع ويولون الدبر ووجه آخر وهو أنه كان فى علم الله تعالى أنه سيكون ذلك فاخبر
عنه وقيل وذكر اسم ربه فصلى يعنى الصلوات الخمس وقيل أراد بالذكر تكبيرات العيد
وبالصلاة صلاة العيد قوله عزوجل (بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وأبقى)
يعنى ان الدنيا فانية والآخرة باقية والباقى خير من الفانى وأنتم تؤثرون الفانى على الباقى
قال عرفجة الاشجعى كنا عند ابن مسعود فقرأ هذه الآية فقال لنا أتدرون لم آثرنا الحياة
الدنيا على الآخرة قلنا لا قال لان الدنيا احضرت وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها
ولذاتها وبهجتها وان الآخرة تغيبت وزويت عنا فاحببنا العاجل وتركنا الآجل وذلك
ان أريد بذلك الكفار فالمعنى انهم يؤثرون الدنيا على الآخرة لانهم لا يؤمنون بالآخرة
وان أريد بذلك المسلمون فالمعنى يؤثرون الاستكثار من الدنيا على الثواب الذى يحصل
فى الآخرة وهو خير وأبقى (ان هذا) أى الذى ذكر من قوله قد أفلح من تزكى الى هنا وهو
أربع آيات (لفى الصحف الاولى) أى الكتب المتقدمة التى نزلت قبل القرآن ذكر
فى تلك الصحف فلاح من تزكى والمصلى وايثار الدنيا وان الآخرة خير وأبقى ثم بين ذلك
فقال تعالى (صحف ابراهيم وموسى) يعنى ان هذا القدر المذكور فى صحف ابراهيم وموسى
وقيل انه مذكور فى جميع صحف الانبياء التى منها صحف ابراهيم وموسى لان هذا القدر
المذكور فى هذه الآيات لا تختلف فيه شريعة بل جميع الشرائع متفقة عليه * عن أبى
ذر رضى الله عنه قال دخلت المسجد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للمسجد تحية
فقلت وما تحيته يا رسول الله قال ركعتان تركعهما قلت يا رسول الله هل أنزل الله عليك

شيأ مما كان في صحف ابراهيم وموسى قال يا أباذر اقرأ قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه
فصلى بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وأبقى ان هذا لفي الصحف الاولى صحف
ابراهيم وموسى قلت يا رسول الله فما كانت صحف موسى قال كانت عبرا كلها عجبت لمن
أيقن بالموت كيف يفرح عجبت لمن أيقن بالنار كيف يضحك عجبت لمن رأى الدنيا
وتقلبها باهلها كيف يطمئن عجبت لمن أيقن بالقدر ثم ينصب عجبت لمن ايقن بالحساب
ثم لا يعمل أخرج هذا الحديث رزين في كتابه وذكره ابن الاثير في كتابه جامع
الاصول ولم يعلم عليه شيأ * عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
يقرأ في الوتر بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد في ركعة
ركعة اخرجه الترمذي والنسائي وعن عبد العزيز بن جريج قال سألنا عائشة بأي شئ كان
يوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان يقرأ في الاولى بسبح اسم ربك الاعلى وفي
الثانية بقل يا أيها الكافرون وفي الثالثة بقل هو الله أحد والمعوذتين أخرجه ابو داود
والنسائي والترمذي وقال حديث حسن غريب والله اعلم

(تفسير سورة الغاشية)

وهي مكية وست وعشرون آية واثنتان وتسعون كلمة وثلثمائة واحد وثمانون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (هل اتاك) اى قد أتاك يا محمد (حديث الغاشية) يعني القيامة سميت
غاشية لانها تغشى كل شئ باهوالها وقيل الغاشية النار سميت بذلك لانها تغشى وجوه
الكفار (وجوه يومئذ) يعني يوم القيامة (خاشعة) يعني ذليلة والمراد بالوجوه أصحابها
فعبر بالجزء عن الكل ولان الوجه أشرف أعضاء الانسان فعبر به عنه (عاملة ناصبة)
قال ابن عباس يعني الذين عملوا ونصبوا في الدنيا على غير دين الاسلام من عبدة الاوثان
وكفار أهل الكتاب مثل الرهبان وأصحاب الصوامع لا يقبل الله منهم اجتهادا في ضلالة
بل يدخلون النار يوم القيامة ومعنى النصب الدؤب في العمل بالتعب (ق) عن عائشة
رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احدث في أمرنا هذا ما ليس
منه فهو رد وفي رواية من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد أما الرواية الاولى فانها تختص
عن أحدث في دين الاسلام شيأ ابتدعه من عنده فهو مردود عليه لا يقبل منه واما
الرواية الثانية فانها تشتمل على كل عامل في دين الاسلام او غير دين الاسلام فانه مردود
عليه اذا لم يكن تابعا لنبينا صلى الله عليه وسلم وقيل في معنى الآية عاملة في الدنيا
بالمعاصي ناصبة في الآخرة في النار وقيل عاملة ناصبة في النار لانهم لم تعمل لله في الدنيا
فأعملها وأنصبها في النار بمعالجة السلاسل والاغلال وهي رواية عن ابن عباس قال ابن
مسعود تخوض في النار كما تخوض الابل في الوحل وقيل يجرون على وجوههم في النار
وقيل يكلفون ارتقاء جبل من حديد في النار وهو قوله تعالى (تصلى نارا حامية) قال
ابن عباس قد حميت فهي تتلظى على أعداء الله عز وجل (تسقى من عين آنية) أي
متناهية في الحرارة قد أوقدت عليها جهنم مذ خلقت لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا

(سورة الغاشية مكية وهى ست وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هل) بمعنى قد (أتاك حديث الغاشية) الداهية التي تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم أهوالها يعني القيامة وقيل النار من قوله وتغشى وجوههم النار (وجوه) أي وجوه الكفار وانما خص الوجه لان الحزن والسرور اذا استحكما في المرء أثرا في الوجه (يومئذ) يوم اذ غشيت (خاشعة) ذليلة لما تعتري أصحابها من الخزي والهوان (عاملة ناصبة) تعمل في النار عملا تتعب فيه وهو جرها السلاسل والاغلال وخوضها في النار كما تخوض الابل في الوحل وارتقاؤها دائمة في صعود من نار وهبوطها في حدور منها وقيل عملت في الدنيا أعمال السوء والتذت بها وتنعمت فهي في نصب منها في الآخرة وقيل هم أصحاب الصوامع ومعناه أنها خشعت لله وعملت ونصبت في أعمالها من الصوم الدائب والتهجد الواصب (تصلى نارا حامية) تدخل نارا قد أحميت مددا طويلة فلا حر يعدل حرها تصلى أبو عمرو وأبو بكر (تسقى من عين آنية) من عين ماء قد انتهى حرها والتأنيث في هذه الصفات والافعال راجع الى الوجوه والمراد أصحابها بدليل قوله

لذابت فيه فيعون اليها ورودا عطاشا فهذا شرابهم ثم ذكر طعامهم فقال تعالى (ليس لهم طعام الا من ضريع) قيل هو نبت ذو شوك لاطئ بالارض تسميه قريش الشبرق فاذا هاج سموه الضريع وهو أخبث طعام وأبشعه وهي رواية عن ابن عباس فاذا يبس لا تقربه دابة وقيل الضريع في الدنيا هو الشوك اليابس الذي ليس له ورق وهو في الآخرة شوك من نار وجاء في الحديث عن ابن عباس يرفعه الضريع شيء في النار يشبه الشوك أمر من الصبر وأنتن من الجيفة وأشد حرا من النار قال أبو الدرداء ان الله تعالى يرسل على أهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بالضريع ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون انهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالماء فيستسقون فيعطشهم ألف سنة ثم يسقون من عين آنية شربة لا هنيئة ولا مريئة فاذا أدنوه من وجوههم سلخ جلدة وجوههم وشواها فاذا وصل الى بطونهم قطعها فذلك قوله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم قال المفسرون فلما نزلت هذه الآية قال المشركون ان ابلنا لتسمن على الضريع وكذبوا في ذلك فان الابل انما ترعاه رطبا فاذا يبس لا تأكله فانزل الله تعالى (لا يسمن ولا يغني من جوع) يعني ان هذا الطعام لا تقدر البهائم على أكله فكيف يقدر الانسان على أكله فهو اذا لا يسمن ولا يغني من جوع فان قلت قد ذكر الله تعالى في هذه الآية أنه لا طعام لهم الا من ضريع وذكر في موضع آخر انه لا طعام لهم الا من غسلين فكيف الجمع بينهما قلت ان النار دركات فعلى قدر الذنوب تقع العقوبات فمنهم من طعامه الزقوم لا غير ومنهم من طعامه الضريع ومنهم من طعامه الغسلين ثم وصف أهل الجنة فقال تعالى (وجوه يومئذ ناعمة) أي متنعمة ذات بهجة وحسن ونعمة وكرامة (لسعيها راضية) أي لسعيها في الدنيا راضية في الآخرة حيث أعطيت الجنة بعملها (في جنة عالية) قيل هو من العلو الذي هو الشرف وقيل من العلو في المكان وذلك لان الجنة درجات بعضها أعلى من بعض كل درجة كما بين السماء والارض (لا تسمع فيها لاغية) أي ليس فيها لغو ولا باطل (فيها عين جارية) على وجه الارض في غير اخدود وقيل تجري حيث أرادوا من منازلهم وقصورهم (فيها سرر مرفوعة) قال ابن عباس ألواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والياقوت مرتفعة ما لم يجئ أهلها فاذا أراد أهلها الجلوس عليها تواضعت لهم حتى يجلسوا عليها ثم ترتفع الى مواضعها (وأكواب) يعني الكيزان التي لا عرا لها (موضوعة) يعني عندهم بين أيديهم وقيل موضوعة على حافات العين الجارية كلما أرادوا الشرب منها وجدوها مملوءة (ونمارق مصفوفة) يعني وسائد ومرافق مصفوفة بعضها جنب بعض أينما أراد أن يجلس ولي الله جلس على واحدة واستند الى الاخرى (وزرابي) يعني البسط العريضة قال ابن عباس هي الطنافس التي لها خمل واحدتها

(ليس لهم طعام الا من ضريع) وهو نبت يقال له الشبرق فاذا يبس فهو ضريع وهو سم قاتل والعذاب ألوان والمعذبون طبقات فمنهم أكلة الزقوم ومنهم أكلة الغسلين ٤٨٨ ومنهم أكلة الضريع فلا تناقض بين هذه الآية وبين قوله ولا طعام الا من غسلين (لا يسمن) مجرور المحل لانه وصف ضريع (ولا يغني من جوع) اى منفعتا الغذاء منتفيتان عنه وهما اماطة الجوع وافادة السمن في البدن (وجوه يومئذ) ثم وصف وجوه المؤمنين ولم يقل ووجوه لان الكلام الاول قد طال وانقطع (ناعمة) متنعمة في لين العيش (لسعيها راضية) رضيت بعملها وطاعتها لما رأت ما أداهم اليه من الكرامة والثواب (في جنة عالية) من علو المكان أو المقدار (لا تسمع) يا مخاطب أو الوجوه (فيها لاغية) اى لغوا أو كلمة ذات لغو أو نفسا تلغو لا يتكلم أهل الجنة الا بالحكمة وحمد الله على ما رزقهم من النعيم الدائم لا يسمع فيها لاغية مكي وأبو عمرو لا تسمع فيها لاغية نافع (فيها عين جارية) اى عيون كثيرة كقوله علمت نفس (فيها سرر) جمع سرير (مرفوعة) من رفعة المقدار أو السمك ليرى المؤمن بجلوسه عليه جميع ما خوله ربه من الملك والنعيم (وأكواب) جمع كوب وهو القدح وقيل آنية لا عروة لها (موضوعة) بين ايديهم ليتلذذوا بها بالنظر اليها أو موضوعة على حافات العيون معدة للشرب (ونمارق) وسائد (مصفوفة) بعضها الى جنب بعض مساند ومطارح أينما اراد ان يجلس جلس على موسدة واستند الى الاخرى (وزرابي) وبسط عراض فاخرة جمع زربية

(مبثوثة) مبسوطة أو مفرقة فى المجالس ولما أنزل الله تعالى هذه الآيات فى صفة الجنة وفسر النبى عليه السلام بان ارتفاع السرير يكون مائة فرسخ والاكواب الموضوعة لاتدخل فى حساب الخلق لكثرتها وطول النمارق كذا وعرض الزرابى كذا أنكر الكفار وقالوا كيف يصعد على هذا السرير وكيف تكثر الاكواب هذه الكثرة وطول النمارق هذا الطول وبسط الزرابى هذا الانبساط ولم نشاهد ذلك فى الدنيا فقال الله تعالى (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت)

زربية (مبثوثة) أى مبسوطة وقيل متفرقة فى المجالس قوله عزوجل (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) قال أهل التفسير لما نعت الله عزوجل مافى هذه السورة مما فى الجنة عجب من ذلك أهل الكفر وكذبوه فذكرهم الله صنعه فقال أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وانما بدأ بالابل لانها من أنفس أموال العرب ولهم فيها منافع كثيرة والمعنى ان الذى صنع لهم هذا فى الدنيا هو الذى صنع لاهل الجنة ماصنع وتكلمت علماء التفسير فى وجه تخصيص الابل بالذكر من بين سائر الحيوانات فقال مقاتل لان العرب لم يروا بهيمة قط أعظم منها ولم يشاهدوا الفيل الا النادر منهم وقال الكلبى لانها تنهض بحملها وقد كانت باركة وقال قتادة لما ذكر الله تعالى ارتفاع سرر الجنة وفرشها قالوا كيف نصعدها فانزل الله تعالى هذه الآية وسئل الحسن عن هذه الآية وقيل له الفيل أعظم فى الاعجوبة فقال أما الفيل فان العرب بعيدة العهد به ثم هو لاخير فيه لانه لايركب على ظهره ولا يؤكل لحمه ولا يحلب دره والابل أعز مال للعرب وأنفسه تاكل النوى والقت وغيره وتخرج اللبن ومن منافع الابل انها مع عظمها تلين للحمل الثقيل وتنقاد للقائد الضعيف حتى ان الصبى الصغير ياخذ بزمامها فيذهب بها حيث شاء ومنها أنها فضلت على سائر الحيوانات باشياء وذلك أن جميع الحيوانات انما تقتنى اما للزينة أو للركوب أو للحمل أو للبن أو لاجل اللحم ولا توجد جميع هذه الخصال الا فى الابل فانها زينة وتركب فيقطع عليها المفازات البعيدة وتحمل الثقيل وتحلب الكثير وياكل من لحمها الجم الغفير وتصبر على العطش عدة أيام ومنها أنه يحمل عليها وهى باركة ثم تنهض بحملها بخلاف سائر الحيوانات ومنها أنها ترعى فى كل نبات فى البرارى ممالا يرعاه غيرها من الحيوانات وهى سفن البر يحمل عليها الثقيل ويقطع عليها المفاوز البعيدة وكان شريح يقول اخرجوا بنا الى الكناسة حتى ننظر الى الابل كيف خلقت فان قلت كيف حسن ذكر الابل مع السماء والارض والجبال ولا مناسبة بينهما ولم بدأ بذكر الابل قبل السماء والارض والجبال قلت لما كان المراد ذكر الدلائل الدالة على توحيده وقدرته وأنه هو الخالق لهذه الاشياء جميعها وكانت الابل من أعظم شئ عند العرب فينظرون اليها ليلا ونهارا ويصاحبونها ظعنا وأسفارا ذكرهم عظيم نعمته عليهم فيها ولهذا بدأ بها ولانها من اعجب الحيوانات عندهم (والى السماء كيف رفعت) يعنى فوق الارض بغير عمد ولا ينالها شئ (والى الجبال كيف نصبت) أى على الارض نصبا ثابتا راسخا لا يزول (والى الارض كيف سطحت) أى بسطت ومهدت

طويلة ثم تبرك حتى تركب أو يحمل عليها ثم تقوم فكذا السرير يطاطئ للمؤمن كما تطاطئ الابل (والى السماء كيف رفعت) رفعا بعيد المدى بلا امساك وعمد ثم نجومها تكثر هذه الكثرة فلا تدخل فى حساب الخلق فكذلك الاكواب (والى الجبال كيف نصبت) نصبا ثابتا فهى راسخة لا تميل مع طولها فكذا النمارق (والى الارض كيف سطحت) سطحا بتمهيد وتوطئة فهى كلها بساط واحد تنبسط من الافق الى الافق فكذا الزرابى ويجوز أن يكون المعنى أفلا ينظرون الى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق حتى لا ينكروا اقتداره على البعث فيسمعوا انذار الرسول ويؤمنوا به ويستعدوا للقائه وتخصيص هذه الاربعة باعتبار ان هذا خطاب للعرب وحث لهم على الاستدلال والمرء انما يستدل بما تكثر مشاهدته له والعرب تكون فى البوادى ونظرهم فيها الى السماء والارض والجبال والابل فهى أعز أموالهم وهم

لها أكثر استعمالا منهم لسائر الحيوانات ولانها تجمع جميع المآرب المطلوبة من الحيوان وهى النسل والدر والحمل والركوب والاكل بخلاف غيرها فانه سخرها منقادة لكل من اقتادها بازمتها لا تعاز ضعيفا ولا تمانع صغيرا وبرأها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار وجعلها بحيث تبرك حتى تحمل عن قرب ويسر ثم تنهض بما حملت وتجرها الى البلاد الشاحطة وصبرها على احتمال العطش حتى ان ظمأها ليرتفع الى العشر فصاعدا وجعلها ترعى كل نابت فى البرارى ممالا يرعاه

سائر البهائم (فذكر) هم بالادلة ليتفكروا فيها (انما أنت مذكر) ليس عليك الا التبليغ (لست عليهم بمسيطر) بمسلط كقوله
وما أنت عليهم بجبار بمصيطر مدني و بصري وعلي وعاصم (الا من تولى و كفر فيعذبه الله العذاب الاكبر) الاستثناء

بحيث يستقر على ظهرها كل شئ قال ابن عباس المعنى هل يقدر أحد أن يخلق مثل الابل أو يرفع مثل السماء أو ينصب مثل الجبال أو يسطح مثل الارض غير الله القادر على كل شئ ولما ذكر الله تعالى دلائل التوحيد ولم يعتبروا ولم يتفكروا فيها خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى (فذكر انما أنت مذكر) أي فعظ انما أنت واعظ (لست عليهم بمسيطر) أي بمسلط فتكرههم على الايمان وهذه الآية منسوخة نسختها آية القتال (الا من تولى و كفر) استثناء منقطع عما قبله معناه لكن من تولى و كفر بعد التذكير (فيعذبه الله العذاب الاكبر) وهو ان يدخله النار وانما قال الاكبر لانهم عذبوا في الدنيا بانواع من العذاب مثل الجوع والقحط والقتل والاسر فكانت النار أكبر من هذا كله (ان الينا ايابهم) أي رجوعهم بعد الموت (ثم ان علينا حسابهم) يعني جزاءهم بعد الرجوع الينا والله أعلم

(تفسير سورة الفجر)

وهي مكية وتسع وعشرون آية وقيل ثلاثون آية ومائة وتسع وثلاثون كلمة وخمسمائة وسبعة وتسعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (والفجر) أقسم الله عز وجل بالفجر وما بعده لشرفها وما فيها من الفوائد الدينية وهي أنها دلائل باهرة وبراهين قاطعة على التوحيد وفيها من الفوائد الدنيوية أنها تبعث على الشكر واختلفوا في معاني هذه الالفاظ فروي عن ابن عباس انه قال الفجر هو انفجار الصبح في كل يوم أقسم الله تعالى به لما يحصل فيه من انقضاء الليل وظهور الضوء وانتشار الناس وسائر الحيوانات في طلب الارزاق وذلك يشبه نشر الموتى من قبورهم للبعث وعن ابن عباس أيضا أنه صلاة الفجر والمعنى أنه أقسم بصلاة الفجر لانها مفتتح النهار ولانها مشهودة يشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل انه فجر معين واختلفوا فيه فقيل هو فجر أول يوم من المحرم لان منه تنفجر السنة وقيل هو فجر ذي الحجة لانه قرن به الليالي العشر وقيل هو فجر يوم النحر لان فيه أكثر مناسك الحج وفيه القربات (وليال عشر) قيل انما نكرها لما فيها من الفضل والشرف الذي لا يحصل في غيرها روي عن ابن عباس أنها العشر الاول من ذي الحجة لانها أيام الاشتغال باعمال الحج وأخرج الترمذي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من أيام العمل فيهن احب الى الله من هذه الايام العشر وذكر الحديث وروي عن ابن عباس قال هي العشر الاواخر من رمضان لان فيها ليلة القدر ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل العشر الاخير من رمضان أحيا ليله وشد مئزره وايقظ أهله يعني للعبادة وقيل هي العشر الاول من المحرم وهو تنبيه على شرفه ولان فيه يوم عاشوراء (والشفع والوتر) قيل الشفع هو الخلق والوتر هو الله تعالى يروى ذلك عن أبي سعيد

الخدري

منقطع أي لست بمستول عليهم ولكن من تولى منهم و كفر بالله فان لله الولاية عليه والقهر فهو يعذبه العذاب الاكبر وهو عذاب جهنم وقيل هو استثناء من قوله فذكر أي فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض (ان الينا ايابهم) رجوعهم وفائدة تقديم الظرف التشديد في الوعيد وان ايابهم ليس الا الى الجبار المقتدر على الانتقام (ثم ان علينا حسابهم) فنحاسبهم على أعمالهم ونجازيهم بها جزاء أمثالهم وعلى لتأكيد الوعيد لا للوجوب اذ لا يجب على الله شئ

(سورة الفجر مكية وهي تسع وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم والفجر) أقسم بالفجر وهو الصبح كقوله والصبح اذا أسفر او بصلاة الفجر (وليال عشر) عشر ذي الحجة او العشر الاول من المحرم أو الآخر من رمضان وانما نكرت لزيادة فضيلتها (والشفع والوتر) شفع كل الاشياء ووترها أو شفع هذه الليالي و وترها او شفع الصلاة ووترها أو يوم النحر لانه اليوم العاشر ويوم عرفة لانه اليوم التاسع أو الخلق والخالق

والوتر حمزة وعلي و بفتح الواو غيرهما وهما لغتان فالفتح حجازي والكسر تميمي وبعد ما أقسم بالليالي المخصوصة أقسم بالليل على العموم فقال

(والليل) قيل أريد به ليلة القدر (اذا يسر) اذا يمضى وياء يسرى تحذف في الدرج اكتفاء عنها بالكسرة وسأل واحد الاخفش عن سقوط الياء فقال لا حتى تخدمني سنة فسأله بعد سنة فقال الليل لا يسرى انما يسرى فيه فلما عدل عن معناه عدل عن لفظه موافقة وقيل معنى يسرى يسرى فيه كما يقال ليل نائم أي ينام فيه (هل في ذلك) اى فيما أقسمت به من هذه الاشياء (قسم) أي مقسم به (لذى حجر) عقل سمى به لانه يحجر عن التهافت فيما لا ينبغي كما سمى عقلا ونهية لانه يعقل وينهى يريد هل تحقق عنده أن تعظم هذه الاشياء بالاقسام بها أو هل في اقسامي بها اقسام لذى حجر أى هل هو قسم عظيم يؤكد بمثله المقسم عليه أو هل في القسم بهذه الاشياء قسم مقنع لذى عقل ولب والمقسم عليه محذوف وهو قوله ليعذبن يدل عليه قوله ألم تر الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب ثم ذكر تعذيب الامم التى كذبت الرسل فقال (ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد) أي ألم تعلم يا محمد علما يوازى العيان في الايقان وهو استفهام تقرير قيل لعقب عاد بن عوص ابن ارم بن سام بن نوح عاد كما يقال لبنى هاشم هاشم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى والارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخيرة فارم عطف بيان لعاد وايذان أنهم عاد الاولى القديمة وقيل ارم بلدتهم وأرضهم التى كانوا فيها ويدل عليه قراءة ابن الزبير بعاد ارم على الاضافة وتقديره بعاد أهل ارم كقوله واسأل القرية ولم تنصرف قبيلة كانت او أرضا للتعريف والتأنيث وذات العماد اذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى أنهم كانوا بدويين أهل عمد أو طوال الاجسام على تشبيه قدودهم بالاعمدة وان كانت صفة للبلدة فالمعنى أنها ذات أساطين وروى انه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة

الخدرى وقيل الشفع هو الخلق كله كالايمان والكفر والهدى والضلالة والسعادة والشقاوة والليل والنهار والارض والسماء والشمس والقمر والبر والبحر والنور والظلمة والجن والانس والوتر هو الله تعالى وقيل الخلق كله فيه شفع وفيه وتر وقيل هما الصلوات منها شفع ومنها وتر * عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الشفع والوتر قال هى الصلاة بعضها شفع وبعضها وتر أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وعن ابن عباس قال الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب وعن عبد الله ابن الزبير قال الشفع النفر الاول والوتر النفر الاخير وروى أن رجلا سأله عن الشفع والوتر والليالى العشر فقال أما الشفع والوتر فقول الله عز وجل فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه فهما الشفع والوتر وأما الليالى العشر فالثمان وعرفة والنحر وقيل الشفع الايام والليالى والوتر اليوم الذى لا ليلة معه وهو يوم القيامة وقيل الشفع درجات الجنة لانها ثمان والوتر دركات النار لانها سبع فكأنه أقسم بالجنة والنار وقيل الشفع أوصاف المخلوقين المتضادة مثل العز والذل والقدرة والعجز والقوة والضعف والغنى والفقر والعلم والجهل والبصر والعمى والموت والحياة والوتر صفات الله تعالى التى تفرد بها عز بلا ذل وقدرة بلا عجز وقوة بلا ضعف وغنى بلا فقر وعلم بلا جهل وحياة بلا موت (والليل اذا يسر) أى اذا سار وذهب وقيل اذا جاء وأقبل وأراد به كل ليلة وقيل هى ليلة المزدلفة وهى ليلة النحر التى يسار فيها من عرفات الى مزدلفة فعلى هذا يكون المعنى والليل الذى يسار فيه (هل في ذلك) اى فيما ذكرت (قسم) مقنع ومكتفى في القسم فهو استفهام بمعنى التأكيد (لذى حجر) أى لذى عقل سمى بذلك لانه يحجر صاحبه عما لا يحل له ولا ينبغى كما سمى عقلا لانه يعقل صاحبه عن القبائح وسمى نهية لانه ينهى عما لا يحل ولا ينبغى وأصل الحجر المنع ولا يقال ذو حجر الا لمن هو قاهر لنفسه ضابط لها عما لا يليق كأنه حجر على نفسه ومنعها ما تريد والمعنى أن من كان ذا لب وعقل علم ان ما أقسم الله عز وجل به من هذه الاشياء فيه عجائب ودلائل تدل على توحيده وربوبيته فهو حقيق بان يقسم به لدلالته على خالقه قيل جواب القسم قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد واعترض بين القسم وجوابه قوله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد وقيل جواب القسم محذوف وتقديره ورب هذه الاشياء ليعذبن الكافر يدل عليه قوله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب وقوله عز وجل ألم تر كيف فعل ربك أى ألم تعلم وانما أطلق لفظ الرؤية على العلم لان أخبار عاد وثمود وفرعون كانت معلومة عندهم وقوله (ألم تر) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ولكنه عام لكل أحد (كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد)

المقصود من ذلك تخويف أهل مكة وكيف أهلكهم وهم كانوا أطول أعمارا وأشد قوة من هؤلاء فأما عاد فهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح ومنهم من يجعل عادا اسما للقبيلة لقوله تعالى وأنه أهلك عادا الاولى وارم هو جد عاد على ما ذكر في نسبة عاد وقيل ان المتقدمين من قوم عاد كانوا يسمون بارم اسم جدهم وقيل ارم هم قبيلة من عاد وكان فيهم الملك وكانوا بمهرة اسم موضع باليمن وكان عاد أباهم فنسبوا اليه وهو ارم بن عاد بن شيم بن سام بن نوح وقال الكلبي ارم هو الذي يجتمع اليه نسب عاد وثمود وأهل السواد وأهل الجزيرة وكان يقال عاد ارم وثمود ارم فاهلك الله عادا وثمود وأبقى أهل السواد وأهل الجزيرة وقال سعيد بن المسيب ارم ذات العماد دمشق وقيل الاسكندرية وفيه ضعف لان منازل عاد كانت من عمان الى حضر موت وهي بلاد الرمال والاحقاف وقيل ان عادا كانوا أهل عمد وخيام وماشية سيارة في الربيع فاذا هاج العود يبس رجعوا الى منازلهم وكانوا أهل جنان وزروع ومنازلهم بوادي القرى وهي التي قال الله تعالى (التي لم يخلق مثلها في البلاد) وسموا ذات العماد لانهم كانوا أهل عمد سيارة وهو قول قتادة ومجاهد والكلبي ورواية ابن عباس وقيل سموا ذات العماد لطول قامتهم يعني طولهم مثل العماد في الشبه قال مقاتل كان طول أحدهم اثني عشر ذراعا وقوله التي لم يخلق مثلها في البلاد يعني لم يخلق مثل تلك القبيلة في الطول والقوة وهم الذين قالوا من أشد منا قوة وقيل سموا ذات العماد لبناء بناه بعضهم فشيد عمده ورفع بناءه وقيل كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا بعده وقهرا البلاد والعباد فمات شديد وخلص الملك لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها وكان يحب قراءة الكتب القديمة فسمع بذكر الجنة وصفتها فدعته نفسه الى بناء مثلها عتوا على الله وتجبرا روى وهب بن منبه عن عبد الله ابن قلابة أنه خرج في طلب ابل له شردت فبينما هو يسير في صحارى عدن اذ وقع على مدينة في تلك الفلوات عليها حصن وحول الحصن قصور كثيرة فلما دنا منها ظن أن فيها أحدا يسأله عن ابله فلم ير خارجا ولا داخلا فنزل عن دابته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب المدينة فاذا هو ببابين عظيمين وهما مرصعان بالياقوت الاحمر فلما رأى ذلك دهش ففتح الباب ودخل فاذا هو بمدينة لم ير أحد مثلها واذا فيها قصور وفي كل قصر منها غرف وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة وأحجار اللؤلؤ والياقوت واذا أبواب تلك القصور ومثل مصاريع باب المدينة يقابل بعضها بعضا وهي مفروشة كلها باللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران فلما عاين ذلك ولم ير أحدا هاله ذلك ثم نظر الى الازقة فاذا في تلك الازقة أشجار مثمرة وتحت تلك الاشجار أنهار مطردة يجري ماؤها في قنوات من فضة فقال الرجل في نفسه هذه الجنة وحمل معه من لؤلؤ ترابها ومن بنادق مسكها وزعفرانها ورجع الى اليمن وأظهر ما كان معه وحدث بما رأى فبلغ ذلك معاوية فارسل اليه فقدم عليه فسأله عن ذلك فقص عليه ما رأى فارسل معاوية الى كعب الاحبار فلما أتاه قال له يا أبا اسحق هل في الدنيا مدينة من ذهب وفضة قال نعم هي ارم ذات العماد بناها شداد بن عاد قال فحدثني حديثها فقال لما أراد شداد بن عاد عملها أمر عليها مائة قهرمان مع كل

فقال أبني مثلها فبنى ارم في بعض صحارى عدن في ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها أصناف الاشجار والانهار ولما تم بناؤها سار اليها بأهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله ابن قلابة أنه خرج في طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثم وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل (التي لم يخلق مثلها في البلاد) أي مثل عاد في قوتهم وطول قامتهم كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع أو لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا

قهرمان ألف من الاعوان وكتب الى ملوك الارض أن يمدوه بما فى بلادهم من الجواهر فخرجت القهارمة يسيرون فى الارض ليجدوا أرضا موافقة فوقفوا على صحراء نقية من التلال واذا فيها عيون ماء ومروج فقالوا هذه الارض التى أمر الملك أن نبنى فيها فوضعوا أساسها من الجزع اليمانى وأقاموا فى بنائها ثلثمائة سنة وكان عمر شداد تسعمائة سنة فلما أتوه وقد فرغوا منها قال انطلقوا فاجعلوا احصنا يعنى سورا واجعلوا حوله ألف قصر وعند كل قصر ألف علم ليكون فى كل قصر وزير من وزرائى ففعلوا وأمر الملك وزراءه وهم ألف وزير أن يتهيؤا للنقلة الى ارم ذات العماد وكان الملك وأهله فى جهازهم عشر سنين ثم ساروا اليها فلما كانوا من المدينة على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليه وعلى من كان معه صيحة من السماء فاهلكتهم جميعا ولم يبق منهم أحد ثم قال كعب وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج فى طلب ابل له ثم التفت فابصر عبد الله بن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل قوله عز وجل (وثمود) أى وفعل بثمود مثل ما فعل بعاد (الذين جابوا) أى قطعوا (الصخر) أى الحجر (بالواد) يعنى بوادى القرى وكانت ثمود أول من قطع الصخر ونحته واتخذوا مساكن فى الجبال وبيوتا (وفرعون ذى الاوتاد) سمى بذلك لكثرة جنوده وكثرة مضاربهم وخيامهم التى كانوا يضربونها اذا نزلوا وقيل معناه ذى الملك كما قيل ٭ فى ظل ملك راسخ الاوتاد ٭ وقيل سمى بذلك لانه كان يعذب الناس بالاوتاد وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عباس ان فرعون انما سمى ذا الاوتاد لانه كانت عنده امرأة مؤمنة وهى امرأة خازنه حزقيل وكان مؤمنا كتم ايمانه مائة سنة وكانت امرأته ماشطة بنت فرعون فبينما هى ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون اذ سقط المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله فقالت بنت فرعون وهل لك من اله غير أبى فقالت الهى واله أبيك واله السموات والارض واحد لا شريك له فقامت ودخلت على أبيها وهى تبكى فقال لها ما يبكيك قالت الماشطة امرأة خازنك تزعم أن الهك والهها واله السموات والارض واحد لا شريك له فارسل اليها فسألها عن ذلك فقالت صدقت فقال لها ويحك اكفرى بالهك وأقرى أنى الهك قالت لا أفعل فمدها بين أربعة أوتاد ثم أرسل عليها الحيات والعقارب وقال لها اكفرى بالله والا عذبتك بهذا العذاب شهرين فقالت لو عذبتنى سبعين شهرا ما كفرت بالله وكان لها ابنتان فجاء بابنتها الكبرى فذبحها على قلبها ثم قال اكفرى بالله والا ذبحت الصغرى على فيك وكانت رضيعا فقالت لو ذبحت من فى الارض على فى ما كفرت بالله عز وجل فاتى بابنتها فلما أضجعت على صدرها وأرادوا ذبحها جزعت المرأة فاطلق الله لسان ابنتها فتكلمت وهى من الاربعة الذين تكلموا فى المهد صغارا أطفالا وقالت يا أماه لا تجزعى فان الله قد بنى لك بيتا فى الجنة فاصبرى فانك تفضين الى رحمة الله وكرامته فذبحت فلم تلبث الام أن ماتت فاسكنها الله الجنة قال وبعث فى طلب زوجها حزقيل فلم يقدروا عليه فقيل لفرعون انه قد رؤى فى موضع كذا فى جبل كذا فبعث رجلين فى طلبه فانتهى اليه

(وثمود الذين جابوا الصخر) قطعوا صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتا قيل أول من نحت الجبال والصخور ثمود وبنوا ألفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة (بالواد) بوادى القرى (وفرعون ذى الاوتاد) أى ذى الجنود الكثيرة وكانت لهم مضارب كثيرة يضربونها اذا نزلوا وقيل كان له أوتاد يعذب الناس بها كما فعل بآسية

الرجلان وهو يصلي وثلاثة صفوف من الوحش خلفه يصلون فلما رأوا ذلك انصرفوا فقال حزقيل اللهم انك تعلم اني كتمت ايماني مائة سنة ولم يظهر على أحد فأيما هذين الرجلين كتم على فاهده الى دينك وأعطه من الدنيا سؤله وأيما هذين الرجلين أظهر على فعجل عقوبته في الدنيا واجعل مصيره في الآخرة الى النار فانصرف الرجلان الى فرعون فاما أحدهما فاعتبر وآمن وأما الآخر فأخبر فرعون بالقصة على رؤس الملا فقال له فرعون وهل معك غيرك قال نعم فلان فدعابه فقال أحق ما يقول هذا قال ما رأيت مما يقول شيأ فأعطاه فرعون وأجزل وأما الآخر فقتله ثم صلبه قال وكان فرعون قد تزوج امرأة من أجمل نساء بني اسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم فرأت ما صنع فرعون بالماشطة فقالت وكيف يسعني أن أصبر على ما يأتي فرعون وأنا مسلمة وفرعون كافر فبينما هي كذلك تؤامر نفسها اذ دخل عليها فرعون فجلس قريبا منها فقالت يا فرعون أنت أشر الخلق وأخبثهم عمدت الى الماشطة فقتلتها قال فلعل بك الجنون الذي كان بها قالت مالي من جنون وان الهها والهك والهي واله السموات والارض واحد لا شريك له فمزق عليها وضربها وأرسل الى أبيها وأمها فدعاهما وقال لهما ان الجنون الذي كان بالماشطة أصابها قالت أعوذ بالله من ذلك اني أشهد أن ربي وربك ورب السموات والارض واحد لا شريك له فقال لها أبوها يا آسية ألست من خير نساء العالمين وزوجك اله العماليق قالت أعوذ بالله من ذلك ان كان ما يقول حقا فقولا له أن يتوجني تاجا تكون الشمس امامه والقمر خلفه والكواكب حوله فقال لهما فرعون اخرجا عني ثم مدها بين أربعة أوتاد يعذبها ففتح الله لها بابا الى الجنة ليهون عليها ما يصنع بها فرعون فعند ذلك قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله فقبض الله روحها وأدخلها الجنة قوله عز وجل (الذين طغوا في البلاد) يعني عادا وثمود او فرعون عملوا بالمعاصي وتجبروا ثم فسر ذلك الطغيان بقوله (فأكثروا فيها الفساد) يعني القتل والفساد ضد الصلاح فكما أن الصلاح يتناول جميع أقسام البر فكذلك الفساد يتناول جميع أقسام الاثم (فصب عليهم ربك سوط عذاب) يعني لونا من العذاب صبه عليهم وقيل هو تشبيه بما يكون في الدنيا من العذاب بالسوط وقيل هو اشارة الى ما خلط لهم من العذاب لان أصل السوط خلط الشئ بعضه ببعض وقيل هذا على الاستعارة لان السوط غاية العذاب فجرى ذلك لكل نوع منه وقيل جعل سوطه الذي ضربهم به العذاب وكان الحسن اذا قرأ هذه الآية يقول ان عند الله تعالى أسواطا كثيرة فأخذهم بسوط منها (ان ربك لبالمرصاد) قال ابن عباس يعني بحيث يرى ويسمع وقيل عليه طريق العباد لا يفوته أحد وقيل عليه ممر الناس لان الرصد والمرصاد الطريق وقيل ترجع الخلق الى حكمه وأمره واليه مصيرهم وقيل انه يرصد أعمال بني آدم والمعنى انه لا يفوته شئ من أعمال العباد كما لا يفوت من بالمرصاد وقد قيل أرصد النار على طريقهم حتى تهلكهم قوله عز وجل (فأما الانسان اذا ما ابتلاه) أي امتحنه (ربه) أي بالنعمة (فأكرمه) أي بالمال (ونعمه) أي بما وسع عليه (فيقول ربي أكرمن) أي بما أعطاني من المال والنعمة (وأما اذا ما ابتلاه) يعني

(الذين) في محل النصب على الذم أو الرفع على هم الذين أو الجر على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون (طغوا في البلاد) تجاوزوا الحد (فأكثروا فيها الفساد) بالكفر والقتل والظلم (فصب عليهم ربك سوط عذاب) مجاز عن ايقاع العذاب بهم على أبلغ الوجوه اذ الصب يشعر بالدوام والسوط بزيادة الايلام أي عذبوا عذابا مؤلما دائما (ان ربك لبالمرصاد) وهو المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال من رصده وهذا مثل لارصاده العباد وانهم لا يفوتونه وانه عالم بما يصدر منهم وحافظه فيجازيهم عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر (فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن وأما اذا ما ابتلاه

فقدر عليه رزقه) أي ضيق عليه وجعله بمقدار بلغته فقدر شامي ويزيد (فيقول ربي أهانن) أي الواجب لأن ربه بالمرصاد
ان يسعى للعاقبة ولا تهمه العاجلة وهو قد عكس فانه اذا امتحنه ربه بالنعمة والسعة ليشكر قال ربي أكرمني أي فضلني
بما أعطاني فيرى الاكرام في كثرة الحظ من الدنيا واذا امتحنه بالفقر فقدر عليه رزقه ليصبر قال ربي أهانني فيرى الهوان في
قلة الحظ من الدنيا لانه لا تهمه الا العاجلة وما يلذه وينعمه فيها فرد عليه زعمه بقوله (كلا) أي ليس الاكرام والاهانة
في كثرة المال وقلته بل الاكرام في توفيق الطاعة والاهانة في الخذلان وقوله تعالى فيقول خبر المبتدا الذي هو الانسان
ودخول الفاء لما في أما من معنى الشرط والظرف المتوسط بين المبتدا ٥٩٥ ج والخبر في تقدير التأخير كأنه قيل فأما
الانسان فقائل ربي أكرمني وقت الابتلاء وكذا فيقول الثاني خبر لمبتدا تقديره وأما هو اذا ما ابتلاه ربه وسمى كلا الامرين من بسط الرزق وتقديره ابتلاء لان كل واحد منهما اختبار للعبد فاذا بسط له فقد اختبر حاله أيشكر أم يكفر واذا قدر عليه فقد اختبر حاله أيصبر أم يجزع ونحوه قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وانما أنكر قوله ربي أكرمني مع انه أثبته بقوله فأكرمه لانه قاله على قصد خلاف ما صححه الله عليه وأثبته وهو قصده ان الله أعطاه ما أعطاه اكراما له لاستحقاقه كقوله انما أوتيته على علم عندي وانما أعطاه الله تعالى ابتلاء من غير استحقاق منه (بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين) أي بل هناك شر من هذا القول وهو أن الله يكرمهم بالغنى فلا
يؤدون ما يلزمهم فيه من اكرام اليتيم بالمبرة وحض أهله على طعام المسكين (وتأكلون التراث) أي الميراث (أكلا لما)
ذا لم وهو الجمع بين الحلال والحرام وكانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان ويأكلون تراثهم مع تراثهم (وتحبون المال)
يقال حبه وأحبه بمعنى (حبا جما) كثيرا شديدا مع الحرص ومنع الحقوق ربي حجازي وأبو عمرو يكرمون ولا يحضون
ويأكلون ويحبون بصري (كلا) ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم ثم أتى بالوعيد وذكر تحسرهم على ما فرطوا فيه حين
لا تنفع الحسرة فقال (اذا دكت الارض) اذا زلزلت (دكا دكا) دكا بعد دك أي كرر عليها الدك حتى عادت هباء منبثا (وجاء
ربك) تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبيين آثار قهره وسلطانه فان واحدا من الملوك اذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من
آثار الهيبة ما لا يظهر بحضور عساكره وخواصه وعن ابن عباس أمره وقضاؤه

بالفقر (فقدر عليه) أي فضيق عليه وقيل قتر (رزقه) أي وقد أعطاه ما يكفيه (فيقول
ربي أهانن) أي أذلني بالفقر قيل نزلت في أمية بن خلف الجمحي الكافر وقيل ليس
المراد به واحدا بعينه بل المراد جنس الكافر وهو الذي تكون الكرامة والهوان عنده
بكثرة المال والحظ في الدنيا وقلته فرد الله تعالى على من ظن ان سعة الرزق اكرام وان
الفقر اهانة فقال تعالى (كلا) أي ليس الامر كذلك أي لم أبتله بالغنى لكرامته ولم أبتله
بالفقر لهوانه فأخبر ان الاكرام والاهانة لا يدوران على المال وسعة الرزق وقلته
ولكن الغنى والفقر بتقدير الله جل جلاله وحكمته فقد يوسع على الكافر لا لكرامته
ويضيق على المؤمن لا لهوانه لكن لامر اقتضته حكمة الله تعالى وانما يكرم المرء
بطاعته ويهينه بمعصيته وقد يوسع على الانسان من أصناف المال ليختبره أيشكر أم يكفر
ويضيق عليه ليختبره أيصبر أم يضجر ويقلق (بل لا يكرمون اليتيم) أي لا يعطونه حقه
الثابت له في الميراث قال مقاتل كان قدامة بن مظعون يتيما في حجر أمية بن خلف فكان
يدفعه عن حقه (ولا يحضون على طعام المسكين) أي لا يطعمون مسكينا ولا يأمرون
باطعامه وقرئ ولا تحاضون ومعناه ولا يحض بعضهم بعضا على ذلك (ويأكلون التراث)
أي الميراث (أكلا لما) أي شديدا والمعنى انه يأكل نصيبه ونصيب غيره وذلك انهم كانوا
في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصبيان ويأكلون نصيبهم وقيل الاكل اللم الذي
يأكل كل شئ يجده لا يسأل أحلال أم حرام فيأكل الذي له ولغيره (ويحبون المال حبا
جما) أي كثيرا والمعنى يحبون جمع المال ويولعون به ويحبه (كلا) أي لا ينبغي
أن يكون الامر هكذا من الحرص على جمع المال وحبه وقيل معناه لا يفعلون ما أمروا به
من اكرام اليتيم وغيره من المسلمين ثم أخبر عن تلهفهم على ما سلف منهم وذلك حين
لا ينفعهم الندم فقال تعالى (اذا دكت الارض دكا دكا) أي دقت وكسرت مرة بعد مرة
وكسر كل شئ عليها من جبل وبناء وغيره حتى لا يبقى على ظهرها شئ (وجاء ربك) اعلم
ان هذه الآية من آيات الصفات التي سكت عنها وعن مثلها عامة السلف وبعض
الخلف فلم يتكلموا فيها وأجروها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تأويل وقالوا

يلزمنا الايمان بها واجراؤها على ظاهرها وتأولها بعض المتأخرين وغالب المتكلمين فقالوا ثبت بالدليل العقلي ان الحركة على الله محال فلابد من تأويل الآية فقيل في تأويلها وجاء أمر ربك بالمحاسبة والجزاء وقيل جاء أمر ربك وقضاؤه وقيل وجاء دلائل آيات ربك فجعل مجيئها مجيئاله تفخيما لتلك الآيات (والملك صفا صفا) أي تنزل ملائكة كل سماء صفا صفا على حدة فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والانس فيكونون سبعة صفوف (وجيء يومئذ) يعني يوم القيامة (بجهنم) قال ابن مسعود في هذه الآية تقاد جهنم بسبعين ألف زمام كل زمام بيد سبعين ألف ملك لها تغيظ وزفير حتى تنصب عن يسار العرش (يومئذ) يعني يوم يجاء بجهنم (يتذكر الانسان) أي يتعظ الكافر ويتوب (وأنى له الذكرى) يعني أنه يظهر التوبة ومن أين له التوبة (يقول ياليتني قدمت لحياتي) أي قدمت الخير والعمل الصالح لحياتي في الآخرة التي لاموت فيها (فيومئذ لا يعذب عذابه أحد) أي لا يعذب أحد في الدنيا كعذاب الله الكافر يومئذ (ولا يوثق وثاقه أحد) يعني لا يبلغ أحد من الخلق كبلاغ الله في العذاب والوثاق هو الاسر في السلاسل والاغلال وقرئ لا يعذب ولا يوثق بفتح الذال والثاء ومعناه لا يعذب عذاب هذا الكافر أحد ولا يوثق وثاقه أحد وهو أمية بن خلف وذلك لشدة كفره وعتوه قوله عز وجل (يا أيتها النفس المطمئنة) أي الثابتة على الايمان والايقان المصدقة بما قال الله تعالى الموقنة التي قد أيقنت بالله تعالى وبان الله ربها وخضعت لامره وطاعته وقيل المطمئنة المؤمنة الموقنة وقيل هي الراضية بقضاء الله وقيل هي الآمنة من عذاب الله وقيل هي المطمئنة بذكر الله قيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب حين استشهد باحد وقيل في حبيب بن عدي الانصاري وقيل في عثمان حين اشترى بئر رومة وسبلها وقيل في أبي بكر الصديق والاصح ان الآية عامة في كل نفس مؤمنة مطمئنة لان هذه السورة مكية (ارجعي الى ربك) أي الى ما وعد ربك من الجزاء والثواب قيل يقال لها ذلك عند خروجها من الدنيا قال عبد الله بن عمر اذا توفي العبد المؤمن أرسل الله عز وجل اليه ملكين وأرسل اليه بتحفة من الجنة فيقال اخرجي أيتها النفس المطمئنة اخرجي الى روح وريحان ورب عنك راض فتخرج كأطيب ريح مسك وجده أحد في أنفه والملائكة على أرجاء السماء يقولون قد جاء من الارض روح طيبة ونسمة طيبة فلا تمر بباب الا فتح لها ولا بملك الا صلى عليها حتى يؤتى بها الرحمن جل جلاله فتسجد له ثم يقال لميكائيل اذهب بهذه النفس فاجعلها مع أنفس المؤمنين ثم يؤمر فيوسع عليه قبره سبعون ذراعا عرضه وسبعون ذراعا طوله وينبذ له فيه الروح والريحان فان كان معه شيء من القرآن كفاه نوره وان لم يكن جعل له نور مثل الشمس في قبره ويكون مثله مثل العروس ينام فلا يوقظه الا أحب أهله اليه واذا توفي الكافر أرسل الله اليه ملكين وأرسل قطعة من بجاد أي من كساء أنتن من كل نتن وأخشن من كل خشن فيقال أيتها النفس الخبيثة اخرجي الى جهنم وعذاب أليم ورب عليك غضبان وقيل في معنى قوله ارجعي الى ربك

(والملك صفا صفا) أي ينزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والانس (وجيء يومئذ بجهنم) قيل انها برزت لاهلها كقوله وبرزت الجحيم للغاوين وقيل هو مجرى على حقيقته ففي الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها (يومئذ يتذكر الانسان) أي يتعظ (وأنى له الذكرى) ومن أين له منفعة الذكرى (يقول ياليتني قدمت لحياتي) هذه وهي حياة الآخرة أي ياليتني قدمت الاعمال الصالحة في الحياة الفانية لحياتي الباقية (فيومئذ لا يعذب عذابه أحد) أي لا يتولى عذاب الله أحد لان الامر لله وحده في ذلك اليوم (ولا يوثق) بالسلاسل والاغلال (وثاقه أحد) قال صاحب الكشاف لا يعذب أحد أحدا كعذاب الله ولا يوثق أحد أحدا كوثاق الله لا يعذب ولا يوثق على وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجع اليها أبو عمرو في آخر عمره والضمير يرجع الى الانسان الموصوف وهو الكافر وقيل هو أبي بن خلف أي لا يعذب أحد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل مثل وثاقه لتناهيه في كفره وعناده ثم يقول الله تعالى للمؤمن (يا أيتها النفس) اكراما له كما كلم موسى عليه السلام أو يكون على لسان ملك (المطمئنة) الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن وهي النفس المؤمنة أو المطمئنة الى الحق التي سكنها ثلج اليقين فلا يخالجها شك ويشهد للتفسير الاول قراءة أبي يا أيتها النفس أي الآمنة المطمئنة وانما يقال لها عند الموت أو عند البعث أو عند دخول الجنة (ارجعي الى) موعد (ربك) أو ثواب ربك

(راضية) من الله بما أوتيت (مرضية) عند الله بما عملت (فادخلي في عبادي) في جملة عبادي الصالحين فانتظمي في سلكهم (وادخلي جنتي) معهم وقال أبو عبيدة أي مع عبادي أو بين عبادي أي خواصي كما قال وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقيل النفس الروح ومعناه فادخلي في أجساد عبادي كقراءة عبد الله بن مسعود في جسد عبدي ولما مات ابن عباس بالطائف جاء طائر لم ير على خلقته فدخل في نعشه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر ولم يدر من تلاها قيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب وقيل في خبيب الذي صلبه أهل مكة وقيل هي عامة في المؤمنين إذ العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب

(سورة البلد مكية وهي عشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لا أقسم بهذا البلد) أقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما بعده على أن الانسان خلق مغمورا في مكابدة المشاق واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله (وأنت حل بهذا البلد) أي ومن المكابدة أن مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد يعني مكة كما يستحل الصيد في غير الحرم عن شرحبيل يحرمون أن يقتلوا بها صيدا ويستحلون اخراجك وقتلك وفيه تثبيت لرسول الله وبعث على احتمال ما كان يكابد من أهل مكة وتعجيب من حالهم في عداوته أو سلى رسول الله بالقسم ببلده على أن الانسان لا يخلو من مقاسات الشدائد واعترض بأن وعده فتح مكة تتميما للتسلية والتنفيس عنه فقال وأنت حل بهذا البلد أي وأنت حل به في المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر وذلك أن الله تعالى فتح عليه مكة وأحلها له وما فتحت على أحد قبله ولا أحلت له فأحل ما شاء وحرم ما شاء قتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار أبي سفيان ونظير قوله وأنت حل في الاستقبال قوله انك ميت وانهم ميتون وكفاك دليلا على أنه للاستقبال أن السورة مكية بالاتفاق وأين الهجرة من وقت نزولها فما بال الفتح (ووالد وما ولد) هما آدم وولده أو كل والد وولده أو ابراهيم وولده وما بمعنى من أو بمعنى الذي

أي الى صاحبك وهو الجسد وانما يقال لها ذلك عند البعث فيأمر الله الارواح أن ترجع الى أجسادها وهو قول عكرمة وعطاء والضحاك ورواية عن ابن عباس وقيل ارجعي الى ثواب ربك وكرامته (راضية) أي عن الله بما أعد لك (مرضية) أي رضي الله عنها وقيل لها في الدنيا ارجعي الى ربك راضية مرضية فاذا كان يوم القيامة قيل لها (فادخلي في عبادي) أي في جملة عبادي الصالحين المصطفين (وادخلي جنتي) قال سعيد ابن جبير مات ابن عباس بالطائف فشهدت جنازته فجاء طائر لم ير على خلقته طائر قط فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر لا يدرى من تلاها يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وقال بعض أهل الاشارة في تفسير هذه الآية يا أيتها النفس المطمئنة الى الدنيا ارجعي الى ربك بتركها والرجوع اليه هو سلوك سبيل الآخرة والله أعلم

(تفسير سورة البلد)

وهي مكية وعشرون آية واثنتان وثمانون كلمة وثلثمائة وعشرون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (لا أقسم بهذا البلد) تقدم الكلام على قوله لا أقسم في أول سورة القيامة والبلد هي مكة في قول جميع المفسرين (وأنت حل بهذا البلد) أي مقيم به نازل فيه فكأنه عظم حرمة مكة من أجل انه صلى الله عليه وسلم مقيم بها وقيل حل أي حلال والمعنى أحلت لك تصنع فيها ما تريد من القتل والاسر ليس عليك ما على الناس من الاثم في استحلالها أحل الله عز وجل له مكة يوم الفتح حتى قاتل وأمر بقتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وأحل دماء قوم وحرم دماء قوم آخرين فقال من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ثم قال بعد ذلك ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ولم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي وانما أحلت لي ساعة من نهار فهي حرام بحرمة الله الى يوم القيامة والمعنى ان الله تعالى لما أقسم بمكة دل ذلك على عظم قدرها وشرفها وحرمتها ومع ذلك فقد وعد نبيه صلى الله عليه وسلم انه يحلها له حتى يقاتل فيها وأن يفتحها على يده فهذا وعد من الله تعالى في الماضي وهو مقيم بمكة أن يفتحها عليه في المستقبل بعد الهجرة وخروجه منها فكان كما وعده وقيل في معنى قوله وأنت حل بهذا البلد أي انهم يحرمون أن يقتلوا به صيدا ويستحلون قتلك فيه واخراجك منه (ووالد وما ولد) يعني آدم وذريته

(لقد خلقنا الانسان) جواب القسم (في كبد) مشقة يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة وعن ذي النون لم يزل مربوطا بحبل القضاء مدعوا الى الائتمار والانتهاء والغمير في (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) لبعض صناديد قريش الذين كان رسول الله يكابد منهم ما يكابد ثم قيل هو أبو الاشد وقيل الوليد بن المغيرة والمعنى أيظن هذا الصنديد القوى في قومه المتضعف للمؤمنين ان لن تقوم قيامة ولم يقدر على الانتقام منه ثم ذكر ما يقوله في ذلك اليوم وانه (يقول أهلكت مالا لبدا) أى كثيرا جمع لبدة وهو ما تلبد أى كثر واجتمع يريد كثرة ما أنفقه فيما كان أهل الجاهلية يسمونها مكارم ومعالى (أيحسب أن لم يره أحد) حين كان ينفق ما ينفق رياء وافتخارا يعنى أن الله تعالى كان يراه وكان عليه رقيبا ثم ذكر نعمه عليه فقال (ألم نجعل له عينين) يبصر بهما المرئيات (ولسانا) يعبر به عما في ضميره (وشفتين) يستر بهما ثغره ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب والنفخ (وهديناه النجدين) طريقى الخير والشر المفضيان الى الجنة والنار وقيل الثديين (فلا اقتحم العقبة

أقسم الله تعالى بمكة لشرفها وحرمتها وبآدم وبالانبياء والصالحين من ذريته لان الكافر وان كان من ذريته فلا حرمة له حتى يقسم به وجواب القسم قوله تعالى (لقد خلقنا الانسان في كبد) قال ابن عباس فى نصب وقيل يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة وعنه أيضا قال في شدة من حمله وولادته ورضاعه وفطامه وفصاله ومعاشه وحياته وموته وأصل الكبد الشدة وقيل لم يخلق الله خلقا يكابد ما يكابد ابن آدم وهو مع ذلك أضعف الخلق وعن ابن عباس أيضا قال الكبد الاستواء والاستقامة فعلى هذا يكون المعنى خلقنا الانسان منتصبا معتدل القامة وكل شئ من الحيوان يمشى منكبا وقيل منتصبا رأسه فى بطن أمه فاذا اذن الله فى خروجه انقلب رأسه الى أسفل وقيل في كبد أى فى قوة نزلت فى أبى الاشد أسيد بن كلدة بن جمح وكان شديدا قويا يضع الاديم العكاظى تحت قدميه ويقول من أزالنى عنه فله كذا وكذا فلا يطاق ان ينزع من تحت قدميه الا قطعا ويبقى من ذلك الاديم بقدر موضع قدميه (أيحسب) يعنى ابا الاشد من قوته (أن لن يقدر عليه أحد) يعنى أيظن لشدته فى نفسه انه لا يقدر عليه الله وقيل هو الوليد بن المغيرة المخزومى (يقول) يعنى هذا الكافر (اهلكت) اى انفقت (مالا لبدا) أى كثيرا من التلبيد الذى يكون بعضه فوق بعض يعنى فى عداوة محمد صلى الله عليه وسلم (أيحسب أن لم يره أحد) يعنى أيظن ان الله لم يره ولا يسأله عن ماله من اين اكتسبه وفيم انفقه وقيل كان كاذبا فى قوله انه انفق ولم ينفق جميع ما قاله والمعنى أيظن ان الله لم ير ذلك منه فيعلم مقدار نفقته ثم ذكر نعمه عليه ليعتبر فقال تعالى (ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين) يعنى ان نعم الله على عبده متظاهرة يقرره بها كى يشكره وجاء فى الحديث ان الله عز وجل يقول ابن آدم ان نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فأطبق عليه وان نازعك بصرك فيما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فأطبق عليه وان نازعك فرجك فيما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فأطبق عليه (وهديناه النجدين) قال أكثر المفسرين طريقى الخير والشر والحق والباطل والهدى والضلالة وقال ابن عباس الثديين (فلا اقتحم العقبة) أى فهلا انفق ماله فيما يجوز به العقبة من فك الرقاب واطعام السغبان يكون ذلك خيرا له من انفاقه فى عداوة من ارسله الله اليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معناه لم يقتحمها ولا جاوزها والاقتحام الدخول فى الامر الشديد وذكر العقبة مثل ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس والهوى والشيطان فى اعمال الخير والبر فجعله كالذى يتكلف صعود العقبة يقول الله عز وجل لم يحمل على نفسه المشقة بعتق الرقبة والاطعام وقيل انه شبه ثقل الذنوب على مرتكبها بالعقبة فاذا اعتق رقبة او اطعم المساكين كان كمن اقتحم العقبة وجاوزها وروى عن ابن عمر ان هذه العقبة جبل فى جهنم وقيل هى عقبة شديدة فى النار دون الجسر فاقتحموها بطاعة الله ومجاهدة النفس وقيل هى الصراط يضرب على متن جهنم كحد السيف مسيرة ثلاثة آلاف سنة سهلا وصعودا وهبوطا وان بجنبتيه كلاليب وخطاطيف كأنها شوك السعدان فناج مسلم وناج مخدوش ومكدوس فى النار منكوس فمن الناس من يمر كالبرق الخاطف ومنهم

من

وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة ثم كان من الذين آمنوا) يعنى فلم يشكر تلك الايادى والنعم بالاعمال الصالحة من فك الرقاب أو اطعام اليتامى والمساكين ثم بالايمان الذى هو اصل كل طاعة وأساس كل خير بل غمط النعم وكفر بالمنعم والمعنى أن الانفاق على هذا الوجه مرضى نافع عند الله لا أن يهلك ماله لبدا فى الرياء والفخار وقلما تستعمل لا مع الماضى الا مكررة وانما لم تكرر فى الكلام الافصح لانه لما فسر اقتحام العقبة بثلاثة أشياء صار كانه أعاد لا ثلاث مرات وتقديره فلا فك رقبة ولا اطعم مسكينا ولا آمن والاقتحام الدخول والمجاوزة بشدة ومشقة والقحمة الشدة فجعل الصالحة عقبة وعملها اقتحاما لها لما فى ذلك من معاناة المشقة ومجاهدة النفس وعن الحسن عقبة والله شديدة مجاهدة الانسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان والمراد بقوله ما العقبة ما اقتحامها ومعناه انك لم تدر كنه صعوبتها على النفس وكنه ثوابها عند الله وفك الرقبة تخليصها من الرق والاعانة فى مال الكتابة فك رقبة أو اطعم مكى وأبو عمرو وعلى على الابدال من اقتحم العقبة وقوله وما أدراك ما العقبة اعتراض غيرهم فك رقبة او اطعام على اقتحامها فك رقبة او اطعام والمسغبة المجاعة والمقربة القرابة والمتربة الفقر مفعلات من سغب اذا جاع وقرب فى النسب يقال فلان قرابتى وذو مقربتى وترب اذا افتقر ومعناه التصق بالتراب فيكون ماواه المزابل ووصف اليوم بذى مسغبة كقولهم هم ناصب أى ذو نصب ومعنى ثم كان من الذين آمنوا أى داوم على الايمان وقيل ثم بمعنى الواو وقيل انما جاء بثم لتراخى الايمان وتباعده فى الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا فى الوقت اذ الايمان هو السابق على غيره ولا يثبت عمل صالح الا به (وتواصوا بالصبر) عن المعاصى وعلى الطاعات والمحن التى يبتلى بها المؤمن (وتواصوا بالمرحمة) بالتراحم فيما بينهم (أولئك أصحاب الميمنة) أى الموصوفون بهذه الصفات من أصحاب الميمنة (والذين كفروا بآياتنا) بالقرآن أو بدلائلنا (هم أصحاب المشأمة) أصحاب الشمال والميمنة والمشأمة اليمين والشمال او اليمن والشؤم أى الميامين على أنفسهم والمشائيم عليهن (عليهم نار موصدة) وبالهمز أبو عمرو وحمزة وحفص أى مطبقة من اوصدت الباب وآصدته اذا أطبقته وأغلقته والله أعلم

من يمر كالريح العاصف ومنهم من يمر كالفارس ومنهم من يمر كالرجل يعدو ومنهم من يمر كالرجل يسير ومنهم من يزحف زحفا ومنهم الزالون ومنهم من يكردس فى النار وقيل معنى الآية فهلا سلك طريق النجاة ثم بين ما هى فقال تعالى (وما أدراك ما العقبة) أى وما أدراك ما اقتحام العقبة (فك رقبة) يعنى عتق الرقبة وهو ايجاب الحرية لها وابطال الرق والعبودية عنها وذلك بان يعتق الرجل الرقبة التى فى ملكه أو يعطى مكاتبا ما يصرفه فى فكاك رقبته ومن أعتق رقبة كانت فداءه من النار (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار حتى فرجه بفرجه وروى البغوى بسنده عن البراء بن عازب قال جاء اعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله علمنى عملا يدخلنى الجنة قال لئن كنت اقصرت الخطبة لقد أعرضت المسئلة أعتق النسمة وفك الرقبة قال أوليسا واحدا قال لا عتق النسمة ان تنفرد بعتقها وفك الرقبة أن تعين فى ثمنها والمنحة الوكوف والفىء على ذى الرحم الظالم فان لم تطق ذلك فاطعم الجائع واسق الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق ذلك فكف لسانك الا من خير وقيل فى معنى الآية فك رقبة من رق الذنوب بالتوبة وبما يتكلفه من العبادات والطاعات التى يصير بها الى رضوان الله والجنة فهى الحرية الكبرى ويتخلص بها من النار (أو اطعام فى يوم ذى مسغبة) أى فى يوم ذى مجاعة والسغب الجوع (يتيما ذا مقربة) أى ذا قرابة يريد يتيما بينك وبينه قرابة (أو مسكينا ذا متربة) يعنى قد لصق بالتراب من فقره وضره وقال ابن عباس هو المطروح فى التراب لا يقيه شئ والمتربة الفقر ثم بين ان هذه القرب لا تنفع الا مع الايمان بقوله (ثم كان من الذين آمنوا) والمعنى انه ان كان مؤمنا تنفعه هذه القرب وكان مقتحما العقبة وان لم يكن مؤمنا لا تنفعه هذه القرب ولا يقتحم العقبة (وتواصوا بالصبر) يعنى وصى بعضهم بعضا على الصبر على اداء الفرائض وجميع أوامر الله ونواهيه (وتواصوا بالمرحمة) أى برحمة الناس وفيه الاشارة الى تعظيم أمر الله والشفقة على خلق الله (أولئك) يعنى أهل هذه الخصال (أصحاب الميمنة والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة) يعنى مطبقة عليهم أبوابها لا يدخل

(سورة الشمس مكية وهي خمس عشرة آية) (بسم الله الرحمن الرحيم والشمس وضحاها) وضوئها اذا أشرقت وقام سلطانها (والقمر اذا تلاها) تبعها في الضياء والنور وذلك في النصف الاول من الشهر يخلف القمر الشمس في النور (والنهار اذا جلاها) جلى الشمس وأظهرها للرائين وذلك عند انتفاخ النهار وانبساطه لان الشمس تنجلي في ذلك الوقت تمام الانجلاء وقيل الضمير للظلمة او للدنيا او للارض وان لم يجر لها ذكر كقوله ما ترك على ظهرها من دابة (والليل اذا يغشاها) يستر الشمس فتظلم الآفاق والواو الاولى في نحو هذا للقسم بالاتفاق وكذا الثانية عند البعض وعند الخليل الثانية للعطف لان ادخال القسم على القسم قبل تمام الاول لا يجوز .. الا ترى انك لو جعلت موضعها كلمة الفاء او ثم لكان المعنى على حاله وهما حرفا عطف فكذا الواو ومن قال انها للقسم احتج بانها لو كانت للعطف لكان عطفا على عاملين لان قوله والليل مثلا مجرور بواو القسم واذا يغشى منصوب بالفعل المقدر الذي هو اقسم فلو جعلت الواو في والنهار اذا تجلى للعطف لكان النهار معطوفا على الليل جرا واذا تجلى معطوفا على اذا يغشى نصبا فصار كقولك ان في الدار زيدا والحجرة عمرا وأجيب بأن واو القسم تنزلت منزلة الباء والفعل حتى لم يجز ابراز الفعل معها فصارت كأنها العاملة نصبا وجرا وصارت كعامل واحد له عملان وكل عامل له عملان يجوز أن يعطف على معموليه بعاطف واحد بالاتفاق نحو ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملهما فكذا هنا وما مصدرية في (والسماء وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سواها) أي وبنائها وطحوها أي بسطها وتسوية خلقها في أحسن صورة عند البعض وليس بالوجه لقوله فالهمها لما فيه من فساد النظم والوجه ان تكون موصولة وانما أوثرت على من لارادة معنى الوصفية كانه قيل والسماء والقادر العظيم الذي بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها وانما نكرت النفس لانه أراد نفسا خاصة من بين النفوس وهي نفس آدم كانه قال وواحدة من النفوس أو أراد كل نفس والتنكير للتكثير كما في علمت نفس (فالهمها فجورها وتقواها) فاعلمها طاعتها ومعصيتها أي افهمها ان أحدهما حسن والآخر قبيح

فيها روح ولا يخرج منها غم والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

(تفسير سورة الشمس)

وهي مكية وخمس عشرة آية وأربع وخمسون كلمة ومائتان وسبعة وأربعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (والشمس وضحاها) أي اذا بدا ضوءها والضحى حين ترتفع الشمس ويصفو ضوءها وقيل الضحى النهار كله لان الضحى هو نور الشمس وهو حاصل في النهار كله وقيل الضحى هو حر الشمس لان حرها ونورها متلازمان فاذا اشتد نورها قوي حرها وهذا أضعف الاقوال (والقمر اذا تلاها) أي تبعها وذلك في النصف الاول من الشهر اذا غربت الشمس تلاها القمر في الاضاءة وخلفها في النور وقيل تلاها في الاستدارة وذلك حين يكمل ضوءه ويستدير وذلك في الليالي البيض وقيل تلاها تبعها في الطلوع وذلك في أول ليلة من الشهر اذا غربت الشمس ظهر الهلال فكأنه تبعها (والنهار اذا جلاها) يعني جلا ظلمة الليل بضيائه وكشفها بنوره وهو كناية عن غير مذكور لكونه معروفا (والليل اذا يغشاها) أي يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق وحاصل هذه الاقسام الاربعة ترجع الى الشمس في الحقيقة لان بوجودها يكون النهار ويشتد الضحى وبغروبها يكون الليل ويتبعها القمر (والسماء وما بناها) أي ومن بناها وقيل والذي بناها فعلى هذا كانه اقسم به وباعظم مخلوقاته ومعنى بناها خلقها وقيل ما بمعنى المصدر أي والسماء وبنائها (والارض وما طحاها) أي بسطها وسطحها على الماء (ونفس وما سواها) اي عدل خلقها وسوى اعضاءها هذا ان أريد بالنفس الجسد وان أريد بها المعنى القائم بالجسد فيكون معنى سواها أعطاها القوى الكثيرة كالقوة الناطقة والسامعة والباصرة والمفكرة والمخيلة وغير ذلك من العلم والفهم وقيل انما نكرها لانه أراد بها النفس الشريفة المكلفة التي تفهم عنه خطابه وهي نفس جميع من خلق من الانس والجن (فالهمها فجورها وتقواها) قال ابن عباس بين لها الخير والشر وعنه علمها الطاعة والمعصية وعنه عرفها ما تأتي وما تتقي وقيل الزامها

فجورها

فجورها وتقواها وقيل وجعل فيها ذلك بتوفيقه اياها للتقوى وخذلانه اياها للفجور وذلك لان الله تعالى خلق فى المؤمن التقوى وفى الكافر الفجور (م) عن أبى الاسود الديلى قال قال لى عمران بن حصين أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه اشئ قضى عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلونه مما أتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبتت الحجة عليهم فقلت بل شئ قضى عليهم ومضى عليهم فقال أفلا يكون ظلما قال ففزعت من ذلك فزعا شديدا وقلت كل شئ خلق الله وملك يده فلا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فقال لى يرحمك الله انى لم أرد بما سألتك الا لاختبر عقلك ان رجلين من مزينة أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه اشئ قضى عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبتت الحجة عليهم فقال لا بل شئ قضى عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك فى كتاب الله عز وجل ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها (م) عن جابر قال جاء سراقة بن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله بين لنا ديننا كأننا خلقنا الآن فيم العمل اليوم فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير أو فيما يستقبل قال لا بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وهذه أقسام اقسم الله تعالى بالشمس وضحاها وما بعدها لشرفها ومصالح العالم بها وقيل فيه اضمار تقديره ورب الشمس وما بعدها وأورد على هذا القول انه قد دخل فى جملة هذا القسم قوله والسماء وما بناها وذلك هو الله تعالى فيكون التقدير ورب السماء ورب من بناها وهذا خطأ لا يجوز واجيب عنه بان ما ان فسرت بالمصدرية فلا اشكال وان فسرت بمعنى من فيكون التقدير ورب السماء الذى بناها وجواب القسم قوله تعالى (قد افلح من زكاها) المعنى لقد افلح من زكاها أى فازت وسعدت نفس زكاها الله أى أصلحها الله وطهرها من الذنوب ووفقها للطاعة (وقد خاب من دساها) أى خابت وخسرت نفس اضلها الله تعالى وأفسدها وأصله من دس الشئ اذا أخفاه فكأنه سبحانه وتعالى اقسم باشرف مخلوقاته على فلاح من طهره وزكاه وخسارة من خذله وأضله حتى لا يظن أحد أنه يتولى تطهير نفسه او اهلاكها بالمعصية من غير قدر متقدم وقضاء سابق (م) عن زيد بن ارقم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انى أعوذ بك من العجز والكسل والبخل والهرم وعذاب القبر اللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها اللهم انى أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها قوله عز وجل (كذبت ثمود) وهم قوم صالح عليه الصلاة والسلام (بطغواها) أى بطغيانها وعدوانها والمعنى ان الطغيان حملهم على التكذيب حتى كذبوا (اذ انبعث أشقاها) أى قام وأسرع وذلك انهم لما كذبوا بالعذاب وكذبوا صالحا انبعث اشقى القوم وهو قدار بن سالف وكان رجلا أشقر ازرق العين قصيرا فعقر الناقة (ق) عن عبد الله بن زمعة أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة والذى عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(قد أفلح) جواب القسم والتقدير لقد أفلح قال الزجاج صار طول الكلام عوضا عن اللام وقيل الجواب محذوف وهو الاظهر تقديره ليدمدمن الله عليهم أى على أهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لانهم كذبوا صالحا واما قد أفلح فكلام تابع لقوله فالهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم فى شئ (من زكاها) طهرها الله واصلحها وجعلها زاكية (وقد خاب من دساها) أغواها الله قال عكرمة افلحت نفس زكاها الله وخابت نفس اغواها الله ويجوز ان تكون التدسية والتطهير فعل العبد والتدسية النقص والاخفاء بالفجور واصل دسى دسس والياء بدل من السين المكررة (كذبت ثمود بطغواها) بطغيانها اذ الحامل لهم على التكذيب طغيانهم (اذ انبعث) حين قام بعقر الناقة (اشقاها) اشقى ثمود قدار بن سالف وكان اشقر ازرق قصيرا واذ منصوب بكذبت او بالطغوى

اذ انبعث أشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في أهله مثل أبي زمعة لفظ البخاري قوله عارم أي شديد ممتنع قوله تعالى (فقال لهم رسول الله) يعني صالحا عليه الصلاة والسلام (ناقة الله) أي ذروا ناقة الله وانما قال لهم ذلك لما عرف منهم انهم قد عزموا على عقرها وانما أضافها الى الله تعالى لشرفها كبيت الله (وسقياها) أي وشربها أي وذروا شربها ولا تتعرضوا للماء يوم شربها (فكذبوه) يعني صالحا (فعقروها) يعني الناقة (فدمدم عليهم ربهم) أي فدمر عليهم ربهم واهلكهم والدمدمة هلاك استئصال وقيل دمدم أي أطبق عليهم العذاب طبقا حتى لم يفلت منهم أحد (بذنبهم) أي فعلنا ذلك بهم بسبب ذنبهم وهو تكذيبهم صالحا عليه الصلاة والسلام وعقرهم الناقة (فسواها) أي فسوى الدمدمة عليهم جميعا وعمهم بها وقيل معناه فسوى بين الامة وأنزل بصغيرهم وكبيرهم وغنيهم وفقيرهم العذاب (ولا يخاف عقباها) أي لا يخاف الله تبعة من أحد في هلاكهم كذا قال ابن عباس وقيل هو راجع الى العاقر والمعنى لا يخاف العاقر عقبى ما قدم عليه من عقر الناقة وقيل هو راجع الى صالح عليه الصلاة والسلام والمعنى لا يخاف صالح عاقبة ما أنزل الله بهم من العذاب ان يؤذيه احد بسبب ذلك والله أعلم

*(تفسير سورة والليل)

وهي مكية واحدى وعشرون آية واحدى وسبعون كلمة وثلثمائة وعشرة أحرف

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (والليل اذا يغشى) اى يغشى النهار بظلمته فيذهب الله بضوئه أقسم الله تعالى بالليل لانه سكن لكافة الخلق يأوي فيه كل حيوان الى مأواه ويسكن عن الاضطراب والحركة ثم اقسم بالنهار بقوله (والنهار اذا تجلى) اى بان وظهر بعد الظلمة لان فيه حركة الخلق في طلب الرزق (وما خلق الذكر والانثى) أي ومن خلق فعلى هذا يكون اقسم بنفسه تعالى والمعنى والقادر العظيم الذي قدر على خلق الذكر والانثى من ماء واحد ان أريد به جنس الذكر والانثى وقيل هما آدم وحواء وانما اقسم بهما لانه تعالى ابتدأ خلق آدم من طين وخلق منه حواء من غير أم وجواب القسم قوله تعالى (ان سعيكم لشتى) أي ان اعمالكم لمختلفة فساع في فكاك نفسه وساع في عطبها روى أبو مالك الاشعري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها قوله موبقها أي مهلكها قوله تعالى (فأما من أعطى) أي انفق ماله في سبيل الله عز وجل (واتقى) اى ربه وفيه اشارة الى الاحتراز عن كل ما لا ينبغي (وصدق بالحسنى) قال ابن عباس صدق بقول لا اله الا الله وعنه صدق بالخلف به أي ايقن ان الله سيخلف عليه ما انفقه في طاعته وقيل صدق بالجنة وقيل صدق بموعد الله عز وجل الذي وعده انه يثيبه (فسنيسره) فسنهيئه في الدنيا (لليسرى) اى

واحد القوله فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر لرضاهم به (فدمدم عليهم ربهم) اهلكهم هلاك استئصال (بذنبهم) بسبب ذنبهم وهو تكذيبهم الرسول وعقرهم الناقة (فسواها) فسوى الدمدمة عليهم لم يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم (ولا يخاف عقباها) ولا يخاف الله عاقبة هذه الفعلة أي فعل ذلك غير خائف ان تلحقه تبعة من أحد كما يخاف من يعاقب من الملوك لانه فعل في ملكه وملكه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فلا يخاف مدني وشامي

(سورة الليل احدى وعشرون آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والليل اذا يغشى) المغشى اما الشمس من قوله والليل اذا يغشاها او النهار من قوله يغشى الليل النهار او كل شئ يواريه بظلامه من قوله اذا وقب (والنهار اذا تجلى) ظهر بزوال ظلمة الليل (وما خلق الذكر والانثى) والقادر العظيم القدرة الذي قدر على خلق الذكر والانثى من ماء واحد وجواب القسم (ان سعيكم لشتى) ان عملكم لمختلف وبيان الاختلاف فيما فصل على اثره (فأما من اعطى)

حقوق ماله (واتقى) ربه فاجتنب محارمه (وصدق بالحسنى) بالملة الحسنى وهي ملة الاسلام أو بالمثوبة الحسنى وهي الجنة أو بالكلمة الحسنى وهي لا اله الا الله (فسنيسره لليسرى) فسنهيئه للخلة اليسرى وهي العمل

للخلة والفعلة اليسرى وهو العمل بما يرضاه الله قوله عزوجل (وأما من بخل) أي بالنفقة في الخير والطاعة (واستغنى) أي عن ثواب الله تعالى فلم يرغب فيه (وكذب بالحسنى) أي بلا إله إلا الله أو كذب بما وعده الله عزوجل من الجنة والثواب (فسنيسره للعسرى) أي فسنهيئه للشر بأن نجريه على يديه حتى يعمل بما لا يرضى الله تعالى فيستوجب بذلك النار وقيل نعسر عليه أن يأتي خيرا وفي الآية دليل لأهل السنة وصحة قولهم في القدر وأن التوفيق والخذلان والسعادة والشقاوة بيد الله تعالى ووجوب العمل بما سبق له في الأزل (ق) عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس وجعل ينكت بمخصرته ثم قال ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة ٣ زاد مسلم والا وقد كتبت شقية أو سعيدة فقالوا يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فيصير لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فيصير لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى المخصرة بكسر الميم كالسوط والعصا ونحو ذلك مما يمسكه الانسان بيده والنكت بالتاء المثناة فوق ضرب الارض بذلك أو غيرها مما يؤثر فيه الضرب وهذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق وذلك أنه اشترى بلالا من أمية بن خلف ببردة وعشرة أواق فأعتقه فأنزل الله تعالى والليل إذا يغشى إلى قوله إن سعيكم لشتى يعني سعي أبي بكر وأمية بن خلف وقيل كان لرجل من الانصار نخلة وفرعها في دار رجل فقير وله عيال فكان صاحب النخلة إذا طلع نخلته ليأخذ منها التمر فربما سقطت التمرة فيأخذها صبيان ذلك الفقير فينزل الرجل عن نخلته حتى يأخذ التمرة من أيديهم وإن وجدها في فم أحدهم أدخل إصبعه في فيه حتى يخرجها فشكا ذلك الرجل الفقير إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأتى النبي صلى الله عليه وسلم صاحب النخلة فقال له تعطيني نخلتك التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة فقال الرجل إن لي نخلا وما فيه أعجب إلي منها ثم ذهب فسمع بذلك أبو الدحداح رجل من الانصار فقال لصاحب النخلة هل لك أن تبيعها بحش يعني حائطا له فيه نخل فقال هي لك فأتى أبو الدحداح النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله تشتريها مني بنخلة في الجنة فقال نعم فقال هي لك فدعا النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الفقير جار الانصاري صاحب النخلة قال خذها لك ولعيالك فأنزل الله هذه الآية وهذا القول فيه ضعف لأن هذه السورة مكية وهذه القصة كانت بالمدينة فإن كانت القصة صحيحة تكون هذه السورة قد نزلت بمكة وظهر حكمها بالمدينة والصحيح أنها نزلت في أبي بكر الصديق وأمية بن خلف لأن سياق الآيات يقتضي ذلك قوله عزوجل (وما يغني عنه ماله) أي الذي بخل به (إذا تردى) أي إذا مات وقيل هوى في جهنم (إن علينا للهدى) أي إن علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلالة وذلك أنه لما عرفهم ما للمحسن من اليسرى وما

بما يرضاه ربه (وأما من بخل) بماله (واستغنى) عن ربه فلم يتقه أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى (وكذب بالحسنى) بالاسلام أو الجنة (فسنيسره للعسرى) للخلة المؤدية إلى النار فتكون الطاعة أعسر شيء عليه وأشد أو سمى طريقة الخير باليسرى لأن عاقبتها اليسر وطريقة الشر بالعسرى لأن عاقبتها العسر أو أراد بهما طريقي الجنة والنار (وما يغني عنه ماله إذا تردى) ولم ينفعه ماله إذا هلك وتردى تفعل من الردى وهو الهلاك أو تردى في القبر أو في قعر جهنم أي سقط (إن علينا للهدى) إن علينا الارشاد إلى الحق بنصب الدلائل وبيان الشرائع

٣ قوله زاد مسلم الخ حديث مسلم ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة الخ

للمسيء من العسرى أخبرهم أن بيده الارشاد والهداية وعليه تبيين طريقها وقيل معناه ان علينا للهدى والاضلال فاكتفى بذكر أحدهما والمعنى أرشد أوليائى الى العمل بطاعتى وأصرف أعدائى عن العمل بطاعتى وقيل معناه من سلك سبيل الهدى فعلى الله سبيله (وان لنا للآخرة والاولى) أى لنا ما فى الدنيا والآخرة فمن طلبهما من غير مالكهما فقد أخطأ الطريق (فانذرتكم) أى يا أهل مكة (نارا تلظى) أى تتوقد وتتوهج (لا يصلاها الا الاشقى) يعنى الشقى (الذى كذب) يعنى الرسل (وتولى) أى عن الايمان (وسيجنبها الاتقى) يعنى التقى (الذى يؤتى) أى يعطى (ماله يتزكى) أى يطلب عند الله أن يكون زاكيا لا يطلب بما ينفقه رياء ولا سمعة وهو أبو بكر الصديق فى قول جميع المفسرين قال ابن الزبير كان يبتاع الضعفاء فيعتقهم فقال له أبوه أى بنى لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك قال منع ظهرى أريد فانزل الله وسيجنبها الاتقى الى آخر السورة وذكر محمد بن اسحق قال كان بلال لبعض بنى جمح وهو بلال بن رباح واسم أمه حمامة وكان صادق الاسلام طاهر القلب وكان أمية بن خلف يخرجه اذا حميت الشمس فيطرحه على ظهره ببطحاء مكة ثم يامر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد فيقول وهو فى ذلك أحد أحد قال محمد بن اسحق عن هشام بن عروة عن أبيه قال مر به أبو بكر يوما وهم يصنعون به ذلك وكانت دار أبى بكر فى بنى جمح فقال لامية الا تتقى الله فى هذا المسكين قال أنت أفسدته فانقذه مما ترى فقال أبو بكر أفعل عندى غلام اسود أجلد منه وأقوى وهو على دينك اعطيكه قال قد فعلت فاعطاه أبو بكر غلامه وأخذ بلالا فاعتقه وكان قد أعتق ست رقاب على الاسلام قبل ان يهاجر بلال سابعهم وهم عامر بن فهيرة شهد بدرا وأحدا وقتل يوم بئر معونة شهيدا وام عميس وزهرة فأصيب بصرها حين أعتقها أبو بكر فقالت قريش ما أذهب بصرها الا اللات والعزى فقالت كذبوا ورب البيت ما تضر اللات والعزى ولا تنفعان فرد الله تعالى عليها بصرها واعتق النهدية وابنتها وكانتا لامرأة من بنى عبد الدار فرآهما أبو بكر وقد بعثتهما سيدتهما بطحين لها وهى تقول والله لا اعتقهما أبدا فقال أبو بكر كلا يا أم فلان فقالت كلا أنت أفسدتهما فاعتقهما قال فبكم قالت بكذا وكذا قال قد أخذتهما وهما حرتان ومر بجارية من بنى المؤمل وهى تعذب فابتاعها واعتقها فقال عمار بن ياسر يذكر بلالا وأصحابه وما كانوا فيه من البلاء واعتاق أبى بكر اياهم وكان اسم أبى بكر عتيقا فقال فى ذلك

جزى الله خيرا عن بلال وصحبه ❊ عتيقا وأخزى فاكها وأبا جهل
عشية هما فى بلال بسوءة ❊ ولم يحذرا ما يحذر المرء ذو العقل
بتوحيده رب الانام وقوله ❊ شهدت بان الله ربى على مهل
فان تقتلونى فاقتلونى فلم أكن ❊ لاشرك بالرحمن من خيفة القتل
فيارب ابراهيم والعبد يونس ❊ وموسى وعيسى نجنى ثم لا تملى
لمن ظل يهوى الغى من آل غالب ❊ على غير حق كان منه ولا عدل

فقد أخطأ الطريق (فانذرتكم) خوفتكم (نارا تلظى) تتلهب (لا يصلاها) لا يدخلها للخلود فيها (الا الاشقى الذى كذب وتولى) الا الكافر الذى كذب الرسل وأعرض عن الايمان (وسيجنبها) وسيبعد منها (الاتقى) المؤمن (الذى يؤتى ماله) للفقراء (يتزكى) من الزكاء أى يطلب أن يكون عند الله زاكيا لا يريد به رياء ولا سمعة او يتفعل من الزكاة ويتزكى ان جعلته بدلا من يؤتى فلا محل له لانه داخل فى حكم الصلة والصلات لا محل لها وان جعلته حالا من الضمير فى يؤتى فمحله النصب قال أبو عبيدة الاشقى بمعنى الشقى وهو الكافر والاتقى بمعنى التقى وهو المؤمن لانه لا يختص بالصلى أشقى الاشقياء ولا بالنجاة اتقى الاتقياء وان زعمت انه نكر النار فاراد نارا مخصوصة بالاشقى فما تصنع بقوله وسيجنبها الاتقى لان التقى يجنب تلك النار المخصوصة لا الاتقى منهم خاصة وقيل الآية واردة فى الموازنة بين حالتى عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فاريد ان يبالغ فى صفتيهما فقيل الاشقى وجعل مختصا بالصلى كأن النار لم تخلق الا له وقيل الاتقى وجعل مختصا بالنجاة كأن الجنة لم تخلق الا له وقيل هما أبو جهل وأبو بكر وفيه بطلان زعم المرجئة لانهم يقولون لا يدخل النار الا كافر

قال

قال سعيد بن المسيب بلغني ان أمية بن خلف قال لابي بكر في بلال حين قال له أتبيعه قال نعم أبيعه بنسطاس عبد لابي بكر وكان نسطاس صاحب عشرة آلاف دينار وغلمان وجوار ومواش وكان مشركا فحمله أبو بكر على الاسلام على أن يكون ماله له فأبى فأبغضه أبو بكر فلما قال أمية أبيعه بغلامك نسطاس اغتنمه ابو بكر وباعه به فقال المشركون ما فعل ذلك أبو بكر ببلال الا ليد كانت لبلال عنده فانزل الله عز وجل (وما لاحد عنده) أي عند أبي بكر (من نعمة تجزى) أي من يد يكافئه عليها (الا ابتغاء وجه ربه الاعلى) أي لم يفعل ذلك مجازاة لاحد ولا ليد كانت له عنده لكن فعله ابتغاء وجه ربه الاعلى وطلب مرضاته (ولسوف يرضى) أي بما يعطيه الله عز وجل في الآخرة من الجنة والخير والكرامة جزاء على ما فعل والله أعلم

(تفسير سورة والضحى)

وهي مكية واحدى عشرة آية وأربعون كلمة ومائة واثنان وسبعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (والضحى) اختلفوا في سبب نزول هذه السورة على ثلاثة أقوال القول الاول (ق) عن جندب بن سفيان البجلي قال اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين أو ثلاثا فجاءت امرأة فقالت يا محمد اني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك لم أره قربك ليلتين أو ثلاثا فانزل الله عز وجل والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى وأخرجه الترمذي عن جندب قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غار فدميت اصبعه فقال النبي صلى الله عليه وسلم

هل أنت الا اصبع دميت * وفي سبيل الله ما لقيت

قال فابطأ عليه جبريل فقال المشركون قد ودع محمد فانزل الله عز وجل ما ودعك ربك وما قلى وقيل ان المرأة المذكورة في الحديث المتفق عليه هي ام جميل امرأة ابي لهب القول الثاني قال المفسرون سألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن ذي القرنين وأصحاب الكهف فقال سأخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس الوحي عليه القول الثالث قال زيد بن اسلم كان سبب احتباس الوحي وجبريل عنه ان جروا كان في بيته فلما نزل عليه عاتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابطائه فقال انا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة واختلفوا في مدة احتباس الوحي عنه فقيل اثنا عشر يوما وقال ابن عباس خمسة عشر يوما وقيل اربعون يوما فلما نزل جبريل عليه الصلاة والسلام عليه قال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما جئت حتى اشتقت اليك فقال جبريل اني كنت اليك اشد شوقا ولكني عبد مامور ونزل وما نتنزل الا بامر ربك وانزل الله هذه السورة قوله عز وجل والضحى قيل اراد به النهار كله بدليل انه قابله بالليل كله في قوله والليل اذا سجى وقيل وقت الضحى وهي الساعة التي فيها ارتفاع الشمس واعتدال النهار في الحر والبرد في الصيف والشتاء (والليل اذا سجى) قال ابن عباس اقبل بظلامه

(وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه) أي وما لاحد عند الله نعمة يجازيه بها الا أن يفعل فعلا يبتغي به وجه ربه ويجازيه عليه (الاعلى) هو الرفيع بسلطانه المنيع في شانه وبرهانه ولم يرد به العلو من حيث المكان فهذا آية الحدثان (ولسوف يرضى) موعد بالثواب الذي يرضيه ويقر عينه وهو كقوله تعالى لنبيه عليه السلام ولسوف يعطيك ربك فترضى

(سورة والضحى مكية وهي احدى عشرة آية)*

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والضحى) المراد به وقت الضحى وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس وانما خص وقت الضحى بالقسم لانها الساعة التي كلم الله فيها موسى عليه السلام والقي فيها السحرة سجدا أو النهار كله لمقابلته بالليل في قوله (والليل اذا سجى) سكن والمراد سكون الناس والاصوات فيه وجواب القسم

(ماودعك ربك وماقلى) ماتركك منذ اختارك وما أبغضك منذ أحبك والتوديع مبالغة فى الودع لان من ودعك مفارقا فقد بالغ فى تركك روى أن الوحى تاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت وحذف الضمير من قلى كحذفه من الذاكرات فى قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات يريد والذاكراته ونحوه فآوى فهدى فاغنى وهو اختصار لفظى لظهور المحذوف (وللآخرة خير لك من الاولى) أى ما أعد الله لك فى الآخرة من المقام المحمود والحوض المورود والخير الموعود

خير مما أعجبك فى الدنيا وقيل وجه اتصاله بما قبله انه لما كان فى ضمن نفى التوديع والقلى ان الله مواصلك بالوحى اليك وانك حبيب الله ولاترى كرامة أعظم من ذلك أخبره أن حاله فى الآخرة أعظم من ذلك لتقدمه على الانبياء وشهادة أمته على الامم وغير ذلك (ولسوف يعطيك ربك) فى الآخرة من الثواب ومقام الشفاعة وغير ذلك (فترضى) ولما نزلت قال صلى الله عليه وسلم اذا لاأرضى قط وواحد من أمتى فى النار واللام الداخلة على سوف لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك ونحوه لاقسم فيمن قرأ كذلك لان المعنى لأنا اقسم وهذا لانها اذا كانت لام قسم لاتدخل على المضارع الامع نون التوكيد فيتعين أن تكون لام ابتداء ولام الابتداء لاتدخل الاعلى المبتدا والخبر فلابد من تقدير مبتدا وخبر كما ذكرنا كذا ذكره صاحب الكشاف وذكر صاحب الكشف هى لام القسم واستغنى عن نون التوكيد لان النون انماتدخل ليؤذن ان اللام لام القسم لالام الابتداء وقد علم انه ليس للابتداء لدخولها على سوف لان لام الابتداء لاتدخل على سوف وذكر أن الجمع بين حرفى التأكيد والتأخير يؤذن بان العطاء كائن لامحالة وان تأخر ثم عدد عليه نعمه من أول حاله ليقيس المترقب من فضل الله على ماسلف منه لئلا يتوقع الاالحسنى وزيادة الخير ولايضيق صدره ولايقل صبره فقال (ألم يجدك يتيما) وهو من الوجود الذى بمعنى العلم والمنصوبان مفعولاه والمعنى ألم تكن يتيما حين مات ابواك (فآوى)

وعنه اذا ذهب وقيل معناه غطى كل شئ بظلامه وقيل معناه سكن فاستقر ظلامه فلا يزداد بعد ذلك وهذا قسم اقسم الله تعالى بالضحى والليل اذا سجى وجواب القسم قوله تعالى (ماودعك ربك وماقلى) اى ماتركك ربك منذ اختارك ولاابغضك منذ أحبك وانما قال قلى ولم يقل قلاك لموافقة رؤس الآى وقيل معناه وماقلى احدا من اصحابك ومن هو على دينك الى يوم القيامة (وللآخرة خير لك من الاولى) اى الذى اعطاك ربك فى الآخرة خير لك واعظم من الذى اعطاك فى الدنيا وروى البغوى بسنده عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اهل البيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا (ولسوف يعطيك ربك فترضى) قال ابن عباس هى الشفاعة فى امته حتى يرضى (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبى صلى الله عليه وسلم رفع يديه وقال اللهم امتى امتى وبكى فقال الله عزوجل ياجبريل اذهب الى محمد واسأله مايبكيك وهو اعلم فاتى جبريل وسأله فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو اعلم فقال الله ياجبريل اذهب الى محمد وقل له انا سنرضيك فى امتك ولانسوؤك (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى دعوته وانى اختبأت دعوتى شفاعتى لامتى يوم القيامة فهى نائلة ان شاء الله تعالى من مات من امتى لايشرك بالله شيأ * عن عوف بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتانى آت من عند ربى فخيرنى بين ان يدخل نصف امتى الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة فهى نائلة ان شاء الله تعالى من مات لايشرك بالله شيأ أخرجه الترمذى قال حرب ابن شريح سمعت جعفر بن محمد بن على يقول انكم يامعشر اهل العراق تقولون ارجى آية فى القرآن قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله وانا اهل البيت نقول ارجى آية فى كتاب الله ولسوف يعطيك ربك فترضى وقيل فى معنى الآية ولسوف يعطيك ربك من الثواب فترضى وقيل من النصر والتمكين وكثرة المؤمنين فترضى وحمل الآية على ظاهرها من خيرى الدنيا والآخرة معا اولى وذلك ان الله تعالى اعطاه فى الدنيا النصر والظفر على الاعداء وكثرة الاتباع والفتوح فى زمنه وبعده الى يوم القيامة واعلى دينه وان امته خير الامم واعطاه فى الآخرة الشفاعة العامة والخاصة والمقام المحمود وغير ذلك مما اعطاه فى الدنيا والآخرة ثم اخبر عن حاله صغيرا وكبيرا وقبل الوحى وذكر نعمه عليه واحسانه اليه فقال عزوجل (ألم يجدك يتيما) اى صغيرا

(فآوى) أى ألم يعلمك الله يتيما من الوجود الذى هو بمعنى العلم والمعنى ألم يجدك يتيما صغيرا حين مات أبوك ولم يخلف لك مالا ولا ماوى فجعل لك ماوى تاوى اليه وضمك الى عمك أبى طالب حتى أحسن تربيتك وكفاك المؤنة وذلك ان عبد الله مات ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل فكفله جده عبد المطلب فلما مات عبد المطلب كفله عمه أبو طالب الى ان قوى واشتد وتزوج خديجة وقيل هو من قولهم درة يتيمة والمعنى ألم يجدك واحدا فى قريش عديم النظير فآواك اليه وأيدك وشرفك بنبوته واصطفاك برسالته (ووجدك ضالا) أى عما أنت عليه اليوم (فهدى) أى فهداك الى توحيده ونبوته وقيل وجدك ضالا عن معالم النبوة واحكام الشريعة فهداك اليها وقال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضل فى شعاب مكة وهو صبى صغير فرآه أبو جهل منصرفا من اغنامه فرده الى جده عبد المطلب وقال سعيد بن المسيب خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه أبى طالب فى قافلة ميسرة غلام خديجة فبينما هو راكب ذات ليلة مظلمة اذ جاء ابليس فاخذ بزمام ناقته فعدل به عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى الحبشة ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القافلة فمن الله عليه بذلك وقيل وجدك ضالا نفسك لا تدرى من أنت فعرفك نفسك وحالك وقيل ووجدك بين أهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك الى الايمان والى ارشادهم وقيل الضلال هنا بمعنى الحيرة وذلك لانه كان صلى الله عليه وسلم يخلو فى غار حراء فى طلب ما يتوجه به الى ربه حتى هداه الله لدينه وقال الجنيد ووجدك متحيرا فى بيان ما أنزل الله اليك فهداك لبيانه فهذا ما قيل فى هذه الآية ولا يلتفت الى قول من قال انه صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة على ملة قومه فهداه الله الى الاسلام لان نبينا صلى الله عليه وسلم وكذلك الانبياء قبله منذ ولدوا نشؤا على التوحيد والايمان قبل النبوة وبعدها وأنهم معصومون قبل النبوة من الجهل بصفات الله تعالى وتوحيده ويدل على ذلك ان قريشا عابوا النبى صلى الله عليه وسلم ورموه بكل عيب سوى الشرك وأمر الجاهلية فانهم لم يجدوا لهم عليه سبيلا اذ لو كان فيه لما سكتوا عنه ولنقل ذلك فبرأه الله تعالى من جميع ما قالوه فيه وعيروه به ويؤكد هذا ما روى فى قصة بحيرا الراهب حين استحلف النبى صلى الله عليه وسلم باللات والعزى وذلك حين سافر مع عمه أبى طالب الى الشام فرأى بحيرا علامات النبوة فيه وهو صبى فاختبره بذلك فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لا تسألنى بهما فوالله ما أبغضت شيأ بغضهما ويؤكد هذا شرح صدره صلى الله عليه وسلم فى حال الصغر واستخراج العلقة منه وقول جبريل هذا حظ الشيطان منك وملؤه حكمة وايمانا وقوله تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى وقال الزمخشرى ومن قال كان على أمر قومه أربعين سنة فان أراد انه على خلوهم من العلوم السمعية فنعم وان أراد انه كان على دين قومهم فمعاذ الله والانبياء يجب أن يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها من الكبائر والصغائر الشائنة فما بال الكفر والجهل بالصانع ما كان لنا ان نشرك بالله من

(فآوى) أى فآواك الى عمك أبى طالب وضمك اليه حتى كفلك وربالك (ووجدك ضالا) أى غير عالم ولا واقف على معالم النبوة وأحكام الشريعة وما طريقه السمع (فهدى) فعرفك الشرائع والقرآن وقيل ضل فى طريق الشام حين خرج به أبو طالب فرده الى القافلة ولا يجوز ان يفهم به عدول عن حق ووقوع فى غى فقد كان عليه السلام من أول حاله الى نزول الوحى عليه معصوما من عبادة الاوثان وقاذورات أهل الفسق والعصيان

شئ والله أعلم قوله عزوجل (ووجدك عائلا فاغنى) يعني فقيرا فاغناك بمال خديجة ثم بالغنائم وقيل أرضاك بما أعطاك من الرزق وهذه حقيقة الغنى (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس العرض بفتح العين والراء المال (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه وروى البغوى باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت ربي عزوجل مسئلة ووددت اني لم أكن سألته قلت يارب انك آتيت سليمان بن داود ملكا عظيما وآتيت فلانا كذا وفلانا كذا قال يا محمد ألم أجدك يتيما فآويتك قلت بلى يارب قال ألم أجدك ضالا فهديتك قلت بلى يارب قال ألم أجدك عائلا فاغنيتك قلت بلى يارب زاد في رواية ألم أشرح لك صدرك ووضعت عنك وزرك قلت بلى يارب فان قلت كيف يحسن بالجواد الكريم أن يمن بانعامه على عبده والمن مذموم في صفة المخلوق فكيف يحسن بالخالق تبارك وتعالى قلت انما حسن ذلك لانه سبحانه وتعالى قصد بذلك ان يقوى قلبه ويعده بدوام نعمه عليه فظهر الفرق بين امتنان الله تعالى الممدوح وبين امتنان المخلوق المذموم لان امتنان الله تعالى زيادة انعامه كانه قال مالك تقطع رجاءك عني ألست الذى ربيتك وآويتك وأنت يتيم صغير أتظنني تاركك ومضيعك كبيرا بل لابد وان أتم نعمتي عليك فقد حصل الفرق بين امتنان الخالق وامتنان المخلوق ثم أوصاه باليتامى والمساكين والفقراء فقال عزوجل (فاما اليتيم فلا تقهر) أي لا تحقر اليتيم فقد كنت يتيما وقيل لا تقهره على ماله فتذهب به لضعفه وكذا كانت العرب في الجاهلية تفعل في أمر اليتامى يأخذون أموالهم ويظلمونهم حقوقهم روى البغوى بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه ثم قال أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وبشر باصبعيه (خ) عن سهل ابن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما (وأما السائل فلا تنهر) يعني السائل على الباب يقول لا تزجره اذا سألك فقد كنت فقيرا فاما أن تطعمه واما أن ترده ردا لينا برفق ولا تكهر بوجهك في وجهه قال ابراهيم بن أدهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الآخرة وقال ابراهيم النخعي السائل بريدنا الى الآخرة يجيء الى باب أحدكم فيقول هل توجهون الى أهاليكم بشئ وقيل السائل هو طالب العلم فيجب اكرامه واسعافه بمطلوبه ولا يعبس في وجهه ولا ينهر ولا يلقى بمكروه (وأما بنعمة ربك فحدث) قيل أراد بالنعمة النبوة أي بلغ ما أرسلت به وحدث بالنبوة التي آتاك الله وقيل النعمة هي القرآن أمره ان يقرأه ويقرئه غيره وقيل اشكره * لما ذكر نعمه عليه في هذه السورة من جبر اليتم والهدى بعد الضلالة والاغناء بعد العيلة والفقر أمره أن يشكره على انعامه عليه والتحدث بنعمة الله تعالى شكرها عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

من

(ووجدك عائلا) فقيرا (فاغنى) فاغناك بمال خديجة أو بما أفاء عليك من الغنائم (فاما اليتيم فلا تقهر) فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه (وأما السائل فلا تنهر) فلا تزجره فابذل قليلا أورده جميلا وعن السدى المراد طالب العلم اذا جاءك فلا تنهره (وأما بنعمة ربك فحدث) أى حدث بالنبوة التى آتاك الله وهى أجل النعم والصحيح انها تعم جميع نعم الله عليه ويدخل تحته تعليم القرآن والشرائع والله أعلم

من أعطى عطاء فليجز به ان وجد فان لم يجد فليثن عليه فان من اثنى عليه فقد شكره ومن كتمه فقد كفره ومن تحلى بما لم يعط كان كلابس ثوبى زور أخرجه الترمذى * وله عن أبى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لا يشكر الناس لا يشكر الله وله عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وروى البغوى باسناد الثعلبى عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب والسنة فى قراءة أهل مكة ان يكبر من أول سورة الضحى على رأس كل سورة حتى يختم القرآن فيقول الله أكبر وسبب ذلك ان الوحى لما احتبس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المشركون هجره شيطانه وودعه فاغتم النبى صلى الله عليه وسلم لذلك فلما نزلت والضحى كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحا بنزول الوحى فاتخذوه سنة والله سبحانه وتعالى أعلم

(تفسير سورة ألم نشرح)

وهى مكية وثمان آيات وسبع وعشرون كلمة ومائة وثلاثة احرف

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (ألم نشرح لك صدرك) استفهام بمعنى التقرير أى قد فعلنا ذلك ومعنى الشرح الفتح ٣ بما يصده عن الادراك والله تعالى فتح صدر نبيه صلى الله عليه وسلم للهدى والمعرفة باذهاب الشواغل التى تصده عن ادراك الحق وقيل معناه ألم نفتح قلبك ونوسعه ونلينه بالايمان والموعظة والعلم والنبوة والحكمة وقيل هو شرح صدره فى صغره (م) عن أنس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فاخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرجه فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده الى مكانه وجاء الغلمان يسعون الى أمه يعنى ظئره فقالوا ان محمدا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون قال أنس وقد كنت أرى أثر المخيط فى صدره ووضعنا عنك وزرك أى حططنا عنك وزرك الذى سلف منك فى الجاهلية فهو كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل الخطأ والسهو وقيل ذنوب أمتك فاضافها اليه لاشتغال قلبه بها وقيل المراد بذلك ما أثقل ظهره من أعباء الرسالة حتى يبلغها لان الوزر فى اللغة الثقل تشبيها بوزر الجبل وقيل معناه عصمناك عن الوزر الذى ينقض ظهرك لو كان ذلك الوزر حاصلا فسمى العصمة وضعا مجازا واعلم ان القول فى عصمة الانبياء قد تقدم مستوفى فى سورة طه عند قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى وعند قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر (الذى أنقض ظهرك) أى أثقله وأوهنه حتى سمع له نقيض وهو الصوت الخفى الذى يسمع من المحمل أو الرحل فوق البعير فمن حمل الوزر على ما قبل النبوة قال هو اهتمام النبى صلى الله عليه وسلم بامور كان فعلها قبل نبوته اذ لم يرد عليه شرع بتحريمها فلما حرمت عليه بعد النبوة عدها أوزارا وثقلت عليه وأشفق منها فوضعها الله عنه وغفرها له ومن حمل

(سورة ألم نشرح مكية وهى ثمان آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ألم نشرح لك صدرك) استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الانكار فافاد اثبات الشرح فكانه قيل شرحنا لك صدرك ولذا عطف عليه ووضعنا اعتبارا للمعنى أى فسحناه بما أودعناه من العلوم والحكم حتى وسع هموم النبوة ودعوة الثقلين فازلنا عنه الضيق والحرج الذى يكون مع العمى والجهل وعن الحسن ملئ حكمة وعلما (ووضعنا عنك وزرك) وخففنا عنك أعباء النبوة والقيام بأمرها وقيل هو زلة لا تعرف بعينها وهى ترك الافضل مع اتيان الفاضل والانبياء يعاتبون بمثلها ووضعه عنه أن غفر له والوزر الحمل الثقيل (الذى أنقض ظهرك) أثقله حتى سمع نقيضه وهو صوت الانتقاض

٣ قوله بما يصده هكذا الاصل فليحرر

ذلك على ما بعد النبوة قال هو ترك الافضل لان حسنات الابرار سيآت المقربين وقوله عز وجل (ورفعنا لك ذكرك) روى البغوي باسناد الثعلبي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل عن هذه الآية ورفعنا لك ذكرك قال قال الله عز وجل اذا ذكرت ذكرت معي قال ابن عباس يريد الاذان والاقامة والتشهد والخطبة على المنابر فلو ان عبدا عبد الله وصدقه في كل شيء ولم يشهد ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله لم ينتفع من ذلك بشيء وكان كافرا وقال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا ينادي أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وقال الضحاك لا تقبل صلاة الا به ولا تجوز خطبة الا به وقال مجاهد يريد التأذين وفيه يقول حسان بن ثابت

أغر عليه للنبوة خاتم * من الله مشهور يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبي مع اسمه * اذا قال في الخمس المؤذن اشهد
وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

وقيل رفع ذكره بأخذ ميثاقه على النبيين والزامهم الايمان به والاقرار بفضله وقيل رفع ذكره بأن قرن اسمه باسمه في قوله محمد رسول الله وفرض طاعته على الامة بقوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ومن يطع الله ورسوله فقد فاز ونحو ذلك مما جاء في القرآن وغيره من كتب الانبياء ثم وعده باليسر والرخاء بعد الشدة والعناء وذلك انه كان في شدة بمكة فقال تعالى (فان مع العسر يسرا) أي مع الشدة التي أنت فيها من جهاد المشركين يسرا ورخاء بأن يظهرك عليهم حتى ينقادوا للحق الذي جئتهم به (ان مع العسر يسرا) وانما كرره لتأكيد الوعد وتعظيم الرجاء قال الحسن لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا فقد جاءكم اليسر لن يغلب عسر يسرين وقال ابن مسعود لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه ويخرجه انه لن يغلب عسر يسرين قال المفسرون في معنى قوله لن يغلب عسر يسرين ان الله تعالى كرر لفظ العسر وذكره بلفظ المعرفة وكرر اليسر بلفظ النكرة ومن عادة العرب اذا ذكرت اسما معرفا ثم اعادته كان الثاني هو الاول واذا ذكرت اسما نكرة ثم اعادته كان الثاني غير الاول كقولك كسبت درهما فانفقت درهما فالثاني غير الاول واذا قلت كسبت درهما فانفقت الدرهم فالثاني هو الاول فالعسر في الآية مكرر بلفظ التعريف فكان عسرا واحدا واليسر مكرر بلفظ التنكير فكانا يسرين فكأنه قال فان مع العسر يسرا ان مع ذلك العسر يسرا آخر وزيف أبو علي الحسن بن يحيى الجرجاني صاحب النظم هذا القول وقال قد تكلم الناس في قوله لن يغلب عسر يسرين فلم يحصل منه غير قولهم ان العسر معرفة واليسر نكرة فوجب أن يكون عسر واحد ويسران وهذا قول مدخول فيه اذا قال الرجل ان مع الفارس سيفا ان مع الفارس سيفا فهذا لا يوجب ان يكون

الفارس

(ورفعنا لك ذكرك) ورفع ذكره أن قرن بذكر الله في كلمة الشهادة والاذان والاقامة والخطب والتشهد وفي غيره موضع من القرآن أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ومن يطع الله ورسوله والله ورسوله أحق ان يرضوه وفي تسميته رسول الله ونبي الله ومنه ذكره في كتب الاولين وفائدة لك ما عرف في طريقة الابهام والايضاح لانه يفهم بقوله ألم نشرح لك ان ثم مشروحا ثم أوضح بقوله صدرك ما علم مبهما وكذلك ذكرك وعنك وزرك (فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا) أي ان مع الشدة التي أنت فيها من مقاساة بلاء المشركين يسرا باظهاري اياك عليهم حتى تغلبهم وقيل كان المشركون يعيرون رسول الله والمؤمنين بالفقر حتى سبق الى وهمه انهم رغبوا عن الاسلام لافتقار أهله فذكره ما أنعم به عليه من جلائل النعم ثم قال ان مع العسر يسرا كأنه قال خولناك ما خولناك فلا تيأس من فضل الله فان مع العسر الذي أنتم فيه يسرا وجيء بلفظ مع لغاية مقاربة اليسر العسر زيادة في التسلية ولتقوية القلوب وانما قال عليه السلام عند نزولها لن يغلب عسر يسرين لان العسر أعيد معرفا فكان واحدا لان المعرفة اذا أعيدت معرفة كانت الثانية عين الاولى واليسر أعيد نكرة والنكرة اذا أعيدت نكرة كانت الثانية غير الاولى فصار المعنى ان مع العسر يسرين قال أبو معاذ يقال ان مع الامير غلاما ان مع الامير غلاما فالامير واحد ومعه غلامان واذا قال ان مع أمير غلاما وان مع الامير الغلام فالامير واحد والغلام واحد واذا قيل ان مع أمير غلاما وان مع أمير غلاما فهما أميران وغلامان كذا

الفارس واحدا والسيف اثنين فجاز قوله لن يغلب عسر يسرين أن الله عز وجل بعث نبيه صلى الله عليه وسلم وهو مقل مخف فكانت قريش تعيره بذلك حتى قالوا ان كان بك طلب الغنى جمعنا لك مالا حتى تكون كايسر أهل مكة فاغتم النبي صلى الله عليه وسلم لذلك وظن أن قومه انما كذبوه لفقره فعدد الله نعمه عليه في هذه السورة ووعده الغنى ليسليه بذلك عما خامره من الغم فقال تعالى فان مع العسر يسرا أي لا يحزنك الذي يقولون فان مع العسر الذي في الدنيا يسرا عاجلا ثم أنجز ما وعده وفتح عليه القرى القريبة ووسع ذات يده حتى كان يعطي المئين من الابل ويهب الهبة السنية ثم ابتدأ فضلا آخر من أمور الآخرة فقال تعالى ان مع العسر يسرا والدليل على ابتدائه تعريه من الفاء والواو وهذا وعد لجميع المؤمنين والمعنى ان مع العسر الذي في الدنيا للمؤمن يسرا في الآخرة وربما اجتمع له اليسران يسر الدنيا وهو ما ذكره في الآية الاولى ويسر الآخرة وهو ما ذكره في الآية الثانية فقوله لن يغلب عسر يسرين أي ان عسر الدنيا لن يغلب اليسر الذي وعده الله المؤمنين في الدنيا واليسر الذي وعدهم في الآخرة انما يغلب أحدهما وهو يسر الدنيا فاما يسر الآخرة فدائم أبدا غير زائل أي لا يجتمعان في الغلبة فهو كقوله صلى الله عليه وسلم شهرا عيد لا ينقصان أي لا يجتمعان في النقص قال القشيري كنت يوما في البادية بحالة من الغم فالقي في روعي بيت شعر فقلت

أرى الموت لمن أصبح مغموما له أروح

فلما جن الليل سمعت هاتفا يهتف في الهواء

ألا يا أيها المرء الذي الهم به برح

وقد أنشد بيتا لم * يزل في فكره يسنح

اذا اشتد بك العسر * ففكر في ألم نشرح

فعسر بين يسرين * اذا أبصرته فافرح

قال فحفظت الابيات ففرج الله عني وقال اسحق بن بهلول القاضي

فلا تيأس اذا أعسرت يوما * فقد أيسرت في دهر طويل

ولا تظنن بربك ظن سوء * فان الله أولى بالجميل

فان العسر يتبعه يسار * وقول الله أصدق كل قيل

وقال أحمد بن سليمان في المعنى

توقع لعسر دهاك سرورا * ترى العسر عنك بيسر تسري

فما الله يخلف ميعاده * وقد قال ان مع العسر يسرا

وقال غيره وكل الحادثات اذا تناهت * يكون وراءها فرج قريب

قوله عز وجل (فاذا فرغت فانصب) لما عدد الله على نبيه صلى الله عليه وسلم نعمه السالفة بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها وان لا يخلي وقتا من أوقاته منها فاذا فرغ من عبادة أتبعها باخرى والنصب التعب قال ابن عباس اذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب الى ربك في الدعاء وارغب اليه في المسئلة وقال ابن مسعود اذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل وقيل اذا فرغت من التشهد فادع لدنياك وآخرتك

في شرح التاويلات (فاذا فرغت فانصب) اى فاذا فرغت من دعوة الخلق فاجتهد في عبادة الرب وعن ابن عباس رضي الله عنهما فاذا فرغت من صلاتك فاجتهد في الدعاء واختلف أنه قبل السلام او بعده ووجه الاتصال بما قبله انه لما عدد عليه نعمه السالفة ومواعيده الآتية بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها وان يواصل بين بعضها وبعض ولا يخلي وقتا من اوقاته منها فاذا فرغ من عبادة ذنبها باخرى

قوله وقال احمد بن سليمان الخ كذا في بعض النسخ وفي بعض آخر وقال سليمان بن احمد الرقي الخ اه مصحح

(والى ربك فارغب) واجعل رغبتك اليه خصوصا ولا تسال الا فضله متوكلا عليه وعلى الله فليتوكل المؤمنون

(سورة والتين مكية وهى ثمان آيات) (بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون) اقسم بهما لانهما عجيبان من بين الاشجار المثمرة روى انه اهدى لرسول الله ٥١٢ صلى الله عليه وسلم طبق من تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وقال نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وقال هى سواكى وسواك الانبياء قبلى وعن ابن عباس رضى الله عنه هو تينكم هذا وزيتونكم هذا وقيل هما جبلان بالشام منبتاهما (وطور سينين) اضيف الطور وهو الجبل الى سينين وهى البقعة ٣ ونحو سينون بيرون فى جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء وتحريك النون بحركات الاعراب (وهذا البلد) يعنى مكة (الامين) من امن الرجل امانة فهو امين وامانته انه يحفظ من دخله كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ومعنى القسم بهذه الاشياء الابانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الانبياء والاولياء فمنبت التين والزيتون مهاجر ابراهيم ومولد عيسى ومنشؤه والطور المكان الذى نودى منه موسى ومكة مكان البيت الذى هو هدى للعالمين ومولد نبينا ومبعثه صلوات الله عليهم أجمعين او الاولان قسم بمهبط الوحى على عيسى والثالث على موسى والرابع على محمد عليه السلام وجواب القسم (لقد خلقنا الانسان) وهو جنس (فى احسن تقويم) فى احسن تعديل لشكله وصورته وتسوية اعضائه (ثم رددناه اسفل سافلين) اى ثم كان عاقبة امره حين لم يشكر نعمة تلك والسافلون

وقيل اذا فرغت من جهاد عدوك فانصب فى عبادة ربك وقيل اذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب فى الاستغفار لك وللمؤمنين قال عمر بن الخطاب انى لاكره ان أرى أحدكم فارغا سبهللا لا فى عمل دنياه ولا فى عمل آخرته السبهلل الذى لا شئ معه وقيل السبهلل الباطل (والى ربك فارغب) أى تضرع اليه راغبا فى الجنة راهبا من النار وقيل اجعل رغبتك الى الله تعالى فى جميع أحوالك لا الى أحد سواه والله تعالى أعلم

(تفسير سورة والتين)

وهى مكية وثمان آيات وأربع وثلاثون كلمة ومائة وخمسة أحرف

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (والتين والزيتون) قال ابن عباس هو تينكم الذى تأكلون وزيتونكم الذى تعصرون منه الزيت قيل انما خص التين بالقسم لانه فاكهة مخلصة من شوائب التنغيص وفيه غذاء ويشبه فواكه الجنة لكونه بلا عجم ومن خواصه انه طعام لطيف سريع الهضم لا يمكث فى المعدة يخرج بطريق الرشح ويلين الطبيعة ويقلل البلغم وأما الزيتون فانه من شجرة مباركة فيه ادام ودهن يؤكل ويستصبح به وشجرته فى اغلب البلاد ولا يحتاج الى خدمة وتربية وينبت فى الجبال التى ليست فيها دهنية ويمكث فى الارض ألوفا من السنين فلما كان فيهما من المنافع والمصالح الدالة على قدرة خالقهما لاجرم أقسم الله بهما وقيل هما جبلان فالتين الجبل الذى عليه دمشق والزيتون الجبل الذى عليه بيت المقدس واسمهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لانهما ينبتان التين والزيتون وقيل هما مسجدان فالتين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس وانما حسن القسم بهما لانهما موضع الطاعة وقيل التين مسجد أصحاب الكهف والزيتون مسجد ايلياء وقيل التين مسجد نوح الذى بناه على الجودى والزيتون مسجد بيت المقدس (وطور سينين) يعنى الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه الصلاة والسلام وسينين اسم للمكان الذى فيه الجبل سمى سينين وسيناء لحسنه أو لكونه مباركا وكل جبل فيه أشجار مثمرة يسمى سينين وسيناء (وهذا البلد الامين) يعنى الآمن وهو مكة حرسها الله تعالى لانه الحرم الذى يامن فيه الناس فى الجاهلية والاسلام لا ينفر صيده ولا يعضد شجره ولا تلتقط لقطته الا لمنشد وهذه أقسام اقسم الله بها لما فيها من المنافع والبركة وجواب القسم قوله تعالى (لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم) يعنى فى اعدل قامة وأحسن صورة وذلك انه تعالى خلق كل حيوان منكبا على وجهه ياكل بفيه الا الانسان فانه خلقه مديد القامة حسن الصورة يتناول ما كوله بيده مزينا بالعلم والفهم والعقل والتمييز والمنطق (ثم رددناه أسفل سافلين) يعنى الى الهرم وارذل العمر فيضعف بدنه وينقص عقله

٣ قول الامام النسفى ونحو سينون بيرون تبع فيه صاحب الكشاف وعبارة ابى السعود وسينون كبيرون اه مصححه

الحسنة القويمة السوية أن رددناه أسفل من سفل خلقا وتركيبا يعني أقبح من قبح صورة وهم أصحاب النار أو أسفل من سفل من أهل الدركات أو ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين أسفل من سفل في حسن الصورة والشكل

والسافلون هم الضعفاء والزمنى والاطفال والشيخ الكبير أسفل من هؤلاء جميعا لانه لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلا لضعف بدنه وسمعه وبصره وعقله وقيل ثم رددناه الى النار لانها دركات بعضها أسفل من بعض ثم استثنى فقال تعالى (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم لا يردون الى النار أو الى أسفل سافلين وعلى القول الاول يكون الاستثناء منقطعا والمعنى ثم رددناه أسفل سافلين فزال عقله وانقطع عمله فلا تكتب له حسنة لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولازموا عليها الى أيام الشيخوخة والهرم والضعف فانه يكتب لهم بعد الهرم والخرف مثل الذي كانوا يعملون في حالة الشباب والصحة وقال ابن عباس هم نفر ردوا الى أرذل العمر على زمن النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله عذرهم وأخبرهم ان لهم أجرهم الذي عملوا قبل ان تذهب عقولهم فعلى هذا القول السبب خاص وحكمه عام قال عكرمة ما يضر هذا الشيخ كبره اذا ختم الله له باحسن ما كان يعمل وروى عن ابن عباس قال الا الذين قرؤا القرآن وقال من قرأ القرآن لم يرد الى أرذل العمر (فلهم أجر غير ممنون) يعني غير مقطوع لانه يكتب له بصالح ما كان يعمل قال الضحاك أجر بغير عمل ثم قال الزاما للحجة (فما يكذبك) يعني يا أيها الانسان وهو خطاب على طريق الالتفات (بعد) اي بعد هذه الحجة والبرهان (بالدين) أي بالحساب والجزاء والمعنى فما الذي يلجئك أيها الانسان الى هذا الكذب الا تتفكر في صورتك وشبابك ومبدا خلقك وهرمك فتعتبر وتقول ان الذي فعل ذلك قادر على ان يبعثني ويحاسبني فما الذي يكذبك بالمجازاة وقيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى فمن يكذبك أيها الرسول بعد ظهور هذه الدلائل والبراهين (أليس الله بأحكم الحاكمين) أي باقضى القاضين يحكم بينكم وبين أهل التكذيب يوم القيامة * عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ والتين والزيتون فقرأ أليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين أخرجه الترمذي وعن البراء ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في سفر فصلى العشاء الاخيرة فقرأ في احدى الركعتين بالتين والزيتون فما سمعت احدا أحسن صوتا أو قراءة منه صلى الله عليه وسلم والله تعالى أعلم

(تفسير سورة العلق)

(مكية وهي تسع عشرة آية واثنتان وتسعون كلمة ومائتان وثمانون حرفا)

قال أكثر المفسرين هذه السورة أول سورة نزلت من القرآن وأول ما نزل خمس آيات من أولها الى قوله ما لم يعلم (ق) عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها انها قالت أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة ولمسلم الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل ان يرجع الى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الوحي وفي رواية حتى فجأه الحق وهو في غار حراء فجاءه

حيث نكسناه في خلقه فقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد سواده وتشنن جلده وكل سمعه وبصره وتغير كل شيء منه فشيه دليف وصوته خفات وقوته ضعف وشهامته خرف (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون) ودخل الفاء هنا دون سورة الانشقاق للجمع بين اللغتين والاستثناء على الاول متصل وعلى الثاني منقطع أي ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى والزمنى فلهم ثواب غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على الابتلاء بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة والخطاب في (فما يكذبك بعد بالدين) للانسان على طريقة الالتفات أي فما سبب تكذيبك بعد هذا البيان القاطع والبرهان الساطع بالجزاء والمعنى ان خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتدريجه في مراتب الزيادة الى ان يكمل ويستوى ثم تنكيسه الى أن يبلغ أرذل العمر لا ترى دليلا أوضح منه على قدرة الخالق وان من قدر على خلق الانسان وعلى هذا كله لم يعجز عن اعادته فما سبب تكذيبك بالجزاء أو لرسول الله

أي فمن ينسبك الى الكذب بعد هذا الدليل فما معنى من (أليس الله باحكم الحاكمين) وعيد للكفار وانه يحكم عليهم بما هم أهله وهو من الحكم والقضاء والله أعلم (سورة العلق مكية وهي تسع عشرة آية)

الملك فقال اقرأ قال ما أنا بقارئ قال فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ فاخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فاخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم حتى بلغ مالم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره حتى دخل على خديجة بنت خويلد فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع ثم قال لخديجة أي خديجة مالي وأخبرها الخبر قال لقد خشيت على نفسي قالت له خديجة كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى اتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وهو ابن عم خديجة وكان امرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فكتب من الانجيل بالعبرانية ماشاء الله ان يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة اى ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما راى فقال له ورقة هذا الناموس الذي نزل الله على موسى ياليتني فيها جذعا ليتني أكون حيا اذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مخرجي هم قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به الاعودي وان يدركني يومك حيا انصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي زاد البخاري قال وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤس شواهق الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل فقال يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه وتقر عينه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا أوفى بذروة الجبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك

* (فصل) في هذا الحديث دليل صحيح صريح على ان سورة اقرأ أول مانزل من القرآن وفيه رد على من قال ان المدثر اول مانزل من القرآن وقد تقدم الكلام على ذلك والجمع بين القولين في أول سورة المدثر وهذا الحديث من مراسيل الصحابة لان عائشة لم تدرك هذه القصة فيحتمل انها سمعتها من النبي صلى الله عليه وسلم أو من غيره من الصحابة ومرسل الصحابي حجة عند جميع العلماء الا ما انفرد به الاستاذ أبو اسحق الاسفرايني وانما ابتدئ صلى الله عليه وسلم بالرؤيا لئلا يفجأه الملك فيأتيه بصريح النبوة بغتة فلا تحملها القوى البشرية فبدئ بأول علامات النبوة توطئة للوحي وأما التحنث فقد فسر في الحديث بالتعبد وهو تفسير صحيح لان أصل التحنث من الحنث وهو الاثم والمعنى انه فعل فعلا يخرج به من الاثم وقولها فجأه الحق أي جاءه الحق بالوحي بغتة قوله فغطني بالغين المعجمة والطاء المشالة المهملة أي عصرني وضمني ضما شديدا وهو قوله حتى بلغ مني الجهد قال العلماء والحكمة في الغط شغله عن الالتفات الى غيره والمبالغة في صفاء قلبه ولهذا كرره ثلاثا قوله زملوني زملوني كذا هو في الروايات مكرر مرتين ومعناه غطوني بالثياب وقولها حتى ذهب عنه الروع اى الفزع قولها كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا يروى

بضم الياء وبالخاء المعجمة من الخزي أي لا يفضحك الله ولا يكسرك ولا يهينك ولا يذلك وروي بفتح الياء وبالحاء المهملة وبالنون أي لا يحزنك من الحزن الذي هو ضد الفرح وقولها وتحمل الكل أي الثقل والحوائج المهمة وتكسب المعدوم أي تعطي المال لمن هو معدوم عنده ومعنى كلام خديجة انك لا يصيبك مكروه لما جعل فيك من مكارم الاخلاق وحميد الفعال وخصال الخير وذلك سبب السلامة من مصارع السوء قولها وكان يكتب الكتاب العبراني فكتب من الانجيل بالعبرانية وفي رواية مسلم وكان يكتب الكتاب العربي يكتب من الانجيل بالعربية ماشاء الله تعالى ان يكتب ومعناهما صحيح وحاصله انه تمكن من دين النصرانية بحيث صار يتصرف في الانجيل فيكتب أي موضع شاء منه بالعبرانية ان أراد أو بالعربية ان أراد ذلك قوله هذا الناموس الذي نزل الله على موسى هو بالنون والسين المهملة يعني جبريل عليه الصلاة والسلام ومعنى الناموس صاحب خبر الخير انما سمي جبريل بذلك لان الله خصه بالوحي الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام قوله ياليتني فيها أي في أيام النبوة واظهار الرسالة جذعا أي شابا قويا حتى أبالغ في نصرتك وهو قوله وان يدركني يومك انصرك نصرا مؤزرا أي قويا بالغا قولها ثم لم يلبث ورقة أن توفي أي فلم يلبث ان مات قبل ظهور النبي صلى الله عليه وسلم قوله كي يتردى التردي الوقوع من علو وذروة الجبل أعلاه قوله تبدى له أي ظهر له قوله فيسكن لذلك جاشه أي قلبه وقيل الجاش هو ثبوت القلب عند الامر العظيم المهول وقيل الجاش هو ماثار من فزعه وهاج من حزنه والله أعلم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (اقرأ باسم ربك) قيل الباء زائدة مجازه اقرأ اسم ربك والمعنى اذكر اسم ربك أمر أن يبتدئ القراءة باسم الله تاديبا وقيل الباء على أصلها والمعنى اقرأ القرآن مفتتحا باسم ربك أي قل بسم الله ثم اقرأ فعلى هذا يكون في الآية دلالة على استحباب البداءة بالتسمية في أول القراءة وقيل معناه اقرأ القرآن مستعينا باسم ربك على ما تحمله من النبوة واعباء الرسالة (الذي خلق) يعني جميع الخلائق وقيل الذي حصل منه الخلق واستاثر به لا خالق سواه وقيل الذي خلق كل شئ (خلق الانسان) يعني آدم وانما خص الانسان بالذكر من بين سائر المخلوقات لانه اشرفها وأحسنها خلقة (من علق) جمع علقة ولما كان الانسان اسم جنس في معنى الجمع جمع العلق ولمشاكلة رؤس الآي ايضا (اقرأ) كرره تأكيدا وقيل الاول اقرأ في نفسك والثاني اقرأ للتبليغ وتعليم أمتك ثم استأنف فقال تعالى (وربك الاكرم) يعني الذي لا يوازيه كريم ولا يعادله في الكرم نظير وقد يكون الاكرم بمعنى الكريم كما جاء الاعز بمعنى العزيز وغاية الكريم اعطاؤه الشئ من غير طلب العوض فمن طلب العوض فليس بكريم وليس المراد ان يكون العوض عينا بل المدح والثواب عوض والله سبحانه وجل جلاله وتعالى علاؤه وشأنه يتعالى عن طلب العوض فيستحيل ذلك في وصفه لانه أكرم الاكرمين وقيل الاكرم هو الذي له الابتداء في كل كرم واحسان وقيل هو الحليم عن جهل

(بسم الله الرحمن الرحيم)

عن ابن عباس ومجاهد هي أول سورة نزلت والجمهور على ان الفاتحة أول ما نزل ثم سورة القلم (اقرأ باسم ربك الذي خلق) محل باسم ربك النصب على الحال أي اقرأ مفتتحا باسم ربك كانه قيل قل بسم الله ثم اقرأ الذي خلق ولم يذكر لخلق مفعولا لان المعنى الذي حصل منه الخلق واستأثر به لا خالق سواه أو تقديره خلق كل شئ فيتناول كل مخلوق لانه مطلق فليس بعض المخلوقات بتقديره أولى من بعض وقوله (خلق الانسان) تخصيص للانسان بالذكر من بين ما يتناوله الخلق لشرفه ولان التنزيل اليه ويجوز ان يراد الذي خلق الانسان الا انه ذكر مبهما ثم مفسرا تفخيما لخلقه ودلالة على عجيب فطرته (من علق) وانما جمع ولم يقل من علقة لان الانسان في معنى الجمع (اقرأ وربك الاكرم) الذي له الكمال في زيادة كرمه على كل كريم ينعم على عباده النعم ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه وكانه ليس وراء التكرم بافادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال

العبادة فلا يعجل عليهم بالعقوبة وقيل يحتمل ان يكون هذا حثا على القراءة والمعنى اقرأ وربك الاكرم لانه يجزى بكل حرف عشر حسنات (الذى علم بالقلم) أى الخط والكتابة التى بها تعرف الامور الغائبة وفيه تنبيه على فضل الكتابة لما فيها من المنافع العظيمة لان بالكتابة ضبطت العلوم ودونت الحكم وبها عرفت أخبار الماضين وأحوالهم وسيرهم ومقالاتهم ولولا الكتابة ما استقام أمر الدين والدنيا قال قتادة القلم نعمة من الله عظيمة لولا القلم لم يقم دين ولم يصلح عيش وسئل بعضهم عن الكلام فقال ريح لا يبقى قيل له فما قيده قال الكتابة لان القلم ينوب عن اللسان ولا ينوب اللسان عنه (علم الانسان مالم يعلم) قيل يحتمل أن يكون المراد علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم فيكون المراد من ذلك معنى واحدا وقيل علمه من أنواع العلم والهداية والبيان مالم يكن يعلم وقيل علم آدم الاسماء كلها وقيل المراد بالانسان هنا محمد صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل (كلا) أى حقا (ان الانسان ليطغى) أى يتجاوز الحد ويستكبر على ربه (أن) أى لأن (رآه استغنى) أى رأى نفسه غنيا وقيل يرتفع عن منزلته الى منزلة أخرى فى اللباس والطعام وغير ذلك نزلت فى أبى جهل وكان قد أصاب مالا فزاد فى ثيابه ومركبه وطعامه فذلك طغيانه (ان الى ربك الرجعى) أى المرجع فى الآخرة وفيه تهديد وتحذير لهذا الانسان من عاقبة الطغيان ثم هو عام لكل طاغ متكبر (أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى) نزلت فى أبى جهل وذلك انه نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الصلاة (م) عن أبى هريرة قال قال أبو جهل هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم فقيل نعم فقال واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لاطأن على رقبته ولاعفرن وجهه فى التراب قال فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ليطأ على رقبته قال فما فجأهم منه الا وهو ينكص على عقبيه و يتقى بيديه فقيل له مالك قال ان بينى و بينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة فقال النبى صلى الله عليه وسلم لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضوا عضوا فانزل الله هذه الآية لا أدرى أفى حديث أبى هريرة أو شئ بلغه كلا ان الانسان ليطغى الى قوله كلا لا تطعه قال وأمره بما أمره به زاد فى رواية فليدع ناديه يعنى قومه (خ) عن ابن عباس قال قال أبو جهل لئن رأيت محمدا يصلى عند البيت لاطأن على عنقه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو فعله لاخذته الملائكة زاد الترمذى عيانا ومعنى أرأيت تعجيبا للمخاطب وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وفائدة التنكير فى قوله عبدا تدل على انه كامل العبودية والمعنى أرأيت الذى ينهى أشد الخلق عبودية عن العبودية وهذا دأبه وعادته وقيل ان هذا الوعيد يلزم لكل من ينهى عن الصلاة وعن طاعة الله تعالى ولا يلزم منه عدم جواز المنع من الصلاة فى الدار المغصوبة وفى الاوقات المكروهة لانه قد ورد النهى عن ذلك فى الاحاديث الصحيحة ولا يلزم من ذلك أيضا عدم جواز منع المولى عبده والرجل زوجته عن قيام الليل وصوم التطوع والاعتكاف لان ذلك استيفاء مصلحة الا أن يأذن فيه المولى أو الزوج (أرأيت ان كان على الهدى) يعنى العبد المنهى وهو النبى صلى الله عليه وسلم

(يعنى علم) الكتابة (بالقلم علم الانسان مالم يعلم) فدل على كمال كرمه بانه علم عباده مالم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الاولين ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولا هى لما استقامت أمور الدين والدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله دليل الا أمر القلم والخط لكفى به (كلا) ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه (ان الانسان ليطغى) نزلت فى أبى جهل الى آخر السورة (أن رآه) أن رأى نفسه يقال فى أفعال القلوب رأيتنى وعلمتنى ومعنى الرؤية العلم ولو كانت بمعنى الابصار لامتنع فى فعلها الجمع بين الضميرين (استغنى) هو المفعول الثانى (ان الى ربك الرجعى) تهديد للانسان من عاقبة الطغيان على طريق الالتفات والرجعى مصدر بمعنى الرجوع أى ان رجوعك الى ربك فيجازيك على طغيانك (أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى) أى أرأيت أبا جهل ينهى محمدا عن الصلاة (أرأيت ان كان على الهدى) اى ان كان ذلك الناهى على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله

وسلم (اوأمر بالتقوى) يعني بالاخلاص والتوحيد (أرأيت ان كذب) يعني أباجهل (وتولى) أي عن الايمان وتقدير نظم الآية أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى وهو على الهدى آمر بالتقوى والناهي مكذب متول عن الايمان أي اعجب من هذا (ألم يعلم) يعني أباجهل (بان الله يرى) يعني يرى ذلك الفعل فيجازيه به وفيه وعيد شديد وتهديد عظيم (كلا) أي لا يعلم ذلك أبوجهل (لئن لم ينته) يعني عن ايذاء محمد صلى الله عليه وسلم وعن تكذيبه (لنسفعا بالناصية) أي لنأخذن بناصيته فلنجرنه الى النار يقال سفعت بالشئ اذا أخذته وجذبته جذبا شديدا والناصية شعر مقدم الرأس والسفع الضرب أي لنضربن وجهه في النار ولنسودن وجهه ولنذلنه ثم قال على البدل (ناصية كاذبة خاطئة) أي صاحبها كاذب خاطئ قال ابن عباس لما نهى أبوجهل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة انتهره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبوجهل أتنهرني فوالله لأملأن عليك هذا الوادي ان شئت خيلا جردا ورجالا مردا وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فجاء أبوجهل فقال ألم أنهك عن هذا فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فزبره فقال أبوجهل انك لتعلم ما بها ناد أكثر مني فأنزل الله تعالى (فليدع ناديه سندع الزبانية) قال ابن عباس والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح ومعنى فليدع ناديه أي عشيرته وقومه فلينتصر بهم وأصل النادي المجلس الذي يجمع الناس ولا يسمى ناديا ما لم يكن فيه أهله سندع الزبانية يعني الملائكة الغلاظ الشداد قال ابن عباس يريد زبانية جهنم سموا بذلك لانهم يدفعون أهل النار اليها بشدة مأخوذ من الزبن وهو الدفع (كلا) أي ليس الامر على ما هو عليه أبوجهل (لا تطعه) أي في ترك الصلاة (واسجد) أي صل لله (واقترب) أي من الله (م) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة عند الشافعي فيسن للقارئ والمستمع ان يسجد عند قراءتها يدل عليه ما روى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقرأ باسم ربك واذا السماء انشقت أخرجه مسلم والله سبحانه وتعالى أعلم

(تفسير سورة القدر)

وهي مدنية وقيل انها مكية والقول الاول أصح وهو قول الاكثرين قيل انها أول ما نزل بالمدينة وهي خمس آيات وثلاثون كلمة ومائة واثنا عشر حرفا

(اوأمر بالتقوى) أو كان آمرا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقد (أرأيت ان كذب وتولى) أرأيت ان كان ذلك الناهي مكذبا بالحق متوليا عنه كما نقول نحن (ألم يعلم بأن الله يرى) ويطلع على أحواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب حاله وهذا وعيد وقوله الذي ينهى مع الجملة الشرطية مفعولا أرأيت وجواب الشرط محذوف تقديره ان كان على الهدى أو أمر بالتقوى ألم يعلم بأن الله يرى وانما حذف لدلالة ذكره في جواب الشرط الثاني وهذا كقولك ان أكرمتك أتكرمني وأرأيت الثانية مكررة زائدة للتوكيد (كلا) ردع لابي جهل عن نهيه عن عبادة الله وأمره بعبادة الاصنام ثم قال (لئن لم ينته) عما هو فيه (لنسفعا بالناصية) لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشئ وجذبه بشدة وكتبها في المصحف بالالف على حكم الوقف واكتفى بلام العهد عن الاضافة للعلم بانها ناصية المذكور (ناصية) بدل من الناصية لانها وصفت بالكذب والخطا بقوله (كاذبة خاطئة) على الاسناد المجازي وهما لصاحبها حقيقة وفيه من الحسن والجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطئ (فليدع ناديه سندع الزبانية) النادي المجلس الذي يجتمع فيه القوم والمراد أهل النادي روى أن أباجهل مر بالنبي عليه السلام وهو يصلي فقال ألم أنهك فاغلظ له رسول الله عليه السلام فقال أتهددني وأنا أكثر أهل الوادي ناديا فنزل والزبانية لغة الشرط الواحد زبنية من الزبن وهو الدفع والمراد ملائكة العذاب وعنه عليه السلام لو دعا ناديه لاخذته الزبانية عيانا (كلا) ردع لابي جهل (لا تطعه) أي اثبت على ما أنت عليه من عصيانه كقوله فلا تطع المكذبين (واسجد) ودم على سجودك يريد الصلاة (واقترب) وتقرب الى ربك بالسجود فان أقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد كذا في الحديث والله أعلم (سورة القدر مكية وقيل مدنية وهي خمس آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عزوجل (انا أنزلناه) يعني القرآن كناية عن غير مذكور (في ليلة القدر) وذلك ان الله تعالى أنزل القرآن العظيم جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ليلة القدر فوضعه في بيت العزة ثم نزل به جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما متفرقة في مدة ثلاث وعشرين سنة فكان ينزل بحسب الوقائع والحاجة اليه وقيل انما أنزله الى السماء الدنيا لشرف الملائكة بذلك ولانها كالمشترك بيننا وبين الملائكة فهي لهم سكن ولنا سقف وزينة وسميت ليلة القدر لان فيها تقدير الامور والاحكام والارزاق والآجال وما يكون في تلك السنة الى مثل هذه الليلة من السنة المقبلة يقدر الله ذلك في بلاده وعباده ومعنى هذا ان الله يظهر ذلك للملائكة ويأمرهم بفعل ماهو من وظيفتهم بان يكتب لهم ما قدره في تلك السنة ويعرفهم اياه وليس المراد منه أنه يحدثه في تلك الليلة لان الله تعالى قدر المقادير قبل ان يخلق السموات والارض في الازل قيل للحسين بن الفضل أليس قد قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والارض قال نعم قيل له فما معنى ليلة القدر قال سوق المقادير الى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدر وقيل سميت ليلة القدر لعظم قدرها وشرفها على الليالي من قولهم لفلان قدر عند الامير أي منزلة وجاه وقيل سميت بذلك لان العمل الصالح يكون فيها ذا قدر عند الله لكونه مقبولا وقيل سميت بذلك لان الارض تضيق بالملائكة فيها

(فصل في فضل ليلة القدر وما ورد فيها) (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه واختلف العلماء في وقتها فقال بعضهم انها كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رفعت لقوله صلى الله عليه وسلم حين تلاحى الرجلان اني خرجت لاخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم وهذا غلط ممن قال بهذا القول لان آخر الحديث يرد عليهم فانه صلى الله عليه وسلم قال في آخره فالتمسوها في العشر الاواخر في التاسعة والسابعة والخامسة فلو كان المراد رفع وجودها لم يأمر بالتماسها وعامة الصحابة والعلماء فمن بعدهم على انها باقية الى يوم القيامة روى عن عبد الله بن خنيس مولى معاوية قال قلت لابي هريرة زعموا ان ليلة القدر رفعت قال كذب من قال ذلك قلت هي في كل شهر رمضان أستقبله قال نعم ومن قال ببقائها ووجودها اختلفوا في محلها فقيل هي منتقلة تكون في سنة في ليلة وفي سنة أخرى في ليلة أخرى هكذا أبدا قالوا وبهذا يجمع بين الاحاديث الواردة في أوقاتها المختلفة وقال مالك والثوري وأحمد واسحق وأبو ثور انها تنتقل في العشر الاواخر من رمضان وقيل بل تنتقل في رمضان كله وقيل انها في ليلة معينة لا تنتقل عنها أبدا في جميع السنين ولا تفارقها فعلى هذا هي في ليلة من السنة كلها وهو قول ابن مسعود وأبي حنيفة وصاحبيه وروى عن ابن مسعود انه قال من يقم الحول يصبها فبلغ ذلك عبد الله بن عمر فقال يرحم الله أبا عبد الرحمن أما انه علم انها في شهر رمضان ولكن أراد ان لا يتكل

(بسم الله الرحمن الرحيم). (انا أنزلناه في ليلة القدر). عظم القرآن حيث أسند انزاله اليه دون غيره وجاء بضميره دون اسمه الظاهر للاستغناء عن التنبيه عليه ورفع مقدار الوقت الذي أنزله فيه روى انه أنزل جملة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ثم كان ينزله جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاث وعشرين سنة ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير الامور وقضائها والقدر بمعنى التقدير أو سميت بذلك لشرفها على سائر الليالي وهي ليلة السابع والعشرين من رمضان كذا روى أبو حنيفة رحمه الله عن عاصم عن زر أن ابي بن كعب كان يحلف على ليلة القدر انها ليلة السابع والعشرين من رمضان وعليه الجمهور ولعل الداعي الى اخفائها ان يحيي من يريدها الليالي الكثيرة طلبا لموافقتها وهذا كاخفاء الصلاة الوسطى واسمه الاعظم وساعة الاجابة في الجمعة ورضاه في الطاعات وغضبه في المعاصي وفي الحديث من أدركها يقول اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني

الناس وقال جمهور العلماء انها في شهر رمضان واختلفوا في تلك الليلة فقال أبو رزين العقيلي في أول ليلة من شهر رمضان وقيل هي ليلة سبعة عشر وهي الليلة التي كانت صبيحتها وقعة بدر يحكى هذا عن زيد بن أرقم وابن مسعود أيضا والحسن والصحيح الذي عليه الأكثرون انها في العشر الاواخر من رمضان والله سبحانه وتعالى أعلم

(ذكر الاحاديث الواردة في ذلك)

(ق) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور العشر الاواخر من رمضان و يقول تحروا ليلة القدر في العشر الاواخر من رمضان (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أريت ليلة القدر ثم أيقظني بعض أهلي فنسيتها فالتمسوها في العشر الاواخر من رمضان وذهب الشافعي الى أنها ليلة احدى وعشرين (ق) عن أبي هريرة ان أبا سعيد قال اعتكفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العشر الاواسط فلما كانت صبيحة عشرين نقلنا متاعنا فأتانا النبي صلى الله عليه وسلم فقال من كان اعتكف فليرجع الى معتكفه وأنا أريت هذه الليلة ورأيتني اسجد في ماء وطين فلما رجع الى معتكفه هاجت السماء فمطرنا فوالذي بعثه بالحق لقد هاجت السماء من آخر ذلك اليوم وكان المسجد على عريش ولقد رأيت على أنفه وأرنبته أثر الماء والطين وفي رواية نحوه الا أنه قال حتى اذا كانت ليلة احدى وعشرين وهي الليلة التي يخرج من صبيحتها من اعتكافه قال من اعتكف معي فليعتكف العشر الاواخر وورد في فضل ليلة القدر اثنان وعشرون حديثا * عن عبد الله بن أنيس قال كنت في مجلس لبني سلمة وأنا أصغرهم فقالوا من يسأل لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وذلك في صبيحة احدى وعشرين من رمضان فخرجت فوافيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أرسلني اليك رهط من بني سلمة يسئلونك عن ليلة القدر فقال كم الليلة فقلت اثنتان وعشرون فقال هي الليلة ثم رجع فقال أو القابلة يريد ثلاثا وعشرين أخرجه أبو داود وذهب جماعة من الصحابة وغيرهم ان ليلة القدر ليلة ثلاث وعشرين ومال اليه الشافعي أيضا (خ) عن الصنابحي انه سأل رجلا هل سمعت في ليلة القدر شيأ قال أخبرني بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم انها في أول السبع من العشر الاواخر وهذا اللفظ مختصر عن عبد الله بن أنيس قال قلت يا رسول الله ان لي بادية أكون فيها وأنا أصلي فيها بحمد الله فمرني بليلة أنزلها الى هذا المسجد فقال انزل ليلة ثلاث وعشرين قيل لابنه كيف كان أبوك يصنع قال كان يدخل المسجد اذا صلى العصر فلا يخرج الا لحاجة حتى يصلي الصبح فاذا صلى الصبح وجد دابته على باب المسجد فجلس عليها ولحق ببادية أخرجه أبو داود ولمسلم عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أريت ليلة القدر ثم أنسيتها وأراني أسجد صبيحتها في ماء وطين قال فمطرنا ليلة ثلاث وعشرين فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف وان أثر الماء والطين على جبهته وانفه ويحكى عن بلال وابن عباس والحسن أنها ليلة أربع وعشرين (خ) عن ابن عباس قال التمسوها في أربع وعشرين وقيل هي في ليلة خمس وعشرين دليله قوله

قوله عن عبد الله بن انيس الى آخر الحديث كذا بالنسخ وبمراجعة أبي داود ومسلم مافيه اهـ مصححه

صلى الله عليه وسلم تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الاواخر من رمضان وقيل هي ليلة سبع وعشرين يحكي ذلك عن جماعة من الصحابة منهم أبي بن كعب وابن عباس واليه ذهب أحمد (م) عن زر بن حبيش قال سمعت ابي بن كعب يقول وقيل له ان عبد الله بن مسعود يقول من قام السنة أصاب ليلة القدر قال ابي والله الذي لا اله الا هو انها لفي رمضان يحلف ولا يستثني فوالله اني لأعلم أي ليلة هي هي الليلة التي أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامها وهي ليلة سبع وعشرين وأمارتها ان تطلع الشمس من صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها عن معاوية عن النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر قال ليلة سبع وعشرين أخرجه أبو داود وقيل هي ليلة تسع وعشرين دليله قوله تحروا ليلة القدر في العشر الاواخر من رمضان وقيل هي ليلة آخر الشهر عن ابن عمر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وأنا أسمع فقال هي في كل رمضان أخرجه أبو داود قال ويروى موقوفا عليه

(ذكر ليال مشتركة) عن ابن مسعود قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر اطلبوها ليلة سبع وعشرين من رمضان وليلة احدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين ثم سكت أخرجه أبو داود عن عتبة بن عبد الرحمن قال حدثني أبي قال ذكرت ليلة القدر عند أبي بكرة فقال ما أنا بملتمسها لشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا في العشر الاواخر فاني سمعته يقول التمسوها في تسع يبقين أو في سبع يبقين أو في خمس يبقين أو في ثلاث يبقين أو آخر الشهر قال وكان أبو بكرة يصلي في العشرين من رمضان كصلاته في سائر السنة فاذا دخل العشر الاواخر اجتهد أخرجه الترمذي (خ) عن عبادة ابن الصامت قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبر بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى ان يكون خيرا لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة قوله فتلاحى رجلان أي تخاصم رجلان وقوله فرفعت لم يرد رفع عينها وانما أراد رفع بيان وقتها ولو كان المراد رفع وجودها لم يأمر بالتماسها (خ) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي في العشر في سبع مضين أو سبع يبقين يعني ليلة القدر وفي رواية في تاسعة تبقى في سابعة تبقى في خامسة تبقى قال أبو عيسى روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر انها ليلة احدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين وخمس وعشرين وسبع وعشرين وتسع وعشرين وآخر ليلة من رمضان قال الشافعي كأن هذا عندي والله أعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجيب على نحو ما يسئل عنه يقال له نلتمسها في كذا فقال التمسوها في ليلة كذا قال الشافعي وأقوى الروايات عندي فيها ليلة احدى وعشرين قال البغوي وبالجملة أبهم الله تعالى هذه الليلة على الامة ليجتهدوا في العبادة ليالي شهر رمضان طمعا في ادراكها كما أخفى ساعة الاجابة في يوم الجمعة وأخفى الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس واسمه الاعظم في القرآن في أسمائه ورضاه في الطاعات ليرغبوا في جميعها وسخطه في المعاصي

ليـنتهوا

قوله عتبة كذا في نسخة وفي اخرى عتيبة وفي الترمذي الطبع عيينة اهـ مصححه

ليتنبهوا عن جميعها ولو أخفى قيام الساعة ليجتهدوا في الطاعات حذرا من قيامها ومن علاماتها ما روى عن الحسن رفعه انها ليلة بلجة سمحة لا حارة ولا باردة تطلع الشمس صبيحتها بيضاء لا شعاع لها (ق) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر الاواخر أحيا الليل وأيقظ أهله وجد وشد المئزر ولمسلم عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الاواخر من رمضان ما لا يجتهد في غيره (ق) عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف أزواجه من بعده (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان * عن عائشة قالت قلت يا رسول الله ان علمت ليلة القدر ما أقول فيها قال قولي اللهم انك عفو كريم تحب العفو فاعف عني أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وأخرجه النسائي وابن ماجه قوله عز وجل (وما أدراك ما ليلة القدر) أي أي شيء يبلغ درايتك قدرها ومبلغ فضلها وهذا على سبيل التعظيم لها والتشويق الى خبرها ثم ذكر فضلها من ثلاثة أوجه فقال تعالى (ليلة القدر خير من ألف شهر) قال ابن عباس ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني اسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وتمنى ذلك لامته فقال يا رب جعلت امتي أقصر الامم أعمارا وأقلها أعمالا فاعطاه الله تبارك وتعالى ليلة القدر فقال ليلة القدر خير من ألف شهر التي حمل فيها الاسرائيلي السلاح في سبيل الله لك ولامتك الى يوم القيامة وعن مالك أنه سمع من يثق به من أهل العلم أن النبي صلى الله عليه وسلم أرى أعمار الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك فكأنه تقاصر اعمار امته أن لا يبلغوا من العمل مثل الذي يبلغ غيرهم في طول العمر فاعطاه الله ليلة القدر خيرا من ألف شهر اخرجه مالك في الموطا قال المفسرون معناه العمل الصالح في ليلة القدر خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر وانما كان كذلك لما يريد الله تعالى فيها من المنافع والارزاق وأنواع الخير والبركة الوجه الثاني من فضلها قوله عز وجل (تنزل الملائكة) يعني الى الارض وسبب هذا أنهم لما قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها وظهر أن الامر بخلاف ما قالوه وتبين حال المؤمنين وما هم عليه من الطاعة والعبادة والجد والاجتهاد نزلوا اليهم ليسلموا عليهم ويعتذروا عما قالوه ويستغفروا لهم لما يرون من تقصير قد يقع من بعضهم (والروح) يعني جبريل عليه الصلاة والسلام قاله أكثر المفسرين وفي حديث أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كانت ليلة القدر نزل جبريل في كبكبة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم او قاعد يذكر الله عز وجل ذكره ابن الجوزي وقيل ان الروح طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة الا في تلك الليلة ينزلون من لدن غروب الشمس الى طلوع الفجر وقيل ان الروح ملك عظيم ينزل مع الملائكة تلك الليلة (فيها) أي في ليلة القدر (باذن ربهم) اي بامر ربهم (من كل امر) اي بكل امر من الخير والبركة وقيل بكل ما أمر به وقضاه من كل امر الوجه الثالث من فضلها قوله تعالى (سلام) اي سلام على

(وما أدراك ما ليلة القدر) أي لم تبلغ درايتك غاية فضلها ثم بين له ذلك بقوله (ليلة القدر خير من ألف شهر) ليس فيها ليلة القدر وسبب ارتفاع فضلها الى هذه الغاية ما يوجد فيها من تنزل الملائكة والروح وفصل كل أمر حكيم وذكر في تخصيص هذه المدة أن النبي عليه السلام ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر فعجب المؤمنون من ذلك وتقاصرت اليهم أعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي (تنزل الملائكة) الى السماء الدنيا أو الى الارض (والروح) جبريل أو خلق من الملائكة لا تراهم الملائكة الا تلك الليلة او الرحمة (فيها باذن ربهم من كل امر) اى تنزل من اجل كل امر قضاه الله لتلك السنة الى قابل وعليه وقف (سلام

أولياء الله وأهل طاعته قال الشعبي هو تسليم الملائكة في ليلة القدر على أهل المساجد من حين تغيب الشمس الى أن يطلع الفجر وقيل الملائكة ينزلون فيها كلما لقوا مؤمنا أو مؤمنة يسلمون عليه من ربه عز وجل وقيل تم الكلام عند قوله من كل أمر ثم ابتدأ فقال تعالى سلام (هي) يعني ليلة القدر سلامة وخير ليس فيها شر وقيل لا يقدر الله في تلك الليلة ولا يقضي الا السلامة وقيل ان ليلة القدر سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوأ أو يحدث فيها أذى (حتى مطلع الفجر) اى ان ذلك السلام أو السلامة تدوم الى مطلع الفجر والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

(تفسير سورة لم يكن وتسمى سورة البينة)

وهي مدنية قاله الجمهور وفي رواية عن ابن عباس انها مكية وهي ثمان آيات وأربع وتسعون كلمة وثلثمائة وتسعة وتسعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) يعني اليهود والنصارى (والمشركين) أي ومن المشركين وهم عبدة الاوثان وذلك ان الكفار كانوا جنسين أحدهما أهل كتاب وسبب كفرهم ما أحدثوه في دينهم أما اليهود فقولهم عزير ابن الله وتشبيههم الله بخلقه وأما النصارى فقولهم المسيح ابن الله وثالث ثلاثة وغير ذلك والثاني المشركون أهل الاوثان الذين لا ينتسبون الى كتاب فذكر الله الجنسين في قوله لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين (منفكين) أي منتهين عن كفرهم وشركهم وقيل معناه زائلين (حتى تأتيهم) اى حتى أتتهم لفظه مضارع ومعناه الماضي (البينة) أي الحجة الواضحة يعني محمدا صلى الله عليه وسلم أتاهم بالقرآن فبين لهم ضلالاتهم وشركهم وما كانوا عليه من الجاهلية ودعاهم الى الايمان فآمنوا فانقذهم الله من الجهالة والضلالة ولم يكونوا منفصلين عن كفرهم قبل بعثه اليهم والآية فيمن آمن من الفريقين قال الواحدي في بسيطه وهذه الآية من أصعب ما في القرآن نظما وتفسيرا وقد تخبط فيها الكبار من العلماء قال الامام فخر الدين في تفسيره انه لم يلخص كيفية الاشكال فيها وأنا أقول وجه الاشكال أن تقدير الآية لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة التي هي الرسول ثم انه تعالى لم يذكر أنهم منفكون عماذا لكنه معلوم اذ المراد هو الكفر الذي كانوا عليه فصار التقدير لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة التي هي الرسول ثم ان كلمة حتى لانتهاء الغاية فهذه الآية تقتضي أنهم صاروا منفكين عن كفرهم عند اتيان الرسول ثم قال بعد ذلك وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وهذا يقتضي ان كفرهم قد ازداد عند مجيء الرسول فحينئذ يحصل بين الآية الاولى والثانية مناقضة في الظاهر وهذا منتهى الاشكال في ظني قال والجواب عنه من وجوه أولها واحسنها الوجه الذي لخصه صاحب الكشاف وهو أن الكفار من الفريقين أهل الكتاب وعبدة الاوثان كانوا يقولون قبل مبعث محمد

هي) ماهي الاسلامة خبر ومبتدأ اي لا يقدر الله فيها الا السلامة والخير ويقضي في غيرها بلاء وسلامة أو ماهي الاسلام لكثرة ما يسلمون على المؤمنين قيل لا يلقون مؤمنا ولا مؤمنة الا سلموا عليه في تلك الليلة (حتى مطلع الفجر) أي الى وقت طلوع الفجر بكسر اللام حمزة وعلي وخلف وقد حرم من السلام الذين كفروا والله أعلم

(سورة البينة مختلف فيها وهي ثمان آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لم يكن الذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم (من أهل الكتاب) أي اليهود والنصارى وأهل الرجل أخص الناس به وأهل الاسلام من يدين به (والمشركين) عبدة الاصنام (منفكين) منفصلين عن الكفر وحذف لان صلة الذين تدل عليه (حتى تأتيهم البينة) الحجة الواضحة والمراد محمد صلى الله عليه وسلم يقول لم يتركوا كفرهم حتى يبعث محمد صلى الله عليه وسلم فلما بعث أسلم بعض وثبت على الكفر بعض

صلى الله عليه وسلم لا ننفك عما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود
الذي هو مكتوب فى التوراة والانجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله تعالى عنهم
ما كانوا يقولونه ثم قال وما تفرق الذين أوتوا الكتاب اى انهم كانوا يعدون اجتماع
الكلمة والاتفاق على الحق اذا جاءهم الرسول ثم ما فرقهم عن الحق ولا أقرهم على
الكفر الا مجيء الرسول ونظيره فى الكلام ما يقول الفاسق الفقير لمن يعظه لست بمنفك
مما أنا فيه من الافعال القبيحة حتى يرزقني الله الغنى فيرزقه الله الغنى فيزداد فسقا فيقول
واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما غمست رأسك فى الفسق الا بعد اليسار
فيذكره ما كان يقول توبيخا والزاما قال الامام فخر الدين وحاصل هذا الجواب يرجع
الى حرف واحد وهو ان قوله تعالى لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تأتيهم
البينة مذكور حكاية عنهم وقوله وما تفرق الذين أوتوا الكتاب اخبار عن الواقع
والمعنى ان الذى وقع كان بخلاف ما ادعوا وثانيها ان تقدير الآية لم يكن الذين كفروا
منفكين عن كفرهم وان جاءتهم البينة وعلى هذا التقدير يزول الاشكال الا ان تفسير
لفظة حتى بهذا ليس من اللغة فى شيء وذكروا وجوها أخر قال والمختار هو الاول ثم فسر البينة
فقال تعالى (رسول من الله) أى تلك البينة رسول من الله (يتلوا) اى يقرأ الرسول صلى
الله عليه وسلم (صحفا) أى كتبا يريد ما تضمنه المصحف من المكتوب فيه وهو القرآن لانه
كان صلى الله عليه وسلم يقرأ عن ظهر قلبه لا عن كتاب (مطهرة) أى من الباطل والكذب
والزور والمعنى انها مطهرة من القبيح وقيل معنى مطهرة معظمة وقيل مطهرة أى لا ينبغى
ان يمسها الا المطهرون (فيها) أى فى الصحف (كتب) اى الآيات المكتوبة وقيل الكتب
بمعنى الاحكام (قيمة) اى عادلة مستقيمة غير ذات عوج وقيل قيمة بمعنى قائمة مستقلة بالحجة
من قولهم قام بالامر اذا أجراه على وجهه ثم ذكر من لم يؤمن من أهل الكتاب فقال تعالى
(وما تفرق الذين أوتوا الكتاب) يعنى فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم (الا من بعد ما جاءتهم
البينة) يعنى جاءتهم البينة فى كتبهم انه نبي مرسل قال المفسرون لم يزل أهل الكتاب
مجتمعين فى تصديق محمد صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله تعالى فلما بعث تفرقوا فى أمره
واختلفوا فيه فآمن به بعضهم وكفر به آخرون ثم ذكر ما أمروا به فى كتبهم فقال تعالى
(وما أمروا) يعنى هؤلاء الكفار (الا ليعبدوا الله) أى وما أمروا الا أن يعبدوا الله قال
ابن عباس ما أمروا فى التوراة والانجيل الا باخلاص العبادة لله موحدين له (مخلصين له
الدين) الاخلاص عبارة عن النية الخالصة وتجريدها عن شوائب الرياء وهو تنبيه على
ما يجب من تحصيل الاخلاص من ابتداء الفعل الى انتهائه والمخلص هو الذى يأتى
بالحسن لحسنه والواجب لوجوبه والنية الخالصة لما كانت معتبرة كانت النية معتبرة فقد
دلت الآية على ان كل مأمور به فلا بد وأن يكون منويا فلا بد من اعتبار النية فى جميع
المأمورات قال أصحاب الشافعى الوضوء مأمور به ودلت هذه الآية على ان كل مأمور به
يجب ان يكون منويا فتجب النية فى الوضوء وقيل الاخلاص محله القلب وهو ان يأتى

(رسول من الله) أى محمد عليه
السلام وهو بدل من البينة
(يتلوا) يقرأ عليهم (صحفا)
قراطيس (مطهرة) من الباطل
(فيها) فى الصحف (كتب)
مكتوبات (قيمة) مستقيمة ناطقة
بالحق والعدل (وما تفرق
الذين أوتوا الكتاب الا من بعد
ما جاءتهم البينة) فمنهم من
أنكر نبوته بغيا وحسدا ومنهم
من آمن وانما افرد أهل الكتاب
بعد ما جمع أولا بينهم وبين
المشركين لانهم كانوا على علم به
لوجوده فى كتبهم فاذا وصفوا
بالتفرق عنه كان من لا كتاب
له ادخل فى هذا الوصف (وما
أمروا) يعنى فى التوراة والانجيل
(الا ليعبدوا الله مخلصين له
الدين) من غير شرك ونفاق

بالفعل لوجه الله تعالى مخلصا له ولا يريد بذلك رياء ولا سمعة ولا غرضا آخر حتى قالوا فى ذلك لا يجعل طلب الجنة مقصودا ولا النجاة من النار مطلوبا وان كان لابد من ذلك بل يجعل العبد عبادته لمحض العبودية واعترافا له عزوجل بالربوبية وقيل فى معنى مخلصين له الدين مقرين له بالعبودية وقيل قاصدين بقلوبهم رضا الله تعالى بالعبادة (م) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لا ينظر الى أجسامكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم (حنفاء) أى مائلين عن الاديان كلها الى دين الاسلام وقيل متبعين ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقيل حنفاء أى حجاجا وانما قدمه على الصلاة والزكاة لان فيه صلاة وانفاق مال وقيل حنفاء أى مختونين محرمين لنكاح المحارم وقيل الحنيف الذى آمن بجميع الانبياء والرسل ولا يفرق بين أحد منهم فمن لم يؤمن باشرف الانبياء وهو محمد صلى الله عليه وسلم فليس بحنيف (ويقيموا الصلوة) أى المكتوبة فى أوقاتها (ويؤتوا الزكوة) أى المفروضة عند محلها (وذلك) اى الذى أمروا به (دين القيمة) أى الملة المستقيمة والشريعة المتبوعة وانما أضاف الدين الى القيمة وهى نعته لاختلاف اللفظين وأنث القيمة ردا الى الملة وقيل الهاء فى القيمة للمبالغة كعلامة وقيل القيمة الكتب التى جرى ذكرها أى وذلك دين أصحاب الكتب القيمة وقيل القيمة جمع القيم والقيم والقائم واحد والمعنى وذلك دين القائمين لله بالتوحيد واستدل بهذه الآية من يقول ان الايمان قول وعمل لان الله تعالى ذكر الاعتقاد أولا واتبعه بالعمل ثانيا ثم قال وذلك دين القيمة والدين هو الاسلام والاسلام هو الايمان بدليل قوله فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ثم ذكر مال الفريقين فقال تعالى (ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين) فان قلت لم قدم أهل الكتاب على المشركين قلت لان جنايتهم أعظم فى حق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انهم كانوا يستفتحون به قبل بعثته ويقرون بنبوته فلما بعث أنكروه وكذبوه وصدوه مع العلم به فكانت جنايتهم أعظم من المشركين فلهذا قدمهم عليهم فان قلت ان المشركين أعظم جناية من أهل الكتاب لان المشركين أنكروا الصانع والنبوة والقيامة وأهل الكتاب اعترفوا بذلك غير انهم أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم واذا كان كذلك كان كفرهم أخف فلم سوى بين الفريقين فى العذاب قلت لما أراد أهل الكتاب الرفعة فى الدنيا بانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أذلهم الله فى الدنيا وادخلهم أسفل سافلين فى الآخرة ولا يمنع من دخولهم النار مع المشركين ان تتفاوت مراتبهم فى العذاب (فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية) أى هم شر الخلق والمعنى انهم لما استحقوا النار بسبب كفرهم قالوا فهل الى خروج من سبيل فقال بل تبقون خالدين فيها فكأنهم قالوا لم ذلك قال لانكم شر البرية (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) يعنى انهم بسبب أعمالهم الصالحة واجتنابهم الشرك استحقوا هذا الاسم (جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه) قيل الرضا ينقسم الى قسمين رضا به

ورضا

(حنفاء) مؤمنين بجميع الرسل مائلين عن الاديان الباطلة (ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة) أى دين الملة القيمة (ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) ونافع بهمزهما والقراء على التخفيف والنبى والبرية مما استمر الاستعمال على تخفيفه ورفض الاصل (جزاؤهم عند ربهم جنات عدن) اقامة (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم) بقبول أعمالهم (ورضوا عنه) بثوابها

ورضوا عنه فالرضا به ان يكون راضيا ومدبرا والرضا عنه فيما يقضي ويدبر قال السري اذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تسأله الرضا عنك وقيل رضي الله أعمالهم ورضوا عنه بما أعطاهم من الخير والكرامة (ذلك) أي هذا الجزاء والرضا (لمن خشي ربه) أي لمن خاف ربه في الدنيا وانتهى عن المعاصي (ق) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بن كعب ان الله أمرني ان أقرأ عليك لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب قال وسماني قال نعم فبكى وفي رواية البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بن كعب ان الله أمرني ان اقرئك القرآن قال الله سماني لك قال نعم قال وقد ذكرت عند رب العالمين قال نعم قال فذرفت عيناه * (شرح غريب الحديث) * اما بكاء ابي فانه بكى سرورا واستصغارا لنفسه عن تأهله لهذه النعمة العظيمة واعطائه تلك المنزلة الرفيعة والنعمة عليه فيها من وجهين أحدهما كونه منصوصا عليه بعينه والثاني قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فانها منقبة عظيمة لم يشاركه فيها أحد من الصحابة وقيل انما بكى خوفا من تقصيره في شكر هذه النعمة واما تخصيص هذه السورة بالقراءة فانها مع وجازتها جامعة لاصول وقواعد ومهمات عظيمة وكان الحال يقتضي الاختصار واما الحكمة في أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالقراءة على أبي فهي ان يتعلم أبي القراءة من ألفاظه صلى الله عليه وسلم وضبطها لاجل الوزن المشروع وقدره بخلاف ما سواه من النغم المستعملة في غيره فكانت قراءته على ابي ليتعلم ابي منه لا ليتعلم هو من ابي وقيل انما قرأ على ابي ليتعلم غيره التواضع والادب وان لا يستنكف الشريف وصاحب الرتبة العالية ان يتعلم القرآن ممن هو دونه وفيه تنبيه على فضيلة ابي والحث على الاخذ عنه وتقديمه في ذلك فكان كذلك بعد النبي صلى الله عليه وسلم رأسا واماما في القراءة وغيرها وكان احد علماء الصحابة رضي الله عنهم اجمعين والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

(تفسير سورة الزلزلة)

وهي مكية وقيل مدنية وهي ثمان آيات وخمس وثلاثون كلمة ومائة وتسعة واربعون حرفا * عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زلزلت تعدل نصف القرآن وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وقل يا ايها الكافرون تعدل ربع القرآن اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وله عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا زلزلت عدلت له نصف القرآن ومن قرأ قل يا أيها الكافرون عدلت له ربع القرآن ومن قرأ قل هو الله أحد عدلت له ثلث القرآن وقال حديث غريب

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (اذا زلزلت الارض زلزالها) اي تحركت حركة شديدة واضطربت وذلك عند قيام الساعة وقيل تتزلزل من شدة صوت اسرافيل حتى ينكسر كل ما عليها من شدة الزلزلة ولا تسكن حتى تلقي ما على ظهرها من جبل وشجر وبناء وفي وقت هذه الزلزلة قولان أحدهما وهو قول الاكثرين انها في الدنيا وهي من اشراط الساعة والثاني انها

(ذلك) اي الرضا (لمن خشي ربه) وقوله خير البرية يدل على فضل المؤمنين من البشر على الملائكة لان البرية الخلق واشتقاقها من برا الله الخلق وقيل اشتقاقها من البراء وهو التراب ولو كان كذلك لما قرؤا البريئة بالهمز كذا قاله الزجاج والله أعلم

(سورة الزلزلة مختلف فيها وهي ثمان آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا زلزلت الارض زلزالها) اي حركت زلزالها الشديد الذي ليس بعده زلزال وقرئ بفتح الزاي فالمكسور مصدر والمفتوح اسم

(وأخرجت الارض أثقالها) أى كنوزها وموتاها جمع ثقل وهو متاع البيت جعل ما فى جوفها من الدفائن اثقالا لها
(وقال الانسان مالها) زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما فى بطنها وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل

زلزلة يوم القيامة (وأخرجت الارض أثقالها) فمن قال ان الزلزلة تكون فى الدنيا قال أثقالها كنوزها وما فى بطنها من الدفائن والاموال فتلقيها على ظهرها يدل على صحة هذا القول ما روى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقىء الارض افلاذ كبدها امثال الاسطوانة من الذهب والفضة فيجىء القاتل فيقول فى هذا قتلت ويجىء القاطع فيقول فى هذا قطعت رحمى ويجىء السارق فيقول فى هذا قطعت يدى ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيأ أخرجه مسلم والافلاذ جمع فلذة وهى القطعة المستطيلة شبه ما يخرج من باطنها باقطاع كبدها لان الكبد مستور فى الجوف وانما خص الكبد لانها من اطيب ما يشوى عند العرب من الجزور واستعار القىء للاخراج ومن قال بان الزلزلة تكون يوم القيامة قال أثقالها الموتى فتخرجهم الى ظهرها قيل ان الميت اذا كان فى بطن الارض فهو ثقل لها واذا كان فوقها فهو ثقل عليها ومنه سميت الجن والانس بالثقلين لان الارض تثقل بهم احياء وأمواتا (وقال الانسان مالها) أى مالها تزلزلت هذه الزلزلة العظيمة ولفظت ما فى بطنها وفى الانسان وجهان أحدهما أنه اسم جنس يعم المؤمن والكافر وهذا على قول من جعل الزلزلة من اشراط الساعة والمعنى انها حين وقعت لم يعلم الكل انها من اشراط الساعة فيسأل بعضهم بعضا عن ذلك والثانى انه اسم للكافر خاصة وهذا على قول من جعلها زلزلة القيامة لان المؤمن عارف بها فلا يسأل عنها والكافر جاحد لها فاذا وقعت سأل عنها وقيل مجاز الآية (يومئذ تحدث أخبارها) فيقول الانسان مالها والمعنى ان الارض تحدث بكل ما عمل على ظهرها من خير أو شر فتشكو العاصى وتشهد عليه وتشكر الطائع وتشهد له * عن ابى هريرة قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يومئذ تحدث اخبارها قال أتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال فان اخبارها ان تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا وكذا فهذه أخبارها أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح (بان ربك أوحى لها) أى امرها بالكلام واذن لها أن تخبر بما عمل عليها قال ابن عباس أوحى اليها قيل ان الله تعالى يخلق فى الارض الحياة والعقل والنطق حتى تخبر بما أمر الله به وهذا مذهب أهل السنة قوله تعالى (يومئذ يصدر الناس) اى عن موقف الحساب بعد العرض (أشتاتا) اى متفرقين فآخذ ذات اليمين الى الجنة وآخذ ذات الشمال الى النار (ليروا أعمالهم) قال ابن عباس ليروا جزاء أعمالهم وقيل معناه ليروا صحائف اعمالهم التى فيها الخير والشر وهو قوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة) اى وزن نملة صغيرة وقيل هو ما لصق من التراب باليد (خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) قال ابن عباس ليس مؤمن ولا كافر عمل خيرا اوشرا فى الدنيا الا اراه الله اياه يوم القيامة فاما المؤمن فيرى حسناته وسيئاته فيغفر الله

وتلفظ موتاها احياء فيقولون ذلك لما يبهرهم من الامر الفظيع كما يقولون من بعثنا من مرقدنا وقيل هذا قول الكافر لانه كان لا يؤمن بالبعث فاما المؤمن فيقول هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون (يومئذ) بدل من اذا وناصبها (تحدث) أى تحدث الخلق (أخبارها) فحذف أول المفعولين لان المقصود ذكر تحديثها الاخبار لا ذكر الخلق قيل ينطقها الله وتخبر بما عمل عليها من خير وشر وفى الحديث تشهد على كل واحد بما عمل على ظهرها (بأن ربك أوحى لها) أى تحدث أخبارها بسبب ايحاء ربك لها أى اليها وأمره اياها بالتحديث (يومئذ يصدر الناس) يصدرون عن مخارجهم من القبور الى الموقف (اشتاتا) بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين أو يصدرون عن الموقف اشتاتا يتفرق بهم طريقا الجنة والنار (ليروا أعمالهم) أى جزاء أعمالهم (فمن يعمل مثقال ذرة) نملة صغيرة (خيرا) تمييز (يره) أى يرجزاءه (ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) قيل هذا فى الكفار والاول فى المؤمنين وروى ان اعرابيا أخر خيرا يره فقيل له قدمت وأخرت فقال له
خذا بطن هرشى أو قفاها فانه * كلا جانبى هرشى لهن طريق
وروى ان جد الفرزدق أتاه عليه السلام ليستقرئه فقرأ عليه هذه الآية فقال حسبى حسبى وهى أحكم آية وسميت الجامعة والله أعلم

له سيئاته و يثيبه بحسناته وأما الكافر فيرد حسناته ويعذبه بسيئاته وقال محمد بن كعب
القرظي فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره من كافر يرى ثوابه في الدنيا في نفسه وولده
وأهله وماله حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره
من مؤمن يرى عقوبته في الدنيا في نفسه وماله وولده وأهله حتى يخرج من الدنيا وليس
له عند الله شر قيل نزلت هذه الآية في رجلين وذلك أنه لما نزلت ويطعمون الطعام على
حبه وكان أحدهما يأتيه السائل فيستقل أن يطعمه التمرة والكسرة والجوزة ونحو ذلك
ويقول هذا ليس بشئ يؤجر عليه انما يؤجر على ما يعطي ونحن نحبه وكان الآخر يتهاون
بالذنب الصغير مثل الكذبة والنظرة وأشباه ذلك ويقول انما وعد الله النار على الكبائر
وليس في هذا اثم فأنزل الله هذه الآية يرغبهم في القليل من الخير أن يعطوه فانه يوشك
أن يكثر ويحذرهم من اليسير من الذنب فانه يوشك أن يكبر والاثم الصغير في عين
صاحبه يصير مثل الجبل العظيم يوم القيامة قال ابن مسعود أحكم آية في القرآن فمن
يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وسمى رسول الله صلى الله عليه
وسلم هذه الآية الجامعة الفاذة حين سئل عن زكاة الحمير فقال ما أنزل الله فيها شيأ الا
هذه الآية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره
وتصدق عمر بن الخطاب وعائشة كل واحد منهما بحبة عنب وقالا فيها مثاقيل كثيرة
قلت انما كان غرضهما تعليم الغير والا فهما من كرماء الصحابة رضي الله تعالى عنهم
وقال الربيع بن خيثم مر رجل بالحسن وهو يقرأ هذه السورة فلما بلغ آخرها قال حسبي
الله قد انتهت الموعظة والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

(تفسير سورة العاديات)

وهي مكية في قول ابن مسعود وغيره مدنية في قول ابن عباس وهي احدى عشرة آية
وأربعون كلمة ومائة وثلاثة وستون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (والعاديات ضبحا) فيه قولان أحدهما انها الابل في الحج قال علي كرم
الله وجهه هي الابل تعدو من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى منى وعنه قال كانت
أول غزاة في الاسلام بدرا وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد بن الاسود
فكيف تكون العاديات فعلى هذا القول يكون معنى ضبحها مد أعناقها في السير وأصله
من حركة النار في العود (فالموريات قدحا) يعني ان اخفاف الابل ترمي بالحجارة من شدة
عدوها فيضرب الحجر حجرا آخر فيوري النار وقيل هي النيران بجمع (فالمغيرات صبحا)
يعني الابل تدفع بركبانها يوم النحر من جمع الى منى والسنة ان لا يدفع حتى يصبح
والاغارة سرعة السير ومنه قولهم أشرق ثبير كيما نغير (فأثرن به نقعا) أي هيجن بمكان
سيرها غبارا (فوسطن به جمعا) أي وسطن بالنقع جمعا وهو مزدلفة فوجه القسم على هذا
ان الله تعالى اقسم بالابل لما فيها من المنافع الكثيرة وتعريضه بابل الحج للترغيب وفيه

*(سورة العاديات مختلف فيها
وهي احدى عشرة آية)*

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والعاديات ضبحا) اقسم بخيل
الغزاة تعدو فتضبح والضبح
صوت أنفاسها اذا عدون عن
ابن عباس رضي الله عنهما انه
حكاه فقال أح أح وانتصاب
ضبحا على يضبحن (فالموريات)
توري نار الحباحب وهي ما ينقدح
من حوافرها (قدحا) قادحات
صاكات بحوافرها الحجارة
والقدح الصك والايراء اخراج
النار تقول قدح فأورى وقدح
فأصلد وانتصب قدحا بما
انتصب به ضبحا (فالمغيرات)
تغير على العدو (صبحا) في وقت
الصبح (فأثرن به نقعا) فهيجن
بذلك الوقت غبارا (فوسطن
به) بذلك الوقت (جمعا) من
جموع الاعداء ووسطه بمعنى
توسطه وقيل الضمير لمكان
الغارة أو العدو الذي دل عليه
والعاديات وعطف فأثرن على
الفعل الذي وضع اسم الفاعل
موضعه لان المعنى واللاتي
عدون فأورين فأغرن فأثرن
وجواب القسم

تقريع لمن لم يحج بعد القدرة عليه فان الكنود هو الكفور ومن لم يحج بعد الوجوب موصوف بذلك القول الثاني في تفسير والعاديات قال ابن عباس وجماعة هي الخيل العادية في سبيل الله والضبح صوت اجوافها اذا عدت قال ابن عباس وليس شئ من الحيوانات يضبح سوى الفرس والكلب والثعلب وانما تضبح هذه الحيوانات اذا تغير حالها من فزع أو تعب وهو من قول العرب ضبحته النار اذا غيرت لونه فالموريات قدحا يعني انها تورى النار بحوافرها اذا سارت في الحجارة وقيل هي الخيل تهيج الحرب ونار العداوة بين فرسانها وقال ابن عباس هي الخيل تغزو في سبيل الله ثم تأوى بالليل فيورى اصحابها نارا ويصنعون طعامهم وقيل هو مكر الرجال في الحرب والعرب تقول اذا أراد الرجل ان يمكر بصاحبه اما والله لاقدحن لك ثم لاورين لك فالمغيرات صبحا يعني الخيل تغير بفرسانها على العدو عند الصباح لان الناس في غفلة في ذلك الوقت عن الاستعداد فاثرن به اي بالمكان نقعا أي غبارا فوسطن به جمعا أي دخلن به أي بذلك النقع وهو الغبار وقيل صرن بعدوهن وسط جمع العدو وهم الكتيبة وهذا القول في تفسير هذه الآيات أولى بالصحة واشبه بالمعنى لان الضبح من صفة الخيل وكذا ايراء النار بحوافرها واثارة الغبار أيضا وانما أقسم الله بخيل الغزاة لما فيها من المنافع الدينية والدنيوية الاجر والغنيمة وتنبيها على فضلها وفضل رباطها في سبيل الله عز وجل ولما ذكر الله تعالى المقسم به ذكر المقسم عليه فقال تعالى (ان الانسان لربه لكنود) أي لكفور وهو جواب القسم قال ابن عباس الكنود الكفور الجحود لنعمة الله تعالى وقيل الكنود هو العاصي وقيل هو الذي يعد المصائب وينسى النعم وقيل هو قليل الخير مأخوذ من الارض الكنود وهي التي لا تنبت شيأ وقال الفضيل بن عياض الكنود الذي أنسته الخصلة الواحدة من الاساءة الخصال الكثيرة من الاحسان وضده الشكور الذي انسته الخصلة الواحدة من الاحسان الخصال الكثيرة من الاساءة (وانه على ذلك لشهيد) قال أكثر المفسرين وان الله على كونه كنودا لشاهد وقيل الهاء راجعة الى الانسان والمعنى انه شاهد على نفسه بما صنع (وانه) يعني الانسان (لحب الخير) أي المال (لشديد) أي لبخيل والمعنى انه من أجل حب المال لبخيل وقيل معناه وانه لحب المال وايثار الدنيا لقوى شديد (أفلا يعلم) يعني هذا الانسان (اذا بعثر) أي أثير وأخرج (ما في القبور) يعني من الموتى (وحصل ما في الصدور) أي ميز وأبرز ما فيها من الخير والشر (ان ربهم بهم) انما جمع الكناية لان الانسان اسم جنس (يومئذ لخبير) أي عالم والله تعالى خبير بهم في ذلك اليوم وفي غيره ولكن المعنى انه يجازيهم في ذلك اليوم على كفرهم وانما خص أعمال القلوب بالذكر في قوله وحصل ما في الصدور لان اعمال الجوارح تابعة لاعمال القلوب فانه لولا البواعث والارادات التي في القلوب لما حصلت أعمال الجوارح والله أعلم

(تفسير سورة القارعة وهي مكية)

وثمان

(ان الانسان لربه لكنود) لكفور أي انه لنعمة ربه خصوصا الشديد الكفران (وانه) وان الانسان (على ذلك) على كنوده (لشهيد) يشهد على نفسه أو ان الله على كنوده لشاهد على سبيل الوعيد (وانه لحب الخير لشديد) وانه لاجل حب المال لبخيل ممسك أو انه لحب المال لقوى وهو لحب عبادة الله ضعيف (افلا يعلم) الانسان (اذا بعثر) بعث (ما في القبور) من الموتى وما بني من (وحصل ما في الصدور) ميز ما فيها من الخير والشر (ان ربهم بهم يومئذ لخبير) لعالم فيجازيهم على أعمالهم من الخير والشر وخص يومئذ بالذكر وهو عالم بهم في جميع الازمان لان الجزاء يقع يومئذ والله أعلم

(سورة القارعة مكية وهي ثمان آيات)

وثمان آيات وست وثلاثون كلمة ومائة واثنان وخمسون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (القارعة) أصل القرع الصوت الشديد ومنه قوارع الدهر أي شدائده والقارعة من أسماء القيامة سميت بذلك لانها تقرع القلوب بالفزع والشدائد وقيل سميت قارعة بصوت اسرافيل لانه اذا نفخ في الصور مات جميع الخلائق من شدة صوت نفخته (ما القارعة) تهويل وتعظيم والمعنى انها فاقت القوارع في الهول والشدة (وما أدراك ما القارعة) معناه لا علم لك بكنهها لانها في الشدة بحيث لا يبلغها فهم أحد وكيفما قدرت أمرها فهي أعظم من ذلك (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) الفراش هذه الطير التي تراها تتهافت في النار سميت بذلك لفرشها وانتشارها وانما شبه الخلق عند البعث بالفراش لان الفراش اذا ثار لم يتجه لجهة واحدة بل كل واحدة تذهب الى غير جهة الاخرى فدل بهذا التشبيه على ان الخلق في البعث يتفرقون فيذهب كل واحد الى غير جهة الآخر والمبثوث المتفرق وشبههم أيضا بالجراد فقال كأنهم جراد منتشر وانما شبههم بالجراد لكثرتهم قال الفراء كغوغاء الجراد يركب بعضه بعضا فشبه الناس عند البعث بالجراد لكثرتهم يموج بعضهم في بعض ويركب بعضهم بعضا من شدة الهول (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) أي كالصوف المندوف وذلك لانها تتفرق اجزاؤها في ذلك اليوم حتى تصير كالصوف المتطاير عند الندف وانما ضم بين حال الناس وحال الجبال كانه تعالى نبه على تأثير تلك القارعة في الجبال العظيمة الصلدة الصلبة حتى تصير كالعهن المنفوش فكيف حال الانسان الضعيف عند سماع صوت القارعة ثم لما ذكر حال القيامة قسم الخلق على قسمين فقال تعالى (فأما من ثقلت موازينه) يعني رجحت موازين حسناته قيل هو جمع موزون وهو العمل الذي له قدر وخطر عند الله تعالى وقيل هو جمع ميزان وهو الذي له لسان وكفتان توزن فيه الاعمال فيؤتى بحسنات المؤمن في أحسن صورة فتوضع في كفة الميزان فان رجحت فالجنة له ويؤتى بسيئات الكافر في أقبح صورة فتخف ميزانه فيدخل النار وقيل انما توزن أعمال المؤمنين فمن ثقلت حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن ثقلت سيئاته على حسناته دخل النار فيقتص منه على قدرها ثم يخرج منها فيدخل الجنة او يعفو الله عنه بكرمه فيدخل الجنة بفضل الله وكرمه ورحمته وأما الكافرون فقد قال في حقهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا روي عن أبي بكر الصديق أنه قال انما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في دار الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان يوضع فيه الحق غدا أن يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل غدا أن يكون خفيفا قوله تعالى (فهو في عيشة راضية) أي مرضية في الجنة وقيل في عيشة ذات رضا يرضاها صاحبها (واما من خفت موازينه) أي رجحت سيئاته على حسناته (فامه هاوية) أي مسكنه النار سمي المسكن أما لان الاصل في السكون الامهات وقيل معناه فام رأسه هاوية في

(بسم الله الرحمن الرحيم)
(القارعة) مبتدأ (ما) مبتدأ ثان (القارعة) خبره والجملة خبر المبتدا الاول وكان حقه ماهي وانما كرر تفخيما لشأنها (وما أدراك ما القارعة) أي أي شئ أعلمك ماهي ومن أين علمت ذلك (يوم) نصب بمضمر دلت عليه القارعة أي تقرع يوم (يكون الناس كالفراش المبثوث) شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير الى الداعي من كل جانب كما يتطاير الفراش الى النار وسمي فراشا لتفرشه وانتشاره (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) وشبه الجبال بالعهن وهو الصوف المصبغ الوانا لانها ألوان ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وبالمنفوش منه لتفرق اجزائها (فامامن ثقلت موازينه) باتباعهم الحق وهي جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله أو جمع ميزان وثقلها رجحانها (فهو في عيشة راضية) ذات رضا او مرضية (وأما من خفت موازينه) باتباعه الباطل (فامه هاوية) فمسكنه ومأواه النار وقيل للمأوى أم على التشبيه لان الام ماوى الولد ومفزعه

النار والهاوية اسم من أسماء النار وهي المهواة التي لا يدرك قعرها فيهوون فيها على رؤسهم وقيل كان الرجل اذا وقع في أمر شديد يقال هوت أمه أي هلكت حزنا وثكلا (وما أدراك ماهيه) يعني الهاوية ثم فسرها فقال (نار حامية) أي حارة قد انتهى حرها نعوذ بالله وعظمته منها والله سبحانه وتعالى أعلم

(تفسير سورة التكاثر مكية)
(وهي ثمان آيات وثمان وعشرون كلمة ومائة وعشرون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (ألهاكم التكاثر) أي اشغلتكم المفاخرة والمباهاة والمكاثرة بكثرة المال والعدد والمناقب عن طاعة الله ربكم وما ينجيكم عن سخطه ومعلوم ان من اشتغل بشيء أعرض عن غيره فينبغي للمؤمن العاقل ان يكون سعيه وشغله في تقديم الاهم وهو ما يقربه من ربه عز وجل فالتفاخر بالمال والجاه والاعوان والاقرباء تفاخر باخس المراتب والاشتغال به يمنع الانسان من الاشتغال بتحصيل السعادة الاخروية التي هي سعادة الابد ويدل على ان المكاثرة والمفاخرة بالمال مذمومة ما روى عن مطرف بن عبد الله ابن الشخير عن أبيه قال انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية ألهاكم التكاثر فقال يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت أو أكلت فافنيت او لبست فابليت أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح (خ) عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد يتبعه ماله وأهله وعمله فيرجع أهله وماله و يبقى عمله (حتى زرتم المقابر) أي حتى متم ودفنتم في المقابر يقال لمن مات زار قبره وزار رمسه فيكون معنى الآية ألهاكم حرصكم على تكثير أموالكم عن طاعة ربكم حتى أتاكم الموت وأنتم على ذلك قيل نزلت هذه الآية في اليهود قالوا نحن أكثر من بني فلان و بنو فلان أكثر من بني فلان شغلهم ذلك حتى ماتوا ضلالا وقيل نزلت في حيين من قريش وهما بنو عبد مناف وبنو سهم بن عمرو وكان بينهم تفاخر فتعادوا القادة والاشراف أيهم أكثر فقال بنو عبد مناف نحن أكثر سيدا وأعز عزا وأعظم نفرا وأكثر عددا وقال بنو سهم مثل ذلك فكاثرهم بنو عبد مناف ثم قالوا نعد موتانا فعدوا الموتى حتى زاروا القبور فعدوهم فقالوا هذا قبر فلان وهذا قبر فلان فكثرهم بنو سهم بثلاثة أبيات لانهم كانوا في الجاهلية أكثر عددا فانزل الله هذه الآية وهذا القول أشبه بظاهر القرآن لان قوله حتى زرتم المقابر يدل على أمر مضى فكانه تعالى يعجبهم من أنفسهم و يقول مجيبا هب انكم أكثر منهم عددا فماذا ينفع ثم رد الله تعالى عليهم فقال (كلا) أي ليس الامر كما يتوهمه هؤلاء بالتكاثر والتفاخر وقيل المعنى حقا (سوف تعلمون) وعيد لهم (ثم كلا سوف تعلمون) كرره تأكيدا والمعنى سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاخركم اذا نزل بكم الموت فهو وعيد بعد وعيد وقيل معناه كلا سوف يعلمون يعني الكافرين ثم

(وما أدراك ماهيه) الضمير يعود الى هاوية والهاء للسكت ثم فسرها فقال (نار حامية) بلغت النهاية في الحرارة والله أعلم

(سورة التكاثر مكية وهي ثمان آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ألهاكم التكاثر) شغلكم التباري في الكثرة والتباهي بها في الاموال والاولاد عن طاعة الله (حتى زرتم المقابر) حتى أدرككم الموت على تلك الحال أو حتى زرتم المقابر وعددتم من في المقابر من موتاكم (كلا) ردع وتنبيه على انه لا ينبغي للناظر لنفسه ان تكون الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه (سوف تعلمون) عند النزع (ثم سوف) عاقبة ما كنتم عليه (ثم كلا سوف تعلمون) في القبور

كلا سوف تعلمون يعنى المؤمنين وصاحب هذا القول يقرأ الاولى بالياء والثانية بالتاء (كلا لو تعلمون علم اليقين) أى علما يقينا وجواب لو محذوف والمعنى لو تعلمون علما يقينا لشغلكم ما تعلمون عن التكاثر والتفاخر قال قتادة كنا نحدث أن علم اليقين ان يعلم أن الله باعثه بعد الموت (لترون الجحيم) اللام تدل على أنه جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد وان ما أوعدوا به لا يدخله شك ولا ريب والمعنى انكم ترون الجحيم بابصاركم بعد الموت (ثم لترونها) يعنى مشاهدة (عين اليقين) وانما كرر الرؤية لتأكيد الوعيد (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) يعنى ان كفار مكة كانوا فى الدنيا فى الخير والنعمة فيسئلون يوم القيامة عن شكر ما كانوا فيه لانهم لم يشكروا رب النعيم حيث عبدوا غيره ثم يعذبون على ترك الشكر وذلك لان الكفار لما ألهاهم التكاثر بالدنيا والتفاخر بلذاتها عن طاعة الله والاشتغال بشكره سألهم عن ذلك وقيل ان هذا السؤال يعم الكافر والمؤمن وهو الاولى لكن سؤال الكافر توبيخ وتقريع لانه ترك شكر ما أنعم الله به عليه والمؤمن يسئل سؤال تشريف وتكريم لانه شكر ما أنعم الله به عليه واطاع ربه فيكون السؤال فى حقه تذكرة بنعم الله عليه يدل على ذلك ما روى عن الزبير قال لما نزلت ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم قال الزبير يا رسول الله وأى نعيم نسئل عنه وانما هما الاسودان التمر والماء قال أما انه سيكون أخرجه الترمذى وقال حديث حسن واختلفوا فى النعيم الذى يسئل العبد عنه فروى عن ابن مسعود رفعه قال لتسئلن يومئذ عن النعيم قال الامن والصحة * عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما يسئل عنه العبد يوم القيامة من النعيم فيقال له ألم نصح لك جسمك ونروك من الماء البارد أخرجه الترمذى وقال حديث غريب (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم او ليلة فاذا هو بابى بكر وعمر فقال صلى الله عليه وسلم ما اخرجكما من بيوتكما هذه الساعة قالا الجوع يا رسول الله قال وأنا والذى نفسى بيده لاخرجنى الذى اخرجكما فقوموا فقاموا معه فاتى رجلا من الانصار فاذا هو ليس فى بيته فلما رأته المرأة قالت مرحبا واهلا فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أين فلان قالت ذهب يستعذب لنا الماء اذ جاء الانصارى فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ثم قال الحمد لله ما احد اليوم اكرم اضيافا منى قال فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال كلوا واخذ المدية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب فذبح لهم شاة فاكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما شبعوا ورووا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر وعمر والذى نفسى بيده لتسئلن عن هذا النعيم يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى اصابكم هذا النعيم واخرجه الترمذى باطول من هذا وفيه ظل بارد ورطب طيب وماء بارد وروى عن ابن عباس قال النعيم صحة الابدان والاسماع والابصار يسأل الله العبيد يوم القيامة فيم استعملوها وهو اعلم بذلك منهم وقيل يسأل عن الصحة والفراغ والمال (خ) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ

(كلا) تكرير الردع للانذار والتخويف (لو تعلمون) جواب لو محذوف أى لو تعلمون ما بين أيديكم (علم اليقين) علم الامر اليقين أى كعلمكم ما تستيقنونه من الامور لما ألهاكم التكاثر أو لفعلتم مالا يوصف ولكنكم ضلال جهلة (لترون الجحيم) هو جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد لترون بضم التاء شامى وعلى (ثم لترونها) كرره معطوفا بثم تغليظا فى التهديد وزيادة فى التهويل أو الاول بالقلب والثانى بالعين (عين اليقين) أى الرؤية التى هى نفس اليقين وخالصته (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) عن الامن والصحة فيم أفنيتموهما عن ابن مسعود رضى الله عنه وقيل عن النعيم الذى شغلكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه وعن الحسن ما سوى كن يؤويه واثواب تواريه وكسرة تقويه وقد روى مرفوعا والله أعلم

وقيل الذي يسئل العبد عنه هو القدر الزائد على ما يحتاج اليه فانه لا بد لكل أحد من مطعم ومشرب وملبس ومسكن وقيل يسئل عن تخفيف الشرائع وتيسير القرآن وقيل عن الاسلام فانه أكبر النعم وقيل يسأل عما أنعم به عليكم وهو محمد صلى الله عليه وسلم الذي أنقذكم به من الضلال الى الهدى والنور وامتن به عليكم والله أعلم

(تفسير سورة العصر وهي مكية)

قاله ابن عباس والجمهور وقيل مدنية وهي ثلاث آيات وأربع عشرة كلمة وثمانية وستون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (والعصر) قال ابن عباس هو الدهر قيل أقسم الله به لما فيه من العبر والعجائب للناظر وقد ورد في الحديث لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر وذلك لانهم كانوا يضيفون النوائب والنوازل الى الدهر فاقسم به تنبيها على شرفه وأن الله هو المؤثر فيه فما حصل فيه من النوائب والنوازل كان بقضاء الله وقدره وقيل تقديره ورب العصر وقيل أراد بالعصر الليل والنهار لانهما يقال لهما العصران فنبه على شرف الليل والنهار لانهما خزانتان لاعمال العباد وقيل أراد بالعصر آخر طرفي النهار أقسم بالعشي كما أقسم بالضحى وقيل أراد صلاة العصر أقسم بها لشرفها ولانها الصلاة الوسطى في قول بدليل قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى لما قيل هي صلاة العصر والذي في مصحف عائشة رضي الله عنها وحفصة والصلوة الوسطى صلاة العصر وفي الصحيحين شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر وقال صلى الله عليه وسلم من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر اهله وماله وقيل أراد بالعصر زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقسم بزمانه كما أقسم بمكانه في قوله لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد نبه بذلك على أن زمانه أفضل الازمان وأشرفها وجواب القسم قوله تعالى (ان الانسان لفي خسر) أي لفي خسران ونقصان قيل أراد بالانسان جنس الانسان بدليل قولهم كثر الدرهم في ايدي الناس أي الدراهم وذلك لان الانسان لا ينفك عن خسران لان الخسران هو تضييع عمره وذلك لان كل ساعة تمر من عمر الانسان اما أن تكون تلك الساعة في طاعة أو معصية فان كانت في معصية فهو الخسران المبين الظاهر وان كانت في طاعة فلعل غيرها أفضل وهو قادر على الاتيان بها فكان فعل غير الافضل تضييعا وخسرانا فبان بذلك انه لا ينفك أحد من خسران وقيل ان سعادة الانسان في طلب الآخرة وحبها والاعراض عن الدنيا ثم ان الاسباب الداعية الى حب الآخرة خفية والاسباب الداعية الى حب الدنيا ظاهرة فلهذا السبب كان أكثر الناس مشتغلين بحب الدنيا مستغرقين في طلبها فكانوا في خسار وبوار قد أهلكوا أنفسهم بتضييع أعمارهم وقيل أراد بالانسان الكافر بدليل انه استثنى المؤمنين فقال تعالى (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) يعني فانهم ليسوا في خسر والمعنى أن كل ما مر من عمر الانسان في

(سورة العصر مختلف فيها وهي ثلاث آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والعصر) أقسم بصلاة العصر لفضلها بدليل قوله تعالى والصلوة الوسطى صلاة العصر في مصحف حفصة ولان التكاليف في أدائها أشق لتهافت الناس في تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم بمعايشهم أو أقسم بالعشي كما أقسم بالضحى لما فيهما من دلائل القدرة أو أقسم بالزمان لما في مروره من أصناف العجائب وجواب القسم (ان الانسان لفي خسر) أي جنس الانسان لفي خسران من تجاراتهم (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم اشتروا الآخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا

طاعة الله تعالى فهو فى صلاح وخير وما كان بضده فهو فى خسر وفساد وهلاك (وتواصوا) أى أوصى بعض المؤمنين بعضا (بالحق) يعنى بالقرآن والعمل بما فيه وقيل بالايمان والتوحيد (وتواصوا بالصبر) أى على أداء الفرائض واقامة أمر الله وحدوده وقيل أراد ان الانسان اذا عمر فى الدنيا وهرم لفى نقص وتراجع الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانهم تكتب أجورهم ومحاسن أعمالهم التى كانوا يعملونها فى شبابهم وصحتهم وهى مثل قوله لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون والله سبحانه وتعالى أعلم

(تفسير سورة الهمزة)

وهى مكية وتسع آيات وثلاثون كلمة ومائة وثلاثون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (ويل) أى قبح وقيل هو اسم واد فى جهنم (لكل همزة لمزة) قال ابن عباس هم المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون للبرآء العيب (١) وقيل معناهما واحد وهو العياب المغتاب للناس فى بعضهم قال الشاعر

اذا لقيتك من كره تكاشرنى ※ ٢وان تغيبت كنت الهامز اللمزا

وقيل بل يختلف معناهما فقيل الهمزة الذى يعيبك فى الغيب واللمزة الذى يعيبك فى الوجه وقيل هو على ضده وقيل الهمزة الذى يهمز الناس بيده ويضربهم واللمزة الذى يلمزهم بلسانه ويعيبهم وقيل هو الذى يهمز بلسانه ويلمز بعينه وقيل الهمزة الذى يوذى جليسه بسوء اللفظ واللمزة الذى يرمق بعينه ويشير برأسه ويرمز بحاجبه وقيل الهمزة المغتاب للناس واللمزة الطعان فى أنسابهم وحاصل هذه الاقاويل يرجع الى أصل واحد وهو الطعن واظهار العيب وأصل الهمز الكسر والقبض على الشئ بالعنف والمراد منه هنا الكسر من اعراض الناس والغض منهم والطعن فيهم ويدخل فيه من يحاكى الناس بأقوالهم وأفعالهم وأصواتهم ليضحكوا منه وهما نعتان للفاعل على نحو سخرة وضحكة للذى يسخر ويضحك من الناس واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية فقيل نزلت فى الاخنس بن شريق بن وهب كان يقع فى الناس ويغتابهم وقال محمد بن اسحق مازلنا نسمع ان سورة الهمزة نزلت فى أمية بن خلف الجمحى وقيل نزلت فى الوليد بن المغيرة كان يغتاب النبى صلى الله عليه وسلم من ورائه ويطعن عليه فى وجهه وقيل نزلت فى العاص ابن وائل السهمى وقيل هى عامة فى كل شخص هذه صفته كائنا من كان وذلك لان خصوص السبب لا يقدح فى عموم اللفظ والحكم ومن قال انها فى أناس معينين قال ان كون اللفظ عاما لا ينافى أن يكون المراد منه شخصا معينا وهو تخصيص العام بقرينة العرف والاولى ان تحمل على العموم فى كل من هذه صفته ثم وصفه فقال تعالى (الذى جمع مالا) وانما وصفه بهذا الوصف لانه يجرى مجرى السبب والعلة فى الهمز واللمز يعنى وهو اعجابه بما جمع من المال يستصغر الناس ويسخر منهم وانما نكر مالا لانه بالنسبة الى مال هو أكثر منه كالشئ الحقير وان كان عظيما عند صاحبه فكيف يليق بالعاقل

وتواصوا بالحق) بالامر الثابت الذى لا يسوغ انكاره وهو الخير كله من توحيد الله وطاعته واتباع كتبه ورسله (وتواصوا بالصبر) عن المعاصى وعلى الطاعات وعلى ما يبلو به الله عباده وتواصوا فى الموضعين فعل ماض معطوف على ماض قبله والله أعلم

(سورة الهمزة مكية وهى تسع آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم ويل) مبتدأ خبره (لكل همزة) أى الذى يعيب الناس من خلفهم (لمزة) أى من يعيبهم مواجهة وبناء فعلة يدل على ان ذلك عادة منه قيل نزلت فى الاخنس ابن شريق وكانت عادته الغيبة والوقيعة وقيل فى أمية بن خلف وقيل فى الوليد ويجوز ان يكون السبب خاصا والوعيد عاما ليتناول كل من باشر ذلك القبيح (الذى) بدل من كل أو نصب على الذم (جمع مالا) جمع شامى وحمزة وعلى مبالغة جمع وهو مطابق لقوله

١ قوله وقيل معناهما واحد ظاهره ان ما قبله ليس كذلك وليس كذلك اهـ مصححه

٢ قوله وان تغيبت الخ كذا فى بعض النسخ وفى الكشاف وان أغيب فانت الهامز اللمزة

(وعدده) اى جعله عدة لحوادث الدهر (يحسب أن ماله أخلده) اى تركه خالدا فى الدنيا لايموت اوهو تعريض بالعمل الصالح وانه هو الذى أخلد صاحبه فى النعيم فأما المال فما أخلد أحدا فيه (كلا) ردع له عن حسبانه (لينبذن) أى الذى جمع (فى الحطمة) فى النار التى شانها ان تحطم كل ما يلقى فيها (وما أدراك ما الحطمة) تعجيب وتعظيم (نار الله) خبر مبتدا محذوف اى هى نار الله (الموقدة) نعتها (التى تطلع على الافئدة) يعنى انها تدخل فى أجوافهم حتى تصل الى صدورهم وتطلع على أفئدتهم وهى أوساط القلوب ولا شئ فى بدن الانسان ألطف من الفؤاد ولا أشد ألما منه بادنى أذى يمسه فكيف اذا اطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه وقيل خص الافئدة لانها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة ومعنى اطلاع النار عليها أنها تشتمل عليها (انها عليهم) اى النار أو الحطمة (مؤصدة) مطبقة (فى عمد) بضمتين كوفى غير حفص الباقون فى عمد وهما لغتان فى جمع عماد كاهاب واهب وحمار وحمر (ممددة) اى تؤصد عليهم الابواب وتمدد على الابواب العمد استيثاقا فى استيثاق فى الحديث المؤمن كيس فطن وقاف متثبت لا يعجل عالم ورع والمنافق همزة لمزة حطمة كحاطب الليل لا يبالى من اين اكتسب وفيم أنفق والله أعلم

(سورة الفيل مكية وهى خمس آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

ألم تر كيف فعل ربك) كيف فى موضع نصب بفعل لا بالم تر لما فى كيف من معنى الاستفهام والجملة سدت مسد مفعولى ترى وفى ماذ كره ألم تر تعجيب اى عجب الله نبيه من كفر العرب وقد شاهدت هذه العظمة من آيات الله والمعنى انك رايت آثار صنع الله بالحبشة وسمعت الاخبار به متواترا فقامت لك مقام المشاهدة (باصحاب الفيل) روى أن ابرهة بن الصباح ملك اليمن

ان يفتخر بالشئ الحقير (وعدده) اى أحصاه من العدد وقيل هو من العدة أى استعده وجعله ذخيرة وغنى له (يحسب ان ماله أخلده) أى يظن انه يخلد فى الدنيا ولا يموت ليساره وغناه قال الحسن ما رأيت يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت ومعناه أن الناس لا يشكون فى الموت مع انهم يعملون عمل من يظن انه يخلد فى الدنيا ولا يموت (كلا) رد عليه اى لا يخلده ماله بل يخلده ذكر العلم والعمل الصالح ومنه قول على مات خزان المال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقى الدهر وقيل معناه حقا (لينبذن) واللام فى لينبذن جواب القسم فدل ذلك على حصول معنى القسم ومعنى لينبذن ليطرحن (فى الحطمة) اى فى النار وهو اسم من أسمائها مثل سقر ولظى وقيل هو اسم للدركة الثانية منها وسميت حطمة لانها تحطم العظام وتكسرها والمعنى يا أيها الهمزة اللمزة الذى يا كل لحوم الناس ويكسر من اعراضهم ان وراءك الحطمة التى تأكل اللحوم وتكسر العظام (وما أدراك ما الحطمة) اى نار لا كسائر النيران (نار الله) انما أضافها اليه على سبيل التفخيم والتعظيم لها (الموقدة) اى لا تخمد أبدا عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوقد على النار الف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهى سوداء مظلمة أخرجه الترمذى قال ويروى عن أبى هريرة موقوفا وهو أصح (التى تطلع على الافئدة) اى يبلغ المها ووجعها الى القلوب والمعنى انها تا كل كل شئ حتى تنتهى الى الفؤاد وانما خص الفؤاد بالذكر لانه ألطف شئ فى بدن الانسان وانه يتألم بادنى شئ فكيف اذا اطلعت عليه واستولت عليه ثم انه مع لطافته لا يحترق اذ لو احترق لمات صاحبه وليس فى النار موت وقيل انما خصه بالذكر لان القلب موطن الكفر والعقائد والنيات الفاسدة (انها عليهم مؤصدة) أى مطبقة مغلقة (فى عمد ممددة) قال ابن عباس أدخلهم فى عمد فمدت عليهم بعماد وفى أعناقهم السلاسل سدت عليهم بها الابواب وقال قتادة بلغنا انها عمد يعذبون بها فى النار وقيل هى أوتاد الاطباق التى تطبق على أهل النار والمعنى انها مطبقة عليهم باوتاد ممدودة وقيل اطبقت الابواب عليهم ثم سدت باوتاد من حديد من نار حتى يرجع عليهم غمها وحرها فلا ينفتح عليهم باب ولا يدخل عليهم روح وممددة صفة العمد أى مطولة فتكون أرسخ من القصيرة نعوذ بالله من النار وحرها والله سبحانه وتعالى أعلم

(تفسير سورة الفيل)

وهى مكية وخمس آيات وعشرون كلمة وستة وتسعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل) كانت قصة أصحاب الفيل على

ماذكره محمد بن اسحاق عن بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس
وذكره الواقدى أن النجاشى ملك الحبشة كان بعث أرباط الى اليمن فغلب عليها فقام
رجل من الحبشة يقال له ابرهة بن الصباح بن يكسوم فساخط أرباط فى أمر الحبشة حتى
انصدعوا صدعين فكانت طائفة مع أرباط وطائفة مع ابرهة فتزاحفا فقتل ابرهة ارباط
واجتمعت الحبشة لابرهة وغلب على اليمن وأقره النجاشى على عمله ثم ان ابرهة رأى
الناس يتجهزون أيام الموسم الى مكة لحج بيت الله عزوجل فبنى كنيسة بصنعاء وكتب
الى النجاشى انى قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يبن الملك مثلها ولست منتهيا حتى اصرف
اليها حج العرب فسمع بذلك مالك بن كنانة فخرج لها ليلا فدخل وتغوط فيها ولطخ
بالعذرة قبلتها فبلغ ذلك ابرهة فقال من اجترأ على فقيل صنع ذلك رجل من العرب من
أهل ذلك البيت سمع بالذى قلت فحلف ابرهة عند ذلك ليسيرن الى الكعبة حتى يهدمها
فكتب الى النجاشى يخبره بذلك وسأله ان يبعث اليه بفيله وكان له فيل يقال له محمود
وكان فيلا لم ير مثله عظما وجسما وقوة فبعث به اليه فخرج ابرهة فى الحبشة سائرا الى مكة
وخرج معهم الفيل فسمعت العرب بذلك فعظموه ورأوا جهاده حقا عليهم فخرج ملك من
ملوك اليمن يقال له ذونفر بمن أطاعه من قومه فقاتلوه فهزمه ابرهة وأخذ ذانفر فقال
يا أيها الملك استبقنى فان بقائى خير لك من قتلى فاستحياه وأوثقه وكان ابرهة رجلا
حليما ثم سار حتى اذا دنا من بلاد خثعم خرج اليه نفيل بن حبيب الخثعمى فى خثعم ومن
اجتمع اليه من قبائل اليمن فقاتلوه فهزمهم وأخذ نفيلا فقال نفيل أيها الملك انى دليل
بارض العرب وهاتان يداى على قومى بالسمع والطاعة فاستبقاه وخرج معه يدله حتى اذا
مر بالطائف خرج اليه مسعود بن مغيث فى رجال من ثقيف فقال أيها الملك نحن عبيدك
ليس عندنا خلاف لك انما تريد البيت الذى بمكة نحن نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا
معه ابا رغال مولى لهم فخرج حتى اذا كان بالمغمس مات أبو رغال وهو الذى يرجم
قبره وبعث ابرهة رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مسعود على مقدمة خيله وأمره
بالغارة على نعم الناس فجمع الاسود أموال اصحاب الحرم واصاب لعبد المطلب مائتى
بعير ثم ان ابرهة أرسل بحناطة الحميرى الى أهل مكة وقال له سل عن شريفها ثم أبلغه
ما أرسلك به اليه أخبره انى لم آت لقتال انما جئت لاهدم هذا البيت فانطلق حتى دخل
مكة فلقى عبد المطلب بن هاشم فقال له ان الملك أرسلنى اليك لاخبرك انه لم يأت لقتال الا
ان تقاتلوه انما جاء لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم فقال عبد المطلب ماله عندنا
قتال ولا لنا به يد انا سنخلى بينه وبين ما جاء له فان هذا بيت الله الحرام وبيت ابراهيم
خليله عليه الصلاة والسلام فان يمنعه فهو بيته وحرمه وان يخل بينه وبين ذلك فوالله
ما لنا به قوة قال فانطلق معى الى الملك فزعم بعض العلماء انه أردفه على بغلة كان عليها
وركب معه بعض بنيه حتى قدم العسكر وكان ذونفر صديقا لعبد المطلب فاتاه فقال يا
ذانفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا قال فاغناء رجل اسير لا يامن ان يقتل بكرة اوعشية
ولكن سابعث الى انيس سائس الفيل فانه لى صديق فاسأله ان يصنع لك عند الملك

ما استطاع من خير و يعظم خطرك ومنزلتك عنده قال فارسل الى أنيس فأتاه فقال له ان هذا سيد قريش وصاحب عير مكة يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤس الجبال وقد أصاب الملك له مائتى بعير فان استطعت ان تنفعه عنده فانفعه فانه صديق لى أحب ما وصل اليه من الخير فدخل انيس على ابرهة فقال أيها الملك هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤس الجبال يستأذن عليك وأنا أحب ان تاذن له فيكلمك فقد جاء غير ناصب لك ولا مخالف عليك فاذن له وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيما فلما رآه ابرهة عظمه وأكرمه وكره ان يجلس معه على السرير وان يجلس تحته فهبط الى البساط فجلس عليه ثم دعاه فاجلسه معه ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك الى الملك فقال الترجمان ذلك له فقال له عبد المطلب حاجتى الى الملك ان يرد على مائتى بعير أصابها لى فقال ابرهة لترجمانه قل له قد كنت أعجبتنى حين رأيتك ولقد زهدت الآن فيك قال لم قال جئت الى بيت هو دينك ودين آبائك وهو شرفكم وعصمتكم لاهدمه لم تكلمنى فيه وتكلمنى فى مائتى بعير اصبتها الك قال عبد المطلب أنا رب هذه الابل ولهذا البيت رب سيمنعه منك قال ما كان ليمنعه منى قال فانت وذاك فأمر بابله فردت عليه فلما ردت الابل على عبد المطلب خرج فاخبر قريشا الخبر وأمرهم ان يتفرقوا فى الشعاب ويتحرزوا فى رؤس الجبال تخوفا عليهم من معرة الحبش ففعلوا وأتى عبد المطلب الكعبة وأخذ حلقة الباب وجعل يقول

يارب لاأرجو لهم سواكا * يارب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا * امنعهم ان يخربوا قراكا

وقال أيضا

لاهم ان العبد يمنع رحله فامنع رحالك
وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك
لايغلبن صليبهم * ومحالهم عدوا محالك
جروا جموع بلادهم * والفيل كى يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم * جهلا وماراقبوا جلالك
ان كنت تاركهم وكعبتنا فامر ما بدالك *

ثم ترك عبد المطلب الحلقة وتوجه فى بعض تلك الوجوه مع قومه وأصبح ابرهة بالمغمس وقد تهيأ للدخول وهيأ جيشه وهيأ فيله وكان فيلا لم يرمثله فى العظم والقوة ويقال كان معه اثناعشر فيلا فاقبل نفيل الى الفيل الاعظم ثم أخذ باذنه وقال له ابرك محمودا وارجع راشدا من حيث جئت فانك ببلد الله الحرام فبرك الفيل فبعثوه فابى فضربوه بالمعول فى رأسه فادخلوا محاجنهم تحت مراقه ومرافقه ففزعوه ليقوم فابى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك فصرفوه الى الحرم فبرك وأبى أن يقوم وخرج نفيل يشتد حتى صعد الجبل وأرسل الله عزوجل طيرا من البحر أمثال الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة أحجار

حجران في رجليه وحجر في منقاره امثال الحمص والعدس فلما غشين القوم أرسلنها عليهم فلم تصب تلك الحجارة أحدا الا هلك وليس كل قوم اصابت وخرجوا هاربين لا يهتدون الى الطريق الذي جاؤا منه ويتساءلون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق الى اليمن ونفيل ينظر اليهم من بعض الجبال وفي ذلك يقول نفيل

فانك مارأيت ولن تراه * لدى جنب المحصب مارأينا
حمدت الله اذ أبصرت طيرا * وحصب حجارة تلقى علينا
وكلهم يسائل عن نفيل * كأن على للحبشان دينا

وخرج القوم وماج بعضهم في بعض يتساقطون بكل طريق ويهلكون في كل منهل وبعث الله على ابرهة داء في جسده فجعل تتساقط أنامله كلما سقطت انملة تبعتها مدة من قيح ودم فانتهى الى صنعاء وهو مثل فرخ الطير فيمن بقي من أصحابه ومامات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم هلك قال الواقدي وأما محمود فيل النجاشي فربض ولم يشجع على الحرم فنجا والفيل الآخر شجع والحصبوا أي رموا بالحصباء وقال بعضهم انفلت أبو يكسوم وزير ابرهة وتبعه طير يحلق فوق رأسه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما أنهاها وقع عليه حجر من ذلك الطير فخر ميتا بين يدي النجاشي قال أمية بن أبي الصلت

ان آيات ربنا ساطعات * مايماري فيهن الا الكفور
حبس الفيل بالمغمس حتى * ظل يحبو كأنه معقور

وروى عن عائشة رضي الله عنها قالت رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة يستطعمان الناس وزعم مقاتل بن سليمان ان السبب الذي جر أصحاب الفيل ان فئة من قريش أججوا نارا حين خرجوا تجارا الى أرض النجاشي فدنوا من ساحل البحر وثم بيعة للنصارى تسميها قريش الهيكل فنزلوا فأججوا النار واشتووا فلما ارتحلوا تركوا النار كما هي في يوم عاصف فهاجت الريح فاضطرم الهيكل نارا فانطلق الصريخ الى النجاشي فاسف غضبا للبيعة فبعث ابرهة لهدم الكعبة وكان في مكة يومئذ أبو مسعود الثقفي وكان مكفوف البصر يصيف بالطائف ويشتو بمكة وكان رجلا نبيها نبيلا تستقيم الامور برأيه وكان خليلا لعبد المطلب فقال له عبد المطلب ماذا عندك فهذا يوم لا يستغنى فيه عن رأيك فقال أبو مسعود اصعد بنا الى حراء فصعد الجبل فقال أبو مسعود لعبد المطلب اعمد الى مائة من الابل فاجعلها لله وقلدها نعلا واجعلها لله ثم ابثثها في الحرم فلعل بعض السودان يعقر منها شيأ فيغضب رب هذا البيت فيأخذهم ففعل ذلك عبد المطلب فعمد القوم الى تلك الابل فحملوا عليها وعقروا بعضها وجعل عبد المطلب يدعو فقال أبو مسعود ان لهذا البيت ربا يمنعه فقد نزل تبع ملك اليمن صحن هذا البيت وأراد هدمه فمنعه الله وابتلاه واظلم عليه ثلاثة أيام فلما رأى تبع ذلك كساه القباطي البيض وعظمه ونحر له جزورا فانظر نحو البحر فنظر عبد المطلب فقال أرى طيرا بيضاء نشأت من شاطئ البحر فقال ارمقها ببصرك أين قرارها قال أراها قد دارت على رؤسنا قال هل تعرفها قال والله ما أعرفها ماهي بنجدية ولا بتهامية ولا عربية ولا شامية قال ماقدرها

قال اشباه اليعاسيب فى مناقيرها حصى كانها حصى الخذف قد أقبلت كالليل يتبع بعضها بعضا امام كل رفقة طير يقودها احمر المنقار اسود الرأس طويل العنق فجاءت حتى اذا حاذت عسكر القوم ركدت فوق رؤسهم فلما توافت الرجال كلهم اهالت الطير بما فى مناقيرها على من تحتها مكتوب على كل حجر اسم صاحبه ثم انها رجعت من حيث جاءت فلما أصبحا انحطا من ذروة الجبل فمشيا حتى صعدا ربوة فلم يؤنسا أحدا ثم دنيا فلم يسمعا حسا فقالا بات القوم سامرين فاصبحوا نياما فلما دنيا من عسكر القوم فاذا هم خامدون وكان يقع الحجر على بيضة أحدهم فيخرقها حتى تقع فى دماغه وتخرق الفيل والدابة ويغيب الحجر فى الارض من شدة وقعه فعمد عبد المطلب فاخذ فأسا من فؤسهم فحفر حتى أعمق فى الارض فملأه من الذهب الاحمر والجواهر وحفر لصاحبه مثله فملأه ثم قال لابى مسعود اختر ان شئت حفرتى وان شئت حفرتك وان شئت فهما لك معا فقال أبو مسعود فاختر لى على نفسك فقال عبد المطلب انى أرى أجود المتاع فى حفرتى فهى لك وجلس كل واحد منهما على حفرته ونادى عبد المطلب فى الناس فتراجعوا وأصابوا من فضلهما حتى ضاقوا به وساد عبد المطلب بذلك قريشا واعطته القادة فلم يزل عبد المطلب وأبو مسعود فى اهليهما فى غنى من ذلك المال ودفع الله عز وجل عن كعبته واختلفوا فى تاريخ عام الفيل فقيل كان قبل مولد النبى صلى الله عليه وسلم باربعين سنة وقيل بثلاث وعشرين سنة والاصح الذى عليه الاكثرون من علماء السير والتواريخ وأهل التفسير انه كان فى العام الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم يقولون ولد عام الفيل وجعلوه تاريخا لمولده صلى الله عليه وسلم وأما التفسير فقوله عز وجل ألم تر أى ألم تعلم وذلك لان هذه الواقعة كانت قبل مبعثه بزمان طويل الا أن العلم بها كان حاصلا عنده لان الخبر بها كان مستفيضا معروفا بمكة واذا كان كذلك فكانه صلى الله عليه وسلم علمه وشاهده يقينا فلهذا قال تعالى ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل قيل كان معهم فيل واحد وقيل كانوا افيلة ثمانية وقيل اثنى عشر وانما وحده لانه نسبهم الى الفيل الاعظم الذى كان يقال له محمود وقيل انما وحده لوفاق الآى وفى قصة أصحاب الفيل دلالة عظيمة على قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته اذ يستحيل فى العقل ان طيرا تاتى من قبل البحر تحمل حجارة ترمى بها ناسا مخصوصين وفيها دلالة عظيمة على شرف محمد صلى الله عليه وسلم ومعجزة ظاهرة له وذلك ان الله تعالى انما فعل ذلك لنصر من ارتضاه وهو محمد صلى الله عليه وسلم الداعى الى توحيده واهلاك من سخط عليه وليس ذلك لنصرة قريش فانهم كانوا كفارا لا كتاب لهم والحبشة لهم كتاب فلا يخفى على عاقل ان المراد بذلك نصر محمد صلى الله عليه وسلم فكانه تعالى قال أنا الذى فعلت ما فعلت باصحاب الفيل تعظيما لك وتشريفا لقدومك واذ قد نصرتك قبل قدومك فكيف أتركك قبل ظهورك (ألم يجعل كيدهم) يعنى مكرهم وسعيهم فى تخريب الكعبة (فى تضليل) أى تضييع وخسار وابطال ما أرادوا

من قبل اصحمة النجاشى بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس وأراد أن يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فخرقها فاغضبه ذلك وقيل اججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره فلما جاء المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث أموال تهامة ليرجع فابى وعبى جيشه وقدم الفيل وكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن هرول فأرسل الله طيرا مع كل طائر حجر فى منقاره وحجران فى رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا وهلكوا وما مات ابرهة حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره أبو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشى فقص عليه القصة فلما أتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وروى ان ابرهة أخذ لعبد المطلب مائتى بعير فخرج اليه فيها فعظم فى عينه وكان رجلا جسيما وسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤس الجبال فلما ذكر حاجته قال سقطت من عينى جئت لاهدم البيت الذى هو دينك ودين آبائك وشرفكم فى قديم الدهر فالهاك عنه ذود أخذ لك فقال أنا رب الابل وللبيت رب سيحميه (ألم يجعل كيدهم فى تضليل) فى تضييع وابطال يقال ضلل كيده اذا جعله ضالا ضائعا وقيل لامرئ القيس الملك أضل الضليل لانه ضلل ملك أبيه أى ضيعه يعنى انهم كادوا البيت أولا ببناء القليس ليصرفوا وجوه الحاج اليه فضلل كيدهم

بايقاع الحريق فيه وكادوه ثانيا بارادة هدمه فضلل كيدهم بارسال الطير عليهم (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) حزائق الواحدة ابالة قال الزجاج جماعات من ههنا وجماعات من ههنا (ترميهم) وقرأ أبو حنيفة رضي الله عنه يرميهم أي الله أو الطير لانه اسم جمع مذكر وانما يؤنث على المعنى (بحجارة من سجيل) هو معرب من سنك كل وعليه الجمهور أي الآجر (فجعلهم كعصف مأكول) زرع أكله الدود

(سورة قريش مكية وهي أربع آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لايلاف قريش) متعلق بقوله فليعبدوا أمرهم ان يعبدوه لاجل ايلافهم الرحلتين ودخلت الفاء لما في الكلام من معنى الشرط أي ان نعم الله عليهم لاتحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة أو بما قبله أي فجعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش يعني ان ذلك الاتلاف لهذا الايلاف وهذا كالتضمين في الشعر وهو ان يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقا لا يصح الا به وهما في مصحف أبي سورة واحدة بلا فصل ويروى عن الكسائي ترك التسمية بينهما والمعنى انه أهلك الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيحترموهم أفضل احترام حتى ينتظم لهم الامن في رحلتيهم فلا يجترئ أحد عليهم وقيل المعنى اعجبوا لايلاف قريش لالاف قريش شامي أي لمؤالفة قريش وقيل يقال ألفته الفا والافا وقريش ولد النضر بن كنانة سموه بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار والتصغير للتعظيم فسموه بذلك لشدتهم ومنعتهم تشبيها بها او قيل من القرش وهو الجمع والكسب لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم

أضل كيدهم فلم يصلوا الى ما أرادوا من تخريب البيت بل رجع كيدهم عليهم فخربت كنيستهم واحترقت وهلكوا وهو قوله تعالى (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) يعني طيرا كثيرة متفرقة يتبع بعضها بعضا وقيل أبابيل أقاطيع كالابل المؤبلة وقيل أبابيل جماعات في تفرقة قيل لا واحد لها من لفظها وقيل واحدها ابالة وقيل ابيل وقيل ابول مثل عجول قال ابن عباس كانت طيرا لها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كأكف الكلاب وقيل لها رؤس كرؤس السباع وقيل لها أنياب كأنياب السباع وقيل طير خضر لها مناقير صفر وقيل طير سود جاءت من قبل البحر فوجا فوجا مع كل طائر ثلاثة أحجار حجران في رجليه وحجر في منقاره لا تصيب شيأ الا هشمته ووجه الجمع بين هذه الاقاويل في اختلاف أجناس هذه الطير انه كانت فيها هذه الصفات كلها فبعضها على ما حكاه ابن عباس وبعضها على ما حكاه غيره فأخبر كل واحد بما بلغه من صفاتها والله أعلم قوله عز وجل (ترميهم بحجارة) قال ابن مسعود صاحت الطير ورمتهم بالحجارة وبعث الله ريحا فضربت بالحجارة فزادتها شدة فما وقع حجر منها على رجل الا خرج من الجانب الآخر وان وقع على رأسه خرج من دبره (من سجيل) قيل السجيل اسم علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال والمعنى ترميهم بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون بما كتب الله في ذلك الكتاب وقيل معناه من طين مطبوخ كما يطبخ الآجر وقيل سجيل حجر وطين مختلط وأصله سنك وكل فارسي معرب وقيل سجيل الشديد (فجعلهم كعصف مأكول) يعني كزرع وتبن أكلته الدواب ثم راثته فيبس وتفرقت اجزاؤه شبه تقطع أوصالهم وتفرقها بتفرق أجزاء الروث وقيل العصف ورق الحنطة وهو التبن وقيل كالحب اذا أكل فصار أجوف وقال ابن عباس هو القشر الخارج الذي يكون على حب الحنطة كهيئة الغلاف والله تعالى أعلم

(تفسير سورة قريش)

وهي مكية وقيل مدنية والاول أصح وأكثر وهي أربع آيات وسبع عشرة كلمة وثلاثة وسبعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (لايلاف قريش) اختلفوا في هذه اللام فقيل هي متعلقة بما قبلها وذلك ان الله تعالى ذكر أهل مكة عظيم نعمته عليهم بما صنع بالحبشة فقال فجعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش أي اهلك أصحاب الفيل لتبقى قريش وما ألفوا من رحلة الشتاء والصيف ولهذا جعل أبي بن كعب هذه السورة وسورة الفيل واحدة ولم يفصل بينهما في مصحفه ببسم الله الرحمن الرحيم والذي عليه الجمهور من الصحابة وغيرهم وهو المستفيض المشهور ان هذه السورة منفصلة عن سورة الفيل وانه لا تعلق بينهما

وأجيب عن مذهب أبي بن كعب في جعل هذه السورة والسورة التي قبلها سورة واحدة بأن القرآن كالسورة الواحدة يصدق بعضه بعضا ويبين بعضه معنى بعض وهو معارض أيضا باطباق الصحابة وغيرهم على الفصل بينهما وانهما سورتان فعلى هذا القول اختلفوا في العلة الجالبة للام في قوله لايلاف فقيل هي لام التعجب أي اعجبوا لايلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت ثم أمرهم بعبادته فهو كقوله على وجه التعجب اعجبوا الذلك وقيل هي متعلقة بما بعدها تقديره فليعبدوا رب هذا البيت لايلافهم رحلة الشتاء والصيف أي ليجعلوا عبادتهم شكرا لهذه النعمة والايلاف من ألفت الشئ الفا وهو بمعنى الائتلاف فيكون المعنى لايلاف قريش هاتين الرحلتين فتتصلا ولا تنقطعا وقيل هو من ألفت كذا أي لزمته وآلفنيه الله أي ألزمنيه الله وقريش هم ولد النضر بن كنانة فكل من ولده النضر فهو من قريش ومن لم يلده النضر فليس بقرشي (م) عن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم (م) عن جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الناس تبع لقريش في الخير والشر (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الناس تبع لقريش في هذا الشان مسلمهم لمسلمهم وكافرهم لكافرهم * عن سعيد بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أراد هوان قريش أهانه الله أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب * عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أذقت أول قريش نكالا فاذق آخرهم نوالا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب النكال العذاب والمشقة والشدة والنوال العطاء والخير وسموا قريشا من القرش والتقريش وهو الجمع والتكسب يقال فلان يقرش لعياله ويقترش لهم أي يكتسب وذلك لان قريشا كانوا قوما تجارا وعلى جمع المال والافضال حراصا وقال أبو ريحانة سأل معاوية عبد الله بن عباس لم سميت قريش قريشا قال لدابة تكون في البحر هي من أعظم دوابه يقال لها القرش لا تمر بشئ من الغث والسمين الا أكلته وهي تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى قال وهل تعرف العرب ذلك في أشعارها قال نعم وأنشده شعر الجمحي

وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا
سلطت بالعلو في لجة البحر على سائر البحور جيوشا
تأكل الغث والسمين ولا تترك فيه لذي الجناحين ريشا
هكذا في الكتاب حي قريش * يأكلون البلاد أكلا كشيشا
ولهم آخر الزمان نبي * يكثر القتل فيهم والخموشا
يملأ الارض خيلة ورجالا * يحشرون المطي حشرا كميشا

وقيل ان قريشا كانوا متفرقين في غير الحرم فجمعهم قصي بن كلاب وأنزلهم الحرم فاتخذوه مسكنا فسموا قريشا لتجمعهم والتقرش التجمع يقال تقرش القوم اذا تجمعوا

وسمى قصى مجمعا لذلك قال الشاعر

أبوكم قصى كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر

وقوله تعالى (ايلافهم) هو بدل من الاول تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا لعظم المنة فيه (رحلة الشتاء والصيف) قال ابن عباس كانوا يشتون بمكة و يصيفون بالطائف فامرهم الله تعالى ان يقيموا بالحرم ويعبدوا رب هذا البيت وقال الاكثرون كانت لهم رحلتان فى كل عام للتجارة رحلة فى الشتاء الى اليمن لانها أدفأ ورحلة فى الصيف الى الشام وكان الحرم واديا مجدبا لازرع فيه ولاضرع وكانت قريش تعيش بتجارتهم ورحلتهم وكانوا لايتعرض لهم أحد بسوء وكانوا يقولون قريش سكان حرم الله وولاة بيته وكانت العرب تكرمهم وتعزهم وتعظمهم لذلك فلولا الرحلتان لم يكن لهم مقام بمكة ولولا الامن بجوار البيت لم يقدروا على التصرف فشق عليهم الاختلاف الى اليمن والشام فاخصبت تبالة وجرش من بلاد اليمن فحملوا الطعام الى مكة أهل الساحل حملوا طعامهم فى البحر على السفن الى مكة وأهل البر حملوا على الابل والحمير فالقى أهل الساحل بجدة وأهل البر بالمحصب وأخصب الشام فحملوا الطعام الى مكة وألقوا بالابطح فامتار أهل مكة من قريب وكفاهم الله مؤنة الرحلتين جميعا وقال ابن عباس كانوا فى ضر ومجاعة حتى جمعهم هاشم على الرحلتين فكانوا يقسمون ربحهم بين الغنى والفقير حتى كان فقيرهم كغنيهم وقال الكلبى كان أول من حمل السمراء يعنى القمح الى الشام ورحل اليها الابل هاشم بن عبدمناف وفيه يقول الشاعر

قل للذى طلب السماحة والندى * هلا مررت بآل عبدمناف

هلا مررت بهم تريد قراهم * منعوك من ضر ومن اكفاف

الرائشين وليس يوجد رائش * والقائلين هلم للاضياف

والخالطين غنيهم بفقيرهم * حتى يكون فقيرهم كالكافى

والقائمين بكل وعد صادق * والراحلين برحلة الايلاف

عمرو العلا هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف

سفرين سنهما له ولقومه * سفر الشتاء ورحلة الاصياف

قوله عزوجل (فليعبدوا رب هذا البيت) يعنى الكعبة وذلك ان الانعام على قسمين أحدهما دفع ضر وهو ماذكره فى سورة الفيل والثانى جلب نفع وهو ماذكره فى هذه السورة ولما دفع الله عنهم الضر وجلب لهم النفع وهما نعمتان عظيمتان أمرهم بالعبودية وأداء الشكر وقيل انه تعالى لما كفاهم أمر الرحلتين أمرهم أن يشتغلوا بعبادة رب هذا البيت فانه هو (الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) ومعنى الذى أطعمهم من جوع أى من بعد جوع بحمل الميرة اليهم من البلاد فى البر والبحر وقيل فى معنى الآية انهم لما كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فاشتد عليهم القحط وأصابهم الجوع والجهد فقالوا يا محمد ادع الله لنا فانا مؤمنون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخصبت البلاد وأخصبت أهل مكة بعد

وضربهم فى البلاد (ايلافهم رحلة الشتاء والصيف) أطلق الايلاف ثم أبدل عنه المقيد بالرحلتين تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا لعظيم النعمة فيه ونصب الرحلة بايلافهم مفعولا به وأراد رحلتى الشتاء والصيف فافرد لامن الالباس وكانت لقريش رحلتان يرحلون فى الشتاء الى اليمن وفى الصيف الى الشام فيمتارون و يتجرون وكانوا فى رحلتيهم آمنين لانهم أهل حرم الله فلا يتعرض لهم وغيرهم يغار عليهم (فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) التنكير فى جوع وخوف لشدتهما يعنى أطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وآمنهم من خوف عظيم وهو خوف أصحاب الفيل أو خوف التخطف من بلدهم ومسايرهم وقيل كانوا قد اصابتهم شدة حتى اكلوا الجيف والعظام المحرقة وآمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم وقيل ذلك كله بدعاء ابراهيم عليه السلام

القحط والجهد فذلك قوله تعالى الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف أى بالحرم وكونهم من أهل مكة حتى لم يتعرض لهم أحد فى رحلاتهم وقيل آمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم الجذام وقيل آمنهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالاسلام والله أعلم

(تفسير سورة الماعون)

وهى مكية وقيل نزل نصفها بمكة فى العاص بن وائل والنصف الثانى بالمدينة فى عبدالله بن أبى بن سلول المنافق وهى سبع آيات وخمس وعشرون كلمة ومائة وخمسة وعشرون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عزوجل (أرأيت الذى يكذب بالدين) قيل نزلت فى العاص بن وائل السهمى وقيل فى الوليد بن المغيرة وقيل فى عمرو بن عائذ المخزومى وفى رواية عن ابن عباس انها فى رجل من المنافقين ومعنى الآية هل عرفت الذى يكذب بيوم الجزاء والحساب فان لم تعرفه (فذلك الذى يدع اليتيم) ولفظ أرأيت استفهام والمراد به المبالغة فى التعجب من حال هذا المكذب بالدين وهو خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وقيل هو خطاب لكل أحد والمعنى أرأيت يا أيها الانسان أو يا أيها العاقل هذا الذى يكذب بالدين بعد ظهور دلائله ووضوح بيانه فكيف يليق به ذلك فذلك الذى يدع اليتيم أى يقهره ويدفعه عن حقه والدع الدفع بعنف وجفوة والمعنى أنه يدفعه عن حقه وماله بالظلم وقيل يترك المواساة له وان لم تكن المواساة واجبة وقيل يزجره ويضربه ويستخف به وقرئ يدعو بالتخفيف أى يدعوه ليستخدمه قهرا واستطالة (ولا يحض على طعام المسكين) أى لا يطعمه ولا يأمر باطعامه لانه يكذب بالجزاء وهذا غاية البخل لانه يبخل بماله وبمال غيره فلا يأمر غيره بالاطعام قوله تعالى (فويل للمصلين) يعنى المنافقين ثم نعتهم فقال تعالى (الذين هم عن صلاتهم ساهون) روى البغوى بسنده عن سعد قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال اضاعة الوقت وقال ابن عباس هم المنافقون يتركون الصلاة اذا غابوا عن الناس ويصلون فى العلانية اذا حضروا معهم لقوله تعالى الذين هم يراءون وقال تعالى فى وصف المنافقين واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراءون الناس وقيل ساه عنها لا يبالى صلى أولم يصل وقيل لا يرجون لها ثوابا ان صلوا ولا يخافون عليها عقابا ان تركوا وقيل غافلون عنها ويتهاونون بها وقيل هم الذين ان صلوها صلوها رياء وان فاتتهم لم يندموا عليها وقيل هم الذين لا يصلونها لمواقيتها ولا يتمون ركوعها ولا سجودها وقيل لما قال تعالى عن صلاتهم ساهون بلفظة عن علم انها فى المنافقين والمؤمن قد يسهو فى صلاته والفرق بين السهوين ان سهو المنافق هو ان لا يتذكرها ويكون فارغا عنها والمؤمن اذا سها فى صلاته تداركه فى الحال وجبره بسجود السهو فظهر الفرق بين السهوين وقيل السهو عن الصلاة هو ان يبقى ناسيا لذكر الله فى جميع أجزاء الصلاة وهذا لا يصدر الا من المنافق الذى يعتقد انه لا فائدة فى الصلاة

(سورة الماعون مختلف فيها وهى سبع آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(أرأيت الذى يكذب بالدين) أرأيت الذى يكذب أى هل وأيت من هو وان لم تعرفه بالجزاء من هو وان لم تعرفه بالجزاء (فذلك الذى) يكذب بالجزاء هو الذى (يدع اليتيم) أى يدفعه دفعا عنيفا بجفوة وأذى ويرده ردا قبيحا بزجر وخشونة (ولا يحض على طعام المسكين) ولا يبعث أهله على بذل طعام المسكين جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والاقدام على ايذاء الضعيف أى لو آمن بالجزاء وأيقن بالوعيد لخشى الله وعقابه ولم يقدم على ذلك فحين أقدم عليه دل انه مكذب بالجزاء ثم وصل به قوله (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون

الذين هم يراؤن ويمنعون الماعون) يعني بهذا المنافقين اي لا يصلونها سرا لانهم لا يعتقدون وجوبها ويصلونها علانية رياء وقيل فويل للمنافقين الذين يدخلون أنفسهم في جملة المصلين صورة وهم غافلون عن صلاتهم وأنهم لا يريدون بها قربة الى ربهم ولا تادية لفرض فهم ينخفضون ويرتفعون ولا يدرون ماذا يفعلون ويظهرون للناس انهم يؤدون الفرائض ويمنعون الزكاة وما فيه منفعة وعن أنس والحسن قالا الحمد لله الذي قال عن صلاتهم ولم يقل في صلاتهم لان معنى عن انهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات اليها وذلك فعل المنافقين ومعنى في ان السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس وذلك لا يخلو عنه مسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع له السهو في صلاته فضلا عن غيره والمراآة مفاعلة من الاراءة لان المرائي يراءى الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والاعجاب به ولا يكون الرجل مرائيا باظهار الفرائض فمن حقها الاعلان بها لقوله صلى الله عليه وسلم ولا غمة في فرائض الله والاخفاء في التطوع أولى فان أظهره قاصدا للاقتداء به كان جميلا والماعون الزكاة وعن ابن مسعود رضي الله عنه ما يتعاور في العادة بين الناس من القدر والدلو والمقدحة ونحوها وعن عائشة رضي الله عنها الماء والنار والملح والله أعلم

(سورة الكوثر مكية وهي ثلاث آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر) هو فوعل من الكثرة وهو المفرط الكثرة وقيل هو نهر في الجنة أحلى من العسل وأشد بياضا من اللبن وابرد من الثلج وألين من الزبد حافتاه الزبرجد وأوانيه من فضة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الخير الكثير فقيل له ان ناسا يقولون هو نهر في الجنة فقال هو من الخير الكثير

فاما المؤمن الذي يعتقد فائدة صلاته وانها عليه واجبة ويرجو الثواب على فعلها ويخاف العقاب على تركها فقد يحصل له سهو في الصلاة يعني انه يصير ساهيا في بعض أجزاء الصلاة بسبب وارد يرد عليه بوسوسة الشيطان أو حديث النفس وذلك لا يكاد يخلو منه أحد ثم يذهب ذلك الوارد عنه فثبت بهذا الفرق ان السهو عن الصلاة من افعال المنافق والسهو في الصلاة من أفعال المؤمن (الذين هم يراؤن) يعني يتركون الصلاة في السر ويصلونها في العلانية والفرق بين المنافق والمرائي ان المنافق هو الذي يبطن الكفر ويظهر الايمان والمرائي يظهر الاعمال مع زيادة الخشوع ليعتقد فيه من يراه انه من أهل الدين والصلاح أما من يظهر النوافل ليقتدى به ويأمن على نفسه من الرياء فلا بأس بذلك وليس بمراء ثم وصفهم بالبخل فقال تعالى (ويمنعون الماعون) روى عن علي انه قال هي الزكاة وهو قول ابن عمر والحسن وقتادة والضحاك ووجه ذلك ان الله تعالى ذكرها بعد الصلاة فذمهم على ترك الصلاة ومنع الزكاة وقال ابن مسعود الماعون الفأس والدلو والقدر واشباه ذلك وهي رواية عن ابن عباس ويدل عليه ما روى عنه قال كنا نعد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عارية الدلو والقدر أخرجه أبو داود وقال مجاهد الماعون العارية وقال عكرمة الماعون أعلاه الزكاة المفروضة وادناه عارية المتاع وقال محمد بن كعب القرظي الماعون المعروف كله الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم وقيل أصل الماعون من القلة فسمى الزكاة والصدقة والمعروف ماعونا لانه قليل من كثير وقيل الماعون ما لا يحل منعه مثل الماء والملح والنار ويلتحق بذلك البئر والتنور في البيت فلا يمنع جيرانه من الانتفاع بهما ومعنى الآية الزجر عن البخل بهذه الاشياء القليلة الحقيرة فان البخل بها في نهاية البخل قال العلماء ويستحب ان يستكثر الرجل في بيته مما يحتاج اليه الجيران فيعيرهم ويتفضل عليهم ولا يقتصر على الواجب والله أعلم

(تفسير سورة الكوثر)

وهي مكية قاله ابن عباس والجمهور وقيل انها مدنية قاله الحسن وعكرمة وقتادة وهي ثلاث آيات وعشر كلمات واثنان واربعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قوله عز وجل (انا أعطيناك الكوثر) الكوثر نهر في الجنة أعطاه الله محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل الكوثر القرآن العظيم وقيل هو النبوة والكتاب والحكمة وقيل هو كثرة اتباعه وامته وقيل الكوثر الخير الكثير كما فسره ابن عباس (خ) عن أبي بشر عن

سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الكوثر الخير الكثير الذى أعطاه الله اياه قال أبو بشر قلت لسعيد بن جبير ان اناسا يزعمون انه نهر فى الجنة فقال سعيد النهر الذى فى الجنة من الخير الكثير الذى أعطاه الله اياه وأصل الكوثر فوعل من الكثرة والعرب تسمى كل شئ كثير فى العدد أو كثير القدر والخطر كوثرا وقيل الكوثر الفضائل الكثيرة التى فضل بها على جميع الخلق فجميع ما جاء فى تفسير الكوثر فقد أعطيه النبى صلى الله عليه وسلم أعطى النبوة والكتاب والحكمة والعلم والشفاعة والحوض المورود والمقام المحمود وكثرة الاتباع والاسلام واظهاره على الاديان كلها والنصر على الاعداء وكثرة الفتوح فى زمنه وبعده الى يوم القيامة وأولى الاقاويل فى الكوثر الذى عليه جمهور العلماء انه نهر فى الجنة كما جاء مبينا فى الحديث (ق) عن أنس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا اذ اغفى اغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما أضحكك يا رسول الله قال أنزلت على آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ثم قال أتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله أعلم قال فانه نهر وعدنيه ربى عز وجل خير كثير هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء فيختلج العبد منهم فاقول رب انه من أمتى فيقول ما تدرى ما احدث بعدك لفظ مسلم وللبخارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بى الى السماء أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذى اعطاك ربك فاذا طينه او طينته مسك اذفر شك الراوى * عن انس رضى الله عنه قال سئل النبى صلى الله عليه وسلم ما الكوثر قال ذاك نهر اعطانيه الله يعنى فى الجنة اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل فيه طير اعناقها كاعناق الجزور قال عمران هذه لناعمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلتها انعم منها اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر فى الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته اطيب من المسك وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح (خ) عن عامر بن عبد الله بن مسعود رضى الله عنهما قال سالت عائشة عن قوله تعالى انا أعطيناك الكوثر فقالت الكوثر نهر أعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم شاطئاه در مجوف آنيته كعدد نجوم السماء (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضى مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه لا يظمأ أبدا زاد فى رواية وزواياه سواء (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امامكم حوضى ما بين جنبيه كما بين جرباء وأذرح قال بعض الرواة هما قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاثة أيام وفى رواية فيه أباريق كنجوم السماء من ورده فشرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا (ق) عن أنس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما بين ناحيتى وفى رواية لابى حوضى كما بين صنعاء والمدينة وفى رواية مثل ما بين المدينة وعمان وفى رواية

قال ان قدر حوضي كما بين ايلة وصنعاء من اليمن وان فيه من الاباريق كعدد نجوم السماء (م) عن أبي ذر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله ما آنية الحوض قال والذي نفسي بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها ألا في الليلة المظلمة المصحية آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة من شرب منه لم يظمأ عرضه مثل طوله ما بين عمان الى ايلة ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل (م) عن ثوبان رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني لبعقر حوضي اذود الناس لاهل اليمن اضرب بعصاي حتى يرفض عليهم فسئل عن عرضه فقال من مقامي الى عمان وسئل عن شرابه فقال أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من الورق (ق) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض وليرفعن الي رجال منكم حتى اذا اهويت اليهم لاناولهم اختلجوا دوني فاقول أي ربي اصحابي فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بعدك (ق) عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبني حتى اذا رفعوا الي اختلجوا دوني فلاقولن اي ربي أصحابي أصحابي فليقالن لي انك لا تدري ما أحدثوا بعدك وفي رواية ليردن علي ناس من أمتي الحديث وفي آخره فاقول سحقا لمن بدل بعدي (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرد علي يوم القيامة رهط من اصحابي أو قال من أمتي فيجلون عن الحوض فاقول رب أصحابي فيقول انه لا علم لك بما أحدثوا بعدك انهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى زلمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ترد علي أمتي الحوض وأنا اذود الناس عنه كما يذود الرجل ابل الرجل عن ابله قالوا يا نبي الله تعرفنا قال نعم لكم سيما ليست لاحد غيركم تردون علي غرا محجلين من آثار الوضوء وليصدن عني طائفة منكم فلا يصلون الي فاقول يا رب هؤلاء من أصحابي فيجيبني ملك فيقول وهل تدري ما أحدثوا بعدك (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لاذودن رجالا عن حوضي كما تذاد الغريبة من الابل عن الحوض (م) عن حذيفة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان حوضي لابعد من ايلة الى عدن والذي نفسي بيده لاذودن عنه الرجال كما يذود الرجل الابل الغريبة عن ابله قالوا يا رسول الله وتعرفنا قال نعم تردون علي غرا محجلين من آثار الوضوء ليست لاحد غيركم * عن زيد بن ارقم رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلنا منزلا فقال ما انتم الاجزء من مائة ألف جزء ممن يرد علي الحوض قيل كم كنتم يومئذ قال سبعمائة أو ثمانمائة أخرجه أبو داود

(فصل في شرح هذه الاحاديث وذكر ما يتعلق بالحوض) قال الشيخ محيي الدين النووي قال القاضي عياض أحاديث الحوض صحيحة والايمان به فرض والتصديق به من الايمان وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة لا يتأول ولا يختلف فيه

وحديثه متواتر النقل رواه الخلائق من الصحابة فذكره مسلم من رواية ابن عمر وأبي سعيد وسهل بن سعد وجندب بن عبد الله وعبد الله بن عمرو وعائشة وأم سلمة وعقبة بن عامر وابن مسعود وحذيفة وحارثة بن وهب والمستورد وأبي ذر وثوبان وأنس وجابر بن سمرة ورواه غير مسلم من رواية أبي بكر الصديق وزيد بن أرقم وأبي أمامة وعبد الله بن زيد وأبي برزة وسويد بن حبلة وعبد الله بن الصنابحي والبراء بن عازب وأسماء بنت أبي بكر الصديق وخولة بنت قيس وغيرهم قال الشيخ محيي الدين ورواه البخاري ومسلم أيضا من رواية أبي هريرة ورواه غيرهما من رواية عمر بن الخطاب وعائذ بن عمرو وآخرين وقد جمع ذلك كله الامام الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه البعث والنشور باسانيده وطرقه المتكاثرة قلت وقد اتفقا على اخراج حديث الحوض عن جماعة ممن تقدم ذكرهم من الصحابة على ما سبق ذكره في الاحاديث وفيه بيان ما اتفقا عليه وانفرد به كل واحد منهما وأخرجا أيضا حديث الحوض عن أسماء بنت أبي بكر الصديق وذكرها القاضي عياض فيمن خرج له في غير الصحيحين قال القاضي عياض وفي بعض هذا ما يقتضي كون الحديث متواترا وأما صفة الحوض ومقداره فقد قال في رواية حوضي مسيرة شهر وفي رواية ما بين جنبيه كما بين جربا واذرح وفي رواية كما بين ايلة وصنعاء اليمن وفي رواية عرضه مثل طوله ما بين عمان الى ايلة وفي رواية ان حوضي لأبعد من ايلة الى عدن فهذا الاختلاف في هذه الروايات في قدر الحوض ليس موجبا للاضطراب فيها لانه لم يات في حديث واحد بل في أحاديث مختلفة الرواة عن جماعات من الصحابة سمعوها من النبي صلى الله عليه وسلم في مواطن مختلفة ضربها النبي صلى الله عليه وسلم مثلا لبعد اقطار الحوض وسعته وقرب ذلك على افهام السامعين لبعد ما بين هذه البلاد المذكورة لا على التقدير الموضوع للتحديد بل لاعلام السامعين عظم بعد المسافة وسعة الحوض وليس في ذكر القليل من هذه المسافة منع من الكثير فان الكثير ثابت على ظاهره وصحت الرواية به والقليل داخل فيه فلا معارضة ولا منافاة بينهما وكذلك القول في آنية الحوض من ان العدد المذكور في الاحاديث على ظاهره وانها أكثر عددا من نجوم السماء ولا مانع يمنع من ذلك اذ قد وردت الاحاديث الصحيحة الثابتة بذلك وكذلك القول في الواردين الى الحوض الشاربين منه وكثرتهم وقوله صلى الله عليه وسلم ما أنتم الاجزء من مائة ألف جزء ممن يرد الحوض لم يرد به الحصر بهذا العدد المذكور وانما ضرب به مثلا لاكثر العدد المعروف للسامعين ويدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم من ورد شرب منه فهذا صريح في ان جميع الواردين يشربون وانما يمنع منه الذين يذادون ويمنعون الورود لارتدادهم وتبديلهم وهو قوله صلى الله عليه وسلم فيختلج العبد منهم فاقول رب انه من أمتي فيقول ما تدري ما أحدث بعدك وفي رواية وليرفعن الي رجال منكم حتى اذا أهويت لاناولهم اختلجوا دوني فاقول أي رب أصحابي فيقول انك لا تدري ما أحدثوا بعدك ونحو هذا من الروايات المذكورة في الاحاديث السابقة وهذا مما اختلف العلماء في معناه وفي المراد به من هم فقيل المراد

بهم المنافقون والمرتدون فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فيحتمل انهم اذا حشروا عرفهم النبى صلى الله عليه وسلم للسيما التى عليهم فيناديهم فيقال له ليس هؤلاء ممن وعدت بهم انهم قد بدلوا بعدك أى لم يكونوا على ماظهر من اسلامهم وقيل المراد بهم من اسلموا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ثم ارتدوا بعده فى زمن أبى بكر الصديق وهم الذين قاتلهم على الردة وهم أصحاب مسيلمة الكذاب فيناديهم النبى صلى الله عليه وسلم لما كان يعرفه من ايمانهم فى حياته فيقال له قد ارتدوا بعدك وقيل المراد بهم أصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الاسلام وأصحاب المعاصى الكبائر الذين ماتوا على التوحيد ولم يتوبوا من بدعتهم ومعاصيهم الكبائر فعلى هذا القول لا يقطع لهؤلاء المطرودين عن الحوض بالنار بل يجوز أن يذادوا عنه عقوبة لهم ثم يرحمهم الله فيدخلهم الجنة من غير عذاب وقال أبو عمر بن عبد البر كل من أحدث فى الدين كالخوارج والروافض وسائر أصحاب الاهواء فهو من المطرودين عن الحوض قال وكذلك الظلمة المسرفون فى الجور وغمط الحق والمعلنون بالكبائر فكل هؤلاء يخاف ان يكونوا ممن عنى بهذا الحديث وقوله من شرب منه لم يظمأ أبدا قال القاضى عياض ظاهر هذا الحديث ان الشرب منه يكون بعد الحساب والنجاة من النار ويحتمل ان من شرب منه من هذه الامة وقدر عليه دخول النار لا يعذب فيها بالظمأ بل يكون عذابه بغير ذلك لان ظاهر الحديث ان جميع الامة تشرب منه الا من ارتد وصار كافرا وقيل ان جميع المومنين ياخذون كتبهم بأيمانهم ثم يعذب الله من شاء من عصاتهم وقيل انما ياخذ بيمينه الناجون منهم خاصة والشرب من الحوض مثله

(شرح غريب ألفاظ الاحاديث) قوله فيختلج العبد منهم أى ينتزع ويجذب منهم قوله ما بين جنبيه كما بين جرباء وأذرح أما جرباء فبجيم ثم راء ساكنة ثم باء موحدة ثم ألف مقصورة ووقع عند بعض رواة البخارى فيها المد والقصر أولى وهى قرية من الشام واما أذرح فبهمزة ثم ذال معجمة ثم راء ثم حاء مهملة وهى مدينة فى طرف الشام قريب من الشوبك وأما عمان فبفتح العين وتشديد الميم بليدة بالبلقاء من أرض الشام وأما أيلة فبفتح الهمزة واسكان الياء المثناة تحت وفتح اللام مدينة معروفة فى طرف الشام على ساحل البحر متوسطة بين دمشق ومصر بينها وبين المدينة نحو خمس عشرة مرحلة وبينها وبين مصر ثمان مراحل والى دمشق اثنتا عشرة مرحلة وهى آخر الحجاز وأول الشام وأما صنعاء فهى قاعدة اليمن واكبر مدنه وانما قيد باليمن فى الحديث لان بدمشق موضعا يعرف بصنعاء دمشق وقد تقدم الكلام على اختلاف هذه المسافات والجمع بين رواياتها قوله يشخب فيه ميزابان هو بفتح الياء المثناة تحت وبالشين والخاء المعجمتين أى يسيل فيه وفى الحديث الآخر يغت بفتح الياء وبالغين المعجمة وكسرها وتشديد التاء المثناة فوق أى يدفق فيه ميزابان دفقا شديدا متتابعا قوله انى لبعقر حوضى هو بضم العين المهملة واسكان القاف وهو موقف الابل من الحوض اذا وردته للشرب وقيل هو مؤخر الحوض قوله أذود الناس اى أضرب الناس لاهل اليمن بعصاى

حتى يرفض عليهم معناه اطرد الناس عنه غير أهل اليمن ومعنى يرفض أي يسيل عليهم
وفيه منقبة عظيمة لأهل اليمن قوله أنا فرطكم على الحوض الفرط بفتح الفاء والراء
هو الذي يتقدم على الواردين ليصلح لهم الحياض والدلاء ونحوهما من آلات الاستقاء
والمعنى أنا سابقكم الى الحوض كالمهيئ له قوله سحقا أي بعدا وفيه دليل لمن قال أنهم
أهل الردة اذ لا يقال للمؤمن سحقا بل يشفع قلت في حديث أنس الاول دليل لمن يقول
ان سورة الكوثر مدنية وهو الاظهر لقوله بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا
اذ أغفى اغفاءة يعني نام نومة ثم رفع رأسه متبسما والله أعلم قوله تعالى (فصل لربك
وانحر) معناه ان ناسا كانوا يصلون لغير الله تعالى وينحرون لغير الله فأمر الله نبيه صلى
الله عليه وسلم أن يصلي له وينحر له متقربا الى ربه بذلك وقيل معناه فصل لربك صلاة
العيد يوم النحر وانحر نسكك وقيل معناه فصل الصلاة المفروضة بجمع وانحر البدن
بمنى وقال ابن عباس فصل لربك وانحر أي ضع يدك اليمنى على اليسرى في الصلاة عند النحر
وقيل هو رفع اليدين مع التكبير الى النحر حكاه ابن الجوزي ومعنى الآية قد أعطيتك
ما لا نهاية لكثرته من خير الدارين وخصصتك بما لم أخص به أحدا غيرك فاعبد ربك
الذي أعطاك هذا العطاء الجزيل والخير الكثير وأعزك وشرفك على كافة الخلق ورفع
منزلتك فوقهم فصل له واشكره على انعامه عليك وانحر البدن متقربا اليه (ان
شانئك) يعني عدوك ومبغضك (هو الابتر) يعني هو الاقل الاذل المنقطع دابره نزلت
في العاص بن وائل السهمي وذلك انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم خارجا من المسجد
وهو داخل فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا وأناس من صناديد قريش جلوس في
المسجد فلما دخل العاص قالوا له من الذي كنت تتحدث معه فقال ذلك الابتر يعني به
النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد توفي ابن لرسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة وقيل
ان العاص بن وائل كان اذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوه فانه رجل أبتر
لا عقب له فاذا هلك انقطع ذكره فأنزل الله تعالى هذه السورة وقال ابن عباس نزلت في
كعب بن الاشرف وجماعة من قريش وذلك انه لما قدم كعب بن الاشرف مكة قالت
له قريش نحن أهل السقاية والسدانة وأنت سيد أهل المدينة فنحن خير أم هذا
الصنبور المنبتر من قومه فقال أنتم خير منه فنزلت فيه ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من
الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الآية ونزلت في الذين قالوا انه أبتر ان شانئك هو
الابتر أي المنقطع من كل خير قولهم في النبي صلى الله عليه وسلم هذا الصنبور أرادوا انه
فرد ليس له ولد فاذا مات انقطع ذكره شبهوه بالنخلة المنفردة يدق أسفلها وتسمى الصنبور
وقيل هي النخلة التي تخرج في أصل أخرى لم تغرس وقيل الصنابر سعفات تنبت من
جذع النخلة تضر بها ودواؤها ان تقطع تلك الصنابر منها فأراد كفار مكة أن محمدا صلى
الله عليه وسلم بمنزلة الصنبور ينبت في جذع نخلة فاذا انقطع استراحت النخلة فكذا محمد
اذا مات انقطع ذكره وقيل الصنبور الوحيد الضعيف الذي لا ولد له ولا عشيرة ولا ناصر
من قريب ولا غريب فأكذبهم الله تعالى في ذلك ورد عليهم أشنع رد فقال ان شانئك

(فصل لربك) فاعبد ربك
الذي أعزك باعطائه وشرفك
وصانك من منن الخلق مراغما
لقومك الذين يعبدون غير الله
(وانحر) لوجهه وباسمه اذا
نحرت مخالفا لعبدة الاوثان في
النحر لها (ان شانئك) أي من
أبغضك من قومك بمخالفتك
لهم (هو الابتر) المنقطع عن كل
خير لا أنت لان كل من يولد الى
يوم القيامة من المؤمنين فهم
أولادك وأعقابك وذكرك
مرفوع على المنابر وعلى لسان
كل عالم وذاكر الى آخر الدهر
يبدأ بذكر الله ويثنى بذكرك
ولك في الآخرة ما لا يدخل
تحت الوصف فمثلك لا يقال له
أبتر انما الابتر هو شانئك المنسي
في الدنيا والآخرة قيل نزلت
في العاص بن وائل سماه الابتر
والابتر الذي لا عقب له وهو
خبران وهو فصل

يا محمد

يا محمد هو الابتر الضعيف الوحيد الحقير وأنت الاعز الاشرف والاعظم والله أعلم بمراده

(تفسير سورة قل يا أيها الكافرون)
وهي مكية وست آيات وست وعشرون كلمة وأربعة وتسعون حرفا

عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا زلزلت عدلت له بنصف القرآن ومن قرأ قل يا أيها الكافرون عدلت له بربع القرآن ومن قرأ قل هو الله أحد عدلت له بثلث القرآن أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وله عن ابن عباس نحوه وقال فيه غريب ووجه كون هذه السورة تعدل بربع القرآن ان القرآن مشتمل على الامر والنهي وكل واحد منهما ينقسم الى ما يتعلق بعمل القلوب والى ما يتعلق بعمل الجوارح فحصل من ذلك أربعة أقسام وهذه السورة مشتملة على النهي عن عبادة غير الله تعالى وهي من الاعتقاد وذلك من أفعال القلوب فكانت هذه السورة ربع القرآن على هذا التقسيم والله سبحانه وتعالى أعلم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (قل يا أيها الكافرون) الى آخر السورة نزلت في رهط من قريش منهم الحرث بن قيس السهمي والعاص بن وائل السهمي والوليد بن المغيرة والاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب بن أسد وأمية بن خلف قالوا يا محمد هلم اتبع ديننا ونتبع دينك ونشركك في ديننا كله تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فان كان الذي جئت به خيرا كنا قد شركناك فيه وأخذنا حظنا منه وان كان الذي بايدينا خيرا كنت قد شركتنا في أمرنا وأخذت بحظك منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ الله ان اشرك به غيره قالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك قال حتى أنظر ما يأتي من ربي فانزل الله قل يا أيها الكافرون الى آخر السورة فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد الحرام وفيه أولئك الملأ من قريش فقام على رؤسهم ثم قرأها عليهم حتى فرغ من السورة فايسوا منه عند ذلك وآذوه وأصحابه وقيل انهم لقوا العباس فقالوا يا أبا الفضل لو أن ابن أخيك استلم بعض آلهتنا لصدقناه فيما يقول ولآمنا بالهه فاتاه العباس فاخبره بقولهم فنزلت هذه السورة وقيل نزلت في أبي جهل والمستهزئين ومن لم يؤمن منهم ومعنى ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مامورا بتبليغ الرسالة بجميع ما أوحى اليه فلما قال الله تعالى قل يا أيها الكافرون أداه النبي صلى الله عليه وسلم كما سمعه من جبريل عليه السلام فكأنه صلى الله عليه وسلم قال امرت بتبليغ جميع ما أنزل الله علي وكان فيما نزل عليه قل يا أيها الكافرون وقيل ان النفوس تابى سماع الكلام الغليظ الشنيع من النظير ولا أشنع ولا أغلظ من المخاطبة بالكفر فكأنه صلى الله عليه وسلم قال ليس هذا من عندي انما هو من عند الله عز وجل وقد أنزل الله علي قل يا أيها الكافرون والمخاطبون بقوله يا أيها الكافرون كفرة مخصوصون قد سبق في علم الله انهم لا يؤمنون (لا أعبد ما تعبدون) في معنى الآية قولان أحدهما انه لا تكرار فيها فيكون المعنى

(سورة الكافرين ست آيات مكية)
(بسم الله الرحمن الرحيم)
(قل يا أيها الكافرون) المخاطبون كفرة مخصوصون قد علم الله أنهم لا يؤمنون روى ان رهطا من قريش قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله ان اشرك به غيره فقالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقرأها عليهم فايسوا (لا أعبد ما تعبدون) اى لست في حالي هذه عابدا ما تعبدون

لا أعبد ما تعبدون لا أفعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أي ولا أنتم فاعلون في المستقبل ما أطلبه منكم من عبادة الهي ثم قال (ولا أنا عابد ما عبدتم) أي ولست في الحال بعابد معبودكم (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أي ولا أنتم في الحال بعابدين معبودي وقيل يحتمل أن يكون الاول للحال والثاني للاستقبال وقيل يصلح كل واحد منهما أن يكون للحال والاستقبال ولكن يختص أحدهما بالحال والثاني بالاستقبال لانه اخبر أولا عن الحال ثم اخبر ثانيا عن الاستقبال فيكون المعنى لا أعبد ما تعبدون في الحال ولا أنتم عابدون ما أعبد في الاستقبال وما بمعنى من أي من أعبد ويحتمل أن تكون بمعنى الذي أي الذي أعبد القول الثاني حصول التكرار في الآية وعلى هذا القول يقال ان التكرار يفيد التوكيد وكلما كانت الحاجة الى التوكيد اشد كان التكرار أحسن ولا موضع احوج الى التوكيد من هذا الموضع لان الكفار راجعوا النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المعنى مرارا فحسن التوكيد والتكرار في هذا الموضع لان القرآن نزل بلسان العرب وعلى مجاري خطابهم ومن مذاهبهم التكرار ارادة التوكيد والافهام كما أن من مذاهبهم الاختصار ارادة التخفيف والايجاز وقيل تكرار الكلام لتكرار الوقت وذلك انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان سرك أن ندخل في دينك عاما فادخل في ديننا عاما فنزلت هذه السورة جوابا لهم على قولهم (لكم دينكم ولي دين) أي لكم كفركم ولي الاخلاص والتوحيد والمقصود منه التهديد فهو كقوله اعملوا ما شئتم وهذه الآية منسوخة بآية القتال والله أعلم

(تفسير سورة النصر)

(وهي مدنية وثلاث آيات وسبع عشرة كلمة وسبعة وسبعون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (اذا جاء نصر الله والفتح) يعني فتح مكة وكانت قصة الفتح على ما ذكره محمد بن اسحق واصحاب الاخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صالح قريشا عام الحديبية اصطلحوا على وضع الحرب بين الناس عشرين سنة وقيل عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض وانه من أحب ان يدخل في عقد محمد صلى الله عليه وسلم وعهده دخل فيه ومن أحب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه فدخلت بنو بكر في عهد قريش ودخلت خزاعة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وكان بينهما شر قديم ثم ان بني بكر عدت على خزاعة وهم على ماء لهم اسفل مكة يقال له الوتير فخرج نوفل بن معاوية الدئلي في بني الدئل من بني بكر حين بقيت خزاعة على الوتير فاصابوا منهم رجلا وتحاوروا واقتتلوا وردفت قريش بني بكر بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا حتى حازوا خزاعة الى الحرم وكان ممن اعان بني بكر من قريش على خزاعة ليلتئذ بانفسهم بكر بن صفوان بن أمية وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو مع

عبدهم

(ولا أنتم عابدون) الساعة (ما أعبد) يعني الله (ولا أنا عابد ما عبدتم) ولا أعبد فيما استقبل من الزمان ما عبدتم (ولا أنتم) فيما تستقبلون (عابدون ما أعبد) وذكر بلفظ ما لان المراد به الصفة اي لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق اوذكر بلفظ ما ليتقابل اللفظان ولم يصح في الاول من وصح في الثاني ما بمعنى الذي (لكم دينكم ولي دين) لكم شرككم ولي توحيدي وبفتح الياء نافع وحفص وروى ان ابن مسعود رضي الله عنه دخل المسجد والنبي صلى الله عليه وسلم جالس فقال له نابذ يا ابن مسعود فقرأ قل يا ايها الكافرون ثم قال له في الركعة الثانية أخلص فقرأ قل هو الله احد فلما سلم قال يا ابن مسعود سل تجب والله اعلم

(سورة النصر مدنية وهي ثلاث آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا) منصوب بسبح وهو لما يستقبل والاعلام بذلك قبل كونه من أعلام النبوة وروي انها نزلت في ايام التشريق بمنى في حجة الوداع (جاء نصر الله والفتح) النصر الاعانة والاظهار على العدو والفتح فتح البلاد والمعنى نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على العرب او على قريش وفتح مكة أو جنس نصر الله المؤمنين وفتح بلاد الشرك

عليهم

عبيدهم فلما انتهوا الى الحرم قالت بنو بكر يانوفل انا قد دخلنا الى الهك فقال كلمة عظيمة انه لا اله له اليوم يا بنى بكر اصيبوا ثاركم فلعمرى انكم لتسرقون فى الحرم أفلا تصيبون ثاركم فيه قال فلما تظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة واصابوا منهم ما أصابوا ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة وكانوا فى عقده خرج عمرو بن سالم الخزاعى حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان ذلك مما أهاج فتح مكة فوقف عليه وهو فى المسجد جالس بين ظهرانى الناس فقال

يارب انى ناشد محمدا * حلف أبينا وأبيه الاتلدا

قد كنتم ولدا وكنا والدا * ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا

فانصر هداك الله نصرا اعتدا * وادع عباد الله يأتوا مددا

فيهم رسول الله قد تجردا * ان سيم خسفا وجهه تربدا

فى فيلق كالبحر يجرى مزبدا * ان قريشا أخلفوك الموعدا

ونقضوا ميثاقك المؤكدا * وجعلوا لى فى كداء رصدا

وزعموا أن لست أدعو أحدا * وهم أذل وأقل عددا

هم بيتونا بالوتير هجدا * وقتلونا ركعا وسجدا

* فانصر هداك الله نصرا أبدا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نصرت يا عمرو بن سالم ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم عنان من السماء فقال ان هذه السحابة لتستهل بنصر بنى كعب وهم رهط عمرو ابن سالم ثم خرج بديل بن ورقاء فى نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاخبروه بما أصيب منهم وبمظاهرة قريش بنى بكر عليهم ثم انصرفوا راجعين الى مكة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس كانكم بابى سفيان قد جاء يشدد فى العقد ويزيد فى المدة ومضى بديل بن ورقاء وأصحابه حتى لقوا أبا سفيان بعسفان قد بعثه قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشدد فى العقد ويزيد فى المدة وقد رهبوا من الذى صنعوا فلما لقى أبو سفيان بديلا قال من أين أقبلت يا بديل وظن انه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سرت فى خزاعة فى هذا الساحل وفى بطن هذا الوادى قال وهل أتيت محمدا قال لا فلما راح بديل الى مكة قال أبو سفيان لئن كان جاء المدينة لقد علف منها النوى فعمد الى مبرك ناقته فاخذ من بعرها ففته فرأى فيه النوى فقال احلف بالله لقد جاء بديل محمدا ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبى سفيان فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه فقال أى بنية أرغبت بى عن هذا الفراش أم رغبت به عنى فقالت بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل مشرك نجس لم أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله لقد أصابك يا بنية بعدى شر ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فلم يرد عليه شيأ

ثم ذهب الى أبي بكر فكلمه أن يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما أنا بفاعل
ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال أنا أشفع لك الى النبي صلى الله عليه وسلم فوالله لو لم
أجد الا الذر لجاهدتكم به ثم خرج فدخل على علي بن أبي طالب وعنده فاطمة بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندها الحسن بن علي غلام يدب بين يديها فقال يا علي
انك أمس القوم بي رحما وأقربهم مني قرابة وقد جئت في حاجة فلا أرجعن كما جئت
خائبا فاشفع لي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك يا أبا سفيان لقد أرى عزم
رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه فالتفت الى فاطمة وقال
يا بنت محمد هل لك أن تأمري بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب الى آخر
الدهر فقالت والله ما بلغ بني أن يجير بين الناس وما يجير أحد على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا أبا الحسن اني أرى الامور قد اشتدت علي فانصحني قال والله لا أعلم شيأ
يغني عنك ولكنك سيد بني كنانة فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك قال وترى ذلك
مغنيا عني شيأ قال لا والله ما أظن ذلك ولكن لا أجد لك غير ذلك فقام أبو سفيان في
المسجد فقال أيها الناس اني قد أجرت بين الناس ثم ركب بعيره فانطلق فلما قدم على
قريش قالوا ما وراءك قال جئت محمدا فكلمته فوالله ما رد على شيأ ثم جئت ابن أبي قحافة
فلم أجد عنده خيرا ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أعدى القوم ثم أتيت علي بن أبي طالب
فوجدته ألين القوم وقد أشار علي بشئ صنعته فوالله ما أدري هل يغني ذلك شيأ أم لا
قالوا وماذاك قال أمرني أن أجير بين الناس ففعلت قالوا فهل أجاز ذلك محمد قال لا قالوا
ويلك والله ما زاد على أن لعب بك فما يغني عنك ما قلت قال لا والله ما وجدت غير ذلك
قال وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وأمر أهله أن يجهزوه فدخل أبو بكر
على ابنته عائشة وهي تصلح بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اى بنية امركم
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تجهزوه قالت نعم قال فاين ترينه يريد قالت لا والله
ما أدري ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس أنه سائر الى مكة وأمرهم بالجد
والتهيؤ وقال اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها فتجهز الناس
وكتب حاطب بن أبي بلتعة كتابا الى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقد تقدمت قصته في تفسير سورة الممتحنة ثم مضى رسول الله صلى الله عليه
وسلم لسفره واستخلف على المدينة أبارهم كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفاري
وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عامدا الى مكة لعشر بقين من رمضان سنة ثمان من
الهجرة فصام النبي صلى الله عليه وسلم وصام الناس معه حتى اذا كان بالكديد بين
عسفان وأمج أفطر ثم مضى حتى نزل مر الظهران في عشرة آلاف من المسلمين ولم يتخلف
من الانصار والمهاجرين عنه احد فلما نزل مر الظهران وقد عميت الاخبار عن قريش ولا
يأتيهم خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يدرون ما هو فاعل خرج في تلك الليالي
ابو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتجسسون الاخبار وينظرون
هل يجدون خبرا او يسمعون به وقد كان العباس بن عبد المطلب لقي رسول الله صلى الله

عليه وسلم ببعض الطريق قال ابن هشام لقيه بالجحفة مهاجرا بعياله وقد كان قبل ذلك مقيما بمكة على سقايته ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران قال العباس بن عبد المطلب ليلتئذ واصباح قريش والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه انه الهلاك لقريش الى آخر الدهر قال فجلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الاراك لعلى أجد حطابا أو صاحب لبن أو ذا حاجة يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا اليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عنوة قال العباس فوالله انى لاسير عليها والتمس ما خرجت له اذ سمعت كلام أبى سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان وأبو سفيان يقول ما رأيت كالليلة نيرانا قط فقال بديل هذه والله نيران خزاعة حمشتها الحرب فقال أبو سفيان خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها فعرفت صوته فقلت يا أبا حنظلة فعرف صوتى فقال يا أبا الفضل فقلت نعم قال مالك فداك أبى وأمى قلت ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء بما لا قبل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين قال وما الحيلة قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمنه لك فردفنى ورجع صاحباه فخرجت اركض به على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما مررت بنار من نيران المسلمين ينظرون الى ويقولون عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال من هذا فقام الى فلما رأى أبا سفيان على عجز البغلة قال أبو سفيان عدو الله الحمد لله الذى أمكن منك بغير عقد ولا عهد ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وركضت البغلة فسبقته كما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطىء قال فاقتحمت عن البغلة سريعا فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر فقال يا رسول الله هذا عدو الله أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد فدعنى اضرب عنقه قال فقلت يا رسول الله انى قد أجرته ثم جلست الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذت برأسه وقلت والله لا يناجيك الليلة أحد دونى فلما أكثر عمر فى شأنه قلت مهلا يا عمر فوالله ما تصنع هذا الا أنه رجل من بنى عبد مناف ولو كان من بنى عدى بن كعب ما قلت هذا فقال مهلا يا عباس فوالله لاسلامك يوم أسلمت كان أحب الى من اسلام الخطاب لو أسلم وما ذاك الا لانى أعلم أن اسلامك كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلام الخطاب لو أسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب به يا عباس الى رحلك فاذا أصبحت فائتنى به قال فذهبت به الى رحلى فبات عندى فلما أصبح غدوت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا اله الا الله وأنى رسول الله قال بأبى أنت وأمى ما أحلمك وأكرمك وأوصلك والله لقد ظننت أن لو كان مع الله اله غيره لقد أغنى عنى شيأ بعد قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله قال بأبى أنت وأمى ما أحلمك وأكرمك وأوصلك أما هذه فان فى النفس منها حتى الآن شيأ فقال

العباس ويحك أسلم واشهد ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قبل ان تضرب عنقك فتشهد شهادة الحق وأسلم قال العباس فقلت يارسول الله ان أباسفيان هذا رجل يحب الفخر فاجعل له شيأ قال نعم من دخل دار ابي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عباس احبسه بمضيق الوادى عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله قال فخرجت حتى حيث أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احبسه قال ومرت به القبائل على راياتها كلما مرت به قبيلة قال من هؤلاء يا عباس فاقول سليم فيقول مالى ولسليم ثم القبيلة فيقول من هؤلاء فاقول مزينة فيقول مالى ولمزينة حتى نفدت القبائل لاتمر قبيلة الاسألنى عنهم فاذا أخبرته عنها فيقول مالى ولبنى فلان حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتيبة الخضراء وانما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها وفيها المهاجرون والانصار لا يرى منهم الا الحدق من الحديد فقال سبحان الله من هؤلاء يا عباس قلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المهاجرين والانصار قال مالاحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما قلت ويحك انها النبوة قال فنعم اذا فقلت الحق الآن بقومك فحذرهم فخرج سريعا حتى اتى مكة فصرخ فى المسجد باعلى صوته يامعشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لاقبل لكم به قالوا فمه قال من دخل دار ابى سفيان فهو آمن قالوا ويحك وما تغنى عنا دارك قال من دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن فتفرق الناس الى دورهم والى المسجد قال وجاء حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلما وبايعاه فلما بايعاه بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه الى قريش يدعوانهم الى الاسلام ولما خرج حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عامدين الى مكة بعث فى اثرهما الزبير واعطاه رايته وأمره على خيل المهاجرين والانصار وأمره أن يركز رايته باعلى مكة بالحجون وقال لاتبرح حيث أمرتك ان تركز رايتى حتى آتيك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى الى ذى طوى وقف على راحلته معتجرا بشقة عليه بردحبرة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضع رأسه تواضعا لله عز وجل حين رأى ما أكرمه به من الفتح حتى ان عثنونه ليكاد يمس واسطة الرحل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وضرب قبته باعلى مكة وأمر خالد بن الوليد فيمن أسلم من قضاعة وبنى سليم أن يدخلوا من أسفل مكة وبها بنو بكر وقد استنفرتهم قريش وبنو الحرث بن عبد مناف ومن كان من الاحابيش أمرتهم قريش أن يكونوا باسفل مكة وان صفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا اناسا بالخندمة ليقاتلوا وقال النبى صلى الله عليه وسلم لخالد والزبير حين بعثهما لاتقاتلا الا من قاتلكما وأمر سعد بن عبادة أن يدخل فى بعض الناس من كدى فقال سعد حين توجه داخلا اليوم يوم الملحمة اليوم يوم تستحل الحرمة فسمعها رجل من المهاجرين قيل هو عمر بن الخطاب فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اسمع ماقال

سعد بن عبادة وما نأمن أن يكون له فى قريش صولة فقال النبى صلى الله عليه وسلم لعلى
بن أبى طالب أدركه بهذه الراية فكن أنت الذى تدخل بها فلم يكن باعلى مكة من قبل
الزبير قتال وأما خالد بن الوليد فقدم على قريش وبنى بكر والاحابيش باسفل مكة
فقاتلوهم فهزمهم الله ولم يكن بمكة قتال غير ذلك وقتل من المشركين اثنا عشر رجلا أو
ثلاثة عشر رجلا ولم يقتل من المسلمين الا رجل من جهينة يقال له سلمة بن الميلاء من
خيل خالد بن الوليد ورجلان يقال لهما كرز بن جابر وخنيس بن خالد بن الوليد شذا
وسلكا طريقا غير طريقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد الى أمرائه من
المسلمين حين أمرهم ان يدخلوا مكة ان لا يقاتلوا الا من قاتلهم الا نفرا منهم سماهم أمر
بقتلهم وان وجدوا تحت استار الكعبة منهم عبد الله بن سعد بن أبى سرح وانما أمر
بقتله لانه كان قد اسلم فارتد مشركا ففر الى عثمان وكان أخاه من الرضاعة فغيبه حتى
أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان اطمأن أهل مكة فاستأمنه له وعبد الله بن
خطل رجل من بنى تيم بن غالب وانما أمر بقتله لانه كان مسلما فبعثه رسول الله صلى
الله عليه وسلم مصدقا وكان له مولى يخدمه وكان مسلما فنزل منزلا وأمر المولى ان يذبح له
تيسا ويصنع له طعاما ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيأ فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركا وكان
له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بقتلهما معه والحويرث بن
نقيذ بن وهب وكان ممن يؤذيه بمكة ومقيس بن صبابة وانما أمر بقتله لقتله الانصارى
الذى قتل أخاه خطأ ورجوعه الى قريش مرتدا وسارة مولاة لبنى عبد المطلب وكانت
ممن يؤذيه بمكة وعكرمة بن أبى جهل فاما عكرمة فهرب الى اليمن واسلمت امرأته أم حكيم
بنت الحرث بن هشام فاستأمنت له رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنه فخرجت فى طلبه
حتى أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم واما عبد الله بن خطل فقتله سعيد بن حريث
المخزومى وأبو برزة الاسلمى اشتركا فى دمه واما مقيس بن صبابة فقتله نميلة بن عبد الله
رجل من قومه واما قينتا ابن خطل فقتلت احداهما وهربت الاخرى حتى استؤمن
لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنها واما سارة فتغيبت حتى استؤمن لها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فامنها فعاشت حتى أوطأها رجل من الناس فرسا له فى زمن عمر بن
الخطاب بالابطح فقتلها وأما الحويرث بن نقيذ فقتله على بن أبى طالب قالت أم هانئ
لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم باعلى مكة فر الى رجلان من احمائى من بنى مخزوم
وكانت عنده هبيرة بن أبى وهب المخزومى قالت فدخل على على بن أبى طالب اخى فقال
والله لاقتلنهما فاغلقت عليهما باب بيتى ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
باعلى مكة فوجدته يغتسل من جفنة وان فيها الاثر العجين وفاطمة ابنته تستره بثوبه
فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثمان ركعات الضحى ثم انصرف الى فقال
مرحبا وأهلا يا أم هانئ ما جاء بك فاخبرته خبر الرجلين وخبر على بن أبى طالب فقال قد
أجرنا من أجرت وأمنا من أمنت فلا نقتلهما ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج
لما اطمأن الناس حتى جاء البيت فطاف به سبعا على راحلته يستلم الركن بمحجن فى

يده فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة وأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف له الناس فى المسجد فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده الا كل مأثرة أودم أومال يدعى فهى تحت قدمى هاتين الا سدانة البيت وسقاية الحاج ألا وقتل الخطا شبه العمد بالسوط والعصا ففيه الدية مغلظة مائة من الابل أربعون منها خلفة فى بطونها أولادها يا معشر قريش ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظيمها بالآباء الناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى الآية ثم قال يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل فيكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال فاذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد وقد كان الله أمكنه منهم عنوة فبذلك سموا أهل مكة الطلقاء ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام اليه على بن أبى طالب ومفتاح الكعبة بيده فقال يا رسول الله اجمع لنا بين الحجابة والسقاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أين عثمان بن طلحة فدعى له فقال هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم وفاء وبر قال واجتمع الناس للبيعة فجلس اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل منه يأخذ على الناس فيبايعونه على السمع والطاعة فيما استطاعوا فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء قال عروة بن الزبير خرج صفوان بن أمية يريد جدة ليركب منها الى اليمن فقال عمير بن وهب الجمحى يا رسول الله ان صفوان ابن أمية سيد قومى قد خرج هاربا منك ليقذف بنفسه فى البحر فأمنه يا رسول الله فقال هو آمن قال يا رسول الله أعطنى شيأ يعرف به أمانك فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمامته التى دخل بها مكة فخرج بها عمير حتى ادركه بجدة وهو يريد ان يركب البحر فقال يا صفوان فداك أبى وأمى اذكرك الله فى نفسك ان تهلكها فهذا أمان رسول الله صلى الله عليه وسلم جئتك به فقال ويلك اعزب عنى لا تكلمنى قال فداك أبى وأمى أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس ابن عمك عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك قال انى اخافه على نفسى قال هو أحلم من ذلك وأكرم فرجع به معه حتى وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صفوان ان هذا يزعم انك أمنتنى قال صدق قال فاجعلنى فى ذلك بالخيار شهرين قال أنت بالخيار أربعة أشهر قال ابن هشام وبلغنى ان النبى صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة ودخلها قام على الصفا يدعو وقد أحدقت به الانصار فقالوا فيما بينهم أترون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فتح الله عليه مكة أرضه وبلاده يقيم بها فلما فرغ من دعائه قال ماذا قلتم قالوا لا شئ يا رسول الله فلم يزل بهم حتى أخبروه فقال النبى صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم قال ابن اسحق وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من رمضان سنة ثمان وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة ثم خرج

الى هوازن وثقيف وقد نزلوا حنينا (ق) عن أبي هريرة ان خزاعة قتلوا رجلا من بنى
ليث عام الفتح بقتيل لهم فى الجاهلية فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس
فحمد الله وأثنى عليه وقال ان الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين
الا وانها لم تحل لاحد قبلى ولا تحل لاحد من بعدى الا وانما أحلت لى ساعة من نهار الا
وانها ساعتى هذه فلا ينفر صيدها ولا يختلى خلاها ولا يقطع شوكها ولا تحل ساقطتها الا
المنشد ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين اما أن يفتدى واما أن يقيد فقال العباس
الا الاذخر فانا نجعله لقبورنا وبيوتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا الاذخر فقام
أبو شاه رجل من أهل اليمن فقال اكتبوا لى يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اكتبوا لابى شاه قال الاوزاعى يعنى الخطبة التى سمعها من رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأما التفسير فقوله تعالى اذا جاء نصر الله يعنى اذا جاءك يا محمد نصر الله ومعونته
على من عاداك وهم قريش ومعنى مجىء النصر أن جميع الامور مرتبطة بأوقاتها
يستحيل تقدمها عن وقتها أو تأخرها عنه فاذا جاء ذلك الوقت المعين حضر معه ذلك الامر
المقدر ولهذا المعنى قال اذا جاء نصر الله والفتح يعنى فتح مكة فى قول جمهور المفسرين وقيل
هو جنس نصر الله المؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم على الاطلاق والفرق بين النصر
والفتح ان النصر هو الاعانة والاظهار على الاعداء وهو تحصيل المطلوب وهو كالسبب
للفتح فلهذا بدأ بذكر النصر وعطف عليه الفتح وقيل النصر هو اكمال الدين واظهاره
والفتح هو الاقبال الذى هو تمام النعمة (ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا)
يعنى زمرا وأرسالا القبيلة بأسرها والقوم بأجمعهم من غير قتال قال الحسن لما فتح الله
على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة قالت العرب بعضها لبعض اذ أظفر الله محمدا بأهل
الحرم وكان قد أجارهم من أصحاب الفيل فليس لكم به يدان فكانوا يدخلون فى دين الله
أفواجا بعد ان كانوا يدخلون واحدا واحدا واثنين اثنين وقيل أراد بالناس أهل اليمن
(ق) عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتاكم أهل اليمن هم اضعف
قلوبا وارق أفئدة الايمان يمان والحكمة يمانية ودين الله هو الاسلام وأضافه اليه
تشريفا وتعظيما له كبيت الله وناقة الله قوله (فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان
توابا) يعنى فانك حينئذ لاحق به (ق) عن ابن عباس قال كان عمر يدخلنى مع أشياخ
بدر فقال بعضهم لم يدخل هذا الفتى معنا ولنا ابناء مثله فقال انه ممن قد علمتم قال فدعاهم
ذات يوم ودعانى معهم قال وما رأيت انه كان دعانى يومئذ الا ليريهم قال ما تقولون فى
قول الله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح حتى ختم السورة فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله
ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيأ فقال لى أكذلك تقول
يا ابن عباس قال قلت لا قال فما هو قلت هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه
قال اذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان
توابا قال عمر ما أعلم منها الا ما تعلم (ق) عن عائشة قالت ما صلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم صلاة بعد ان أنزلت عليه اذا جاء نصر الله والفتح الا يقول فيها سبحانك ربنا وبحمدك

(ورأيت الناس يدخلون) هو
حال من الناس على ان رأيت
بمعنى ابصرت أو عرفت أو
مفعول ثان على انه بمعنى علمت
(فى دين الله أفواجا) هو حال
من فاعل يدخلون وجواب اذا
فسبح أى اذا جاء نصر الله اياك
على من ناواك وفتح البلاد
ورأيت أهل اليمن يدخلون فى
ملة الاسلام جماعات كثيرة بعد
ما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا
واثنين اثنين (فسبح بحمد ربك)
فقل سبحان الله حامدا له أو
فصل له (واستغفره) تواضعا
وهضما للنفس أو دم على
الاستغفار (انه كان) ولم يزل
(توابا) التواب الكثير القبول
للتوبة وفى صفة العباد الكثير
الفعل للتوبة ويروى ان عمر
رضى الله عنه لما سمعها بكى وقال
الكمال دليل الزوال وعاش
رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعدها سنتين والله أعلم

اللهم اغفر لي وفي رواية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي يتأول القرآن وفي رواية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر القول من سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب اليه وقال أخبرني ربي اني سارى علامة في أمتي فاذا رأيتها أكثرت من قول سبحان الله وبحمده واستغفر الله وأتوب اليه فقد رأيتها اذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا قال ابن عباس لما نزلت هذه السورة علم النبي صلى الله عليه وسلم انه نعيت اليه نفسه وقال الحسن أعلم انه قد اقترب أجله فأمر بالتسبيح والتوبة ليختم بالزيادة في العمل الصالح قيل عاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة سنتين وقيل في معنى السورة اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فاشتغل أنت بالتسبيح والتحميد والاستغفار فالاشتغال بهذه الطاعة يصير سببا لمزيد درجاتك في الدنيا والآخرة وفي معنى التسبيح وجهان أحدهما نزه ربك عما لا يليق بجلاله ثم احمده والثاني فصل لربك لان التسبيح جزء من أجزاء الصلاة ثم قيل عني به صلاة الشكر وهو ما صلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ثمان ركعات وقيل هي صلاة الضحى وفي الآية دليل على فضيلة التسبيح والتحميد حيث جعل ذلك كافيا في أداء ما وجب عليه من شكر نعمة النصر والفتح فان قلت ما معنى هذا الاستغفار وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قلت انه تعبده الله بذلك ليقتدي به غيره اذ لا يأمن كل واحد من نقص يقع في عبادته واجتهاده ففيه تنبيه على ان النبي صلى الله عليه وسلم مع عصمته وشدة اجتهاده ما كان يستغني عن الاستغفار فكيف بمن هو دونه وقيل هو من ترك الافضل والاولى لا عن ذنب صدر منه صلى الله عليه وسلم وعلى قول من جوز الصغائر على الانبياء يكون المعنى واستغفره لما عسى ان يكون قد وقع من تلك الامور منه وقيل المراد منه الاستغفار لذنوب أمته وهذا ظاهر لان الله تعالى أمره بذلك في قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله سبحانه وتعالى أعلم

(تفسير سورة أبي لهب)

وهي مكية وخمس آيات وعشرون كلمة وسبعة وسبعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (تبت يدا أبي لهب) (ق) عن ابن عباس قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا ونادى يا بني فهر يا بني عدي لبطون من قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل اذا لم يستطع أرسل رسولا لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال أرأيتكم لو أخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد ان تغير عليكم أكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك الا صدقا قال فاني لكم نذير بين يدي عذاب شديد فقال

(سورة أبي لهب مكية وهي خمس آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تبت يدا أبي لهب) التباب الهلاك ومنه قولهم اشابة أم تابة أي هالكة من الهرم والمعنى هلكت يداه لانه فيما يروى أخذ حجرا ليرمي به رسول الله صلى الله عليه وسلم

أبولهب تبالك سائر اليوم ألهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى البطحاء فصعد الجبل فنادى ياصباحاه فاجتمعت عليه قريش الحديث وذكر نحوه ومعنى تبت خابت وخسرت والتباب هو الخسار المفضى الى الهلاك والمراد من اليد صاحبها او جملة بدنه وذلك على عادة العرب في التعبير ببعض الشئ عن كله وجميعه وقيل انه رمى النبي صلى الله عليه وسلم بحجر فأدمى عقبه فلهذا ذكرت اليدوان كان المراد جملة البدن فهو كقولهم خسرت يده وكسبت يده فاضيفت الافعال الى اليد وأبولهب هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم عم النبي صلى الله عليه وسلم وكنى بابي لهب لحسنه واشراق وجهه فان قلت لم كناه وفي الكنية تشريف وتكرمة قلت فيه وجوه أحدها انه كان مشتهرا بالكنية دون الاسم فلوذكره باسمه لم يعرف الثاني انه كان اسمه عبد العزى فعدل عنه الى الكنية لما فيه من الشرك الثالث انه لما كان من أهل النار وما آله الى النار والنار ذات لهب وافقت حاله كنيته وكان جديرا بان يذكر بها (وتب) قيل الاول أخرج مخرج الدعاء عليه والثاني أخرج مخرج الخبر كما يقال أهلكه الله وقد هلك وقيل تبت يدا أبي لهب يعني ماله وملكه كما يقال فلان قليل ذات اليد يعنون به المال وتب يعني نفسه أي وقد أهلكت نفسه (ما أغنى عنه ماله وما كسب) قال ابن مسعود لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرباءه الى الله تعالى قال أبولهب ان كان ما تقول يا ابن أخي حقا فانا أفتدي نفسي بمالي وولدي فانزل الله تعالى ما أغنى عنه ماله أي أي شئ يغني عنه ماله أي ما يدفع عنه عذاب الله وما كسب يعني من المال وكان صاحب مواش أي ما جمع من المال أو ما كسب من المال أي ربح بعد رأس ماله وقيل وما كسب يعني ولده لان ولد الانسان من كسبه كما جاء في الحديث ان اطيب ما أكلتم من كسبكم وان أولادكم من كسبكم أخرجه الترمذي ثم أوعده بالنار فقال تعالى (سيصلى نارا ذات لهب) أي نارا تلتهب عليه (وامرأته) يعني أم جميل بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان بن حرب عمة معاوية بن أبي سفيان وكانت في نهاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (حمالة الحطب) قيل كانت تحمل الشوك والحسك والعضاه بالليل فتطرحه في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لتؤذيهم بذلك وهي رواية عن ابن عباس فان قلت انها كانت من بيت العز والشرف فكيف يليق بها حمل الحطب قلت يحتمل انها كانت مع كثرة مالها وشرفها في نهاية البخل والخسة فكان يحملها بخلها على حمل الحطب بنفسها ويحتمل انها كانت تفعل ذلك لشدة عداوتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا

(وتب) وهلك كله أو جعلت يداه هالكتين والمراد هلاك جملته كقوله بما قدمت يداك ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقوله
جزاني جزاه الله شر جزائه ❊ جزاء الكلاب العاويات وقد فعل
وقد دلت عليه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وقد تب روى انه لما نزل وأنذر عشيرتك الاقربين رقى الصفا وقال ياصباحاه فاستجمع اليه الناس من كل أوب فقال عليه الصلاة والسلام يابني عبد المطلب يابني فهر أن اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي الساعة فقال أبولهب تبالك ألهذا دعوتنا فنزلت وانما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بها دون الاسم أو لكراهة اسمه فاسمه عبد العزى أو لان مآله الى نار ذات لهب فوافقت حاله كنيته أبي لهب مكي (ما أغنى عنه ماله) ما للنفي (وما كسب) مرفوع وما موصولة أو مصدرية أي ومكسوبه أو وكسبه أي لم ينفعه ماله الذي ورثه من أبيه والذي كسبه بنفسه أو ماله التالد والطارف وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما كسب ولده وروى انه كان يقول ان كان ما يقول ابن أخي حقا فانا افتدى منه نفسي بمالي وولدي (سيصلى نارا) سيدخل سيصلى البرجمي عن أبي بكر والسين للوعيد أي هو كائن لامحالة وان تراخى وقته (ذات لهب) توقد (وامرأته) هي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان (حمالة الحطب) كانت تحمل حزمة من الشوك والحسك فتنثرها بالليل في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كانت تمشي بالنميمة فتشعل نار العداوة بين الناس ونصب عاصم حمالة الحطب على الشتم وأنا أحب هذه القراءة وقد توسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميل من أحب شتم أم جميل وعلى هذا يسوغ الوقف على امرأته لانها عطفت على الضمير في سيصلى أي سيصلى هو وامرأته والتقدير أعني حمالة الحطب وغيره رفع حمالة الحطب على انها خبر وامرأته أو وهي حمالة

ترى انها تستعين فى ذلك بأحد بل تفعله هى بنفسها وقيل كانت تمشى بالنميمة وتنقل الحديث وتلقى العداوة بين الناس وتوقد نارها كما توقد النار الحطب يقال فلان يحطب على فلان اذا كان يغرى به وقيل حمالة الخطايا والآثام التى حملتها فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانها كانت كالحطب فى مصيرها الى النار (فى جيدها) أى عنقها (حبل من مسد) قال ابن عباس سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا تدخل من فيها وتخرج من دبرها ويكون سائرها فى عنقها فتلت من حديد فتلا محكما وقيل هو حبل من ليف وذلك الحبل هو الذى كانت تحتطب به فبينما هى ذات يوم حاملة الحزمة أعيت فقعدت على حجر تستريح اتاها ملك فجذبها من خلفها فاهلكها وقيل هو حبل من شجر ينبت باليمن يقال له المسد وقيل قلادة من ودع وقيل كانت لها خرزات فى عنقها وقيل كانت لها قلادة فاخرة قالت لانفقنها فى عداوة محمد صلى الله عليه وسلم والله تعالى أعلم

(فى جيدها حبل من مسد) حال أو خبر آخر والمسد الذى فتل من الحبال فتلا شديدا من ليف كان أو جلد أو غيرهما والمعنى فى جيدها حبل مما مسد من الحبال وانها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها فى جيدها كما يفعل الحطابون تحقيرا لها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات لتجزع من ذلك ويجزع بعلها وهما فى بيت العز والشرف وفى منصب الثروة والجدة والله أعلم

(تفسير سورة الاخلاص)

وهى مكية وقيل مدنية وهى اربع آيات وخمس عشرة كلمة وسبعة وأربعون حرفا

(سورة الاخلاص أربع آيات مكية عند الجمهور وقيل مدنية عند أهل البصرة)

(فصل فى فضلها) (خ) عن أبى سعيد الخدرى أن رجلا سمع رجلا يقرأ قل هو الله احد يرددها فلما اصبح جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وكان الرجل يتقالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده انها تعدل ثلث القرآن وفى رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه أيعجز أحدكم ان يقرأ ثلث القرآن فى ليلة فشق ذلك عليهم فقالوا أينا يطيق ذلك يا رسول الله فقال قل هو الله أحد الله الصمد ثلث القرآن (م) عن أبى الدرداء ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء فجعل قل هو الله أحد جزأ من القرآن (م) عن أبى هريرة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقرأ عليكم ثلث القرآن فقرأ قل هو الله أحد الله الصمد حتى ختمها وتذكر العلماء رضى الله عنهم فى كونه صلى الله عليه وسلم جعل سورة الاخلاص تعدل ثلث القرآن أقوالا متناسبة متقاربة فقيل ان القرآن العزيز لا يعد وثلاثة اقسام وهى الارشاد الى معرفة ذات الله تعالى وتقديسه او صفاته وأسمائه أو معرفة افعاله وسنته مع عباده ولما اشتملت سورة الاخلاص على أحد هذه الاقسام الثلاثة وهو التقديس وازنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلث القرآن لان منتهى التقديس فى ان يكون واحدا فى ثلاثة أمور لا يكون حاصلا منه من هو من نوعه وشبهه ودل عليه قوله لم يلد ولا يكون حاصلا من هو نظيره وشبيهه ودل عليه قوله ولم يولد ولا يكون أحد فى درجته وان لم يكن أصلا له ولا فرعا منه ودل عليه قوله ولم يكن له كفوا أحد ويجمع ذلك كله قوله قل هو الله أحد وجملته وتفصيله هو قولك لا اله الا الله فهذا سر من أسرار القرآن المجيد الذى لا تتناهى اسراره ولا تنقضى عجائبه وقال الامام فخر الدين الرازى لعل الغرض منه ان يكون المقصود الاشرف فى جميع الشرائع والعبادات معرفة ذات الله جل جلاله وتعالى علاؤه وثناؤه ومعرفة صفاته ومعرفة افعاله وهذه

السورة

(بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد) هو ضمير الشأن والله أحد هو الشأن كقولك هو زيد منطلق كأنه قيل الشأن هذا وهو أن الله واحد لا ثاني له ومحل هو الرفع على الابتداء والخبر هو الجملة ولا يحتاج الى الراجع لانه في حكم المفرد في قولك زيد غلامك في انه هو المبتدأ في المعنى وذلك ان قوله الله أحد هو الشأن الذي هو عبارة عنه وليس كذلك زيد أبوه منطلق فان زيدا والجملة يدلان على معنيين مختلفين فلا بد مما يصل بينهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قالت قريش يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا اليه فنزلت يعني الذي سألتموني وصفه هو الله تعالى ٥٦١ وعلى هذا أحد خبر مبتدأ محذوف أي

هو أحد وهو بمعنى واحد وأصله وحد فقلبت الواو همزة لوقوعها طرفا والدليل على انه واحد من جهة العقل ان الواحد اما أن يكون في تدبير العالم وتخليقه كافيا أولا فان كان كافيا كان الآخر ضائعا غير محتاج اليه وذلك نقص والناقص لا يكون الها وان لم يكن كافيا فهو ناقص ولان العقل يقتضي احتياج المفعول الى فاعل والفاعل الواحد كاف وما وراء الواحد فليس عدد أولى من عدد فيفضي ذلك الى وجود اعداد لانهاية لها وذا محال فالقول بوجود الهين محال ولان أحدهما اما أن يقدر على ان يستر شيأ من أفعاله عن الآخر أولا يقدر فان قدر لزم كون المستور عنه جاهلا وان لم يقدر لزم كونه عاجزا ولانا لو فرضنا معدوما ممكن الوجود فان لم يقدر واحد منهما على ايجاده كان كل واحد منهما عاجزا والعاجز لا يكون

السورة مشتملة على معرفة ذات الله تعالى فلهذا كانت هذه السورة معادلة لثلث القرآن وقال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله قيل معناه ان القرآن على ثلاثة انحاء قصص وأحكام وصفات الله تعالى وقل هو الله أحد متمحضة للصفات فهي ثلث القرآن وجزء من ثلاثة أجزاء وقيل معناه ان ثواب قراءتها مرة يتضاعف بقدر ثواب قراءة ثلث القرآن بغير تضعيف قوله يتقالها يقال استقللت الشيء وتقاللته وتقالته أي عددته قليلا في بابه ونظرت اليه بعين القلة قيل سميت قل هو الله أحد سورة الاخلاص اما لانها خالصة لله تعالى في صفته أولان قارئها قد أخلص لله التوحيد ومن فوائد هذه السورة ان الاشتغال بقراءتها يفيد الاشتغال بالله وملازمة الاعراض عما سوى الله تعالى وهي متضمنة تنزيه الله تعالى وبراءته عن كل ما لا يليق به لانها مع قصرها جامعة لصفات الاحدية والصمدانية والفردانية وعدم النظير * عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ كل يوم مائتي مرة قل هو الله أحد محيت عنه ذنوب خمسين سنة الا أن يكون عليه دين وفي رواية عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أراد أن ينام على فراشه فنام على يمينه فقرأ قل هو الله أحد مائة مرة فاذا كان يوم القيامة يقول الرب جل جلاله يا عبدي ادخل عن يمينك الجنة أخرجه الترمذي وقال حديث غريب * وعنه أن رجلا قال يا رسول الله اني أحب هذه السورة قل هو الله أحد قال حبك اياها أدخلك الجنة أخرجه الترمذي عن أبي هريرة قال أقبلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد الله الصمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت قلت وما وجبت قال الجنة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (قل هو الله أحد) عن أبي بن كعب ان المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك فانزل الله قل هو الله أحد الله الصمد والصمد الذي لم يلد ولم يولد لانه ليس شيء يولد الا سيموت وليس شيء يموت الا سيورث وان الله لا يموت ولا يورث ولم يكن له كفوا أحد قال لم يكن له شبيه ولا عديل وليس كمثله شيء أخرجه الترمذي

الها وان قدر أحدهما دون الآخر فالآخر لا يكون الها وان قدرا جميعا فاما أن يوجداه بالتعاون فيكون كل واحد منهما محتاجا الى اعانة الآخر فيكون كل واحد منهما عاجزا وان قدر كل واحد منهما على ايجاده بالاستقلال فاذا أوجده أحدهما فاما أن يبقى الثاني قادرا عليه وهو محال وان لم يبق فحينئذ يكون الاول مزيلا لقدرة الثاني فيكون عاجزا ومقهورا تحت تصرفه فلا يكون الها فان قلت الواحد اذا أوجد مقدور نفسه فقد زالت قدرته فيلزمكم أن يكون هذا الواحد قد جعل نفسه عاجزا قلنا الواحد اذا أوجد مقدور نفسه فقد نفذت قدرته ومن نفذت قدرته لا يكون عاجزا وأما الشريك فما نفذت قدرته بل زالت قدرته بسبب قدرة الآخر فكان ذلك تعجيزا

وقال وقد روى عن ابى العالية ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر آلهتهم فقالوا انسب لنا ربك فاتاه جبريل بهذه السورة قل هو الله أحد وذكر نحوه ولم يذكر فيه عن أبي بن كعب وهذا أصح وقال ابن عباس ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال عامر الام تدعونا يا محمد قال الى الله قال صفه لنا امن ذهب هو ام من فضة ام من حديد ام من خشب فنزلت هذه السورة واهلك الله اربد بالصاعقة وعامرا بالطاعون وقد تقدم ذكرهما في سورة الرعد وقيل جاء ناس من احبار اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا صف لنا ربك لعلنا نؤمن بك فان الله تعالى انزل نعته في التوراة فاخبرنا من اى شيء هو وهل يأكل و يشرب وممن ورث الربوبية ولمن يورثها فانزل الله هذه السورة قل هو الله احد يعني الذي سألتموني عنه هو الله الواحد في الالوهية والربوبية الموصوف بصفات الكمال والعظمة المنفرد عن الشبه والمثل والنظير وقيل لا يوصف احد بالاحدية غير الله تعالى فلا يقال رجل احد ودرهم احد بل احد صفة من صفات الله تعالى استأثر بها فلا يشركه فيها احد والفرق بين الواحد والاحد أن الواحد يدخل في الاحد ولا ينعكس وقيل ان الواحد يستعمل في الاثبات والاحد في النفي تقول في الاثبات رأيت رجلا واحدا وفي النفي ما رأيت احدا فتفيد العموم وقيل الواحد هو المنفرد بالذات فلا يضاهيه احد والاحد هو المنفرد بالمعنى فلا يشاركه فيه احد (الله الصمد) قال ابن عباس الصمد الذي لا جوف له وبه قال جماعة من المفسرين ووجه ذلك من حيث اللغة أن الصمد الشيء المصمد الصلب الذي ليس فيه رطوبة ولا رخاوة ومنه يقال لسداد القارورة الصماد فان فسر الصمد بهذا كان من صفات الاجسام ويتعالى الله جل وعز عن صفات الجسمية وقيل وجه هذا القول أن الصمد الذي ليس باجوف معناه هو الذي لا يأكل ولا يشرب وهو الغني عن كل شيء فعلى هذا الاعتبار هو صفة كمال والقصد بقوله الله الصمد التنبيه على انه تعالى بخلاف من أثبتوا له الالهية واليه الاشارة بقوله تعالى ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا يأكلان الطعام وقيل الصمد الذي ليس باجوف شيئان أحدهما دون الانسان وهو سائر الجمادات الصلبة والثاني اشرف من الانسان وأعلى منه وهو البارى جل وعز وقال أبي بن كعب الصمد الذي لم يلد ولم يولد لان من يولد سيموت ومن يموت يورث منه وروى البخاري في أفراده عن ابى وائل شقيق بن سلمة قال الصمد هو السيد الذي انتهى سودده وهي رواية عن ابن عباس ايضا قال هو السيد الذي كمل فيه جميع أوصاف السودد وقيل هو السيد المقصود في جميع الحوائج المرغوب اليه في الرغائب المستعان به عند المصائب وتفريج الكرب وقيل هو الكامل في جميع صفاته وافعاله وتلك دالة على انه المتناهي في السودد والشرف والعلو والعظمة والكمال والكرم والاحسان وقيل الصمد الدائم الباقي بعد فناء خلقه وقيل الصمد الذي ليس فوقه احد وهو قول علي وقيل هو الذي لا تعتريه الآفات ولا تغيره الاوقات وقيل هو الذي لا عيب فيه وقيل الصمد هو الاول الذي ليس له زوال والآخر الذي ليس لملكه

(الله الصمد) هو فعل بمعنى مفعول من صمد اليه اذا قصده وهو السيد المصمود اليه في الحوائج والمعنى هو الله الذي تعرفونه وتقرون بانه خالق السموات والارض وخالقكم وهو واحد لا شريك له وهو الذي يصمد اليه كل مخلوق ولا يستغنون عنه وهو الغني عنهم (لم يلد) لانه لا يجانس حتى يكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا وقد دل على هذا المعنى بقوله أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة

انتقال

(ولم يولد) لان كل مولود محدث وجسم وهو قديم لا أول لوجوده اذ لو لم يكن قديما لكان حادثا لعدم الواسطة بينهما ولو كان حادثا لافتقر الى محدث وكذا الثاني والثالث فيؤدي الى التسلسل وهو باطل وليس بجسم لانه اسم للمتركب ولا يخلو حينئذ من أن يتصف كل جزء منه بصفات الكمال فيكون كل جزء الها فيفسد القول به كما فسد بالهين أو غير متصف بها بل باضدادها من سمات الحدوث وهو محال (ولم يكن له كفوا أحد) ولم يكافئه أحد اى لم يماثله سألوه ان يصفه لهم فاوحى اليه ما يحتوى على صفاته تعالى فقوله هو الله اشارة الى انه خالق الاشياء وفاطرها وفى طى ذلك وصفه بانه قادر عالم لان الخلق يستدعى القدرة والعلم لكونه واقعا على غاية احكام واتساق وانتظام وفى ذلك وصفه بانه حى لان المتصف بالقدرة والعلم لابد وان يكون حيا وفى ذلك وصفه بانه سميع بصير مريد متكلم الى غير ذلك من صفات الكمال اذ لو لم يكن موصوفا بها لكان موصوفا باضدادها وهى نقائص وذا من امارات الحدوث فيستحيل اتصاف القديم بها وقوله أحد وصف بالوحدانية ونفى الشريك وبانه المتفرد بايجاد المعدومات والمتوحد بعلم الخفيات وقوله الصمد ٥٦٣ وصف بانه ليس الاحتياج اليه واذا لم يكن الاحتياج اليه فهو غنى لا يحتاج الى أحد ويحتاج اليه كل أحد وقوله لم يلد نفى للشبه والمجانسة وقوله ولم يولد نفى للحدوث ووصف بالقدم والاولية وقوله ولم يكن له كفوا أحد نفى ان يماثله شئ ومن زعم ان نفى الكفء وهو المثل فى الماضى لا يدل على نفيه للحال والكفار يدعونه فى الحال فقد تاه فى غيه لانه اذا لم يكن فيما مضى لم يكن فى الحال ضرورة اذ الحادث لا يكون كفوا للقديم وحاصل كلام الكفرة يؤول الى الاشراك والتشبيه والتعطيل والسورة تدفع الكل كما قررنا واستحسن سيبويه تقديم الظرف اذا كان مستقرا اى خبرا لانه لما كان محتاجا اليه قدم ليعلم من اول الامر أنه خبر لا فضلة وتاخيره اذا كان لغوا أى فضلة لان التأخير مستحق للفضلات وانما قدم فى الكلام الافصح لان الكلام سيق لنفى المكافأة عن ذات البارئ سبحانه وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف فكان الاهم تقديمه وكان أبو عمرو يستحب الوقف على أحد ولا يستحب الوصل قال عبد الوارث على هذا أدركنا القراء واذا وصل نوّن وكسر أو حذف التنوين كقراءته عزير ابن الله كفؤا بسكون الفاء والهمزة حمزة وخلف كفوا مثقلة غير مهموزة حفص الباقون مثقلة مهموزة وفى الحديث من قرأ سورة الاخلاص فقد قرأ ثلث القرآن لان القرآن يشتمل على توحيد الله وذكر صفاته وعلى الاوامر والنواهى وعلى القصص والمواعظ وهذه السورة قد تجردت للتوحيد والصفات فقد تضمنت ثلث القرآن وفيه دليل شرف علم التوحيد وكيف لا يكون كذلك والعلم يشرف بشرف المعلوم ويتضع بضعته ومعلوم هذا العلم هو الله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه فما ظنك بشرف منزلته وجلالة محله اللهم احشرنا فى زمرة العالمين بك العاملين لك الراجين لثوابك الخائفين من عقابك المكرمين بلقائك وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقرأ قل هو الله احد فقال وجبت فقيل يا رسول الله ما وجبت قال وجبت له الجنة

*(سورة الفلق مختلف فيها وهى خمس آيات)

انتقال والاولى ان يحمل لفظ الصمد على كل ما قيل فيه لانه محتمل له فعلى هذا يقتضى ان لا يكون فى الوجود صمد سوى الله تعالى العظيم القادر على كل شئ وانه اسم خاص بالله تعالى انفرد به له الاسماء الحسنى والصفات العليا ليس كمثله شئ وهو السميع البصير قوله عز وجل (لم يلد ولم يولد) وذلك ان مشركى العرب قالوا الملائكة بنات الله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فكذبهم الله عز وجل ونفى عن نفسه ما قالوا بقوله لم يلد يعنى كما ولد عيسى وعزير ولم يولد معناه ان من ولد كان له والد فنفى عنه احاطة النسب من جميع الجهات فهو الاول الذى لم يتقدمه والد كان عنه وهو الآخر الذى لم يتأخر عنه ولد يكون عنه ومن كان كذلك فهو الذى لم يكن له كفوا أحد أى ليس له من خلقه مثل ولا نظير ولا شبيه فنفى عنه بقوله (ولم يكن له كفوا أحد) العديل والنظير والصاحبة والولد (خ) عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمنى ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياى فقوله لن يعيدنى كما بدأنى وليس أول الخلق باهون على من اعادته واما شتمه اياى فقوله اتخذ الله ولدا وأنا الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد والله سبحانه وتعالى أعلم

(تفسير سورة الفلق وهى مدنية)

وقيل مكية والاول أصح وهى خمس آيات وثلاث وعشرون كلمة وأربعة وسبعون حرفا

(م) عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس فيه بيان عظيم فضل هاتين السورتين وفيه دليل واضح على كونهما من القرآن وفيه رد على من نسب الى ابن مسعود خلاف هذا وفيه بيان ان لفظة قل من القرآن أيضا وانه من أول السورتين بعد البسملة وقد اجتمعت الامة على هذا كله بعد خلاف ذكر فيه (خ) عن زر بن حبيش قال سألت أبي بن كعب عن المعوذتين قلت يا أبا المنذر ان أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا فقال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قيل لي فقلت فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية مثلها ولم يذكر ابن مسعود عن عبد الله بن حبيب قال اصابنا طش وظلمة فانتظرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي بنا فخرج فقال قل قلت ما أقول قال قل هو الله أحد الله الصمد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح تكفيك كل شئ وفي رواية قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق مكة فاصبت خلوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فدنوت منه فقال قل قلت ما أقول قال قل أعوذ برب الفلق حتى تختمها ثم قل أعوذ برب الناس حتى تختمها ثم قال ما تعوذ الناس بافضل منهما أخرجه النسائي عن جابر بمثله ومعنى الطش والطشيش المطر الضعيف وهو قول أبي الدرداء

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (قل أعوذ برب الفلق) قال ابن عباس وعائشة كان غلام من اليهود يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فدبت اليه اليهود فلم يزالوا به حتى اخذ من مشاطة رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة من اسنان مشطه فاعطاها اليهود فسحروه فيها وتولى ذلك لبيد بن الاعصم رجل من اليهود فنزلت السورتان فيه (ق) عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يخيل اليه انه يصنع الشئ ولم يصنعه وفي رواية انه يخيل اليه فعل الشئ وما فعله حتى اذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله ودعاه ثم قال اشعرت يا عائشة أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه قلت وما ذاك يا رسول الله قال جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي ثم قال أحدهما لصاحبه ما وجع الرجل قال مطبوب قال ومن طبه قال لبيد بن الاعصم اليهودي من بني زريق قال فيماذا قال في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر قال فاين هو قال في بئر ذروان ومن الرواة من قال في بئر بني زريق فذهب النبي صلى الله عليه وسلم في أناس من أصحابه الى البئر فنظر اليها وعليها نخل ثم رجع الى عائشة فقال والله لكأن ماءها نقاعة الحناء ولكأن نخلها رؤس الشياطين قلت يا رسول الله فأخرجه قال اما أنا فقد عافاني الله وشفاني وخفت ان أثير على الناس منه شرا وفي رواية للبخاري انه كان يرى انه يأتي النساء ولا يأتيهن قال سفيان وهذا أشد ما يكون من السحر اذا كان كذلك عن زيد بن أرقم قال سحر رجل من اليهود النبي صلى الله عليه وسلم فاشتكى ذلك أياما فاتاه جبريل فقال ان رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقدا في بئر كذا فارسل رسول الله صلى الله

(بسم الله الرحمن الرحيم) (قل أعوذ برب الفلق) أي الصبح او الخلق اوهو واد في جهنم اوجب فيها

عليه وسلم عليا فاستخرجها فجاء بها فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما نشط من عقال فما ذكر ذلك لليهودي ولا رآه في وجهه قط أخرجه النسائي وروى أنه كان تحت صخرة في البئر فرفعوا الصخرة وأخرجوا جف الطلعة فاذا فيه مشاطة من رأسه صلى الله عليه وسلم وأسنان من مشطه وقيل كان في وتر عقد عليه احدى عشرة عقدة وقيل كان مغروزا بالابر فانزل الله هاتين السورتين وهما احدى عشرة آية سورة الفلق خمس آيات وسورة الناس ست آيات فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة حتى انحلت العقد كلها فقام النبي صلى الله عليه وسلم كأنما نشط من عقال وروى انه لبث ستة أشهر واشتد عليه ذلك ثلاث ليال فنزلت المعوذتان (م) عن أبي سعيد الخدري أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اشتكيت قال نعم قال بسم الله أرقيك من كل شئ يؤذيك ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك بسم الله أرقيك

(فصل) وقبل الشروع في التفسير نذكر معنى الحديث وما قيل فيه وما قيل في السحر وما قيل في الرقى قولها في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يخيل اليه انه يصنع الشئ ولم يصنعه قال الامام المازري مذهب أهل السنة وجمهور علماء الامة على اثبات السحر وان له حقيقة كحقيقة غيره من الاشياء الثابتة خلافا لمن أنكر ذلك ونفى حقيقته وأضاف ما يقع منه الى خيالات باطلة لا حقائق لها وقد ذكره الله في كتابه وذكر أنه مما يتعلم وذكر ما فيه اشارة الى أنه مما يكفر به وانه يفرق بين المرء وزوجه وهذا كله لا يمكن أن يكون مما لا حقيقة له وهذا الحديث الصحيح مصرح باثباته ولا يستنكر في العقل ان الله تعالى يخرق العادة عند النطق بكلام ملفق أو تركيب أجسام أو المزج بين قوى لا يعرفها الا الساحر وانه لا فاعل الا الله تعالى وما يقع من ذلك فهو عادة أجراها الله تعالى على يد من يشاء من عباده فان قلت المستعاذ منه هل هو بقضاء الله وقدره أم لا فان كان بقضاء الله وقدره فكيف يأمر بالاستعاذة مع أن ما قدر لا بد واقع وان لم يكن بقضاء الله وقدره فذلك قدح في القدرة قلت كل ما وقع في الوجود هو بقضاء الله وقدره والاستشفاء بالتعوذ والرقى من قضاء الله وقدره يدل على صحة ذلك ما روى الترمذي عن ابن أبي خزامة عن أبيه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أرأيت رقى نسترقي بها ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيأ قال هي من قدر الله تعالى قال الترمذي هذا حديث حسن وعن عمر نفر من قدر الله الى قدر الله تعالى

(فصل) وقد أنكر بعض المبتدعة حديث عائشة المتفق عليه وزعم انه يحط منصب النبوة ويشكك فيها وان تجويزه يمنع الثقة بالشرع ورد على هذا المبتدع بان الذي ادعاه باطل لان الدلائل القطعية والنقلية قد قامت على صدقه صلى الله عليه وسلم وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك وتجويز ما قام الدليل بخلافه باطل وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا وهو ما يعرض للبشر فغير بعيد أن يخيل اليه من أمور الدنيا

مالاحقيقة له وقد قيل انه ﷺ ان يخيل اليه انه وطئ زوجاته وليس بواطئ وهذا مثل
مايخيله الانسان فى المنام فلا يبعد أن يتخيله فى اليقظة ولاحقيقة له وقيل انه يخيل اليه
انه فعله ومافعله ولكن لا يعتقد صحة ماتخيله فتكون اعتقاداته على السداد قال القاضى
عياض وقد جاءت فى بعض روايات هذا الحديث مبينة ان السحر انما سلط على بدنه
وظواهر جوارحه لا على قلبه وعقله واعتقاده وليس فى ذلك مايوجب لبسا على الرسالة
ولا طعنا لاهل الزيغ والضلالة وقوله ماوجع الرجل قال مطبوب أى مسحور قوله
وجف طلعة ذكر يروى بالباء ويروى بالفاء وهو وعاء طلع النخل وأما الرقى والتعاويذ
فقد اتفق الاجماع على جواز ذلك اذا كان بآيات من القرآن أو اذا كانت وردت فى
الحديث ويدل على صحته الاحاديث الواردة فى ذلك منها حديث أبى سعيد المتقدم ان
جبريل رقى النبى صلى الله عليه وسلم ومنها ماروى عن عبيد بن رفاعة الزرقى ان اسماء
بنت عميس قالت يارسول الله ان ولد جعفر تسرع اليهم العين افاسترقى لهم قال نعم فانه
لو كان شئ سابق القدر لسبقته العين أخرجه الترمذى وقال حديث صحيح وعن أبى سعيد
الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ يقول أعوذ بالله من الجان
وعين الانسان فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ماسواهما أخرجه الترمذى وقال
حديث حسن غريب فهذه الاحاديث تدل على جواز الرقية وانما المنهى عنه منها
ما كان فيه كفر أو شرك أو مالا يعرف معناه مماليس بعربى لجواز أن يكون فيه كفر
والله أعلم ❊ وأما التفسير فقوله عز وجل قل اعوذ برب الفلق اراد بالفلق الصبح وهو قول
الاكثرين ورواية عن ابن عباس لان الليل ينفلق عن الصبح وسبب تخصيصه فى التعوذ
ان القادر على ازالة هذه الظلمة عن العالم قادر على أن يدفع عن المستعيذ مايخافه
ويخشاه وقيل ان طلوع الصبح كالمثال لمجيء الفرج فكما أن الانسان ينتظر طلوع
الصباح فكذلك الخائف يترقب مجيء النجاح وقيل ان تخصيص الصبح بالذكر فى
هذا الموضع لانه وقت دعاء المضطرين واجابة الملهوفين فكانه يقول قل اعوذ برب
الوقت الذى يفرج فيه هم المهمومين والمغمومين وروى عن ابن عباس أن الفلق سجن
فى جهنم وقيل هو واد فى جهنم اذا فتح استعاذ أهل النار من حره ووجهه أن المستعيذ
قال اعوذ برب هذا العذاب القادر عليه من شر عذابه وغيره وروى عن ابن عباس أيضا
أن الفلق الخلق ووجه هذا التأويل ان الله تعالى فلق ظلمات بحر العدم بايجاد الانوار
وخلق منه الخلق فكانه قال قل اعوذ برب جميع الممكنات ومكون جميع المحدثات
(من شر ماخلق) قيل يريد به ابليس خاصة لانه لم يخلق الله خلقا هو شر منه ولان السحر
لايتم الابه وباعوانه وجنوده وقيل من شر كل ذى شر وقيل من شر ماخلق من الجن
والانس (ومن شر غاسق اذا وقب) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم نظر الى القمر فقال ياعائشة استعيذى بالله من شر هذا فان هذا
هو الغاسق اذا وقب أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح فعلى هذا الحديث المراد
به القمر اذا خسف واسود ومعنى وقب دخل فى الخسوف أو اخذ فى الغيبوبة وقيل

(من شر ماخلق) أى النار
والشيطان وما موصولة والعائد
محذوف أو مصدرية ويكون
الخلق بمعنى المخلوق وقرأ أبو
حنيفة رضى الله عنه من شر
بالتنوين وما على هذا مع الفعل
بتأويل المصدر فى موضع الجر
بدل من شر أى شر خلقه أى
من خلق شر أو زائدة (ومن شر
غاسق اذا وقب) الغاسق الليل
اذا اعتكر ظلامه ووقوبه
دخول ظلامه فى كل شئ وعن
عائشة رضى الله عنها أخذ رسول
الله صلى الله عليه وسلم بيدى
فأشار الى القمر فقال تعوذى
بالله من شر هذا فانه الغاسق
اذا وقب ووقوبه دخوله فى
الكسوف واسوداده

ومن شر النفاثات في العقد) النفاثات النساء أو النفوس أو الجماعات السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط و ينفثن عليها و يرقين والنفث النفخ مع ريق وهو دليل على بطلان قول المعتزلة في انكار تحقق السحر وظهور أثره (ومن شر حاسد اذا حسد) أي اذا أظهر حسده وعمل بمقتضاه لانه اذا لم يظهر فلا ضرر يعود منه على من حسده بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره وهو الاسف على الخير عند الغير والاستعاذة من شر هذه الاشياء

بعد الاستعاذة من شر ما خلق اشعار بان شر هؤلاء أشد وختم بالحسد ليعلم انه شرها وهو أول ذنب عصي الله به في السماء من ابليس وفي الارض من قابيل وانما عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه لان كل نفاثة شريرة فلذا عرفت النفاثات ونكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه الشر انما يكون في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد يكون محمودا كالحسد في الخيرات والله أعلم

(سورة الناس مختلف فيها وهي ست آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل أعوذ برب الناس) أي مربيهم ومصلحهم (ملك الناس) مالكهم ومدبر أمورهم (اله الناس) معبودهم ولم يكتف باظهار المضاف اليه مرة واحدة لان قوله ملك الناس اله الناس عطف بيان لرب الناس لانه يقال لغيره رب الناس وملك الناس وأما اله الناس فخاص لا شركة فيه وعطف البيان للبيان فكان مظنة للاظهار دون الاضمار وانما أضيف الرب الى الناس خاصة وان كان رب كل مخلوق تشريفا لهم ولان الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في صدور الناس فكأنه قيل أعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذي يملك عليهم أمورهم وهو الههم ومعبودهم وقيل أراد بالاول الاطفال ومعنى الربوبية يدل عليه وبالثاني الشباب ولفظ الملك المنبئ عن السياسة يدل عليه وبالثالث الشيوخ ولفظ الاله المنبئ عن العبادة يدل عليه وبالرابع الصالحين اذ الشيطان مولع باغوائهم وبالخامس المفسدين لعطفه على المعوذ منه

سمي به لانه اذا خسف اسود وذهب ضوءه وقيل اذا وقب دخل في المحاق وهو آخر الشهر وفي ذلك الوقت يتم السحر المورث للتمريض وهذا مناسب لسبب نزول هذه السورة وقال ابن عباس الغاسق الليل اذا وقب أي أقبل بظلمته من المشرق وقيل سمي الليل غاسقا لانه أبرد من النهار والغسق البرد وانما أمر بالتعوذ من الليل لان فيه تنتشر الآفات ويقل الغوث وفيه يتم السحر وقيل الغاسق الثريا اذا سقطت وغابت وقيل ان الاسقام تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها فلهذا أمر بالتعوذ من الثريا عند سقوطها (ومن شر النفاثات في العقد) يعني السواحر اللاتي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها وقيل المراد بالنفاثات بنات لبيد بن الاعصم اللاتي سحرن النبي صلى الله عليه وسلم والنفث النفخ مع ريق قليل وقيل انه النفخ فقط واختلفوا في جواز النفث في الرقى والتعاويذ الشرعية المستحبة فجوزه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ويدل عليه حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات الحديث وأنكر جماعة التفل والنفث في الرقى وأجازوا النفخ بلا ريق قال عكرمة لا ينبغي للراقي ان ينفث ولا يمسح ولا يعقد وقيل النفث في العقد انما يكون مذموما اذا كان سحرا مضرا بالارواح والابدان واذا كان النفث لاصلاح الارواح والابدان وجب ان لا يكون مذموما ولا مكروها بل هو مندوب اليه (ومن شر حاسد اذا حسد) الحاسد هو الذي يتمنى زوال نعمة الغير وربما يكون مع ذلك سعي فلذلك أمر الله تعالى بالتعوذ منه وأراد بالحاسد هنا اليهود فانهم كانوا يحسدون النبي صلى الله عليه وسلم أو لبيد بن الاعصم وحده والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

(تفسير سورة الناس)

وهي مدنية وقيل مكية والاول أصح وهي ست آيات وعشرون كلمة وتسعة وسبعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (قل أعوذ برب الناس) انما خص الناس بالذكر وان كان رب جميع المحدثات لانه لما أمر بالاستعاذة من شر الوسواس فكأنه قال أعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذي يملك عليهم أمورهم وهو الههم ومعبودهم فانه هو الذي يعيذ من شرهم وقيل ان أشرف المخلوقات هم الناس فلهذا خصهم بالذكر (ملك الناس اله الناس)

(من شر الوسواس) هو اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة وأما المصدر فوسواس بالكسر كالزلزال والمراد به الشيطان سمى بالمصدر كأنه وسوسة فى نفسه لانها شغله الذى هو عاكف عليه أو اريد ذو الوسواس والوسوسة الصوت الخفى (الخناس) الذى عادته ان يخنس منسوب الى الخنوس وهو التأخر كالعوّاج والبتات لما روى عن سعيد بن جبير اذا ذكر الانسان ربه خنس الشيطان وولى واذا غفل رجع ووسوس اليه (الذى يوسوس فى صدور الناس) فى محل الجر على الصفة أو الرفع أو النصب على الشتم وعلى هذين الوجهين يحسن الوقف على الخناس (من الجنة والناس) بيان للذى يوسوس على ان الشيطان ضربان جنى وانسى كما قال شياطين الانس والجن وعن أبى ذر رضى الله عنه انه قال لرجل هل تعوذت بالله من شيطان الانس روى أنه عليه السلام سحر فمرض فجاءه ملكان وهو نائم فقال أحدهما لصاحبه ما باله فقال طب قال ومن طبه قال لبيد بن أعصم اليهودى قال وبم طبه قال بمشط ومشاطة فى جف طلعة تحت راعوفة فى بئر ذى أروان فانتبه صلى الله عليه وسلم فبعث زبيرا وعليا وعمارا رضى الله عنهم فنزحوا ماء البئر وأخرجوا الجف فاذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مشطه واذا فيه وتر معقد فيه احدى عشرة عقدة مغروزة بالابر فنزلت هاتان السورتان فكلما قرأ جبريل آية انحلت عقدة حتى قام عليه السلام عند انحلال العقدة الاخيرة كأنما نشط من عقال وجعل جبريل يقول باسم الله أرقيك والله يشفيك من كل داء يؤذيك ولهذا جوّز الاسترقاء بما كان من كتاب الله واطراف وكلام رسوله عليه السلام لا بما كان بالسريانية والعبرانية والهندية فانه لا يحل اعتقاده ولا اعتماد عليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيآت أعمالنا وأقوالنا ومن شر ما عملنا وما لم نعمل ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ونبيه وصفيه أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وصلى الله على محمد وعلى آله مصابيح الانام وأصحابه مفاتيح دار السلام

اعماوه فى نفسه أولا بأنه رب الناس لان الرب قد يكون ملكا وقد لا يكون ملكا فنبه بذلك على انه ربهم وملكهم ثم ان الملك لا يكون الها فنبه بقوله اله الناس على ان الالهية خاصة بالله سبحانه وتعالى لا يشاركه فيها أحد والسبب فى تكرير لفظة الناس يقتضى مزيد شرفهم على غيرهم (من شر الوسواس) يعنى الشيطان ذا الوسواس والوسوسة الهمز والصوت الخفى (الخناس) يعنى الرجاع الذى من عادته ان يخنس أى يتأخر قيل ان الشيطان جاثم على قلب الانسان فاذا غفل وسها وسوس واذا ذكر الله تعالى خنس الشيطان عنه وتأخر وقال قتادة الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب وقيل كخرطوم الخنزير فى صدر الانسان فاذا ذكر العبد ربه خنس ويقال رأسه كرأس الحية واضع رأسه على ثمرة القلب يمسه ويحدثه فاذا ذكر الله تعالى خنس واذا لم يذكر الله تعالى رجع ووضع رأسه على القلب فذلك قوله تعالى (الذى يوسوس فى صدور الناس) يعنى بالكلام الخفى الذى يصل مفهومه الى القلب من غير سماع والمراد بالصدر القلب (من الجنة) يعنى الجن (والناس) وفى معنى الآية وجهان أحدهما ان الناس لفظ مشترك بين الجن والانس ويدل عليه قول بعض العرب جاء قوم من الجن فقيل من أنتم قالوا أناس من الجن وقد سماهم الله تعالى رجالا فى قوله يعوذون برجال من الجن فعلى هذا يكون معنى الآية ان الوسواس الخناس يوسوس للجن كما يوسوس للانس والوجه الثانى ان الوسواس الخناس قد يكون من الجنة وهم الجن وقد يكون من الانس فكما ان شيطان الجن قد يوسوس للانسان تارة ويخنس أخرى فكذلك شيطان الانس قد يوسوس للانسان كالناصح له فان قبل زاد فى الوسوسة وان كره السامع ذلك انخنس وانقبض فكانه تعالى أمر أن يستعاذ به من شر الجن والانس جميعا (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم ينفث فيهما فيقرأ قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات * عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث فلما اشتد وجعه كنت اقرأ عليه وامسح عنه بيده رجاء بركتها أخرجه مالك فى الموطا ولهما بمعناه (ق) عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا حسد الا فى اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل

وأطراف النهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه آناء الليل وأطراف النهار عن ابن عباس قال قيل يا رسول الله أى الاعمال أحب الى الله تعالى قال الحال المرتحل قيل وما الحال المرتحل قال الذى يضرب من أول القرآن الى آخره كلما حل ارتحل أخرجه الترمذى والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

(بسم الله الرحمن الرحيم)

أحمدك اللهم يا من أنزلت على عبدك الكتاب هدى للمتقين وموعظة لاولى الالباب وأشكرك على نعمة الاهتداء بأنوار نجوم القرآن ومنة الاقتداء بدليل السنة ومصابيح الايمان وأشهد ان لا اله الا أنت الدال كلامك الموصوف بالقدم المنعوت على انك المخصوص بالاسماء الحسنى والنعوت سبحانك تنزهت ذاتك عن الشبيه والمثيل وتقدست صفاتك عن التشبيه والتمثيل وأشهد أن سيدنا محمدا رسولك الذى بسقت دوحة رسالته وقامت الدلائل من المعجزات على اصطفائه ونبوته المبعوث لاقامة الدين القويم بالآيات البينات المؤيد الاصطفاء بالنص والوحى وباهر المعجزات المتمسك بحبل العصمة والارشاد الهادى الى مناهج الحق وسنن الرشاد الكشاف عن مكنون لباب التأويل المظهر لضمائر أسرار التنزيل المرسل بتيسير المنان وتبصير الرحمن لاحياء موت القلوب بروح البيان أوصل اللهم اليه صلات صلوات يتدفق بالرحمة المقرونة بالتعظيم ودقها وعبهريات تحيات يتألق بالبركة المصحوبة بالتكريم برقها والى أصحابه نجوم المجد والهدى واعلام السعد والاهتدا المتمسكين بحبل سنته من بعده وآله وجميع حزبه وجنده *(وبعد)* فان من القضايا المسلمة التى لا نردمنها كلمة ان آيات القرآن أعجزت البلغاء وأخرست الفصحاء ولا يستطيع المصقع ان يشيد مثل مبانيه ولو أرعف مخاطم البراعه ولا يتسهل للمدقع ان يصل الى مثقال ذرة من معانيه ولو أرهف مخازم البراعه فهو السر الغامض الذى تاهت فى رياض حقائقه ألباب الالباء وغاصت فى حياض دقائقه عقول العقلاء ولا يمكن الوصول الى كشف اسراره العجيبة وحل رموزه الغريبه الا من طريق علم التفسير فهو بالاجماع على ما تقدم من قبيل الخبير البصير لانه الموقف على أسباب نزوله المبين لفروعه واصوله فلذلك وجهت اليه اعلام الائمة عناياتهم وبذلوا فيه الطاقة وجعلوه غاية اجتهاداتهم فهو الحافل بما يتضلع منه أولوا البصائر والانظار الكافل بابراز غامض هاتيك الاسرار ولما كان هذا العلم عظيم الشان جليل القدر جميل البرهان وتواترت على صدق متعلقه الاحاديث والاخبار تعددت فيه التفاسير

وتنوعت الاسفار ولكن لؤلؤة هذه التفاسير العديدة والتآليف المفيدة تفسير امام كل امام علم الاعلام نادرة الزمان المشهور بالعرفان والاتقان ريحانة العلماء وبهجة الفضلاء المجمع على حذاقته في عصره ووقته الامام علاء الدين على ابن محمد بن ابراهيم الخازن أسكنه الله من الجنات أعلى المواطن (المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل) ولعمري انه لكتاب مملوء الوطاب بما أينع وطاب من ثمرات الآثار والعلوم وصحيح الاخبار والفهوم قد اختص من بين كتب التفسير بسلامة المعاني وسلاسة التعبير جرى فيه على اسلوب حكيم فائق ومنزع فخيم شائق حيث يتبع كل مقام بما صح من الاحاديث النبويه والحكايات المفيدة لتمام المزيه وان هذا لمن جليل الاتقان لأن السنة مبينة للقرآن ثم يلحق الاحاديث بتفسير غريبها ووضوح مشكلاتها واظهار عجيبها وقد طبع هذا الكتاب على هذا الوضع الفائق والانموذج اللطيف الرائق محلى الهامش بتفسير حجة الاسلام وبهجة الانام عمدة السادة المتصوفين وقدوة أهل الكشف واليقين الامام الهمام حافظ الدين عبد الله ابن أحمد النسفي سقاه الله من رحيقه الهنى وأتحفه بعوائده الحفي ولطفه الخفي (المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل) وهذا التفسير وان كان قليل الحجم صغير المباني الا انه كثير العلم كبير المعاني حوى من الاوصاف الجيله والمزايا الجليله ما يضيق عن حصرها نطاق نطق التعبير وقلما يهتدى بغيره الى فهم اشارات كتاب اللطيف الخبير أحدى خلاصة الكشاف سالكا مسالك الهدى عادلا عن طريق الاعتساف مشيرا الى القراآت بأوجز العبارات هاجرا للحكايات الاسرائيليه التى لم تأت على طريق الاحاديث النبويه وبالجملة فان هذين الكتابين جديران بان تبذل فيهما النفوس ويرتاح لهما قلب الطالب ارتياح أخ الراح للكؤس ويضيع في اقتنائهما عزيز الروح لا النفائس اذ هما بين مخدرات أسفار التفسير كالعرائس فهما حقيقتان بان يرسما بالنور على صفحات البلور وينقشا بالنضار على وجنات الجلنار لما في الاول وهو الخازن من ذخائر الخزائن وما في الثاني من سحر البيان الذى هو حلية الانسان وكان طبعهما الجميل على أصل وضعهما الجليل بالمطبعة الازهريه ذات الحروف المعتدلة والادوات الزهريه الشهيرة بجودة التصحيح وحسن المقابلة وغاية التنقيح لازالت كواكب سعدها مشرقة زاهره ودواعي مجدها مستوفية وافره على ذمة خلفاء الفضل وأوليائه وأصحاب الشرف وأصفيائه السادة القادة الشرفا رضعاء المجد واخوان الصفا أرباب العمل المبرور والسعي الجليل

المشكور

المشكور الجامعين من المجد بين التالد والطارف المتعاهدين على نشر الفضائل
والمعارف المسيرين لها فى البلاد لتمام نفع العباد مديرى المطبعة المذكورة لازالت
أنفاسهم معمورة بملاحظة السيد الامثل والامجد الاكمل صاحب الرأى السديد
والفهم الثاقب والسعى المفيد الملحوظ بعناية المنان السيد محمد
رمضان وطلع بدر تمامهما وفاح عبير مسك ختامهما فى أوائل
أول الربيعين المتوج بأنوار سيد الكونين عام ثلثمائة
وألف من هجرة من خلقه الله تعالى على أعظم
خلق وأشرف وصف صلى الله
عليه وعلى آله وصحبه وكل
ناسج على منواله ماشدا
الحمام ولاح بدر
التمام